تفسير الثعالبي

الموسوم
بجواهر الحسان في تفسير القرآن

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

تفسير الثعالبي

برهان

الموسوم

بجواهر الحسان في تفسير القرآن

الجزء الأول

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب. ٧١٢٠

الله

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما *

يقول العبد الفقير الى الله تعالى المعترف بذنبه الراجى رحمة ربه عبد الرحمن ابن محمد بن مخلوف الثعالبى لطف الله به فى الدارين وبسائر المومنين

الحمد لله رب العالمين * وصلوات ربنا وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيئين * وعلى ءاله وصحبه السادة المكرمين * والحمد لله الذى من علينا بالايمان * وشرفنا بتلاوة القرءان * فاشرقت علينا بحمد الله انواره * وبدت لذوى المعارف عند التلاوة اسراره * وفاضت على العارفين عند التدبر والتأمل بحاره * فسبحان من انزل على عبده الكتاب * وجعله لاهل الفهم المتمسكين به من اعظم الاسباب * كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا ءاياته وليتذكر اولوا الالباب *

اما بعد ايها الاخ اشرق الله قلبى وقلبك بانوار اليقين * وجعلنى واياك من اوليائه المتقين * الذين شرفهم بنزل

قدسه * واوحشهم من الخليقة بانسه * وخصّهم من معرفته * ومشاهدة عجائب ملكوته * واثار قدرته * بما ملأ قلوبهم حَبرة * وولّه عقولهم فى عظمته حَيرة * فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا فى الدارين غيره * فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون * وبين اثار قدرته وعجائب عظمته يترددون * وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون * لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون * فانى جمعت لنفسى ولك فى هذا المختصر ما ارجو ان يقر الله به عينى وعينك فى الدارين فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزدته فوائد جمه * من غيره من كتب الائمه * وثقات اعلام هذه الامه * حسبما رأيته او رويته عن الاثبات وذلك قريب من مائة تاليف وما منها تاليف الا وهو منسوب لامام مشهور بالدين * ومعدود فى المحققين * وكل من نقلت عنه من المفسرين شيأ فمن تاليفه نقلت * وعلى لفظ صاحبه عولت * ولم انقل شيأ من ذلك بالمعنى خوف الوقوع فى الزلل وانما هي عبارات والفاظ لمن أعزوها اليه وما انفردت بنقله عن الطبرى فمن اختصار الشيخ ابى عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد اللخمي النحوي لتفسير الطبرى نقلت لانه اعتنى بتهذيبه وقد اطنب ابو بكر بن الخطيب فى حسن الثناء على الطبرى ومدح تفسيره واثنى عليه غاية نسأل الله تعالى ان يعاملنا واياهم برحمته وكل ما فى اخره انتهى فليس هو من كلام ابن عطية بل ذلك مما انفردت بنقله عن غيره ومن اشكل عليه لفظ فى هذا المختصر فليراجع الامهات المنقول منها فليصلحه منها ولا يصلحه برأيه وبديهة عقله فيقع فى الزلل من حيث لا يشعر وجعلت علامة

الثناء لنفسي بدلا من قلت ومن شاء كتبها قلت واما العين فلابن عطية وما نقلته من الاعراب عن غير ابن عطية فمن الصفاقسي مختصر ابي حيان غالبا وجعلت الصاد علامة عليه وربما نقلت عن غيره معزوا لمن عنه نقلت وكل ما نقلته عن ابي حيان فانما نقلي له بواسطة الصفاقسي غالبا قال الصفاقسي وجعلت علامة ما زدته على ابي حيان * م * وما يتفق لي ان امكن فعلامته * قلت * وبالجملة فحيث اطلق فالكلام لابي حيان وما نقلته من الاحاديث الصحاح والحسان عن غير البخاري ومسلم وابي داوود والترمذي في باب الاذكار والدعوات فاكثره من النووي وسلاح المومن وفي الترغيب والترهيب واحوال الآخرة فمعظمه من التذكرة للقرطبي والعاقبة لعبد الحق وربما زدت زيادات كثيرة من مصابيح البغوي وغيره كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى كل ذلك معزو لمحاله وبالجملة فكتابي هذا محشو بنفائس الحكم وجواهر السنن الصحيحة والحسان الماثورة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال ابو عمر بن عبد البر في كتاب التقصّي وَأَوْلَى الامور بمن نصح نفسه والهم رشده معرفة السنن التي هي البيان لمجمل القران بها يوصل الى مراد الله تعالى من عباده فيما تعبدهم به من شرائع دينه الذي به الابتلاء * وعليه الجزاء * في دار الخلود والبقاء * التي لها يسعى الالباء العقلاء * والعلماء الحكماء * فمن منّ الله عليه بحفظ السنن والقران * فقد جعل بيده لواء الايمان * فان فقه وفهم * واستعمل ما علم * دعي في ملكوت السموات عظيما * ونال فضلا جسيما * انتهى والله اسأل ان يجعل هذا السعي خالصا لوجهه وعملا صالحا يقربنا الى مرضاته وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

٥(وسميته بالجواهر الحسان فى تفسير القرءان)٥

اسأل الله ان ينفع به كل من حصله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما كثيرا عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وءاخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وها انا ان شاء الله اشرع فى المقصود والتقط من كلام ابن عطية رحمه الله ما ستقف عليه من النبذ الحسنة المختارة ما تقربه العين واذا نقلت شيأ من غيره عزوته لصاحبه كما تقدم قال * ع * رحمه الله بعد كلام فى اثناء خطبته ولما اردت ان اختار لنفسى وانظر فى علم لعد انواره لظلم رمسى سبرت العلوم بالتنويع والتقسيم وعلمت ان شرف العلم على قدر شرف المعلوم فوجدت امتنها حبالا وارسخها جبالا واجملها ءاثارا واسطعها انوارا علم كتاب الله جلت قدرته وتقدست اسماؤه الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذى استقل بالسنة والفرض ونزل به امين السماء الى امين الارض وايقنت انه اعظم العلوم تقريبا الى الله تعالى وتخليصا للنيات ونهيا عن الباطل وحضا على الصالحات اذ ليس من علوم الدنيا فيختل حامله من منازلها صيدا ويمشى فى التلطف لها رويدا ورجوت ان الله تعالى يحرم على النار فكرا عمرته اكثر عمره معانيه ونفسا ميزت براعة رصفه ومبانيه ثم قال قال الله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا قال المفسرون اى علم معانيه والعمل بها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتب ففزعت الى تعليق ما ينتخل لى فى المناظرة من علم التفسير قال ولنقدم بين يدي القول فى التفسير اشياء قد قدم اكثرها المفسرون واشياء ينبغى ان تكون راسخة فى حفظ الناظر فى هذا العلم مجتمعة لذهنه

باب فى فضل القرءان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ستكون فتن كقطع الليل المظلم قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه تجبرا قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تنشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الاتقياء من علم علمه سبق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدي الى صراط مستقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد علم الاولين والآخرين فلْيُثَوِّرِ القرءان وقال صلى الله عليه وسلم ان الذى يتعاهد القرءان ويشتد عليه له اجران والذى يقرأه وهو خفيف عليه مع السفرة الكرام البررة وقال صلى الله عليه وسلم اتلوا هذا القرءان فان الله ياجركم بالحرف منه عشر حسنات اما انى لا اقول الم حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال صلى الله عليه وسلم ما من شفيع افضل عند الله من القرءان لا نبي ولا ملك وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتى القرءان وحدث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ مائة ءاية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي ءاية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ ثلاثمائة ءاية لم يحاجه القرءان قال الشيخ يحي بن شرف النووى اعلم ان قراءة القرءان ءاكد الاذكار وافضلها فينبغى المداومة عليها فلا يخلو عنها يوما وليلة ويحصل له اصل القراءة بقراءة الآيات القليلة والمطلوب القراءة بالتدبر والخشوع والخضوع وقد روينا فى كتاب ابن السني عن انس عن النبي صلى الله عليه

وسلم انه قال من قرأ خمسين اية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة اية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي اية لم يحاجه القران يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة اية كتب له قنطار من الاجر وفى رواية من قرأ اربعين اية بدل خمسين وفى رواية عشرين اية وفى رواية عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر ايات لم يكتب من الغافلين وجاء فى الباب احاديث كثيرة بنحو هذا انتهى من الحلية و روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اشراف امتى حملة القران و روى انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القران شافع مشفع وماحل مصدق ومن شفع له القران نجا ومن محل به القران يوم القيامة كبه الله لوجهه فى النار واحق من شفع له القران اهله وحملته واولى من محل به من عدل عنه وضيعه وقال قوم من الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم الم تر يا رسول الله ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة يزهر فيها وحولها امثال المصابيح فقال لهم فلعله قرأ سورة البقرة فسئل ثابت ابن قيس فقال نعم قرأت سورة البقرة وفى هذا المعنى حديث صحيح عن اسيد ابن حضير فى تنزل الملائكة فى الظلة لصوته بقراءة سورة البقرة قلت وفى رواية سورة الكهف وهذا الحديث خرجه البخاري ومسلم والترمذى والنساءى انتهى وقال عقبة بن عامر عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فقال عليكم بالقران وقال عبد الله بن عمرو بن العاصى ان من اشراط الساعة ان يبسط القول ويخزن الفعل ويرفع الاشرار ويوضع الاخيار وان تقرأ المثناة على رءوس الناس لا تغير قيل وما المثناة قال ما إستكتب من غير كتاب الله قيل له فكيف بما جاء من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اخذتموه عن من تامنونه على نفسه ودينه فاعقلوه وعليكم بالقران فتعلموه وعلموه ابناءكم

فانكم عنه تسألون وبه تجزون وكفى به واعظا لمن عقل وقال رجل لعبد الله ابن مسعود اوصني فقال اذا سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين ءامنوا فارعها سمعك فانه خير يامر به او شر ينهى عنه وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن احسن الناس قراءة او صوتا بالقرءان فقال الذى اذا سمعته رأيته يخشى الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اقرءوا القرءان قبل ان يجيء قوم يقيمونه كما يقام القدح ويضيعون معانيه يتعجلون اجره ولا يتأجلونه وروي ان اهل اليمن لما قدموا ايام ابى بكر الصديق رضي الله عنه سمعوا القرءان فجعلوا يبكون فقال ابو بكر هكذا كنا ثم قست القلوب وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ مرة ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فأنّ أنّةً عِيدَ منها عشرين يوما قال القرطبي فى التذكرة وما تقرب المتقربون الى الله تعالى بشيء مثل القرءان قال صلى الله عليه وسلم يقول الرب تبارك وتعالى من شغله قراءة القرءان عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين رواه الترمذى انتهى قلت ولفظ الترمذى عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب عزوجل من شغله القرءان وذكرى عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب وعن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يفقه من قرأ القرءان فى اقل من ثلاث قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وعماد الامر التدبر والتفهم فقلة القراءة مع التفهم افضل من كثرتها من غير تفهم وهذا الذى عليه المحققون وهو الذى يدل عليه القرءان وصحيح الآثار ولولا الاطالة لاتينا من ذلك بما يثلج له الصدر وقد ذكر بعض شراح الرسالة فى الذى يقرأ القرءان من غير تأمل ولا تفهم هل له اجر أمْ لا قولان وهذا

الخلاف والله اعلم فى غير المتعلم والقول بعدم الاجر على ضعفه هو ظاهر ما حكاه عياض فى المدارك عن الشبلي فى قصته مع الامام المقرئ وبالجملة فالتدبر والتفهم هو الذى يحصل معه الانابة والخشوع وكل خير ونقل الباجى فى سنن الصالحين عن محمد بن كعب القرظي قال لان اقرأ فى ليلى حتى اصبح باذا زلزلت وبالقارعة لا ازيد عليهما واتردد فيهما واتفكر احب الي من ان اهذ القرءان ليلى هذًّا او قال انثره نثرا ونحوه عن مجاهد وغيره وعن ابن عباس قال ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه انتهى قال ابن ابى جمرة والمرغب فيه التدبر فى القراءة وان قلت وهو خير من كثرة القراءة بلا تدبر وفائدة التدبر هو ان تعرف معنى ما تتلوه من الآي انتهى وقال الحسن بن ابى الحسن انكم اتخذتم قراءة القرءان مراحل وجعلتم الليل جملا تركبونه فتقطعون به المراحل وان من كان قبلكم رأوه رسائل اليهم من ربهم فكانوا يتدبرونه بالليل وينفذونه بالنهار وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول انزل عليهم القرءان ليعملوا به فاتخذوا درسه عملا ان احدهم ليتلو القرءان من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به قال * ع * قال الله تعالى ولقد يسرنا القرءان للذكر وقال تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا اي علم معانيه والعمل به والقيام بحقوقه ثقيل فمال الناس الى الميسر وتركوا الثقيل وهو المطلوب منهم وقيل ليوسف بن اسباط باي شيء تدعو اذا ختمت القرءان فقال استغفر الله من تلاوتى لانى اذا ختمته ثم تركت ما فيه من الاعمال خشيت المقت فاعدل الى الاستغفار والتسبيح وقرأ رجل القرءان على بعض العلماء قال فلما ختمته اردت الرجوع من اوله فقال لى اتخذت القراءة علي عملا اذهب فاقرأه على الله تعالى فى ليلك وانظر ما ذا يفهمك منه قال الغزالى فى كتاب

التفكر واما طريق الفكر الذى تطلب به العلوم التى تثمر اجتلاب احوال محمودة او التنزه عن صفات مذمومة فلا يوجد فيه انفع من تلاوة القرءان بالفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال المحمودة وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغى ان يقرأه العبد ويردد الآية التى هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو ليلة كاملة فقراءة ءاية بتفكر وفهم خير من ختمة من غير تدبر وفهم فان تحت كل كلمة منه اسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك حكم مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقداوتي عليه السلام جوامع الكلم فكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تأمله العالم حق تأمله لم ينقطع فيه نظره طول عمره وشرح ءاحاد الآيات والاخبار يطول وانظر قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به فان هذه الكلمات جامعة لحكم الاولين والآخرين وهي كافية للمتأملين ولو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحالت بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية انتهى من الاحياء.

باب فى فضل تفسير القرءان واعرابه

قال النبي صلى الله عليه وسلم اعربوا القرءان والتمسوا غرائبه فان الله تعالى يحب ان يعرب قال ابو العالية فى تفسير قوله عزوجل ومن يوت الحكمة فقداوتي خيرا كثيرا قال الحكمة الفهم فى القرءان وقال قتادة الحكمة القرءان والفقه

فيه وقال غيره الحكمة تفسير القرءان وقال الشعبي رحل مسروق الى البصرة فى تفسير ءاية فقيل له ان الذى يفسرها رحل الى الشام فتجهز ورحل اليه حتى علم تفسيرها وذكر علي بن ابى طالب رضي الله عنه جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم فقال له رجل جعلت فِدَاكَ تصف جابرا بالعلم وانت انت فقال انه كان يعرف تفسير قوله تعالى ان الذى فرض عليك القرءان لرادك الى معاد وقال اياس ابن معاوية مثل الذين يقرءون القرءان وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لا يدرون ما فى الكتاب ومثل الذى يعلم التفسير كرجل جاءهم بمصباح فقرءوا ما فى الكتاب وقال ابن عباس الذى يقرأ ولا يفسر كالاعرابي الذى يهذ الشعر وقال مجاهد احب الخلق الى الله اعلمهم بما انزل الله وقال الحسن والله ما انزل الله ءاية الا احب ان يعلم فيمن انزلت وما يعنى بها وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرءان وجوها كثيرة

فصل فيما قيل فى الكلام فى تفسير القرءان والجرءة عليه ومراتب المفسرين

روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله تعالى الا ءايا بعدد علمهن اياه جبريل عليه السلام قال * ع * ومعنى هذا الحديثُ فى مغيبات القرءان وتفسير مجمله ونحو هذا مما لا سبيل اليه الا بتوقيف من الله تعالى ومن جملة مغيباته ما لم يعلم الله به عباده كوقت قيام الساعة ونحوها ومنها ما يستقرأ من الفاظه كعدد النفخات فى الصور وكرتبة خلق السموات والارض وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من

تكلم فى القرءان برايه فاصاب فقد اخطأ ومعنى هذا ان يسأل الرجل عن معنى فى كتاب الله فيتسور عليه برايه دون نظر فيما قال العلماء او اقتضته قوانين العلوم كالنحو والاصول وليس يدخل في هذا الحديث ان يفسر اللغويون لغته والنحاة نحوه والفقهاء معانيه ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فان هذا القائل على هذه الصفة ليس قائلا بمجرد رايه وكان جلة من السلف كسعيد ابن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرءان ويتوقفون عنه تورعا واحتياطا لانفسهم مع ادراكهم وتقدمهم وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه وهم ابقوا على المسلمين فى ذلك رضي الله عن جميعهم * ت *

وخرج ابو عيسى الترمذى فى جامعه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرءان بغير علم فليتبوأ مقعده من النار قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرج ايضا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الحديث عنى الا ما علمتم فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ومن قال فى القرءان برايه فليتبوأ مقعده من النار قال ابو عيسى هذا حديث حسن وخرج عن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرءان برايه فاصاب فقد اخطأ قال ابو عيسى هكذا روي عن بعض اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم انهم شددوا فى هذا فى ان يفسر القرءان بغير علم واما الذى روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من اهل العلم انهم فسروا القرءان فليس الظن بهم انهم قالوا فى القرءان او فسروه بغير علم او من قبل انفسهم وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا انهم لم يقولوا من قبل انفسهم بغير علم حدثنا الحسين بن مهدي البصرى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ما فى القرءان ءاية الا وقد سمعت فيها بشيء وحدثنا ابن

ابى عمر حدثنا سفيان بن عيينة عن الاعمش قال قال مجاهد لوكنت قرأت قراءة ابن مسعود لم احتج الى ان اسأل ابن عباس عن كثير من القروان مما سألت انتهى ما نقلته من الترمذى ثم قال * ع * فاما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن ابى طالب رضي الله عنه ويتلوه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو تجرد للامر وكمله وتتبعه العلماء عليه كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما والمحفوظ عنه فى ذلك اكثر من المحفوظ عن علي بن ابى طالب وقال ابن عباس ما اخذت من تفسير القروان فعن علي بن ابى طالب وكان علي بن ابى طالب يثنى على تفسير ابن عباس ويحض على الاخذ عنه وكان عبد الله ابن مسعود يقول نعم ترجمان القروان عبد الله بن عباس وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل وحسبك بهذه الدعوة ويتلوه عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاصى وكل ما اخذ عن الصحابة فحسن متقدم ومن المبرزين فى التابعين الحسن بن ابى الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وعلقمة وقد قرا مجاهد على ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل اية ويتلوهم عكرمة والضحاك بن مزاحم وان كان لم يلق ابن عباس وانما اخذ عن ابن جبير واما السدى رحمه الله تعالى فكان عامر الشعبى يطعن عليه وعلى ابى صالح لانه كان يراهما مقصرين فى النظر ثم حمل تفسير كتاب الله عزوجل عدول كل خلف والف الناس فيه كعبد الرزاق والمفضل وعلي بن ابى طلحة والبخارى وغيرهم ثم ان محمد بن جرير الطبرى رحمه الله جمع على الناس اشتات التفسير وقرب البعيد وشفى فى الاسناد ومن المبرزين فى المتأخرين ابو اسحاق الزجاج وابو علي الفارسى فان كلامهما منخول واما ابو بكر النقاش وابو جعفر النحاس رحمهما الله فكثيرا ما

استدرك الناس عليهما وعلى سننهما مكي بن ابى طالب رحمه الله وابو العباس المهدوى رحمه الله متقن التاليف وكلهم مجتهد ماجور رحمهم الله ونضر وجوههم

(فصل) واختلف الناس فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم انزل القرءان على سبعة احرف فاقرءوا ما تيسر منه ثم قال * ع * بعد كلام والذى مال اليه كثير من اهل العلم كابى عبيد وغيره ان معنى الحديث انه انزل على سبع لغات لسبع قبائل ثم اختلفوا فى تعيينهم وانا الخص الغرض جهدى بحول الله فاصل ذلك وقاعدته قريش ثم بنو سعد بن بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم قرشي واسترضع فى بنى سعد ونشأ فيهم ثم ترعرع وشب وهو يخالط فى اللسان كنانة وهذيلا وثقيفا وخزاعة واسدا وضبة والفافها لقربهم من مكة وتكرارهم عليها ثم بعد هذه تميما وقيسا ومن انضاف اليهم وسط جزيرة العرب فلما بعثه الله تعالى ويسر عليه امر الاحرف انزل عليه القرءان بلغة هذه الجملة المذكورة وهي التى قسمها على سبعة لها السبعة الاحرف وهي اختلافاتها فى العبارة قال ثابت بن قاسم لو قلنا من هذه الاحرف لقريش ومنها لكنانة ومنها لاسد ومنها لهذيل ومنها لتميم ومنها لضبة والفافها ومنها لقيس لكان قداتى على قبائل مضر فى مراتب سبعة تستوعب اللغات التى نزل بها القرءان وهذا نحو ما ذكرناه وهذه الجملة هي التى انتهت اليها الفصاحة وسلمت لغاتها من الدخل ويسرها الله لذلك ليظهر اية نبيه بعجزها عن معارضة ما انزل عليه وسبب سلامتها انها فى وسط جزيرة العرب فى الحجاز ونجد وتهامة فلم تطرقها الامم فاما اليمن وهو جنوبي الجزيرة فافسدت كلام عربه خالطة الحبشة والهنود على ان ابا عبيد القاسم بن سلام وابا العباس المبرد قد ذكرا ان عرب اليمن من القبائل التى نزل القرءان بلغاتها قال * ع * وذلك عندى انما هو فيما استعملته

عرب الحجاز من لغة اليمن كالعرم والفتاح فاما ما انفردوا به كالزخيخ والقِلَّوْب
فليس فى كتاب الله منه شيء. واما ما والى العراق من جزيرة العرب وهي بلاد
ربيعة وشرقي الجزيرة فافسدت لغتها مخالطة الفرس والنبط ونصارى الحيرة
وغير ذلك واما الذى يلى الشام وهو شمالي الجزيرة وهى بلاد ال جفنة وغيرهم
فافسدها مخالطة الروم وكثير من بنى اسرائل واما غربي الجزيرة فهي جبال تسكن
بعضها هذيل وغيرهم واكثرها غير معمور فبقيت القبائل المذكورة سليمة اللغات
لم تكدر صفو كلامها امة من العجم ويقوى هذا المنزع انه لما اتسع نطاق الاسلام
وداخلت الامم العرب وتجرد اهل المصرين البصرة والكوفة لحفظ لسان
العرب وكتب لغتها لم ياخذوا الا من هذه القبائل الوسيطة المذكورة
ومن كان معها وتجنبوا اليمن والعراق والشام فلم يكتب عنهم حرف واحد
وكذلك تجنبوا حواضر الحجاز مكة والمدينة والطائف لان السبي والتجار
من الامم كثروا فيها فافسدوا اللغة وكانت هذه الحواضر فى مدة النبي
صلى الله عليه وسلم سليمة لقلة المخالطة فمعنى قول النبي صلى الله
عليه وسلم انزل القروان على سبعة احرف اي فيه عبارات سبع قبائل بلغة
جلتها نزل القروان فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ومرة بعبارة هذيل ومرة
بغير ذلك بحسب الافصح والاوجز فى اللفظة الا ترى ان فطر معناها عند غير
قريش ابتداء خلق الشيء وعمله فجاءت فى القروان فلم تتجه لابن عباس حتى
اختصم اليه اعرابيان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها قال ابن عباس ففهمت
حينئذ موقع قوله سبحانه فاطر السماوات والارض وقال ايضا ما كنت ادرى
معنى قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا حتى سمعت بنت ذى جدن تقول
لزوجها تعال افاتحك اي احاكمك وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله

عنه وكان لا يفهم معنى قوله تعالى او ياخذهم على تخوف فوقف به فتى فقال ان ابى يتخوفنى حقى فقال عمر الله اكبر او ياخذهم على تخوف اي على تنقص لهم وكذلك اتفق لقطبة بن مالك اذ سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الصلاة والنخل باسقات ذكره مسلم فى باب القراءة فى صلاة الفجر الى غير هذا من الامثلة فاباح الله تعالى لنبيه عليه السلام هذه الحروف السبعة وعارضه بها جبريل فى عرضاته على الوجه الذى فيه الاعجاز وجودة الرصف ولم تقع الاباحة فى قوله فاقروا ما تيسر منه بان يكون كل واحد من الصحابة اذا اراد ان يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ولوكان هذا لذهب اعجاز القرءان وكان معرضا ان يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذى نزل من عند الله وانما وقعت الاباحة فى الحروف السبعة للنبي صلى الله عليه وسلم ليوسع بها على امته فقرأ مرة لابي بما عارضه به جبريل ومرة لابن مسعود بما عارضه به ايضا وفى صحيح البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقرأنى جبريل على حرف فراجعته فلم ازل استزيده ويزيدنى حتى انتهى الى سبعة احرف

فصل فى ذكر الالفاظ التى فى القرءان مما للغات العجم بها تعلق

اختلف الناس فى هذه المسألة فقال ابو عبيدة وغيره ان فى كتاب الله تعالى من كل لغة وذهب الطبرى وغيره الى ان القرءان ليس فيه لفظة الا وهي عربية صريحة وان الامثلة والحروف التى تنسب الى سائر اللغات انما اتفق فيها توارد اللغتين فتكلمت العرب والفرس او الحبشة بلفظ واحد وذلك مثل قوله

تعالى ان ناشئة الليل قال ابن عباس نشأ بلغة الحبشة قام من الليل ومنه قوله تعالى يوتكم كفلين من رحمته قال ابو موسى الاشعرى كفلان ضعفان من الاجر بلسان الحبشة وكذلك قال ابن عباس فى القسورة انه الاسد بلغة الحبشة الى غير هذا من الامثلة قال * ع * والذى اقوله ان القاعدة والعقيدة هي ان القرءان بلسان عربي مبين وليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها الا من لسان ءاخر فاما هذه الالفاظ وما جرى مجراها فانه قد كان للعرب العاربة التى نزل القرءان بلسانها بعض مخالطة لسائر الالسنة بتجارات وسفر الى الشام وارض الحبشة فعلقت العرب بهذا كله الفاظا اعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت الى تخفيف ثقل العجمة واستعملتها فى اشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربى الصريح ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرءان فان جهلها عربي ما فكجهله الصريح مما فى لغة غيره كما لم يعرف ابن عباس معنى فاطر الى غير ذلك فحقيقة العبارة عن هذه الالفاظ انها فى الاصل اعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه وما ذهب اليه الطبرى من ان اللغتين اتفقتا فى لفظة لفظة فذلك بعيد بل احداهما أصل والاخرى فرع فى الاكثر لانا لا ندفع ايضا جواز الاتفاق قليلا شـــــــاذا

باب تفسير اسماء القرءان وذكر السورة والآية

هو القرءان وهو الكتاب وهو الفرقان وهو الذكر فالقرءان مصدر من قولك قرأ الرجل اذا تلا يقرأ قرءانا وقراءة وقال قتادة القرءان معناه التاليف قرأ الرجل اذا جمع والف قولا وبهذا فسر قتادة قوله تعالى ان علينا جمعه وقرءانه اي تاليفه

والقول الاول اقوى ان القرءان مصدر من قرأ اذا تلا ومنه قول حسان بن ثابت يرثى عثمان بن عفان رضي الله عنه

ضحوا باشمط عنوان السجود بـه * يقطع الليل تسبيحا وقرءانـــا

اي وقراءة واما الكتاب فهو مصدر من كتب اذا جمع ومنه قيل كتيبة لاجتماعها ومنه قول الشاعر * واكتبها باسيار * اي اجمعها واما الفرقان فهو ايضا مصدر لانه فرق بين الحق والباطل والمومن والكافر فِرقانا وفُرقانا واما الذكر فسمي بذلك لانه ذكر به الناس ءاخرتهم وَإِلَاهَهُمْ وما كانوا فى غفلة عنه فهو ذكر لهم وقيل سمي بذلك لان فيه ذكر الامم الماضية والانبياء وقيل سمي بذلك لانه ذكر وشرف لمحمد صلى الله عليه وسلم وقومه وسائر العلماء به واما السورة فان قريشا كلها ومن جاورها من قبائل العرب كهذيل وسعد بن بكر وكنانة يقولون سورة بغير همز وتميم كلها وغيرهم يهمزون فاما من همز فهي عنده كالبقية من الشيء والقطعة منه التى هي سؤر وسؤرة من اسأر اذا ابقى ومنه سؤر الشراب واما من لا يهمز فمنهم من يراها من المعنى المتقدم الا انها سهلت همزتها ومنهم من يراها مشبهة بسورة البناء اي القطعة منه لان كل بناء فانما بني قطعة بعد قطعة فكل قطعة منها سورة فكان سور القرءان هي قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القرءان ويقال ايضا للرتبة الرفيعة من المجد والملك سورة ومنه قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر

الم تر ان الله اعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب

فكأن الرتبة انبنت حتى كملت واما الآية فهي العلامة فى كلام العرب ولما كانت الجملة التامة من القرءان علامة على صدق الآتى بها وعلى عجز المتحدّى بها سميت ءاية هذا قول بعضهم وقيل سميت ءاية لما كانت جملةً وجماعةَ كلامٍ كما تقول العرب جئنا بآيتنا اي بجماعتنا وقيل لما كانت علامة للفصل بين ما قبلها

وما بعدها سميت ءاية ✻ ت ✻ وقوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح ءاية المنافق ثلاث اذا حدث كذب الحديث وءاية الايمان حب الانصار وءاية ما بيننا وبين المنافقين شهود العشاء يقوى القول الاول والله اعلم وهذا هو الراجح فى مختصر الطبرى قال والآية العلامة وذلك اظهر فى العربية والقرءان واصح القول ان ءايات القرءان علاماتٌ للايمان وطاعة الله تعالى ودلالات على وحدانيته وارسال رسله وعلى البعث والنشور وامور الآخرة وغير ذلك مما تضمنته علوم القرءان انتهى

بـاب فى الاستعـاذة

قـال الله عزوجل فاذا قرأت القـرءان فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم معنـاه اذا اردت ان تقـرأ فاوقع الماضى موقع المستقبـل لثبوته واجمع العلماء على ان قـول القـارئ اعـوذ بالله من الشيطـان الرجيـم ليس بآية من كتاب الله واجمعـوا على استحسان ذلك والتزامه عند كل قراءة فى غير صلاة واختلفوا فى التعوذ فى الصلاة فابن سيريـن والنخعى وقوم يتعوذون فى كل ركعة ويمتثـلـون امـر الله سبحانه بالاستعاذة على العموم فى كل قـراءة وابـو حنيفة والشافعى يتعوذان فى الركعة الاولى من الصلاة ويريان قـراءة الصلاة كلها كـقـراءةٍ واحدة ومالـك رحمه الله لا يـرى التعوذ فى الصلاة المفروضة ويـراه فى قيـام رمضان ولم يحفظ عن النبـي صلى الله عليه وسلم انه تعوذ فى صلاة واما لفظ الاستعاذة فالذى عليه جمهور الناس هو لـفـظ كتاب الله تعالى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم واما المقرءون فاكـثـروا فى هـذا من تبديل الصفة فى اسم الله وفى الجهة الاخرى كقول بعضهم اعـوذ بالله المجيـد من الشيطان المَريد ونحو هذا مما لا اقول فيه نعمت البدعة ولا اقول انه لا يجوز

ومعنى الاستعاذة الاستجارة والتحيز الى الشيء على وجه الامتناع به من المكروه واما الشيطان فاختلف في اشتقاقه فقال الحذاق هو فيعال من شطن اذا بعد لانه بعد عن الخير والرحمة واما الرجيم فهو فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح ومعناه انه رجم باللعنة والمقت وعدم الرحمة

باب في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم

روي ان رجلا قال بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم تعس الشيطان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل ذلك فانه يتعاظم عنده ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر حتى يصير اقل من الذباب والبسملة تسعة عشر حرفا قال بعض الناس ان رواية بلغتهم ان ملائكة النار الذين قال الله فيهم عليها تسعة عشر انما ترتب عددهم على حروف بسم الله الرحمن الرحيم لكل حرف ملك وهم يقولون في كل افعالهم بسم الله الرحمن الرحيم فمن هنالك هي قوتهم وباسم الله استضلعوا قال * ع * وهذا من ملح التفسير وليس من متين العلم * ت * ولا يخفى عليك لين ما بلغ هؤلاء ولقد اغنى الله تعالى بصحيح الاحاديث وحسنها عن موضوعات الوراقين فجزى الله نقاد الامة عنا خيرا وما جاء من الاثر عن جابر وابي هريرة مما يقتضي بظاهره ان البسملة آية من الفاتحة يرده صحيح الاحاديث كحديث انس وابي بن كعب وحديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ونحوها ولم يحفظ قط عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الخلفاء بعده انهم يبسملون في الصلاة * ع * والباء في بسم الله متعلقة عند نحاة البصرة باسم تقديره ابتداءي مستقر او ثابت بسم الله وعند نحاة الكوفة بفعل تقديره ابتدأت بسم الله واسم اصله سمو بكسر السين او سمو بضمها وهو عند

البصريين مشتق من السُّمُوّ * ت * وهو العلو والارتفاع قال * ص *
والاسم هو الدال بالوضع على موجود فى العيان ان كان محسوسا و فى الاذهان ان
كان معقولا من غير تعرض ببنيته للزمان ومدلوله هو المسمى والتسمية جعل ذلك
اللفظ دليلا على المعنى فهي امور ثلاثة متباينة فاذا اسندت حكما الى لفظ اسم
فتارة يكون حقيقة نحو زيد اسم ابنك وتارة يكون مجازا وهو حيث يطلق
الاسم ويراد به المسمى كقوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك وتأول
السهيلي سبح اسم ربك على اقحام الاسم اي سبح ربك وانما ذكر الاسم حتى
لا يخلو التسبيح من اللفظ باللسان لان الذكر بالقلب متعلقه المسمى والذكر
باللسان متعلقه اللفظ وتأول قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء بانها اسماء كاذبة
غير واقعة على الحقيقة فكانهم لم يعبدوا الا الاسماء التى اخترعوها انتهى وقال
الكوفيون اصل اسم وسم من السمة وهي العلامة لان الاسم علامة لمن وضع له
والمكتوبة التى لفظها الله ابهر اسمائه تعالى واكثرها استعمالا وهو المتقدم لسائرها
فى الاغلب وانما تجىء الأُخَر اوصافا وحذفت الالف الاخيرة من الله ليلا يشكل
بخط اللّاتِ وقيل طرحت تخفيفا والرحمن صفة مبالغة من الرحمة معناها انه
انتهى الى غاية الرحمة وهي صفة تختص بالله تعالى ولا تطلق على البشر وهي
ابلغ من فعيل وفعيل ابلغ من فاعل لان راحما يقال لمن رحم ولو مرة واحدة ورحيما
يقال لمن كثر منه ذلك والرحمن النهاية فى الرحمـــــــة

تفسير فاتحة الكتاب بحول الله تعالى وقوته

قال ابن عباس وغيره انها مكية ويؤيد هذا ان فى سورة الحجر ولقد ءاتيناك سبعا
من المثانى والحجر مكية باجماع وفى حديث ابي بن كعب انها السبع المثانى

ولا خلاف ان فرض الصلاة كان بمكة وما حفظ انه كانت قط فى الاسلام صلاة بغير الحمد لله رب العالمين وروي عن عطاء بن يسار وغيره انها مدنية واما اسماؤها فلا خلاف انه يقال لها فاتحة الكتاب واختلف هل يقال لها ام الكتاب فكره ذلك الحسن بن ابى الحسن واجازه ابن عباس وغيره وفى تسميتها بام الكتاب حديث رواه ابو هريرة واختلف هل يقال لها ام القروان فكره ذلك ابن سيرين وجوزه جمهور العلماء وسميت المثانى لانها تثنى فى كل ركعة وقيل لانها استثنيت لهذه الامة واما فضل هذه السورة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث ابي بن كعب انها لم ينزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الفرقان مثلها وروي انها تعدل ثلثي القروان وهذا العدل اما ان يكون فى المعانى واما ان يكون تفضيلا من الله تعالى لا يعلل وكذلك يجيء عدل قل هو الله احد وعدل اذا زلزلت وغيره * ت * ونحو حديث ابي حديث ابي سعيد بن المعلى اذ قال له صلى الله عليه وسلم الا اعلمك اعظم سورة فى القروان الحمد لله رب العالمين هي السبع المثانى والقروان العظيم الذى اوتيته رواه البخارى وابو داود والنساءى وابن ماجة انتهى من سلاح المومن تاليف الشيخ المحدث ابى الفتح تقي الدين محمد بن علي بن همام رحمه الله * الحمد * معناه الثناء الكامل والالف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد وهو اعم من الشكر لان الشكر انما يكون على فعل جميل يسدى الى الشاكر والحمد المجرد هو ثناء بصفات المحمود قال * ص * وهل الحمد بمعنى الشكر او الحمد اعم او الشكر ثناء على الله بافعاله والحمد ثناء عليه باوصافه ثلاثة اقوال انتهى قال الطبرى الحمد لله ثناء اثنى به على نفسه تعالى وفى ضمنه امر عباده ان يثنوا به عليه فكانه قال قولوا الحمد لله وعلى هذا يجيء قولوا اياك واهدنا قال وهذا

من حذف العرب ما يدل ظاهر الكلام عليه وهو كثير * والرب * فى اللغة المعبود والسيد المالك والقائم بالامور المصلح لما يفسد منها فالرب على الاطلاق هو رب الارباب على كل جهة وهو الله تعالى * وَالعالمون * جمع عالم وهو كل موجود سوى الله تعالى يقال لجملته عالم ولاجزائه من الانس والجن وغير ذلك عالم عالم وبحسب ذلك يجمع على العالمين ومن حيث عالم الزمان متبدل فى زمان ءاخر حسن جمعها ولفظة العالم جمع لا واحد له من لفظه وهو ماخوذ من العلم والعلامة لانه يدل على موجده كذا قال الزجاج قال ابو حيان الالف واللام فى العالمين للاستغراق وهو جمع سلامة مفرده عالم اسم جمع وقياسه الا يجمع وشذ جمعه ايضا جمع سلامة لانه ليس بعلم ولا صفة * م * وذهب ابن مالك فى شرح التسهيل الى ان عالمين اسم جمع لمن يعقل وليس جمع عالم لان العالم عام وعالمين خاص قلت وفيه نظر انتهى وقد تقدم القول فى الرحمن الرحيم * ملك يوم الدين * الدين فى كلام العرب على انحاء وهو هنا الجزاء يوم الدين اي يوم الجزاء على الاعمال والحساب بها قاله ابن عباس وغيره مدينين محاسبين وحكى اهل اللغة دنته بفعله دينا بفتح الدال ودينا بكسرها جزيته ومنه قول الشاعر

واعلم يقينا ان ملكك زائل * واعلم بان كما تدين تدان

* اياك نعبد * نطق المومن به اقرار بالربوبية وتذلل وتحقيق لعبادة الله وقدم اياك على الفعل اهتماما وشان العرب تقديم الاهم واختلف النحويون فى اياك فقال الخليل ايا اسم مضمر اضيف الى ما بعده للبيان لا للتعريف وحكى عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وقال المبرد ايا اسم مبهم اضيف للتخصيص لا للتعريف وحكى ابن كيسان عن بعض الكوفيين ان

اياك بكماله اسم مضمر ولا يعرف اسم مضمر يتغير اخره غيره وحكي عن بعضهم انه قال الكاف والهاء والياء هو الاسم المضمر لكنها لا تقوم بانفسها ولا تكون الا متصلات فاذا تقدمت الافعال جعل ايا عمادا لها فيقال اياك واياه واياي فاذا تأخرت اتصلت بالافعال واستغني عن ايا * ونعبد * معناه نقيم الشرع والاوامر مع تذلل واستكانة والطريق المذلل يقال له معبّد وكذلك البعير * ونستعين * معناه نطلب العون منك في جميع امورنا وهذا كله تبرمن الاصنام * وقوله تعالى اهدنا * رغبة لانها من المربوب الى الرب وهكذا صيغ الامر كلها فاذا كانت من الاعلى فهي امر * وَالهداية * في اللغة الارشاد لكنها تتصرف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الارشاد وكلها اذا تأملت راجعة الى الارشاد فالهدى يجيء بمعنى خلق الايمان في القلب ومنه قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم وانك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء فمن يرد الله ان يهديه الآية قال ابو المعالى فهذه الآيات لا يتجه حملها الا على خلق الايمان في القلب وهو محض الارشاد وقد جاء الهدى بمعنى الدعاء كقوله تعالى ولكل قوم هاد اي داع وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقد جاء الهدى بمعنى الالهام من ذلك قوله تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال المفسرون الهم الحيوانات كلها الى منافعها وقد جاء الهدى بمعنى البيان من ذلك قوله تعالى واما ثمود فهديناهم قال المفسرون معناه بينالهم قال ابو المعالى معناه دعوناهم وقوله تعالى ان علينا للهدى اي علينا ان نبين وفي هذا كله معنى الارشاد قال ابو المعالى وقد ترد الهداية والمراد بها ارشاد المومنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها كقوله تعالى في صفة المجاهدين فلن يضل اعمالهم سيهديهم و يصلح بالهم ومنه قوله

تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم معناه فاسلكوهم اليها قال * ع * وهذه الهداية بعينها هي التى تقال فى طرق الدنيا وهي ضد الضلال وهي الواقعة فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم على صحيح التاويلات وذلك بين من لفظ الصراط والصراط فى اللغة الطريق الواضح ومن ذلك قول جرير

امير المومنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم

واختلف المفسرون فى المعنى الذى استعير له الصراط فى هذا الموضع فقال علي بن ابى طالب رضي الله عنه الصراط المستقيم هنا القرءان وقال جابر هو الاسلام يعنى الحنيفية وقال محمد بن الحنفية هو دين الله الذى لا يقبل من العباد غيره وقال ابو العالية هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر اي الصراط المستقيم طريق محمد صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر وهذا قوي فى المعنى إلّا أنّ تسمية اشخاصهم طريقا فيه تجوز ويجتمع من هذه الاقوال كلها ان الدعوة هي ان يكون الداعى على سنن المنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين فى معتقداته وفى التزامه لاحكام شرعه وذلك هو مقتضى القرءان والاسلام وهو حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وهذا الدعاء انما امر به المومنون وعندهم المعتقدات وعند كل واحد بعض الاعمال فمعنى قوله اهدنا فيما هو حاصل عندهم التثبيت والدوام وفيما ليس بحاصل اما من جهة الجهل به او التقصير فى المحافظة عليه طلب الارشاد اليه فكل داع به انما يريد الصراط بكماله فى اقواله وافعاله ومعتقداته واختلف فى المشار اليهم بانه سبحانه انعم عليهم وقول ابن عباس وجمهور من المفسرين انه اراد صراط النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وانتزعوا ذلك من قوله تعالى ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم الآية الى قوله

رفيقا * وقوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين * اعلم ان حكم كل مضاف الى معرفة ان يكون معرفة وانما تنكرت غير ومثل مع اضافتهما الى المعارف من اجل معناهما وذلك اذا قلت رأيت غيرك فكل شيء سوى المخاطب فهو غيره وكذلك ان قلت رأيت مثلك فما هو مثله لا يحصى لكثرة وجوه المماثلة والمغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد وروى ذلك عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بين من كتاب الله لان ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله وباءو بغضب من الله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله الآية وغضب الله تعالى عبارة عن اظهاره عليهم محنا وعقوبات وذلة ونحو ذلك مما يدل على انه قد ابعدهم عن رحمته بعدا مؤكدا مبالغا فيه والنصارى كان محققوهم على شرعة قبل ورود شرع محمد صلى الله عليه وسلم فلما ورد ضلوا واما غير متحققيهم فضلالتهم متقررة منذ تفرقت اقوالهم فى عيسى عليه السلام وقد قال الله تعالى فيهم ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل واجمع الناس على ان عدد ءاي سورة الحمد سبع ءايات * العالمين ءاية * الرحيم ءاية * الدين ءاية * نستعين ءاية * المستقيم ءاية * انعمت عليهم ءاية * ولا الضالين ءاية * وقد ذكرنا عند تفسير بسم الله الرحمن الرحيم ان ما ورد من خلاف فى ذلك ضعيف

(القول فى ءامين) روى ابو هريرة وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا ءامين فان الملائكة فى السماء تقول ءامين فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه * ت * وخرج مسلم وابو داود والنسائي من طريق ابى موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال اذا صليتم فاقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم احدكم فاذا كبر فكبروا واذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا ءامين يجبكم الله الحديث انتهى ومعنى ءامين عند اكثر اهل العلم اللهم استجب اواجب يا رب ومقتضى الآثار ان كل داع ينبغي له فى ءاخر دعائه ان يقول ءامين وكذلك كل قارئ للحمد فى غير صلاة واما فى الصلاة فيقولها الماموم والفذ وفى الامام فى الجهر اختلاف واختلف فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة فقيل فى الاجابة وقيل فى خلوص النية وقيل فى الوقت والذى يترجح ان المعنى فمن وافق فى الوقت مع خلوص النية والاقبال على الرغبة الى الله بقلب سليم والاجابة تتبع حينئذ لان من هذه حاله فهو على الصراط المستقيم وفى صحيح مسلم وغيره عن ابى هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عزوجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى فاذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدى واذا قال ملك يوم الدين قال مجدنى عبدى فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل انتهى وعند مالك فهؤلاء لعبدى واسند ابو بكر بن الخطيب عن نافع عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان له امام فقراءة الامام له قراءة انتهى من تاريخ بغداد ولم يذكر فى سنده مطعنا وقال ابن العربى فى احكامه والصحيح عندى وجوب قراءتها على الماموم فيما اسر فيه وتحريمها فيما جهر فيه اذا سمع الامام لما عليه من وجوب الانصات والاستماع فان بعد عن الامام فهو بمنزلة صلاة السر انتهى نجز تفسير سورة الحمد والحمد

لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم اعلـــم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

تفسير سورة البقرة بحول الله ومعونته

هذه السورة مدنية نزلت في مدد شتى وفيها ءاخر ءاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ويقال لسورة البقرة فسطاط القرءان وذلك لعظمها وبهائها وما تضمنت من الاحكام والمواعظ وفيها خمسمائة حكم وخمسة عشر مثلا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة من تحت العرش * ت * وها انا ان شاء الله اذكر اصل الحديث بكماله لما اشتمل عليه من الفوائد العظيمة خرج الحاكم ابو عبد الله في المستدرك على الصحيحين عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا بالقرءان احلوا حلاله وحرموا حرامه واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم منه فردوه الى الله والى اولى العلم من بعدى كي ما يخبرونكم وءامنوا بالتوراة والانجيل والزبور وما اوتي النبيئون من ربهم وليسعكم القرءان وما فيه من البيان فانه شافع مشفع وماحل مصدق وانى اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين والحواميم من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش ماحل بالمهملة اي ساع وقيل خصم انتهى من السلاح وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تجيء

البقرة وءال عمران يوم القيامة كانهما غيايتان بينهما شرق او غمامتان سوداوان او كانهما ظلة من طير صواف تجادلان عن صاحبهما ✽ ت ✽ اصل الحديث فى صحيح مسلم عن ابى امامة الباهلى رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرءوا القرءان فانه ياتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وءال عمران فانهما ياتيان كانهما غمامتان او كأنهما غيايتان او كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن اصحابهما اقرءوا سورة البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بلغنى ان البطلة السحرة فقوله صلى الله عليه وسلم غمامتان يعنى سحابتين بيضاوين والغيايتان بالغين المعجمة ابو عبيد الغياية كل شيء اظل الانسان فوق راسه وهو مثل السحابة وفرقان بكسر الفاء اي جملتان انتهى من السلاح وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شيء سنام وسنام القرءان سورة البقرة فيها ءاية هي سيدة ءاي القرءان هي ءاية الكرسى وفى البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ بالآيتين من ءاخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان ✽ ت ✽ وعن ابن عباس قال بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فقال له هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم وقال ابشر بنورين او تيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها الا اعطيته رواه مسلم والنساءى والنقيض بالنون والقاف هو الصوت انتهى من السلاح وعدد ءاي سورة البقرة مائتان وخمس وثمانون ءاية وقيل وست وثمانون ءاية وقيل وسبع وثمانون ✽ قوله تعالى الم ✽ اختلف فى الحروف التى فى اوائل السوَر على قولين فقال الشعبى وسفيان الثورى وجماعة

من المحدثين هي سر الله فى القرءان وهى من المتشابه الذى انفرد الله بعلمه ولا يجب ان يتكلم فيها ولكن يومن بها وتمر كما جاءت وقال الجمهور من العلماء بل يجب ان يتكلم فيها وتلتمس الفوائد التى تحتها والمعانى التى تتخرج عليها واختلفوا فى ذلك على اثنيْ عشر قولا فقال علي وابن عباس رضي الله عنهما الحروف المقطعة فى القرءان هي اسم الله الاعظم الا انا لانعرف تاليفه منها وقال ابن عباس ايضا هي اسماء الله اقسم بها وقال ايضا هي حروف تدل على أنا اللهُ اعلمُ انا الله ارى وقال قوم هي حساب ابى جاد لتدل على مدة ملة محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد فى حديث حيي بن اخطب وهو قول ابى العالية وغيره * ت * واليه مال السهيلى فى الروض الانف فانظره * قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الاسم من ذلك الذال والالف واللام لبعد المشار اليه والكاف للخطاب واختلف فى ذلك هنا فقيل هو بمعنى هذا وتكون الاشارة الى هذه الحروف من القرءان وذلك انه قد يشار بذلك الى حاضر تعلق به بعض غيبة وقيل هو على بابه اشارة الى غائب واختلفوا فى ذلك الغائب فقيل ما قد كان نزل من القرءان وقيل غير ذلك انظره ولا ريب فيه معناه لا شك فيه وهدى معناه ارشاد وبيان وقوله للمتقين اللفظ ماخوذ من وقى والمعنى الذين يتقون الله تعالى بامتثال او امره واجتناب معاصيه كان ذلك وقاية بينهم وبين عذابه * قوله تعالى الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * يومنون معناه يصدقون وقوله بالغيب قالت طائفة معناه يصدقون اذا غابوا وخلوا لا كالمنافقين الذين يومنون اذا حضروا ويكفرون اذا غابوا وقال ءاخرون معناه يصدقون بما غاب عنهم مما اخبرت به الشرائع وقوله يقيمون الصلاة معناه يظهرونها ويثبتونها كما يقال اقيمت السوق * ت * وقال

ابو عبد الله النحوي فى اختصاره لتفسير الطبرى اقامة الصلاة اتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليها انتهى قال * ص * يقيمون الصلاة من التقويم ومنه اقمت العود او الادامة ومنه قامت السوق او التشمير والنهوض ومنه قام بالامر انتهى وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون الرزق عند اهل السنة ما صح الانتفاع به حلالا كان او حراما وينفقون معناه هنا يوتون ما الزمهم الشرع من زكاة وما ندبهم اليه من غير ذلك * قوله تعالى والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون * اختلف المتأولون من المراد بهذه الآية والتى قبلها فقال قوم الآيتان جميعا فى جميع المومنين وقال ءاخرون هما فى مومنى اهل الكتاب وقال ءاخرون الآية الاولى فى مومنى العرب والثانية فى مومنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وفيه نزلت وقوله بما انزل اليك يعنى القرءان وما انزل من قبلك يعنى الكتب السالفة ويوقنون معناه يعلمون علما متمكنا فى نفوسهم واليقين اعلى درجات العلم وقوله تعالى اولئك على هدى من ربهم اشارة الى المذكورين والهدى هنا الارشاد والفلاح الظفر بالبغية وادراك الأمل * قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم الى عظيم * اختلف فيمن نزلت هذه الآية بعد الاتفاق على انها غير عامة لوجود الكفار قد اسلموا بعدها فقال قوم هي فيمن سبق فى علم الله انه لا يومن وقال ابن عباس نزلت فى حيي بن اخطب وابى ياسر بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظرائهم والقول الاول هو المعتمد عليه وقوله سواء عليهم معناه معتدل عندهم والانذار اعلام بتخويف هذا حده وقوله تعالى ختم ماخوذ من الختم وهو الطبع والخاتم الطابع قال فى مختصر الطبرى والصحيح ان هذا الطبع حقيقة لا انه مجاز

فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى تغلق قلبه فذلك الرّان الذى قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون انتهى والغشاوة الغطاء المغشى الساتر وقوله تعالى ولهم عذاب عظيم معناه لمخالفتك يا محمد وكفرهم بالله وعظيم معناه بالاضافة الى عذاب دونه * قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الى وما يشعرون * هذه الآية نزلت فى المنافقين وسمى الله تعالى يوم القيامة اليوم الآخر لانه لا ليل بعده ولا يقال يوم الا لما تقدمه ليل واختلف المتأولون فى قوله يخادعون الله فقال الحسن بن ابى الحسن المعنى يخادعون رسول الله فأضاف الامر الى الله تجوزا لتعلق رسوله به ومخادعتهم هي تحيلهم فى ان يفشي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون اليهم اسرارهم * ع * تقول خادعت الرجل بمعنى أعملت التحيل عليه فخدعته بمعنى تمت عليه الحيلة ونفذ فيه المراد وقال جماعة بل يخادعون الله والمومنين باظهارهم من الايمان خلاف ما ابطنوا من الكفر وانما خدعوا انفسهم لحصولهم فى العذاب وما يشعرون بذلك معناه وما يعلمون علم تفطن وتَنَهّبٍ وهي لفظة ماخوذة من الشعار كأن الشيء المتفطن له شعار للنفس وقولهم ليت شعرى معناه ليت فطنتى تدرك واختلف ما الذى نفى الله عنهم ان يشعروا له فقالت طائفة وما يشعرون ان ضرر تلك المخادعة راجع عليهم لخلودهم فى النار وقال آخرون وما يشعرون ان الله يكشف لك سرهم ومخادعتهم فى قولهم امنا * قوله تعالى فى قلوبهم مرض * اي فى عقائدهم فساد وهم المنافقون وذلك اما ان يكون شكا واما جحدا بسبب حسدهم مع علمهم بصحة ما يجحدون وقال قوم المرض غمهم

بظهوره صلى الله عليه وسلم فزادهم الله مرضا قيل هو دعاء عليهم وقيل هو خبر
ان الله قد فعل بهم ذلك وهذه الزيادة هي بما ينزل من الوحي ويظهر من
البراهين * ت * لما تكلم * ع * على تفسير قوله تعالى عليهم
دائرة السوء قال كل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عزوجل فانما هو بمعنى ايجاب
الشيء لان الله تعالى لا يدعو على مخلوقاته وهي في قبضته ومن هذا ويل لكل
همزة ويل للمطففين وهي كلها احكام تامة تضمنها خبره تعالى ولهم عذاب اليم
اي مولم واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض اي بالكفر وموالاة الكفرة ولقول
المنافقين انما نحن مصلحون ثلاثُ تاويلات احدها جحد انهم يفسدون وهذا
استمرار منهم على النفاق والثاني ان يقروا بموالاة الكفار ويدعون انها صلاح
من حيث هم قرابة توصل والثالث انهُم يصلحون بين الكفار والمومنين والا
استفتاح كلام ولكن حرف استدراك ويحتمل ان يراد هنا لا يشعرون انهم
مفسدون ويحتمل ان يراد لا يشعرون ان الله يفضحهم * قوله تعالى واذا
قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس الآية * المعنى صدقوا بمحمد وشرعه كما صدق
المهاجرون والمحققون من اهل يثرب قالوا انكون كالذين خفت عقولهم والسفه
الخفة والرقة الداعية الى الخفة يقال ثوب سفيه اذا كان رقيقا هلهل النسج
وهذا القول انما كانوا يقولونه في خفاء فاطلع الله عليه نبيه عليه السلام والمومنين
وقرر ان السفه ورقة الحلوم وفساد البصائر انما هو في حيزهم وصفة لهم واخبر انهم
لا يعلمون انهم السفهاء للرين الذى على قلوبهم * وقوله تعالى واذا لقوا الذين
ءامنوا الآية * هذه كانت حال المنافقين اظهار الايمان للمومنين واظهار الكفر
في خلواتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنهم ويدعهم في غمرة الاشتباه
مخافة ان يتحدث الناس عنه انه يقتل اصحابه حسبما وقع في قصة عبد الله بن

ابي بن سلول قال مالك النفاق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزندقة اليوم واختلف المفسرون في المراد بشياطينهم فقال ابن عباس رضي الله عنه هم رؤساء الكفر وقيل الكهان قال البخاري قال مجاهد الى شياطينهم اي اصحابهم من المنافقين والمشركين قال * ص * شياطينهم جمع شيطان وهو كل متمرد من الجن والانس والدواب قاله ابن عباس وانشاه شيطانة انتهى * ت * ويجب على المومن ان يجتنب هذه الاخلاق الذميمة وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من شر الناس ذو الوجهين الذى ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه رواه ابو داود وفيه عنه صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار انتهى من سنن ابي داود * الله يستهزئ بهم * اختلف المفسرون في هذا الاستهزاء فقال جمهور العلماء هي تسمية العقوبة باسم الذنب والعرب تستعمل ذلك كثيرا وقال قوم ان الله سبحانه يفعل بهم افعالا هي في تأمل البشر هزء روي ان النار تجمد كما تجمد الاهالة فيمشون عليها ويظنون انها منجاة فتخسف بهم وما روي ان ابواب النار تفتح لهم فيذهبون الى الخروج نحا هذا المنحى ابن عباس والحسن * ت * وقوله تعالى قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا يقوى هذا المنحى وهكذا نص عليه في اختصار الطبري انتهى وقيل استهزاؤه بهم هو استدراجهم بدرور النعم الدنيوية ويمدهم اي يزيدهم في الطغيان وقال مجاهد معناه يملي لهم والطغيان الغلو وتعدى الحد كما يقال طغى الماء وطغت النار ويعمهون معناه يترددون حيرة والعمه الحيرة من جهة النظر والعامه الذى كانه لا يبصر * قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا الى قوله يا ايها الناس * قال الفخر اعلم ان المقصود من ضرب المثال انه يؤثر في القلوب

ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه لان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد فيتأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقا للعقل وذلك هو النهاية في الايضاح الا ترى ان الترغيب والترهيب اذا وقع مجردا عن ضرب مثل لم يتأكد وقوعه في القلب كتأكده مع ضرب المثل ولهذا اكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه الامثال قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون انتهى والمَثَل والمِثْل والمَثِيل واحد معناه الشبيه قاله اهل اللغة واستوقد قيل معناه اوقد واختلف المتأولون في فعل المنافقين الذى يشبه فعل الذى استوقد نارا فقالت فرقة هي فيمن كان ءامن ثم كفر بالنفاق فايمانه بمنزلة النار اضاءت وكفره بعد بمنزلة انطفائها وذهاب النور وقالت فرقة منهم قتادة نطقهم بلا اله الا الله والقرءان كاضاءة النار واعتقادهم الكفر بقلوبهم كانطفائها قال جمهور النحاة جواب لما ذهب ويعود الضمير من نورهم على الذى وعلى هذا القول يتم تمثيل المنافق بالمستوقد لان بقاء المستوقد في ظلمات لا يبصر كبقاء المنافق على الخلاف المتقدم وقال قوم جواب لما مضمر وهو طفئت فالضمير في نورهم على هذا للمنافقين والاخبار بهذا هو عن حال لهم تكون في الآخرة وهو قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية وهذا القول غير قوي والاصم الذى لا يسمع والابكم الذى لا ينطق ولا يفهم فاذا فهم فهو الاخرس وقيل الابكم والاخرس واحد ووصفهم بهذه الصفات اذ اعمالهم من الخطإ وعدم الاجابة كاعمال من هذه صفته وصم رفع على خبر الابتداء اما على تقدير تكرير اولئك او اضمارهم وقوله تعالى فهم لا يرجعون قيل معناه لا يومنون بوجه وهذا انما يصح ان لوكانت الآية في معيّنين وقيل معناه فهم لا يرجعون ما داموا على الحال التى وصفهم بها وهذا هو الصحيح اوكصيب او للتخيير معناه مثلوهم بهذا او بهذا والصيب المطر من

صاب يصوب اذا انحط من علو الى سفل وظلمات بالجمع اشارة الى ظلمة الليل وظلمة الدجن ومن حيث تتراكب وتتزيد جمعت وكون الدجن مظلما هول وغم للنفوس بخلاف السحاب والمطر اذا انجلى دجنه فانه سار جميل واختلف العلماء فى الرعد فقال ابن عباس ومجاهد وشهر بن حوشب وغيرهم هو ملك يزجر السحاب بهذا الصوت المسموع كلما خالفت سحابة صاح بها فاذا اشتد غضبه طارت النار من فيه فهي الصواعق واسم هذا الملك الرعد وقيل الرعد ملك وهذا الصوت تسبيحه وقيل الرعد اسم الصوت المسموع قاله علي بن ابى طالب واكثر العلماء على ان الرعد ملك وذلك صوته يسبح ويزجر السحاب واختلفوا فى البرق فقال علي بن ابى طالب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم هو مخراق حديد بيد الملك يسوق به السحاب وهذا اصح ما روي فيه وقال ابن عباس هو سوط نور بيد الملك يزجى به السحاب وروي عنه ان البرق ملك يتراءى واختلف المتأولون فى المقصد بهذا المثل وكيف تترتب احوال المنافقين الموازنة لما فى المثل من الظلمات والرعد والبرق والصواعق فقال جمهور المفسرين مثل الله تعالى القرءان بالصيب فما فيه من الاشكال عليهم والعمى هو الظلمات وما فيه من الوعيد والزجر هو الرعد وما فيه من النور والحجج الباهرة هو البرق وتخوفهم وروعهم وحذرهم هو جعل اصابعهم فى ءاذانهم وفضح نفاقهم واشتهار كفرهم وتكاليف الشرع التى يكرهونها من الجهاد والزكاة ونحوه هي الصواعق وهذا كله صحيح بين وقال ابن مسعود ان المنافقين فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يجعلون اصابعهم فى ءاذانهم لئلا يسمعوا القرءان فضرب الله المثل لهم وهذا وفاق لقول الجمهور ومحيط بالكافرين معناه بعقابهم يقال احاط السلطان بفلان اذا اخذه اخذا حاصرا من كل جهة ومنه قوله تعالى واحيط بثمره

ويكاد فعل ينفى المعنى مع ايجابه ويوجبه مع النفي فهنا لم يخطف البرق الابصار والخطف الانتزاع بسرعة ومعنى يكاد البرق يخطف ابصارهم تكاد حجج القرءان وبراهينه وءاياته الساطعة تبهرهم ومن جعل البرق فى المثل الزجر والوعيد قال يكاد ذلك يصيبهم وكلما ظرف والعامل فيه مشوا وقاموا معناه ثبتوا ومعنى الآية فيما روي عن ابن عباس وغيره كلما سمع المنافقون القرءان وظهرت لهم الحجج انسوا ومشوا معه فإذا نَزَلَ من القرءان ما يعمهون فيه ويضلون به او يكلفونه قاموا اي ثبتوا على نفاقهم وروي عن ابن مسعود ان معنى الآية كلما صلحت احوالهم فى زروعهم ومواشيهم وتوالت عليهم النعم قالوا دين محمد دين مبارك واذا نزلت بهم مصيبة او اصابتهم شدة سخطوه وثبتوا فى نفاقهم ووحد السمع لانه مصدر يقع للواحد والجمع وقوله سبحانه على كل شيء قدير لفظه العموم ومعناه عند المتكلمين فيما يجوز وصفه تعالى بالقدرة عليه وقدير بمعنى قادر وفيه مبالغة وخص هنا سبحانه صفته التى هي القدرة بالذكر لانه قد تقدم ذكر فعل مضمنه الوعيد والاخافة فكان ذكر القدرة مناسبا لذلك * قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الآية * يا حرف نداء وفيه تنبيه وايى هو المنادى قال مجاهد يا ايها الناس حيث وقع فى القرءان مكي ويا ايها الذين ءامنوا مدني قال * ع * قد تقدم فى اول السورة انها كلها مدنية وقد يجيء فى المدنى يا ايها الناس واما قوله فى يا ايها الذين ءامنوا فصحيح اعبدوا ربكم معناه وحدوه وخصوه بالعبادة وذكر تعالى خلقه لهم اذ كانت العرب مقرة بان الله خلقها فذكر ذلك سبحانه حجة عليهم ولعل فى هذه الآية قال فيها كثير من المفسرين هي بمعنى ايجاب التقوى وليست من الله تعالى بمعنى ترج وتوقع وفى مختصر الطبرى لعلكم تتقون عن مجاهد اي لعلكم تطيعون والتقوى التوقي من عذاب الله

بعبادته وهي من الوقاية واما لعل هنا فهي بمعنى كي اولام كي اي لتتقوا او لكي تـتـقوا وليست هنا من الله تعالى بمعنى الترجى وانما هي بمعنى كي وقد تجيء بمعنى كـي في اللغة قال الشاعر

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنـــا * نكف ووثقتم لنا كل موثـــــق

انتهى قال * ع * وقال سيبويه ورؤساء اللسان هي على بابها والترجى والتوقع انما هو فى حيز البشر اي اذا تأملتم حالكم مع عبادة ربكم رجوتم لانفسكم التقوى ولعل متعلقة بقوله اعبدوا ويتجه تعلقها بخلقكم اي لمّا وُلِـدَ كل مولود على الفطرة فهـو ان تأمله متأمل توقـع له ورجا ان يكـون متقيا وتـتقـون ماخـوذ من الوقاية وجعل بمعنـى صير فى هذه الآية لتعديها الى مفعولين وفراشا معناه تـفترشونها والسماء قيـل هو اسم مفرد جمعه سمـاوات وقيـل هو جمع واحده سمـاوة وكل مـا ارتـفع عليك فى الهواء فهو سماء وانزل من السماء يريد السحـاب سمي بذلـك تجوزا لمّا كان يلى السماء وقد سموا المطر سماء للمجاورة ومنه قول الشاعر

اذا نـزل السماء بارض قـــوم * رعيناه وان كانوا غضابـــــا

فتجوز ايضا فى رعيناه وواحد الانداد ند وهو المقـاوم والمضاهى واختلف المتأولون من المخاطب بهذه الآية فقالت جماعة من المفسريـن المخاطب جميع المشركيـن فقوله سبحانه على هذا وانـتم تعلمون يريد العلم الخاص فى انه تعالى خلق وانـزل الماء واخرج الرزق وقيل المراد كفار بنى اسراءيل فالمعنى وانتم تعلمون من الكتب التى عندكم ان الله لا ند له وقال ابـن فورك يحتمل ان تتنـاول الآية المومنيـن * قوله تعالى * وان كنـتـم فى ريب اي فى شـك فاتوا بسورة من مثله الضمير فى مثلـه عند الجمهور عائد على القران وادعـوا شهداءكم اي من شهدكم وحضركم من عون ونصيـر قاله ابـن عباس ان كـنـتـم صادقيـن اي فيما قلتـم من انكـم

تقدرون على معارضته ويؤيد هذا القول ما حكي عنهم في ءاية اخرى لو نشاء لقلنا مثل هذا وفي قوله جل وعلا ولن تفعلوا اثارة لهممهم وتحريك لنفوسهم ليكون عجزهم بعد ذلك ابدع وهو ايضا من الغيوب التي اخبر بها القرءان * وقوله تعالى * فاتقوا النار امر بالايمان وطاعة الله قال الفخر ولما ظهر عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق النبي صلى الله عليه وسلم واذا صح ذلك ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب بالنار واتقاء النار يوجب ترك العناد فاقيم قوله فاتقوا النار مقام قوله واتركوا العناد ووصف النار بانها تتقد بالناس والحجارة وذلك يدل على قوتها نجانا الله منها برحمته الواسعة وقرن الله سبحانه الناس بالحجارة لانهم اتخذوها في الدنيا اصناما يعبدونها قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون فاحدى الآيتين مفسرة للأخرى وهذا كتعذيب مانعي الزكاة بنوع ما منعوا انتهى * قوله تعالى وبشر الذين ءامنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات الآية * بشر ماخوذ من البشرة لان ما يبشر به الانسان من خير او شر يظهر عنه اثر في بشرة الوجه والا غلب استعمال البشارة في الخير وقد تستعمل في الشر مقيدة به كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم ومتى اطلق لفظ البشارة فانما يحمل على الخير وفي قوله تعالى وعملوا الصالحات رد على من يقول ان لفظة الايمان بمجردها تقتضي الطاعات لانه لو كان كذلك ما اعادها وجنات جمع جنة وهي بستان الشجر والنخل وبستان الكرم يقال له الفردوس وروى النسائي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ثياب الجنة تشقق عنها ثمر الجنة وروى الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما في الجنة شجرة الا وساقها من ذهب قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى من التذكرة * ت * وفي الباب عن ابن عباس وجرير بن عبد الله وغيرهما وسميت الجنة جنة

لانها تجن من دخلها اي تستره ومنه الْمِجَنّ وَالْجَنَنُ وجن الليل ومن تحتها معناه من تحت الاشجار التي يتضمنها ذكر الجنة * ت * ومن اعظم البشارات ان هذه الامة هم ثلثا اهل الجنة وقد خرج ابو بكر بن ابي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان امتي يوم القيامة ثلثا اهل الجنة ان اهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف وان امتي من ذلك ثمانون صفا. وخرج ابن ماجة والترمذي عن بريدة بن حصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى من التذكرة للقرطبي والانهار المياه في مجاريها المتطاولة الواسعة ماخوذة من انهرت اي وسعت ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه معناه ما وسع الذبح حتى جرى الدم كالنهر ونسب الجري الى النهر وانما يجري الماء تجوزا كما قال سبحانه واسأل القرية وروي ان انهار الجنة ليست في اخاديد انما تجري على سطح ارض الجنة منضبطة وقولهم هذا الذي رزقنا من قبل اشارة الى الجنس اي هذا من الجنس الذي رزقنا منه من قبل والكلام يحتمل ان يكون تعجبا منهم وهو قول ابن عباس ويحتمل ان يكون خبرا من بعضهم لبعض قاله جماعة من المفسرين وقال الحسن ومجاهد يرزقون الثمرة ثم يرزقون بعدها مثل صورتها والطعم مختلف فهم يتعجبون لذلك ويخبر بعضهم بعضا وقال ابن عباس ليس في الجنة شيء مما في الدنيا سوى الاسماء واما الذوات فمتباينة وقال بعض المتأولين المعنى انهم يرون الثمر فيميزون اجناسه حين اشبه منظره ما كان في الدنيا فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وقال قوم ان ثمر الجنة اذا قطف منه شيء خرج في الحين في موضعه مثله فهذا اشارة الى الخارج في موضع المجنى

* وقوله تعالى * متشابها قال ابن عباس وغيره معناه يشبه بعضه بعضا فى المنظر ويختلف فى الطعم وازواج جمع زوج ويقال فى المرأة زوجة والاول اشهر ومطهرة ابلغ من طاهرة اي مطهرة من الحيض والبزاق وسائر اقذار الادميات والخلود الدوام وخرج ابن ماجة عن اسامة بن زيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم لاصحابه الا مشمر للجنة فان الجنة لاخطر لها هي ورب الكعبة نور تتلالا وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة و زوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة فى مقام ابد فى حبرة ونضرة فى دار عالية سليمة بهية قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله ثم ذكر الجهاد وحض عليه انتهى من التذكرة وقوله لا خطر لها بفتح الطاء قيل معناه لاعوض لها * قوله تعالى ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها * لما كان الجليل القدر فى الشاهد لا يمنعه من الخوض فى نازل القول الا الحياء من ذلك رد الله بقوله ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما على القائلين كيف يضرب الله مثلا بالذباب ونحوه واختلف فى قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا هل هو من قول الكافرين او خبر من الله تعالى ولا خلاف ان قوله تعالى وما يضل به الا الفاسقين من قول الله تعالى والفسق الخروج عن الشيء يقال فسقت الفارة اذا خرجت من جحرها والرطبة اذا خرجت من قشرها والفسق فى عرف استعمال الشرع الخروج من طاعة الله عزوجل بكفر اوعصيان * قوله تعالى * الذين ينقضون عهد الله النقض رد ما ابرم على اوله غير مبرم والعهد فى هذه الآية التقدم فى الشيء والوصاة به وظاهر مما قبل وبعد انه فى جميع الكفار * ع * وكل عهد جائز بين المسلمين فنقضه لا يحل بهذه الآية والخاسر الذى نقص نفسه حظها من الفلاح والفوز والخسران النقص كان فى ميزان او غيره * قوله تعالى كيف

تكفرون بالله * هو تقرير وتوبيخ اي كيف تكفرون ونعمه عليكم وقدرته هذه والواو فى قوله وكنتم واو الحال واختلف فى قوله تعالى وكنتم امواتا الآية فقال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد المعنى كنتم امواتا معدومين قبل ان تخلقوا دارسين كما يقال للشيء الدارس ميت ثم خلقكم واخرجكم الى الدنيا فاحياكم ثم يميتكم الموت المعهود ثم يحييكم للبعث يوم القيامة وهذا التأويل هو اولى ما قيل لانه هو الذى لا محيد للكفار عن الاقرار به والضمير فى اليه عائد على الله تعالى اي الى ثوابه او عقابه وخلق معناه اخترع واوجد بعد العدم ولكم معناه للاعتبار ويدل عليه ما قبله وما بعده من نصب العبر الاحياء والاماتة والاستواء الى السماء وتسويتها * وقوله تعالى ثم استوى الى السماء * ثم هنا لترتيب الاخبار لا لترتيب الامر فى نفسه واستوى قال قوم معناه علا دون كيف ولا تحديد هذا اختيار الطبري والتقدير علا امره وقدرته وسلطانه وقال ابن كيسان معناه قصد الى السماء * ع * اي بخلقه واختراعه والقاعدة فى هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث ويبقى استواء القدرة والسلطان وسواهن قيل جعلهن سواء وقيل سوى سطوحهن بالاملاس وقال الثعلبي فسواهن اي خلقهن انتهى وهذه الآية تقتضي ان الارض وما فيها خلق قبل السماء وذلك صحيح ثم دحيت الارض بعد خلق السماء وبهذا تتفق معاني الآيات هذه والتي فى سورة المومن وفى النازعات * وقوله تعالى واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة * اذ ليست بزائدة عند الجمهور وانما هي معلقة بفعل مقدر تقديره واذكر اذ قال واضافة رب الى محمد صلى الله عليه وسلم ومخاطبته بالكاف تشريف منه سبحانه لنبيه واظهار لاختصاصه به والملائكة واحدها ملك والهاء فى ملائكة لتأنيث الجموع غير حقيقي وقيل هي للمبالغة كعلّامة ونسّابة والاول ابين وجاعل

فى هذه الآية بمعنى خالق وقال الحسن وقتادة جاعل بمعنى فاعل وقال ابن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الارض هنا هي مكة لان الارض دحيت من تحتها ولانها مقر من هلك قومه من الانبياء وان قبر نوح وهود وصالح بين المقام والركن وخليفة معناه من يخلف قال ابن عباس كانت الجن قبل بنى ءادم فى الارض فافسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله اليهم قبيلا من الملائكة قتلهم والحق فلهم بجزائر البحار ورءوس الجبال وجعل ءادم وذريته خليفة وقال ابن مسعود انما معناه خليفة منى فى الحكم * وقوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها الآية * قد علمنا قطعا ان الملائكة لا تعلم الغيب ولا تسبق بالقول وذلك عام فى جميع الملائكة لان قوله تعالى لا يسبقونه بالقول خرج على جهة المدح لهم قال القاضى ابن الطيب فهذه قرينة العموم فلا يصح مع هذين الشرطين الا ان يكون عندهم من افساد الخليفة نبأ ومقدمة قال ابن زيد وغيره ان الله تعالى اعلمهم ان الخليفة سيكون من ذريته قوم يفسدون ويسفكون الدماء فقالوا لذلك هذه المقالة اما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه او من عصيان من يستخلفه الله فى ارضه وينعم عليه بذلك واما على طريق الاستعظام والاكبار للفصلين جميعا الاستخلاف والعصيان وقال احمد بن يحي ثعلب وغيره انما كانت الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من افساد الجن وسفكهم الدماء فى الارض فجاء قولهم اتجعل فيها الآية على جهة الاستفهام المحض هل هذا الخليفة يا ربنا على طريقة من تقدم من الجن ام لا وقال ءاخرون كان الله تعالى قد اعلم الملائكة انه يخلق فى الارض خلقا يفسدون ويسفكون الدماء فلما قال لهم سبحانه بعد ذلك انى جاعل قالوا ربنا اتجعل فيها الآية على جهة الاسترشاد والاستعلام هل هذا الخليفة هو الذى كان اعلمهم به سبحانه قبل او

غيره ونحو هذا فى مختصر الطبرى قال وقولهم اتجعل فيها ليس بانكار لفعاله عز وجل وحكمه بل استخبار هل يكون الامر هكذا وقد وجهه بعضهم بانهم استعظموا لافساد وسفك الدماء فكانهم سألوا عن وجه الحكمة فى ذلك اذ علموا انه عز وجل لا يفعل الا حكمة انتهى * ت * والعقيدة ان الملائكة معصومون فلا يقع منهم ما يوجب نقصانا من رتبتهم وشريف منزلتهم صلوات الله وسلامه على جميعهم والسفك صب الدم هذا عرفه وقولهم ونحن نسبح بحمدك قال بعض المتأولين هو على جهة الاستفهام كانهم ارادوا ونحن نسبح بحمدك الآية ام نتغير عن هذه الحال قال * ع * وهذا يحسن مع القول بالاستفهام المحض فى قولهم اتجعل وقال آخرون معناه التمدح ووصف حالهم وذلك جائز لهم كما قال يوسف انى حفيظ عليم وهذا يحسن مع التعجب والاستعظام لان يستخلف الله من يعصيه فى قولهم اتجعل وعلى هذا ادبهم بقوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون ومعنى نسبح بحمدك ننزهك عما لا يليق بصفاتك وقال ابن عباس وابن مسعود تسبيح الملائكة صلاتهم لله سبحانه وقال قتادة تسبيحهم قولهم سبحان الله على عرفه فى اللغة وبحمدك معناه نصل التسبيح بالحمد ويحتمل ان يكون قولهم بحمدك اعتراضا بين الكلامين كانهم قالوا ونحن نسبح ونقدس وانت المحمود فى الهداية الى ذلك وخرج مسلم فى صحيحه عن ابى ذر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله تعالى ان احب الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده وفى رواية سئل صلى الله عليه وسلم اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته او لعباده سبحان الله وبحمده وفى صحيحي البخارى ومسلم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان

الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث به ختم البخاري رحمه الله انتهى ونقدس لك قال الضحاك وغيره معناه نطهر انفسنا لك ابتغاء مرضاتك والتقديس التطهير بلا خلاف ومنه الارض المقدسة اي المطهرة وقال ءاخرون ونقدس لك معناه نقدسك اي نعظمك ونطهر ذكرك مما لا يليق به قاله مجاهد وغيره * وقوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون * قال ابن عباس كان ابليس لعنه الله قد اعجب بنفسه ودخله الكبر لما جعله الله خازن السماء الدنيا واعتقد ان ذلك لمزية له فلما قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهى لا تعلم ان فى نفس ابليس خلاف ذلك قال الله سبحانه انى اعلم ما لا تعلمون يعنى ما فى نفس ابليس وقال قتادة لما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وقد علم الله ان فى من يستخلف فى الارض انبياء وفضلاء واهل طاعة قال لهم انى اعلم ما لا تعلمون يعنى افعال الفضلاء * وقوله تعالى وعلم ءادم الاسماء كلها * معناه عرف وتعليم ءادم هنا عند قوم الهام علمه ضرورة وقال قوم بل تعليم بقول اما بواسطة ملك او بتكليم قبل هبوطه الارض فلا يشارك موسى عليه السلام فى خاصة * ت * قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابى جمرة تعليمه سبحانه لادم الاسماء كلها انما كان بالعلم اللدني بلا واسطة انتهى من كتابه الذى شرح فيه بعض احاديث البخاري وكل ما انقله عنه فمنه واختلف المتأولون فى قوله الاسماء فقال جمهور الامة علمه التسميات وقال قوم عرض عليه الاشخاص والاول ابين ولفظة علم تعطى ذلك ثم اختلف الجمهور فى اي الاسماء علمه فقال ابن عباس وقتادة ومجاهد علمه اسم كل شيء من جميع المخلوقات دقيقها وجليلها وقال الطبري علمه اسماء ذريته والملائكة ورجحه بقوله تعالى ثم عرضهم وقال اكثر

العلماء ءمه تعالى منافع كل شيء ولما يصلح وقيل غير هذا واختلف المتأولون هل عرض على الملائكة اشخاص الاسماء او الاسماء دون الاشخاص وانبئوني معناه اخبروني والنبأ الخبر وقال قوم يخرج من هذا الامر بالانباء تكليف ما لا يطاق ويتقرر جوازه لانه سبحانه علم انهم لا يعلمون وقال المحققون من اهل التأويل ليس هذا على جهة التكليف انما هو على جهة التقرير والتوقيف * وقوله تعالى هؤلاء ظاهره حضور اشخاص وذلك عند العرض على الملائكة وليس فى هذه الآية ما يدل ان الاسم هو المسمى كما ذهب اليه مكي والمهدوي والذى يظهر ان الله تعالى علم ءادم الاسماء وعرض مع ذلك عليه الاجناس اشخاصا ثم عرض تلك على الملائكة وسألهم عن تسمياتها التى قد تعلمها ءادم ثم ان ءادم قال لهم هذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وهؤلاء مبني على الكسر وكنتم فى موضع الجزم بالشرط والجواب عند سيبويه فيما قبله وعند المبرد محذوف تقديره ان كنتم صادقين فانبئوني وقال ابن عباس وابن مسعود وناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم معنى الآية ان كنتم صادقين فى ان الخليفة يفسد ويسفك * ت * وفى النفس من هذا القول شيء والملائكة منزهون معصومون كما تقدم والصواب ما تقدم من التفسير عند قوله تعالى اتجعل فيها الآية وقال ءاخرون ان كنتم صادقين فى انى ان استخلفتكم سبحتم بحمدى وقدستم لى وقال قوم معناه ان كنتم صادقين فى جواب السؤال عالمين بالاسماء وسبحانك معناه تنزيها لك وتبرئة ان يعلم احد من علمك الا ما علمته والعليم معناه العالم ويزيد عليه معنى من المبالغة والتكثير فى المعلومات والحكيم معناه الحاكم وبينهما مزية المبالغة وقيل معناه المُحكِم وقال قوم الحكيم المانع من الفساد ومنه حَكَمة الفرس مانعته * وقوله تعالى قال يا ءادم انبئهم باسمائهم انبئهم معناه اخبرهم

والضمير فى انبئهم عائد على الملائكة باجماع والضمير فى اسمائهم مختلف فيه حسب الاختلاف فى الاسماء التى علمها ءادم قال بعض العلماء ان فى قوله تعالى فلما انبأهم نبوءة ءلادم عليه السلام اذ امره الله سبحانه ان ينبئ الملائكة بما ليس عندهم من علم الله عز وجل * وقوله تعالى اعلم غيب السموات والارض معناه ما غاب عنكم لان الله تعالى لا يغيب عنه شيء الكل معلوم له واختلف فى قوله تعالى ما تبدون وماكنتم تكتمون فقالت طائفة ذلك على معنى العموم فى معرفة اسرارهم وظواهرهم وبواطنهم اجمع واذ من قوله واذ قلنا للملائكة معطوفة على اذ المتقدمة وقول الله تعالى وخطابه للملائكة متقرر قديم فى الازل بشرط وجودهم وفهمهم وهذا هو الباب كله فى اوامر الله تعالى ونواهيه ومخاطباته * ت * ما ذكره رحمه الله هو عقيدة اهل السنة وها انا انقل من كلام الائمة ان شاء الله ما يتبين به كلامه ويزيده وضوحا قال ابن رشد قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لا يفهم منه ان لله عز وجل كلمات غير تامات لان كلماته هي قوله وكلامه هو صفة من صفات ذاته يستحيل عليها النقص وفى الحديث بيان واضح على ان كلماته عز وجل غير مخلوقة اذ لا يستعاذ بمخلوق وهذا هو قول اهل السنة والحق ان كلام الله عز وجل صفة من صفات ذاته قديم غير مخلوق لان الكلام هو المعنى القائم فى النفس والنطق به عبارة عنه قال الله عز وجل ويقولون فى انفسهم فاخبر ان القول معنى يقوم فى النفس وتقول فى نفسى كلام اريد ان اعلمك به فحقيقة كلام الرجل هو المفهوم من كلامه واما الذى تسمعه منه فهو عبارة عنه وكذلك كلام الله عز وجل القديم الذى هو صفة من صفات ذاته هو المفهوم من قراءة القارئ لا نفس قراءته التى تسمعها لان نفس قراءته التى تسمعها محدثة لم تكن حتى قرأ بها فكانت وهذا كله بين الا لمن

اعمى الله بصيرته انتهى بلفظه من البيان وقال الغزالي بعد كلام له نحوما تقدم لابن رشد وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله سبحانه له علما بما فى قلب ابيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذى دل عليه قوله عز وجل فاخلع نعليك بذات الله تعالى ومصير موسى عليه السلام سامعا لذلك الكلام مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب ومعرفة بذلك الكلام القديم انتهى بلفظه من الاحياء * وقوله للملائكة عموم فيهم والسجود فى كلام العرب الخضوع والتذلل وغايته وضع الوجه بالارض والجمهور على ان سجود الملائكة لادم ايماء وخضوع ولا تدفع الآية ان يكونوا بلغوا غاية السجود وقوله تعالى فقعوا له ساجدين لا دليل فيه لان الجاثي على ركبتيه واقع واختلف فى حال السجود لادم فقال ابن عباس تعبدهم الله بالسجود لادم والعبادة فى ذلك لله وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس ايضا كان سجود تحية كسجود ابوي يوسف عليه السلام له لا سجود عبادة وقال الشعبي انما كان ادم كالقبلة ومعنى لادم الى ادم * ع * وفى هذه الوجوه كلها كرامة لادم عليه السلام * وقوله تعالى الا ابليس نصب على الاستثناء المتصل لانه من الملائكة على قول الجمهور وهو ظاهر الآية وكان خازنا وملكا على سماء الدنيا والارض واسمه عزازيل قاله ابن عباس وقال ابن زيد والحسن هو ابو الجن كما ادم ابو البشر ولم يك قط ملكا وقد روي نحوه عن ابن عباس ايضا قال واسمه الحارث وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين كانوا فى الارض وقاتلتهم الملائكة فسبوه صغيرا وتعبد مع الملائكة وخوطب معها وحكاه الطبرى عن ابن مسعود والاستثناء على هذه الاقوال منقطع واحتج بعض

اصحاب هذا القول بان الله تعالى قال فى صفة الملائكة لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون ورجح الطبرى قول من قال ان ابليس كان من الملائكة وقال ليس فى خلقه من نارولا فى تركيب الشهوة والنسل فيه حين غضب عليه ما يدفع انه كان من الملائكة وقوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه يتخرج على انه عمل عملهم فكان منهم فى هذا او على ان الملائكة قد تسمى جنا لاستتارها قال الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقال الاعشى فى ذكر سليمان عليه السلام

وسخر من جن الملائك تسعة ❊ قياما لديه يعملون بلا اجر

او على ان يكون نسبه الى الجنة كما ينسب الى البصرة بصري قال عياض ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورءيسا فيهم ومن خزان الجنة الى ما حكوه وهذا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن انتهى من الشفا وابليس لا ينصرف لانه اسم اعجمي قال الزجاج ووزنه فعليل وقال ابن عباس وغيره هو مشتق من أَبْلِسَ اذا ابعد عن الخير ووزنه على هذا افعيل ولم تصرفه هذه الفرقة لشذوذه وقلته ومنه قوله تعالى فاذا هم مبلسون اي يائسون من الخير مبعدون منه فيما يرون وابى معناه امتنع من فعل ما امر به واستكبر دخل فى الكبرياء والاباية مقدمة على الاستكبار فى ظهورهما عليه والاستكبار والأَنَفَة مقدمة فى معتقده وروى ابن القاسم عن مالك انه قال بلغنى ان اول معصية كانت الحسد والكبر والشح حسد ابليس ءادم وتكبر وشح ءادم فى اكله من شجرة قد نهي عن قربها ❊ ت ❊ اطلاق الشح على ءادم فيه ما لا يخفى عليك والواجب اعتقاد تنزيه الانبياء عن كل ما يحط من رتبتهم وقد قال الله تعالى فى حق ءادم ولقد عهدنا الى ءادم من قبل فنسي ولم نجدله عزما ❊ وقوله تعالى وكان من

الكافرين قالت فِرقة معناه وصار من الكافرين ورده ابن فورك وقال جمهور المتأولين معنى وكان من الكافرين اي فى علم الله تعالى وقال ابو العالية معناه من العاصين وذهب الطبري الى ان الله تعالى اراد بقصة ابليس تقريع اشباهه من بنى ءادم وهم اليهود الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم مع علمهم بنبوءته ومع تقدم نعم الله عليهم وعلى اسلافهم * ت * ولفظ الطبري وفى هذا تقريع لليهود اذ ابوا من الاسلام مع علمهم بنبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوراة والكتب حسدا له ولبنى اسماعيل كما امتنع ابليس من السجود حسدا ءلادم وتكبرا عن الحق وقبوله فاليهود نظراء ابليس فى كفرهم وكبرهم وحسدهم وتركهم الانقياد لامر الله تعالى انتهى من مختصر الطبري لابى عبد الله اللخمي النحوي واختلف هل كفر ابليس جهلا او عنادا على قولين بين اهل السنة ولا خلاف انه كان عالما بالله قبل كفره ولا خلاف ان الله تعالى اخرج ابليس عند كفره وابعده عن الجنة وبعد اخراجه قال ءلادم اسكن * قوله تعالى وقلنا يا ءادم اسكن انت وزوجك الجنة اسكن معناه لازم الاقامة ولفظه لفظ الامر ومعناه الاذن واختلف فى الجنة التى اسكنها ءادم عليه السلام هل هي جنة الخلد او جنة اخرى * ت * والاول هو مذهب اهل السنة والجماعة وكلا منها اي من الجنة والرغد العيش الدارّ الهني وحيث مبنية على الضم * وقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة معناه لا تقرباها باكل والهاء فى هذه بدل من الياء وتحتمل هذه الاشارة ان تكون الى شجرة معينة واحدة واختلف فى هذه الشجرة ما هي فقال ابن عباس وابن مسعود هي الكرم وقيل هي شجرة التين وقيل السنبلة وقيل غير ذلك وقوله فتكونا من الظالمين الظالم فى اللغة الذى يضع الشيء فى غير موضعه والظلم فى احكام الشرع على مراتب اعلاها الشرك ثم ظلم المعاصى وهي

مراتب وازلهما ماخوذ من الزلل وهو فى الآية مجاز لانه فى الرأي والنظر وانما حقيقة الزلل فى القدم وقرأ حمزة فَأَزَالَهُمَا ماخوذ من الزوال ولا خلاف بين العلماء ان ابليس اللعين هو متولى اغواء ءادم عليه السلام واختلف فى الكيفية فقال ابن عباس وابن مسعود وجمهور العلماء اغواهما مشافهة بدليل قوله تعالى وقاسمهما والمقاسمة ظاهرها المشافهة وقالت طائفة ان ابليس لم يدخل الجنة بعد ان اخرج منها وانما اغوى ءادم بشيطانه وسلطانه ووَسَاوِسه التى اعطاه الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن ءادم مجرى الدم * ت * والى هذا القول نحا المازرى فى بعض اجوبته ومن ابتلي بشيء من وسوسة هذا اللعين فاعظم الادوية له الثقة بالله والتعوذ به والاعراض عن هذا اللعين وعدم الالتفات اليه ما امكن قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن كان بي وسواس فى الوضوء فقال لى الشيخ ابو العباس المرسي ان كنت لا تترك هذه الوسوسة لا تعد تاتنا فشق ذلك علي وقطع الله الوسواس عنى وكان الشيخ ابو العباس يلقن للوسواس سبحان الملك الخلاق ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز انتهى قال عياض فى الشفا واما قصة ءادم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى ءادم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ءادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن عباس نسي عداوة ابليس وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الآية وقيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف

ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر ءادم مثل هذا فى بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غَرَّهُما والمومن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال تعالى ولم نجدله عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقال ابن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوءة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى ءادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها وهو متأول وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهي عنها لانه تأول نهي الله تعالى عن شجرة مخصوصة لاعلى الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم انتهى بلفظه فجزاه الله خيرا ولقد جعل الله فى شفاه شفاء والضمير فى عنها يعود على الجنة وهنا محذوف يدل عليه الظاهر تقديره فاكلا من الشجرة * وقوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه قيل معناه من نعمة الجنة الى شقاء الدنيا وقيل من رفعة المنزلة الى سفل مكانة الذنب * ت * وفى هذا القول ما فيه بل الصواب ما اشار اليه صاحب التنوير بان اخراج ءادم لم يكن اهانة له بل لما سبق فى علمه سبحانه من اكرام ءادم وجعله فى الارض خليفة هو واخيار ذريته قائمين فيها بما يجب لله من عبادته والهبوط النزول من علو الى سفل واختلف من المخاطب بالهبوط فقال السدي وغيره ءادم وحواء وابليس والحية التى ادخلت ابليس فى فمها وقال الحسن ءادم وحواء والوسوسة و بعضكم لبعض عدو جملة فى موضع الحال ولكم فى الارض مستقر اي موضع استقرار وقيل المراد الاستقرار فى القبور والمتاع ما يستمتع به من اكل ولبس وحديث وانس وغير ذلك واختلف فى الحين هنا فقالت فرقة الى

الموت وهذا قول من يقول المستقر هو المقام فى الدنيا وقالت فرقة الى حين الى يوم القيامة وهذا هو قول من يقول المستقر هو فى القبور والحين المدة الطويلة من الدهر اقصرها فى ألايمان والالتزامات سَنَةٌ قال الله تعالى توتى اكلها كل حين وقيل اقصرها ستة اشهر لان من النخل ما يطعم فى كل ستة اشهر وفى قوله تعالى الى حين فائدة لادم عليه السلام ليعلم انه غير باق فيها ومنتقل الى الجنة التى وعد بالرجوع اليها وهي لغير ءادم دالة على المعاد وروي ان ءادم نزل على جبل من جبال سرنديب وان حواء نزلت بجُدة وان الحية نزلت باصبهان وقيل بميسان وان ابليس نزل عند الابلة * قوله تعالى فتلقى ءادم من ربه كلمات المعنى فقال الكلمات فتاب الله عليه عند ذلك وقرأ ابن كثير ءادم بالنصب من ربه كلمات بالرفع واختلف المتأولون فى الكلمات فقال الحسن بن ابى الحسن هي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقالت طائفة ان ءادم رأى مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله فتشفع به فهي الكلمات وسئل بعض سلف المسلمين عما ينبغى ان يقوله المذنب فقال يقول ما قاله ابواه ربنا ظلمنا انفسنا وما قاله موسى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى وما قال يونس لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وتاب عليه معناه راجع به والتوبة من الله تعالى الرجوع على عبده بالرحمة والتوفيق والتوبة من العبد الرجوع عن المعصية والندم على الذنب مع تركه فيما يستانف * ت * يعنى مع العزم على تركه فيما يستقبل وانما خص الله تعالى ءادم بالذكر فى التلقى والتوبة وحواء مشاركة له فى ذلك باجماع لانه المخاطب فى أول القصة فكملت القصة بذكره وحده وايضا فلان المرأة حرمة ومستورة فاراد الله تعالى الستر لها ولذلك لم يذكرها فى المعصية فى قوله وعصى ءادم ربه وبنية التواب

للمبالغة والتكثير وفى قوله تعالى هو التوّاب تأكيد فائدته ان التوبة على العبد انما هي نعمة من الله تعالى لا من العبد وحده لئلا يعجب التائب بل الواجب عليه شكر الله تعالى فى توبته عليه وكرر الامر بالهبوط لما علق بكل امر منهما حكما غير حكم الآخر فعلق بالاول العداوة وبالثانى اتيان الهدى * ت * وهذه الآية تبين ان هبوط ءادم كان هبوط تكرمة لما ينشأ عن ذلك من انواع الخيرات وفنون العبادات وجميعا حال من الضمير فى اهبطوا واختلف فى المقصود بهذا الخطاب فقيل ءادم وحواء وابليس وذريتهم وقيل ظاهره العموم ومعناه الخصوص فى ءادم وحواء لان ابليس لا ياتيه هدى والاول اصح لان ابليس مخاطب بالايمان باجماع وان فى قوله فاما هي للشرط دخلت ما عليها مؤكدة ليصح دخول النون المشددة واختلف فى معنى قوله هدى فقيل بيان وارشاد والصواب ان يقال بيان ودعاء وقالت فرقة الهدى الرسُل وهي الى ءادم من الملائكة والى بنيه من البشر هو فمن بعده * وقوله تعالى فمن تَبِع هداي شرط جوابه فلا خوف عليهم قال سيبويه والشرط الثانى وجوابه هما جواب الاول فى قوله فاما ياتينكم * وقوله تعالى فلا خوف عليهم يحتمل فيما بين ايديهم من الدنيا ولا هم يحزنون على ما فاتهم منها ويحتمل لا خوف عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون فيه * ت * وهذا هو الظاهر وعليه اقتصر فى اختصار الطبري ولفظه عن ابن زيد فلا خوف عليهم اي لا خوف عليهم امامهم قال وليس شيء اعظم فى صدر من يموت مما بعد الموت فامنهم سبحانه منه وسلاهم عن الدنيا انتهى * وقوله تعالى والذين كفروا الآية لما كانت لفظة الكفر يشترك فيها كفر النعم وكفر المعاصى ولا يجب بهذا خلود بين سبحانه ان الكفر هنا هو الشرك بقوله وكذبوا بآياتنا

والآيات هنا يحتمل ان يريد بها المتلوة ويحتمل ان يريد العلامات المنصوبة والصحبة الا قتران بالشيء فى حالة مّا زَمَنًا * قوله تعالى يا بنى اسراءيل اذكروا نعمتى * اسراءيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام وإِسْرَا هو بالعبرانية عبد وايل اسم الله تعالى فمعناه عبد الله والذكر فى كلام العرب على انحاء وهذا منها ذكر القلب الذى هو ضد النسيان والنعمة هنا اسم جنس فهي مفردة بمعنى الجمع قال ابن عباس وجمهور العلماء الخطاب لجميع بنى اسراءيل فى مدة النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم امر وجوابه وهذا العهد فى قول جمهور العلماء عام فى جميع اوامره سبحانه ونواهيه ووصاياه لهم فيدخل فى ذلك ذكر محمد صلى الله عليه وسلم الذى فى التوراة والرهبة يتضمن الامر بها معنى التهديد واسند الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول له عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال ربكم سبحانه لا اجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين فمن خافنى فى الدنيا امنته فى الآخرة ومن امننى فى الدنيا اخفته فى الآخرة انتهى من التذكرة للقرطبي ورواه ابن المبارك فى رقائقه من طريق الحسن البصرى وفيه قال الله وعزتى لا اجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امننى فى الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافنى فى الدنيا امنته يوم القيامة انتهى ورواه ايضا الترمذى الحكيم فى كتاب ختم الاولياء قال صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية بقدر ما يدخل القلب من التعظيم والحرمة تنبعث الجوارح فى الطاعة والخدمة انتهى وءامنوا معناه صدقوا ومصدقا نصب على الحال من الضمير فى انزلت وما انزلت كناية عن القرءان ولما معكم يعنى التوراة * وقوله ولاتكونوا أول كافر به هذا من مفهوم الخطاب الذى المذكور فيه والمسكوت عنه حكمهما واحد وَحُذِّرُواْ البدار الى الكفر به اذ على الاول كفل

من فعل المقتدى به ونصب اول على خبر كان * ع * وقد كان كفر قبلهم كفار قريش وانما معناه من اهل الكتاب اذهم منظور اليهم فى مثل هذا واختلف فى الضمير فى به فقيل يعود على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل على القرءان وقيل على التوراة واختلف فى الثمن الذى نهوا ان يشتروه بالآيات فقالت طائفة ان الاحبار كانوا يُعلِّمون دينَهم بالاجرة فنهوا عن ذلك وفى كتبهم علم مجانا كما علمت مجانا اي باطلا بغير اجرة وقيل كانت لِلاحبار ماكلة ياكلونها على العِلْم وقال قوم ان الاحبار اخذوا رُشى على تغيير صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة فنهوا عن ذلك وقال قوم معنى الآية ولا تشتروا باوامرى ونواهي واياتى ثمنا قليلا يعنى الدنيا ومدتها والعيش الذى هو نزر لا خطر له وقد تقدم نظير قوله واياي فاتقون وبين اتقون وارهبون فرق ان الرهبة مقرون بها وعيد بالغ * وقوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل اي لا تخلطوا قال ابو العالية قالت اليهود محمد نبي مبعوث لكن الى غيرنا فاقرارهم ببعثه حق وقولهم الى غيرنا باطل وتكتموا الحق اي امر محمد صلى الله عليه وسلم وفى هذه الالفاظ دليل على تغليظ الذنب على من وقع فيه مع العلم به وانه اعصى من الجاهل وانتم تعلمون جملة فى موضع الحال قال * ص * وتكتموا مجزوم معطوف على تلبسوا والمعنى النهي عن كل من الفعلين انتهى واقيموا الصلاة معناه اظهروا هيئتها واديموها بشروطها والزكوة فى هذه الآية هي المفروضة وهي ماخوذة من النماء وقيل من التطهير * وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين قيل انما خص الركوع بالذكر لان بنى اسراءيل لم يكن فى صلاتهم ركوع * ت * وفى هذا القول نظر وقد قال تعالى فى مريم اسجدى واركعى وقالت فرقة انما قال مع لان الامر بالصلاة اولا لم يقتض شهود الجماعة فامرهم بقوله مع شهود

الجماعة * ت * وهذا القول هو الذى عول عليه * ع * فى قصة مريم عليها السلام والركوع لا نحناء بالشخص * وقوله تعالى اتامرون خرج مخرج لاستفهام ومعناه التوبيخ والبر يجمع وجوه الخير والطاعات وتنسون معناه تتركون انفسكم قال ابن عباس كان لاحبار يامرون اتباعهم ومقلديهم باتباع التوراة وكانوا هم يخالفونها فى جحدهم منها صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة كان لاحبار اذا استرشدهم احد من العرب فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم دلوه على ذلك وهم لا يفعلونه * ت * وخرج الحافظ ابو نعيم احمد ابن عبد الله لاصبهانى فى كتاب رياضة المتعلمين قال حدثنا ابو بكر بن خلاد حدثنا الحارث بن ابى اسامة حدثنا ابو النصر حدثنا محمد بن عبد الله بن علي ابن زيد عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسري بى رجالا تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من نار فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الخطباء من امتك الذين يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون انتهى واستعينوا بالصبر والصلاة قال مقاتل معناه على طلب الآخرة وقيل استعينوا بالصبر على الطاعات وعن الشهوات على نيل رضوان الله سبحانه وبالصلاة على نيل رضوان الله وحط الذنوب وعلى مصائب الدهر ايضا ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ومنه ما روي ان عبد الله بن عباس نعي له اخوه قُثَمُ وهو فى سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق وصلى ثم انصرف الى راحلته وهو يقرأ واستعينوا بالصبر والصلاة وقال مجاهد الصبر فى هذه الآية الصوم ومنه قيل لرمضان شهر الصبر وخص الصوم والصلاة على هذا القول بالذكر لتناسبهما فى ان الصيام يمنع الشهوات ويزهد فى الدنيا والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

وتُخشِع ويقرأ فيها القروان الذى يذكر بالآخرة وقال قوم الصبر على بابه والصلاة الدعاء وتجيء الآية على هذا القول مشبهة لقوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله لان الثبات هو الصبر وذكر الله هو الدعاء وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن صلة بن اشيم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يذكر فيها شيأ من امر الدنيا لم يسأل الله شيأ الا اعطاه اياه واسند ابن المبارك عن عقبة بن عامر الجهني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضأ فاحسن وضوءه ثم صلى صلاة غير ساه ولالاه كفر عنه ما كان قبلها من شيء انتهى وهذان الحديثان يُبَيِّنَانِ ما جاء فى صحيح البخارى عن عثمان حيث توضأ ثلاثا ثلاثا ثلاثا ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ نحو وضوءى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه انتهى والضمير فى قوله تعالى وانها قيل يعود على الصلاة وقيل على العبادة التى تضمنها بالمعنى ذكر الصبر والصلاة قال * ص * وانها الضمير للصلاة وهو القاعدة فى ان ضمير الغائب لايعود على غير الاقرب الا بدليل انتهى ثم ذكر ابو حيان وجوها أخر نحو ما تقدم وكبيرة معناه ثقيلة شاقة والخاشعون المتواضعون المخبتون والخشوع هيئة فى النفس يظهر منها على الجوارح سكون وتواضع ويظنون فى هذه الآية قال الجمهور معناه يوقنون والظن فى كلام العرب قاعدته الشك مع ميل الى احد معتقديه وقد يقع موقع اليقين لكنه لا يقع فيما قد خرج الى الحِسّ لا تقول العرب فى رجل مَرْئِيٍّ اظن هذا انسانا وإنَّمَا تجد الاستعمال فيما لم يخرج الى الحس كهذه الآية وكقوله تعالى فظنوا انهم مواقعوها قال * ص * قلت وما ذكره ابن عطية هو معنى ما ذكره الزجاج فى معانيه عن بعض اهل العلم ان

الظن يقع في معنى العلم الذى لم تشاهده وان كان قد قامت فى نفسك حقيقته قال وهذا مذهب لا ان اهل اللغة لم يذكروه قال وسمعته من ابى اسحاق اسماعيل بن اسحاق القاضى رواه عن زيد بن اسلم انتهى والملاقاة هي لِلثواب أو العقاب ويصح ان تكون الملاقاة هنا بالرؤية التي عليها اهل السنة وورد بها متواتر الْحَدِيثِ وراجعون قيل معناه بالموت وقيل بالحشر والخروج الى الحساب والعرض ويقوى هذا القول الآية المتقدمة قوله تعالى ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون * قوله تعالى يا بنى اسراءيل الآية قد تكرر هذا النداء والتذكير بالنعمة وفائدة ذلك ان الخطاب الاول يصح ان يكون للمومنين ويصح ان يكون للكافرين منهم وهذا المتكرر انما هو للكافرين بدلالة ما بعده وايضا فان فيه تقوية التوقيف وتاكيد الحض على ايادى الله سبحانه وحسن خطابهم بقوله سبحانه فضلتكم على العالمين لان تفضيل ءابائهم واسلافهم تفضيل لهم وفى الكلام اتساع قال قتادة وغيره المعنى على عالم زمانهم الذى كانت فيه النبوءة المتكررة لان الله تعالى يقول لامة محمد صلى الله عليه وسلم كنتم خير امة اخرجت للناس واتقوا يوما اي عذاب يوم او هول يوم ويصح ان يكون يومًا نصبه على الظرف ولا تجزى معناه لا تغنى وقال السدي معناه لا تقضى ويقويه قوله شيأ وفى الكلام حذف التقدير لا تجزى فيه وفى مختصر الطبري اي واتقوا يوما لا تقضى نفسٌ عن نفس شيأ ولا تغنى غَناء وأَحَدُنَا اليومَ قد يقضى عن قريبه دينا واما فى الآخرة فيسر المرء ان يترتب له على قريبه حق لان القضاء هناك من الحسنات والسيآت كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انتهى والشفاعة ماخوذة من الشفع وهما الاثنان لان الشافع والمشفوع له شفع وسبب هذه الآية ان بنى اسراءيل قالوا نحن ابناء انبياء الله وسيشفع لنا ءاباؤنا وهذا انما

هو فى حق الكافرين للاجماع وتواتر الاحاديث بالشفاعة فى المومنين * وقوله تعالى ولا يوخذ منها عدل قال ابو العالية العدل الفدية قال * ع * عدل الشيء هو الذى يساويه قيمة وقدرا وان لم يكن من جنسه والعدل بكسر العين هو الذى يساوى الشيء من جنسه وفى جرمه والضمير فى قوله ولا هم عائد على الكافرين الذين اقتضتهم الآية ويحتمل ان يعود على النفسين المتقدم ذكرهما لان اثنين جمع او لان النفس للجنس وهو جمع وحصرت هذه الآية المعاني التى اعتادها بنو ءادم فى الدنيا فان الواقع فى شدة مع ءادمي لا يتخلص الآبان يشفع له او ينصر او يفتدى * ت * او يمن عليه الا ان الكافر ليس هو باهل لان يمن عليه * وقوله تعالى واذ نجيناكم من ءال فرعون اي خلصناكم وءال اصله اهل قلبت الهاء الفا ولذلك ردّها التصغير الى الاصل فقيل اهيل وءال الرجل قرابته وشيعته واتباعه وفرعون اسم لكل من ملك من العمالقة بمصر وفرعون موسى قيل اسمه مصعب بن الريان وقال ابن اسحاق اسمه الوليد بن مصعب وروي انه كان من اهل اصْطُخْر وَرَدَ مِصْرَ فاتفق له فيها الملك وكان اصل كون بنى اسراءيل بمصر نزول اسراءيل بها زمن ابنه يوسف عليهما السلام ويسومونكم معناه ياخذونكم به ويلزمونكم اياه والجملة فى موضع نصب على الحال اي سائمينءلكم سوء العذاب وسوء العذاب اشده واصعبه وكان فرعون على ما روي قد رأى فى منامه نارا خرجت من بيت المقدس فاحرقت بيوت مصر فأولت له رؤياه ان مولودا من بنى اسراءيل ينشأ فيخرب ملك فرعون على يديه وقال ابن اسحاق وابن عباس وغيرهما ان الكهنة والمنجمين قالوا لفرعون قد اظلك زمان مولود من بنى اسراءيل يخرب ملكك ويذبحون بدل من يسومون وفى ذلكم اشارة الى جملة الامر وبلاء معناه

امتحان واختبار ويكون البلاء في الخير والشر وحكى الطبري وغيره في كيفية نجاتهم ان موسى عليه السلام اوحي اليه ان يسري من مصر ببني اسراءيل فامرهم موسى ان يستعيروا الحلي والمتاع من القبط واحل الله ذلك لبني اسراءيل ويروى انهم فعلوا ذلك دون رأي موسى عليه السلام وهو الاشبه به فسرى بهم موسى من أول الليل فاعلم بهم فرعون فقال لا يتبعهم احد حتى تصيح الديكة فلم يصح تلك الليلة بمصر ديك حتى اصبح وامات الله تلك الليلة كثيرا من ابناء القبط فاشتغلوا بالدفن وخرجوا في الاتباع مشرقين وذهب موسى عليه السلام الى ناحية البحر حتى بلغه وكانت عدة بني اسراءيل نيفا على ستمائة الف وكانت عدة فرعون الف الف ومائتي الف وحكي غير هذا مما اختصرته لقلة ثبوته فلما لحق فرعون موسى ظن بنو اسراءيل انهم غير ناجين فقال يوشع بن نون لموسى اين امرت فقال هكذا واشار الى البحر فركض يوشع فرسه حتى بلغ الغمر ثم رجع فقال لموسى اين امرت فوالله ما كَذَبْتَ ولا كُذِبْتَ فاشار الى البحر واوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر واوحى الله الى البحر ان انفرق لموسى اذا ضربك فبات البحر تلك الليلة يضطرب فحين اصبح ضرب موسى البحر وكناه ابا خالد فانفلق وكان ذلك في يوم عاشوراء * وقوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر الآية فرقنا معناه جعلناه فرقا ومعنى بكم اي بسببكم والبحر هو بحر القلزم ولم يفرق البحر عرضا من ضفة الى ضفة وانما فرق من موضع الى موضع اخر في ضفة واحدة وكان ذلك الفرق يُقَرِّبُ موضع النجاة ولا يلحق في البر الا في ايام كثيرة بسبب جبال واوغار حائلة وقيل انفرق البحر عرضا على اثنَيْ عشر طريقا طريق لكل سبط فلما دخلوها قالت كل طائفة غرق اصحابنا وجزعوا فقال موسى عليه السلام اللهم

اعنى على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان ادر عصاك على البحر فادارها فصار فى الماء فتوح كالطاق يرى بعضهم بعضا وجازوا وجبريل فى ساقتهم على ما ذِيَانَة يحث بنى اسرايل ويقول ءلال فرعون مهلا حتى يلحق ءاخركم اولكم فلما وصل فرعون الى البحر اراد الدخول فنفر فرسه فتعرض له جبريل بالرمكة فاتبعها الفرس ودخل ءال فرعون وميكائل يحثهم فلما لم يبق الا ميكائل فى ساقتهم على الضفة وحده انطبَق البحر عليهم فغرقوا وتنظرون قيل معناه بابصاركم لقرب بعضهم من بعض وقيل ببصائركم للاعتبار لانهم كانوا فى شغل قال الطبري وفى اخبار القرءان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المغيبات التى لم تكن من علم العرب ولا وقعت الا فى خفي علم بنى اسراءيل دليل واضح عند بنى اسراءيل وقائم عليهم بنبوءة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وموسى اسم أعْجمي قال ابن اسحاق هو موسى بن عمران بن يصهر ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وخص الليالى بالذكر فى قوله تعالى واذ واعدنا موسى اربعين ليلة اذ الليلة اقدم من اليوم وقبله فى الرتبة ولذلك وقع بها التاريخ قال النقاش وفى ذلك اشارة الى صلة الصوم لانه لو ذكر الايام لا مكن ان يعتقد انه كان يفطر بالليل فلما نص على الليالى اقتضت قوة الكلام انه عليه السلام واصل اربعين ليلة بايامها قال * ع * حدثنى ابى رضي الله عنه قال سمعت الشيخ الزاهد الامام الواعظ ابا الفضل بن الجوهرى رحمه الله يعظ الناس بهذا المعنى فى الخلوة بالله سبحانه والدنو منه فى الصلاة ونحوه وان ذلك يشغل عن كل طعام وشراب ويقول اين حال موسى فى القرب من الله ووصال ثمانين من الدهر من قوله حين سار الى الخضر لفتاه فى بعض يوم ءاتنا غداءنا * ت *

وايضا فى الاثـر ان موسى لم يصبه او لم يشك ما شكاه من النصب حتى جاوز الموضع الذى وعد فيه لقاء الخضر عليهما السلام قال * ع * وكل المفسرين على ان الاربعين كلها ميعاد * وقوله تعالى ثم اتخذتم العجل اي الاها والضمير فى بعده يعود على موسى وقيل على انطلاقه للتكليم اذ المواعدة تقتضيه وقصص هذه الآية ان موسى عليه السلام لما خرج ببنى اسراءيل من مصر قال لهم ان الله تعالى سينجيكم من ءال فرعون وينفلكم حليهم ويروى ان استعارتهم للحلي كانت بغير اذن موسى عليه السلام وهو الاشبه به ويؤيده ما فى سورة طه فى قولهم لموسى ولكنا حملنا اوزارا فظاهرُهُ انهم اخبروه بما لم يتقدم له به شعور ثم قال لهم موسى انه سينزل الله علي كتابا فيه التحليل والتحريم والهدى لكم فلما جازوا البحر طلبوا موسى بما قال لهم من امر الكتاب فخرج لميعاد ربه وحده وقد اعلمهم بالاربعين ليلة فعدوا عشرين يوما بعشرين ليلة وقالوا هذه اربعون من الدهر وقد اخلفنا الموعد وبدا تعنتهم وخلافهم وكان السامري رجلا من بنى اسراءيل يسمى موسى بن ظفر ويقال انه ابن خال موسى وقيل لم يكن من بنى اسراءيل بل كان غريبا فيهم والاول اصح وكان قد عرف جبريل عليه السلام وقت عبورهم قالت طائفة انكر هيئته فعرف انه ملك وقالت طائفة كانت ام السامري ولدته عام الذبح فجعلته فى غار واطبقت عليه فكان جبريل عليه السلام يغذوه باصبع نفسه فيجد فى اصبع لبنا وفى اصبع عسلا وفى اصبع سمنا فلما رءاه وقت جواز البحر عرفه فاخذ من تحت حافر فرسه قبضة تراب والقي فى رُوعه انه لن يلقيها على شيء ويقول له كن كذا الا كان فلما خرج موسى لميعاده قال هارون لبنى اسراءيل ان ذلك الحلي والمتاع الذى استعرتم من القبط لا يحل لكم فَجِيئُوا به حتى تاكله النار التى كانت العادة ان تنزل على القرابين

وقيل بل اوقد لهم نارا وامرهم بطرح جميع ذلك فيها فجعلوا يطرحون وقيل بل امرهم ان يضعوه فى حفرة دون نار حتى يجيء موسى وروي وهو الاصح الاكثر انه القى الناس الحلي فى حفرة أَوْ نحوها وجاء السامري فطرح القبضة وقال كن عجلا وقيل ان السامري كان فى اصله من قوم يعبدون البقر وكان يعجبه ذلك وقيل بل كانت بنو اسراءيل قد مرت مع موسى على قوم يعبدون البَقَرَ * ت * والذى فى القرءان يعكفون على اصنام لهم قيل كانت على صور البقر فقالوا يا موسى اجعل لنا الاها كما لهم ءالهة فوعاها السامري وعلم ان من تلك الجهة يفتنون ففتنت بنو اسراءيل بالعجل وظلت منهم طائفة يعبدونه فاعتزلهم هارون بمن تبعه فجاء موسى من ميعاده فغضب حسبما ياتى قصصه فى مواضعه ان شاء الله تعالى ثم اوحى الله اليه انه لن يتوب على بنى اسراءيل حتى يقتلوا انفسهم ففعلت بنو اسراءيل ذلك فروي انهم لبسوا السلاح من عبد منهم ومن لم يعبد والقى الله عليهم الظلام فقتل بعضهم بعضا يقتل الاب ابنه والاخ اخاه فلما استحر فيهم القتل وبلغ سبعين الفا عفا الله عنهم وجعل من مات شهيدا وتاب على البقية فذلك قوله سبحانه ثم عفونا عنكم وقال بعض المفسرين وقف الذين عبدوا العجل صفا ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوهم وقالت طائفة جلس الذين عبدوا بالافنية وخرج يوشع بن نون ينادى ملعون مَن حَلَّ حُبْوَته وجعل الذين لم يعبدوه يقتلونهم وموسى صلى الله عليه وسلم فى خلال ذلك يدعو لقومه ويرغب فى العفو عنهم وانما عوقب الذين لم يعبدوا بقتل انفسهم على احد الاقوال لانهم لم يغيروا المنكر حين عُبِدَ العجلُ وانتم ظالمون ابتداء وخبر فى موضع الحال والعفو تغطية الاثر واذهاب الحال الاول من الذنب او غيره * ت * ومنه الحديث فجعلت ام اسماعيل تعفى اثرها قال * ع * ولا يستعمل

العفو بمعنى الصفح لا فى الذنب والكتاب هنا هو التوراة باجماع واختلف في الفرقان هنا فقال الزجاج وغيره هو التوراة ايضا كرر المعنى لاختلاف اللفظ وقال ءاخرون الكتاب التوراة والفرقان سائر الآيات التى اوتي موسى عليه السلام لانها فرقت بين الحق والباطل واختلف هل بقي العجل من ذهب فقال ذلك الجمهور وقال الحسن بن ابى الحسن صار لحما ودما والاول اصح * ت * وقوله تعالى فتوبوا الى بارئكم عن ابى العالية الى خالقكم من برأ الله الخلق اي خلقهم فالبريئة فعيلة بمعنى مفعولة انتهى من مختصر ابي عبد الله اللخمي النحوي للطبري * وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى يريد السبعين الذين اختارهم موسى واختلف فى وقت اختيارهم فحكى اكثر المفسرين ان ذلك بعد عبادة العجل فاختارهم ليستغفِروا لبنى اسراءيل وحكى النقاش وغيره انه اختارهم حين خرج من البحر وطلب بالميعاد والاول اصح وقصة السبعين ان موسى عليه السلام لما رجع من تكليم الله تعالى ووجد العجل قد عُبِدَ قالت له طائفة ممن لم يعبد العجل نحن لم نكفر ونحن اصحابك ولكن اسمعنا كلام ربك فاوحى الله اليه ان اختر منهم سبعين فلم يجد الا ستين فاوحى اليه ان اختر من الشباب عشرة ففعل فاصبحوا شيوخا وكان قد اختار ستة من كل سبط فزادوا اثنين على السبعين فتشاحوا فيمن يتأخر فاوحى اليه ان من تأخر له اجر من مضى فتأخر يوشع بن نون وكالوث بن يُوفَنّا وذهب موسى عليه السلام بالسبعين بعد ان امرهم ان يتجنبوا النساء ثلاثا ويغتسلوا فى اليوم الثالث واستخلف هارون على قومه ومضى حتى اتى الجبل فالقي عليهم الغمام قال النقاش غشيتهم سحابة وحِيلَ بينهم وبين موسى بالنور فوقعوا سجودا قال السدي وغيره وَسَمِعوا كلام الله

يامر وينهى فلم يطيقوا سماعه واختلطت اذهانهم ورغبوا ان يكون موسى يسمع ويعبر لهم ففعل فلما فرغوا وخرجوا بدلت منهم طائفة ما سمعت من كلام الله فذلك قوله تعالى وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه واضطرب ايمانهم وامتحنهم الله تعالى بذلك فقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة ولم يطلبوا من الرؤية محالا اما انه عند اهل السنة ممتنع فى الدنيا من طريق السمع فاخذتهم حينئذ الصاعقة فاحترقوا وماتوا موت همود يعتبر به الغير وقال قتادة ماتوا وذهبت ارواحهم ثم ردوا لإستيفاء اجالهم فحين حصلوا فى ذلك الهمود جعل موسى يناشد ربه فيهم ويقول اي رب كيف ارجع الى بنى اسراءيل دونهم فيهلكون ولا يومنون بى ابدا وقد خرجوا وهم الاخيار قال * ع * يعنى هم بحال الخير وقت الخروج وقال قوم بل ظن موسى ان السبعين انما عوقبوا بسبب عبادة العجل فذلك قوله اتهلكنا يعنى السبعين بما فعل السفهاء منا يعنى عَبَدَةَ العجل وقال ابن فورك يحتمل ان تكون معاقبة السبعين لاخراجهم طلب الرؤية عن طريقه بقولهم لموسى ارنا وليس ذلك من مقدور موسى عليه السلام قال * ع * ومن قال ان السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد اخطأ واذهب فضيلة موسى واختصاصه بالتكليم وجهرة مصدر فى موضع الحال والجهر العلانية ومنه الجهر ضد السر وجهر الرجل الامر كشفه وفى مختصر الطبرى عن ابن عباس جهرة قال علانية وعن الربيع جهرة عيانا انتهى * وقوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون اجاب الله تعالى فيهم رغبة موسى عليه السلام واحياهم من ذلك الهمود او الموت ليستوفوا اجالهم وتاب عليهم والبعث هنا الاثارة ولعلكم تشكرون اي على هذه النعمة والترجى إنّمَا هو فى حق البشر وذكر المفسرون فى تظليل الغمام ان بنى اسراءيل لما كان من امرهم ما كان

من القتل وبقي منهم من بقي حصلوا في فحص التيه بين مصر والشام فامروا بقتال الجبارين فعصوا وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا فدعا موسى عليهم فعوقبوا بالبقاء في ذلك الفحص اربعين سنة يتيهون في مقدار خمسة فراسخ او ستة روي انهم كانوا يمشون النهار كله وينزلون للمبيت فيصبحون حيث كانوا بكرة امس فندم موسى على دعائه عليهم فقيل له لا تاس على القوم الفاسقين وروي انهم ماتوا باجمعهم في فحص التيه ونشأ بنوهم على خير طاعة فهم الذين خرجوا من فحص التيه وقاتلوا الجبارين واذكان جميعهم في التيه قالوا لموسى من لنا بالطعام قال الله فانزل الله عليهم المن والسلوى قالوا من لنا من حر الشمس فظلل عليهم الغمام قالوا بم نستصبح بالليل فضرب لهم عمود نور في وسط محلتهم وذكر مكي عمود نار قالوا من لنا بالماء فامر موسى بضرب الحجر قالوا من لنا باللباس فاعطوا أن لا يبلى لهم ثوب ولا يخلق ولا يدْرَن وان تنمو صِغَارُهَا حسب نمو الصبيان والمن صمغة حلوة هذا قول فرقة وقيل هو عسل وقيل شراب حلو وقيل الذى ينزل اليوم على الشجر وروي ان المن كان ينزل عليهم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس كالثلج فياخذ منه الرجل ما يكفيه ليومه فان ادخر فسد عليه الا في يوم الجمعة فانهم كانوا يدخرون ليوم السبت فلا يفسد عليهم لان يوم السبت يوم عبادة والسلوى طير باجماع المفسرين فقيل هو السمانا وقيل طائر مثل السُّمَّانَا وقيل طائر مثل الحمام تحشره عليهم الجنوب * ص * قال ابن عطية وغلط الهذلي في اطلاقه السلوى على العسل حيث قال

وقَاسَمَهَا بالله عهدًا لأَنتُم * الذ من السلوى اذا ما نشورهَا

* ت * قد نقل صاحب المختصر انه يطلق على العسل لغة فلا وجه

لتغليطه لان اجماع المفسرين لا يمنع من اطلاقه لغة بمعنى آخر في غير الآية انتهى * وقوله تعالى كلوا الآية معناه وقلنا كلوا فحذف اختصارا لدلالة الظاهر عليه والطيبات هنا جمعت الحلال واللذيذ * ص * وقوله وما ظلمونا قدر ابن عطية قبل هذه الجملة محذوفا اي فعصوا وما ظلمونا وقدر غيره فظلموا وما ظلمونا ولا حاجة الى ذلك لان ما تقدم عنهم من القبائح يغنى عنه انتهى * ت * وقول ابى حيان لا حاجة الى هذا التقدير الى آخره يُرَدُّ بان المحذوفات فى الكلام الفصيح هذا شانها لا بد من دليل فى اللفظ يدل عليها الا انه يختلف ذلك فى الوضوح والخفاء فاما حذف ما لا دليل عليه فانه لا يجوز * وقوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رَغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون واذ استسقى موسى لقومه القرية المدينة سميت بذلك لانها تقرت اي اجتمعت ومنه قريت الماء فى الحوض اي جمعته والاشارة بهذه الى بيت المقدس فى قول الجمهور وقيل الى اريحاء وهي قريبٌ من بيت المقدس قال عمر بن شبّة كانت قاعدة ومسكن ملوك ولما خرج ذرية بنى اسرائيل من التيه امروا بدخول القرية المشار اليها واما الشيوخ فماتوا فيه وروي ان موسى وهارون عليهما السلام ماتا فى التيه وحكى الزجاج عن بعضهم انهما لم يكونا فى التيه لانه عذاب والاول اكثر * ت * لكن ظاهر قوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين يقوى ما حكاهُ الزجاج وهكذا قال الامام الفخر انتهى وكلوا اباحة وتقدم معنى الرغد وهي ارض مباركة عظيمة الغلة فلذلك قال رغدا والباب قال مجاهد هو باب فى مدينة بيت المقدس يعرف الى اليوم بباب حطة وسجدا قال ابن

عباس معناه ركوعا وقيل متواضعين خضوعا والسجود يعم هذا كله وحطة فعلة من حط يحط ورفعه على خبر ابتداء كانهم قالوا سؤالنا حطة لذنوبنا قال عكرمة وغيره امروا ان يقولوا لا اله الا الله لتحط بها ذنوبهم وقال ابن عباس قيل لهم استغفروا وقولوا ما يحط ذنوبكم * ت * قال احمد بن نصر الداودي فى تفسيره وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سار مع اصحابه فى سفر فقال قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها للحطة التي عرضت على بني اسراءيل فلم يقولوها انتهى وحكي عن ابن مسعود وغيره انهم امروا بالسجود وان يقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاههم ويقولون حنطة حبة حمراء فى شعرة ويروى غير هذا من الالفاظ * وقوله تعالى وسنزيد المحسنين عِدَةٌ المعنى اذا غفرت الخطايا بدخولكم وقولكم زيد بعد ذلك لمن احسن وكان من بنى اسراءيل من دخل كما امر وقال لا اله الا الله فقيل هم المراد بالمحسنين هنا * وقوله تعالى فبدل الذين ظلموا الآية روي انهم لما جاءوا الباب دخلوا من قبل ادبارهم القهقرى وفى الحديث انهم دخلوا يزحفون على استاههم وبدلوا فقالوا حبة فى شعرة وقيل قالوا حنطة حبة حمراء فى شعرة وقيل شعيرة وحكى الطبري انهم قالوا هَطِّى شَمْقَاثَا أَزْبَه وتفسيره ما تقدم وفى اختصار الطبري وعن مجاهد قال امر موسى قومه ان يدخلوا الباب سجدا ويقولوا حطة وطؤطئ لهم الباب ليسجدوا فلم يسجدوا ودخلوا على ادبارهم وقالوا حنطة وذكر عز وجل فعل سلفهم تنبيها ان تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم جار على طريق سلفهم فى خلافهم على انبيائهم واستخفافهم بهم واستهزائهم بامر ربهم انتهى والرجز العذاب قال ابن زيد وغيره فبعث الله على الذين بدلوا الطاعون فاذهب منهم سبعين الفا وقال ابن عباس امات الله منهم فى ساعة واحدة نيفا على عشرين الفا واستسقى

معناه طلب السقيا وَعُزّزُ استفعل طلب الشيء وقد جاء في غير ذلك كقوله تعالى واستغنى الله وكان هذا الاستسقاء في فحص التيه فامره الله تعالى بضرب الحجر اية منه وكان الحجر من جبل الطور على قدر راس الشاة يلقى في كِسر جُوالق ويرحل به فاذا نزلوا وضع في وسط محلتهم وضربه موسى وذكر انهم لم يكونوا يحملون الحجر لكنهم كانوا يجدونه في كل مرحلة في منزلته من المرحلة الاولى وهذا اعظم في الآية ولاخلاف انه كان حجرا مربعا منفصلا تطرد من كل جهة منه ثلاث عيون اذا ضربه موسى واذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون وفي الكلام حذف تقديره فضربه فانفجرت والانفجار انصداع شيء عن شيء ومنه الفجر والانبجاس في الماء اقل من الانفجار واناس اسم جمع لا واحد له من لفظه ومعناه هنا كل سبط لان الاسباط في بني اسرايل كالقبائل في العرب وهم ذرية الاثني عشر اولادُ يعقوب عليه السلام * وقوله سبحانه كلوا واشربوا من رزق الله الآية * ت * روينا من طريق انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليرضى عن العبد ان ياكل الاكلة فيحمده عليها او يشرب الشربة فيحمده عليها رواه مسلم والترمذي والنساءي انتهى والمشرب موضع الشرب وكان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعداها ولا تعثوا معناه ولا تُفْرِطُواْ في الْفَسَادِ * ص * مُفْسِدِيَن حال مؤكدة لان لا تعثوا معناه لا تفسدوا انتهى * وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد الآية كان هذا القول منهم في التيه حين ملوا المن والسلوى وتذكروا عيشهم الاول بمصر قال ابن عباس واكثر المفسرين الفوم الحنطة وقال قتادة وعطاء الفوم جميع الحبوب التي يمكن ان تختبز وقال الضحاك الفوم الثوم وهي قراءة عبد الله بن مسعود وروي ذلك عن ابن عباس والثاء تبدل من الفاء كما قالوا

مغاثير ومغافير * ت * قال احمد بن نصر الداودي وهذا القول اشبه لما ذكر معه اي من العدس والبصل انتهى وادنى قال علي بن سليمان الاخفش ماخوذ من الدنيء البين الدناءة بمعنى الاخس الا انه خففت همزته وقال غيره هو ماخوذ من الدون اي الاحط فاصله ادون ومعنى الآية اتستبدلون البقل والقثّاء والفوم والعدس والبصل التى هي ادنى بالمن والسلوى الذى هو خير وجمهور الناس يقرءون مصرا بالتنوين قال مجاهد وغيره اراد مصرا من الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القرءان من امرهم بدخول القرية وبما تظاهرت به الروايات انهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طائفة اراد مصر فرعون بِعينها واستدلوا بما فى القرءان من ان الله اورث بنى اسراءيل ديار ءال فرعون وءاثارهم قال فى مختصر الطبري وعلى ان المراد مصر التى خرجوا منها فالمعنى ان الذى تطلبون كان فى البلد الذى كان فيه عذابكم واستعبادكم واسركم ثُم قال والاظهر انهم مذ خرجوا من مصر لم يرجعوا اليها والله اعلم انتهى * وقوله تعالى فان لكم ما سألتم يقتضى انه وكلهم الى انفسهم وضربت عليهم الذلة والمسكنة معناه الزموها كما قالت العرب ضربة لازب وباءوا بغضب معناه مروا متحملين له قال الطبري باءوا به اي رجعوا به واحتملوه ولا بد ان يوصل بَاء بخير او بشر انتهى * وقوله تعالى ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيئين بغير الحق الاشارة بذلك الى ضرب الذلة وما بعدهُ * وقوله تعالى بغير الحق تعظيم للشنعة والذنب ولم يجرم نبيء قط ما يوجب قتله وانما التسليط عليهم بالقتل كرامة لهم وزيادة لهم فى منازلهم صلى الله عليهم كمثل من يقتل فى سبيل الله من المومنين والباء فى بما باء السبب ويعتدون معناه يتجاوزون الحدود والاعتداء هو تجاوز الحد * وقوله تعالى ان الذين

ءامنوا والذين هادوا والنصارى والصابيـن الآية اختلف فى المراد بالذين ءامنوا فى هذه الآية فقالت فرقة الذين ءامنوا هم المومنون حقا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله من ءامن بالله يكون فيهم بمعنى من ثبت ودام وفى سائر الفرق بمعنى من دخل فيه وقال السدي هم اهل الحنيفية ممن لم يلحق محمدا صلى الله عليه وسلم والذين هادوا ومن عطف عليهم كذلك ممن لم يلحق محمدا صلى الله عليه وسلم والذين هادوا هم اليهود وسموا بذلك لقولهم هدنا اليك اي تبنا والنصارى لفظة مشتقة من النصر قال * ص * والصابيـن قرأ الاكثر بالهمز من صبأ النجم والسن اذا خرج اي خرجوا من دين مشهور الى غيره وقرأ نافع بغير همز فيحتمل ان يكون من المهموز المسهل فيكون بمعنى الاول ويحتمل ان يكون من صَبَا غير مهموز اي مَالَ ومنه

الى هند صبا قلبـــــى * وهند مثلها يصبـــــى

انتهى قال * ع * والصابى فى اللغة من خرج من دين الى دين واما المشار اليهم فى قوله تعالى والصابيـن فقال السدي هم فرقة من اهل الكتاب وقال مجاهد هم قوم لا دين لهم وقال ابن جريج هم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوسية وقال ابن زيد هم قوم يقولون لا اله الا الله وليس لهم عمل ولا كتاب كانوا بجزيرة الموصل وقال الحسن بن ابى الحسن وقتادة هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون الخمس الى القبلة ويقرءون الزبور رَءاهُمْ زياد بن ابى سفيان فاراد وضع الجزية عنهم حتى عُرِّفَ انهم يعبدون الملائكة * وقوله تعالى ورفعنا فوقكم الطور الآية الطور اسم الجبل الذى نوجي موسى عليه السلام عليه قاله ابن عباس وقال مجاهد وغيره الطور اسم لكل جبل وقصص هذه الآية ان موسى عليه السلام لما جاء الى بنى اسراءيل من عند الله تعالى بالالواح فيها التوراة

قال لهم خذوها والتزموها فقالوا لا لا ان يكلمنا الله بها كما كلمك فصعقوا ثم احيوا فقال لهم خذوها فقالوا لا فامر الله الملائكة فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين طوله فرسخ فى مثله وكذلك كان عسكرهم فجعل عليهم مثل الظلة واخرج الله تعالى البحر من ورائهم واضرم نارا من بين ايديهم فاحاط بهم غضبه وقيل لهم خذوها وعليكم الميثاق ولا تضيعوها والا سقط عليكم الجبل واغرقكم البحر واحرقتكم النار فسجدوا توبة لله سبحانه واخذوا التوراة بالميثاق قال الطبري عن بعض العلماء لو اخذوها اول مرة لم يكن عليهم ميثاق وكانت سجدتهم على شق لانهم كانوا يرقبون الجبل خوفا فلما رحمهم الله سبحانه قالوا لا سجدة افضل من سجدة تقبلها الله ورحم بها فأَمَرُّواْ سجودَهم على شق واحد قال * ع * والذى لا يصح سواه ان الله تعالى اخترع وقت سجودهم الايمان فى قلوبهم لا انهم آمنوا كرها وقلوبهم غير مطمئنة قال وقد اختصرت ما سرد فى قصص هذه الآية وقصدت اصحه الذى تقتضيه الفاظ الآية وخلط بعض الناس صعقة هذه القصة بصعقة السبعين وبقوة قال ابن عباس معناه بجد واجتهاد وقال ابن زيد معناه بتصديق وتحقيق واذكروا ما فيه اي تدبروه واحفظوا اوامره ووعيده ولا تنسوه ولا تضيعوه * وقوله تعالى ثم توليتم الآية تولى اصله الاعراض والادبار عن الشيء بالجسم ثم استعمل فى الاعراض عن الامور والاديان والمعتقدات اتساعا ومجازا وتَوَلِّيهم من بعد ذلك اما بالمعاصى فكان فضل الله بالتوبة والامهال اليها واما ان يكون تَوَلِّيهم بالكفر فلم يعاجلهم سبحانه بالهلاك ليكون من ذريتهم من يومن * وقوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدواْ منكم في السبت الآية علمتم معناه عرفتم والسبت ماخوذ من السبوت الذى هو الراحة والدعة واما من السبت وهو القطع لان الاشياء فيه سبتت وتمت خلقتها وقصة اعتدائهم فيه ان الله

عزوجل امر موسى عليه السلام بيوم الجمعة وعرفه فضله كما امر به سائر الانبياء صلوات الله عليهم فذكر موسى ذلك لبني اسرايل عن الله سبحانه وامرهم بالتشرع فيه فابوا وتعدوه الى يوم السبت فاوحى الله الى موسى ان دعهم وما اختاروا من ذلك وامتحنهم بان امرهم بترك العمل فيه وحرم عليهم صيد الحيتان وشدد عليهم المحنة بان كانت الحيتان تاتي يوم السبت حتى تخرج الى الافنية قاله الحسن بن ابي الحسن وقيل حتى تخرج خراطيمها من الماء وذلك اما بالهام من الله تعالى او بامر لا يعلل واما بان الهمها معنى الامَنَةِ التي في اليوم مع تكراره كما فهم حمام مكة الامَنَة وكان امر بني اسرايل بايلة على البحر فاذا ذهب السبت ذهبت الحيتان فلم تظهر الى السبت الآخر فبقوا على ذلك زمانا حتى اشتهوا الحوت فعمد رجل يوم السبت فربط حوتا بخزمة وضرب له وتدا بالساحل فلما ذهب السبت جاء فاخذه فسمع قوم بفعله فصنعوا مثل ما صنع وقيل بل حفر رجل في غير السبت حفيرا يخرج اليه البحر فاذا كان يوم السبت خرج الحوت وحصل في الحفير فاذا جزر البحر ذهب الماء من طريق الحفير وبقي الحوت فجاء بعد السبت فاخذه ففعل قوم مثل فعله وكثر ذلك حتى صادوه يوم السبت علانية وباعوه في الاسواق فكان هذا من اعظم الاعتداء وكانت من بني اسرايل فرقة نهت عن ذلك فنجت من العقوبة وكانت منهم فرقة لم تعص ولم تنه فقيل نجت مع الناهين وقيل هلكت مع العاصين وكونوا لفظة امر وهو امر التكوين كقوله تعالى لكل شيء كن فيكون قال ابن الحاجب في مختصره الكبير المسمى بمنتهى الوصول صيغة افعل وما في معناها قد صح اطلاقها بازاء خمسة عشر محملا الوجوب اقم الصلاة والندب فكاتبوهم والارشاد واشهدوا اذا تبايعتم والاباحة فاصطادوا والتاديب كل مما يليك

والامتنان كلوا مما رزقكم الله والاكرام ادخلوها بسلام والتهديد اعملوا ما شئتم والانذار تمتعوا والتسخير كونوا قردة والاهانة كونوا حجارة والتسوية فاصبروا او لا تصبروا والدعاء اغفر لنا والتمنى أَلَا انْجَلِي وكمال القدرة كن فيكون انتهى وزاد غيره كونها للتعجيز اعنى صيغة افعل قال ابن الحاجب وقد اتفق على انها مجاز فيما عدا الوجوب والندب والاباحة والتهديد ثم الجمهور على انها حقيقة فى الوجوب انتهى وخاسئين معناه مبعدين اذلاء صاغرين كما يقال للكلب وللمطرود اخسأ وروي فى قصصهم ان الله تعالى مسخ العاصين قردة فى الليل فاصبح الناجون الى مساجدهم ومجتمعاتهم فلم يروا احدا من الهالكين فقالوا ان للناس لشانا ففتحوا عليهم الابواب لما كانت مغلقة بالليل فوجدوهم قردة يعرفون الرجل والمرأة وقيل ان الناجين كانوا قد قسموا بينهم وبين العاصين القرية بجِدَارٍ تبريا منهم فاصبحوا ولم تفتح مدينة الهالكين فتسوروا عليهم الجدار فاذا هم قردة يثب بعضهم على بعض وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وثبت ان الممسوخ لا تنسل ولا تاكل ولا تشرب ولا تعيش اكثر من ثلاثة ايام ووقع فى كتاب مسلم عنه صلى الله عليه وسلم ان امة من الامم فقدت واراها الفار وظاهر هذا ان الممسوخ تنسل فان كان اراد هذا فهو ظَنٌّ منه صلى الله عليه وسلم فى امر لا مدخل له فى التبليغ ثم اوحي اليه بعد ذلك ان الممسوخ لا تنسل ونظير ما قلناه نزوله صلى الله عليه وسلم على مياه بدر وامره باطراح تذكير النخل وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا اخبرتكم عن الله تعالى فهو كما اخبرتكم واذا اخبرتكم برأيى فى امور الدنيا فانما انا بشر مثلكم والضمير فى جعلناها يَحتمل عوده على المسخة والعقوبة ويحتمل على الامة التى مسخت ويحتمل على القردة ويحتمل على القرية اذ معنى الكلام يقتضيها والنكال الزجر بالعقاب ولما بين يديها قال السدي

ما بين يدي المسخة مَا قبلها من ذنوب القوم وما خلفها لمن يذنب بعدها مثل تلك الذنوب وقال غيره ما بين يديها من حضرها من الناجين وما خلفها اي لمن يجيء بعدها وقال ابن عباس لما بين يديها وما خلفها من القرى وموعظة من الاتعاظ والازدجار وللمتقين معناه الذين نهوا ونجوا وقالت فرقة معناه لامة محمد صلى الله عليه وسلم واللفظ يعم كل متق من كل امة * وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم الآية المراد تذكيرهم بنقض سلفهم للميثاق وسبب هذه القصة على ما روي ان رجلا من بني اسرايل اسن وكان له مال فاستبطأ ابن اخيه موته وقيل اخوه وقيل ابنا عمه وقيل ورثة غير معينين فقتله ليرثه والقاه في سبط اخر غير سبطه لياخذ ديته ويلطخهم بدمه وقيل كانت بنو اسراءيل في قريتين متجاورتين فألقاهُ الى باب احدى القريتين وهي التي لم يقتل فيها ثم جعل يطلبه هو وسبطه حتى وجده قتيلا فتعلق بالسبط أوْ بسكان المدينة التي وجد القتيل عندها فانكروا قتله فوقع بين بني اسراءيل في ذلك لحاء حتى دخلوا في السلاح فقال اهل النُّهَى منهم انقتتل ورسول الله معنا فذهبوا الى موسى عليه السلام فقصوا عليه القصة وسألوهُ البيان فاوحى الله تعالى اليه ان يذبحوا بقرة فيضرب القتيل ببعضها فيحي ويخبر بقاتله فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فكان جوابهم ان قالوا اتتخذنا هزؤا وهذا القول منهم ظاهره فساد اعتقادِ مِمَّنْ قاله ولا يصح ايمان من يقول لِنبيء قد ظهرت معجزته وقال ان الله يامرُ بكذا اتتخذنا هزؤا ولو قال ذلك اليوم احد عن بعض اقوال النبي صلى الله عليه وسلم لوجب تكفيره وذهب قوم الى ان ذلك منهم على جهة غلظ الطبع والجفاء وقول موسى عليه السلام اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين يحتمل مَعْنَيَيْنِ احدهما الاستعاذة من الجهل في ان يخبر عن الله تعالى مستهزئا والآخر من

الجهل كما جهلوا فى قولهم * وقوله تعالى قالوا ادع لنا ربك الآية هذا تعنيت منهم وقلة طواعية ولو امتثلوا الامر فاستعرضوا بقرة فذبحوها لقضوا ما امروا به ولكن شددوا فشدد الله عليهم قاله ابن عباس وغيره والفارض المسنة الهرمة والبكر من البقر التى لم تلد من الصغر ورفعت عوان على خبر ابتداء مضمر تقديره هى عوان والعوان التى قد ولدت مرّة بعد مرّة قال * م * قال الجوهري والعوان النصف فى سنها من كل شيء والجمع عونٌ انتهى * ت * قال الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقى فى نظمه لغريب القرءان جمع ابى حيان

معنى عوانٌ نَصَفٌ بين الصغر * وبين ما قد بلغت سن الكبر

وكل ما نقلته عن العراقي منظوما فمن ارجوزته هذه وقوله فافعلوا ما تومرون تجديد للامر وتأكيد وتنبيه على ترك التعنت فما تركوه قال ابن زيد وجهور الناس فى قوله صفراء انها كانت كلها صفراء وفى مختصر الطبري فاقع لونها اي صاف لونها انتهى والفقوع مختص بالصفرة كما خص احمر بقانئ واسود بحالك وابيض بناصع واخضر بناضر قال ابن عباس وغيره الصفرة تسر النفس وسألوا بعد هذا كله عن ما هي سؤال متحيرين قد احسوا مقت المعصية وفى استثنائهم فى هذا السؤال الاخير انابة ما وانقياد ودليل ندم وحرص على موافقة الامر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو لا ما استثنوا ما اهتدوا اليها ابدا وقوله لا ذلول تثير الارض اي غير مذللة بالعمل والرياضة وتثير الارض معناه بالحراثة وهي عند قوم جملة فى موضع رفع على صفة البقرة اي لا ذلول مثيرة وقال قوم تثير فعل مستانف والمعنى ايجاب الحرث وانها كانت تحرث ولا تسقى ومسلمة بناء مبالغة من السلامة قال ابن عباس وغيره معناه من العيوب وقال مجاهد معناه من الشيات والالوان وقيل من العمل ولاشية فيها اي لا خلاف فى لونها هي

صفراء كلها قاله ابن زيد وغيره والموشى المختلط الالوان ومنه وشي الثوب تزينه بالالوان والثور الاشيه الذى فيه بلقة يقال فرس ابلق وكبش اخرج وتيس ابرق وكلب ابقع وثور اشيه كل ذلك بمعنى البلقة وهذه الاوصاف فى البقرة سببها انهم شددوا فشدد الله عليهم ودين الله يسر والتعمق فى سؤال الانبياء مذموم وقصة وجود هذه البقرة على ما روي ان رجلا من بنى اسراءيل ولد له ابن وكانت له عجلة فارسلها فى غيضة وقال اللهم انى قد استودعتك هذه العجلة لهذا الصبي ومات الرجل فلما كبر الصبي قالت له امه ان اباك كان قد استودع الله عجلة لك فاذهب فخذها فلما رأته البقرة جاءت اليه حتى اخذ بقرنيها وكانت مستوحشة فجعل يقودها نحو امه فلقيه بنو اسراءيل ووجدوا بقرته على الصفة التى امروا بها فلما وجدت البقرة ساموا صاحبها فاشتط عليهم فاتوا به موسى عليه السلام وقالوا له ان هذا اشتط علينا فقال لهم ارضوه فى ملكه فاشتروها منه بوزنها مرة قاله عبيدة السلماني وقيل بوزنها مرتين وقيل بوزنها عشر مرات وقال مجاهد كانت لرجل يبر امه واخذت منه بملء جلدها دنانير والآن مبني على الفتح معناه هذا الوقت وهو عبارة عما بين الماضى والمستقبل وجئت بالحق معناه عند من جعلهم عصاة بينت لنا غاية البيان وهذه الآية تعطى ان الذبح اصل فى البقروان نحرت اجزأ * وقوله تعالى وما كادوا يفعلون عبارة عن تثبطهم فى ذبحها وقلة مبادرتهم الى امر الله تعالى وقال محمد بن كعب القرظي كان ذلك منهم لغلاء البقرة وقيل كان ذلك خوف الفضيحة فى امر القاتل وادارأتم معناه تدافعتم قتل القتيل وفيها اي فى النفس * وقوله تعالى اضربوه ببعضها ءاية من الله تعالى على يدي موسى عليه السلام ان امرهم ان يضربوا ببعض البقرة القتيل فيحيي ويخبر بقاتله فقيل

ضربوه وقيل ضربوا قبره لان ابن عباس ذكر ان امر القتيل وقع قبل جواز البحر وانهم داموا فى طلب البقرة اربعين سنة * وقوله تعالى كذلك يحي الله الموتى الآية فى هذه الآية حض على العبرة ودلالة على البعث فى الآخرة وظاهرها انها خطاب لبنى اسرائيل حينئذ حكي لمحمد صلى الله عليه وسلم ليعتبر به الى يوم القيامة وذهب الطبري الى انها خطاب لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم وانها مقطوعة من قوله اضربوه ببعضها وروي ان هذا القتيل لما حيي واخبر بقاتله عاد ميتا كما كان * وقوله تعالى ثم قست قلوبكم الآية اي صلبت وجفت وهي عبارة عن خلوها من الانابة والاذعان لآيات الله تعالى قال قتادة وغيره المراد قلوب بنى اسرائيل جميعا فى معاصيهم وما ركبوه بعد ذلك واو لا يصح ان تكون هنا للشك فقيل هي بمعنى الواو وقيل للاضراب وقيل للابهام وقيل غير ذلك * وقوله تعالى وان من الحجارة الآية معذرة للحجارة وتفضيل لها على قلوبهم قال قتادة عذر الله تعالى الحجارة ولم يعذر شقي بنى آدم * ت * وروى البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اربعة من الشقاء جمود العين وقساوة القلب وطول الامل والحرص على الدنيا انتهى من الكوكب الدري لابى العباس احمد بن سعد التجيبي قال الغزالي فى المنهاج واعلم ان اول الذنب قسوة وآخره والعياذ بالله شوم وشقوة وسواد القلب يكون من الذنوب وعلامة سواد القلب ان لا تجد للذنوب مفزعا ولا للطاعات موقعا ولا للموعظة منجعا انتهى وقيل فى هبوط الحجارة تفيوء ظلالها وقيل ان الله تعالى يخلق فى بعض الاحجار خشية وحياة يهبط بها من علو تواضعا وقال مجاهد ما تردى حجر من راس جبل ولا تفجر نهر من حجر ولا خرج ماء منه الا من خشية الله عز وجل نزل بذلك القرآن وقال مثله ابن جريج * وقوله تعالى افتطمعون ان يومنوا لكم الآية

الخطاب للمومنين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان الانصار كان لهم حرص على اسلام اليهود للحلف والجوار الذى كان بينهم ومعنى هذا الخطاب التقرير على امر فيه بعد اذ قد سلف لاسلاف هؤلاء اليهود افاعيل سوء وهؤلاء على ذلك السنن وتحريف الشيء امالته من حال الى حال وذهب ابن عباس الى ان تحريفهم وتبديلهم انما هو بالتأويل ولفظ التوراة باق وذهب جماعة من العلماء الى انهم بدلوا الفاظا من تلقائهم وان ذلك ممكن فى التوراة لانهم استحفظوها وغير ممكن فى القرءان لان الله تعالى ضمن حفظه قلت وعن ابن اسحاق ان المراد بالفريق هنا طائفة من السبعين الذين سمعوا كلام الله مع موسى انتهى من مختصر الطبري وهذا يحتاج الى سند صحيح * وقوله تعالى واذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا الآية المعنى وهم ايضا اذا لقوا يفعلون هذا فكيف يطمع فى ايمانهم ويحتمل ان يكون هذا الكلام مستأنفا فيه كشف سرائرهم ورد فى التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخلن علينا قصبة المدينة الا مومن فقال كعب بن الاشرف واشباهه اذهبوا وتحسسوا اخبار من ءامن بمحمد وقولوا لهم ءامنا واكفروا اذا رجعتم فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس نزلت فى المنافقين من اليهود وروي عنه ايضا انها نزلت فى قوم من اليهود قالوا لبعض المومنين نحن نومن انه نبيء ولكن ليس الينا وانما هو اليكم خاصة فلما خلوا قال بعضهم لم تقرون بنبوءته وقال ابو العالية وقتادة ان بعض اليهود تكلم بما فى التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم كفرة الاحبار اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي عرفكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويحاجوكم من الحجة وعند ربكم معناه فى الآخرة * وقوله تعالى أفلا تعقلون قيل هو من قول الاحبار للاتباع وقيل هو خطاب من الله تعالى للمومنين اي افلا تعقلون ان بنى اسراءيل لا يومنون وهم

بهذه الاحوال واميون هُنا عبارة عن عامة اليهود وجهلتهم اي انهم لا يطمع فى ايمانهم لما غمرهم من الضلال والامي فى اللغة الذى لا يكتب ولا يقرأ فى كتاب نسب الى الام اما لانه بحال امه من عدم الكتب لا بحال ابيه اذ النساء ليس من شغلهن الكَتْبُ قاله الطبري واما لانه بحال ولدته امه فيها ثم ينتقل عنها والكتاب التوراة والاماني جمع امنية واختلف فى معنى اماني فقالت طائفة هي هاهنا من تمنى الرجل اذا ترجى فمعناه ان منهم من لا يكتب ولا يقرأ وانما يقول بظنه شيأ سمعه فيتمنى انه من الكتاب وقال اخرون هي من تمنى اذا تلا ومنه قول الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليلة * واخره لاقى حمام المقادر

فمعنى الآية انهم لا يعلمون الكتاب الاسماع شيء يتلى لا علم لهم بصحته وقال الطبري هي من تمنى الرجل اذا حدّث بحديث مختلق كذب اي لا يعلمون الكتاب الاسماع اشياء مختلقة من احبارهم يظنونها من الكتاب * ص * وان هم الا يظنون ان نافية بمعنى ما انتهى * وقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله الآية قال الخليل الويل شِدّةُ الشروهو مصدر لا فعل له ويجمع على ويلات والاحسن فيه اذا انفصل الرفع لانه يقتضى الوقوع ويصح النصب على معنى الدعاء اي الزمه الله ويلا وويل وويح وويس تتقارب فى المعنى وقد فرق بينها قوم وروى سفيان وعطاء بن يسار ان الويل فى هذه الآية واد يجرى بفناء جهنم من صديد اهل النار وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه واد فى جهنم بين جبلين يهوى فيه الهاوى اربعين خريفا وروى عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جبل من جبال النار والذين يكتبون هم الاحبار

والرؤساء وبايديهم قال ابن السراج هي كناية عن انه من تلقائهم دون ان ينزل عليهم والذى بدلوه هو صفة النبي صلى الله عليه وسلم ليستديموا رياستهم ومكاسبهم وذكر السدي انهم كانوا يكتبون كتبا يبدلون فيها صفة النبي صلى الله عليه وسلم ويبيعونها من الاعراب ويبثونها فى اتباعهم ويقولون هي من عند الله والثمن قيل عرض الدنيا وقيل الرِّشَى والمآكل التى كانت لهم ويكسبون معناه من المعاصى وقيل من المال الذى تضمنه ذكر الثمن * وقوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة الآية روى ابن زيد وغيره ان سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود مَنْ أهلُ النار فقالوا نحن ثم تخلفونا انتم فقال لهم كذبتم لقد علمتم انا لا نخلفكم فنزلت هذه الآية قال اهل التفسير العهد فى هذه الآية الميثاق والموعد وبلى رد بعد النفي بمنزلة نعم بعد الايجاب وقالت طائفة السيئة هنا الشرك كقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار والخطيئات كبائر الذنوب قال الحسن بن ابى الحسن والسدي كل ما توعد الله عليه بالنار فهي الخطيئة المحيطة والخلود فى هذه الآية على الاطلاق والتابيد فى الكفار ومستعار بمعنى الطول فى العصاة وان علم انقطاعه قال محمد بن عبد الله اللخمي فى مختصره للطبري اجمعت الامة على تخليد من مات كافرا وتظاهرت الروايات الصحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح بانْ عصاة اهل التوحيد لا يخلدون فى النار ونطق القران بان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لكن من خاف على لحمه ودمه اجْتَنَبَ كل ما جاء فيه الوعيد ولم يتجاسر على المعاصى اتكالا على ما يرى لنفسه من التوحيد فقد كان السلف وخيار الامة يخافون سلب الايمان على انفسهم ويخافون النفاق عليها وقد تظاهرت بذلك عنهم الاخبار انتهى

* وقوله تعالى والذين ءامنوا الآية يدل هذا التقسيم على ان قوله تعالى بلى من كسب سيئة الآية فى الكفار لا فى العصاة ويدل على ذلك ايضا قوله واحاطت لان العاصي مومن فلم تحط به خطيئاته ويدل على ذلك ايضا ان الرد كان على كُفَّارٍ ادَّعَوْا أَنَّ النَّارَ لا تمسهم الا اياما معدودة فهم المراد بالخلود والله اعلم * وقوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بنى اسراءيل الآية اخذ الله سبحانه الميثاق عليهم على لسان موسى عليه السلام وغيره من انبيائهم واخذ الميثاق قول فالمعنى قلنا لهم لا تعبدون الا الله الآية قال سيبويه لا تعبدون متلق لقسم والمعنى واذ استحلفناهم والله لا تعبدون الا الله وفى الاحسان تدخل انواع بر الوالدين كلها واليتم فى بَنِى ءادَمَ فقد الاب وفى البهائم فقد الام وقال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد بلوغ والمسكين الذى لا شيء له وقيل هو الذى له بُلْغة والآية تتضمن الرأفة باليتامى وحيطة اموالهم والحض على الصدقة والمواساة وتفقد المساكين * وقوله تعالى وقولوا للناس حسنا * امر عطف على ما تضمنه لا تعبدون الا الله وما بعده وقرأ حمزة والكسائي حسنا بفتح الحاء والسين قال الاخفش وهما بمعنى واحد وقال الزجاج وغيره بل المعنى فى القراءة الثانية وقولوا قولا حسنا بفتح الحاء والسين او قولا ذا حسن بضم الحاء وسكون السين فى الاولى قال ابن عباس معنى الكلام قولوا للناس لا اله الا الله ومروهم بها وقال ابن جريج قولوا لهم حسنا فى الاعلام بما فى كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقال سفيان الثوري معناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقال ابو العالية قولوا لهم الطيب من القول وحاوروهم باحسن ما تحبّون ان تحاوروا به وهذا حض على مكارم الاخلاق وزكاتهم هي التى كانوا يضعونها وتنزل النار على ما تُقُتِّلَ منها دون ما لم يتقبل * وقوله تعالى ثم توليتم الآية خطاب لمعاصرى النبيي صلى

الله عليه وسلم اسند اليهم تولى اسلافهم اذ هم كلهم بتلك القبيل قال نحوه ابن عباس وغيره والمراد بالقليل المستثنى جميع مومنيهم قديما من اسلافهم وحديثا كابن سلام وغيره والقلة على هذا هي فى عدد الاشخاص ويحتمل أن تكون القلة فى الايمان والاول اقوى * ص * الا قليلا منصوب على الاستثناء وهو الافصح لانه استثناء من موجب وروى عن ابى عَمْرٍو الا قليل بالرفع ووجهه ابن عطية على بدل قليل من ضمير توليتُمْ على ان معنى توليتم النفي اي لم يف بالميثاق الا قليل ورد بمنع النحويين البدل من الموجب لان البدل يحل محل المبدل منه فلو قلت قام الازيد لم يجز لان الا لا تدخل فى الموجب وتأويله الايجاب بالنفي يلزم فى كل موجب باعتبار نفي ضده او نقيضه فيجوز اذنْ قام القوم الازيد على تأويل لم يجلسوا الازيد ولم تبن العرب على ذلك كلامها وانما اجازوا قام القوم الازيد بالرفع على الصفة وقد عقد سيبويه لذلك بابا فى كتابه انتهى ودماءكم جمع دم وهو اسم منقوص اصله دمي ولا تخرجون انفسكم من دياركم معناه ولا ينفى بعضكم بعضا بالفتنة والبغي وكذلك حكم كل جماعة تخاطب بهذا اللفظ فى القول * وقوله تعالى ثم اقررتم اي خلفا بعد سلف ان هذا الميثاق اخذ عليكم وقوله وانتم تشهدون قيل الخطاب يُراد به من سلف منهم والمعنى وانتم شهود اي حُضور اخذ الميثاق والاقرار وقيل المراد من كان فى مدة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وانتم شهداء اي بيّنة ان الميثاق اخذ على اسلافكم فمنْ بعدهم منكم * وقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم الآية هؤلاء دالة على ان المخاطبة للحاضرين لا تحتمل ردا الى الاسلاف قيل تقدير الكلام يا هؤلاء فحذف حرف النداء ولا يحسن حذفه عند سيبويه مع المبهمات وقال الاستاذ الاجل ابو الحسن ابن احمد شيخنا هَؤُلاء رفع بالابتداء

وانتم خبر وتقتلون حال بها تَم المغنى وهي المقصود * ص * قال الشيخ ابو حيان ما نقله ابن عطية عن شيخه ابى الحسن بن البادش من جعله هؤلاء مبتدأ وانتم خبر مقدم لا ادرى ما العلة فى ذلك وفى عدوله عن جعل انتم مبتدأ وهؤلاء الخبر الى عكسه انتهى * ت * قيل العلة فى ذلك دخول هاء التنبيه عليه لاختصاصها باول الكلام ويدل على ذلك قولهم ها انا ذا قائما ولم يقولوا انا هذا قائما قال معناه ابن هشام فقائما فى المثال المتقدم نصب على الحال انتهى وهذه الآية خطاب لقريظة والنضير وبنى قينقاع وذلك ان النضير وقريظة حالفت الاوس وبنى قينقاع حالفت الخزرج فكانوا اذا وقعت الحرب بين بنى قيلة ذهبت كل طائفة من بنى اسراءيل مع احلافها فقتل بعضهم بعضا واخرج بعضهم بعضا من ديارهم وكانوا مع ذلك يفدى بعضهم اسرى بعض اتباعا لحكم التوراة وهم قد خالفوها بالقتال والاخراج والديار مبانى الاقامة وقال الخليل محلة القوم دارهم ومعنى تظاهرون تتعاونون والعدوان تجاوز الحدود والظلم وقرأ حمزة اسرى تفدوهم واسارى جمع اسير ماخوذ من الاسر وهو الشد ثم كثر استعماله حتى لزم وان لم يكن ثم ربط ولا شد واسير فعيل بمعنى مفعول وتفادوهم معناه فى اللغة تطلقونهم بعد ان تاخذوا عنهم شيأ وَقَالَ الثعْلَبي يقال فَدى اذا اعطى مالا واخذ رجلا وفادَى اذا اعطى رجلا واخذ رجلا فتفدوهم معناه بالمال وتفادوهم اي مفادات الاسير بالاسير انتهى * ت * وفى الحديث من قوْل العباس رضي الله عنه فانى فاديت نفسي وعقيلا وظاهره لا فرق بينهما * وقوله تعالى افتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض الآية والذى ءامنوا به فداء الاسارى والذى كفروا به قتل بعضهم بعضا واخراجهم من ديارهم وهذا توبيخ لهم وبيان لقبح فعلهم والخزي الفضيحة والعقوبة فقيل خزيهم ضرب الجزية عليهم غابر

الدهر وقيل قتل قريظة واجلاء النضير وقيل الخزي الذى تتوعد به الامة من الناس هو غلبة العدو والدنيا ماخوذة من دنا يدنو واصل الياء فيها واو ولكن ابدلت فرقا بين الاسماء والصفات واشد العذاب الخلود فى جهنم * وقوله تعالى وما الله بغافل عما يعملون قرأ نافع وابن كثير بياء على ذكر الغائب فالخطاب بالآية لامة محمد صلى الله عليه وسلم والآية واعظة لهم بالمعنى اذ الله تعالى بالمرصاد لكل كافر وعاص وقرأ الباقون بتاء على الخطاب لمن تقدم ذكره فى الآية قبل هذا وهو قوله افتومنون ببعض الكتاب الآية وهو الاظهر ويحتمل ان يكون لامة محمد صلى الله عليه وسلم فقد روي أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان بنى اسراءيل قد مضوا وانتم الذين تعنون بهذا يا امة محمد يريد هذا وما يجرى مجراه * وقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة الآية جعل الله ترك الآخرة واخذ الدنيا عوضا عنها مع قدرتهم على التمسك بالآخرة بمنزلة من اخذها ثم باعها بالدنيا فلا يخفف عنهم العذاب فى الآخرة ولا ينصرون لا فى الدنيا ولا فى الآخرة * ص * ولقد آتينا موسى الكتاب * اللام فى لقد يحتمل ان تكون توكيدا ويحتمل ان تكون جواب قسم وموسى هو المفعول الاول والكتاب الثانى وعكس السهيلي ومريم معناه فى السريانية الخادم وسميت به ام عيسى فصار علما عليها انتهى والكتاب التوراة وقفينا ماخوذ من القفا تقول قفيت فلانا بفلان اذا جئت به من قبل قفاه ومنه قفا يقفو اذا اتبع وكل رسول جاء بعد موسى فانما جاء باثبات التوراة والامر بلزومها الى عيسى عليهم السلام والبينات الحجج التى اعطاها الله عيسى وقيل هي ءاياته من احياء وابراء وخلق طير وقيل هي الانجيل والآية تعم ذلك وايدناه معناه قويناه والايد القوة قال ابن عباس روح القدس هو الاسم الذى كان يحي به الموتى وقال ابن

زيد هو الانجيل كما سمى الله تعالى القرءان روحا وقال السدي والضحاك والربيع وقتادة روح القدس جبريل عليه السلام وهذا أصح الاقوال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان اهج قريشا وروح القدس معك ومرة قال له وجبريل معك وكلما ظرف والعامل فيه استكبرتم وظاهر الكلام الاستفهام ومعناه التوبيخ روي ان بني اسراءيل كانوا يقتلون في اليوم ثلاثمائة نبيء ثم تقوم سوقهم ءاخر النهار وروي سبعين نبيأ ثم تقوم سوق بقلهم ءاخر النهار والهَوَى اكثر ما يستعمل فيما ليس بحق وهو في هذه الآية من ذلك لانهم انما كانوا يهوون الشهوات ومعنى قلوبنا غلف اي عليها غشاوات فهي لا تفقه قاله ابن عباس ثم بين تعالى سبب نفورهم عن الايمان انما هو انهم لُعنوا بما تقدم من كفرهم واجترامهم وهذا هو الجزاء على الذنب بذنب اعظم منه واللعن الابعاد والطرد وقليلا نعت لمصدر محذوف تقديره فايمانا قليلا ما يومنون والضمير في يومنون لحاضري محمد صلى الله عليه وسلم منهم وما في قوله ما يومنون زائدة موكدة * وقوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله الآية الكتاب القرءان ومصدقٌ لما معهم يعني التوراة ويستفتحون معناه ان بني اسراءيل كانوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علموا خروجه بما علموا عندهم من صفته وذكر وقته وظنوا انه منهم فكانوا اذا حاربوا الاوس والخزرج فغلبتهم العرب قالوا لهم لو قد خرج النبي الذي اظل وقته لقاتلناكم معه واستنصرنا عليكم به ويستفتحون معناه يستنصرون قال احمد بن نصر الداودي ومنه عسى الله ان ياتي بالفتح اي بالنصر انتهى وروى ابو بكر محمد بن حسين الآجُري عن ابن عباس قال كانت يهود خيبر يقاتلون غطفان فكلّما التقوا هزمت اليهود فعَاذَ اليهود يوما بالدعاء فقالوا اللهم انا نسألك بحق محمد النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا

فى ءاخر الزمان الا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا به فانزل الله عزوجل وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا والاستفتاح الاستنصار ووقع ليهود المدينة نحوهذا مع الانصار قبيل الاسلام انتهى من تأليف حسن بن علي بن عبد الملك الرهونى المعروف بابن القطان وهوكتاب نفيس جدا الفه فى معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وءايات نبوته وروي ان قريظة والنضير وجميع يهود الحجاز فى ذلك الوقت كانوا يستفتحون على سائر العرب وبسبب خروج النبي المنتظر كانت نقلتهم الى الحجاز وسكناهم به فانهم كانوا علموا صقع المبعث وما عرفوا هو محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ويظهر من هذه الآية العناد منهم وان كفرهم كان مع معرفة ومعاندة ولعنة الله ابعاده لهم وخزيهم لذلك وبيس اصله بَئِسَ سهلت الهمزة ونقلت حركتها الى الباء وما عند سيبويه فاعلة ببيس والتقدير بيس الذى اشتروا به انفسهم واشتروا بمعنى باعوا وما انزل الله يعنى به القرءان ويحتمل التوراة ويحتمل ان يراد الجميع من توراة وانجيل وقرءان لان الكفر بالبعض يستلزم الكفر بالكل ومن فضله يعنى من النبوءة والرسالة ومن يشاء يعنى به محمدا صلى الله عليه وسلم لانهم حسدوه لما لم يكن منهم وكان من العرب ويدخل فى المعنى عيسى صلى الله عليه وسلم لانهم كفروا به بغيا والله قد تفضل عليه وباءوا معناه مضوا متحملين لما يذكر انهم باءوا به وقال البخاري قال قتادة باءوا معناه انقلبوا انتهى وبغضب معناه من الله تعالى لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم على غضب متقدم من الله تعالى عليهم قيل لعبادتهم العجل وقيل لكفرهم بعيسى عليه السلام فالمعنى على غضب فدباء به اسلافهم حظ هؤلاء منه وافر بسبب رضاهم بتلك الافعال وتصويبهم لها ومهين ماخوذ من الهوان وهو الخلود

فى النار لان من لا يخلد من عصاة المسلمين انما عذابه كعذاب الذى يقام عليه الحد لا هوان فيه بل هو تطهير له * وقوله تعالى واذا قيل لهم يعنى لليهود امنوا بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرءان قالوا نومن بما انزل علينا يعنون التوراة ويكفرون بما وراءه قال قتادة اي بما بعده قال الفراء اي بما سواه ويعنى به القرءان ووصف تعالى القرءان بانه الحق ومصدقا حال موكدة عند سيبويه * وقوله تعالى قل فلم تقتلون انبئاء الله من قبل ان كنتم مومنين رد من الله تعالى عليهم وتكذيب لهم فى ذلك واحتجاج عليهم * وقوله تعالى ولقد جاءكم موسى بالبينات البينات التوراة والعصا وفرق البحر وسائر الآيات وخذوا ما ءاتيناكم يعنى التوراة والشرع بقوة اي بعزم ونشاط وجد واشربوا فى قلوبهم العجل اي حب العجل والمعنى جعلت قلوبهم تشربه وهذا تشبيه ومجاز عبارة عن تمكن امر العجل فى قلوبهم * وقوله تعالى بكفرهم يحتمل ان تكون باء السبب ويحتمل ان تكون بمعنى مع * وقوله تعالى قل بيسما يامركم به إيمانكم امر لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يوبخهم لانه بيس هذه الاشياء التى فعلتم وامركم بها ايمانكم الذى زعمتم فى قولكم نومن بما انزل علينا * وقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة الآية امر لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يوبخهم والمعنى ان كان لكم نعيمها وحظوتها وخيرها فذلك يقتضى حرصكم على الوصول اليها فتمنوا الموت والدار اسم كان وخالصة خبرها ومن دون الناس يحتمل ان يراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه ويحتمل ان يراد العموم وهذه ءاية بينة اعطاها الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لان اليهود قالت نحن ابناء الله واحباؤه وشبه ذلك من القول فامر الله نبيه ان يدعوهم الى تمنى الموت وان يعلمهم انه من تمناه منهم مات ففعل

النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فعلموا صدقه فَأَحْجَمُوا عن تمنيه فَرَقًا من الله لقبح افعالهم ومعرفتهم بكذبهم وحرصا منهم على الحياة وقيل ان الله تعالى منعهم من التمنى وقصرهم على الامساك عنه لتظهر الآية لنبيه صلى الله عليه وسلم * ت * قال عياض ومن الوجوه البينة فى اعجاز القرءان ءاي وردت بتعجيز قوم فى قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال ابو اسحاق الزجاج فى هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانهُ قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنَّهُ وَاحِد منهم وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يقولها رجل منهم الاغص بريقه يعنى يموت مكانه قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انهُ لا توجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله تعالى بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم انتهى من الشفا والمراد بقوله تمنوا اريدوهُ بقلوبكم واسألوهُ هذا قول جماعة من المفسرين وقال ابن عباس المراد به السؤال فقط وان لم يكن بالقلب ثم اخبر تعالى عنهم بعجزهم وانهم لا يتمنونه ابدا واضاف ذنوبهم واجترامهم الى الايدى اذ الاكثر من كسب العبد الخير والشر انما هو بِيَدَيْهِ فحمل جميعُ الاشياء على ذلك * وقوله تعالى والله عليم بالظالمين ظاهره الخبر ومضمنه الوعيد لان الله سبحانه عليم بالظالمين وغيرهم ففائدة تخصيصهم حصول الوعيد * وقوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة الآية وحرصهم على الحياة لمعرفتهم بذنوبهم وان لا خير لهم عند الله تعالى * وقوله تعالى ومن الذين اشركوا قيل المعنى واحرص من الذين اشركوا لان مشركى العرب لا يعرفون الا هذه الحياة الدنيا والضمير فى احدهم يعود فى

هذا القول على اليهود وقيل ان الكلام تم فى حياة ثم استؤنف الاخبار عن طائفة من المشركين انهم يود احدهم لو يعمر الف سنة والزحزحة الابعاد والتنحية وفى قوله تعالى والله بصير بما يعملون وعيد * وقوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل الآية اجمع اهل التفسير ان اليهود قالت جبريل عدونا واختلف فى كيفية ذلك فقيل ان يهود فدك قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نسألك عن اربعة اشياء فان عرفتها اتبعناك فسألوه عما حرم اسراءيل على نفسه فقال لحوم الابل والبانها وسألوه عن الشبه فى الولد فقال اي ماء علا كان له الشبه وسألوه عن نومه فقال تنام عيني ولا ينام قلبي وسألوه عن من يجيئه من الملائكة فقال جبريل فلما ذكره قالوا ذاك عدونا لانه ملك الحرب والشدائد والجدب ولو كان الذى يجيئك ميكائل ملك الرحمة والخصب والامطار لا تبعناك وفى جبريل لغات جبريل بكسر الجيم والراء من غير همز وبها قرأ نافع وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وبها قرأ ابن كثير وروي عنه انه قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى النوم وهو يقرأ جبريل وميكال فلا ازال اقرأها ابدا كذلك * ت * يعني والله اعلم مع اعتماده على روايتها قال الثعلبي والصحيح المشهور عن ابن كثير ما تقدم من فتح الجيم لا ما حكي عنه فى الرؤيا من كسرها انتهى وذكر ابن عباس وغيره ان جبر وميك واسراف هي كلها بالاعجمية بمعنى عبد ومملوك وايل الله * وقوله تعالى فانه نزله على قلبك الضمير فى انه عائد على الله تعالى وفى نزله عائد على جبريل اي بالقرءان وسائر الوحي وقيل الضمير فى انه عائد على جبريل وفى نزله عائد على القرءان وخص القلب بالذكر لانه موضع العقل والعلم وتلقى المعارف وباذن الله معناه بعلمه وتمكينه اياه من هذه المنزلة ومصدقا حال من ضمير القرءان

فى نزله وما بين يديه ما تقدمه من كتب الله تعالى وهدى اي ارشاد * وقوله تعالى من كان عدوّا لله الآية وعيد وذم لمعادى جبريل واعلام ان عداوة البعض تقتضى عداوة الله لهم وعطف جبريل وميكائل على الملائكة وقد كان ذكر الملائكة عمهما تشريفا لهما وقيل خُصَّا لان اليهود ذكروهما ونزلت الآية بسببهما فذكرا ليلا تقول اليهود انا لم نُعَادِ الله وجميع ملائكته وعداوة العبد لله هي مَعْصِيَتُهُ وترك طاعته ومعاداة اوليائه وعداوة الله للعبد تعذيبه واظهار اثر العداوة عليه * وقوله تعالى او كلما عاهدوا عهدا الآية قال سيبويه الواو للعطف دخلت عليها الف الاستفهام والنبذ الطرح ومنه المنبوذ والعهد الذى نبذوه هو ما أُخِذَ عليهم فى التوراة من امر النبي صلى الله عليه وسلم ولما جاءهم رسول من عند الله هو محمد صلى الله عليه وسلم ومصدِّقٌ نعت لرسول وكتاب الله القرءان وقيل التوراة لان مخالفتها نبذٌ لَهَا وَرَاء ظهورهم مثل لان ما يجعل ظهريا فقد زال النظر اليه جملة والعرب تقول جعل هذا الامر وراء ظهره ودبر اذنه وكانهم لا يعلمون تشبيه بمن لا يعلم فيجيء من اللفظ انهم كفروا على علم * وقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين الآية يعنى اليهود وتتلوا قال عطاء معناه تقرأ وقال ابن عباس تتلوا تتبع وعلى ملك سليمان اي على عهد ملك سليمان وقال الطبري اتبعوا بمعنى فَضَّلُوا وعلى ملك سليمان اي على شرعه ونبوته والذى تلته الشياطين قيل انهم كانوا يلقون الى الكهنة الكلمة من الحق معها المائة من الباطل حتى صار ذلك علمهم فجمعه سليمان ودفنه تحت كرسيه فلما مات اخرجته الشياطين وقالت ان ذلك كان علم سليمان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر سليمان عليه السلام فى الانبياء قال بعض اليهود انظروا الى محمد يذكر سليمان فى الانبياء وما كان الا ساحرا * وقوله تعالى وما كفر سليمان تبرئة من الله تعالى

لسليمان عليه السلام والسحر والعمل به كفر ويقتل الساحر عند مالك كفرا ولا يستتاب كالزنديق وقال الشافعي يسأل عن سحره فان كان كفرا استتيب منه فان تاب والا قتل وقال مالك فيمن يعقد الرجال عن النساء يعاقب ولا يقتل والناس المعلّمون اتباع الشياطين من بنى اسراءيل وما انزل على الملكين ما عطف على السحر فهي مفعولة وهذا على القول بان الله تعالى انزل السحر على الملكين ليكفر به من اتبعهُ ويومن به من تركه او على قول مجاهد وغيره ان الله تعالى انزل على الملكين الشيء الذى يفرق به بين المرء وزوجه دون السحر او على القول ان الله تعالى انزل السحر عليهما ليُعلَم على جهة التحذير منه والنهي عنه قال * ع * والتعليم على هذا القول انما هو تعريف يسير بمباديه وقيل انما عطف على ما فى قوله ما تتلوا وقيل ما نافية رد على قوله وما كفر سليمان وذلك ان اليهود قالوا ان الله تعالى انزل جبريل وميكائل بالسحر فنفى الله ذلك * ت * قال عياض والقراءة بكسر اللام من الملكين شاذة وبابل قطر من الارض وهاروت وماروت بدل من الملكين وما يذكر فى قصتهما مع الزهرة كله ضعيف وكذا قال * ع * ت * قال عياض واما ما ذكره اهل الاخبار ونقله المفسرون فى قصة هاروت وماروت وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما فى خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئاً يوخذ بقياس والذى منه فى القرءان اختلف المفسرون فى معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الآيات انتهى انظره * وقوله تعالى وما يعلمان الآية ذكر ابن الاعرابي فى الياقوتة ان يُعَلّمان بمعنى يُعْلِمان ويشعران كما قال كعب بن زهير

تعلم رسول الله انك مدركـي * وان وعيدا منك كالاخذ باليـد

وحمل هذه الآية على ان الملكين انما نزلا يُعَلِّمان بالسحر وينهيان عنه وقال الجمهور بل التعليم على عرفه * ص * وقوله تعالى من احد من هنا زائدة مع المفعول لتأكيد استغراق الجنس لان احدا من الفاظ العموم انتهى ويفرقون معناه فرقة العصمة وقيل معناه يُوَخِّذُونَ الرجل عن المرأة حتى لا يقدر على وطئها فهي ايضا فرقة وباذن الله معناه بعلمه وتمكينه ويضرهم معناه فى الآخرة والضمير فى علموا عائد على بنى اسراءيل وقال اشتراه لانهم كانوا يعطون الاجرة على ان يُعَلَّموا والخلاق النصيب والحظ وهو هنا بمعنى الجاه والقدر واللام فى قوله لمن للقسم الموذنة بان الكلام قسم لا شرط * م * ولبيس ما ابو البقاء جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي السحر او الكفر والضمير فى به عائد على السحر او الكفر انتهى وشروا معناه باعوا والضمير فى يعلمون عائد على بنى اسراءيل اتفاقا ولوانهم ءامنوا يعنى الذين اشتروا السحر وجواب لو لمثوبة والمثوبة عند الجمهور بمعنى الثواب وقوله سبحانه لوكانوا يعلمون يحتمل نفي العلم عنهم ويحتمل لوكانوا يعلمون علما ينفع وقرأ جمهور الناس راعنا من المراعاة بمعنى فاعِلْنا اي ارعنا نرعك وفى هذا جفاء أنْ يخاطب به احدٌ نبيّه وقد حض الله تعالى على خفض الصوت عنده وتعزيره وتوقيره وقالت طائفة هي لغة للعرب فكانت اليهود تصرفها الى الرعونة يظهرون انهم يريدون المراعاة ويبطنون انهم يريدون الرعونة التى هي الجهل فنهى الله المومنين عن هذا القول سدا للذريعة ليلا يتطرق منه اليهود الى المحظور وانظرنا معناه انتظرنا وامهل علينا ويحتمل ان يكون المعنى تفقدنا من النظر والظاهر عندى استدعاء نظر العين المقترن بتدبر الحال ولما نهى الله تعالى فى هذه الآية وامر حض بعد على السمع الذى فى ضمنه الطاعة وأَعلَمَ

ان لمن خالف امره فكفر عذابا اليما وهو المولم واسمعوا معطوف على قولوا لا على معمولها * وقوله سبحانه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب الآية يتناول لفظ الآية كل خير والرحمة فى هذه الآية عامة لجميع انواعها وقال قوم الرحمة القرءان * وقوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها الآية النسخ فى كلام العرب على وجهين احدهما النقل كنقل كتاب من ءاخر وهذا لا مدخل له فى هذه الآية وورد فى كتاب الله تعالى فى قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الثانى الازالة وهو الذى فى هذه الآية وهو منقسم فى اللغة على ضربين احدهما يثبت الناسخ بعد المنسوخ كقولهم نسخت الشمس الظل والآخر لا يثبت كقولهم نسخت الريح الاثر وورد النسخ فى الشرع حسب هذين الضربين وحد الناسخ عند حذاق اهل السنة الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه * ت * قال ابن الحاجب والنسخ لغة الازالة وفى الاصطلاح رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر انتهى من مختصره الكبير والنسخ جائز على الله تعالى عقلا لانه لا يلزم عنه محال ولا تغيير صفة من صفاته تعالى وليست الاوامر متعلقة بالارادة فيلزم من النسخ ان الارادة تغيرت ولا النسخ لطرو علم بل الله تعالى يعلم الى اي وقت ينتهى امره بالحكم الاول ويعلم نسخه له بالثانى والبدا لا يجوز على الله تعالى لانه لا يكون الا لطرو علم او لتغير ارادة وذلك محال فى جهة الله تعالى وجعلت اليهود النسخ والبدا واحدا فلم يجوزوه فضلوا والمنسوخ عند ائمتنا الحكم الثابت نفسه لا ما ذهبت اليه المعتزلة من انه مثل الحكم الثابت فيما يستقبل والذى قادهم الى ذلك مذهبهم فى ان الاوامر مرادة وان الحسن صفة نفسية للحسن ومراد الله تعالى حسن وقد قامت الادلة على ان الاوامر لا ترتبط بالارادة وعلى ان الحسن

والقبح فى الاحكام انما هو من جهة الشرع لا بصفة نفسية والتخصيص من العموم يوهم انه نسخ وليس به لان المخصص لم يتناوله العموم قط ولو تناوله العموم لكان نسخا والنسخ لا يجوز فى الاخبار وانما هو مختص بالاوامر والنواهى ورد بعض المعترضين الامر خبرا بان قال أليس معناه واجب عليكم ان تفعلوا كذا فهذا خبر والجواب ان يقال ان فى ضمن المعنى الا ان انسخه عنكم وارفعه فكما تضمن لفظ الامر ذلك الاخبار كذلك تضمن هذا الاستثناء وصور النسخ تختلف فقد ينسخ الاثقل الى الاخف و بالعكس وقد ينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة وقد ينسخ الشيء لا الى بدل وقد تنسخ التلاوة دون الحكم و بالعكس والتلاوة والحكم حكمان فجائز نسخ احدهما دون الآخر ونسخ القرءان بالقرءان و ينسخ خبر الواحد بخبر الواحد وهذا كله متفق عليه وحذاق الائمة على ان القرءان ينسخ بالسنة وذلك موجود فى قوله عليه السلام لا وصية لوارث وهو ظاهر مسائل مالك

* ت * ويعنى بالسنة الناسخة للقرءان الخبر المتواتر القطعى وقد اشار الى ان هذا الحديث مُتَوَاتِرٌ ذكره عند تفسير قوله تعالى اذا حضر احدكم الموت واختلف القراء فى قراءة قوله تعالى او ننسها فقرأ ابن كثير وابو عمرو ننسأها بنون مفتوحة واخرى ساكنة وسين مفتوحة والف بعدها مهموزة وهذه بمعنى التأخير واما قراءة نافع والجمهور ننسها من النسيان وقرأت ذلك فرقة الا انها همزت بعد السين فهذه بمعنى التأخير والنسيان فى كلام العرب يجيء فى الاغلب ضد الذكر وقد يجيء بمعنى الترك فالمعانى الثلاثة مقولة فى هذه القراءات فما كان منها يترتب فى لفظه النسيان الذى هو ضد الذكر فمعنى الآية به ما ننسخ من ءاية او نقدر نسيانك لها فانا ناتى بخير منها لكم او مثلها فى المنفعة وما كان على معنى الترك او على معنى التأخير فيترتب فيه معان انظرها ان شئت فانى ءاثرت

الاختصار * ع * والصحيح ان نسيان النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد الله ان ينساه ولم يرد ان يثبته قرءانا جائز فاما النسيان الذى هو ءافة فى البشر فالنبي صلى الله عليه وسلم معصوم منه قبل التبليغ وبعد التبليغ ما لم يحفظه احد من أصحابه واما بعد ان يحفظ فجائز عليه ما يجوز على البشر لانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ وادى الامانة ومنه الحديث حين اسقط ءاية فلما فرغ من الصلاة قال افى القوم ابي قال نعم يا رسول الله قال فلم لم تذكرنى قال حسبت انها رفعت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم ترفع ولكنى نسيتها * وقوله تعالى الم تعلم معناه التقرير ومعنى الآية ان الله تعالى ينسخ ما شاء ويثبت ما شاء ويفعل فى احكامه ما شاء هو قدير على ذلك وعلى كل شيء وهذا لإنكارِ اليهودِ النسخَ وقوله على كل شيء عموم معناه الخصوص اذ لا تدخل فيه الصفات القديمة بدليل العقل ولا المحالات لانها ليست باشياء والشيء فى كلام العرب الموجود وقدير اسم فاعل على المبالغة قال القشيرى وان من علم ان مولاه قدير على ما يريد قطع رجاءه عن الاغيار كما قال تعالى عن ابراهيم عليه السلام ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع قال اهل الاشارة معناه سهلت طريقهم اليك وقطعت رجاءهم عن سواك ثم قال ليقيموا الصلاة اي شغلتهم بخدمتك وانت اولى بهم فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم اي اذا احتاجوا شيأ فذلل عبادك لهم واوصل بكرمك رعايتهم اليهم فانك على ذلك قدير وان من لزم بابه اوصل اليه محابه وكفاه اسبابه وذلل له كل صعب واورده كل سهل عذب من غير قطع شقة ولا تحمل مشقة انتهى من التحبير * وقوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الآية الملك السلطان ونفوذ الامر والارادة وجمع الضمير فى لكم دالٌّ على ان المراد بخطاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خطاب امته * وقوله تعالى ام

تريدون ان تسألوا رسولكم الآية قال ابو العالية ان هذه الآية نزلت حين قال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم ليت ذنوبنا جرت مجرى ذنوب بني اسراءيل في تعجيل العقوبة في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اعطاكم الله خيرا مما اعطى بني اسراءيل وتلا ومن يعمل سوءا اويظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال ابن عباس سَبَبُهَا ان رافع بن حريملة اليهودي سأل النبي صلى الله عليه وسلم تفجير عيون وغير ذلك وقيل غير هذا وما سئل موسى عليه السلام هو أن يري الله جهرة وكنى عن الاعراض عن الايمان والاقبال على الكفر بالتبدل وضل اخطأ الطريق والسواء من كل شيء الوسط والمعظم ومنه في سواء الجحيم وقال حسان بن ثابت في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم

يا ويح انصار النبي ورهطه * بعد المغيّب في سواء الملحد

والسبيل عبارة عن الشريعة التي انزلها الله تعالى لعباده * وقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا الآية قال ابن عباس المراد ابنا اخطب حيي وابو ياسر اي واتباعهما واختلف في سبب هذه الآية فقيل ان حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر اتيا بيت المدراس فاراد اليهود صرفهما عن دينهما فثبتا عليه ونزلت الآية وقيل ان هذه الآية تابعة في المعنى لما تقدم من نهي الله عزوجل عن متابعة اقوال اليهود في راعنا وغيره وانهم لا يودون ان ينزل على المومنين خير ويودون ان يردوهم كفارا من بعد ما تبين لهم الحق وهو نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم * ت * وقد جاءت احاديث صحيحة في النهي عن الحسد فمنها حديث مالك في الموطإ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث واسند ابوعمر بن عبد البر عن الزبير قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء حالقتا الدين لا حالقتا الشعر انتهى من التمهيد والعفو ترك العقوبة والصفح الاعراض عن المذنب كانه يولى صفحة العنق قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون الآية الى قوله صاغرون وقيل بقوله اقتلوا المشركين وقال قوم ليس هذا حد المنسوخ لان هذا فى نفس الامر كان التوقيف على مدته * ت * وينبغي للمومن ان يتأدب بآداب هذه الآية وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا ادلكم على ما يرفع الله به الدرجات قالوا نعم يا رسول الله قال تحلم علَى من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك خرجه النسائى انتهى من الكوكب الدرى لابى العباس احمد بن سعد التُّجيبيّ * وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير مقتضاه فى هذا الموضع وعد للمومنين وقوله تعالى واقيموا الصلاة الآية قال الطبرى انما امر الله المومنين هنا بالصلاة والزكاة ليحط ما تقدم من ميلهم الى قول اليهود راعنا لان ذلك نهي عن نوعه وقوله تجدوه اي تجدوا ثوابه وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده قال جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مالى لا احب الموت فقال هل لك مال قال نعم يا رسول الله قال فقدّم مالك بين يديك فان المرء مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب التخلف انتهى * وقوله تعالى ان الله بما تعملون بصير خبر فى اللفظ معناه الوعد والوعيد وقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى معناه قال اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقال النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فجمع قولهم ودل تفريق نوعيهم على تفريق قوليهم وهذا هو الايجاز واللف وهودا جمع هائد ومعناه التائب الراجع وكذبهم الله

تعالى وجعل قولهم امنية وامر نبيه عليه السلام بدعائهم الى اظهار البرهان وهو الدليل الذى يوقع اليقين وقولهم لن نفي حسنت بعده بلى اذ هي رد بالايجاب فى جواب النفي حرف مرتجل لذلك واسلم معناه استسلم وخضع ودان وخص الوجه بالذكر لكونه اشرف الاعضاء وفيه يظهر اثر العز والذل وهو محسن جملة فى موضع الحال وقوله تعالى وقالت اليهود الآية معناه انه ادعى كل فريق انه احق برحمة الله من الآخر وسبب الآية ان نصارى نجران اجتمعوا مع يهود المدينة عند النبي صلى الله عليه وسلم فتسابوا وكفر اليهود بعيسى وبملته وبالانجيل وكفر النصارى بموسى وبالتوراة * ع * وفى هذا من فعلهم كفر كل طائفة بكتابها لان الانجيل يتضمن صدق موسى وتقرير التوراة والتوراة تتضمن التبشير بعيسى وكلاهما يتضمن صدق النبي صلى الله عليه وسلم فعنفهم الله تعالى على كذبهم وفى كتبهم خلاف ما قالوا وفى قوله تعالى وهم يتلون الكتاب تنبيه لامة محمد صلى الله عليه وسلم على ملازمة القرءان والوقوف عند حدوده والكتاب الذى يتلونه قيل هو التوراة والانجيل فالالف واللام للجنس وقيل التوراة لان النصارى تمتثلها * وقوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون يعنى كفار العرب لانهم لاكتاب لهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة الآية اي فيثيب من كان على شيء ويعاقب من كان على غير شيء ومن اظلم ممن منع مساجد الله الآية اي لا احد اظلم من هؤلاء قال ابن عباس وغيره المراد النصارى الذين كانوا يوذون من يصلى ببيت المقدس وقال ابن زيد المراد كفار قريش حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وهذه الآية تتناول كل من منع من مسجد الى يوم القيامة * وقوله سبحانه اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين الآية فمن جعل الآية فى النصارى

روى انه مر زمن بعد ذلك لا يدخل نصرانى بيت المقدس الا اوجع ضربا قاله قتادة والسدى ومن جعلها فى قريش قال كذلك نودي بامر النبي صلى الله عليه وسلم الا يحج مشرك والا يطوف بالبيت عريان واينما شرط وتولوا جزم به وثَم جوابه ووجه الله معناه الذى وجهنا اليه كما تقول سافرت فى وجه كذا اي فى جهة كذا ويتجه فى بعض المواضع من القرءان كهذه الآية ان يراد بالوجه الجهة التى فيها رضاه وعليها ثوابه كما تقول تصدقت لوجه الله ويتجه فى هذه الآية خاصة ان يراد بالوجه الجهة التى وجهنا اليها فى القبلة واختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال ابن عمر نزلت هذه الآية فى صلاة النافلة فى السفر حيث توجهت بالانسان دابته وقال النخعى الآية عامة اينما تولوا فى متصرفاتكم ومساعيكم فثم وجه الله اي موضع رضاه وثوابه وجهة رحمته التى يوصل اليها بالطاعة وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة نزلت فيمن اجتهد فى القبلة فاخطأ وورد فى ذلك حديث رواه عامر بن ربيعة قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر فى ليلة مظلمة فتحرى قوم القبلة وأعلَموا علامات فلما اصبحوا رأوا انهم قد اخطئوها فعرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت هذه الآية وقيل نزلت الآية حين صد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت وواسع معناه متسع الرحمة عليم اين يضعها وقيل واسع معناه هنا انه يوسع على عباده فى الحكم دينه يسر عليم بالنيات التى هي ملاك العمل *

وقوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه الآية اختلف على من يعود ضمير قالوا فقيل على النصارى وهو الاشبه وقيل على اليهود لانهم قالوا عزير بن الله وقيل على كفرة العرب لانهم قالوا الملائكة بنات الله * ت * وقال ابو عبد الله اللخمي ويحتمل ان يعنى بالآية كل من تقدم ذكره من الكفرة وقد تقدم ذكر اليهود

والنصارى والذين لا يعلمون وهم المشركون وكلهم قد ادعى لله ولدا تعالى الله عن قولهم انتهى من مختصر الطبرى وسبحانه مصدر معناه تنزيها له وتبرئة مما قالوا والقنوت فى اللغة الطاعة والقنوت طول القيام فمعنى الآية ان المخلوقات تقنت لله اي تخشع وتطيع والكفار قنوتهم فى ظهور الصنعة عليهم وفيهم وقيل الكافر يسجد ظله وهو كاره و بديع مصروف من مبدع والمبدع المخترع المنشئ وخص السماوات والارض بالذكر لانها اعظم ما نرى من مخلوقاته جل وعلا وقضى معناه قدر وقد يجيء بمعنى امضى ويتجه فى هذه الآية المعنيان والامر واحد الامور وليس هو هنا بمصدر امر يامر وتلخيص المعتقد فى هذه الآية ان الله عز وجل لم يزل آمرا للمعدومات بشرط وجودها قادرا مع تأخر المقدورات عالما مع تأخر وقوع المعلومات فكل ما فى الآية مما يقتضى الاستقبال فهو بحسب المامورات اذ المحدثات تجيء بعد ان لم تكن وكل ما يستند الى الله تعالى من قدرة وعلم وامر فهو قديم لم يزل والمعنى الذى تقتضيه عبارة كن هو قديم قائم بالذات والوضوح التام فى هذه المسألة يحتاج اكثر من هذا البسط * ت * وقد قدمنا ما يزيد هذا المعنى وضوحا عند قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فانظره * وقوله تعالى وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله الآية قال الربيع والسدى هم كفار العرب وقد طلب عبد الله بن امية وغيره من النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا وقال مجاهد هم النصارى وقال ابن عباس المراد من كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود لان رافع بن حُرَيْمِلَةَ قال للنبي صلى الله عليه وسلم اسمعنا كلام الله وقيل الاشارة الى جميع هذه الطوائف لانهم كلهم قالوا هذه المقالة ولولا تحضيض بمعنى هلا والآية هنا العلامة الدالة والذين من قبلهم هم اليهود والنصارى فى قول من جعل الذين لا يعلمون كفار العرب وهم

اليهود فى قول من جعل الذين لا يعلمون النصارى وهم الامم السالفة فى قول من جعل الذين لا يعلمون العرب والنصارى واليهود وتشابه القلوب هنا فى طلب ما لا يصح او فى الكفر * وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون قرينة تقتضى ان اليقين صفة لعلمهم وقرينة اخرى ان الكلام مدح لهم * وقوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا اي لمن ءامن ونذيرا لمن كفر وقرأ نافع وحده ولا تسأل اي لا تسأل عن شدة عذابهم كما تقول فلان لا تسأل عنه تعنى انه فى نهاية تشهره من خير او شر * ت * و زاد فى مختصر الطبرى قال وتحتمل هذه القراءة معنى ءاخر وهو والله اعلم اظهر اي ولا تسأل عنهم سؤال مكترث بما اصابهم او بما هم عليه من الكفر الذى يوردهم الجحيم نظير قوله عزوجل فلا تذهب نفسك عليهم حسرات واما ما روي عن محمد بن كعب القرظى ومن وافقه من ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل ما فعل ابواي فنزلت الآية فى ذلك فهو بعيد ولا يتصل ايضا بمعنى ما قبله انتهى وقرأ باقى السبعة ولا تسأل بضم التاء واللام والجحيم احدى طبقات النار وقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى اي ما انت عليه يا محمد من هدى الله هو الهدى الحقيقى لا ما يدعيه هؤلاء ثم قال تعالى لنبيه ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير فهذا شرط خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامته معه داخلة فيه * ت * والأدب ان يقال خوطب به صلى الله عليه وسلم والمراد امته لوجود عصمته صلى الله عليه وسلم وكذلك الجواب فى سائر ما اشبه هذا المعنى من الآي وقد نبه رحمه الله على هذا المعنى فى نظيرتها كما سياتى وكان الاولى ان ينبه على ذلك هنا ايضا وقد اجاب عياض عن الآي الواردة فى القرءان مما يوهم ظاهره اشكالا فقال رحمه الله اعلم وفقنا الله

واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يتقول على الله ما لا يجب او يفترى عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله امره بالمكاشفة والبيان فى البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذا البيان فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون عليهما السلام لا تخافا لتشتد بصائرهمْ فى الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهمْ خوف العدو المضعف لليقين واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لوكنت ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله وكذلك قوله تعالى وان تطع اكثر من فى الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله ان يشإ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذا حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله يَنْهَاهُ عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين انتهى من الشفا * ص * ولئن هذه اللام هي الموطئة والمؤذنة وهي مشعرة بقسم مقدر قبلها انتهى * وقوله تعالى الذين ءاتيناهم الكتاب يتلونه الآية قال قتادة المراد بالذين فى هذا الموضع من اسلم من امة النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا التأويل القرءان وقال ابن زيد المراد من اسلم من بنى اسراءيل والكتاب على هذا التأويل التوراة وءاتيناهم معناه اعطيناهم ويتلونه معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال الامر والنهي قال احمد بن نصّر الداودى وهذا قول ابن عباس قال عكرمة يقال فلان يتلو فلانا اي يتبعه ومنه والقمر اذا

تلاها اي تبعها انتهى ولله در من اتبع كلام ربه واقتفى سنة نبيه وان قل عِلْمه قال القضاعي فى اختصاره للمدارك قال فى ترجمة سحنون كان سحنون يقول مثل العلم القليل فى الرجل الصالح مثل العين العذبة فى الارض العذبة يزرع عليها صاحبها ما ينتفع به ومثل العلم الكثير فى الرجل الطالح مثل العين الخرارة فى السبخة تهر الليل والنهار ولا ينتفع بها انتهى وقيل يتلونه يقروونه حق قراءته وهذا ايضا يتضمن الاتباع والامتثال وحق مصدر وهو بمعنى افعل والضمير فى به عائد على الكتاب وقيل يعود على محمد صلى الله عليه وسلم لان متبعي التوراة يجدونه فيها فيومنون به والضمير فى يكفر به يحتمل من العود ما ذكر فى الاول * وقوله تعالى يا بنى اسراءيل الآية تقدم بيان نظيرها ومعنى لا تنفعها شفاعة انه ليست ثم وليس المعنى انه يشفع فيهم احد فيرد واما الشفاعة التى هي فى تعجيل الحساب فليست بنافعة لهؤلاء الكفرة * ت * ولم ينبه رحمه الله على هذا فى التى تقدمت اول السورة وابتلى معناه اختبر وفى مختصر الطبرى ابتلى اي اختبر والاختبار من الله عزوجل لعباده على علم منه سبحانه بباطن امرهم وظاهره وانما يبتليهم ليظهر منهم سابق علمه فيهم وقد روي ذلك عن علي رضي الله عنه فى قوله عزوجل ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم فقال رضي الله عنه ان الله عزوجل لم يزل عالما بأخبارهم وخُبْرِهم وماهم عليه وان قوله ولنبلونكم حتى نعلم اي حتى نسوقكم الى سابق علمي فيكم انتهى وهو كلام حسن وقد نبه * ع * على هذا المعنى فيما ياتى والعقيدة ان علمه سبحانه قديم عَلِمَ كل شيء قبل كونه فجرى على قدره لا يكون من عباده قول ولا عمل الا وقد قضاه وسبق علمه به سبحانه لا اله الا هو وابراهيم يقال ان تفسيره بالعربية اب رحيم واختلف اهل التأويل فى الكلمات فقال ابن عباس هي ثلاثون سهما

هي الاسلام كله لم يتمه احد كاملا الا ابراهيم عليه السلام عشرة منها فى براءة التائبون العابدون الآية وعشرة فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الآية وعشرة فى سال سائل * ت * وقيل غير هذا وفى البخارى انه اختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم قال الراوى فاوحى الله اليه انى جاعلك للناس اماما والامام القدوة وانما سميت هذه الخصال كلمات لانها اقترنت بها اوامر هي كلمات وروي ان ابراهيم لما أتم هذه الكلمات او اتمها الله عليه كتب الله له البراءة من النار فذلك قوله تعالى وابراهيم الذى وفى * وقول ابراهيم عليه السلام ومن ذريتى هو على جهة الرغباء الى الله اي ومن ذريتى يا رب فاجعل * وقوله تعالى قال لا ينال عهدي الظالمين اي قال الله والعهد فيما قال مجاهد الامامة وقوله تعالى واذ جعلنا البيت اي الكعبة مثابة يحتمل من ثاب اذا رجع ويحتمل ان تكون من الثواب اي يثابون هناك وامنا للناس والطير والوُحُوش اذ جعل الله لها حرمة فى النفوس بحيث يلقى الرجل بها قاتل ابيه فلا يهيجه وقرأ جمهور الناس واتخذوا بكسر الخاء على جهة الامر لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء على جهة الخبر عن اتخذه من متبعى ابراهيم عليه السلام ومقام ابراهيم فى قول ابن عباس وقتادة وغيرهما وخرجه البخاري هو الحجر الذى ارتفع عليه ابراهيم حين ضعف عن رفع الحجارة التى كان اسماعيل يناوله اياها فى بناء البيت وغَرقت قدماه فيه ومُصَلًّى موضع صلاة * ص * من مقام من تبعيضية على الاظهر او بمعنى فى او زائدة على مذهب الاخفش والمقام مفعل من القيام والمراد به هنا المكان انتهى يعنى المكان الذى فيه الحجر المسمى بالمقام * وقوله تعالى وعهدنا العهد فى اللغة على اقسام هذا منها الوصية بمعنى الامر وطَهِّرَا قيل معناه ابنياه واسساه على طَهَارَةٍ ونية طَهَارَةٍ وقال

مجاهد هو امر بالتطهير من عبادة الاوثان وللطائفين ظاهره اهل الطواف وَقَالَهُ عطاء وغيره وقال ابن جبير معناه للغرباء الطارئين على مكة والعاكفين قال ابن جبير هم اهل البلد المقيمون وقال عطاء هم المجاورون بمكة وقال ابن عباس المصلون وقال غيره المعتكفون والعكوف في اللغة الملازمة * وقوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بَلَدًا آمِنًا اي من الجبابرة والعدو المستاصل وروي ان الله تعالى لما دعاه ابراهيم امر جبريل فاقتلع فلسطين وقيل بقعة من الاُرْدُنّ فطاف بها حول البيت سبعا وانزلها بوج فسميت الطائف بسبب الطواف * وقوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا الآية قال ابي بن كعب وابن اسحاق وغيرهما هذا القول من الله عز وجل لابراهيم وقال ابن عباس وغيره هذا القول من ابراهيم قال * ع * فكان ابراهيم دعا للمومنين وعلى الكافرين وفي مختصر الطبري وقرأ بعضهم فامتعه بالجزم والقطع على الدعاء ورواه دعاء من ابراهيم وروي ذلك عن ابي العالية كان ابن عباس يقول ذلك قول ابراهيم سأل ربه ان من كفر به فامتعه قليلا يقول فارزقه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اي الجئه انتهى وعلى هذِهِ القراءة يجيء قول ابن عباس لا على قراءة الجمهور وقليلا معناه مدة العمر لان متاع الدنيا قليل * وقوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت الآية القواعد جمع قاعدة وهي الاساس * ص * القواعد قال الكسائي والفراء هي الجدر وقال ابوعبيدة هي الاساس انتهى واختلفوا في قصص البيت فقيل ان ءادم امر ببنائه ثم دثر ودرس حتى دل عليه ابراهيم فرفع قواعده وقيل ان ابراهيم ابتدأ بناءه بامر الله وقيل غير هذا * ع * والذي يصح من هذا كله ان الله سبحانه امر ابراهيم برفع قواعد البيت وَجَائِزٌ قِدَمُهُ وجائز ان يكون ذلك ابتداء ولا يرجح شيء من ذلك الا

بسند يقطع العذر واسماعيل عطف على ابراهيم والتقدير يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم اي السميع لدعائنا العليم بنياتنا وخصا هاتين الصفتين لتناسبهما مع حالهما وقولهما اجعلنا بمعنى صيرنا مسلمين وكذلك كانا وانما ارادا التثبيت والدوام والاسلام فى هذا الموضع الايمان والاعمال جميعا ومن فى قوله ومن ذريتنا للتبعيض لان الله تعالى قد كان اعلمه ان منهم ظالمين والامة الجماعة وارنا قالت طائفة من رؤية البصر وقالت طائفة من رؤية القلب وهذا لا يصح قال قتادة المناسك معالم الحج واختلف فى معنى طلبهم التوبة وهم انبياء معصومون فقالت طائفة طلبا التثبيت والدوام وقيل ارادا من بعدهما من الذرية وقيل وهو الاحسن انهما لما عرفا المناسك وبنيا البيت ارادا ان يسنا للناس ان تلك المواطن مكان التنصّل من الذنوب وطلب التوبة وقال الطبرى انه ليس احد من خلق الله الا بينه وبين الله معان يحب ان تكون احسن مما هي واجمعت الامة على عصمة الانبياء فى معنى التبليغ ومن الكبائر ومن الصغائر التى فيها رذيلة واختلف فى غير ذلك من الصغائر والذى اقول به انهم معصومون من الجميع وان قول النبي صلى الله عليه وسلم انى لا توب فى اليوم واستغفر الله سبعين مرة انما هو رجوعه من حالة الى ارفع منها لتَزَيُّدِ علومه واطلاعه على امر ربه فهو يتوب من منزلة الى اعلَى والتوبة هنا لغوية وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية هذا هو الذى اراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انا دعوة أبِي ابراهيم وبشرى عيسى ومعنى منهم اي يعرفُوهُ ويتحققوا فضله ويشفق عليهم ويحرص * ت * وقد تواترت اخبار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته فى الكتب السالفة وعَلِمَ بذلك الاحْبارُ واخبروا به وبتعيين الزمن الذى يبعث فيه وقد روى البيهقى

احمد بن الحسين وغيره عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعة يقول سَلُوا أهْلَ هذا الموسم افيهم من هو من هذا الحرم قال قلت انا فما تشاء قال هل ظهر احمد بعد قلت ومن احمد قال احمد بن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه وهو خاتم الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخل وسباخ اذا كان فلا تُسْبَقَنّ اليه فوضع فى قلبى ما قال واسرعت اللحاق بمكة فسألت هل ظهر بعدى امر فقالوا محمد الامي قد تنبأ وتبعه ابو بكر بن ابى قحافة فمشيت الى ابى بكر وادخلنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت وقد روى العذرى وغيره عن ابى بكر رضي الله عنه انه قال لقيت شيخا باليمن فقال لى انت حرمي فقلت نعم فقال واحسبك قرشيا قلت نعم قال بقيت لى فيك واحدة اكشف لى عن بطنك قلت لا افعل او تخبرنى لم ذلك قال اجد فى العلم الصحيح ان نبيا يبعث فى الحرمين يقارنه على امره فتى وكهل اما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات واما الكهل فابيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة وما عليك ان ترينى ما سألتك عنه فقد تكاملت فيك الصفة الا ماخفي علي قال ابو بكر فكشفت له عن بطنى فرأى شامة سوداء فوق سرتى فقال انت هو ورب الكعبة انى متقدم اليك فى امر قلت ما هو قال اياك والميل عن الهدى وعليك بالتمسك بالطريقة الوسطى وخف الله فيما خولك واعطى قال ابو بكر فلما ودعته قال اتحمل عنى الى ذلك النبىء ابياتا قلت نعم فانشأ الشيخ يقول

الم ترانى قد سئمت معاشرى * ونفسى وقد اصبحت فى الحي عاهنا
حييت وفى الايام للمرء عبرة * ثلاث مئين بعد تسعين امنا

وقد خمدت منى شرارة قوتـــى * والفيت شيخا لا اطيق الشواحـنا
وانت ورب البيت تاتى محمدا * لعامك هذا قد اقام البراهـنا
فحي رسول الله عنى فاننـى * على دينه احيا وان كنت قاطـنا

قال ابو بكر فحفظت شعره وقدمت مكة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم فجاءنى صناديد قريش وقالوا يا ابا بكر يتيم ابى طالب يزعم انه نبىء قال فجئت الى منزل النبي صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه فخرج الي فقلت يا محمد فُقِدت من منازل قومك وتركت دين ءابائك فقال يا ابا بكرانى رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله فقلت وما دليلك قال الشيخ الراهب الذى لقيته باليمن قلت وكم من شيخ لقيت قال ليس ذلك اريد انما اريد الشيخ الذى افادك الابيات قلت ومن اخبرك بها قال الروح الامين الذى كان ياتى الانبياء قبلى قلت مد يمينك اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله قال ابو بكر فانصرفت وما بين لبتيها اشد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا باسلامى انتهى من تأليف ابن القطان فى الآيات والمعجزات ويتلوا عليهم ءاياتك اي ءايات القرءان والكتاب القرءان قال قتادة والحكمة السنة وروى ابن وهب عن مالك ان الحكمة الفقه فى الدين والفهم الذى هو سجية ونور من الله تعالى * ت * ونقل عياض فى مداركه عن مالك ان الحكمة نور يقذفه الله فى قلب العبد وقال ايضا يقع فى قلبى ان الحكمة الفقه فى دين الله وامر يدخله الله القلوب من رحمته وفضله وقال ايضا الحكمة التفكر فى امر الله والاتباع له والفقه فى الدين والعمل به انتهى وقد اشار * ع * الى هذا عند قوله تعالى يوت الحكمة من يشاء * ت * والظاهر ان المراد بالحكمة هنا ما قاله قتادة فتأمله ويزكيهم معناه يطهرهم وينميهم بالخير والعزيز

الذى يغلب ويتم مراده والحكيم المصيب مواقع الفعل المحكم لها * وقوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الآية من استفهام والمعنى ومن يزهد فيها ويربأ بنفسه عنها الا من سفه نفسه والملة الشريعة والطريقة وسفه من السفه الذى معناه الرقة والخفة واصطفى من الصفوة معناه تخير الا صفى ومعنى هذا الاصطفاء انه نبأه واتخذه خليلا وانه فى الآخرة لمن الصالحين قيل المعنى انه فى عمل الآخرة لمن الصالحين فالكلام على حذف مضاف اذ قال له ربه اسلم كان هذا القول من الله تعالى حين ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والاسلام هنا على اتم وجوهه والضمير فى بها عائد على كلمته التى هي اسلمت لرب العالمين وقيل على الملة والاول اصوب لانه اقرب مذكور ويعقوب قيل عطف على ابراهيم وقيل مقطوع منفرد بقوله يا بني والتقدير ويعقوب قال يا بني واصطفى هنا معناه تخير صفوة الاديان وقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ايجاز بليغ وذلك ان المقصود من امرهم بالاسلام الدوام عليه فاتى بلفظ موجز يقتضى المقصود ويتضمن وعظا وتذكيرا بالموت وذلك ان المرء يتحقق انه يموت ولا يدرى متى فاذا امر بامر لا ياتيه الموت الا وهو عليه فقد توجه من وقت الامر دائبا لازما * وقوله تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت هذا الخطاب لليهود والنصارى الذين انتحلوا الانبياء صلوات الله عليهم ونسبوهم الى اليهودية والنصرانية فرد الله عليهم وكذبهم واعلمهم انهم كانوا على الحنيفية الاسلام وقال لهم على جهة التقرير والتوبيخ اشهدتم يعقوب بما اوصى فتدّعون عن علم ام لم تشهدوا بل انتم تفترون وام للاستفهام فى صدر الكلام لغة يمانية وحكى الطبرى ان ام يستفهم بها فى وسط كلام قد تقدم صدره وهذا منه وشهداء جمع شاهد اي حاضر ومعنى الآية حضر يعقوب مقدمات الموت ومن بعدى اي من

بعد موتي ودخل اسماعيل في الآباء لانه عم وقد اطلق النبي صلى الله عليه وسلم على العباس اسم الاب فقال هذا بقية آبائي وقال ردوا علي ابي الحديثَ وقال انا ابن الذبيحين على القول الشهير في ان اسحاق هو الذبيح * ت * وفي تشهيره نظر بل الراجح انه اسماعيل على ما هو معلوم في موضعه وسياتي ان شاء الله تعالى * وقوله تعالى تلك امة قد خلت الآية يعني بالامة الانبياء المذكورين والمخاطبُ في هذه الآية اليهود والنصارى وقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا نظير قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى والحنيف في الدين الذي مال عن الاديان المكروهة الى الحق ويجيء الحنيف في الدين بمعنى المستقيم على جميع طاعات الله * قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيـون من ربهم الآية هذا الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل الينا يعني القرآن والاسباط هم ولد يعقوب وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وريالون ويشحرودنية بنته وامهم ليا ثم خلف على اختها راحيل فولدت له يوسف وبِنْ يامين ووُلِدَ لَهُ من سُرِّيتَيْن ذان وتفشالا وجاد واشر والسِّبط في بني اسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد اسماعيل فسموا الاسباط لانه كان من كل واحد منهم سبط ولا نفرق بين احد منهم اي لا نومن ببعض ونكفر ببعض كما تفعلون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به اي فان صدّقوا تصديقا مثل تصديقكم فقد اهتدوا وان تولوا اي اعرضوا يعني اليهود والنصارى فانما هم في شقاق اي في مشاقة ومخالفة لك هم في شق وانت في شق وقيل شاقّ معناه شق كل واحد وصل ما بينه وبين صاحبه ثم وعده تعالى انه سيكفيه اياهم ويغلبه عليهم فكان ذلك في قتل بني قينقاع وبني قريظة واجلاء النضير وهذا

الوعد وانتجازه من اعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والسميع لقول كل قائل والعليم بما ينفذه فى عباده وصبغة الله شريعته ودينه وسنته وفطرته قال كثير من المفسرين وذلك ان النصارى لهم ماء يصبغون فيه اولادهم فهذا ينظر الى ذلك وقيل سمي الدين صبغة استعارة من حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين كما يظهر الصبغ فى الثوب وغيره ونصب الصبغة على الاغراء * وقوله تعالى قل اتحاجوننا فى الله الآية معنى الآية قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى اتحاجوننا فى الله اي اتجادلوننا فى دينه والقرب منه والحظوة لديه سبحانه والرب واحد وكل مجازى بعمله ثم وبخهم بقوله ونحن له مخلصون اي ولم تخلصوا انتم فكيف تدعون ما نحن اولى به منكم وقوله تعالى ام تقولون عطف على الف الاستفهام المتقدمة وهذه القراءة بالتاء من فوق قراءة ابن عامر وحمزة وغيرهما وقرأ نافع وغيره بالياء من اسفل وام على هذه القراءة مقطوعة ووقفهم تعالى على موضع الانقطاع فى الحجة لانهم ان قالوا ان الانبياء المذكورين على اليهودية والنصرانية كذبوا لانه قد عُلِمَ ان هذين الدينين حدثا بعدهم وان قالوا لم يكونوا على اليهودية والنصرانية قيل لهم فهلموا الى دينهم اذ تقرون بالحق * وقوله تعالى قل آنتم اعلم ام الله تقرير على فساد دعواهم اذ لا جواب لمفطور الا ان الله تعالى اعلم ومن اظلم ممن كتم شهادة اي لا احد اظلم منه واياهم اراد تعالى بكتمان الشهادة قال مجاهد وغيره فالذى كتموه هو ما فى كتبهم من ان الانبياء على الحنيفية لا على ما ادعوه وقال قتادة وغيره هو ما عندهم من الامر بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم والاول اشبه بسياق الآية ومِن متعلِّقةٌ بعنده ويحتمل ان تتعلق بكتم وما الله بغافل الآية فيه وعيد واعلام انه لا يترك امرهم سدى والغافل الذى لا يفطن للامور إهمالًا منه ماخوذ من الارض الغُفل وهي التى لا معلم بها

* وقوله تعالى تلك امة الآية كررها عن قرب لانها تضمنت معنى التهديد والتخويف ولترداد ذكرهم ايضا فى معنى غير الاول * قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس الآية اختلف فى تعيين هؤلاء السفهاء فقال ابن عباس هم الاحبار وذلك انهم جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتنا ارجع اليها ونومن بك يريدون فتنته وقيل اليهود والمنافقون وقالت فرقة هم كفار قريش وولاهم معناه صرفهم ويهدى من يشاء اشارة الى هداية الله تعالى هذه الامة الى قبلة ابراهيم وكذلك جعلناكم اي كما هديناكم الى قبلة ابراهيم وشريعته جعلناكم امة وسطا اي عدولا روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتظاهرت به عبارات المفسرين والوسط الخيار والاعلى من الشيء وواسطة القلادة انفس حجر فيها ومنه قوله تعالى قال اوسطهم وشهداء جمع شاهد والمراد بالناس هنا فى قول جماعة جميع الجنس وان امة محمد صلى الله عليه وسلم تشهد يوم القيامة للانبياء على اممهم بالتبليغ وروي فى هذا المعنى حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه ان امته تشهد لكل نبيء ناكره قومه * ت * وهذا الحديث خرجه البخارى وابن ماجه وابن المبارك فى رقائقه وغيرهم قائلا صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الآية وكون الرسول شهيدا قيل معناه باعمالكم يوم القيامة وقيل عليكم بمعنى لكم اي يَشهدُ لكم بالايمان وقوله تعالى وما جعلنا القبلة الآية قال قتادة وغيره القبلة هنا بيت المقدس اي الا فتنة لنعلم من يتبعك من العرب الذين لم يالفوا الا مسجد مكة او من اليهود على ما قاله الضحاك الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صليت الى بيت المقدس اتبعناك فامره الله بالصلاة اليه امتحانا لهم فلم يومنوا وقال ابن عباس القبلة فى الآية

الكعبة وكنت عليها بمعنى انت عليها كقوله تعالى كنتم خير امة بمعنى انتم وما جعلناها وصرفناك اليها الا فتنة وروي فى ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حول الى الكعبة اكثر فى ذلك اليهود والمنافقون وارتاب بعض المومنين حتى نزلت الآية ومعنى لنعلم اي ليعلم رسولي والمومنون به والقاعدة نفي استقبال العلم بعد ان لم يكن وينقلب على عقبيه عبارة عن المرتد والرجوع على العقب اسوأ حالات الراجع * وقوله تعالى وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله الآية الضمير فى كانت راجع الى القبلة الى بيت المقدس او الى التحويلة الى الكعبة حسبما تقدم من الخلاف فى القبلة وكبيرة هنا معناه شاقة صعبة تكبر فى الصدور ولما حولت القبلة كان من قول اليهود يا محمد ان كانت الاولى حقا فانت الآن على باطل وان كانت هذه حقا فكنت فى الاولى على ضلال فوجمت نفوس بعض المومنين واشفقوا على من مات قبل التحويل من صلاتهم السالفة فنزلت وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم قاله ابن عباس وغيره وسمى الصلاة ايمانا لما كانت صادرة عن الايمان ولان الايمان هو القطب الذى عليه تدور الاعمال فذكره اذ هو الاصل وليلا يندرج فى اسم الصلاة صلاة المنافقين الى بيت المقدس فذكر المعنى الذى هو ملاك الامر وايضا سميت ايمانا اذ هي من شعب الايمان * ت * وفى العتبية من سماع ابن القاسم قال مالك قال الله تبارك وتعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم قال هي صلاة المومنين الى بيت المقدس قال ابن رشد وعلى هذا القول اكثر اهل التفسير وقد قيل ان المعنى فى ذلك وما كان الله ليضيع ايمانكم بفرض الصلاة عليكم الى بيت المقدس انتهى من البيان والرأفة اعلى منازل الرحمة * وقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء الآية المقصد تقلب البصر وايضا

فالوجه يتقلب بتقلب البصر قال قتادة وغيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه في الدعاء الى الله تعالى ان يحوله الى قبلة مكة ومعنى التقلب نحو السماء ان السماء جهة قد تعود العالم منها الرحمة كالمطر والانوار والوحي فهم يجعلون رغبتهم حيث توالت النعم قال * ص * فلنولينك يدل على تقدير حال اي قد نرى تقلب وجهك في السماء طالبا قبلة غير التي انت مستقبلها فلنولينك انتهى وترضاها معناه تحبها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الكعبة والتحول عن بيت المقدس لوجوه ثلاثة رويت احدها لقول اليهود ما علم محمد دينه حتى اتبعنا قاله مجاهد الثاني ليصيب قبلة ابراهيم عليه السلام قاله ابن عباس الثالث ليستالف العرب لمحبتها في الكعبة قاله الربيع والسدي * ع * والميزاب هو قبلة المدينة والشام وهنالك قبلة اهل الاندلس بتاريب ولاخلاف ان الكعبة قبلة من كل افق * وقوله تعالى فول وجهك الآية امر بالتحول ونسخ لقبلة الشام وشطر نصب على الظرف ومعناه نحو وتلقاء وحيث ما كنتم فولوا امر للامة ناسخ وان الذين اوتوا الكتاب الآية المعنى ان اليهود والنصارى يعلمون ان الكعبة هي قبلة ابراهيم امام الامم وان استقبالها هو الحق الواجب على الجميع اتباعا لمحمد صلى الله عليه وسلم الذي يجدونه في كتبهم وتضمنت الآية الوعيد * وقوله جلت قدرته ولئن اتيت الآية اعلم الله تعالى نبيه عليه السلام حين قالت له اليهود راجع بيت المقدس ونومن بك ان ذلك مخادعة منهم وانهم لا يتبعون له قبلة يعنى جلتهم لان البعض قد اتبع كعبد الله بن سلام وغيره وانهم لا يومنون بدينه اي فلا تصغ اليهم والآية هنا العلامة * وقوله جلت عظمته وما انت بتابع قبلتهم لفظ خبر يتضمن الامر اي فلا تركن الى شيء من ذلك وما بعضهم الآية قال ابن زيد وغيره المعنى

ليست اليهود متبعة قبلة النصارى ولا النصارى متبعة قبلة اليهود فهذا اعلام باختلافهم وتدابرهم وضلالهم وقبلة النصارى مشرق الشمس وقبلة اليهود بيت المقدس * وقوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وما ورد من هذا النوع الذى يوهم من النبي صلى الله عليه وسلم ظلما متوقعا فهو محمول على ارادة امته لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم وقطعا ان ذلك لا يكون منه وانما المراد من يمكن ان يقع ذلك منه وخوطب النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما للامر قال الفخر ودلت هذه الآية على ان توجه الوعيد على العلماء اشد من توجهه على غيرهم لان قوله من بعد ما جاءك من العلم يدل على ذلك انتهى وهو حسن * ص * ولئن اتيت لام لئن موذنة بقسم مقدر قبلها ولهذا كان الجواب له ما تبعوا ولو كان للشرط لدخلت الفاء وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه ومن ثم جاء فعل الشرط ماضيا لانه اذا حذف جوابه وجب فعله لفظا انتهى * وقوله تعالى الذين ءاتيناهم الكتاب يعرفونه الآية الضمير فى يعرفونه عائد على الحق فى القبلة والتحول الى الكعبة قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد وغيره هو عائد على محمد صلى الله عليه وسلم اي يعرفون صدقه ونبوءته * ت * بل وصفاته وان فريقا منهم ليكتمون الحق الفريق الجماعة وخص لان منهم من اسلم ولم يكتم والاشارة بالحق الى ما تقدم على الخلاف فى ضمير يعرفونه وهم يعلمون ظاهر فى صحة الكفر عنادا وقوله تعالى الحق من ربك اي هو الحق فلا تكونن من الممترين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وامترى فى الشيء اذا شك فيه ومنه المراء لان هذا يشك فى قول هذا * وقوله تعالى ولكل وجهة الوجهة من المواجهة كالقبلة والمعنى ولكل صاحب ملة وجهة هو موليها نفسه قاله ابن عباس وغيره

وقرأ ابن عامر هو مولاها اي الله موليها اياهم ثم امر تعالى عباده باستباق الخيرات والبدار الى سبيل النجاة وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الخير فلينتهزه فانه لا يدرى متى يغلق عنه انتهى ثم وعظهم سبحانه بذكر الحشر موعظة تتضمن وعيدا وتحذيرا * ص * اينما ظرف مضمن معنى الشرط فى موضع خبر كان انتهى * وقوله يات بكم الله جميعا يعنى به البعث من القبور * وقوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون معناه حيث كنت وانى توجهت من مشارق الارض ومغاربها وكررت هذه الآية تأكيدا من الله سبحانه لان موقع التحويل كان صعبا فى نفوسهم جدا فأكد الامر ليرى الناس التهمم به فيخف عليهم وتسكن نفوسهم اليه * وقوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الآية المعنى عرفتكم وجه الصواب فى قبلتكم والحجة لذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة والمراد بالناس العموم فى اليهود والعرب وغيرهم الا الذين ظلموا منهم اي من المذكورين ممن تكلم فى النازلة فى قولهم ما ولاهم عن قبلتهم * وقوله تعالى فلا تخشوهم واخشونى الآية فيه تحقير لشانهم وامر باطراح امرهم ومراعاة امره سبحانه قال الفخر وهذه الآية تدل على ان الواجب على المرء فى كل افعاله وتروكه ان ينصب بين عينيه خشية ربه تعالى وان يعلم انه ليس فى ايدى الخلق شيء البتة وان لا يكون مشتغل القلب بهم ولا ملتفت الخاطر اليهم انتهى قال * ص * الا الذين استثناء متصل قاله ابن عباس وغيره اي لئلا تكون حجة من اليهود المعاندين القائلين ما ترك قبلتنا وتوجه للكعبة الا حبا لبلده وقيل منقطع اي لكن الذين

ظلموا منهم فانهم يتعلقون عليكم بالشبه وزعم ابو عبيدة معمر بن المثنى ان لا فى الآية بمعنى الواو قال ومنه

وكل اخ مُفارقه اخوه * لعمر ابيك لا الفرقدان

اي والذين ظلموا والفرقدان ورد بان لا بمعنى الواو لا يقوم عليه دليل انتهى * وقوله تعالى فولوا وجوهكم شطره امر باستقبال القبلة وهو شرط فى الفرض لا فى القتال حالة لالتحام وفى النوافل لا فى السفر الطويل للراكب والقدرة على اليقين فى مصادفتها تمنع من لاجتهاد وعلى لاجتهاد تمنع من التقليد * وقوله سبحانه ولاتم نعمتى عليكم عطف على قوله ليلا وقيل هو فى موضع رفع بالابتداء والخبر مضمر تقديره ولاتم نعمتى عليكم عرفتكم قبلتى ونحوه ولعلكم تهتدون ترج فى حق البشر والكاف فى قوله كما رد على قوله ولاتم اي اتماما كما وهذا احسن لاقوال اي لاتم نعمتى عليكم فى بيان سنة ابراهيم عليه السلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم اجابة لدعوته فى قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقيل الكاف من كما رد على تهتدون اي اهتداء كما قال الفخر وهنا تأويل ثالث وهو ان الكاف متعلقة بما بعدها اي كما ارسلنا فيكم رسولا واوليتكم هذه النعم فاذكرونى اذكركم واشكروا لى الآية انتهى * ت * وهذا التأويل نقله الداودي عن الفراء انتهى وهذه الآية خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وءاياتنا يعنى القرءان ويزكيكم اي يطهركم من الكفر وينميكم بالطاعة والكتاب القرءان والحكمة ما يتلقى عنه صلى الله عليه وسلم من سنة وفقه ودين وما لم تكونوا تعلمون قصص من سلف وقصص ما ياتى من الغيوب * قوله تعالى فاذكرونى اذكركم الآية قال سعيد بن جبير معنى الآية اذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب * ت * وفى تفسير احمد بن نصر الداودى وعن ابن جبير اذكرونى بطاعتى اذكركم

بمغفرتي و روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرءان ومن عصى الله فقد نسي الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرءان انتهى و روى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن انس بن مالك قال ما من بقعة يذكر الله عليها بصلاة او بذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلى الا تزخرفت له الارض قال ابن المبارك واخبرنا المسعودي عن عون بن عبد الله قال الذاكر فى الغافلين كالمقاتل خلف الفارين انتهى وقال الربيع والسدى المعنى اذكرونى بالدعاء والتسبيح ونحوه وفى صحيح البخارى ومسلم وغيرهما عن ابى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدى بى وانا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منهم الحديث انتهى واشكروا لى اي نعمى واياديى ولا تكفرون اي نعمى واياديى * ت * وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد من نعمة فقال الحمد لله الا وقد ادى شكرها فان قالها الثانية جدد الله لها ثوابها فان قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح انتهى من السلاح * وقوله تعالى ان الله مع الصابرين اي بمعونته وانجاده * وقوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات الآية سببها ان الناس قالوا فيمن قتل ببدر واحد من المومنين مات فلان مات فلان فكره الله سبحانه ان تحط منزلة الشهداء الى منزلة غيرهم فنزلت هذه الآية وايضا فان المومنين صعب عليهم فراق اخوانهم وقراباتهم فنزلت الآية مسلية لهم تعظم منزلة الشهداء وتخبر عن حقيقة حالهم فصاروا مغبوطين لا محزونا لهم ويظهر ذلك من حديث

ام حارثة فى السير * ت * وخرجه البخارى فى صحيحه عن انس قال اصيب حارثة يوم بدر اصابه غرب سهم وهو غلام فجاءت امه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى فان يك فى الجنة اصبر واحتسب وان تكن الاخرى ترى ما اصنع فقال ويحك او هُبِلْتِ او جنة واحدة هي انها جنان كثيرة وانه فى الفردوس الاعلى الحديث انتهى * ع * والفرق بين الشهيد وغيره انما هو الرزق وذلك ان الله تعالى فضلهم بدوام حالهم التى كانت فى الدنيا فرزقهم * ت * وللشهيد احوال شريفة منها ما خرجه الترمذى وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للشهيد عند الله ست خصال يغفر له فى اول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويامن من الفزع الاكبر ويوضع على راسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من اقربائه قال الترمذى هذا حديث حسن غريب زاد ابن ماجه ويحلى حلة الايمان قال القرطبي فى تذكرته هكذا وقع فى نسخ الترمذى وابن ماجه ست خصال وهي فى متن الحديث سبع وعلى ما فى ابن ماجه ويحلى حلة الايمان تكون ثمانيا وكذا ذكره ابو بكر احمد بن سلمان النجاد بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للشهيد عند الله ثمان خصال انتهى وخرج الترمذى والنساءى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الشهيد لا يجد الم القتل الا كما يجد احدكم الم القرصة انتهى * ع * روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة وروي انهم فى قبة خضراء وروي انهم فى قناديل من ذهب الى كثير من هذا ولا محالة انها احوال لطوائف او للجميع فى اوقات

متغايرة * ت * وكذا ذكر شبيب بن ابراهيم فى كتاب الافصاح ان المنعمين على جهات مختلفة بحسب مقاماتهم وتفاوتهم فى اعمالهم قال صاحب التذكرة وهذا قول حسن وبه يجمع بين الاخبار حتى لا تتدافع انتهى قال * ع * وجمهور العلماء على انهم فى الجنة ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم لام حارثة انه فى الفردوس الاعلى وقال مجاهد هم خارج الجنة ويعلقون من شجرها وفى مختصر الطبرى قال ونهى عز وجل ان يقال لمن يقتل فى سبيل الله اموات واعلم سبحانه انهم احياء ولكن لا شعور لنا بذلك اذ لا نشاهد باطن امرهم وخصوا من بين سائر المومنين بانهم فى البرزخ يرزقون من مطاعم الجنة ما يرزق المومنون من اهل الجنة على انه قد ورد فى الحديث انما نسمة المومن طائر يعلق فى شجر الجنة ومعنى يعلق ياكل ومنه قولهم ما ذقت علاقا اي ماكلا فقد عم المومنين بانهم يرزقون فى البرزخ من رزق الجنة ولكن لا يمتنع ان يخص الشهداء من ذلك بقدر لا يناله غيرهم والله اعلم انتهى وروى النساءي ان رجلا قال يا رسول الله ما بال المومنين يفتنون فى قبورهم الا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على راسه فتنة انتهى * ت * وحديث انما نسمة المومن طائر خرجه مالك رحمه الله قال الداودي وحديث مالك هذا اصح ما جاء فى الارواح والذى روي انها تجعل فى حواصل طير لا يصح فى النقل انتهى قال ابوعمر بن عبد البر فى التمهيد والاشبه قول من قال كطير او كصور طير لموافقته لحديث الموطإ هذا واسند ابو عمر هذه الاحاديث ولم يذكر مطعنا فى إسنادها انتهى ثم اعلمهم تعالى ان الدنيا دار بلاء ومحنة ثم وعد على الصبر فقال ولنبلونكم اي نمتحنكم بشيء من الخوف اي من الاعداء فى الحروب ونقص من الاموال اي بالجوائح والمصائب والانفس

بالموت والقتل والثمرات بالعاهات والمراد بشيء من هذا وشيء من هذا واكتفى بالاول ايجازا ثم وصف سبحانه الصابرين الذين بشرهم بقوله الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون فجعل سبحانه هذه الكلمات ملجأ لذوى المصائب لما جمعت من المعانى المباركة من توحِيدِ الله سبحانه والاقرار له بالعبودية والبعث من القبور واليقين بان رجوع الامر كله اليه كما هو له قال الفخر قال ابو بكر الوراق انا لله اقرار منا له بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلاك واعلم ان قوله انا لله يدل على كونه راضيا بكل ما نزل به ووردت اخبار كثيرة فى هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه انتهى وروي ان مصباح رسول الله صلى الله عليه وسلم انطفأ ذات ليلة فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي يا رسول الله قال نعم كل ما ءاذى المومن فهو مصيبة قال النووى ورويناً فى كتاب ابن السني عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسترجع احدكم فى كل شيء حتى فى شسع نعلِهِ فانها من المصائب انتهى من الحلية * وقوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم الآية نعم من الله تعالى على الصابرين المسترجعين وصلوات الله على عبده عفوه ورحمته وبركته وتشريفه اياه فى الدنيا والآخرة وكرر الرحمة وهي من اعظم اجزاء الصلاة لمّا اختلف اللفظ تأكيدا منه تعالى وشهد لهم بالاهتداء * ت * وفى صحيح البخارى وقال عمر نعم العدلان ونعم العلاوة الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الى المهتدون قال النووى فى الحلية وروينا فى سنن ابن ماجه والبيهقى باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مومن يعزى اخاه بمصيبة الاكساه الله عزوجل من حلل الكرامة يوم القيامة وروينا فى كتاب الترمذى

والسنن الكبير للبيهقي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل اجره اسناده ضعيف وروينا فى كتاب الترمذى ايضا عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسي بردا فى الجنة قال الترمذى ليس اسناده بالقوي انتهى * قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الصفا جمع صفاة وهي الصخرة العظيمة والمروة واحدة المرو وهي الحجارة الصغار التى فيها لين ومن شعائر الله معناه معالمه ومواضع عبادته وقال مجاهدٌ ذلك راجع الى القول اي مما اشعركم الله بفضله ماخوذ من شعرت اذا تحسست وحج معناه قصد وتكرر واعتمر زار وتكرر ماخوذ من عمرت الموضع والجناح الاثم والميل عن الحق والطاعة ومن اللفظة الجناح لانه فى شق ومنه وان جنحوا للسلم فاجنح لها ويطوف اصله يتطوف فقوله ان الصفا والمروة الآية خبر يقتضى الامر بما عهد من الطواف بهما وقوله فلا جناح ليس المقصود منه اباحة الطواف لمن شاءه لان ذلك بعد الامر لا يستقيم وانما المقصود رفع ما وقع فى نفوس قوم من العرب من ان الطواف بينهما فيه حرج واعلامهم ان ما وقع فى نفوسهم غير صواب وفى الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ان ذلك فى الانصار ومذهب مالك والشافعى ان السعي بينهما فرض لا يجزئ تاركه الا العودة قال ابن العربى فى احكامه والدليل على ركنيته ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله كتب عليكم السعي فاسعوا صححه الدارقطنى ويعضده المعنى فانه شعار اي معلم لا يخلو عنه الحج والعمرة فكان ركنا كالطواف انتهى ومن تطوع اي زاد برا بعد الواجب فى جميع الاعمال وقال بعضهم معناه من تطوع بحج اوعمرة بعد حجة الفريضة ومعنى شاكر اي يبذل الثواب والجزاء عليم بالنيات والاعمال لا يضيع معه لعامل عمل * وقوله سبحانه ان الذين يكتمون

ما انزلنا الآية المراد بالذين احبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم وتتناول الآية بعد كل من كتم علما من دين الله يحتاج الى بثه وذلك مفسّر فى قول النبي صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من النار قال ابن العربى وللآية تحقيق وهو ان العالم اذا قصد الكتمان عصى واذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ اذا عرف ان معه غيره وقد كان ابو بكر وعمر لا يحدثان بكل ما سمعا من النبي صلى الله عليه وسلم الا عند الحاجة وكان الزبير اقلهم حديثا ثم قال ابن العربى فاما من سئل فقد وجب عليه التبليغ لهذه الآية واما ان لم يسأل فلا يلزم التبليغ الا فى القروان وحده وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فى فضيلة التبليغ بانه قال نضّر الله امرأً سمع مقالتى فوعاها فادّاها كما سمعها انتهى من احكام القروان * والبينات والهدى امر محمد صلى الله عليه وسلم ثم يعم بعد كل ما يكتم من خير وفى الكتاب يراد به التوراة والانجيل ويدخل القروان فى عموم الآية واختلف فى اللاعنين فقال قتادة والربيع الملائكة والمومنون وهذا ظاهر واضح وقيل الحشرات والبهائم وقيل جميع المخلوقات ما عدا الثقلين الجن والانس وهذان القولان لا يقتضيهما اللفظ ولا يثبتان الا بسند يقطع العذر ثم استثنى الله سبحانه التائبين * واصلحوا اي فى اعمالهم واقوالهم * وبينوا اي امر محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية هذه الآية محكمة فى الذين وافوا على كفرهم واختلف فى معنى قوله والناس اجمعين والكفار لا يلعنون انفسهم فقال قتادة والربيع المراد بالناس المومنون خاصة وقال ابو العالية معنى ذلك فى الآخرة * وقوله خالدين فيها اي فى اللعنة وقيل فى النار وعاد الضمير عليها وان لم يجر لها ذكر لثبوتها فى المعنى * ولاهم ينظرون اي لا يؤخّرون عن العذاب

ويحتمل ان يكون من النظر نحو قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة والاول اظهر لان النظر بالعين انما يعدى بالى الا شاذا فى الشعر * وقوله تعالى والهكم اله واحد الآية اعلام بالوحدانية قال عطاء لما نزلت هذه الآية بالمدينة قال كفار قريش بمكة ما الدليل على هذا وما آيته وعلامته ونحوه عن ابن المسيب فنزل عند ذلك قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض الآية اي فى اختراعها وانشائها والنهار من طلوع الفجر الى غروب الشمس يقضى بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم انما هو بياض النهار وسواد الليل وهذا هو مقتضى الفقه فى الايمان ونحوها واما على ظاهر اللغة واخذه من السعة فهو من الاسفار وقال الزجاج فى كتاب الانواء اول النهار ذرور الشمس قال وزعم النضر بن شميل ان اول النهار ابتداء طلوع الشمس ولا يعد ما قبل ذلك من النهار قال * ع * وقول النبي صلى الله عليه وسلم هو الحكم * والفلك السفن ومفرده وجمعه بلفظ واحد * وما انزل الله من السماء من ماء يعنى به الامطار وبث معناه فرق وبسط ودابة تجمع الحيوان كله * وتصريف الرياح ارسالها عقيما وملقحة وصرا ونصرا وهلاكا وجنوبا وشمالا وغير ذلك والرياح جمع ريح وجاءت فى القرءان مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب الا فى يونس فى قوله سبحانه وجرين بهم بريح طيبة وهذا اغلب وقوعها فى الكلام وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هبت ريح يقول اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وذلك لان ريح العذاب شديدة ملتئمة الاجزاء كانها جسم واحد وريح الرحمة لينة تجيء من هاهنا وهاهنا متقطعة فلذلك يقال هي رياح وهو معنى نشر وافردت مع الفلك لان ريح اجراء السفن انما هي واحدة متصلة ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب وهي لفظة من ذوات الواو يقال ريح وارواح

ولايقال ارياح وانما يقال رياح من جهة الكسرة وطلب تناسب الياء معها وقد لحن فى هذه اللفظة عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير فاستعمل الارياح فى شعره ولُحن فى ذلك وقال له ابو حاتم ان الارياح لا يجوز فقال اما تسمع قولهم رياح فقال ابو حاتم هذا خلاف ذلك فقال صدقت ورجع * والسحاب جمع سحابة سمي بذلك لانه ينسحب وتسخيره بعثه من مكان الى اخر فهذه ايات * وقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الآية الند النظير والمقاوم قال مجاهد وقتادة المراد بالانداد الاوثان كحب الله اي كحبكم لله او كحبهم حسبما قَدّر كلّ وجه منها فرقةٌ ومعنى كحبهم اي يسوون بين محبة الله ومحبة الاوثان ثم اخبر ان المومنين اشد حبا لله لاخلاصهم وتيقنهم الحق * وقوله تعالى ولو ترى الذين ظلموا اي ولو ترى يا محمد الذين ظلموا فى حال رؤيتهم العذاب وفزعهم منه واستعظامهم له لا قروا ان القوة لله او لعلمت ان القوة لله جميعا فجواب لو مضمر على التقديرين وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولكن خوطب والمراد امته وقرأ حمزة وغيره بالياء اي ولو يرى فى الدنيا الذين ظلموا حالهم فى الآخرة اذ يرون العذاب لعلموا ان القوة لله * والذين اتبعوا بفتح التاء والباء هم العبدة لغير الله الضالون المقلدون لرؤسائهم او للشياطين وتبريهم هو بان قالوا انا لم نضل هؤلاء بل كفروا بارادتهم * والسبب فى اللغة الحبل الرابط الموصل فيقال فى كل ما يتمسك به فيصل بين شيئين وقال الذين اتبعوا اي الاتباع * والكرة العودة الى حال قد كانت كذلك يريهم الله اعمالهم الآية يحتمل ان يكون من رؤية البصر ويحتمل رؤية القلب اي يريهم الله اعمالهم الفاسدة التى ارتكبوها وقال ابن مسعود اعمالهم الصالحة التى تركوها والحسرة اعلى درجات الندامة والهمّ بما فات وهي مشتقة من

الشي. الحسير الذى انقطع وذهبت قوته وقيل من حسر اذا كشف * وقوله تعالى يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا الآية الخطاب عام وما بمعنى الذى وحلالا حال من الضمير العائد على ما وطيبا نعت ويصح ان يكون حالا من الضمير فى كلوا تقديره مستطيبين والطيب عند مالك الحلال فهو هنا تأكيد لاختلاف اللفظ وهو عند الشافعى المستلذ ولذلك يمنع اكل الحيوان القذر قال الفخر الحلال هو المباح الذى انحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذى هو نقيض العقد انتهى وخطوات جمع خطوة والمعنى النهي عن اتباع الشيطان وسلوك سبله وطرائقه قال ابن عباس خطواته اعماله وقال غيره آثاره * ع * وكل ما عدا السنن والشرائع من البدع والمعاصى فهي خطوات الشيطان * وعدو يقع للمفرد والمثنى والجمع * انما يامركم بالسوء والفحشاء الآية انما هاهنا للحصر وامر الشيطان اما بقوله فى زمن الكهنة واما بوسوسته * والسوء مصدر من ساء يسوء وهي المعاصى وما تسوء عاقبته والفحشاء قيل الزنا وقيل ما تفاحش ذكره واصل الفحش قبح المنظر ثم استعملت اللفظة فيما يستقبح والشرع هو الذى يحسن ويقبح فكل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء * وما لا تعلمون قال الطبري يريد ما حرموا من البحيرة والسائبة ونحوها وجعلوه شرعا * واذا قيل لهم يعنى كفار العرب وقال ابن عباس نزلت فى اليهود والالف فى قوله سبحانه او لوكان للاستفهام لان غاية الفساد فى الالتزام ان يقولوا نتبع اباءنا ولوكانوا لا يعقلون فقُرروا على التزامهم هذا اذ هذه حال ابائهم وقوة الفاظ هذه الآية تعطى ابطال التقليد واجمعت الامة على ابطاله فى العقائد * ومثل الذين كفروا الآية المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم بالراعى الذى ينعق بالغنم او الابل فلا تسمع الا دعاءه ونداءه ولا تفقه ما يقول هكذا فسر

ابن عباس وعكرمة والسدى وسيبويه فذكر تعالى بعض هذه الجملة وبعض هذه ودل المذكور على المحذوف وهذه نهاية الايجاز * والنعيق زجر الغنم والصياح بها * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم الآية الطيب هنا يجمع الحلال المستلذ والآية تشير بتبعيض من الى ان الحرام رزق وحض سبحانه على الشكر والمعنى فى كل حالة وفى مصابيح البغوى عن ابى داوود والنساءى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الطاعم الشاكر كالصائم الصابر انتهى قال القشيرى قال اهل العلم بالاصول نعم الله تعالى على ضربين نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة النفع ما اولاهم ونعمة الدفع ما زوى عنهم وليس كل انعامه سبحانه انتظام اسباب الدنيا والتمكن منها بل الطائف الله تعالى فيما زوى عنهم من الدّنيا اكثر وان قرب العبد من الرب تعالى على حسب تباعده من الدنيا انتهى من التحبير وقال ابو عمر بن عبد البر فى كتابه المسمى ببهجة المجالس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد بنعمة فعلم انها من عند الله الا كتب الله له شكرها وما علم الله من عبد ندامة على ذنب الا غفر له قبل ان يستغفره وان الرجل ليلبس الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبتيه حتى يغفر له قال ابو عمر مكتوب فى التوراة اشكر لمن انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا مقام لها اذا كفرت انتهى وان من قوله ان كنتم اياه تعبدون شرط والمراد بهذا الشرط التثبيت وهز النفوس كما تقول افعل كذا ان كنت رجلا وانما هاهنا حاصرة ولفظ الميتة عموم والمعنى مخصص لان الحوت لم يدخل قط فى هذا العموم وفى مسند البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه انتهى من الكوكب الدري للامام ابى

العباس احمد بن سعد التجيبي * والدم يراد به المسفوح لان ما خالط اللحم فغير محرم باجماع * ت * بل فيه خلاف شاذ ذكره ابن الحاجب وغيره والمشهور اظهر لقول عائشة رضي الله عنها لو حرم غير المسفوح لتتبع الناس ما فى العروق ولقد كنا نطبخ اللحم والبرمة تعلوها الصفرة انتهى * وما اهل به لغير الله قال ابن عباس وغيره المراد ما ذبح للانصاب والاوثان * واهل به معناه صيح به ومنه استهلال المولود وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة وغلب ذلك فى استعمالهم حتى عبر به عن النية التى هي علة التحريم فمن اضطر غير باغ ولا عاد قال قتادة وغيره معناه غير قاصد فساد وتعد بان يجد عن هذه المحرمات مندوحة وياكلها واصحاب هذا القول يجيزون الاكل منها فى كل سفر مع الضرورة وقال مجاهد وغيره المعنى غير باغ على المسلمين وعاد عليهم فيدخل فى الباغي والعادى قطاع السبل والخارج على السلطان والمسافر فى قطع الرحم والغارة على المسلمين وما شاكله ولغير هؤلاء هي الرخصة قال مالك رحمه الله ياكل المضطر شبعه وفى الموطإ وهو لكثير من العلماء انه يتزود اذا خشي الضرورة فيما بين يديه من مفازة وقفر قال ابن العربى فى احكامه وقد قال العلماء ان من اضطر الى اكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم ياكل دخل النار الا ان يغفر الله له انتهى والمعنى انه لم ياكل حتى مات جوعا فهو عاص وكانه قتل نفسه وقد قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم الآية الى قوله ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا قال ابن العربى واذا دامت المخمصة فلا خلاف فى جواز شبع المضطر وان كانت نادرة ففى شبعه قولان احدهما لمالك ياكل حتى يشبع ويتضلع وقال غيره ياكل بمقدار سد الرمق وبه قال ابن حبيب وابن الماجشون انتهى * وقوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب

الآية قال ابن عباس وغيره المراد احبار اليهود الذين كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب التوراة والانجيل * ع * وهذه الآية وان كانت نزلت في الاحبار فانها تتناول من علماء المسلمين من كتم الحق مختارا لذلك بسبب دنيا يصيبها وفي ذكر البطن تنبيه على مذمتهم بانهم باعوا آخرتهم بحظهم من المطعم الذى لا خطر له وعلى هُجْنتهم بطاعة بطونهم قال الربيع وغيره سمي ماكولهم نارا لانه يئول بهم الى النار وقيل ياكلون النار في جهنم حقيقة * ت * وينبغي لاهل العلم التنزه عن اخذ شيء من المتعلمين على تعليم العلم بل يلتمسون الاجر من الله عز وجل وقد قال تعالى لنبيه عليه السلام قل لا اسألكم عليه اجرا الآية وفي سنن ابى داود عن عُبادة بن الصامت قال علمت ناسا من اهل الصُّفَّة الكتاب والقرءان واهدى الي رجل منهم قوسا فقلت ليست بمال وارمى عليها في سبيل الله لآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا سألنه فاتيته فقلت يا رسول الله رجل اهدى الي قوسا ممن كنت اعلمه الكتاب والقرءان وليست بمال وارمى عليها في سبيل الله قال ان كنت تحب ان تطوق طوقا من نار فاقبلها وفي رواية فقلت ما ترى فيها يا رسول الله قال جمرة بين كتفيك تقلدتها او تعلقتها انتهى * وقوله تعالى ولا يكلمهم الله قيل هي عبارة عن الغضب عليهم وازالة الرضا عنهم اذ في غير موضع من القرءان ما ظاهره ان الله تعالى يكلم الكافرين وقال الطبرى وغيره المعنى لا يكلمهم بما يحبونه * ولا يزكيهم اي لا يطهرهم من موجبات العذاب وقيل المعنى لا يسميهم ازكياء * وقوله تعالى فما اصبرهم على النار قال جمهور المفسرين ما تعجب وهو في حيز المخاطبين اي هم اهل ان تعجبوا منهم ومما يطول مكثهم في النار وفي التنزيل قتل الانسان ما اكفره واسمع بهم وابصر وقال قتادة والحسن وابن جبير والربيع اظهر التعجب

من صبرهم على النار لمّا عملوا عمل من وطّن نفسه عليها وتقديره ما اجرأهم على النار اذ يعملون عملا يؤدي اليها وذهب معمر بن المثنى الى ان ما استفهام معناه اي شيء صبرهم على النار والاول اظهر * وقوله سبحانه ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الآية المعنى ذلك الامر بان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به والاشارة الى وجوب النار لهم * والكتاب القرءان وبالحق اي بالاخبار الحق اي الصادقة * والذين اختلفوا فى الكتاب هم اليهود والنصارى فى قول السدى وقيل هم كفار العرب لقول بعضهم هو سحر وبعضهم اساطير وبعضهم مفترى الى غير ذلك * وبعيد هنا معناه من الحق والاستقامة * وقوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية قال ابن عباس وغيره الخطاب بهذه الآية للمومنين فالمعنى ليس البر الصلاة وحدها وقال قتادة والربيع الخطاب لليهود والنصارى لانهم تكلموا فى تحويل القبلة وفضلت كل فرقة توليها فقيل لهم ليس البر ما انتم فيه ولكن البر من ءامن بالله * وقوله تعالى وءاتى المال على حبه الآية هذه كلها حقوق فى المال سوى الزكاة قال الفخر وروت فاطمة بنت قيس ان فى المال حقا سوى الزكاة وتلا وءاتى المال على حبه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم لا يومن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره طاويا الى جنبه انتهى قال ابن العربى فى احكامه واذا وقع اداء الزكاة ثم نزلت بعد ذلك حاجة فانه يجب صرف المال اليها باتفاق من العلماء وقد قال مالك يجب على كافة المسلمين فداء اسراهم وان استغرق ذلك اموالهم وكذلك اذا منع الوالى الزكاة فهل يجب على الاغنياء اغناء الفقراء الصحيح وجوب ذلك عليهم انتهى * ومعنى ءاتى اعطى على حبه اي على حب المال ويحتمل ان يعود الضمير على اسم الله تعالى من قوله من آمن

بالله اي من تصدق محبة في الله وطاعته * ص * والظاهر ان الضمير فى حبه عائد على المال لان قاعدتهم ان الضمير لا يعود على غير الاقرب الا بدليل انتهى قال * ع * والمعنى المقصود ان يتصدق المرء فى هذه الوجوه وهو صحيح شحيح يخشى الفقر ويامل الغنى كما قال صلى الله عليه وسلم والشح فى هذا الحديث هو الغريزي الذى فى قوله تعالى واحضرت الانفس الشح وليس المعنى ان يكون المتصدق متصفا بالشح الذى هو البخل * وفى الرقاب اي العتق وفك الاسرى * والصابرين نصب على المدح او على اضمار فعل وهذا مهيع فى تكرار النعوت والبأساء الفقر والفاقة * والضراء المرض ومصائب البدن وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يدعى الى الجنة الذين يحمدون الله فى السراء والضراء رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح وفى صحيح مسلم عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المومن ان امره كله له خير وليس ذلك لاحد الا للمومن اذا اصابته سراء فشكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له انتهى * وحين الباس اي وقت شدة القتال هذا قول المفسرين فى الالفاظ الثلاثة تقول العرب بَئِس الرجل اذا افتقر وبَؤُس اذا شجُع ثم وصف تعالى اهل هذه الافعال البرة بالصدق فى امورهم اي هم عند الظن بهم والرجاء فيهم كما تقول صدقنى المال وصدقنى الرمح ووصفهم تعالى بالتقى والمعنى هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص الآية كتب معناه فُرض واثبت وصورة فرض القصاص هو ان القاتل فرض عليه اذا اراد الولي القتل الاستسلام لامر الله وان الولي فرض عليه الوقوف عند قتل قاتل وليه وترك التعدى على غيره فان

وقع الرضا بدون القصاص من دية او عفو فذلك مباح والآية معامة ان القصاص هو الغاية عند التشاح والقصاص ماخوذ من قص الاثر فكأن القاتل سلك طريقا من القتل فقص اثره فيها روي عن ابن عباس ان هذه الآية محكمة وفيها اجال فسرته اية المائدة وان قوله سبحانه الحر بالحريعم الرجال والنساء واجمعت الامة على قتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل * وقوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء الآية فيه تأويلات احدها ان من يراد بها القاتل وعفي تتضمن عافيا وهو ولي الدم والاخ هو المقتول وشيء هو الدم الذى يعفى عنه ويرجَع الى اخذ الدية هذا قول ابن عباس وجاعة من العلماء والعفو على هذا القول على بابه والتأويل الثانى وهو قول مالك ان من يراد بها الولي وعفي بمعنى يُسِّر لا على بابها فى العفو والاخ يراد به القاتل وشيء هي الدية والاخوة على هذا اخوة الاسلام والتأويل الثالث ان هذه الالفاظ فى معنى الذين نزلت فيهم الآية وهم قوم تقاتلوا فقتل بعضهم بعضا فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلح بينهم ويقاصهم بعضهم من بعض بالديات على استواء الاحرار بالاحرار والنساء بالنساء والعبيد بالعبيد فمعنى الآية فمن فضل له من احدى الطائفتين على الاخرى شيء من تلك الديات وتكون عُفي بمعنى فضل * وقوله تعالى فاتباع تقديره فالواجب والحكم اتباع وهذا سبيل الواجبات كقوله تعالى فامساك بمعروف واما المندوب اليه فياتى منصوبا كقوله تعالى فضرب الرقاب وهذه الآية حض من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب وحسن القضاء من المؤدِّي * وقوله سبحانه ذلك تخفيف اشارة الى ما شرعه لهذه الامة من اخذ الدية وكانت بنو اسراءيل لا دية عندهم انما هو القصاص فقط والاعتداء المتوعد عليه فى هذه الآية هو ان ياخذ الرجل دية وليه ثم يقتل القاتل بعد سقوط

الدم واختلف فى العذاب الاليم الذى يلحقه فقال فريق من العلماء منهم مالك هوكمن قتل ابتداء ان شاء الولي قتله وان شاء عفا عنه وعذابه فى الآخرة وقال قتادة وغيره يقتل البتة ولا عفو فيه وروي فى ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى ولكم فى القصاص حياة المعنى ان القصاص اذا اقيم وتحقق الحكم به ازدجر من يريد قتل احد مخافة ان يقتص منه فحييا بذلك معا وايضا فكانت العرب اذا قتل الرجل الآخر حمي قبيلاهما وتقاتلوا وكان ذلك داعيا الى موت العدد الكثير فلما شرع الله سبحانه القصاص قنع الكل به ووقف عنده وتركوا الاقتتال فلهم فى ذلك حياة وخص أولوا الالباب بالذكر تنبيها عليهم لانهم العارفون القابلون للاوامر والنواهى وغيرهم تبع لهم * وتتقون معناه القتل فتسلمون من القصاص ثم يكون ذلك داعية لانواع التقوى فى غير ذلك فان الله سبحانه يثيب على الطاعة بالطاعة * وقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الآية كتب معناه فرض واثبت وفى قوله تعالى اذا حضر مجاز لان المعنى اذا تخوف وحضرت علاماته * والخير فى هذه الآية المال واختلف فى هذه الآية هل هي محكمة او منسوخة فقال ابن عباس وقتادة والحسن الآية عامة وتقرر الحكم بها برهة ونسخ منها كل من يرث بآية الفرائض وقال بعض العلماء ان الناسخ لهذه الآية هي السنة المتواترة وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث

وبالمعروف معناه بالقصد الذى تعرفه النفوس دون اضرار بالورثة ولا تنزير للوصية وحقا مصدر مؤكد وخص المتقون بالذكر تشريفا للرتبة ليتبادر الناس اليها * وقوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه الآية الضمير فى بدله عائد على الايصاء وامر الميت وكذلك فى سمعه ويحتمل

ان يعود الذى فى سمعه على امر الله تعالى فى هذه الآية والاول اسبق للناظر وسميع عليم صفتان لا يخفى معهما شيء من جنف الموصين وتبديل المتعدين والجنف الميل ومعنى الآية على ما قال مجاهد من خشي ان يحيف الموصي ويقطع ميراث طائفة ويتعمد الاذاية فذلك هو الجنف فى اثم وان لم يتعمد فهو الجنف دون اثم فالمعنى من وعظه فى ذلك ورده عنه واصلح ما بينه وبين ورثته وما بين الورثة فى ذاتهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم بالموصى اذا عملت فيه الموعظة ورجع عما اراد من الاذاية وقال ابن عباس وغيره معنى الآية من خاف اي علم ورأى بعد موت الموصى ان الموصي حاف وجنف وتعمد اذاية بعض ورثته فاصلح ما بين الورثة فلا اثم عليه وان كان فى فعله تبديل ما لانه تبديل لمصلحة والتبديل الذى فيه الاثم انما هو تبديل الهوى * قوله جلت قدرته يا ايها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام الآية كتب معناه فرض والصيام فى اللغة الامساك ومنه قوله سبحانه انى نذرت للرحمن صوما وفى الشرع امساك عن الطعام والشراب مقترنة به قرائن من مُراعاة اوقات وغير ذلك * وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم اختلف فى موضع التشبيه قالت فرقة التشبيه كتب عليكم كصيام قد تقدم فى شرع غيركم فالذين عام فى النصارى وغيرهم ولعلكم ترج فى حقهم * وتتقون قيل على العموم لان الصيام كما قال صلى الله عليه وسلم جُنَّة ووِجاء وسبب تقوى لانه يميت الشهوات * واياما معدودات قيل رمضان وقيل الثلاثة الايام من كل شهر ويوم عاشوراء التى نسخت بشهر رمضان * ص * واياما منصوب بفعل مقدر يدل عليه ما قبله اي صوموا اياما وقيل اياما نصب على الظرف انتهى * وقوله سبحانه فمن كان منكم مريضا او

على سفر التقدير فافطر فعدةٌ وهذا يسمونه فحوى الخطاب واختلف العلماء فى حد المرض الذى يقع به الفطر فقال جمهور العلماء اذا كان به مرض يوذيه ويولمه او يخاف تماديه او يخاف من الصوم تزيده صح له الفطر وهذا مذهب حذاق اصحاب مالك وبه يناظرون واما لفظ مالك فهو المرض الذى يشق على المرء ويبلغ به واختلف فى الافضل من الفطر او الصوم ومذهب مالك استحباب الصوم لمن قدر عليه وتقصير الصلاة حسن لان الذمة تبرأ فى رخصة الصلاة وهي مشغولة فى امر الصيام والصواب المبادرة بالاعمال والسفر سفر الطاعة كالحج والجهاد باجماع ويتصل بهذين سفر صلة الرحم وطلب المعاش الضرورى واما سفر التجارة والمباحات فمختلف فيه بالمنع والجواز والقول بالجواز ارجح واما سفر العصيان فمختلف فيه بالجواز والمنع والقول بالمنع ارجح ومسافة سفر الفطر عند مالك حيث تقصر الصلاة ثمانية واربعون ميلا * وقوله تعالى فعدة اي فالحكم او الواجب عدة وفى وجوب تتابعها قولان واخر لا ينصرف للعدل * وقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية الآية قرأ باقى السبعة غير نافع وابن عامر فديةٌ بالتنوين طعامُ مسكين بالافراد وهي قراءة حسنة لانها بينت الحكم فى اليوم واختلفوا فى المراد بالآية فقال ابن عمر وجماعة كان فرض الصيام هكذا على الناس من اراد ان يصوم صام ومن اراد ان يفطر اطعم مسكينا وافطر ثم نسخ ذلك بقوله سبحانه فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقالت فرقة الآية فى الشيوخ الذين يطيقونه بتكلف شديد والآية عند مالك انما هي فيمن يدركه رمضان ثان وعليه صوم من المتقدم فقد كان يطيق فى تلك المدة الصوم فتركه والفدية عند مالك وجماعة من العلماء مُد لكل مسكين * وقوله تعالى فمن تطوع خيرا فهو خير له الآية قال ابن عباس وغيره المراد من اطعم مسكينين فصاعدا

وقال ابن شهاب من زاد الاطعام مع الصوم وقال مجاهد من زاد فى الاطعام على المد وخيرًا الاول قد نزل منزلة مال او نفع وخير الثانى والثالث صفة تفضيل * وقوله تعالى ان كنتم تعلمون يقتضى الحض على الصوم اي فاعلموا ذلك وصوموا * ت * وجاء فى فضل الصوم احاديث صحيحة مشهورة وحدث ابو بكر بن الخطيب بسنده عن سهل بن سعد الساعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام يوما تطوعا لم يطلع عليه احد لم يرض الله له بثواب دون الجنة قال وبهذا الاسناد عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله انتهى قال ابن عبد البر فى كتابه المسمى ببهجة المجالس قال ابو العالية الصائم فى عبادة ما لم يغتب قال الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد البلالى الشافعى فى اختصاره للاحياء وذكر السبكى فى شرحه ان الغيبة تمنع ثواب الصوم اجماعا قال البلالى وفيه نظر لمشقة الاحتراز نعم ان اكثر توجهت المقالة انتهى وهذا الشيخ البلالى لقيته ورويت عنه كتابه هذا وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب جهنم قال ابو عمر فى التمهيد وذلك لان الصوم جنة يستجن بها العبد من النار وتفتح لهم ابواب الجنة لان اعمالهم تزكو فيه وتقبل منهم ثم اسند ابو عمر عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطِيتْ امتى خمس خصال فى رمضان لم تعطهن امة قبلها خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ويزين الله لهم كل يوم جنته ثم يقول يوشك عبادى الصائمون ان يلقوا عنهم المؤونة والاذى ثم يصيرون اليكِ وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون الى ما كانوا يخلصون اليه فى غيره ويغفر لهم ءاخر ليلة قيل يا رسول الله اهي ليلة القدر قال لا ولكن العامل انما يوفى اجره اذا انقضى قال ابو عمر

وفى سنده ابو المقدام فيه ضعف ولكنه محتمل فيما يرويه من الفضائل واسند ابو عمرعن الزهرى قال تسبيحة فى رمضان افضل من الف تسبيحة فى غيره انتهى * ت * وخرجه الترمذي عن الزهري قال تسبيحة فى رمضان افضل من الف تسبيحة فى غيره انتهى * قوله تعالى شهررمضان الذى انزل فيه القرءان الشهرمشتق من الاشتهار قال * ص * الشهرمصدر شهريشهراذا ظهروهو اسم للمدة الزمانية وقال الزجاج الشهر الهلال وقيل سمي الشهر باسم الهلال انتهى ورمضان عَلِقَه هذا الاسم من مدة كان فيها فى الرمض وشدة الحر وكان اسمه قبل ذلك ناترا (١) واختلف فى انزال القرءان فيه فقال الضحاك انزل فى فرضه وتعظيمه والحض عليه وقيل بدئ بنزوله فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس فيما ياثر انزل الى السماء الدنيا جملة واحدة ليلة اربع وعشرين من رمضان ثم كان جبريل ينزله رِسْلا رِسْلا فى الاوامر والنواهى والاسباب وروى واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من شهر رمضان والتوراة لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والقرءان لاربع وعشرين * وهدًى فى موضع نصب على الحال من القرءان فالمراد ان القرءان بجملته من مُحْكَم ومتشابه وناسخ ومنسوخ هدى ثم شُرِّف بالذكروالتخصيص البينات منه يعنى الحلال والحرام والمواعظ والمحكم كله فالالف واللام فى الهدى للعهد والمراد الاول قال * ص * هدى

(١) قوله « وكان اسمه قبل ذلك ناترا » هكذا فى جميع النسخ حتى فى النسخة التى بخط المؤلف ولم ارمن فسر هذه الكلمة بهذا المعنى فيما اطلعت عليه من المعجمات اللغوية ولعل الصواب « وكان اسمه قبل ذلك ناتقا » كما فى سائر التفاسير وكتب اللغة والله اعلم اهـ مصححه

منصوب على الحال اي هاديا فهو مصدر وضع موضع اسم الفاعل وذو الحال القرءان والعامل انزل انتهى * والفرقان المفرق بين الحق والباطل وشهد بمعنى حضر والتقدير من حضر المصر فى الشهر فالشهر نصب على الظرف * وقوله سبحانه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر قال مجاهد والضحاك اليسر الفطر فى السفر والعسر الصوم فى السفر * ع * والوجه عموم اللفظ فى جميع امور الدين وقد فسر ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم دين الله يسر * قلت قال ابن الفاكهانى فى شرح الاربعين للنووى فان قلت قوله تعالى ان مع العسر يسرا الآية يدل على وقوع العسر قطعا وقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يدل على نفي العسر قطعا لان ما لا يريده تعالى لا يكون باجماع اهل السنة قلت العسر المنفي غير المثبت فالمنفي انما هو العسر فى الاحكام لا غير فلا تعارض انتهى وترجم البخاري فى صحيحه قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس ثم اسند هو ومسلم عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا واسند البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابى موسى ومعاذ يسرا ولا تعسرا و بشرا ولا تنفرا قال البخاري حدثنا ابو اليمان قال حدّثنا حماد بن زيد عن الازرق بن قيس قال كنا على شاطئ نهر بالاهواز قد نضب عنه الماء فجاء ابو برزة الاسلمى على فرس فصلى وخلى فرسه فانطلق الفرس فترك صلاته وتبعها حتى ادركها فاخذها ثم جاء فقضى صلاته وفينا رجل له رأي فاقبل يقول انظروا الى هذا الشيخ ترك صلاته من اجل فرس فاقبل فقال ما عنفنى احد منذ فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقال ان منزلى متراخ فلو صليت وتركته لم ءات اهلى الى الليل وذكر انه

قد صحب النبي صلى الله عليه وسلم فرأى من تيسيره انتهى * وقوله تعالى ولتكملوا العدة معناه وليُكمِل من افطر في سفره او في مرضه عدة الايام التي افطر فيها * وقوله تعالى ولتكبروا الله حض على التكبير في ءاخر رمضان قال مالك وهو من حين يخرج الرجل من منزله الى ان يخرج الامام الى المصلّى ولفظه عند مالك وجماعة من العلماء الله اكبر الله اكبر الله اكبر ثلاثا ومن العلماء من يكبر ويهلل ويسبح اثناء التكبير ومنهم من يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وقيل غير هذا والجميع حسن واسع مع البداءة بالتكبير وهداكم قيل المراد لما ضل فيه النصارى من تبديل صيامهم وتعميم الهدى جيد * ولعلكم تشكرون ترج في حق البشر اي على نعم الله في الهدى * ص * ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك انتهى * وقوله جل وعلا واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعان الآية قال الحسن بن ابى الحسن سببها ان قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت الآية * واجيبُ قال قوم المعنى اجيب ان شئت وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما ان تظهر الاجابة في الدنيا واما ان يكفر عنه واما ان يدخر له اجر في الآخرة وهذا بحسب حديث الموطا وهو ما من داع يدعو الا كان بين احدى ثلاث الحديث * ت * وليس هذا باختلاف قول قال ابن رشد في البيان الدعاء عبادة من العبادات يوجر فيها الاجر العظيم اجيبت دعوته فيما دعا به او لم تجب وها انا انقل ان شاء الله من صحيح الاحاديث في هذا المحل ما يثلج له الصدر وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء احد رواه الحاكم ابو عبد

الله فى المستدرك على الصحيحين وابن حِبّان فى صحيحه واللفظ له وقال الحاكم صحيح الاسناد وعن ابى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء سلاح المومن وعماد الدين ونور السموات والارض رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدعو الله بالمومن يوم القيامة حتى يوقف بين يديه فيقول عبدى انى امرتك ان تدعونى ووعدتك ان استجيب لك فهل كنت تدعونى فيقول نعم يا رب فيقول اما انك لم تدعنى بدعوة الا استجبت لك اليس دعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك ان افرج عنك ففرجت عنك فيقول نعم يا رب فيقول فانى عجلتها لك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك ان افرج عنك فلم تر فرجا قال نعم يا رب فيقول انى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا كذا وكذا ودعوتنى فى حاجة اقضيها لك فى يوم كذا وكذا فقضيتها فيقول نعم يا رب فيقول فانى عجلتها لك فى الدنيا ودعوتنى فى يوم كذا وكذا فى حاجة اقضيها لك فلم تر قضاءها فيقول نعم يا رب فيقول انى ادخرت لك فى الجنة كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يَدَعُ الله دعوة دعا بها عبده المومن الا بين له اما ان يكون عجل له فى الدنيا واما ان يكون ادخر له فى الآخرة قال فيقول المومن فى ذلك المقام يا ليته لم يكن عجل له شيء من دعائه رواه الحاكم فى المستدرك وعن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعاء رواه الحاكم فى المستدرك وابن حبان فى صحيحه واللفظ للحاكم وقال صحيح الاسناد * قلت وقد اخرج ابن المبارك فى رقائقه هذا الحديث ايضا قال حدثنا سفيان عن عبد الله بن قيس عن عبد الله بن ابى الجعد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لا يرد القضاء الا الدعاء وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه انتهى وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان البلاء لينزل من السماء فيتلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح الاسناد وقوله فيعتلجان اي يتصارعان وعن سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يستجاب له عند الكُرَب والشدائد فليكثر الدعاء فى الرخاء رواه الحاكم ايضا وقال صحيح الاسناد وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فُتح له فى الدعاء منكم فتحت له ابواب الجنة قال الغزالى رحمه الله فى كتاب الاحياء فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا يرد فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب للرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم ثم فى الدعاء من الفائدة انه يستدعى حضور القلب مع الله عزوجل وذلك منتهى العبادات فالدعاء يرد القلب الى الله عزوجل بالتضرع والاستكانة فانظره فانى اثرت الاختصار وانظر سلاح المومن الذى منه نقلت هذه الاحاديث ومن جامع الترمذى عن ابى خزامة واسمه رفاعة عن ابيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيأ قال هي من قدر الله قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وانظر جواب عمر لابى عبيدة نعم نفر من قدر الله الى قدر الله الحديث هو من هذا المعنى انتهى والله الموفق بفضله * وقوله تعالى فليستجيبوا لى قال ابو رجاء الخراساني معناه فليدعونى قال * ع * المعنى فليطلبوا ان اجيبهم وهذا هو باب استفعل اي طلب الشيء الا ما شذ مثل استغنى الله وقال مجاهد وغيره

المعنى فليجيبوا لى فيما دعوتهم اليه من الايمان اي بالطاعة والعمل فائدة قال صاحب غاية المغنم فى اسم الله الاعظم وهو امام عارف بعلم الحديث وكتابه هذا يشهد له قال ذكر الدينورى فى كتاب المجالسة عن ليث بن سليم ان رجلا وقف على قوم فقال من عنده ضيافة هذه الليلة فسكت القوم ثم عاد فقال رجل اعمى عندى فذهب به الى منزله فعشاه ثم حدثه ساعة ثم وضع له وَضوءا فقام الرجل فى جوف الليل فتوضأ وصلى ما قضي له ثم جعل يدعو فانتبه الاعمى وجعل يسمع لدعائه فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية اسألك بطاعة الارواح الراجعة الى اجسادها وبطاعة الاجساد الملتئمة فى عروقها وبطاعة القبور المتشققة عن اهلها وبدعوتك الصادقة فيهم واخذك الحق منهم وتبريز الخلائق كلهم من مخافتك ينتظرون قضاءك ويرجون رحمتك ويخافون عذابك اسألك ان تجعل النور فى بصرى والاخلاص فى عملى وشكرك فى قلبى وذكرك فى لسانى فى الليل والنهار ما ابقيتنى قال فحفظ الاعمى هذا الدعاء ثم قام فتوضأ وصلى ركعتين ودعا به فاصبح قد رد الله عليه بصره انتهى من غاية المغنم فى اسم الله الاعظم واطلاق الفناء على الارواح فيه تجوز والعقيدة ان الارواح باقية لا تفنى وانما عبر عن مفارقتها لاجسادها بالفناء هذا هو مراده وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان القلوب اوعية وبعضها اوعى من بعض فادعوا الله ايها الناس حين تدعون وانتم موقنون بالاجابة فان الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل انتهى قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن واذا اراد الله ان يعطي عبدا شيأ وهبه الاضطرار اليه فيه فيطلبه بالاضطرار فيعطَى واذا اراد الله ان يمنع عبدا امرا منعه الاضطرار اليه فيه ثم منعه اياه فلا يُخاف عليك ان تضطر

وتطلب فلا تعطى بل يُخاف عليك ان تحرم الاضطرار فتحرم الطلب او تطلب بغير اضطرار فتحرم العطاء انتهى * وقوله سبحانه وليومنوا بى قال ابو رجاء فى انى اجيب دعاءهم وقال غيره بل ذلك دعاء الى الايمان بجملته * وقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الآية لفظة احل تقتضى انه كان محرما قبل ذلك وليلة نصب على الظرف * والرفث كناية عن الجماع لان الله تعالى كريم يكنى قاله ابن عباس وغيره والرفث فى غير هذا ما فحش من القول وقال ابو اسحاق الرفث كل ما ياتيه الرجل مع المرأة من قبلة ولمس * ع * اوكلام فى هذا المعنى وسبب هذه الآية فيما قال ابن عباس وغيره ان جماعة من المسلمين اختانوا انفسهم واصابوا النساء بعد النوم او بعد صلاة العشاء على الخلاف فى ذلك منهم عمر بن الخطاب جاء الى امرأته فارادها فقالت له قد نمت فظن انها تعتل بذلك فوقع بها ثم تحقق انها قد كانت نامت وكان الوطء بعد نوم احدهما ممنوعا فذهب عمر فاعتذر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل صدر الآية وروي ان صِرْمة بن قيس نام قبل الاكل فبقي كذلك دون اكل حتى غشي عليه فى نهاره المقبل فنزل فيه من قوله تعالى وَكُلُوا واشربُوا * واللباس اصله فى الثياب ثم شبه التباس الرجل بالمرأة بذلك * وتاب عليكم اي من المعصية التى وقعتم فيها قال ابن عباس وغيره باشروهن كناية عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم قال ابن عباس وغيره اي ابتغوا الولد قال الفخر والمعنى لا تباشروهن لقضاء الشهوة فقط ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل قال عليه السلام تناكحوا تناسلوا فانى مكاثر بكم الامم انتهى وقيل المعنى ابتغوا ليلة القدر وقيل ابتغوا الرخصة والتوسعة قاله قتادة وهو قول حسن وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الآية

نزلت بسبب صِرْمة بن قيس وحتى غاية للتبيّن ولا يصح ان يقع التبيّن لاحد ويحرم عليه الاكل الاوقد مضى لطلوع الفجر قدر والخيط استعارة وتشبيه لرقة البياض اولا ورقة السواد الحاف به والمراد فيها قال جميع العلماء بياض النهار وسواد الليل ومن الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والفجر ماخوذ من تفجر الماء لانه ينفجر شيأ بعد شيء وروي عن سهل ابن سعد وغيره من الصحابة ان الآية نزلت الا قوله من الفجر فصنع بعض الناس خيطين ابيض واسود فنزل قوله تعالى من الفجر * ع * وروي انه كان بين طرفي المدة عام من رمضان الى رمضان تأخر البيان الى وقت الحاجة وعدي بن حاتم جعل خيطين على وساده واخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان وسادك لعريض واختلف فى الحد الذى بتبيّنه يجب الامساك فقال الجمهور وبه اخذ الناس ومضت عليه الامصار والاعصار ووردت به الاحاديث الصحاح انه الفجر المعترض فى الافق يمنة ويسرة فبطلوع اوله فى الافق يجب الامساك وروي عن عثمان بن عفان وحذيفة بن اليمان وابن عباس وغيرهم ان الامساك يجب بتبيّن الفجر فى الطرق وعلى رءوس الجبال وذكر عن حذيفة انه قال تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو النهار الا ان الشمس لم تطلع ومن اكل وهو يشك فى الفجر فعليه القضاء عند مالك * وقوله سبحانه ثم اتموا الصيام الى الليل امر يقتضي الوجوب * والى غايةٌ واذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها فهو داخل فى حكمه واذا كان من غير جنسه لم يدخل فى المحدود والليل الذى يتم به الصيام مغيب قرص الشمس فمن افطر شاكا فى غروبها فالمشهور من المذهب ان عليه القضاء والكفارة وروى ابو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم

الصائم حين يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها ابواب السماء ويقول الرب تعالى وعزتي لا نصرنك ولو بعد حين رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى واللفظ له حديث حسن ولفظ ابن ماجه حتى يفطر انتهى من السلاح وعنه صلى الله عليه وسلم ان للصائم عند فطره لدعوة ما ترد رواه ابن السني انتهى من حلية النووى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه رواه البخارى ومسلم انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا حماد بن سلمة عن واصل مولى ابى عيينة عن لقيط ابى المغيرة عن ابى بردة ان ابا موسى الاشعري كان فى سفينة فى البحر مرفوع شراعها فاذا رجل يقول يا اهل السفينة قفوا سبع مرار فقلنا الا ترى على اي حال نحن ثم قال فى السابعة قفوا اخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه انه من عطّش نفسه لله فى يوم حار من ايام الدنيا شديد الحر كان حقا على الله ان يرويه يوم القيامة فكان ابو موسى يبتغى اليوم الشديد الحر فيصومه انتهى قال يوسف بن يحيي التادلى فى كتاب التشوف وخرج عبد الرزاق فى مصنّفه عن هشام بن حسان عن واصل بن لقيط عن ابى بردة عن ابى موسى الاشعري قال غزا الناس برا وبحرا فكنت ممن غزا فى البحر فبينما نحن نسير فى البحر اذ سمعنا صوتا يقول يا اهل السفينة قفوا اخبركم فنظرنا يمينا وشمالا فلم نرشيأ الالجة البحر ثم نادى الثانية حتى نادى سبع مرات يقول كذلك قال ابو موسى فلما كانت السابعة قمت فقلت ما تخبرنا قال اخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه ان من عطش لله فى يوم حار ان يرويه الله يوم القيامة وذكره ابن حبيب فى الواضحة بلفظ اخر انتهى قال ابن المبارك واخبرنا ابو بكر بن ابى مريم الغسانى قال حدثنى ضَمْرة بن

حبيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء بابا وان باب العبادة الصيام انتهى وروى البخاري ومسلم فى صحيحيهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن ءادم يضاعف الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الله الا الصوم فانه لى وانا اجزى به انما يدع شهوته وطعامه من اجلى انتهى * وقوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد قالت فرقة المعنى ولا تجامعوهن وقال الجمهور ذلك يقع على الجماع فما دونه مما يُتلذذ به من النساء وعاكفون اي ملازمون قال مالك رحمه الله وجماعة معه لا اعتكاف الا فى مساجد الجمعات وروي عن مالك ايضا ان ذلك فى كل مسجد ويخرج الى الجمعة كما يخرج الى ضروري اشغاله قال ابن العربى فى احكامه وحرم الله سبحانه المباشرة فى المسجد وكذلك تحرم خارج المسجد لان معنى الآية ولا تباشروهن وانتم ملتزمون للاعتكاف فى المساجد معتقدون له انتهى وتلك اشارة الى هذه الاوامر والنواهى * والحدودُ الحواجز بين الاباحة والحظر ومنه قيل للبواب حداد لانه يمنع ومنه الحاد لانها تُمنع من الزينة والآيات العلامات الهادية الى الحق * وقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الآية الخطاب لامة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويدخل فى هذه الآية القمار والخُدَع والغصوب وجحد الحقوق وغير ذلك * وقوله سبحانه وتدلوا بها الى الحكام الآية يقال ادلى الرجل بحجة اوبامر يرجوالنجاح به تشبيها بالذى يرسل الدلو فى البير يرجو بها الماء قال قوم معنى الآية تسارعون فى الاموال الى المخاصمة اذا علمتم ان الحجة تقوم لكم اما بان لا تكون على الجاحد بينة او يكون مال امانة كاليتيم ونحوه مما يكون القول فيه قوله فالباء فى بها باء السبب وقيل معنى الآية ترشوا بها على اكل اكثر منها فالباء الزاق مجرد

وهذا القول يترجح لان الحكام مظنة الرشى الامن عُصِم وهو الاقل وايضا فان اللفظتين متناسبتان تدلوا من ارسال الدلو والرشوة من الرشاء كانها يمد بها لتقضى الحاجة * والفريق القطعة والجزء * وبالاثم اي بالظلم * وانتم تعلمون اي انكم مبطلون * وقوله تعالى يسألونك عن الاهلة قال ابن عباس وغيره نزلت على سؤال قوم من المسلمين النبي صلى الله عليه وسلم عن الهلال وما فائدة مُحاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس * ومواقيت اي لمحل الديون وانقضاء العدد والاكرية وما اشبه هذا من مصالح العباد ومواقيت للحج ايضا يعرف بها وقته واشهره * وقوله سبحانه وليس البر الآية قال البراء بن عازب والزهري وقتادة سببها ان الانصار كانوا اذا حجوا او اعتمروا يلتزمون تشرعا ان لا يحول بينهم وبين السماء حائل فكانوا يتسنمون ظهور بيوتهم على الجدرات وقيل كانوا يجعلون فى ظهور بيوتهم فتوحا يدخلون منها ولا يدخلون من الابواب وقيل غير هذا مما يشبهه * وقوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الآية هي اول ءاية نزلت فى الامر بالقتال قال ابن زيد والربيع قوله ولا تعتدوا اي فى قتال من لم يقاتلكم وهذه الموادعة منسوخة بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وقال ابن عباس وغيره ولا تعتدوا فى قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم فهي محكمة * وقوله تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم الآية قال ابن اسحاق وغيره نزلت هذه الآية فى شان عمرو بن الحضرمي وواقد وهي سرية عبد الله ابن جحش وثقفتموهم معناه احكمتم غلبتهم يقال رجل ثقف لقف اذا كان محكما لما يتناوله من الامور * واخرجوهم خطاب لجميع المومنين والضمير لكفار قريش * والفتنة اشد من القتل اي الفتنة التى حملوكم عليها وراموكم بها على الرجوع الى الكفر اشد من القتل ويحتمل ان يكون المعنى والفتنة اي

الكفر والضلال الذى هم فيه اشد فى الحرَم واعظم جرما من القتل الذى عيروكم به فى شان ابن الحضرمي * وقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام الآية قال الجمهور كان هذا ثم نسخ وقال مجاهد الآية محكمة ولا يجوز قتال احد يعني عند المسجد الحرام الا بعد ان يقاتل * قلت وظاهر قوله صلى الله عليه وسلم وانما احلت لى ساعة من النهار ولم تحل لاحد بعدى يقوى قول مجاهد وهذا هو الراجح عند الامام الفخر وان الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال فى الحرم انتهى قال ابن العربى فى احكامه وقد روى الائمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السماوات والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيها لاحد قبلى وانما احلت لى ساعة من نهار فقد ثبت النهي عن القتال فيها قرءانا وسنة فان لجأ اليها كافر فلا سبيل اليه واما الزانى والقاتل فلا بد من اقامة الحد عليه الا ان يبتدئ الكافر بالقتال فيها فيقتل بنص القرءان انتهى وقرأ حمزة والكساءي ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فان قتلوكم فاقتلوهم اي فان قتلوا منكم والانتهاء فى هذه الآية هو الدخول فى الاسلام * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله الفتنة هنا الشرك وما تابعه من اذى المومنين قاله ابن عباس وغيره والدين هنا الطاعة والشرع والانتهاء فى هذا الموضع يصح مع عموم الآية فى الكفار ان يكون الدخولَ فى الاسلام ويصح ان يكون اداء الجزية * وقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص الآية قال ابن عباس وغيره نزلت فى عمرة القضية وعام الحديبية سنة ست حين صدهم المشركون اي الشهر الحرام الذى غلّبكم الله فيه وادخلكم الحرم عليهم سنة سبع بالشهر الحرام الذى صدوكم فيه

والحرمات قصاص وقالت فرقة قوله والحرمات قصاص مقطوع مما قبله وهو ابتداء امر كان في اول الاسلام ان من انتهك حرمتك نلت منه مثل ما اعتدى عليك * واتقوا الله قيل معناه في ان لا تعتدوا وقيل في ان لا تزيدوا على المثل * وقوله تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة الآية سبيل الله هنا الجهاد واللفظ يتناول بعدُ جميعَ سبله وفي الصحيح ان ابا ايوب الانصاري كان على القسطنطينية فحمل رجل على عسكر العدو فقال قوم القى هذا بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب لا إن هذه الآية نزلت في الانصار حين ارادوا لمّا ظهر الاسلام ان يتركوا الجهاد ويعمروا اموالهم واما هذا فهو الذي قال الله تعالى فيه ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله وقال ابن عباس وحذيفة بن اليمان وجمهور الناس المعنى لا تلقوا بايديكم بان تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العَيْلة * واحسنوا قيل معناه في اعمالكم بامتثال الطاعات روي ذلك عن بعض الصحابة وقيل المعنى واحسنوا في الانفاق في سبيل الله وفي الصدقات قاله زيد بن اسلم وقال عكرمة المعنى واحسنوا الظن بالله عزوجل * ت * ولا شك ان لفظ الآية عام يتناول جميع ما ذكر والمخصص يفتقر الى دليل فاما حسن الظن بالله سبحانه فقد جاءت فيه احاديث صحيحة فمنها انا عند ظن عبدي بي وفي صحيح مسلم عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله انتهى واخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن عبادة المرء حسن ظنه انتهى قال عبد الحق في العاقبة اما حسن الظن بالله عز وجل عند الموت فواجب للحديث انتهى ويدخل في عموم الآية انواع المعروف قال ابو عمر

ابن عبد البر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة قال ابو جَزْء الجُهَيْمي قلت يا رسول الله اوصني قال لا تحقرن شيأً من المعروف ان تأتيه ولو ان تفرغ من دلوك فى اناء المستنقى ولو ان تلقى اخاك ووجهك منبسط اليه وقال عليه السلام اهل المعروف فى الدنيا هم اهل المعروف فى الآخرة وقال عليه السلام ان لله عبادا خلقهم لحوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة انتهى من كتابه المسمى ببهجة المَجالس وأُنس المُجالس * وقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله قال ابن زيد وغيره اتمامهما ان لا تفسخا وان تتمهما اذا بدأت بهما وقال ابن عباس وغيره اتمامهما ان تقضى مناسكهما كاملة بما كان فيهما من دماء وقال سفيان الثورى اتمامهما ان تخرج قاصدا لهما لا لتجارة ولا لغير ذلك ويؤيد هذا قوله لِله وفروض الحج النية والاحرام والطواف المتصل بالسعي يعنى طواف الافاضة والسعي بين الصفا والمروة عندنا خلافا لابى حنيفة والوقوف بعرفة وزاد ابن الماجشون جمرة العقبة * وقوله تعالى فان احصرتم فما استيسر من الهدي هذه الآية نزلت عام الحديبية عند جمهور اهل التاويل واجمع جمهور الناس على ان المُحصَر بالعدو يَحل حيث أُحصِر وينحر هديه ان كان ثَمّ هَدْيٌ ويحلق راسه واما المحصَر بمرض فقال مالك وجمهور من العلماء لا يحله الا البيت ويقيم حتى يُفيق وان اقام سنين فاذا وصل البيت بعد فوت الحج قطع التلبية فى اوائل الحرم وحل بعمرة ثم تكون عليه حجة قضاء وفيها يكون الهدي * وما فى موضع رفع اي فالواجب او فعليكم ما استيسر وهو شاة عند الجمهور وقال ابن عمر وعروة جمل دون جمل وبقرة دون بقرة * وقوله تعالى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله الخطاب لجميع الامة وقيل للمحصَرين خاصة ومِحِل الهدي حيث يحل نحره وذلك لمن لم يُحصَر بِمِنًى والترتيب

ان يرمي الحاج الجمرة ثم ينحر ثم يحلق ثم يطوف للافاضة * وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا الآية المعنى فحلق لازالة الاذى ففدية وهذا هو فحوى الخطاب عند اكثر الاصوليين ونزلت هذه الآية فى كعب بن عُجْرة حين رءاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وراسه يتناثر قملا فامره بالحلاق ونزلت الرخصة والصيام عند مالك وجميع اصحابه ثلاثة ايام والصدقة ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع وذلك مُدّان بمد النبي صلى الله عليه وسلم والنسك شاة باجماع ومن اتى بافضل منها مما يذبح او ينحر فهو افضل والمفتدى مخير فى اي هذه الثلاثة شاء حيث شاء من مكة وغيرها قال مالك وغيره كلما اتى فى القرءان أوْأوْ فانه على التخيير * وقوله تعالى فاذا امنتم اي من العدو المحصر قاله ابن عباس وغيره وهو اشبه باللفظ وقيل معناه اذا برأتم من مرضكم * وقوله سبحانه فمن تمتع بالعمرة الى الحج الآية قال ابن عباس وجماعة من العلماء الآية فى المحصَرين وغيرهم وصورة المتمتع ان تجتمع فيه ستة شروط ان يكون معتمرا فى اشهر الحج وهو من غير حاضرى المسجد الحرام ويحل وينشىء الحج من عامه ذلك دون رجوع الى وطنه او ما ساواه بُعدًا هذا قول مالك واصحابه واختلف لم سمي متمتعا فقال ابن القاسم لانه تمتع بكل ما لا يجوز للمحرم فعله من وقت حله فى العمرة الى وقت انشائه الحج وقال غيره سمي متمتعا لانه تمتع باسقاط احد السفرين وذلك ان حق العمرة ان تقصد بسفر وحق الحج كذلك فلما تمتع باسقاط احدهما الزمه الله تعالى هديا كالقارن الذى يجمع الحج والعمرة فى سفر واحد وجُل الامة على جواز العمرة فى اشهر الحج للمكي ولادم عليه * وقوله تعالى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج يعنى من وقت يحرم الى يوم عرفة فان فاته صيامها

قبل يوم النحر فليصمها فى ايام التشريق لانها من ايام الحج * وسبعة اذا رجعتم قال مجاهد وغيره اي اذا رجعتم من مِنى وقال قتادة والربيع هذه رخصة من الله سبحانه والمعنى اذا رجعتم الى اوطانكم ولما جاز ان يتوهم متوهم التخيير بين ثلاثة ايام فى الحج اوسبعة اذا رجع ازيل ذلك بالجلية من قوله تعالى تلك عشرة * وكاملة قال الحسن بن ابى الحسن المعنى كاملة الثواب وقيل كاملة تاكيد كما تقول كتبتُ بيدي وقيل لفظها الاخبار ومعناها الامر اي اكملوها فذلك فرضها وقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله الآية الاشارة بذلك على قول الجمهور هي الى الهدي اي ذلك الاشتداد والالزام وعلى قول من يرى ان المكي لا تجوز له العمرة فى اشهر الحج تكون الاشارة الى التمتع وحكمه فكأن الكلام ذلك الترخيص لمن لم ويتأيد هذا بقوله لمن لم لان اللام ابدا انما تجيء مع الرخص واختلف الناس فى حاضرى المسجد الحرام بعد الاجاع على اهل مكة وما اتصل بها فقيل من تجب عليه الجمعة بمكة فهو حضري ومن كان ابعد من ذلك فهو بدوي قال * ع * فجعل اللفظة من الحضارة والبداوة وقيل من كان بحيث لا يقصر الصلاة فهو حاضر اي مشاهد ومن كان ابعد من ذلك فهو غائب وقال ابن عباس ومجاهد اهل الحرم كله حاضرو المسجد الحرام ثم امر تعالى بتقواه على العموم وحذر من شديد عقابه * وقوله تعالى الحج اشهر معلومات فى الكلام حذف تقديره اشهر الحج اشهر او وقت الحج اشهر معلومات قال ابن مسعود وغيره وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة كله وقال ابن عباس وغيره هي شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة والقولان لمالك رحمه الله فمن فرض فيهن الحج اي الزمه نفسه وفرض الحج هو بالنية والدخول فى الاحرام والتلبيةُ تبع لذلك وقوله تعالى فيهن ولم يجئ

الكلام فيها فقال قوم هما سواء فى الاستعمال وقال ابو عثمان المازني الجمع الكثير لما لا يعقل ياتى كالواحدة المؤنثة والقليل ليس كذلك تقول الاجذاع انكسرن والجذوع انكسرت ويؤيد ذلك قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله ثم قال منها * وقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق الآية وقرأ ابن كثير وابو عمرو فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالَ بالرفع فى الاثنين ونصب الجدال ولا بمعنى ليس فى قراءة الرفع والرفث الجماع فى قول ابن عباس ومجاهد ومالك والفسوق قال ابن عباس وغيره هي المعاصى كلها وقال ابن زيد ومالك الفسوق الذبح للاصنام ومنه قوله تعالى او فسقا اهل لغير الله به والاول اولى قال الفخر واكثر المحققين حملوا الفسق هنا على كل المعاصى قالوا لان اللفظ صالح للكل ومتناول له والنهي عن الشيء يوجب الانتهاء عن جميع انواعه فحمل اللفظ على بعض انواع الفسوق تحكم من غير دليل انتهى قال ابن عباس وغيره الجدال هنا ان تماري مسلما وقال مالك وابن زيد الجدال هنا ان يختلف الناس ايهم صادف موقف ابراهيم عليه السلام كما كانوا يفعلون فى الجاهلية قلت ومعنى الآية فلا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا كقوله صلى الله عليه وسلم والصوم جُنة فاذا كان صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب فان شاتمه احد او قاتله فليقل انى امرؤ صائم الحديث انتهى قال ابن العربى فى احكامه قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق اراد نفيه مشروعا لا موجودا فانا نجد الرفث فيه ونشاهده وخبر الله سبحانه لا يقع بخلاف مخبره انتهى قال الفخر قال القفال ويدخل فى هذا النهي ما وقع من بعضهم من مجادلة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق عليهم ذلك وقالوا انروح الى منى ومذاكيرنا تقطر منيا الحديث انتهى * وقوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله المعنى فيثيب عليه وفى هذا

تحضيض على فعل الخير ❊ ت ❊ وروى أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صُنِع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلغ فى الثناء رواه الترمذي والنساءي وابن حبان فى صحيحه بهذا اللفظ انتهى من السلاح ونحو هذا جوابه صلى الله عليه وسلم للمهاجرين حيث قالوا ما رأينا كالانصار واثنوا عليهم خيرا ❊ وقوله سبحانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى الآية قال ابن عمروغيره نزلت الآية فى طائفة من العرب كانت تجيء الى الحج بلا زاد ويبقون عالة على الناس فامروا بالتزود وقال بعض الناس المعنى تزودوا الرفيق الصالح وهذا تخصيص ضعيف والاولى فى معنى الآية وتزودوا لمعادكم من الاعمال الصالحة قلت وهذا التاويل هو الذى صدر به الفخر وهو الظاهر وفى قوله فان خير الزاد التقوى حض على التقوى ❊ وقوله تعالى ليس عليكم جناح الآية الجناح اعم من الاثم لانه فيما يقتضى العقاب وفى ما يقتضى الزجر والعتاب ❊ وتبتغوا معناه تطلبوا اي لا درك فى ان تتجروا وتطلبوا الربح ❊ وقوله تعالى فاذا افضتم من عرفات اجمع اهل العلم على تمام حج من وقف بعرفات بعد الزوال وافاض نهارا قبل الليل الا مالك بن انس فانه قال لا بد ان ياخذ من الليل شيأ واما من وقف بعرفة ليلا فلا خلاف بين الامة فى تمام حجه ❊ وافاض القوم او الجيش اذا اندفعوا جملة واختلف فى تسميتها عرفة والظاهر انه اسم مرتجل كسائر اسماء البقاع وعرفة هي نَعمان الاراكِ والمشعر الحرام جمع كله وهو ما بين جبلي المزدلفة من حدِ مُفْضَى مأْزِمَيْ عرفة الى بطن مُحَسِّر قاله ابن عباس وغيره فهي كلها مشعر الا بطن محسر كما ان عرفة كلها موقف الا بطن عُرنة بفتح الراء وضمها روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرفة كلها موقف الا بطن عُرنة والمزدلفة كلها مشعر ألَا وارتفعوا عن بطن محسر وذكر هذا عبد الله

ابن الزبير في خطبته وذِكر الله تعالى عند المشعر الحرام ندب عند اهل العلم قال مالك ومن مر به ولم ينزل فعليه دم * وقوله تعالى واذكروه كما هداكم تعديد للنعمة وامر بشكرها * ص * كما هداكم الكاف للتشبيه وهو في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي كهدايته فتكون ما وما بعدها في موضع جراذ ينسبك منها مع الفعل مصدر ويَحتمل ان تكون للتعليل على مذهب الاخفش وابن برهان وجوز ابن عطية وغيره ان تكون ما كافة للكاف عن العمل والاول اولى لان فيه اقرار الكاف على عملها الجر وقد منع صاحب المستوفى ان تكون الكاف مكفوفة بما واحتج من اثبته بقوله

لعمرك انني وابو حميد * كما النسوانُ والرجلُ الحليمُ

اريد هجاءه واخاف ربي * واعلم انه عبد لئيم

انتهى ثم ذكّرهم سبحانه بحال ضلالهم ليظهر قدر انعامه عليهم * وان كنتم من قبله اي من قبل الهُدى * وقوله سبحانه ثم افيضوا من حيث افاض الناس المخاطب بهذه الآية قريش ومن ولدت قاله ابن عباس وغيره وذلك انهم كانوا لا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ويفيضون منه مع معرفتهم ان عرفة هي موقف ابراهيم فقيل لهم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة وثم ليست في هذه الآية للترتيب انما هي لعطف جملة كلام على جملة هي منها منقطعة وقال الضحاك المخاطب بالآية جملة الامة والمراد بالناس ابراهيم ويحتمل ان تكون افاضة اخرى وهي التى من المزدلفة وعلى هذا عول الطبرى فتكون ثم على بابها وقرأ سعيد بن جبير الناسى وتأوله ءادم عليه السلام وامر عز وجل بالاستغفار لانها مواطنه ومظان القبول ومساقط الرحمة وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عشية عرفة فقال ايها الناس ان الله

عز وجل تطاول عليكم فى مقامكم هذا فقبل من محسنكم ووهب مسيئكم لمحسنه الا التبعات فيما بينكم افيضوا على اسم الله فلما كان غداة جمع خطب فقال ايها الناس ان الله تطاول عليكم فعوض التبعات من عنده * وقوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم الآية قال مجاهد المناسك الذبائح وهي اراقة الدماء * ع * والمناسك عندى العبادات فى معالم الحج ومواضع النسك فيه والمعنى اذا فرغتم من حجكم الذى هو الوقوف بعرفة فاذكروا الله بمحامده واثنوا عليه بآلائه عندكم وكانت عادة العرب اذا قضت حجها تقف عند الجمرة تتفاخر بالآباء وتذكر ايام اسلافها من بسالة وكرم وغير ذلك فنزلت الآية ان يلزموا انفسهم ذكر الله تعالى اكثر من التزامهم ذكر آبائهم بايام الجاهلية هذا قول جمهور المفسرين وقال ابن عباس وعطاء معنى الآية واذكروا الله كذكر الاطفال آباءهم وامهاتهم اي فاستغيثوا به والجئوا اليه قال النووى فى حليته والمراد من الذكر حضور القلب فينبغى ان يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله ويتدبر ما يذكر ويتعقل معناه فالتدبر فى الذكر مطلوب كما هو مطلوب فى القراءة لاشتراكهما فى المعنى المقصود ولهذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مد الذاكر قوله لا اله الا الله لما فيه من التدبر واقوال السلف وائمة الخلف فى هذا مشهورة انتهى قال الشيخ العارف ابو عبد الله محمد بن احمد الانصارى الساحلى المالقى ومنفعة الذكر ابدا انما هي تتبع معناه بالفكر ليقتبس الذاكر من ذكره انوار المعرفة ويحصل على اللب المراد ولا خير فى ذكر مع قلب غافل ساه ولا مع تضييع شيء من رسوم الشرع وقال فى موضع آخر من هذا الكتاب الذى الفه فى السلوك ولا مطمع للذاكر فى درك حقائق الذكر الا باعمال الفكر فيما تحت الفاظ الذكر من المعانى وليدفع خطرات نفسه عن باطنه راجعا الى مقتضى ذكره حتى

يغلب معنى الذكر على قلبه وقد ءان له ان يدخل فى دائرة اهل المحاضرات انتهى * وقوله تعالى فمن الناس من يقول ربنا ءاتنا فى الدنيا الآية قال ابو وائل وغيره كانت عادتهم فى الجاهلية الدعاء فى مصالح الدنيا فقط اذ كانوا لا يعرفون الآخرة فنهوا عن ذلك الدعاء المخصوص بامر الدنيا وجاء النهي فى صيغة الخبر عنه والخلاق الحظ والنصيب قال الحسن بن ابى الحسن حسنة الدنيا العلم والعبادة * ع * واللفظ اعم من هذا وحسنة الآخرة الجنة باجماع وعن انس قال كان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ربنا ءاتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار رواه البخارى ومسلم وغيرهما زاد مسلم وكان انس اذا اراد ان يدعو بدعاء دعا بها فيه انتهى * اولئك لهم نصيب مما كسبوا وعد على كسب الاعمال الصالحة والرب سبحانه سريع الحساب لانه لا يحتاج الى عقد ولا اعمال فكر قيل لعلي رضي الله عنه كيف يحاسب الله الخلائق فى يوم فقال كما يرزقهم فى يوم وقيل الحساب هنا المجازات وقيل معنى الآية سريع مجيء يوم الحساب فيكون المقصد بالآية الانذار بيوم القيامة * وقوله تعالى واذكروا الله فى ايام معدودات امر الله سبحانه بذكره فى الايام المعدودات وهي الثلاثة التى بعد يوم النحر ومن جملة الذكر التكبير فى اثر الصلوات قال مالك يكبر من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من ءاخر ايام التشريق وبه قال الشافعي ومشهور مذهب مالك انه يكبر اثر كل صلاة ثلاث تكبيرات ومن خواص التكبير وبركته ما رواه ابن السني بسنده عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفئه انتهى من حلية النووى * وقوله تعالى فمن تعجل فى يومين الآية قال ابن عباس وغيره

المعنى من نفر في اليوم الثاني من الايام المعدودات فلا حرج عليه ومن تأخر الى الثالث فلا اثم عليه اي كل ذلك مباح اذ كان من العرب من يذم المتعجل وبالعكس فنزلت الآية رافعةً للجناح قلت واهل مكة في التعجيل كغيرهم على الاصح ثم امر سبحانه بالتقوى وذكّر بالحشر والوقوف بين يديه * وقوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا الآية قال السدى نزلت في الاخنس بن شريق اظهر الاسلام ثم هرب فمر بقوم من المسلمين فاحرق لهم زرعا وقتل حُمُرا قال * ع * ما ثبت قط ان الاخنس اسلم قلت وفي ما قاله * ع * نظر ولا يلزم من عدم ثبوته عنده الا يثبت عند غيره وقد ذكر احمد بن نصر الداودي في تفسيره ان هذه الآية نزلت في الاخنس ابن شريق انتهى وسياتي للطبري نحوه وقال قتادة وجماعة نزلت هذه الآية في كل مبطن كفر او نفاق او كذب او ضرار وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك فهي عامة ومعنى ويشهد الله اي يقول الله يعلم اني اقول حقا والالد الشديد الخصومة الذي يلوي الحجج في كل جانب فيشبه انحرافه المشي في لديدي الوادي وعنه صلى الله عليه وسلم ابغض الرجال الى الله الالد الخصم * وتولى وسعى يحتمل معنيين احدهما ان يكونا فعلَ قلب فيجيء تولى بمعنى ضل وغضب وانف في نفسه فسعى بحيله وادارته الدوائر على الاسلام نحا هذا المنحى في معنى الآية ابن جريج وغيره والمعنى الثاني ان يكونا فعل شخص فيجيء تولى بمعنى ادبر ونهض وسعى اي بقدميه فقطع الطريق وافسدها نحا هذا المنحى ابن عباس وغيره * وقوله تعالى ويهلك الحرث والنسل قال الطبري المراد الاخنس في احراقه الزرع وقتله الحمر قال * ع * والظاهر ان الآية عبارة عن مبالغته في الافساد * ولا يحب الفساد معناه لا يحبه من اهل الصلاح او لا يحبه دينا والا فلا يقع الا ما

يحب الله وقوعه والفساد واقع وهذا على ما ذهب اليه المتكلمون من ان الحب بمعنى الارادة قال * ع * والحب له على الارادة مزية ايثار اذ الحب من الله تعالى انما هو لما حسن من جميع جهاته * وقوله تعالى واذا قيل له اتق الله الآية هذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوا ويحذر المومن ان يوقعه الحرج في نحو هذا وقد قال بعض العلماء كفى بالمرء اثما ان يقول له اخوه اتق الله فيقول له عليك نفسك مثلك يوصيني قلت قال احمد بن نصر الداودى عن ابن مسعود من اكبر الذنب ان يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك انت تامرني انتهى والعزة هنا المنعة وشدة النفس اي اعتز في نفسه فاوقعته تلك العزة في الاثم ويحتمل المعنى اخذته العزة مع الاثم وحسبه اي كافيه والمهاد ما مهد الرجل لنفسه كانه الفراش * وقوله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه الآية تتناول كل مجاهد في سبيل الله او مستشهد في ذاته او مغير منكر وقيل هذه الآية في شهداء غزوة الرجيع عاصم ابن ثابت وخُبيب واصحابهما وقال عكرمة وغيره هي في طائفة من المهاجرين وذكروا حديث صهيب ويشرى معناه يبيع ومنه وشروه بثمن بخس وحكى قوم انه يقال شرى بمعنى اشترى ويحتاج الى هذا من تأول الآية في صهيب لانه اشترى نفسه بماله * وقوله تعالى والله رءوف بالعباد ترجية تقتضى الحض على امتثال ما وقع به المدح في الآية كما ان قوله سبحانه فحسبه جهنم تخويف يقتضى التحذير مما وقع به الذم في الآية ثم امر تعالى المومنين بالدخول في السلم وهو الاسلام والمسالمة وقال ابن عباس نزلت في اهل الكتاب والالف واللام في الشيطان للجنس * وعَدُوٌّ يقع للواحد والاثنين والجمع وقوله تعالى فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات الآية اصل الزلل في القدم ثم يستعمل في الاعتقادات والآراء وغير ذلك والمعنى ضللتم والبينات

محمد صلى الله عليه وسلم وءاياته ومعجزاته اذا كان الخطاب اوّلا لجماعة المومنين واذا كان الخطاب لاهل الكتاب فالبينات ما ورد فى شرائعهم من الاعلام بمحمد صلى الله عليه وسلم والتعريف به * وعزيز صفة مقتضية انه قادر عليكم لا تعجزونه ولا تمتنعون منه وحكيم اي محكم فيما يعاقبكم به لزللكم * وقوله تعالى هل ينظرون اي ينتظرون والمراد هؤلاء الذين يزلون والظلل جمع ظلة وهي ما اظل من فوق والمعنى ياتيهم حكم الله وامره ونهيه وعقابه اياهم وذهب ابن جريج وغيره الى ان هذا التوعد هو مما يقع فى الدنيا وقال قوم بل هو توعد بيوم القيامة وقال قوم الا ان ياتيهم الله وعيد بيوم القيامة واما الملائكة فالوعيد باتيانهم عند الموت والغمام ارق السحاب واصفاه واحسنه وهو الذى ظلل به بنو اسراءيل وقال النقاش هو ضباب ابيض وقضي الامر معناه وقع الجزاء وعُذّب اهل العصيان وقرأ معاذ بن جبل وقضاء الامر * والى الله ترجع الامور هي راجعة اليه سبحانه قبل وبعد وانما نبه بذكر ذلك فى يوم القيامة على زوال ما كان منها الى الملوك فى الدنيا * وقوله سبحانه سل بنى اسراءيل الآية معنى الآية توبيخهم على عنادهم بعد الآيات البينات والمراد بالآية كم جاءهم فى امر محمد صلى الله عليه وسلم من ءاية مُعرِّفة به دالة عليه ونعمة الله لفظ عام لجميع انعامه ولكن يقوى من حال النبي صلى الله عليه وسلم معهم ان المشار اليه هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى ومن يبدل من بنى اسراءيل صفة نعمة الله ثم جاء اللفظ منسحبا على كل مبدل نعمةً لله ويدخل فى اللفظ كفار قريش والتوراة ايضا نعمة على بنى اسراءيل فبدلوها بالتحريف لها وجحد امر محمد صلى الله عليه وسلم فان الله شديد العقاب خبر يتضمن الوعيد * وقوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا الآية الاشارة الى كفار قريش لانهم كانوا يعظمون

حالهم من الدنيا ويغتبطون بها ويسخرون من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم كبلال وصهيب وابن مسعود وغيرهم فذكر الله قبيح فعلهم ونبه على خفض منزلتهم بقوله والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ومعنى الفوقية هنا في الدرجة والقدر ويحتمل ان يريد ان نعيم المتقين في الآخرة فوق نعيم هؤلاء الآن قلت وحكى الداودى عن قتادة فوقهم يوم القيامة قال فوقهم فى الجنة انتهى ومهما ذكرت الداودى فى هذا المختصر فانما اريد احمد بن نصر الفقيه المالكى ومن تفسيره انا انقل انتهى فان تشوفت نفسك ايها الاخ الى هذه الفوقية * ونيل هذه الدرجة العلية * فارفض دنياك الدنية * وازهد فيها بالكلية * لتسلم من كل آفة وبلية * واقتد فى ذلك بخير البرية * قال عياض فى شفاه فانظر رحمك الله سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وخلقه فى المال تجده قد اوتي خزائن الارض وجُبيت اليه الاخماس وهادته جماعة من الملوك فما استاثر بشيء من ذلك ولا امسك درهما منه بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة فى نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان عليه السلام يلبس ما وَجَدَ فيلبس فى الغالب الشملة والكساء الخشن والبُرْد الغليظ انتهى * وقوله تعالى كان الناس امة واحدة الآية قال ابن عباس الناس القرون التى كانت بين آدم ونوح وهي عشرة كانوا على الحق حتى اختلفوا فبعث الله تعالى نوحا فمن بعده وقال ابن عباس ايضا كان الناس امة واحدة اي كفارا يريد فى مدة نوح حين بعثه الله وقال ابي بن كعب وابن زيد المراد بالناس بنو آدم حين اخرجهم الله نسما من ظهر آدم اي كانوا على الفطرة وقيل غير هذا وكل من قدر الناس فى الآية مومنين قدر فى الكلام

فاختلفوا وكل من قدرهم كفارا قدر كانت بعثة النبيين اليهم والامة الجماعة على المقصد ويسمى الواحد امة اذا كان منفردا بمقصد ومبشرين معناه بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب والكتاب اسم الجنس والمعنى جميع الكتب وَلِيَحْكُمَ مسند الى الكتاب فى قول الجمهور والذين اوتوه ارباب العلم به وخصوا بالذكر تنبيها منه سبحانه على عظيم الشنعة والقبح والبينات الدلالات والحجج والبغي التعدى بالباطل وهَدَى معناه ارشد والمراد بالذين ءامنوا من ءامن بمحمد صلى الله عليه وسلم فقالت طائفة معنى الآية ان الامم كذب بعضهم كتاب بعض فهدي الله امة محمد صلى الله عليه وسلم للتصديق بجميعها وقالت طائفة ان الله سبحانه هدى المومنين للحق فيما اختلف فيه اهل الكتاب من قولهم ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا قال زيد بن اسلم وكاختلافهم فى يوم الجمعة فان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا اليوم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له فلليهود غد وللنصارى بعد غد وفى صيامهم وجميع ما اختلفوا فيه قال الفراء وفى الكلام قلب واختاره الطبرى قال وتقديره فهدى الله الذين ءامنوا للحق مما اختلفوا فيه ودعاه الى هذا التقدير خوف ان يحتمل اللفظ انهم اختلفوا فى الحق فهدى الله المومنين لبعض ما اختلفوا فيه وعساه غير الحق فى نفسه نحا الى هذا الطبرى فى حكايته عن الفراء قال * ع * وادعاء القلب على كتاب الله دون ضرورة تدفع الى ذلك عجز وسوء نظر وذلك ان الكلام يتخرج على وجهه ووصفه لان قوله فهدى يقتضي انهم اصابوا الحق وتم المعنى فى قوله فيه وتبين بقوله من الحق جنس ما وقع الخلاف فيه وباذنه قال الزجاج معناه بعلمه * ع * والاذن هو العلم والتمكين فان اقترن بذلك امر صار اقوى من الاذن بمزية * وقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم الآية اكثر المفسرين انها

نزلت فى قصة الاحزاب حين حصروا المدينة وقالت فرقة نزلت تسلية للمهاجرين حين اصيبت اموالهم بعدهم وفيما نالهم من اذاية الكافرين لهم وخلوا معناه انقرضوا اي صاروا فى خلاء من الارض والبأساء فى المال والضراء فى البدن ومثل معناه شبه والزلزلة شدة التحريك تكون فى الاشخاص والاحوال وقرأ نافع يقول بالرفع وقرأ الباقون بالنصب وحتى غاية مجردة تنصب الفعل بتقدير الى ان وعلى قراءة نافع كانها اقترن بها تسبيب فهى حرف ابتداء ترفع الفعل واكثر المتأولين على ان الكلام الى ءاخر الآية من قول الرسول والمومنين ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شك ولا ارتياب والرسول اسم الجنس وقالت طائفة فى الكلام تقديم وتأخير والتقدير حتى يقول الذين ءامنوا متى نصر الله فيقول الرسول الا ان نصر الله قريب فقدم الرسول فى الرتبة لمكانته ثم قدم قول المومنين لانه المتقدم فى الزمان قال * ع * وهذا تحكم وحمل الكلام على وجهه غير متعذر ويحتمل ان يكون الا ان نصر الله قريب اخبارا من الله تعالى مؤتنفا بعد تمام ذكر القول * قوله تعالى يسألونك ما ذا ينفقون قل ما انفقتم من خير الآية السائلون هم المومنون والمعنى يسألونك ما هي الوجوه التى ينفقون فيها وما يصح ان تكون فى موضع رفع على الابتداء وذا خبرها بمعنى الذى وينفقون صلة وفيه عائد على ذا تقديره ينفقونه ويصح ان تكون ما ذا اسما واحدا مركبا فى موضع نصب قال قوم هذه الآية فى الزكاة المفروضة وعلى هذا نسخ منها الوالدان وقال السدى نزلت قبل فرض الزكاة ثم نسختها ءاية الزكاة المفروضة وقال ابن جريج وغيره هي ندب والزكاة غير هذا الانفاق وعلى هذا لا نسخ فيها وما تفعلوا جزم بالشرط والجواب فى الفاء وظاهر الآية الخبر وهي تتضمن الوعد بالمجازات وكتب معناه فرض واستمر الاجماع على

ان الجهاد على امة محمد صلى الله عليه وسلم فرض كفاية * وقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيأ الآية قال قوم عسى من الله واجبة والمعنى عسى ان تكرهوا ما فى الجهاد من المشقة وهو خير لكم فى انكم تغلِبون وتظهرون وتغنمون وتوجرون ومن مات مات شهيدا وعسى ان تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم فى انكم تغلَبون وتذلون ويذهب امركم قال * ص * قوله وعسى ان تحبوا شيأ عسى هنا للترجى ومجيئها له كثير فى كلام العرب قالوا وكل عسى فى القرءان للتحقيق يعنون به الوقوع الا قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن انتهى وفى قوله تعالى والله يعلم الآية قوة امر * وقوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام الآية نزلت فى قصة عمرو بن الحضرمى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية عليها عبد الله بن جحش الاسدى مَقْدَمَه من بدر الاولى فلقوا عمرو بن الحضرمى ومعه عثمان بن عبد الله بن المغيرة واخوه نوفل المخزوميان والحكم بن كيسان فى ءاخر يوم من رجب على ما قاله ابن اسحاق وقالوا ان تركناهم اليوم دخلوا الحرم فازمعوا قتالهم فرمى واقد بن عبد الله عَمْرو بن الحضرمى بسهم فقتله واسر عثمان بن عبد الله والحكم وفرّ نوفل فاعجزهم واستسهل المسلمون هذا فى الشهر الحرام خوف فوتهم فقالت قريش محمد قد استحل الاشهر الحرم وعيروا بذلك وتوقف النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما امرتكم بقتال فى الاشهر الحرم فنزلت هذه الآية وقتال بدل اشتمال عند سيبويه وقال الفراء هو مخفوض بتقدير عن وقرئ به والشهر فى الآية اسم الجنس وكانت العرب قد جعل الله لها الشهر الحرام قِواما تعتدل عنده فكانت لا تسفك دما ولا تغير فى الاشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وروى جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يغزو فيها الا ان

يغزى فذلك قوله تعالى قل قتال فيه كبير وصد مبتدأ مقطوع مما قبله والخبر اكبر ومعنى الآية على قول الجمهور انكم ياكفار قريش تستعظمون علينا القتال فى الشهر الحرام وما تفعلون انتم من الصد عن سبيل الله لمن اراد الاسلام وكفركم بالله واخراجكم اهل المسجد عنه كما فعلتم برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اكبر جرما عند الله قال الزهرى ومجاهد وغيرهما قوله تعالى قل قتال فيه كبير منسوخ * ص * وسبيل الله دينه والمسجد قراءة الجمهور بالخفض قال المبرد وتبعه ابن عطية وغيره هو معطوف على سبيل الله وردبانه حينئذ يكون متعلقا بصد اي وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام فيلزم الفصل بين المصدر وهو صد وبين معموله وهو المسجد باجنبي وهو وكفر به ولا يجوز وقيل معطوف على ضمير به اي وكفر به وبالمسجد وردبان فيه عطفا على الضمير المجرور من غير اعادة الخافض ولا يجوز عند جمهور البصريين واجازه الكوفيون ويونس وابو الحسن والشلوبين والمختار جوازه لكثرته سماعا ومنه قراءة حمزة تساءلون به والارحامِ اي وبالارحام وتأويلها على غيره بعيد يخرج الكلام عن فصاحته انتهى * وقوله تعالى والفتنة اكبر من القتل المعنى عند جمهور المفسرين والفتنة التى كنتم تفتنون المسلمين عن دينهم حتى يهلكوا اشد اجتراما من قتلكم فى الشهر الحرام وقيل المعنى والفتنة اشد من ان لو قتلوا ذلك المفتون * وقوله تعالى ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا هو ابتداء خبر من الله تعالى وتحذير منه للمومنين * وقوله تعالى ومن يرتدد اي يرجع عن الاسلام الى الكفر عياذا بالله قالت طائفة من العلماء يستتاب المرتد ثلاثة ايام فان تاب والا قتل وبه قال مالك واحمد واصحاب الراي والشافعى فى احد قوليه وفى قول له يقتل دون استتابة وحبط العمل اذا انفسد فى ءاخره فبطل وميراث

المرتد عند مالك والشافعي في بيت مال المسلمين * وقوله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله الآية قال عروة بن الزبير وغيره لما عنف المسلمون عبد الله بن جحش واصحابه شق ذلك عليهم فتلافاهم الله عزوجل بهذه الآية ثم هي باقية في كل من فعل ما ذكره الله عزوجل وهاجر الرجل اذا انتقل نقلة اقامة من موضع الى موضع وقصد ترك الاول ايثارا للثاني وهي مفاعلة من هجر وجاهد مفاعلة من جهد اذا استخرج الجهد ويرجون معناه يطمعون ويستقربون والرجاء تنعم والرجاء ابدا معه خوف ولا بد كما ان الخوف معه رجاء * ت * والرجاء ما قارنه عمل والا فهو امنية * قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر الآية السائلون هم المومنون والخمر ماخوذ من خمر اذا ستر ومنه خمار المرأة والخمر ما واراك من شجر وغيره ومنه قول الشاعر

الا يازيد والضحاك سيرا * فقد جاوزتما خمر الطريق

ولما كانت الخمر تستر العقل وتغطي عليه سميت بذلك واجمعت الامة على تحريم خمر العنب ووجوب الحد في القليل والكثير منه وجمهور الامة على ان ما اسكر كثيره من غير خمر العنب محرم قليله وكثيره والحد في ذلك واجب وروي ان هذه الآية اول تطرق الى تحريم الخمر ثم بعده لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ثم انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم الآية الى قوله فهل انتم منتهون ثم قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت الخمر ولم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم في حد الخمر الا انه جلد اربعين خرجه مسلم وابو داوود وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه ضرب فيها ضربا مشاعا وحزره ابو بكر اربعين سوطا وعمل بذلك هو ثم عمر ثم تهافت الناس فيها فشدد عليهم الحد وجعله

كاخف الحدود ثمانين وبه قال مالك ويجتنب من المضروب الوجه والفرج والقلب والدماغ والخواصر باجماع قال ابن سيرين والحسن وابن عباس وابن المسيب وغيرهم كل قمار ميسر من نرد وشطرنج ونحوه حتى لعب الصبيان بالجوز * ت * وعبارة الداودى وعن ابن عمر الميسر القمار كله قال ابن عباس كل ذلك قمار حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب انتهى * وقوله تعالى قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية قال ابن عباس والربيع الاثم فيهما بعد التحريم والمنفعة قبله وقال مجاهد المنفعة بالخمر كسب اثمانها وقيل اللذة بها الى غير ذلك من افراحها ثم اعلم الله عزوجل ان الاثم اكبر من النفع واعود بالضرر فى الآخرة فهذا هو التقدمة للتحريم * وقوله تعالى ويسألونك ما ذا ينفقون قل العفو قال جمهور العلماء هذه نفقات التطوع والعفو ماخوذ من عفا الشيء اذا كثر فالمعنى انفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم توذوا فيه انفسكم فتكونوا عالة على الناس * وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون الاشارة الى ما تقدم تبيينه من الخمر والميسر والانفاق واخبر تعالى انه يبين للمومنين الآيات التى تقودهم الى الفكرة فى الدنيا والآخرة وذلك طريق النجاة لمن نفعته فكرته قال الداودى وعن ابن عباس لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة يعنى فى زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها انتهى قال الغزالي رحمه الله تعالى العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة فى لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له فى كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة فان نظر الى سواد ذكر ظلمة اللحد وان نظر الى صورة مروعة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان رأى شيأ حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول تذكر ما ينكشف له من اخر امره بعد الحساب

من رد او قبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل لا يصرفه عنه لامهمات الدنيا فاذا نسب مدة مقامه فى الدنيا الى مدة مقامه فى الآخرة استحقر الدنيا ان لم يكن اغفل قلبه واعميت بصيرته انتهى من الاحياء * وقوله تعالى ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير قال ابن عباس وسعيد بن المسيب سبب الآية ان المسلمين لما نزلت ولا تقربوا مال اليتيم الآية ونزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما تجنبوا اليتامى واموالهم وعزلوهم عن انفسهم فنزلت وان تخالطوهم فاخوانكم الآية وامر الله سبحانه نبيه ان يجيب بان من قصد الاصلاح فى مال اليتيم فهو خير فرفع تعالى المشقة واباح الخلطة فى ذلك اذا قصد الاصلاح ورفق اليتيم * وقوله سبحانه والله يعلم المفسد من المصلح تحذير * وقوله تعالى ولو شاء الله لاعنتكم اي لا تعبكم فى تجنب امر اليتامى والعنت المشقة ومنه عقبة عنوت ومنه عنت العزبة وعزيز مقتضاه لا يرد امره وحكيم اي مُحْكِمٌ ما ينفذه * وقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يومن ونكح اصله فى الجماع ويستعمل فى العقد تجوزا قالت طائفة المشركات هنا من يشرك مع الله الها اخر وقال قتادة وابن جبير الآية عامة فى كل كافرة وخصصتها اية المائدة ولم يتناول العمومُ قط الكتابياتِ وقال ابن عباس والحسن تناولهن العموم ثم نسخت ايةُ المائدة بعضَ العموم فى الكتابيات وهو مذهب مالك رحمه الله ذكره ابن حبيب * وقوله تعالى ولامة مومنة خير من مشركة الآية هذا اخبار من الله سبحانه ان المومنة المملوكة خير من المشركة وان كانت ذات الحسب والمال ولو اعجبتكم فى الحسن وغير ذلك هذا قول الطبرى وغيره * وقوله سبحانه ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا الآية اجمعت الامة على ان المشرك لا يطأ المومنة بوجه لما فى ذلك من الغضاضة على دين

الاسلام قال بعض العلماء ان الولاية فى النكاح نص فى هذه الآية قلت ويعنى ببعض العلماء محمد بن علي بن حسين قاله ابن العربى انتهى ولعبد مومن مملوك خير من مشرك حسيب ولو اعجبكم حسنه وماله حسبما تقدم قال * ع * وتحتمل الآية عندى ان يكون ذكر العبد والامة عبارة عن جميع الناس حرهم ومملوكهم اذ هم كلهم عبيده سبحانه * وقوله تعالى اولئك يدعون الى النار اي بصحبتهم ومعاشرتهم والانحطاط فى كثير من اهوائهم والله عزوجل ممنّ بالهداية ويبين الآيات ويحض على الطاعات التى هي كلها دواع الى الجنة والاذن العلم والتمكين فان انضاف الى ذلك امر فهو اقوى من الاذن لانك اذا قلت اذنت فى كذا فليس يلزمك انك امرت ولعلهم ترج فى حق البشر ومن تذكر عمل حسب التذكر فنجا * قوله تعالى ويسألونك عن المحيض قل هو اذى قال الطبرى عن السدي ان السائل ثابت بن الدحداح وقال قتادة وغيره انما سألوه لان العرب فى المدينة وما والاها كانوا قد استنوا بسنة بنى اسرايل فى تجنب مواكلة الحائض ومساكنتها فنزلت الآية * وقوله تعالى فاعتزلوا النساء فى المحيض يريد جماعهن بما فسر من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان تشد الحائض ازارها ثم شانه باعلاها قال احمد بن نصر الداودى روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا النساء فى المحيض فان الجذام يكون من اولاد المحيض انتهى * قوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطْهُرن وقرأ حمزة وغيره يطَّهّرن بتشديد الطاء والهاء وفتحهما وكل واحدة من القراءتين يحتمل ان يراد بها الاغتسال بالماء وان يراد بها انقطاع الدم وزوال اذاه قال ابن العربى فى احكامه سمعت ابا بكر الشاشى يقول اذا قيل لا تقرب بفتح الراء كان معناه لا تلتبس بالفعل واذا كان بضم الراء كان معناه لا

تـدن منه انتهـى وجمهـور العلمـاء على ان وطاها فى الدم ذنب عظيم يتـاب منه ولا كفارة فيه بمال وجمهورهم على ان الطهر الذى يحل جماع الحائض هو بالماء كطهر الجنب ولا يجزئ من ذلك تيمم ولا غيـره * وقوله تعـالى فاذا تطهـرن الآية الخلاف فيها كما تقدم وقـال مجاهـد وجماعة تطهـرن اي اغتسلـن بالمـاء بقرينة الامر بالاتيان لان صيغة الامر من الله تعالى لا تقع الا على الوجه الاكمل وفاتوهن امر بعد الحظر يقتضى الاباحة والمعنى من حيث امركم الله باعتـزالهن وهو الفـرج او من السـرة الى الركبـة على الخـلاف فى ذلك وقـال ابن عبـاس المعنى من قِبل الطهـر لا من قِبل الحيض وقيـل المعنـى من قِبل حـال الاباحة لا صائمات ولا مُحرِمات ولا غير ذلك والتوابون الرجـاعون وعرفه مـن الشر الى الخير والمتطهرون قال عطاء وغيـره المعنى بالماء وقال مجاهـد وغيره المعنـى من الذنوب * وقوله تعالى نساؤكم حرث لكم الآية مبيحة لهيـآت الاتيـان كلها اذا كان الوطء فى موضع الحرث ولفظـة الحرث تعطى ان الاباحة لم تقـع الا فى الفرج خاصة اذ هو المزدرع قال ابن العربى فى احكامه وفى سبب نزول هذه الآية روايـات الاولى عن جابر قـال كانت اليهـود تقـول من اتى امرأة فى قبلهـا من دبرها جاء الولد احول فـنزلـت الآية وهذا حديث صحيح خرجه الائمة الثانية قالت ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلـم فى قوله تعالى نساؤكـم حرث لكم قال ياتيها مقبلة ومدبرة اذا كان فى صِمام واحد خرجه مسلم وغيـره الثالثة ما روى الترمذى ان عمر جاء الى النبي صـلى الله عليه وسلم فـقـال له هلكت قـال وما اهلكك قـال حولـت البارحة رحلى فلم يـرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيـأ حتى نـزلـت نساؤكـم حرث لكـم اقبـل وادبر واتـق الدبر انتهـى قـال * ع * وانى شئتم معناه عند جمهور العلماء من اي وجه شئتم مقبلة ومدبرة

على جَنْب قال * ع * وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مصنف النسائى وفى غيره انه قال اتيان النساء فى ادبارهن حرام وورد عنه فيه انه قال ملعون من اتى امرأة فى دبرها وورد عنه انه قال من اتى امرأة فى دبرها فقد كفر بما انزل على قلب محمد وهذا هو الحق المتبع ولا ينبغى لمومن بالله ان يعرج بهذه النازلة على زلة عالم بعد ان تصح عنه والله المرشد لا رب غيره * وقوله جلت قدرته وقدموا لانفسكم قال السدى معناه قدموا الاجر فى تجنب ما نهيتم عنه وامتثال ما امرتم به واتقوا الله تحذير واعلموا انكم ملاقوه خبر يقتضى المبالغة فى التحذير اي فهو مجازيكم على البر والاثم وبشر المومنين تانيس لفاعلى البر ومتبعى سنن الهدى * قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الآية مقصد الآية ولا تعرضوا اسم الله تعالى فتكثروا الايمان به فان الحنث يقع مع الاكثار وفيه قلة رعي لحق الله تعالى وقال الزجاج وغيره معنى الآية ان يكون الانسان اذا طلب منه فعل خير ونحوه اعتل بالله وقال عليّ يمين وهو لم يحلف وقوله عرضة قال ابن العربى فى احكامه اعلم ان بناء عرض فى كلام العرب يتصرف على معان مرجعها الى المنع لان كل شيء عرض فقد منع ويقال لما عرض فى السماء من السحاب عارض لانه يمنع من رؤيتها ومن رؤية البدرين والكواكب انتهى وان تبروا مفعول من اجله والبر جميع وجوه البر وهو ضد الاثم وسميع اي لا قوال العباد عليم بنياتهم وهو مجاز على الجميع واليمين الحلف واصله ان العرب كانت اذا تحالفت او تعاهدت اخذ الرجل يمين صاحبه بيمينه ثم كثر ذلك حتى سمي الحلف والعهد نفسه يمينا * وقوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو فى ايمانكم اللغو سَقَط الكلام الذى لا حكم له قال ابن عباس وعائشة والشعبي وابو صالح ومجاهد لغو اليمين قول الرجل فى درج

كلامه واستعجاله في المحاورة لا والله وبلى والله دون قصد لليمين وقد اسنده البخاري عن عائشة وقال ابو هريرة والحسن ومالك وجماعة لغو اليمين ما حلف به الرجل على يقينه فكشف الغيب خلاف ذلك * ع * وهذا اليقين هو غلبة الظن وقال زيد بن اسلم لغو اليمين هو دعاء الرجل على نفسه وقال الضحاك هي اليمين المكفرة وحكى ابن عبد البر قولا ان اللغو ايمان المكره قال * ع * وطريقة النظر ان تتأمل لفظة اللغو ولفظة الكسب ويُحَكَّم موقعهما في اللغة فكسب المرء ما قصده ونواه واللغو ما لم يتعمده اوما حقه لهجنته ان يسقط فيقوى على هذه الطريقة بعض الاقوال المتقدمة ويضعف بعضها وقد رفع الله عز وجل المواخذة بالاطلاق في اللغو فحقيقته ما لا اثم فيه ولا كفارة والمواخذة في الايمان هي بعقوبة الآخرة في الغموس المصبورة وفيما تُرِك تكفيره مما فيه كفارة وبعقوبة الدنيا في الزام الكفارة فيضعف القول بانها اليمين المكفرة لان المواخذة قد وقعت فيها وتخصيص المواخذة بانها في الآخرة فقط تحكم * ت * والقول الاول ارجح وعليه عول اللخمي وغيره * وقوله تعالى ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم قال ابن عباس وغيره ما كسب القلب هي اليمين الكاذبة الغموس فهذه فيها المواخذة في الآخرة اي ولا تكفر * ع * وسميت الغموس لانها غمست صاحبها في الاثم وغفور حليم صفتان لائقتان بما ذكر من طرح المواخذة اذ هو باب رفق وتوسعة * وقوله تعالى للذين يولون من نسائهم الآية يولون معناه يحلفون والايلاء اليمين واختلف من المراد بلزوم حكم الايلاء فقال مالك هو الرجل يغاضب امرأته فيحلف بيمين يلحق عن الحنث فيها حكم ان لا يطأها ضررا منه اكثر من اربعة اشهر لا يقصد بذلك اصلاح ولد رضيع ونحوه وقال به عطاء وغيره * وقوله

تعالى من نسائهم يدخل فيه الحرائر والاماء اذا تزوجن والتربص التأني والتأخر واربعة اشهر عند مالك وغيره للحر وشهران للعبد وقال الشافعي هو كالحر وفاءوا معناه رجعوا ومنه حتى تفيء الى امر الله قال الجمهور واذا فاء كفر والفيء عند مالك لا يكون الا بالوطء او بالتكفير في حال العذر * قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء حكم هذه الآية قصد الاستبراء لا انه عبادة ولذلك خرجت منه من لم يُبن بها بخلاف عدة الوفاة التي هي عبادة والقَرء في اللغة الوقت المعتاد تردده فالحيض يسمى على هذا قرءا وكذلك يسمى الطهر قرءا واختلف في المراد بالقروء هنا فقال عمر وجماعة كثيرة المراد بالقروء في الآية الحيض وقالت عائشة وجماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم المراد الاطهار وهو قول مالك واختلف المتأولون في قوله ما خلق الله في ارحامهن فقال ابن عمر ومجاهد وغيرهما هو الحيض والحبل جميعا ومعنى النهي عن الكتمان النهي عن الاضرار بالزوج في الزامه النفقة واذهاب حقه في الارتجاع فامرن بالصدق نفيا واثباتا وقال قتادة كانت عادتهن في الجاهلية ان يكتمن الحمل ليلحقن الولد بالزوج الجديد ففي ذلك نزلت الآية وقال ابن عباس ان المراد الحبل والعموم راجح وفي قوله تعالى ولا يحل لهن ما يقتضي انهن مؤتمنات على ما ذكر ولو كان الاستقصاء مباحا لم يمكن كتم * وقوله سبحانه ان كن يومن بالله الآية اي حق الايمان وهذا كما تقول ان كنت حرا فانتصر وانت تخاطب حرا والبعل الزوج ونص الله تعالى بهذه الآية على ان للزوج ان يرتجع امرأته المطلقة ما دامت في العدة والاشارة بذلك الى المدة بشرط ان يريد الاصلاح دون المضارة كما تُشُدِّدَ على النساء في كتم ما في ارحامهن وقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن الآية تعم جميع حقوق الزوجية * وقوله تعالى وللرجال عليهن

درجة قال مجاهد هو تنبيه على فضل حظه على حظها فى الميراث وما اشبهه
وقال زيد بن اسلم ذلك فى الطاعة عليها ان تطيعه وليس عليه ان يطيعها
وقال ابن عباس تلك الدرجة اشارة الى حض الرجل على حسن العشرة
والتوسع للنساء فى المال والخُلق اي ان الا فضل ينبغى ان يتحامل على نفسه
وهذا قول حسن بارع * وقوله تعالى الطلاق مرتان الآية قال عروة بن
الزبير وغيره نزلت هذه الآية بيانا لعدد الطلاق الذى للمرء فيه ان يرتجع
دون تجديد مهر وولي وقال ابن عباس وغيره المراد بالآية التعريف بسنة
الطلاق وان من طلق اثنتين فليتق الله فى الثالثة فاما تركها غير مظلومة
شيأ من حقها واما امسكها محسنا عشرتها * ع * والآية تتضمن هذين
المعنيين * ص * الطلاق مبتدأ على حذف مضاف اي عدد الطلاق
ومرتان خبره انتهى والامساك بالمعروف هو الارتجاع بعد الثانية الى حسن
العشرة والتسريح يحتمل لفظه معنيين احدهما تركها تتم العدة من الثانية وتكون
املك بنفسها وهذا قول السدى والضحاك والمعنى الآخر ان يطلقها ثالثة
فيسرحها بذلك وهذا قول مجاهد وعطاء وغيرهما وامساك مرتفع بالابتداء
والخبر امثل او احسن * وقوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما ءاتيتموهن
شيأ الآية خطاب للازواج نهاهم به ان ياخذوا من ازواجهم شيأ على وجه المضارة
وهذا هو الخلع الذى لا يصح الّا بأن لا ينفرد الرجل بالضرر وخص بالذكر ما ءاتى
الازواجُ نساءهم لانه عرف الناس عند الشقاق والفساد ان يطلبوا ما خرج من
ايديهم وحرم الله تعالى على الزوج فى هذه الآية ان ياخذ الا بعد الخوف الا
يقيما حدود الله واكد التحريم بالوعيد وحدود الله فى هذا الموضع هي ما يلزم
الزوجين من حسن العشرة وحقوق العصمة * وقوله تعالى فان خفتم الايقيما

حدود الله المخاطبة للحكام والمتوسطين لهذا الامر وان لم يكونوا حكاما وترك اقامة حدود الله هو استخفاف المرأة بحق زوجها وسوء طاعتها اياه قاله ابن عباس ومالك وجمهور العلماء وقال الشعبي الا يقيما حدود الله معناه الايطيعا الله وذلك ان المغاضبة تدعو الى ترك الطاعة * وقوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به اباحة للفدية وشركها فى ارتفاع الجناح لانها لا يجوز لها ان تعطيه مالها حيث لا يجوز له اخذه وهي تقدر على المخاصمة قال ابن عباس وابن عمر ومالك وابو حنيفة وغيرهم مباح للزوج ان ياخذ من المرأة فى الفدية جميع ما تملكه وقضى بذلك عمر بن الخطاب وقال طاوس والزهري والحسن وغيرهم لا يجوز له ان يزيد على المهر الذى اعطاها وقال ابن المسيب لا ارى ان ياخذ منها كل ما لها ولكن ليدع لها شيأ * وقوله تعالى تلك حدود الله الآية اي هذه الاوامر والنواهى فلا تتجاوزوها ثم توعد تعالى على تجاوز الحد بقوله ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وهو كما قال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة * وقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد الآية قال ابن عباس وغيره هو ابتداء الطلقة الثالثة قال * ع * فيجيء التسريح المتقدم ترك المرأة تتم عدتها من الثانية واجمعت الامة فى هذه النازلة على اتباع الحديث الصحيح فى امرأة رفاعة حين تزوجت عبد الرحمن بن الزّبير فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لعلك اردت الرجوع الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقى عسيلته فرأى العلماء انه لا يحلها الا الوطء وكلهم على ان مغيب الحشفة يُحل الا الحسن بن ابى الحسن قال لا يحلها الا الانزال وهو ذوق العسيلة والذى يحلها عند مالك النكاح الصحيح والوطء المباح * وقوله تعالى فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله الآية

المعنى فان طلقها المتزوج الثانى فلا جناح عليهما اي المرأة والزوج الاول قاله ابن عباس ولا خلاف فيه والظن هنا على بابه من تغليب احد الجائزين وخص الذين يعلمون بالذكر تشريفا * وقوله تعالى واذا طلقتم النساء الآية خطاب للرجال نُهِي الرجل ان يطول العدة مضارة لها بان يرتجع قرب انقضائها ثم يطلق بعد ذلك قاله الضحاك وغيره ولا خلاف فيه ومعنى بلغن اجلهن قاربن لانه بعد بلوغ الاجل لا خيار له فى الامساك ومعنى امسكوهن راجعوهن وبمعروف قيل هو الاشهاد ولا تمسكوهن اي لا تراجعوهن ضرارا وباقى الآية بين * وقوله تعالى ولا تتخذوا ايات الله هزؤا الآية المراد بآياته النازلة فى الاوامر والنواهى وقال الحسن نزلت هذه الآية فيمن طلق لاعبا او هازئا او راجع كذلك وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة ثم ذكّر الله عباده بانعامه سبحانه عليهم بالقرءان والسنة والحكمةُ هي السنة المبينة مراد الله سبحانه * وقوله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن الآية خطاب للمومنين الذين منهم الازواج ومنهم الاولياء لانهم المراد فى تعضلوهن وبلوغ الاجل فى هذا الموضع تناهيه لان المعنى يقتضى ذلك وقد قال بعض الناس فى هذا المعنى ان المراد بتعضلوهن الازواج وذلك بان يكون الارتجاع مضارة عضلا عن نكاح الغير فقوله ازواجهن على هذا يعنى به الرجال اذ منهم الازواج وعلى ان المراد بتعضلوهن الاولياء فالازواج هم الذين كن فى عصمتهم والعضل المنع وهو من معنى التضييق والتعسير كما يقال اعضلت الدجاجة اذا عسر بيضها والداء العضال العسير البرء وقيل نزلت هذه الآية فى مَعْقِل بن يسار واخته لما طلقها زوجها وتمت عدتها اراد ارتجاعها فمنعه ولي المرأة وقيل نزلت فى جابر بن عبد الله واخته وهذه الآية تقتضى ثبوت حق

الولي فى انكاح وليته وقوله بالمعروف معناه المهر والاشهاد * وقوله تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم رجوع الى خطاب الجماعة والاشارة فى ذلكم ازكى الى ترك العضل وازكى واطهر معناه اطيب للنفس واطهر للعِرض والدين بسبب العلاقات التى تكون بين الازواج وربما لم يعلمها الولي فيؤدى العضلُ الى الفساد والمخالطةِ على ما لا ينبغى والله تعالى يعلم من ذلك ما لا يعلم البشر * قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة يرضعن اولادهن خبر معناه الامر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى الندب لبعضهن فيجب على الام الارضاع ان كانت تحت ابيه او رجعية ولا مانع من علو قدر بغير اجر وكذلك ان كان الاب عديما او لم يقبل الولد غيرها وهذه الآيات فى المطلقات جعلها الله حدا عند اختلاف الزوجين فى مدة الرضاع فمن دعا منهما الى اكمال الحولين فذلك له * وقوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة مبني على ان الحولين ليسا بفرض لا يُتجاوز وانتزع مالك رحمه الله وجماعة من العلماء من هذه الآية ان الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب انما هي ما كان فى الحولين لان بانقضاء الحولين تمت الرضاعة فلا رضاعة * ت * فلو كان رضاعه بعد الحولين بمدة قريبة وهو مستمر الرضاع او بعد يومين من فصاله اعتبر اذ ما قارب الشيء فله حكمه انتهى * وقوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الآية المولود له اسم جنس وصنف من الرجال والرزق فى هذا الحكم الطعام الكافى وقوله بالمعروف يجمع حسن القدر فى الطعام وجودة الاداء له وحسن الاقتضاء من المرأة ثم بين سبحانه ان الانفاق على قدر غنى الزوج بقوله لا تكلف نفس الا وسعها وقرأ ابو عمرو وابن كثير وابان عن عاصم لا تضارُّ والدة بضم الراء وهو خبر

معناه الامر ويحتمل ان يكون الاصل لا تُضارِرُ بكسر الراء الاولى فوالدة فاعلة ويحتمل بفتح الراء الاولى فوالدة مفعول لم يسم فاعله ويعطف مولود له على هذا الحد فى الاحتمالين وقرأ نافع وحمزة والكسائى وعاصم لا تضارّ بفتح الراء وهذا على النهي ويحتمل اصله ما ذكرنا فى الاولى ومعنى الآية فى كل قراءة النهي عن الاضرار ووجوه الضرر لا تنحصر وكل ما ذكر منها فى التفاسير فهو مثال * ت * وفى الحديث لا ضرر ولاضرار رواه مالك فى الموطا مرسلا قال النووى فى الحلية ورويناه فى سنن الدارقطني وغيره من طرق متصلا وهو حسن انتهى * وقوله تعالى وعلى الوارث مثل ذلك قال مالك وجميع اصحابه والشعبى والزهرى وجماعة من العلماء المراد بقوله مثل ذلك ان لا يضار واما الرزق والكسوة فلا شيء عليه منه قال * ع * فالاجماع من الامة فى ان لا يضار الوارث وانما الخلاف هل عليه رزق وكسوة ام لا * وقوله تعالى فان ارادا فصالا الآية اي فان اراد الوالدان وفصالا معناه فطاما عن الرضاع وتحرير القول فى هذا ان فصله قبل الحولين لا يصح الا بتراضيهما وان لا يكون على المولود ضرر واما بعد تمامهما فمن دعا الى الفصل فذلك له الا ان يكون فى ذلك على الصبي ضرر * وقوله تعالى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم مخاطبة لجميع الناس يجمع الآباء والامهات اي لهم اتخاذ الظئر مع الاتفاق على ذلك واما قوله اذا سلمتم فمخاطبة للرجال خاصة الا على احد التاويلين فى قراءة من قرأ أوتيتم وقرأ الستة من السبعة آتيتم بالمد بمعنى اعطيتم وقرأ ابن كثير أتيتم بمعنى فعلتم كما قال زهير

وما كان من خير اتوه فانما * توارثه اباء ابائهم قبل

فاحد التاويلين فى هذه القراءة كالاول والتاويل الثانى لقتادة وهو اذا سلمتم ما

ءاتيتم من ارادة الاسترضاع اي سلم كل واحد من الابوين ورضي وكان ذلك على اتفاق منهما وقصدِ خير وارادة معروف وعلى هذا الاحتمال يدخل النساء في الخطاب * ت * وفي هذا التاويل تكلف وقال سفيان المعنى اذا سلمتم الى المسترضعة وهي الظئر اجرها بالمعروف وباقي الآية امر بالتقوى وتوقيف على ان الله تعالى بصير بكل عمل وفي هذا وعيد وتحذير اي فهو مُجازٍ بحسب عملكم * وقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن هذه الآية في عدة المتوفى عنها زوجها وظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الحرائر غير الحوامل ولم تعن الآية لما يشذ من مرتابة ونحوها وعدة الحامل وضع حملها عند الجمهور وروي عن علي وابن عباس اقصى الاجلين ويتربصن خبر يتضمن معنى الامر والتربص الصبر والتأني والاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم متظاهرة ان التربص باحداد وهو الامتناع عن الزينة ولبس المصبوغ الجميل والطِّيب ونحوه والتزام المبيت في مسكنها حيث كانت وقت وفاة الزوج وهذا قول جمهور العلماء وهو قول مالك واصحابه وجعل الله تعالى اربعة اشهر وعشرا عبادة في العدة فيها استبراء للحمل اذ فيها تكمل الاربعون والاربعون والاربعون حسب الحديث الذي رواه ابن مسعود وغيره ثم ينفخ الروح وجعل تعالى العشر تكملة اذ هي مظِنة لظهور الحركة بالجنين وذلك لنقص الشهور اوكمالها او لسرعة حركة الجنين او ابطائها قاله ابن المسيب وغيره وقال تعالى وعشرا تغليبا لحكم الليالي وقرأ ابن عباس وعشر ليال قال جهور العلماء ويدخل في ذلك اليوم العاشر * وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير فيما فعلن يريد به التزوج فما دونه من زينة واطراح الاحداد قاله مجاهد وغيره اذا كان معروفا غير منكر قال

* ع * ووجوه المنكر كثيرة وقوله سبحانه والله بما تعملون خبير وعيد يتضمن التحذير وخبير اسم فاعل من خبر اذا تقصى علم الشيء . * وقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء الآية تصريح خطبة المعتدة حرام والتعريض جائز وهو الكلام الذى لا تصريح فيه او اكننتم معناه سترتم واخفيتم * وقوله تعالى ستذكرونهن قال الحسن معناه ستخطبونهن وقال غيره معناه علم الله انكم ستذكرون النساء المعتدات فى نفوسكم وبالسنتكم فنهى عن ان يوصل الى التواعد معهن * ع * والسر فى اللغة يقع على الوطء حلاله وحرامه والآية تعطى النهي عن ان يواعد الرجل المعتدة ان يطأها بعد العدة بوجه التزويج وقال ابن جبير سرا اي نكاحا وهذه عبارة مخلصة واجمعت الامة على كراهة المواعدة فى العدة * وقوله تعالى الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء منقطع والقول المعروف هو ما ابيح من التعريض كقول الرجل انكم لاكفاء كرام وما قُدِّر كان ونحو هذا * وقوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله عزم العقدة عقدها بالاشهاد والولي وحينئذ تسمى عقدة * ت * والظاهر ان العزم غير العقد وقوله تعالى حتى يبلغ الكتاب اجله يريد تمام العدة والكتاب هنا هو الحد الذى جعل والقدر الذى رسم من المدة وقوله واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه الآية تحذير من الوقوع فيما نهى عنه وتوقيف على غفره وحلمه * وقوله تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة هذا ابتداء اخبار برفع الجُناح عن المطلِّق قبل البناء والجماعِ فرض مهرا او لم يفرض ولمّا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التزوج لمعنى الذوق وقضاء الشهوة وامر بالتزوج طلبا للعصمة والتماس ثواب الله وقصد دوام الصحبة وقع فى نفوس المومنين ان من طلق قبل البناء قد واقع جزأ من هذا المكروه فنزلت الآية رافعة للجناح فى ذلك

اذا كان اصل النكاح على المقصد الحسن وقال قوم لا جناح عليكم معناه لا طلب لجميع المهر بل عليكم نصف المفروض لمن فرض لها والمتعة لمن لم يفرض لها وفرض المهر اثباته وتحديده وهذه الآية تعطى جواز العقد على التفويض لانه نكاح مقرر فى الآية مبيّن حكم الطلاق فيه قاله مالك فى المدونة والفريضة الصداق * وقوله تعالى ومتعوهن اي اعطوهن شيأ يكون متاعا لهن وحمله ابن عمر وغيره على الوجوب وحمله مالك وغيره على الندب واختلف الناس فى مقدار المتعة قال الحسن يمتع كل على قدره هذا بخادم وهذا باثواب وهذا بثوب وهذا بنفقة وكذلك يقول مالك * وقوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره دليل على رفض التحديد والموسع اي من اتسع حاله والمقتر المقل القليل المال ومتاعا نصب على المصدر * وقوله تعالى بالمعروف اي لا حمل فيه ولا تكلف على احد الجانبين فهو تأكيد لمعنى قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ثم أكد تعالى الندب بقوله حقا على المحسنين اي فى هذه النازلة من التمتيع هم محسنون ومن قال بان المتعة واجبة قال هذا تأكيد للوجوب اي على المحسنين بالايمان والاسلام وحقا صفة لقوله تعالى متاعا * ت * وظاهر الآية عموم هذا الحكم فى جميع المطلقات كما هو مذهب الشافعى واحمد واصحاب الرأي والظاهر حمل المتعة على الوجوب لوجوه منها صيغة الامر ومنها قوله حقا ومنها لفظة على ومنها من جهة المعنى ما يترتب على امتاعها من جبر القلوب وربما ادى ترك ذلك الى العداوة والبغضاء بين المومنين وقد مال بعض ائمتنا المتأخرين الى الوجوب انتهى * وقوله تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الآية اختلف فى هذه الآية فقالت فرقة فيها مالك انها مخرجة للمطلقة بعد الفرض من حكم التمتيع اذ يتناولها * قوله تعالى ومتعوهن

وقال قتادة نسخت هذه الآية الآية التى قبلها وقال ابن القاسم فى المدونة كان المتاع لكل مطلقة بقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف ولغير المدخول بها بالآية التى فى سورة الاحزاب فاستثنى الله سبحانه المفروض لها قبل الدخول بهذه الآية واثبت لها نصف ما فرض فقط وزعم زيد بن اسلم انها منسوخة حكى ذلك فى المدونة عن زيد بن اسلم زعما وقال ابن القاسم انها استثناء والتحرير يرد ذلك الى النسخ الذى قال زيد لان ابن القاسم قال ان قوله تعالى وللمطلقات متاع عم الجميع ثم استثنى الله منه هذه التى فُرض لها قبل المسيس وقال فريق من العلماء منهم ابو ثور المتعة لكل مطلقة عموما وهذه الآية انما بينت ان المفروض لها تاخذ نصف ما فرض اي مع متعتها وقرأ الجمهور فنصف بالرفع والمعنى فالواجب نصف ما فرضتم * وقوله تعالى الا ان يعفون استثناء منقطع ويعفون معناه يتركن ويصفحن اي يتركن النصف الذى وجب لهن عند الزوج وذلك اذا كانت المرأة تملك امر نفسها واختلف فى المراد بقوله تعالى او يعفو الذى بيده عقدة النكاح فقال ابن عباس ومجاهد ومالك وغيرهم هو الولي الذى المرأة فى حجره وقالت فرقة الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج فعلى القول الاول الندب فى النصف الذى يجب للمرأة اما ان تعفو هي واما ان يعفو وليها وعلى القول الثانى اما ان تعفو هي ايضا فلا تاخذ شيأ واما ان يعفو الزوج عن النصف الذى يُحَط فيؤدى جميع المهر ثم خاطب تعالى الجميع نادبا بقوله وان تعفوا اقرب للتقوى اي يا جميع الناس وقرأ علي بن ابى طالب وغيره ولا تناسوا الفضل وهي قراءة متمكنة المعنى لانه موضع تناس لا نسيان الا على التشبيه * وقوله تعالى ولا تنسوا الفضل ندب الى المجاملة * وقوله ان الله بما تعملون بصير خبر وضمنه الوعد للمحسن والحرمان لغير المحسن * قوله

تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى الآية الخطاب لجميع الامة والآية امر بالمحافظة على اقامة الصلوات فى اوقاتها وبجميع شروطها وخرج الطحاوى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال امِر بعبد من عباد الله ان يضرب فى قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله تعالى ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه افاق فقال على م جلدتنى قال انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره انتهى من التذكرة للقرطبى وفى الحديث ان الصلاة ثلاثة اثلاث الطهور ثلث والركوع ثلث والسجود ثلث فمن اداها بحقها قبلت منه وقبل منه سائر عمله ومن ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله رواه النساءى انتهى من الكوكب الدري وروى مالك فى الموطا عن يحي بن سعيد انه قال بلغنى انه اول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فان قبلت منه نُظِر فيما بقي من عمله وان لم تقبل منه لم ينظر فى شيء من عمله قال ابو عمر بن عبد البر فى التمهيد وقد روي هذا الحديث مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه صحاح ثم اسند ابو عمر عن انس بن حكيم الضبي قال قال لى ابو هريرة اذا اتيت اهل مصرك فاخبرهم انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يحاسب به العبد المسلم صلاة المكتوبة (١) فان اتمها والا قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع اكملت الفريضة من تطوعه ثم يُفعل بسائر الاعمال المفروضة مثل ذلك وفى رواية تميم الدارى عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى قال ثم الزكاة مثل ذلك ثم توخذ الاعمال على حسب ذلك انتهى وذكر الله سبحانه الصلاة الوسطى ثانية وقد دخلت قبل فى عموم قوله الصلوات لانه

---

(١) هكذا الرواية

اراد تشريفها واختلف الناس فى تعيينها فقال علي وابن عباس وجماعة من الصحابة انها صلاة الصبح وهو قول مالك وقالت فرقة هي الظهر وورد فيه حديث وقالت فرقة هي صلاة العصر وفى مصحف عائشة واملاء حفصة صلاة العصر وعلى هذا القول جمهور العلماء وبه اقول وقال قبيصة بن دويب هي صلاة المغرب وحكى ابو عمر بن عبد البر عن فرقة انها صلاة العشاء الآخرة وقالت فرقة الصلاة الوسطى لم يعينها الله سبحانه فهي فى جملة الخمس غير معينة كليلة القدر وقالت فرقة هي صلاة الجمعة وقال بعض العلماء هي الخمس وقوله اولا على الصلوات يعم النفل والفرض ثم خص الفرض بالذكر * وقوله تعالى وقوموا لله قانتين معناه فى صلاتكم واختلف فى معنى قانتين فقال الشعبي وغيره معناه مطيعين قال الضحاك كل قنوت فى القرءان فانما يُعنَى به الطاعة وقاله ابو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود وغيره القنوت السكوت وذلك انهم كانوا يتكلمون فى الصلاة حتى نزلت هذه الآية فامروا بالسكوت وقال مجاهد معنى قانتين خاشعين فالقنوت طول الركوع والخشوع وغض البصر وخفض الجناح قال * ع * واحضار الخشية والفكر فى الوقوف بين يدي الله سبحانه وقال الربيع القنوت طول القيام وطول الركوع وقال قوم القنوت الدعاء وقانتين معناه داعين روي معناه عن ابن عباس * وقوله تعالى فان خفتم فرجالا او ركبانا الآية امر الله تعالى بالقيام له فى الصلاة بحالة قنوت وهو الوقار والسكينة وهدو الجوارح وهذا على الحالة الغالبة من الامن والطمانينة ثم ذكر تعالى حالة الخوف الطارئة احيانا فرخص لعبيده فى الصلاة رجالا متصرفين على الاقدام وركبانا على الخيل والابل ونحوهما ايماء واشارة بالراس حيث ما توجه هذا قول جميع العلماء وهذه هي صلاة الفذ الذى قد ضايقه الخوف على نفسه فى

حال المسايفة او من سبع يطلبه او عدو يتبعه او سيل يحمله وبالجملة فكل امر يخاف منه على روحه فهو مبيح ما تضمنته هذه الآية واما صلاة الخوف بالامام وانقسام الناس فليس حكمها فى هذه الآية وسياتى ان شاء الله فى سورة النساء والركبان جمع راكب وهذه الرخصة فى ضمنها باجماع من العلماء ان يكون الانسان حيث ما توجه ويتقلب ويتصرف بحسب نظره فى نجاة نفسه * ت * وروى ابو داود فى سننه عن عبد الله بن أُنَيس قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد بن سفيان وكان نحو عُرَنة وعَرفاتٍ قال اذهب فاقتله فرأيته وقد حضرت صلاة العصر فقلت انى لا خاف ان يكون بينى وبينه ما يؤخر الصلاة فانطلقت امشى وانا اصلى اومى ايماء نحوه فلما دنوت منه قال لى من انت قلت رجل من العرب بلغنى انك تجمع لهذا الرجل فجئتك فى ذلك قال انى لفى ذلك فمشيت معه ساعة حتى اذا امكننى علوته بسيفى حتى برد انتهى وقد ترجم عليه باب فى صلاة الطالب قال * ع * واختلف الناس كم يصلى من الركعات والذى عليه مالك وجماعة انه لا ينقص من عدد الركعات شيأ فيصلى المسافر ركعتين واختلف المتأولون فى قوله سبحانه فاذا امنتم فاذكروا الله الآية فقالت فرقة المعنى اذا زال خوفكم فاذكروا الله سبحانه بالشكر على هذه النعمة وقالت فرقة اذكروا الله اي صلوا كما علمتم صلاة تامة يعنى فيما يُستقبل من الصلوات * قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن من معروف والله عزيز حكيم الذين رفع بالابتداء وخبره مضمر تقديره فعليهم وصية لازواجهم وفى قراءة ابن مسعود كتب عليكم وصية قالت فرقة كانت هذه وصية من الله تعالى تجب بعد وفاة الزوج قال قتادة

كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها لها السكنى والنفقة حولا فى مال الزوج ما لم تخرج برأيها ثم نسخ ما فى هذه الآية من النفقة بالربع او بالثمن الذى فى سورة النساء ونسخ سكنى الحول بالاربعة الاشهر والعشر وقاله ابن عباس وغيره ومتاعا نصب على المصدر وقوله تعالى غير اخراج معناه ليس لاولياء الميت ووارثى المنزل اخراجها وقوله تعالى فان خرجن الآية معناه ان الخروج اذا كان من قبل الزوجة فلا جناح على احدٍ ولي او حاكم او غيره فيما فعلن فى انفسهن من تزويج وتزين وترك احداد اذا كان ذلك من المعروف الذى لا ينكر وقوله تعالى والله عزيز حكيم صفة تقتضى الوعيد بالنقمة لمن خالف الحد فى هذه النازلة وهذا كله قد زال حكمه بالنسخ المتفق عليه * وقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تعقلون قال عطاء بن ابى رباح وغيره هذه الآية فى الثيبات اللواتى قد جومعن اذ قد تقدم فى غير هذه الآية ذكر المتعة للواتى لم يُدخل بهن وقال ابن زيد هذه الآية نزلت موكدة لامر المتعة لانه نزل قبل حقا على المحسنين فقال رجل فان لم ارد ان احسن لم امتع فنزلت حقا على المتقين قال الطبرى فوجب ذلك عليهم * قوله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا الآية هذه رؤية القلب بمعنى الم تعلم وقصة هؤلاء فيما قال الضحاك انهم قوم من بنى اسراءيل امروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتل فى الجهاد فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فاماتهم الله ليعرفهم انه لا ينجيهم من الموت شيء ثم احياهم وامرهم بالجهاد بقوله وقاتلوا فى سبيل الله الآية وروى ابن جريج عن ابن عباس انهم كانوا من بنى اسراءيل وانهم كانوا اربعين الفا وثمانية ءالاف وانهم اميتوا ثم احيوا وبقيت الرائحة على ذلك السبط من بنى اسراءيل الى اليوم

فامرهم الله بالجهاد ثانية فذلك قوله وقاتلوا فى سبيل الله قال * ع * وهذا القصص كله لين الاسناد وانما اللازم من الآية ان الله تعالى اخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم اخبارا فى عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فاماتهم الله ثم احياهم ليعلموا هم وكل من خلف بعدهم ان الامانة انما هي باذن الله لا بيد غيره فلا معنى لخوف خائف وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي امره المومنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم بالجهاد هذا قول الطبرى وهو ظاهر رصف الآية والجمهور على ان الوف جمع الف وهو جمع كثرة وقال ابن زيد فى لفظة الوف انما معناها وهم مؤتلفون * وقوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون الآية تنبيه على فضله سبحانه على هؤلاء القوم الذين تفضل عليهم بالنعم وامرهم بالجهاد وان لا يجعلوا الحول والقوة الا له سبحانه حسبما امر جميع العالم بذلك فلم يشكروا نعمته فى جميع هذا بل استبدوا وظنوا ان حولهم وسعيهم ينجيهم وهذه الآية تحذير لسائر الناس من مثل هذا الفعل اي فيجب ان يشكر الناس فضله سبحانه فى ايجاده لهم ورزقه اياهم وهدايته بالاوامر والنواهى فيكون منهم المبادرة الى امتثالها لا طلب الخروج عنها وفى تخصيصه تعالى الاكثر دلالة على ان الاقل الشاكر * وقوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الآية الجمهور ان هذه الآية مخاطبة لامة محمد صلى الله عليه وسلم بالقتال فى سبيل الله وهو الذى يُنوَى به ان تكون كلمة الله هي العليا حسب الحديث وقال ابن عباس والضحاك الامر بالقتال هو للذين احيوا من بنى اسرائيل قال الطبرى ولا وجه لهذا القول ثم قال تعالى من ذا الذى يقرض الله الآية فدخل فى ذلك المقاتل فى سبيل الله فانه يقرض رجاء ثواب الله كما فعل عثمان فى جيش العسرة ويروى ان هذه الآية لما

نزلت قال ابو الدحداح يا رسول الله اوان الله يريد منا القرض قال نعم يا ابا الدحداح قال فاني قد اقرضته حائطي لحائط فيه ستمائة نخلة ثم جاء الحائط وفيه ام الدحداح فقال اخرجي فاني قد اقرضت ربي حائطي هذا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كم من عذق مذلل لابي الدحداح في الجنة واستدعاء القرض في هذه الآية وغيرها انما هو تأنيس وتقريب للافهام والله هو الغني الحميد قال ابن العربي في احكامه وكَنَى الله عز وجل عن الفقير بنفسه العلية ترغيبا في الصدقة كما كنى عن المريض والجائع والعاطش بنفسه المقدسة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن ءادم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن ءادم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن ءادم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه اما انك لوسقيته وجدت ذلك عندي انتهى واللفظ لصحيح مسلم قال ابن العربي وهذا كله خرج مخرج التشريف لمن كُنِي عنه وترغيبا لمن خوطب انتهى * وقوله حسنا معناه تطيب فيه النية ويشبه ايضا ان تكون اشارة الى كثرته وجودته وهذه الاضعاف الكثيرة الى السبع مائة التي رويت ويعطيها مثالُ السنبلة * ت * والحق الذي لا شك فيه وجوب الايمان بما ذكر المولى سبحانه ولا سبيل الى التحديد الا ان يثبت في ذلك حديث صحيح فيصار اليه وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم فيما خرجه مسلم والبخاري انظره عند قوله تعالى كمثل حبة قال * ع *

روي ان النبي صلى الله عليه وسلم طُلب منه ان يسعر بسبب غلاء خيف على المدينة فقال ان الله هو الباسط القابض واني لارجو ان القى الله ولا يتبعني احد بمظلمة في نفس ولا مال قال صاحب سلاح المومن عند شرحه لاسمه تعالى القابض الباسط قال بعض العلماء يجب ان يُقرن بين هذين الاسمين ولا يفصل بينهما ليكون انبأ عن القدرة وادل على الحكمة كقوله تعالى والله يقبض ويبسط واذا قلت القابض مفردا فكانك قصرت بالصفة على المنع والحرمان واذا جمعت اثبتت الصفتين وكذلك القول في الخافض والرافع والمعز والمذل انتهى وما ذكره عن بعض العلماء هو كلام الامام الفخر في شرحه لاسماء الله الحسنى ولفظه القابض والباسط الاحسن في هذين الاسمين ان يقرن احدهما في الذكر بالآخر ليكون ذلك ادل على القدرة والحكمة ولهذا السبب قال الله تعالى والله يقبض ويبسط واذا ذكرت القابض منفردا عن الباسط كنت قد وصفته بالمنع والحرمان وذلك غير جائز وقوله المعز المذل وقد عرفت انه يجب في امثال هذين ذكر كل واحد منهما مع الآخر انتهى * قوله تعالى الم تر الى الملإ من بني اسراءيل من بعد موسى الآية هذه الآية خبر عن قوم من بني اسراءيل نالتهم ذلة وغلبة عدو فطلبوا الاذن في الجهاد وان يومروا به فلما امروا كع اكثرهم وصبر الاقل فنصرهم الله وفي هذا كله مثال للمومنين ليحذروا المكروه منه ويقتدوا بالحسن والملأ في هذه الآية جميع القوم لان المعنى يقتضيه وهو اصل اللفظة ويسمى الاشراف الملأ تشبيها ومن بعد موسى معناه من بعد موته وانقضاء مدته * وقوله تعالى لنبيء لهم قال ابن اسحاق وغيره هو شمويل بن بابل وقال السدي هو شمعون وكانت بنو اسراءيل تغلب من حاربها وروي انها كانت تضع التابوت الذى فيه السكينة والبقية في ما زق الحرب فلا تزال تغلب حتى عصت وظهرت

فيهم الاحداث وخالف ملوكهم الانبياء واتبعوا الشهوات وقد كان الله تعالى اقام امورهم بان يكون انبياؤهم يسددون ملوكهم فلما فعلوا ما ذكرناه سلط الله عليهم امما من الكفرة فغلبوهم واخذ لهم التابوت فى بعض الحروب فذل امرهم وقال السدي كان الغالب لهم جالوت وهو من العمالقة فلما رأوا انه الاصطلام وذهاب الذكر انف بعضهم وتكلموا فى امرهم حتى اجتمع ملأهم على ان قالوا لنبيء الوقت ابعث لنا ملكا الآية وانما طلبوا ملكا يقوم بامر القتال وكانت المملكة فى سبط من اسباط بنى اسرايل يقال لهم بنو يهوذا فعلم النبي بالوحي انه ليس فى بيت المملكة من يقوم بامر الحرب ويسر الله لذلك طالوت وقرأ جمهور الناس نقاتل بالنون وجزم اللام على جواب الامر واراد النبي المذكور عليه السلام ان يتوثق منهم فوقفهم على جهة التقرير وسبر ما عندهم بقوله هل عسيتم ومعنى هذه المقالة هل انتم قريب من التولي والفرار ان كتب عليكم القتال * ص * لنبيء متعلق بقالوا واللام معناها التبليغ انتهى ثم اخبر تعالى انه لما فرض عليهم القتال تولوا اي اضطربت نياتهم وفترت عزائمهم الا قليلا منهم وهذا شان الامم المتنعمة المائلة الى الدعة تتمنى الحرب اوقات السعة فاذا حضرت الحرب كعت وعن هذا المعنى نهى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاثبتوا ثم توعد سبحانه الظالمين فى لفظ الخبر بقوله والله عليم بالظالمين * وقوله تعالى وقال لهم نبيئهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال وهب بن منبه وكان طالوت رجلا دباغا وقال السدى سقاء وكان من سبط بنيامين وكان سبطا لا نبوءة فيه ولا ملك ثم ان بنى اسرايل تعنتوا وحادوا عن امر الله وجروا على سَنَنهم فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يوت سعة من

المال اي لم يوت مالا واسعا يجمع به نفوس الرجال ويغلب به اهل الانفة قال
* ع * وترك القومُ السببَ الاقوى وهو قدر الله وقضاؤه السابق وانه مالك
الملك فاحتج عليهم نبيهم بالحجة القاطعة وبين لهم مع ذلك تعليل اصطفاء
طالوت ببسطته فى العلم وهو مِلاك الانسان والجسم الذى هو معينه فى الحرب
وعُدّته عند اللقاء واصطفى ماخوذ من الصفوة والجمهور على ان العلم فى هذه الآية
يراد به العموم فى المعارف وقيل المراد علم الحرب واما جسمه فقال وهب بن
منبه ان اطول رجل فى بنى اسرايل كان يبلغ منكب طالوت * ت *
قال ابو عبيد الهروي قوله وزاده بسطة فى العلم والجسم اي انبساطا وتوسعا فى
العلم وطولا وتماما فى الجسم انتهى من شرحه لغريبي القرءان واحاديث النبي
عليه السلام ولما علم نبيهم عليه السلام تعنتهم وجدالهم تمم كلامه بالقطع الذى
لا اعتراض عليه وهو قوله والله يوتى ملكه من يشاء وظاهر اللفظ انه من قول نبيهم
عليه السلام وذهب بعض المتأولين الى انه من قول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه
وسلم والاول اظهر وواسع معناه وسعت قدرته وعلمه كل شيء واما قول النبي لهم
ان ءاية ملكه فان الطبرى ذهب الى ان بنى اسرايل تعنتوا وقالوا لنبيهم وما
ءاية ملك طالوت وذلك على جهة سؤال الدلالة على صدقه فى قوله ان الله
بعثه قال * ع * ويحتمل ان نبيهم قال لهم ذلك على جهة التغليظ
والتنبيه على هذه النعمة التى قرنها بملك طالوت دون تكذيب منهم لنبيهم
وهذا عندى اظهر من لفظ الآية وتاويل الطبرى اشبه باخلاق بنى اسرايل الذميمة
فانهم اهل تكذيب وتعنت واعوجاج وقد حكى الطبرى معناه عن ابن عباس
وغيره واختلف فى كيفية اتيان التابوت فقال وهب لما صار التابوت عند القوم
الذين غلبوا بنى اسرايل وضعوه فى كنيسة لهم فيها اصنام فكانت الاصنام تصبح

منكسة فجعلوه فى قرية قوم فاصاب اولئك القوم او جاع فقالوا ما هذا الا لهذا التابوت فلنرده الى بنى اسرايل فاخذوا عَجَلة فجعلوا التابوت عليها و ربطوها ببقرتين فارسلوهما فى الارض نحو بلاد بنى اسرايل فبعث الله ملائكة تسوق البقرتين حتى دخلتا به على بنى اسرايل وهم فى امر طالوت فايقنوا بالنصر وقال قتادة والربيع كان هذا التابوت مما تركه موسى عند يوشع فجعله يوشع فى البرية ومرت عليه الدهور حتى جاء وقت طالوت فحملته الملائكة فى الهواء حتى وضعته بينهم فاستوثقت بنو اسرايل عند ذلك على طالوت وقيل غير هذا والله اعلم * وقوله تعالى فيه سكينة من ربكم الآية قال ابن عباس السكينة طست من ذهب من الجنة وقال مجاهد السكينة لها راس كراس الهرة وجناحان وذنب وقال عطاء السكينة ما يعرفون من الآيات فيسكنون اليها وقال قتادة سكينة من ربكم اي وقار لكم من ربكم قال * ع * والصحيح ان التابوت كانت فيه اشياء فاضلة من بقايا الانبياء واثارهم تسكن الى ذلك النفوس وتأنس به ثم قرر تعالى ان مجىء التابوت اية لهم ان كانوا ممن يومن ويبصر * ت * وهذا يؤيد تاويل الطبرى المتقدم * وقوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود الآية اي لما اتفق ملأهم على تمليك طالوت وفصل بهم اي خرج بهم من القُطر وفصل حال السفر من حال الاقامة قال السدى وغيره وكانوا ثمانين الفا قال ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم فمن ظهرت طاعته فى ترك الماء علم انه يطيع فيما عدا ذلك ومن غلبته شهوته فى الماء وعصى الامر فهو بالعصيان فى الشدائد احرى ورخص للمطيعين فى الغرفة ليرتفع عنهم اذى العطش بعض الارتفاع وليكسروا نزاع النفس فى هذه الحال * ت * ولقد احسن من شبه الدنيا بنهر طالوت فمن اغترف منها غرفة بيد الزهد واقبل على ما يعنيه من امر اخرته نجا ومن اكب عليها صدته عن التأهب

لآخرته وقلت سلامته الا ان يتداركه الله قال ابن عباس وهذا النهر بين الاردن وفِلَسطين وقال ايضا هو نهر فلسطين قال * ع * وظاهر قول طالوت ان الله مبتليكم انه باخبار من النبي لطالوت ويحتمل ان يكون هذا مما الهم الله اليه طالوت فجرب به جنده وهذه النزعة واجب ان تقع من كل متولى حرب فليس يحارب الا بالجند المطيع وبينٌ ان الغرفة كافة ضرر العطش عند الحَزَمَة الصابرين على شظف العيش الذين هم فى غير الرفاهية وقوله فليس منى اي ليس من اصحابى فى هذه الحرب ولم يخرجهم بذلك عن الايمان ومثل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ومن رمانا بالنبل فليس منا وليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود وفى قوله ومن لم يطعمه سد الذرائع لان ادنى الذوق يدخل فى لفظ الطعم فاذا وقع النهي عن الطعم فلا سبيل الى وقوع الشرب ممن يتجنب الطعم ولهذه المبالغة لم يات الكلام ومن لم يشرَب منه * ص * الا من اغترف غرفة بيده استثناء من الجملة الاولى وهو قوله فمن شرب منه فليس منى اي الا من اغترف غرفة بيده دون الكرع فهو منى والاستثناء اذا تعقب جملتين فاكثر امكن عوده الى كل منها فقيل يعود على الاخيرة وقيل الى الجميع وقال ابو البقاء ان شئت جعلته مِن مَن الاولى وان شئت مِن مَن الثانية وتُعُقّب بانه لوكان استثناء من الثانية وهي ومن لم يطعمه فانه منى للزم ان يكون من اغترف غرفة ليس منه لان الاستثناء من الاثبات نفي ومن النفي اثبات على الصحيح وليس كذلك لانه ابيح لهم الاغتراف والظاهر عوده الى الاولى والجملة الثانية مفهومة من الاولى لانه حين ذكر ان من شربه فليس منه فُهِم من ذلك ان من لم يشرب منه فانه منه انتهى ثم اخبر تعالى ان الاكثر شرب وخالف ما اريد منه روي عن ابن عباس وغيره ان القوم شربوا على

قدر يقينهم فشرب الكفار شرب الهيم وشرب العاصون دون ذلك وانصرف من القوم ستة وسبعون الفا وبقي بعض المومنين لم يشرب شيأ واخذ بعضهم الغرفة فاما من شرب فلم يرو بل برح به العطش واما من ترك الماء فحسنت حاله وكان اجلد ممن اخذ الغرفة * وقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين ءامنوا معه الآية اكثر المفسرين على انه انما جاوز النهر من لم يشرب الا غرفة ومن لم يشرب جملة ثم كانت بصائر هؤلاء مختلفة فبعض كعّ وقليل صمم وهم عدة اهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا * وقوله تعالى قالوا لا طاقة قال ابن عباس قال كثير من الاربعة الآلاف الباقية مع طالوت الذين جاوزوا النهر لا طاقة لنا على جهة الفشل والفزع من الموت وانصرفوا عن طالوت فقال المومنون الموقنون بالبعث والرجوع الى الله تعالى وهم عدة اهل بدر كم من فئة والظن على هذا القول اليقين والفئة الجماعة التي يرجع اليها في الشدائد وفي قولهم رضي الله عنهم كم من فئة الآية تحريض بالمثال وحض واستشعار للصبر واقتداء بمن صدق ربه والله مع الصابرين بنصره وتأييده * وقوله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا الآية برزوا معناه صاروا في البراز وهو الافيح من الارض المتسع والافراغ اعظم الصب وكان جالوت امير العمالقة وملكهم وروي في قصة داود وقتله جالوت ان اصحاب طالوت كان فيهم اخوة داود وهم بنو ايش وكان داود صغيرا يرعى غنما لابيه فلما حضرت الحرب قال في نفسه لا ذهبن لرؤية هذه الحرب فلما نهض مر في طريقه بحجر فناداه يا داود خذني فبي تقتل جالوت ثم ناداه حجر ءاخر ثم ءاخر ثم ءاخر فاخذها وجعلها في مخلاته وسار فلما حضر الباس خرج جالوت يطلب مبارزا فكع الناس عنه حتى قال طالوت من يبرز له ويقتله فانا ازوجه ابنتي واحكمه في مالي فجاء داود فقال انا ابرز له واقتله فقال له طالوت فاركب

فرسي وخذ سلاحي ففعل وخرج في احسن شكّة فلما مشى قليلا رجع فقال الناس جبُن الفتى فقال داود انّ الله سبحانه ان لم يقتله لي ويعينني عليه لم ينفعني هذا الفرس ولا هذا السلاح ولكني احب ان اقاتله على عادتي قال وكان داود من ارمى الناس بالمقلاع فنزل واخذ مخلاته فتقلدها واخذ مقلاعه فخرج الى جالوت وهو شاك في السلاح فقال له جالوت انت يا فتى تخرج الي قال نعم قال هكذا كما يُخرَج الى الكلب قال نعم وانت اهون قال لاطعمن اليوم لحمك الطير والسباع ثم تدانيا فادار داود مقلاعه وادخل يده الى الحجارة فروي انها التأمت فصارت واحدا فأخذه ووضعه في المقلاع وسمى الله واداره ورماه فاصاب به راس جالوت فقتله وحز راسه وجعله في مخلاته واختلط الناس وحمل اصحاب طالوت وكانت الهزيمة ثم ان داود جاء يطلب شرطه من طالوت فقال له ان بنات الملوك لهن غرائب من المهر ولا بد لك من قتل مائتين من هؤلاء الجراجمة الذين يوذون الناس وتجيئني بغلفهم وطمع طالوت ان يعرض داود للقتل بهذه النزعة فقتل داود منهم مائتين وجاء بذلك وطلب امرأته فدفعها اليه طالوت وعظم امر داود فيروى ان طالوت تخلى له عن الملك وصار هو الملك وقد اكثر الناس في قصص هذه الآية وذلك كله لين الاسانيد فلذلك انتقيت منه ما تنفك به الآية ويعلم به مناقل النازلة واما الحكمة التي اتاه الله فهي النبوءة والزبور وعلمه سبحانه صنعة الدروع ومنطق الطير وغير ذلك من انواع علمه صلى الله على نبينا وعليه * وقوله تعالى ولو لا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض الآية اخبر الله سبحانه في هذه الآية انه لو لا دفعه بالمومنين في صدور الكفرة على مر الدهر لفسدت الارض لان الكفر كان يطبقها ولكنه سبحانه لا يخلي الزمان من قائم بحق وداع الى الله الى ان جعل ذلك

في امة محمد الى قيام الساعة له الحمد كثيرا * ص * ولكن استدراك باثبات الفضل لله سبحانه على جميع العالمين لما يتوهمه من يريد الفساد ان الله غير متفضل عليه اذ لم يبلغه مقاصده واحتيج الى هذا التقدير لان لكن تكون بين متنافيين بوجه ما انتهى والاشارة بتلك الى ما سلف من القصص والانباء وفي هذه القصة بجملتها مثال عظيم للمومنين ومعتبر وقد كان اصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم معدين لحرب الكفار فلهم في هذه النازلة معتبر يقتضي تقوية النفوس والثقة بالله سبحانه وغير ذلك من وجوه العبر * قوله سبحانه تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية تلك رفع بالابتداء والرسل خبره ويجوز ان يكون الرسل عطف بيان وفضلنا الخبر وتلك اشارة الى جماعة ونص الله سبحانه في هذه الآية على تفضيل بعض النبيئين على بعض من غير تعيين وقوله تعالى ورفع بعضهم درجات قال مجاهد وغيره هي اشارة الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الناس كافة واعطي الخمس التى لم يعطها احد قبله وهو اعظم الناس امة وختم الله به النبوات الى غير ذلك مما اعطاه من الخلق العظيم ومن معجزاته وباهر ءاياته ويحتمل اللفظ ان يراد به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ممن عظمت ءاياته وبينات عيسى عليه السلام احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وخلق الطير من الطين وروح القدس جبريل عليه السلام وقد تقدم ما قال العلماء فيه * وقوله تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم الآية معنى الآية ولو شاء الله ما اقتتل الناس بعد كل نبي فمنهم من آمن ومنهم من كفر بغيا وحسدا وعلى حطام الدنيا وذلك كله بقضاء وقدر وارادة من الله سبحانه ولو شاء الله خلاف ذلك لكان ولكنه المستاثر بسر الحكمة في ذلك وهو الفعال لما يريد سبحانه * ص * ولو شاء الله

ما اقتتل قيل فى الكلام حذف اي فاختلف اممهم فاقتتلوا ولو شاء الله فمفعول شاء محذوف اي ان لا يقتتلوا انتهى وقوله ما اقتتلوا اي بان قاتل المومنون الكافرين على مر الدهر وذلك هو دفاع الله الناس بعضهم ببعض * قوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا انفقوا مما رزقناكم الآية قال ابن جريج هذه الآية تجمع الزكاة والتطوع اي وجميع وجوه البر من سبيل وصلة رحم وهذا كلام صحيح لكن ما تقدم من الآيات فى ذكر القتال يرجح ان هذه النفقة فى سبيل الله ويقوى ذلك قوله والكافرون هم الظالمون اي فكافحوهم بالقتال بالانفس وانفاق الاموال مما رزقناكم وهذا غاية الانعام والتفضل منه سبحانه ان رزق ثم ندب للنفقة مما به انعم وحذر سبحانه من الامساك الى ان ياتي يوم لا يمكن فيه بيع ولا شراء ولا استدراك نفقة فى ذات الله تعالى اذ هي مبايعة اذ البيع فدية لان المرء قد يشتري نفسه ومراده بماله فكان معنى الآية ان لا فدية يوم القيامة ولا خلة نافعة واهل التقوى فى ذلك اليوم بينهم خلة ولكنه غير محتاج اليها * ت * وفى قوله غير محتاج اليها قلق ولا شفاعة يومئذ الا لمن اذن له سبحانه فالمنفي مثل حال الدنيا من البيع والخلة والشفاعة بغير اذن المشفوع عنده قال عطاء بن دينار الحمد لله الذى قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون * وقوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم الآية هذه الآية سيدة ءاي القرءان وورد فى الحديث انها تعدل ثلث القرءان وورد ان من قرأها اول ليله لم يقربه شيطان وكذلك من قرأها اول نهاره وهي متضمنة التوحيد والصفات العلى وعن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة ما منعك ان تسمعي ما اوصيتك به تقولين اذا اصبحت واذا امسيت يا حي يا قيوم برحمتك استغيث اصلح لي شاني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين رواه

النساءى واللفظ له والحاكم فى المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين يعنى البخارى ومسلما انتهى من السلاح وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل به هم او غم قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد ورواه الترمذى من حديث انس والنساءي من حديث ربيعة بن عامر انتهى من السلاح والله مبتدأ ولا اله مبتدأ ثان وخبره محذوف تقديره معبود او موجود وقيوم بناء مبالغة اي هو القائم على كل نفس بما كسبت بهذا المعنى فسره مجاهد والربيع والضحاك ثم نفى عز وجل ان تاخذه سنة او نوم وفى لفظ الاخذ غلبة ما فلذلك حسنت فى هذا الموضع بالنفي والسنة بدء النعاس وليس يفقد معه كل الذهن والنوم هو المستثقل الذى يزول معه الذهن والمراد بالآية التنزيه انه سبحانه لا تدركه ءافة ولا يلحقه خلل بحال من الاحوال فجعلت هذه مثالا لذلك واقيم هذا المذكور من الآفات مقام الجميع وهذا هو مفهوم الخطاب كما قال تعالى ولا تقل لهما اف * ت * وبيانه انه اذا حرم التافيف فاحرى ما فوقه من الشتم والضرب فى حق الابوين وروى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى (١) عن موسى على المنبر قال وقع فى نفس موسى هل ينام الله جل ثناؤه فارسل الله اليه ملكا فارّقه ثلاثا ثم اعطاه قارورتين فى كل يد قارورة وامره بان يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احداهما عن الاخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلا ان لوكان ينام لم تستمسك السماء والارض * وقوله تعالى له ما فى السماوات وما فى الارض اي بالملك

(١) فى البحر المحيط لابى حيان ما نصه قال بعض معاصرينا هذا حديث وضعه الحشوية ومستحيل ان يسأل موسى ذلك عن نفسه او عن قومه لان المومن لا يتشكك فى ان الله ينام او لا ينام فكيف الرسل اهـ من هامش بعض النسخ

فهو مالك الجميع وربه ثم قرر ووقف تعالى من يتعاطى ان يشفع الا باذنه اي بامره * ص * من ذا الذى يشفع عنده من مبتدأ وهو استفهام معناه النفي ولذا دخلت الا فى قوله الا باذنه والخبر ذا والذى نعت لذا او بدل منه وهذا على ان ذا اسم اشارة وفيه بعد لان الجملة لم تستقل بمَن مع ذا ولو كان خبرا لاستقل ولم يحتج الى الموصول فالاولى ان من ركبت مع ذا للاستفهام انتهى قال مجاهد وغيره ما بين ايديهم الدنيا وما خلفهم الآخرة وهذا صحيح فى نفسه عند موت الانسان لان ما بين اليد هو كل ما تقدم الانسان وما خلفه هو كل ما ياتى بعده ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته لان علم الله تعالى لا يتبعض ومعنى الآية لا معلوم لاحد الا ما شاء الله ان يعلمه قال ابن عباس كرسيه علمه الطبرى ومنه الكراسة قال * ع * والذى تقتضيه الاحاديث ان الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش والعرش اعظم منه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما السماوات السبع فى الكرسي الا كدراهم سبعة القيت فى تُرس وقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما الكرسي فى العرش الا كحلقة من حديد القيت فى فلاة من الارض وهذه الآية منبئة عن عِظَم مخلوقات الله سبحانه والمستفاد من ذلك عظم قدرته جل وعلا اذ لا يئوده حفظ هذه المخلوقات العظيمة ولا يئوده معناه لا يثقله ولا يشق عليه وهو تفسير ابن عباس وغيره والعلي يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان لان الله سبحانه منزه عن التحيز وكذا العظيم هو صفة بمعنى عظم القدر والخطر لا على معنى عظم الاجرام ومن سلاح المومن قال وعن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ءاية الكرسي فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت رواه النساءي عن الحسين بن بشر عن محمد بن حِمْير عن محمد بن زياد الالهانى عن ابى امامة

فاما الحسين فقال فيه النساءي لا باس به وقال في موضع ءاخر ثقة وقال ابو حاتم شيخ واما المحمدان فاحتج بهما البخاري في صحيحه وقد اخرج شيخنا الحافظ ابو محمد الدمياطي رحمه الله الحديث في بعض تصانيفه من حديث ابي امامة وعلي وعبد الله بن عمرو والمغيرة وجابر وانس قال واذا ضمت هذه الاحاديث بعضها الى بعض اخذت قوة انتهى من السلاح وقد اخرج البخاري والنساءي من حديث ابي هريرة في قصته مع الشيطان واخذه الطعام ما هو معلوم من فضل هذه الآية وفيه انه اذا قرأتها حين تاوي الى فراشك لم يزل عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وخرجه الترمذي من حديث ابي ايوب في قصته مع الغول نحو حديث ابي هريرة قال الغزالي ما معناه انما وصفت بكونها سيدة ءاي القرءان لاشتمالها على اسم الله الاعظم وهو الحي القيوم قاله في الجواهر واسند صاحب غاية المغنم في اسم الله الاعظم عن غالب القطان قال مكثت عشر سنين ادعو الله ان يعلمني اسمه الاعظم الذى اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى فاتاني ءات في منامي ثلاث ليال متواليات يقول يا غالب قل يا فارج الهم ويا كاشف الغم يا صادق الوعد يا موفيا بالعهد يا منجزا للوعد يا حي يا قيوم لا اله الا انت انتهى من غاية المغنم * قوله تعالى لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي الدين في هذه الآية هو المعتقد والملة ومقتضى قول زيد ابن اسلم ان هذه الآية مكية وانها من ءايات الموادعة التى نسختها ءاية السيف وقال قتادة والضحاك بن مزاحم هذه الآية محكمة خاصة في اهل الكتاب الذين يبذلون الجزية وقوله تعالى قد تبين الرشد من الغي معناه بنصب الادلة ووجود الرسول صلى الله عليه وسلم الداعي الى الله والآيات المنيرة والرشد مصدر من قولك رشد بكسر الشين وضمها يرشد رُشْدا ورَشَدا ورَشادا والغي مصدر من غوى يغوى اذا ضل

فى معتقد او رأي ولا يقال الغي فى الضلال على الاطلاق والطاغوت بناء مبالغة من طغى يطغى واختلف فى معنى الطاغوت فقال عمر بن الخطاب وغيره هو الشيطان وقيل هو الساحر وقيل الكاهن وقيل الاصنام وقال بعض العلماء كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت * ع * وهذه تسمية صحيحة فى كل معبود يرضى ذلك كفرعون ونمروذ واما من لا يرضى ذلك فسمي طاغوتا فى حق العبَدة قال مجاهد العروة الوثقى الايمان وقال السدى الاسلام وقال ابن جبير وغيره لا اله الا الله قال * ع * وهذه عبارات ترجع الى معنى واحد والانفصام الانكسار من غير بينونة وقد يجيء بمعنى البينونة والقصم كسر بالبينونة * ت * وفى الموطإ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الوحي ياتيني احيانا فى مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عنى وقد وعيت قال ابو عمر فى التمهيد قوله فيفصم عنى معناه ينفرج عنى و يذهب كما تفصم الخلخال اذا فتحته لتخرجه من الرجل وكل عقدة حللتها فقد فصمتها قال الله عز وجل فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وانفصام العروة ان تنفك عن موضعها واصل الفصم عند العرب ان تفك الخلخال ولا يبين كسره فاذا كسرته فقد قصمته بالقاف انتهى ولما كان الايمان مما ينطق بد اللسان و يعتقده القلب حسن فى الصفات سميع من اجل النطق وعليم من اجل المعتقَد * قوله سبحانه الله ولي الذين ءامنوا الآية الولي من ولي فاذا لازم احد احدا بنصره ووده واهتباله فهو وليه هذا عرفه لغة ولفظ الآية مترتب فى الناس جميعا وذلك ان من ءامن منهم فالله وليه اخرجه من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن كفر بعد وجود الرسول صلى الله عليه وسلم فشيطانه ومُغْويه اخرجه من الايمان اذ هو معدّ واهل للدخول فيه ولفظ الطاغوت فى هذه الآية يقتضى انه اسم جنس ولذلك

قال اولياؤهم بالجمع اذ هي انواع * قوله تعالى الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه الآية الم ترتنبيه وهي رؤية القلب والذى حاج ابراهيم هو نمروذ بن كنعان ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة قاله مجاهد وغيره قال قتادة هو اول من تجبر وهو صاحب الصرح ببابل قيل انه ملك الدنيا باجمعها وهو احد الكافرين والآخر بخت نصر وقيل ان النمروذ الذى حاج ابراهيم هو نمروذ بن فالخ وفى قصص هذه المحاجة روايتان احداهما ذكر زيد بن اسلم ان النمروذ هذا قعد يامر للناس بالميرة فكلما جاء قوم قال من ربكم والهكم فيقولون انت فيقول ميروهم وجاء ابراهيم عليه السلام يمتار فقال له من ربك والهك قال ابراهيم ربى الذى يحيي ويميت فلما سمعها نمروذ قال انا احي واميت فعارضه ابراهيم بامر الشمس فبُهِت الذى كفر وقال لا تميروه فرجع ابراهيم الى اهله دون شيء فمر على كثيب رمل كالدقيق فقال لو ملأت غرارتي من هذا فاذا دخلت به فرح الصبيان حتى انظر لهما فذهب بذلك فلما بلغ منزله فرح الصبيان وجعلا يلعبان فوق الغرارتين ونام هو من الاعياء فقالت امرأته لو صنعت له طعاما يجده حاضرا اذا انتبه ففتحت احدى الغرارتين فوجدت احسن ما يكون من الحوارى فخبزته فلما قام وضعته بين يديه فقال من اين هذا قالت من الدقيق الذى سقت فعلم ابراهيم ان الله يسر لهم ذلك وقال الربيع وغيره فى هذا القصص ان النمروذ لما قال انا احي واميت احضر رجلين فقتل احدهما وارسل الآخر وقال قد احييت هذا وامت هذا فرد عليه ابراهيم بامر الشمس والرواية الاخرى ذكر السدي انه لما خرج ابراهيم من النار وادخل على الملك قال له من ربك قال ربى الذى يحيي ويميت يقال بهت الرجل اذا انقطع وقامت عليه الحجة * وقوله تعالى والله لا يهدى القوم الظالمين اخبار لمحمد صلى الله عليه وسلم

وامته والمعنى لا يرشدهم فى حججهم على ظلمهم وظاهر اللفظ العموم ومعناه الخصوص لان الله سبحانه قد يهدى بعض الظالمين بالتوبة والرجوع الى الايمان * قوله تعالى اوكالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها الآية عطفت او فى هذه الآية على المعنى الذى هو التعجب فى قوله الم تر الى الذى حاج قال ابن عباس وغيره الذى مر على القرية هو عزير وقال وهب بن منبه وغيره هو ارميا قال ابن اسحاق ارميا هو الخضر وحكاه النقاش عن وهب بن منبه واختلف فى القرية ما هي فقيل الموتفكة وقال زيد بن اسلم قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقال وهب بن منبه وقتادة والضحاك والربيع وعكرمة هي بيت المقدس لما خربها بخت نصّر البابلي والعريش سقف البيت قال السدى يقول هي ساقطة على سقفها اي سقطت السقف ثم سقطت الحيطان عليها وقال غيره معناه خاوية من الناس وخاوية معناه خالية يقال خوت الدار تخوى خواء وخُويا ويقال خويت قال الطبرى والاول افصح قال * ص * وهي خاوية فى موضع الحال من فاعل مر او من قرية وعلى عروشها قيل على على بابها والمعنى خاوية من اهلها ثابتة على عروشها والبيوت قائمة والمجرور على هذا يتعلق بمحذوف وهو ثابتة وقيل يتعلق بخاوية والمعنى وقعت جدراتها على سقوفها بعد سقوط السقوف انتهى وقد زدنا هذا المعنى وضوحا فى سورة الكهف والله الموفق بفضله وقوله انى يحي هذه الله بعد موتها ظاهر اللفظ السؤال عن احياء القرية بعمارة او سكان فكان هذا تلهف من الواقف المعتبر على مدينة احبته ويحتمل ان يكون سؤاله انما كان عن احياء الموتى فضرب له المثل فى نفسه وحكى الطبرى عن بعضهم ان هذا القول منه شك فى قدرة الله على الاحياء قال * ع * والصواب ان لا يتأول فى الآية شك وروي فى قصص هذه الآية ان بنى اسرايل لما

احدثوا الاحداث بعث الله عليهم بخت نصر فقتلهم وجلاهم من بيت المقدس وخربه فلما ذهب عنه جاء عزير اوارميا فوقف على المدينة معتبرا فقال انى يحي هذه الله بعد موتها فاماته الله تعالى وكان معه حمار قد ربطه بحبل جديد وكان معه سلة فيها تين هو طعامه وقيل تين وعنب وكانت معه ركوة من خمر وقيل من عصير وقيل قلة من ماء هي شرابه وبقي ميتا مائة عام فروي انه بلي وتفرقت عظامه هو وحماره وروي ان الحمار بلي وتفرقت اوصاله دون عزير * وقوله تعالى ثم بعثه معناه احياه فسأله الله تعالى بوساطة الملك كم لبثت على جهة التقرير فقال لبثت يوما او بعض يوم قال ابن جريج وقتادة والربيع اماته الله غدوة يوم ثم بعثه قرب الغروب فظن هو اليوم واحدا فقال لبثت يوما ثم رأى بقية من الشمس فخشي ان يكون كاذبا فقال او بعض يوم فقيل له بل لبثت مائة عام وقوله تعالى فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير * ت * قال البخارى فى جامعه يتسنه يتغير واما قوله تعالى وانظر الى حمارك فقال وهب بن منبه وغيره المعنى انظر الى اتصال عظامه واحيائه جزءا جزءا ويروى انه احياه الله كذلك حتى صار عظاما ملتئمة ثم كساه لحما حتى كمل حمارا ثم جاء ملك فنفخ فى انفه الروح فقام الحمار ينهق وروي عن الضحاك ووهب بن منبه ايضا انهما قالا بل قيل له وانظر الى حمارك قائما فى مربطه لم يصبه شيء مائة سنة قالا وانما العظام التى نظر اليها عظام نفسه واعمى الله العيون عنه وعن حماره طول هذه المدة وكثّر اهل القصص فى صورة هذه النازلة تكثيرا اختصرته لعدم صحته * وقوله تعالى ولنجعلك ءاية للناس قال * ع * وفى اماتته هذه المدة ثم احيائه اعظم ءاية وامره كله ءاية للناس غابر الدهر * ت * قال ابن هشام لا يصح انتصاب مائة باماته لان الاماتة سلب الحياة

وهي لا تمتد وانما الوجه ان يضمن اماته معنى أَلْبَثَه فكانه قيل فالبثه الله بالموت مائة عام وحينئذ يتعلق به الظرف انتهى من المغنى ومعنى ننشرها اي نحييها وقرأ حمزة وغيره ننشزها ومعناه نرفعها اي ارتفاعا قليلا قليلا فكانه وقف على نبات العظام الرفات وقال النقاش ننشزها معناه ننبتها ومن ذلك نشز ناب البعير * وقوله تعالى فلما تبين له قال اعلم المعنى قال هو اعلم ان الله على كل شيء قدير وهذا عندى ليس باقرار بما كان قبل ينكره كما زعم الطبرى بل هو قول بعثه الاعتبار كما يقول الانسان المومن اذا رأى شيأ غريبا من قدرة الله لا اله الا الله ونحو هذا واما قراءة حمزة والكساءى قال اعلمْ موصولة الالف ساكنة الميم فتحتمل وجهين احدهما قال الملك له اعلم وقد قرأ ابن مسعود والاعمش قيل اعلم والوجه الثاني ان ينزل نفسه منزلة المخاطب الاجنبى المنفصل اي قال لنفسه اعلم وامثلة هذا كثيرة * قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحي الموتى قال او لو تومن قال بلى الآية قال جمهور العلماء ان ابراهيم عليه السلام لم يكن شاكا فى احياء الله الموتى قط وانما طلب المعاينة واما قول النبي صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم فمعناه ان لو كان شك لكنا نحن احق به ونحن لا نشك فابراهيم عليه السلام احرى ان لا يشك فالحديث مبني على نفي الشك عن ابراهيم والذى روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك محض الايمان انما هو فى الخواطر الجارية التى لا تثبت واما الشك فهو توقف بين امرين لا مزية لاحدهما على الآخر وذلك هو المنفي عن الخليل صلى الله عليه وسلم واحياء الموتى انما يثبت بالسمع وقد كان ابراهيم اعلِمَ بذلك يدلك على ذلك قوله ربي الذى يحي ويميت والشك يبعد على من ثبت قدمه فى الايمان فقط فكيف بمرتبة النبوءة والخلة والانبياء معصومون من الكبائر

ومن الصغائر التى فيها رذيلة اجماعا واذا تأملت سؤاله عليه السلام وسائر الفاظ الآية
لم تعط شكا وذلك ان الاستفهام بكيف انما هو عن حال شيء موجود ومتقرر
الوجود عند السائل والمسؤل نحو قولك كيف علم زيد وكيف نسج الثوب
فكيف فى هذه الآية انما هي استفهام عن هيئة الاحياء والاحياء متقرر ولما وجدنا
بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبر عن انكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشيء
يعلم انها لا تصح فيلزم من ذلك ان الشيء فى نفسه لايصح مثال ذلك ان
يقول مدع انا ارفع هذا الجبل فيقول المكذب كيف ترفعه فهذه طريقة
مجاز فى العبارة ومعناها تسليم جدلى كانه يقول افرض انك ترفعه ارنى كيف
فلما كان فى عبارة الخليل صلى الله عليه وسلم هذا الاشتراك المجازى خلّص
الله سبحانه ذلك وحمله على ان يبين الحقيقة فقال له او لم تومن
قال بلى فكمل الامر وتخلص من كل شك ثم علل عليه السلام سؤاله
بالطمانينة * ت * قال الداودى وعن ابن جبير او لم تومن بالخلة قال
مجاهد والنخعى ولكن ليطمئن قلبى اي ازداد ايمانا الى ايمانى وعن قتادة
لازداد يقينا انتهى قال * ع * وقوله تعالى او لم تومن معناه ايمانا
مطلقا دخل فيه فصل احياء الموتى والواو واو حال دخلت عليها الف
التقرير وقال * ص * الهمزة فى او لم تومن للتقرير كقوله تعالى الم نشرح
لك صدرك وكقوله * الستم خير من ركب المطايا * اي قد شرحنا لك
صدرك وانتم خير وقول ابن عطية الواو للحال دخلت عليها الف التقرير
متعقب والظاهر ان التقرير منسحب على الجملة المنفية فقط وان الواو للعطف
انتهى وليطمئن معناه ليسكن فطمانينة القلب هي ان تسكن فكره فى الشيء
المعتقد والفِكر فى صورة الاحياء غير محظورة كما لنا نحن اليوم ان نفكر فيها

بل هي فكر فيها عبر فاراد الخليل ان يعاين فتذهب فكره فى صورة الاحياء اذ حركه الى ذلك اما الدابة الماكولة فى تاويل واما قول النمروذ انا احي واميت فى تاويل ءاخر وروي ان الاربعة التى اخذ ابراهيم عليه السلام هي الديك والطاوس والحمام والغراب قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس مكان الغراب الكركي فروي انه اخذها عليه السلام حسب ما امر وذكاها ثم قطعها قطعا قطعا صغارا وجمع ذلك مع الدم والريش ثم جعل من ذلك المجموع المختلط جزءا على كل جبل ووقف هو من حيث يرى تلك الاجزاء وامسك رءوس الطير فى يده ثم قال تعالين باذن الله فتطايرت تلك الاجزاء وطار الدم الى الدم والريش الى الريش حتى التأمت كما كانت اولا وبقيت بلا رءوس ثم كرر النداء فجاءته سعيا حتى وضعت اجسادها فى رءوسها وطارت باذن الله تعالى وقوله تعالى فصرهن يقال صرت الشيء اصوره بمعنى قطعته ويقال ايضا صرت الشيء بمعنى املته وقد تأول المفسرون اللفظة بمعنى التقطيع وبمعنى الامالة وقد قال ابن عباس وغيره فى هذه الآية صرهن معناه قطعهن وقال قتادة صرهن فصلهن وقال عطاء بن ابى رباح صرهن اضممهن وقال ابن زيد معناه اجمعهن وعن ابن عباس ايضا اوثقهن وقرأ قوم فصرهن بضم الصاد وشد الراء كانه يقول فشدهن ومنه صرة الدنانير * قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم فى الآية بيان شرف النفقة فى سبيل الله وتحسينها وضمنها التحريض على ذلك وهذه الآية فى نفقة التطوع وسبل الله كثيرة وهي جميع ما هو طاعة وعائد بمنفعة على المسلمين وعلى الملة واشهرها واعظمها غَناء الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا والحبة اسم جنس لكل ما يزدرعه ابن ءادم واشهر ذلك البر وقد يوجد فى سنبل القمح ما فيه مائة حبة واما

فى سائر الحبوب فاكثر وقد ورد القرآن بان الحسنة بعشر امثالها واقتضت
الآية ان نفقة الجهاد حسنتها بسبع مائة ضعف وبين ذلك الحديث
الصحيح واختلف فى معنى قوله سبحانه والله يضاعف لمن يشاء فقيل هي مبينة
ومؤكدة لما تقدم من ذكر السبع مائة وقالت طائفة من العلماء بل هو
اعلام من الله تعالى بانه يضاعف لمن يشاء اكثر من سبعمائة ضعف
* ت * وارجح الاقوال عندى قول هذه الطائفة وفى الحديث الصحيح
عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك
وتعالى قال ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم
بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله
عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة الحديث
رواه مسلم والبخارى بهذه الحروف انتهى وقال ابن عمر لما نزلت هذه الآية
قال النبي صلى الله عليه وسلم رب زد امتى فنزلت من ذا الذى يقرض الله
قرضا حسنا الآية فقال رب زد امتى فنزلت انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب وفى الآية حذف مضاف تقديره مثل انفاق الذين وكمثل ذى
حبة وقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا
منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لما تقدم فى
الآية التى قبلها ذكر فضل الانفاق فى سبيل الله على العموم بين ان ذلك
انما هو لمن لم يتبع انفاقه منا ولا اذى وذلك ان المنفق فى سبيل الله انما
يريد وجه الله تعالى ورجاء ثوابه واما من اراد من المنفق عليه جزاء بوجه من
الوجوه فهذا لم يرد وجه الله تعالى وهذا هو الذى متى اخلفه ظنه من بالانفاق
وآذى اذ لم يكن انفاقه مخلصا لوجه الله فالمن والاذى مبطلان للصدقة وهما

كاشفان لمقاصد المنفقين والمن ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها والاذى السب والتشكي وهو اعم من المن لان المن جزء من الاذى ولكنه نص عليه لكثرة وقوعه وقال زيد بن اسلم لئن ظننت ان سلامك يثقل على من انفقت عليه تريد وجه الله فلا تسلم عليه وقالت له امرأة يا ابا اسامة دلني على رجل يخرج في سبيل الله حقا فانهم انما يخرجون لياكلوا الفواكه فان عندي اسهما وجعبة فقال لها لا بارك الله في اسهمك وجعبتك فقد اذيتهم قبل ان تعطيهم وتضمن الله الاجر للمنفق في سبيل الله والاجر الجنة ونفى عنه الخوف لما يستقبل والحزن على ما سلف من دنياه لانه يغتبط بآخرته * ت * ومما جاء من صحيح الآثار في هذا الباب ما رواه مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من انفق زوجين في سبيل الله نودي من ابواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان فقال ابو بكر يا رسول الله ما على من يدعى من هذه الابواب من ضرورة فهل يدعى احد من هذه الابواب كلها قال نعم وارجو ان تكون منهم قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد في هذا الحديث من الفقه الحض على الانفاق في سبل الخير ومعنى زوجين اي شيئين من نوع واحد نحو درهمين او دينارين او فرسين او قميصين هكذا قال اهل العلم وفيه ان من اكثر من شيء عرف به ونسب اليه الا ترى الى قوله فمن كان من اهل الصلاة يريد من اكثر منها فنسب اليها لان الجميع من اهل الصلاة وكذلك من اكثر من الجهاد ومن الصيام على هذا المعنى والريان فعلان من الري ومعنى

الدعاء من تلك الابواب اعطاؤه ثواب العاملين تلك الاعمال ونيله ذلك والله اعلم وفيه ان للجنة ابوابا يعنى متعددة بحسب الاعمال انتهى وروى ابن ابى شيبة فى مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل اهل عمل بابا من ابواب الجنة يدعون فيه بذلك العمل هذا لفظه على ما نقله صاحب الكوكب الدرى انتهى * قوله تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى هذا اخبارٌ جزم من الله تعالى ان القول المعروف وهو الدعاء والتانيس والترجية بما عند الله خير من صدقة هي فى ظاهرها صدقة وفى باطنها لا شيء لأن ذلك القول المعروف فيه اجر وهذه لا اجر فيها والمغفرة الستر للخَلة وسوء حالة المحتاج ومن هذا قول الاعرابي وقد سأل قوما بكلام فصيح فقال له قائل ممن الرجل فقال اللهم غفرا سوء الاكتساب يمنع من الانتساب * وقال النقاش يقال معناه ومغفرة للسائل ان اغلظ اوجفا اذا حُرِم ثم اخبر تعالى بغناه عن صدقة من هذه حاله وحلمه عن من يقع منه هذا وامهاله * وحدث الجوزى فى صفوة الصفوة بسنده الى حارثة بن النعمان الصحابي رضي الله عنه قال لماكف بصره جعل خيطا فى مصلاه الى باب حجرته ووضع عنده مِكْتَلا فيه تمر وغير ذلك فكان اذا سأل المسكين اخذ من ذلك التمر ثم اخذ من ذلك الخيط حتى ياخذ الى باب الحجرة فيناوله المسكين فكان اهله يقولون نحن نكفيك فيقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مناولة المسكين تقى ميتة السوء انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الآية * العقيدة ان السيئات لا تبطل الحسنات فقال جمهور العلماء فى هذه الآية ان الصدقة التى يعلم الله من صاحبها انه يمن بها او يوذى فانها لا تتقبل صدقة وقيل بل يجعل الله للملك عليها امارة فهو لا يكتبها قال

* ع * وهذا حسن لان المانّ الموذي لم تكن نيته خالصة لله سبحانه فلم تترتب له صدقة فهذا هو البطلان بالمن والاذى وهما لا يبطلان صدقة غيرها سالمة النية * ثم مثل الله سبحانه هذا الذى يمن ويوذى بحسب مقدمة نيته بالذى ينفق رياء لا لوجه الله والرياء مصدر من فاعَل من الروّية كانّ الرياء تظاهر وتفاخر بين من لا خير فيه من الناس * قال المهدوى والتقدير كابطال الذى ينفق رياء * وقوله تعالى ولايومن بالله واليوم الآخر يحتمل ان يريد الكافر او المنافق اذ كل منهما ينفق ليقال جواد ثم مثل سبحانه هذا المنفق رياء بصفوان عليه تراب فيظنه الظان ارضا منبتة طيبة كما يظن قوم ان صدقة هذا المراءى لها قدر او معنى فاذا اصاب الصفوانَ وابل من المطر انكشف ذلك التراب وبقي صلدا فكذلك هذا المراءى اذا كان يوم القيامة وحضرت الاعمال انكشف سره وظهر انه لا قدر لصدقاته ولا معنًى والصفوان الحجر الكبير الاملس والوابل الكثير القوي من المطر وهو الذى يُسيِّل وجه الارض والصلد من الحجارة الاملس الصلب الذى لا شيء فيه ويستعار للراس الذى لا شعر فيه * وقوله تعالى لا يقدرون يريد الذين ينفقون رياء اي لا يقدرون على الانتفاع بشيء من انفاقهم ذلك وهو كسبهم * وقوله تعالى والله لا يهدى القوم الكافرين اما عموم يراد به الخصوص ويحتمل لا يهديهم فى كفرهم اذ هو ضلال محض ويحتمل لا يهديهم فى صدقاتهم واعمالهم وهم على الكفر * وقوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله الآية من اساليب فصاحة القروان انه ياتى فيه ذكر نقيض ما يتقدم ذكره ليتبين حال التضاد بعرضها على الذهن ولما ذكر الله صدقات القوم الذين لا خلاق لصدقاتهم ونهى المومنين عن مواقعة ما يشبه ذلك بوجه ما عقّب فى هذه الآية بذكر نفقات القوم الذين بذلوا صدقاتهم على وجهها

فى الشرع فضرب لها مثلا وتقدير الكلام ومثل نفقة الذين ينفقون كمثل غارس جنة اوتقدر الاضمار فى اخر الكلام دون اضمار فى اوله كانه قال كمثل غارس جنة وابتغاء معناه طلب وهو مصدر فى موضع الحال وتثبيتا مصدر ومرضات مصدر من رضي وقال * ص * ابتغاء مرضات الله وتثبيتا كلاهما مفعول من اجله وقاله مكي ورده ابن عطية بان ابتغاء لا يكون مفعولا من اجله لعطف وتثبيتا عليه ولا يصح فى تثبيت ان يكون مفعولا من اجله لان الانفاق ليس من اجل التثبيت * واجيب بانه يمكن ان يقدر مفعول التثبيت الثواب اي وتحصيلا لانفسهم الثواب على تلك النفقة فيصح ان يكون مفعولا من اجله ثم قال ابو حيان بعد كلام والمعنى انهم يثبتون من انفسهم على الايمان وما يرجونه من الله تعالى بهذا العمل انتهى * قال قتادة وغيره وتثبيتا معناه وتيقنا اي ان نفوسهم لها بصائر متأكدة فهي تثبتهم على الانفاق فى طاعة الله تثبيتا وقال مجاهد والحسن معنى قوله وتثبيتا اي انهم يتثبتون اين يضعون صدقاتهم قال الحسن كان الرجل اذا هم تثبت فان كان ذلك لله امضاه وان خالطه شيء امسك والقول الاول اصوب لان هذا المعنى الذى ذهب اليه مجاهد والحسن انما عبارته وتثبتا فان قال محتج ان هذا من المصادر التى خرجت على غير الصدر كقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا والله انبتكم من الارض نباتا فالجواب ان هذا لا يسوغ الا مع ذكر الصدر والافصاح بالفعل المتقدم للمصدر واما اذا لم يقع افصاح بفعل فليس لك ان تاتي بمصدر فى غير معناه ثم تقول احمله على فعل كذا وكذا لفعل لم يتقدم له ذكر هذا مهيع كلام العرب فيما علمتُ والربوة ما ارتفع من الارض ارتفاعا يسيرا معه فى الاغلب كثافة التراب وطيبه وتعمقه وما كان كذلك فنباته احسن

ولفظ الربوة ماخوذ من ربا يربو اذا زاد واتت معناه اعطت والاكل بضم الهمزة الثمر الذى يوكل والشيء الماكول من كل شيء يقال له اكل واضافته الى الجنة اضافة اختصاص كسرج الدابة وباب الدار وضعفين معناه اثنين مما يظن بها ويُحـزَر من مثلها * ثم أكد سبحانه مدح هذه الربوة بانها ان لم يصبها وابل فان الطل يكفيها وينوب مناب الوابل وذلك لكرم الارض والطل المستدق من القطر قاله ابن عباس وغيره وهو مشهور اللغة فشبه سبحانه نمو نفقات هؤلاء المخلصين الذين يربى الله صدقاتهم كتربية الفَلُو والفصيل حسب الحديث بنمو نبات هذه الجنة بالربوة الموصوفة وذلك كله بخلاف الصفوان وفي قوله تعالى والله بما تعملون بصير وعد ووعيد * وقوله تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب الآية حكى الطبرى عن ابن زيد انه قرأ قوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن الآية ثم قال ضرب الله فى ذلك مثلا فقال ايود احدكم الآية وهذا بين وهو مقتضى سياق الكلام وقال ابن عباس هذا مثل ضربه الله كانه قال ايود احدكم ان يعمل عمره بعمل اهل الخير فاذا فني عمره واقترب اجله ختم ذلك بعمل من عمل اهل الشقاء فرضي ذلك عمر منه رضي الله عنه وروى ابن ابى مُلَيْكة عن عمر نحوه * ع * فهذا نظر يحمل الآية على كل ما يدخل تحت الفاظها وقال بنحو هذا مجاهد وغيره ونقل الثعلبى عن الحسن قال قلّ واللهِ من يعقل هذا المثل شيخ كبر سنه وضعف جسمه وكثر عياله افقر ما كان الى جنته واحدكم افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت الدنيا عنه انتهى وهو حسن جدا وقال ابو عبد الله اللخمى فى مختصره لتفسير الطبري وعن قتادة هذا مثل فاعقلوا عن الله امثاله هذا رجل كبرت سنه ورق عظمه وكثر عياله ثم احترقت جنته احوج ما يكون اليها يقول

ايحب احدكم ان يضل عنه عمله يوم القيامة احوج ما يكون اليه وعن الحسن نحوه انتهى وخص الاعناب والنخيل بالذكر لشرفهما وفضلهما على سائر الشجر والواو فى قوله واصابه واو الحال وكذلك فى قوله وله وضعفاء جمع ضعيف والاعصار الريح الشديدة العاصفة التى فيها احراق لكل ما مرت عليه يكون ذلك فى شدة الحر ويكون فى شدة البرد وكل ذلك من فيح جهنم ولعلكم ترج فى حق البشر اي اذا تأمل من بُين له هذا البيان رُجي له التفكر وكان اهلا له وقال ابن عباس تتفكرون فى زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها * قوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم الآية هذا خطاب لجميع امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه صيغة امر بالانفاق واختلف المتأولون هل المراد بهذا الانفاق الزكاة المفروضة او التطوع والآية تعم الوجهين لكن صاحب الزكاة يتلقاها على الوجوب وصاحب التطوع يتلقاها على الندب وجمهور المتأولين قالوا معنى من طيبات من جيد ومختار ما كسبتم وجعلوا الخبيث بمعنى الردىء وقال ابن زيد معناه من حلال ما كسبتم قال وقوله ولا تيمموا الخبيث اي الحرام * ع * وقول ابن زيد ليس بالقوي من جهة نسق الآية لا من معناه فى نفسه وكسبتم معناه كانت لكم فيه سعاية ومما اخرجنا لكم من الارض النباتات والمعادن والركاز وما ضارع ذلك وتيمموا معناه تعمدوا وتقصدوا والتيمم القصد وقال الجرجاني قال فريق من الناس ان الكلام تم فى قوله الخبيث ثم ابتدأ خبرا آخر فقال تنفقون منه وانتم لا تاخذونه الا اذا اغمضتم اي ساهلتم قال * ع * كأن هذا المعنى عتاب للنفس وتقريع وعلى هذا فالضمير فى منه عائد على الخبيث قال الجرجاني وقال فريق آخر بل الكلام متصل الى قوله فيه وعلى هذا فالضمير فى

منه عائد على ماكسبتم كانه فى موضع نصب على الحال والمعنى فى الآية فلا تفعلوا مع الله مالا ترضونه لانفسكم واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم فمن تقرب وطلب مثوبة فليفعل ذلك بماله قدر * ت * وهذا يقوى القول بانها فى الزكاة المفروضة وحميد معناه محمود * وقوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر الآية هذه الآية وما بعدها وان لم تكن امرا بالصدقة فهى جالبة النفوس الى الصدقة بين عزوجل فيها نزغات الشيطان ووسوسته وعداوته وذكّر بثوابه هو سبحانه لا رب غيره وذكّر بتفضله بالحكمة واثنى عليها ونبه ان اهل العقول هم المتذكرون الذين يقيمون بالحكمة قدر الانفاق فى طاعة الله وغير ذلك ثم ذكر سبحانه علمه بكل نفقة ونذر وفى ذلك وعد ووعيد ثم بين الحكم فى الاعلان والاخفآء وكذلك الى ءاخر المعنى والوعد فى كلام العرب اذا اطلق فهو فى الخير واذا قيد بالموعود فقد يقيد بالخير وقد يقيد بالشر كالبشارة وهذه الآية مما قيد الوعد فيها بمكروه والفحشاء كل ما فُحُش وفحش ذكره روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان للشيطان لمة من ابن ءادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه مِن الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ صلى الله عليه وسلم الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء الآية قلت هذا حديث صحيح خرجه ابو عيسى الترمذي وقال فيه حسن غريب صحيح والمغفرة هى الستر على عباده فى الدنيا والآخرة والفضل هو الرزق فى الدنيا والتوسعة فيه والنعيم فى الآخرة وبكل قد وعد الله جل وعلا وروي ان فى التوراة عبدى انفق من رزقى ابسط عليك فضلى فان يدى مبسوطة على كل يد مبسوطة وفى القرءان مصداقه وهو وما انفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير

الرازقين * ت * روى الطبراني سليمان بن احمد بسنده عن عبد الله ابن عمرو قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة مائة عام انتهى وعن ابى سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وايما مسلم اطعم مسلما على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظمإ سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم اخرجه ابو داود من حديث ابى خالد هو الدولاني عن نبيح وقد وثق ابو حاتم ابا خالد وسئل ابو زرعة عن نبيح فقال هو كوفى ثقة انتهى من الالمام فى احاديث الاحكام لابن دقيق العيد وواسع لانه وسع كلّ شيء رحمةً وعلمًا * يوتى الحكمة أيْ يعطيها لمن يشاء من عباده والحكمة مصدر من الاحكام وهو الاتقان فى عمل او قول وكتاب الله حكمة وسنة نبيه عليه السلام حكمة وكل ما ذكره المتأولون فيها فهو جزء من الحكمة التى هى الجنس قال الامامُ الفخر فى شرحه لاسماء الله الحسنى قال المحققون العلماء ثلاثة علماء باحكام الله فقط وهم العلماء اصحاب الفتوى وعلماء بالله فقط وهم الحكماء وعلماء بالقسمين وهم الكبراء فالقسم الاول كالسراج يحرق نفسه ويضيء لغيره والقسم الثانى حالهم اكمل من الاول لانه اشرق قلبه بمعرفة الله وسره بنور جلال الله الا انه كالكنز تحت التراب لا يصل اثره الى غيره واما القسم الثالث فهم اشرف الاقسام فهو كالشمس تضيء العالَم لانه تام وفوق التام انتهى وباقى الآية تذكرة بينة واقامة لهمم الغفَلة والالباب العقول واحدها لُب * وقوله تعالى وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر الآية يقال نذر الرجل كذا اذا التزم فعله * وقوله تعالى فان الله يعلمه قال مجاهد معناه يحصيه وفى الآية وعد ووعيد اي

من كان خالص النية فهو مثاب ومن انفق رياء او لمعنى آخر مما يكشفه المنّ والاذى ونحو ذلك فهو ظالم يذهب فعله باطلا ولا يجد ناصرا فيه * وقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي الآية ذهب جمهور المفسرين الى ان هذه الآية في صدقة التطوع قال ابن عباس جعل الله صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها يقال بسبعين ضِعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضِعفا قال وكذلك جميع الفرائض والنوافل فى الاشياء كلها * ع * ويقوى ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل فى بيته افضل من صلاته فى المسجد الا المكتوبة وذلك ان الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل عُرضة لذلك قال الطبري اجمع الناس على ان اظهار الواجب افضل * وقوله تعالى فنعما هى ثناء على ابداء الصدقة ثم حكم ان الاخفاء خير من ذلك الابداء والتقدير نعم شيء ابداؤها فالابداء هو المخصوص بالمدح وخرج ابو داود فى سننه عن ابى امامة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انطلق برجل الى باب الجنة فرفع راسه فاذا على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر امثالها والقرض الواحد بثمانية عشر لان صاحب القرض لا ياتيك الا وهو محتاج والصدقة ربما وضعت فى غني وخرجه ابن ماجهٔ فى سننه قال حدثنا عبيد الله بن عبد الكريم حدثنا هشام بن خالد حدثنا خالد بن يزيد بن ابى مالك عن ابيه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسري بي على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض افضل من الصدقة قال ان السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة انتهى من التذكرة وقرأ ابن كثير وغيره ونكفر بالنون ورفع الراء وقرأ ابن عامر ويكفر بالياء ورفع الراء وقرأ نافع وغيره ونكفر بالنون

والجزم فاما رفع الراء فهو على وجهين احدهما ان يكون الفعل خبر ابتداء تقديره ونحن نكفر او والله يكفر والثانى القطع والاستيناف والواو لعطف جملة على جملة والجزم فى الرآء افصح هذه القراءات لانها تؤذن بدخول التكفير فى الجزاء وكونه مشروطا ان وقع الاخفاء واما رفع الراء فليس فيه هذا المعنى ومن فى قوله من سيئاتكم للتبعيض المحض لا انها زائدة كما زعم قوم والله بما تعملون خبير وعد ووعيد * وقوله تعالى ليس عليك هداهم الآية وردت اثار ان النبي صلى الله عليه وسلم منع فقراء اهل الذمة من الصدقة فنزلت الآية مبيحة لهم وذكر الطبري ان مقصد النبي صلى الله عليه وسلم بمنع الصدقة انما كان ليسلموا وليدخلوا فى الدين فقال الله سبحانه ليس عليك هداهم قال * ع * وهذه الصدقة التى ابيحت لهم حسبما تضمنته هذه الآثار انما هى صدقة التطوع واما المفروضة فلا يجزئ دفعها لكافر قال ابن المنذر اجماعا فيما علمت وقول المهدوي اباحتها هذه الآية مردود قال ابن العربى واذا كان المسلم يترك اركان الاسلام من الصلاة والصيام فلا تصرف اليه الصدقة حتى يتوب وسائر المعاصى تصرف الصدقة الى مرتكبيها لدخولهم فى اسم المسلين انتهى من الاحكام ويعنى بالصدقة المفروضة والهدى الذى ليس على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خلق الايمان فى قلوبهم واما الهدى الذى هو الدعاء فهو عليه صلى الله عليه وسلم وليس بمراد فى هذه الآية ثم اخبر سبحانه انه يهدى من يشاء وفى الآية رد على القدرية وطوائف المعتزلة ثم بين تعالى ان النفقة المقبولة ما كان ابتغاء وجه الله وفى الآية تاويل آخر وهوانها شهادة من الله تعالى للصحابة انهم انما ينفقون ابتغاء وجه الله سبحانه فهو خبر منه لهم فيه تفضيل وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي فى الآخرة وهذا هو بيان قوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم والخير هنا المال

بقرينة الانفاق ومتى لم يقترن بما يدل على انه المال فلا يلزم ان يكون بمعنى المال وهذا الذى قلناه تحرزا من قول عكرمة كل خير فى كتاب الله فهو المال * وقوله تعالى للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله الآية التقدير الانفاق او الصدقة للفقراء قال مجاهد وغيره المراد بهؤلاء الفقراء فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم * ع * ثم تتناول الآية كل من دخل تحت صفة الفقر غابر الدهر ثم بين الله سبحانه من احوال اولئك الفقراء المهاجرين ما يوجب الحنو عليهم بقوله الذين احصروا فى سبيل الله والمعنى حبسوا ومنعوا وتأول الطبري فى هذه الآية انهم هم حابسوا انفسهم بربقة الدين وقصد الجهاد وخوف العدو اذ احاط بهم الكفر فصار خوف العدو عذرا احصروا به * ع * كأن هذه الاعذار احصرتهم فالعدو وكل محيط يحصر وقوله فى سبيل الله يحتمل الجهاد ويحتمل الدخول فى الاسلام والضرب فى الارض هو التصرف فى التجارة وكانوا لا يستطيعون ضربا فى الارض لكون البلاد كلها كفرا مطبقا وهذا فى صدر الهجرة وكانوا رضي الله عنهم من الانقباض وترك المسألة والتوكل على الله تعالى بحيث يحسبهم الجاهل بباطن احوالهم اغنياء * ت * واعلم ان المواساة واجبة وقد خرج مسلم وابو داود عن ابى سعيد الخدري قال بينما نحن فى سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل على راحلة فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له قال فذكر من اصناف المال ما ذكر حتى رُءينا انه لا حق لاحد منا فى فضل انتهى والتعفف تفعل وهو بناء مبالغة من عف عن الشيء اذا امسك عنه وتنزه عن طلبه وبهذا المعنى فسره قتادة وغيره * ت * مدح الله سبحانه هؤلاء السادة على ما اعطاهم

من غنى النفس وفي الحديث الصحيح ليس الغنى عن كثرة المال وانما الغنى غنى النفس وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا اخرجه مسلم وغيره وعندى ان المراد بالآل هنا متبعوه صلى الله عليه وسلم وفي سنن ابن ماجه عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من غني ولا فقير الاود يوم القيامة انه اوتي من الدنيا قوتا وروى مسلم والترمذي عن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم انك أن تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى قال ابو عيسى واللفظ له هذا حديث حسن صحيح انتهى

* وقوله تعالى تعرفهم بسيماهم السيما مقصورة العلامة واختلف المفسرون في تعيينها فقال مجاهد هي التخشع والتواضع وقال الربيع والسدى هي جهد الحاجة وقضف الفقر في وجوههم وقلة النعمة وقال ابن زيد هي رثة الثياب وقال قوم وحكاه مكي هي اثر السجود قال * ع * وهذا حسن وذلك لانهم كانوا متفرغين متوكلين لاشغل لهم في الاغلب الا الصلاة فكان اثر السجود عليهم ابدا والالحاف والالحاح بمعنى قال * ع * والآية تحتمل معنيين احدهما نفي السؤال جملة وهذا هو الذى عليه الجمهور انهم لا يسألون البتة والثانى نفي الالحاف فقط اي لا يظهر لهم سؤال بل هو قليل وباجمال * ت * وهذا الثانى بعيد من الفاظ الآية فتأمله

* ت * وينبغي للفقير ان يتعفف في فقره ويكتفي بعلم ربه قال الشيخ ابن ابى جمرة وقد قال اهل التوفيق من لم يرض باليسير فهو اسير انتهى وذكر عبد الملك بن محمد بن ابى القاسم ابن الكردبوس في الاكتفاء في اخبار الخلفاء قال وتكلم علي بن ابى طالب رضي الله عنه بتسع كلمات ثلاث في المناجاة وثلاث في الحكمة وثلاث في الآداب اما المناجاة فقال كفانى فخرا ان تكون لى

ربا وكفاني عزا ان اكون لك عبدا وانت كما احب فاجعلني كما تحب واما الحكمة فقال قيمة كل امرئ ما كان يحسنه وما هلك امرؤ عرف قدر نفسه والمرء مخبو تحت لسانه واما الآداب فقال استغن عمن شئت فأنت نظيره وتفضل على من شئت فانت أميره واضرع الى من شئت فانت اسيره انتهى ولما كانت السيما تدل على حال صاحبها ويعرف بها حاله اقامها الله سبحانه مقام الاخبار عن حال صاحبها فقال تعرفهم بسيماهم وقد قال الشيخ العارف بالله صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية كل ما دل على معنى فقد اخبر عنه ولوكان صامتا واشار اليه ولوكان ساكتا لكن حصول الفهم والمعرفة بحسب اعتبار المعتبر ونظر المتأمل المتدبر انتهى قال * ع * وفى الآية تنبيه على سوء حالة من يسأل الناس الحافا وقال * ص * وقوله تعالى لا يسألون الناس الحافا اذا نفي حكم من محكوم عليه بقيد فالاكثر فى لسانهم انصراف النفي الى ذلك القيد فالمعنى على هذا ثبوت سؤالهم ونفي الالحاح ويجوز ان ينفى الحكم فينتفى ذلك القيد فينتفى السؤال والالحاح وله نظائر انتهى * وقوله تعالى وما تنفقوا من خير فان الله به عليم وعد محض اي يعلمه ويحصيه ليجازي عليه ويثيب * وقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الآية قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى علي بن ابى طالب رضي الله عنه كانت له اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال قتادة نزلت فى المنفقين فى سبيل الله من غير تبذير ولا تقتير قال * ع * والآية وإن كانت نزلت فى علي رضي الله عنه فمعناها يتناول كل من فعل فعله وكل مشاء بصدقته فى الظلم الى مظنة الحاجة * وقوله تعالى الذين ياكلون الربوا الآية الربا هو الزيادة ماخوذ من ربا يربو اذا نما وزاد على ما كان وغالبه ما كانت العرب تفعله

من قولها للغريم اتقضى ام تربى فكان الغريم يزيد فى عدد المال ويصبر الطالب عليه ومن الربا البين التفاضل فى النوع الواحد وكذلك اكثر البيوع الممنوعة انما تجد منعها لمعنى زيادة اما فى عين مال او فى منفعة لاحدهما من تأخير ونحوه ومعنى الآية الذين يكسبون الربا ويفعلونه وانما قصد الى لفظة الاكل لانها اقوى مقاصد الناس فى المال قال ابن عباس وغيره معنى قوله سبحانه لا يقومون اي من قبورهم فى البعث يوم القيامة الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قالوا كلهم يبعث كالمجنون عقوبة له وتمقيتا عند جميع المحشر ويقوى هذا التاويل المجمع عليه ان فى قراءة عبد الله بن مسعود لا يقومون يوم القيامة الا كما يقوم * وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا معناه عند جميع المتأولين فى الكفار وانه قول بتكذيب الشريعة والآية كلها فى الكفار المرٔبين نزلت ولهم قيل فله ما سلف ولا يقال ذلك لمومن عاص ولكن ياخذ العصاة فى الربا بطرف من وعيد هذه الآية ثم جزم الله سبحانه الخبر فى قوله واحل الله البيع وحرم الربوا قيل هذا من عموم القرآن المخصص وقيل من مجمله المبين قال جعفر بن محمد الصادق وحرم الله الربا ليتقارض الناس * وقوله تعالى فله ما سلف اي من الربا لاتباعة عليه فى الدنيا والآخرة وهذا حكم من الله سبحانه لمن اسلم من الكفار وفى قوله تعالى وامره الى الله اربع تاويلات احدها امر الربا فى امرار تحريمه وغير ذلك والثانى امر ما سلف اي فى العفو واسقاط التبعة فيها والثالث ان الضمير عائد على ذى الربا بمعنى امره الى الله فى ان يثبته على الانتهاء او يعيده الى المعصية والرابع ان يعود الضمير على المنتهى ولكن بمعنى التانيس له وبسط امله فى الخير * وقوله تعالى ومن عاد يعنى الى فعل الربا والقول انما البيع مثل الربا والخلود فى حق

الكافر خلود تابيد حقيقي وان لحظنا الآية في مسلم عاص فهو خلود مستعار على معنى المبالغة * وقوله تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات يمحق معناه ينقص ويذهب ومنه محاق القمر وهو انتقاصه ويربي الصدقات معناه ينميها ويزيد ثوابها تضاعفا تقول ربت الصدقة وارباها الله تعالى وربّاها وذلك هو التضعيف لمن يشاء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان صدقة احدكم لتقع في يد الله تعالى فيربيها كما يربي احدكم فَلُوَّه او فصيله حتى تجيء يوم القيامة وان اللقمة لعلى قدر اُحُد قال * ع * وقد جعل الله سبحانه هذين الفعلين بعكس ما يظنه الحريص الجشيع من بني ءادم اذ يظن الربا يغنيه وهو في الحقيقة محق ويظن الصدقة تفقره وهي في الحقيقة نماء في الدنيا والآخرة وعن يزيد بن ابي حبيب ان ابا الخير حدثه انه سمع عقبة ابن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل امرئٍ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس او قال حتى يحكم بين الناس قال يزيد وكان ابو الخير لا يخطئه يوم لا يتصدق بشيء فيه ولو كعكة او بصلة قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه يعني البخاري ومسلما انتهى من الالمام في احاديث الاحكام لابن دقيق العيد قال الشيخ ابن ابي جمرة ولا يلهم للصدقة الا من سبقت له سابقة خير انتهى قال ابو عمر في التمهيد وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة على بنيه وكان في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وحفظ في يوم صدقته من كل عاهة وءافة انتهى وروى ابو داود في سننه ان سعد بن عبادة قال يا رسول الله ان ام سعد ماتت فاي الصدقة افضل قال الماء فحفر بيرا وقال هذه لام سعد وروى ابو داود في سننه عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما مسلم كسا مسلما

ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وايما مسلم اطعم مسلما على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظمإ سقاه الله من الرحيق المختوم انتهى * وقوله تعالى والله لا يحب كل كفار اثيم يقتضى الزجر للكفار المستحلين للربا ووصف الكفار باثيم اما مبالغة من حيث اختلف اللفظان واما ليذهب الاشتراك الذى فى كفار اذ قد يقع على الزارع الذى يستر الحب فى الارض قاله ابن فورك ولما انقضى ذكر الكافرين عقب سبحانه بذكر ضدهم ليبين ما بين الحالتين فقال ان الذين ءامنوا الآية وقد تقدم تفسير مثل هذه الالفاظ * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا الآية سبب هذه الآية انه لما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال فى خطبته اليوم الثانى من الفتح الا كل ربا فى الجاهلية موضوع واول ربا اضعه ربا العباس فبدأ صلى الله عليه وسلم بعمه واخص الناس به وهذه من سنن العدل للامام ان يفيض العدل على نفسه وخاصته فيستفيض فى الناس ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة واستعمل على مكة عتاب بن اسيد فلما استنزل صلى الله عليه وسلم اهل الطائف بعد ذلك الى الاسلام اشترطوا شروطا وكان فى شروطهم ان كل ربا لهم على الناس فانهم ياخذونه وكل ربا عليهم فهو موضوع فيروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر لهم هذه ثم ردها الله بهذه الآية كما رد صلحه لكفار قريش فى رد النساء اليهم عام الحديبية وذكر النقاش رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يكتب فى اسفل الكتاب لثقيف لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فلما جاءت اجال رباهم بعثوا الى مكة للاقتضاء وكانت على بنى المغيرة المخزوميين فقال بنو المغيرة لا نعطى شيأ فان الربا قد وضع ورفعوا امرهم الى عتاب بن اسيد بمكة

فكتب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عتاب فعلمت بها ثقيف فكفت هذا سبب الآية على اختصار مما روى ابن اسحاق وابن جريج والسدي وغيرهم فمعنى الآية اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بترككم ما بقي لكم من ربا وصفحكم عنه ثم توعدهم تعالى ان لم يذروا الربا بحرب منه ومن رسوله وامته والحرب داعية القتل * وقوله تعالى فاذنوا قال سيبويه آذنت اعلمت * ت * وهكذا فسره البخاري فقال قال ابوعبد الله فاذنوا فاعلموا وقال * ع * هي عندى من الاذن وقال ابن عباس وغيره معناه فاستيقنوا بحرب ثم ردهم سبحانه مع التوبة الى رؤس اموالهم وقال لهم لا تظلمون فى اخذ الزائد ولا تظلمون فى ان يتمسك بشيء من رؤس اموالكم ويحتمل لا تَظلمون فى مطل لان مطل الغني ظلم كما قال عليه السلام فالمعنى انه يكون القضاء مع وضع الربا وهكذا سنة الصلح وهذا اشبه شيء بالصلح الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اشار على كعب بن مالك فى دَين ابن ابى حَدْرَد بوضع الشطر فقال كعب نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم للآخر قم فاقضه فتلقى العلماء امره بالقضاء سنة فى المصالحات * وقوله سبحانه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة حكم الله تعالى لارباب الربا برؤس اموالهم عند الواجدين للمال ثم حكم فى ذى العسرة بالنظِرة الى حال اليسر والعسر ضيق الحال من جهة عدم المال والنظِرة التاخير * ت * وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه اذا اتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا قال فلقي الله فتجاوز عنه وفى صحيح مسلم من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع عنه وفى رواية من انظر معسرا او وضع عنه انجاه الله من كرب

يوم القيامة وفي رواية من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله انتهى والميسرة مصدر بمعنى اليسر وارتفع ذو عسرة بكان التامة التي هي بمعنى وجد وحدث وارتفع قوله فنظرة على خبر ابتداء مقدر تقديره فالواجب نظرة واختلف اهل العلم هل هذا الحكم بالنظرة الى الميسرة واقف على اهل الربا خاصة وهو قول ابن عباس وشريح او هو منسحب على كل دَين حلال وهو قول جمهور العلماء * ع * وما قاله ابن عباس انما يترتب اذا لم يكن فقر مدقع واما مع الفقر والعدم الصريح فالحكم هي النظرة ضرورة * ت * ولا يخالف ابن عباس في ذالك * وقوله تعالى وان تصدقوا خير لكم ندب الله بهذه الالفاظ الى الصدقة على المعسر وجعل ذلك خيرا من انظاره قاله جمهور العلماء وروى سعيد ابن المسيب عن عمر بن الخطاب انه قال كان ءاخر ما نزل من القرءان ءاية الربا وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفسرها لنا فدعوا الربا والريبة وقال ابن عباس ءاخر ما نزل ءاية الربا قال * ع * ومعنى هذا عندي انها من ءاخر ما نزل لان جمهور الناس ابن عباس والسدي والضحاك وابن جريج وغيرهم قالوا ءاخر ءاية نزلت قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروي ان قوله واتقوا نزلت قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بتسع ليال ثم لم ينزل بعدها شيء وروي بثلاث ليال وروي انها نزلت قبل موته بثلاث ساعات وانه صلى الله عليه وسلم قال اجعلوها بين ءاية الربا وءاية الدَّين وحكى مكي ان النبي صلى الله عليه وسلّم قال جاءني جبريل فقال اجعلها على مائتين وثمانين ءاية من البقرة * وقوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية وعظ لجميع الناس وامر يخص كل انسان * ت * حدثني من اثق به انه جلس عند شيخ من الافاضل يجوّد عليه القرءان فقرئت عليه هذه الآية فبكى عندها ثم بكى

الى ان فاضت نفسه ومال فحركوه فاذا هو ميت رحمه الله ونفع به يا هذا من صحا عقله من سكر هواه وجهله احترق بنار الندم والخجل من مهابة نظر ربه وتنكرت صورة حاله فى عينه نفوس الاغبياء الجهال * غافلة عن العظمة والجلال * ولاهية عن اهوال المعاد والمآل * مشغولة برذائل الافعال * وفضول القيل والقال * والاستنباط والاحتيال * لازدياد الاموال * ولا يعلمون انها فتنة ووبال * وطول حساب وبلاء وبلبال * اغتنموا يا ذوى البصائر نعمة الامهال * واطرحوا خوادع الاماني وكواذب الآمال * فكأن قد فجأتكم هواجم الآجال * انتهى من الكلم الفارقية فى الحكم الحقيقية ويوما نصب على المفعول لا على الظرف وجمهور العلماء على ان هذا اليوم المحذر منه هو يوم القيامة والحساب والتوفية وقال قوم هو يوم الموت والاول اصح وهو يوم تنفطر لذكره القلوب وفى هذه الآية نص على ان الثواب والعقاب متعلق بكسب الانسان وهذا رد على الجبرية * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه الآية قال ابن عباس هذه الآية نزلت فى السَّلَم خاصة قال * ع * معناه ان سلم اهل المدينة كان سبب الآية ثم هى تتناول جميع المداينات اجماعا ووصفه الاجل بمسمى دليل على ان الجهالة لا تجوز وقال جمهور العلماء الامر بالكتب ندب الى حفظ الاموال وازالة الريب واذا كان الغريم تقيا فما يضره الكتب وان كان غير ذلك فالكتب ثقاف فى دَينه وحاجة صاحب الحق قال بعضهم ان اشهدت فحزم وان ائتمنت ففى حل وسعة * ع * وهذا هو القول الصحيح ثم علم تعالى انه سيقع الائتمان فقال ان وقع ذلك فليود الآية فهذه وصية للذين عليهم الديون واختلف فى قوله تعالى وليكتب بينكم كاتب فقال عطاء والشعبى واجب على الكاتب ان يكتب اذا لم يوجد سواه وقال

السدى هو واجب مع الفراغ * وقوله بالعدل معناه بالحق ثم نهى الله سبحانه الكتاب عن الاباية وحكى المهدوي عن الربيع والضحاك ان قوله تعالى ولا ياب منسوخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال * ع * اما اذا امكن الكتاب فليس يجب الكتب على معين بل له الامتناع الا اذا استاجره واما اذا عدم الكاتب فيتوجه وجوب الندب حينئذ على الكاتب * وقوله تعالى وليملل الذى عليه الحق الآية امر الله تعالى الذى عليه الحق بالاملال لان الشهادة انما تكون بحسب اقراره واذا كتبت الوثيقة واقر بها فهى كالاملاله والبخس النقص بنوع من المخادعة والمدافعة وهؤلاء الذين امروا بالاملال هم المالكون لانفسهم اذا حضروا ثم ذكر تعالى ثلاثة انواع تقع نوازلهم فى كل زمان فقال فان كان الذى عليه الحق سفيها والسفيه الهلهل الراي فى المال الذى لا يحسن الاخذ لنفسه ولا الاعطاء منها مشبه بالثوب السفيه وهو الخفيف النسج والسفه الخفة وهذه الصفة فى الشريعة لا تخلو من حجر اب او وصي وذلك هو وليه ثم قال او ضعيفا والضعيف هو المدخول فى عقله وهذا ايضا قد يكون وليه ابا او وصيا والذى لا يستطيع ان يمل هو الصغير ووليه وصيه او ابوه والغائب عن موضع الاشهاد لمرض او لغير ذلك من الاعذار ووليه وكيله واما الاخرس فيسوغ ان يكون من الضعفاء والاولى انه ممن لا يستطيع * وقوله بالعدل معناه بالحق وقصد الصواب * وقوله تعالى واستشهدوا شهيدين الآية الاستشهاد طلب الشهادة وعبر ببناء مبالغة فى شهيدين دلالة على من قد شهد وتكرر ذلك منه فكانه اشارة الى العدالة قال ابن العربى فى احكامه والصحيح ان الامر بالاستشهاد محمول على الندب اه * وقوله تعالى من رجالكم نص فى رفض الكفار والصبيان والنساء واما العبيد فاللفظ يتناولهم واختلف

العلماء فيهم وقول مالك والشافعى وابى حنيفة وجمهور العلماء ان شهادتهم لا تجوز وغلبوا نقص الرق واسم كان الضمير الذى فى قوله يكونا والمعنى فى قول الجمهور فان لم يكن المستشهد رجلين وقال قوم بل المعنى فان لم يوجد رجلان ولا يجوز استشهاد المرأتين الامع عدم الرجال قال * ع * وهذا قول ضعيف ولفظ الآية لا يعطيه بل الظاهر منه قول الجمهور * وقوله فرجل وامرأتان اي فليشهد او فليكن رجل وامرأتان * وقوله تعالى ممن ترضون من الشهداء رفع فى موضع الصفة لقوله فرجل وامرأتان وهذا الخطاب لجميع الناس لكن المتلبس بهذه القصّة هم الحكام وهذا كثير فى كتاب الله يعم الخطاب فيما يتلبس به البعض وفى قوله ممن ترضون دليل على ان فى الشهود من لا يرضى فيجىء من ذلك ان الناس ليسوا بمحمولين على العدالة حتى تثبت لهم * وقوله تعالى ان تضل احديهما الآية ان مفعول من اجله والشهادة لم تقع لان تضل احداهما وانما وقع اشهاد امرأتين لان تذكر احداهما ان ضلت الاخرى قال سيبويه وهذا كما تقول اعددت هذه الخشبة ان يميل الحائط فادعمه * ع * ولما كانت النفوس مستشرفة الى معرفة اسباب الحوادث قدم فى هذه العبارة ذكر سبب الامر المقصود الى ان يخبر به وهذا من ابرع الفصاحة اذ لو قال لك رجل اعددت هذه الخشبة ان ادعم بها هذا الحائط لقال السامع ولم تدعم حائطا قائما فيجب ذكر السبب فيقال اذا مال فجاء فى كلامهم تقديم السبب اخصر من هذه المحاورة قال ابو عبيد ومعنى تضل تنسى * ع * والضلال عن الشهادة انما هو نسيان جزء منها وذكر جزء ويبقى المرء بين ذلك حيران ضالا * وقوله تعالى ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا الآية قال قتادة وغيره معنى الآية اذا دُعوا ان يشهدوا وقال الحسن بن ابى الحسن

الآية جمعت امرين لا تاب اذا دعيت الى تحصيل الشهادة ولا اذا دعيت الى ادائها وقاله ابن عباس وقال مجاهد معنى الآية لا تاب اذا دعيت الى اداء شهادة قد حصلت عندك واسند النقاش الى النبي صلى الله عليه وسلم انه فسر الآية بهذا * ت * وهذا هو الحقيقة فى الآية واما تسمية الشيء بما يئول اليه فمجاز والشاهد حقيقة من حصلت له الشهادة قال مجاهد فاما اذا دعيت اولا فان شئت فاذهب وان شئت فلا تذهب وقاله جماعة قال * ع * والآية كما قال الحسن جمعت امرين والمسلمون مندوبون الى معونة اخوانهم فاذا كانت الفسحة لكثرة الشهود والامن من تعطل الحق فالمدعو مندوب وان خيف تلف الحق بتأخر الشاهد وجب عليه القيام بها سيما ان كانت محصلة ودعي لادائها فهذه آكد لانها قلادة فى العنق وامانة تقتضي الاداء * م * ولا ياب الشهداء قال ابو البقاء مفعول ياب محذوف اي ولا ياب الشهداء اقامة الشهادة او تحمل الشهادة واذا ظرف لياب ويحتمل ان يكون ظرفا للمفعول المحذوف اه * وتسئموا معناه تملوا وقدم الصغير اهتماما به واقسط معناه اعدل واقوم اي اشد اقامة وقيل اقوم من قام بمعنى اعتدل وادنى معناه اقرب وترتابوا معناه تشكوا قال ابن هشام الى اجله لا يصح تعلقه بتكتبوه لاقتضائه استمرار الكتابة الى اجل الدين وانما هو حال اي مستقرا فى الذمة الى اجله اه من المغني * وقوله تعالى الا ان تكون تجارة حاضرة الآية لما علم الله سبحانه مشقة الكتب عليهم نص على ترك ذلك ورفع الجناح فيه فى كل مبايعة بنقد وذلك فى الاغلب انما هو فى قليل كالطعام ونحوه لا فى كثير كالاملاك ونحوها وقال السدي والضحاك هذا فيما كان يدا بيد تاخذ وتعطى * وقوله تعالى تديرونها يقتضي التقابض والبينونة فى المقبوض * وقوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم اختلف هل ذلك على الوجوب او على

الندب والوجوب فى ذلك قلق اما فى الدقائق فصعب شاق واما ما كثر فربما يقصد التاجر الاستيلاف بترك الاشهاد الى غير ذلك من المصالح فلا يشهد ويدخل ذلك كله فى الائتمان ويبقى الامر فى الاشهاد ندبا لما فيه من المصلحة فى الاغلب وحكى المهدوي عن قوم انهم قالوا واشهدوا اذا تبايعتم منسوخ بقوله تعالى فان امن الآية وذكره مكي عن ابى سعيد الخدري واختلف الناس فى معنى قوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد اي كاختلافهم فى قوله تعالى لا تضار والدة بولدها هل الفعل مسند الى الفاعل فاصله ولا يضارِرُ كاتب ولا شهيد بكسر الراء وقيل مسند الى المفعول الذى لم يسم فاعله فاصله ولا يضارَرُ بفتحها * ع * ووجوه المضارة لا تنحصر وفك الفعل هى لغة الحجاز والادغام لغة تميم * وقوله وان تفعلوا فانه فسوق بكم اي وان تفعلوا المضارة وقوله بكم اي حالّ بكم وباقى الآية موعظة وتهديد والله المستعان لا رب غيره وقيل معنى الآية الوعد لان من اتقى عُلِّم الخير والهمه * ت * وفى العتبية من سماع ابن القاسم قال سمعت مالكا يقول سمعت انه يقال ما زهد عبد واتقى الله الا انطقه الله بالحكمة اه والمراد بهذا العلم العلم النافع الذى يورث الخشية قال ابو عمر ابن عبد البر روينا عن مسروق قال كفى بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه ابو عمر انما اعرفه بعمله اه من كتاب فضل العلم * وقوله تعالى وان كنتم على سفر الآية لما ذكر الله تعالى الندب الى الاشهاد والكتب لمصلحة حفظ الاموال والاديان عقب ذلك بذكر حال الاعذار المانعة من الكتب وجعل بدلها الرهن ونص على السفر اذ هو الغالب من الاعذار ويدخل فى ذلك بالمعنى كل عذر قال * ع * رهن الشيء فى كلام العرب معناه دام واستمر قيل ولما كان الرهن بمعنى الثبوت والدوام فمن ثَم بطل الرهن عند الفقهاء اذا

خرج من يد المرتهن الى يد الراهن لانه فارق ما جعل له * وقوله تعالى مقبوضة هى بينونة المرتهن بالرهن واجمع الناس على صحة قبض المرتهن وكذلك على قبض وكيله فيما علمت واختلفوا فى قبض عدل يوضع الرهن على يديه فقال مالك وجميع اصحابه وجمهور العلماء قبض العدل قبض وقال الحكم ابن عتيبة وغيره ليس بقبض وقول الجمهور اصح من جهة المعنى فى الرهن * وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا شرط ربط به وصية الذى عليه الحق بالاداء قال ابن العربى فى احكامه قوله تعالى فان امن بعضكم بعضا معناه ان اسقط الكتب والاشهاد والرهن وعول على امانة المعامل فليود الامانة وليتق الله ربه وهذا يبين ان الاشهاد ليس بواجب اذ لو كان واجبا لما جاز اسقاطه ثم قال وجملة الامر ان الاشهاد حزم والائتمان ثقة بالله تعالى من الدائن ومروءة من المديان ثم ذكر الحديث الصحيح فى قصة الرجل من بنى اسراءيل الذى استسلف الف دينار وكيف تعاملا على الائتمان ثم قال ابن العربى وقد روي عن ابى سعيد الخدري انه قرأ هذه الآية فقال هذا نسخ لكل ما تقدم يعنى من الامر بالكتب والاشهاد والرهن اه * وقوله فليود امر بمعنى الوجوب وقوله امانته مصدر سمي به الشىء الذى فى الذمة وقوله تعالى ولا تكتموا الشهادة الآية نهي فيه تهديد ووعيد وخص تعالى ذكر القلب اذ الكتم من افعاله واذ هو البضعة التى بصلاحها يصلح الجسد كله كما قال صلى الله عليه وسلم وفى قوله تعالى والله بما تعملون عليم توعد وان كان لفظها يعم الوعيد والوعد وروى البزار فى مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مشى الى غريمه بحقه صلت عليه دواب الارض ونون المآء ونبتت له بكل خطوة شجرة تغرس فى الجنة وذنبه يغفر اه من الكوكب الدري * قوله تعالى لله ما

فى السموات وما فى الارض الآية المعنى جميع ما فى السموات وما فى الارض ملك له سبحانه * وقوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم الآية قوله ما فى انفسكم يقتضى قوة اللفظ انه ما تقرر فى النفس واستصحبت الفكرة فيه واما الخواطر التى لا يمكن دفعها فليست فى النفس الا على تجوز واختلف فى معنى هذه الآية فقال عكرمة وغيره هى فى معنى الشهادة التى نهي عن كتمها فلفظ الآية على هذا التاويل العموم ومعناه الخصوص وكذا نقل الثعلبى وقال ابن عباس وابو هريرة وجماعة من الصحابة والتابعين ان هذه الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا هلكنا يا رسول الله ان حوسبنا بخواطر نفوسنا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم لكنه قال لهم اتريدون ان تقولوا كما قالت بنو اسراءيل سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا فقالوها فانزل الله بعد ذلك لا يكلف الله نفسا الا وسعها ونسخ بهذه تلك هذا معنى الحديث الصحيح وله طرق من جهات واختلفت عباراته وتعاضدت عبارة هؤلاء القائلين بلفظة النسخ فى هذه النازلة وقال ابن عباس لما شق ذلك عليهم فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية فنسخت الوسوسة وثبت القول والفعل وقال ءاخرون هذه الآية محكمة غير منسوخة والله محاسب خلقه على ما عملوه واضمروه وارادوه ويغفر للمومنين وياخذ به اهل الكفر والنفاق ورجح الطبري ان الآية محكمة غير منسوخة * ع * وهذا هو الصواب وانما هى مخصصة وذلك ان قوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه معناه بما هو فى وسعكم وتحت كسبكم وذلك استصحاب المعتقد والفكر فيه فلما كان اللفظ مما يمكن ان تدخل فيه الخواطر اشفق الصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى لهم ما اراد بالآية الاولى وخصصها ونص على حكمه انه لا يكلف نفسا الا وسعها والخواطر ليست هى

ولا دفعها فى الوسع بل هى امر غالب وليست مما يكسب ولا يكتسب وكان فى هذا البيان فرجهم وكشف كربهم وتاتى الآية محكمة لا نسخ فيها ومما يدفع امر النسخ ان الآية خبر والاخبار لا يدخلها النسخ فان ذهب ذاهب الى تقرير النسخ فانما يترتب له فى الحكم الذى لحق الصحابة حين فزعوا من الآية وذلك ان قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم قولوا سمعنا واطعنا يجيء منه الامر بان يبنوا على هذا ويلتزموه وينتظروا لطف الله فى الغفران فاذا قرر هذا الحكم فصحيح وقوع النسخ فيه وتشبه الآية حينئذ قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فهذا لفظه الخبر ولكن معناه التزموا هذا وابنوا عليه واصبروا بحسبه ثم نسخ ذلك بعد ذلك فهذه الآية فى البقرة اشبه شيء بها * وقوله تعالى ويعذب من يشاء يعنى من العصاة وتعلق قوم بهذه الآية ممن قال بجواز تكليف ما لا يطاق وقالوا ان الله قد كلفهم امر الخواطر وذلك مما لا يطاق قال * ع * وهذا غير بين وانما كان امر الخواطر تاويلا تأوله اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يثبت تكليفا الا على الوجه الذى ذكرناه من تقرير النبي صلى الله عليه وسلم اياهم على ذلك قال الشيخ الولي العارف بالله ابن ابى جمرة والخواطر عندهم ستة يعنى عند العلماء العارفين بالله اولها الهمة ثم اللمة ثم الخطرة وهذه الثلاث عندهم غير مواخذ بها ثم نية ثم ارادة ثم عزيمة وهذه الثلاث مواخذ بها اه * وقوله تعالى ءامن الرسول بما انزل اليه من ربه الآية سبب هذه الآية انه لما نزلت وان تبدوا ما فى انفسكم واشفق منها النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم تقرر الامر على ان قالوا سمعنا واطعنا ورجعوا الى التضرع والاستكانة مدحهم الله تعالى واثنى عليهم فى هذه الآية وقدم ذلك بين يدي رفقه بهم فجمع لهم تعالى التشريف بالمدح والثناء

ورفع المشقة في امر الخواطر وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع الى الله تعالى لا كما قالت بنو اسراءيل سمعنا وعصينا فاعقبهم ضد ذلك وهذه ثمرة العصيان اعاذنا الله من نقمه وءامن معناه صدق والرسول محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه القرءان وسائر ما اوحى الله اليه من جملة ذلك وكلٌّ لفظة تصلح للاحاطة وهي كذلك هنا والايمان بالله هو التصديق به اي بوجوده وصفاته ورفض كل معبود سواه والايمان بملائكته هو اعتقادهم انهم عباد لله مكرمون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون والايمان بكتبه هو التصديق بكل ما انزل سبحانه على انبيائه وقرأ الجمهور لا نفرق بالنون والمعنى يقولون لا نفرق ومعنى هذه الآية ان المومنين ليسوا كاليهود والنصارى في انهم يومنون ببعض ويكفرون ببعض * وقوله تعالى وقالوا سمعنا واطعنا مدح يقتضي الحض على هذه المقالة وان يكون المومن يمتثلها غابر الدهر والطاعة قبول الاوامر وغفرانك مصدر والعامل فيه فعل تقديره نطلب او نسأل غفرانك * ت * وزاد ابو حيان قال وجوز بعضهم الرفع فيه على ان يكون مبتدأ اي غفرانك بغيتنا اه واليك المصير اقرار بالبعث والوقوف بين يديه سبحانه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انزلت عليه هذه الآية قال له جبريل يا محمد ان الله قد اجل الثناء عليك وعلى امتك فسل تعطه فسأل الى ءاخر السورة * وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية خبر جزم نص على انه لا يكلف الله العباد من وقت نزول الآية عبادة من اعمال القلب والجوارح الا وهي في وسع المكلف وفي مقتضى ادراكه وبنيته وبهذا انكشفت الكربة عن المسلمين في تأولهم امر الخواطر وهذا المعنى الذى ذكرناه في هذه الآية يجرى مع معنى قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج

وقوله فاتقوا الله ما استطعتم قال العراقي وسعها اي طاقتها اهـ قال * ع *
واختلف الناس في جواز تكليف ما لا يطاق في الاحكام التي هي في الدنيا بعد
اتفاقهم على انه ليس واقعا الآن في الشرع وان هذه الآية آذنت بعدمه واختلف
القائلون بجوازه هل وقع في رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ام لا فقالت
فرقة وقع في نازلة ابي لهب لانه حكم عليه بتب اليدين وصلي النار وذلك
موذن انه لا يومن وتكليف الشرع له الايمان راتب فكانه كلف ان يومن وان
يكون في ايمانه انه لا يومن لانه اذا ءامن فلا محالة ان يدين بسورة تبت يدا
ابي لهب وقالت فرقة لم يقع قط وقوله تعالى سيصلى نارا انما معناه ان وافى
على كفره * ع * وما لا يطاق على اقسام منه المحال عقلا كالجمع بين
الضدين ومنه المحال عادة كرفع انسان جبلا ومنه ما لا يطاق من حيث هو مهلك
كالاحتراق بالنار ونحوه ومنه ما لا يطاق للاشتغال بغيره وهذا انما يقال
فيه ما لا يطاق على تجوز كثير * وقوله تعالى لها ما كسبت يريد من الحسنات
وعليها ما اكتسبت يريد من السيآت قاله جماعة المفسرين لا خلاف في ذلك
والخواطر ونحوها ليس من كسب الانسان وجاءت العبارة في الحسنات بلها من
حيث هي مما يفرح الانسان بكسبه ويسر المرء بها فتضاف الى ملكه وجاءت في
السيئة بعليها من حيث هي اوزار واثقال ومتحملات صعبة وهذا كما تقول
لي مال وعليّ دين وكرر فعل الكسب فخالف بين التصريفين حسنا لنمط الكلام
كما قال فمهل الكافرين امهلهم رويدا هذا وجه * ع * والذي يظهر لي في
هذا ان الحسنات مما يكسب دون تكلف اذ كاسبها على جادة امر الله ورسم
شرعه والسيئات تكتسب ببناء المبالغة اذ كاسبها يتكلف في امرها خرق
حجاب نهي الله تعالى ويتخطاه اليها فيحسن في الآية مجيء التصريفين لهذا

المعنى وقال المهدوي وغيره معنى الآية لا يواخذ احد بذنب احد قال * ع * وهذا صحيح فى نفسه لكن من غير هذه الآية * وقوله تعالى ربنا لا تواخذنا معناه قولوا واختلف الناس فى معنى قوله سبحانه ان نسينا او اخطأنا فذهب كثير من العلماء الى ان هذا الدعاء فى النسيان الغالب والخطإ غير المقصود وهو الصحيح عندى قال قتادة فى تفسير الآية بلغنى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتى عن نسيانها وخطإها وقال السدى لما نزلت هذه الآية فقالوها قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم قد فعل الله ذلك يا محمد قال * ع * فظاهر قوليهما ما صححته وذلك ان المومنين لما كشف عنهم ما خافوه فى قوله تعالى يحاسبكم به الله امروا بالدعاء فى ذلك النوع الذى ليس من طاقة الانسان دفعه وذلك فى النسيان والخطإ والاصر الثقيل وما لا يطاق على اتم انواعه وهذه الآية على هذا القول تقضى بجواز تكليف ما لا يطاق ولذلك امر المومنون بالدعاء فى ان لا يقع هذا الجائز الصعب ومذهب ابى الحسن الاشعري وجماعة من المتكلمين ان تكليف ما لا يطاق جائز عقلا ولا يخرم ذلك شيأ من عقائد الشرع وذهب الطبري وغيره الى ان تكليف ما لا يطاق غير جائز وان النسيان فى الآية بمعنى الترك اي ان تركنا شيأ من طاعتك والخطأ هو المقصود من العصيان والاصر هي العبادات الثقيلة كتكاليف بنى اسراءيل وما لا طاقة للمرء به هو عندهم على تجوز كما تقول لا طاقة لى على خصومة فلان او لا طاقة لنا به من حيث هو مهلك كعذاب جهنم وغيره ثم قال تعالى فيما امر المومنين بقوله واعف عنا اي فيما واقعناه واغفر لنا اي استر علينا ما علمت منا وارحمنا اي تفضل مبتدئا برحمة منك لنا فهذه مناح من الدعاء متباينة وانت مولانا مدح فى ضمنه تقرب اليه وشكر على نعمه ومولى مومن ولي وفى الحديث

ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم قل ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطأنا فقالها فقال جبريل قد فعل قال قل كذا وكذا فيقولها فيقول جبريل قد فعل الى ءاخر السورة وتظاهرت بهذا المعنى احاديث وروى ابو مسعود عقبة ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ الآيتين من ءاخر سورة البقرة في ليلة كفتاه يعنى من قيام الليل قال صاحب سلاح المومن هذا الحديث رواه الجماعة يعني السنة ومعنى كفتاه اجزتاه عن قيام الليل وقيل كفتاه من كل شيطان فلا يقربه ليلته وقيل كفتاه ما يكون من الآفات تلك الليلة وقيل معناه حسبه بهما فضلا واجرا ويحتمل الجميع والله اعلم اه من سلاح المومن وقال علي رضي الله عنه ما اظن احدًا عقل وادرك الاسلام ينام حتى يقرأهما وفى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اوتيت هؤلاء الآيات من ءاخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن احد قبلى * كمل تفسير سورة البقرة والحمد لله

سورة ءال عمران بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السورة مدنية باجماع فى ما علمت * قوله جلت قدرته الم الله لا اله الا هو الحي القيوم لا ابرع فى نظم الآية ان يكون الله لا اله الا هو الحي القيوم كلاما مبتدأ جزما جملة رادة على نصارى نجران الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم فحاجوه فى عيسى ابن مريم وقالوا انه الله على ما هو معلوم فى السير فنزل فيهم صدر هذه السورة الى نيف وثمانين ءاية منها الى ان دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الابتهال وقد تقدم تفسير قوله الحي القيوم فى ءاية الكرسي والآية هناك اخبار لجميع الناس وكررت هنا اخبارا بحج هؤلاء النصارى ويرد عليهم اذ هذه الصفات لا يمكنهم ادعاؤها لعيسى عليه السلام لانهم اذ يقولون انه

صلب فذلك موت في معتقدهم واذ من البين انه ليس بقيوم وقراءة الجمهور القيوم وقرئ خارج السبع القيّام والقيم وهذا كله من قام بالامر يقوم به اذا اضطلع بحفظه وبجميع ما يحتاج اليه في وجوده فالله تعالى القيام على كل شيء مما ينبغي له او فيه او عليه * ت * وقد تقدم ما نقلناه في هذا الاسم الشريف انه اسم الله الاعظم قال النووي وروينا في كتاب الترمذي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا كربه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد اه قال صاحب سلاح المومن وعن علي رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قاتلت شيأ من قتال ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ما صنع فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم ثم رجعت الى القتال ثم جئت فاذا هو ساجد لا يزيد على ذلك ثم ذهبت الى القتال ثم جئت فاذا هو ساجد يقول ذلك ففتح الله عليه رواه النساءي والحاكم في المستدرك واللفظ للنساءي وعن اسماء بنت يزيد رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة ءال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم رواه ابو داود واللفظ له والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وعن ابى امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلاث سور في سورة البقرة وءال عمران وطه قال القاسم فالتمستها انه الحي القيوم انتهى وقوله بالحق يحتمل معنيين احدهما ان يكون المعنى ضمن الحقائق في خبره وامره ونهيه ومواعظه والثاني ان يكون المعنى انه نزل الكتاب باستحقاق ان ينزل لما فيه من المصلحة الشاملة وليس ذلك على انه واجب على الله تعالى ان يفعله * ت * اي اذ لا يجب على الله سبحانه فعل قال

* ع * فالباء فى هذا المعنى على حد قوله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لى بحق وقيل معنى بالحق اي مما اختلف فيه اهل الكتاب واضطرب فيه هؤلاء النصارى الوافدون قال * ع * وهذا داخل فى المعنى الاول * وقوله مصدقا حال موكدة لانه لا يمكن ان يكون غير مصدق لما بين يديه من كتب الله سبحانه وما بين يديه هي التوراة والانجيل وسائر كتب الله التى تلقيت من شرعنا * وقوله تعالى من قبل يعنى من قبل القرءان * وقوله هدى للناس معناه دعاء والناس بنو اسراءيل فى هذا الموضع وان كان المراد انهما هدى فى ذاتهما مدعو اليه فرعون وغيره فالناس عام فى كل من شاء حينئذ ان . يستبصر والفرقان القرءان لانه فرق بين الحق والباطل ثم توعد سبحانه الكفار عموما بالعذاب الشديد والاشارة بهذا الوعيد الى نصارى نجران وعزيز معناه غالب والنقمة والانتقام معاقبة المذنب بمبالغة فى ذلك * قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء هذه الآية خبر عن علم الله تعالى بالاشياء على التفصيل وهذه صفة لم تكن لعيسى ولا لاحد من المخلوقين ثم اخبر سبحانه عن تصويره للبشر فى ارحام الامهات وهذا امر لا ينكره عاقل ولا ينكر ان عيسى وسائر البشر لا يقدرون عليه ولا ينكر ان عيسى من المصوَّرين كغيره من سائر البشر فهذه الآية تعظيم لله جلت قدرته فى ضمنها الرد على نصارى نجران وفى قوله ان الله لا يخفى عليه شيء وعيد وشرح النبي صلى الله عليه وسلم كيفية التصوير فى الحديث الذى رواه ابن مسعود وغيره ان النطفة اذا وقعت فى الرحم مكثت نطفة اربعين يوما ثم تكون علقة اربعين يوما ثم مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليها ملكا فيقول يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد الحديث بطوله على اختلاف الفاظه وفى

مسند ابن سنجر حديث ان الله سبحانه يخلق عظام الجنين وغضاريفه من مني الرجل ولحمه وشحمه وسائر ذلك من مني المرأة وصور بناء مبالغة من صار يصور اذا امال وثنى الى حال ما فلما كان التصوير امالة الى حال واثباتا فيها جاء بناؤه على المبالغة والكتاب فى هذه الآية القرءان باجماع والمحكمات المفصلات المبينات الثابتات الاحكام والمتشابهات هي التى تحتاج الى نظر وتاويل ويظهر فيها ببادئ النظر اما تعارض مع اخرى واما مع العقل الى غير ذلك من انواع التشابه فهذا الشبه الذى من اجله توصف بمتشابهات انما هو بينها وبين المعانى الفاسدة التى يظنها اهل الزيغ ومن لم ينعم النظر وهذا نحو الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات اي يكون الشيء حراما فى نفسه فيشبه عند من لم ينعم النظر شيأ حلالا وكذلك الآية يكون لها فى نفسها معنى صحيح فيشبه عند من لم ينعم النظر او عند الزائغ معنى ءاخر فاسدا فربما اراد الاعتراض به على كتاب الله هذا عندى معنى الاحكام والتشابه فى هذه الآية قال * ع * واحسن ما قيل فى هذه الآية قول محمد بن جعفر بن الزبير ان المحكمات هي التى فيهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه والمتشابهات لها تصريف وتحريف وتاويل ابتلى الله فيهن العباد قال ابن الحاجب فى منتهى الوصول مسألة فى القرءان محكم ومتشابه قال تعالى منه ءايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فالمحكم المتضح المعنى قال الرهونى يعنى نصا كان او ظاهرًا والمتشابه مقابله اما للاشتراك مثل ثلاثة قروء او للاجمال مثل الذى بيده عقدة النكاح وما ظاهره التشبيه مثل من روحى وايدينا وبيدي وبيمينه ويستهزئ ومكر الله ونحوه والظاهر الوقف على والراسخون

فى العلم لان الخطاب بما لا يفهم بعيد انتهى قال الرهونى وسمى ما ذكر متشابها لاشتباهه على السامع قال الرهونى والحق الوقف على وما يعلم تاويله الا الله وهو المروي عن جماعة منهم ابن عباس وابن عمر وابن مسعود ومالك وغيرهم وفى مصحف ابي وما يعلم تاويله الا الله ويقول الراسخون فى العلم ءامنا به اه

* وقوله تعالى هن ام الكتاب اي معظم الكتاب وعمدة ما فيه اذ المحكم فى ءايات الله كثير قد فصل ولم يفرط فى شيء منه قال يحيى بن يَعْمُرَ كما يقال لمكة ام القرى قال * ع * وكما يقال ام الراس لمجتمع الشئون فجميع المحكم هو ام الكتاب ومعنى الآية الانحاء على اهل الزيغ والمذمة لهم والاشارة بذلك اولا الى نصارى نجران والى اليهود الذين كانوا معاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يعترضون معاني القرءان ثم يعم بعد ذلك كل زائغ فذكر تعالى انه نزل الكتاب على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم افضالا منه ونعمة وان محكمه وبينه الذى لا اعتراض فيه هو معظمه والغالب فيه وان متشابهه الذى يحتمل التاويل ويحتاج الى التفهم هو اقله ثم ان اهل الزيغ يتركون المحكم الذى فيه غنيتهم ويتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة وان يفسدوا ذات البين ويردوا الناس الى زيغهم * م * قال ابو البقاء واخر معطوف على ءايات ومتشابهات نعت لاخر اه * وقوله تعالى الذين فى قلوبهم زيغ يعم كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل صاحب بدعة والزيغ الميل وابتغاء نصب على المفعول من اجله ومعناه طلب الفتنة قال الربيع الفتنة هنا الشرك وقال مجاهد الفتنة الشبهات واللبس على المومنين ثم قال وابتغاء تاويله والتاويل هو مرد الكلام ومرجعه والشيء الذى يقف عليه من المعانى وهو من ءال يئول اذا رجع فالمعنى وطلب تاويله على منازعهم الفاسدة هذا فى ماله تاويل حسن

وان كان مما لا يتأول بل يوقف فيه كالكلام في معنى الروح ونحوه فنفس طلب تاويله هو اتباع ما تشابه ثم قال تعالى وما يعلم تاويله الا الله اي وما يعلم تاويله على الكمال الا الله سبحانه واختلف في قوله والراسخون في العلم فرأت فرقة ان رفع الراسخين هو بالعطف على اسم الله عزوجل وانه مع علمهم بالمتشابه يقولون ءامنا به وقالت طائفة اخرى والراسخون رفع بالابتداء وهو مقطوع من الكلام الاول وخبره يقولون والمنفرد بعلم المتشابه هو الله وحده قال * ع * وهذه المسألة اذا تؤملت قرب الخلاف فيها من الاتفاق وذلك ان الله تعالى قسم ءاي الكتاب قسمين محكما ومتشابها فالمحكم هو المتضح المعنى لكل من يفهم كلام العرب لا يحتاج فيه الى نظر ولا يتعلق به شيء يلبس ويستوى في علمه الراسخ وغيره والمتشابه على نوعين منه ما لا يعلم البتة كامر الروح وآماد المغيبات التي قد اعلم الله بوقوعها الى سائر ذلك ومنه ما يحمل على وجوه في اللغة ومناح في كلام العرب فيتأول ويعلم تاويله ولا يسمى احد راسخا الا ان يعلم من هذا النوع كثيرا بحسب ما قدر له فمن قال ان الراسخين يعلمون تاويل المتشابه فمراده النوع الثاني الذى ذكرناه ومن قال ان الراسخين لا يعلمون تاويله فمراده النوع الاول كامر الروح ووقت الساعة لكن تخصيصه المتشابه بهذا النوع غير صحيح بل هما نوعان كما ذكرنا والضمير في تاويله عائد على جميع متشابه القرءان وهما نوعان كما ذكرنا والرسوخ الثبوت في الشيء وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الراسخين في العلم فقال هو من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه قلت ومن جامع العتبية وسئل مالك عن تفسير الراسخين في العلم فقال العالمون العاملون بما علموا المتبعون له قال ابن رشد قول مالك هذا هو معنى ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل من الراسخ في العلم

فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام به قلبه وعف بطنه فذلك الراسخ فى العلم قال ابن رشد ويشهد لصحة هذا قول الله عزوجل انما يخشى الله من عباده العلماء لانه كلام يدل على ان من لم يخش الله فليس بعالم انتهى قلت وقد جاء فى فضل العلم ءاثار كثيرة فمن احسنها ما رواه ابو عمر بن عبد البر بسنده عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعليمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبل اهل الجنة وهو الانيس فى الوحشة والصاحب فى الغربة والمحدث فى الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء ويرفع الله به اقواما فيجعلهم فى الخير قادة وائمة تقتص ءاثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى الى رأيهم وترغب الملائكة فى خلتهم وباجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه لان العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الابصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الاخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة الفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام به توصل الارحام وبه يعرف الحلال من الحرام هو امام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء قال ابو عمر هكذا حدثنيه عبيد بن محمد مرفوعا بالاسناد الذى رويناه به عنه وهو حديث حسن جدا ولكن ليس له اسناد قوي ورويناه من طرق شتى موقوفا على معاذ انتهى من كتاب فضل العلم قال الشيخ العارف ابو القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجاي رحمه الله ومن علامة نور العلم اذا حل بالقلب المعرفة والمراقبة والحياء والتوبة والورع والزهد والتوكل والصبر والرضى والانس والمجاهدة والصمت والخوف والرجاء والقناعة وذكر الموت اه وقوله تعالى كل من عند ربنا

فيه ضمير عائد على كتاب الله محكمه ومتشابهه والتقدير كله من عند ربنا ثم قال تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب اي ما يقول هذا ويومن ويقف حيث وقّف ويدع اتباع المتشابه الا ذو لب وهو العقل واولوا جمع ذو * وقوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا الآية لما ذكر الله سبحانه اهل الزيغ وذكر نقيضهم وظهر ما بين الحالتين عقب ذلك بان علم عباده الدعاء اليه فى ان لا يكونوا من الطائفة الذميمة التى ذكرت وهم اهل الزيغ ويحتمل انِ يكون هذا من تمام قول الراسخين وتزغ معناه تمل قلوبنا عن الهدى والحق ومن لدنك معناه من عندك تفضلا لا عن سبب منا ولاعمل وفى هذا استسلام وتطارح والمراد هب لنا نعيما صادرا عن الرحمة * وقوله تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اقرار بالبعث ليوم القيامة والريب الشك والمعنى انه فى نفسه حق لا ريب فيه * وقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد يحتمل ان يكون اخبارا منه سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته ويحتمل ان يكون حكاية من قول الداعين ففى ذلك اقرار بصفة ذات الله تعالى والميعاد من الوعد * وقوله تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا الآية الاشارة بالآية الى معاصرى النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يفخرون باموالهم وابنائهم وهى بعدُ متناولة كل كافر والوقود بفتح الواو كل ما يحترق فى النار من حطب ونحوه والدأب والدأَب بسكون الهمزة وفتحها مصدر دأب يدأب اذا لازم فعل شيء ودام عليه مجتهدا فيه ويقال للعادة دأب والمعنى فى الآية تشبيه هؤلاء فى لزومهم الكفر ودوامهم عليه باولائك المتقدمين واخر الآية يقتضى الوعيد بان يصيب هؤلاء ما اصاب اولائك والكاف فى قوله كدأب فى موضع رفع والتقدير دأبهم كدأب والضمير فى قبلهم عائد على ءال فرعون ويحتمل على معاصرى رسول

الله صلى الله عليه وسلم من الكفار * وقوله كذبوا بآياتنا يحتمل ان يريد المتلوة ويحتمل ان يريد العلامات المنصوبة * وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون الآية اختلف فى تعيين هؤلاء الذين امر صلى الله عليه وسلم بالقول لهم فقيل هم جميع معاصريه امر ان يقول لهم هذا الذى فيه اعلام بغيب فوقع بحمد الله كذلك فغلبوا وصار من مات منهم على الكفر الى جهنم وتظاهرت روايات عن ابن عباس وغيره بان المراد يهود المدينة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر جمعهم وقال يا معشر يهود اسلموا من قبل ان يصيبكم ما اصاب قريشا فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا اغمارا لا يعرفون القتال انك لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس فانزل الله فيهم هذه الآية والحشر الجمع والاحضار * وقوله تعالى وبيس المهاد يعنى جهنم هذا ظاهر الآية وقال مجاهد المعنى بيس ما مهدوا لانفسهم قال * ع * فكان المعنى وبيس فعلهم الذى اداهم الى جهنم * وقوله تعالى قد كان لكم ءاية فى فئتين الآية تحتمل ان يخاطب بها المومنون تثبيتا لنفوسهم وتشجيعا لها وان يخاطب بها جميع الكفار وان يخاطب بها يهود المدينة وبكل احتمال منها قد قال قوم وقرئ شاذا ترونهم بضم التاء فكأن معناها ان اعتقاد التضعيف فى جمع الكفار انما كان تخمينا وظنا لا يقينا وذلك ان أرى بضم الهمزة تقولها فيما بقي عندك فيه نظر وأرى بفتح الهمزة تقولها فى ما قد صح نظرك فيه ونحا هذا المنحى ابو الفتح وهو صحيح والمراد بالفئتين جماعة المومنين وجماعة الكفار ببدر قال * ع * ولا خلاف ان الاشارة بهاتين الفئتين هي الى يوم بدر ويؤيد معناه يقوى من الايد وهو القوة * وقوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية هذه الآية ابتداء وعظ

لجميع الناس وفى ضمن ذلك توبيخ والشهوات ذميمة واتباعها مرْد وطاعتها مهلكة وقد قال صلى الله عليه وسلم حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره فحسبك ان النار حفت بها فمن واقعها خلص الى النار قلت وقدُ جاءت احاديث كثيرة فى التزهيد فى الدنيا ذكرنا من صحيحها وحسَنها فى هذا المختصر جملة صالحة لا توجد فى غيره من التفاسير فعليك بتحصيله فتطلع فيه على جواهر نفيسة لا توجد مجموعة فى غيره كما هي بحمد الله حاصلة فيه وكيف لا يكون هذا المختصر فائقا فى الحسن واحاديثه بحمد الله مختارة اكثرها من اصول الاسلام الستة البخاري ومسلم وابى داود والترمذي والنساءي وابن ماجة فهذه اصول الاسلام ثم من غيرها كصحيح ابن حبان وصحيح الحاكم اعنى المستدرك على الصحيحين وابى عوانة وابن خزيمة والدارمي والموطإ وغيرها من المسانيد المشهورة بين ائمة الحديث حسبما هو معلوم فى علم الحديث وقصدى من هذا نصح من اطلع على هذا الكتاب ان يعلم قدر ما انعم الله به عليه فان التحدث بالنعم شكر ولنرجع الى ما قصدناه من نقل الاحاديث روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت اللحوق بى فليكفيك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلفى ثوبا حتى ترقعيه حديث غريب وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان البذاذة من الايمان خرجه ابو داود وقد نقله البغوي فى مصابيحه والبذاذة هي رث الهيئة اه والقناطير جمع قنطار وهو العقدة الكثيرة من المال واختلف الناس فى تحرير حده واصح الاقوال فيه ما رواه ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القنطار الف ومائتا اوقية لكن القنطار على هذا يختلف باختلاف البلاد فى قدر الاوقية * وقوله المقنطرة قال الطبري

معناه المضعفة وقال الربيع المال الكثير بعضه على بعض ❊ ص ❊ المقنطرة مفعللة او مفنعلة من القنطار ومعناه المجتمعة ❊ م ❊ ابو البقاء ومن الذهب فى موضع الحال من المقنطرة اه وقوله المسومة قال مجاهد معناه المطهمة الحسان وقال ابن عباس وغيره معناه الراعية وقيل المعدة والانعام الاصناف الاربعة الابل والبقر والضأن والمعز ❊ ص ❊ والانعام واحدها نعَم والنعم الابل فقط واذا جمع انطلق على الابل والبقر والغنم اه والحرث هنا اسم لكل ما يحرث من حب وغيره والمتاع ما يستمتع به وينتفع مدة ما منحصرة والمئاب المرجع فمعنى الآية تقليل امر الدنيا وتحقيرها والترغيب فى حسن المرجع الى الله تعالى ❊ وقوله تعالى قل اونبئكم بخير من ذلكم الآية فى هذه الآية تسلية عن الدنيا وتقوية لنفوس تاركيها ذكر تعالى حال الدنيا وكيف استقر تزيين شهواتها ثم جاء بالانباء بخير من ذلك هازا للنفوس وجامعا لها لتسمع هذا النبأ المستغرب النافع لمن عقل وانبئى معناه اخبرُ ❊ وقوله تعالى ورضوان من الله الرضوان مصدر من رضي وفى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة اذا استقروا فيها وحصل لكل واحد منهم مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الله لهم اتريدون ان اعطيكم ما هو افضل من هذا قالوا يا ربنا واي شيء افضل من هذا فيقول الله سبحانه احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا هذا سياق الحديث وقد يجيء مختلف الالفاظ والمعنى قريب بعضه من بعض قال الفخر وذلك ان معرفة اهل الجنة مع هذا النعيم المقيم بانه تعالى راض عنهم مثنٍ عليهم ازيد عليهم فى ايجاب السرور اه وباقى الآية بين وقد تقدم فى سورة البقرة بيانه ❊ وقوله تعالى الذين يقولون ربنا اننا ءامنا فاغفر لنا ذنوبنا الآية الذين بدل من الذين اتقوا وفسر سبحانه فى هذه

الآية احوال المتقين الموعودين بالجنات والصبر فى هذه الآية معناه على الطاعات وعن المعاصي والشهوات والصدق معناه فى الاقوال والافعال والقنوت الطاعة والدعاء ايضا وبكل ذلك يتصف المتقي والانفاق معناه فى سبيل الله ومظان الاجر والاستغفار طلب المغفرة من الله سبحانه وخص تعالى السحر لما فيه من الفضل حسبما ورد فيه من صحيح الاحاديث كحديث النزول هل من داع فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له الى غير ذلك مما ورد فى فضله قلت تنبيه قال القرطبي فى تذكرته وقد جاء حديث النزول مفسرا مبينا فى ما خرجه النساءي عن ابى هريرة وابى سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يمهل حتى يمضى شطر الليل الاول ثم يامر مناديا يقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى صححه ابو محمد عبد الحق اه وخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان نزول الله تعالى الى الشيء اقباله عليه من غير نزول اه والسحر اخر الليل قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل صلاة ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة ثم يسأل فاذا قلت نعم قعد يستغفر قال * ع * وحقيقة السحر فى هذه الاحكام الشرعية من الاستغفار المحمود وسحور الصائم ومن يمين لو وقعت انما هي من ثلث الليل الآخر الى الفجر * وقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو الآية معنى شهد الله اعلم عباده بهذا الامر الحق وقال * ص * شهد بمعنى علم او قضى او حكم او بين وهي اقوال اه واسند ابو عمر بن عبد البر فى كتاب فضل العلم عن غالب القطان قال كنت اختلف الى الاعمش فرأيته ليلة قام يتهجد من الليل وقرأ بهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام قال

لاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة فقلت للاعمش انى سمعتك تقرأ هذه الآية ترددها فما بلغك فيها قال حدثنى ابو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله سبحانه عبدى عهد الي وانا احق من وفّى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة اه وقرأ جميع القراء انه بفتح الهمزة وبكسرها من قوله ان الدين على استيناف الكلام وقرأ الكساءي وحده ان الدين بفتح الهمزة بدل من انه لاولى والملائكة واولوا العلم عطف على اسم الله قال الفخر المراد باولى العلم هنا الذين عرفوا الله بالدلالة القطعية لان الشهادة انما تكون مقبولة اذا كان لاخبار مقرونا بالعلم وهذا يدل ان هذه الدرجة الشريفة ليست الا للعلماء بالاصول وتكررت لا اله الا الله هنا وفائدة هذا التكرير لاعلام بان المسلم يجب ان يكون ابدا فى تكرير هذه الكلمة فان اشرف كلمة يذكرها لانسان هي هذه الكلمة واذا كان فى اكثر الاوقات مشتغلا بذكرها وبتكريرها كان مشتغلا باعظم انواع العبادات فكان من التكرير فى هذه الآية حض العباد على تكريرها اه وصح فى البخاري عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قِبَل نفسه وروى زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل يا رسول الله وما اخلاصها قال ان تحجزه عن محارم الله خرجه الترمذي الحكيم فى نوادر الاصول اه من التذكرة وقائما حال من اسمه تعالى فى قوله شهد الله او من قوله الا هو والقسط العدل وقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام الآية الدين فى هذه الآية الطاعة والملة والمعنى ان الدين المقبول او النافع هو الاسلام والاسلام فى هذه الآية هو الايمان والطاعات قاله ابو العالية وعليه جمهور المتكلمين وحديث بني الاسلام على

خمس وحديث مجيء جبريل يعلم الناس دينهم يفسر ذلك ثم اخبر تعالى عن اختلاف اهل الكتاب بعد علمهم بالحقائق وانه كان بغيا وطلبا للدنيا قاله ابن عمر وغيره والذين اوتوا الكتاب لفظ يعم اليهود والنصارى لكن الربيع بن انس قال المراد بهذه الآية اليهود اختلفوا بعد موت موسى وبعد مضي ثلاثة قرون وقيل الآية توبيخ لنصارى نجران وسرعة الحساب يحتمل ان يراد بها مجيء القيامة والحساب اذ كل آت قريب ويحتمل ان يراد بسرعة الحساب ان الله تعالى باحاطته بكل شيء علما لا يحتاج الى عد ولا فكرة قاله مجاهد * وقوله تعالى فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعنى الآية الضمير فى حاجوك لليهود ولنصارى نجران والمعنى ان جادلوك وتعنتوا بالاقاويل المزورة والمغالطات فاسند الى ما كلفت من الايمان والتبليغ وعلى الله نصرك وقوله وجهي يحتمل ان يراد به المقصد اي جعلت مقصدى لله ويحتمل ان يراد به الذات اي اسلمت شخصي وذاتي لله واسلمت فى هذا الموضع بمعنى دفعت وامضيت وليست بمعنى دخلت فى السلم لان تلك لا تتعدى ومن اتبعنى فى موضع رفع عطفا على الضمير فى اسلمت والذين اوتوا الكتاب فى هذا الموضع يجمع اليهود والنصارى باتفاق والاميون الذين لا يكتبون وهم العرب فى هذه الآية وقوله ءاسلمتم تقرير فى ضمنه الامر وقال الزجاج ءاسلمتم تهدد وهو حسن والبلاغ مصدر بلغ بتخفيف عين الفعل وفى قوله تعالى والله بصير بالعباد وعد للمومنين ووعيد للكافرين * وقوله تعالى ان الذين يكفرون بآيات الله الآية هذه الآية نزلت فى اليهود والنصارى وتعم كل من كان بهذه الحال وفيها توبيخ للمعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم روى ابو عبيدة بن الجراح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بنى اسراءيل قتلوا ثلاثة واربعين نبيا فاجتمع من عبّادهم

واحبارهم مائة وعشرون ليغيروا المنكر وينكروا فقتلوا جميعا كل ذلك في يوم واحد وذلك معنى قوله تعالى ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس وحبطت معناه بطلت * وقوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله الآية قال ابن عباس نزلت هذه الآية بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله تعالى فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم فهلموا الى التوراة فهي بيننا وبينكم فابيا عليه ونزلت الآية قال * ع * فالكتاب في قوله من الكتاب اسم جنس والكتاب في قوله الى كتاب الله هو التوراة وقال قتادة وابن جريج هو القرآن ورجح الطبري الاول * وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا الاشارة فيه الى التولي والاعراض اي انما تولوا واعرضوا لاغترارهم باقوالهم وافترائهم ثم قال تعالى خطابا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وامته على جهة التوقيف والتعجيب فكيف حال هؤلاء المغترين بالاباطيل اذا حشروا يوم القيامة واضمحلت تلك الزخارف والدعاوى وجوزوا بما اكتسبوه من كفرهم واعمالهم القبيحة قال ابن عطية والصحيح في يوم القيامة انه يوم لان قبله ليلة وفيه شمس وقال النقاش المراد باليوم الوقت * وقوله تعالى قل اللهم مالك الملك الآية هو سبحانه وتعالى مالك الملك كله مطلقا في جميع انواعه واشرف ملك يوتيه عباده سعادة الآخرة روي ان الآية نزلت بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر امته بفتح ملك فارس وغيره فقالت اليهود والمنافقون هيهات وكذبوا بذلك ومذهب البصريين ان الاصل في اللهم يا الله فعوض من ياء النداء ميما مشددة ومالك نصب

على النداء وخص تعالى الخير بالذكر وهو تعالى بيده كل شيء اذ الآية في معنى دعاء ورغبة فكان المعنى بيدك الخير فاجزل حظي منه قال النووي وروينا في كتاب الترمذي وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة ورواه الحاكم ابو عبد الله في المستدرك على الصحيحين من طرق كثيرة وزاد فيه في بعض طرقه وبنى له بيتا في الجنة قال الحاكم وفي الباب عن جابر وابي هريرة وانس وبريدة الاسلمي اه من الحلية وقال ابن عباس وغيره في معنى قوله تعالى تولج الليل في النهار الآية انه ما ينتقص من النهار فيزيد في الليل وما ينتقص من الليل فيزيد في النهار دأبا كل فصل من السنة وتحتمل الفاظ الآية ان يدخل فيها تعاقب الليل والنهار كأن زوال احدهما ولوج في الآخر واختلف في معنى قوله تعالى وتخرج الحي من الميت الآية فقال الحسن معناه يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن وروي نحوه عن سلمان الفارسي وروى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع نغمة خالدة بنت الاسود بن عبد يغوث فقال من هذه فاخبر بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الذي يخرج الحي من الميت وكانت امرأة صالحة وكان ابوها كافرا والمراد على هذا موت قلب الكافر وحياة قلب المومن وذهب جمهور كثير الى ان الحياة والموت في الآية حقيقة لا انها استعارة ثم اختلفوا في المُثُل التي فسروا بها فقال ابن مسعود هي النطفة تخرج من الرجل وهي ميتة وهو حي ويخرج الرجل منها وهي ميتة وقال عكرمة هو اخراج الدجاجة وهي حية

من البيضة وهي ميتة واخراج البيضة وهي ميتة من الدجاجة وهي حية وروى السدي عن ابى مالك قال هي الحبة تخرج من السنبلة والسنبلة تخرج من الحبة وكذلك النواة * وقوله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء الآية هذا النهي عن الاتخاذ انما هو عن اظهار اللطف للكفار والميل اليهم فاما ان يتخذوا بالقلب فلا يفعل ذلك مومن ولفظ الآية عام فى جميع الاعصار واختلف فى سبب نزولها فقال ابن عباس فى كعب بن الاشرف وغيره قد بطنوا بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فنزلت فى ذلك الآية وقال قوم نزلت فى قصة حاطب بن ابى بَلْتَعة وكتابه الى اهل مكة والآية عامة فى جميع هذا * وقوله تعالى فليس من الله فى شيء معناه فى شيء مرضي كقوله صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ثم اباح سبحانه اظهار اتخاذهم بشرط الاتقاء فاما ابطانه فلا يصح ان يتصف به مومن فى حال * وقوله تعالى ويحذركم الله الى ءاخر الآية وعيد وتنبيه ووعظ وتذكير بالآخرة * وقوله نفسه نائبة عن اياه وهذه مخاطبة على معهود ما يفهمه البشر والنفس فى مثل هذا راجع الى الذات وفى الكلام حذف مضاف لان التحذير انما هو من عقاب وتنكيل ونحوه قال ابن عباس والحسن ويحذركم الله عقابه * وقوله تعالى قل ان تخفوا ما فى صدوركم الآية الضمير فى تخفوا هو للمومنين الذين نهوا عن الكافرين والمعنى انكم ان ابطنتم الحرص على اظهار موالاتهم فان الله يعلم ذلك ويكرهه منكم * وقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا قال ابن هشام فى المغنى يوم نصب بمحذوف تقديره اذكروا او احذروا ولا يصح ان يكون ظرفا ليحذركم كما زعم بعضهم لان التحذير فى الدنيا وقع لا فى الآخرة اه * وقوله تعالى وما عملت من سوء يحتمل ان تكون ما معطوفة على ما الاولى فهي فى موضع نصب ويكون تود فى موضع الحال واليه

ذهب الطبري وغيره ويحتمل ان تكون ما رفع بالابتداء والخبر في قوله تود وما بعده والامد الغاية المحدودة من المكان او الزمان * وقوله تعالى والله روف بالعباد يحتمل ان يكون اشارة الى ان تحذيره رأفة منه سبحانه بعباده ويحتمل ان يكون ابتداء اعلام بهذه الصفة فمقتضى ذلك التانيس ليلا يفرط الوعيد على نفس مومن فسبحانه ما ارحمه بعباده وعن منصور بن عمار انه قال اعقل الناس محسن خائف واجهل الناس مسيء امن فلما سمع عبد الملك بن مروان منه هذا الكلام بكى حتى بل ثيابه ثم قال له اتل علي يا منصور شيأ من كتاب الله فتلا عليه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية فقال عبد الملك قتلتني يا منصور ثم غشي عليه اه * وقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية قال الشيخ العارف بالله ابن ابى جمرة رضي الله عنه من علامة السعادة للشخص ان يكون معتنيا بمعرفة السنة في جميع تصرفاته والذى يكون كذلك هو دائم في عبادة في كل حركاته وسكناته وهذا هو طريق اهل الفضل حتى حكي عن بعضهم انه لم ياكل البطيخ سنين لما لم يبلغه كيفية السنة في اكله وكيف لا والله سبحانه يقول قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله والاتباعية الكاملة انما تصح بان تكون عامة في كل الاشياء يعني الا ما خصصه به الدليل جعلنا الله من اهلها في الدارين انتهى قال * ع * قال الحسن بن ابى الحسن وابن جريج ان قوما على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد انا نحب ربنا فنزلت هذه الآية وقيل امر صلى الله عليه وسلم ان يقول هذا القول لنصارى نجران قال * ع * ويحتمل ان تكون الآية عامة لاهل الكتاب اليهود والنصارى لانهم كانوا يدعون انهم يحبون الله ويحبهم قال عياض اعلم ان من احب شيأ آثره واثر موافقته والا لم يكن

صادقا فى حبه وكان مدعيا فالصادق فى حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به واتباع سنته واتباع اقواله وافعاله والتأدب بآدابه فى عسره ويسره قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية قال عياض روي فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من استمسك بحديثى وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثى خسر الدنيا والآخرة الحديث وعن ابى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المستمسك بسنتى عند فساد امتى له اجر مائة شهيد وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله فى نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله فى نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الاحط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها الحديث قال عياض ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم زهد مدعيها فى الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به ففى حديث ابى سعيد ان الفقر الى من يحبنى منكم اسرع من السيل من اعلى الوادى او الجبل الى اسفله وفى حديث عبد الله بن مغفّل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انى احبك فقال انظر ما تقول قال والله انى لأحبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبنى فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابى سعيد بمعناه اه من الشفا قال * ع * والمحبة ارادة يقترن بها اقبال من النفس وميل بالمعتقد وقد تكون الارادة المجردة فيما يكره المريد والله تعالى يريد وقوع الكفر ولا يحبه ومحبة العبد لله تعالى يلزم عنها ولا بد ان يطيعه ومحبّة الله تعالى أمارتها للمتأمل ان يُرى العبد مهديا مسددا

ذا قبول فى الارض فلطف الله تعالى بالعبد ورحمته اياه هي ثمرة محبته وبهذا النظر يفسر لفظ المحبة حيث وقعت من كتاب الله عزوجل * وقوله تعالى ان الله اصطفى ءادم ونوحا الآية لما مضى صدر من محاجة نصارى نجران والرد عليهم وبيان فساد ماهم عليه جاءت هذه الآيات معلمة بصورة الامر الذى قد ضلوا فيه ومنبئة عن حقيقته كيف كانت فبدأ تعالى بذكر فضل ءادم ومن ذكر بعده ثم خص امرأة عمران بالذكر لان القصد وصف قصة القوم الى ان يبين امر عيسى عليه السلام وكيف كان وانصرف نوح مع عجمته وتعريفه لخفة الاسم كهود ولوط قال الفخر هنا اعلم ان المخلوقات على قسمين مكلف وغير مكلف واتفقوا على ان المكلف افضل من غير المكلف واتفقوا على ان اصناف المكلفين اربعة الملائكة والانس والجن والشياطين * ت * تأمله جعل الشياطين قسيما للجن اه والآل فى اللغة الاهل والقرابة ويقال للاتباع واهل الطاعة ءال والآل فى الآية يحتمل الوجهين فان اريد بالآل القرابة فالتقدير ان الله اصطفى هؤلاء على عالمى زمانهم او على العالمين جميعا بان يقدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ءال ابراهيم وان اريد بالآل الاتباع فيستقيم دخول امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى الآل لانها على ملة ابراهيم * وقوله تعالى ذرية بعضها من بعض اي متشابهين فى الدين والحال وعمران هو رجل من بنى اسراءيل وامرأة عمران اسمها حَنّة ومعنى نذرت جعلت لك ما فى بطنى محررا اي حبيسا على خدمة بيتك محررا من كل خدمة وشغل من اشغال الدنيا والبيت الذى نذرته له هو بيت المقدس فتقبل منى اي ارض عنى فى ذلك واجعله فعلا مقبولا مجازى به والسميع اشارة الى دعائها والعليم اشارة الى نيتها * وقوله تعالى فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت الوضع الولادة وقولها رب انى وضعتها

انثى لفظ خبر فى ضمنه التحسر والتلهف وبين الله ذلك بقوله والله اعلم بما وضعت وقولها وليس الذكر كالانثى تريد فى امتناع نذرها اذ الانثى تحيض ولا تصلح لصحبة الرهبان قاله قتادة وغيره وبدأت بذكر الاهم فى نفسها والا فسياق قصتها يقتضى ان تقول وليس الانثى كالذكر وفى قولها وانى سميتها مريم سنة تسمية الاطفال قرب الولادة ونحوه قول النبي صلى الله عليه وسلم وُلد لى الليلة مولود فسميته باسم ابى ابراهيم وباقى الآية اعاذة قال النووي وروينا فى سنن ابى داود باسناد جيد عن ابى الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكم تُدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء ءابائكم فاحسنوا اسماءكم وفى صحيح مسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احب اسمائكم الى الله عزوجل عبد الله وعبد الرحمن وفى سنن ابى داود والنساءي وغيرهما عن ابى وهب الجشمي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تسموا باسماء الانبياء واحب الاسماء الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن واصدقها حارث وهمّام واقبحها حرْب ومُرّة اه وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية ابى هريرة قال كل مولود من بنى ءادم له طعنة من الشيطان وبها يستهل الصبي الا ما كان من مريم ابنت عمران وابنها فان امها قالت حين وضعتها وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فضُرب بينهما حجاب فطعن الشيطان فى الحجاب وقد اختلفت الفاظ هذا الحديث والمعنى واحد كما ذكرته قال النووي باب ما يقال عند الولادة روينا فى كتاب ابن السني عن فاطمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دنا وِلادها امر ام سلمة وزينب بنت جحش ان تاتياها فتقرءا عندها ءاية الكرسي وان ربكم الله الى ءاخر الآية وتعوذانها بالمعوذتين انتهى * وقوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن اخبار منه سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه

رضي مريم لخدمة المسجد كما نذرت امها وسَنّى لها الامل في ذلك * وقوله سبحانه وانبتها نباتا حسنا عبارة عن حسن النشأة في خلقة وخُلق * ص * بقبول مصدر على غير الصدر والجاري على تقبل تقبلا وعلى قبل قبولا ونباتا مصدر منصوب بانبتها على غير الصدر انتهى * وقوله تعالى وكفلها زكرياء معناه ضمها الى انفاقه وحضنه والكافل هو المربي قال السدي وغيره ان زكرياء كان زوج اختها ويعضد هذا القول قوله صلى الله عليه وسلم في يحي وعيسى ابنا الخالة والذي عليه الناس ان زكرياء انما كفلها بالاستهام لتشاحهم حينئذ فيمن يكفل المحرر * وقوله تعالى كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا المحراب المبنَى الحسن ومحراب القصر اشرف ما فيه ولذلك قيل لا شرف ما في المصلّى وهو موقف الامام محراب ومعنى رزقا اي طعاما يتغذى به لم يعهده ولا عرف كيف جلب اليها قال مجاهد وغيره كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ونحوه عن ابن عباس الا انه قال ثمار الجنة وقوله انى معناه كيف ومن اين وقولها من عند الله دليل على انه ليس من جلب بشر قال الزجاج وهذا من الآية التي قال الله تعالى وجعلناها وابنها ءاية للعالمين وقولها ان الله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير لكون ذلك الرزق من عند الله وذهب الطبري الى ان ذلك ليس من قول مريم وانه خبر من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه لا تنتقص خزائنه فليس يحسب ما خرج منها وقد يعبر بهذه العبارة عن المكثرين من الناس انهم ينفقون بغير حساب وذلك مجاز وتشبيه والحقيقة هي فيما ينتفق من خزائن الله سبحانه قال الشيخ ابن ابي جمرة رضي الله عنه وقد قال العلماء في معنى قوله عزوجل ان الله يرزق من يشاء بغير حساب انه الفتوح اذا كان على وجهه اه ذكر هذا عند شرحه لقوله صلى

الله عليه وسلم لو دعيت الى ذراع اوكراع لا جبت * وقوله تعالى هنالك دعا زكرياء ربه الآية هنالك فى كلام العرب اشارة الى مكان اوزمان فيه بعد ومعنى هذه الآية ان فى الوقت الذى رأى زكرياء رزق الله لمريم ومكانتها من الله وفكّر فى انها جاءت امها بعد ان اسنت وان الله تعالى تقبلها وجعلها من الصالحات تحرك املہ لطلب الولد وقوي رجاؤه وذلك منہ على حال سن ووهن عظم واشتعال شيب فدعا ربہ ان يهب له ذرية طيبة يرثہ والذرية اسم جنس يقع على واحد فصاعدا كما ان الولد اسم جنس كذلك وطيبة معناه سليمة فى الخلق والدين تقية ثم قال تعالى فنادته الملائكة وتُرِك محذوف كثير دل عليہ ما ذكر تقديره فقبل الله دعاءه وبعث الملك او الملائكة فنادتہ وذكر جمهور المفسرين ان المنادي انما هو جبريل وقال قوم بل نادته ملائكة كثيرة حسبما تقتضيه الفاظ الآية قلت وهذا هو الظاهر ولا يعدل عنه الا ان يصح فى ذلك حديث عنه صلى الله عليه وسلم فيتبع وقوله تعالى فنادته عبارة تستعمل فى التبشير وفى ما ينبغى ان يسرع بہ ويُنهَى الى نفس السامع ليسر بہ فلم يكن هذا من الملائكة اخبارا على عرف الوحي بل نداء كما نادى الرجلُ الانصاري كعب بن مالك من اعلى الجبل * وقولہ تعالى وهو قائم يصلى فى المحراب يعنى بالمحراب فى هذا الموضع موقف الامام من المسجد ويحيي اسم سماه الله بہ قبل ان يولد ومصدقا نصب على الحال قال ابن عباس وغيره الكلمة هنا يراد بها عيسى ابن مريم قال * ع * وسمى الله تعالى عيسى كلمة اذ صدر عن كلمة منه تعالى وهي كن لا بسبب انسان * وقوله تعالى وسيدا قال قتادة اي والله سيد فى الحلم والعبادة والورع قال * ع * من فسر السودد بالحلم فقد احرز اكثر معنى السودد ومن جرد تفسيره بالعلم

والتقي ونحوه فلم يفسره بحسب كلام العرب وقد تحصل العلم ليحي عليه السلام بقوله مصدقا بكلمة من الله وتحصل التقى بباقي الآية وخصه الله بذكر السودد الذي هو الاعتمال فى رضى الناس على اشرف الوجوه دون ان يوقع فى باطل هذا اللفظ يعم السودد وتفصيله ان يقال بذل الندى وهذا هو الكرم وكف الاذى وهنا هي العفة بالفرج واليد واللسان واحتمال العظائم وهنا هو الحلم وغيرة من تحمل الغرامات والانقاذ من الهلكات وجبر الكسير والافضال على المسترفد وانظر قول النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ءادم ولا فخر وذكر حديث الشفاعة فى اطلاق الموقف وذلك منه اعتمال فى رضى ولد ءادم ثم قال * ع * اما انه يحسن بالتقيّ العالم ان ياخذ من السودد بكل ما لا يخل بعلمه وتقاه وهكذا كان يحي عليه السلام * وقوله تعالى وحصورا اصل هذه اللفظة الحبس والمنع ومنه حصر العدو قال * ع * واجمع من يعتد بقوله من المفسرين على ان هذه الصفة ليحي عليه السلام انما هي الامتناع من وطء النساء الا ما حكى مكي من قول من قال انه الحصور عن الذنوب وذهب بعض العلماء الى ان حصره كان بانه يمسك نفسه تقى وجلَدا فى طاعة الله سبحانه وكانت به القدرة على جماع النساء قالوا وهذه امدح له قال الامام الفخر وهذا القول هو اختيار المحققين انه لا ياتى النساء لا للعجز بل للعصمة والزهد قلت قال عياض اعلم ان ثناء الله تعالى على يحي عليه السلام بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا اولا ذكَر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة فى النساء كفاية من الله له لكونها مشغلة فى كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي فى حق من اقدر عليها وقام

بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اي وسائر النبيين اه من الشفا وباقى الآية بين وروي من صلاحه عليه السلام انه كان يعيش من العشب وانه كان كثير البكاء من خشية الله حتى اتخذ الدمع فى وجهه اخدودا * ص * ومن الصالحين اي من اصلاب الانبياء او صالحا من الصالحين فيكون صفة لموصوف محذوف اه قلت والثانى احسن والاول تحصيل الحاصل فتأمله * وقوله تعالى قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر الآية ذهب الطبري وغيره الى ان زكرياء لما رأى حال نفسه وحال امرأته وانها ليست بحال نسل سأل عن الوجه الذى به يكون الغلام اتبدل المرأة خلقتها ام كيف يكون قال * ع * وهذا تاويل حسن لائق بزكرياء عليه السلام وانى معناها كيف ومن اين وحسن فى الآية بلغنى الكبر من حيث هي عبارة واهنٍ منفعل * وقوله كذلك اي كهذه القدرة المستغربة قدرة الله ويحتمل ان تكون الاشارة بذلك الى حال زكرياء وحال امرأته كانه قال رب على اي وجه يكون لنا غلام ونحن بحال كذا فقال له كما انتما يكون لكما الغلام والكلام تام على هذا التاويل فى قوله كذلك * وقوله الله يفعل ما يشاء جملة مبينة مقررة فى النفس وقوع هذا الامر المستغرب * وقوله قال رب اجعل لى ءاية اي علامة قالت فرقة من المفسرين لم يكن هذا من زكرياء على جهة الشك وانما سأل علامة على وقت الحمل * وقوله تعالى ءايتك الا تكلم الناس الآية قال الطبري وغيره لم يكن منعه الكلام ءلافة ولكنه منع محاورة الناس وكان يقدر على ذكر الله ثم استثنى الرمز وهو استثناء منقطع والكلام المراد فى الآية انما هو النطق باللسان لا الاعلام بما فى النفس والرمزُ فى اللغة حركة تعلم بما فى نفس الرامز كانت الحركة من عين او حاجب او شفة او يدٍ او عود او غير ذلك

وقد قيل للكلام المحرف عن ظاهره رموز وامره تعالى بالذكر لربه كثيرا لانه لم يحل بينه وبين ذكر الله وهذا قاض بانه لم تدركه ءافة ولا علة فى لسانه قال محمد بن كعب القرظي لوكان الله رخص لاحد فى ترك الذكر لرخص لزكرياء عليه السلام حيث قال ءايتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الارمزا لكنه قال له اذكر ربك كثيرا قال الامام الفخر وفى الآية تاويلان احدهما ان الله تعالى حبس لسانه عن امور الدنيا واقدره على الذكر والتسبيح والتهليل ليكون فى تلك المدة مشتغلا بذكر الله وطاعته شكرًا لله على هذه النعمة ثم اعلم ان هذه الواقعة كانت مشتملة على المعجز من وجوه احدها ان قدرته على الذكر والتسبيح وعجزه عن التكلم بامور الدنيا من المعجزات وثانيها ان حصول ذلك العجز مع صحة البنية من المعجزات وثالثها ان اخباره بانه متى حصلت تلك الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر خرج على وفق هذا الخبر يكون ايضا من المعجزات والتاويل الثانى ان المراد منه الذكر بالقلب وذلك لان المستغرقين فى بحار معرفة الله تعالى عادتهم فى اول الامر ان يواظبوا على الذكر اللساني مدة فاذا امتلأ القلب من نور ذكر الله تعالى سكتوا باللسان وبقي الذكر فى القلب ولذلك قالوا من عرف الله كَل لسانه فكان زكرياء عليه السلام امر بالسكوت باللسان واستحضار معانى الذكر والمعرفة واستدامتها بالقلب اھ

* وقوله تعالى وسبح معناه قل سبحان الله وقال قوم معناه صلّ والاول اصوب لانه يناسب الذكر ويستغرب مع امتناع الكلام مع الناس والعشي فى اللغة من زوال الشمس الى مغيبها والابكار مصدر ابكر الرجل اذا بادر امره من لدن طلوع الفجر الى طلوع الشمس وتتمادى البكرة شيأ بعد طلوع الشمس يقال ابكر الرجل وبكّر * وقوله تعالى واذ قالت الملائكة العامل فى اذْ اذكر لأن هذه الآيات كلها

انما هي اخبارات بغيب تدل على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مقصد ذكرها هو الاظهر في حفظ رونق الكلام واصطفاك معناه تخيرك لطاعته وطهرك معناه من كل ما يَصِم النساء في خَلق او خُلق او دين قاله مجاهد وغيره وقول الزجاج قد جاء في التفسير ان معناه طهرك من الحيض والنفاس يحتاج الى سند قوي وما احفظُه والعالمين يحتمل عالم زمانها قال * ع * وسائغ ان يتأول عموم الاصطفاء على العالمين وقد قال بعض الناس ان مريم نبية من اجل مخاطبة الملائكة لها وجمهور الناس على انها لم تنبأ امرأة واقنتي معناه اعبدى واطيعي قاله الحسن وغيره ويحتمل ان يكون معناه اطيلى القيام في الصلاة وهذا هو قول الجمهور وهو المناسب في المعنى لقوله واسجدى وروى مجاهد انها لما خوطبت بهذا قامت حتى ورِمت قدماها وروى الاوزاعي حتى سال الدم والقيح من قدميها وروي ان الطير كانت تنزل على راسها تظنها جمادا واختلف المتأولون لم قدم السجود على الركوع فقال قوم كان ذلك في شرعهم والقول عندى في ذلك ان مريم امرت بفصلين ومعلمين من معالم الصلاة وهما طول القيام والسجود وخصا بالذكر لشرفهما وهذان يختصان بصلاتها مفردة والا فمن يصلى وراء امام فليس يقال له اطل قيامك ثم امرت بعدُ بالصلاة في الجماعة فقيل لها واركعي مع الراكعين وقُصد هنا معلم اخر من معالم الصلاة لئلا يتكرر اللفظ ولم يرد في الآية الركوع والسجود الذى هو منتظم في ركعة واحدة والله اعلم وقال * ص * قوله واركعي الواو لا ترتب فلا يسأل لم قدم السجود الا من جهة علم البيان وجوابه انه قدم لانه اقرب ما يكون العبد فيه من ربه فكان اشرف وقيل كان مقدما في شرعهم اه * وقوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك الآية هذه المخاطبة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والاشارة بذلك الى ما تقدم ذكره من القصص والانباء الاخبار

والغيب ما غاب عن مدارك الانسان ونوحيه معناه نلقيه فى نفسك فى خفاء وحد الوحي القاء المعنى فى النفس فى خفاء فمنه بالملك ومنه بالالهام ومنه بالاشارة ومنه بالكتاب وفى هذه الآية بيان لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءهم بغيوب لا يعلمها الا من شاهدها وهو لم يكن لديهم او من قرأها فى كتبهم وهو صلى الله عليه وسلم امي من قوم اميين او من اعلمه الله بها وهو ذاك صلى الله عليه وسلم ولديهم معناه عندهم ومعهم * وقوله اذ يلقون اقلامهم الآية جمهور العلماء على انه استهام لاخذها والمنافسة فيها فروي انهم القوا اقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة فى النهر فروي ان قلم زكرياء صاعد الجرية ومضت اقلام الآخرين وقيل غير هذا قلت ولفظ ابن العربي فى الاحكام قال النبي صلى الله عليه وسلم فجرت الاقلام وعلا قلم زكرياء اه واذا ثبت الحديث فلا نظر لاحد معه ويختصمون معناه يتراجعون القول الجهير فى امرها وفى هذه الآية استعمال القرعة والقرعة سنة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافر اقرع بين نسائه وقال صلى الله عليه وسلم لو يعلمون ما فى الصف الاول لاستهموا عليه واختلف ايضا هل الملائكة هنا عبارة عن جبريل وحده او عن جماعة من الملائكة ووجيها نصب على الحال وهو من الوجه اي له وجه ومنزلة عند الله وقال البخاري وجيها شريفا اه ومن المقربين معناه من الله تعالى وكلامه فى المهد اية دالة على براءة امه واخبر تعالى عنه انه ايضا يكلم الناس كهلا وفائدة ذلك انه اخبار لها بحياته الى سن الكهولة قال جمهور الناس الكهل الذى بلغ سن الكهولة وقال مجاهد الكهل الحليم قال * ع * وهذا تفسير للكهولة بعرض مصاحب لها فى الاغلب واختلف الناس فى حد الكهولة فقيل الكهل ابن اربعين وقيل ابن خمسة وثلاثين وقيل ابن ثلاثة وثلاثين وقيل ابن اثنين وثلاثين هذا حد اوّلها واما اخرها فاثنان

وخمسون ثم يدخل سن الشيخوخة وقول مريم انى يكون لى ولد استفهام عن جهة حملها واستغراب للحمل على بكارتها ويمسس معناه يطأ ويجامع * ص * والبشر يطلق على الواحد والجمع اه والكلام فى قوله كذلك كالكلام فى امر زكرياء وجاءت العبارة فى امر زكرياء يفعل وجاءت هنا يخلق من حيث ان امر زكرياء داخل فى الامكان الذى يتعارف وان قل وقصة مريم لا تتعارف البتة فلفظ الخلق اقرب الى الاختراع وادل عليه * وقوله تعالى اذا قضى امرا معناه اذا اراد ايجاده والامر واحد الامور وهو مصدر سمي به والضمير فى له عائد على الامر والقول على جهة المخاطبة * وقوله كن خطاب للمقضى * وقوله فيكون بالرفع خطاب للمخبَر * وقوله تعالى ويعلمه الكتاب الآية الكتاب هنا هو الخط باليد وهو مصدر كتب يكتب قاله جمهور المفسرين * وقوله ورسولا الى بنى اسراءيل اي ويجعله رسولا وكانت رسالة عيسى عليه السلام الى بنى اسراءيل مبينا حكم التوراة ونادبا الى العمل بها ومحللا اشياء مما حرم فيها كالثروب ولحوم الابل واشياء من الحيتان والطير ومن اول القول لمريم الى قوله اسراءيل خطاب لمريم ومن قوله انى قد جئتكم الى قوله مستقيم يحتمل ان يكون خطابا لمريم على معنى يكون من قوله لبنى اسراءيل كيت وكيت ويكون فى ءاخر الكلام محذوف يدل عليه الظاهر تقديره فجاء عيسى بنى اسراءيل رسولا فقال لهم ما تقدم ذكره ويحتمل ان يكون المحذوف مقدرا فى صدر الكلام بعد قوله الى بنى اسراءيل فيكون تقديره فجاء عيسى كما بشر الله رسولا الى بنى اسراءيل بانى قد جئتكم ويكون قوله انى قد جئتكم ليس بخطاب لمريم والاول اظهر * وقوله انى اخلق لكم من الطين الآية قرا نافع انى اخلق بكسر الهمزة وقرأ باقى السبعة بفتحها فوجه قراءة نافع اما القطع والاستيناف واما انه فسر الآية بقوله انى كما فسر المثل فى قوله كمثل ءادم ووجه

قراءة الباقين البدل من ءاية كانه قال وجئتكم باني اخلق واخلق معناه اقدر واهيئ بيدى * ص * كهيئة الهيئة الشكل والصورة وهو مصدر هاء الشيء يهيئ هيئة وهيأ اذا ترتب واستقر على حال ما وتعديه بالتضعيف قال تعالى ويهيئ لكم من امركم مرفقا اه وقرأ نافع وحده فيكون طائرا بالافراد اي يكون طائرا من الطيور وقرأ الباقون فيكون طيرا بالجمع وكذلك فى سورة المائدة والطير اسم جمع وليس من ابنية الجموع وانما البناء فى جمع طائر اطيار وجمع الجمع طيور * وقوله فانفخ فيه ذكّر الضمير لانه يحتمل ان يعود على الطين المهيئ ويحتمل ان يريد فانفخ فى المذكور وانث الضمير فى سورة المائدة لانه يحتمل ان يعود على الهيئة او على تانيث لفظ الجماعة وكون عيسى يخلق بيده وينفخ بفيه انما هو ليبين تلبسه بالمعجزة وانها جاءت من قبَله واما الايجاد من العدم وخلق الحياة فى ذلك الطين فمن الله تعالى وحده لا شريك له وروي فى قصص هذه الآية ان عيسى عليه السلام كان يقول لبنى اسراءيل اي الطير اشد خلقة واصعب ان يحكَى فيقولون الخفاش لانه طائر لا ريش له فكان يصنع من الطين خفافيش ثم ينفخ فيها فتطير وكل ذلك بحضرة الناس ومعاينتهم فكانوا يقولون هذا ساحر وابرئ معناه ازيل المرض والاكمهُ هو الذى يولد اعمى مضموم العينين قاله ابن عباس وقتادة قال * ع * والاكمه فى اللغة هو الاعمى وقد كان عيسى عليه السلام يبرئ بدعائه ومسح يده على كل عاهة ولكن الاحتجاج على بنى اسراءيل فى معنى النبوءة لا يقوم الا بالابراء من العلل التى لا يبرئ منها طبيب بوجه وروي فى احيائه الموتى انه كان يضرب بعصاه الميت او القبر او الجُمجُمة فيحيَى الانسان ويكلمه باذن الله وفى قصص الاحياء احاديث كثيرة لا يوقف على صحتها وءايات عيسى عليه السلام انما تجرى فيما

يعارض الطب لان علم الطب كان شرفَ الناس فى ذلك الزمان وشغْلهم وحينئذ اثيرت فيه العجائب فلما جاء عيسى عليه السلام بغرائب لا تقتضيها الامزجة واصول الطب وذلك احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص علمت الاطباء ان هذه القوة من عند الله وهذا كامر السحرة مع موسى والفصحاء مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ووقع فى التواريخ المترجمة عن الاطباء ان جالينوس كان فى زمن عيسى عليه السلام وانه رحل اليه من رومية الى الشام فمات فى طريقه ذلك * وقوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم الآية قال مجاهد وغيره كان عيسى عليه السلام من لدن طفوليته وهو فى الكُتاب يخبر الصبيان بما يفعل اباؤهم فى منازلهم وبما يوكل من الطعام ويدخر وكذلك الى ان نبئ فكان يقول لكل من سأله عن هذا المعنى اكلت البارحة كذا وادخرت كذا وقال قتادة معنى الآية انما هو فى نزول المائدة عليهم وذلك انها لما نزلت اخذ عليهم عهد ان ياكلوا ولا يخبأ احد شيأ ولا يدخره ولا يحمله الى بيته فخانوا وجعلوا يخبئون فكان عيسى عليه السلام يخبر كل احد عما اكل وعما ادخر فى بيته من ذلك وعوقبوا على ذلك * وقوله فاتقوا الله واطيعون تحذير ودعاء الى الله عزوجل * وقوله هذا صراط مستقيم اشارة الى قوله ان الله ربى وربكم فاعبدوه لان الفاظه جمعت الايمان والطاعات والصراط الطريق والمستقيم الذى لا اعوجاج فيه * وقوله تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر الآية قبل هذه الآية محذوف به يتم اتساق الآيات تقديره فجاء عيسى كما بشر الله به فقال جميع ما ذكر لبنى اسرائيل فلما احس ومعنى احس علم من جهة الحواس بما سمع من اقوالهم فى تكذيبه ورأى من قرائن احوالهم وشدة عداوتهم واعراضهم قال من انصاري الى الله وقوله الى الله يحتمل معنيين احدهما من ينصرنى فى السبيل الى الله

والثانى ان يكون التقدير من يضيف نصرته الى نصرة الله لى فالى دالة على الغاية فى كلا التقديرين وليس يباح ان يقال الى بمعنى مع كما غلط فى ذلك بعض الفقهاء فى تاويل قوله تعالى وايديكم الى المرافق فقال الى بمعنى مع وهذه عجمة والحواريون قوم مر بهم عيسى صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى نصرة واتباع ملته فاجابوه وقاموا بذلك خير قيام وصبروا فى ذات الله واختلف لم قيل لهم حواريون فقال ابن جبير لبياض ثيابهم وقال ابو ارطاة لانهم كانوا قصّارين يحورون الثياب اي يبيضونها وقال قتادة الحواريون اصفياء الانبياء الذين تصلح لهم الخلافة وقال الضحاك نحوه قال * ع * وهذا القول تقرير حال القوم وليس بتفسير اللفظة وعلى هذا الحد شبه النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمته بهم فى قوله وحواري الزبير والاقوال الأُول هي تفسير اللفظة اذ هي من الحور وهو البَياض حورت الثوب بيضته ومنه الحُوارى وقد تسمى العرب النساء الساكنات فى الامصار الحواريات لغلبة البياض عليهن ومنه قول ابى جِلْدة اليشكري

فقل للحواريات يبكين غيرنا * ولا تبكنا الا الكلاب النوابح

وقول الحواريين واشهد يحتمل ان يكون خطابا لعيسى عليه السلام اي اشهد لنا عند الله ويحتمل ان يكون خطابا لله تعالى كقوله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع اللهم اشهد وقولهم ربنا ءامنا بما انزلت يريدون الانجيل وءاياتِ عيسى فاكتبنا مع الشاهدين اي فى عِداد من شهد بالحق من مومنى الامم ثم اخبر تعالى عن بنى اسراءيل الكافرين بعيسى عليه السلام فقال ومكروا يريد فى تحيلهم فى قتله بزعمهم فهذا هو مكرهم فجازاهم الله تعالى بان طرح شبه عيسى على احد الحواريين فى قول الجمهور

او على يهودي منهم كان جاسوسا واعقب بني اسرايل مذلة وهوانا فى الدنيا والآخرة فهذه العقوبة هي التى سماها الله تعالى مكرا فى قوله ومكر الله وذلك مهيع ان تسمى العقوبة باسم الذنب وقوله والله خير الماكرين معناه فاعل حق فى ذلك وذكر ابو القاسم القشيري فى تحبيره قال سئل ميمون احسبه ابن مهران عن قوله تعالى ومكروا ومكر الله فقال تخليته اياهم مع مكرهم هو مكره بهم اه ونحوه عن الجنيد قال الفراء المكر من المخلوق الخب والحيلة ومن الاله الاستدراج قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال ابن عباس كلما احدثوا خطيئة احدثنا لهم نعمة اه وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك الآية اختلف فى هذا التوفى فقال الربيع هي وفاة نوم وقال الحسن وغيره هو توفى قبض وتحصيل اي قابضك من الارض ومحصلك فى السماء وقال ابن عباس هي وفاة موت ونحوه لمالك فى العتبية وقال وهب بن منبه توفاه الله بالموت ثلاث ساعات ورفعه فيها ثم احياه بعد ذلك وقال الفراء هي وفاة موت ولكن المعنى انى متوفيك فى ءاخر امرك عند نزولك وقتلك الدجال ففى الكلام تقديم وتاخير قال * ع * واجمعت الامة على ما تضمنه الحديث المتواتر من ان عيسى عليه السلام فى السماء حي وانه ينزل فى ءاخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض العدل ويظهر هذه الملة ملة محمد صلى الله عليه وسلم ويحج البيت ويعتمر ويبقى فى الارض اربعا وعشرين سنة وقيل اربعين سنة ثم يميته الله تعالى قال * ع * فقول ابن عباس هي وفاة موت لا بد ان يتمم اما على قول وهب بن منبه واما على قول الفراء * وقوله تعالى ورافعك الي عبارة عن نقله من سفل الى علو واضافه الله سبحانه اضافة تشريف والا فمعلوم انه سبحانه غير متحيز فى جهة

ومطهرك اي من دعاوى الكفرة ومعاشرتهم * وقوله وجاعل الذين اتبعوك الآية قال جمهور المفسرين بعموم اللفظ فى المتبعين فتدخل فى ذلك امة محمد صلى الله عليه وسلم لانها متبعة لعيسى قاله قتادة وغيره وكذلك قالوا بعموم اللفظ فى الكافرين فمقتضى الآية اعلام عيسى عليه السلام ان اهل الايمان به كما يجب هم فوق الذين كفروا بالحجة والبرهان والعز والغلبة ويظهر من عبارة ابن جريج وغيره ان المراد المتبعين له فى وقت استنصاره وهم الحواريون * وقوله تعالى ثم الي مرجعكم خطاب لعيسى والمراد الاخبار بالقيامة والحشر وباقى الآية بين وتوفية الاجور هي قسم المنازل فى الجنة فذلك هو بحسب الاعمال واما نفس دخول الجنة فبرحمة الله وتفضله سبحانه * وقوله تعالى ذلك نتلوه عليك من الآيات الآية ذلك اشارة الى ما تقدم من الانباء ونتلوه معناه نسرده ومن الآيات ظاهره ءايات القرءان ويحتمل ان يريد من المعجزات والمستغربات ان تاتيهم بهذه الغيوب من قبلنا وبسبب تلاوتنا والذكرُ ما ينزل من عند الله قال ابن عباس الذكر القرءان والحكيم الذى قد كمل فى حكمته * وقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله الآية قال ابن عباس وغيره سبب نزولها محاجة نصارى نجران فى امر عيسى وقولهم يا محمد هل رأيت بشرا قط جاء من غير فحل او سمعت به ومعنى الآية ان المثل الذى تتصوره النفوس والعقول من عيسى هو كالمتصوّر من ءادم اذ الناس مجمعون على ان الله تعالى خلقه من تراب من غير فحل وفى هذه الآية صحة القياس * وقوله تعالى ثم قال ترتيب للاخبار لمحمد صلى الله عليه وسلم المعنى خلقه من تراب ثم كان من امره فى الازل ان قال له كن وقت كذا * وقوله تعالى الحق من ربك اي هذا هو الحق والممترين هم الشاكون ونُهِي النبي صلى الله عليه وسلم فى عبارة اقتضت ذم الممترين وهذا يدل على ان المراد

بالامتراء غيره ونُهي عن الامتراء مع بعده عنه على جهة التثبيت والدوام على حاله
* وقوله تعالى فمن حاجك فيه اي في عيسى ويحتمل في الحق والعلمُ الذى اشير اليه بالمجيء هو ما تضمنته هذه الآيات المتقدمة * وقوله فقل تعالوا استدعاء للمباهلة وتعالوا تفاعلوا من العلو وهي كلمة قصِد بها اولا تحسين الادب مع المدعو ثم اطردت حتى يقولها الانسان لعدوه وللبهيمة ونبتهل معناه نلتعن ويقال عليهم بهلة الله والابتهال الجد في الدعاء بالبهلة قال محمد بن جعفر بن الزبير وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا نصارى نجران الى المباهلة قالوا دعنا ننظر في امرنا ثم ناتك بما نفعل فذهبوا الى العاقب وهو ذو رأيهم فقالوا يا عبد المسيح ما ترى فقال يا معشر النصارى والله لقد عرفتم ان محمدًا النبيّ المرسلُ ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم قط نبيا فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه الاستيصال ان فعلتم فان ابيتم الا إلْفَ دينكم وما انتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم حتى يريكم زمن رايه فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد رأينا ان لا نلاعنك وان نبقى على ديننا وصالحوه على اموال وقالوا له ابعث معنا رجلا من اصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في اشياء قد اختلفنا فيها من اموالنا فانكم عندنا رضى قال * ع * وفي ترك النصارى الملاعنة لعلمهم بنبوءة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم شاهد عظيم على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم عندهم ودعاء النساء والابناء اهز للنفوس وادعى لرحمة الله للمحقين او لغضبه على المبطلين
* وقوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق الآية هذا خبر من الله تعالى جزم مؤكد فصل به بين المختصمين والاشارة بهذا هي الى ما تقدم في امر عيسى عليه السلام والقصص معناه الاخبار وقال * ص * ان هذا لهو هذا اشارة

الى القرءان اه واختلف المفسرون من المراد باهل الكتاب هنا فروى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم يهود المدينة وقال ابن زيد وغيره المراد نصارى نجران قال * ع * والذى يظهر لى ان الآية نزلت فى وفد نجران لكن لفظ الآية يعمهم وسواهم من النصارى واليهود وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية الى هرقل عظيم الروم وكذا ينبغى ان يدعى بها اهل الكتاب الى يوم القيامة والكلمة هنا عند الجمهور عبارة عن الالفاظ التى تتضمن المعاني المدعو اليها وهي ما فسر بعد ذلك وهذا كما تسمى العرب القصيدة كلمة وقوله سواء نعت للكلمة قال قتادة وغيره معناه الى كلمة عدل وفى مصحف ابن مسعود الى كلمة عدل كما فسر قتادة قال * ع * والذى اقوله فى لفظة سواء انها ينبغى ان تفسر بتفسير خاص بها فى هذا الموضع وهو انه دعاهم الى معانٍ جميعُ الناس فيها مستوون * وقوله الا نعبد الا الله هو فى موضع خفض على البدل من كلمة او فى موضع رفع بمعنى هي الا نعبد الا الله واتخاذ بعضهم بعضا اربابا هو على مراتب اشدها اعتقادهم الالوهية وعبادتهم لهم كعزير وعيسى ومريم وادنى ذلك طاعتهم لاساقفتهم فى كل ما اَمروا به من الكفر والمعاصى والتزامهم طاعتهم شرعا * م * فان تولوا ابو البقاء تولوا فعل ماض ولا يجوز ان يكون التقدير تتولوا لفساد المعنى لان قوله فقولوا اشهدوا خطاب للمومنين وتولوا للمشركين اه وقوله فقولوا اشهدوا بانا مسلمون امر بالاعلان بمخالفتهم ومواجهتهم بذلك واشهادهم على معنى التوبيخ والتهديد * وقوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم الآية قال ابن عباس وغيره اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند النبي صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله الآية ومعنى قوله تعالى فيما لكم به علم اي على

زعمكم وفسر الطبري هذا الموضع بانه فيما لهم به علم من جهة كتبهم وانبيائهم مما ايقنوه وثبتت عندهم صحته قال * ع * وذهب عنه رحمه الله ان ما كان هكذا فلا يحتاج معهم فيه الى محاجة لانهم يجدونه عند محمد صلى الله عليه وسلم كما كان هناك على حقيقته قلت وما قاله الطبري ابين وهو ظاهر الآية ومن المعلوم ان اكثر احتجاجاتهم انما كانت تعسفا وجحدا للحق * وقوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية اخبر الله تعالى فى هذه الآية عن حقيقة امر ابراهيم عليه السلام ونفى عنه اليهودية والنصرانية والاشراك ثم اخبر تعالى اخبارا مؤكدا ان اولى الناس بابراهيم هم القوم الذين اتبعوه فيدخل فى ذلك كل من اتبع الحنيفية فى الفترات وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث بالحنيفية السمحة والذين ءامنوا يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء على ما يجب ثم اخبر سبحانه انه ولي المومنين وعدا منه لهم بالنصر فى الدنيا والنعيم فى الآخرة روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي منهم ابى وخليلُ ربى ابراهيم ثم قرأ ان اولى الناس بابراهيم الآية * وقوله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم قال مكي قيل ان هذه الآية عُني بها قريظة والنضير وبنو قَينُقاع ونصارى نجران * ص * قوله تعالى ودت طائفة ود بمعنى تمنى ويستعمل معها ان ولو وربما جمع بينهما نحو وددت ان لو فعل ومصدره الودادة والاسم منه الود وبمعنى احب فيتعدى كتعدى احب ومصدره مودة والاسم منه ود وقد يتداخلان فى الاسم والمصدر اه * وقوله تعالى وما يضلون الا انفسهم اعلام بان سوء فعلهم عائد عليهم وانهم ببعدهم عن الاسلام هم الضالون ثم اعلَم تعالى انهم لا يشعرون بذلك اي لا يتفطنون ثم وقفهم تعالى موبخا لهم على لسان نبيه والمعنى قل لهم يا محمد

لاي سبب تكفرون بآيات الله التى هي ءايات القرءان وانتم تشهدون ان امره وصفته محمد فى كتابكم قال هذا المعنى قتادة وغيره ويحتمل ان يريد بالآيات ما ظهرعلى يده صلى الله عليه وسلم من المعجزات قلت ويحتمل الجميع من الآيات المتلوة والمعجزات التى شاهدوها منه صلى الله عليه وسلم وقال * ص * وانتم تشهدون جملة حالية ومفعول تشهدون محذوف اي انها ءايات الله او ما يدل على صحتها من كتابكم او بمثلها من ءايات الانبياء اه * وقوله لم تلبسون معناه تخلطون تقول لبست الامر بفتح الباء بمعنى خلطته ومنه قوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون وفى قوله وانتم تعلمون توقيف على العناد ظاهروباقى الآية تقدم بيانه فى سورة البقرة * وقوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب ءامنوا بالذى انزل على الذين ءامنوا وجه النهار الآية اخبرالله سبحانه فى هذه الآية ان طائفة من اليهود من احبارهم ذهبت الى خديعة المسلمين بهذا المنزع قال قتادة وغيره قال بعض الاحبار لنظهر الايمان بمحمد صدر النهار ثم لنكفر به ءاخر النهار فسيقول المسلمون عند ذلك ما بال هؤلاء كانوا معنا ثم انصرفوا عنا ما ذاك الا انهم انكشفت لهم حقيقة فى الامر فيشكون ولعلهم يرجعون عن الايمان بمحمد قال الامام الفخر وفى اخبار الله تعالى عن تواطئهم على هذه الحيلة من الفائدة وجوه الاول ان هذه الحيلة كانت مخفية فيما بينهم فلما اخبر بها عنهم كان اخبارا بمغيب فيكون معجزا الثانى انه تعالى لما اطلع المومنين على تواطئهم على هذه الحيلة لم يحصل لهذه الحيلة اثرفى قلوب المومنين ولولا هذا الاعلام لا مكن تاثيرها فى قلب من ضعف ايمانه الثالث ان القوم لما افتضحوا فى هذه الحيلة صار ذلك رادعا لهم عن الاقدام على امثالها من الحيل والتلبيس اه وذكر تعالى عن هذه الطائفة من اهل الكتاب انهم قالوا ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم ولا خلاف

ان هذا القول هو من كلام الطائفة واختلف الناس في قوله تعالى ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم فقال مجاهد وغيره من اهل التاويل الكلام كله من قول الطائفة لأتباعهم * وقوله تعالى قل ان الهدى هدى الله اعتراض بين الكلامين قال * ع * والكلام على هذا التاويل يحتمل معاني احدها ولا تصدقوا وتومنوا الا لمن جاء بمثل دينكم حذارا ان يوتى احد من النبوءة والكرامة مثل ما اوتيتم وحذارا ان يحاجوكم بتصديقكم اياهم عند ربكم اذا لم تستمروا عليه وهذا القول على هذا المعنى ثمرة الحسد والكفر مع المعرفة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل الكلام ان يكون معناه ولا تومنوا بمحمد وتقروا بنبوته اذ قد علمتم صحتها الا لليهود الذين هم منكم وان يوتى احد مثل ما اوتيتم صفة لحال محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى تستروا باقراركم ان قد اوتى مثل ما اوتيتم او فانهم يعنون العرب يحاجونكم بالاقرار عند ربكم وقرأ ابن كثير وحده من بين السبعة ءأن يوتى بالمد على جهة الاستفهام الذى هو تقرير وفسر ابو علي قراءة ابن كثير على ان الكلام كله من قول الطائفة الا الاعتراض الذى هو قل ان الهدى هدى الله فانه لا يختلف انه من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قال فلا يجوز مع الاستفهام ان يحمل ءأن يوتى على ما قبله من الفعل لان الاستفهام قاطع فيجوز ان تكون ان في موضع رفع بالابتداء وخبره محذوف تقديره تصدقون او تعترفون او تذكرونه لغيركم ونحو هذا مما يدل عليه الكلام قال * ع * ويكون يحاجوكم على هذا معطوفا على ان يوتى قال ابو علي ويجوز ان يكون موضع ان نصبا فيكون المعنى اتشيعون او تذكرون ان يوتى احد مثل ما اوتيتم ويكون ذلك بمعنى قوله تعالى عنهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم فعلى كلا الوجهين معنى الآية توبيخ من الاحبار للاتباع على تصديقهم بان محمدا صلى الله

عليه وسلم نبيء مبعوث قال * ع * ويكون قوله تعالى او يحاجوكم في تاويل نصب ان بمعنى اوَ تريدون ان يحاجوكم وقال السدي وغيره الكلام كله من قوله قل ان الهدى هدى الله الى ءاخر الآية هو مما امِر به النبي صلى الله عليه وسلم ان يقوله لامته وحكى الزجاج وغيره ان المعنى قل ان الهدى هو هذا الهدى لا يوتى احد مثل ما اوتيتم ومعنى الآية على قول السدي اي لم يعط احد مثل حظكم والا فليحاجكم من ادعى سوى ذلك اويكون المعنى او يحاجونكم على معنى الازدراء باليهود كانه قال او هل لهم ان يحاجوكم اويخاصموكم فيما وهبكم الله وفضلكم به وقال قتادة والربيع الكلام كله من قوله قل ان الهدى هدى الله الى ءاخر الآية هو مما امِر به النبي صلى الله عليه وسلم ان يقوله للطائفة قال * ع * ويحتمل ان يكون قوله ان يوتى بدلا من قوله هدى الله قلت وقد اطالوا الكلام هنا وفيما ذكرناه كفاية * وقوله تعالى قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم في الآية تكذيب لليهود في قولهم لن يوتي الله احدا مثل ما اتى بني اسراءيل من النبوءة والشرف وباقي الآية تقدم تفسير نظيره * وقوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه الآية اخبر تعالى عن اهل الكتاب انهم قسمان في الامانة ومقصد الآية ذم الخوَنة منهم والتفنيد لرأيهم وكذبهم على الله في استحلالهم اموال العرب قال الفخر وفي الآية ثلاثة اقوال الاول ان اهل الامانة منهم الذين اسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم انه يحل لهم قتل كل من خالفهم في الدين واخذ ماله الثاني ان اهل الامانة منهم هم النصارى واهل الخيانة هم اليهود الثالث قال ابن عباس اودع رجل عبد الله بن سلام الفا ومائتي اوقية من ذهب فادى اليه واودع ءاخر

فنحاصا اليهودي دينارا فخانه فنزلت الآية اه قال ابن العربي فى احكامه قال الطبري وفائدة هذه الآية النهي عن ائتمانهم على مال وقال شيخنا ابو عبد الله المغربي فائدتها ان لا يؤتمنوا على دين يدل عليه ما بعده فى قوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الآية والصحيح عندى انها فى المال نص وفى الدين تنبيه فافادت المعنيين بهذين الوجهين قال ابن العربي فالامانة عظيمة القدر فى الدين ومن عظيم قدرها انها تقف على جنبتي الصراط لا يمكّن من الجواز الا من حفظها ولهذا وجب عليك ان تؤديها الى من ائتمنك ولا تخن من خانك فتقابل المعصية بالمعصية وكذلك لا يجوز ان تغدر من غدرك قال البخاري باب اثم الغادر للبر والفاجر اه والقنطار فى هذه الآية مثال للمال الكثير يدخل فيه اكثر من القنطار واقل واما الدينار فيحتمل ان يكون كذلك مثالا لما قل ويحتمل ان يريد ان منهم طبقة لا تخون الا فى دينار فما زاد ولم يعن لذكر الخائنين فى اقل اذ هم طَغام حُثالة ودام معناه ثبت وقوله قائما يحتمل معنيين قال قتادة ومجاهد والزجاج معناه قائما على اقتضاء حقك يريدون بانواع الاقتضاء من الحفز والمرافعة الى الحاكم من غير مراعاة لهيئة هذا الدائم وقال السدي وغيره معنى قائما على راسه * وقوله ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل الآية الاشارة بذلك الى كونهم لا يؤدون الامانة اي يقولون نحن من اهل كتاب والعرب اميون اصحب اوثان فاموالهم لنا حلال متى قدرنا على شيء منها لا حجة علينا فى ذلك ولا سبيل لمعترض * وقوله تعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ذم لبنى اسرائيل بانهم يكذبون على الله سبحانه فى غير ما شيء وهم عالمون بمواضع الصدق قال * ص * وهم يعلمون جملة حالية اه ثم رد الله تعالى فى صدر قولهم ليس علينا بقوله بلى اي عليهم سبيل وحجة وتباعة

ثم اخبر على جهة الشرط ان من اوفى بالعهد واتقى عقوبة الله فى نقضه فانه محبوب عند الله * وقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله الآية اية وعيد لمن فعل هذه الافاعيل الى يوم القيامة وهي اية يدخل فيها الكفر فما دونه من جحد الحق وخَتْر المواثيق وكل ياخذ من وعيدها بحسب جريمته قال ابن العربي فى احكامه وقد اختلف الناس فى سبب نزول هذه الآية والذى يصح من ذلك ان عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية قال فجاء الاشعث بن قيس فقال في نزلت كانت لى بير فى ارض ابن عم لى وفى رواية كان بينى وبين رجل من اليهود ارض فجحدنى فقال النبي صلى الله عليه وسلم بينتك او يمينه قلت اذًا يحلف يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث اه وقوله تعالى وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الآية يلوون معناه يحرفون ويتحيلون لتبديل المعانى من جهة اشتباه الالفاظ واشتراكها وتشعب التاويلات كقولهم راعنا واسمع غير مسمع ونحو ذلك وليس التبديل المحض بلي وحقيقة اللي فى الثياب والحبال ونحوها وهو فتلها واراغتها ومنه لي العنق ثم استعمل ذلك فى الحجج والخصومات والمجادلات والكتابُ فى هذا الموضع التوراة والضمير فى تحسبوه للمسلمين * وقوله وما هو من عند الله نفى ان يكون منزلا من عند الله كما ادعوا وهو من عند الله بالخلق والاختراع والايجاد ومنهم بالتكسب * وقوله تعالى ما كان لبشر الآية معناه النفي التام لانا نقطع ان الله لا يوتى النبوة للكَذَبة والمدعين والكتاب هنا اسم جنس والحكم بمعنى الحكمة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحُكما وقال الفخر هنا اتفق اهل

اللغة والتفسير على ان هذا الحكم هو العلم قال تعالى وءاتيناه الحكم صبيا يعنى العلم والفهم اهـ وثم فى قوله ثم يقول معطية تعظيم الذنب فى القول بعد مهلة من هذا الانعام وقوله عبادا جمع عبد ومن جموعه عبيد وعبدّى قال * ع * والذى استقريت فى لفظة العباد انه جمع عبد متى سيقت اللفظة فى مضمار الترفيع والدلالة على الطاعة دون ان يقترن بها معنى التحقير وتصغير الشان واما العبيد فيستعمل فى التحقير قال * ص * ونوقش ابن عطية بان عبدّى اسم جمع وتفريقه بين عباد وعبيد لا يصح اهـ قلت وقوله تعالى ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء ونحوه يوضحه اهـ ومعنى الآية ما كان لاحد من الناس ان يقول اعبدونى واجعلونى الها قال النقاش وغيره وهذه الاشارة الى عيسى عليه السلام والآية رادة على النصارى وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين بل الاشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم وسبب نزول الآية ان ابا رافع القرظي قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعت الاحبار من يهود والوفد من نصارى نجران يا محمد انما تريد ان نعبدك ونتخذك الها كما عبدت النصارى عيسى فقال الرئيس من نصارى نجران او ذاك تريد يا محمد واليه تدعونا فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله ما بذلك امرت ولا اليه دعوت فنزلت الآية قال بعض العلماء ارادت الاحبار ان تلزم هذا القول محمدا صلى الله عليه وسلم لما تلا عليهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى وانما معنى الآية فاتبعونى فيما ادعوكم اليه من طاعة الله فحرفوها بتأولهم وهذا من نوع ليهم الكتاب بالسنتهم قال الفخر وقال ابن عباس ان الآية نزلت بسبب قول النصارى المسيح ابن الله وقول اليهود عزير ابن الله وقيل ان رجلا من المسلمين قال يا رسول الله افلا نسجد لك فقال عليه السلام ما ينبغى السجود

الا لله قيل وقوله تعالى ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون يقوى هذا التاويل اهـ
* وقوله تعالى ولكن كونوا ربانيين الآية المعنى ولكن يقول كونوا ربانيين وهو
جمع رباني قال قوم منسوب الى الرب من حيث هو عالم ما علمه عامل بطاعته
معلم للناس ما امر به وزيدت فيه النون مبالغة وقال قوم منسوب الى الربان وهو
معلم الناس ماخوذ من رب يرب اذا اصلح وربّى والنون ايضا زائدة كما زيدت
فى غضبان وعطشان وفى البخاري الرباني الذى يربى الناس بصغار العلم قبل
كباره قال * ع * فجملة ما يقال فى الرباني انه العالم بالرب والشرع
المصيبُ فى التقدير من الاقوال والافعال التى يحاولها فى الناس وقوله بما كنتم
معناه بسبب كونكم عالمين دارسين فما مصدرية واسند ابو عمر بن عبد البر فى
كتاب فضل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم علمان علم فى القلب
فذلك العلم النافع وعلم فى اللسان فذلك حجة الله عز وجل على ابن ءادم
ومن حديث ابن وهب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاك امتى عالم
فاجر وعابد جاهل وشر الشرار جبار العلماء وخير الخيار خيار العلماء اه وقرأ جمهور
الناس تدرسون بضم الراء من درس اذا أدْمن قراءة الكتاب وكرره وقرأ نافع وغيره
ولا يامركم برفع الراء على القطع قال سيبويه المعنى لا يامركم الله وقال ابن
جريج وغيره المعنى ولا يامركم هذا البشر الذى اوتي هذه النعم وهو محمد
صلى الله عليه وسلم واما قراءة من نصب الراء وهو حمزة وغيره فهي عطف
على قوله ان يوتيه الله المعنى ولا له ان يامركم قاله ابو علي وغيره
وهو الصواب لا ما قاله الطبري من انها عطف على قوله ثم يقول
والارباب فى هذه الآية بمعنى الآلهة * وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما ءاتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن

به ولتنصرنه المعنى واذ كر يا محمد اذ فيحتمل ان يكون اخذ هذا الميثاق حين اخرج بنى ءادم من ظهر ءادم نسما ويحتمل ان يكون هذا الاخذ على كل نبي فى زمنه ووقت بعثه والمعنى ان الله تعالى اخذ ميثاق كل نبي بانه ملتزم هو ومن ءامن به الايمان بمن اتى بعده من الرسل والنصر له وقال ابن عباس انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم فهو اخذ لميثاق الجميع وقال علي بن ابى طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد فى محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليومنن به ولينصرنه وامره باخذه على قومه ثم تلا هذه الآية وقاله السدي وقرأ حمزة لما بكسر اللام وهي لام الجر والتقدير لاجل ما ءاتيناكم اذ انتم القادة والروس ومن كان بهذه الحال فهو الذى يوخذ ميثاقه وما فى هذه القراءة بمعنى الذى والعائد اليها من الصلة تقديره ءاتيناكموه ومن لبيان الجنس وثم جاءكم الآية جملة معطوفة على الصلة ولا بد فى هذه الجملة من ضمير يعود على الموصول وانما حذف تخفيفا لطول الكلام وتقديره عند سيبويه رسول به مصدق لما معكم واللام فى لتومنن به هي اللام المتلقية للقسم الذى تضمنه اخذ الميثاق وفصل بين القسم والمقسم عليه بالجار والمجرور وذلك جائز وقرأ سائر السبعة لما بفتح اللام وذلك يتخرج على وجهين احدهما ان تكون ما موصولة فى موضع رفع بالابتداء واللام لام الابتداء وهي متلقية لما اجري مجرى القسم من قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين وخبر الابتداء قوله لتومنن ولتومنن متعلق بقسم محذوف فالمعنى والله لتومنن قاله ابو علي وهو متجه بان الحلف يقع مرتين والوجه الثانى ان تكون ما للجزاء شرطا فتكون فى موضع نصب بالفعل الذى بعدها وهو مجزوم وجاءكم معطوف فى موضع جزم واللام الداخلة على ما ليست المتلقية للقسم ولكنها

الموطئـة الموذنـة بمجيء لام القسم فهي بمنـزلـة اللام فى قولـه تعالى لئن لم ينتـه المنافقون لانها موذنـة بمجيء المتلقية للقسم فى قوله لنغرينـك بهم وكذلـك هذه موذنـة بمجيء المتلقيـة للقسم فى قوله لتومنن وقرأ نافع وحده آتيناكم بالنون وقرأ الباقون آتيتكم بالتاء ورسول فى هذه الآية اسم جنس وقال كثير من المفسرين هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى هذه الآية هي وصف توقيف الانبياء عليهم السلام على اقرارهم بهذا الميثـاق والتزامهم له واخذتم فى هذه الآية عبارة عما تحصل لهم من ايتاء الكتـب والحكمة فمن حيث اخذ عليهم اخذوا هم ايضا وقال الطبـري اخذتم فى هذه الآيـة معناه قبلتم والاصر العهد لا تـفسيـر له فى هذا الموضع الا ذلـك * وقوله تعالى فاشهدوا يحتمـل معنييـن احدهما فاشهدوا على اممكـم المومنيـن بكم وعلى انـفسكم بالتزام هذا العهد قاله الطبـري وجماعـة والمعنـى الثانى بثّـوا الامر عند اممكم واشهدوا به وشهادة الله على هذا التاويـل هي اعطاء المعجزات واقرار نبوءاتهم هذا قول الزجاج وغيره قال * ع * فتأمل ان القول الاول هو ايداع الشهادة واستحفاظها والقـول الثانـى هو الامر بادائهـا وحكم تعالى بالفسـق على من تـولى من الامم بعد هذا الميثـاق قاله علي بن ابـى طالـب وغيره وقـرأ ابو عمرو يبغون باليـاء من اسفـل مفتوحة وترجعون بالتـاء من فوق مضمومة وقرأ عاصم بالياء من اسفـل فيهما وقرأ الباقـون بالتـاء فيهما ووجوه هذه القراءات لا تخفى بادنى تـأمل وتبغون معناه تطلبـون قال النووي وروينـا فى كتاب ابن السني عن السيد الجليل المجمع على جلالته وحفظه وديانته وورعه يونس ابن عبيـد بن دينـار البصري الشافعي المشهور انه قال ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول فى اذنها افغير ديـن الله تبغون وله اسلم من فى السموات

والارض طوعا وكرها واليه ترجعون لا وقفت باذن الله تعالى وروينا فى كتاب ابن السني عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا انفلتت دابة احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فان لله عزوجل فى الارض حاضرا سيحبسها قال النووي حكى لى بعض شيوخنا انه انفلتت له دابة اظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقاله فحبسها الله عليه فى الحال وكنت انا مرة مع جماعة فانفلتت منا بهيمة فعجزوا عنها فقلته فوقفت فى الحال بغير سبب سوى هذا الكلام اه واسلم معناه استسلم عند الجمهور واختلفوا فى معنى قوله طوعا وكرها فقال مجاهد هذه الآية كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فالمعنى ان اقرار كل كافر بالصانع هو اسلام كرها ونحوه لابى العالية وعبارته كل ءادمي فقد اقر على نفسه بان الله ربى وانا عبده فمن اشرك فى عبادته فهو الذى اسلم كرها ومن اخلص فهو الذى اسلم طوعا قال * ع * والمعنى فى هذه الآية يفهم كل ناظر ان الكره خاص باهل الارض * وقوله سبحانه افغير دين الله توقيف لمعاصرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الاحبار والكفار * قوله تعالى قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم الآية المعنى قل يا محمد انت وامتك ءامنا بالله الآية وقد تقدم بيانها فى البقرة ثم حكم تعالى فى قوله ومن يبتغ غير الاسلام الآية بانه لا يقبل من ءادمي دينا غير دين الاسلام وهو الذى وافق فى معتقداته دين كل من سمي من الانبياء عليهم السلام وهو الحنيفية السمحة وقال بعض المفسرين ان من يبتغ الآية نزلت فى الحارث بن سويد قلت وعلى تقدير صحة هذا القول فهي تتناول بعمومها من سواه الى يوم القيامة * وقوله تعالى كيف يهدى الله قوما كفروا

بعد ايمانهم الآيات قال ابن عباس نزلت هذه الآيات من قوله كيف يهدي الله في الحارث بن سويد الانصاري كان مسلما ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من توبة فنزلت الآيات الى قوله الا الذين تابوا فارسل اليه قومه فاسلم قال مجاهد وحسن اسلامه وقال ابن عباس ايضا والحسن بن ابي الحسن نزلت في اليهود والنصارى شهدوا ببعث النبي صلى الله عليه وسلم وءامنوا به فلما جاء من العرب حسدوه وكفروا به ورجحه الطبري وقال النقاش نزلت في طعيمة بن ابيرق قال * ع * وكل من ذكر فالفاظ الآية تعمه وقوله تعالى كيف سؤال عن حال لكنه سؤال توقيف على جهة الاستبعاد للامر فالمعنى انهم لشدة هذه الجرائم يبعد ان يهديهم الله جيعا وباقي الآية بين قال الفخر واستعظم تعالى كفر هؤلاء المرتدين بعد حصول هذه الخصال الثلاث لان مثل هذا الكفر يكون كالمعاندة والجحود وهذا يدل على ان زلة العالم اقبح من زلة الجاهل اه

* وقوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا الآية قال ابو العالية رُفَيْعٌ الآية في اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم بصفاته واقرارهم انها في التوراة ثم ازدادوا كفرا بالذنوب التي اصابوها في خلاف النبي صلى الله عليه وسلم من الافتراء والبهت والسعي على الاسلام وغير ذلك قال * ع * وعلى هذا الترتيب يدخل في الآية المرتدون اللاحقون بقريش وغيرهم وقال مجاهد معنى قوله ثم ازدادوا كفرا اي اتموا على كفرهم وبلغوا الموت به قال * ع * فيدخل في هذا القول اليهود والمرتدون وقال السدي نحوه ثم اخبر تعالى ان توبة هؤلاء لن تقبل وقد قررت الشريعة ان توبة كل كافر تقبل فلا بد في هذه الآية من تخصيص تحمل عليه ويصح به نفي قبول التوبة فقال

الحسن وغيره المعنى لن تقبل توبتهم عند الغرغرة والمعاينة وقال ابو العالية المعنى لن تقبل توبتهم من تلك الذنوب التى اصابوها مع اقامتهم على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قال * ع * وتحتمل الآية عندى ان تكون اشارة الى قوم باعيانهم من المرتدين وهم الذين اشار اليهم بقوله سبحانه كيف يهدى الله قوما فاخبر عنهم انه لا تكون منهم توبة فيتصور قبولها فكانه اخبر عن هؤلاء المعينين انهم يموتون كفارا ثم اخبر الناس عن حكم كل من يموت كافرا والملء ما شحن به الوعاء وقوله ولو افتدى به قال الزجاج المعنى لن يقبل من احدهم انفاقه وتقرباته فى الدنيا ولو انفق ملء الارض ذهبا ولو افتدى ايضا به فى الآخرة لن يقبل منه قال فاعلمَ الله انه لا يثيبهم على اعمالهم من الخير ولا يقبل منهم الافتداء من العذاب قال * ع * وهذا قول حسن وقال قوم الواو زائدة وهذا قول مردود ويحتمل المعنى نفي القبول على كل وجه ثم خص من تلك الوجوه اليقها واحراها بالقبول وباقى الآية وعيد بين عافانا الله من عقابه وختم لنا بما ختم به للصالحين من عباده * وقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآية خطاب لجميع المومنين فتحتمل الآية ان يريد لن تنالوا بر الله بكم اي رحمته ولطفه ويحتمل ان يريد لن تنالوا درجة الكمال من فعل البر حتى تكونوا ابرارا الا بالانفاق المنضاف الى سائر اعمالكم قال * ص * قوله مما تحبون من للتبعيض تدل عليه قراءة عبد الله بعض ما تحبون اه قال الغزالي قال نافع كان ابن عمر مريضا فاشتهى سمكة طرية فحملت اليه على رغيف فقام سائل بالباب فامر بدفعها اليه ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر الله له اه من الاحياء قال * ع * وبسبب نزول هذه الآية تصدق

ابـو طلحة بحائطه المسمى بيرحا وتصدق زيـد بن حارثه بفرس كان يحبها وكان عبد الله بن عمر يشتهي اكل السكر باللوز فكان يشتـري ذلك ويتصدق به قال الفخر والصحيح ان هذه الآية في ايتاء المال على طريـق الندب لا انها في الزكاة الواجبة اه * وقوله سبحانه وما تـنفقـوا من شيء فان الله به عليم شرط وجواب فيه وعد اي عليم مجاز به وان قل * وقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسراءيل الآية اخبار بمغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلمه الا الله وعلماء اهل الكتاب وحلا معناه حلالا والآية رد على اليهـود في زعمهـم انّ كل ما حرموه على انفسهم انه بامـر الله تعالى في التوراة فاكذبهم الله تعالى بهذه الآية وقوله سبحانه الا ما حرم اسراءيل على نـفسه اي فهو محرم عليهم في التوراة لا هذه الزوائد التي افتروها وقال الفخر قوله تعالى من قبل ان تنزل التوراة المعنى ان قبل نزول التوراة كان حلالا لبني اسراءيل كل انواع المطعومات سوى ما حرمه اسراءيل على نفسه فاما بعد نزول التوراة فلم يبق الامر كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة بسبب بغيهم وذلك هو عين النسخ الذي هم له منكرون اه قال * ع * ولم يختلف فيما علمت ان سبب تحريم يعقوب ما حرمه على نـفسه هو بمرض اصابه فجعل تحريم ذلـك شكرا لله ان شفـي وقيل هو وجع عِرْق النَّسا وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان عصابة من بني اسراءيل قالوا له يا محمد ما الذي حرم اسراءيل على نـفسه فـقال لهم انشدكم بالله هل تعلمون ان يعقـوب مرض مرضا شديـدا فطـال سقمه منه فنذر لله نذرا ان عـافـاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشـراب اليه وكان احب الطعام اليه لحوم الابل واحب الشراب اليه البانها قالوا اللهم نعم قال * ع * وظاهر الاحاديـث والتـفاسير في هذا الامر ان يعقـوب عليه السـلام حرم لحوم الابـل والبانهـا وهو يحبهـا تـقربـا بذلـك

اذ ترك الترفه والتنعم من القرب وهذا هو الزهد فى الدنيا واليه نحا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله اياكم وهذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر ومن ذلك قول ابى حازم الزاهد وقد مر بسوق الفاكهة فرأى محاسنها فقال موعدك الجنة ان شاء الله * وقوله عز وجل قل فاتوا بالتوراة الآية قال الزجاج وفى هذا تعجيز لهم واقامة للحجة عليهم * وقوله سبحانه فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك اي من بعد ما تبين له الحق وقيام الحجة فهو الظالم * وقوله قل صدق الله اي الامر كما وصف سبحانه لا كما تكذبون فان كنتم تعتزون الى ابراهيم فاتبعوا ملته على ما ذكر الله * وقوله سبحانه ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة الآية لا مرية ان ابراهيم عليه السلام وضع بيت مكة وانما الخلاف هل هو وضع بدأة او وضع تجديد وقال الفخر يحتمل اولا فى الوضع والبناء ويحتمل ان يريد اولا فى كونه مباركا وهذا تحصيل المفسرين فى الآية اه قال ابن العربي فى احكامه وكون البيت الحرام مباركا قيل بركته ثواب الاعمال هناك وقيل ثواب قاصديه وقيل امن الوحش فيه وقيل عزوف النفس عن الدنيا عند رؤيته قال ابن العربي والصحيح عندى انه مبارك من كل وجه من وجوه الدنيا والآخرة وذلك بجميعه موجود فيه اه قال مالك فى سماع ابن القاسم من العتبية بكة موضع البيت ومكة غيره من المواضع قال ابن القاسم يريد القرية قلت قال ابن رشد فى البيان أرى مالكا اخذ ذلك من قول الله عز وجل لانه قال تعالى فى بكة ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهو انما وضع بموضعه الذى وضع فيه لا فيما سواه من القرية وقال فى مكة وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة وذلك انما كان فى القرية لا فى موضع البيت اه * وقوله سبحانه فيه اي فى البيت ءايات بينات قال * ع *

والمترجح عندى ان المقام وامن الداخل جعلا مثالا مما فى حرم الله من الآيات وخصا بالذكر لعظمهما ومقام ابراهيم هو الحجر المعروف قاله الجمهور وقال قوم البيت كله مقام ابراهيم وقال قوم الحرم كله مقام ابراهيم والضمير فى قوله ومن دخله عائد على البيت فى قول الجمهور وعائد على الحرم فى قول من قال مقام ابراهيم هو الحرم * وقوله كان ءامنا قال الحسن وغيره هذه وصف حال كانت فى الجاهلية اذا دخل احد الحرم أَمِنَ فلا يعرض له فاما فى الاسلام فان الحرم لا يمنع من حد من حدود الله وقال يحي بن جعدة معنى الآية ومن دخل البيت كان ءامنا من النار وحكى النقاش عن بعض العباد قال كنت اطوف حول الكعبة ليلا فقلت يا رب انك قلت ومن دخله كان ءامنا فمما ذا هو ءامن فسمعت مكلما يكلمني وهو يقول من النار فنظرت وتأملت فما كان فى المكان احد قال ابن العربي فى احكامه وقول بعضهم ومن دخله كان ءامنا من النار لا يصح حمله على عمومه ولكنه ثبت ان من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة قال ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم اه * وقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية هو فرض الحج فى كتاب الله باجماع وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم حج البيت بكسر الحاء وقرأ الباقون بفتحها فبكسر الحاء يريدون عمل سنة واحدة وقال الطبري هما لغتان الكسر لغة نجد والفتح لغة اهل العالية * وقوله سبحانه من استطاع اليه سبيلا من فى موضع خفض بدل من الناس وهو بدل البعض من الكل وقال الكسائي وغيره هي شرط فى موضع رفع بالابتداء والجواب محذوف تقديره فعليه الحج ويدل عليه عطف الشرط الآخر بعده فى قوله ومن كفر واسند الطبري الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ملك زادا وراحلة فلم يحج

فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذهب جاعة من العلماء الى ان قوله سبحانه من استطاع اليه سبيلا كلام عام لا يتفسر بزاد ولا راحلة ولا غير ذلك بل اذا كان مستطيعا غير شاق على نفسه فقد وجب عليه الحج واليه نحا مالك فى سماع اشهب وقال لا صفة فى هذا ابين مما قال الله تعالى وهذا انبل الاقوال وهذه من الامور التي يتصرف فيها فقه الحال والضمير فى اليه عائد على البيت ويحتمل على الحج * وقوله سبحانه ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال ابن عباس وغيره المعنى من زعم ان الحج ليس بفرض عليه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ هذه الآية فقال رجل من هذيل يا رسول الله من تركه كفر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من تركه لا يخاف عقوبته ومن حجه لا يرجو ثوابه فهو ذلك وقال بمعنى هذا الحديث ابن عباس وغيره وقال السدي وجاعة من اهل العلم معنى الآية من كفر بان وجد ما يحج به ثم لم يحج قال السدي من كان بهذه الحال فهو كافر يعنى كفر معصية ولا شك ان من انعم الله عليه بمال وصحة ولم يحج فقد كفر النعمة وقال ابن عمر وجاعة معنى الآية ومن كفر بالله واليوم الآخر قال الفخر والاكثرون هم الذين حملوا الوعيد على من ترك اعتقاد وجوب الحج وقال الضحاك لما نزلت اية الحج فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اهل الملل وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحُجوا فآمن به المسلمون وكفر غيرهم فنزلت الآية قال الفخر وهذا هو الاقوى والله اعلم اه ومعنى قوله تعالى غني عن العالمين الوعيد لمن كفر والقصد بالكلام فان الله غني عنهم ولكن عمم اللفظ ليبرع المعنى وتنتبه الفكر لقدرته سبحانه وعظيم سلطانه واستغنائه عن جميع خلقه لارب سواه * وقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون هذه الآيات توبيخ لليهود

المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم والكتاب التوراة وءايات الله يحتمل ان يريد بها القران ويحتمل العلامات الظاهرة على يدي النبي صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه والله شهيد على ما تعملون وعيد محض قال الطبري هاتان الآيتان قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بـآيات الله وما بعدهما الى قوله فاولائك لهم عذاب عظيم نزلت بسبب رجل من اليهود حاول الاغراء بين الاوس والخزرج قال ابن اسحاق حدثني الثقة عن زيد بن اسلم قال مَرّ شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا قد عسا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين والحسد لهم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فغاظه ما راه من جماعتهم وصلاح ذات بينهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملأهم بها من قرار فامر فتى شابا من يهود فقال اعمد اليهم واجلس معهم وذكرهم يوم بُعاث وما كان قبله من ايام حربهم وانشدهم ما قالوه من الشعر في ذلك ففعل الفتى فتكلم القوم عند ذلك فتفاخروا وتنازعوا حتى تواثب رجلان من الحيين على الرُّكب اوس بن قيظي من الاوس وجبار بن صخر من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة فغضب الفريقان وقالوا قد فعلنا السلاحَ السلاحَ موعدكم الظاهرة يريدون الحَرَّة فخرجوا اليها وتحاوز الناس على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين الله الله ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم ووعظهم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان فالقوا السلاح وبكوا وعانق الناس بعضهم بعضا من الاوس والخزرج وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فانزل الله في شاس بن

قيس وما صنع هذه الآيات وقال الحسن وغيره نزلت فى احبار اليهود الذين يصدون المسلمين عن الاسلام ويقولون ان محمدا ليس بالموصوف فى كتابنا قال * ع * ولا شك فى وقوع هذين الشيئين وما شاكلهما من افعال اليهود واقوالهم فنزلت الآيات فى جميع ذلك ومعنى تبغون اي تطلبون لها الاعوجاج والانفساد وانتم شهداء يريد جمع شاهد على ما فى التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه وباقى الآية وعيد * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الآية خطاب عام للمومنين والاشارة بذلك وقت نزوله الى الاوس والخزرج بسبب نائرة شاس بن قيس قال * ص * قوله تعالى يردوكم بعد ايمانكم كافرين رد بمعنى صير فيتعدى الى مفعولين الاول الكاف والثانى الكافرين كقوله

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

اه ويعتصم معناه يتمسك وعصم الشيء اذا منع وحمي ومنه قوله يعصمنى من الماء وباقى الآية بين * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن مسعود حق تقاته هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يُكفر وكذلك عبر الربيع بن خُثَيْم وقتادة والحسن قالت فرقة نزلت الآية على عموم لفظها من لزوم غاية التقوى حتى لا يقع الا خلال فى شيء من الاشياء ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وبقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقالت جماعة لا نسخ هنا وانما المعنى اتقوا الله حق تقاته فى ما استطعتم وهذا هو الصحيح وخرج الترمذي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وهي اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى الدنيا

لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابن ماجه ايضا اه * وقوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون معناه دوموا على الاسلام حتى يوافيكم الموت وانتم عليه والحبل فى هذه الآية مستعار قال ابن مسعود حبل الله الجماعة وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان بنى اسراءيل افترقوا على احدى وسبعين فرقة وان امتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة فقيل يا رسول الله وما هذه الواحدة قال فقبض يده وقال الجماعة وقرأ واعتصموا بحبل الله جميعا وقال قتادة وغيره حبل الله الذى امر بالاعتصام به هو القرءان ورواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد هو الاسلام وقيل غير هذا مما هو كله قريب بعضه من بعض * وقوله تعالى ولا تفرقوا يريد التفرق الذى لا يتأتى معه الائتلاف كالتفرق بالفتن والافتراق فى العقائد واما الافتراق فى مسائل الفروع والفقه فليس بداخل فى هذه الآية بل ذلك هو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم خلاف امتى رحمة وقد اختلفت الصحابة فى الفروع اشد اختلاف وهم يد واحدة على كل كافر * وقوله سبحانه واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم الآية هذه الآية تدل على ان الخطاب انما هو للاوس والخزرج كما تقدم وكانت العداوة قد دامت بين الحيين مائة وعشرين سنة حتى رفعها الله بالاسلام فجاء النفر الستة من الانصار الى مكة حجاجا فعرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه عليهم وتلا عليهم شيئا من القرءان كما كان يصنع مع قبائل العرب فآمنوا به واراد الخروج معهم فقالوا يا رسول الله ان قدمت بلدنا على ما بيننا من العداوة والحرب خفنا الا يتم ما نريده بك ولكن نمضى نحن ونشيع امرك ونداخل الناس وموعدنا واياك العام القابل

فمضوا وفعلوا وجاءت الانصار فى العام القابل فكانت العقبة الثانية وكانوا اثني عشر رجلا فيهم خمسة من الستة الاولين ثم جاءوا من العام الثالث فكانت بيعة العقبة الكبرى حضرها سبعون وفيهم اثنا عشر نقيبا ووصف القصة مستوعب فى السير ويسر الله تعالى الانصار للاسلام بوجهين احدهما ان بنى اسراءيل كانوا مجاورين لهم وكانوا يقولون لمن يتوعدونه من العرب يبعث لنا الآن نبي نقتلكم معه قتل عاد وارم فلما رأى النفر من الانصار النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لبعض هذا والله النبي الذى تذكره بنو اسراءيل فلا تُسبَقن اليه والوجه الآخر الحرب التى كانت ضرّستهم وافنت سراتهم فرجوا ان يجمع الله به كلمتهم فكان الامر كما رجوا فعدد الله سبحانه عليهم نعمته فى تاليفهم بعد العداوة وذكرهم بها قال الفخر كانت الانصار قبل الاسلام اعداء فلما اكرمهم الله سبحانه بالاسلام صاروا اخوانا فى الله متراحمين واعلم ان كل من كان وجهه الى الدنيا كان معاديا لاكثر الخلق ومن كان وجهه الى خدمة المولى سبحانه لم يكن معاديا لاحد لانه يرى الكل اسيرا فى قبضة القضاء والقدر ولهذا قيل ان العارف اذا امر امر برفق ونصح لا بعنف وعسر وكيف وهو مستبصر بالله فى القدر اه * وقوله تعالى فاصبحتم عبارة عن الاستمرار قال * ص * اصبح يستعمل لاتصاف الموصوف بصفته وقت الصباح وبمعنى صار فلا يلحظ فيها وقت الصباح بل مطلق الانتقال والصيرورة من حال الى حال واصبح هنا بمعنى صار وما ذكره ابن عطية من ان اصبح للاستمرار لم يذهب اليه احد من النحويين اه قلت وفيما ادعاه نظر وهي شهادة على نفي وكلام * ع * واضح من جهة المعنى والشفا حرف كل جرم له مهوى كالحفرة والبير والجرف والسقف والجدار ونحوه ويضاف فى الاستعمال الى الاعلى كقوله شفا جرف والى الاسفل كقوله شفا حفرة فشبه الله كفرهم

الذى كانوا عليه بالشفا لانهم كانوا يسقطون فى جهنم دأبا فانقذهم الله منها بالاسلام * وقوله تعالى فانقذكم منها اي من النار ويحتمل من الحفرة والاول احسن قال العراقي انقذكم اي خلصكم اه * وقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير امر الله سبحانه الامة بان يكون منها علماء يفعلون هذه الافعال على وجوهها ويحفظون قوانينها ويكون سائر الامة متبعين لاولائك اذ هذه الافعال لا تكون الا بعلم واسع وقد علم الله سبحانه ان الكل لا يكونون علماء فمن هنا للتبعيض وهو تاويل الطبري وغيره وذهب الزجاج وغير واحد الى ان المعنى ولتكونوا كلكم امة يدعون ومن لبيان الجنس ومعنى الآية على هذا امر الامة بان يدعوا جميع العالم الى الخير فيدعون الكفار الى الاسلام والعصاة الى الطاعة ويكون كل واحد فى هذه الامور على منزلته من العلم والقدرة وروى الليث بن سعد قال حدثنى محمد بن عجلان ان وافدا النصري اخبره عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليوتين برجال يوم القيامة ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء لمنازلهم من الله يكونون على منابر من نور قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين يحببون الله الى الناس ويحببون الناس الى الله ويمشون فى الارض نصحا قلنا يا رسول الله هذا يحببون الله الى الناس فكيف يحببون الناس الى الله قال يامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فاذا اطاعوهم احبهم الله تعالى اه من التذكرة للقرطبي قال * ع * قال اهل العلم وفرض الله سبحانه بهذه الآية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من فروض الكفاية اذا قام به قائم سقط عن الغير وقال النبي صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان والناس فى الامر بالمعروف وتغيير المنكر على مراتب ففرض العلماء فيه تنبيه الولاة وحملهم على

جادة العلم وفرض الولاة تغييره بقوتهم وسلطانهم ولهم هي اليد وفرض سائر الناس رفعه الى الولاة والحكام بعد النهي عنه قولا وهذا فى المنكر الذى له دوام واما ان رأى احد نازلة بديهية من المنكر كالسلب والزنا ونحوه فيغيرها بنفسه بحسب الحال والقدرة ويحسن لكل مومن ان يعتمل فى تغيير المنكر وان ناله بعض الاذى ويؤيد هذا المنزع ان فى قراءة عثمان وابن مسعود وابن الزبير يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما اصابهم فهذا وان لم يثبت فى المصحف ففيه اشارة الى التعرض لما يصيب عقيب الامر والنهي كما هو فى قوله وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك * وقوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا الآية قال ابن عباس هي اشارة الى كل من افترق من الامم فى الدين فاهلكهم الافتراق وقال الحسن هي اشارة الى اليهود والنصارى قلت وروى ابو داود فى سننه عن معاوية بن ابى سفيان قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهي الجماعة وروى ابو هريرة نحوه ولم يذكر النار اه * وقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية بياض الوجوه عبارة عن اشراقها واستنارتها وبشرها برحمة الله قاله الزجاج وغيره * وقوله تعالى اكفرتم تقرير وتوبيخ متعلق بمحذوف تقديره فيقال لهم اكفرتم وفى هذا المحذوب جواب اما وهذا هو فحوى الخطاب وهو ان يكون فى الكلام شيء مقدر لا يستغنى المعنى عنه كقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة المعنى فافطر فعدة * وقوله تعالى بعد ايمانكم يقتضى ان لهؤلاء المذكورين ايمانا متقدما واختلف اهل التاويل فى تعيينهم فقال ابي بن كعب هم جميع الكفار وايمانهم هو اقرارهم يوم قيل لهم الست بربكم قالوا بلى وقال اكثر

المتأولين المراد اهل القبلة من هذه الامة ثم اختلفوا فقال الحسن الآية فى المنافقين وقال قتادة هي فى اهل الردة وقال ابو امامة هي فى الخوارج * وقوله تعالى تلك ءايات الله نتلوها عليك بالحق الاشارة بتلك الى هذه الآيات المتضمنة تعذيب الكفار وتنعيم المومنين ولما كان فى هذا ذكر التعذيب اخبر سبحانه انه لا يريد ان يقع منه ظلم لاحد من العباد واذا لم يرد ذلك فلا يوجد البتة لانه لا يقع من شيء الا ما يريده سبحانه وقوله بالحق معناه بالاخبار الحق ويحتمل ان يكون المعنى نتلوها عليك مضمنة الافعال التى هي حق فى نفسها من كرامة قوم وتعذيب ءاخرين ولما كان للذهن ان يقف هنا فى الوجه الذى به خص الله قوما بعمل يرحمهم من اجله وءاخرين بعمل يعذبهم عليه ذكر سبحانه الحجة القاطعة فى ملكه جميع المخلوقات وان الحق ان لا يعترض عليه وذلك فى قوله ولله ما فى السموات وما فى الارض الآية * وقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس الآية اختلف فى تاويل هذه الآية فقيل نزلت فى الصحابة وقال الحسن بن ابى الحسن وجماعة من اهل العلم الآية خطاب لجميع الامة بانهم خير امة اخرجت للناس ويؤيد هذا التاويل كونهم شهداء على الناس واما قوله كنتم على صيغة المضي فانها التى بمعنى الدوام كما قال تعالى وكان الله غفورا رحيما وقال قوم المعنى كنتم فى علم الله وهذه الخيرية التى خص الله بها هذه الامة انما ياخذ بحظه منها من عمل بهذه الشروط من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله مما جاء فى فضل هذه الامة ما خرجه مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة وفى رواية سابقون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة وفى رواية نحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفى رواية المقضى

بينهم اه وخرج ابن ماجه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن ءاخر الامم واول من يحاسب يقال اين الامة الامية ونبيها فنحن الآخرون الاولون وفى رواية عن ابن عباس فتفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضى غرا محجلين من ءاثار الطهور فتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون انبياء كلها وخرجه ايضا ابو داود الطيالسي فى مسنده بمعناه اه من التذكرة وروى ابو داود فى سننه قال حدثنا عثمان بن ابى شيبة عن ابيه عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتى هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل اه وقد ذكرنا هذا الحديث ايضا عن غير ابى داود وهذا الحديث ليس هو على عمومه فى جميع الامة لثبوت نفوذ الوعيد فى طائفة من العصاة اه وقوله تامرون بالمعروف وما بعده احوال فى موضع نصب وفى الحديث خير الناس اتقاهم لله وءامرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واوصلهم للرحم رواه البغوي فى منتخبه اه من الكوكب الدري * وقوله سبحانه منهم المومنون تنبيه على حال عبد الله بن سلام واخيه وثعلبة بن سَعْية وغيرهم ممن ءامن * وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى اي الا اذى بالالسنة فقط واخبر سبحانه فى قوله وان يقاتلوكم يولوكم الادبار بخبر غيب صححه الوجود فهي من ءايات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفائدة الخبر هي فى قوله ثم لا ينصرون اي لا تكون حرب اليهود معكم سجالا وخص الادبار بالذكر دون الظهر تخسيسا للفار وهكذا هو حيث تصرف * وقوله تعالى ضربت معناه اثبتت بشدة والزام وهذا وصف حال تقررت على اليهود فى اقطار الارض قبل مجيء الاسلام وثقفوا معناه اخذوا بحال المذنب المستحق الاهلاك وقوله الا بحبل من الله فى الكلام محذوف يدركه فهم السامع تقديره فلا نجاة لهم من القتل او الاستيصال الا بحبل وهو العهد * وقوله

ذلك اشارة الى الغضب وضرب الذلة والمسكنة وباقى الآية تقدم تفسير نظيره

* وقوله تعالى ليسوا سواء الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما لما اسلم عبد الله ابن سلام وثعلبة بن سعية واسيد بن سعية واسد بن عبيد ومن اسلم من اليهود معهم قال الكفار من احبار اليهود ما ءامن بمحمد الا شرارنا ولو كانوا خيارا ما تركوا دين ءابائهم فانزل الله سبحانه فى ذلك ليسوا سواء الآية وقال مثله قتادة وابن جريج وهو اصح التاويلات فى الآية واختلف فى قوله قائمة فقال ابن عباس وغيره معناه قائمة على كتاب الله وحدوده مهتدية وقال السدي القائمة القانتة المطيعة وهذا كله يرجع الى معنى واحد ويحتمل ان يراد بقائمة وصف حال التالين فى ءاناء الليل ومن كانت حاله هذه فلا محالة انه معتدل على امر الله وءايات الله فى هذه الآية هي كتبه والآناء الساعات واحدها انْي بكسر الهمزة وسكون النون وحكم هذه الآية لا يتفق فى شخص شخص بان يكون كل واحد يصلى جميع ساعات الليل وانما يقوم هذا الحكم من جماعة الامة اذ بعض الناس يقوم اول الليل وبعضهم ءاخره وبعضهم بعد هجعة ثم يعود الى نومه فياتى من مجموع ذلك فى المدن والجماعات عمارة ءاناء الليل بالقيام وهكذا كان صدر هذه الامة وعُرْف الناس القيام فى اول الثلث الآخر من الليل او قبله بشيء وحينئذ كان يقوم الاكثر والقيام طول الليل قليل وقد كان فى الصالحين من يلتزمه وقد ذكر الله سبحانه القصد من ذلك فى سورة المزمل وقيام الليل لقراءة العلم المبتغى به وجه الله داخل فى هذه الآية وهو افضل من التنفل لمن يرجى انتفاع المسلمين بعلمه قلت وقد تقدم فى اول السورة ما جاء من التاويل فى حديث النزول فلنذكر الآن الحديث بكماله لما فيه من الفوائد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل

الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسئلني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له رواه الجماعة اعني الكتب الستة البخاري ومسلما وابا داود والترمذي والنساءي وابن ماجه وفي بعض الطرق حتى يطلع الفجر زاد ابن ماجه فلذلك كانوا يستحبون الصلاة ءاخر الليل على اوله وعن عمرو بن عنبسة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن رواه ابو داود والترمذي والنساءي والحاكم في المستدرك واللفظ للترمذي وقال حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم اه من السلاح وعن ابي امامة قلت يا رسول الله اي الدعاء اسمع قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات رواه الترمذي والنساءي وقال الترمذي هذا حديث حسن وفي رواية جوف الليل الآخر ارجى او نحو هذا اه من السلاح ومما يدخل في ضمن قوله سبحانه ويسارعون في الخيرات ان يكون المرء مغتنما للخمس كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وغناك قبل فقرك فيكون متى اراد ان يصنع خيرا بادر اليه ولم يسوف نفسه بالامل فهذه ايضا مسارعة في الخيرات وذكر بعض الناس قال دخلت مع بعض الصالحين في مركب فقلت له ما تقول اصلحك الله في الصوم في السفر فقال لي انها المبادرة يا ابن الاخ قال المحدث فجاءني والله بجواب ليس من اجوبة الفقهاء قال * ص * قوله من الصالحين من للتبعيض ابن عطية ويحسن ايضا ان تكون لبيان الجنس وتعقب بانه لم يتقدم شيء فيه ابهام فيبين جنسه اه * وقوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي فلن يغطى دونكم فلا تثابون عليه وفي قوله سبحانه والله

عليم بالمتقين وعد ووعيد * وقوله تعالى مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح الآية وقع فى الآية التشبيه بين شيئين وشيئين وترك من كل منهما ما دل عليه الكلام وهذه غاية الايجاز والبلاغة وجمهور المفسرين على ان ينفقون يراد به الاموال التى كانوا ينفقونها فى التحنث اي يبطلها كفرهم كما تبطل الريح الزرع والصر البرد الشديد المحرق لكل ما يهب عليه والحرث شامل للزرع والثمار * وقوله سبحانه حرث قوم ظلموا انفسهم الآية من اهل العلم من يرى ان كل مصائب الدنيا فانما هي بمعاصى العبيد وينتزع ذلك من غير ما اية فى القرءان فيستقيم على قوله ان كل حرث تحرقه ريح فانما هو لمن قد ظلم نفسه والضمير فى قوله وما ظلمهم الله للكفار الذين تقدم ضميرهم فى ينفقون وليس هو للقوم ذوى الحرث * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا بطانة اي لا تتخذوا من الكفار واليهود والمنافقين اخلاء تانسون بهم فى الباطن وتفاوضونهم فى الآراء * وقوله سبحانه من دونكم يعنى من دون المومنين * وقوله سبحانه لا يالونكم خبالا معناه لا يقصرون لكم فيما فيه فساد عليكم تقول ما ألوت فى كذا اي ما قصرت بل اجتهدت والخبال الفساد قال ابن عباس كان رجال من المومنين يواصلون رجالا من اليهود للحلف والجوار الذى كان بينهم فى الجاهلية فنزلت الآية فى ذلك وقال ابن عباس ايضا وقتادة والربيع والسدي نزلت فى المنافقين قال * ع * ويدخل فى هذه الآية استكتاب اهل الذمة وتصريفهم فى البيع والشراء ونحو ذلك وما فى قوله ما عنتم مصدرية فالمعنى ودوا عنتكم والعنت المشقة والمكروه يلقاه المرء وعقبة عنوت اي شاقة قال * ص * قال الزجاج عنتكم اي مشقتكم وقال ابن جرير ضلالكم وقال الزبيدي العنت الهلاك اه * وقوله تعالى قد بدت البغضاء من

افواههم اي فهم فوق المستتر الذى تبدو البغضاء فى عينيه وخص سبحانه الافواه بالذكر دون الالسنة اشارة الى تشدقهم وثرثرتهم فى اقوالهم هذه ثم قال سبحانه للمومنين قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون تحذيرا وتنبيها وقد علم سبحانه انهم عقلاء ولكن هذا هز للنفوس كما تقول ان كنت رجلا فافعل كذا وكذا * وقوله هانتم اولاء تحبونهم الضمير فى تحبونهم للذين تقدم ذكرهم فى قوله بطانة من دونكم قال * ص * وتومنون بالكتاب كله قال ابو البقاء الكتاب هنا جنس اي بالكتب كلها اه * وقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على انفاذه ومنه قول ابى طالب * يعضون غيظا خلفنا بالانامل * وقوله سبحانه قل موتوا بغيظكم قال فيه الطبري وكثير من المفسرين هو دعاء عليهم وقال قوم بل امر النبي صلى الله عليه وسلم وامته ان يواجهوهم بهذا فعلى هذا زال معنى الدعاء وبقي معنى التقريع * وقوله تعالى ان الله عليم بذات الصدور وعيد وذات الصدور ما تنطوى عليه * وقوله سبحانه ان تمسسكم حسنة تسؤهم الآية الحسنة والسيئة فى هذه الآية لفظ عام فى كل ما يحسن ويسوء قلت ويجب على المومن ان يجتنب هذه الاخلاق الذميمة وروينا فى كتاب الترمذي عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيرحمه الله ويبتلك اه والكيد الاحتيال بالاباطيل وقوله تعالى واكيد كيدا من باب تسمية العقوبة باسم الذنب * وقوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المومنين مقاعد للقتال هذا ابتداء عتب المومنين فى امر اُحُد وفيه نزلت هذه الآيات كلها وكان من امر غزوة اُحُد ان المشركين اجتمعوا فى ثلاثة آلاف رجل وقصدوا المدينة لياخذوا بثارهم فى يوم بدر فنزلوا عند اُحُد يوم الاربعاء الثانى عشر من شوال سنة ثلاث

من الهجرة على رأس احد وثلاثين شهرا من الهجرة واقاموا هنالك يوم الخميس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يدبر وينتظر امر الله سبحانه فلما كان فى صبيحة يوم الجمعة جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس واستشارهم واخبرهم انه كان يرى بقرا تذبح وثلما فى ذباب سيفه وانه يدخل يده فى درع حصينة وانه تأولها المدينة وقال لهم ارى ان لا نخرج الى هؤلاء الكفار فقال له عبد الله ابن ابي بن سلول اقم يا رسول الله ولا تخرج اليهم بالناس فان هم اقاموا اقاموا بشر محبس وان انصرفوا مضوا خائبين وان جاءونا الى المدينة قاتلناهم فى الافنية ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من الآطام فوالله ما حاربنا قط عدو فى هذه المدينة الا غلبناه ولا خرجنا منها الى عدو الا غلبنا فوافق هذا الرأي رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأي جماعة عظيمة من المهاجرين والانصار وقال قوم من صلحاء المومنين ممن فاتته بدر يا رسول الله اخرج بنا الى عدونا وشجعوا الناس ودعوا الى الحرب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس صلاة الجمعة وقد حشمه هؤلاء الداعون الى الحرب فدخل اثر صلاته بيته ولبس سلاحه فندم اولائك القوم وقالوا اكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فى سلاحه قالوا يا رسول الله اقم ان شئت فانا لا نريد ان نكرهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغى لنبي لبس سلاحه ان يضعها حتى يقاتل ثم خرج بالناس وسار حتى قرب من عسكر المشركين فعسكر هنالك وبات تلك الليلة وقد غضب عبد الله بن ابي بن سلول وقال اطاعهم وعصانى فلما كان فى صبيحة يوم السبت اعتزم النبي صلى الله عليه وسلم على المسير الى مناجزة المشركين فنهض وهو فى الف رجل فانخزل عنه عند ذلك عبد الله بن ابي بن سلول بثلاثمائة رجل من منافق ومتبع وقالوا نظن انكم لا تلقون

قتالا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبع مائة فهمت عند ذلك
بنو حارثة من الاوس و بنو سَلِمة من الخزرج بالانصراف ورأوا كثافة المشركين
وقلة المسلمين وكادوا ان يجبنوا و يفشلوا فعصمهم الله تعالى وذم بعضهم بعضا ونهضوا
مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اطل على المشركين فتصاف الناس وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد امر على الرماة عبد الله بن جبير وكانوا خمسين
رجلا وجعلهم يحمون الجبل وراء المسلمين واسند هو الى الجبل فلما اضطرمت
نار الحرب انكشف المشركون وانهزموا وجعل نساء المشركين يشددن فى الجبل
و يرفعن عن سوقهن قد بدت خلاخيلهن فجعل الرماة يقولون الغنيمة الغنيمة
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال لهم لا تبرحوا من هنا ولو رأيتمونا تخطفنا
الطير فقال لهم عبد الله بن جبير وقوم منهم اتقوا الله واثبتوا كما امركم نبيكم فعصوا
وخالفوا وانصرفوا يريدون النهب وخلوا ظهور المسلمين للخيل وجاء خالد فى
جريدة خيل من خلف المسلمين حيث كان الرماة فحمل على الناس ووقع
التخاذل وصيح فى المسلمين من مقدمتهم ومن ساقتهم وصرخ صارخ قتل محمد
فتخاذل الناس واستشهد من المسلمين سبعون وتحيز رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى اعلى الجبل وتحاوز الناس هذا مختصر من القصة يتركب عليه تفسير
الآيات وامر احد مستوعب فى السير وليس هذا التعليق مما يقتضي ذكره
وتبوئ معناه تعين لهم مقاعد يتمكنون فيها ويثبتون وقوله سبحانه مقاعد جمع
مقعد وهو مكان القعود وهذا بمنزلة قولك مواقف ولكن لفظة القعود ادل على
الثبوت ولا سيما ان الرماة انما كانوا قعودا وكذلك كانت صفوف المسلمين اولا
والمبارِزة والسرعان يجولون * وقوله تعالى والله سميع اي ما تقول وما يقال
لك وقت المشاورة وغيره وهمت معناه ارادت ولم تفعل والفشل فى هذا الموضع

هو الجبن الذى كاد يلحق الطائفتين ففى البخاري وغيره عن جابر قال نزلت هذه الآية فينا اذ همت طائفتان فى بنى سلمة وبنى حارثة وما احب انها لم تنزل والله يقول والله وليهما * وقوله سبحانه ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة لما امر الله سبحانه بالتوكل عليه ذكّر بامر بدر الذى كان ثمرته التوكل على الله سبحانه والثقة به * وقوله سبحانه وانتم اذلة معناه قليلون واسم الذل فى هذا الموضع مستعار اذ نسبتهم الى عدوهم والى جميع الكفار فى اقطار الارض تقتضى عند المتأمل ذلتهم وانهم مغلوبون روى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر فى ثلاثمائة وخمسة عشر فقال صلى الله عليه وسلم اللهم انهم حفاة فاحملهم اللهم انهم عراة فاكسُهم اللهم انهم جياع فاشبعهم ففتح الله عليهم يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما فيهم رجل الا قد رجع بجمل او جملين واكتسوا وشبعوا رواه ابو داود والحاكم فى المستدرك على الصحيحين واللفظ له وقال صحيح على شرط الشيخين اه من السلاح * وقوله سبحانه اذ تقول العامل فى اذ فعل مضمر ويحتمل ان يكون العامل نصركم وعلى هذا قول الجمهور انّ هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم كان ببدر قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة فى يوم من الايام الا يوم بدر وكانوا يكونون فى سائر الايام عددا ومددا لا يضربون قال الشعبي وهم يحضرون حروب المسلمين الى يوم القيامة وقال قتادة امد الله المومنين يوم بدر بخمسة الاف قال عكرمة كان الوعد يوم بدر فلم يصبروا يوم احُد ولا اتقوا فلم يمدوا ولو مدوا لم يهزموا وقال الضحاك وابن زيد انما كان هذا الوعد والمقالة للمومنين يوم احد ففر الناس وولوا مدبرين فلم يمدهم الله وانما مدوا يوم بدر بالف من الملائكة مردفين والفور النهوض المسرع الى الشيء ماخوذ من فور القدر والماء ونحوه ومنه الفور فى الحج والوضوء ومسومين معناه معلمين بعلامات

وروي ان الملائكة اعلمت يوم بدر بعمائم بيض الا جبريل فانه كان بعمامة صفراء على مثال عمامة الزبير بن العوام وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين يوم بدر سوموا فان الملائكة قد سومت * وقوله سبحانه وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم الضمير في جعله الله عائد على الانزال والامداد ومعنى الآية وما كان هذا الامداد الا لتستبشروا به وتطمئن به قلوبكم وترون حفاية الله بكم والا فالكثرة لا تغنى شيئا الا ان ينصر الله واللام في قوله ليقطع متعلقة بقوله وما النصر ويحتمل ان تكون متعلقة بجعله فيكون قطع الطرف اشارة الى من قتل ببدر على قول ابن اسحاق وغيره او الى من قتل باحد على ما قال السدي وقتل من المشركين ببدر سبعون وقتل منهم يوم احد اثنان وعشرون رجلا والطرف الفريق * وقوله سبحانه او يكبتهم معناه يخزيهم والكبت الصرع لليدين وقال * ص * الكبت الهزيمة وقيل الصرع لليدين اه * وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء الآية روي في سبب هذه الآية انه لما هزم اصحابه صلى الله عليه وسلم وشج وجهه وكسرت رباعيته جعل يمسح وجهه ويقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وفي بعض طرق الحديث كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى الله فنزلت الآية فقيل له ليس لك من الامر شيء اي عواقب الامور بيد الله فامض انت لشأنك ودم على الدعاء الى ربك قلت وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم ممتثلا امر ربه قال عياض روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رَباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابى وامى انت يا رسول الله لقد

دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الآية ولو دعوت علينا لهلكنا من عند ءاخرنا فلقد وُطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اه قال الطبري وغيره من المفسرين او يتوب عطف على يكبتهم والمعنى او يتوب عليهم فيسلمون او يعذبهم ان تمادوا على كفرهم فانهم ظالمون ثم اكد سبحانه معنى قوله ليس لك من الامر شيء بذكر الحجة الساطعة فى ذلك وهي ملكه الاشياء فقال سبحانه ولله ما فى السموات وما فى الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم اي فله سبحانه ان يفعل بحق ملكه ما يشاء لا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه وذكر سبحانه ان الغفران او التعذيب انما هو بمشيئته وبحسب السابق فى علمه ثم رجّى سبحانه فى ءاخر ذلك تأنيسا للنفوس * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة الآية قال * ع * هذا النهي عن اكل الربا اعترض اثناء قصة احد ولا احفظ سببا فى ذلك مرويا ومعناه الربا الذى كانت العرب تضعف فيه الدين وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة البقرة * وقوله تعالى اعدت للكافرين اي انهم المقصود والمراد الاول وقد يدخلها سواهم من العصاة هذا مذهب اهل العلم فى هذه الآية وحكى الماوردي وغيره عن قوم انهم ذهبوا الى ان اكلة الربا انما توعدهم الله بنار الكفرة لا بنار العصاة * وقوله سبحانه واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون قال محمد بن اسحاق هذه الآية من قوله تعالى واطيعوا الله هي ابتداء المعاتبة فى امر اُحُد وانهزام من فر وزوال الرماة عن مراكزهم * وقوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض قرأ نافع وابن عامر سارعوا بغير واو وكذلك هي فى مصاحف اهل المدينة والشام وقرأ باقي السبعة بالواو والمسارعة المبادرة وهي مفاعلة اذ الناس كأن

كل واحد يسرع ليصل قبل غيره فبيئنهم فى ذلك مفاعلة الا ترى الى قوله تعالى فاستبقوا الخيرات والمعنى سارعوا بالطاعة والتقوى والتقرب الى ربكم الى حال يغفر الله لكم فيها قالت وحق على من فهم كلام ربه ان يبادر ويسارع الى ما ندبه اليه ربه وان لا يتهاون بترك الفضائل الواردة فى الشرع قال النووي رحمه الله اعلم انه ينبغي لمن بلغه شيء فى فضائل الاعمال ان يعمل به ولو مرة ليكون من اهله ولا ينبغى ان يتركه جملة بل ياتى بما تيسر منه لقول النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته واذا امرتكم بشيء فافعلوا منه ما استطعتم اه من الحلية * وقوله سبحانه وجنة عرضها السموات والارض اي كعرض السموات والارض قال ابن عباس فى تفسير الآية تقرن السموات والارضون بعضها الى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض الجنة ولا يعلم طولها الا الله سبحانه وفى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بين المصراعين من ابواب الجنة مسيرة اربعين سنة وسياتى عليها يوم يزدحم الناس فيها كما تزدحم الابل اذا وردت خُمُصا ظِماء وفى الصحيح ان فى الجنة شجرة يسير الراكب المجِد فى ظلها مائة عام لا يقطعها فهذا كله يقوى قول ابن عباس وهو قول الجمهور ان الجنة اكبر من هذه المخلوقات المذكورة وهي ممتدة على السماء حيث شاء الله تعالى وذلك لا ينكر فان فى حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون السبع فى الكرسي الا كدراهم القيت فى فلاة من الارض وما الكرسي فى العرش الا كحلقة من حديد القيت فى فلاة من الارض قال * ع * فهذه مخلوقات اعظم بكثير جدا من السموات والارض وقدرة الله اعظم من ذلك كله قلت قال الفخر فى الآية وجه ثان ان الجنة التى عرضها مثل عرض السموات والارض انما تكون للرجل الواحد لان الانسان يرغب فيما يكون ملكا له فلا بد

ان تصير الجنة المملوكة لكل احد مقدارها هكذا اه وقدرة الله تعالى اوسع وفضله اعظم وفي صحيح مسلم والترمذي من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في سؤال موسى ربه عن ادنى اهل الجنة منزلة وانه رجل ياتي بعد ما يدخل اهل الجنة الجنة فيقال له اترضى ان يكون لك ما كان لملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت اي رب فيقال له لك ذلك ومثله معه ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت اي رب فيقال له لك ذلك وعشرة امثاله فيقول رضيت اي رب فيقال له فان لك مع هذا ما اشتهت نفسك ولذت عينك قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وفي البخاري من طريق ابن مسعود رضي الله عنه ان اخر اهل الجنة دخولا الجنة واخر اهل النار خروجا من النار رجل يخرج حبوا فيقول له ربه ادخل الجنة فيقول رب الجنة ملأى فيقول له ان لك مثل الدنيا عشر مرات اه وفي جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية الحديث قال ابو عيسى وقد روي هذا الحديث من غير وجه مرفوعا وموقوفا وفي الصحيح ما معناه اذا دخل اهل الجنة الجنة تبقى فيها فضلة فينشئ الله لها خلقا اوكما قال اه قال

* ع * وخص العرض بالذكر لانه يدل متى ما ذكر على الطول والطول اذا ذكر لا يدل على قدر العرض بل قد يكون الطويل يسير العرض كالخيط ونحوه ثم وصف تعالى المتقين الذين اعدت لهم الجنة بقوله الذين ينفقون في السراء والضراء وهما اليسر والعسر قاله ابن عباس اذ الاغلب ان مع اليسر النشاط وسرور النفس ومع العسر الكراهية وضر النفس وكظم الغيظ رده في الجوف اذا كاد ان

يخرج من كثرته ومنعه كظم له والكظام السير الذي يشد به فم الزق والغيظ اصل الغضب وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فسر بعض الناس الغيظ بالغضب وليس تحرير الامر كذلك بل الغيظ حال للنفس لا تظهر على الجوارح والغضب حال لها تظهر في الجوارح وفعل ما ولا بد ولهذا جاز اسناد الغضب الى الله سبحانه اذ هو عبارة عن افعاله في المغضوب عليهم ولا يسند اليه تعالى الغيظ ووردت في كظم الغيظ وملك النفس عند الغضب احاديث وذلك من اعظم العبادات وجهاد النفس ففي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأه الله امنا وايمانا الى غير ذلك من الاحاديث قلت وروى ابو داود والترمذي عن معاذ بن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في اي الحور شاء قال ابو عيسى هذا حديث حسن اه وفي رواية اخرى لابي داود ملأه الله امنا وايمانا ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه قال بشر احسبه قال تواضعا كساه الله حلة الكرامة وحدث الحافظ ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن خزن لسانه ستر الله عورته ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره اه من صفوة التصوف والعفو عن الناس من اجل ضروب فعل الخير ثم قال سبحانه والله يحب المحسنين فعم انواع البر وظاهر الآية انها مدح بفعل المندوب * وقوله سبحانه والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الآية ذكر سبحانه في هذه الآية صنفا هو دون الصنف الاول فالحقهم بهم برحمته ومنّه وهم التوابون وروي في سبب نزول هاتين الآيتين ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله

منا حين كان المذنب منهم يصبح وعقوبته مكتوبة على باب داره فانزل الله هذه الآية توسعة ورحمة وعوضا من ذلك الفعل ببنى اسرايل وروي ان ابليس بكى حين نزلت هذه الآية والفاحشة لفظ يعم جميع المعاصى وقد كثر استعماله فى الزنا حتى فسر السدي الفاحشة هنا بالزنا وقال قوم الفاحشة هنا اشارة الى الكبائر وظلم النفس اشارة الى الصغائر واستغفروا معناه طلبوا الغفران قال النووي وروينا فى سنن ابن ماجه باسناد جيد عن عبد الله بن بسْر بضم الباء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لِمن وجد فى صحيفته استغفارا كثيرا اه من الحلية وذكروا الله معناه بالخوف من عقابه والحياء منه اذ هو المنعم المتطول ثم اعترض اثناء الكلام قوله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله اعتراضا موقّفا للنفس داعيا الى الله مرجّيا فى عفوه اذا رجع اليه وجاء اسم الله مرفوعا بعد الاستثناء والكلام موجب حملا على المعنى اذ هو بمعنى وما يغفر الذنوب الا الله وعن علي بن ابى طالب رضي الله عنه قال حدثنى ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الى ءاخر الآية رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حِبّان فى صحيحه وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن اه من السلاح * وقوله سبحانه ولم يصروا الاصرار هو المقام على الذنب واعتقاد العودة اليه وقوله وهم يعلمون قال السدي معناه وهم يعلمون انهم قد اذنبوا وقال ابن اسحاق معناه وهم يعلمون بما حرمتُ عليهم وقيل وهم يعلمون ان باب التوبة مفتوح وقيل وهم يعلمون انى اعاقب على الاصرار ثم شرّك سبحانه الطائفتين المذكورتين فى قوله اولائك جزاؤهم مغفرة مِن ربهم الآية قال * ص * قوله ونعم المخصوص

بالمدح محذوف اي المغفرة والجنة * وقوله سبحانه قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض الآية الخطاب للمومنين والمعنى لا يذهب بكم ان ظهر الكفار المكذبون عليكم باحد فان العاقبة للمتقين وقديما ما ادال الله المكذبين على المومنين ولكن انظروا كيف هلك المكذبون بعد ذلك فكذلك تكون عاقبة هؤلاء وقال النقاش الخطاب بقد خلت للكفار قال * ع * وذلك قلق وخلت معناه مضت والسنن الطرائق وقال ابن زيد سنن معناه امثال وهذا تفسير لا يخص اللفظة وقوله فانظروا هو عند الجمهور من نظر العين وقال قوم هو بالفكر * وقوله تعالى هذا بيان للناس يريد به القران قاله الحسن وغيره وقال جماعة الاشارة بهذا الى قوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن وقال الفخر يعنى بقوله هذا بيان ما تقدم من امره سبحانه ونهيه ووعده ووعيده وذكره لانواع البينات والآيات اه ثم نهى سبحانه المومنين عن الوهن وهو الضعف وانسهم بانهم الاعلون اصحاب العاقبة ومن كرم الخلق ان لا يهن الانسان فى حربه اذا كان محقا وانما يحسن اللين فى السلم والرضى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المومن هين لين وقوله سبحانه وانتم الاعلون اخبار بعلو كلمة الاسلام هذا قول الجمهور وهو ظاهر اللفظ قال * ص * وانتم الاعلون فى موضع نصب على الحال * وقوله سبحانه ان كنتم مومنين المقصد هز النفوس واقامتها و يترتب من ذلك الطعن على من نجم فى ذلك اليوم نفاقه او اضطرب يقينه اي لا يتحصل الوعد الا بالايمان فالزموه ثم قال تعالى تسلية للمومنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله والاسوة مسلاة للبشر ومنه قول الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل اخي ولكن * اعزي النفس عنه بالتأسي

والقرح القتل والجراح قاله مجاهد وغيره * وقوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس اخبر سبحانه على جهة التسلية ان الايام على قديم الدهر وغابره ايضا انما جعلها دولا بين البشر اي فلا تنكروا ان يدال عليكم الكفار * وقوله تعالى وليعلم الله الذين ءامنوا تقديره وليعلم الله الذين ءامنوا فعل ذلك والمعنى ليظهر فى الوجود ايمان الذين قد علم الله ازلا انهم يومنون والا فقد علمهم فى الازل ويتخذ منكم شهداء معناه اهل فوز فى سبيله حسبما ورد فى فضائل الشهداء وذهب كثير من العلماء الى التعبير عن ادالة المومنين بالنصر وعن ادالة الكفار بالادالة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك حديث انهم يدالون كما تنصرون والتمحيص التنقية قال الخليل التمحيص التخليص من العيب فتمحيص المومنين هو تنقيتهم من الذنوب والمحق الاذهاب شيئا فشيئا ومنه محاق القمر وقوله سبحانه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين الآية حسبتم معناه ظننتم وهذه الآية وما بعدها عتب وتقريع لطوائف من المومنين الذين وقعت منهم الهنوات المشهورة فى يوم احُد ثم خاطب الله سبحانه المومنين بقوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه والسبب فى ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج فى غزوة بدر يريد عير قريش مبادرا فلم يوعب الناس معه اذ كان الظن انه لا يلقى حربا فلما قضى الله ببدر ما قضى وفاز حاضروها بالمنزلة الرفيعة كان المتخلفون من المومنين عنها يتمنون حضور قتال الكفار ليكون منهم فى ذلك غناء يُلحقهم عند ربهم ونبيهم بمنزلة اهل بدر فلما جاء امر احُد لم يصدق كل المومنين فعاتبهم الله بهذه الآية والزمهم تمنى الموت من حيث تمنوا اسبابه وهو لقاء العدو ومضاربتهم والا فنفس قتل المشرك للمسلم لا يجوز ان يتمنى من حيث هو

قتل وانما تتمنى لواحقه من الشهادة والتنعيم قلت وفى كلام * ع * بعض اجمال وقد ترجم البخاري تمنى الشهادة ثم اسند عن ابى هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول والذى نفسى بيده لولا ان رجالا من المومنين لا تطيب انفسهم ان يتخلفوا عنى ولا اجد ما احملهم عليه ما تخلفت عن سَرِيّة تغزو فى سبيل الله والذى نفسى بيده لوددت انى اقتل فى سبيل الله ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل وخرجه ايضا مسلم وخرج البخاري ومسلم من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يموت له عند الله عزوجل خير يسره ان يرجع الى الدنيا وان الدنيا له وما فيها الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يسره ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة اه فقد تبين لك تمنى القتل فى سبيل الله بهذه النصوص لما فيه من الكرامة وصواب كلام * ع * ان يقول وانما يتمنى القتل للواحقه من الشهادة والتنعيم * وقوله سبحانه فقد رأيتموه يريد رأيتم اسبابه وقوله وانتم تنظرون تاكيد للرؤية واخراجها من الاشتراك الذى بين رؤية القلب ورؤية العين * وقوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية هذا استمرار فى عتبهم واقامة الحجة عليهم المعنى ان محمدا عليه السلام رسول كسائر الرسل قد بلّغ كما بلغوا ولزمكم ايها المومنون العمل بمضمن الرسالة وليست حياته وبقاؤه بين اظهركم شرطا فى ذلك لانه يموت كما ماتت الرسل قبله ثم توعد سبحانه المنقلب على عقيبه بقوله فلن يضر الله شيئا لان المعنى فانما يضر نفسه واياها يوبق ثم وعد الشاكرين وهم الذين صدقوا وصبروا ومضوا فى دينهم ووفوا لله بعهدهم كسعد بن الربيع ووصيته يومئذ للانصار وانس بن النضر وغيرهما ثم يدخل فى الآية الشاكرون الى يوم

القيامة وقال علي رضي الله عنه فى تفسير هذه الآية الشاكرون الثابتون على دينهم ابو بكر واصحابه وكان يقول ابو بكر امير الشاكرين اشارة منه الى صدع ابى بكر بهذه الآية يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم وثبوته فى ذلك الموطن وثبوته فى امر الردة وسائر المواطن التى ظهر فيها شكره وشكر الناس بسببه ثم اخبر عز وجل عن النفوس انها انما تموت باجل مكتوب محتوم عند الله تعالى اي فالجبن والخور لا يزيد فى الاجل والشجاعة والاقدام لا ينقص منه وفى هذه الآية تقوية للنفوس فى الجهاد وفيها رد على المعتزلة فى قولهم بالاجلين * وقوله سبحانه ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها الآية اي نوت من شئنا منها ما قدر له يبين ذلك قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وقرينة الكلام تقتضى انه لا يوتى شيئا من الآخرة لان من كانت نيته من عمله مقصورة على طلب الدنيا فلا نصيب له فى الآخرة والاعمال بالنيات وقرينة الكلام من قوله ومن يرد ثواب الآخرة نوته منها لا تمنع ان يوتى نصيبا من الدنيا قال ابن فورك فى قوله تعالى وسنجزى الشاكرين اشارة الى انه ينعمهم بنعم الدنيا لا انهم يقصرون على الآخرة ثم ضرب سبحانه المثل للمومنين بمن سلف من صالح الامم الذين لم يَثنهم عن دينهم قتل الكفار لانبيائهم فقال وكاين من نبيء قتل معه ربيون كثير الآية وفى كاين لغات فهذه اللغة اصلها لانها كاف التشبيه دخلت على ايّ وكاين فى هذه الآية فى موضع رفع بالابتداء وهي بمنزلة كم وبمعناها تعطى فى الاغلب التكثير وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو قتل مبني لما لم يسم فاعله وقرأ الباقون قاتل فقوله قتل قال فيه جماعة من المفسرين منهم الطبري انه مستند الى ضمير نبيء والمعنى عندهم ان النبي قتل ونحا اليه ابن عباس واذا كان هذا فربيون مرتفع بالظرف بلا خلاف وهو متعلق

بمحذوف وليس متعلقا بقتل وقال الحسن بن ابى الحسن وجماعة ان قتل انما هو مستند الى قوله ربيون وهم المقتولون قال الحسن وابن جبير لم يقتل نبي فى حرب قط قال * ع * فعلى هذا القول يتعلق قوله معه بقتل ورجح الطبري القول الاول بدلالة نازلة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان المومنين انما تخاذلوا يوم احد لما قيل قتل محمد فضرب المثل بنبي قتل وترجيح الطبري حسن ويؤيد ذلك ما تقدم من قوله افاين مات او قتل وحجة من قرأ قاتل انها اعم فى المدح لانه يدخل فيها من قتل ومن بقي قال * ع * ويحسن عندى على هذه القراءة استناد الفعل الى الربيين وقوله ربيون قال ابن عباس وغيره معناه جموع كثيرة وهو من الربة بكسر الراء وهي الجماعة الكثيرة وروي عن ابن عباس والحسن بن ابى الحسن وغيرهما انهم قالوا ربيون معناه علماء ويقوى هذا القول قراءة من قرأ ربيون بفتح الراء منسوبون الى الرب اما لانهم مطيعون له او من حيث انهم علماء بما شَرع * وقوله سبحانه وما استكانوا ذهبت طائفة من النحاة الى انه من السكون وذهبت طائفة الى انه ماخوذ من كان يكون واصله استكْوَنوا والمعنى انهم لم يضعفوا ولا كانوا قريبا من ذلك قلت واعلم رحمك الله ان اصل الوهن والضعف عن الجهاد ومكافحة العدو هو حب الدنيا وكراهية بذل النفوس لله وبذل مهجها للقتل فى سبيل الله الا ترى الى حال الصحابة رضي الله عنهم وقلتهم فى صدر الاسلام وكيف فتح الله بهم البلاد ودان لدينهم العباد لما بذلوا لله انفسهم فى الجهاد وحالنا اليوم كما ترى عدد اهل الاسلام كثير ونكايتهم فى الكفار نزر يسير وقد روى ابو داود فى سننه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الامم ان تتداعى عليكم كما تداعى الاكَلة الى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل

انتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينـزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت اه فانظر رحمك الله فهل هذا الزمان الا زماننا بعينه وتأمل حال ملوكنا انما همتهم جمع المال من حرام وحلال واعراضهم عن امر الجهاد فانا لله وانا اليه راجعون على مُصاب الاسلام * وقوله تعالى وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الآية هذه الآية فى ذكر الربيين اي هذا كان قولهم لا ما قاله بعضكم يا اصحاب محمد لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا الى غير ذلك مما اقتضته تلك الحال من الاقوال قلت وهذه المقالة ترجح القول الثاني فى تفسير الربيين اذ هذه المقالة انما تصدر من علماء عارفين بالله قال * ع * واستغفار هؤلاء القوم الممدوحين فى هذا الموطن ينحو الى انهم رأوا ان ما نزل من مصائب الدنيا انما هو بذنوب من البشر كما نزلت قصة اُحُد بعصيان من عصى وقولهم ذنوبنا واسرافنا فى امرنا عبارتان عن معنى قريب بعضه من بعض جاء للتأكيد ولتعم مناحي الذنوب وكذلك فسره ابن عباس وغيره وقال الضحاك الذنوب عام والاسراف فى الامر اريد به الكبائر خاصة فئاتاهم الله ثواب الدنيا بان اظهرهم على عدوهم وحسن ثواب الآخرة الجنة بلا خلاف قال الفخر ولا شك ان ثواب الآخرة هي الجنة وذلك غير حاصل فى الحال فيكون المراد انه سبحانه لما حكم لهم بحصولها فى الآخرة قام حكمه لهم بذلك مقام الحصول فى الحال ومحمل قوله آتاهم انه سيوتيهم قيل ولا يمتنع ان تكون هذه الآية خاصة بالشهداء وانه تعالى فى حال نزول هذه الآية كان قد آتاهم حسن ثواب الآخرة انتهى وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا ان تطيعوا الذين كفروا يعنى المنافقين الذين خيبوا المسلمين وقالوا فى امر اُحُد لو كان محمد نبيا لم ينهزم وقوله سبحانه

بل الله مولاكم وهو خير الناصرين هذا تثبيت لهم وقوله سبحانه سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب سبب هذه الآية انه لما ارتحل ابو سفيان بالكفار رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فتجهز واتبع المشركين وكان معبد بن ابى معبد الخزاعي قد جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له والله يا محمد لقد ساءنا ما اصابك وكانت خزاعة تميل الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركب معبد حتى لحق بابى سفيان فلما رأى ابو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد فى اصحابه يطلبكم فى جمع لم ار مثله يتحرقون عليكم قد اجتمع معه من كان تخلف عنه وندموا على ما صنعوا قال ويلك ما تقول قال والله ما اراك ان ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة اليهم قال فانى انهاك عن ذلك ووالله لقد حملنى ما رأيت على ان قلت فيهم شعرا قال وما قلت قال قلت

كادت تهدّ من الاصوات راحلتى * اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

تردى باسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل

فظلت عدوا اظن الارض مائلة * لما سموا برئيس غير مخذول

الى اخر الشعر فالقى الله الرعب فى قلوب الكفار وقال صفوان بن امية لا ترجعوا فانى ارى انه سيكون للقوم قتال غير الذى كان فنزلت الآية فى هذا الالقاء وهي بعدُ متناولة كل كافر قال الفخر لانه لا احد يخالف دين الاسلام الا وفى قلبه خوف من الرعب اما عند الحرب واما عند المحاجة انتهى وقوله سبحانه بما اشركوا هذه باء السبب والسلطان الحجة والبرهان قال * ص * قوله وبيس المخصوص بالذم محذوف اي النار وقوله سبحانه ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه جاء الخطاب لجميع المومنين وان كانت الامور التى عاتبهم

سبحانه عليها لم يقع فيها جميعهم ولذلك وجوه من الفصاحة منها وعظ الجميع وزجره اذ من لم يفعل مُعد ان يفعل ان لم يزجر ومنها الستر والابقاء على من فعل وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وعد المومنين النصر يومئذ على خبر الله ان صبروا وجدّوا فصدقهم الله وعده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم صاف المشركين يومئذ ورتب الرماة على ما قد ذكرناه قبل هذا واشتعلت نار الحرب وابلى حمزة بن عبد المطلب وابو دُجانة وعلي وعاصم بن ابى الاقلح وغيرهم وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا فهذا معنى قوله عزوجل اذ تحسونهم باذنه والحس القتل الذريع يقال حسهم اذا استاصلهم قتلا وحس البرد النبات وقوله سبحانه حتى اذا فشلتم يحتمل ان تكون حتى غاية كانه قال الى ان فشلتم والاظهر الاقوى ان اذا على بابها تحتاج الى الجواب ومذهب الخليل وسيبويه وفرسان الصناعة ان الجواب محذوف يدل عليه المعنى تقديره انهزمتم ونحوه والفشل استشعار العجز وترك الجد والتنازع هو الذى وقع بين الرماة وعصيتم عبارة عن ذهاب من ذهب من الرماة وتأمل رحمك الله ما يوجبه الركون الى الدنيا وما ينشأ عنها من الضرر واذا كان مثل هؤلاء السادة على رفعتهم وعظيم منزلتهم حصل لهم بسببها ما حصل من الفشل والهزيمة فكيف بامثالنا وقد حذر الله عزوجل ونبيه عليه السلام من الدنيا وءافاتها بما لا يخفى على ذى لب وقد ذكرنا فى هذا المختصر جملة كافية لمن وفقه الله وشرح صدره وقد خرج البغوي فى المسند المنتخب له عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفتح الدنيا على احد الا القت بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة انتهى من الكوكب الدري وقال عليه السلام للانصار لما تعرضوا له اذ سمعوا بقدوم ابى عبيدة بمال البحرين ابشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقرَ اخشى عليكم ولكنى اخشى ان تبسط الدنيا

عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم اخرجه البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له وقال هذا حديث صحيح انتهى واعلم رحمك الله ان تيسير اسباب الدنيا مع اعراضك عن امر اخرتك ليس ذلك من علامات الفلاح وقد روى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا ابن لَهيعة قال حدثنى سعيد بن ابى سعيد ان رجلا قال يا رسول الله كيف لى ان اعلم كيف انا قال اذا رأيت كلما طلبت شيئا من امر الآخرة وابتغيته يُسِّر لك واذا اردت شيئا من الدنيا وابتغيته عُسِّر عليك فانت على حال حسنة واذا رأيت كلما طلبت شيئا من امر الآخرة وابتغيته عُسِّر عليك واذا اردت شيئا من امر الدنيا وابتغيته يسر لك فانت على حال قبيحة انتهى فتأمله راشدا وقوله من بعد ما اراكم ما تحبون يعنى هزيمة المشركين قال الزبير والله لقد رأيتنى انظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون اخذهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة الى العسكر حين كشفْنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا ظهورنا للخيل فاوتينا من ادبارنا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وانكفأ علينا القوم وقوله سبحانه منكم من يريد الدنيا يعنى بهم الذين حرصوا على الغنيمة وكان المال همهم قاله ابن عباس وسائر المفسرين وقال عبد الله بن مسعود ما كنت ارى ان احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم احُد منكم من يريد الدنيا * وقوله سبحانه ومنكم من يريد الآخرة اخبار عن ثبوت من ثبت من الرماة مع عبد الله بن جبير امتثالا للامر حتى قتلوا ويدخل فى هذا انس بن النضر وكل من جد ولم يضطرب من المومنين * وقوله تعالى اذ تصعدون ولا تلوون على احد العامل فى اذ قوله عفا وقراءة الجمهور تصعدون بضم التاء وكسر العين من اصعد ومعناه ذهب فى الارض

والصعيد وجه الارض فاصعد معناه دخل في الصعيد كما ان اصبح دخل في الصباح * وقوله سبحانه ولا تلوون على احد مبالغة في صفة الانهزام وقرأ حميد بن قيس على احد بضم الالف والحاء يريد الجبل والمعني بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم لانه كان على الجبل والقراءة الشهيرة اقوى لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على الجبل الا بعد ما فر الناس وهذه الحال من اصعادهم انما كانت وهو يدعوهم وروي انه كان ينادي صلى الله عليه وسلم التي عباد الله والناس يفرون وفي قوله تعالى في اخراكم مدح له صلى الله عليه وسلم فان ذلك هو موقف الابطال في اعقاب الناس ومنه قول الزبير بن باطيا ما فعل مقدمتنا اذا حملنا وحاميتنا اذا فررنا وكذلك كان صلى الله عليه وسلم اشجع الناس ومنه قول سلمة بن الاكوع كنا اذا احمر الباس اتقيناه برسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى فاثابكم معناه جازاكم على صنيعكم واختلف في معنى قوله تعالى غما بغم فقال قوم المعنى اثابكم غما بسبب الغم الذي ادخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر المسلمين بفشلكم وتنازعكم وعصيانكم قال قتادة ومجاهد الغم الاول ان سمعوا الا ان محمدا قد قتل والثاني القتل والجراح * وقوله تعالى لكي لا تحزنوا على ما فاتكم اي من الغنيمة ولا ما اصابكم اي من القتل والجراح وذل الانهزام واللام من قوله لكي لا متعلقة باثابكم المعنى لتعلموا ان ما وقع بكم انما هو بجنايتكم فانتم اذيتم انفسكم وعادة البشر ان جاني الذنب يصبر للعقوبة واكثر قلق المعاقَب وحزنه انما هو مع ظنه البراءة بنفسه ثم ذكر سبحانه امر النعاس الذي امّن به المومنين فغشي اهل الاخلاص قلت وفي صحيح البخاري عن انس ان ابا طلحة قال عشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد قال فجعل سيفي يسقط

من يدى واخذه ويسقط واخذه ونحوه عن الزبير وابن مسعود والواو فى قوله وطائفة قد اهمتهم انفسهم واو الحال ذهب اكثر المفسرين الى ان اللفظة من الهم الذى هو بمعنى الغم والحزن * وقوله سبحانه يظنون بالله غير الحق معناه يظنون ان دين الاسلام ليس بحق وان امر محمد صلى الله عليه وسلم يضمحل قلت وقد وردت احاديث صحاح فى الترغيب فى حسن الظن بالله عز وجل ففى صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عزوجل يقول سبحانه انا عند ظن عبدى بى الحديث وقال ابن مسعود والله الذى لا اله غيره لا يحسن احد الظن بالله عزوجل الا اعطاه الله ظنه وذلك ان الخير بيده وخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن عبادة المرء حسن ظنه اهـ وقوله ظن الجاهلية ذهب الجمهور الى ان المراد مدة الجاهلية القديمة قبل الاسلام وهذا كقوله سبحانه حمية الجاهلية وتبرج الجاهلية وذهب بعض المفسرين الى ان المراد فى هذه الآية ظن الفرقة الجاهلية وهم ابو سفيان ومن معه قال قتادة وابن جريج قيل لعبد الله ابن ابي بن سلول قتل بنو الخزرج فقال وهل لنا من الامر من شيء يريد ان الرأي ليس لنا ولو كان لنا منه شيء لسمع من رأينا فلم يخرج فلم يُقتل احد منا * وقوله سبحانه قل ان الامر كله لله اعتراض اثناء الكلام فصيح ومضمنه الرد عليهم وقوله سبحانه يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك الآية اخبر تعالى عنهم على الجملة دون تعيين وهذه كانت سنته فى المنافقين لا اله الا هو * وقوله سبحانه يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا هي مقالة سمعت من مُعَتِّب بن قشير المغموص عليه بالنفاق وباقى الآية بين * وقوله تعالى وليبتلي الله ما فى صدوركم اللام فى ليبتلي متعلقة بفعل متأخر

تقديره وليبتلي وليمحص فعل هذه الامور الواقعة والابتلاء هنا الاختبار * وقوله سبحانه ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان قال عمر رضي الله عنه المراد بهذه الآية جميع من تولى ذلك اليوم عن العدو وقيل نزلت في الذين فروا الى المدينة قال ابن زيد فلا ادري هل عُفي عن هذه الطائفة خاصة ام عن المومنين جميعا * وقوله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ظاهره عند جمهور المفسرين انه كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها بتمكين الشيطان من استزلالهم بوسوسته وتخويفه والفرارُ من الزحف من الكبائر باجماع فيما علمت وقد عده صلى الله عليه وسلم في السبع الموبقات * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم الآية نهى الله المومنين ان يكونوا مثل الكفار المنافقين في هذا المعتقد الفاسد الذى هو ان من سافر في تجارة ونحوها ومن قاتل فقتل لو قعد في بيته لعاش ولم يمت في ذلك الوقت الذى عرض فيه نفسه للسفر او للقتال وهذا هو معتقد المعتزلة في القول بالاجلين او نحوٍ منه وصرح بهذه المقالة عبد الله بن ابي المنافق واصحابه قاله مجاهد وغيره والضرب في الارض السير في التجارة وغزى جمع غاز * وقوله تعالى ليجعل الله ذلك الاشارة بذلك الى هذا المعتقد الذى جعله الله حسرة لهم لان الذى يتيقن ان كل قتل وموت انما هو باجل سابق يجد برد الياس والتسليم لله سبحانه على قلبه والذى يعتقد ان حميمه لو قعد في بيته لم يمت يتحسر ويتلهف وعلى هذا التأويل مشى المتأولون وهو اظهر ما في الآية والتحسر التلهف على الشيء والغمّ به * وقوله سبحانه والله بما تعملون بصير توكيد للنهي في قوله ولا تكونوا ووعيد لمن خالفه ووعد لمن امتثله * وقوله سبحانه ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اللام في ولئن قتلتم هي المؤذنة بمجيء القسم واللام في قوله لمغفرة هي

المتلقية للقسم والتقدير والله لمغفرة وترتب الموت قبل القتل فى قوله تعالى ما ماتوا وما قتلوا مراعاة لترتب الضرب فى الارض والغزو وقدم القتل هنا لانه الاشرف الاهم ثم قدم الموت فى قوله تعالى ولئن متم او قتلتم لانها ءاية وعظ بالآخرة والحشر وءاية تزهيد فى الدنيا والحياة وفى الآية تحقير لامر الدنيا وحض على طلب الشهادة والمعنى اذا كان الحشر لا بد منه فى كلا الامرين فالمضي اليه فى حال شهادة اولى وعن سهل بن حُنَيف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه رواه الجماعة الا البخاري وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الشهادة صادقا اعطيها ولو لم تصبه انفرد به مسلم اه من سلاح المومن * وقوله سبحانه فبما رحمة من الله لنت لهم معناه فبرحمة قال القشيري فى التحبير واعلم ان الله سبحانه يحب من عباده من يرحم خلقه ولا يرحم العبد الا اذا رحمه الله سبحانه قال الله تعالى لنبيه عليه السلام فبما رحمة من الله لنت لهم اه قال * ع * ومعنى هذه الآية التقريع لكل من اخل يوم اُحد بمركزه اي كانوا يستحقون الملام منك ولكن برحمة منه سبحانه لنت لهم وجعلك على خلق عظيم وبعثك لتتميم محاسن الاخلاق ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك وتفرقوا عنك والفظ الجافى فى منطقه ومقاطعه وفى صفته صلى الله عليه وسلم فى الكتب المنزلة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق والفظاظة الجفوة فى المعاشرة قولا وفعلا وغلظ القلب عبارة عن تجهم الوجه وقلة الانفعال فى الرغائب وقلة الاشفاق والرحمة والانفضاضُ افتراق الجموع * وقوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم الآية امر سبحانه نبيه عليه السلام بهذه الاوامر التى هي بتدريج بليغ فامره ان يعفو عنهم فيما له عليهم من حق ثم يستغفر

لهم فيما لله عليهم من تبعة فاذا صاروا فى هذه الدرجة كانوا اهلا للاستشارة قال * ع * ومن لا يستشير اهل العلم والدين فعزله واجب هذا مما لا خلاف فيه وقد وردت احاديث كثيرة فى الاستشارة ومشاورته عليه السلام انما هي فى امور الحرب والبعوث ونحوه من اشخاص النوازل فاما فى حلال او حرام او حد فتلك قوانين شرع ما فرطنا فى الكتاب من شيء والشورى مبنية على اختلاف الآراء والمستشير ينظر فى ذلك الخلاف ويتخير فاذا ارشده الله الى ما شاء منه عزم عليه وانفذه متوكلا على الله اذ هو غاية الاجتهاد المطلوب منه وبهذا امر الله تعالى نبيه فى هذه الآية وصفة المستشار فى الاحكام ان يكون عالما ديّنا وقلما يكون ذلك الا فى عاقل فقد قال الحسن ابن ابى الحسن ما كمل دين امرئ لم يكمل عقله قال * ع * والتوكل على الله سبحانه وتعالى من فروض الايمان وفصوله ولكنه مقترن بالجد فى الطاعات والتشمير والحَزامة بغاية الجهد وليس الالقاء باليد وما اشبهه بتوكل وانما هو كما قال عليه السلام قيدها وتوكل * وقوله تعالى ان الله يحب المتوكلين هذه غاية فى الرفعة وشرف المنزلة وقد جاءت آثار صحيحة فى فضل التوكل وعظيم منزلة المتوكلين ففى صحيح مسلم عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من امتى سبعون الفا بغير حساب قالوا من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يَرْقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وخرج ابو عيسى الترمذي عن ابى امامة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول وعدنى ربى ان يدخل الجنة من امتى سبعين الفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربى وخرجه ابن ماجه ايضا وخرج ابو بكر البزار وابو عبد الله الترمذي الحكيم عن عبد الرحمن بن ابى بكر

الصديق رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه اعطانى سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر يا رسول الله فهلا استزدته قال قد استزدته فاعطانى مع كل واحد من السبعين الالف سبعين الفا فقال عمر يا رسول الله فهلا استزدته فقال قد استزدته فاعطانى هكذا وفتح ابو وهب يديه قال ابو وهب قال هشام هذا من الله لا يدرى ما عدده وخرج ابو نعيم عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وعدنى ربى ان يدخل الجنة من امتى مائة الف فقال ابو بكر يا رسول الله زدنا قال وهكذا واشار سليمان بن حرب بيده فقال ابو بكر يا رسول الله زدنا فقال عمر ان الله عز وجل قادر ان يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق عمر اه من التذكرة وما وقع من ذكر الحَثْية والحَفْنة ليس هو على ظاهره فالله سبحانه منزه عن صفات الاجسام * وقوله تعالى وان يخذلكم اي يترككم والخذل الترك والضمير فى من بعده يعود على اسم الله ويحتمل على الخذل * وقوله تعالى وما كان لنبيء ان يغل قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ان يغل بفتح الياء وضم الغين وقرأ باقى السبعة ان يغل بضم الياء وفتح الغين واللفظة بمعنى الخيانة فى خفاء تقول العرب اغل الرجل يغل اغلالا اذا خان واختلف على القراءة الاولى فقال ابن عباس وغيره نزلت بسبب قطيفة حمراء فقدت من المغانم يوم بدر فقال بعض الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فقيل كانت هذه المقالة من مومن لم يظن فى ذلك حرَجا وقيل كانت من منافقين وقد روي ان المفقود انما كان سيفا قال النقاش ويقال انما نزلت لان الرماة قالوا يوم احد الغنيمة الغنيمة فانا نخشى ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وقال ابن اسحاق الآية انما انزلت اعلاما بان النبى صلى الله عليه وسلم

لم يكتم شيئا مما امر بتبليغه واما على القراءة الثانية فمعناها عند الجمهور اي ليس لاحد ان يغل النبي اي يخونه فى الغنيمة لان المعاصي تعظم بحضرته لتعيين توقيره قال ابن العربي فى احكامه وهذا القول هو الصحيح وذلك ان قوما غلوا من الغنائم او هموا فانزل الله تعالى الآية فنهاهم الله عن ذلك رواه الترمذي اه * وقوله تعالى ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة الآية وعيد لمن يغل من الغنيمة او فى زكاته بالفضيحة يوم القيامة على رءوس الاشهاد قال القرطبي فى تذكرته قال علماؤنا رحمهم الله فى قوله تعالى ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة ان ذلك على الحقيقة كما بينه صلى الله عليه وسلم اي ياتى به حاملا له على ظهره ورقبته معذبا بحمله وثقله ومروعا بصوته وموبخا باظهار خيانته اه وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ادوا الخائط والمخيط فان الغلول عار ونار وشنار على اهله يوم القيامة رواه مالك فى الموطا قال ابو عمر فى التمهيد الشنار لفظة جامعة لمعنى العار والنار ومعناها الشين والنار يريد ان الغلول شين وعار ومنقصة فى الدنيا وعذاب فى الآخرة اه وفى الباب احاديث صحيحة فى الغلول وفى منع الزكاة * وقوله سبحانه افمن اتبع رضوان الله اي الطاعة الكفيلة برضوان الله قال * ص * افمن استفهام معناه النفي اي ليس من اتبع ما يؤول به الى رضى الله تعالى عنه فباء برضاه كمن لم يتبع ذلك فباء بسخطه اه * وقوله سبحانه هم درجات عند الله قال ابن اسحاق وغيره المراد بذلك الجمعان المذكوران اهل الرضوان واصحاب السخط اي لكل صنف منهم تباين فى نفسه فى منازل الجنة وفى اطباق النار ايضا وقال مجاهد والسدي ما ظاهره ان المراد بقوله هم انما هو لمتبعي الرضوان اي لهم درجات كريمة عند ربهم وفى الكلام حذف تقديره هم ذوو درجات والدرجات المنازل

بعضها اعلى من بعض فى المسافة او فى التكرمة او فى العذاب وباقى الآية وعد ووعيد * وقوله تعالى لقد منّ الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الآية اللام فى لقد لام القسم ومنّ فى هذه الآية معناه تطول وتفضل سبحانه وقد يقال منّ بمعنى كدر معروفه بالذكر فهي لفظة مشتركة وقوله من انفسهم اي فى الجنس واللسان والمجاورة فكونه من الجنس يوجب الانس به وكونه بلسانهم يوجب حسن التفهيم وكونه جارًا وربِيّا يوجب التصديق والطمانينة اذ قد خبروه وعرفوا صدقه وامانته ثم وقف الله سبحانه المومنين على الخطإ فى قلقهم للمصيبة التى نزلت بهم واعراضهم عما نزل بالكفار فقال او لما اصابتكم مصيبة اي يوم احد قد اصبتم مثليها اي يوم بدر اذ قتل من الكفار سبعون واسر سبعون هذا تفسير ابن عباس والجمهور وقال الزجاج واحِد المثلين هو قتل السبعين يوم بدر والثانى هو قتل اثنين وعشرين يوم احد ولا مدخل للاسرى لانهم قد فدوا وانى معناها كيف ومن اين قل هو من عند انفسكم اي حين خالفتم النبي صلى الله عليه وسلم فى الرأي حين رأى ان يقيم بالمدينة ويترك الكفار بشر محبس فابيتم الا الخروج وهذا هو تاويل الجمهور وقالت طائفة هو من عند انفسكم اشارة الى عصيان الرماة وتسبيبهم الهزيمة على المومنين وقال علي والحسن بل ذلك لما قبلوا الفداء يوم بدر وذلك ان الله سبحانه اخبرهم على لسان نبيه بين قتل الاسرى او ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدة الاسرى فاختاروا اخذ الفداء ورضوا بالشهادة فقتل منهم يوم احد سبعون قلت وهذا الحديث رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احمد بن نصر الداودي وعن الضحاك انى هذا اي باي ذنب هذا قال ابن عباس قل هو من عند انفسكم عقوبة لمعصيتكم لنبيكم عليه السلام

اه * وقوله سبحانه وما اصابكم يوم التقى الجمعان يعنى يوم احد * وقوله سبحانه وليعلم المومنين اي ليعلم الله المومن من المنافق والاشارة بقوله سبحانه نافقوا وقيل لهم هي الى عبد الله بن ابي واصحابه حين انخزل بنحو ثلث الناس فمشى فى اثرهم عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر بن عبد الله فقال لهم اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم وقاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا ونحو هذا من القول فقال له ابن ابي ما ارى ان يكون قتالا ولو علمنا ان يكون قتال لكنا معكم فلما يئس منهم عبد الله قال اذهبوا اعداء الله فسيغنى الله رسوله عنكم ومضى مع النبي صلى الله عليه فاستشهد * وقوله تعالى او ادفعوا قال ابن جريج وغيره معناه كثروا السواد وان لم تقاتلوا فيندفع القوم لكثرتكم وذهب بعض المفسرين الى ان قول عبد الله بن عمرو او ادفعوا استدعاء للقتال حمية اذ ليسوا باهل للقتال فى سبيل الله والمعنى قاتلوا فى سبيل الله او قاتلوا دفاعا عن الحوزة الا ترى ان قُزمان قال فى ذلك اليوم والله ما قاتلت الا على احساب قومي وقول الانصاري يومئذ لما ارسلت قريش الظهر فى الزروع اترعى زروع بني قيلة ولما نضارب * وقوله تعالى الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا الذين بدل من الذين المتقدم لاخوانهم اي لاجل اخوانهم او فى شأن اخوانهم المقتولين ويحتمل ان يريد لاخوانهم الاحياء من المنافقين ويكون الضمير فى اطاعونا للمقتولين وقعدوا جملة فى موضع الحال معترضة اثناء الكلام وقولهم لو اطاعونا يريدون فى ان لا يخرجوا وباقي الآية بين ثم اخبر سبحانه عن الشهداء انهم فى الجنة احياء يرزقون وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يطلع على الشهداء فيقول يا عبادى ما تشتهون فازيدكم فيقولون يا ربنا لا فوق ما اعطيتنا هذه الجنة ناكل منها حيث نشاء لكنا نريد ان تردنا الى الدنيا

فنقاتل فى سبيلك فنقتل مرة اخرى فيقول سبحانه قد سبق انكم لا تردون والاحاديث فى فضل الشهداء كثيرة قال الفخر والروايات فى هذا الباب كانها بلغت حد التواتر ثم قال قال بعض المفسرين ارواح الشهداء احياء وهي تركع وتسجد تحت العرش الى يوم القيامة اه والعقيدة ان الارواح كلها احياء لا فرق بين الشهداء وغيرهم فى ذلك الا ما خصص الله به الشهداء من زيادة المزية والحياة التى ليست بمكيفة وفى صحيح مسلم عن مسروق قال سألنا ابن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا فقد سألت عن ذلك فقال يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ارواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تاوى الى تلك القناديل الحديث الى ءاخره اه ومن الآثار الصحيحة الدالة على فضل الشهداء ما رواه مالك فى الموطإ انه بلغه ان عمرو ابن الجَموح وعبد الله بن عمرو الانصاريَّين ثم السُلميين كانا قد حفر السيل قبرهما وكان قبرهما مما يلى السيل وكانا فى قبر واحد وهما ممن استشهد يوم احد فحفر عنهما ليغيَّرا من مكانهما فوجدا لم يغيرا كانما ماتا بالامس وكان احدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم ارسلت فرجعت كما كانت وكان بين احد وبين يوم حفر عنهما ست واربعون سنة قال ابو عمر فى التمهيد حديث مالك هذا يتصل من وجوه صحاح بمعنى واحد متقارب وعبد الله بن عمرو هذا هو والد جابر بن عبد الله وعمرو بن الجموح هو ابن عمه ثم اسند ابو عمر عن جابر بن عبد الله قال لما اراد معاوية ان يجري العين باُحُد نودي بالمدينة من كان له قتيل فليات قتيله قال جابر فاتيناهم فاخرجناهم رطابا يتثنون فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانفطرت دما قال

ابو سعيد الخدري لا ينكر بعد هذا منكر ابدا وفى رواية فاستخرجهم يعنى معاوية بعد ست واربعين سنة لينة اجسادهم تتثنى اطرافهم قال ابو عمر الذى اصابت المسحاة اصبعه هو حمزة رضي الله عنه ثم اسند عن جابر قال رأيت الشهداء يخرجون على رقاب الرجال كانهم رجال نوّم حتى اذا اصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانثعبت دما اه * وقوله سبحانه ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم الآية معناه يسرون ويفرحون وذهب قتادة وغيره الى ان استبشارهم هو انهم يقولون اخواننا الذين تركناهم خلفنا فى الدنيا يقاتلون فى سبيل الله مع نبيهم فيستشهدون فينالون من الكرامة مثل ما نلنا نحن فيسرون لهم بذلك اذ يحصلون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وذهب فريق من العلماء الى ان الاشارة فى قوله بالذين لم يلحقوا الى جميع المومنين الذين لم يلحقوا بهم فى فضل الشهادة وذلك لما عاينوا من ثواب الله فهم فرحون لانفسهم بما اتاهم الله من فضله ومستبشرون للمومنين انهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم اكد سبحانه استبشارهم بقوله يستبشرون بنعمة ثم بين سبحانه بقوله وفضل ان ادخاله اياهم الجنة هو بفضل منه لا بعمل احد واما النعمة فى الجنة والدرجات فقد اخبر انها على قدر الاعمال قلت وخرج ابو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب صاحب ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاصى ان الشهداء فى قباب من حرير فى رياض خضر عندهم حوت وثور يظل الحوت يسبح فى انهار الجنة ياكل من كل رائحة فى انهار الجنة فاذا امسى وكزه الثور بقرنه فيذكيه فياكلون لحمه يجدون فى لحمه طعم كل رائحة ويبيت الثور فى افناء الجنة فاذا اصبح غدا عليه الحوت فوكزه بذنبه فيذكيه فياكلون فيجدون فى لحمه طعم كل رائحة فى الجنة ثم يعودون وينظرون الى منازلهم

من الجنة ويدعون الله عزوجل ان تقوم الساعة الحديث اه مختصرا وقد ذكره صاحب التذكرة مطولا وقرأ الكسائي وان الله بكسر الهمزة على استيناف الاخبار وقرأ باقي السبعة بالفتح على ان ذلك داخل فيما يستبشر به وقوله الذين استجابوا يحتمل ان يكون صفة للمومنين على قراءة من كسر الالف من ان والاظهر ان الذين ابتداء وخبره في قوله للذين احسنوا منهم الآية والمستجيبون لله والرسول هم الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد في طلب قريش * وقوله سبحانه الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم الآية الذين صفة للمحسنين وهذا القول هو الذى قاله الركب من عبد القيس لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حين حمّلهم ابو سفيان ذلك فالناس الاول هم الركب والناس الثاني عسكر قريش هذا قول الجمهور وهو الصواب وقول من قال ان الآية نزلت في خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر الصغرى لميعاد ابي سفيان وان الناس هنا هو نُعيم بن مسعود قول ضعيف وعن ابن عباس انه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه مسلم والبخاري انتهى وقوله سبحانه انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه الآية اشارة الى جميع ما جرى من اخبار الركب عن رسالة ابي سفيان ومن جزَع مَن جزِع من الخبر وقرأ الجمهور يخوف اولياءه قال قوم معناه يخوف المنافقين ومن في قلبه مرض وحكى ابو الفتح بن جِني عن ابن عباس انه قرأ يخوفكم اولياءه فهذه قراءة ظهر فيها المفعولان وهي مفسرة لقراءة الجماعة وفي قراءة ابي ابن كعب يخوفكم باوليائه وفي كتاب القصد الى الله تعالى للمحاسبي قال وكلها

عظمت هيبة الله عزوجل فى صدور الاولياء لم يهابوا معه غيره حياء منه عزوجل ان يخافوا معه سواه انتهى وقوله سبحانه ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر المسارعة فى الكفرهي المبادرة الى اقواله وافعاله والجد فى ذلك وسلى الله تعالى نبيه عليه السلام بهذه الآية عن حال المنافقين والمجاهرين اذ كلهم مسارع وقوله تعالى انهم لن يضروا الله شيئا خبر فى ضمنه وعيد لهم اي وانما يضرون انفسهم والحظ اذا اطلق فانما يستعمل فى الخير وقوله سبحانه ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم نملى معناه نمهل ونمد فى العمر والمعنى لا تحسبن املاءنا للذين كفروا خيرا لهم فالآية رد على الكفار فى قولهم ان كوننا موّلين اصحة دليل على رضى الله بحالتنا وقوله تعالى ما كان الله ليذر اي ليدع المومنين مختلطين بالمنافقين مشكلا امرهم حتى يميز بعضهم من بعض بما يظهره من هؤلاء وهؤلاء فى احُد من الافعال والاقوال هذا تفسير مجاهد وغيره وقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي فى امر احُد وما كان من الهزيمة وايضا فما كان الله ليطلعكم على المنافقين تصريحا وتسمية لهم ولكن بقرائن افعالهم واقوالهم قال الفخر وذلك ان سنة الله جارية بانه لا يطلع عوام الناس على غيبه اي لا سبيل لكم الى معرفة ذلك الامتياز الا بامتحانات كما تقدم فاما معرفة ذلك على سبيل الاطلاع من الغيب فهو من خواص الانبياء فلهذا قال تعالى ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء انتهى وقال الزجاج وغيره روي ان بعض الكفار قال لِم لا يكون جميعنا انبياء فنزلت هذه الآية ويجتبى معناه يختار ويصطفى وقوله سبحانه ولا يحسبن الذين يبخلون بما ءاتاهم الله من فضله الآية قال السدي وجماعة من المتأولين الآية نزلت فى البخل بالمال والانفاق فى سبيل الله واداء الزكاة المفروضة ونحو ذلك قال ومعنى سيطوقون

ما بخلوا به هو الذى ورد فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من ذى رحم ياتى ذا رحمه فيسأله من فضل عنده فيبخل عليه الا اخرج له يوم القيامة شجاع من النار يتلمظ حتى يطوقه قلت وفى البخاري وغيره عنه صلى الله عليه وسلم قال من ءاتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل لهٗ شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ياخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا هذه الآية ولا يحسبن الذين يبخلون بما ءاتاهم الله من فضله الآية قلت واعلم انه قد وردت ءاثار صحيحة بتعذيب العصاة بنوع ما عصوا به كحديث من قتل نفسه بحديدة فهو يَجَأُ نفسه بحديدته فى نار جهنم والذى قتل نفسه بالسم فهو يتحساه فى نار جهنم ونحو ذلك قال الغزالي فى الجواهر واعلم ان المعاني فى عالم الآخرة تستتبع الصور ولا تتبعها فيتمثل كل شيء بصورة توازى معناه فيحشر المتكبرون فى صور الذر يطأهم من اقبل وادبر والمتواضعون اعزاء انتهى وهو كلام صحيح يشهد له صحيح الآثار ويؤيده النظر والاعتبار اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه قال ابن العربي فى احكامه قال علماؤنا البخل منع الواجب والشح منع المستحب والصحيح المختار ان هذه الآية فى الزكاة الواجبة لان هذا وعيد لمانعيها والوعيد اذا اقترن بالفعل المامور به او المنهي عنه اقتضى الوجوب او التحريم انتهى وتعميمها فى جميع انواع الواجب احسن وقوله سبحانه ولله ميراث السموات والارض خطاب على ما يفهمه البشر دال على فناء الجميع وانه لا يبقى مالك الا الله سبحانه * وقوله سبحانه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء الآية نزلت بسبب فنحاص اليهودي واشباهه كحيي بن اخطب وغيره لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قالوا يستقرضنا ربنا انما يستقرض الفقيرُ الغني وهذا من تحريف اليهود

للتاويل على نحو ما صنعوا فى توراتهم * وقوله تعالى قول الذين قالوا دال على انهم جماعة * وقوله تعالى سنكتب ما قالوا الآية وعيد لهم اي سنحصى عليهم قولهم و يتصل ذلك بفعل ءابائهم من قتل الانبياء بغير حق * وقوله سبحانه وان الله اي و بان الله ليس بظلام للعبيد قال * ص * قيل المراد هنا نفي القليل والكثير من الظلم كقول طرفة

ولست بحلّال التِلاع مخافة * ولكن متى يسترفد القوم ارفد

ولا يريد انه قد يحل التلاع قليلا و زاد ابو البقاء وجها ءاخر وهو ان يكون على النسب اي لا ينسب سبحانه الى ظلم فيكون من باب بزاز وعطار انتهى قلت وهذا القول احسن ما قيل هنا فمعنى وما ربك بظلام اي بذى ظلم * وقوله سبحانه الذين قالوا ان الله عهد الينا الآية هذه المقالة قالتها احبار اليهود مدافعة لامر النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انك لم تاتنا بقربان تاكله النار فنحن قد عُهد الينا الا نومن لك * وقوله تعالى قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم من امر القربان والمعنى ان هذا منكم تعلل وتعنت ولو اتيتكم بقربان لتعللتم بغير ذلك ثم انس سبحانه نبيه بالاسوة والقدوة فيمن تقدم من الانبياء قال الفخر والمرادِ بالبينات المعجزات انتهى والزبر الكتاب المكتوب قال الزجاج زبرت كتبت * وقوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت الآية وعظ فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته عن امر الدنيا واهلها ووعد بالفلاح فى الآخرة فبالفكرة فى الموت يهون امر الكفار وتكذيبهم وانما توفون اجوركم اي على الكمال ولا محالة ان يوم القيامة تقع فيه توفية الاجور وتوفية العقوبات و زحزح معناه ابعد والمكان الزحزاح البعيد وفاز معناه نجا من خطره وخوفه والغرور الخدع والترجية بالباطل والحياة الدنيا وكل ما فيها من الاموال هي متاع قليل

يخدع المرء ويمنّيه الاباطيل وعلى هذا فسر الآية جمهور المفسرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم لَموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ثم تلا هذه الآية قلت واسند ابو بكر بن الخطيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما سكن حب الدنيا قلب عبد قط الا التاط منها بخصال ثلاث امل لا يبلغ منتهاه وفقر لا يدرك غناه وشغل لا ينفك عناه انتهى * وقوله تعالى لتبلون فى اموالكم وانفسكم الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته والمعنى لتختبرن ولتمتحنن فى اموالكم بالمصائب والارزاء وبالانفاق فى سبيل الله وفى سائر تكاليف الشرع والابتلاء فى الانفس بالموت والامراض وفقد الاحبة قال الفخر قال الواحدي اللام فى لتبلون لام قسم انتهى * وقوله ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب الآية قال عكرمة وغيره السبب فى نزولها اقوال فنحاص وقال الزهري وغيره نزلت بسبب كعب بن الاشرف حتى بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله والاذى اسم جامع فى معنى الضرر وهو هنا يشمل اقوالهم فيما يخص النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من سب واقوالهم فى جهة الله سبحانه وانبيائه وندب سبحانه الى الصبر والتقوى واخبر انه من عزم الامور اي من اشدها واحسنها والعزم امضاء الامر المرَوّى المنقح وليس ركوب الرأي دون روِية عزما * وقوله سبحانه واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآية توبيخ لمعاصرى النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو مع ذلك خبر عام لهم ولغيرهم قال جمهور من العلماء الآية عامة فى كل من علمه الله علما وعلماء هذه الامة داخلون فى هذا الميثاق وقد قال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار والضمير فى لتبيننه ولا تكتمونه عائد على الكتاب والنبذ الطرح واظهر الاقوال فى هذه الآية انها نزلت فى اليهود وهم المعنيون ثم كل كاتم من هذه الامة ياخذ بحظه

من هذه المذمة ❊ وقوله سبحانه لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الآية ذهبت جماعة الى ان الآية فى المنافقين وقالت جماعة كبيرة انما نزلت فى اهل الكتاب احبار اليهود قال سعيد بن جبير الآية فى اليهود فرحوا بما اعطى الله ءال ابراهيم من النبوءة والكتاب فهم يقولون نحن على طريقهم ويحبون ان يحمدوا بذلك وهم ليسوا على طريقهم وقراءة سعيد بن جبير بما اوتوا بمعنى اعطوا بضم الهمزة والطاء وعلى قراءته يستقيم المعنى الذى قال والمفازة مفعلة من فاز يفوز اذا نجا وباقى الآية بين ثم دل سبحانه على مواضع النظر والعبرة فقال ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار اي تعاقب الليل والنهار اذ جعلهما سبحانه خلفة ويدخل تحت اختلافهما قصر احدهما وطول الآخر وبالعكس واختلافهما بالنور والظلام والآيات العلامات الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته سبحانه قال الفخر واعلم ان المقصود من هذا الكتاب الكريم جذب القلوب والارواح عن الاشتغال بالخلق والاستغراق فى معرفة الحق فلما طال الكلام فى تقرير الاحكام والجواب عن شبهات المبطلين عاد الى اثارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء والجلال وذكر الادعية فختم بهذه الآيات بنحو ما فى سورة البقرة انتهى ❊ وقوله سبحانه الذين يذكرون الله قياما وقعودا الذين فى موضع خفض صفة لاولى الالباب وهذا وصف ظاهره استعمال التحميد والتهليل والتكبير ونحوه من ذكر الله وان يحضر القلب اللسان وذلك من اعظم وجوه العبادات والاحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة وابن ءادم متنقّل فى هذه الثلاث الهيئات لا يخلو فى غالب امره منها فكانها تحصر زمنه وكذلك جرّت عائشة رضي الله عنها الى حصر الزمن فى قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه قلت خرجه ابو داود فدخل فى

ذلك كونه على الخلاء وغيره وذهب جماعة الى ان قوله تعالى الذين يذكرون الله انما هو عبارة عن الصلاة اي لا يضيعونها ففي حال العذر يصلونها قعودا وعلى جنوبهم ثم عطف على هذه العبادة التي هي ذكر الله باللسان او الصلاة فرضها وندبها بعبادة اخرى عظيمة وهي الفكرة في قدرة الله تعالى ومخلوقاته والعبر التي بث

وفي كل شيء له اية * تدل على انه واحد

قال الغزالي ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله وتحصيل الانس بذكر الله تعالى والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر انتهى من الاحياء ومر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يتفكرون في الله فقال تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانكم لا تقدُرون قدره قال * ع * وهذا هو قصد الآية في قوله ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال بعض العلماء المتفكر في ذات الله كالناظر في عين الشمس لانه سبحانه ليس كمثله شيء وانما التفكر وانبساط الذهن في المخلوقات وفي احوال الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عبادة كتفكر وقال ابن عباس وابو الدرداء فكرة ساعة خير من قيام ليلة وقال سَرِيٌّ السَّقَطي فكرة ساعة خير من عبادة سنة ما هو الا ان تحل اطناب خيمتك فتجعلها في الآخرة وقال الحسن بن ابي الحسن الفكرة مرءاة المومن ينظر فيها الى حسناته وسيئاته واخذ ابو سليمان الداراني قدح الماء ليتوضأ لصلاة الليل وعنده ضيف فرءاه لما ادخل اصبعه في اذن القدح اقام كذلك مفكرا حتى طلع الفجر فقال له ما هذا يا ابا سليمان فقال اني لما طرحت اصبعي في اذن القدح تذكرت قول الله سبحانه اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل فتفكرت في حالي وكيف اتلقى الغل ان طرح في عنقي يوم القيامة فما زلت في ذلك حتى اصبح قال * ع * وهذه نهاية الخوف وخير الامور اوساطها وليس علماء

لامة الذين هم الحجة على هذا المنهاج وقراءة علم كتاب الله ومعانى سنة رسوله لمن يفهم ويرجى نفعه افضل من هذا لكن يحسن ان لا تخلو البلاد من مثل هذا قال * ع * وحدثنى ابى رحمه الله عن بعض علماء المشرق قال كنت بائتا فى مسجد الاقدام بمصر فصليت العتمة فرأيت رجلا قد اضطجع فى كساء له حتى اصبح وصلينا نحن تلك الليلة وسهرنا فلما اقيمت صلاة الصبح قام ذلك الرجل فاستقبل القبلة وصلى مع الناس فاستعظمت جرءته فى الصلاة بغير وضوء فلما فرغت الصلاة خرج فتبعته لاعظه فلما دنوت منه سمعته وهو ينشد

منسجن الجسم غائب حاضر * منتبه القلب صامت ذاكر
منبسط فى الغيوب منقبض * كذاك من كان عارفا ناكر
يبيت فى ليله اخا فكر * فهو مدى الليل نائم ساهر

قال فعلمت انه ممن يعبد الله بالفكرة فانصرفت عنه قال الفخر ودلت الآية على ان اعلى مراتب الصديقين التفكر انتهى وفى العتبية قال مالك قيل لام الدرداء ما كان اكثر شان ابى الدرداء قالت كان اكثر شانه التفكر قال مالك وهو من الاعمال وهو اليقين قال الله عز وجل ويتفكرون فى خلق السموات والارض قال ابن رشد والتفكر من الاعمال كما قاله مالك رحمه الله وهو من اشرف الاعمال لانه من اعمال القلوب التى هي اشرف الجوارح الا ترى انه لا يثاب احد على عمل من اعمال الجوارح من سائر الطاعات الا مع مشاركة القلوب لها باخلاص النية لله عز وجل فى فعلها انتهى من البيان والتحصيل قال ابن بطال ان الانسان اذا كمل ايمانه وكثر تفكره كان الغالب عليه الاشفاق والخوف انتهى قال ابن عطاء الله الفكرة سير القلب فى ميادين الاعتبار والفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له قلت قال بعض المحققين

وذلك ان الانسان اذا تفكر علم واذا علم عمل قال ابن عباد قال الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله التفكر نعت كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم ثم فكر الزاهدين فى فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها فيزدادون بالفكر زهدا وفكر العابدين فى جميل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه وفكر العارفين فى الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للحق سبحانه انتهى * وقوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا اي يقولون ياربنا على النداء ما خلقت هذا باطلا يريد لغير غاية منصوبة بل خلقته وخلقت البشر لينظروا فيه فيوحدوك ويعبدوك فمن فعل ذلك نعمته ومن ضل عن ذلك عذبته وقولهم سبحانك اي تنزيها لك عما يقول المبطلون وقولهم ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي فلا تفعل ذلك بنا والخزي الفضيحة المخجلة الهادمة لقدر المرء قال انس بن مالك والحسن بن ابى الحسن وابن جريج وغيرهم هذه اشارة الى من يخلد فى النار واما من يخرج منها بالشفاعة والايمان فليس بمخزي اي وما اصابه من عذابها انما هو تمحيص لذنوبه * وقوله سبحانه وما للظالمين من انصار هو من قول الداعين * وقوله سبحانه ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان الآية حكاية عن اولى الالباب قال ابو الدرداء يرحم الله المومنين ما زالوا يقولون ربنا ربنا حتى استجيب لهم قال ابن جريج وغيره المنادى محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المنادى كتاب الله وليس كلهم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وسمعه وقولهم ما وعدتنا على رسلك معناه على السنة رسلك وقولهم ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد اشارة الى قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبيء والذين ءامنوا معه فهذا وعده تعالى وهو دال على ان الخزي انما هو مع الخلود قال * ص * قال ابو البقاء الميعاد مصدر بمعنى الوعد اه * وقوله سبحانه فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع

عملٍ عامل منكم من ذكر او انثى الآية استجاب بمعنى اجاب روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله قد ذكر الله تعالى الرجال فى الهجرة ولم يذكر النساء فى شيء من ذلك فنزلت الآية وهي ءاية وعد من الله اي هذا فعله سبحانه مع الذين يتصفون بما ذكر قال الفخر روي عن جعفر الصادق انه قال من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية قال لان الله تعالى حكى عنهم انهم قالوا ربنا خمس مرات ثم اخبر انه استجاب لهم انتهى * وقوله تعالى بعضكم من بعض يعني فى الاجر وتقبل الاعمال اي ان الرجال والنساء فى ذلك على حد واحد قال الفخر قوله سبحانه بعضكم من بعض اي شبه بعض او مثل بعض والمعنى انه لا تفاوت فى الثواب بين الذكر والانثى اذا استووا فى الطاعة وهذا يدل على ان الفضل فى باب الدين انما هو بالاعمال لا بسر صفات العاملين لان كونهم ذكرا او انثى او من نسب خسيس او شريف لا تاثير له فى هذا الباب انتهى وبين سبحانه حال المهاجرين ثم الآية بعد تنسحب على كل من اوذي فى الله وهاجر ايضا الى الله الى يوم القيامة * وقوله سبحانه واخرجوا من ديارهم عبارة فيها الزام الذنب للكفار واللام فى قوله لاكفرن لام القسم وثوابا مصدر موكد وباقى الآية بين * وقوله سبحانه لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد الآية نزلت لا يغرنك فى هذه الآية منزلة لا تظن ان حال الكفار حسنة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته والتقلب التصرف فى التجارات والارباح والحروب وسائر الآمال وقوله نزلا معناه تكرمة * وقوله تعالى وما عند الله خير للابرار يحتمل ان يريد خير مما هؤلاء فيه من التقلب والتنعم ويحتمل ان يريد خيرمما هم فيه فى الدنيا وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر

قال القاضـى ابن الطيـب هذا بالاضافـة الى ما يصير اليه كل واحد منهما فى الآخرة وقيل المعنى انها سجن المومن لانها موضع تعبه فى الطاعة * وقوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انـزل اليكم وما انـزل اليهم خاشعيـن لله قال جابر بن عبد الله وغيره هذه الآية نـزلـت بسبب اصحمـة النجاشي سلطان الحبشة ءامن بالله وبمحمد عليه السلام واصْحَمة تـفسيره بالعربية عطية قاله سفيان وغيـره وقال قوم نـزلـت فى عبد الله بن سلام وقال ابن زيد ومجاهد نـزلـت فى جميع من ءامن من اهل الكتاب * وقوله سبحانه لا يشترون بـئـايـات الله ثمنا قليلا مدح لهم وذم لسائر كفار اهل الكتـاب لتبديلهم وايثارهم مكاسب الدنيا على ءاخرتهم وعلى ءايـات الله سبحانه ثم ختم الله سبحانـه السـورة بهذه الـوَصـاة التى جمعت الظهور فى الدنيا على الاعداء والفوز بنعيم الآخرة فحض سبحانه على الصبر على الطاعات وعن الشهوات وامر بالمصابرة فـقيل معناه مصابرة الاعداء قاله زيد بن اسلم وقيل معنـاه مصابـرة وعد الله فى النصر قاله محمد بن كعب القرظـي اي لا تسأموا وانـتـظروا الفرج وقد قال صلى الله عليه وسلم انـتـظار الفرج بالصبر عبادة قال الفخر والمصابـرة عبـارة عن تحمل المكاره الواقعة بيـن الانسان وبيـن الغيـر انـتـهى وقوله ورابطوا معناه عند الجمهور رابطوا اعداءكم الخيل اي ارتبطوها كما يرتبطها اعداؤكم قلت وروى مسلم فى صحيحه عن سلمان قـال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول رباط يـوم وليلة خيـر من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله واجري عليه رزْقه وامن الفتان وخرج الترمذي عن فَضالة بن عُبـيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذى مات مرابطـا فى سبـيـل الله فانه ينمو عمله الى يـوم القيامة ويامن من فـتـنة القبر قال ابـو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابـو داود

بمعناه وقال ويومن من فتاني القبر وخرجه ابن ماجه باسناد صحيح عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا فى سبيل الله اجرى الله عليه اجر عمله الصالح الذى كان يعمل واجرى عليه رزقه وامن الفتان ويبعثه الله ءامنا من الفزع وروى مسلم والبخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها انتهى وجاء فى فضل الرباط احاديث كثيرة يطول ذكرها قال صاحب التذكرة وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرباط يوم فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان اعظم اجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم فى رمضان افضل عند الله واعظم اجرا أُراه قال من عبادة الفي سنة صيامها وقيامها الحديث ذكره القرطبي مسندا انتهى والرباط هو الملازمة فى سبيل الله اصلها من ربط الخيل ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور الاسلام مرابطا فارسا كان او راجلا واللفظة ماخوذة من الربط قلت قال الشيخ زين الدين العراقي فى اختصاره لغريب القرءان لابى حيان معنى رابطوا دوموا واثبتوا ومتى ذكرت العراقي فمرادى هذا الشيخ انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه ان هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا انما نزلت فى انتظار الصلاة خلف الصلاة قاله ابو سلمة بن عبد الرحمن قال ولم يكن يومئذ عدو يرابط فيه انتهى وقوله سبحانه لعلكم تفلحون ترج فى حق البشر والحمد لله حق حمده

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النساء مدنية

الا ءاية واحدة نزلت بمكة عام الفتح وهي ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى

اهلها الآية وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما نزلت سورة النساء الا وانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تعنى قد بنى بها * قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الآية في الآية تنبيه على الصانع وعلى افتتاح الوجود وفيها حض على التواصل لحرمة هذا النسب والمراد بالنفس ءادم صلى الله عليه وسلم وقال واحدة على تانيث لفظ النفس وزوجها يعني حواء قال ابن عباس وغيره خلق الله ءادم وحشا في الجنة وحده ثم نام فانتزع الله احدى اضلاعه القُصَيْرى من شماله وقيل من يمينه فخلق منها حواء ويعضد هذا الحديث الصحيح في قوله صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع اعوج الحديث وبث معناه نشر كقوله تعالى كالفراش المبثوث اي المنتشر وفي تكرير الامر بالتقوى تاكيد لنفوس المامورين وتساءلون معناه تتعاطفون به فيقول احدكم اسألك بالله وقوله والارحام اي واتقوا الارحام وقرأ حمزة والارحام بالخفض عطفا على الضمير كقولهم اسألك بالله وبالرحم قاله مجاهد وغيره قال * ع * وهذه القراءة عند نحاة البصرة لا تجوز لانه لا يجوز عندهم ان يعطف ظاهر على مضمر مخفوض الا في ضرورة الشعر كقوله * فاذهب فما بك والايام من عجب * لان الضمير المخفوض لا ينفصل فهو كحرف من الكلمة ولا يعطف على حرف واستسهل بعض النحاة هذه القراءة انتهى كلام * ع * قال * ص * والصحيح جواز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار كمذهب الكوفيين ولا ترد القراءة المتواترة بمثل مذهب البصريين قال وقد امعنا الكلام عليه في قوله تعالى وكفر به والمسجد الحرام انتهى وهو حسن ونحوه للامام الفخر وفي قوله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا ضرب من الوعيد قال المحاسبي سألت ابا جعفر محمد بن موسى فقلت اجمل حالات العارفين ما هي فقال ان

الحال التى تجمع لتك الحالات المحمودة كلها فى حالة واحدة هي المراقبة فالزم نفسك وقلبك دوام العلم بنظر الله اليك فى حركتك وسكونك وجميع احوالك فانك بعين الله عز وجل فى جميع تقلباتك وانك فى قبضته حيث كنت وان عين الله على قلبك وناظر الى سرك وعلانيتك فهذه الصفة يا فتى بحر ليس له شط بحر تجرى منه السواقى والانهار وتسير فيه السفن الى معادن الغنيمة انتهى من كتاب القصد الى الله سبحانه * وقوله سبحانه وءاتوا اليتامى اموالهم الآية قال ابن زيد هذه مخاطبة لمن كانت عادته من العرب ان لا يرث الصغير من الاولاد وقالت طائفة هذه مخاطبة للاوصياء قال ابن العربي وذلك عند الابتلاء والارشاد انتهى * وقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال ابن المسيب وغيره هو ما كان يفعله بعضهم من ابدال الشاة السمينة من مال اليتيم بالهزيلة من ماله والدرهم الطيب بالزائف وقيل المراد لا تاكلوا اموالهم خبيثا وتدعوا اموالكم طيبا وقيل غير هذا والطيب هنا الحلال والخبيث الحرام وقوله الى اموالكم التقدير ولا تضيفوا اموالهم الى اموالكم فى الاكل والضمير فى انه عائد على الاكل والحوب الاثم قاله ابن عباس وغيره وتحوّب الرجل اذا القى الحوب عن نفسه وكذلك تحنث وتأثم وتحرج فان هذه الاربعة بخلاف تفعّل كله لان تفعل معناه الدخول فى الشيء كتعبد وتكسب وما اشبهه ويلحق بهذه الاربعة تفكهون فى قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون اي تطرّحون الفُكاهة عن انفسكم * وقوله تعالى كبيرا نص على ان اكل مال اليتيم من الكبائر * وقوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى الآية قال ابو عبيدة خفتم هاهنا بمعنى ايقنتم قال * ع * وما قاله غير صحيح ولا يكون الخوف بمعنى اليقين بوجه وانما هو من افعال التوقع الا انه قد يميل فيه الظن

الى احدى الجهتين قلت وكذا رد الداودي على ابي عبيدة ولفظه وعن ابي عبيدة فان خفتم الا تعدلوا مجازه ايقنتم قال ابو جعفر بل هو على ظاهر الكلمة انتهى وتقسطوا معناه تعدلوا يقال اقسط الرجل اذا عدل وقسط اذا جار قالت عائشة رضي الله عنها نزلت هذه الآية في اولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال ولياتهم فيريدون ان يبخسوهن في المهر لمكان ولايتهم عليهن فقيل لهم اقسطوا في مهورهن فمن خاف الا يقسط فليتزوج ما طاب له من الاجنبيات اللواتي يكايسن في حقوقهن وقاله ربيعة قال الحسن وغيره ما طاب معناه ما حل وقيل ما ظرفية اي ما دمتم تستحسنون النكاح وضعف قلت وفي تضعيفه نظر فتأمله قال الامام الفخر وفي تفسير ما طاب بما حل نظر وذلك ان قوله تعالى فانكحوا امر اباحة فلوكان المراد بقوله ما طاب لكم اي ما حل لكم لتنزلت الآية منزلة ما يقال ابحنا لكم نكاح من يكون نكاحها مباحا لكم وذلك يخرج الآية عن الفائدة ويصيرها مجملة لا محالة اما اذا حملنا طاب على استطابة النفس وميل القلب كانت الآية عامة دخلها التخصيص وقد ثبت في اصول الفقه انه اذا وقع التعارض بين الاجمال والتخصيص كان رفع الاجمال اولى لان العام المخصص حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة اصلا انتهى وهو حسن ومثنى وثلاث ورباع موضعها من الاعراب نصب على البدل من ما طاب وهي نكرات لا تنصرف لانها معدولة وصفة * وقوله فواحدة اي فانكحوا واحدة او ما ملكت ايمانكم يريد به الاماء والمعنى ان خاف ان لا يعدل في عشرة واحدة فما ملكت يمينه واسند الملك الى اليمين اذ هي صفة مدح واليمين مخصوصة بالمحاسن الا ترى انها المنفقة كما قال عليه السلام حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وهي المعاهدة المبايعة قال ابن العربي قال علماؤنا وفي الآية دليل على ان ملك

اليميـن لا حـق لـه فى الـوطء والقسم لان المعنى فان خفتم الا تعدلـوا فى القسم فواحدة او ما ملكت ايمانكم فجعل سبحانه ملك اليميـن كله بمنـزلة الواحدة فانتفى بذلك ان يكون للامة حق فى وطء او قسم انـتهى من الاحكام * وقوله ذلـك ادنى الا تعولـوا ادنى معناه اقـرب الا تعولـوا اي الا تميلـوا قاله ابن عباس وغيره وقالت فرقـة معناه ادنى الا يكثر عيالكم وقدح فى هذا الزجاج وغيره * وقوله تعالى وءاتـوا النساء صدقاتهن نحلة الآية قـال ابن عباس وغيـره الآية خطاب للازواج وقال ابـو صالح هي خطاب لاوليـاء النسـاء لان عـادة بعض العرب كانت ان ياكل ولي المـرأة مهرها فرفـع الله ذلك بالاسلام وقيل ان الآية فى المتشاغرين الذين يتزوجون امرأة باخرى فامروا ان يضربـوا المهور قال * ع * والآية تتـناول هذه التاويلات الثلاث ونحلة اي عطية منكم لهن وقيل نحلة معناه شرعة ماخوذ من النحل وقيـل التـقديـر نحلة من الله لهـن قـال ابن العربي وذلـك ان النحلة في اللغة العطية عن غير عوض انتهى * وقوله فان طبن لكم عن شيء منه نـفسا الآية الخطاب حسبما تـقـدم من الاختـلاف والمعنى ان وهبن غيـر مكرهات طيبة نـفوسهن والضميـر فى منه يعود على الصداق قاله عكرمة وغيـره ومن تـتضمن الجنس هاهنا ولذلـك يجوز ان تهب المهر كله * وقوله تعالى هنيئـا مريئـا قـال اللغويون الطعام الهنيء هو السائغ المستحسن الحميد المغبة وكذلك المريء * وقوله سبحانه ولا توتوا السفهاء اموالكم قال ابو موسى الاشعري وغيـره نـزلت فى كل من اقـتضى الصفة التى شرط الله من السفه كان من كان وقوله اموالكم يريـد امـوال المخاطبيـن قاله ابـو موسى الاشعـري وابـن عبـاس والحسن وغيرهم وقال ابن جبيـر يـريد اموال السفهاء واضافها الى المخاطبيـن اذ هي كاموالهم وقيما جمع قيمة * وقوله تعالى وارزقوهم فيـها الآية قيل معناه فيمـن

تلزم الرجل نفقته وقيل في المحجورين من اموالهم ومعروفا قيل معناه ادعوا لهم وقيل معناه عدوهم وعدا حسنا اي ان رشدتم دفعنا لكم اموالكم ومعنى اللفظة كل كلام تعرفه النفوس وتانس اليه ويقتضيه الشرع * وقوله وابتلوا اليتامى الآية الابتلاء الاختبار وبلغوا النكاح معناه بلغوا مبلغ الرجال بحُلم او حيض او غير ذلك ومعناه جربوا عقولهم وقرائحهم وتصرفهم وآنستم معناه علمتم وشعرتم وخبرتم ومالك رحمه الله يرى الشرطين البلوغ والرشد المختبر وحينئذ يدفع المال قال * ع * والبلوغ لم تسقه الآية سياق الشرط ولكنها حالة الغالب على بنى ءادم ان تلتئم عقولهم فيها فهو الوقت الذى لا يعتبر شرط الرشد الا فيه فقال اذا بلغ ذلك الوقت فلينظر الى الشرط وهو الرشد حينئذ وفصاحة الكلام تدل على ذلك لان التوقيت بالبلوغ جاء باذا والمشروط جاء بان التى هي قاعدة حروف الشرط واذا ليست بحرف شرط الا في ضرورة الشعر قال ابن عباس الرشد في العقل وتدبير المال لا غير وهو قول ابن القاسم في مذهبنا وقال الحسن وقتادة الرشد في العقل والدين وهو رواية ايضا عن مالك * وقوله تعالى ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا نهي منه سبحانه للاوصياء عن اكل اموال اليتامى بغير الواجب المباح لهم والاسراف الافراط في الفعل والسرف الخطأ في مواضع الانفاق وبدارا معناه مبادرة كبرهم اي ان الوصي يستغنم مال محجوره وان يكبروا نصب ببدار ويجوز ان يكون التقدير مخافة ان يكبروا * وقوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف يقال عف الرجل عن الشيء واستعف اذا امسك فامر الغني بالامساك عن مال اليتيم واباح الله للوصي الفقير ان ياكل من مال يتيمه بالمعروف واختلف العلماء في حد المعروف فقال ابن عباس وغيره انما ياكل الوصي بالمعروف اذا شرب من اللبن واكل من التمر بما يهنا الجرباء ويلط الحوض ويجد التمر وما اشبهه

قلت يقال للقطران الهِناء في لغة العرب كذا رأيته منصوصا عليه * وقوله تعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم امر من الله تعالى بالتحرز والحزم وهذا هو الاصل في الاشهاد في المدفوعات كلها اذا كان حبسها اولا معروفا قال * ع * والاظهر ان حسيبا هنا معناه حاسبا اعمالكم ومجازيا بها ففي هذا وعيد لكل جاحد حق * وقوله سبحانه للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية قال قتادة وغيره سبب نزول هذه الآية ان العرب كان منها من لا يورِّث النساء ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرمح وقاتل بالسيف * وقوله تعالى واذا حضر القسمة اولوا القربى الآية اختلف فيمن خوطب بهذه الآية فقيل الخطاب للوارثين وقيل للمحتضَرين والمعنى اذا حضركم الموت ايها المومنون وقسمتم اموالكم بالوصية وحضركم من لا يرث من ذوي القرابة واليتامى فارزقوهم منه*قاله ابن عباس وغيره واختلف هل هي منسوخة بآية المواريث او هي محكمة وعلى انها محكمة فهل الامر على الوجوب فيعطى لهم ما خف او على الندب خلاف والضمير في قوله فارزقوهم وفي قوله لهم عائد على الاصناف الثلاثة والقول المعروف كل ما يتأنس به من دعاء او عِدة او غير ذلك * وقوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم الآية اختلف من المراد في هذه الآية فقال ابن عباس وغيره المراد من حضر ميتا حين يوصي فيقول له قدم لنفسك واعط لفلان وفلان ويوذي الورثة بذلك فكأن الآية تقول لهم كما كنتم تخشون على ورثتكم وذريتكم بعدكم فكذلك فاخشوا على ورثة غيركم ولا تحملوه على تبذير ماله وتركهم عالة وقال مقسم وحضرمي نزلت في عكس ذلك وهو ان يقول للمحتضَر امسك على ورثتك وابق لولدك وينهاه عن الوصية فيضر بذلك ذوي القربى واليتامى والمساكين وكل من يستحق ان يوصى له فقيل لهم كما كنتم تخشون على

ذريتكم وتسرون بان يحسن اليهم فكذلك فسددوا القول فى جهة اليتامى
والمساكين قال * ع * والقولان لا يطردان فى كل الناس بل الناس صنفان
يصلح لاحدهما القول الواحد وللآخر القول الثانى وذلك ان الرجل اذا ترك
ورثة اغنياء حسن ان يندب الى الوصية ويحمل على ان يقدم لنفسه واذا ترك
ورثة ضعفاء مقلين حسن ان يندب الى الترك لهم والاحتياط فان اجره فى قصد
ذلك كاجره فى المساكين فالمراعى انما هو الضعف فيجب ان يمال معه وقال
ابن عباس ايضا المراد بالآية ولاة الايتام فالمعنى احسنوا اليهم وسددوا القول
لهم واتقوا الله فى اكل اموالهم كما تخافون على ذريتكم ان يفعل بهم خلاف
ذلك وقالت فرقة بل المراد جميع الناس فالمعنى امرهم بالتقوى فى الايتام
واولاد الناس والتسديد لهم فى القول وان لم يكونوا فى حجورهم كما يريد كل احد
ان يفعل بولده بعده والسديد معناه المصيب للحق * وقوله تعالى ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية اكثر الناس ان الآية نزلت فى الاوصياء
الذين ياكلون ما لم يبح لهم من اموال اليتامى وهى تتناول كل آكل وان لم
يكن وصيا وورد فى هذا الوعيد احاديث منها حديث ابى سعيد الخدري قال
حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال رأيت قوما لهم مشافر
كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل فى افواههم صخرا من
نار تخرج من اسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما قلت تأمل رحمك الله صدر هذه السورة معظمه انما هو فى شان
الاجوفين البطن والفرج مع اللسان وهما المهلكان واعظم الجوارح آفة وجناية
على الانسان وقد روينا عن مالك فى الموطإ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة ما بين لحييه وما بين رجليه ما بين

لحييه وما بين رجليه ما بين لحييه وما بين رجليه قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد ومعلوم انه اراد صلى الله عليه وسلم ما بين لحييه اللسان وما بين رجليه الفرج والله اعلم ولهذا اردف مالك حديثه هذا بحديثه عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر بن الخطاب دخل على ابي بكر رضي الله تعالى عنه وهو يجبذ لسانه فقال له عمر مَهْ غفر الله لك فقال ابو بكر ان هذا اوردني الموارد قال ابو عمر وفي اللسان ءاثار كثيرة ثم قال ابو عمر وعن ابي هريرة ان اكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان البطن والفرج ثم اسند ابو عمر عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يتكفل لي بما بين لحييه وما بين رجليه واضمن له الجنة ومن طريق جابر نحوه انتهى والصلى هو التسخن بقرب النار او بمباشرتها والمجترق الذي يذهبه الحرق ليس بصال الا في بدء امره واهل جهنم لا تذهبهم النار فهم فيها صالون اعاذنا الله منها بجوده وكرمه والسعير الجمر المشتعل وهذه ءاية من آيات الوعيد والذي يعتقده اهل السنة ان ذلك نافذ على بعض العصاة ليلا يقع الخبر بخلاف مخبره ساقط بالمشيئة عن بعضهم * وقوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الآية تتضمن الفرض والوجوب قيل نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع وقيل بسبب جابر بن عبد الله * وقوله للذكر مثل حظ الانثيين اي حظ مثل حظ الانثيين * وقوله فوق اثنتين معناه اثنتين فما فوقهما تقتضي ذلك قوة الكلام واما الوقوف مع اللفظ فيسقط معه النص على الاثنتين ويثبت الثلثان لهما بالاجماع ولم يحفظ فيه خلاف الا ما روي عن ابن عباس انه يرى لهما النصف ويثبت لهما ايضا ذلك بالقياس على الاختين وبحديث الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى للابنتين بالثلثين * وقوله سبحانه فان لم يكن له ولد المعنى ولا ولد ولد ذكرا كان او انثى

فلامه الثلث اي وللاب الثلثان * وقوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس اي كانوا اشقاء او للاب او للام والاجماع على انهم لا ياخذون السدس الذى يحجبون الام عنه وكذا اجمعوا على ان اخوين فصاعدا يحجبون الام عنه الا ما روي عن ابن عباس من ان الاخوين فى حكم الواحد وقدم الوصية فى اللفظ اهتماما بها وندبا اليها اذ هي اقل لزوما من الديْن وايضا قدمها لان الشرع قد حض عليها فلا بد منها والديْن قد يكون وقد لا يكون وايضا قدمها اذ هي حظ مساكين وضعاف واخر الدين لانه حق غريم يطلبه بقوة وله فيه مقال واجمع العلماء على ان الدين مقدم على الوصية والاجماع على انه لا يوصى باكثر من الثلث واستحب كثير منهم ان لا يبلغ الثلث * وقوله تعالى ءاباؤكم وابناؤكم رفع بالابتداء والخبر مضمر تقديره هم المقسوم عليهم او هم المعطوْن وهذا عرْض للحكمة فى ذلك وتانيس للعرب الذين كانوا يورثون على غير هذه الصفة قال ابن زيد قوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا يعنى فى الدنيا والآخرة قال الفخر وفى الآية اشارة الى الانقياد الى الشرع وترك ما يميل اليه الطبع انتهى * وقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد الآية الولد هنا فى هذه الآية وفى التى بعدها هم بنو الصلب وبنو ذكورهم وان سفلوا والكلالة خلو الميت عن الوالد والولد هذا هو الصحيح * وقوله تعالى وله اخ او اخت الآية الاجماع على ان الاخوة فى هذه الآية الاخوة للام واما حكم سائر الاخوة سواهم فهو المذكور فى ءاخر السورة وقرأ سعد بن ابى وقاص وله اخ او اخت لامه والانثى والذكر فى هذه النازلة سواء باجماع * وقوله سبحانه غير مضار قال ابن عباس الضرار فى الوصية من الكبائر ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ضار فى وصيته القاه الله تعالى فى واد فى

جهنم قال * ع * ووجوه المضارة كثيرة من ذلك ان يقر بحق ليس عليه او يوصي باكثر من ثلثه او لوارثه قال * ص * غير مضار منصوب على الحال اي غير مضار ورثته انتهى قلت وتقدير ابى حيان ورثته يأباه فصاحة الفاظ الآية اذ مقتضاها العموم فلو قال غير مضار ورثة او غيرهم لكان احسن لكن الغالب مضارة الورثة فلهذا قدرهم * وقوله تعالى تلك حدود الله الآية تلك اشارة الى القسمة المتقدمة فى المواريث وباقى الآية بين * وقوله تعالى واللاتى ياتين الفاحشة من نسائكم الآية الفاحشة فى هذا الموضع الزنا وقوله من نسائكم اضافة فى معناها لاسلام وجعل الله الشهادة على الزنا خاصة لا تتم الا باربعة شهداء تغليظا على المدعي وسترا على العباد قلت ومن هذا المعنى اشتراط رؤية كذا فى كذا كالمرود فى المكحلة قال * ع * وكانت اول عقوبة الزناة الامساك فى البيوت ثم نسخ ذلك بالاذى الذى بعده ثم نسخ ذلك بآية النور وبالرجم فى الثيب قاله عبادة بن الصامت وغيره وعن عمران بن حصين انه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه الوحي ثم اقلع عنه ووجهه محمر فقال قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم خرجه مسلم وهو خبر آحاد ثم ورد فى الخبر المتواتر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ولم يجلد فمن قال ان السنة المتواترة تنسخ القرءان جعل رجم الرسول دون جلد ناسخا لجلد الثيب وهذا الذى عليه الامة ان السنة المتواترة تنسخ القرءان اذ هما جميعا وحي من الله سبحانه ويوجبان جميعا العلم والعمل ويتجه عندى فى هذه النازلة بعينها ان يقال ان الناسخ لحكم الجلد هو القرءان المتفق على رفع لفظه وبقاء حكمه فى قوله تعالى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة وهذا نص فى الرجم وقد

قرره عمر على المنبر بمحضر الصحابة والحديث بكماله في مسلم والسنة هي المبينة ولفظ البخاري او يجعل الله لهن سبيلا الرجم للثيب والجلد للبكر انتهى * وقوله تعالى واللذان ياتيانها منكم الآية قال مجاهد وغيره الآية الاولى في النساء عموما وهذه في الرجال فعقوبة النساء الحبس وعقوبة الرجال الاذى وهذا قول يقتضيه اللفظ ويستوفي نص الكلام اصناف الزناة عامة ويؤيده من جهة اللفظ قوله في الاولى من نسائكم وقوله في الثانية منكم واجمع العلماء على ان هاتين الآيتين منسوختان كما تقدم * وقوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الآية قال * ص * التوبة مبتدأ على حذف مضاف اي قبول التوبة انتهى قال * ع * انما حاصرة وهو مقصد المتكلم بها ابدا فقد تصادف من المعنى ما يقتضي العقل فيه الحصر كقوله تعالى انما الله اله واحد وقد لا تصادف ذلك كقوله انما الشجاع عنترة وهي في هذه الآية حاصرة اذ ليست التوبة الا لهذا الصنف المذكور وتصح التوبة وان نقضها التائب في ثاني حال بمعاودة الذنب فان التوبة الاولى طاعة قد انقضت وصحت وهو محتاج بعد مواقعة الذنب الى توبة اخرى مستانفة وتصح ايضا التوبة من ذنب مع الاقامة على غيره من غير نوعه خلافا للمعتزلة في قولهم لا يكون تائبا من اقام على ذنب * وقوله تعالى على الله اي على فضل الله ورحمته لعباده وهذا نحو قوله صلى الله عليه وسلم ما حق العباد على الله انما معناه ما حقهم على فضله ورحمته والعقيدة انه لا يجب على الله تعالى شيء عقلا والسوء في هذه الآية يعم الكفر والمعاصي وقوله تعالى بجهالة معناه بسفاهة وقلة تحصيل ادى الى المعصية وليس المعنى ان تكون الجهالة بان ذلك الفعل معصية لان المتعمد للذنوب كان يخرج من التوبة وهذا فاسد اجماعا وما ذكرته في الجهالة قاله اصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم ذكر ذلك عنهم ابو العالية وقال قتادة اجتمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على ان كل معصية فهي بجهالة عمدا كانت او جهلا وقال به ابن عباس ومجاهد والسدي وروي عن مجاهد والضحاك انهما قالا الجهالة هنا العمد وقال عكرمة امور الدنيا كلها جهالة قال * ع * يريد الخاصة بها الخارجة عن طاعة الله سبحانه وهذا المعنى عندي جار مع قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو واختلف المتأولون في قوله تعالى من قريب فقال ابن عباس والسدي معنى ذلك قبل المرض والموت وقال الجمهور معنى ذلك قبل المعاينة للملائكة والسوق وان يغلب المرء على نفسه وروى ابو قلابة ان الله تعالى لما خلق ءادم فرءاه ابليس اجوف ثم جرى له ما جرى ولعن وانظر قال وعزتك لا برحت من قلبه ما دام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي لا احجب عنه التوبة ما دام فيه الروح قال * ع * فابن عباس رضي الله عنه ذكر احسن اوقات التوبة والجمهور حدّوا ءاخر وقتها وروى بشير بن كعب والحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ويغلب على عقله قال * ع * لان الرجاء فيه باق ويصح منه الندم والعزم على الترك وقوله تعالى من قريب انما معناه من قريب الى وقت الذنب ومدة الحياة كلها قريب والمبادرة في الصحة افضل قلت بل المبادرة واجبة * وقوله تعالى وكان الله عليما اي بمن يتوب وييسره هو سبحانه للتوبة حكيما فيما ينفذه من ذلك وفي تأخير من يؤخر حتى يهلك ثم نفى بقوله تعالى وليست التوبة الآية ان يدخل في حكم التائبين من حضره موته وصار في حيز الياس كما كان فرعون حين صار في غمرة الماء والغرق فلم ينفعه ما اظهره من الايمان وبهذا قال ابن عباس وجماعة المفسرين قال * ع * والعقيدة عندي في هذه الآيات

ان من تاب من قريب فله حكم التائب فيغلب الظن عليه انه ينعم ولا يعذب هذا مذهب ابي المعالي وغيره وقال غيرهم بل هو مغفور له قطعا لاخبار الله تعالى بذلك وابو المعالي يجعل تلك الاخبار ظواهر مشروطة بالمشيئة ومن لم يتب حتى حضره الموت فليس في حكم التائبين فان كان كافرا فهو يخلد وان كان مومنا فهو عاص في المشيئة لكن يغلب الخوف عليه ويقوى الظن في تعذيبه ويقطع من جهة السمع ان من هذه الصنيفة من يغفر الله تعالى له تفضلا منه لايعذبه وأعلم الله تعالى ايضا ان الذين يموتون وهم كفار فلا مستعتب لهم ولا توبة في الآخرة * وقوله تعالى اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما ان كانت الاشارة الى الذين يموتون وهم كفار فقط فالعذاب عذاب خلود مؤبد وان كانت الاشارة اليهم والى من ينفذ عليه الوعيد ممن لا يتوب الامع حضور الموت فهو في جهة هؤلاء عذاب لا خلود معه واعتدنا معناه يسرناه واحضرناه * قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها الآية قال ابن عباس كانوا في الجاهلية اذا مات الرجل كان اولياؤه احق بامرأته من اهلها ان شاءوا تزوجها احدهم وان شاءوا زوجوها من غيرهم وان شاءوا منعوها الزواج فنزلت الآية في ذلك وقال بعض المتأولين معنى الآية لا يحل لكم عضل النساء اللواتي انتم اولياء لهن وامساكهن دون تزويج حتى يمتن فتورث اموالهن قال * ع * فعلى هذا القول فالموروث مالها لا هي وروي نحو هذا عن ابن عباس * وقوله تعالى ولا تعضلوهن الآية قال ابن عباس وغيره هي ايضا في اولائك الاولياء الذين كانوا يرثون المرأة لانهم كانوا يتزوجونها اذا كانت جميلة ويمسكونها حتى تموت اذا كانت دميمة وقال نحوه الحسن وعكرمة وقال ابن عباس ايضا هي في الازواج في الرجل يمسك المرأة ويسيء عشرتها حتى تفتدي منه فذلك لا يحل له وقال مثله قتادة وهو

اقوى الاقوال ودليل ذلك قوله الا ان ياتين بفاحشة واذا اتت بفاحشة فليس للولي حبسها حتى يذهب بمالها اجماعا من الامة وانما ذلك للزوج على ما سنبينه الآن ان شاء الله وكذلك قوله عاشروهن الى ءاخر الآية يظهر منه تقوية ما ذكرته واختلف فى معنى الفاحشة هنا فقال الحسن بن ابى الحسن هو الزنا قال ابو قلابة اذا زنت امرأة الرجل فلا باس ان يضارها ويشق عليها حتى تفتدي منه وقال السدي اذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن قلت وحديث المتلاعنين يضعف هذا القول لقوله صلى الله عليه وسلم فذاك بما استحللت من فرجها الحديث وقال ابن عباس وغيره الفاحشة فى هذه الآية البغض والنشوز فاذا نشزت حل له ان ياخذ مالها قال * ع * وهو مذهب مالك وقال قوم الفاحشة البذاء باللسان وسوء العشرة قولا وفعلا وهذا فى معنى النشوز قال * غ * والزنا اصعب على الزوج من النشوز والاذى وكل ذلك فاحشة تحل اخذ المال * وقوله تعالى وعاشروهن بالمعروف امر يعم الازواج والاولياء ولكن المتلبس فى الاغلب بهذا الامر الازواج والعشرة المخالطة والممازجة * وقوله تعالى فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال السدي الخير الكثير فى المرأة الولد وقال نحوه ابن عباس قال * ع * ومن فصاحة القرءان العموم الذى فى لفظة شيء لانه يطرد هذا النظر فى كل ما يكرهه المرء مما يجمل الصبر عليه ويحسن اذ عاقبة الصبر الى خير اذا اريد به وجه الله * وقوله تعالى وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الآية لما مضى فى الآية المتقدمة حكم الفراق الذى سببه المرأة وان للزوج اخذ المال منها عقب ذلك بذكر الفراق الذى سببه الزوج والمنع من اخذ مالها مع ذلك وقال بعض الناس يوخذ من الآية جواز المغالاة بالمهور وقال قوم لا تعطى الآية ذلك لان التمثيل انما جاء على جهة المبالغة والبهتان

مصدر فى موضع الحال ومعناه مبهتا ثم وعظ تعالى عباده وافضى معناه باشر وقال مجاهد وغيره الافضاء فى هذه الآية الجماع قال ابن عباس ولكن الله كريم يَكْني واختلف فى المراد بالميثاق الغليظ فقال الحسن وغيره هو قوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقال مجاهد وابن زيد الميثاق الغليظ عقدة النكاح وقول الرجل نكحت وملكت النكاح ونحوه فهذه التى بها تستحل الفروج وقال عكرمة والربيع الميثاق الغليظ يفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عَوان عندكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف سبب الآية ما اعتادته بعض قبائل العرب ان يخلف ابن الرجل على امرأة ابيه وقد كان فى العرب من تزوج ابنته وهو حاجب بن زُرارة واختلف فى مقتضى الفاظ الآية فقالت فرقة قوله ما نكح يريد النساء اي لا تنكحوا النساء اللواتى نكح اباؤكم وقوله الا ما قد سلف معناه ولكن ما قد سلف فدعوه وقال بعضهم المعنى لكن ما قد سلف فهو معفو عنكم لمن كان واقعه فكانه قال ولا تفعلوا حاشا ما قد سلف وقالت فرقة معناه لا تنكحوا كما نكح اباؤكم من عقودهم الفاسدة الا ما قد سلف منكم من تلك العقود الفاسدة فمباح لكم الاقامة عليه فى الاسلام اذا كان مما يقرر الاسلام عليه وقيل الا ما قد سلف فهو معفو عنكم وقال ابن زيد معنى الآية النهي عن ان يطأ الرجل امرأة وطئها الاب الا ما سلف من الآباء فى الجاهلية من الزنا بالنساء لا على وجه المناكحة فذلك جائز لكم لان ذلك الزنا كان فاحشة والمقت البغض والاحتقار بسبب رذيلة يفعلها الممقوت وساء سبيلا اي بئس الطريق والمنهج لمن يسلكه اذ عاقبته الى عذاب الله قال * ص * ساء للمبالغة فى الذم كبيس وسبيلا تفسيره والمخصوص بالذم

محذوف اي سبيل هذا النكاح كقوله تعالى بيس الشراب اي ذلك الماء انتهى * وقوله سبحانه حرمت عليكم امهاتكم الآية حكم حرم الله به سبعا من النسب وستا من بين رضاع وصهروالحقت السنة المتواترة سابعة وهي الجمع بين المرأة وعمتها ومضى عليه الاجماع وروي عن ابن عباس انه قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع وتلا هذه الآية وقال عمرو بن سالم مثل ذلك وجعل السابعة قوله تعالى والمحصنات * وقوله تعالى وامهات نسائكم اي سواء دخل بالبنت او لم يدخل فبالعقد على البنت حرمت الام هذا الذى عليه الجمهور * وقوله تعالى وربائبكم اللاتى فى حجوركم ذكر الاغلب من هذه الامور اذ هذه حالة الربيبة فى الاكثر وهي محرمة وان لم تكن فى الحجر ويقال حجر بكسر الحاء وفتحها وهو مقدم ثوب الانسان وما بين يديه منه ثم استعملت اللفظة فى الحفظ والستر * وقوله اللاتى دخلتم بهن قال ابن عباس وغيره الدخول هنا الجماع وجمهور العلماء يقولون ان جميع انواع التلذذ بالام يحرم الابنة كما يحرمها الجماع والحلائل جمع حليلة لانها تحل مع الزوج حيث حل فهي فعيلة بمعنى فاعلة وذهب الزجاج وقوم الى انها من لفظة الحلال فهي حليلة بمعنى محللة * وقوله تعالى الذين من اصلابكم يخرج من كانت العرب تتبناه ممن ليس للصلب وحرمت حليلة الابن من الرضاع وان لم يكن للصلب بالاجماع المستند الى قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب * وقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين لفظ يعم الجمع بنكاح وبملك يمين واجمعت الامة على منع جمعهما بنكاح ولا خلاف فى جواز جمعهما بالملك ومذهب مالك ان له ان يطأ ايتهما شاء والكف عن الاخرى موكول الى امانته فان اراد وطء الاخرى فيلزمه ان يحرم فرج الاولى بعتق اوكتابة او غير ذلك وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه نهى ان يجمع بين المرأة وعمتها و بين المرأة وخالتها واجمعت الامة على ذلك * وقوله تعالى الا ما قد سلف استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف من ذلك ووقع وازاله الاسلام فان الله تعالى يغفره والاسلام يَجُبّه * وقوله تعالى والمحصنات عطفا على المحرمات قيل والتحصن التمنع ومنه الحصن وحصنت المرأة امتنعت بوجه من وجوه الامتناع واحصنت نفسها واحصنها غيرها والاحصان تستعمله العرب فى اربعة اشياء وعلى ذلك تصرفت اللفظة فى كتاب الله عز وجل فتستعمله فى الزواج لان ملك الزوج منعة وحفظ وتستعمله فى الحرية لان الاماء كان عرفهن فى الجاهلية الزنا والحرة بخلاف ذلك الا ترى الى قول هند وهل تزنى الحرة وتستعمله فى الاسلام لانه حافظ وتستعمله فى العفة لانها اذا ارتبط بها انسان وظهرت على شخص ما وتخلق بها فهي منعة وحفظ وحيث ما وقعت اللفظة فى القرءان فلا تجدها تخرج عن هذه المعانى لكنها قد تقوى فيها بعض هذه المعانى دون بعض كما سياتى بيانه فى اماكنه ان شاء الله فقوله سبحانه فى هذه الآية والمحصنات قال فيه ابن عباس وغيره هن ذوات الازواج محرمات الا ما ملكت اليمين بالسبي وروي عن ابن شهاب انه سئل عن هذه الآية والمحصنات من النساء فقال نُرى انه حرم فى هذه الآية ذوات الازواج والعفائف من حرائر ومملوكات ولم يحل شيء من ذلك الا بنكاح او شراء او تملك وهذا قول حسن عمّم لفظ الاحصان ولفظ ملك اليمين وذلك راجع الى ان الله حرم الزنا قال عَبيدة السَّلْماني وغيره قوله سبحانه كتاب الله عليكم اشارة الى ما ثبت من القرءان من قوله سبحانه مثنى وثلاث ورباع وفى هذا بعد والا ظهر ان قوله كتاب الله عليكم انما هو اشارة الى التحريم الحاجز بين الناس و بين ما كانت الجاهلية تفعله قال الفخر وكتاب الله عليكم مصدر من غير

لفظ الفعل قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبا على جهة الامر ويكون عليكم خبرا لہ فيكون المعنى الزموا كتاب الله انتهى وفى التمهيد لابى عمر بن عبد البر كتاب الله عليكم اي حكمه فيكم وقضاؤه عليكم انتهى * وقوله سبحانه واحل لكم ما وراء ذلكم قال عطاء وغيره المعنى واحل لكم ما وراء من حرم قلت اي على ما علم تفصيله من الشريعة قال * ع * وان تبتغوا باموالكم لفظ يجمع التزوج والشراء ومحصنين معناه متعففين اي تحصنون انفسكم بذلك غير مسافحين اي غير زناة والسّفاح الزنا * وقوله سبحانه فما استمتعتم به منهن فـآتوهن اجورهن قال ابن عباس وغيره المعنى فاذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء ولو مرة فقد وجب اعطاء الاجر وهو المهر كله وقال ابن عباس ايضا وغيره ان الآية نزلت فى نكاح المتعة قال ابن المسيب ثم نسخت قال * ع * وقد كانت المتعة فى صدر الاسلام ثم نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به اي من حط اوتأخير بعد استقرار الفريضة ومن قال بان الآية المتقدمة فى المتعة قال الاشارة بهذه الى ان ما تراضيا عليه من زيادة فى مدة المتعة وزيادة فى الاجر جائز * وقوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا الآية قال ابن عباس وغيره الطول هنا السعة فى المال وقاله مالك فى المدونة فعلى هذا التاويل لا يصح للحر ان يتزوج الامة الا باجتماع شرطين عدم السعة فى المال وخوف العنت وهذا هو نص مالك فى المدونة قال مالك فى المدونة وليست الحرة تحته بطول ان خشي العنت وقال فى كتاب محمد ما يقتضي ان الحرة بمثابة الطول قال الشيخ ابو الحسن اللخمي وهو ظاهر القرءان ونحوه عن ابن حبيب وقال ابو حنيفة وجود الحرة تحته لا يجوز معه نكاح الامة وقاله الطبري وتقول طال الرجل طولا بفتح الطاء اذا تفضل ووجد واتسع وطولا بضمها فى ضد القصر والمحصنات فى هذا الموضع الحرائر والفتاة وان

كانت فى اللغة واقعة على الشابة اية كانت فعرفها فى الاماء وفتى كذلك والمومنات فى هذا الموضع صفة مشترطة عند مالك وجمهور اصحابه فلا يجوز نكاح امة كافرة عندهم قلت والعلة فى منع نكاح الامة ما يئول اليه الحال من استرقاق الولد * وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض معناه والله اعلم ببواطن الامور ولكم ظواهرها فاذا كانت الفتاة ظاهرها الايمان فنكاحها صحيح وفى اللفظ ايضا تنبيه على انه ربما كان ايمان امة افضل من ايمان بعض الحرائر فلا تعجبوا بمعنى الحرية والمقصد بهذا الكلام ان الناس سواء بنو الحرائر وبنو الاماء اكرمهم عند الله اتقاهم وفى هذا توطئة لنفوس العرب التى كانت تستهجن ولد الامة * وقوله تعالى فانكحوهن باذن اهلهن معناه بولاية اربابهن المالكين وءاتوهن اجورهن اي مهورهن بالمعروف معناه بالشرع والسنة ومحصنات الظاهر انه بمعنى عفيفات قال * ص * محصنات منصوب على الحال والظاهر ان العامل وءاتوهن ويجوز ان يكون العامل فانكحوهن محصنات اي عفائف انتهى والمسافحات الزوانى المتبذلات اللواتى هن سوق للزنا ومتخذات الاخدان هن المستترات اللواتى يصحبن واحدا واحدا ويزنين خفية وهذان كانا نوعين فى زنا الجاهلية قاله ابن عباس وغيره * وقوله تعالى فاذا احصن الآية اي تزوجن قال الزهري وغيره فالمتزوجة محدودة بالقرءان والمسلمة غير المتزوجة محدودة بالحديث وفى مسلم والبخاري انه قيل يا رسول الله الامة اذا زنت ولم تحصن فاوجب عليها الحد والفاحشة هنا الزنا قال * ص * وجواب اذا فان اتين وجوابه انتهى والمحصنات فى هذه الآية الحرائر اذ هي الصفة المشروطة فى الحد الكامل والرجم لا يتنصف فلم يُرَد فى الآية باجماع والعنت فى اللغة المشقة قال ابن عباس وغيره والمقصد به هنا الزنا * وقوله تعالى وان تصبروا خير لكم يعنى عن نكاح

الاماء قاله ابن عباس وغيره وهذا ندب الى الترك وعلته ما يؤدي اليه نكاح الاماء من استرقاق الولد ومهنتهن * وقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم الآية التقدير عند سيبويه يريد الله لان يبين لكم ويهديكم بمعنى يرشدكم والسنن الطرق ووجوه الامور وانحاؤها والذين من قبلنا هم المومنون من كل شريعة * وقوله سبحانه والله يريد ان يتوب عليكم الآية مقصد هذه الآية الاخبار عن ارادة الذين يتبعون الشهوات فقدمت ارادة الله تعالى توطئة مظهرة لفساد ارادة متبعي الشهوات واختلف المتأولون في تعيين متبعي الشهوات فقال مجاهد هم الزناة وقال السدي هم اليهود والنصارى وقالت فرقة هم اليهود خاصة لانهم ارادوا ان يتبعهم المسلمون في نكاح الاخوات من الاب وقال ابن زيد ذلك على العموم في هؤلاء وفي كل متبع شهوة ورجحه الطبري * وقوله تعالى يريد الله ان يخفف عنكم الآية اي لما علمنا ضعفكم عن الصبر عن النساء خففنا عنكم باباحة الاماء قاله مجاهد وغيره وهو ظاهر مقصود الآية ثم بعد هذا المقصد تخرج الآية مخرج التفضل لانها تتناول كل ما خففه الله سبحانه عن عباده وجعله الدين يسرا ويقع الاخبار عن ضعف الانسان عاما حسبما هو في نفسه ضعيف يستميله هواه في الاغلب * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة الآية الاستثناء منقطع المعنى لكن ان كانت تجارة فكلوها واخرج البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عنه ومن اخذها يريد اتلافها اتلفه الله انتهى * وقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما اجمع المتأولون على ان المقصود بهذه الآية النهي عن ان يقتل بعض الناس بعضا ثم لفظها يتناول ان يقتل الرجل نفسه بقصد منه للقتل او بان يحملها على غرر رُبما مات منه فهذا كله يتناوله النهي وقد احتج

عمرو بن العاصى بهذه الآية حين امتنع من الاغتسال بالماء البارد خوفا على نفسه منه فقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجاجه * وقوله تعالى ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما الآية اختلف فى المشار اليه بذلك فقال عطاء ذلك عائد على القتل لانه اقرب مذكور وقالت فرقة ذلك عائد على اكل المال بالباطل وقتل النفس وقالت فرقة ذلك عائد على كل ما نُهي عنه من اول السورة وقال الطبري ذلك عائد على ما نُهي عنه من ءاخر وعيد وذلك قوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها لان كل ما نهي عنه قبله الى اول السورة قرن به وعيد قال ابن العربي فى احكامه والقول الاول اصح وما عداه محتمل انتهى والعدوان تجاوز الحد قال * ص * عدوانا وظلما مصدران فى موضع الحال اي متعدين وظالمين ابو البقاء او مفعول من اجله انتهى واختلف العلماء فى الكبائر فقال ابن عباس وغيره الكبائر كل ما ورد عليه وعيد بنار او عذاب او لعنة او ما اشبه ذلك وقال ابن عباس ايضا كل ما نهى الله عنه فهو كبير وعلى هذا القول ائمة الكلام القاضى وابو المعالى وغيرهما قالوا وانما قيل صغيرة بالاضافة الى اكبر منها والا فهي فى نفسها كبيرة من حيث المعصى بالجميع واحد واختلف العلماء فى هذه المسألة فجماعة من الفقهاء والمحدثين يرون ان باجتناب الكبائر تكفر الصغائر قطعا واما الاصوليون فقالوا محمل ذلك على غلبة الظن وقوة الرجاء لا على القطع ومحمل الكبائر عند الاصوليين فى هذه الآية اجناس الكفر والآية التى قيدت الحكم فترد اليها هذه المطلقات كلها قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وكريما يقتضى كرم الفضيلة ونفي العيوب كما تقول ثوب كريم وهذه ءاية رجاء وروى ابو حاتم البُسْتِي فى المسند الصحيح له عن ابى هريرة وابى سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس

على المنبر ثم قال والذى نفسي بيده ثلاث مرات ثم سكت فاكب كل رجل منا يبكى حزينا ليمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ما من عبد يؤدى الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبعَ الا فتحت له ثمانية ابواب من الجنة يوم القيامة حتى انها لتصفق ثم تلا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم الآية انتهى من التذكرة للقرطبي ونحوه ما رواه مسلم عن ابى هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر قال القرطبي وعلى هذا جماعة اهل التاويل وجماعة الفقهاء وهو الصحيح ان الصغائر تكفر باجتناب الكبائر قطعا بوعد الله الصدق وقوله الحق سبحانه واما الكبائر فلا تكفرها الا التوبة منها انتهى قلت وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المومنات انتهى * وقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الآية سبب الآية ان النساء قلن ليتنا استوينا مع الرجال فى الميراث وشاركناهم فى الغزو وروي ان ام سلمة قالت ذلك او نحوه وقال الرجال ليت لنا فى الآخرة حظا زائدا على النساء كما لنا عليهن فى الدنيا فنزلت الآية قال * ع * لان فى تمنيهم هذا تحكما على الشريعة وتطرقا الى الدفع فى صدر حكم الله تعالى فهذا نهي عن كل تمن بخلاف حكم شرعي واما التمنى فى الاعمال الصالحة فذلك هو الحسن وقد قال صلى الله عليه وسلم وددت ان اقتل فى سبيل الله ثم احيا ثم اقتل ثم احيا الحديث وفى غير موضع ولقوله تعالى واسألوا الله من

فضله قال القشيري سمعت الشيخ ابا علي يقول من علامات المعرفة ان لا تسأل حوائجك قلت اوكثرت الا من الله تعالى مثل موسى اشتاق الى الرؤية فقال رب ارني انظر اليك واحتاج مرة الى رغيف فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير انتهى من التحبير * وقوله تعالى للرجال نصيب الآية قالت فرقة معناه من الاجر والحسنات فكانه قيل للناس لا تتمنوا في امر مخالف لما حكم الله به لاختيار ترونه انتم فان الله تعالى قد جعل لكل احد نصيبا من الاجر والفضل بحسب اكتسابه فيما شرع له وهذا قول حسن وفي تعليقه سبحانه النصيب بالاكتساب حض على العمل وتنبيه على كسب الخير * وقوله سبحانه وسألوا الله من فضله قال ابن جبير وغيره هذا في فضل العبادات والدين لا في فضل الدنيا وقال الجمهور ذلك على العموم وهو الذي يقتضيه اللفظ فقوله وسألوا الله يقتضي مفعولا ثانيا تقديره واسألوا الله الجنة اوكثيرا من فضله * وقوله تعالى ولكل جعلنا موالي الآية اي ولكل احد قال ابن عباس وغيره الموالي هنا العصبة والورثة والمعنى ولكل احد جعلنا موالي يرثون مما ترك الوالدان والاقربون * وقوله تعالى والذين رفع بالابتداء والخبر في قوله فآتوهم نصيبهم واختلف من المراد بالذين فقال الحسن وابن عباس وابن جبير وغيرهم هم الاحلاف فان العرب كانت تتوارث بالحلف ثم نسخت بآيات الانفال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقال ابن عباس ايضا هم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم كانوا يتوارثون بهذه الآية حتى نسخ ذلك بما تقدم وقال ابن المسيب هم الذين كانوا يُتَبَنَّون قال * ع * ولفظة المعاقدة والأيمان ترجح ان المراد الاحلاف * وقوله الرجال قوامون بناء مبالغة وهو من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه وحفظه فقيام الرجال على النساء هو على هذا

الحد وتعليل ذلك بالفضيلة والنفقة يقتضى ان للرجال عليهن استيلاء قال ابن عباس الرجال امراء على النساء قال ابن العربي فى احكامه وللرجال عليهن درجة لفضل القوامية فعليه ان يبذل المهر والنفقة وحسن العشرة ويحجبها ويامرها بطاعة الله تعالى ويُنْهِيَ اليها شعائر الاسلام من صلاة وصيام وما وجب على المسلمين وعليها الحفظ لماله والاحسان الى اهله والالتزام لامره فى الحجبة وغيرها الا باذنه وقبول قوله فى الطاعات انتهى وما مصدرية فى الموضعين والصلاح فى قوله فالصالحات هو الصلاح فى الدين وقانتات معناه مطيعات لازواجهن او لله فى ازواجهن حافظات للغيب معناه لكل ما غاب عن علم زوجها مما استُرْعِيَتْه وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالك ونفسها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وقوله بما حفظ الله ما مصدرية تقديره بحفظ الله ويصح ان تكون بمعنى الذى ويكون العائد فى حفظ ضمير نصب اي بالذى حفظه الله ويكون المعنى اما حفظ الله ورعايته التى لا يتم امر دونها واما اوامره ونواهيه للنساء فكانها حفظه بمعنى ان النساء يحفظن بازاء ذلك وبقدره * وقوله تعالى واللاتى تخافون نشوزهن الآية النشوز ان تتعوج المرأة ويرتفع خلقها وتستعلى على زوجها واهجروهن فى المضاجع قال ابن عباس يضاجعها ويوليها ظهره ولا يجامعها وقال مجاهد جنبوا مُضاجعتهن وقال ابن جبير هي هجرة الكلام اي لا تكلموهن واعرضوا عنهن فيقدر حذف تقديره واهجروهن فى سبب المضاجع حتى يراجعنها * م * قوله فى المضاجع ذكر ابو البقاء فيه وجهين الاول ان فى على بابها من الظرفية اي اهجروهن فى مواضع الاضطجاع اي اتركوا

مضاجعتهن دون ترك مكالمتهن الثاني انها بمعنى السبب اي اهجروهن بسبب المضاجع كما تقول فى هذه الجناية عقوبة انتهى وكونها للظرفية اظهر والله اعلم والضرب فى هذه الآية هو ضرب الادب غير المبرح وهو الذى لا يكسر عظما ولا يشين جارحة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اضربوا النساء اذا عصينكم فى معروف ضربا غير مبرح قال عطاء قلت لابن عباس ما الضرب غير المبرح قال بالشراك ونحوه قال ابن العربي فى احكامه قوله عز وجل واضربوهن ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايها الناس ان لكم على نسائكم حقا لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه وعليهن الا ياتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف وفى هذا دليل على ان الناشز لا نفقة لها ولا كسوة وان الفاحشة هي البذاء ليس الزنا كما قال العلماء ففسر النبي صلى الله عليه وسلم الضرب وبين انه لا يكون مبرحا اي لا يظهر له اثر على البدن انتهى قال * ع * وهذه العظة والهجر والضرب مراتب ان وقعت الطاعة عند احداها لم يتعد الى سائرها وتبغوا معناه تطلبوا وسبيلا اي الى الاذى وهو التعنيت والتعسف بقول او فعل وهذا نهي عن ظلمهن وحسن هنا الاتصاف بالعلو والكبر اي قدره سبحانه فوق كل قدر ويده بالقدرة فوق كل يد فلا يستعلى احد بالظلم على امرأته فالله تعالى بالمرصاد وينظر الى هذا حديث ابى مسعود قال كنت اضرب غلامي فسمعت قائلا يقول اعلم ابا مسعود اعلم ابا مسعود فصرفت وجهي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعلم ابا مسعود ان الله اقدر عليك منك على هذا العبد الحديث * وقوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا الآية اختلف من المامور بالبعثة فقيل الحكام وقيل المخاطب الزوجان

واليهما تقديم الحكَمين وهذا فى مذهب مالك والاول لربيعة وغيره ولا يبعث الحكمان الا مع شدة الخوف والشقاق ومذهب مالك وجمهور العلماء ان الحكمين ينظران فى كل شيء ويحملان على الظالم ويمضيان ما رأياه من بقاء او فراق وهو قول علي بن ابى طالب فى المدونة وغيرها * وقوله ان يريدا اصلاحا قال مجاهد وغيره المراد الحكمان اي اذا نصحا وقصدا الخير بورك فى وساطتهما وقالت فرقة المراد الزوجان والاول اظهر وكذلك الضمير فى بينهما يحتمل الامرين والاظهر انه للزوجين والاتصاف بعليم خبير يناسب ما ذكر من ارادة الاصلاح * وقوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا و بالوالدين احسانا العبادة التذلل بالطاعة واحسانا مصدر والعامل فيه فعل تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا و بذى القربى هو القريب النسب من قبَل الاب والام قال ابن عباس وغيره والجار ذو القربى هو القريب النسب والجار الجنب هو الجار الاجنبي وقالت فرقة الجار ذو القربى هو الجار القريب المسكن منك والجار الجنب هو البعيد المسكن منك والمجاورة مراتب بعضها الصق من بعض ادناها الزوجة قال ابن عباس وغيره الصاحب بالجنب هو الرفيق فى السفر وقال علي بن ابى طالب وابن مسعود وابن ابى ليلى وغيرهم هو الزوجة وقال ابن زيد هو الرجل يعتريك ويلم بك لتنفعه واسند الطبري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من اصحابه وهما على راحلتين فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم غيضة فقطع قضيبين احدهما معوج وخرج فاعطى صاحبه القويم وحبس هو المعوج فقال له الرجل كنت يا رسول الله احق بهذا فقال له يا فلان ان كل صاحب يصحب الآخر فانه مسئول عن صَحابته ولو ساعة من نهار قلت واسند الحافظ محمد بن طاهر المَقْدِسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الاصحاب عند

الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره انتهى من صفوة التصوف وفى الحديث الصحيح عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورّثه اخرجه البخاري واخرجه ايضا من طريق عائشة رضي الله عنها انتهى وابن السبيل المسافر وسمي ابنه للزومه له وما ملكت ايمانكم هم العبيد الارقاء قال ابن العربي فى احكامه وقد امر الله سبحانه بالرفق بهم والاحسان اليهم وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخوانكم ملّككم الله رقابهم فاطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فان كلفتموهم فاعينوهم انتهى ونفى سبحانه محبته عن مَن صفته الخُيَلاء والفخر وذلك ضرب من التوعد يقال خال الرجل يخول خولا اذا تكبر واعجب بنفسه وخص سبحانه هاتين الصفتين هنا اذ مقتضاهما العُجب والزهو وذلك هو الحامل على الاخلال بالاصناف الذين تقدم امر الله بالاحسان اليهم * وقوله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل الآية قالت فرقة الذين فى موضع نصب بدل مِن مَن فى قوله من كان مختالا ومعناه على هذا يبخلون باموالهم ويامرون الناس يعنى اخوانهم ومن هو مظنة طاعتهم بالبخل بالاموال ان تنفَق فى شيء من وجوه الاحسان الى من ذكر ويكتمون ما ءاتاهم الله من فضله يعنى من الرزق والمال فالآية اذن فى المومنين اي واما الكافرون فاعد لهم عذابا مهينا وروي ان الآية نزلت فى احبار اليهود بالمدينة اذكتموا امر النبي صلى الله عليه وسلم وبخلوا به والتوعد بالعذاب المهين لهم واعتدنا معناه يسّرنا واحضرنا والعتيد الحاضر والمهين الذى يقترن به خزي وذل وهو انكى واشد على المعذّب * وقوله تعالى والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس الآية الذين فى موضع رفع على القطع والخبر محذوف وتقديره بعد اليوم الآخر معذبون والصحيح الذى عليه

الجمهور ان هذه الآية فى المنافقين والقرين فعيل بمعنى فاعل من المقارنة وهي الملازمة والاصطحاب والانسان كله يقارنه الشيطان لكن الموفّق عاص له * وقوله تعالى وما ذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر الآية التقدير واي شيء عليهم لو آمنوا وفى هذا الكلام تفجع ما عليهم واستدعاء جميل يقتضى حيطة واشفاقا وكان الله بهم عليما اخبار يتضمن وعيدا وينبه على سوء تواطئهم اي لا ينفعهم كتم مع علم الله بهم * وقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة الآية مثقال مفعال من الثقل والذرة الصغيرة الحمراء من النمل وروي عن ابن عباس انه قال الذرة راس النملة وقرأ ابن عباس مثقال نملة قال قتادة عن نفسه ورواه عن بعض العلماء لان تفضل حسناتى على سيئاتى بمثقال ذرة احب الي من الدنيا جميعا * وقوله سبحانه وان تك حسنة التقدير وان تك زنة الذرة وفى صحيح مسلم وغيره من حديث ابى سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم وفيه فيمر المومنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناجٍ مسَلَّم ومخدوش مرسَل ومكدوس فى نار جهنم حتى اذا خلص المومنون من النار فوالذى نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله فى استيفاء الحق من المومنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرّم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذَرْ فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم

يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد الخدري يقول ان لم تصدقونى فى هذا الحديث فاقرءوا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله عزوجل شفَعت الملائكةُ وشفع النبيئون وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط الحديث انتهى ولفظ البخاري فما انتم باشد لى مناشدة فى الحق قد تبين لكم من المومنين يومئذ للجبار اذا رأوا انهم قد نجوا فى اخوانهم الحديث وقرأ نافع وابن كثير حسنة بالرفع على تمام كان التقدير وان توجد حسنة ويضاعفها جواب الشرط وقرأ ابن كثير يضعفها وهو بناء تكثير يقتضى اكثر من مرتين الى اقصى ما تريد من العدد قال بعض المتأولين هذه الآية خص بها المهاجرون لان الله تعالى اعلم فى كتابه ان الحسنة لكل مومن مضاعفة عشر مرار وأعلم فى هذه الآية انها مضاعفة مرارا كثيرة حسبما روى ابو هريرة من انها تضاعف الفي الف مرة وروى غيره الف الف مرة وقال بعضهم بل وعد بذلك جميع المومنين قال * ع * والآية تعم المومنين والكافرين فاما المومنون فيجازون فى الآخرة على مثاقيل الذر فما زاد واما الكافرون فما يفعلونه من خير فانه تقع عليه المكافأة بنعم الدنيا وياتون يوم القيامة ولا حسنة لهم قلت وقد ذكرنا فى هذا المختصر من احاديث الرجاء واحاديث الشفاعة جملة صالحة لا توجد مجتمعة فى غيره على نحو ما هي فيه عسى الله ان ينفع به الناظر فيه ومن اعظم احاديث الرجاء ما ذكره عياض فى الشفا قال ومن حديث انس سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا شفعن يوم القيامة لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر اه وهذا الحديث

اخرجه النساءي ولفظه انى لاشفع يوم القيامة لا كثر مما على الارض من شجر وحجر الحديث انتهى من الكوكب الدري ومن لدنه معناه من عنده والاجر العظيم الجنة قاله ابن مسعود وغيره واذا من الله سبحانه بتفضله على عبده بلغ به الغاية اللهم من علينا بخير الدارين بفضلك * وقوله جلت قدرته فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الآية لما تقدم فى التى قبلها الاعلام بتحقيق الاحكام يوم القيامة حسن بعد ذلك التنبيه على الحالة التى يحضر ذلك فيها ويجاء فيها بالشهداء على الامم ومعنى الآية ان الله سبحانه ياتى بالانبياء شهداء على اممهم بالتصديق والتكذيب ومعنى الامة فى هذه الآية جميع من بعث اليه من آمن منهم ومن كفر وكذلك قال المتأولون ان الاشارة بهؤلاء الى كفار قريش وغيرهم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية فاضت عيناه وكذلك ذَرَفَت عيناه عليه السلام حين قرأها عليه ابن مسعود حسبما هو مذكور فى الحديث الصحيح وفى صحيح البخاري عن عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى احد صلاته على الميت بعد ثمان سنين كالمودّع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال انى بين ايديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض وانى لا نظر اليه من مقامى هذا وانى لست اخشى عليكم ان تشركوا ولكنى اخشى عليكم الدنيا ان تنافسوها قال فكانت ءاخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى * وقوله تعالى لو تسوى قالت فرقة معناه تنشق الارض فيحصلون فيها ثم تتسوّى هي فى نفسها عليهم وبهم وقالت فرقة معناه لو تستوى هي معهم فى ان يكونوا ترابا كالبهائم * وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا معناه عند طائفة ان الكفار لما يرونه من الهول وشدة المخاوف يودون لو تسوى بهم الارض فلا

ينالهم ذلك الخوف ثم استانف الكلام فاخبر انهم لا يكتمون الله حديثا لنطق جوارحهم بذلك كله حين يقول بعضهم والله ربنا ما كنا مشركين فيقول الله سبحانه كذبتم ثم تنطق جوارحهم فلا تكتم حديثا وهذا قول ابن عباس وقالت طائفة الكلام كله متصل ودهم ان لا يكتموا الله حديثا انما هو ندم على كذبهم حين قالوا والله ربنا ما كنا مشركين والرسول فى هذه الآية الجنس شرف بالذكر وهو مفرد دل على الجمع * وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون الآية نزلت قبل تحريم الخمر وجمهور المفسرين على ان المراد سكر الخمر الا الضحاك فانه قال المراد سكر النوم وهذا قول ضعيف والمراد بالصلاة هنا الصلاة المعروفة وقالت طائفة الصلاة هنا المراد بها موضع الصلاة والصلاة معا قال ابن العربي فى الاحكام وروي فى سبب نزول هذه الآية عن علي رضي الله عنه انه قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر يعنى وذلك قبل تحريمها قال فاخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدمونى فقرأت قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون الآية خرجه الترمذي وصححه انتهى * وقوله ولا جنبا الا عابرى سبيل قال علي بن ابى طالب رضي الله عنه وغيره عابر السبيل المسافر وقال ابن مسعود وغيره عابر السبيل هنا الخاطر فى المسجد وعابر سبيل هو من العبور اي الخطور والجواز والمريض المذكور فى الآية هو الحضري واصل الغائط ما انخفض من الارض ثم كثر استعماله فى قضاء الحاجة واللمس فى اللغة لفظ يقع للمس الذى هو الجماع وللمس الذى هو جس اليد والقبلة ونحوه واختلف فى موقعها هنا فمالك رحمه الله يقول اللفظة هنا تقتضى الوجهين فالملامس بالجماع

يتيمم والملامس باليد يتيمم ومعنى قوله سبحانه فتيمموا اقصدوا والصعيد في اللغة وجه الارض قاله الخليل وغيره واختلف الفقهاء فيه من اجل تقييد الآية اياه بالطيب فقالت طائفة يتيمم بوجه الارض ترابا كان او رملا او حجارة او معدنا او سبخة وجعلت الطيب بمعنى الطاهر وهذا هو مذهب مالك وقالت طائفة منهم الطيب بمعنى المنبت كما قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه فالصعيد عندهم هو التراب وهذه الطائفة لا تجيز التيمم بغيره فمكان الاجماع ان يتيمم في تراب منبت طاهر غير منقول ولا مغصوب وترتيب القران الوجه قبل اليدين وبه قال الجمهور وفي المدونة ان التيمم ضربتان وجمهور العلماء انه ينتهي في مسح اليدين الى المرافق * وقوله سبحانه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة الآية الم تر من رؤية القلب وهي علم بالشيء والمراد بالذين اليهود قاله قتادة وغيره ثم اللفظ يتناول معهم النصارى وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت اليهودي والكتاب التوراة والانجيل ويشترون عبارة عن ايثارهم الكفر وتركهم الايمان وقالت فرقة اراد الذين كانوا يعطون اموالهم للاحبار على اقامة شرعهم فهو شراء حقيقة ويريدون ان تضلوا السبيل معناه ان تكفروا * وقوله سبحانه والله اعلم باعدائكم خبر في ضمنه التحذير منهم وكفى بالله وليا اي اكتفوا بالله وليا * وقوله سبحانه من الذين هادوا قال بعض المتأولين من راجعة على الذين الاولى وقالت فرقة من متعلقة بنصيرا والمعنى ينصركم من الذين هادوا فعلى هذين التاويلين لا يوقف في قوله نصيرا وقالت فرقة هي ابتداء كلام وفيه اضمار تقديره قوم يحرفون وهذا مذهب ابي علي وعلى هذا التاويل يوقف في نصيرا وقول سيبويه اصوب لان اضمار الموصول ثقيل واضمار الموصوف اسهل وتحريفهم للكلام على وجهين اما بتغيير اللفظ وقد

فعلوا ذلك فى الاقل واما بتغيير التاويل وقد فعلوا ذلك فى الاكثر واليه ذهب الطبري وهذا كله فى التوراة على قول الجمهور وقالت طائفة هو كلِم القرءان وقال مكي هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم فالتحريف على هذا فى التاويل * وقوله تعالى عنهم سمعنا وعصينا عبارة عن عتوهم فى كفرهم وطغيانهم فيه وغير مسمع يتخرج فيه معنيان احدهما غير مامور وغير صاغر كانهم قالوا غير ان تُسَمَّع مامورا بذلك والآخر على جهة الدعاء اي لا سمعت كما تقول امض غير مصيب ونحو ذلك فكانت اليهود اذا خاطبت النبي صلى الله عليه وسلم بغير مسمع ارادت فى الباطن الدعاء عليه وأرت ظاهرا انها تريد تعظيمه قال ابن عباس وغيره نحوه وكذلك كانوا يريدون منه فى انفسهم معنى الرعونة وحكى مكي معنى رعاية الماشية ويظهرون منه معنى المراعاة فهذا معنى لي اللسان وقال الحسن ومجاهد غير مسمع اي غير مقبول منك وليا اصله لوْيا وطعنا فى الدين اي توهينا له واظهارا للاستخفاف به قال * ع * وهذا اللي باللسان الى خلاف ما فى القلب موجود حتى الآن فى بنى اسراءيل ويحفظ منه فى عصرنا امثلة الا انه لا يليق ذكرها بهذا الكتاب * وقوله تعالى ولو انهم الآية المعنى ولو انهم ءامنوا وسمعوا واطاعوا واقوم معناه اعدل واصوب وقليلا نعت اما لايمان واما لنفر او قوم والمعنى مختلف * وقوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب ءامنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم الآية هذا خطاب لليهود والنصارى ولما معكم معناه من شرع وملة لا لما معهم من مبدّل ومغيّر والطامس الداثر المغير الاعلام قالت طائفة طمس الوجوه هنا هو خلو الحواس منها وزوال الخلقة وقال ابن عباس وغيره طمس الوجوه ان تزال العينان خاصة منها وترد العينان فى القفا فيكون ذلك ردا على الادبار ويمشى القهقرى وقال مالك رحمه الله كان اول اسلام كعب الاحبار انه مر برجل من الليل وهو

يقرأ هذه الآية يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا الآية فوضع كفيه على وجهه ورجع القهقرى الى بيته فاسلم مكانه وقال والله لقد خفت ان لا ابلغ بيتي حتى يطمس وجهي واصحاب السبت هم الذين اعتدوا في السبت في الصيد حسبما تقدم قال قتادة وغيره وامر الله في هذه الآية واحد الامور دال على جنسها لا واحد الاوامر فهي عبارة عن المخلوقات كالعذاب واللعنة هنا او ما اقتضاه كل موضع مما يختص به * وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الآية هذه الآية هي الحاكمة ببيان ما تعارض من آيات الوعد والوعيد وتلخيص الكلام فيها ان يقال الناس اربعة اصناف كافر مات على كفره فهذا مخلد في النار باجماع ومومن محسن لم يذنب قط ومات على ذلك فهذا في الجنة محتوم عليه حسب الخبر من الله تعالى باجماع وتائب مات على توبته فهو عند اهل السنة وجمهور فقهاء الامة لاحق بالمومن المحسن الا ان قانون المتكلمين انه في المشيئة ومذنب مات قبل توبته فهذا هو موضع الخلاف فقالت المرجئة هو في الجنة بايمانه ولا تضره سيئاته وجعلوا آيات الوعيد كلها في الكفار وآيات الوعد عامة في المومنين تقيهم وعاصيهم وقالت المعتزلة اذا كان صاحب كبيرة فهو في النار ولا بد وقالت الخوارج اذا كان صاحب كبيرة او صغيرة فهو في النار مخلد ولا ايمان له لانهم يرون كل الذنوب كبائر وجعلوا آيات الوعد كلها في المومن الذي لم يعص قط والمومن التائب وقال اهل السنة هو في المشيئة وهذه الآية هي الحاكمة وهي النص في موضع النزاع وذلك ان قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به فصل مجمع عليه وقوله ويغفر ما دون ذلك فصل قاطع للمعتزلة راد على قولهم ردا لا محيد لهم عنه ولو وقفنا في هذا الموضع من الكلام لصح قول المرجئة فجاء قوله لمن

يشاء ردا عليهم مبينـا ان غفران ما دون الشرك انما هو لقوم دون قوم بخلاف ما زعموه من انه مغفور لكل مومن ولما حتم سبحانه على انه لا يغفر الشرك ذكر قبح موقعه وقدره في الذنوب والفرية اشد مراتب الكذب قبحا وهو الاختلاق * وقوله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء الآية لا خلاف بين المتأولين ان المراد بالآية اليهود وانما اختلفوا في المعنى الذي به زكوا انفسهم فقال الحسن وقتادة ذلك قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا الى غير ذلك من غرورهم قال * ع * فتقتضي هذه الآية الغض من المزكي لنفسه بلسانه والاعلام بان الزاكي المزكّىٰ من حسنت افعاله وزكاه الله عز وجل قال ابن عباس وغيره الفتيل الخيط الذي في شق نواة التمرة وذلك راجع الى الكناية عن تحقير الشيء وتصغيرة وان الله لا يظلمه ولا شيء دونه في الصغر فكيف بما فوقه * وقوله تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب الآية يبين ان تزكيتهم انفسهم كانت بالباطل والكذب ويقوى ان التزكية كانت بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ان الافتراء اعظم في هذه المقالة وكيف يصح ان تكون في موضع رفع بالابتداء والخبر في قوله يفترون وكفى به اثما مبينا خبر في ضمنه تعجب وتعجيب من امرهم قال * ص * وكفى به عائد على الافتراء وقيل على الكذب انتهى * وقوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت الآية اجمع المتأولون ان المراد بها طائفة من اليهود والقصص يبين ذلك ومجموع ما ذكره المفسرون في تفسير الجبت والطاغوت يقتضي انه كل ما عبد واطيع من دون الله تعالى * وقوله تعالى ويقولون للذين كفروا الآية سببها ان قريشا قالت لكعب بن الاشرف حين ورد مكة انت سيدنا وسيد قومك انا قوم ننحر الكوماء

ونقـرى الضيف ونصل الرحم ونسقـى الحجيج ونعبـد ءالهتنـا التى وجدنا عليها ءاباءنا وهذا محمد قد قطع الرحم فمن اهدى نحن او هو فقال كعب انتم اهدى منه واقوم دينا فـنـزلت هذه الآية قاله ابن عباس فالضمير فى يقولون عائد على كعب وعلى الجماعة التى معه من اليهود المحرضين على قتال النبي صلى الله عليه وسلم والذيـن كفـروا فى هذه الآيـة هم كـفـار قريش والاشارة بهؤلاء اليهم والذين ءامنـوا هم النبي صلى الله عليـه وسلم وامته وقالت فرقة بل المراد حيي ابن اخطب واتباعه وهم المقصود من اول الآيات قال * ص * للذين اللام للتبليغ متعلقـة بـيقولون انـتهى * وقوله تعالى ام لهم نصيب من الملك الآية عرف ام ان تعطف بعد استفهام متقدم كقولك اقـام زيد ام عمرو فاذا وردت ولم يتقدمها استـفـهام كما هي هنا فمذهب سيبـويه انها مضمنة معنى الاضراب عن الكلام الاول والقطع منه وهي متضمنة مع ذلك معنى الاستفـهام فـهي بمعنى بل مع همزة استفهام كـقـول العرب انها لإبل ام شاء التقدير عند سيبـويه انها لإبل بل اهي شاء وكذلك هذا الموضع بل ألهم نصيب من الملك فاذا عرفت هذا فالمعنى على الارجح الذى هو مذهب سيبـويه والحذاق ان هذا استفهام على معنى الانكار اي ألهم ملك فاذن لوكان لبخلوا به والنقيـرهي النكتة التى فى ظهر النواة من التمـر هذا قول الجمهور وهذا كناية عن الغاية فى الحقارة والقلة وتكـتـب اذا بالنـون وبالالف فالنـون هو الاصل كعن ومن وجاز كتبها بالالف لصحة الوقوف عليها فاشبـهت نون التـنـويـن ولا يصح الوقوف على عن ومن * وقوله تعالى ام يحسدون الناس على ما ءاتاهم الله الآية ام هذه على بابها من العطـف بعد الاستفـهام وقـال * ص * ام يحسدون ام ايـضا منقطعـة تـتـقـدر ببـل والهمزة انتهـى قلت والظاهـر ما قاله * ع * واختلف فى

المراد بالناس هنا فقال ابن عباس وغيره هو النبي صلى الله عليه وسلم والفضل النبوءة فقط والمعنى فلم يخصونه بالحسد ولا يحسدون ءال ابراهيم فى جميع ما ءاتيناهم من هذا وغيره من الملك وقال قتادة الناس هنا العرب حسدتها بنو اسراءيل فى ان كان النبي صلى الله عليه وسلم منها والفضل على هذا التاويل هو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو عمر بن عبد البر وقد ذم الله قوما على حسدهم فقال ام يحسدون الناس على ما ءاتاهم الله من فضله ثم حدث بسنده عن عمرو ابن ميمون قال لما رفع الله موسى نجيا رأى رجلا متعلقا بالعرش فقال يا رب من هذا فقال هذا عبد من عبادى صالح ان شئت اخبرتك بعمله فقال يا رب اخبرني فقال كان لا يحسد الناس على ما ءاتاهم الله من فضله ثم حدث ابو عمر بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وذكر عبد الرزاق عن معمر عن اسماعيل بن امية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يسلَم منهن احد الطيَرة والظن والحسد قيل فما المخرج منهن يا رسول الله قال اذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ انتهى من التمهيد * وقوله تعالى فمنهم من آمن به اختلف فى الضمير من به فقال الجمهور هو عائد على القرءان الذى فى قوله تعالى ءامنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فأعلم الله سبحانه ان منهم من آمن كما امر فلذلك ارتفع الوعيد بالطمس ولم يقع وصد قوم ثبت الوعيد عليهم فى الآخرة بقوله سبحانه وكفى بجهنم سعيرا وقيل هو عائد على ابراهيم عليه السلام وقيل هو عائد على الفضل الذى ءاتاه الله النبي عليه السلام والعربَ على ما تقدم * وقوله تعالى ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا الآية لما تقدم فى الآية وصف المرَدة من بنى اسراءيل وذِكْر افعالهم وذنوبهم

جاءت هذه الآية بالوعيد النص لهم بلفظ جلي عام لهم ولغيرهم ممن فعل فعلهم من الكفرة واختلف في معنى تبديل الجلود فقالت فرقة تبدل عليهم جلودٌ اغيار اذ نفوسهم هي المعذبة والجلود لا تالم في ذاتها وقالت فرقة تبديل الجلود هو اعادة ذلك الجلد بعينه الذى كان في الدنيا وانما سماه تبديلا لان اوصافه تتغير قال الحسن بن ابي الحسن تبدل عليهم في اليوم سبعين الف مرة عافانا الله من عذابه برحمته ولما ذكر سبحانه وعيد الكفار عقّب بوعد المومنين بالجنة على الايمان والاعمال الصالحة وظليلا معناه عند بعضهم يقى الحر والبرد ويصح ان يريد انه ظل لا يستحيل ولا يتنقّل وصح وصفه بظليل لامتداده فقد قال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمّر في ظلها مائة سنة ما يقطعها ورأيت لبعضهم ما نصه وذكر الطبري في كتابه قال لما خلق الله عزوجل الجنة قال لها امتدى فقالت يا رب كم والى كم فقال لها امتدى مائة الف سنة فامتدت ثم قال لها امتدى فقالت يا رب كم والى كم فقال لها امتدى مائة الف سنة فامتدت ثم قال لها امتدى فقالت يا رب كم والى كم فقال لها امتدى مقدار رحمتي فامتدت فهي تمتد ابد الآبدين فليس للجنة طرف كما انه ليس لرحمة الله طرف انتهى فهذا لا يُعلم الا من جهة السمع فهو مما اطلع عليه الطبري وهو امام حافظ محدث ثقة قاله الخطيب احمد بن علي بن ثابت

* وقوله تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها الآية قال ابن جريج وغيره الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في امر مفتاح الكعبة حين اخذه من عثمان بن طلحة ومن ابن عمه شيبة فطلبه العباس بن عبد المطلب ليضيف السدانة الى السقاية فدخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة وكسر ما كان فيها من الاوثان واخرج مقام ابراهيم ونزل عليه جبريل بهذه الآية قال عمر بن الخطاب

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية وماكنت سمعتها قبل منه فدعا عثمان وشيبة فقال لهما خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم ثم الآية بعدُ تتناول الولاة فيما لديهم من الامانات فى قسمة الاموال ورد الظّلامات وعدل الحكومات وتتناول من دونهم من الناس فى حفظ الودائع والتحرز فى الشهادات وغير ذلك كالرجل يُحَكّم فى نازلة ما ونحوه والصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات امانات لله تعالى قال ابن العربي فى احكامه هذه الآية فى اداء الامانة والحكم بين الناس عامة فى الولاة والخلق لان كل مسلم عالم بل كل مسلم حاكم ووالٍ قال النبي صلى الله عليه وسلم المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين وهم الذين يعدلون فى انفسهم واهليهم وما وَلُوا وقال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع فى اهل بيته وهو مسئول عنهم والعبد راع فى مال سيده وهو مسئول عنه وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فهذه الاحاديث الصحيحة تدل على ما قلناه انتهى ونعما اصله نعم ما سكنت الميم الاولى وادغمت فى الثانية وحركت العين لالتقاء الساكنين وخصت بالكسر اتباعا للنون وما المردوفة على نعم انما هي مهيئة لاتصال الفعل بها ومع انها موطئة فهي بمعنى الذى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول الآية لما تُقُدِّم الى الولاة فى الآية المتقدمة تُقُدِّم فى هذه الى الرعية فامر بطاعته عز وجل وهي امتثال اوامره ونواهيه وطاعة رسوله وطاعة الامراء على قول الجمهور وهو قول ابن عباس وغيره فالامر على هذا التاويل هو ضد النهي ومنه لفظة الامير وقال جابر وجماعة اولوا الامر اهل القرءان والعلم قال عطاء طاعة الرسول هي اتباع سنته يعني بعد موته ولفظ ابن العربي فى احكامه قال قوله تعالى واولى الامر منكم فيها قولان الاول قال ميمون بن مِهْران

هم اصحاب السرايا وروى فى ذلك حديثا وهو اختيار البخاري وروي عن ابن عباس انها نزلت فى عبد الله بن حذافة اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم فى سرية والثانى هم العلماء وبه قال اكثر التابعين واختاره مالك والطبري والصحيح عندى انهم الامراء والعلماء اما الامراء فلان الامر منهم والحكم اليهم واما العلماء فلان سؤالهم متعين على الخلق وجوابهم لازم وامتثال فتواهم واجب ويدخل فيه تأمر الزوج على الزوجة لانه حاكم عليها انتهى * وقوله تعالى فان تنازعتم فى شيء الآية معنى التنازع ان كل واحد ينتزع حجة الآخر ويذهبها والرد الى الله هو النظر فى كتابه العزيز والرد الى الرسول هو سؤاله صلى الله عليه وسلم فى حياته والنظر فى سنته بعد وفاته هذا قول مجاهد وغيره وهو الصحيح * وقوله سبحانه ان كنتم تومنون بالله الآية فيه بعض وعيد وتاويلا معناه مآلا فى قول جماعة وقال قتادة وغيره المعنى احسن عاقبة وقالت فرقة المعنى ان الله ورسوله احسن نظرا وتأولا منكم اذا انفردتم بتأولكم * وقوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك الآية تقول العرب زعم فلان كذا فى الامر الذى يضعف فيه التحقيق وغاية درجة الزعم اذا قوي ان يكون مظنونا واذا قال سيبويه زعم الخليل فانما يستعملها فيما انفرد الخليل به وكان اقوى رتب زعم ان تبقى معها عهدة الخبر على المخبر قال عامر الشعبي نزلت الآية فى منافق اسمه بشر خاصم رجلا من اليهود فدعاه اليهودي الى المسلمين لعلمه انهم لا يرتشون وكان المنافق يدعو اليهودي الى اليهود لعلمه انهم يرتشون فاتفقا بعد ذلك على ان اتيا كاهنا كان بالمدينة فرضياه فنزلت هذه الآية فيهما وفى صنفيهما فالذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل على محمد عليه السلام هم المنافقون والذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل من قبله هم اليهود وكل قد أمر فى كتابه بالكفر بالطاغوت والطاغوت

هنا الكاهن المذكور فهذا تانيب للصنفين وقال ابن عباس الطاغوت هنا هو كعب ابن الاشرف وهو الذى تراضيا به وقيل غير هذا وقوله رأيت هي رؤية عين لمن صد من المنافقين مجاهرة وتصريحا وهي رؤية قلب لمن صد منهم مكرا وتخابثا ومسارقة حتى لا يعلم ذلك منه الا بالقرائن الصادرة عنه * وقوله تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم قالت فرقة هي فى المنافقين الذين احتكموا حسبما تقدم فالمعنى فكيف بهم اذا عاقبهم الله بهذه الذنوب بنقمة منه ثم حلفوا ان اردنا بالاحتكام الى الطاغوت الا توفيق الحكم وتقريبه * وقوله تعالى اولائك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم تكذيب لهم وتوعد اي فهو سبحانه مجازيهم فاعرض عنهم وعظهم بالتخويف من عذاب الله وغيره من المواعظ * وقوله سبحانه وقل لهم فى انفسهم قال * ص * اي قل لهم خاليا بهم لان النصح اذا كان فى السركان انجح او قل لهم فى حال انفسهم النجسة المنطوية على النفاق قولا يبلغ منهم الزجرعن العود الى ما فعلوا انتهى واختلف فى القول البليغ فقيل هو الزجر والردع والكف بالبلاغة من القول وقيل هو التوعد بالقتل ان استداموا حالة النفاق قاله الحسن وهذا ابلغ ما يكون فى نفوسهم والبلاغة ماخوذة من بلوغ المراد بالقول * وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله تنبيه على جلالة الرسل اي فانت يا محمد منهم تجب طاعتك وتتعين اجابة الدعوة اليك وباذن الله معناه بامر الله وظلموا انفسهم اي بالمعصية والنفاق وعن العتبي قال كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله تعالى يقول ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستغفيا من ذنوبي مستغفرا الى ربي ثم انشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم انصرف فحملتني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي يا عُتبي الحق الاعرابي فبشره ان الله تعالى قد غفر له انتهى من حلية النووي وسنن الصالحين للباجي وفيه مستغفرا من ذنوبي مستشفعا بك الى ربي * وقوله تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية قال الطبري قوله فلا رد على ما تقدم تقديره فليس الامر كما يزعمون انهم ءامنوا بما انزل اليك ثم استانف القسم وقال غيره انما قدم لا على القسم اهتماما بالنهي واظهارا لقوته قال ابن عطاء الله في التنوير وفي قوله سبحانه فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم دلالة على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكّم الله ورسوله على نفسه قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا فتبين لك من هذا انه لا تحصل لك حقيقة الايمان بالله الا بامرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره سبحانه انتهى وشجر معناه اختلط والتف من امورهم وهو من الشجر شبه بالتفاف الاغصان والحرج الضيق والتكلف والمشقة قال مجاهد حرجا شكا * وقوله تسليما مصدر مؤكد منبئ عن التحقيق في التسليم لان العرب انما تردف الفعل بالمصدر اذا ارادت ان الفعل وقع حقيقة كما قال تعالى وكلم الله موسى تكليما قال مجاهد وغيره المراد بهذه الآية من تقدم ذكره ممن اراد التحاكم الى الطاغوت وفيهم نزلت ورجح الطبري هذا لانه اشبه بنسق الآية وقالت طائفة نزلت في رجل خاصم الزبير بن العوام في السقي بماء الحَرّة كما هو مذكور في البخاري وغيره وان الزبير قال فما احسب ان هذه الآية نزلت الا في ذلك وكتبنا معناه فرضنا ان اقتلوا انفسكم معناه يقتل بعضكم بعضا وقد تقدم نظيره في البقرة

وسبب الآية على ما حكي ان اليهود قالوا لما لم يرض المنافق بحكم النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا اسخف من هؤلاء يومنون بمحمد ثم لا يرضون بحكمه ونحن قد امرنا بقتل انفسنا ففعلنا وبلغ القتل فينا سبعين الفا فقال ثابت بن قيس لوكتب ذلك علينا لفعلناه فنزلت الآية معلمة بحال اولائك المنافقين وانه لوكتب ذلك على الامة لم يفعلوه وما كان يفعله الا قليل مومنون محققون كثابت قلت وفي العتبية عن مالك عن ابي بكر رضي الله عنه نحو مقالة ثابت بن قيس قال ابن رشد ولا شك ان ابا بكر من القليل الذي استثنى الله تعالى في الآية فلا احد احق بهذه الصفة منه انتهى قال * ص * الا قليل الجمهور بالرفع على البدل من واو فعلوه عند البصريين انتهى ولو انهم فعلوا ما يوعظون به اي لو ان هؤلاء المنافقين انعظوا وانابوا لكان خيرا لهم وتثبيتا معناه يقينا وتصديقا ونحو هذا اي يثبتهم الله ثم ذكر تعالى ما كان يمن به عليهم من تفضله بالاجر ووصفه اياه بالعظيم مقتض ما لا يحصيه بشر من النعيم المقيم والصراط المستقيم الايمان المؤدي الى الجنة والمقصود تعديد ما كان ينعم به عليهم سبحانه * وقوله جلت عظمته ومن يطع الله والرسول فاولائك مع الذين انعم الله عليهم الآية لما ذكر الله سبحانه الامر الذي لو فعلوه لانعم عليهم ذكر بعد ذلك ثواب من يفعله وهذه الآية تفسر قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم وقالت طائفة انما نزلت هذه الآية لما قال عبد الله بن زيد الانصاري الذي اري الاذان يا رسول الله اذا مت ومتنا كنت في عليين فلا نراك ولا نجتمع بك وذكر حزنه على ذلك فنزلت هذه الآية قال * ع * ومعنى انهم معهم في دار واحدة ومتنعم واحد وكل من فيها قد رزق الرضى بحاله وذهب عنه ان يعتقد انه مفضول وان كنا نحن قد علمنا من

الشريعة ان اهل الجنة تختلف مراتبهم على قدر اعمالهم وعلى قدر فضل الله على من يشاء والصديق فعّيل من الصدق وقيل من الصدقة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم الصديقون المتصدقون ولفظ الشهداء في هذه الآية يعم انواع الشهداء قال * ص * وحسن اولائك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قال وما احسن اولائك رفيقا وقد قدمنا في كلام ابن الحاج ما يدل على ان التعجب لازم لفَعُل المستعمل للمدح والذم على كل حال سواء استعملت استعمال نعم اولا انتهى * وقوله تعالى ذلك الفضل من الله الاشارة بذلك الى كون المطيعين مع المنعَم عليهم * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم الآية هذا خطاب للمخلصين من امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وامر لهم بجهاد الكفار والخروج في سبيل الله وحماية الاسلام وخذوا حذركم اي احزموا واستعدوا بانواع الاستعداد وانفروا معناه اخرجوا وثُبات معناه جماعات متفرقات وهي السرايا والثُبة حكي انها فوق العشرة وجميعا معناه الجيش الكثير مع النبي صلى الله عليه وسلم هكذا قال ابن عباس وغيره * وقوله تعالى وان منكم ايجاب والخطاب لجماعة المومنين والمراد بمن المنافقون وعبر عنهم بمنكم اذ هم في الظاهر في عِداد المومنين واللام الداخلة على من لام التأكيد والداخلة على يُبطِّئن لام القسم عند الجمهور وتقديره وان منكم لمن والله ليبطئن ويبطئن معناه يبطئ غيره اي يثبطه ويحمله على التخلف عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصيبة يعني من قتال واستشهاد وانما هي مصيبة بحسب اعتقاد المنافقين ونظرهم الفاسد وانما الشهادة في الحقيقة نعمة من الله سبحانه لحسن مآلها وشهيدا معناه مشاهدا * وقوله تعالى ولئن اصابكم فضل من الله اي ظفرتم وغنمتم ندم المنافق وقال يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما متمنيا شيئا قد

كان عاهد ان يفعله ثم غدر فى عهده * وقوله تعالى كان لم يكن بينكم و بينه مودة التفاتة بليغة واعتراض بيـن القائل والمقول بلفظ يظهر زيادة فى قبح فعلهم وقال الزجاج قوله كان لم يكن بينكم و بينه مودة مؤخروانما موضعه فان اصابتكم مصيبة قال * ع * وهذا ضعيف لانه يفسد فصاحة الكلام قال * ص * وقوله فافوز بالنصب هو جواب التمنى انتهى * وقوله تعالى فليقاتل فى سبيل الله الذيـن يشرون الحياة الدنيا بالآخرة الآية هذا امر من الله سبحانه للمومنين بالجهاد ويشرون هنا معناه يبيعـون ثم وصف سبحانه ثواب المقاتليـن والاجر العظيم الجنة * وقوله تعالى وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله الآية ما استفهام والمستضعفين عطف على اسم الله عزوجل اي وفى سبيل المستضعفين لاستنقاذهم ويعنى بالمستضعفين من كان بمكة تحت اذلال كفرة قريش وفيهم كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انج المستضعفين من المومنين والولدان عبارة عن الصبيـان والقرية هنـا مكة باجماع والآية تتنـاول المومنين والاسرى فى حواضر الشرك الى يوم القيامة قال ابن العربي فى احكامه قـال علماؤنا رحمهم الله اوجب الله تعالى فى هذه الآية القتال لاستنقـاذ الاسرى من يد العدو وقد روى الائمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اطعمـوا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني يعنى الاسيـر قـال مالـك رحمه الله على الناس ان يفكـوا الاسرى بجميـع اموالهـم وكذلك قالوا عليهم ان يواسوهم انتهـى * وقوله تعالى الذيـن ءامنوا يقاتلون فى سبيل الله الآية هذه الآية تقتضى تقوية قلوب المومنين وتحريضهم وقرينة ذكـر الشيطان بعدُ تـدل على ان المـراد بالطاغـوت هنا الشيطـان واعلامه تعالى بضعف كيد الشيطان فيه تقوية لقلوب المومنين وتجرئة لهم على مقارعة الكيد الضعيـف فان العـزم والحـزم الذى يكـون على حقائـق الايمان يكسره ويهده

* وقوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة الآية اختلف المتأولون فيمن المراد بقوله الذين قيل لهم فقال ابن عباس وغيره كان جماعة من المومنين قد انفوا من الذل بمكة قبل الهجرة وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيح لهم مقاتلة المشركين فامرهم عن الله تعالى بكف الايدى فلما كتب عليهم القتال بالمدينة شق ذلك على بعضهم ولحقهم ما يلحق البشر من الخَوَر والكَعّ عن مقارعة العدو فنزلت الآية فيهم وقال ابن عباس ايضا ومجاهد انما الآية حكاية عن حال اليهود انهم فعلوا ذلك مع نبيهم فى وقته فمعنى الحكاية عنهم تقبيح فعلهم ونهي المومنين عن فعل مثله وقيل المراد المنافقون واو تقدم شرحها فى سورة البقرة فى قوله تعالى او اشد قسوة لان الموضعين سواء وقولهم لم كتبت علينا القتال رد فى صدر اوامر الله سبحانه وقلة استسلام له ولاجل القريب يعنون به موتهم على فرشهم هكذا قال المفسرون قال * ع * وهذا يحسن اذا كانت الآية فى اليهود او فى المنافقين وأما اذا كانت فى طائفة من الصحابة فانما طلبوا التأخر الى وقت ظهور الاسلام وكثرة عددهم ويحسن القول بانها فى المنافقين اطراد ذكرهم فيما ياتى بعد من الآيات * وقوله سبحانه قل متاع الدنيا قليل الآية المعنى قل يا محمد لهؤلاء متاع الدنيا اي الاستمتاع بالحياة فيها الذى حرصتم عليه قليل وباقى الآية بين وهذا اخبار منه سبحانه يتضمن تحقير الدنيا قلت ولِمَا علم الله فى الدنيا من الآفات حمى منها اولياءه ففى الترمذي عن قتادة بن النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبدا حماه الدنيا كما يَظَل احدكم يحمى سقيمه الماء قال ابو عيسى وفى الباب عن صهيب وام المنذر وهذا حديث حسن وفى الترمذي عن ابن مسعود قال نام النبي صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد اثر فى جنبه فقلنا

يا رسول الله لو اتخذنا لك فراشا فقال مالي وما للدنيا ما انا في الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وفي الباب عن ابن عمروابن عباس قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى * وقوله سبحانه في بروج الاكثر والاصح الذى عليه الجمهور انه اراد بالبروج الحصون التى فى الارض المبنية لانها غاية البشر في التحصن والمنعة فمثل الله لهم بها قال قتادة المعنى في قصور محصنة وقاله ابن جريج والجمهور وبرّج معناه ظهرومنه تبرج المرأة ومشيّدة قال الزجاج وغيره معناه مرفوعة مطولة ومنه اشاد الرجل ذكر الرجل اذا رفعه وقالت طائفة مشيّدة معناه محسنة بالشيد وهو الجص وروى النسائي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اكثروا ذكر هادم اللذات يعني الموت وخرجه ابن ماجه والترمذي وخرجه ابو نعيم الحافظ باسناده من حديث مالك بن انس عن يحيي بن سعيد عن ابن المسيب عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وروى ابن ماجه بسنده عن ابن عمر انه قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من الانصار فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اي المومنين افضل قال احسنهم خُلُقا قال فاي المومنين اكيس قال اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم لما بعده استعدادا اولائك الاكياس واخرجه مالك ايضا انتهى من التذكرة * وقوله تعالى وان تصبهم حسنة الآية الضمير في تصبهم عائد على الذين قيل لهم كفوا ايديكم وهذا يدل على انهم المنافقون لان المومنين لا تليق بهم هذه المقالة ولان اليهود لم يكونوا للنبي صلى الله عليه وسلم تحت امر فتصيبهم بسببه اسواء والمعنى ان تصب هؤلاء المنافقين حسنة من غنيمة او غير ذلك رأوا ان ذلك بالاتفاق من صنع الله لا ببركة اتباعك والايمان بك وان

تصبهم سيئة اي هزيمة او شدة جوع او غير ذلك قالوا هذه بسببك وقوله قل كل من عند الله اعلام من الله سبحانه ان الخير والشر والحسنة والسيئة خلق له ومن عنده لا رب غيره ولا خالق ولا مخترع سواه والمعنى قل يا محمد لهؤلاء ثم وبخهم سبحانه بالاستفهام عن علة جهلهم وقلة فهمهم وتحصيلهم لما يخبرون به من الحقائق والفقه في اللغة الفهم وفي الشرع الفهم في امور الدين ثم غلب عليه الاستعمال في علم المسائل الاحكامية * وقوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره داخل في المعنى ومعنى الآية عند ابن عباس وغيره على القطع واستيناف الاخبار من الله عز وجل بان الحسنة منه ومن فضله وبان السيئة من الانسان باذنابه وهي من الله تعالى بخلقه واختراعه لا خالق سواه سبحانه لا شريك له وفي مصحف ابن مسعود فمن نفسك وانا قضيتها عليك وقرأ بها ابن عباس وفي رواية وانا قدرتها عليك ويعضد هذا التاويل احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم معناها ان ما يصيب ابن ءادم من المصائب فانما هو عقوبة ذنوبه قال ابو جعفر احمد بن نصر الداودي قوله تعالى وما اصابك من سيئة فمن نفسك خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره انتهى * وفي قوله سبحانه وارسلناك للناس رسولا ثم تلاه بقوله وكفى بالله شهيدا توعد للكفار وتهديد تقتضيه قوة الكلام لان المعنى شهيدا على من كذبه * وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله فالمعنى ان الرسول عليه السلام انما يامر وينهى بيانا وتبليغا عن الله وتولى معناه اعرض وحفيظا يحتمل معنيين اي لتحفظهم حتى لا يقعوا في الكفر والمعاصي ونحوه او لتحفظ مساويهم وتحسبها عليهم وهذه الآية تقتضي الاعراض عن من تولى والترك له وهي قبل نزول القتال وانما كانت توطئة ورفقا من الله

عز وجل حتى يستحكم امر الاسلام * وقوله تعالى ويقولون طاعة الآية نزلت
فى المنافقين باتفاق المفسرين المعنى يقولون لك يا محمد امرنا طاعة فاذا خرجوا
من عندك اجتمعوا ليلا وقالوا غير ما اظهروا لك وبيّت معناه فعل ليلا وهو
ماخوذ من بات او من البيت لانه ملتزَم بالليل * وقوله تقول يحتمل ان يكون
معناه تقول انت ويحتمل تقول هي لك والامر بالاعراض انما هو عند معاقبتهم
ومجازاتهم واما استمرار عظتهم ودعوتهم فلازم ثم امر سبحانه بالتوكل عليه والتمسك
بعروته الوثقى ثقة بانجاز وعده فى النصر والوكيلُ القائم بالامور المصلح لما
يخاف من فسادها * وقوله تعالى افلا يتدبرون القرءان الآية المعنى افلا يتدبر
هؤلاء المنافقون كلام الله تعالى فتظهر لهم براهينه وتلوح لهم ادلته قلت اعلم
رحمك الله تعالى ان تدبر القرءان كفيل لصاحبه بكل خير واما الهدرمة والعجلة
فتاثيرها فى القلب ضعيف قال النووي رحمه الله وقد كرِه جماعة من المتقدمين
الختم فى يوم وليلة ويدل عليه ما رويناه بالاسانيد الصحيحة فى سنن ابى داود
والترمذي والنساءي وغيرها عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يفقه من قرأ القرءان فى اقل من ثلاث انتهى قال
* ع * والتدبر هو النظر فى اعقاب الامور وتاويلات الاشياء هذا كله يقتضيه
قوله سبحانه افلا يتدبرون القرءان وهذا امر بالنظر والاستدلال ثم عرف تعالى
بموقع الحجة اي لو كان من كلام البشر لدخله ما فى البشر من القصور وظهر
فيه التناقض والتنافى الذى لا يمكن جمعه اذ ذلك موجود فى كلام البشر
والقرءان منزه عنه اذ هو كلام المحيط بكل شيء سبحانه قال * ع * فان
عرضت لاحد شبهة وظن اختلافا فى شيء من كتاب الله فالواجب ان يتهم نظره
ويسأل من هو اعلم منه * وقوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف الآية

قال جمهور المفسرين ان الآية فى المنافقين حسبما تقدم والمعنى ان المنافقين كانوا يتشوفون الى سماع ما يسيء النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طرأت لهم شبهة امن للمسلمين اوفتح عليهم حقروها وصغروا شانها واذاعوا ذلك التحقير والتصغير واذا طرأت لهم شبهة خوف للمسلمين او مصيبة عظموها واذاعوا ذلك واذاعوا به معناه افشوه وهو فعل يتعدى بحرف الجر وبنفسه احيانا وقالت فرقة الآية نزلت فى المنافقين وفيمن ضعف جلده وقلت تجربته من المومنين وفى الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه جاء وقوم فى المسجد يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ثم قال فقلت يا رسول الله اطلقت نساءك فقال لا قال عمر فقمت على باب المسجد فقلت الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلق نساءه فانزل الله تعالى هذه الآية واذا جاءهم امر من الامن او الخوف الآية قال وانا الذى استنبطته * وقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول الآية المعنى لو امسكوا عن الخوض واستقصوا الامر من قبل الرسول واولى الامر وهم الامراء والعلماء لعلمه طلابه من اولى الامر والبحثة عنه وهم مستنبطوه كما يستنبط الماء وهو استخراجه من الارض * وقوله سبحانه ولولا فضل الله عليكم ورحمته الآية خطاب لجميع المومنين باتفاق من المتأولين وقوله الا قليلا هو مستثنى فى قول جماعة من قوله لا تبعتم الشيطان الا قليلا وقال ابن عباس وابن زيد ذلك مستثنى من قوله اذاعوا به الا قليلا ورجحه الطبري وقال قتادة هو مستثنى من قوله يستنبطونه الا قليلا * ت * قال الداودي قال ابو عبيدة وانما كره العلماء ان يجعلوا الاستثناء من قوله لا تبعتم الشيطان الا قليلا لانه لا وجه له فانه لولا فضل الله ورحمته لا تبعوا الشيطان كلهم انتهى وهو حسن واما قوله لا وجه له ففيه نظر فقد وجهه العلماء بما لا نطيل بذكره * وقوله تعالى فقاتل

فی سبيـل الله الآية هذا امر فی ظاهر اللفظ للنبي صلى الله عليه وسلم وحده لكن لم نجد قط فی خبر ان القتـال فرض على النبي صلى الله عليه وسلم دون الامة مدة ما والمعنـى والله اعلم انه خطـاب للنبـي صلى الله عليه وسلم فی اللفظ وهو مثال ما يقال لكل واحد فی خاصة نفسه اي انت يا محمد وكل واحد من امتك القول له فقاتل فی سبيـل الله لا تكلـف الا نفسك ولهذا ينبغی لكل مومن ان يستشعر ان يجاهد ولو وحده ومن ذلـك قول النبـي صلى الله عليه وسلم والله لا قاتلنكم حتى تنفـرد سالفتی وقول ابی بكر رضي الله عنه وقت الردة ولو خالفتنـي يمينی لجاهدتها بشمالی وعسى اذا وردت من الله تعالى فقال عكرمة وغيره هي واجبـة بفضـل الله ووعده الجميل قلت اي واقع ما وعد به سبحانه والتنكيـل الاخذ بانـواع العذاب * وقوله سبحانه من يشفع شفاعة حسنـة الآية قال مجاهد وغيره هي فی شفاعـات النـاس بينهم فی حوائجهم فمن يشفع لينفـع فله نصيب ومن يشفع ليضر فله كفل والكفـل النصيب ويستعمل فی الخير وفی الشر وفی كتاب الله تعالى يوتكم كفلين من رحمته وروى ابو داود عن ابی امامـة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من شفع لاحد شفاعـة فاهدى له هدية عليها فقبلها فقـد اتى بابا عظيما من ابواب الربا انتهى ومقيتا معناه قديرا ومنه قول الزبير بن عبد المطلب

وذي ضغن كففت النفس عنـه * وكنت على اساءته مقيتـــــا

اي قديرا وقيل مقيتـا معنـاه شهيـدا وقيل حفيظا وذهب مقاتـل الى انه الذي يقوت كل حيوان قال الداودي قال الكلبي المقيت هو المُقّدِر بلغة قريش انتهى * وقوله سبحانه واذا حييتم بتحية الآيـة قالت فرقـة معنى الآيـة تخيير الراد فاذا قال البادئ السلام عليك فللراد ان يقول وعليك السلام فقط وهذا هو

الرد وله ان يقول وعليك السلام ورحمة الله وهذا هو التحية باحسن وروي عن ابن عمر وغيره انتهاء السلام الى البركة وقالت فرقة المعنى اذا حييتم بتحية فان نقص المسلّم من النهاية فحيوا باحسن منها وان انتهى فردوها كذلك قال عطاء والآية فى المومنين خاصة ومن سلم من غيرهم فيقال له عليك كما فى الحديث وفى ابى داود والترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اولى الناس بالله من بدأ بالسلام انتهى واكثر اهل العلم على ان الابتداء بالسلام سنة مؤكدة ورده فريضة لانه حق من الحقوق قاله الحسن وغيره قال النووي وروينا فى كتاب ابن السني عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبدين متحابين فى الله عز وجل يستقبل احدهما صاحبه فيصافحه فيصليان على النبي صلى الله عليه وسلم الا لم يتفرقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر وروينا فيه عن انس ايضا قال ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد رجل ففارقه حتى قال اللهم ربنا ءاتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وروينا فيه عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا وتكاشرا بود ونصيحة تناثرت خطاياهما بينهما وفى رواية اذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفرا غفر الله عز وجل لهما انتهى وحسيبا معناه حفيظا وهو فعيل من الحساب * وقوله سبحانه الله لا اله الا هو ليجمعنكم الآية لما تقدم الانذار والتحذير الذى تضمنه قوله تعالى ان الله كان على كل شيء حسيبا تلاه الاعلام بصفة الربوبية وحال الوحدانية والاعلام بالحشر والبعث من القبور للثواب والعقاب اعلاما بقسم تقديره وحقه وعظمته ليجمعنكم والجمع بمعنى الحشر * وقوله سبحانه ومن اصدق من الله حديثا المعنى لا احد اصدق من الله تعالى * وقوله تعالى فما لكم فى

المنافقيـن فـئتيـن الآية واختلف فى هـؤلاء المنافـقيـن فـقال ابن عباس هم قوم كانـوا بمكة اظهروا الايمان لا صحاب النبي صلى الله عليه وسلم فى كتب بعثوا بها الى المدينة ثم خرجوا مسافريـن الى الشام واعطتـهم قريش بضاعات وقالوا لهم انـتم لا تخافـون اصحاب محمد لانكم تخدعونهم باظهار الايمان فاتصل خبرهم بالمدينة فاختلف المومنون فيهم فـقـالت فرقـة نخرج اليـهم فانـهم منافـقـون وقالت فرقة بل هم مومنـون لا سبيل لنا اليهم فـنـزلت الآية وعن مجاهد نحوه قال * ع * ويعضده ما فى ءاخر الآية من قوله تعالى حتى يهاجروا وقال زيد بـن ثابت نـزلت فى عبد الله بن ابي واصحابه المنافقيـن الذين رجعوا عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وهو فى صحيح البخاري مسندا قال ابن العربي فى احكامه وهذا القول هو اختيار البخاري والترمذي انتهى قال * ع * وعلى هذا فـقوله سبحانه حتى يهاجروا المراد هجر ما نهى الله عنه كما قال عليه السلام والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه وفـئـتيـن معناه فرقتيـن واركسهم معناه ارجعهم فى كفرهم وضلالهم والركس الرجيع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى الروثة انـهـا رِكْس وحكى النضر بن شُمَيْـل والكسائي ركس واركس بمعنى واحد اي ارجعهم ومن قال من المتأولين اهلكهم او اضلهم فانما هو بالمعنى وباقى الآية بيـن قال * ص * اركسهم اي ردهم فى الكفر وقال ابن العربي فى احكامه اخبر الله تعالى انه رد المنافقين الى الكفر وهو الاركاس وهو عبارة عن الرجوع الى الحالة المكروهة كما قـال فى الروثة انها ركس اي رجعت الى حالـة مكروهة فـنهـى الله سبحانه الصحابة ان يتعلقـوا فيهم بظاهـر الايمـان اذ كان باطنهم الكفـر وامرهم بقتلهم حيث وجدوهم انـتهى * وقوله تعالى الا الذيـن يصلون الى قوم بـينكم وبـينـهم ميثاق الآية قـال * ص * الا الذيـن يصلـون استثـناء متصل من

مفعول فخذوهم واقتلوهم انتهى قال * ع * هذه الآية من آيات الموادعة في اول الاسلام ثم نسخت بما في سورة براءة فالآية تقتضي ان من وصل من المشركين الذين لا عهد بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم الى هؤلاء اهل العهد فدخل في عدادهم وفعل فعلهم من الموادعة فلا سبيل عليه * وقوله تعالى او جاؤكم عطف على يصلون ويحتمل ان يكون على قوله بينكم وبينهم ميثاق والمعنى في العطفين مختلف وهذا ايضا حكم قبل ان يستحكم امر الاسلام فكان المشرك اذا اعتزل القتال وجاء الى دار الاسلام مسالما كارها لقتال قومه مع المسلمين ولقتال المسلمين مع قومه لا سبيل عليه وهذه نسخت ايضا بما في براءة ومعنى حصرت ضاقت وحرجت ومنه الحصر في القول وهو ضيق الكلام على المتكلم وحصرت في موضع نصب على الحال واللام في قوله لسلطهم جواب لو والمعنى ولو شاء الله لسلط هؤلاء الذين هم بهذه الصفة من المسالمة والمتاركة عليكم فان اعتزلوكم اي إذا وقع هذا فلم يقاتلوكم فلا سبيل لكم عليهم وهذا كله والذى في سورة الممتحنة لا ينهاكم الله الآية منسوخ قاله قتادة وغيره والسلم هاهنا الصلح * وقوله تعالى ستجدون ءاخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم الآية لما وصف الله سبحانه المحقين في المتاركة والقاء السلم نبه على طائفة مخادعة كانوا يريدون الاقامة في مواضعهم مع اهليهم يقولون لهم نحن معكم وعلى دينكم ويقولون ايضا للمسلمين نحن معكم وعلى دينكم خبثة منهم وخديعة وقوله الى الفتنة معناه الى الاختبار حكي انهم كانوا يرجعون الى قومهم فيقال لاحدهم قل ربي الخنفساء ربي العود ربي العقرب ونحوه فيقولها ومعنى اركسوا اي رجعوا رجع ضلالة اي اهلكوا في الاختبار بما واقعوه من الكفر وهذه الآية حض على قتل هؤلاء المخادعين اذا لم يرجعوا عن حالهم وثقفتموهم ماخوذ من الثقاف اي

ظفرتم بهم مغلوبين متمكّنا منهم والسلطان الحجة قال عكرمة حيثما وقع السلطان في كتاب الله عزوجل فهو الحجة * وقوله تعالى وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ الآية قال جمهور المفسرين معنى الآية وما كان في اذن الله وفي امره للمومن ان يقتل مومنا بوجه ثم استثنى استثناء منقطعا ليس من الاول وهو الذي تكون فيه الا بمعنى لكن والتقدير لكن الخطأ قد يقع ويتجه في معنى الآية وجه ءاخر وهو ان تقدر كان بمعنى استقر ووجد كانه قال وما وجد ولا تقرر ولا ساغ لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ اذ هو مغلوب فيه فيجيء الاستثناء على هذا متصلا وتتضمن الآية على هذا اعظام العمد وبشاعة شانه * وقوله تعالى وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ الآية حقيقة الخطإ ان لا يقصده بالقتل ووجوه الخطإ كثيرة لا تحصى يربطها عدم القصد قال ابن عباس وغيره الرقبة المومنة هي الكبيرة التي قد صلت وعقلت الايمان وقالت جماعة منهم مالك بن انس يجزئ كل من يحكم له بحكم الاسلام في الصلاة عليه ان مات قال مالك ومن صلى وصام احب الي ولا يجزئ ذو العيب الكثير كاقطع اليدين او الرجلين او الاعمى اجماعا فيما علمت ومسلمة معناه مؤداة مدفوعة وهي على العاقلة فيما جاوز ثلث الدية والا ان يصدقوا يريد اولياء القتيل وقوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مومن الآية اي وان كان هذا المقتول خطأ مومنا قد آمن وبقي في قومه وهم كفرة عدو لكم فلا دية فيه وانما كفارته تحرير الرقبة قاله ابن عباس وغيره وسقطت الدية عندهم لوجهين احدهما ان اولياء المقتول كفار فلا يصح دفع الدية اليهم والآخر قلة حرمة هذا المقتول فلا دية فيه واحتجوا بقوله تعالى والذين ءامنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وقالت فرقة بل الوجه في سقوط الدية ان الاولياء

كفار فقط وسواء قتل بين اظهر المسلمين او بين قومه الكفار لانه لا يصح دفعها الى الكفار قال * ع * وقائل المقالة الاولى يقول ان قتل المومن فى بلد المسلمين وقومه حرب ففيه الدية لبيت المال والكفارة * وقوله تعالى وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية قال ابن عباس وغيره المقتول من اهل العهد خطأ لانبالى كان مومنا اوكافرا على عهد قومه فيه الدية والتحرير * وقوله فمن لم يجد فصيام شهرين الآية اي فمن لم يجد الرقبة ولا اتسع ماله لشرائها فيجزيه صيام شهرين متتابعة الايام لا يتخللها فطر وتوبة نصب على المصدر ومعناه رجوعا بكم الى التيسير والتسهيل * وقوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم الآية المتعمد فى لغة العرب القاصد الى الشيء والجمهور ان المتعمد كل من قتل كان القتل بحديدة او غيرها وهذا هو الصحيح ورأى الشافعي وغيره ان القتل بغير الحديد المشحوذ هو شبه العمد ورأوا فيه تغليظ الدية ومالك لا يرى شبه العمد ولا يقول به وانما القتل عنده ما ذكره الله تعالى عمدا او خطأ لا غير * وقوله تعالى فجزاؤه جهنم تقديره عند اهل السنة فجزاؤه ان جازاه بذلك اي هو اهل لذلك ومستحقه لعظيم ذنبه قال * ع * ومن اقيم عليه الحد وقتل قودا فهو غير متبع فى الآخرة والوعيد غير نافذ عليه اجماعا وللحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت انه من عوقب فى الدنيا فهو كفارة له ومعنى الخلود هنا مدة طويلة ان جازاه الله ويدل على ذلك سقوط لفظ التابيد قال * ع * والجمهور على قبول توبته وروي عن بعض العلماء انهم كانوا يقصدون الاغلاظ والتخويف احيانا فيطلقون ان لا تقبل توبته منهم ابن شهاب وابن عباس فكان ابن شهاب اذا سأله من يفهم منه انه قد قتل قال له توبتك مقبولة واذا سأله من لم يفعل قال لا توبة للقاتل وعن ابن عباس

نحوه قال الداودي وعن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله للدنيا وما فيها اهون على الله من قتل نفس بغير حق ومن اعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله يوم يلقاه مكتوب على جبهته آيس من رحمة الله وعن معاوية انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره الا من قتل مومنا متعمدا او مات كافرا وعن ابى هريرة انه سئل عن قاتل المومن هل له من توبة فقال لا والله الذى لا اله الا هو لا يدخل الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال ولو ان اهل السموات والارض اشركوا فى دم مومن الاكبهم الله جميعا فى النار انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا الآية تقول ضربت فى الارض اذا سرت لتجارة او غزو او غيره مقترنة بفى وضربت الارض دون فى اذا قصدت قضاء الحاجة وقال * ص * ضربتم اي سافرتم قال * ع * وسبب هذه الآية ان سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت رجلا له جمل ومُتَيِّع وقيل غُنَيْمة فسلم على القوم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله فحمل عليه احدهم فقتله واختلف فى تعيين القاتل والمقتول فى هذه النازلة والذى عليه الاكثر وهو فى سِيَر ابن اسحاق وفى مصنَّف ابى داود وغيرهما ان القاتل مُحَلِّم بن جُثامة والمقتول عامر بن الاضبط ولا خلاف ان الذى لفظته الارض حين مات هو محلم بن جثامة وقرأ جمهور السبعة فتبينوا وقرأ حمزة والكساءي فتثبتوا بالثاء المثلثة فى الموضعين هنا وفى الحجرات وقرأ نافع وغيره السلم ومعناه الاستسلام اي القى بيده واستسلم لكم واظهر دعوتكم وقرأ باقى السبعة السلام بالالف يريد سلام ذلك المقتول على السرية لان سلامه بتحية الاسلام موذن بطاعته وانقياده وفى بعض طرق عاصم السلم بكسر السين المشددة وسكون

اللام وهو الصلح والمعنى المراد بهذه الثلاثة متقارب وقرئ لست مؤمنا بفتح الميم اي لسنا نؤمنك * وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة عِدَة منه سبحانه بما ياتى به من فضله من الحلال دون ارتكاب محظور اي فلا تتهافتوا واختلف فى قوله كذلك كنتم من قبل فقال ابن جبير معناه كذلك كنتم مستخفين من قومكم باسلامكم فمن الله عليكم باعزاز دينكم واظهار شريعتكم فهم الآن كذلك كل واحد منهم خائف من قومه متربص ان يصل اليكم فلم يصلح اذا وصل ان تقتلوه حتى تتبينوا امره وقال ابن زيد المعنى كذلك كنتم كفرة فمن الله عليكم بان اسلمتم فلا تنكروا ان يكون هو كافرا ثم يسلم لحينه ثم وكد تبارك وتعالى الوصية بالتبين وأعلم انه خبير بما يعمله العباد وذلك منه خبر يتضمن تحذيرا منه سبحانه اي فاحفظوا انفسكم وجنبوا الزلل الموبق لكم * وقوله تعالى لا يستوى القاعدون من المومنين غير اولى الضرر الآية فى قوله تعالى لا يستوى ابهام على السامع وهو ابلغ من تحديد المنزلة التى بين المجاهد والقاعد فالمتأمل يمشي مع فكرته ولا يزال يتخيل الدرجات بينهما والقاعدون عبارة عن المتخلفين قلت وخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن علي بن ابى طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة تخرج من اعلاها الحلل ومن اسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت لا تروث ولا تبول ذوات اجنحة فيجلس عليها اولياء الله فتطير بهم حيث شاءوا فيقول الذين اسفل منهم يا اهل الجنة ناصفونا يا رب ما بلغ هؤلاء هذه الكرامة فيقول الله تعالى انهم كانوا يصومون وكنتم تفطرون وكانوا يقومون بالليل وكنتم تنامون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يجاهدون العدو وكنتم تجبنون انتهى وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة غير بالرفع صفة للقاعدين وقرأ نافع وغيره

غير بالنصب استثناء من القاعدين وروي من غير ما طريق ان الآية نزلت لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون فجاء ابن ام مكتوم حين سمعها فقال يا رسول الله هل من رخصة فاني ضرير البصر فنزلت عند ذلك غير اولي الضرر قال الفَلَتانِ بن عاصم رضي الله عنه كنا قعودا عند النبي صلى الله عليه وسلم فانزل عليه وكان اذا اوحي اليه دام بصره مفتوحة عيناه وفرّغ سمعه وبصره لما ياتيه من الله وكنا نعرف ذلك في وجهه قال فلما فرغ قال للكاتب اكتب لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون الى آخر الآية قال فقام الاعمى فقال يا رسول الله ما ذنبنا قال فانزل الله على رسوله فقلنا للاعمى انه ينزل عليه قال فخاف ان ينزل فيه شيء فبقي قائما مكانه يقول اتوب الى رسول الله حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للكاتب اكتب غير اولي الضرر واهل الضرر هم اهل الاعذار اذ قد اضرت بهم حتى منعتهم الجهاد قاله ابن عباس وغيره * وقوله تعالى باموالهم وانفسهم هي الغاية في كمال الجهاد قال ابن جريج الفضل بدرجة هو على القاعدين من اهل العذر قال * ع * لانهم مع المومنين بنياتهم كما هو مذكور في الحديث الصحيح قال ابن جريج والتفضيل بالاجر العظيم والدرجات هو على القاعدين من غير عذر والحسنى الجنة التي وعدها الله المومنين وكذلك قال السدي وغيره وقال ابن مُحَيْريز الدرجات هي درجات في الجنة سبعون ما بين الدرجتين حُضْر الجواد المضمّر سبعين سنة قلت وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة انتهى

وقال ابن زيد الدرجات فى الآية هي السبع المذكورة فى براءة فى قوله تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب الآية قال * ع * ودرجات الجهاد لو حصرت اكثر من هذه لكن يجمعها بذل النفس والاعتمال بالبدن والمال فى ان تكون كلمة الله هي العليا ولا شك ان بحسب مراتب الاعمال ودرجاتها تكون مراتب الجنة ودرجاتها فالاقوال كلها متقاربة وباقى الآية وعد كريم وتانيس * وقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم الآية المراد بهذه الآية الى قوله مصيرا جماعة من اهل مكة كانوا قد اسلموا فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اقاموا مع قومهم وفتن منهم جماعة فافتتنوا فلما كان امر بدر خرج منهم قوم مع الكفار فقُتلوا ببدر فنزلت الآية فيهم قال * ع * والذى يجرى مع الاصول ان من مات من هؤلاء مرتدا فهو كافر ومأواه جهنم على جهة الخلود المؤبد وهذا هو ظاهر امر هؤلاء وان فرضنا فيهم من مات مومنا واكره على الخروج او مات بمكة فانما هو عاص فى ترك الهجرة مأواه جهنم على جهة العصيان دون خلود * وقوله تعالى توفاهم يحتمل ان يكون فعلا ماضيا ويحتمل ان يكون مستقبلا على معنى تتوفاهم فحذفت احدى التائين وتكون فى العبارة اشارة الى ما يانى من هذا المعنى فى المستقبل بعد نزول الآية وظالمى انفسهم نصب على الحال اي ظالميها بترك الهجرة وتوفاهم الملائكة معناه تقبض ارواحهم قال الزجاج وحذفت النون من ظالمين تخفيفا كقوله بالغى الكعبة وقول الملائكة فيم كنتم تقرير وتوبيخ وقول هؤلاء كنا مستضعفين فى الارض اعتذار غير صحيح اذ كانوا يستطيعون الحيل ويهتدون السبُل ثم وقفتهم الملائكة على ذنبهم بقولهم الم تكن ارض الله واسعة والارض الاولى هي ارض مكة خاصة وارض الله هي الارض بالاطلاق والمراد فتهاجروا فيها

الى مواضع الامن وهذه المقاولة انما هي بعد توفي الملائكة لارواح هؤلاء وهي دالة على انهم ماتوا مسلمين والا فلو ماتوا كافرين لم يقل لهم شيء من هذا ثم استثنى سبحانه من كان استضعافه حقيقة من زمنى الرجال وضعفة النساء والولدان قال ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين والحيلة لفظ عام لانواع اسباب التخلص والسبيل سبيل المدينة فيما قاله مجاهد وغيره والصواب انه عام في جميع السبل ثم رجى الله تعالى هؤلاء بالعفو عنهم والمراغم المتحوّل والمذهب قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد المراغم المتزحزَح عما يُكره وقال ابن زيد المراغم المهاجَر وقال السدي المراغم المبتغى للمعيشة قال * ع * وهذا كله تفسير بالمعنى واما الخاص باللفظة فان المراغم هو موضع المراغمة فلو هاجر احد من هؤلاء المحبوسين بمكة لارغم انوف قريش بحصوله في منعة منهم فتلك المنعة هي موضع المراغمة قال ابن عباس وغيره السعة هنا هي السعة في الرزق وقال مالك السعة سعة البلاد قال * ع * وهذا هو المشبه للفصاحة ان يريد سعة الارض وبذلك تكون السعة في الرزق واتساع الصدر وغير ذلك من وجوه الفرج وهذا المعنى ظاهر من قوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة قال مالك بن انس رحمه الله الآية تعطى ان كل مسلم ينبغى له ان يخرج من البلاد التى تغير فيها السنن ويعمل فيها بغير الحق * وقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت الآية حكم هذه الآية باق في الجهاد والمشي الى الصلاة والحج ونحوه قلت وفي الباب حديث عن ابي امامة وسياتي عند قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال * ع * والآية نزلت بسبب رجل من كنانة وقيل من خزاعة اسمه ضمرة في قول الاكثر لما سمع قول الله تعالى الذين لا يستطيعون حيلة

ولا يهتدون سبيلا قال انى لذو مال وعبيد وكان مريضا فقال اخرجونى الى المدينة فاخرج فى سرير فادركه الموت بالتنعيم فنزلت الآية بسببه قال * ع * ومن هذه الآية رأى بعض العلماء ان من مات من المسلمين وقد خرج غازيا فله سهمه من الغنيمة قاسوا ذلك على الاجر ووقع عبارة عن الثبوت وكذلك هي وجب لان الوقوع والوجوب نزول فى الاجرام بقوة فشبه لازم المعانى بذلك وباقى الآية بين * وقوله تعالى واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة الآية ضربتم معناه سافرتم قال مالك والشافعي واحمد بن حنبل وابن راهويه تقصر الصلاة فى اربعة برد وهي ثمانية واربعون ميلا وحجتهم احاديث رويت فى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وقال الحسن والزهري تقصر فى مسيرة يومين وروي هذا ايضا عن مالك وروي عنه تقصر فى مسافة يوم وليلة وهذه الاقوال الثلاثة تتقارب فى المعنى والجمهور على جواز القصر فى السفر المباح وقال عطاء لا تقصر الا فى سفر طاعة وسبيل خير والجمهور انه لا قصر فى سفر معصية والجمهور انه لا يقصر المسافر حتى يخرج من بيوت القرية وحينئذ هو ضارب فى الارض وهو قول مالك وجماعة المذهب والى ذلك فى الرجوع وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة اربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين وليس بينهما ثلث يوم ويظهر من قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا ان القصر مباح او مخير فيه وقد روى ابن وهب عن مالك ان المسافر مخير فيه وقاله الابهري وعليه حذاق المذهب وقال مالك فى المبسوط القصر سنة وهذا هو الذى عليه جمهور المذهب وعليه جواب المدونة بالاعادة فى الوقت لمن اتم فى سفره وقال ابن سحنون وغيره القصر فرض * وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا

الآية وفى حديث يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب ان الله تعالى يقول ان خفتم وقد امِن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ويفتنكم معناه يمتحنكم بالحمل عليكم واشغال نفوسكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الظهر باصحابه قال المشركون لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم اخرى فى اثرها فانزل الله تعالى بين الصلاتين ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الى ءاخر صلاة الخوف * وقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الآية قال جمهور الامة الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتناول الامراء بعده الى يوم القيامة وكذلك جمهور العلماء على ان صلاة الخوف تصلى فى الحضر اذا نزل الخوف قال الطبري فاقمت لهم معناه حدودها وهيئتها * وقوله تعالى فلتقم طائفة منهم معك امر بالانقسام اي وسائرهم وجاه العدو ومعظم الروايات والاحاديث على ان صلاة الخوف انما نزلت الرخصة فيها فى غزوة ذات الرقاع واختلف من الماموربأخذ الاسلحة هنا فقيل الطائفة المصلية وقيل بل الحارسة قال * ع * ولفظ الآية يتناول الكل ولكن سلاح المصلين ما خف قلت ومن المعلوم انه اذا كانت الطائفة المصلية هي المامورة باخذ السلاح فالحارسة من باب احرى واختلفت الآثار فى هيئة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الخوف وبحسب ذلك اختلف الفقهاء فروى يزيد بن رومان عن صالح بن خَوّات عن سهل بن ابى حَثْمة انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف يوم ذات الرقاع فصفت طائفة معه وطائفة وُجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التى بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا واتموا لانفسهم ثم سلم

بهم وروى القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن سهل هذا الحديث بعينه الا انه روى ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى بالطائفة الاخيرة ركعة سلم ثم قضت بعد سلامه وبحديث القاسم بن محمد اخذ مالك واليه رجع بعد ان كان اولا يميل الى رواية يزيد بن رومان وروى عبد الرزاق عن مجاهد قال لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف الا مرتين مرة بذات الرقاع من ارض بني سُلَيم ومرة بعُسْفان والمشركون بضَجْنان بينهم وبين القبلة قال * ع * وظاهر اختلاف الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم يقتضي انه صلى صلاة الخوف فى غير هذين الموطنين وقد ذكر ابن عباس انه كان فى غزوة ذى قَرَد صلاة خوف * وقوله تعالى فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم الآية المعنى فاذا سجدوا معك الركعة الاولى فلينصرفوا هذا على بعض الهيآت المروية وقيل المعنى فاذا سجدوا ركعة القضاء وهذا على رواية ابن ابى حثمة والضمير فى قوله فليكونوا يحتمل ان يكون للذين سجدوا ويحتمل ان يكون للطائفة القائمة اولا بازاء العدو ويجيء الكلام وصاة فى حال الحذر والحرب * وقوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون الآية اخبار عن معتقد القوم وتحذير من الغفلة ليلا ينال العدو أمله واساحة جمع سلاح وفى قوله تعالى ميلة واحدة مبالغة اي مستاصلة لا يحتاج معها الى ثانية * وقوله تعالى ولا جناح عليكم الآية ترخيص قال ابن عباس نزلت بسبب عبد الرحمن بن عوف كان مريضا فوضع سلاحه فعنفه بعض الناس قال * ع * كانهم تلقوا الامر باخذ السلاح على الوجوب فرخص الله تعالى فى هاتين الحالتين وينقاس عليهما كل عذر ثم قوى سبحانه نفوس المومنين بقوله انِ الله اعد للكافرين عذابا مهينا * وقوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا الآية

ذهب جمهور العلماء الى ان هذا الذكر المامور به انما هو اثر صلاة الخوف على حد ما إمروا عند قضاء المناسك بذكر الله فهو ذكر باللسان والطمانينة في الآية سكون النفوس من الخوف وقال بعض المتأولين المعنى فاذا رجعتم من سفركم الى الحضر فاقيموها تامة اربعا * وقوله تعالى كتابا موقوتا معناه منجما في اوقات هذا ظاهر اللفظ وروي عن ابن عباس ان المعنى فرضا مفروضا فهما لفظان بمعنى واحد كرر مبالغة * وقوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم اي لا تلينوا وتضعفوا يقال حبل واهن اي ضعيف ومنه وهن العظم وابتغاء القوم طلبهم وهذا تشجيع لنفوس المومنين وتحقير لامر الكفرة ثم تأكد التشجيع بقوله وترجون من الله ما لا يرجون وهذا برهان بين ينبغي بحسبه ان تقوى نفوس المومنين وباقي الآية بين * وقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله الآية في هذه الآية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وتفويض اليه وتقويم ايضا على الجادة في الحكم وتانيب ما على قبول ما رُفِع اليه في امر بني أُبَيْرِق بسرعة * وقوله تعالى بما اراك الله معناه على قوانين الشرع اما بوحي ونص او نظر جار على سنن الوحي وقد تضمّن الله تعالى لانبيائه العصمة * وقوله تعالى ولا تكن للخائنين خصيما قال الهروي خصيما اي مخاصما ولا دافعا انتهى قال * ع * سببها باتفاق من المتأولين امر بني ابيرق وكانوا اخوة بشر وبشير ومبشر وطعيمة وكان بشير رجلا منافقا يهجو اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وينحل الشعر لغيره فكان المسلمون يقولون والله ما هو الا شعر الخبيث فقال شعرا ينتصل فيه فمنه قوله

افي كل ما قال الرجال قصيدةٌ * نُحِلت وقالوا ابن الابيرق قالها

قال قتادة بن النعمان وكان بنو ابيرق اهل فاقة فابتاع عمي رفاعة بن زيد

حملا من درمك الشام فجعله فى مشْرُبة له وفى المشربة درعان له وسيفان فعُدي على المشربة من الليل فلما اصبح اتانى عمى رفاعة فقال يا ابن اخى اتعلم انه قد عدي علينا فى ليلتنا هذه فنُقِبت مشربتنا وذُهب بطعامنا وسلاحنا قال فتحسسنا فى الدار وسألنا فقيل لنا قد رأينا بنى ابيرق استوقدوا نارا فى هذه الليلة ولا نُراه الا على بعض طعامكم قال وقد كان بنو ابيرق قالوا ونحن نسأل والله ما نرى صاحبكم الا لبيد بن سهل رجل منا له صلاح واسلام فسمع ذلك لبيد فاخترط سيفه ثم اتى بنى ابيرق فقال والله ليخالطنكم هذا السيف او لتبينن هذه السرقة فقالوا اليك عنا ايها الرجل فوالله ما انت بصاحبها فسألنا فى الدار حتى لم نشك انهم اصحابها فقال لى عمى يا ابن اخى لو اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بهذه القصة فاتيته صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه فقال انظُرُ فى ذلك فلما سمع بذلك بنو ابيرق اتوا رجلا منهم يقال له اسَيْر بن عروة فكلموه فى ذلك واجتمع اليه ناس من اهل الدار فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان قتادة بن النعمان وعمه رفاعة عمَدا الى اهل بيت منا اهل اسلام وصلاح يرميانهم بالسرقة على غير بينة قال قتادة فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته فقال عمَدت الى اهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح فرميتهم بالسرقة من غير بينة قال فرجعت وقد وددت ان اخرج عن بعض مالى ولم اكلمه فاتيت عمى فقال ما صنعت فاخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله المستعان فلم نلبث ان نزل القرءان انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الآيات قال فالخائنون بنو ابيرق والبريء المرمى لبيد بن سهل والطائفة التى همت اسير واصحابه قال * ع * قال قتادة وغير واحد هذه القصة ونحوها انما كان صاحبها طعمة بن ابيرق ويقال فيه طعيمة قال

* ع * وطعمة بن ابيرق صرح بعد ذلك بالارتداد وهرب الى مكة فروي انه نقب حائط بيت ليسرقه فانهدم الحائط عليه فقتله ويروى انه اتبع قوما من العرب فسرقهم فقتلوه * وقوله تعالى واستغفر الله ذهب الطبري الى ان المعنى استغفر من ذنبك في خصامك للناس قال * ع * وهذا ليس بذنب لان النبي صلى الله عليه وسلم انما دافع عن الظاهر وهو يعتقد براءتهم والمعنى واستغفر للمومنين من امتك والمتخاصمين بالباطل لا ان تكون ذا جدال عنهم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك رواه ابو داود والترمذي والنساءي والحاكم وابن حِبّان في صحيحيهما وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن صحيح غريب ورواه النساءي والحاكم ايضا من طرق عن عائشة وغيرها انتهى من السلاح * وقوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم لفظ عام يندرج تحته اصحاب النازلة ويتقرر به توبيخهم وفي قوله تعالى ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما رفق وابقاء فان الخوان هو الذى تتكرر منه الخيانة كطعيمة بن الابيرق والاثيم هو الذى يقصدها فيخرج من هذا التشديد الساقط مرة واحدة ونحو ذلك واختيان الانفس هو بما يعود عليها من الاثم والعقوبة في الدنيا والآخرة * وقوله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله الآية الضمير في يستخفون للصنف المرتكب للمعاصي ويندرج في طي هذا العموم اهل الخيانة في النازلة المذكورة واهل التعصب لهم والتدبير في خدع النبي صلى الله عليه وسلم والتلبيس عليه ويحتمل ان يكون الضمير لاهل هذه النازلة ويدخل في معنى هذا التوبيخ كل

من يفعل نحو فعلهم قال صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية النفوس المرتكبة للمحارم المحتقبة للمآثم والمظالم شبيهة بالاراقم تملأ افواهها سما وتقصد من تقذفه عليه عدوانا وظلما تجمع فى ضمائرها سموم شرورها وضررها وتحتال لالقائها على الغافلين عن مكائدها وخدعها انتهى ومعنى وهو معهم بالاحاطة والعلم والقدرة ويبيتون يدبرون ليلا ويحتمل ان تكون اللفظة ماخوذة من البيت اي يستترون فى تدبيرهم بالجدرات * وقوله تعالى هانتم هؤلاء خطاب للقوم الذين يتعصبون لاهل الريب والمعاصى ويندرج فى طي هذا العموم اهل النازلة وهو الاظهر عندى بحكم التأكيد بهؤلاء وهي اشارة الى حاضرين ومن مصابيح البغوي عن ابى داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله ومن خاصم فى باطل وهو يعلمه لم يزل فى سخط الله حتى ينزع ومن قال فى مومن ما ليس فيه اسكنه الله رَدْغة الخبال حتى يخرج مما قال ويروى من اعان على خصومة لا يدري احق ام باطل فهو فى سخط الله حتى ينزع انتهى * وقوله تعالى فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة الآية وعيد محض ولما تمكن هذا الوعيد وقضت العقول بان لا مجادل لله سبحانه ولا وكيل يقوم بامر العصاة عنده عقّب ذلك بهذا الرجاء العظيم والمهل المنفسح فقال ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الآية وباقى الآية بين * وقوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ذهب بعض الناس الى انهما لفظان بمعنى كرر لاختلاف اللفظ وقال الطبري انما فرق بين الخطيئة والاثم لان الخطيئة تكون عن عمد وعن غير عمد والاثم لا يكون الا عن عمد وهذه الآية لفظها عام ويندرج تحت ذلك العموم اهل النازلة المذكورة وبريء النازلة وهو لبيد كما تقدم اي ويتناول عموم الآية كل بريء * وقوله فقد احتمل بهتانا تشبيه اذ

الذنوب ثقل ووزر فهي كالمحمولات وبهتانا معناه كذبا ثم وقف الله تعالى نبيه على مقدار عصمته له وانها بفضل منه سبحانه ورحمة * وقوله تعالى لهمت معناه لجعلته همها وشغلها حتى تنفذه وهذا يدل على ان الالفاظ عامة فى غير اهل النازلة والا فاهل التعصب لبنى ابيرق قد وقع همهم وثبت ثم اخبر تعالى انهم لا يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء قلت ثم ذكر سبحانه ما انعم به على نبيه من انزال الكتاب والحكمة وتعليمه ما لم يكن يعلم قال ابن العربي فى رحلته اعلم ان علوم القرءان ثلاثة اقسام توحيد وتذكير واحكام وعلم التذكير هو معظم القرءان فانه مشتمل على الوعد والوعيد والخوف والرجاء والقرب وما يرتبط بها ويدعو اليها ويكون عنها وذلك معنى تتسع ابوابه وتمتد اطنابه انتهى وباقى الآية وعد كريم لنبيه عليه السلام وتقرير نعمه لديه سبحانه لا اله غيره * وقوله تعالى لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس الآية الضمير فى نجواهم عائد على الناس اجمع وجاءت هذه الآيات عامة التناول وفى عمومها يندرج اصحاب النازلة وهذا من الفصاحة والايجاز المضمن الماضي والغابر فى عبارة واحدة قال النووي وروينا فى كتابي الترمذي وابن ماجه عن ام حبيبة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل كلام ابن ءادم عليه لا له الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكرا لله تعالى انتهى والنجوى المسارة وقد تسمى بها الجماعة كما يقال قوم عدل وليست النجوى بمقصورة على الهمس فى الاذن والمعروف لفظ يعم الصدقة والاصلاح وغيرهما ولكن خصا بالذكر اهتماما اذ هما عظيما الغناء فى مصالح العباد ثم وعد تعالى بالاجر العظيم على فعل هذه الخيرات بنية وقصد لرضى الله تعالى * وقوله تعالى ومن يشاقق الرسول الآية لفظ عام نزل بسبب طعمة بن ابيرق لانه ارتد وسار الى مكة فاندرج

لانحاء عليه فى طي هذا العموم المتناول لمن اتصف بهذه الصفات الى يوم القيامة * وقوله نوله ما تولى وعيد بان يترك مع فاسد اختياره فى تودد الطاغوت ثم اوجب تعالى انه لا يغفر ان يشرك به وقد مضى تفسير مثل هذه الآية * وقوله تعالى ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا الآية الضمير فى يدعون عائد على من دكر فى قوله ومن يشاقق الرسول وان نافية بمعنى ما ويدعون عبارة مغنية موجزة فى معنى يعبدون ويتخذون الهة قلت وفى البخاري الا اناثا يعنى الموات حجرا ومدرا وما اشبهه انتهى وفى مصحف عائشة الا اوثانا ونحوه عن ابن عباس والمراد بالشيطان هنا ابليس قاله الجمهور وهو الصواب لان سائر المقالة به تليق ومريدا معناه متمردا عاتيا صليبا فى غوايته واصل اللعن الابعاد والمفروض معناه فى هذا الموضع المنحاز وهو ماخوذ من الفرض وهو الحز فى العود وغيره قال * ع * ويحتمل ان يريد واجبا ان اتخذه وبعث النار هو نصيب ابليس * وقوله ولاضلنهم الآية معنى اضلنهم اصرفهم عن طريق الهدى ولامنينهم لاسولن لهم واما نيه لا تنحصر فى نوع واحد والبتك القطع * وقوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اختلف المتأولون فى معنى تغيير خلق الله وملاك تفسير هذه الآية ان كل تغيير ضار فهو داخل فى الآية وكل تغيير نافع فهو مباح وفى مختصر الطبري فليغيرن خلق الله قال ابن عباس خلق الله دين الله وعن ابراهيم ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد مثله وفسر ابن زيد لا تبديل لخلق الله اي لدين الله واختار الطبري هذا القول واستدل له بقوله تعالى ذلك الدين القيم واجاز ان يدخل فى الآية كل ما نهى الله عنه من معاصيه والترك لطاعته انتهى وهو حسن قال * ع * واللامات كلها للقسم قال * ص * ولاضلنهم مفعوله محذوف اي عن الهدى وكذا ولامنينهم اي

الباطل وكذا ولآمرنهم اي بالبتك فليبتكن وكذا ولآمرنهم اي بالتغيير فليغيرن كل ما اوجده الله للطاعة فيستعينون به فى المعصية انتهى ولما ذكر الله سبحانه عتو الشيطان وما توعد به من بث مكره حذر تبارك وتعالى عباده بان شرط لمن يتخذه وليا جزاء الخسران * وقوله تعالى يعدهم ويمنيهم اي يعدهم بأباطيله من المال والجاه وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك لكل احد ما يليق بحاله ويمنيهم كذلك ثم ابتدأ سبحانه الخبر عن حقيقة ذلك بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا ثم اخبر سبحانه بمصير المتخذين الشيطان وليا وتوعدهم بان مأواهم جهنم لا يدافعونها بحيلة ولا يتروغون ومحيصا من حاص اذا راغ ونفر ومنه قول الشاعر

ولم ندر انْ حِصْنَا من الموت حَيْصةً * كمِ العمرُ باقٍ والمدى متطاول

ومنه الحديث فحاصوا حيصة حمر الوحش ولما ذكر سبحانه ما تقدم من الوعيد واقتضى ذلك التحذير عقب ذلك عز وجل بالترغيب فى ذكره حالة المومنين واعلم بصحة وعده ثم قرر ذلك بالتوقيف عليه فى قوله ومن اصدق من الله قيلا والقيل والقول واحد ونصبه على التمييز * وقوله تعالى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب الآية الاماني جمع امنية وهي ما يتشهاه المرء ويطمّع نفسه فيه قال ابن عباس وغيره الخطاب لامة النبي صلى الله عليه وسلم وفى مختصر الطبري عن مسروق وغيره قال احتج المسلمون واهل الكتاب فقال المسلمون نحن اهدى وقال اهل الكتاب نحن اهدى فانزل الله هذه الآية وعن مجاهد قالت العرب لن نبعث ولن نعذب وقالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قال الطبري وقول مجاهد اولى بالصواب وذلك ان المسلمين لم يجر لامانيهم ذكر

فيما مضى من الآي وانما جرى ذكر اماني نصيب الشيطان انتهى وعليه عول * ص * فى سبب نزول الآية اعنى على تاويل مجاهد * وقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال جمهور الناس لفظ الآية عام فالكافر والمومن مجازى فاما مجازات الكافر فالنار واما مجازات المومن فبنكبات الدنيا فمن بقي له سوأ الى الآخرة فهو فى المشيئة يغفر الله لمن يشاء ويجازى من يشاء * وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات دخلت من للتبعيض اذ الصالحات على الكمال مما لا يطيقه البشر ففى هذا رفق بالعباد لكن فى هذا البعض الفرائض وما امكن من المندوب اليه ثم قيد الامر بالايمان اذ لا ينفع عمل دونه والنقير النكتة التى فى ظهر النواة ومنه تنبت وعن ابن عباس ما تنقره باصبعك ثم اخبر تعالى اخبارا موقفا على انه لا احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص مقصِده وتوجهه واحسن فى اعماله واتبع الحنيفية ملة ابراهيم امام العالَم وقدوة الاديان ثم ذكر سبحانه تشريفه لنبيه ابراهيم عليه السلام باتخاذه خليلا وسماه خليلا اذ كان خلوصه وعبادته واجتهاده على الغاية التى يجرى اليها المحب المبالغ وذهب قوم الى انه سمي خليلا من الخلة بفتح الخاء اي لانه انزل خلته وفاقته بالله تعالى وكذلك شرف الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالخلة كما هو مصرح به فى الحديث الصحيح * وقوله تعالى ولله ما فى السموات وما فى الارض الآية ذكر سبحانه سعة ملكه واحاطته بكل شيء عقب ذكر الدين وتبيين الجادة منه ترغيبا فى طاعته والانقطاع اليه سبحانه * وقوله تعالى ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم الآية معنى قوله يفتيكم فيهن اي يبين لكم حكم ما سألتم عنه قال * ع * تحتمل ما ان تكون فى موضع رفع عطفا على اسم الله عز وجل اي ويفتيكم ما يتلى عليكم فى الكتاب يعنى القروان

والاشارة بهذا الى ما تقدم من الآية فى امر النساء وهو قوله تعالى فى صدر السورة وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء الآية قالت عائشة نزلت هذه الآية اولا ثم سأل ناس بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر النساء فنزلت ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن الآية * وقوله تعالى فى يتامى النساء اللاتى لا توتونهن ما كتب لهن معناه النهي عما كانت العرب تفعله من ضم اليتيمة الجميلة بدون ما تستحقه من المهر ومن عضل الدميمة الغنية حتى تموت فيرثها العاضل والذى كتب الله لهن هو توفية ما تستحقه من مهر * وقوله تعالى وترغبون ان تنكحوهن اي ان كانت الجارية غنية جميلة فالرغبة فى نكاحها وان كانت بالعكس فالرغبة عن نكاحها * وقوله تعالى والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والذى يتلى فى المستضعفين من الولدان هو قوله تعالى يوصيكم الله فى اولادكم الآية وذلك ان العرب كانت لا تورث الصبية ولا الصبي الصغير ففرض الله تعالى لكل واحد حقه * وقوله تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط عطف ايضا على ما تقدم والذى تُلي فى هذا المعنى هو قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم الآية الى غير ذلك مما ذكر فى مال اليتيم والقسط العدل وباقى الآية بين * وقوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا الآية هذه الآية حكم من الله تعالى فى امر المرأة التى تكون ذات سن ونحو ذلك مما يرغب زوجها عنها فيعرض عليها الفرقة او الصبر على الاثرة فتريد هي بقاء العصمة فهذه التى اباح الله بينهما الصلح ورفع الجناح فيه واختلف فى سبب نزول الآية فقال ابن عباس وجماعة نزلت فى النبي عليه السلام وسَوْدة بنت زَمْعة وفى المصنفات ان سودة لما كبرت وهبت يومها لعائشة وقال ابن المسيب وغيره نزلت بسبب

رافع بن خديج وامرأته خولة وقال مجاهد نزلت بسبب ابى السنابل وامرأته ولفظ ابن العربي فى احكامه قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا الآية قالت عائشة رضي الله تعالى عنها هي المرأة تكون عند الرجل ليس بمستكثر منها يريد ان يفارقها فتقول له اجعلك من شانى فى حل فنزلت الآية قال الفقيه ابو بكر بن العربي فرضوان الله على الصديقة المطهرة لقد وفت بما حملها ربها من العهد فى قوله تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة انتهى * وقوله تعالى والصلح خير لفظ عام مطلق يقتضى ان الصلح الحقيقي الذى تسكن اليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الاطلاق ويندرج تحت هذا العموم ان صلح الزوجين على ما ذكرنا خير من الفرقة * وقوله تعالى واحضرت الانفس الشح معذرة عن عَبيده تعالى اي لا بد للانسان بحكم خلقته وجبلته من ان يشح على ارادته حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره وخصص المفسرون هذه اللفظة هنا فقال ابن جبير هو شح المرأة بالنفقة من زوجها وبقسمه لها ايامها وقال ابن زيد الشح هنا منه ومنها قال * ع * وهذا حسن والشح الضبط على المعتقدات وفى الهمم والاموال ونحو ذلك فما افرط منه ففيه بعض المذمة وهو الذى قال تعالى فيه ومن يوق شح نفسه وما صار الى حيز منع الحقوق الشرعية او التى تقتضيها المروءة فهو البخل وهي رذيلة لكنها قد تكون فى المومن ومنه الحديث قيل يا رسول الله ايكون المومن بخيلا قال نعم واما الشح ففى كل احد وينبغى ان لا يفرط الا على الدين ويدلك على ان الشح فى كل احد قوله تعالى واحضرت الانفس الشح وقوله ومن يوق شح نفسه فقد اثبت ان لكل نفس شحا وقول النبي عليه السلام وان تصدق وانت صحيح شحيح وهذا لم يرد به واحدا

بعينه وليس يجمل ان يقال هنا ان تصدق وانت صحيح بخيل * وقوله تعالى وان تحسنوا ندب الى الاحسان فى تحسين العشرة والصبر على خُلق الزوجة وتتقوا معناه تتقوا الله فى وصيته بهن اذ هن عوان عندكم * وقوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا الآية معناه العدل التام على الاطلاق والمستوى فى الافعال والاقوال والمحبة والجماع وغير ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ثم يقول اللهم هذا فعلى فيما املك فلا تواخذنى بما تملك ولا املك فوصف الله سبحانه حالة البشر انهم بحكم الخِلْقة لا يملكون ميل قلوبهم الى بعض الازواج دون بعض ثم نهى سبحانه عن الميل كل الميل وهو ان يفعل فعلا يقصده من التفضيل وهو يقدر ان لا يفعله فهذا هو كل الميل وان كان فى امر حقير * وقوله سبحانه فتذروها كالمعلقة اي لا هي أُيم ولا ذات زوج وجاء فى التى قبل وان تحسنوا وفى هذه وان تصلحوا لان الاولى فى مندوب اليه وفى هذه فى لازم اذ يلزمه العدل فيما يملك * وقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته الآية اي ان شح كل واحد من الزوجين فلم يتصالحا لكنهما تفرقا بطلاق فان الله تعالى يغنى كل واحد منهما عن صاحبه بفضله ولطائف صنعه فى المال والعشرة والسعة وجَوْد المرادات والتمكن منها والواسع معناه الذى عنده خزائن كل شيء * وقوله سبحانه ولله ما فى السموات وما الارض تنبيه على موضع الرجاء لهذين المفترقين ثم جاء بعد ذلك قوله وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض تنبيها على استغنائه عن العباد ومقدمة للخبر بكونه غنيا حميدا ثم جاء بعد ذلك قوله ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا مقدمة للوعيد فهذه وجوه تكرار هذا الخبر الواحد ثلاث مرات متقاربة * ت * وفى تمشيته هذه عندى نظر والاحسن

بقاء الكلام على نسقه فقوله رحمه الله تنبيه على موضع الرجاء لهذين المفترقين حسن وانما الذى فيه قلق ما بعده من توجيهه * وقوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم الآية لفظ عام لكل من اوتي كتابا فان وصيته سبحانه لعباده لم تزل منذ اوجدهم * ت * قال الاستاذ ابو بكر الطُّرطوشي فى سراج الملوك ولما ضَرَب ابن مُلْجِم عليا رضي الله عنه ادخل منزله فاعترته غشية ثم افاق فدعا اولاده الحسنَ والحسينَ ومحمدا فقال اوصيكم بتقوى الله فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر والعدل على الصديق والعدو والعمل فى النشاط والكسل والرضا عن الله فى الشدة والرخاء يا بَنِيّ ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية من ابصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف بغي قتل به ومن حفر لاخيه بئرا وقع فيها ومن هتك حجاب اخيه كشف عورات بنيه ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن اعجب برأيه ضل ومن جالس العلماء وقِّر ومن خالط الانذال احتُقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن مزح استخِف به ومن اكثر من شيء عُرِف به ومن كثر كلامه كثر خطأه ومن كثر خطأه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بنِيّ الادب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين يا بنِيّ العافية عشرة اجزاء تسعة منها فى الصمت الا عن ذكر الله وواحد فى ترك مجالسة السفهاء يا بنِيّ زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر يا بنِيّ لا شرف اعز من الاسلام ولا كرم اعز من التقوى يا بنِيّ الحرص مفتاح البغي ومطية النصب طوبى

لمن اخلص لله عمَلَه وعلْمَه وحبَّه و بغضَه واخْذَه وتـرْكَه وكلامَه وصمتَه وقولَه وفعلَه انتهى والوكيـل القائم بالامـور المنَفِّذ فيها ما رءاه وقولـه ايها الناس مخاطبة للحاضرين من العرب وتوقيف للسامعين لتحضر اذهانهم وقولـه بـآخرين يريد من نوعكم وتحتمل الآية ان تكـون وعيدا لجميع بنى ءادم ويكون الآخرون من غير نوعهم كالملائكة وقول الطبري هذا الوعيد والتوبيخ للشافعين والمخاصمين فى قصة بني أُبيرق بعيد واللفظ انما يظهر حسن رصفه بعمومه وانسحابه على العالَم جملة او العالَم الحاضر * وقولـه تعـالى من كان يريـد ثواب الدنيـا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة الآية اي من كان لا مراد له الا فى ثواب الدنيا ولا يعتـقد ان ثَم سواه فليس كما ظن بل عند الله سبحانه ثواب الداريـن فمن قصد الآخرة اعطاه الله من ثواب الدنيا واعطاه قصده ومن قصد الدنيـا فقط اعطاه من الدنيا ما قدر له وكان لـه فى الآخـرة العذاب والله تعالى سميـع للاقـوال بصيـر بالاعمال والنيـات وفى الحـديث الصحيح عن النبـي صلى الله عليـه وسلم انـه قال انما الاعمال بالنيات وانما لامرئ ما نوى الحديث قال النووي بلغنا عن ابن عباس انـه قـال انما يحفظ الرجل على قـدر نيته وقـال غيـره انما يعطى الناس على قدر نياتهم انتهى ثم خاطب سبحانه المومنين بقوله كونـوا قوامين بالقسط وهو العدل ومعنى شهـداء لله اي لذاته ولوجهـه ولمرضاتـه سبحانـه وقولـه ولـو على انـفسكم متعلق بشهداء هذا هو الظاهـر الذى فسر عليه الناس وان هذه الشهـادة المذكورة هي فى الحقـوق ويحتمـل ان يكـون المعنى شهـداء لله بالوحدانية ويتعلـق قوله ولو على انـفسكم بقوامين بالقسط والتاويل الاول ابين وشهادة المرء على نـفسه هو اقراره بالحقائق قال * ص * وقوله تعالى ان يكن غنيا او فـقيـرا ضميـر يكن عائد الى المشهـود عليـه والضميـر فى بهما عائد على جنسي الغـني والفـقيـر

انتهى قال * ع * وقوله اولى بهما اي هو انظر لهما وروى الطبري ان هذه الآية هي بسبب نازلة بنى ابيرق وقيام من قام فيها بغير القسط * وقوله تعالى فلا تتبعوا الهوى نهي بين واتباع الهوى مرّد مهلك * وقوله تعالى ان تعدلوا يحتمل ان يكون معناه مخافة ان تعدلوا ويكون العدل هنا بمعنى العدول عن الحق ويحتمل ان يكون معناه محبة ان تعدلوا ويكون العدل بمعنى القسط * وقوله تعالى وان تلووا او تعرضوا الآية قال ابن عباس هي في الخصمين يجلسان بين يدي القاضي فيكون لي القاضي واعراضه لاحدهما على الآخر وقال ابن زيد وغيره هي في الشهود يلوى الشهادة بلسانه او يعرض عن ادائها قال * ع * ولفظ الآية يعم القضاء والشهادة والتوسط بين الناس وكل انسان ماخوذ بان يعدل والخصوم مطلوبون بعدل ما في القضاة فتأمله وقد تقدم تفسير الّي وباقي الآية وعيد * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامَنوا ءامِنوا بالله ورسوله الآية اختلف من المخاطب بهذه الآية فقيل الخطاب للمومنين ومضمن هذا الامر الثبوت والدوام وقالت فرقة الخطاب لاهل الكتابين ورجحه الطبري وقيل الخطاب للمنافقين اي يا ايها الذين ءامنوا في الظاهر ليكن ايمانكم حقيقة * وقوله سبحانه ومن يكفر بالله الى ءاخر الآية وعيد وخبر مضمنه تحذير المومنين من حالة الكفر * وقوله تعالى ان الذين ءامنوا ثم كفروا الآية قال مجاهد وابن زيد الآية في المنافقين فان منهم من كان يومن ثم يكفر ثم يومن ثم يكفر ثم ازداد كفرا بان تم على نفاقه حتى مات قال * ع * وهذا هو التاويل الراجح وتأمل قوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم فانها عبارة تقتضي ان هؤلاء محتوم عليهم من اول امرهم ولذلك ترددوا وليست هذه العبارة مثل ان يقول لا يغفر الله لهم بل هي اشد فتأمل الفرق بين العبارتين فانه من

دقيق غرائب الفصاحة التى فى كتاب الله سبحانه * وقوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الآية فى هذه الآية دليل ما على ان التى قبلها انما هي فى المنافقين ثم نص سبحانه من صفات المنافقين على اشدها ضررا وهي موالاتهم الكافرين واطراحهم المومنين ونبه على فساد ذلك ليدعه من عسى ان يقع فى نوع منه من المومنين غفلة او جهالة او مسامحة ثم وقفهم سبحانه على جهة التوبيخ فقال ايبتغون عندهم العزة والاستكثار اي ليس الامر كذلك فان العزة لله جميعا يوتيها من يشاء وقد وعد بها المومنين وجعل العاقبة للمتقين والعزة اصلها الشدة والقوة ومنه وعزني فى الخطاب اي غلبني بشدته * وقوله سبحانه وقد نزل عليكم فى الكتاب الآية مخاطبة لجميع من اظهر الايمان من محقق ومنافق لانه اذا اظهر الايمان فقد لزمه امتثال اوامر كتاب الله تعالى والاشارة بهذه الآية الى قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون فى ءاياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره الى نحو هذا من الآيات والكتاب فى هذا الموضع القرءان وفى الآية دليل قوي على وجوب تجنب اهل البدع والمعاصى وان لا يجالسوا وقد قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتد

وهذه المماثلة ليست فى جميع الصفات ثم توعد سبحانه المنافقين والكافرين بجمعهم فى جهنم فتأكد بذلك النهي عن مجالستهم وخلطتهم * وقوله تعالى الذين يتربصون بكم الآية هذه صفة المنافقين ويتربصون بكم معناه ينتظرون دور الدوائر عليكم فان كان فتح للمومنين ادّعوا فيه النصيب بحكم ما يظهرونه من الايمان وان كان للكافرين نيل من المومنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يبطنونه من موالاة الكفار وهذا حال المنافقين ونستحوذ معناه نغلب على امركم ونحوطكم

ومنه استحوذ عليهم الشيطان معناه غلب على امرهم ثم سلى سبحانه المومنين وانسهم بما وعدهم به في قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة اي وبينهم وينصفكم من جميعهم وبقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا اي يوم القيامة قاله علي رضي الله عنه وعليه جميع اهل التاويل والسبيل هنا الحجة والغلبة قلت الا ابن العربي لم يرتض هذا التاويل قال وانما معنى الآية احد ثلاثة وجوه الاول لن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا يمحو به دولة المومنين ويستبيح بيضتهم الثاني لن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا الا ان يتواصوا بالباطل ولا يتناهوا عن المنكر ويتباعدوا عن التوبة فيكون تسليط العدو من قبَلهم وهذا نفيس جدا الثالث لن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا بالشرع فان وجد ذلك فبخلاف الشرع ونزع بهذا علماؤنا بالاحتجاج على ان الكافر لا يملك العبد المسلم انتهى ومخادعة المنافقين هي لاولياء الله ففي الكلام حذف مضاف اذ لا يقصد احد من البشر مخادعة الله سبحانه

* وقوله تعالى وهو خادعهم عبارة عن عقوبتهم سماها باسم الذنب وقال ابن جريج والحسن والسدي وغيرهم من المفسرين ان هذا الخدع هو ان الله تعالى يعطى لهذه الامة يوم القيامة نورا لكل انسان مومن او منافق فيفرح المنافقون ويظنون انهم قد نجوا فاذا جاءوا الى الصراط طفئ نور كل منافق ونهض المومنون فذلك قول المنافقين انظرونا نقتبس من نوركم فذلك هو الخدع الذى يجرى على المنافقين ثم ذكر سبحانه كسلهم في الصلاة وتلك حال كل من يعمل كارها غير معتقد فيه الصواب بل تقية او مصانعة قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى ولا يذكرون الله الا قليلا روى الائمة مالك وغيره عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تلك صلاة المنافقين تلك صلاة المنافقين

تلك صلاة المنافقين يجلس احدهم حتى اذا اصفرّت الشمس وكانت بين قرني الشيطان قام ينقر اربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا قال ابن العربي وقد بين تعالى صلاة المومنين بقوله قد افلح المومنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ومن خشع خضع واستمر ولم ينقر صلاته ولم يستعجل انتهى ومذبذبين معناه مضطربين لا يثبتون على حال والتذبذب الاضطراب فهؤلاء المنافقون مترددون بين الكفار والمومنين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كما قال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنميين والاشارة بذلك الى حالتي الكفر والايمان * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المومنين الآية خطابه سبحانه للمومنين يدخل فيه بحكم الظاهر المنافقون المظهرون للايمان ففى اللفظ رفق بهم وهم المراد بقوله سبحانه اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا لان هذا التوقيف انما هو لمن الم بشيء من الفعل المؤدى الى هذه الحال والمومنون المخلصون ما ألمّوا قطّ بشيء من ذلك ويقوى هذا المنزع قوله تعالى من دون المومنين اي والمومنون العارفون المخلصون غيّب عن هذه الموالاة وهذا لا يقال للمومنين المخلصين بل المعنى يا ايها الذين اظهروا الايمان والتزموا لوازمه والسلطان الحجة ثم اخبر تعالى عن المنافقين انهم فى الدرك الاسفل من نار جهنم وذلك لانهم اسرى غوائل من الكفار واشد تمكنا من اذى المسلمين قلت وايضا لانهم شاهدوا من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وما جعل الله على يديه من الخوارق ما لم يشاهد غيرهم من الكفار فكانت الحجة عليهم اعظم وكان كفرهم محض عناد وروي عن ابى هريرة وابن مسعود وغيرهما انهم قالوا المنافقون فى الدرك الاسفل من النار فى توابيت من النار تقفل عليهم ثم استثنى عز وجل التائبين من المنافقين ومن شروط التائب ان

يصلح في قوله وفعله ويعتصم بالله اي يجعله منعته وملجأه ويخلص دينه لله تعالى والا فليس بتائب وقوله فاولائك مع المومنين اي في رحمة الله سبحانه وفي منازل الجنة ثم وعد سبحانه المومنين الاجر العظيم وهو التخليد في الجنة وقال * ص * فاولائك خبره مضمر والتقدير فاولائك مومنون مع المومنين قاله ابو البقاء انتهى ثم قال سبحانه للمنافقين ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم الآية اي ايي منفعة له سبحانه في ذلك او حاجة قال ابو عبد الله اللخمي زعم الطبري ان قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم خطاب للمنافقين ولا يكاد يقوم له على ذلك دليل يقطع به وليس في ذكر المنافقين قبله ما يقتضي ان يحمل عليهم خاصة مع احتمال الآية للعموم فقطعه بان الآية في المنافقين حكم لايقوم به دليل انتهى وهو حسن اذ حمل الآية على العموم احسن والعجب من * ع * كيف تبع الطبري في هذا التخصيص ويظهر والله اعلم انهما عولا في تخصيص الآية على قوله تعالى وءامنتم وهو محتمل ان يحمل في حق المنافقين على ظاهره وفي حق المومنين على معنى دمتم على ايمانكم والله اعلم والشكر على الحقيقة لا يكون الا مقترنا بالايمان لكنه ذكر الايمان تاكيدا وتنبيها على جلالة موقعه ثم وعد سبحانه بقوله وكان الله شاكرا عليما اي يتقبل اقل شيء من العمل وينميه فذلك شكر منه سبحانه لعباده والشكور من البهائم الذى ياكل قليلا ويظهر به بدنه والعرب تقول في مثل اشكر من بَرْوقة لانها يقال تخضر وتتنضر بظل السحاب دون مطر وفي قوله عليما تحذير وندب الى الاخلاص * وقوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الآية قراءة الجمهور بضم الظاء وقرئ شاذا بفتحها واختلف على قراءة الجمهور فقالت فرقة المعنى لا يحب الله ان يجهر احد بالسوء من القول الا من

ظلم فلا يكره له الجهر به ثم اختلفت هذه الفرقة فى كيفية الجهر بالسوء وما هو المباح منه فقال ابن عباس وغيره لا باس لمن ظلم ان ينتصر ممن ظلمه بمثل ظلمه ويجهر له بالسوء من القول اي بما يوازى الظّلامة وقال مجاهد وغيره نزلت فى الضيف المحوّل رحلُه فانه رخص له ان يجهر بالسوء من القول للذى لم يكرمه يريد بقدر الظلم والظلامة وفى صحيح البخاري عن ابى هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فلا يوذى جاره ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت انتهى وسميع عليم صفتان لائقتان بالجهر بالسوء وبالظلم ايضا فانه يعلمه ويجازى عليه ولما ذكر سبحانه عذر المظلوم فى ان يجهر بالسوء لظالمه اتبع ذلك عرض ابداء الخير واخفائه والعفو عن السوء ثم وعد عليه سبحانه بقوله فان الله كان عفوا قديرا وعدا خفيا تقتضيه البلاغة ورغب سبحانه فى العفو اذ ذكر انها صفته مع القدرة على الانتقام قال * ع * ففى هذه الالفاظ اليسيرة معان كثيرة لمن تأملها قال الداودي وعن ابن عمر انه قال لا يحب الله سبحانه ان يدعو احد على احد الا ان يظلم فقد رخص له فى ذلك انتهى * وقوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله الى ءاخر الآية نزل فى اليهود والنصارى وقد تقدم بيان هذه المعانى * وقوله تعالى والذين ءامنوا بالله ورسله الآية لما ذكر سبحانه ان المفرقين بين الرسل هم الكافرون حقا عقّب ذلك بذكر المومنين بالله ورسله جميعا وهم المومنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ليصرح بوعد هؤلاء كما صرح بوعيد اولائك فبين الفرق بين المنزلتين * وقوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء الآية قال قتادة سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بكتاب من عند الله خاص

لليهود يامرهم فيه بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوه عن ابن جريج وزاد الى فلان والى فلان انك رسول الله ثم قال سبحانه على جهة التسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وفي الكلام محذوف يدل عليه المذكور تقديره فلا تبال يا محمد من سؤالهم وتشططهم فانها عادتهم وجمهور المتأولين على ان جهرة معمول لارنا اي حتى نراه جهارا اي عيانا واهل السنة معتقدون ان هؤلاء لم يسألوا محالا عقلا لكنه محال من جهة الشرع اذ قد اخبر تعالى على السنة انبيائه انه لا يرى سبحانه فى هذه الدنيا والرؤية فى الآخرة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر المتواتر وهي جائزة عقلا من غير تحديد ولا تكييف ولا تحيز كما هو تعالى معلوم لا كالمعلومات كذلك هو مرئي لا كالمرئيات سبحانه هذه حجة اهل السنة وقولهم وقد تقدم قصص القوم فى البقرة وظلمهم هو تعنتهم وسؤالهم ما ليس لهم ان يسألوه * وقوله تعالى ثم اتخذوا العجل ثم للترتيب فى الاخبار لا فى نفس الامر التقدير ثم قد كان من امرهم ان اتخذوا العجل وذلك ان اتخاذ العجل كان عند امر المضي الى المناجاة ولم يكن الذين صعقوا ممن اتخذ العجل لكن الذين اتخذوه كانوا قد جاءتهم البينات * وقوله سبحانه فعفونا عن ذلك يعني بما امتحنهم به من القتل لانفسهم ثم وقع العفو عن الباقين منهم * وقوله سبحانه فبما نقضهم ما زائدة مؤكدة التقدير فبنقضهم فالآية مخبرة عن اشياء واقعوها هي ضد ما امروا به وحذف جواب هذا الكلام بليغ مُبْهَم متروك مع ذهن السامع تقديره لعنّاهم ونحوه ثم قال سبحانه وبكفرهم اي بعيسى وقولهم على مريم بهتانا هو رميهم اياها بالزنا بعد رؤيتهم الآية فى كلام عيسى فى المهد وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم الآية هذه الآية والتي قبلها عدّد الله تعالى فيهما اقوال بني اسرايل وافعالهم على

اختلاف الازمان وتعاقب القرون فاجتمع من ذلك توبيخ خلفهم المعاصرين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهذه الطائفة التى قالت انا قتلنا المسيح غير الذين نقضوا الميثاق فى الطور وغير الذين اتخذوا العجل وقول بنى اسرايل انما هو الى قوله عيسى ابن مريم * وقوله تعالى رسول الله انما هو اخبار من الله تعالى بصفة لعيسى وهي الرسالة على جهة اظهار ذنب هؤلاء المقرين بالقتل ولزمهم الذنب وهم لم يقتلوا عيسى لانهم صلبوا ذلك الشخص على انه عيسى وعلى ان عيسى كذاب ليس برسول الله فلزمهم الذنب من حيث اعتقدوا ان قتلهم وقع فى عيسى قال * ص * وعيسى بدل او عطف بيان من المسيح ورسول الله كذلك ويجوز ان يكون صفة لعيسى وان يكون نصبا على اضمار اعنى قلت وهذا الاخير احسنها من جهة المعنى انتهى ثم اخبر سبحانه ان بنى اسرايل ما قتلوا عيسى وما صلبوه ولكن شبه لهم واختلفت الرواة فى هذه القصة والذى لا يشك فيه ان عيسى عليه السلام كان يسيح فى الارض ويدعو الى الله وكانت بنو اسرايل تطلبه وملكهم فى ذلك الزمان يجعل عليه الجعائل وكان عيسى قد انضوى اليه الحواريون يسيرون معه حيث سار فلما كان فى بعض الاوقات شعر بامر عيسى فروي ان رجلا من اليهود جعل له جعل فما زال ينقر عنه حتى دل على مكانه فلما احس عيسى واصحابه بتلاحق الطالبين بهم دخلوا بيتا بمرأى من بنى اسرايل فروي انهم عدوهم ثلاثة عشر وروي ثمانية عشر وحصروا ليلا فروي ان عيسى فرق الحواريين عن نفسه تلك الليلة ووجههم الى الآفاق وبقي هو ورجل معه فرُفع عيسى والقي شبهه على الرجل فصلب ذلك الرجل وروي ان الشبه القي على اليهودي الذى دل عليه فصلب وروي ان عيسى عليه السلام لما احيط بهم قال لاصحابه ايكم يلقى

عليه شبهي فيقتل ويخلص هؤلاء وهو رفيقي في الجنة فقال سرجس انا فالقي عليه شبه عيسى وروي ان شبه عيسى القي على الجماعة كلها فلما اخرجهم بنو اسراءيل نقصوا واحدا من العدة فاخذوا واحدا ممن عليه الشبه حسب هذه الروايات التى ذكرناها فصلبوه وروي ان الملك والمتناولين لم يخف عليهم امر رفع عيسى لما رأوه من نقصان العدة واختلاط الامر * وقوله تعالى وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه الآية يعني اختلاف المحاولين لاخذه لانهم حين فقدوا واحدا من العدد وتحدّث برفع عيسى اضطربوا واختلفوا لكن اجمعوا على صلب واحد من غير ثقة ولا يقين انه هو * وقوله تعالى وما قتلوه يقينا قال ابن عباس وجماعة المعنى وما صح ظنهم عندهم ولا تحققوه يقينا فالضمير في قتلوه عندهم عائد على الظن كما تقول ما قتلت هذا الامر علما قلت وعبارة السدي وما قتلوا امره يقينا ان الرجل هو عيسى انتهى من مختصر الطبري وقال قوم الضمير عائد على عيسى اخبر سبحانه انهم ما قتلوه في الحقيقة جملة واحدة لا يقينا ولا شكا لكن لما حصلت في ذلك الدعوى صار قتله عندهم مشكوكا فيه وقال قوم من اهل اللسان الكلام تام في قوله وما قتلوه ويقينا مصدر مؤكد للنفي في قوله وما قتلوه المعنى نخبركم يقينا او نقص عليكم يقينا او ايقنوا بذلك يقينا وقال * ص * بعد كلام والظاهر ان الضمير في قتلوه عائد الى عيسى لتتحد الضمائر ويقينا منصوب في موضع الحال من فاعل قتلوه اي مستيقنين انه عيسى او نعت لمصدر محذوف اي قتلا يقينا انتهى * وقوله تعالى بل رفعه الله اليه يعني الى سمائه وكرامته وعيسى عليه السلام في السماء على ما تضمنه حديث الاسراء في ذكر ابني الخالة عيسى ويحيي ذكره البخاري في حديث المعراج وذكره غيره وهو هنالك مقيم حتى ينزله الله تعالى لقتل الدجال وليملأ الارض عدلا ويحيى

فيها اربعين سنة ثم يموت كما يموت البشر * وقوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته اختلف في معنى الآية فقال ابن عباس وغيره الضمير في موته راجع الى عيسى والمعنى انه لايبقى من اهل الكتاب احد اذا نزل عيسى الى الارض الا يومن بعيسى كما يومن سائر البشر وترجع الاديان كلها واحدا يعني يرجعون على دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ عيسى واحد من امته وعلى شريعته وائمتنا منا كما ورد في الحديث الصحيح وقال مجاهد وابن عباس ايضا وغيرهما الضمير في به لعيسى وفي موته للكتابي لكن عند المعاينة للموت فهو ايمان لا ينفعه وقال عكرمة الضمير في به لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقبل موته للكتابي قال وليس يخرج يهودي ولا نصراني من الدنيا حتى يومن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولو غرق او سقط عليه جدار فانه يومن في ذلك الوقت وفي مصحف ابي بن كعب قبل موتهم ففي هذه القراءة تقوية لعود الضمير على الكتابي قال * ص * وان من اهل الكتاب الآية ان هنا نافية والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه اي وما احد من اهل الكتاب كما حذف في قوله تعالى وان منكم الا واردها وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اي وما احد منا وما احد منكم قال الشيخ ابو حيان ليومنن به جواب قسم محذوف والقسم وجوابه هو الخبر وكذلك ايضا الا له مقام والا واردها هما الخبر قال الزجاج وحذف احد مطلوب في كل نفي يدخله الاستثناء نحو ما قام الازيد اي ما قام احد الازيد انتهى * وقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية فبظلم معطوف على قوله سبحانه فبما نقضهم والطيبات هنا هي الشحوم وبعض الذبائح والطير والحوت وغير ذلك وقرأ ابن عباس طيبات كانت احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا يحتمل

ان يريد صدهم فى ذاتهم ويحتمل ان يريد صدهم غيرهم واخذهم الربوا هو الدرهم بالدرهمين الى اجل ونحو ذلك مما هو مفسدة وقد نهوا عنه ثم استثنى سبحانه الراسخين فى العلم منهم كعبد الله بن سلَام ومُخَيْريق ومن جرى مجراهم واختلف الناس فى قوله سبحانه والمقيمين وكيف خالف اعرابها اعراب ما تقدم وما تأخر فقال بعض نحاة البصرة والكوفة انما هذا من قطع النعوت اذا كثرت على النصب باعنى والرفع بعد ذلك بهُم وقال قوم والمقيمين عطف على ما فى قوله وما انزل من قبلك والمعنى ويومنون بالمقيمين الصلاة وهم الملائكة او من تقدم من الانبياء وقال قوم والمقيمين عطف على الضمير فى منهم وقال اخرون بل على الكاف فى قوله من قبلك وزاد * ص * والمقيمين منصوب على المدح قال وقرأ جماعة والمقيمون انتهى * وقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيئين من بعده الآية سبب نزولها قول بعض احبار يهود ما انزل الله على بشر من شيء فانزل الله سبحانه الآية تكذيبا لهم قال * ع * اسماعيل هو الذبيح فى قول المحققين والوحي القاء المعنى فى خفاء وعرفه فى الانبياء بوساطة جبريل عليه السلام وكلم الله سبحانه موسى بكلام دون تكييف ولا تحديد ولا حرف ولا صوت والذى عليه الراسخون فى العلم ان الكلام هو المعنى القائم فى النفس ويخلق الله لموسى ادراكا من جهة السمع يتحصل به الكلام وكما ان الله تعالى موجود لا كالموجودات معلوم لا كالمعلومات فكذلك كلامه لا كالكلام * وقوله سبحانه رسلا مبشرين ومنذرين الآية رسلا بدل من الاول واراد سبحانه ان يقطع بالرسل احتجاج من يقول لو بعث الي رسول لامنت والله سبحانه عزيز لا يغالبه شيء ولا حجة لاحد عليه حكيم فى افعاله فقطع الحجة بالرسل حكمة منه سبحانه * وقوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك الآية

سببها قول اليهود ما انزل الله على بشر من شيء وقال * ص * لكن استدراك ولا يبتدأ بها فيتعين تقدير جملة قبلها يبينها سبب النزول وهو انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد انتهى * وقوله تعالى انزله بعلمه هذه الآية من اقوى متعلقات اهل السنة في اثبات علم الله عز وجل خلافا للمعتزلة في انهم يقولون عالم بلا علم والمعنى عند اهل السنة انزله وهو يعلم انزاله ونزوله * وقوله سبحانه والملائكة يشهدون تقوية لامر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وردّ على اليهود * وقوله تعالى وكفى بالله شهيدا تقديره وكفى الله شهيدا لكنه دخلت الباء لتدل على ان المراد اكتفوا بالله وباقي الآية بين * وقوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم الآية خطاب لجميع الناس وهي دعاء الى الشرع ولو كانت في امر من اوامر الاحكام ونحو هذا لكانت يا ايها الذين ءامنوا والرسول في الآية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال سبحانه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وهذا خبر بالاستغناء وان ضرر الكفر انما هو نازل بهم ثم خاطب سبحانه اهل الكتاب من النصارى وهو ان يدَعوا الغلو وهو تجاوز الحد * وقوله في دينكم معناه في دين الله الذي انتم مطلوبون به بان توحدوا الله ولا تقولوا على الله الا الحق وليست الاشارة الى دينهم المضلل وعن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من عمل رواه مسلم والبخاري والنسائي وفي مسلم ادخله الله من اي ابواب الجنة الثمانية شاء انتهى * وقوله تعالى فآمنوا بالله ورسله اي الذين من جملتهم عيسى

ومحمد عليهما السلام * وقوله تعالى انما الله اله واحد انما في هذه الآية حاصرة
وسبحانه معناه تنزيها له وتعظيما والاستنكاف اباية بأنَفَة قال * ع *
وقوله سبحانه ولا الملائكة المقربون زيادة في الحجة وتقريب من الاذهان اي
وهؤلاء الذين هم في اعلى درجات المخلوقين لا يستنكفون عن ذلك فكيف
بسواهم وفي هذه الآية دليل على تفضيل الملائكة على الانبياء * وقوله سبحانه
فسيحشرهم عبارة وعيد قال * ع * وهذا الاستنكاف انما يكون من الكفار
عن اتباع الانبياء وما جرى مجراه * وقوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان
من ربكم الآية اشارة الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والبرهان الحجة النيرة
الواضحة التي تعطي اليقين التامَ والنورُ المبين يعني القرءان لان فيه بيان
كل شيء وفي صحيح مسلم عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما فينا خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال اما بعد الا ايها
الناس فانما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب وانا تارك
فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا
فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي
اذكركم الله ثلاثا في اهل بيتي الحديث وفي رواية كتاب الله فيه الهدى والنور
من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن اخطأه ضل وفي رواية الا واني
تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله وهو حبل الله من اتبعه كان على الهدى
ومن تركه كان على ضلالة انتهى * وقوله سبحانه فاما الذين ءامنوا بالله
واعتصموا به اي اعتصموا بالله ويحتمل اعتصموا بالقرءان كما قال عليه السلام القرءان
حبل الله المتين من تمسك به عصم والرحمة والفضل الجنة ونعيمها ويهديهم
معناه الى الفضل وهذه هداية طريق الجنان كما قال تعالى سيهديهم ويصلح

بالهم الآية لان هداية الارشاد قد تقدمت وتحصلت حين ءامنوا بالله واعتصموا بكتابه فيهديهم هنا بمعنى يعرفهم وباقى الآية بين * وقوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة قد تقدم القول فى تفسير الكلالة فى صدر السورة وكان امر الكلالة عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشكلا والله اعلم ما الذى اشكل عليه منها وقول النبي صلى الله عليه وسلم له تكفيك منها ءاية الصيف التى نزلت فى ءاخر سورة النساء بيان فيه كفاية قال كثير من الصحابة هذه الآية هي من ءاخر ما نزل * وقوله سبحانه يبين الله لكم ان تضلوا التقدير ليلا تضلوا والله بكل شيء عليم سبحانه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السورة مدنية باجماع

قوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اوفوا بالعقود الآية عامة فى الوفاء بالعقود وهي الربوط فى القول كان ذلك فى تعاهد على برّ او فى عقدة نكاح او بيع او غيره فمعنى الآية امر جميع المومنين بالوفاء على عقد جار على رسم الشريعة وفسر بعض الناس لفظ العقود بالعهود وقال ابن شهاب قرأت كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لعمرو بن حزم حين بعثه الى نجران وفى صدره هذا بيان من الله ورسوله يا ايها الذين ءامنوا اوفوا بالعقود فكتب الآيات الى قوله ان الله سريع الحساب قال * ع * واصوب ما يقال فى هذه الآية ان تعمم الفاظها بغاية ما تتناول فيعمم لفظ المومنين فى مومنى اهل الكتاب وفى كل مظهر للايمان

وان لم يبطنه وفى المومنين حقيقة ويعمم لفظ العقود فى كل ربط بقول موافق للحق والشرع * وقوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام اختلف فى معنى بهيمة الانعام فقال قتادة وغيره هي الانعام كلها * ع * كانه قال احلت لكم الانعام وقال الطبري قال قوم بهيمة الانعام وحشها وهذا قول حسن وذلك ان الانعام هي الثمانية الازواج وانضاف اليها من سائر الحيوان ما يقال له انعام بمجموعه معها والبهيمة فى كلام العرب ما ابهم من جهة نقص النطق والفهم * وقوله الا ما يتلى عليكم استثناء ما تُلي فى قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الآية وما فى موضع نصب على اصل الاستثناء * وقوله سبحانه غير محلى الصيد نصب غير على الحال من الكاف والميم فى قوله احلت لكم وهو استثناء بعد استثناء قال * ص * وهذا هو قول الجمهور واعترض بانه يلزم منه تقييد الحلية بحالة كونهم غير محليين الصيد وهم حرم والحلية ثابتة مطلقا قال * ص * والجواب عندى عن هذا ان المفهوم هنا متروك لدليل خارجي وكثير فى القروان وغيره من المفهومات المتروكة لمعارض ثم ذكر ما نقله ابو حيان من الوجوه التى لم يرتضها * م * وما فيها من التكلف ثم قال ولا شك ان ما ذكره الجمهور من ان غير حال وان لزم عنه الترك بالمفهوم فهو اولى من تخريج تنبو عنه الفهوم انتهى * وقوله سبحانه ان الله يحكم ما يريد تقوية لهذه الاحكام الشرعية المخالفة لمعهود احكام الجاهلية اي فانت ايها السامع لنسخ تلك التى عهدتَّ تنبّهْ فان الله الذى هو مالك الكل يحكم ما يريد لا معقب لحكمه سبحانه قال * ع * وهذه الآية مما تلوح فصاحتها وكثرة معانيها على قلة الفاظها لكل ذى بصر بالكلام ولمن عنده ادنى ابصار وقد حكى النقاش ان اصحاب الكندي قالوا للكندي ايها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القروان فقال نعم اعمل لكم مثل بعضه فاحتجب اياما كثيرة ثم خرج فقال والله ما اقدر عليه

ولا يطيق هذا احد انى فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرت فاذا هو قد امر بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلا عاما ثم استثنى استثناء بعد استثناء ثم اخبر عن قدرته وحكمته فى سطرين ولا يستطيع احد ان ياتي بهذا الا فى أَجلاد * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا تحلوا شعائر الله خطاب للمومنين حقا ان لا يتعدوا حدود الله فى امر من الامور قال عطاء بن ابى رَباح شعائر الله جميع ما امر به سبحانه او نهى عنه وهذا قول راجح فالشعائر جمع شعيرة اي قد اشعر الله انها حده وطاعته فهي بمعنى معالم الله * وقوله تعالى ولا الشهر الحرام اي لا تحلوه بقتال ولا غارة والاظهر ان الشهر الحرام اريد به رجب ليشتد امره وهو شهر كان تحريمه مختصا بقريش وكانت تعظمه ويحتمل انه اريد به الجنس فى جميع الاشهر الحُرُم * وقوله سبحانه ولا الهدي اي لا يستحل ولا يغار عليه ثم ذكر المقلّد منه تأكيدا ومبالغة فى التنبيه على الحرمة فى التقليد هذا معنى كلام ابن عباس وقال الجمهور الهدْي عام فى انواع ما يهدى قُربة والقلائد ما كان الناس يتقلدونه من لِحاء السَّمُر وغيره امنة لهم وقال * ص * ولا القلائد اي ولا ذوات القلائد وقيل بل المراد القلائد نفسها مبالغة فى النهي عن التعرض للهدْي انتهى * وقوله تعالى ولا ءامين البيت الحرام اي قاصدينه من الكفار المعنى لا تحلوهم فتغيرون عليهم وهذا منسوخ بآية السيف بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فكل ما فى هذه الآية مما يتصور فى مسلم حاج فهو محكَم وكل ما كان منها فى الكفار فهو منسوخ * وقوله سبحانه يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا قال فيه جمهور المفسرين معناه يبتغون الفضل من الارباح فى التجارة ويبتغون مع ذلك رضوانه فى ظنهم وطمعهم وهذه الآية نزلت عام الفتح وفيها استيلاف من الله سبحانه للعرب ولطف بهم

لتنبسط النفوس بتداخل الناس ويردون الموسم فيسمعون القران ويدخل الايمان فى قلوبهم وتقوم عليهم الحجة كالذى كان ثم نسخ الله ذلك كله بعد عام فى سنة تسع اذ حج ابو بكر رضي الله عنه ونودي فى الناس بسورة براءة * وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا مجيء اباحة الصيد عقب التشديد فيه حسن فى فصاحة القول * وقوله سبحانه فاصطادوا امر ومعناه الاباحة باجماع * وقوله تعالى ولا يجرمنكم معناه لا يكسبنكم وجرم الرجل معناه كسب وقال ابن عباس معناه لا يحملنكم والمعنى متقارب والتفسير الذى يخص اللفظة هو معنى الكسب * وقوله تعالى شنئان قوم الشنئان هو البغض فاما من قرأ شنئان بفتح النون فالاظهر فيه انه مصدر كانه قال لا يكسبنكم بغض قوم من اجل أن صدوكم عدوانا عليهم وظلما لهم وهذه الآية نزلت عام الفتح سنة ثمان حين اراد المسلمون ان يستطيلوا على قريش والفافها المتظاهرين على صد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عام الحديبية وذلك سنة ست من الهجرة فحصلت بذلك بغضة فى قلوب المومنين وحيكة للكفار فنهي المومنون عن مكافأتهم واذ لله فيهم ارادة خير وفى علمه ان منهم من يومن كالذى كان وقرأ ابو عمرو وابن كثير إن صدوكم ومعناه ان وقع مثل ذلك فى المستقبل وقراءة الجمهور امكن ثم امر سبحانه الجميع بالتعاون على البر والتقوى قال قوم هما لفظان بمعنى وفى هذا تسامح والعرف فى دلالة هذين ان البر يتناول الواجب والمندوب والتقوى رعاية الواجب فان جعل احدهما بدل الآخر فبتجوز قلت قال احمد بن نصر الداودي قال ابن عباس البر ما امرت به والتقوى ما نهيت عنه انتهى وقد ذكرنا فى غير هذا الموضع ان لفظ التقوى يطلق على معان وقد بيناها فى ءاخر سورة النور وفى الحديث الصحيح والله فى عون العبد ما كان

العبد فى عون اخيه قال ابن الفاكهاني عند شرحه لهذا الحديث وقد روينا فى بعض الاحاديث من سعى فى حاجة اخيه المسلم قضيت له او لم تقض غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق انتهى من شرح الاربعين حديثا ثم نهى تعالى عن التعاون على الاثم والعدوان ثم امر بالتقوى وتوعد توعدا مجملا قال النووي وعن وابصة بن معبد انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر والاثم قال نعم فقال استفت قلبك البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وان افتاك الناس وافتوك حديث حسن رويناه فى مسند احمد يعنى ابن حنبل والدارمي وغيرهما وفى صحيح مسلم عن النَوّاس ابن سَمْعان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس انتهى * وقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم الآية تعديد لما يتلى على الامة مما استثني من بهيمة الانعام والدم معناه المسفوح ولحم الخنزير مقتض لشحمه باجماع وما اهل لغير الله به قد تقدم والمنخنقة معناه التى تموت خنقا والموقوذة التى تُرمى او تضرب بعصا وشبهها والمتردية هي التى تتردى من علو الى سُفْل فتموت والنطيحة فعيلة بمعنى مفعولة وما اكل السبع يريد كل ما افترسه ذو ناب واظفار من الحيوان وكانت العرب تاكل هذه المذكورات ولم تعتقد ميتة الا ما مات بالوجع ونحو ذلك واختلف العلماء فى قوله تعالى الا ما ذكيتم فقال ابن عباس وجمهور العلماء الاستثناء من هذه المذكورات فما ادرك منها يطرف بعين او يحرك ذَنَبا وبالجملة ما يتحقق انه لم تفض نفسه بل له حياة فانه يذكى على سنة الذكاة ويوكل وما فاضت نفسه فهو الميتة وقال مالك مرة بهذا القول وقال ايضا وهو المشهور عنه وعن

اصحابه من اهل المدينة ان قوله تعالى الا ما ذكيتم معناه من هذه المذكورات في وقت تصح فيه ذكاتها وهو ما لم تنفذ مقاتلها ويتحقق انها لا تعيش ومتى صارت في هذا الحد فهي في حكم الميتة فالاستثناء عند مالك متصل كقول الجمهور لكنه يخالف في الحال التي يصح فيها ذكاة هذه المذكورات واحتُج لمالك بان هذه المذكورات لو كانت لا تحرم الا بموتها لكان ذكر الميتة اولا يغني عنها ومن حجة المخالف ان قال انما ذكرت بسبب ان العرب كانت تعتقد ان هذه الحوادث كالذكاة فلو لم يذكرلها غير الميتة لظنت انها ميتة الوجع حسبما كانت عليه والذكاة في كلام العرب الذبح * وقوله سبحانه وما ذبح على النصب عطف على المحرمات المذكورة والنصب حجارة تنصب يذبحون عليها قال ابن جريج وليست النصب باصنام فان الصنم يصور وينقش وهذه حجارة تنصب وكانت العرب تعبدها قال ابن زيد ما ذبح على النصب وما اهل لغير الله به شيء واحد قال * ع * ما ذبح على النصب جزء مما اهل به لغير الله لكن خص بالذكر بعد جنسه لشهرة امره * وقوله سبحانه وان تستقسموا بالازلام حرم سبحانه طلب القِسم وهو النصيب او القسم بفتح القاف وهو المصدر بالازلام وهي سهام قال صاحب سلاح المومن والاستقسام هو الضرب بها لاخراج ما قسم لهم وتمييزه بزعمهم انتهى وازلام العرب على انواع منها الثلاثة التي كان يتخذها كل انسان لنفسه على احدها افعل وعلى الآخر لا تفعل وثالث مهمل لا شيء عليه فيجعلها في خريطة معه فاذا اراد فعل شيء ادخل يده وهي متشابهة فاخرج احدها وائتمر له وانتهى بحسب ما يخرج له وان خرج القِدْح الذى لا شيء فيه اعاد الضرب وقوله سبحانه ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام بالازلام * وقوله تعالى

اليوم يئس الذين كفروا من دينكم معناه عند ابن عباس وغيره من ان ترجعوا الى دينهم وظاهر امر النبي صلى الله عليه وسلم وامر اصحابه وظهور الدين يقتضي ان ياس الكفار عن الرجوع الى دينهم قد كان وقع منذ زمان وانما هذا الياس عندي من اضمحلال امر الاسلام وفساد جمعه لان هذا امر كان يترجاه من بقي من الكفار الا ترى الى قول اخي صفوان بن امية في يوم هوازن حين انكشف المسلمون وظنها هزيمة الا بطل السحر اليوم الى غير هذا من الامثلة وهذه الآية في قول الجمهور عمر بن الخطاب وغيره نزلت في عشية يوم عرفة يوم الجمعة وفي ذلك اليوم امّحى امر الشرك من مشاعر الحج ولم يحضر من المشركين الموسم بشر فيحتمل قوله تعالى اليوم ان تكون اشارة الى اليوم بعينه ويحتمل ان تكون اشارة الى الزمن والوقت اي هذا الاوان يئس الكفار من دينكم * وقوله الذين كفروا يعم سائر الكفار من العرب وغيرهم وهذا يقوى ان الياس انما هو من انحلال امر الاسلام وامر سبحانه بخشيته التي هي راس كل عبادة كما قال صلى الله عليه وسلم ومفتاح كل خير * وقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم تحتمل الاشارة باليوم ما قد ذكرناه حكى الطبري ان النبي عليه السلام لم يعش بعد نزول هذه الآية الا احدى وثمانين ليلة والظاهر انه عاش صلى الله عليه وسلم اكثر بايام يسيرة قلت وفي سماع ابن القاسم قال مالك بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في اليوم الذي توفي فيه وقف على بابه فقال اني لا احل الا ما احل الله في كتابه ولا احرم الا ما حرم الله في كتابه يا فاطمة بنت رسول الله ويا صفية عمة رسول الله اعملا لما عند الله فاني لا اغني عنكما من الله شيئا قال ابن رشد هذا حديث يدل على صحته قول الله عز وجل ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال تعالى تبيانا لكل شيء فالمعنى في ذلك ان الله عز وجل نص على بعض الاحكام واجمل القول في

بعضها واحال على الادلة فى سائرها بقوله ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فبين النبي صلى الله عليه وسلم ما اجمله الله فى كتابه كما امره حيث يقول لتبين للناس ما نزل اليهم فما احل صلى الله عليه وسلم او حرم ولم يوجد فى القرءان نصا فهو مما بين من مجمل القرءان او علمه بما نصب من الادلة فيه فهذا معنى الحديث والله اعلم فما ينطق صلى الله عليه وسلم عن الهوى ان هو الا وحي يوحى انتهى من البيان والتحصيل وفى الصحيح ان عمر بن الخطاب قال له يهودي ءاية فى كتابكم تقرءونها لو علينا نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال له عمر اي ءاية هي فقال اليوم اكملت لكم دينكم فقال له عمر قد علمنا ذلك اليوم نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة يوم الجمعة قال * ع * ففى ذلك اليوم عيدان للاسلام الى يوم القيامة واتمام النعمة هو فى ظهور الاسلام ونور العقائد وكمال الدين وسعة الاحوال وغير ذلك مما اشتملت عليه هذه الملة الحنيفية الى دخول الجنة والخلود فى رحمة الله سبحانه جعلنا الله ممن شملته هذه النعمة * وقوله سبحانه ورضيت لكم الاسلام دينا يحتمل الرضى فى هذا الموضع ان يكون بمعنى الارادة ويحتمل ان يكون صفة فعل عبارة عن اظهار الله اياه لان الرضى من الصفات المترددة بين صفات الذات وصفات الافعال والله تعالى قد اراد لنا الاسلام ورضيه لنا وثَم اشياء يريد الله وقوعها ولا يرضاها * وقوله سبحانه فمن اضطر فى مخمصة يعنى من دعته ضرورة الى اكل الميتة وسائر تلك المحرمات وسئل صلى الله عليه وسلم متى تحل الميتة للناس فقال اذا لم يصطبحوا ولم يغتبقوا ولم يحتفئوا بَقلا والمخمصة المجاعة التى تخمص فيها البطون اي تضمر * وقوله سبحانه غير متجانف لاثم هو بمعنى غير باغ ولا عاد وقد تقدم تفسيره قال * ص * متجانف اي

مائل منحرف انتهى وقد تقدم فى البقرة * وقوله تعالى يسألونك ما ذا احل لهم سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر بقتل الكلاب سأله عاصم ابن عدي وغيره ما ذا يحل لنا من هذه الكلاب قال * ع * وظاهر الآية ان سائلا سأل عما يحل للناس من المطاعم لان قوله تعالى قل احل لكم الطيبات ليس بجواب عما يحل للناس اتخاذه من الكلاب الا ان يكون من باب اجابة السائل باكثر مما سأل عنه وهو موجود كثيرا من النبي صلى الله عليه وسلم والطيب الحلال * وقوله سبحانه وما علمتم اي وصيد ما علمتم قال الضحاك وغيره وما علمتم من الجوارح مكلبين هي الكلاب خاصة قال العراقي فى مكلبين اصحاب اكلب لها معلمين انتهى واعلى مراتب التعليم ان يشلى الحيوان فينشلى ويدعى فيجيب ويزجر بعد ظفره بالصيد فينزجر وجوارح جمع جارح اي كاسب يقال جرح فلان واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما كسبتم من حسنة وسيئة قال * ع * وقرأ جمهور الناس وما علمتم بفتح العين واللام وقرأ ابن عباس ومحمد بن الحنفية علمتم بضم العين وكسر اللام اي من امر الجوارح والصيد بها وقرأ جمهور الناس مكلبين بفتح الكاف وشد اللام والمكلِّب معلم الكلاب ومُضَرِّيها ويقال لمن يعلم غير كلب مكلب لانه يرد ذلك الحيوان كالكلب * وقوله سبحانه تعلمونهن مما علمكم الله اي تعلمونهن الحيلة فى الاصطياد والتأتى لتحصيل الحيوان وهذا جزء مما علمه الله الانسان فمن للتبعيض * وقوله تعالى فكلوا مما امسكن عليكم يحتمل مما امسكن فلم ياكلن منه شيئا ويحتمل مما امسكن وان اكلن منه وبحسب هذا الاحتمال اختلف العلماء فى جواز اكل الصيد اذا اكل منه الجارح * وقوله سبحانه واذكروا اسم الله عليه امر بالتسمية عند الارسال وذهب مالك وجمهور العلماء ان التسمية واجبة

مع الذكر ساقطة مع النسيان فمن تركها عامدا فقد افسد الذبيحة والصيد ومن تركها ناسيا سمى عند الاكل وكانت الذبيحة جائزة وفقه الصيد والذبح فى معنى التسمية واحد ثم امر سبحانه بالتقوى على الجملة والاشارة الى ما تضمنته هذه الآيات من الاوامر والنواهى وفى قوله ان الله سريع الحساب وعيد وتحذير * وقوله سبحانه اليوم احل لكم الطيبات اشارة الى الزمن والاوان والخطاب للمومنين * وقوله سبحانه وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الطعام فى هذه الآية الذبائح كذا قال اهل التفسير واختلفوا فى لفظة طعام فقال الجمهور هي الذبيحة كلها وقالت جماعة انما احل لنا طعامهم من الذبيحة اي الحلال لهم منها لا ما لا يحل لهم كالطريف والشحوم المحضة واختلف فى لفظة اوتوا الكتاب فقالت طائفة انما احل لنا ذبائح الصرحاء منهم لا من كان دخيلا فى هذين الدينين وقال جمهور الامة ابن عباس والحسن ومالك وغيرهم ان ذبيحة كل نصراني حلال كان من بنى تغلب او غيرهم وكذلك اليهود وتأولوا قول الله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم * وقوله سبحانه وطعامكم حل لهم اي ذبائحكم فهذه رخصة للمسلمين لا لاهل الكتاب لما كان الامر يقتضى ان شيئا قد تشرعنا فيه بالتذكية ينبغى لنا ان نحميه منهم رخص الله تعالى لنا فى ذلك دفعا للمشقة بحسب التجاور * وقوله سبحانه والمحصنات عطف على الطعام المحلل ذهب جماعة منهم مالك الى ان المحصنات فى هذه الآية الحرائر فمنعوا نكاح الامة الكتابية وذهب جماعة الى انهن العفائف فاجازوا نكاح الامة الكتابية والاجور فى الآية المهور وانتزع بعض العلماء من لفظ ءاتيتموهن انه لا ينبغى ان يدخل زوج بزوجته الا بعد ان يبذل من المهر ما يستحلها به ومحصنين معناه متزوجين على السنة * وقوله

سبحانه ومن يكفر بالايمان اي بالامور التى يجب الايمان بها و باقى الآية بين
* وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية
قال ابن العربي فى احكامه لا خلاف بين العلماء ان هذه الآية مدنية كما انه لا خلاف ان الوضوء كان معقولا قبل نزولها غير متلو ولذلك قال علماؤنا ان الوضوء كان بمكة سنة ومعناه كان مفعولا بالسنة وقوله اذا قمتم معناه اذا اردتم القيام الى الصلاة انتهى قال زيد بن اسلم والسدي معنى الآية اذا قمتم من المضاجع يعنى النوم والقصد بهذا التاويل ان يعم الاحداث بالذكر وفى الآية على هذا التاويل تقديم وتأخير تقديره يا ايها الذين ءامنوا اذا قمتم الى الصلاة من النوم او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء يعنى الملامسة الصغرى فاغسلوا وهنا تمت احكام الحدث الاصغر ثم قال وان كنتم جنبا فاطهروا فهذا حكم نوع ءاخر ثم قال للنوعين جميعا وان كنتم مرضى او على سفر فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا وقال بهذا التاويل محمد بن مسلمة من اصحاب مالك وغيره وقال جمهور اهل العلم معنى الآية اذا قمتم الى الصلاة محدثين وليس فى الآية على هذا تقديم ولا تأخير بل ترتب فى الآية حكمُ واجدِ الماء الى قوله فاطهروا ودخلت الملامسة الصغرى فى قولنا محدثين ثم ذكر بعد ذلك بقوله وان كنتم مرضى الى ءاخر الآية حكم عادم الماء من النوعين جميعا وكانت الملامسة هي الجماع وقال * ص * اذا قمتم اي اذا اردتم وعبر بالقيام عن ارادته لانه مسبب عنها انتهى ومن احسن الاحاديث واصحها فى فضل الطهارة والصلاة ما رواه مالك فى الموطإ عن العَلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخُطى الى المساجد

وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط قال ابو عمر في التمهيد هذا الحديث من احسن ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل الاعمال قال صاحب كتاب العين الرباط ملازمة الثغور قال والرباط مواظبة الصلاة ايضا انتهى والغسل في اللغة ايجاد الماء في المغسول مع امرار شيء عليه كاليد والوجه ما واجه الناظر وقابله والناس كلهم على ان داخل العينين لا يلزم غسله الا ما روي عن ابن عمر انه كان ينضح الماء في عينيه واليد لغة تقع على العضو من المنكب الى اطراف الاصابع وحد الله سبحانه موضع الغسل منه بقوله الى المرافق واختلف العلماء هل تدخل المرافق في الغسل ام لا وتحرير العبارة في هذا المعنى ان يقال اذا كان ما بعد الى ليس مما قبلها فالحد اول المذكور بعدها واذا كان ما بعدها من جملة ما قبلها فالاحتياط يعطى ان الحد اخر المذكور بعدها ولذلك يترجح دخول المرفقين في الغسل والروايتان عن مالك قال ابن العربي في احكامه وقد روى الدارقطني وغيره عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توضأ ادار الماء على مرفقيه انتهى واختلف في رد اليدين في مسح الراس هل هو فرض او سنة بعد الاجماع على ان المسحة الاولى فرض فالجمهور على انه سنة وقيل هو فرض والاجماع على استحسان مسح الراس باليدين جميعا وعلى الاجزاء بواحدة واختلف فيمن مسح باصبع واحدة والمشهور الاجزاء ويترجح عدم الاجزاء لانه خروج عن سنة المسح وكانه لعب الا ان يكون ذلك عن ضرر مرض ونحوه فينبغي ان لا يختلف في الاجزاء والباء في قوله تعالى برؤوسكم موكدة زائدة عند من يرى عموم الراس والمعنى عنده وامسحوا رؤوسكم وهي للالصاق المحض عند من يرى اجزاء بعض الراس كان المعنى اوجدوا مسحا برؤوسكم فمن مسح ولو شعرة فقد فعل ذلك

* ت * قال ابن العربي فى احكامه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فى صفة مسح الراس انه اقبل بيده وادبر بدأ بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذى بدأ منه وفى البخاري فادبر بهما واقبل وهما صحيحان متوافقان وهي مسألة من اصول الفقه فى تسمية الفعل بابتدائه او بغايته انتهى وقرأ حمزة وغيره وارجلكم بالخفض وقرأ نافع وغيره بالنصب والعامل اغسلوا ومن قرأ بالخفض جعل العامل اقرب العاملين وجمهور الامة من الصحابة والتابعين على ان الفرض فى الرجلين الغسل وان المسح لا يجزئ وفى الصحيح ويل للاعقاب من النار اذ رأى صلى الله عليه وسلم اعقابهم تلوح قال ابن العربي فى القبس ومن قرأ وارجلكم بالخفض فانه اراد المسح على الخفين وهو احد التاويلات فى الآية انتهى وهذا هو الذى صححه فى احكامه والكلام فى قوله الى الكعبين كما تقدم فى قوله الى المرافق وفى صحيح مسلم وغيره عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذه فقال عمر التى قبلها اجود قال ما منكم من احد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء واخرجه الترمذي من حديث ابى ادريس الخَوْلاني عن عمر زاد فى ءاخره اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين انتهى مختصرا واختلف اللغويون فى الكعبين والجمهور على انهما العظمان الناتئان فى جنبتي الرجل والفاظ الآية تقتضى الموالاة بين الاعضاء قال مالك هو فرض مع الذكر ساقط مع النسيان وروى الدارقطي فى سننه من

توضأ فذكر اسم الله على وضوءه كان طهورا لجسده ومن توضأ ولم يذكر اسم الله على وضوءه كان طهورا لاعضائه انتهى من الكوكب الدري وكذلك تتضمن الفاظ الآية الترتيب واطّهروا امر لواجد الماء عند الجمهور وقال عمر بن الخطاب وغيره لا يتيمم الجنب البتة بل يدع الصلاة حتى يجد الماء * وقوله سبحانه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج الآية الارادة صفة ذات وجاء الفعل مستقبلا مراعاة للحوادث التى تظهر عن الارادة والحرج الضيق والحرجة الشجر الملتف المتضايق ويجرى مع معنى هذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم دين الله يسر وقوله عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة وجاء لفظ الآية على العموم والشيء المذكور بقرب هو امر التيمم والرخصة فيه وزوال الحرج فى تحمل الماء ابدا ولذلك قال اسيد ما هي باول بركتكم يا ءال ابى بكر * وقوله سبحانه ولكن يريد ليطهركم الآية اعلام بما لا يوازَى بشكر من عظيم تفضله تبارك وتعالى ولعلكم ترج فى حق البشر وفى الحديث الصحيح عن ابى مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطّهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملئان او تملأ ما بين السموات والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقران حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها رواه مسلم والترمذي وفى رواية له التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملأه والتكبير يملأ ما بين السماء والارض والصوم نصف الصبر وزاد فى رواية اخرى ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه انتهى * وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الآية خطاب للمومنين ونعمة الله اسم جنس يجمع الاسلام وحسن الحال وحسن المآل والميثاق هو ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة

وبيعة الرضوان وكل موطن قال الناس فيه سمعنا واطعنا هذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين وقال مجاهد المراد الميثاق الماخوذ على النسم حين استخرجوا من ظهر ادم عليه السلام والاول ارجح واليق بنمط الكلام وباقى الآية بين متكرر قال ابو عمر بن عبد البر فى كتابه بهجة المجالس روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ما وعده ومن اوعده على عمل عقابا فان شاء عذبه وان شاء غفر له وعن ابن عباس مثله انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته والجمهور ان سبب هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما استعان بيهود فى دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري وصاحبه قالوا نعم يا ابا القاسم انزل حتى نصنع لك طعاما وننظر فى معونتك فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظل جدار وكان معه ابو بكر وعمر وعلي فتآمرت يهود فى قتله وقالوا من رجل يظهر على الحائط فيصب عليه حجرا يشدخه فجاء جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم الخبر فقام صلى الله عليه وسلم من المكان وتوجه الى المدينة ونزلت الآية فى ذلك ويترجح هذا القول بما يأتى بعد من الآيات فى وصف غدر يهود ونقضهم المواثيق * وقوله سبحانه ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا هذه الآية المتضمنة للخبر عن نقضهم مواثيق الله تعالى تقوّى ان الآية المتقدمة فى كف الايدى انما كانت فى امر بنى النضير والاجماع على ان النقيب كبير القوم القائم بامورهم قال قتادة وغيره هؤلاء النقباء قوم كبار من كل سبط تكفل بكل واحد سبطه بان يومنوا ويلتزموا التقوى قال * ع * ونحو هذا كانت النقباء ليلة بيعة العقبة مع النبي صلى الله

عليه وسلم والضمير في معكم لبني اسراءيل اي معكم بنصري وحياطتي وتأييدي واللام في قوله لئن هي الموذنة بمجيء القسم ولام القسم هي قوله لأكفرن والدليل على ان هذه اللام انما هي موذنة انها قد يستغنى عنها احيانا ويتم الكلام دونها ولو كانت لام قسم لم يترتب ذلك واقامة الصلاة توفية شروطها والزكاة هنا شيء من المال كان مفروضا عليهم فيما قال بعض المفسرين وعزرتموهم معناه وقرتموهم وعظمتموهم ونصرتموهم وقرأ عاصم الجحدري وعزرتموهم خفيفة الزاي حيث وقع وقرأ في سورة الفتح وتعزروه بفتح التاء وسكون العين وضم الزاي وسواء السبيل وسطه وسائر ما في الآية بين والله المستعان * وقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية الآية اي فبنقضهم والقسوة غلظ القلب ونُبُوُّه عن الرقة والموعظة وصلابته حتى لا ينفعل لخير * وقوله تعالى ونسوا حظا مما ذكروا به نص على سوء فعلهم بانفسهم اي قد كان لهم حظ عظيم فيما ذكروا به فنسوه وتركوه ثم اخبر تعالى نبيه عليه السلام انه لا يزال في مستانف الزمان يطلع على خائنة منهم وغائلة وامور فاسدة قالت فرقة خائنة مصدر والمعنى على خيانة وقال ءاخرون معناه على فرقة خائنة فهي اسم فاعل صفةٌ لمؤنث * وقوله تعالى فاعف عنهم واصفح منسوخ بما في براءة وباقي الآية بين * وقوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى من متعلقة باخذنا التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم ويحتمل ان تكون معطوفة على خائنة منهم والاول ارجح وعلق قولهم نصارى بقولهم ودعواهم من حيث هو اسم شرعي يقتضي نصر دين الله وسموا به انفسهم دون استحقاق * وقوله سبحانه فاغرينا بينهم العداوة اي اثبتناها بينهم والصقناها والاغراء ماخوذ من الغراء الذي يلصق به وقال البخاري الاغراء التسليط انتهى والضمير في بينهم

يحتمل ان يعود على اليهود والنصارى لان العداوة بينهم موجودة مستمرة ويحتمل ان يعود على النصارى فقط لانها امة متقاتلة بينها الفتن الى يوم القيامة ثم توعدهم بعذاب الآخرة اذ صنعهم كفر يوجب الخلود فى النار واعلم رحمك الله انه قد جاءت آثار صحيحة فى ذم الشحناء والتباغض والهجران لغير موجب شرعي ففى صحيح مسلم عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كانت بينه وبين اخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا وفى رواية تعرض الاعمال فى كل خميس واثنين فيغفر الله فى ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا الحديث انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرئ مسلم ان يهاجر مسلما فوق ثلاث ليال فانهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما فاولهما فيئا يكون سبقه بالفيء كفارة له وان سلم عليه فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة وردت على الآخر الشياطين واذا ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة أراه قال ابدا انتهى وسنده جيد ونصه قال ابن المبارك اخبرنا شعبة عن يزيد الرِّشْك عن مُعاذة العدوية قالت سمعت هشام بن عامر يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وقوله لم يدخلا الجنة ليس على ظاهره اي لم يدخلا الجنة ابدا حتى يقتص لبعضهم من بعض اويقع العفو او تحل الشفاعة حسبما هو معلوم فى صحيح الآثار * وقوله سبحانه يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب الآية اهل الكتاب لفظ يعم اليهود والنصارى ولكن نوازل الاخفاء كالرجم وغيره انما حفظت لليهود لانهم كانوا مجاورى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مُهاجَره وفى اعلامه صلى الله

عليه وسلم بخفي ما في كتبهم وهو امي لا يكتب ولا يصحب القراء دليل على صحة نبوءته لو الهمهم الله للخير ويعفوا عن كثير اي لم يفضحهم فيه ابقاء عليهم والضمير في يعفوا للنبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور هو محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب مبين هو القرءان ويحتمل ان يريد موسى عليه السلام والتوراة اي لو اتبعتموها حق الاتباع والاول هو ظاهر الآية وهو اظهر وسبل السلام اي طرق السلامة والنجاة ويحتمل ان يكون السلام هنا اسما من اسماء الله عزوجل فالمعنى طرق الله والظلمات الكفر والنور الايمان و باقي الآية بين متكرر * وقوله سبحانه قل فمن يملك اي لا مالك ولاراد لارادة الله تعالى في المسيح ولا في غيره * وقوله سبحانه يخلق ما يشاء اشارة الى خلقه المسيح في رحم مريم من غير والد بل اختراعا كآدم عليه السلام * وقوله تعالى والله على كل شيء قدير عموم معناه الخصوص فيما عدا الذات والصفات والمحالات * وقوله سبحانه وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الآية البنوة في قولهم هذا بنوة الحنان والرأفة لانهم ذكروا ان الله سبحانه اوحى الى اسراءيل ان اول اولادك بِكْرِي فضلوا بذلك وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه ولو صح ما رووا لكان معناه بكرا في التشريف او النبوءة ونحوه وكانت هذه المقالة منهم عند ما دعاهم النبي عليه السلام الى الايمان به وخوفهم العذاب فقالوا نحن لا نخاف ما تقول لانا ابناء الله واحباؤه ذكر ذلك ابن عباس وقد كانوا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم في غير ما موطن نحن ندخل النار فنقيم فيها اربعين يوما فرد الله عليهم قولهم فقال لنبيه عليه السلام قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي لو كانت منزلتكم منه فوق منازل البشر لما عذبكم وانتم قد اقررتم انه يعذبكم ثم ترك الكلام الاول واضرب عنه غير مفسد له ودخل في غيره فقال بل انتم بشر

كسائر الناس والخلق اكرمُهم عند الله اتقاهم يهدى من يشاء للايمان فيغفر له ويورِّط من يشاء فى الكفر فيعذبه وله ملك السموات والارض وما بينهما فله بحق الملك ان يفعل ما يشاء ولا معقب لحكمه واليه مصير العباد بالحشر والمعاد * وقوله تعالى يا اهل الكتاب يعنى اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد عليه السلام * وقوله على فترة من الرسل اي على انقطاع من مجيئهم مدة ما والفترة سكون بعد حركة فى الاجرام ويستعار ذلك للمعاني وقد قال عليه السلام لكل عمل شِرَة ولكل شرة فترة وفى الصحيح ان الفترة التى كانت بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبين عيسى ستمائة سنة وهذه الآية نزلت بسبب قول اليهود ما انزل الله على بشر بعد موسى من شيء قاله ابن عباس وقوله ان تقولوا معناه حِذارا ان تقولوا يوم القيامة ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقامت الحجة عليكم والله على كل شيء قدير فهو الهادى والمضل لا رب غيره * وقوله سبحانه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء الآية المعنى واذكر لهم يا محمد على جهة اعلامهم بغيب كتبهم ليتحققوا نبوءتك ثم عدد عيون تلك النعم فقال اذ جعل فيكم انبياء اي حاطة ومنقذون من النار وشرف فى الدنيا والآخرة وجعلكم ملوكا اي فيكم ملوكا لان الملك شرف فى الدنيا وحاطة فى نوائبها وءاتاكم ما لم يوت احدا من العالمين قال مجاهد هو المن والسلوى والحجر والغمام وقال غيره كثرة الانبياء وعلى هذا القول فالعالَمون على العموم وعلى القول بان المؤتى هو ءايات موسى فالعالمون عالم زمانهم لان ما اوتي النبي صلى الله عليه وسلم من آيات الله اكثر من ذلك والمقدسة معناه المطهرة قال ابن عباس هي الطور وما حوله وقال قتادة هي الشام قال الطبري ولا يختلف انها بين الفرات وعريش مصر

قال * ع * وتظاهرت الروايات ان دمشق هي قاعدة الجبارين ثم حذرهم موسى الارتداد على الادبار وذلك هو الرجوع القهقرى والخاسر الذى قد نقص حظه ثم ذكر عزوجل انهم تعنتوا ونكصوا فقالوا ان فيها قوما جبارين والجبار من الجبر كانه لقدرته وغشمه و بطشه يجبر الناس على ارادته والنخلة الجبارة العالية التى لا تنال بيد وكان من خبر الجبارين انهم كانوا اهل قوة فلما بعث موسى الاثني عشر نقيبا مطلعين من امر الجبارين واحوالهم رأوا لهم قوة و بطشا وتخيلوا ان لا طاقة لهم بهم فتعاقدوا بينهم على ان يخفوا ذلك من بنى اسراءيل وان يعلموا به موسى ليرى فيه امر ربه فلما انصرفوا الى بنى اسراءيل خان منهم عشرة فعرّفوا قراباتهم ومن وثقوا به ففشا الخبر حتى اعوج امر بنى اسراءيل وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا ولم يف من النقباء الا يوشع بن نون وكالب بن يوفتا ويقال فيه كالوث بثاء مثلثة * وقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون اي يخافون الله سبحانه قال اكثر المفسرين الرجلان يوشع بن نون وهو ابن اخت موسى وكالب بن يوفتا انعم الله عليهما بالايمان الصحيح وربط الجاش والثبوت وقولهم فاذهب انت وربك فقاتلا الآية عبارة تقتضى كفرا وقيل المعنى فاذهب انت وربك يعينك وان الكلام معصية لا كفر وذكر ابن اسحاق وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم الناس يوم بدر وقال لهم اشيروا علي ايها الناس فقال له المقداد بن الاسود يا رسول الله لسنا نقول كما قالت بنو اسراءيل اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ثم تكلم سعد بن معاذ بنحو هذا المعنى ولما سمع موسى عليه السلام قولهم ورأى عصيانهم تبرأ الى الله منهم وقال داعيا عليهم رب انى لا املك الا نفسى واخى يعنى هارون

وقوله فافرق بيننا دعاء حرج والمعنى فافرق بيننا و بينهم حتى لا نشقى بفسقهم قال فانها محرمة عليهم اي قال الله وحرم الله تعالى على بنى اسراءيل دخول تلك المدينة اربعين سنة يتيهون فى الارض اي فى ارض تلك النازلة وهو فحص التيه وهو على ما يحكى طول ثلاثين ميلا فى عرض ستة فراسخ ويروى انه لم يدخل المدينة احد من ذلك الجيل الا يوشع وكالوث وروي ان يوشع نبّئ بعد كمال الاربعين سنة وخرج ببنى اسراءيل من التيه وقاتل الجبارين وفتح المدينة وفى تلك الحرب وقفت له الشمس ساعة حتى استمر هزم الجبارين والتيه الذهاب فى الارض الى غير مقصد معلوم * وقوله تعالى فلا تاس على القوم الفاسقين معناه فلا تحزن والخطاب بهذه الآية لموسى عليه السلام قال ابن عباس ندم موسى على دعائه على قومه وحزن عليهم فقال الله له فلا تاس على القوم الفاسقين * وقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا الآية اتل معناه اسرد واسمعهم اياه وهذه من علوم الكتب الاول فهي من دلائل نبوءة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ هي من غامض كتب بنى اسراءيل قال الفخر وفى الآية قولان احدهما اتل على الناس والثانى اتل على اهل الكتاب انتهى وابني آدم هما لصلبه وهما هابيل وقابيل روت جماعة من المفسرين منهم ابن مسعود ان سبب هذا التقريب ان حواء كانت تلد فى كل بطن ذكرا وانثى وكان الذكر يتزوج انثى البطن الآخر ولا تحل له اخته توءمته فولدت مع قابيل اختا جميلة ومع هابيل اختا ليست كذلك فلما اراد ءادم ان يزوجها من هابيل قال قابيل انا احق باختى فامره ءادم فلم ياتمر فاتفقوا على التقريب فتقبل قربان هابيل ووجب ان ياخذ اخت قابيل فحينئذ قال لاقتلنك وقول هابيل انما يتقبل الله من المتقين كلام

قبله محذوف تقديره ولمَ تقتلُني وليس لى ذنب فى قبول الله قربانى وانما يتقبل الله من المتقين واجماع اهل السنة فى معنى هذه الالفاظ انها اتقاء الشرك فمن اتقاه وهو موحد فاعماله التى تصدق فيها نيته مقبولة واما المتقى للشرك وللمعاصى فله الدرجة العليا من القبول والحتم بالرحمة علم ذلك باخبار الله تعالى لا ان ذلك يجب على الله تعالى عقلا قلت قول * ع * فى معنى هذه الالفاظ يعنى حيث وقعت فى الشرع واما فى هذه الآية فليس باتقاء شرك على ما سياتى وقول هابيل ما انا بباسط يدي اليك الآية قال عبد الله بن عمر وجمهور الناس كان هابيل اشد قوة من قابيل ولكنه تحرج وهذا هو الاظهر قال * ع * ومن هنا يقوى ان قابيل انما هو عاص لا كافر لانه لوكان كافرا لم يكن للتحرج هنا وجه وتبوء معناه تمضى متحملا وقوله باثمى واثمك قيل معناه باثم قتلى وسائر اثامك وقيل المعنى باثمى الذى يختص بى فيما فرط لى وهذا تاويل يعضده قول النبي صلى الله عليه وسلم يوتى بالظالم والمظلوم يوم القيامة فيوخذ من حسنات الظالم فتزاد فى حسنات المظلوم حتى ينتصف فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه * وقوله وذلك جزاء الظالمين يحتمل ان يكون من قول هابيل لاخيه ويحتمل ان يكون اخبارا من الله تعالى لمحمد عليه السلام قال الفخر وقوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه قال المفسرون معناه سهلت له نفسه قتل اخيه انتهى * وقوله سبحانه فاصبح من الخاسرين اصبح عبارة عن جميع اوقاته وهذا مهيع كلام العرب ومنه * اصبحت لا احمل السلاح * البيت وقول سعد فاصبحت بنو اسد تعزرنى الى غير ذلك من استعمال العرب ومن خسران قابيل ما صح وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما قتلت نفس ظلما الا كان على ابن ءادم الاول كفل منها وذلك لانه

اول من سن القتل * وقوله تعالى فبعث الله غرابا الآية قيل اصبح في ثاني يوم قتله يطلب اخفاء امر قتله فلم يدر ما يصنع به فبعث الله غرابا حيا الى غراب ميت فجعل يبحث في الارض ويلقي التراب على الغراب الميت وظاهر الآية ان هابيل هو اول ميت من بني ءادم ولذلك جهل سنة المواراة وكذلك حكى الطبري عن ابن اسحاق عن بعض اهل العلم بما في الكتب الاول والسوءة العورة ويحتمل ان يراد الحالة التي تسوء الناظر ثم ان قابيل وارى اخاه وندم على ما كان منه من معصية في قتله حيث لا ينفعه الندم واختلف العلماء في قابيل هل هو من الكفار او من العصاة والظاهر انه من العصاة قال الفخر ولم ينتفع قابيل بندمه لان ندمه كان لاسباب منها سخط ابويه واخوته وعدم انتفاعه بقتله ونحو ذلك ولما كان ندمه لهذه الاسباب لا لاجل الخوف من الله تعالى فلا جرم لم ينفعه هذا الندم * وقوله تعالى من اجل ذلك هو اشارة الى ما تضمنته هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب القتل الحرام لا انه اشارة الى قصة قابيل وهابيل انتهى * وقوله سبحانه من اجل ذلك كتبنا على بني اسراءيل الآية جمهور الناس على ان قوله من اجل ذلك متعلق بقوله كتبنا اي من اجل هذه النازلة ومن جَرّاها كتبنا وقال قوم بل هو متعلق بقوله من النادمين اي ندم من اجل ما وقع والوقف على هذا على ذلك والناس على ان الوقف من النادمين ويقال فعلت ذلك من اجلك بفتح الهمزة ومن اجلك بكسرها * وقوله سبحانه بغير نفس اي بغير ان تقتل نفس نفسا والفساد في الارض يجمع الزنا والارتداد والحرابة * وقوله سبحانه فكانما قتل الناس جميعا روي عن ابن عباس انه قال المعنى من قتل نفسا واحدة وانتهك حرمتها فهو مثل من قتل الناس جميعا ومن ترك قتل نفس واحدة وصان حرمتها مخافتي

واستحياها فهو كمن احيا الناس جميعا قال الحسن وابن زيد ومن احياها اي عفا عن من وجب له قتله بعد القدرة وقيل غير هذا ثم اخبر تعالى عن بنى اسراءيل انهم جاءتهم الرسل بالبينات فى هذا وفى سواه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى كل عصر يسرفون ويتجاوزون الحدود * وقوله سبحانه انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية روى انس بن مالك وغيره ان الآية نزلت فى قوم من عُكْل وعُرَيْنة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا ثم انهم مرضوا واستوخموا المدينة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يكونوا فى لقاح الصدقة وقال اشربوا من البانها وابوالها فخرجوا فيها فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الابل فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فبعث الطلب فى ءاثارهم فاخذوا قال جميع الرواة فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ايديهم وارجلهم من خلاف وسمر اعينهم ويروى وسمل وتركهم فى جانب الحَرَّة يستسقون فلا يسقون فقيل ان هذه الآية ناسخة لفعله صلى الله عليه وسلم بالعرنيين ووقف الامر على هذه الحدود وقال جماعة انها غير ناسخة لذلك الفعل لان العرنيين مرتدون لا سيما وفى بعض الطرق انهم سَمَلوا اعين الرِّعاء وقالوا هذه الآية هي فى المحارب المومن قال مالك المحارب عندنا من حمل على الناس السلاح فى مصر او برية فكابرهم عن انفسهم واموالهم دون نائرة ولا دخل ولا عداوة وبهذا القول قال جماعة من اهل العلم قالوا والامام مخير فيه بان يعاقبه بما رأى من هذه العقوبات فاما قتل المحارب فبالسيف ضربة للعنق واما صلبه فبعد القتل عند جماعة وقال جماعة بل يصلب حيا ويقتل بالطعن على الخشبة وروي هذا عن مالك وهو الاظهر من الآية وهو الانكى فى النكال واما القطع فاليد اليمنى من الرسغ والرِّجل الشمال من المفصل * وقوله سبحانه او ينفوا من

لارض الظاهر ان لارض فى هذه الآية هي ارض النازلة وقد جنب الناس قديما لارض التى اصابوا فيها الذنوب ومنه حديث الذى ناء بصدره نحو لارض المقدسة وينبغى للامام ان كان هذا المحارب المنفي مخوف الجانب يظن به ان يعود الى حرابة وافساد ان يسجنه فى البلد الذى يغرب اليه وان كان غير مخوف الجانب ترك مسرحا وهذا هو صريح مذهب مالك * وقوله تعالى ذلك لهم خزي فى الدنيا الآية اشارة الى هذه الحدود التى توقع بهم فيحتمل الخزي لمن عوقب وعذاب الآخرة لمن سلم فى الدنيا وبالجملة فهم فى المشيئة * وقوله سبحانه لا الذين تابوا الآية استثنى عزوجل التائب قبل ان يقدَر عليه واخبر سبحانه بسقوط حقوقه عنه بقوله فاعلموا ان الله غفور رحيم والعلماء على ان الآية فى المومنين ويوخذ المحارب بحقوق الناس وان تاب هذا هو الصحيح * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة الآية هذه الآية وعظ من الله تعالى بعقب ذكر العقوبات النازلة بالمحاربين وهذا من ابلغ الوعظ لانه يرد على النفوس وهي خائفة وجلة وابتغوا معناه اطلبوا والوسيلة القربة واما الوسيلة المطلوبة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهي ايضا من هذا لان الدعاء له بالوسيلة والفضيلة انما هو ان يوتاهما فى الدنيا ويتصف بهما ويكون ثمرة ذلك فى الآخرة التشفيع فى المقام المحمود قلت وفى كلامه هذا ما لا يخفى وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة التى كان يرجوها من ربه وانها درجة فى الجنة لا ينبغى ان تكون لا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو الحديث وخص سبحانه الجهاد بالذكر وان كان داخلا فى معنى الوسيلة تشريفا له اذ هو قاعدة لاسلام * وقوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار اخبار بانهم يتمنون هذا وقال الحسن بن ابى الحسن اذا فارت بهم النار

قربوا من حاشيتها فحينئذ يريدون الخروج ويطمعون به وتأول هو وغيره الآية على هذا قلت ويؤيده ما خرجه البخاري في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم حيث اتاه ءاتيان فاخذا بيده وفيه فاقبل الرجل الذى في النهر فاذا اراد ان يخرج رمى الرجل بحجر في فيه وفيه ايضا فانطلقنا الى ثقب مثل التنور اعلاه ضيق واسفله واسع تتوقد تحته نار فاذا اقترب ارتفعوا فاذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة فقلت ما هذا فقالا انطلق الحديث واخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم ليسوا بخارجين من النار بل عذابهم فيها مقيم مؤبد * وقوله سبحانه والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الآية قلت المسروق مال او غيره فشرط المال ان يكون نصابا بعد خروجه مملوكا لغير السارق ملكا محترما تاما لا شبهة له فيه محرَزا مخرَجا منه الى ما ليس بحرز له استسرارا فالنصاب ربع دينار او ثلاثة دراهم او ما يساوى ثلاثة دراهم وقوله ايديهما يعنى أيمان النوعين والنكال العذاب والنكل القيد * وقوله سبحانه فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه الآية جمهور العلماء على ان توبة السارق لا تسقط عنه القطع وقال الشافعي اذا تاب السارق قبل ان يتلبس الحكام باخذه فتوبته تدفع عنه حكم القطع قياسا على توبة المحارب * وقوله سبحانه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء اي فلا معقب لحكمه سبحانه ولا معترض عليه يفعل ما يشاء لا اله الا هو * وقوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الآية تسلية لنبيه عليه السلام وتقوية لنفسه بسبب ما كان يلقى من طوائف المنافقين واليهود والمعنى قد وعدناك النصر والظهور عليهم فلا يحزنك ما يقع منهم ومعنى المسارعة في الكفر البدار الى نصره والسعي في كيد الاسلام واطفاء نوره قال مجاهد وغيره قوله تعالى من الذين قالوا ءامنا

بافواههم ولم تومن قلوبهم يراد به المنافقون * وقوله سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين يراد به اليهود ويحتمل ان يراد به اليهود مع المنافقين لان جميعهم يسمع الكذب بعضهم من بعض ويقبلونه ولذلك جاءت عبارة سماعهم في صيغة المبالغة اذ المراد انهم يقبلون ويستزيدون من ذلك * وقوله سبحانه سماعون لقوم آخرين يحتمل ان يريد يسمعون منهم وذكر الطبري عن جابر ان المراد بالقوم الآخرين يهود فَدَك وقيل يهود خيبر ويحتمل ان يكون معنى سماعون لقوم آخرين بمعنى جواسيس مسترقين الكلام لينقلوه لقوم آخرين وهذا مما يمكن ان يتصف به المنافقون ويهود المدينة قلت وهذا هو الذى نص عليه ابن اسحاق في السير قال * ع * وقيل لسفيان بن عيينة هل جرى للجاسوس ذكر في كتاب الله عز وجل فقال نعم وتلا هذه الآية سماعون لقوم آخرين * وقوله سبحانه يحرفون الكلم من بعد مواضعه هذه صفة اليهود في معنى ما حرفوه من التوراة وفيما يحرفونه من الاقوال عند كذبهم من بعد مواضعه اي من بعد ان وضع مواضعه وقصدت به وجوهه القويمة يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه روي ان يهود فدك قالوا ليهود المدينة استفتوا محمدا فان افتاكم بما نحن عليه من الجلد والتجبية فخذوه وان افتاكم بالرجم فاحذروا الرجم قاله الشعبي وغيره وقيل غير هذا من وقائعهم فالاشارة بهذا الى التحميم والجلد في الزنا على قول ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام على جهة قطع الرجاء منهم ومن يرد الله فتنته اي محنته بالكفر فلن تملك له من الله شيئا ثم اخبر تعالى عنهم انهم الذين سبق لهم في علمه ان لا يطهر قلوبهم وان يكونوا مدَنَّسين بالكفر لهم في الدنيا خزي بالذلة والمسكنة التى ضربت عليهم في اقطار الارض وفي كل امة قال * ص * سماعون اي هم سماعون ومثله اكالون انتهى * وقوله سبحانه اكالون للسحت فعالون

بناء مبالغة اي يتكرر اكلهم ويكثر والسحت كل ما لا يحل كسبه من المال

* وقوله تعالى فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير للنبي صلى الله عليه وسلم ولحكام امته بعده وقال ابن عباس وغيره هذا التخيير منسوخ بقوله سبحانه وان احكم بينهم بما انزل الله وقال كثير من العلماء هي محكمة وهذا هو الاظهر ان شاء الله وفقه هذه الآية ان الامة مجمعة فيما علمت على ان حاكم المسلمين يحكم بين اهل الذمة فى تظالمهم واما نوازل الاحكام التى لا تظالم فيها فالحاكم مخير واذا رضي به الخصمان فلا بد من رضى اساقفتهم او احبارهم قاله ابن القاسم فى العتبية قلت وعبارة الداودي قال مالك ولا يحكُم بينهم اذا اختار الحكم الا فى المظالم فيحكم بينهم بما انزل الله ولا يحكم فيهم فى الزنا الا ان يعلنوه فيعاقبون بسبب اعلانه ثم يردون الى اساقفتهم قال مالك وانما رجم النبي صلى الله عليه وسلم اليهوديين قبل ان تكون لهم ذمة انتهى وقال ابن العربي فى احكامه انما انفذ النبي صلى الله عليه وسلم الحكم بينهم ليحقق تحريفهم وتبديلهم وكذبهم وكتمهم ما فى التوراة ومنه صفته صلى الله عليه وسلم فيها والرجم على زناتهم وعنه اخبر الله تعالى بقوله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير فيكون ذلك من آياته الباهرة وحججه البينة وبراهينه القاطعة الدامغة للامة المخزية اليهودية انتهى

* وقوله تعالى وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا امّن الله سبحانه نبيه من ضررهم اذا اعرض عنهم وحقر فى ذلك شانهم وان حكمت اي اخترت الحكم فى نازلة ما فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل ثم قال سبحانه وكيف يحكمونك المعنى وكيف يحكمونك بنية صادقة وهم قد خالفوا حكم التوراة التى يصدقون بها وتولوا عن حكم الله فيها فانت الذى لا يومنون بك احرى بان يخالفوا

حكمك وهذا بين انهم لا يحكمونه عليه السلام الا رغبة فى ميله الى اهوائهم
* وقوله سبحانه من بعد ذلك اي من بعد كون حكم الله فى التوراة فى الرجم
وما اشبهه * وقوله تعالى وما اولئك بالمومنين يعنى بالتوراة وبموسى * وقوله
سبحانه انا انزلنا التوراة فيها هدى اي ارشاد فى المعتقَد والشرائع والنور ما يستضاء
به من اوامرها ونواهيها والنبيئون الذين اسلموا هم مَن بعِث من لدن موسى
ابن عمران الى مدة نبينا محمد عليه السلام واسلموا معناه اخلصوا وجوههم ومقاصدهم
لله سبحانه وقوله للذين هادوا متعلق بيحكم اي يحكمون بمقتضى التوراة
لبنى اسراءيل وعليهم والربانيون عطف على النبيئين اي ويحكم بها الربانيون
وهم العلماء وقد تقدم تفسير الرباني والاحبار ايضا العلماء واحدهم حبر بكسر الحاء
وفتحها وكثُر استعمال الفتح فرقا بينه وبين الحبر الذى يكتب به وانما اللفظ
عام فى كل حبر مستقيم فيما مضى من الزمان قبل مبعث نبينا محمد عليه السلام
* وقوله سبحانه بما استحفظوا اي بسبب استحفاظ الله تعالى اياهم امر التوراة
واخذه العهد عليهم فى العمل والقول بها وعرفهم ما فيها فصاروا شهداء عليه وهؤلاء
ضيعوا لمّا استحفظوا حتى تبدلت التوراة والقرءان بخلاف هذا لقوله تعالى
وانا له لحافظون * وقوله تعالى فلا تخشوا الناس واخشون حكاية لما قيل لعلماء
بنى اسراءيل * وقوله ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا نهي عن جميع المكاسب
الخبيثة بالعلم والتحيل للدنيا بالدين وهذا المعنى بعينه يتناول علماء هذه الامة
وحكامَها ويحتمل ان يكون قوله فلا تخشوا الناس الى ءاخر الآية خطابا لامة نبينا
محمد عليه السلام واختلف العلماء فى المراد بقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون فقالت جماعة المراد اليهود بالكافرين والظالمين والفاسقين وروي
فى هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق البراء بن عازب قال

الفخر وتمسكت الخوارج بهذه الآية في التكفير بالذنب واجيب بان الآية نزلت في اليهود فتكون مختصة بهم قال الفخر وهذا ضعيف لان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قلت وهذه مسألة خلاف في العام الوارد على سبب هل يبقى على عمومه او يُقصَر على سببه انتهى وقالت جماعة عظيمة من اهل العلم الآية متناولة كل من لم يحكم بما انزل الله ولكنها في امراء هذه الامة كفر معصية لا يخرجهم عن الايمان وهذا تاويل حسن وقيل لحذيفة بن اليمان انزلت هذه الآية في بني اسرايل فقال نعم الاخوة لكم بنو اسرايل إن كانت لكم كل حلوة ولهم كل مرة لتسلكن طريقهم قذ الشراك * وقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية اي وكتبنا على بني اسرايل في التوراة ومعنى هذه الآية الخبر بان الله تعالى كتب فرضا على بني اسرايل انه من قتل نفسا فيجب في ذلك اخذ نفسه ثم هذه الاعضاء المذكورة كذلك ثم استمر هذا الحكم في هذه الامة بما علم من شرع النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ورخص الله لهذه الامة ووسع لها بالدية ولم يجعل لبني اسرايل دية فيما نزل على موسى والجمهور ان النفس بالنفس عموم يراد به الخصوص في المتماثلين كما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر وكذلك قوله سبحانه والجروح قصاص عموم يراد به الخصوص فيما لا يخاف منها على النفس وكتب الفقه محل استيعاب الكلام على هذه المعاني قال * ص * والجروح قصاص اي ذات قصاص انتهى * وقوله سبحانه فمن تصدق به فهو كفارة له المعنى ان من تصدق بجرحه او دم وليه وعفا فان ذلك العفو كفارة لذنوبه يعظم الله اجره بذلك قاله ابن عمر وغيره وفي معناه حديث مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يصاب

بشيء في جسده فتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة رواه الترمذي انتهى وقيل المعنى فذلك العفو كفارة للجارح عن ذلك الذنب كما ان القصاص كفارة فكذلك العفو كفارة واما اجر العافي فعلى الله تعالى قاله ابن عباس وغيره وقيل المعنى اذا جنى جان فجهل وخفي امره فتصدق هذا الجاني بان اعترف بذلك ومكن من نفسه فذلك الفعل كفارة لذنبه * وقوله سبحانه وقفينا على ءاثارهم بعيسى ابن مريم الآية الضمير في ءاثارهم للنبيئين * وقوله وهدى وموعظة للمتقين خص المتقون بالذكر لانهم المقصود به في علم الله وان كان الجميع يدعى الى توحيد الله ويوعظ ولكن ذلك على غير المتقين عمًى وحيرة وقرأ حمزة وحده وليحكم بكسر اللام وفتح الميم على لام كي ونصب الفعل بها والمعنى وءاتيناه الانجيل ليتضمن الهدى والنور والتصديق وليحكم اهله بما انزل الله فيه وقرأ باقي السبعة وليحكم بسكون لام الامر وجزم الفعل ومعنى امره لهم بالحكم اي هكذا يجب عليهم قلت واذ من لازم حكمهم بما انزل الله فيه اتباعهم لنبينا محمد عليه السلام والايمان به كما يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل قال الفخر قيل المراد وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قيل والمراد بالفاسقين من لم يمتثل من النصارى انتهى وحسن عقب ذلك التوقيف على وعيد من خالف ما انزل الله * وقوله سبحانه ومهيمنا اي جعل الله القرءان مهيمنا على الكتب يشهد بما فيها من الحقائق وعلى ما نسبه المحرفون اليها فيصحح الحقائق ويبطل التحريف وهذا هو معنى مهيمنا اي شاهد ومصدق ومؤتمن وامين حسب اختلاف عبارة المفسرين في اللفظة وقال المبرد مهيمن اصله مؤتمن بني من امين ابدلت همزته هاء كما قالوا ارقت الماء وهرقته واستحسنه الزجاج * وقوله

سبحانه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق المعنى عند الجمهور ان اخترت ان تحكم فاحكم بينهم بما انزل الله وليست هذه الآية بناسخة لقوله او اعرض عنهم ثم حذر الله تعالى نبيه عليه السلام من اتباع اهوائهم * وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي لكل امة قاله الجمهور وهذا عندهم في الاحكام واما في المعتقدات فالدين واحد لجميع العالم ويحتمل ان يكون المراد الانبياء لا سيما وقد تقدم ذكرهم وذكر ما انزل عليهم وتجيء الآية مع هذا الاحتمال تنبيها لنبينا محمد عليه السلام اي فاحفظ شرعتك ومنهاجك ليلا تستزلك اليهود او غيرهم في شيء منه واكثر المتأولين على ان الشرعة والمنهاج بمعنى واحد وهي الطريق وقال ابن عباس وغيره شرعة ومنهاجا سبيلا وسنة ثم اخبر سبحانه انه لو شاء لجعل الناس امة واحدة ولكنه لم يشأ لانه اراد اختبارهم وابتلاءهم فيما ءاتاهم من الكتب والشرائع كذا قال ابن جريج وغيره ثم امر سبحانه باستباق الخيرات في امتثال الاوامر وختم سبحانه بالموعظة والتذكير بالمعاد فقال الى الله مرجعكم جميعا والمعنى فالبدار البدار * وقوله سبحانه فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون معناه في الثواب والعقاب فتخبَرون به اخبار ايقاع وهذه الآية بارعة الفصاحة جمعت المعاني الكثيرة في الالفاظ اليسيرة وكل كتاب الله كذلك الا انا بقصور افهامنا يبين لنا في بعض اكثر مما يبين لنا في بعض * وقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم الآية الهوى مقصور يجمع على اهواء والهواء ممدود يجمع على اهوية ثم حذر تعالى نبيه عليه السلام من اليهود ان يفتنوه بان يصرفوه عن شيء مما انزل الله عليه من الاحكام لانهم كانوا يريدون ان يخدعوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له مرارا احكم لنا في نازلة كذا بكذا ونتبعك على دينك * وقوله سبحانه فان تولوا قبله محذوف تقديره

فان حكموك واستقاموا فنعما ذلك وان تولوا فاعلم الآية وخصص سبحانه اصابتهم ببعض الذنوب دون كلها لان هذا الوعيد انما هو فى الدنيا وذنوبهم نوعان نوع يخصهم ونوع يتعدى الى النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين وبه توعدهم الله فى الدنيا وانما يعذبون بالكل فى الآخرة وقال الفخر وجُوزوا ببعض الذنوب فى الدنيا لان مجازاتهم بالبعض كاف فى اهلاكهم وتدميرهم انتهى * وقوله سبحانه فاعلم الآية وعد للنبي صلى الله عليه وسلم وقد انجزه بقصة بنى قَيْنُقاع وقصة قُرَيْظة والنضير واجلاء عمر اهل خيبر وفدك وغيرهم * وقوله تعالى وان كثيرا من الناس لفاسقون اشارة اليهم ويندرج فى عموم الآية غيرهم * وقوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون اشارة الى الكهان الذين كانوا ياخذون الحلوان ويحكمون بحسب الشهوات ومن احسن من الله حكما اي لا احد احسن منه حكما تبارك وتعالى * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء نهى الله سبحانه المومنين بهذه الآية عن اتخاذ اليهود والنصارى اولياء فى النصرة والخلطة المؤدية الى الامتزاج والمعاضدة وحكم هذه الآية باق وكل من اكثر مخالطة هذين الصنفين فله حظه من هذا المقت الذى تضمنه قوله تعالى فانه منهم وسبب نزول هذه الآية انه لما انقضت بدر وشجر امر بنى قينقاع اراد النبي صلى الله عليه وسلم قتلهم فقام دونهم عبد الله ابن ابي ابن سلول مخاصما وقال يا محمد احسن فى موالى فانى امرؤ اخاف الدوائر فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد وهبتهم لك ونزلت الآية فى ذلك * وقوله عزوجل بعضهم اولياء بعض جملة مقطوعة من النهي * وقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم انحاء على عبد الله بن ابي وعلى كل من اتصف بهذه الصفة * وقوله سبحانه فترى الذين المعنى فترى يا محمد الذين فى قلوبهم

مرض اشارة الى عبد الله بن ابي ومن تبعه من المنافقين على مذهبه فى حماية بنى قينقاع * وقوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة لفظ محفوظ عن عبد الله ابن ابي ومن تبعه من المنافقين ودائرة معناه نازلة من الزمان وانما كان ابن ابي يظهر انه يستبقيهم لنصرة النبي عليه السلام وانه الرأي وكان يبطن خلاف ذلك * وقوله سبحانه فعسى الله ان ياتي بالفتح وهو ظهور نبيه عليه السلام وعلو كلمته وتمكينه من بنى قينقاع وقريظة والنضير وفتح مكة او امر من عنده يهلك به اعداء الشرع وهو ايضا فتح لا يقع فيه للبشر سبب وقرأ ابن الزبير فيصبح الفساق على ما اسروا فى انفسهم نادمين * وقوله تعالى يقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم قرأ نافع وغيره يقول بغير واو وقرأ حمزة وغيره ويقول وقرأ ابو عمرو وحده ويقول بالواو ونصب اللام فذهب كثير من المفسرين الى ان هذا القول من المومنين انما هو اذا جاء الفتح وحصلت ندامة المنافقين وفضحهم الله تعالى فحينئذ يقول المومنون اهؤلاء الذين اقسموا الآية وتحتمل الآية ان تكون حكاية لقول المومنين فى وقت قول الذين فى قلوبهم مرض نخشى ان تصيبنا دائرة اذ فهم منهم ان تمسكهم باليهود انما هو ارصاد لله ولرسوله فمقتهم النبي عليه السلام والمومنون وترك لهم النبي عليه السلام بنى قينقاع رغبة فى المصلحة والالفة واما قراءة ابي عمرو ويقول بالنصب فلا يتجه معها ان يكون قول المومنين الا عند الفتح وظهور ندامة المنافقين وفضيحتهم * وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب جهد على المصدر المؤكد والمعنى اهؤلاء هم المقسمون باجتهاد منهم فى الايمان انهم لمعكم قد ظهر الآن منهم من موالاة اليهود وخذل الشريعة ما يكذب أيمانهم * وقوله حبطت اعمالهم يحتمل ان يكون اخبارا من الله سبحانه ويحتمل ان يكون من قول المومنين ويحتمل ان يكون قوله

حبطت دعاء اي بطلت اعمالهم * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا من يرتدد منكم عن دينه الآية خطاب للمومنين الى يوم القيامة ومعنى الآية ان الله عزوجل وعد هذه الامة ان من ارتد منها فانه يجيء سبحانه بقوم ينصرون الدين ويغنون عن المرتدين قال الفخر وقدم الله تعالى محبته لهم على محبتهم له اذ لولا حبه لهم لما وفقهم ان صاروا محبين له انتهى وفى كتاب القصد الى الله سبحانه للمحاسبي قلت للشيخ فهل يلحق المحبين لله عزوجل خوف قال نعم الخوف لازم لهم كما لزمهم الايمان لا يزول الا بزواله وهذا هو خوف عذاب التقصير فى بدايتهم حتى اذا صاروا الى خوف الفوت صاروا الى الخوف الذى يكون فى اعلى حال فكان الخوف الاول يطرقهم خطرات وصار خوف الفوت وطنات قلت فما الحالة التى تكشف عن قلوبهم شديد الخوف والحزن قال الرجاء بحسن الظن لمعرفتهم بسعة فضل الله عزوجل واملهم منه ان يظفروا بمرادهم اذا وردوا عليه ولولا حسن ظنهم بربهم لتقطعت انفسهم حسرات وماتوا كمدا قلت اي شيء اكثر شغلهم وما الغالب على قلوبهم فى جميع احوالهم قال كثرة الذكر لمحبوبهم على طريق الدوام والاستقامة لا يملون ولا يفترون وقد اجمع الحكماء ان من احب شيأ اكثر من ذكره ثم قال قال ذو النون ما اولع احد بذكر الله الا افاد منه حب الله تعالى انتهى وفى الآية انحاء على المنافقين وعلى من ارتد فى مدة النبي صلى الله عليه وسلم قال الفخر وهذه الآية اخبار بغيب وقد وقع الخبر على وفقه فيكون معجزا وقد ارتدت العرب وغيرهم ايام ابى بكر فنصر الله الدين واتى بخير منهم انتهى * وقوله سبحانه اذلة على المومنين معناه متذللين من قبل انفسهم غير متكبرين وهذا كقوله عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم وكقوله عليه السلام المومن هين لين وفى قراءة

ابن مسعود اذلة على المومنين غلظاء على الكافرين * وقوله تعالى ولا يخافون لومة لائم اشارة الى الرد على المنافقين فى انهم يعتذرون بممالاة الاحلاف والمعارف من الكفار ويراعون امرهم قلت وخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده على ابى ذر قال اوصانى النبي صلى الله عليه وسلم بسبع اوصانى ان انظر الى من هو دونى ولا انظر الى من هو فوقى (يعني فى شان الدنيا) واوصانى بحب المساكين والدنو منهم واوصانى ان اقول الحق وان كان مرا واوصانى ان اصل رحمى وان ادبرت واوصانى ان لا اخاف فى الله لومة لائم واوصانى ان لا اسأل الناس شيأ واوصانى ان استكثر من لا حول ولا قوة الا بالله انتهى * وقوله سبحانه ذلك فضل الله الاشارة بذلك الى كون القوم يحبون الله عز وجل ويحبهم وواسع معناه ذو سعة فيما يملك ويعطى وينعم به سبحانه * وقوله تعالى انما وليكم الله ورسوله الآية انما فى هذه الآية حاصرة وقرأ ابن مسعود انما مولاكم الله والزكاة هنا لفظ عام للزكاة المفروضة والتطوع بالصدقة ولكل افعال البر اذ هي منمية للحسنات مطهرة للمرء من دنس السيئات ثم وصفهم سبحانه بتكثير الركوع وخص بالذكر لكونه من اعظم اركان الصلاة وهي هيئة تواضع فعبر به عن جميع الصلاة كما قال سبحانه والركع السجود هذا هو الصحيح وهو تاويل الجمهور ولكن اتفق مع ذلك ان علي بن ابى طالب رضي الله عنه اعطى خاتمه وهو راكع قال السدي وان اتفق ذلك لعلي فالآية عامة فى جميع المومنين ثم اخبر تعالى ان من يتولى الله ورسوله والمومنين فانه غالب كل من ناواه وجاءت العبارة عامة فى ان حزب الله هم الغالبون ثم نهى سبحانه المومنين عن اتخاذ الذين اتخذوا ديننا هزؤا ولعبا وقد ثبت استهزاء الكفار فى قوله سبحانه انا كفيناك المستهزءين وثبت استهزاء اهل الكتاب فى لفظ هذه

الآيـة وثبت استهزاء المنافـقيـن فى قولهم لشياطينهـم انا معكم انما نحن مستهزءون ثم امر سبحانه بتقـواه ونبه النـفوس بقولـه ان كنـتم مومنيـن * وقوله سبحانه واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزؤا ولعبا الآية انحاء على اليهـود وتبييـن لسوء فعلهم * وقوله وان اكثركم فاسقون معنى المحاورة هل تـنقمون منا الا مجموع هذه الحال من انا مومنون وانتم فاسقون كما تـقول لمن تخاصمه هل تـنـقم منى الا ان صدقت انا وكذبت انت وقال بعض المتأولين وان اكثركم معطوف على ما كانه قال الا ان آمنا بالله وبكتبه وبان اكثركم فاسقون وهذا مستـقيم المعنى وقال اكثركم من حيث ان فيهم من آمن كابن سلام وغيره * وقوله سبحانه قل هل انبئكم بشر من ذلـك مثوبـة يعنى مرجعا عند الله يوم القيامـة ومنه واذ جعلنا البيـت مثابة للناس ومشى المفسرون فى هذه الآية على ان الذين امر عليه السلام ان يقول لهم هل انبئكم هم اليهـود والكـفـار المتخذون ديننـا هزؤا ولعبا قال ذلـك الطبري وتوبع عليه ولم يسنِـد فى ذلـك الى متقـدم شيأ والآية تحتمـل ان يكون القول للمومنيـن اي قل يا محمد للمومنيـن هل انبئكم بشر من حال هؤلاء الفاسقيـن فى وقت المرجع الى الله اولائـك اسلافهم الذين لعنهم الله وغضب عليهم * وقوله سبحانـه وجعل هي بمعنى صير وقد تـقدم قصص مسخهـم قـردة فى البقـرة وعبد الطاغوت تـقديره ومن عبد الطاغوت وقرأ حمزة وحده وعَبُدَ الطاغوتِ بفتح العيـن وضم الباء وكسر التاء من الطاغـوت وذلـك ان عبد لفظ مبالغة كـقَـدُس قال الفخر قيل الطاغـوت هنا العجل وقيل الطاغـوت احبارهم وكل من اطاع احدا فى معصية الله فـقـد عبده انتهـى ومكانا يحتمـل ان يريد فى الآخـرة فالمكان على وجهه اي المحل اذ محلهم جهنم ويحتمـل ان يريد فى الدنيـا فهي استعارة للمكانـة والحالة * وقوله سبحانه واذا جاءوكم يعنى اليهود وخاصة المنافقيـن منهم قاله ابن عباس

وغيره * وقوله والله اعلم بماكانوا يكتمون اي من الكفر والرؤيةُ هنا تحتمل ان تكون قلبية وان تكون بصرية وفى الاثم اي موجبات الاثم واللام فى لبيس لام قسم * وقوله تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار تحضيض فى ضمنه توبيخ لهم قال الفخر والمعنى هلا ينهاهم انتهى قال الطبري كان العلماء يقولون ما فى القروان ءاية هي اشد توبيخا للعلماء من هذه الآية ولا اخوف عليهم منها وقال الضحاك بن مزاحم ما فى القروان ءاية اخوف عندي منها انا لا ننهى وقال نحو هذا ابن عباس * وقوله سبحانه عن قولهم الاثم ظاهره ان الاثم هنا يراد به الكفر ويحتمل ان يراد سائر اقوالهم المنكرة فى النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين وقرأ ابن عباس بيس ما كانوا يصنعون بغير لام قسم * وقوله سبحانه وتعالى وقالت اليهود يد الله الى قوله لا يحب المفسدين هذه الآية تعديد كبيرة فى اقوالهم وكفرهم اي فمن يقول هذه العظيمة فلا يستنكر نفاقه وسعيه فى رد امر الله تعالى قال ابن عباس وجماعة معنى قولهم التبخيل وذلك انهم لحقتهم سنة وجهد فقالوا هذه المقالة يعنون بها ان الله بخل عليهم بالرزق والتوسعة تعالى الله عن قولهم وهذا المعنى يشبه ما فى قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك فان المراد لا تبخل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق الحديث وذكر الطبري والنقاش ان هذه الآية نزلت فى فنحاص اليهودي وانه قالها * وقوله سبحانه غلت ايديهم خبر يحتمل فى الدنيا ويحتمل فى الآخرة فان كان خبرا عن الدنيا فالمعنى غلت ايديهم عن الخير والانفاق فى وجوه البر ونحوه واذا كان خبرا عن الآخرة فالمعنى غلت فى النار قلت ويحتمل الامرين معا * وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان العقيدة فى هذا المعنى نفي التشبيه عن الله سبحانه وانه ليس بجسم ولا له جارحة ولا يشبّه ولا يُكيّف ولا يتحيز ولا تحله الحوادث تعالى عما يقول

المبطلون علوا كبيرا قال ابن عباس فى هذه الآية يداه نعمتاه ثم اختلفت عبارة الناس فى تعيين النعمتين فقيل نعمة الدنيا ونعمة الآخرة وقيل النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة والظاهر ان قوله سبحانه بل يداه مبسوطتان عبارة عن انعامه على الجملة وعبر عنها باليدين جريا على طريقة العرب فى قولهم فلان ينفق بكلتا يديه ومنه قول الاعشى

يداك يدا مجدٍ فكف مفيدة * وكف اذا ماضُنّ بالمال تنفق

ويؤيد ان اليدين هنا بمعنى الانعام قرينة الانفاق ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام وليزيدن كثيرا منهم يعنى اليهود ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ثم قال سبحانه والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو فهو يبغض وقد يبغض من ليس بعدو والبغضاء قد لا تتجاوز النفوس وقد القى الله سبحانه الامرين على بنى اسراءيل قال الفخر وقد اوقع الله بين فرقهم الخصومة الشديدة وانتهى امرهم الى ان يكفر بعضهم بعضا وفى قوله والقينا بينهم العداوة الآية قولان احدهما ان المراد ما بين اليهود والنصارى من العداوة لانه جرى ذكرهم فى قوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وهذا قول الحسن ومجاهد والثانى ما وقع من العداوة بين فرق اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم موحِدة وبعضهم مشبِهة وكذلك بين فرق النصارى كالملكانية والنسطورية واليعقوبية انتهى * وقوله سبحانه كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله استعارة بليغة قال مجاهد معنى الآية كلما اوقدوا نارا لحرب النبي صلى الله عليه وسلم اطفأها الله فالآية بشارة لنبينا محمد عليه السلام وللمومنين وباقى الآيه بين * وقوله تعالى ولو ان اهل الكتاب ءامنوا الآية هذه الآية تحتمل ان يراد بها معاصرو النبي صلى الله عليه وسلم وتحتمل ان يراد بها الاسلاف والمعاصرون

* وقوله سبحانه ولو انهم اقاموا التوراة اي اظهروا احكامها فهي كاقامة السوق واقامة الصلاة * وقوله سبحانه والانجيل يقتضي دخول النصارى فى لفظ اهل الكتاب فى هذه الآية قلت وقال مكي معنى اقاموا التوراة والانجيل اي عملوا بما فيهما واقروا بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وبنبوته انتهى من الهداية * وقوله وما انزل اليهم من ربهم معناه من وحي وسنن على السنة الانبياء عليهم السلام واختلف فى معنى من فوقهم ومن تحت ارجلهم فقال ابن عباس وغيره المعنى لاعطتهم السماء مطرها والارض نباتها بفضل الله تعالى وقال الطبري وغيره ان الكلام استعارة ومبالغة فى التوسعة كما يقال فلان قد عمه الخير من قرنه الى قدمه * وقوله سبحانه منهم امة مقتصدة معناه معتدلة والقصد والاقتصاد الاعتدال والرفق والتوسط الحسن فى الاقوال والافعال قال ابن زيد وهؤلاء هم اهل طاعة الله من اهل الكتاب قال * ع * وهذا هو الراجح * وقوله سبحانه يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية هذه الآية امر من الله تعالى لنبيه عليه السلام بالتبليغ على الاستيفاء والكمال لانه قد كان بلغ صلى الله عليه وسلم وانما امِر فى هذه الآية بان لا يتوقف عن شيء مخافة احد وذلك ان رسالته عليه السلام تضمنت الطعن على انواع الكفرة وبيان فساد حالهم فكان يلقى منهم صلى الله عليه وسلم عنتا وربما خافهم احيانا قبل نزول هذه الآية فقال الله تعالى له بلغ ما انزل اليك من ربك اي كاملا والله يعصمك من الناس قالت عائشة ام المومنين رضي الله عنها من زعم ان محمدا كتم شيأ من الوحي فقد اعظم الفرية والله تعالى يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية وقال عبد الله ابن شقيق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبه اصحابه يحرسونه فلما نزلت والله يعصمك من الناس خرج فقال يا ايها الناس الحقوا بملاحقكم فان الله

قد عصمني قلت وخرج الترمذي هذا الحديث ايضا من طريق عائشة وكما وجب عليه التبليغ عليه السلام وجب على علماء امته وقد قال عليه السلام بلغوا عنى ولو ءاية وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه الى من ليس بفقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه رواه ابو داود واللفظ له والترمذي والنساءي وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذي هذا حديث حسن ورواه من حديث ابن مسعود وقال حسن صحيح انتهى من السلاح وقال محمد بن كعب القرظي نزلت هذه الآية بسبب الاعرابي الذى اخترط سيف النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله به قال ابن العربي قوله تعالى والله يعصمك من الناس معناه يجعل بينك وبينهم حجابا يمنع من وصول مكروههم اليك كعصام القربة الذى يمنع سيلان الماء منها ولعلمائنا فى الآية تاويلات اصحها ان العصمة عامة فى كل مكروه وان الآية نزلت بعد ان شج وجهه وكسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وقيل انه اراد من القتل خاصة والاول اصح وقد كان صلى الله عليه وسلم اوتي بعض هذه العصمة بمكة فى قوله تعالى انا كفيناك المستهزءين ثم كملت له العصمة بالمدينة فعصم من الناس كلهم انتهى من كتابه فى تفسير افعال الله الواقعة فى القرءان ثم امر تعالى نبيه عليه السلام ان يقول لاهل الكتاب الحاضرين معه لستم على شيء اي على شيء مستقيم حتى تقيموا التوراة والانجيل وفى اقامتهما الايمان بنبينا محمد عليه السلام قلت وهذه الآية عندى من اخوف ءاية فى القرءان كما اشار الى ذلك سفيان فتأملها حق التأمل * وقوله سبحانه وما انزل اليكم من ربكم الآية يعنى به القرءان * وقوله تعالى ان الذين ءامنوا والذين هادوا والصابون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر

وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين ءامنوا لفظ عام لكل مومن من ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن غيرها من الملل فكانّ الفاظ الآية حصر بها الناس كلهم وبينت الطوائف على اختلافها وهذا هو تاويل الجمهور وقد مضى الكلام فى سورة البقرة فراجعه هناك وقرأ الجمهور والصابون وقرئ خارج السبعة والصابين وهي بينة الاعراب واما على قراءة الجمهور فاختلف فى اعرابها ومذهب سيبويه والخليل ونحاة البصرة انه من المقدم الذى معناه التأخير كانه قال ان الذين ءامنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والصابون والنصارى كذلك قال * ص * ووجه ثان ان خبر ان محذوف اي ان الذين ءامنوا لهم اجرهم وخبر الصابين من آمن وما بعده قال ابن عصفور وهو حسن جدا اذ ليس فيه اكثر من حذف خبر ان للفهم وهو جائز فى فصيح الكلام انتهى قلت قال ابن مالك وهو اسهل من التقديم والتأخير وقيل ان الصابين فى موضع نصب ولكنه جاء على لغة بلحارث الذين يجمعون التثنية بالالف على كل حال والجمع بالواو على كل حال قاله ابو البقاء وقيل غير هذا * وقوله سبحانه وحسبوا الا تكون فتنة المعنى فى هذه الآية وظن هؤلاء الكفرة بالله والعصاة من بنى اسراءيل ان لا يكون من الله ابتلاء لهم واخذ فى الدنيا فلجوا فى شهواتهم وعموا فيها اذ لم يبصروا الحق وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم * وقوله سبحانه ثم تاب الله عليهم قالت جماعة من المفسرين هذه التوبة هي ردهم الى بيت المقدس بعد الاخراج الاول ورد ملكهم وحالهم ثم عموا وصموا بعد ذلك حتى اخرجوا الخرجة الثانية ولم ينجبروا ابدا ومعنى تاب الله عليهم اي رجع بهم الى الطاعة والحق ومن فصاحة القرءان استناد هذا الفعل الشريف الى الله تعالى واستناد

العمى والصمم اللذين هما عبارة عن الضلال اليهم ثم اخبر تعالى اخبارا مؤكدا بلام القسم عن كفر القائلين ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية من النصارى ثم اخبر تعالى عن قول المسيح لهم فقال وقال المسيح يا بنى اسرايل اعبدوا الله ربى وربكم الآية فضلوا هم وكفروا بسبب ما رأوا على يديه من الآيات * وقوله تعالى وما للظالمين من انصار يحتمل ان يكون من قول عيسى عليه السلام لبنى اسرايل ويحتمل ان يكون اخبارا من الله سبحانه لنبيه محمد عليه السلام * وقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد الآية اخبار مؤكد كالذى قبله عن هذه الطائفة الناطقة بالتثليث وهم فرق منهم النسطورية وغيرهم ولا معنى لذكر اقوالهم فى كتب التفسير * وقوله سبحانه ثالث ثلاثة لا يجوز فيه الا الاضافة وخفض ثلاثة لان المعنى احد ثلاثة فان قلت زيد ثالث اثنين او رابع ثلاثة جاز لك ان تضيف كما تقدم وجاز ان لا تضيف وتنصب ثلاثة على معنى زيد يربع ثلاثة * وقوله سبحانه وما من اله الا اله واحد الآية خبر صادع بالحق وهو سبحانه الخالق المبدع المتصف بالصفات العلى سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم توعدهم ان لم ينتهوا عما يقولون ثم رفق جل وعلا بهم بتحضيضه اياهم على التوبة وطلب المغفرة ثم وصف نفسه سبحانه بالغفران والرحمة استجلابا للتائبين وتانيسا لهم ليكونوا على ثقة من الانتفاع بتوبتهم قال * ص * ليمسن اللام فيه جواب قسم محذوف قبل اداة الشرط انتهى * وقوله تعالى وامه صديقة بناء مبالغة من الصدق ويحتمل من التصديق وبه سمي ابو بكر الصديق رضي الله عنه وهذه الصفة لمريم تدفع قول من قال انها نبية * وقوله سبحانه كانا ياكلان الطعام تنبيه على نقص البشرية وعلى حال من الاحتياج الى الغذاء تنتفى معها الالوهية ويوفكون معناه

يصرفـون ومنه قوله عزوجل يوفك عنه من افك والارض المافوكة التي صرفت عن ان ينالها المطـروالمطـرفي الحقيقة هو المصروف ولكـن قيل ارض مافوكة لما كانت مافوكا عنهـا * وقولـه تعالى قـل اتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نـفعا والله هو السميع العليم الآيـة الضر بفتح الضاد المصدر و بضمها الاسم وهو عدم الخيـر والسميع لاقوالهم والعليم بنياتهم والغلو تجاوز الحد من غلا السهم اذا تجاوز الغرض المقصود وتلك المسافة هي غلوته وهذه المخاطبة هي للنصارى الذين غلوا في عيسى والقوم الذين نهي النصارى عن اتباع اهوائهم هم بنواسراءيل ووصف تعالى اليهـود بانهم ضلـوا قديـما واضلوا كثيـرا من اتباعهم ثم أكد الامر بتكرار قوله تعالى وضلوا عن سواء السبيـل * وقوله تعالى لعن الذيـن كفروا من بني اسراءيـل الآية قـال ابن عباس رضي الله عنه لعنوا بكل لسان لعنوا في التوراة وفي الزبـور والانجيـل والفرقان * وقوله سبحانه كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه الآية ذم الله سبحانه هذه الفرقة الملعونة بانهم كانوا لا يتنـاهـون عن منكر فعلـوه اي انهم كانـوا يتجاهرون بالمعاصي وان نَهَى منهم ناه لم يمتنع عن مواصلة العاصي ومواكلته وخلطته وروى ابن مسعود قال قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجـل من بني اسراءيـل كان اذا رأى اخاه على ذنب نهـاه عنه تعذيـرا فاذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه ان يكون اكيله او خليطه فلما رأى الله تعالى ذلـك منهـم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان نبيـهم داود وعيسى قـال ابـن مسعـود وكان رسول الله صلى الله عليـه وسلم متكأ فجلس وقـال لا والله حتى تاخـذوا على يد الظالم فتـأطُـروه على الحق اطـرا والاجماع على ان النهي عن المنكر واجب لمن اطاقه ونهـى بمعروف اي بـرفـق وقول معروف وامن الضرر عليه وعلى المومنين فـان تعذر على احد النهـي لشيء من

هذه الوجوه ففرض عليه الانكار بقلبه وان لا يخالط ذا المنكر وقال حذاق اهل العلم ليس من شروط الناهي ان يكون سليما من المعصية بل ينهى العصاة بعضهم بعضا * وقوله سبحانه لبيس ما كانوا يفعلون اللام لام قسم وروى ابو داود عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق او قال كلمة عدل عند سلطان جائر او امير جائر انتهى * وقوله تعالى لنبيه محمد عليه السلام ترى كثيرا يحتمل ان تكون رؤية عين فلا يريد الا معاصريه ويحتمل ان تكون رؤية قلب وعلى هذا فيحتمل ان يريد المعاصرين له ويحتمل ان يريد اسلافهم والذين كفروا عبدة الاوثان * وقوله سبحانه لبيس ما قدمت لهم انفسهم الآية اي قدمته للآخرة واجترحته ثم فسر ذلك قوله تعالى ان سخط الله عليهم فان سخط في موضع رفع بدل من ما ويحتمل ان يكون التقدير هو ان سخط الله عليهم * وقوله تعالى والنبيء ان كان المراد الاسلاف فالنبيء داود وعيسى وان كان المراد معاصري نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد بالنبيء هو صلى الله عليه وسلم وذهب بعض المفسرين الى ان قوله سبحانه ترى كثيرا منهم كلام منقطع من ذكر بني اسرايل وانه يعني به المنافقين ونحوه لمجاهد * وقوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين ءامنوا اليهود والذين اشركوا الآية اللام في قوله لتجدن لام ابتداء وقال الزجاج هي لام قسم وهذا خبر مطلق منسحب على الزمان كله وهكذا هو الامر حتى الآن وذلك ان اليهود مرنوا على تكذيب الانبياء وقتلهم ومردوا على استشعار اللعنة وضرب الذلة والمسكنة فهم قد لجت عداوتهم وكثر حسدهم فهم اشد الناس عداوة للمومنين وكذلك المشركون عبدة الاوثان والنيران واما النصارى فانهم يعظمون من اهل الاسلام من استشعروا

منه صحة دين ويستهينون من فهموا منه الفسق فهم ان حاربوا فانما حربهم انفة لا ان شرعهم ياخذهم بذلك واذا سالموا فسلمهم صاف واليهود لعنهم الله ليسوا على شيء من هذه الخلال بل شانهم الخبث واللي بالالسنة والمكر والغدر ولم يصف الله تعالى النصارى بانهم اهل ود وانما وصفهم بانهم اقرب من اليهود والمشركين وفي قوله سبحانه الذين قالوا انا نصارى اشارة الى معاصرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من النصارى بانهم ليسوا على حقيقية النصرانية وانما هو قول منهم وزعم * وقوله تعالى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا الآية معناه ذلك بان منهم اهل خشية وانقطاع الى الله تعالى وعبادة وان لم يكونوا على هدى فهم يميلون الى اهل العبادة والخشية وليس عند اليهود ولا كان قط اهل ديارات وصوامع وانقطاع عن الدنيا بل هم معظمون لها متطاولون في البنيان وامور الدنيا حتى كانهم لا يومنون بالآخرة فلذلك لا يرى فيهم زاهد قال الفخر القس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق فيه بين اللغتين انتهى ووصف الله سبحانه النصارى بانهم لا يستكبرون وهذا موجود فيهم حتى الآن واليهودي متى وجد عزا طغى وتكبر ثم مدحهم سبحانه فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع الآية قال النووي ينبغي للقارئ ان يكون شانه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو المقصود المطلوب وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب ودلائله اكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم اية واحدة ليلة كاملة او معظم ليلة يتدبرها وصعق جماعات منهم عند سماع القرءان وقراءته ومات جماعات منهم ويستحب البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة

العارفيـن وشعار عباد الله الصالحيـن قال الله عـز وجل ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وقد وردت ءاثار كثيـرة فى ذلك انتهى من الحلية للنووي وذكـر ابن عباس وابـن جبيـر ومجاهد ان هذه الآية نـزلت بسبب وفد بعثهم النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليروه و يعرفوا حاله فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم عليهم القرءان فبكوا وءامنوا ورجعوا الى النجاشي فـامن ولم يزل مومنا حتى مات فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وروي ان نعش النجاشي كشف للنبي عليه السلام فكان يـراه من موضعه بالمدينة وجاء الخبـر بعد مدة ان النجاشي دفن فى اليوم الذى صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم عليه قـال ابـو صالح كانوا سبعة وستيـن رجلا وقال ابـن جبيـر كانـوا سبعيـن عليهم ثياب الصوف وكلهم صاحب صومعة اختارهم النجاشي وصدر الآية فى قـرب المودة عام فيهم ولا يتوجه ان يكون صدر الآية خاصا فيمن آمن وانما وقـع التخصيص من قوله تعالى واذا سمعـوا وجاء الضميـر عاما اذ قد تحمد الجماعة بفعـل واحد منهم وفى هذا استدعاء للنصارى ولطـف من الله بهم ليومنوا قـال * ص * مما عرفـوا من الحق من الاولى لابتـداء الغاية قـال ابـو البقـاء ومعناها من اجل الذى عرفوا ومن الثانية لبيان ما الموصولة انتهى قال العراقي تفيض اي تسيل منها العَبرة وفى الحديث اقرءوا القرءان وابكوا فان لم تبكوا فتباكـوا خرجه البـزار انـتهى من الكوكب الدري وفيه عن البزار ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قـال من خرج من عينيه مثل جناح ذباب دموعا من خشية الله لم يدخل النـار حتى يعـود اللبـن فى ضرعه انـتهى وقولهم مع الشاهديـن يعنى نبينـا محمدا صلى الله عليه وسلم وامته قاله ابـن عباس وغيره وقـال الطبري لو قـال قائل معنى ذلك مع الشاهديـن بتوحيدك من جميع العالم لكان صوابـا وهو كلام صحيح

وكأن ابن عباس خصص امة محمد لقول الله سبحانه وكذلك جعلناكم امة وسطا الآية وقولهم وما لنا لا نومن بالله وما جاءنا من الحق توقيف لانفسهم او محاجة لمن عارضهم من الكفار والقوم الصالحون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه قاله ابن زيد وغيره من المفسرين ثم ذكر تعالى ما اثابهم به من النعيم على ايمانهم واحسانهم ثم ذكر سبحانه حال الكافرين المكذبين وانهم قرناء الجحيم * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية قال ابن عباس وغيره نزلت بسبب جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بلغت منهم المواعظ وخوف الله تعالى الى ان حرم بعضهم النساء و بعضهم النوم بالليل والطيب وهمّ بعضهم بالاختصاء فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما انا فاقوم وانام واصوم وافطر وءاتى النساء وانال الطيب فمن رغب عن سنتي فليس مني قال الطبري كان فيما يتلى من رغب عن سنتك فليس من امتك وقد ضل عن سواء السبيل والطيبات في هذه الآية المستلذات بدليل اضافتها الى ما احل الله و بقرينة ما ذكر من سبب الآية * وقوله سبحانه ولا تعتدوا قال عكرمة وغيره معناه في تحريم ما احل الله وقال الحسن بن ابي الحسن المعنى ولا تعتدوا فتحلوا ما حرم الله فالنهيانِ على هذا تضمنا الطرفين كانه قال لا تشددوا فتحرموا حلالا ولا تترخصوا فتحلوا حراما قلت وروى مالك في الموطإ عن ابي النضر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات عثمان بن مظعون ومُر بجنازته ذهبتَ ولم تلتبس منها بشيء قال ابو عمر في التمهيد هذا الحديث في الموطإ مقطوع وقد رويناه متصلا مسندا من وجه صالح حسن ثم اسند ابو عمر عن عائشة قالت لما مات عثمان بن مظعون كشف النبي صلى الله عليه وسلم الثوب عن وجهه وقبل بين عينيه وبكى

بكاء طويلا فلما رُفع على السرير قال طوبى لك يا عثمان لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها قال ابو عمر كان عثمان بن مظعون احد الفضلاء العباد الزاهدين فى الدنيا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتبتلين منهم وقد كان هو وعلي بن ابى طالب هما ان يترهبا و يتركا النساء و يقبلا على العبادة ويحرما طيبات الطعام على انفسهما فنزلت يا ايها الذين ءامنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية ونقل هذا معمر وغيره عن قتادة انتهى * وقوله سبحانه ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان معناه شددتم وعقد اليمين كعقد الحبل والعهد قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عَقدا لجارهمُ * شدوا العِناج وشدوا فوقه الكَرَبا

قال الفخر واما وجه المناسبة بين هذه الآية والتى قبلها فهو ما تقدم من ان قوما من الصحابة رضي الله عنهم حرموا على انفسهم المطاعم والملاذ وحلفوا على ذلك فلما نهاهم الله تعالى عن ذلك قالوا يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا فانزل الله تعالى هذه الآية انتهى * وقوله سبحانه فكفارته اطعام عشرة مساكين اي اشباعهم مرة واحدة وحكم هؤلاء ان لا يتكرر واحد منهم فى كفارة يمين واحدة واختلف فى معنى قوله سبحانه من اوسط فرأى مالك وجماعة معه هذا التوسط فى القدر ورأى ذلك جماعة فى الصنف والوجه ان يُعم بلفظ الوسط القدر والصنف فرأى مالك ان يطعم المسكين بالمدينة مُدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك رطل وثلث وهذا لضيق المعيشة بالمدينة ورأى فى غيرها ان يتوسع ورأى من يقول ان التوسط انما هو فى الصنف ان يكون الرجل المكفر يتجنب ادنى ما ياكل الناس فى البلد وينحط عن الاعلى ويكفّر بالوسط من ذلك ومذهب المدونة ان يراعي المكفر عيش البلد وتاويل العلماء فى الحانث

فى اليمين بالله انه مخير فى الاطعام او الكسوة او العتق والعلماء على ان العتق افضل ذلك ثم الكسوة ثم الاطعام وبدأ الله تعالى عباده بالايسر فالايسر قال الفخر وبدأ سبحانه بالاطعام لانه اعم وجودا والمقصود منه التنبيه على انه سبحانه يراعي التخفيف والتسهيل فى التكاليف وثانيها ان الاطعام افضل قلت وهذا هو مشهور مذهب مالك انتهى ويجزئ عند مالك من الكسوة فى الكفارة ما يجزئ فى الصلاة * وقوله سبحانه او تحرير رقبة اي مومنة قاله مالك وجماعة لان هذا المطلق راجع الى المقيد فى عتق الرقبة فى قتل الخطإ * وقوله سبحانه فمن لم يجد معناه لم يجد فى ملكه احد هذه الثلاث المذكورة واختلف العلماء فى حد هذا العادم ومتى يصح له الصيام فقال الشافعي ومالك وجماعة من العلماء اذا كان المكفر لا يملك الا قوته وقوت عياله يومه وليلته فله ان يصوم فان كان عنده زائد على ذلك ما يطعم عشرة مساكين لزمه الاطعام قال الطبري وقال ءاخرون جائز لمن لم يكن له فضل على راس ماله الذى يتصرف به فى معايشه ان يصوم وقرأ ابي بن كعب وابن مسعود ثلاثة ايام متتابعات وقال بذلك جماعة وقال مالك وغيره ان تابع فحسن وان فرق اجزأ وقوله اذا حلفتم معناه واردتم الحنث او وقعتم فيه * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس الآية قال * ع * وفى معنى الازلام الزجر بالطير واخذ الفال فى الكتب ونحوه مما يصنعه الناس واخبر سبحانه ان هذه الاشياء رجس قال ابن عباس فى هذه الآية رجس سخط وقال ابن زيد الرجس الشر قال * ع * الرجس كل مكروه ذميم وقد يقال للعذاب والرجز العذاب لا غير والركس العَذِرة لا غير والرجس يقال للامرين * وقوله سبحانه فاجتنبوه امر باجتنابه فحرمت الخمر بظاهر القرءان

ونص الاحاديث واجماع الامة وامر الخمر انما كان بتدريج ونوازل كثيرة كقصة حمزة حين جَبّ الاسْنِمة وقوله وهل انتم الا عبيد ابى ثم اعلم سبحانه عباده ان الشيطان انما يريد ان تقع العداوة بسبب الخمر وما يعترى عليها بين المومنين وبسبب الميسر اذ كانوا يتقامرون على الاموال حتى ربما بقي المقمور فقيرا فتحدث من ذلك ضغائن وعداوات فان لم يصل الامر الى حد العداوة كانت بغضاء ولا تحسن عاقبة قوم متباغضين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وباجتماع النفوس والكلمة يحمى الدين ويجاهَد العدو والبغضاء تنقض عُرَى الدين وتهدم عماد الحماية وكذلك ايضا يريد الشيطان ان يصد المومنين عن ذكر الله وعن الصلاة ويشغلهم عنها باتباع الشهوات والخمر والميسر والقمار كله من اعظم الآفات فى ذلك وفى قوله سبحانه فهل انتم منتهون وعيد زائد على معنى انتهوا

* وقوله سبحانه ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية قال ابن عباس وغيره لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة يا رسول الله كيف بمن مات منا وهو يشربها وياكل الميسر ونحو هذا من القول فنزلت هذه الآية وهذا نظير سؤالهم عن من مات على القبلة الاولى والجناح الاثم والحرج والتكرار فى قوله سبحانه اتقوا يقتضى فى كل واحدة زيادة على التى قبلها وفى ذلك مبالغة فى هذه الصفات لهم وليست الآية وقفا على من عمل الصالحات كلها واتقى كل التقوى بل هي لكل مومن وان كان عاصيا احيانا اذا كان قد عمل من هذه الخصال الممدوحة ما استحق به ان يوصف بانه مومن عامل للصالحات متق فى غالب امره محسن فليس على هذا الصنف جناح فيما طعم مما لم يحرم عليه وطعموا معناه ذاقوا فصاعدا فى رتب الاكل والشرب وقد

يستعار للنوم وغيره وحقيقته فى حاسة الذوق * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد اي ليختبرنكم ليرى طاعتكم من معصيتكم وقوله بشيء يقتضى تبعيضا ومن يحتمل ان تكون للتبعيض ويحتمل ان تكون لبيان الجنس كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان * وقوله تعالى ليعلم الله من يخافه بالغيب معناه ليستمر علمه تعالى عليه وهو موجود اذ قد علم تعالى ذلك فى الازل وبالغيب قال الطبري معناه فى الدنيا حيث لا يرى العبد ربه فهو غائب عنه والظاهر ان المعنى بالغيب من الناس اي فى الخلوة ممن خاف الله انتهى قلت وقول الطبري اظهر ثم توعد تعالى من اعتدى بعد النهي بالعذاب الاليم وهو عذاب الآخرة * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم الآية الصيد مصدر عومل معاملة الاسماء فاوقع على الحيوان المصيد ولفظ الصيد هنا عام ومعناه الخصوص فيما عدا ما استثني وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم الغراب والحِدأة والفارة والعقرب والكلب العقور واجمع الناس على اباحة قتل الحية وبسط هذا فى كتب الفقه وحرم جمع حرام وهو الذى يدخل فى الحرم او فى الاحرام واختلف فى قوله متعمدا فقال مجاهد وغيره معناه متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه فهذا يكفِّر واما ان كان ذاكرا لاحرامه فهو اعظم من ان يكفر وقد حل ولا رخصة له وقال جماعة من اهل العلم منهم ابن عباس ومالك والزهري وغيرهم المتعمد القاصد للقتل الذاكر لاحرامه فهو يكفر وكذلك الناسي والقاتل خطأ يكفران وقرأ نافع وغيره فجزاء مثل باضافة الجزاء الى مثل وقرأ حمزة وغيره فجزاء بالرفع مثل بالرفع ايضا واختلف فى هذه المماثلة كيف تكون فذهب الجمهور الى ان الحكمين ينظران الى مثل الحيوان المقتول فى الخلقة وعظم المرأى فيجعلان ذلك من

النعم جزاءه وذهب الشعبي وغيره الى ان المماثلة انما هي فى القيمة يقوم الصيد المقتول ثم يشتري بقيمته ند من النعم ورد الطبري وغيره هذا القول والنعم لفظ يقع على الابل والبقر والغنم اذا اجتمعت هذه الاصناف فان انفرد كل صنف لم يُقل نعم الا للابل وحدها وقصَر القرآنُ هذه النازلة على حكمين عدلين عالمين بحكم النازلة وبالتقدير فيها وعلى هذا جمهور الناس قال ابن وهب فى العتبية من السنة ان يخيّر الحكمان من اصاب الصيد كما خيره الله تعالى فى ان يخرج هديا بالغ الكعبة اوكفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما فان اختار الهدي حكما عليه بما يريانه نظيرا لما اصاب ما بينهما وبين ان يكون عدل ذلك شاة لانها ادنى الهدي فما لم يبلغ شاة حكَما فيه بالطعام ثم خير فى ان يطعمه او يصوم مكان كل مُد يوما وكذلك قال مالك فى المدونة اذا اراد المصيب ان يطعم او يصوم فان كان لما اصاب نظير من النعم فانه يقوّم صيده طعاما لا دراهم قال وان قوماه دراهم واشتري بها طعام لرجوت ان يكون واسعا والاول اصوب فان شاء اطعمه والا صام مكان كل مد يوما وان زاد ذلك على شهرين او ثلاثة وقال يحي بن عمر من اصحابنا انما يقال كم من رجل يَشبَع من هذا الصيد فيعرف العدد ثم يقال كم من الطعام يُشبِع هذا العدد فان شاء اخرج ذلك الطعام وان شاء صام عدد امداده وهذا قول حسن احتاط فيه لانه قد تكون قيمة الصيد من الطعام قليلة فبهذا النظر يكثر الاطعام * وقوله تعالى هديا بالغ الكعبة ذكرت الكعبة لانها ام الحرم والحرم كله منحر لهذا الهدي ولا بد ان يجمع فى هذا الهدي بين الحل والحرم حتى يكون بالغ الكعبة فالهدي لا ينحر الا فى الحرم واختلف فى الطعام فقال جماعة الاطعام والصوم حيث شاء المكفر من البلاد وقال عطاء بن ابى رباح وغيره الهدي والاطعام بمكة والصوم

حيث شئت * وقوله سبحانه ليذوق وبال امره الذوق هنا مستعار والوبال سوء العاقبة والمرعى الوبيل هو الذى يتأذى به بعد اكله وعبر بامره عن جميع حاله من قتل وتكفير وحكم عليه ومُضيّ ماله او تعبه بالصوم واختلف فى معنى قوله سبحانه عفا الله عما سلف الآية فقال عطاء بن ابى رباح وجماعة معناه عفا الله عما سلف فى جاهليتكم من قتلكم الصيد فى الحرمة ومن عاد الآن فى الاسلام فان كان مستحلا فينتقم الله منه فى الآخرة ويكفّر فى ظاهر الحكم وان كان عاصيا فالنقمة هي فى الزام الكفارة فقط قالوا وكلما عاد المحرم فهو يكفّر قال * ع * ويخاف المتورعون ان تبقى النقمة مع التكفير وهذا هو قول الفقهاء مالك ونظرائه واصحابه رحمهم الله وقال ابن عباس وغيره اما المتعمد فانه يكفر اول مرة وعفا الله عن ذنبه فان اجترأ وعاد ثانيا فلا يحكم عليه ويقال له ينتقم الله منك كما قال الله تعالى * وقوله سبحانه والله عزيز ذو انتقام تنبيه على صفتين تقتضيان خوف من له بصيرة ومن خاف ازدجر ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل قلت والصيد للهو مكروه وروى ابو داود فى سننه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن انتهى * وقوله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم الآية البحر الماء الكثير ملحا كان او عذبا وكل نهر كبير بحر وطعامه هو كل ما قذف به وما طفا عليه قاله جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهو مذهب مالك ومتاعا نصب على المصدر والمعنى متعكم به متاعا تنتفعون به وتأتدمون ولكم يريد حاضرى البحر ومدنه وللسيارة المسافرين واختلف فى مقتضى قوله سبحانه وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فتلقاه بعضهم على العموم من

جميع جهاتہ فقالـوا ان المحرم لا يحل لہ ان يصيد ولا ان يامر من يصيد ولا ان ياكل صيدا صيد من اجلہ ولا من غير اجلـہ وان لحم الصيد باي وجه كان حرام على المحرم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يرى باسا للمحرم ان ياكل ما صاده حلال لنفسہ او لحلال مثلـہ وقال بمثـل قول عمر عثمـان بن عفان والزبيـر ابن العـوام وهو الصحيـح لان النبي صلى الله عليہ وسلم اكل من الحمار الذى صاده ابو قتـادة وهو حلال والنبي عليہ السلام محرم ثم ذكّر سبحانـہ بامر الحشر والقيامة مبالغة فى التحذير ولما بان فى هذه الآيات تعظيم الحرم والحرمة بالاحرام من اجل الكعبة وانها بيت الله تعالى وعنصر هذه الفضائـل ذكر سبحانہ فى قوله جعل الله الكعبة البيت تـنبيها سَنّـہ فى الناس وهداهم اليه وحمل عليه الجاهلية الجهـلاء من التـزامهـم ان العكبـة قـوام والهدي قوام والقلائـد قوام اي امر يقوم للناس بالتاميـن ووضع الحرب او زارها وأعلم تعالى ان التـزام الناس لذلـك هو مما شرعه وارتضـاه وجعـل فى هذه الآيـة بمعنى صير والكعبـة بيت مكة وسمي كعبة لتربـيعہ قال اهل اللغـة كل بـيت مربع فهو مكعب وكعبـة وذهـب بعض المتـأوليـن الى ان معنـى قولہ تعالى قيـاما للنـاس اي موضـع وجـوب قيـام بالمناسـك والتعبـدات وضبط النـفوس فى الشهر الحرام ومع الهدي والقلائد قال مكي معنى قياما للناس اي جعلها بمنـزلـة الرويس الذى يقوم بہ امر اتباعہ فهي تحجزهـم عن ظلم بعضهـم بعضا وكذلـك الهدي والقلائـد جعل ذلـك ايضا قياما للناس فكان الرجل اذا دخل الحرم امن من عدوه واذا ساق الهدي كذلـك لم يعرض لہ وكان الرجل اذا اراد الحج تـقلد بقلادة من شعر واذا رجع تـقلد بقلادة من لحاء شجر الحـرم فلا يعرض لہ ولا يـوذى حتى يصل الى اهلہ قال ابن زيد كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفـع بعضهم عن بعض ولم يكن فى العرب ملـوك

تدفع عن بعضهم ظلم بعض فجعل الله لهم البيت الحرام قياما يدفع بعضهم عن بعض انتهى من الهداية والشهر هنا اسم جنس والمراد الاشهر الثلاثة باجماع من العرب وشهر مصر وهو رجب واما الهدي فكان امانا لمن يسوقه لانه يعلم انه فى عبادة لم يات لحرب واما القلائد فكذلك كان الرجل اذا خرج يريد الحج تقلد من لحاء السَمُر او غيره شيأ فكان ذلك امانا له وكذلك اذا انصرفوا تقلدوا من شجر الحرم وقوله ذلك اشارة الى ان جعل الله هذه الامور قياما * وقوله سبحانه بكل شيء عليم عام عموما تاما فى الجزئيات ودقائق الموجودات والقول بغير هذا الحاد فى الدين وكفر * وقوله سبحانه ما على الرسول الا البلاغ الآية اخبار للمومنين مضمنه الوعيد ان انحرفوا ولم يمتثلوا ما بلغ الرسول اليهم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قلت قال الشيخ ابو مدين رضي الله عنه الحق تعالى مطلع على السرائر والظواهر فى كل نفَس وحال فايما قلب رءاه موثرا له حفظه من الطوارق والمحن ومضلات الفتن وقال رحمه الله ما عرف الحق من لم يؤثره وما اطاعه من لم يشكره انتهى * وقوله تعالى قل لا يستوى الخبيث والطيب الآية لفظ عام فى جميع الامور فيتصور فى المكاسب وعدد الناس والمعارف من العلوم ونحوها فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب ولا تحسن له عاقبة والطيب وان قل نافع جميل العاقبة وينظر الى هذه الآية قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا والخبث هو الفساد الباطن فى الاشياء حتى يظن بها الصلاح وهي بخلاف ذلك * وقوله سبحانه فاتقوا الله يا اولى الالباب تنبيه على لزوم الطيب فى المعتقَد والعمل وخُص اولوا الالباب بالذكر لانهم المتقدمون فى ميز هذه الامور والذين لا ينبغي لهم اهمالها مع البابهم وادراكهم * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تسألوا عن

اشياء ان تبد لكم تسؤكم الآية اختلف الرواة فى سببها والظاهر من الروايات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الَحت عليه الاعراب والجهال بانواع من السؤالات حسبما هو معلوم فى الروايات فزجرهم الله تعالى عن ذلك بهذه الآية واشياء اسم لجمع شيء قال ابن عباس معنى الآية لا تسألوا عن اشياء فى ضمن الانباء عنها مساءة لكم اما بتكليف شرعي يلزمكم واما بخبر يسوءكم ولكن اذا نزل القرءان بشيء وابتدأكم ربكم بامر فحينئذ ان سألتم عن تفصيله وبيانه بُين لكم وابدي ويحتمل قوله وان تسألوا عنها حين ينزل القرءان تبد لكم ان يكون فى معنى الوعيد كانه قال لا تسألوا وان سألتم لقيتم غب ذلك وصعوبته قال النووي وعن ابى ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها وسكت عن اشياء رحمة بكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها رويناه فى سنن الدارقطني انتهى وفى صحيح البخاري عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعونى ما تركتكم انما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم انتهى وعفا الله عنها معناه تركها ولم يُعَرِّف بها قد سألها قوم من قبلكم الآية قال الطبري كقوم صالح فى سؤالهم الناقة وكبنى اسراءيل فى سؤالهم المائدة اي وكطلب الامم قديما التعمق فى الدين من انبيائها ثم لم تف بما كلفت * وقوله سبحانه ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام الآية اي لم يجعل سبحانه شيئا من ذلك ولا سنه لعباده المعنى ولكن الكفار فعلوا ذلك كعمرو بن لحي وغيره من رؤسائهم يفترون على الله الكذب بقولهم هذه قربة الى الله واكثرهم يعنى الاتباع لا يعقلون بل يتبعون هذه

الامور تقليدا وجعل فى هذه الآية لا يتجه ان تكون بمعنى خلق ولا بمعنى صير وانما هي بمعنى ماسن ولا شرع قال * ص * ما جعل ذهب ابن عطية والزمخشري الى انها بمعنى شرع قال ابن عطية ولا تكون بمعنى خلق لان الله تعالى خلق هذه الاشياء كلها ولا بمعنى صير لعدم المفعول الثانى قال ابو حيان ولم يذكر النحويون لها هذا وقد جاء حذف احد مفعولي ظن واخواتها قليلا فتحمل هذه على حذف المفعول الثانى اي ما صير الله بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حاميا مشروعا وهو اولى من اثبات معنى لم يسمع فيها وذكر ابو البقاء انها هنا بمعنى سَمّى انتهى قلت وحاصل كلام ابى حيان انه شهادة على نفي وعلى تقدير صحته فيحمل كلام ابن عطية على انه تفسير معنى لا تفسير اعراب وبحيرة فعيلة بمعنى مفعولة وبَحَرَ شَقّ كانوا اذا نتجت الناقة عشرة بطون شقوا اذنها بنصفين طولا فهي مبحورة وتركت ترعى وترد الماء ولا ينتفع بشيء منها ويحرّم لحمها اذا ماتت على النساء ويحلّل للرجال وذلك كله ضلال والسائبة هي الناقة تسيب للآلهة والناقة ايضا اذا تابعت ثنتي عشرة اناثا ليس فيهن ذكر سيبت وكانت السوائب ايضا فى العرب كالقربة عند المرض يُبرأ منه والقدوم من السفر واذا نزل باحدهم امر يشكر الله تعالى عليه تقرب بان يسيب ناقة فلا ينتفع منها بلبن ولا ظهر ولا غيره يرون ذلك كعتق بنى ءادم ذكره السدي وغيره وكانت العرب تعتقد ان من عرض لهذه النوق فاخذها او انتفع منها بشيء فانه تلحقه عقوبة من الله والوصيلة قال اكثر الناس ان الوصيلة فى الغنم قالوا اذا ولدت الشاة ثلاثة بطون او خمسة فان كان ءاخرها جديا ذبحوه لبيت الآلهة وان كان عَناقا استحيوها وان كان جدي وعناق استحيوهما وقالوا هذه العناق وصلت اخاها فمنعته من ان يذبح

وعلى ان الوصيلة في الغنم جاءت الروايات عن اكثر الناس وروي عن ابن المسيب ان الوصيلة من الابل واما الحامي فانه الفحل من الابل اذا ضرب في الابل عشر سنين وقيل اذا ولد من صلبه عشر وقيل اذا ولد من ولد ولده قالوا حمي ظهره فسيبوه لا يركب ولا يسخر في شيء. وعبارة الفخر وقيل الحامي الفحل اذا ركب ولد ولده انتهى قلت والذي في البخاري والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدود واذا قضى ضرابه وَدَعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل شيء عليه وسموه الحامي انتهى * وقوله سبحانه واذا قيل لهم يعني لهؤلاء الكفار المستنين بهذه الاشياء تعالوا الى ما انزل الله يعني القرءان الذي فيه التحريم الصحيح قالوا حسبنا معناه كفانا * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الآية قال ابو ثعلبة الخشني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا رأيت دنيا موثرة وشحا مطاعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك وذَرْ عوامهم فان وراءكم اياما اجر العامل فيها كاجر خمسين منكم وهذا هو التاويل الذي لا نظر لاحد معه لانه مستوف للصلاح صادر عن النبي عليه السلام وجملة ما عليه اهل العلم في هذا ان الامر بالمعروف متعين متى رجي القبول او رجي رد الظالم ولو بعنف ما لم يخف الآمر ضررا يلحقه في خاصته او فتنة يُدخِلها على المسلمين اما بشق عصا واما بضرر يلحق طائفة من الناس فاذا خيف هذا فعليكم انفسكم محكَم واجب ان يوقف عنده * وقوله سبحانه الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون هذا تذكير بالحشر وما بعده وذلك مسلٍّ عن امور الدنيا مكروهها ومحبوبها روي عن بعض الصالحين انه قال ما من يوم لا ويجيء الشيطان فيقول ما تاكل وما

تلبس واين تسكن فاقول له آكل الموت والبس الكفن واسكن القبر قال * ع * فمن فكر في مرجعه الى الله سبحانه فهذا حاله قلت وخرج البغوي في المسند المنتخب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ايها الناس انكم تعملون اعمالا تعزب عنكم الى يوم القيامة وتوشك العوازب ان تثوب الى اهلها فمسرور بها ومكظوم انتهى من الكوكب الدري والله المستعان * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان الآية الى قوله يوم يجمع الله الرسل قال مكي هذه الآيات عند اهل المعاني من اشكل ما في القرءان اعرابا ومعنى وحكما قال * ع * وهذا كلام من لم يقع له الثلج في تفسيرها وذلك بين من كتابه وبالله نستعين لا نعلم خلافا ان سبب هذه الآية ان تميما الداري وعدي بن بداء وكانا نصرانيين سافرا الى المدينة يريدان الشام لتجارتهما وقدم المدينة ايضا ابن ابي مارية مولى عمرو بن العاصي يريد الشام تاجرا قال الفخر وكان مسلما فخرجوا رفاقة فمرض ابن ابي مارية في الطريق واوصى الى تميم وعدي ان يؤديا رحله الى اوليائه من بني سهم وروى ابن عباس عن تميم الداري انه قال برئ الناس من هذه الآية غيري وغير عدي بن بداء وذكر القصة الا انه قال وكان معه جام فضة يريد به الملك فاخذته انا وعدي فبعناه بالف وقسمنا ثمنه فلما اسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك فاتيت اهله فاخبرتهم الخبر واديت خمسمائة فوثبوا الى عدي فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف عمرو بن العاصي ورجل ءاخر معه ونزعت من عدي خمسمائة قال * ع * واختلفت الفاظ هذه القصة وما ذكرته هو عمود الامر ولم تصح لعدي صحبة فيما علمت ولا ثبت اسلامه وقد صنفه في الصحابة بعض

المتأخرين ولا وجه عندى لذكره فى الصحابة واما معنى الآية من اولها الى آخرها فهو ان الله سبحانه اخبر المومنين ان حكمه فى الشهادة على الموصى اذا حضره الموت ان تكون شهادة عدليـن فان كان فى سفر وهو الضرب فى الارض ولم يكن معه من المومنين احد فليشهد شاهدين ممن حضره من اهل الكفر فاذا قدما وأديا الشهادة على وصيته حلفا بعد الصلاة انهما ما كذبا ولا بدّلا وان ما شهدنا به حق ما كتمنا فيه شهادة الله وحكم بشهادتهما فان عثر بعد ذلك على انهما كذبا او خانا او نحو هذا مما هو اثم حلف رجلان من اولياء الموصى فى السفر وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما هذا معنى الآية على مذهب ابى موسى الاشعري وابن عباس وسعيد بن المسيب ويحيى بن يعمر وابن جبير وابى مِجْلَز وابراهيم وشُريح وعَبيدة السلماني وابن سيرين ومجاهد وغيرهم قالوا ومعنى قوله منكم اي من المومنين ومعنى من غيركم اي من الكافرين قال بعضهم وذلك ان الآية نزلت ولا مومن الا بالمدينة وكانوا يسافرون فى التجارة مع انواع الكفرة واختلفت هذه الجماعة المذكورة فمذهب ابى موسى الاشعري وغيره ان الآية محكمة ومذهب جماعة منهم انها منسوخة بقوله واشهدوا ذوى عدل منكم وبما عليه اجماع جمهور الناس ان شهادة الكفار لا تجوز قال * ع * ولنرجع الآن الى الاعراب ولنقصد القول المفيد لان الناس خلطوا فى تفسير هذه الآية تخليطا شديدا وذكر ذلك والرد عليه يطول وفى تبيين الحق الذى تتلقاه الاذهان بالقبول مقنع والله المستعان فقوله تعالى شهادة بينكم هي الشهادة التى تحفظ لتؤدى ورفعها بالابتداء والخبر فى قوله اثنان وقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت معناه اذا قارب الحضور والعامل فى اذا المصدر الذى هو شهادة وهذا على ان تجعل اذا بمنزلة حين لا تحتاج الى جواب ولك ان

تجعل اذا فى هذه الآية المحتاجةَ الى الجواب لكن استغني عن جوابها بما تقدم فى قوله شهادة بينكم اذ المعنى اذا حضر احدكم الموت فينبغى ان يُشهِد وقوله حين الوصية ظرف زمان والعامل فيه حضروان شئت جعلته بدلا من اذا وقوله ذوا عدل صفة لقوله اثنان ومنكم صفة ايضا بعد صفة وقوله من غيركم صفة ءلاخران وقوله تحبسونهما صفة ءلاخران ايضا واعترض بين الموصوف والصفة بقوله ان انتم الى الموت وافاد الاعتراض ان العدول الى ءاخرين من غير الملة انما يكون مع ضرورة السفر وحلول الموت فيه واستغني عن جواب ان لما تقدم من قوله او آخران من غيركم وقال جمهور من العلماء الصلاة هنا صلاة العصر وقال ابن عباس انما هي صلاة الذميين واما العصر فلا حرمة لها عندهما والفاء فى قوله فيقسمان عاطفة جملة على جملة لان المعنى تم فى قوله من بعد الصلاة وقوله ان ارتبتم شرط لا يتجه تحليف الشاهدين الا به والضمير فى قول الحالفين لا نشتري به عائد على القسم او على اسم الله وقوله لا نشتري جواب يقتضيه قوله فيقسمان بالله لان اقسم ونحوه يتلقى بما تتلقى به الايمان وقوله ثمنا اي ذا ثمن وخُص ذو القربى بالذكر لان العرب اميل الناس الى قراباتهم واستسهالهم فى جنب نفعهم ما لا يستسهل وقوله ولا نكتم شهادة الله اضاف الشهادة اليه تعالى من حيث هو الآمِر باقامتها الناهى عن كتمانها وروي عن الشعبي وغيره شهادة بالتنوين الله بقطع الالف دون مد وخفض الهاء وقال ايضا يقف على الهاء من شهادة بالسكون ثم يقطع الالف المكتوبة من غير مد كما تقدم وروي عنه كان يقرأ آلله بمد الف الاستفهام فى الوجهين اعنى بسكون الهاء من شهادة وتحريكها منونة منصوبة ورويت هذه التى هي تنوين شهادة ومد الف

لاستفهام بعدُ عن علي بن ابى طالب قال ابو الفتح انما تسكن هاء شهادة فى الوقف عليها * وقوله سبحانه فان عثر استعارة لما يوقع على علمه بعد خفائه واستحقا اثما معناه استوجباه من الله وكانا اهلا له لانهما ظلَما وخانا * وقوله تعالى فـآخران اي اذا عثر على خيانتهما فألأَوْلَيان باليمين واقامة القضية ءاخران من القوم الذين هم ولاة الميت واستحق عليهم حظهم او نصيبهم او مالهم او ما شئت من هذه التقديرات وقرأ نافع وغيره استحق مضمومة التاء والاوليان على تثنية الاولى وروي عن ابن كثير استحق بفتح التاء وكذلك روى حفص عن عاصم وفى قوله استحق استعارة لانه لا وجه لهذا الاستحقاق الا الغلبة علىَ الحال بحكم انفراد هذا الميت وعدمه لقرابته او لاهل دينه فاستحق هنا كما تقول لظالم يظلمك هذا قد استحق علي مالى او منزلى بظلمه فتشبهه بالمستحق حقيقة اذ تصور تصوره وتملك تملكه وهكذا هي استحق فى الآية على كل حال وان اسندت الى النصيب ونحوه وقرأ حمزة وعاصم فى رواية ابى بكر استحق بضم التاء الاولين على جمع اول ومعناها من القوم الذين استحق عليهم امرهم اذ غُلبوا عليه ثم وصفهم بانهم اولون اي فى الذكر فى هذه الآية وذلك فى قوله اثنان ذوا عدل منكم ثم بعد ذلك قال او آخران من غيركم وقوله فيقسمان يعنى الآخرين اللذين يقومان مقام شاهدي الزور وقولهما لشهادتنا اي لَما اخبرنا نحن به وذكرناه من نص القصة احق مما ذكراه اوّلا وحرفاه وما اعتدينا فى قولنا هذا وقولهما انا اذا لمن الظالمين تبرٍّ فى صيغة الاستعظام والاستقباح للظلم * وقوله تعالى ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم الآية الاشارة بذلك هى الى جميع ما حد قبل من حبس الشاهدين من بعد الصلاة لليمين

ثم ان عثر على جورهما ردت اليمين وغرما فذلك كله اقرب الى اعتدال هذا الصنف فيما عسى ان ينزل من النوازل لانهم يخافون الفضيحة ورد اليمين هذا قول ابن عباس وجمع الضمير فى ياتوا او يخافوا اذ المراد صنف ونوع من الناس والمعنى ذلك الحكم كله اقرب الى ان ياتوا واقرب الى ان يخافوا وباقى الآية بين * وقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل ذهب قوم الى ان العامل فى يوم ما تقدم من قوله تعالى لا يهدى وذلك ضعيف ورصف الآية وبراعتها انما هو ان يكون هذا الكلام مستانفا والعامل مقدر اما اذكر او تذكروا او احذروا ونحو هذا مما حسن اختصاره لعلم السامع به والاشارة بهذا اليوم الى يوم القيامة وخص الرسل بالذكر لانهم قادة الخلق وهم المكلمون اولا وما ذا اجبتم معناه ما ذا اجابتكم الامم وهذا السؤال للرسل انما هو لتقوم الحجة على الامم واختلف الناس فى معنى قولهم عليهم السلام لا علم لنا قال الطبري ذهلوا عن الجواب لهول المطلع وقاله الحسن وعن مجاهد انه قال يفزعون فيقولون لا علم لنا وضعف بعض الناس هذا المنزع بقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقال ابن عباس معنى الآية لا علم لنا الا ما علمتنا انت اعلم به منا وقول ابن عباس حسن وهو اصوب هذه المناحى لانه يتخرج على التسليم لله تعالى ورد الامر اليه اذ هو العالم بجميع ذلك على التفصيل والكمال فرأوا التسليم والخضوع لعلمه المحيط سبحانه قال مكي قال ابن عباس المعنى لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وهو اختيار الطبري وقيل لما كان السؤال عاما يقتضى بعمومه سؤالهم عن سر الامم وعلانيتها ردوا الامر اليه اذ ليس عندهم الا علم الظاهر قال مكي وهذا القول احب الاقوال الي قال ومعنى مسألة الله الرسل عما اجيبوا انما هو لمعنى التوبيخ لمن ارسلوا اليه كما قال تعالى واذا الموءودة سئلت

انتهى من الهداية * وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك الآية قال هنا بمعنى يقول لان ظاهر هذا القول انه في القيامة تقدمة لقوله سبحانه ءانت قلت للناس * وقوله سبحانه واذ تخرج الموتى اي من قبورهم وكف بني اسراءيل عنه عليه السلام هو رفعه حين احاطوا به في البيت مع الحواريين وكذلك منعه منهم قبل ذلك الى تلك النازلة الاخيرة فهناك ظهر عظم الكف * وقوله سبحانه واذ اوحيت الى الحواريين هو من جملة تعديد النعم على عيسى عليه السلام واوحيت في هذا الموضع اما ان يكون وحي الهام او وحي امر وبالجملة فهو القاء معنى في خفاء اوصله سبحانه الى نفوسهم كيف شاء والرسول في هذه الآية عيسى وقول الحواريين واشهد يحتمل ان يكون مخاطبة منهم لله سبحانه ويحتمل ان يكون لعيسى * وقوله سبحانه اذ قال الحواريون الآية اعتراض اثناء وصف حال قول الله لعيسى يوم القيامة مضمن الاعتراض اخبار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وامته بنازلة الحواريين في المائدة اذ هي مثال نافع لكل امة مع نبيها تقتدى بمحاسنه وتزدجر عما ينفر منه من طلب الآيات ونحوه وقرأ الجمهور هل يستطيع ربك بالياء ورفع الباء من ربك والمعنى هل يفعل ربك هذا وهل تقع منه اجابة اليه ولم يكن منهم هذا شك في قدرة الله سبحانه اذ هم اعرف بالله من ان يشكوا في قدرته وقرأ الكساءي هل تستطيع ربك بالتاء ونصب الباء من ربك والمعنى هل تستطيع سؤال ربك وادغم اللام في التاء اعنى الكساءي وقال قوم قال الحواريون هذه المقالة في صدر الامر قبل علمهم بانه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى ويظهر من قوله عليه السلام اتقوا الله ان كنتم مومنين انكار لقولهم واقتراحهم الآيات والتعرض لسخط الله بها وقلة طمانينتهم الى ما قد ظهر ولما خاطبهم عليه السلام بهذه المخاطبة صرحوا

بمقاصدهم التى حملتهم على طلب المائدة فقالوا نريد ان ناكل منها فنشرف فى العالم وتطمئن قلوبنا اي تسكن فكرنا فى امرك بالمعاينة لامر نازل من السماء باعيننا ونعلم علم الضرورة والمشاهدة ان قد صدقتنا فلا تعرضنا الشبه التى تعرض فى علم الاستدلال وهذا يؤيد ان مقالتهم كانت فى مبدإ امرهم ثم استمروا على ايمانهم وصبروا وهلك من كفر وقولهم ونكون عليها من الشاهدين اي من الشاهدين بهذه النازلة الناقلين لها الى غيرنا الداعين الى هذا الشرع بسببها وروي ان الذى نحا بهم هذا المنحى من الاقتراح هو ان عيسى قال لهم مرة هل لكم فى صيام ثلاثين يوما لله سبحانه ثم ان سألتموه حاجة قضاها فلما صاموها قالوا يا معلم الخير ان حق من عمل عملا ان يطعم فهل يستطيع ربك فارادوا ان تكون المائدة عيد ذلك الصوم * وقوله سبحانه قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء الآية اي اجابهم عيسى عليه السلام الى ما سألوا فيروى انه لبس جبة شعر ورداء شعر وقام يصلى ويبكى والعيد المجتمع وقوله لاولنا وءاخرنا روي عن ابن عباس ان المعنى يكون مجتمعا لجميعنا اوّلنا وءاخرنا قال فاكل من المائدة حين وضعت اول الناس كما اكل ءاخرهم وءاية منك اي وعلامة على صدقى فاجاب الله تعالى دعوة عيسى عليه السلام وقال انى منزلها عليكم ثم شرط عليهم سبحانه شرطه المتعارف فى الامم انه من كفر بعد ءاية الاقتراح عذب اشد عذاب والجمهور ان المائدة نزلت كما اخبر الله سبحانه واختلفوا فى كيفية ذلك فقال ابو عبد الرحمن السلمي نزلت المائدة خبزا وسمكا وقال عطية المائدة سمكة فيها طعم كل طعام وقال ابن عباس نزل خوان عليه خبز وسمك ياكلون منه اين ما نزلوا اذا شاءوا وقال عمار بن ياسر سألوا عيسى مائدة يكون عليها طعام لا ينفد فقيل لهم انها مقيمة لكم ما لم تخبئوا او تخونوا فان فعلتم عذبتم قال

فما مضى يوم حتى خبثوا وخانوا يعنى بنى اسراءيل فمسخوا قردة وخنازير وقال ميسرة كانت المائدة اذا وضعت لبنى اسراءيل اختلفت عليهم الايدى بكل طعام الا اللحم واكثرَ الناسُ فى قصص المائدة مما رأيت اختصاره لعدم سنده * وقوله سبحانه واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامي الهين من دون الله الآية اختلف المفسرون فى وقت وقوع هذا القول فقال السدي وغيره لما رفع الله عيسى الى السماء قالت النصارى ما قالت وزعموا ان عيسى امرهم بذلك فسأله تعالى عن قولهم فقال سبحانك الآية ويجيء على هذا قوله وان تغفر لهم اي فى التوبة من الكفر لان هذا قاله وهم احياء فى الدنيا وقال ابن عباس وجمهور الناس هذا القول من الله انما هو يوم القيامة يقوله الله له على رؤس الخلائق فيرى الكفار تبريه منهم ويعلمون ان ما كانوا فيه باطل فقال على هذا التاويل بمعنى يقول ونزل الماضى موضع المستقبل لدلالته على كون الامر وثبوته وقوله ءاخرا وان تغفر لهم معناه ان عذبت العالم كله فبحقك فهم عبادك تصنع بحق الملك ما شئت لا اعتراض عليك وان غفرت وسبق ذلك فى علمك فلانك اهل لذلك لا معقب لحكمك ولا منازع لك فيقول عيسى هذا على جهة التسليم والتعزى عنهم مع علمه بانهم كفرة قد حتم عليهم العذاب وهذا القول عندى ارجح ويتقوى بما ياتى بعد وهو قوله سبحانه هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله سبحانك اي تنزيها لك عن ان يقال هذا وينطق به ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق اي ما يكون لبشر محدث ان يدعي الالوهية ثم قال ان كنت قلته فقد علمته لانك احطت بكل شيء علما واحصيت كل شيء عددا فوفق الله عيسى لهذه الحجة البالغة وقوله تعلم ما فى نفسى خص النفس بالذكر لانها مظنة الكتم والانطواء

على المعلومات والمعنى ان الله سبحانه يعلم ما فى نفس عيسى ويعلم كل امرء مما عسى ان لا يكون فى نفسه وقوله ولا اعلم ما فى نفسك معناه ولا اعلم ما عندك من المعلومات وما احطت به وذكر النفس هنا مقابلة لفظية فى اللسان العربي يقتضيها الايجاز وهذا ينظر من طرف خفي الى قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله يستهزئ بهم فتسمية العقوبة باسم الذنب انما قاد اليها طلب المقابلة اللفظية اذ هي من فصيح الكلام وبارع العبارة ثم اقر عيسى عليه السلام لله تعالى بانه سبحانه علام الغيوب اي ولا علم لى انا بغيب وقوله فلما توفيتني اي قبضتني بالرفع والتصيير فى السماء والرقيب الحافظ المراعي وقوله فانك انت العزيز اي فى قدرتك الحكيم فى افعالك والمعنى ان يكن لك فى الناس معذبون فهم عبادك وان يكن مغفور لهم فعزتك وحكمتك تقتضى هذا كله قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فدخل تحت هذه العبارة كل مومن بالله سبحانه وكل ما كان أتقى فهو ادخل فى العبارة وجاءت هذه العبارة مشيرة الى عيسى عليه السلام فى حاله وصدقه فيحصل له بذلك فى الموقف شرف عظيم وان كان اللفظ يعمه وسواه ثم ذكر تعالى ما اعده لهم برحمته وطوله جعلنا الله منهم بمنه وسعة جوده لا رب غيره ولا مرجو فى الدارين سواه وباقى الآية بين جعل الله ما كتبناه من هذه الاحرف نورا يسعى بين ايدينا بمنه والحمد لله كما هو اهله وصلى الله على سيد نا محمد وعلى ءاله وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانعام قيل كلها مكية الا ءايات يسيرة

قال ابن عباس نزلت سورة الانعام وحولها سبعون الف ملك لهم زجل يَجْأرون

بالتسبيح قالت وعن جابر بن عبد الله قال لما نزلت سورة الانعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الافق رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح * قوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور قال علي بن عبد الرحمن اليفرني فى شرحه للبرهانية قال الامام الفخر لفظ الحمد معرفا لا يقال الا فى حق الله عزوجل لانه يدل على التعظيم ولا يجوز ان يقال الحمد لزيد قاله سيبويه وذكر ابن العربي فى القانون عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء احب الى الله من الحمد وابلغ الحمد الحمد لله على كل حال قال ابن العربي وفى بعض الآثار ما من نعمة عظمت الا والحمد لله اعظم منها انتهى قال * ع * وجعل هاهنا بمعنى خلق ولا يجوز غير ذلك قال قتادة والسدي وجمهور من المفسرين الظلمات الليل والنور النهار وقالت فرقة الظلمات الكفر والنور الايمان قال * ع * وهذا على جهة التشبيه صحيح وعلى ما يفهمه عباد الاوثان غير جيد لانه اخراج لفظ بين فى اللغة عن ظاهره الحقيقي الى باطن لغير ضرورة وهذا هو طريق اللغز الذى برئ القرءان منه والنور ايضا هنا للجنس * وقوله تعالى ثم دالة على قبح فعل الذين كفروا لان المعنى ان خلقه السموات والارض وغيرها الموجبة لحمده وتوحيده قد تقرر وءاياته قد سطعت وانعامه بذلك على العباد قد تبين فكان الواجب عليهم اخلاص التوحيد له ثم هم بعد هذا كله بربهم يعدلون اي يُسَوّون ويمثلون وعدل الشيء قرينه ومثيله والذين كفروا فى هذا الموضع كل من عبد شيئا سوى الله الا ان السابق من حال النبي صلى الله عليه وسلم ان الاشارة الى عبدة الاوثان من العرب لمجاورتهم له ولفظ الآية ايضا يشير الى المانوية العابدين للنور

القائلين ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلام * وقوله تعالى هو الذى خلقكم من طين فالمعنى خلق ءادم من طين * وقوله سبحانه ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده اختلف فى هذين الاجلين فقال الحسن بن ابى الحسن وغيره اجلا اجل الانسان من لدن ولادته الى موته والاجل المسمى عنده من وقت موته الى حشره ووصفه بمسمى عنده لانه استاثر سبحانه بعلم وقت القيامة وقال ابن عباس اجلا الدنيا واجل مسمى الآخرة وقيل غير هذا وتمترون معناه تشكون * وقوله سبحانه وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم قاعدة الكلام فى هذه الآية ان حلول الله فى الاماكن مستحيل تعالى ان يحويه مكان كما تقدس ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق المكان والزمان وهو الآن على ما عليه كان واذا تقرر هذا فقالت فرقة من العلماء تاويل ذلك على تقدير صفة محذوفة من اللفظ ثابتة فى المعنى كانه قال وهو الله المعبود فى السموات وفى الارض وعبر بعضهم بان قدر وهو الله المدبر للامر فى السموات والارض وقال الزجاج فى متعلقة بما تضمنه اسم الله من المعانى كما يقال امير المومنين الخليفة فى المشرق والمغرب قال * ع * وهذا عندى افضل الاقوال واكثرها احرازا لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى وايضاحه انه اراد ان يدل على خلقه وءاثار قدرته واحاطته واستيلائه ونحو هذه الصفات فجمع هذه كلها فى قوله وهو الله اي الذى له هذه كلها فى السموات وفى الارض كانه قال وهو الله الخالق الرازق المحي المحيط فى السموات وفى الارض كما تقول زيد السلطان فى المشرق والمغرب والشام والعراق فلو قصدت ذات زيد لقلت محالا واذا كان مقصد قولك الآمر الناهى الناقض المبرم الذى يعزل ويولى فى المشرق والمغرب فاقمت السلطان مقام هذه كان فصيحا صحيحا فكذلك فى الآية اقام لفظة الله مقام تلك الصفات المذكورة وقالت

فرقة وهو الله ابتداء وخبر تم الكلام عنده ثم استانف وتعلق قوله فى السموات بمفعول يعلم كانه قال وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الارض * وقوله تعالى يعلم سركم وجهركم و يعلم ما تكسبون خبر فى ضمنه تحذير و زجر وتكسبون لفظ عام لجميع الاعتقادات والاقوال والافعال * وقوله سبحانه وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين تضمنت هذه الآية مذمة هؤلاء الذين يعدلون بالله سواه بانهم يعرضون عن كل آية وكذبوا بالحق وهو محمد عليه السلام وما جاء به قال * ص * من آية من آيات ربهم من الاولى زائدة للاستغراق وما بعدها فاعل بقوله تاتيهم ومن الثانية للتبعيض انتهى * وقوله تعالى فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون هذا وعيد لهم شديد وهذه العقوبات التى توعدوا بها تعم عقوبات الدنيا كبدر وغيرها وعقوبات الآخرة * وقوله سبحانه الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم هذا حض على العبرة والرؤية هنا رؤية القلب والقرن الامة المقترنة فى مدة من الزمن واختلف فى مدة القرن كم هي فالاكثر على انها مائة سنة وقيل غير هذا وقيل القرن الزمن نفسه وهو على حذف مضاف تقديره من اهل قرن قال عياض فى الاكمال واختلف فى لفظ القرن وذكر الحربي فيه الاختلاف من عشر سنين الى مائة وعشرين ثم قال يعنى الحربي وليس منه شيء واضح وأرى القرن كل امة هلكت فلم يبق منها احد انتهى والضمير فى مكناهم عائد على القرن والمخاطبة فى لكم هي للمومنين ولجميع المعاصرين لهم من سائر الناس والسماء هنا المطر ومدرارا بناء تكثير ومعناه يدرّ عليهم بحسب المنفعة * وقوله سبحانه وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين انشأنا اخترعنا وخلقنا و يظهر من الآية ان القرن انما هو وفاة الاشياخ ثم ولادة الاطفال * وقوله تعالى ولو نزلنا

عليك كتابا فى قرطاس الآية لمّا اخبر عنهم سبحانه بانهم كذبوا بكل ما جاءهم
من آية اتبع ذلك باخبار فيه مبالغة والمعنى ولو نزلنا بمرأى منهم عليك
كتابا اي كلاما مكتوبا فى قرطاس اي فى صحيفة فلمسوه بايديهم يريد انهم
بالغوا فى ميزه وتقليبه ليرتفع كل ارتياب لعاندوا فيه وتابعوا كفرهم وقالوا هذا
سحر مبين * وقوله سبحانه وقالوا لولا انزل عليه ملك اي يصدّق محمدا فى
نبوته ثم رد الله عليهم بقوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر قال ابن عباس وغيره
فى الكلام حذف تقديره ولو انزلنا ملكا فكذبوه لقضي الامر بعذابهم ولم ينظروا
حسبما سلف فى كل امة اقترحت بآية وكذبت بعد ان اظهرت اليها وقالت
فرقة لقضي الامر اي لماتوا من هول رؤية الملك فى صورته ويؤيد هذا التاويل
ما بعده من قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا فان اهل التاويل مجمعون ان ذلك
لانهم لم يكونوا يطيقون رؤية الملك فى صورته فاذ قد تقعّد انهم لا يطيقون
رؤية الملك فى صورته فالاولى فى قوله لقضي الامر اي لماتوا لهول رؤيته
ثم لا ينظرون اي لا يؤخرون ومما يؤيد هذا المعنى الحديث الوارد عن الرجلين
اللذين صعدا على الجبل يوم بدر ليريا ما يكون فى حرب النبي صلى الله عليه
وسلم للمشركين فسمعا حس الملائكة وقائلا يقول فى السحاب اقدم حيزوم
فانكشف قناع قلب احدهما فمات لهول ذلك فكيف برؤية ملك فى
خلقته وللبسنا اي لفعلنا لهم فى ذلك فعلا ملبسا يطرق لهم الى ان يلبسوا به
وذلك لا يحسن قلت وفى البخاري وللبسنا عليهم ما يلبسون لشبهنا * وقوله
سبحانه ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
بالاسوة فى الرسل وتقوية لنفسه على محاجة المشركين واخبار يتضمن وعيد
مكذبيه والمستهزءين به وحاق معناه نزل واحاط وهي مخصوصة فى الشر يقال

حاق يحيق حيقا * وقوله سبحانه قل سيروا فى الارض حض على الاعتبار بـآثار من مضى ممن فعل مثل فعلهم * وقوله سبحانه قل لمن ما فى السموات والارض قل لله قال بعض اهل التاويل تقدير الكلام قل لمن ما فى السموات والارض فاذا تحيروا فلم يجيبوا قل لله والصحيح من التاويل ان الله عزوجل امر نبيه عليه السلام ان يقطعهم بهذه الحجة والبرهان القطعي الذى لا مدافعة فيه عندهم ولا عند احد ليتقعّد هذا المعتقد الذى بينه وبينهم ثم يتركب احتجاجه عليه فكأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم يا ايها الكافرون العادلون بربهم لمن ما فى السموات والارض ثم سبقهم فقال لله اي لا مدافعة فى هذا عندكم ولا عند احد تم ابتدأ يخبرعن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة معناه قضاها وانفذها وفى هذا المعنى احاديث صحيحة ففى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الله الرحمة مائة جزء فاسك عنده تسعة وتسعين وانزل فى الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه ولمسلم فى طريق آخر كل رحمة منها طباق ما بين السماء والارض فاذا كان يوم القيامة اكملها بهذه الرحمة وخرج مسلم والبخاري وغيرهما عنه صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتى تغلب غضبى وفى طريق سبقت غضبى الى غير ذلك من الاحاديث انتهى قال * ع * فما اشقى من لم تسعه هذه الرحمات تغمدنا الله بفضل منه ويتضمن هذا الاخبار عن الله سبحانه بانه كتب الرحمة تانيس الكفار ونفي ياسهم من رحمة الله اذا انابوا واللام فى قوله ليجمعنكم لام قسم والكلام مستانف وهذا اظهر الاقوال واصحها * وقوله سبحانه الذين خسروا انفسهم فهم لا يومنون الذين رفع بالابتداء وخبره فهم لا يومنون

* وقوله تعالى وله ما سكن فى الليل والنهار الآيـة وله عطـف على قوله لله وسكـن هي من السكنى ونحوه اي ما ثبت وتـقـرر قالـه السدي وغيره وقالت فرقـة هو من السكـون وهو ضعيف * وقوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض الآيـة قال الطبري وغيره اِمر عليـه السلام ان يقول هذه المقالـة للكـفـرة الذين دعوه الى عبادة اوثانهم فتجيء الآية على هذا جوابا لكلامهم قال * ع * وهذا يحتاج الى سند والفصيح انـه لما قرر معهم ان الله تعالى لـه ما فى السموات والارض وله ما سكن فى الليل والنهار اِمر ان يقول لهم على جهة التوبيخ والتوقيف اغير الله الذى هذه افعاله اتخذ وليا بمعنى ان هذا خطأ بيّن ممن يفعلـه والولي لفظ عام لمعبـود وغير ذلـك ثم اخذ فى صفـات الله تعالى فـقال فاطر بخفـض الراء نعت لله عز وجل قال * ص * فاطر الجـهـور بالجـر ووجّهـه ابن عطيـة وغيره على انـه نعت لله وابو البقاء على انـه بدل وكانـه رأى الفصل بيـن البدل والمبـدل اسهل لان البدل فى المشهـور على نيـة تـكـرار العامـل انـتهى وفطر معناه ابتدع وخلـق وانـشـأ وفطر ايضا فى اللغـة شق ومنـه هل ترى من فطور اي من شقـوق ويطعم ولا يطعم المقصود به يرزق ولا يرزق * وقوله قل اني امرت الى عظيم قال المفسرون المعنـى اول من اسلم من هذه الامة وبهذه الشريعـة ولفظـة عصيت عامـة فى انواع المعاصـى ولكنها هاهنا انما تشير الى الشـرك المنهـي عنـه واليوم العظيم هو يوم القيامـة وقرأ نافع وغيره من يصرف عنـه مسندا الى المفعـول وهو الضمير العائد على العذاب وقرأ حمزة وغيره من يصرف باسناد الفعل الى الضمير العائد الى ربى ويعمـل فى ضمير العـذاب المذكـور لكنـه محذوف وقولـه وذلـك اشارة الى صرف العذاب وحصول الرحمة والفوزُ النجاة * وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشـف لـه الا هو يمسسك معناه يصبـك وينلـك

والضر بضم الضاد سوء الحال فى الجسم وغيره وبفتحها ضد النفع ومعنى الآية الاخبار ان الاشياء كلها بيد الله ان ضر فلا كاشف لضره غيره وان اصاب بخير فكذلك ايضا وعن ابن عباس قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام انى اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تُجاهك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعِن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعتْ على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رويناه فى الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفى رواية غير الترمذي زيادة احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك وفى اخره واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا قال النووي هذا حديث عظيم الموقع انتهى من الحلية وقرأت فرقة وأَوْحَى اليّ هذا القرءانَ على بناء الفعل للفاعل ونصب القرءان وفى اوحى ضمير يعود على الله تعالى * وقوله لا نذركم به ومن بلغ معناه على قول الجمهور بلاغ القرءان اي لا نذركم وانذر من بلغه ففى بلغ ضمير محذوف لانه فى صلة من فحذف لطول الكلام وقالت فرقة ومن بلغ الحلمَ وروي فى معنى التاويل الاول احاديث وظاهر الآية انها فى عبدة الاصنام وذكر الطبري انه قد ورد من وجه لم تثبت صحته انها فى قوم من اليهود قالوا يا محمد ما تعلم مع الله الها غيره فقال لهم لا اله الا الله وبذلك امرت فنزلت الآية والله اعلم وامر الله سبحانه نبيه عليه السلام ان يعلن بالتبرى من شهادة الكفرة والاعلان بالتوحيد لله عز وجل والتبرى من اشراكهم قال الغزالي فى الاحياء وينبغى للتالى ان يقدر انه المقصود بكل خطاب

فى القرءان فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي والمامور وكذا ان سمع وعدا او وعيدا وكذا ما يقف عليه من القصص فالمقصود به الاعتبار قال تعالى وكل نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وقال واوحي الي هذا القرءان لا نذركم به ومن بلغ قال محمد ابن كعب القرظي من بلغه القرءان فكانما كلمه الله عز وجل انتهى * وقوله سبحانه الذين ءاتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قال قتادة وغيره يعرفون محمدا عليه السلام وقوله الذين خسروا انفسهم الآية روي ان كل عبد له منزل فى الجنة ومنزل فى النار فالمومنون ينزلون منازل اهل الكفر فى الجنة والكافرون ينزلون منازل اهل الجنة فى النار فهنا هي الخسارة البينة والربح للآخرين وباقى الآية بين * وقوله سبحانه ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون المعنى واذكر يوم نحشرهم * وقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين الفتنة فى كلام العرب لفظة مشتركة تقال بمعنى حب الشيء والاعجاب به وتقال بمعنى الاختبار ومن قال ان اصل الفتنة الاختبار من فتنتُ الذهبَ فى النار ثم يستعار بعد ذلك فى غير ذلك فقد اخطأ لان الاسم لا يحكم عليه بمعنى الاستعارة حتى يقطع عليه باستحالة حقيقته فى الموضع الذى استعير له كقول ذى الرمة * ولَفّ الثريا فى ملاءته الفجرُ * ونحوه والفتنة لا يستحيل ان تكون حقيقة فى كل موضع قيلت عليه وباقى الآية مضى تفسيره عند قوله سبحانه ولا يكتمون الله حديثا فانظره هناك قال * ع * وعبر قتادة عن الفتنة هنا بان قال معذرتهم وقال الضحاك كلامهم وقيل غير هذا مما هو فى ضمن ما ذكرناه * وقوله سبحانه انظر كيف كذبوا على انفسهم هذا خطاب للنبي صلى

الله عليه وسلم والنظر نظر القلب وقال كذبوا في امر لم يقع اذ هي حكاية عن يوم القيامة فلا اشكال في استعمال الماضي فيها موضع المستقبل ويفيدنا استعمال الماضي تحقيقا في الفعل واثباتا له وهذا مهيع في اللغة وضل عنهم معناه ذهب افتراؤهم في الدنيا وكذبهم على الله * وقوله سبحانه ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة الآية اكنة جمع كنان وهو الغطاء ان يفقهوه اي يفهموه والوقر الثقل * وقوله سبحانه وان يروا كل اية لا يومنوا بها الرؤية هنا رؤية العين يريد كانشقاق القمر وشبهه وقولهم ان هذا الا اساطير الاولين اشارة الى القرآن والاساطير جمع اسطار كاقوال واقاويل واسطار جمع سطْر او سطَر وقيل اساطير جمع إسْطارة وهي التُرّهات وقيل جمع أُسْطورة كاعجوبة واضحوكة وقيل هو اسم جمع لا واحد له من لفظه كعباديد وشماطيط والمعنى اخبار الاولين وقصصهم واحاديثهم التي تسطر وتحكى ولا تحقق كالتواريخ وانما شبهها الكفار باحاديث النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية عن رستم ونحوه ومجادلة الكفار كانت مرادتهم نور الله باقوالهم المبطلة وهم ينهون عنه قال قتادة وغيره المعنى ينهون عن القرآن وقال ابن عباس وغيره ينهون عن النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ينهون غيرهم ويبعدون هم بانفسهم والنأي البعد قال * ص * وان يهلكون ان نافية بمعنى ما وانفسهم مفعول بيهلكون انتهى وما يشعرون معناه ما يعلمون علم حس ونفيُ الشعور مذمة بالغة اذ البهائم تشعر وتحس فاذا قلت فلان لا يشعر فقد نفيت عنه العلم النفي العام الذي يقتضي انه لا يعلم ولا المحسوسات * وقوله جلّت عظمته ولو ترى اذ وقفوا على النار الآية المخاطبة فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وجواب لو محذوف تقديره في آخر الاية لرايت هولا عظيما ونحوه ووقفوا معناه حبسوا ويحتمل

قوله وقفوا على النار بمعنى دخلوها قاله الطبري ويحتمل ان يكون اشرفوا عليها وعاينوها وقولهم يا ليتنا نرد معناه الى الدنيا * وقوله سبحانه بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل الآية يتضمن انهم كانوا يخفون امورا فى الدنيا فظهرت لهم يوم القيامة اوظهر وبالُ ذلك وعاقبته فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل ان الكفار كانوا اذا وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم خافوا واخفوا ذلك الخوف ليلا يشعر بهم اتباعهم فظهر لهم ذلك يوم القيامة ويصح ان يكون مقصد الآية الاخبار عن هول ما لقوه فعبر عن ذلك بانهم ظهرت لهم مستوراتهم فى الدنيا من معاص وغيرها فكيف الظن بما كانوا يعلنونه من كفر ونحوه وينظر الى هذا التاويل قوله تعالى فى تعظيم شان يوم القيامة يوم تبلى السرائر * وقوله سبحانه ولو ردوا لعادوا اخبار عن امر لا يكون كيف كان يوجد وهذا النوع مما استاثر الله تعالى بعلمه فان اعلم بشيء منه علم والا لم يُتكلم فيه قال الفخر قال الواحدي هذه الآية من الادلة الظاهرة على فساد قول المعتزلة لان الله تعالى حكى عن هؤلاء انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وما ذاك الا للقضاء السابق فيهم انتهى * وقوله تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين هذا على تاويل الجمهور ابتداء كلام واخبار عنهم بهذه المقالة وان نافية ومعنى الآية عنهم التكذيب بالحشر والعودة الى الله * وقوله سبحانه اليس هذا بالحق الاشارة بهذا الى البعث الذى كذبوا به فى الدنيا وقولهم بلى وربنا ايمان ولكنه حين لا ينفع * وقوله فذوقوا استعارة بليغة والمعنى باشروه مباشرة الذائق وبغتة معناه فجأة تقول بغتنى الامر اي فجأنى ومنه قول الشاعر

ولكنهم بانوا ولم اخش بغتة * وافظع شيء حين يفجأك البغت

ونصبها على المصدر فى موضع الحال وقولهم يا حسرتنا على ما فرطنا فيها نداء

الحسرة على تعظيم الامر وتشنيعه وفرطنا معناه قصّرنا والضمير فى قوله فيها عائد على الساعة اي فى التقدمة لها قاله الحسن ويحتمل ان يعود الضمير على الدنيا اذ المعنى يقتضيها وتجيء الظرفية امكن قلت قال عبد الحق فى العاقبة لا يعرف مقدار الحياة الا الموتى لانهم قد ظهرت لهم الامور وانكشفت لهم الحقائق وتبدت لهم المنازل وعلموا مقدار الاعمال الصالحة ولما استبان لهم ذلك وعلموا مقدار ما ضيعوا وقيمة ما فيه فرطوا ندموا واسفوا وودوا انهم الى الدنيا رجعوا فالذى عمل صالحا ودّ ان لو رجع الى الدنيا ليزداد من عمله الصالح ويكثر من تجره الرابح والمقصر يود انه لو رد ليستدرك ما فيه فرّط وقد قال عليه السلام ما من احد يموت الا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع خرجه الترمذي انتهى * وقوله تعالى وهم يحملون الواو واو الحال والاوزار جمع وزر بكسر الواو وهو الثقل من الذنوب والوزر هنا تجوز وتشبيه بثقل الاحمال ومن قال انه من الوزَر وهو الجبل الذى يلجأ اليه فهو قول غير بين وقال الطبري وغيره هذا على جهة الحقيقة ورووا فى ذلك خبرا ان المومن يلقاه عمله فى احسن صورة وافوحها فيسلم عليه ويقول طال ما ركبتك فى الدنيا واجهدتك فاركبنى اليوم قال فيحمله تمثال العمل وان الكافر يلقاه عمله فى اقبح صورة وانتنها فيشتمه ويقول انا عملك الخبيث طال ما ركبتنى فى الدنيا بشهواتك فانا اركبك اليوم قال فيحمل تمثال عمله الخبيث واوزاره على ظهره قلت والاحاديث الصحيحة فى معنى ما ذكره الطبري كثيرة كاحاديث مانعى الزكاة وغيرها قال مكي وروى المقبري عن ابى هريرة فى حديث يرفعه قال اذا كان يوم القيامة بعث الله مع كل امرئ مومن عمله وبعث مع الكافر عمله فلا يرى المومن شيئا يروعه ولا

شيئــا يفزعه ويخافه الا قال له عمله ابشر بالذى يسرك فانك لست بالذى يراد بهذا ولا يرى الكافر شيئــا يفزعه ويروعه ويخافه الا قال له عمله ابشر يا عدو الله بالذى يسوءك فوالله انك لانت الذى تراد بهذا انتهى * وقوله سبحانه وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو الآية هذا ابتداء خبر عن حال الدنيا والمعنى انها اذ كانت فانية لا طائل لها اشبهت اللعب واللهو الذى لا طائل له اذا تقضى وهذه الآية تتضمن الرد على قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وهو المقصود بها قال عبد الحق فى العاقبة اعلم رحمك الله ان حب الدنيا هو سبب طول الامل والاكبابُ عليها يمنع من الفكرة فى الخروج عنها والجهل بغوائلها يحمل على الارادة لها والازدياد منها لان من احب شيئــا احب الكون معه والازدياد منه ومن كان مشغوفا بالدنيا محبا لها قد خدعته بزخرفها وامالته برونقها كيف يحب مفارقتها او يحب مزايلتها هذا امر لم تجر العادة به ولاحُدِّثنا عنه بل نجد من كان على هذه الصفة اعمى عن طريق الخير اصم عن داعى الرشد أفِن الرأي سيئ النظر ضعيف الايمان لم تترك له الدنيا ما يسمع به ولا ما يرى انما دينه وشغله وحديثه دنياه لها ينظر ولها يسمع قد ملأت عينه وقلبه ثم قال واعلم ان اهل القبور انما ينَدمون على ما يتركون ويفرحون بما يُقدِّمون فما عليه اهل القبور يندمون اهل الدنيا عليه يقتتلون انتهى * وقوله سبحانه قد نعلم الآية نعلم اذا كانت من الله تعالى تتضمن استمرار العلم وقِدَمه فهي تعم الماضي والحال والاستقبال قلت ونحو هذا لابى حيان قال وعبر هنا بالمضارع لان المراد الاتصاف بالعلم واستمراره ولم يلحظ فيه الزمان كقولهم فلان يعطى ويمنع انتهى وقرأ نافع وحده ليحزنك من احزن وقرأ الباقون ليحزُنك من حزنت الرجل وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة لا يكذبونك بتشديد الذال وفتح الكاف

وقرأها ابن عباس وردها على قارئى قرأ عليه يكذبونك بضم الياء وقال انهم كانوا يسمونه الامين وقرأ نافع والكسائي بسكون الكاف وتخفيف الذال وهما قراءتان مشهورتان صحيحتان وهما بمعنى واحد فمعنى لا يكذبونك اي لا يعتقدون كذبك وانهم يعلمون صدقك ولكنهم يجحدون عنادا وظلما وهذا تاويل قتادة والسدي وغيرهما وحكي عن طائفة من الكفار انها كانت تقول انا لنعلم ان محمدا صادق ولكن اذا امنا به فضلنا بنو هاشم بالنبوة فنحن لا نومن به ابدا رويت هذه المقالة عن ابى جهل ومن جرى مجراه واسند الطبري ان جبريل وجد النبي صلى الله عليه وسلم حزينا فسأله فقال كذبنى هؤلاء فقال انهم لا يكذبونك بل يعلمون انك صادق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وجحد العناد جائز الوقوع بمقتضى النظر وظواهر القرءان تعطيه ويجحدون حقيقتُه فى كلام العرب الانكار بعد معرفة وهو ضد الاقرار * وقوله سبحانه ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا الآية قال ابن جريج والضحاك عزّى الله بهذه الآية نبيه عليه السلام ثم قوّى سبحانه رجاء نبيه فيما وعده من النصر بقوله ولا مبدل لكلمات الله اي لاراد لامره وكلماته السابقة بما يكون فكأن المعنى فاصبر كما صبروا وانتظر ما ياتى وثق بهذا الاخبار فانه لا مبدل له * وقوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم الآية فيها الزام الحجة للنبي صلى الله عليه وسلم وتقسيم الاحوال عليه حتى يبين ان لا وجه الا الصبر والمعنى ان كنت تعظم تكذيبهم وكفرهم على نفسك وتلتزم الحزن فان كنت تقدر على دخول سَرَب فى اعماق الارض او على ارتقاء سلم فى السماء فافعل اي ولست بقادر على شيء من هذا ولا بُد لك من التزام الصبر واحتمال المشقة ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين فى ان تأسف وتحزن على امر اراده الله وامضاه

وروى الدارقطني في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصاب احدكم هم او حزن فليقل سبع مرات الله الله ربي لا اشرك به شيئا انتهى من الكوكب الدري وتاتيهم بئاية اي بعلامة وقال مكي والمهدوي الخطاب بقوله فلا تكونن من الجاهلين للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وهذا ضعيف لا يقتضيه اللفظ قلت وما قاله * ع * فيه عندي نظر لان هذا شان التاويل اخراج اللفظ عن ظاهره لموجب على ان ابا محمد مَكِّيا رحمه الله نقل هذا القول عن غيره نقلا ولفظه فلا تكونن من الجاهلين اي ممن لا يعلم ان الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه وقيل معنى الخطاب لامة النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فلا تكونوا من الجاهلين ومثله في القرءان كثير انتهى من الهداية * وقوله سبحانه انما يستجيب الذين يسمعون هذا من النمط المتقدم في التسلية اي لا تحفل بمن اعرض فانما يستجيب لداعي الايمان الذين يفهمون الآيات ويتلقون البراهين بالقبول فعبر عن ذلك كله بيسمعون اذ هو طريق العلم وهذه لفظة تستعملها الصوفية رضي الله عنهم اذا بلغت الموعظة من احد مبلغا شافيا قالوا سمع ثم قال تعالى والموتى يريد الكفار اي هم بمثابة الموتى فعبر عنهم بضد ما عبر عن المومنين وبالصفة التي تشبه حالهم في العمى عن نور الله والصمم عن وعي كلماته قاله مجاهد والحسن وقتادة ويبعثهم الله يحتمل معنيين قال الحسن معناه يبعثهم بان يومنوا حين يوفقهم وقراءة الحسن ثم اليه ترجعون بالتاء من فوق فتناسبت الآية وقال مجاهد وقتادة والموتى يريد الكفار يبعثهم الله اي يحشرهم يوم القيامة ثم اليه اي الى سطوته وعقابه يرجعون * وقوله سبحانه وقالوا لولا نزل عليه ءاية من ربه لولا تحضيض بمعنى هلا ومعنى الآية هلا نزل على محمد ببيان واضح كملك يشهد له او كنز

او غير ذلك من تشططهم المحفوظ فى هذا ثم امر عليه السلام بالرد عليهم بان الله عزوجل قادر على ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون انها لو نزلت ولم يومنوا لعوجلوا بالعذاب ويحتمل ولكن اكثرهم لا يعلمون انه سبحانه انما جعل الانذار فى ءايات معرضة للنظر والتأمل ليهتدي قوم ويضل ءاخرون * وقوله سبحانه وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم المعنى فى هذه الآية التنبيه على ءايات الله الموجودة فى انواع مخلوقاته المنصوبة لمن فكّر واعتبر كالدواب والطير ويدخل فى هذين جميع الحيوان وهي امم اي جماعات مماثلة للناس فى الخلق والرزق والحياة والموت والحشر ويحتمل ان يريد بالمماثلة فى كونها امما لا غير الا ان الفائدة فى هذه الآية بان تكون المماثلة فى اوصاف غير كونها امما قال الطبري وغيره والمماثلة فى انها يهتبل باعمالها وتحاسب ويقتص لبعضها من بعض على ما روي فى الاحاديث اي فاذا كان هذا يفعل بالبهائم فانتم احرى اذ انتم مكلفون عُقَلاء وروى ابو ذر انه انتطحت عنزان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتعلمون فيما انتطحتا قلنا لا قال فان الله يعلم وسيقضي بينهما وقال مكي المماثلة فى انها تعرف الله وتعبده وقوله بجناحيه تاكيد وبيان وازالة للاستعارة المتعاهدة فى هذه اللفظة اذ يقال طائر السعد والنحس وقال تعالى الزمناه طائره فى عنقه ويقال طار لفلان طائر كذا اي سهمه فى المقتسمات فقوله تعالى بجناحيه اخراج للطائر عن هذا كله * وقوله سبحانه ما فرطنا فى الكتاب من شيء التفريط التقصير فى الشيء مع القدرة على ترك التقصير قال ابو حيان اصل فرطنا ان يتعدى بفى ثم يضمن معنى اغفلنا فيتعدى الى مفعول به وهو هنا كذلك فيكون من شيء فى موضع المفعول به انتهى والكتاب القرءان وهو الذى يقتضيه نظام المعنى فى هذه الآيات وقيل اللوح المحفوظ ومن شيء

على هذا القول عام فى جميع الاشياء وعلى القول بانه القرءان خاص ويحشرون قالت فرقة من العلماء حشر البهائم بعثها واحتجوا بالاحاديث المضمنة ان الله تعالى يقتص للجماء من القرناء ومن قال انما هي كناية عن العدل وليست بحقيقة فهو قول مردود ينحو الى القول بالرموز ونحوها * وقوله سبحانه والذين كذبوا بئاياتنا صم وبكم الآية كانه قال وما من دابة ولا طائر ولا شيء الا وفيه ءاية منصوبة دالة على وحدانية الله تعالى ولكن الذين كذبوا بئاياتنا صم وبكم لا يتلقون ذلك ولا يقبلونه وظاهر الآية انها تعم كل مكذب وقال النقاش نزلت فى بنى عبد الدار قال * ع * ثم تنسحب على سواهم وقوله فى الظلمات ينوب عن عمي وفي الظلمات اهول عبارة وافصح واوقع فى النفس قال ابو حيان فى الظلمات خبر مبتدإ محذوف اي هم فى الظلمات او صفة لبكم اي كائنون فى الظلمات او حال من الضمير المقدر فى الخبر اي صالون فى الظلمات انتهى * وقوله سبحانه قل ارأيتكم ابتداء احتجاج على الكفار الجاعلين لله شركاء والمعنى ارأيتم اذا خفتم عذاب الله او خفتم هلاكا او خفتم الساعة اتدعون اصنامكم وتلجئون اليها فى كشف ذلك ان كنتم صادقين فى قولكم انها ءالهة بل انما تدعون الله الخالق الرازق فيكشف ما خفتموه ان شاء وتنسون اصنامكم اي تتركونهم فعبر عن الترك باعظم وجوهه الذى هو مع الترك ذهول واغفال فكيف يجعل الاها من هذه حاله فى الشدائد والازمات * وقوله سبحانه ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم فى الكلام حذف تقديره فكذبوا فاخذناهم اي تابعناهم بالبأساء الآية والبأساء المصائب فى الاموال والضراء فى الابدان هذا قول الاكثر وقيل قد يوضع كل واحد بدل الآخر والتضرع التذلل والاستكانة ومعنى الآية توعد الكفار وضرب المثل لهم ولولا تحضيض وهي التى تلى الفعل بمعنى

هلا وهذا على جهة المعاتبة لمذنب غائب واظهار سوء فعله مع تحسر ما عليه قلت اي مع تحسر ما باعتبار حالة البشر * وقوله سبحانه فلما نسوا ما ذكروا به الآية عبر عن الترك بالنسيان وفتحنا عليهم ابواب كل شيء اي من النعم الدنيوية بعد الذى اصابهم من البأساء والضراء وفرحوا معناه بطروا واعجبوا وظنوا ان ذلك لا يَبيد وانه دال على رضى الله عنهم وهو استدراج من الله تعالى وقد روي عن بعض العلماء رحم الله عبدا تدبر هذه الآية حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وروى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطى العباد ما يشاءون على معاصيهم فذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الآية كلها واخذناهم فى هذا الموضع معناه استأصلناهم بغتة اي فجأة والمبلس الحزين الباهت اليائس من الخير الذى لا يحير جوابا لشدة ما نزل به من سوء الحال * وقوله تعالى فقطع دابر القوم الآية الدابر آخر القوم الذى ياتى من خلفهم وهذه كناية عن استيصال شافتهم ومحو آثارهم كانهم وردوا العذاب حتى ورد آخرهم الذى دَبَرهم وحُسن الحمد عقب هذه الآية لجمال الافعال المتقدمة فى ان ارسل سبحانه الرسل ولطف فى الاخذ بالبأساء والضراء ليتضرع اليه فيرحم وينعم وقطع فى آخر الامر دابر ظَلَمة وذلك حسن فى نفسه ونعمة على المومنين فحسن الحمد عقب هذه الافعال وبحمده سبحانه ينبغى ان يُختم كل فعل وكل مقال اذ هو المحمود على كل حال لا رب غيره ولا خير الا خيره * وقوله تعالى قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم الآية اخذ معناه اذهب والضمير فى به عائد على الماخوذ ويصدفون معناه يعرضون و ينفرون ومنه قول الشاعر

اذا ذكرن حديثا قلن احسنه * وهنّ عن كل سوء يُتقّى صُدُفُ

* وقوله تعالى قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة الآية وعيد وتهديد قال

* ع * ارأيتم عند سيبويه تتنزل منزلة اخبرونى ولذلك لا تحتاج الى مفعولين وقوله بغتة معناه لم يتقدم عندكم منه علم وجهرة معناه تبدو لكم مخايله ومباديه ثم يتوالى حتى ينزل قال الحسن بن ابى الحسن بغتة ليلا وجهرة نهارا وقال مجاهد بغتة فُجاءة آمنين وجهرة وهم ينظرون قال ابو حيان هل يهلك هل حرف استفهام معناه هنا النفي اي ما يهلك ولذلك دخلت الا على ما بعدها انتهى * وقوله سبحانه وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي الا ليبشروا بانعامنا ورحمتنا من آمن ومنذرين بعذابنا وعقابنا من كذب وكفر قال ابو حيان مبشرين ومنذرين حال فيها معنى العلية اي ارسلناهم للتبشير والانذار انتهى ثم وعد سبحانه من سلك طريق البشارة فآمن واصلح فى امتثال الطاعة واوعد الآخرين * وقوله تعالى قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك الآية هذا من الرد على القائلين لولا نزل عليه آية والطالبين ان ينزل ملك او تكون له جنة اوكنز ونحو هذا والمعنى انما انا بشر وانما اتبع ما يوحى الي وهو القرآن وسائر ما ياتيه من الله سبحانه اي وفى ذلك عبر وآيات لمن تأمل * وقوله سبحانه قل هل يستوى الاعمى والبصير اي هل يستوى المومن المفكِّر فى الآيات مع الكافر المعرض عن النظر افلا تتفكرون وجاء الامر بالفكرة فى عبارة العرض والتحضيض * وقوله تعالى وانذر به اي وانذر بالقرآن الذين هم مظنة الايمان واهل للانتفاع والضمير فى به عائد على ما يوحى * وقوله سبحانه ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع اخبار من الله سبحانه عن صفة الحال يوم الحشر قال الفخر قوله لعلهم يتقون قال ابن عباس معناه وانذرهم لكي يخافوا فى الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصى انتهى * وقوله سبحانه ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي المراد

بالذين ضعفة المومنين فى ذلك الوقت فى امور الدنيا كبلال وصهيب وعمار وخباب وصُبيْح وذى الشِّمالين والمقداد ونحوهم وسبب الآية ان بعض اشراف الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن لشرفنا واقدارنا لا يمكننا ان نختلط بهؤلاء فلو طردتهم لا تبعناك ورد فى ذلك حديث عن ابن مسعود وظاهر الامر انهم ارادوا بذلك الخديعة فنزلت الآية ويدعون ربهم بالغداة والعشي قال الحسن بن ابى الحسن المراد به صلاة مكة التى كانت مرتين فى اليوم بكرة وعشيا وقيل قوله بالغداة والعشي عبارة عن استمرار الفعل وان الزمان معمور به والمراد على هذا التأويل قيل الصلوات الخمس قاله ابن عباس وغيره وقيل الدعاء وذكر الله واللفظة على وجهها وقيل القرءان وتعلمه قاله ابو جعفر وقيل العبادة قاله الضحاك * وقوله تعالى يريدون وجهه قلت قال الغزالي فى الجواهر النية والعمل بهما تمام العبادة فالنية احد جزءي العبادة لكنها خير الجزءين ومعنى النية ارادة وجه الله سبحانه بالعمل قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ومعنى اخلاصها تصفية الباعث عن الشوائب ثم قال الغزالي واذا عرفت فضل النية وانها تحل حدقة المقصود فاجتهد ان تستكثر من النية فى جميع اعمالك حتى تنوي بعمل واحد نيات كثيرة ولو صدقت رغبتك لهديت لطريق رشدك انتهى * وقوله سبحانه ما عليك من حسابهم من شيء قال الحسن والجمهور اي من حساب عملهم والمعنى انك لم تكلف شيئا غير دعائهم وقوله فتطردهم هو جواب النفي فى قوله ما عليك وقوله فتكون جواب النهي فى قوله ولا تطرد * وفتنا بعضهم ببعض اي ابتلينا وليقولوا معناه ليصير بحكم القدر امرهم الى ان يقولوا على جهة الاستخفاف والهزء اهؤلاء من الله عليهم من بيننا فاللام

فى ليقولوا لام الصيرورة * وقوله سبحانه اليس الله باعلم بالشاكرين اي يا ايها المستخفون ليس الامر امر استخفاف فالله اعلم بمن يشكر نعمه * وقوله سبحانه واذا جاءك الذين يومنون بآياتنا فقل سلام عليكم الآية قال جمهور المفسرين هؤلاء هم الذين نهى الله عن طردهم وشفع ذلك بان امر سبحانه ان يسلم النبي عليه السلام عليهم ويؤنسهم قال خباب بن الارت لما نزلت واذا جاءك الذين يومنون بآياتنا الآية فكنا ناتى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لنا سلام عليكم ونقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية فكان يقعد معنا فاذا بلغ الوقت الذى يقوم فيه قمنا وتركناه حتى يقوم وسلام عليكم ابتداء والتقدير سلام ثابت اوواجب عليكم والمعنى امنة لكم من عذاب الله فى الدنيا والآخرة ولفظه لفظ الخبر وهو فى معنى الدعاء قال الفخر قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة النفس هاهنا بمعنى الذات والحقيقة لا بمعنى الجسم والله تعالى مقدس عنه انتهى قلت قال ابن العربي فى كتاب تفسير الافعال الواقعة فى القروان قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة قال علماؤنا كتب معناه اوجب وعندى انه كتب حقيقة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق القلم فقال له اكتب فكتب ما يكون الى يوم القيامة انتهى وقرأ عاصم وابن عامر انه بفتح الهمزة فى الاولى والثانية فانه الاولى بدل من الرحمة وانه الثانية خبر ابتداء مضمر تقديره فامره انه غفور رحيم هذا مذهب سيبويه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكساءي انه بكسر الهمزة فى الاولى والثانية وقرأ نافع بفتح الاولى وكسر الثانية والجهالة فى هذا الموضع تعم التى تضاد العلم والتى تشبه بها وذلك ان المتعمد لفعل الشيء الذى قد نهي عنه تسمى معصيته تلك جهالة قال مجاهد من

الجهالة ان لا يعلم حلالا من حرام ومن جهالته ان يركب الامر قلت اي يتعمده ومن الجهالة التي لا تضاد العلم قوله صلى الله عليه وسلم في استعاذته او اجهل او يُجهل علي ومنها قول الشاعر

الا لا يجهلنْ احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

قال الفخر قال الحسن كل من عمل معصية فهو جاهل فقيل المعنى انه جاهل بمقدار ما فاته من الثواب وما استحقه من العقاب قلت وايضا فهو جاهل بقدر من عصاه انتهى والاشارة بقوله تعالى وكذلك نفصل الآيات الى ما تقدم من النهي عن طرد المومنين وبيان فساد منزع العارضين لذلك وتفصيل الآيات تبيينها وشرحها واظهارها قلت ومما يناسب هذا المحل ذكر شيء مما ورد في فضل المصافحة وقد اسند ابو عمر في التمهيد عن عبد الرحمن بن الاسود عن ابيه وعلقمة انهما قالا من تمام التحية المصافحة وروى مالك في الموطا عن عطاء الخراساني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصافحوا يذهب الغِل . وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء قال ابو عمر في التمهيد هذا الحديث يتصل من وجوه شتى حسان كلها ثم اسند ابو عمر من طريق ابي داود وغيره عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يتفرقا ثم اسند ابو عمر عن البراء بن عازب قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان كنت لاحسب ان المصافحة للعجم فقال نحن احق بالمصافحة منهم ما من مسلمين يلتقيان فياخذ احدهما بيد صاحبه مودة بينهما ونصيحة الا القيت ذنوبهما بينهما واسند ابو عمر عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان فتصافحا انزل الله عليهما مائة رحمة تسعون منها للذى بدأ

بالمصافحة وعشرة للذى صوفح وكان احبهما الى الله احسنهما بشرا بصاحبه انتهى وقد ذكرنا طرفا من آداب المصافحة فى غيرهذا الموضع فقف عليه واعمل به ترشد فان العلم انما يراد للعمل وبالله التوفيق وخص سبيل المجرمين بالذكر لانهم الذين آثروا ما تقدم من الاقوال وهو اهم فى هذا الموضع لانها ءايات رد عليهم وايضا فتبيين سبيلهم يتضمن بيان سبيل المومنين وتأول ابن زيد ان قوله المجرمين معنيّ به الآمرون بطرد الضعفة * وقوله سبحانه قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم الآية امر الله سبحانه نبيه عليه السلام ان يجاهرهم بالتبرى مما هم فيه وتدعون معناه تعبدون ويحتمل ان يريد تدعون فى اموركم وذلك من معنى العبادة واعتقادهم الاصنام ءالهة * وقوله تعالى قل انى على بينة من ربى المعنى قل انى على امر بين وكذبتم به الضمير فى به عائد على بين او على الرب وقيل على القرءان وهو جلي وقال بعض المفسرين الضمير فى به الثانى عائد على ما والمراد بها الآيات المقترحة على ما قال بعض المفسرين وقيل المراد به العذاب وهو يترجح من وجهين احدهما من جهة المعنى وذلك ان قوله وكذبتم به يتضمن انكم واقعتم ما تستوجبون به العذاب الا انه ليس عندى والآخر من جهة لفظ الاستعجال الذى لم يات فى القرءان الا للعذاب واما اقتراحهم للآيات فلم يكن باستعجال * وقوله ان الحكم الا لله اي القضاء والانفاذ ويقص الحق اي يخبر به والمعنى يقص القصص الحق وقرأ حمزة والكساءي وغيرهما يقضى الحق اي ينفذه * وقوله سبحانه قل لو ان عندى ما تستعجلون به لقضي الامر بينى وبينكم المعنى لوكان عندى الآيات المقترحة او العذاب على التاويل الآخر لقضي الامر اي لوقع الانفصال وتم النزاع لظهور الآية المقترحة او لنزول

العذاب بحسب التأويلين وقيل المعنى لقامت القيامة وقوله والله اعلم بالظالمين يتضمن الوعيد والتهديد * وقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو مفاتح جمع مفتح وهذه استعارة عبارة عن التوصل الى الغيوب كما يتوصل في الشاهد بالمفتاح الى المغيب ولو كان جمع مفتاح لقال مفاتيح ويظهر ايضا ان مفاتح جمع مفتح بفتح الميم اي مواضع تفتح عن المغيبات ويؤيد هذا قول السدي وغيره مفاتح الغيب خزائن الغيب فاما مفتح بالكسر فهو بمعنى مفتاح قال الزهراوي ومفتح افصح وقال ابن عباس وغيره الاشارة بمفاتح الغيب هي الى الخمسة في ءاخر لقمان ان الله عنده علم الساعة الآية قلت وفي صحيح البخاري عن سالم بن عبد الله عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ما ذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير انتهى * وقوله سبحانه من ورقة اي من ورق النبات ولا حبة في ظلمات الارض يريد في اشد حال التغييب وحكى بعض الناس عن جعفر بن محمد قولا ان الورقة يراد بها السقط من اولاد بني ءادم والحبة يراد بها الذي ليس بسقط والرطب يراد به الحي واليابس يراد به الميت وهذا قول جار على طريقة الرموز ولا يصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي ان يلتفت اليه * وقوله تعالى الا في كتاب مبين قيل يعني كتابا على الحقيقة ووجه الفائدة فيه امتحان ما يكتبه الحفظة وذلك انه روي ان الحفظة يرفعون ما كتبوه ويعارضونه بهذا الكتاب المشار اليه ليتحققوا صحة ما كتبوه وقيل المراد بقوله الا في كتاب علم الله عز وجل المحيط بكل شيء . قال الفخر وهذا هو الاصوب ويجوز ان يقال ذكر تعالى ما ذكر من الورقة والحبة تنبيها للمكلفين على امر

الحساب انتهى قال مكي قال عبد الله بن الحارث ما فى الارض شجر ولا مغرز ابرة الا عليها ملك موكل ياتى الله بعلمها بيبسها اذا يبست ورطوبتها اذا رطبت وقيل المعنى فى كتبها انه لتعظيم الامر ومعناه اعلموا ان هذا الذى ليس فيه ثواب ولا عقاب مكتوب فكيف ما فيه ثواب او عقاب انتهى من الهداية

* وقوله سبحانه وهو الذى يتوفاكم بالليل يعنى به النوم ويعلم ما جرحتم اي ما كسبتم بالنهار ويحتمل ان يكون جرحتم هنا من الجرح كأن الذنب جرح فى الدين والعرب تقول جرح اللسان كجرح اليد ويبعثكم يريد به الايقاظ والضمير فى فيه عائد على النهار قاله مجاهد وغيره ويحتمل ان يعود الضمير على التوفى اي يوقظكم فى التوفى اي فى خلاله وتضاعيفه قاله عبد الله بن كثير وليقضى اجل مسمى المراد به اجال بنى ادم ثم اليه مرجعكم يريد بالبعث والنشور ثم ينبئكم اي يعلمكم اعلام توقيف ومحاسبة ففى هذه الآية ايضاح الآيات المنصوبة للنظر وفيها ضرب مثال للبعث من القبور لان هذا ايضا اماتة وبعث على نحو ما * وقوله سبحانه وهو القاهر فوق عباده القاهر ان اخذ صفة فعل اي مظهر القهر بالصواعق والرياح والعذاب فيصح ان تجعل فوق ظرفية للجهة لان هذه الاشياء انما تعاهدها العباد من فوقهم وان اخذ القاهر صفة ذات بمعنى القدرة والاستيلاء ففوق لا يجوز ان تكون للجهة وانما هي لعلو القدر والشان على حد ما تقول الياقوت فوق الحديد والاحرار فوق العبيد ويرسل عليكم معناه يبثهم فيكم وحفظة جمع حافظ والمراد بذلك الملائكة الموكلون بكتب الاعمال وروي انهم الملائكة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار وقاله السدي وقتادة وقال بعض المفسرين حفظة يحفظون الانسان من كل شيء حتى ياتي اجله والاول اظهر وقرأ حمزة وحده توفاه

* وقوله تعالى رسلنا يريد به على ما ذكر ابن عباس وجميع اهل التاويل ملائكة مقترنين بملك الموت يعاونونه ويأتمرون له ثم ردوا اي العباد الى الله مولاهم وقوله الحق نعت لمولاهم ومعناه الذى ليس بباطل ولا مجاز الا له الحكم كلام مضمنه التنبيه وهز النفوس وهو اسرع الحاسبين قيل لعلي رضي الله عنه كيف يحاسب الله العباد فى يوم واحد قال كما يرزقهم فى الدنيا فى يوم واحد * وقوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية الآية هذا تماد فى توبيخ العادلين بالله الاوثان وتركهم عبادة الرحمن الذى ينجي من الهلكات ويُلجأ اليه فى الشدائد ودفع الملمات وظلمات البر والبحر يريد بها شدائدهما فهو لفظ عام يستغرق ما كان من الشدائد بظلمة حقيقية وما كان بغير ظلمة والعرب تقول عام اسود ويوم مظلم ويوم ذو كواكب يريدون به الشدة قال قتادة وغيره المعنى من كرب البر والبحر وتدعونه فى موضع الحال والتضرعُ صفة بادية على الانسان وخفية معناه الاختفاء وقرأ عاصم فى رواية ابى بكر وخِفية بكسر الخاء وقرأ الاعمش وخيفَة من الخوف * وقوله سبحانه قل الله ينجيكم منها الآية سبق فى المجادلة الى الجواب اذ لا محيد عنه ومن كل كرب لفظ عام ايضا ليتضح العموم الذى فى الظلمات ثم انتم اي ثم بعد معرفتكم بهذا كله وتحققكم له انتم تشركون * وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم الآية هذا اخبار يتضمن الوعيد والاظهر من نسق الآيات ان هذا الخطاب للكفار الذين تقدم ذكرهم وهو مذهب الطبري وقال ابي بن كعب وجماعة هو للمومنين وهم المراد وهذا الاختلاف انما هو بحسب ما يظهر من ان الآية تتناول معانيها المشركين والمومنين وفى البخاري وغيره من حديث جابر وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية قل

هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال اعوذ بوجهك فلما نزلت او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك فلما نزلت او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذه اهون او ايسر فاحتج بهذا الحديث من قال انها نزلت فى المومنين قال الطبري وغيره ممتنع ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ لامته من هذه الاشياء التى توعد بها الكفار وهوّن الثالثة لانها بالمعنى هي التى دعا فيها فمنع حسب حديث الموطإ وغيره ومن فوقكم او من تحت ارجلكم لفظ عام للمنطبقين على الانسان وقال السدي عن ابى مالك من فوقكم الرجم او من تحت ارجلكم الخسف وقاله سعيد بن جبير ومجاهد * وقوله سبحانه او يلبسكم شيعا معناه يخلطكم فرقا والبأس القتل وما اشبهه من المكاره وفى قوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات استرجاع لهم وان كان لفظها لفظ تعجب للنبي صلى الله عليه وسلم فمضمنها ان هذه الآيات والدلائل انما هي لاستصرافهم عن طريق غيهم والفقه الفهم * وقوله تعالى وكذب به قومك وهو الحق الضمير فى به عائد على القرءان الذى فيه جاء تصريف الآيات قاله السدي وهذا هو الظاهر ويحتمل ان يعود الضمير على الوعيد الذى تضمنته الآية ونحا اليه الطبري وقوله قل لست عليكم بوكيل معناه لست بمدفوع الى اخذكم بالايمان والهدى وهذا كان قبل نزول ءايات الجهاد والامر بالقتال ثم نسخ * وقوله سبحانه لكل نبإ مستقر اي غاية يعرف عندها صدقه من كذبه وسوف تعلمون تهديد محض ووعيد * وقوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون فى ءاياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنون داخلون فى الخطاب معه هذا هو الصحيح لان علة النهي وهي سماع الخوض فى ءايات الله تشملهم واياه فامر النبي صلى الله عليه وسلم هو

والمومنون ان ينابذوا الكفار بالقيام عنهم اذا استهزءوا وخاضوا ليتأدبوا بذلك ويدَعوا الخوض والاستهزاء قلت ويدل على دخول المومنين مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ءايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انتهى والخوض اصله في الماء ثم يستعمل بعد في غمرات الاشياء التي هي مجاهل تشبيها بغمرات الماء * واما ينسينك اما شرط وتلزمها النون الثقيلة في الاغلب وقرأ ابن عامر وحده ينسينك بتشديد السين وفتح النون والمعنى واحد الا ان التشديد اكثر مبالغة والذكرى والذكر واحد في المعنى ووصْفهم بالظالمين متمكن لانهم وضعوا الشيء في غير موضعه واعرض في هذه الآية بمعنى المفارقة على حقيقة الاعراض واكمل وجوهه ويدل على ذلك فلا تقعد * وقوله سبحانه وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء روي انه لما نزلت فلا تقعدوا معهم قال المومنون اذا كنا لا نقرب المشركين ولا نسمع اقوالهم فلا يمكننا طواف ولا قضاء عبادة في الحرم فنزلت لذلك وما على الذين يتقون الآية قال * ع * فالاباحة في هذا هي في القدر الذي يحتاج اليه من التصرف بين المشركين في عبادة ونحوها وقيل ان هذه الآية الاخيرة ليست اباحة بوجه وانما معناها لا تقعدوا معهم ولا تقربوهم حتى تسمعوا استهزاءهم وخوضهم وليس نهيكم عن القعود لان عليكم شيئا من حسابهم وانما هو ذكرى لكم ويحتمل المعنى ولكن ذكرى لعلهم اذا جانبتموهم يتقون بالامساك عن الاستهزاء ويحتمل المعنى ولكن ذكروهم ذكرى وينبغي للمومن ان يمتثل حكم هذه الآية مع الملحدين واهل الجدل والخوض فيه وحكى الطبري عن ابي جعفر انه قال لا تجالسوا اهل الخصومات فانهم الذين يخوضون في ءايات الله وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انا زعيم ببيت في ربَض

الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا وببيت فى اعلى الجنة لمن حسّن خُلقه خرجه ابو داود انتهى من الكوكب الدري وقد ذكرنا هذا الحديث من غير طريق ابى داود بلفظ اوضح من هذا * وقوله سبحانه وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا هذا امر بالمتاركة وكان ذلك بحسب قلة المسلمين يومئذ قال قتادة ثم نسخ ذلك وما جرى مجراه بالقتال وقال مجاهد الآية انما هي للتهديد والوعيد فهي كقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا وليس فيها نسخ لانها متضمنة خبرا وهو التهديد وغرتهم الحياة الدنيا اي خدعتهم من الغرور وهو الاطماع بما لا يتحصل فاغتروا بنعم الله وامهاله وطمعهم ذلك فيما لم يتحصل من رحمته واعلم ان اعقل العقلاء مومن مقبل على اخرته قد جعل الموت نصب عينيه ولم يغتر بزخارف الدنيا كما اغتر بها الحمقى بل جعل همه واحدا هم المعاد وما هو صائر اليه وقد روى البزار فى مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جعل الهموم هما واحدا هَمّ المعاد كفاه الله هم الدنيا ومن تشعبت به الهموم هموم الدنيا لم يبال الله تعالى فى اي اوديتها هلك انتهى من الكوكب الدري * وقوله سبحانه وذكر به اي بالقران وقيل الضمير فى به عائد على الدين وان تبسل فى موضع المفعول له اي ليلا تبسل ومعناه تسْلَم قاله الحسن وعكرمة وقال قتادة تحبس وترهن وقال ابن عباس تفضح وقال ابن زيد تجزى وهذه كلها متقاربة المعنى ومنه قول الشَّنْفَرَى

هنالك لا ارجو حياة تسرني * سمير الليالى مبسلا بالجرائر

وباقى الآية بين وان تعدل كل عدل اي وان تعط كل فدية وان عظمت فتجعلها عدلا لها لا يقبل منها وقال ابو عبيدة وان تعدل هو من العدل المضاد للجور ورده

الطبري بالاجماع على ان توبة الكافر مقبولة قال * ع * ولا يلزم هذا الرد لان الامر انما هو يوم القيامة ولا تقبل فيه توبة ولا عمل قلت واجلى من هذا ان يحمل كلام ابى عبيدة على معنى انه لا يقبل منها عدلها لاختلال شرطه وهو الايمان وابسلوا معناه أُسلِموا بما اجترحوه من الكفر والحميم الماء الحار ومنه الحمّام والحَمّة * وقوله سبحانه قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا المعنى قل فى احتجاجك انطيع رأيكم فى ان ندعو من دون الله والدعاء يعم العبادة وغيرها لان من جعل شيئا موضع دعائه فاياه يعبد وعليه يتوكل وما لا ينفعنا ولا يضرنا يعنى الاصنام ونرد على اعقابنا تشبيه بمشي القهقرى وهي المشية الدنية فاستعمل المثل بها فيمن رجع من خير الى شر * وقوله سبحانه كالذى استهوته الشياطين فى الكلام حذف تقديره رداكرد الذى واستهوته بمعنى استدعت هواه واما لته وهدانا بمعنى ارشدنا فسياق هذا المثل كانه قال ايصلح ان نكون بعد الهدى نعبد الاصنام فيكون ذلك منا ارتدادا على العقب فنكون كرجل على طريق واضح فاستهوته عنه الشياطين فخرج عنه الى دعوتهم فبقي حائرا وقوله له اصحاب يريد له اصحاب على الطريق الذى خرج منه فيشبه بالاصحاب على هذا المومنون الذين يدعون من ارتد الى الرجوع الى الهدى وهذا تاويل مجاهد وابن عباس وايتنا من الاتيان بمعنى المجيء وقول من قال ان المراد بالذى فى هذه الآية عبد الرحمن بن ابى بكر وبالاصحاب ابواه قول ضعيف يرده قول عائشة فى الصحيح ما نزل فينا من القرءان شيء الا براءتى قلت تريد وقصة الغار اذ يقول لصاحبه وقوله ولا ياتل اولوا الفضل منكم اذ نزلت فى شان ابى بكر وشان مسطح قال * ع * حدثنى ابى رضي الله عنه قال سمعت الفقيه الامام ابا عبد الله المعروف بالنحوي المجاور بمكة يقول من نازع احدا من الملحدين فانما ينبغى

ان يرد عليه بالقرءان والحديث فيكون كمن يدعو الى الهدى بقوله ايتنا ومن ينازعهم بالجدل ويحلق عليهم به فكانه بعد من الطريق الواضح اكثر ليرد هذا الزائغ فهو يخاف عليه ان يضل قال * ع * وهذا انتزاع حسن جدا وباقي الآية بين * وقوله سبحانه وهو الذى خلق السموات والارض بالحق اي لم يخلقها باطلا لغير معنى بل لمعان مفيدة وحقائق بينة * وقوله سبحانه ويوم يقول يوم نصب على الظرف وتقدير الكلام واذكر الخلق والاعادة يوم وتحتمل الآية مع هذا ان يكون معناها واذكر الاعادة يوم يقول الله للاجساد كونى معادة * وقوله تعالى يوم ينفخ فى الصور الجمهور ان الصور هو القرن الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم انه ينفخ فيه للصعق ثم للبعث وباقى الآية بين * وقوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه ءازر اتتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك فى ضلال مبين قال الطبري نبه الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم على الاقتداء بابراهيم فى محاجته قومه اذ كانوا اهل اصنام وكان قوم النبي صلى الله عليه وسلم اهل اصنام وقوله اصناما آلهة مفعولان وذكر ان ءازر ابا ابراهيم عليه السلام كان نجارا محسنا ومهندسا وكان نمرود يتعلق بالهندسة والنجوم فحظي عنده ءازر لذلك وكان على خطة عمل الاصنام تعمل بامره وتدبيره ويطبع هو فى الصنم بختم معلوم عنده وحينئذ يعبد ذلك الصنم فلما نشأ ابراهيم ابنه على الصفة التى تاتي بعد كان ابوه يكلفه ببيعها فكان ابراهيم ينادى عليها من يشترى ما يضره ولا ينفعه ويستخف بها ويجعلها فى الماء منكوسة ويقول لها اشربى فلما اشتهر امره بذلك واخذ فى الدعاء الى الله عزوجل قال لابيه هذه المقالة واراك فى هذا الموضع يشترك فيها القلب والبصر ومبين بمعنى ظاهر واضح * وقوله سبحانه وكذلك نرى ابراهيم

ملكوت السموات والارض الآية المتقدمة تقضي بهداية ابراهيم عليه السلام والاشارة هنا بذلك هي الى تلك الهداية اي وكما هديناه الى الدعاء الى الله وانكار الكفر اريناه ملكوت ونرى لفظها الاستقبال ومعناها المضي وهذه الرؤية قيل هي رؤية البصر وروي في ذلك ان الله عزوجل فرج لابراهيم عليه السلام السموات والارض حتى رأى ببصره الملكوت الاعلى والملكوت الاسفل وهذا هو قول مجاهد قال تفرجت له السموات والارضون فرأى مكانه في الجنة وبه قال سعيد بن جبير وسلمان الفارسي وقيل هي رؤية بصر في ظاهر الملكوت وقع له معها من الاعتبار ورؤية القلب ما لم يقع لاحد من اهل زمنه الذين بعث اليهم قاله ابن عباس وغيره وقيل هي رؤية قلب رأى بها ملكوت السموات والارض بفكرته ونظره وملكوت بناء مبالغة وهو بمعنى الملك والعرب تقول لفلان ملكوت اليمن اي ملكه واللام في ليكون متعلقة بفعل مؤخر تقديره وليكون من الموقنين اريناه والموقن العالم بالشيء علما لا يمكن ان يطرأ له فيه شك وروي عن ابن عباس في تفسير وليكون من الموقنين قال جلى له الامور سرها وعلانيتها فلم يخف عليه شيء من اعمال الخلائق فلما جعل يلعن اصحاب الذنوب قال الله له انك لا تستطيع هذا فرده لا يرى اعمالهم * وقوله سبحانه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي الآية جن الليل ستر وغطى بظلامه ذهب ابن عباس وناس كثيرون الى ان هذه القصة وقعت في حال صباه وقبل البلوغ والتكليف ويحتمل ان تكون وقعت له بعد بلوغه وكونه مكلفا وحكى الطبري هذا عن فرقة وقالت انه استفهم قومه على جهة التوقيف والتوبيخ اي هذا ربي وحكي ان النمرود جبار ذلك الزمان رأى له منجموه ان مولودا يولد في سنة كذا في عمله يكون خراب الملك على يديه فجعل يتتبع الحبالى

ويوكل بهن حراسا فمن وضعت انثى تركت ومن وضعت ذكرا حمل الى الملك فذبحه وان ام ابراهيم حملت وكانت شابة قوية فسترت حملها فلما قربت ولادتها بعثت ابا ابراهيم الى سفر وتحيلت لمضيه اليه ثم خرجت هي الى غار فولدت فيه ابراهيم وتركته فى الغار وكانت تتفقده فوجدته يتغذى بان يمص اصابعه فيخرج له منها عسل وسمن ونحو هذا وحكي بل كان يغذيه ملك وحكي بل كانت امه تاتيه بالبان النساء التى ذبح ابناؤهن والله اعلم اي ذلك كان فشب ابراهيم اضعاف ما يشب غيره والملِك فى خلال ذلك يحس بولادته ويشدد فى طلبه فمكث فى الغار عشرة اعوام وقيل خمس عشرة سنة وانه نظر اول ما عقل من الغار فرأى الكواكب وجرت قصة الآية والله اعلم فان قلنا بانه وقعت له القصة فى الغار فى حال الصبوة وعدم التكليف على ما ذهب اليه بعض المفسرين ويحتمله اللفظ فذلك ينقسم علىَ وجهين اما ان يجعل قوله هذا ربى تصميما واعتقادا وهذا باطل لان التصميم على الكفر لم يقع من الانبياء صلوات الله عليهم واما ان نجعله تعريضا للنظر والاستدلال كانه قال اهذا المنير البهي ربى ان عضّدت ذلك الدلائل وان قلنا ان القصة وقعت له فى حال كبره وهو مكلف فلا يجوز ان يقول هذا مصمما ولا معرضا للنظر لانها رتبة جهل او شك وهو عليه السلام منزه معصوم من ذلك كله فلم يبق الا ان يقولها على جهة التقرير لقومه والتوبيخ لهم واقامة الحجة عليهم فى عبادة الاصنام كانه قال اهذا المنير ربى وهو يريد على زعمكم كما قال تعالى اين شركاءى اي على زعمكم ثم عرض ابراهيم عليهم من حركة الكوكب وافوله أمارة الحدوث وانه لا يصلح ان يكون ربا ثم فى ءاخر اعظم منه واحرى كذلك ثم فى الشمس كذلك فكانه يقول فاذا بان فى هذه المنيرات الرفيعة انها لا تصلح للربوبية فاصنامكم

التـى هي خشب وحجارة احـرى ان يبيـن ذلـك فيها و يـعـضد عندى هذا التاويلَ قولُه انى بـريء مما تشركـون قلت والى ترجيح هذا اشار عياض فى الشفا قـال وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسريـن الى ان ابراهيم انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستـدلا عليهم قـال * ع * ومثّل لهم بـهذه الامـور لانهم كانوا اصحاب علم نجوم ونظر فى الافـلاك وهذا الامر كلـه انما وقع فى ليلة واحدة رأى الكوكب وهو الزهرة فى قول قتادة وقـال السدي هو المشترى جانحا الى الغروب فلما افل بزغ القمر وهو اول طلوعـه فسرى الليل اجمع فلما بزغت الشمس زال ضوء القمر قبلها لا نـتشـار الصباح وخفي نـوره ودنـا ايـضا من مغربـه فسمى ذلـك افولا لقربه من الافول التام على تجـوز فى التّسمية وهذا الترتيب يستقيم فى الليلة الخامسة عشر من الشهـر الى ليلة عشريـن وليس يترتب فى ليلة واحدة كما اجمع اهـل التـفسيـر الا فى هذه الليالى وبذلـك يصح التّجـوز فى افول القمر وافل فى كـلام العرب معناه غاب وقيل معناه ذهب وهذا خـلاف فى العبارة فـقـط والبزوغ فى هذه الانوار اول الطلوع وما فى كـون هذا الترتيب فى ليلة من التّجوز فى افول القمـر لان افوله لو قدرنـاه مغيبه لكان ذلـك بعد بـزوغ الشمس وجميع ما قلناه يعطيـه الاعتبـار ويهدنى يرشدنى وهذا اللفظ يـؤيـد قـول من قـال ان القصة فى حال الصغر والقوم الضالون هنا عبدة المخلوقات كالاصنام وغيرها ولما افلت الشمس لم يبـق شيء يمثل لهم به فظهرت حجتـه وقوي بذلـك على منابذتهم والتبرى من اشراكهم وقـولـه انى بـرىء مما تشركـو ن يـؤيد قـول من قـال ان القصة فى حال الكبـر والتكليف ووجهت وجـهـي اي اقبلت بقصدى وعبادتى وتوحيدى وايمانى للذى فطر السموات والارض اي اخترعها وحنيفا اي مستقيما والحنف الميـل فكانـه مـال عن كل جهـة الى القِـوام * وقـولـه تعالى وحاجه قومـه قال

انحاجونى فى الله اي أتراجعونى فى الحجة فى توحيد الله وقد هدان اي قد ارشدنى الى معرفته وتوحيده ولا اخاف ما تشركون به الضمير فى به يعود على الله والمعنى ولا اخاف الاصنام التى تشركونها بالله فى الربوبية ويحتمل ان يعود على ما والتقدير ما تشركون بسببه وقوله الا ان يشاء ربى شيئا استثناء ليس من الاول وشيئا منصوب بيشاء ولما كانت قوة الكلام انه لا يخاف ضررا استثنى مشيئة ربه تعالى فى ان يريده بضر وعلما نصب على التمييز وهو مصدر بمعنى الفاعل كما تقول العرب تصبب زيد عرقا المعنى تصبب عرق زيد فكذلك المعنى هنا وسع علم ربى كل شيء افلا تتذكرون توقيف وتنبيه واظهار لموضع التقصير منهم وقوله وكيف اخاف ما اشركتم الآية الى تعلمون هي كلها من قول ابراهيم عليه السلام لقومه وهي حجته القاطعة لهم والمعنى وكيف اخاف اصناما لا خطب لها اذ نبذتها ولا تخافون انتم الله عزوجل وقد اشركتم به فى الربوبية ما لم ينزل به عليكم سلطانا والسلطان الحجة ثم استفهم على جهة التقرير فاي الفريقين منى ومنكم احق بالامن قال ابو حيان وكيف استفهام معناه التعجب والانكار انتهى * وقوله سبحانه الذين ءامنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الآية قال ابن اسحاق وابن زيد وغيرهما هذا قول من الله عزوجل ابتداء حكم فصل عام لوقت محاجة ابراهيم وغيره ولكل مومن تقدم او تأخر قال * ع * هذا هو البين الفصيح الذى يرتبط به معنى الآية ويحسن رصفها وهو خبر من الله عز وجل ويلبسوا معناه يخلطوا والظلم فى هذا الموضع الشرك تظاهرت بذلك الاحاديث الصحيحة وفى قراءة مجاهد ولم يلبسوا ايمانهم بشرك وهم مهتدون اي راشدون * وقوله تعالى وتلك حجتنا ءاتيناها ابراهيم على قومه تلك اشارة الى هذه الحجة المتقدمة * وقوله سبحانه نرفع درجات

من نشاء الدرجات اصلها فى الاجسام ثم تستعمل فى المراتب والمنازل المعنوية
* وقوله سبحانه ووهبنا له اسحاق ويعقوب الآية ووهبنا عطف على ءاتينا
واسحاق ابنه من سارة ويعقوب هو ابن اسحاق وقوله ومن ذريته المعنى
وهدينا من ذريته والضمير فى ذريته قال الزجاج جائز ان يعود على ابراهيم
ويعترض هذا بذكر لوط عليه السلام اذ ليس هو من ذرية ابراهيم بل هو ابن اخيه
وقيل ابن اخته ويتخرج ذلك عند من يرى الخال ابا وقيل يعود الضمير على
نوح وهذا هو الجيد ونصب داود يحتمل ان يكون بوهبنا ويحتمل ان يكون
بهدينا وكذلك نجزى المحسنين وعد من الله عز وجل لمن احسن فى عبادته
وترغيب فى الاحسان وفى هذه الآية ان عيسى عليه السلام من ذرية نوح او ابراهيم
بحسب الاختلاف فى عود الضمير من ذريته وهو ابن ابنة وبهذا يستدل فى
الاحباس على ان ولد البنت من الذرية ويونس هو ابن متى وكلا فضلنا على
العالمين معناه عالمى زمانهم * وقوله سبحانه ومن آبائهم وذرياتهم المعنى وهدينا
من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات فمن للتبعيض والمراد من آمن منهم نبيئا
كان او غير نبيء واجتبيناهم اي تخيرناهم وهديناهم اي ارشدناهم الى الايمان
والفوز برضى الله عزوجل والذرية الابناء ويطلق على جميع البشر ذرية لانهم
ابناء * وقوله تعالى ذلك هدى الله الآية ذلك اشارة الى النعمة فى قوله
واجتبيناهم واولائك اشارة الى من تقدم ذكره والكتاب يراد به الصحف
والتوراة والانجيل والزبور * وقوله سبحانه فان يكفر بها هؤلاء اشارة الى كفار
قريش والى كل كافر فى ذلك العصر قاله ابن عباس وغيره وقوله فقد وكلنا
بها قوما ليسوا بها بكافرين هم مومنو اهل المدينة قاله ابن عباس وغيره والآية على
هذا التاويل وان كان القصد بنزولها هذين الصنفين فهي تعم الكفرة والمومنين

الى يوم القيامة وقال الحسن وغيره المراد بالقوم من تقدم ذكره من الانبياء والمومنين وقال ابو رجاء المراد الملائكة قلت ويحتمل ان يكون المراد الجميع

* وقوله سبحانه اولائك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الظاهر فى الاشارة باولائك الى المذكورين قبل من الانبياء ومن معهم من المومنين المهديين ومعنى الاقتداء اتباع الاثر فى القول والفعل والسيرة وانما يصح اقتداؤه صلى الله عليه وسلم بجميعهم فى العقود والايمان والتوحيد الذى ليس بينهم فيه اختلاف واما اعمال الشرائع فمختلفة وقد قال عزوجل لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم هو وغيره مخاطب بشرع من قبله فى العقود والايمان والتوحيد لانا نجد شرعنا ينبئ ان الكفار الذين كانوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم كابويه وغيرهما فى النار ولا يدخل الله تعالى احدا النار الا بترك ما كلف وذلك فى قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وغير ذلك وقاعدة المتكلمين ان العقل لا يوجب ولا يكلف وانما يوجب الشرع فالوجه فى هذا ان يقال ان ءادم عليه السلام فمن بعده دعا الى توحيد الله عزوجل دعاء عاما واستمر ذلك على العالم فواجب على الآدمي ان يبحث عن الشرع الآمر بتوحيد الله تعالى وينظر فى الادلة المنصوبة على ذلك بحسب ايجاب الشرع النظر فيها ويومن ولا يعبد غير الله فمن فرضناه لم يجد سبيلا الى العلم بشرع آمر بتوحيد الله وهو مع ذلك لم يكفر ولا عبد صنما بل تخلى فاولائك اهل الفترات الذين اطلق عليهم اهل العلم انهم فى الجنة وهم بمنزلة الاطفال والمجانين ومن قصر فى النظر والبحث فعبد صنما او غيره وكفر فهو تارك للواجب عليه مستوجب للعقاب بالنار فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ومن كان معه من الناس وقبله مخاطبون على السنة الانبياء قبل بالتوحيد وغير مخاطبين بفروع شرائعهم اذ

هي مختلفة واذ لم يدعهم اليها نبي. قال الفخر واحتج العلماء بهذه الآية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبياء عليهم السلام وتقريره انا بينا ان خصال الكمال وصفات الشرف كانت مفرقة فيهم ثم انه تعالى لما ذكر الكل امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجمع من خصال الطاعة والعبودية والاخلاق الحميدة كل الصفات التى كانت مفرقة فيهم باجمعهم ولما امره الله تعالى بذلك امتنع ان يقال انه قصر فى تحصيلها فثبت انه حصلها ومتى كان الامر كذلك ثبت انه اجتمع فيه من خصال الخير ما كان فيهم مفرقا باسرهم ومتى كان الامر كذلك وجب ان يقال انه افضلهم بكليتهم والله اعلم انتهى وقرأ حمزة والكساءي فبهداهم اقتد بحذف الهاء فى الوصل واثباتها فى الوقف وهذا هو القياس شبيهة بالف الوصل فى انها تقطع فى الابتداء وتسقط فى الوصل * وقوله سبحانه قل لا اسألكم عليه اجرا اي قل لهؤلاء الكفرة المعاندين لا اسألكم على دعاءى اياكم بالقرآن الى عبادة الله تعالى اجرة ان هو الا موعظة وذكرى ودعاء لجميع العالمين * وقوله سبحانه وما قدروا الله حق قدره الآية قال ابن عباس هذه الآية نزلت فى بنى اسراءيل قال النقاش وهي. اية مدنية وقيل المراد رجل مخصوص منهم يقال له مالك بن الضيف قاله ابن جبير وقيل فنحاص قاله السدي وقدَرُوا هو من توفية القدر والمنزلة وتعليله بقولهم ما انزل الله يقضى بانهم جهلوا ولم يعرفوا الله حق معرفته اذ احالوا عليه بعثة الرسل قال الفخر قال ابن عباس ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموا الله حق تعظيمه وقال الاخفش ما عرفوه حق معرفته وقال ابو العالية ما وصفوه حق قدرته وعظمته وهذه المعانى كلها صحيحة انتهى وروي ان مالك بن الضيف كان سمينا فجاء يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم بزعمه فقال له رسول الله صلى الله عليه

وسلم انشدك الله الست تقرأ فيما انزل على موسى ان الله يبغض الحبر السمين فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شيء قال الفخر وهذه الآية تدل على ان النكرة فى سياق النفي تعم ولو لم تفد العموم لما كان قوله تعالى قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا ابطالا لقولهم ونقضا عليهم انتهى * وقوله تعالى قل من انزل الكتاب يعنى التوراة وقراطيس جمع قرطاس اي بطائق واوراقا وتوبيخهم بالابداء والاخفاء هو على اخفائهم امر محمد صلى الله عليه وسلم وجميع ما عليهم فيه حجة * وقوله سبحانه وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا ءاباؤكم يحتمل وجهين احدهما ان يقصد به الامتنان عليهم وعلى ءابائهم والوجه الثانى ان يكون المقصود ذمهم اي وعلمتم انتم وءاباؤكم ما لم تعلموه فما انتفعتم به لاعراضكم وضلالكم ثم امره سبحانه بالمبادرة الى موضع الحجة اي قل الله هو الذى انزل الكتاب على موسى ثم امره سبحانه بترك من كفر واعرض وهذه ءاية منسوخة بءاية القتال ان تؤولت موادعة ويحتمل ان لا يدخلها نسخ اذا جعلت تتضمن تهديدا ووعيدا مجردا من موادعة * وقوله سبحانه وهذا كتاب انزلناه مبارك هذا اشارة الى القرءان وقوله مصدق الذى بين يديه يعنى التوراة والانجيل لان ما تقدم فهو بين يدي ما تأخر وام القرى مكة ثم ابتدأ تبارك وتعالى بمدح قوم وصفهم واخبر عنهم انهم يومنون بالآخرة والبعث والنشور ويومنون بالقرءان ويصدقون بحقيقته ثم قوى عز وجل مدحهم بانهم يحافظون على صلاتهم التى هي قاعدة العبادات وام الطاعات واذا انضافت الصلاة الى ضمير لم تكتب الا بالالف ولا تكتب فى المصحف بواو الا اذا لم تضف الى ضمير وقد جاءت ءاثار صحيحة فى ثواب من حافظ على صلاته وفى فضل المشي اليها ففى سنن ابى داود عن بريدة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال بشر المشاءين فى الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة وروى ابو داود ايضا بسنده عن سعيد بن المسيب قال حضر رجلا من الانصار الموتُ فقال انى محدثكم حديثا ما احدثكموه الا احتسابا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا توضأ احدكم فاحسن الوضوء ثم خرج الى الصلاة لم يرفع قدمه اليمنى الا كتب الله له حسنة ولم يضع قدمه اليسرى الا حط الله عنه سيئة فليقرب او ليبعد فان اتى المسجد فصلى فى جماعة غفر له فان اتى المسجد وقد صلوا بعضا وبقي بعض صلى ما ادرك واتم ما بقي كان كذلك فان اتى المسجد وقد صلوا فاتم الصلاة كان كذلك واخرج ابو داود عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فاحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا اعطاه الله عز وجل مثل اجر من صلاها او حضرها لا ينقص ذلك من اجورهم انتهى * وقوله سبحانه ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله هذه الفاظ عامة فكل من واقع شيئا مما يدخل تحت هذه الالفاظ فهو داخل فى الظلم الذى قد عظمه الله تعالى وقال قتادة وغيره المراد بهذه الآيات مسيلمة والاسود الغنسي وقال عكرمة اولها فى مسيلمة والآخر فى عبد الله بن ابى سرح وقيل نزلت فى النضر بن الحارث وبالجملة فالآية تتناول من تعرض شيئا من معانيها الى يوم القيامة كطليحة الاسدي والمختار بن ابى عُبَيْد وسواهما * وقوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت الآية جواب لو محذوف تقديره لرأيت عجبا او هولا ونحو هذا وحذف هذا الجواب ابلغ فى نفس السامع والظالمون لفظ عام فى انواع الظلم الذى هو كفر والغمرات جمع غمرة وهي المصيبة المذهلة وهي مشبهة بغمرة الماء والملائكة يريد ملائكة قبض الروح

وباسطوا ايديهم كناية عن مدها بالمكروه وهذا المكروه هو لا محالة اوائل العذاب واماراته قال ابن عباس يضربون وجوههم وادبارهم وقوله اخرجوا انفسكم حكاية لما تقوله الملائكة والتقدير يقولون لهم اخرجوا انفسكم وذلك على جهة الاهانة وادخال الرعب عليهم ويحتمل اخرجوا انفسكم من هذه المصائب والمحن ان كان ما زعمتموه حقا فى الدنيا وفى ذلك توبيخ وتوقيف على سالف فعلهم القبيح قلت والتاويل الاول هو الصحيح وقد اسند ابو عمر فى التمهيد عن ابن وضاح قال حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة ثم ذكر سنده عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالت اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان قال فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ادخلى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء يعنى السابعة واذا كان الرجل السوء وحضرته الملائكة عند موته قالت اخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشرى بحميم وغساق وءاخر من شكله ازواج فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج وذكر الحديث انتهى والهون الهوان * وقوله تعالى بما كنتم تقولون على الله غير الحق الآية لفظ عام لانواع الكفر ولكنه يظهر منه الانحاء على من قرب ذكره * وقوله سبحانه ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة الآية هذه حكاية عما يقال لهم بعد قبض ارواحهم واعلم ايها الاخ ان هذه الآية الكريمة ونحوها من الآي وان كان مساقها فى الكفار فللمومن الموقن فيها معتبر ومزدجر وقد قيل ان

القبر بحر الندامات وقد روى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت الا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم الا يكون نزع انتهى وكما خلقناكم اول مرة تشبيها بالانفراد الاول فى وقت الخلقة وخولناكم معناه اعطيناكم ووراء ظهوركم اشارة الى الدنيا لانهم يتركون ذلك موجودا * وقوله سبحانه وما نرى معكم شفعاءكم توقيف على الخطإ فى عبادة الاصنام واعتقادهم انها تشفع وتقرب الى الله زلفى قال ابو حيان وما نرى لفظه لفظ المستقبل وهو حكاية حال انتهى وقرأ نافع والكساءي بينكم بالنصب على انه ظرف والتقدير لقد تقطع الاتصال والارتباط بينكم ونحو هذا وهذا وجه واضح وعليه فسره الناس مجاهد وغيره وقرأ باقى السبعة بينكم بالرفع وقرأ ابن مسعود وغيره لقد تقطع ما بينكم وصل معناه تلف وذهب وما كنتم تزعمون يريد دعواهم انها تشفع وانها تشارك الله فى الالوهية تعالى الله عن قولهم * وقوله سبحانه ان الله فالق الحب والنوى هذا ابتداء تنبيه على العبرة والنظر ويتصل المعنى بما قبله لان المقصد ان الله فالق الحب والنوى لا هذه الاصنام قال قتادة وغيره هذه اشارة الى فعل الله سبحانه فى ان يشق جميع الحب عن جميع النبات الذى يكون منه ويشق النوى عن جميع الاشجار الكائنة منه * وقوله يخرج الحي من الميت الآية قال ابن عباس وغيره الاشارة الى اخراج الانسان الحي من النطفة الميتة واخراج النطفة الميتة من الانسان الحي وكذلك سائر الحيوان من الطير وغيره وهذا القول ارجح ما قيل هنا * وقوله سبحانه ذلكم الله ابتداء وخبر متضمن التنبيه فانى توفكون اي تصرفون وتصدون وفالق الاصباح اي شاقه ومظهره والفالق الصبح

وحسبانا جمع حساب اي يجريان بحساب هذا قول ابن عباس وغيره وقال مجاهد فى صحيح البخاري المراد بحسبان كحسبان الرحى وهو الدولاب والعود الذى عليه دورانه * وقوله سبحانه وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر الآية هذه المخاطبة تعم المومنين والكافرين والحجة بها على الكافرين قائمة والعبرة بها للمومنين متمكنة * وقوله سبحانه وهو الذى انشأكم من نفس واحدة يريد ءادم عليه السلام فمستقر ومستودع اختلف المتأولون فى معنى هذا الاستقرار والاستيداع فقال الجمهور مستقر فى الرحم ومستودع فى ظهور الآباء حتى يقضي الله بخروجهم قال ابن عون مشيت الى منزل ابراهيم النخعي وهو مريض فقالوا قد توفي فاخبرنى بعضهم ان عبد الرحمن ابن الاسود سأله عن مستقر ومستودع فقال مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب وقال ابن عباس المستقر الارض والمستودع عند الرحمن وقال ابن جبير المستودع فى الصلب والمستقر فى الآخرة قال الفخر والمنقول عن ابن عباس فى اكثر الروايات ان المستقر هو الارحام والمستودع الاصلاب ثم قرأ ونقر فى الارحام ما نشاء ومما يدل على قوة هذا القول ان النطفة لا تبقى فى صلب الاب زمانا طويلا والجنين فى رحم الام يبقى زمانا طويلا ولما كان المكث فى الرحم اكثر مما فى صلب الاب كان حمل الاستقرار على المكث فى الرحم اولى انتهى قال * ع * والذى يقتضيه النظر ان ابن ءادم هو مستودع فى ظهر ابيه وليس بمستقر فيه استقرارا مطلقا لانه ينتقل لا محالة ثم ينتقل الى الرحم ثم ينتقل الى الدنيا ثم ينتقل الى القبر ثم ينتقل الى المحشر ثم ينتقل الى الجنة او النار فيستقر فى احدهما استقرارا مطلقا وليس فيها مستودع لانه لا نقلة له بعد وهو فى كل رتبة متوسطة بين هذين الطرفين مستقر بالاضافة الى

التي قبلها ومستودع بالاضافة الى التي بعدها لان لفظ الوديعة يقتضي فيها نقلة ولا بد * وقوله تعالى وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء السماء فى هذا الموضع السحاب وكل ما اظلك فهو سماء وقوله نبات كل شيء قيل معناه مما ينبت وقال الطبري المراد بكل شيء كل ما ينمو من جميع الحيوان والنبات والمعادن وغير ذلك لان ذلك كله يتغذى وينمو بنزول الماء من السماء والضمير فى منه يعود على النبات وفى الثانى يعود على الخضر وخضرا بمعنى اخضر ومنه قوله عليه السلام الدنيا خضرة حلوة بمعنى خضراء وكأن خضرا انما ياتى ابدا لمعنى النضارة وليس للون فيه مدخل واخضر انما تمكنه فى اللون وهو فى النضارة تجوز وحبا متراكبا يعم جميع السنابل وما شاكلها كالصنوبر والرمان وغير ذلك * وقوله ومن النخل تقديره ونخرج من النخل والطلع اول ما يخرج من النخل فى اكمامه وقنوان جمع قنو وهو العذق بكسر العين وهي الكِباسة والعرجون عوده الذى فيه ينتظم التمر ودانية معناه قريبة من التناول قاله ابن عباس وغيره وقرأ الجمهور وجنات بالنصب عطفا على قوله نبات وروي عن عاصم وجنات بالرفع على تقدير ولكم جنات او نحو هذا والزيتون والرمان بالنصب اجماعا عطفا على قوله حبا ومتشابها وغير متشابه قال قتادة معناه يتشابه فى الورق ويتباين فى الثمر وقال الطبري جائز ان يتشابه فى الثمر ويتباين فى الطعم ويحتمل ان يريد يتشابه فى الطعم ويتباين فى المنظر وهذه الاحوال موجودة بالاعتبار فى انواع الثمرات * وقوله سبحانه انظروا هو نظر بصر تتركب عليه فكرة قلب والثمر فى اللغة جنى الشجر وما يطلع وان سمي الشجر ثمارا فبتجوز وقرأ جمهور الناس وينعه بفتح الياء وهو مصدر ينع يينع اذا نضج وبالنضج فسره ابن عباس وقد يستعمل ينع بمعنى استقل واخضر ناضرا

قال الفخر وقدم سبحانه الزرع لانه غذاء والثمار فواكه وانما قدم النخل على الفواكه لان التمر يجرى مجرى الغذاء بالنسبة الى العرب انتهى * وقوله سبحانه وجعلوا لله شركاء الجن جعلوا بمعنى صيروا والجن مفعول وشركاء مفعول ثان قال * ص * وجعلوا لله شركاء الجن جعلوا بمعنى صيروا والجمهور على نصب الجن فقال ابن عطية وغيره هو مفعول اول لجعلوا وشركاء الثانى وجوزوا فيه ان يكون بدلا من شركاء ولله فى موضع المفعول الثانى وشركاء الاول ورده ابو حيان بان البدل حينئذ لا يصح ان يحل محل المبدل منه اذ لو قلت وجعلوا لله الجن لم يصح وشرط البدل ان يكون على نية تكرار العامل على الاشهر او معمولا للعامل فى المبدل منه على قول وهذا لا يصح كما ذكرنا قلت وفيه نظر انتهى قلت وما قاله الشيخ ابو حيان عندى ظاهر وفى نظر الصفاقسي نظر وهذه الآية مشيرة الى العادلين بالله تعالى والقائلين ان الجن تعلم الغيب العابدين للجن وكانت طوائف من العرب تفعل ذلك وتستجير بجن الوادى فى اسفارها ونحو هذا واما الذين خرقوا البنين فاليهود فى ذكر عزير والنصارى فى ذكر المسيح واما ذاكرو البنات فالعرب الذين قالوا الملائكة بنات الله تعالى الله عن قولهم فكأنّ الضمير فى جعلوا وخرقوا لجميع الكفار اذ فعل بعضهم هذا وبعضهم هذا وبنحو هذا فسر السدي وابن زيد وقرأ الجمهور وخلقهم بفتح اللام على معنى وهو خلقهم وفى مصحف ابن مسعود وهو خلقهم والضمير فى خلقهم يحتمل العودة على الجاعلين ويحتملها على المجعولين وقرأ السبعة سوى نافع وخرقوا بتخفيف الراء بمعنى اختلقوا وافتروا وقرأ نافع وخرقوا بتشديد الراء على المبالغة وقوله بغير علم نص على قبح تقحم المجهلة وافتراء الباطل على عمى وسبحانه معناه تنزه عن وصفهم الفاسد المستحيل عليه تبارك وتعالى وبديع بمعنى مبدع وأنّى بمعنى كيف

واين فهي استفهام فى معنى التوقيف والتقرير وهذه الآية رد على الكفار بقياس الغائب على الشاهد * وقوله سبحانه وخلق كل شيء لفظ عام لكل ما يجوز ان يدخل تحته ولايجوز ان تدخل تحته صفات الله تعالى وكلامه فليس هو عموما مخصصا على ما ذهب اليه قوم لان العموم المخصص هوان يتناول العموم شيئا ثم يخرجه التخصيص وهذا لم يتناول قط هذه التى ذكرناها وانما هذا بمنزلة قول الانسان قتلت كل فارس وافحمت كل خصم فلم يدخل القائل قط فى هذا العموم الظاهر من لفظه واما قوله وهو بكل شيء عليم فهو عموم على الاطلاق لانه سبحانه يعلم كل شيء لارب غيره وباقى الآية بين * وقوله سبحانه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار اجمع اهل السنة على ان الله عز وجل يرى يوم القيامة يراه المومنون والوجه ان يبين جواز ذلك عقلا ثم يستند الى ورود السمع بوقوع ذلك الجائز واختصار تبيين ذلك ان يعتبر بعلمنا بالله عز وجل فمن حيث جاز ان نعلمه لا فى مكان ولا متحيزا ولا مقابلا ولم يتعلق علمنا باكثر من الوجود جاز ان نراه غير مقابل ولا محاذى ولا مكيفا ولا محددا وكان الامام ابو عبد الله النحوي يقول مسألة العلم حلقت لحى المعتزلة ثم ورد الشرع بذلك كقوله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وتعدية النظر بالى انما هو فى كلام العرب لمعنى الرؤية لا لمعنى الانتظار على ما ذهب اليه المعتزلة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه وتواتر وكثر نقله انكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ونحوه من الاحاديث الصحيحة على اختلاف الفاظها واستحل المعتزلة الرؤية بآراء مجردة وتمسكوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار وانفصال اهل السنة عن تمسكهم بان الآية مخصوصة فى الدنيا ورؤية الآخرة ثابتة باخبارها وايضا فانا نفرق بين معنى الادراك ومعنى الرؤية ونقول انه عز

وجل تراه الابصار ولا تدركه وذلك ان الادراك يتضمن الاحاطة بالشيء والوصول الى اعماقه وحوزه من جميع جهاته وذلك كله محال فى اوصاف الله عزوجل والرؤية لا تفتقر الى ان يحيط الراءى بالمرءي ويبلغ غايته وعلى هذا التاويل يترتب العكس فى قوله وهو يدرك الابصار ويحسن معناه ونحوهذا روي عن ابن عباس وقتادة وعطية العوفي انهم فرقوا بين الرؤية والادراك واللطيف المتلطف فى خلقه واختراعه والبصائر جمع بصيرة فكانه قال قد جاءكم فى القرءان والآيات طرائق ابصار الحق والبصيرة للقلب مستعارة من ابصار العين والبصيرة ايضا هي المعتقد * وقوله سبحانه فمن ابصر ومن عمي عبارة مستعارة فيمن اهتدى ومن ضل وقوله وما انا عليكم بحفيظ كان فى اول الامر وقبل ظهور الاسلام ثم بعد ذلك كان صلى الله عليه وسلم حفيظا على العالم اخذا لهم بالاسلام او السيف * وقوله سبحانه وكذلك نصرف الآيات اي نرددها ونوضحها وقرأ الجمهور وليقولوا درست بكسر اللام على انها لام كي وهي على هذا لام الصيرورة اي لما صار امرهم الى ذلك وقرأ نافع وغيره درست اي يا محمد درست فى الكتب القديمة ما تجيئنا به وقرأ ابن كثير وغيره دارست اي دارست غيرك وناظرته وقرأ ابن عامر درستْ باسناد الفعل الى الآيات كانهم اشاروا الى انها ترددت على اسماعهم حتى بليت فى نفوسهم وامّحت واللام فى قوله ليقولوا وفى قوله ولنبينه متعلقان بفعل متأخر تقديره صرفناها وذهب بعض الكوفيين الى ان لا مضمرة بعد ان المقدرة فى قوله وليقولوا فتقدير الكلام عندهم ولان لا يقولوا درست كما اضمروها فى قوله يبين الله لكم ان تضلوا قال * ع * وهذا قلِق ولا يجيز البصريون اضمار لا فى موضع من المواضع قلت ولكنه حسن جدا من جهة المعنى اذ لا يعلمون انه درس اودارس احدا صلى الله عليه وسلم فتأمله * وقوله سبحانه

اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو الآية هذه الآية فيها موادعة وهي منسوخة * وقوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله الآية مخاطبة للمومنين والنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس سببها ان كفار قريش قالوا لابي طالب اما ان ينتهي محمد واصحابه عن سب ءالهتنا والغض منها واما ان نسب الهه ونهجوه فنزلت الآية وحكمها على كل حال باق فى الامة فلا يحل لمسلم ان يتعرض الى ما يؤدي الى سب الاسلام او النبي صلى الله عليه وسلم او الله عز وجل وعبر عن الاصنام بالذين وهي لا تعقل وذلك على معتقد الكفرة فيها وفى هذه الآية ضرب من الموادعة وعَدْوا مصدر من الاعتداء وبغير علم بيان لمعنى الاعتداء * وقوله تعالى كذلك زينا لكل امة عملهم اشارة الى ما زين لهؤلاء من التمسك باصنامهم وتزيين الله عمل الامم هو ما يخلقه سبحانه فى النفوس من المحبة للخير والشر وتزيين الشيطان هو ما يقذفه فى النفوس من الوسوسة وخطرات السوء وقوله ثم الى ربهم مرجعهم الآية تتضمن وعدا جميلا للمحسنين ووعيدا ثقيلا للمسيئين * وقوله سبحانه واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم ءاية ليومنن بها اللام فى قوله لئن لام توطئة للقسم واما المتلقية للقسم فهي قوله ليومنن بها وءاية يريد علامة وحكي ان الكفار لما نزلت ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين اقسموا حينئذ انها ان نزلت ءامنوا فنزلت هذه الآية وحكي انهم اقترحوا ان يعود الصفا ذهبا واقسموا على ذلك فقام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فى ذلك فجاءه جبريل فقال له ان شئت اصبح ذهبا فان لم يومنوا هلكوا عن آخرهم معاجلة كما فعل بالامم المقترحة وان شئت اخروا حتى يتوب تائبهم فقال عليه الصلاة والسلام بل حتى يتوب تائبهم ونزلت الآية قال ابن العربي قوله جهد ايمانهم يعني غاية

ايمانهم التى بلغها علمهم وانتهت اليها قدرتهم انتهى من الاحكام ثم قال تعالى قل لهم يا محمد على جهة الرد والتخطئة انما الآيات عند الله وليست عندى فتقترح علي ثم قال وما يشعركم قال مجاهد وابن زيد المخاطب بهذا الكفار وقال الفراء وغيره المخاطب بهذا المومنون وما يشعركم معناه وما يعلمكم وما يدريكم وقرأ ابن كثير وغيره انها بكسر الالف على القطع واستيناف الاخبار فمن قرأ تومنون بالتاء وهي قراءة ابن عامر وحمزة استقامت له المخاطبة اولا وءاخرا للكفار ومن قرأ بالياء وهي قراءة نافع وغيره فيحتمل ان يخاطب اولا وءاخرا المومنين ويحتمل ان يخاطب بقوله وما يشعركم الكفار ثم يستانف الاخبار عنهم للمومنين وقرأ نافع وغيره انها بفتح الالف فقيل ان لا زائدة فى قوله لا يومنون كما زيدت فى قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ودعا الى التزام هذا حفظ المعنى لانها لو لم تكن زائدة لعاد الكلام عذرا للكفار وفسد المراد بالآية وضعف الزجاج وغيره زيادة لا ومنهم من جعل انها بمعنى لعلها وحكاه سيبويه عن الخليل وهذا التاويل لا يحتاج معه الى تقدير زيادة لا وحكى الكساءي انه كذلك فى مصحف ابي وما ادراكم لعلها اذا جاءت ورجح ابو علي ان تكون لا زائدة وبسط شواهده فى ذلك * وقوله سبحانه ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يومنوا به اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون فالمعنى على ما قالت فرقة ونقلب افئدتهم وابصارهم فى النار وفى لهبها فى الآخرة لما لم يومنوا فى الدنيا ثم استانف على هذا ونذرهم فى الدنيا فى طغيانهم يعمهون وقالت فرقة انما المراد بالتقليب التحويل عن الحق والهدى والترك فى الضلالة والكفر ومعنى الآية ان هؤلاء الذين اقسموا انهم يومنون ان جاءت ءاية نحن نقلب افئدتهم وابصارهم ان لو جاءت فلا يومنون بها كما لم يومنوا

اول مرة بما دعـوا اليه من عبادة الله تعالى فاخبـر الله عـز وجل على هذا التاويل بصورة فعله بهم وقالت فرقة قوله كما فى هذه الآية انما هي بمعنى المجـازاة اي لما لم يومنوا اول مرة نجازيهم بان نقلب افئدتهم عن الهدى ونطبع على قلوبهـم فكانه قـال ونحن نقلب افئدتهـم وابصارهـم جـزاء لما لم يومنـوا اول مـرة بما دعـوا اليه من الشرع والضميـر فى به يحتمل ان يعود على الله عزوجل او على القرءان او على النبي صلى الله عليه وسلم ونـذرهم معناه نـتركهم والطغيان التخبط فى الشر والافـراط فيما يتناوله المرء ويعمهـون معناه يترددون فى حيرتهم

* وقوله سبحانه ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية اخبر سبحانه انه لو اتى بجميع ما اقترحـوه من انـزال ملائكة واحياء سلفهم حسبما اقترحه بعضهم ان يحشر قصي وغيـره فيخبر بصدق محمد عليه السلام او يحشر عليهم كل شيء قبـلا ما ءامنـوا الا بالمشيـئة واللطـف الذى يخلقه ويخترعه سبحانه فى نـفس من يشاء لا رب غيره وقرأ نافع وغيـره قبلا ومعناه مواجهة ومعاينة قاله ابن عباس وغيره ونصبه على الحال وقال المبرد معناه ناحية كما تقول لى قبل فلان دين قـال * ع * فـنصبه على هذا هو على الظـرف وقـرأ حمزة وغيـره قبلا بضم القاف والباء واختـلـف فى معناه فـقـال بعضهم هو بمعنى قبل بكسر القـاف اي مواجهة كما تـقـول قبل ودبـر وقـال الزجاج والـفـراء هو جمع قبيل وهو الكفيل اي وحشرنا عليهم كل شيء كـفلاء بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد وغيره هو جمع قبيـل اي صنـفا صنـفا ونوعا نوعا والنصب فى هذا كله على الحال ولكن اكـثرهم يجهلون اي يجهلون فى اعـتـقـادهم ان الآية تـقـتضى ايمانـهـم ولا بد فيقـتضى اللفظ ان الاقـل لا يجهل فـكان فيـهم من يعتـقد ان الآية لو جاءت لم يومن الا من شاء الله منه ذلك قـلت وقـال مكي ولكن اكـثرهم يجهلون اي فى

مخالفتك وهم يعلمون انك نبي، صادق فيما جئتهم به وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يداعب ابا سفيان بعد الفتح بمخصرة في يده ويطعن بها ابا سفيان فاذا احرقته قال نح عني مخصرتك فوالله لو اسلمت اليك هذا الامر ما اختلف عليك فيه اثنان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اسألك بالذي اسلمت له قتالك اياي عن اي شي، كان فقال له ابو سفيان تظن اني كنت اقاتلك تكذيبا مني لك والله ما شككت في صدقك قط وما كنت اقاتلك الا حسدا مني لك فالحمد لله الذي نزع ذلك من قلبي فكان النبي صلى الله عليه وسلم يشتهي ذلك منه ويتبسم انتهى من الهداية * وقوله سبحانه وكذلك جعلنا لكل نبي، عدوا شياطين الانس والجن الآية تتضمن تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وعرض القدوة عليه اي هذا الذي امتحنت به يا محمد من الاعداء قد امتحن به غيرك من الانبياء ليبتلي الله اولى العزم منهم وشياطين الانس والجن يريد المتمردين من النوعين ويوحي معناه يلقيه في اختفاء فهو كالمناجاة والسرار وزخرف القول محسنه ومزينه بالاباطيل قاله عكرمة ومجاهد والزخرفة اكثر ما تستعمل في الشر والباطل وغرورا مصدر ومعناه يغرون به المضللين والضمير في فعلوه عائد على اعتقادهم العداوة ويحتمل على الوحي الذي تضمنه يوحي * وقوله سبحانه فذرهم وما يفترون لفظ يتضمن الامر بالموادعة وهو منسوخ قال قتادة كل ذرّ في كتاب الله منسوخ بالقتال * وقوله سبحانه ولتصغى معناه لتميل قال الفخر والضمير في قوله ولتصغى اليه افئدة الذين لا يومنون بالآخرة يعود على زخرف القول وكذلك في قوله وليرضوه والاقتراف معناه الاكتساب وقال الزجاج وليقترفوا اي يختلقوا ويكذبوا والاول افصح انتهى والقراء على كسر اللام في الثلاثة الافعال على انها

لام كي معطوفة على غرورا وحكما ابلغ من حاكم اذ هي صيغة للعدل من الحكام والحاكم جار على الفعل فقد يقال للجائر ومفصلا معناه مزال الاشكال والكتاب اولا هو القرآن وثانيا اسم جنس للتوراة والانجيل والزبور والصحف * وقوله تعالى فلا تكونن من الممترين تثبيت ومبالغة وطعن على الممترين قلت وقد تقدم التنبيه على انه صلى الله عليه وسلم معصوم وان الخطاب له والمراد غيره ممن يمكن منه الشك * وقوله سبحانه وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا الآية تمت في هذا الموضع بمعنى استمرت وصحت في الازل صدقا وعدلا وليس بتمام من نقص ومثله ما وقع في كتب السيرة من قولهم وتم حمزة على اسلامه في الحديث مع ابي جهل والكلمات ما انزل على عباده ولا مبدل لكلماته معناه في معانيها * وقوله سبحانه وان تطع اكثر من في الارض الآية المعنى فامض يا محمد لما امرت به وبلغ ما ارسلت به فانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك قال ابن عباس الارض هنا الدنيا وحكي ان سبب هذه الآية ان المشركين جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم في امر الذبائح وقالوا اتاكل ما تقتل وتترك ما قتل الله فنزلت الآية ثم وصفهم تعالى بانهم انما يقتدون بظنونهم ويتبعون تخرصهم والخرص الحزر والظن وهذه الآية خبر في ضمنه وعيد للضالين ووعد للمهتدين وقوله سبحانه فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مومنين الآية القصد بهذه الآية النهي عما ذبح للنصب وغيرها وعن الميتة وانواعها ولا قصد في الآية الى ما نسي المومن فيه التسمية او تعمدها بالترك * وقوله سبحانه وما لكم الا تاكلوا الآية ما استفهام يتضمن التقرير وقد فصل لكم ما حرم عليكم اي فصل الحرام من الحلال وانتزعه بالبيان وما في قوله الا ما اضطررتم اليه يريد بها من جميع ما حرم كالميتة وغيرها وهي في موضع نصب بالاستثناء والاستثناء منقطع

* وقوله سبحانه وان كثيرا يريد الكفرة المحادين المجادلين ثم توعدهم سبحانه بقوله ان ربك هو اعلم بالمعتدين وقوله جلت عظمته وذروا ظاهر الاثم و باطنه نهي عام والظاهر والباطن يستوفيان جميع المعاصى وقال قوم الظاهر الاعمال والباطن المعتقد وهذا ايضا حسن لانه عام وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن ابى امامة قال سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم ما الاثم قال ما حك فى صدرك فدعه وروى ابن المبارك ايضا بسنده ان رجلا قال يا رسول الله ما يحل لى مما يحرم علي فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليه ثلاث مرات فى كل ذلك يسكت رسول الله ثم قال اين السائل فقال انا ذا يا رسول الله قال ما انكر قلبك فدعه انتهى وقد ذكرنا معناه من طرق فى غير هذا الموضع فاغنى عن اعادته ثم توعد تعالى كسبة الاثم بالمجازاة على ما اكتسبوه من ذلك والاقتراف الاكتساب * وقوله سبحانه ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الآية مقصد الآية النهي عن الميتة اذ هي جواب لقول المشركين تتركون ما قتل الله ومع ذلك فلفظها يعم ما تركت التسمية عليه من ذبائح الاسلام وبهذا العموم تعلق ابن عمر وابن سيرين والشعبي وغيرهم فقالوا ما تركت التسمية عليه لم يوكل عمدا كان او نسيانا وجمهور العلماء على انه يوكل ان كان تركها نسيانا بخلاف العمد وقيل يوكل سواء تركت عمدا او نسيانا الا ان يكون مستخفا * وقوله تعالى وان الشياطين الآية قال عكرمة هم مردة الانس من مجوس فارس وذلك انهم كانوا يوالون قريشا على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ليوحون الى اوليائهم من قريش ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله فذلك من مخاطبتهم هو الوحي والاولياء هم قريش وقال ابن زيد وعبد الله بن كثير بل الشياطين الجن واللفظة على وجهها واولياؤهم

كفرة قريش ووحيهم بالوسوسة وعلى السنة الكهان ثم نهى سبحانه عن طاعتهم بلفظ يتضمن الوعد وعرض اصعب مثال فى ان يشبه المومن بالمشرك قال ابن العربي قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم سمى الله تعالى ما يقع فى القلوب من الالهام وحيا وهذا مما يطلقه شيوخ المتصوفة وينكره جهال المتوسمين بالعلم ولم يعلموا ان الوحي على ثمانية اقسام وان اطلاقه فى جميعها جائز فى دين الله انتهى من احكام القران * وقوله سبحانه او من كان ميتا فاحييناه لما تقدم ذكر المومنين وذكر الكافرين مثل سبحانه فى الطائفتين بان شبه الذين ءامنوا بعد كفرهم باموات احيوا هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما وشبه الكافرين وحيرة جهلهم بقوم فى ظلمات يترددون فيها ولا يمكنهم الخروج منها ليبين عزوجل الفرق بين الطائفتين والبون بين المنزلتين ونورا امكن ما يعنى به الايمان قيل ويحتمل ان يراد به النور الذى يوتاه المومن يوم القيامة وجعلنا فى هذه الآية بمعنى صيرنا فهي تتعدى الى مفعولين الاول مجرميها والثانى اكابر وفى الكلام على هذا تقديم وتاخير تقديره وكذلك جعلنا فى كل قرية مجرميها اكابر وقدم الاهم اذ لعلة كبرهم اجرموا ويصح ان يكون المفعول الاول اكابر ومجرميها مضاف والمفعول الثانى فى قوله فى كل قرية وليمكروا نصب بلام الصيرورة والاكابر جمع اكبر كما الافاضل جمع افضل قال الفخر وانما جعل المجرمين اكابر لانهم لاجل رياستهم اقدر على الغدر والمكر وركوب الباطل من غيرهم ولان كثرة المال والجاه يحملان الانسان على المبالغة فى حفظهما وذلك الحفظ لا يتم الا بجميع الاخلاق الذميمة كالغدر والمكر والكذب والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة ولو لم يكن للمال والجاه سوى ان الله تعالى حكم بانه انما وصف بهذه الاوصاف الذميمة من كان له مال وجاه لكفى ذلك دليلا على

خساسة المال والجاه انتهى وما ذكره فى المال والجاه هو الاغلب وما يشعرون اي ما يعلمون * وقوله سبحانه واذا جاءتهم ءاية اي علامة ودليل على صحة الشرع تشططوا وقالوا لن نومن حتى يفلق لنا البحر ويحيي لنا الموتى ونحو ذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته فيمن اصطفاه وانتخبه لا فيمن كفر وجعل يتشطط على الله سبحانه قال الفخر قال المفسرون قال الوليد بن المغيرة لوكانت النبوءة حقا لكنت اولى بها قال الضحاك اراد كل واحد من هؤلاء الكفرة ان يخص بالوحي والرسالة كما اخبر عنهم سبحانه بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة انتهى ثم توعد سبحانه بان هؤلاء المجرمين الاكابر فى الدنيا سيصيبهم عند الله صَغار وذلة * وقوله سبحانه فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام الآية من شرط ويشرح جواب الشرط والآية نص فى ان الله تعالى يريد هدى المومن وضلال الكافر وهذا عند جميع اهل السنة بالارادة القديمة التى هي صفة ذاته تبارك وتعالى والهدى هنا هو خلق الايمان فى القلب وشرح الصدر هو تسهيل الايمان وتحبيبه واعداد القلب لقبوله وتحصيله والصدر عبارة عن القلب وفى يشرح ضمير يعود على اسم الله عز وجل يعضده اللفظ والمعنى ولا يحتمل غيره والقول بانه عائد على المهدى قول يتركب عليه مذهب القدرية فى خلق الاعمال ويجب ان يعتقد ضعفه والحذر منه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله كيف يشرح الصدر قال اذا نزل النور فى القلب انشرح له الصدر وانفسح قالوا وهل لذلك علامة يا رسول الله قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت والقول فى قوله ومن يرد ان يضله كالقول فى قوله فمن يرد الله ان يهديه وقرأ حمزة وغيره حرجا بفتح الراء وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأها

يوما بفتح الراء فقرأها له بعض الصحابة بكسر الراء فقال ابغوني رجلا من كنانة وليكن راعيا وليكن من بني مدلج فلما جاء قال له يافتى ما الحرجة عندكم قال الشجرة تكون بين الاشجار لا تصل اليها راعية ولا وحشية قال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير * وقوله سبحانه كانما يصعد في السماء اي كانّ هذا الضيق الصدر متى حاول الايمان او فكر فيه يجد صعوبته عليه والعياذ بالله كصعوبة الصعود في السماء قاله ابن جريج وغيره وفي السماء يريد من سفل الى علو وتحتمل الآية ان يكون التشبيه بالصاعد في عقبة كؤود كانه يصعد بها في الهواء ويصعد معناه يعلو ويصّعّد معناه يتكلف من ذلك ما يشق عليه * وقوله كذلك يجعل الله الرجس اي وكما كان الهدى كله من الله والضلال بارادته تعالى ومشيئته كذلك يجعل الله الرجس قال اهل اللغة الرجس ياتي بمعنى العذاب وياتي بمعنى النجس * وقوله تعالى وهذا صراط ربك مستقيما الآية هذا اشارة الى القران والشرع الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وفصلنا معناه بينا واوضحنا * وقوله سبحانه لقوم يذكرون اي للمومنين والضمير في قوله لهم دار السلام عائد عليهم والسلام يتجه ان يكون اسما من اسماء الله عز وجل ويتجه ان يكون مصدرا بمعنى السلامة * وقوله تعالى عند ربهم يريد في الآخرة بعد الحشر ووليهم اي ولي الانعام عليهم وبما كانوا يعملون اي بسبب ما كانوا يقدمون من الخير ويفعلون من الطاعة والبر * وقوله سبحانه ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس المعنى واذكر يوم وفي الكلام حذف تقديره نقول يا معشر الجن وقوله قد استكثرتم معناه افرطتم من الانس يريد في اضلالهم واغوائهم قاله ابن عباس وغيره وقال الكفار من الانس وهم اولياء الجن الموبخين على جهة الاعتذار عن الجن ربنا استمتع بعضنا ببعض

اي انتفع وذلك كاستعاذتهم بالجن اذ كان العربي اذا نزل واديا ينادى يا رب الوادى انى استجير بك فى هذه الليلة ثم يرى سلامته انما هي بحفظ جني ذلك الوادي ونحو ذلك وبلوغ الاجل المؤجل هو الموت وقيل هو الحشر * وقوله تعالى قال النار مثواكم الآية اخبار من الله تعالى عما يقول لهم يوم القيامة اثر كلامهم المتقدم ومثواكم اي موضع ثوابكم كمقامكم الذى هو موضع الاقامة قاله الزجاج والاستثناء فى قوله الا ما شاء الله قالت فرقة ما بمعنى من فالمراد الا من شاء الله ممن آمن فى الدنيا بعد ان كان من هؤلاء الكفرة وقال الطبري ان المستثنى هي المدة التى بين حشرهم الى دخولهم النار وقال الطبري عن ابن عباس انه كان يتأول فى هذا الاستثناء انه مبلغ حال هؤلاء فى علم الله ثم اسند اليه انه قال ان هذه الآية آية لا ينبغى لاحد ان يحكم على الله فى خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا قال * ع * والاجماع على التخليد الابدي فى الكفار ولا يصح هذا عن ابن عباس رضي الله عنه قال * ص * الا ما شاء الله قيل استثناء منقطع اي لكن ما شاء الله من العذاب الزائد على النار وقيل متصل واختلفوا فى تقديره فقيل هو استثناء من الاشخاص وهم من آمن فى الدنيا ورد بانه يختلف زمان المستثنى والمستثنى منه فيكون منقطعا لا متصلا لان من شرط المتصل اتحاد زماني المخرج والمخرج منه انتهى وقيل غير هذا وقوله سبحانه وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا قال قتادة معناه نجعل بعضهم ولي بعض فى الكفر والظلم وقال ايضا المعنى نجعل بعضهم يلى بعضا فى دخول النار وقال ابن زيد معناه نسلط بعض الظالمين على بعض ونجعلهم اولياء النقمة منهم قال * ع * وقد حفظ هذا فى استعمال الصحابة والتابعين كقول ابن الزبير الا ان فم الذبان قتل لطيم الشيطان وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون * وقوله تعالى

يا معشر الجن والانس الم ياتكم الآية هذا الكلام داخل فى القول يوم الحشر قال الفخر قال اهل اللغة المعشر كل جماعة امرهم واحد وتحصل بينهم معاشرة ومخالطة فالمعشر المعاشر انتهى ومنكم يعنى من الانس قاله ابن جريج وغيره وقال ابن عباس من الطائفتين ولكن رسل الجن هم رسل رسل الانس وهم النذر ويقصون من القصص وقولهم شهدنا اقرار منهم بالكفر * وقوله سبحانه وغرتهم الحياة الدنيا التفاتة فصيحة تضمنت ان كفرهم كان باذم الوجوه لهم وهو الاغترار الذى لا يواقعه عاقل ويحتمل غرتهم ان يكون بمعنى اشبعتهم واطغتهم بحلواتها كما يقال غر الطائر فرخه * وقوله سبحانه وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين الجمع بين هذه الآية وبين الآيى التى تقتضى انكار المشركين الاشراك هو اما بانها طوائف واما بانها طائفة واحدة فى مواطن شتى * وقوله ذلك ان لم يكن اي ذلك لام والقرى المدن والمراد اهل القرى وبظلم يحتمل معنيين احدهما انه لم يكن سبحانه ليهلكهم دون نذارة فيكون ظلما لهم والله تعالى ليس بظلام للعبيد والآخر ان الله عز وجل لم يهلكهم بظلم واقع منهم دون ان ينذرهم وهذا هو البين القوي وذكر الطبري رحمه الله التاويلين * وقوله سبحانه ولكل درجات مما عملوا الآية اخبار من الله سبحانه ان المومنين فى الآخرة على درجات من التفاضل بحسب اعمالهم وتفضل المولى سبحانه عليهم ولكن كل راض بما اعطي غاية الرضى والمشركون ايضا على دركات من العذاب قلت وظاهر الآية ان الجن يثابون وينالون الدرجات والدركات وقد ترجم البخاري على ذلك فقال ذكر الجن وثوابهم وعقابهم لقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الآية الى قوله وما ربك بغافل عما يعملون قال الداودي قال الضحاك من الجن من يدخل الجنة وياكل ويشرب انتهى

* وقوله سبحانه وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء الآية متضمنة وعيدا وتحذيرا من بطش الله عزوجل فى التعجيل بذلك واما مع المهلة ومرور الجديدين فذلك عادته سبحانه فى الخلق باذهاب خلق واستخلاف آخرين * وقوله سبحانه انما توعدون لآت هو من الوعيد بقرينة وما انتم بمعجزين اي وما انتم بناجين هربا فتعجزون طالبكم ثم امر سبحانه نبيه عليه السلام ان يتوعدهم بقوله اعملوا اي فسترون عاقبة عملكم الفاسد وصيغة افعل هنا هي بمعنى الوعيد والتهديد وعلى مكانتكم معناه على حالكم وطريقتكم وعاقبة الدار اي مآل الآخرة ويحتمل مآل الدنيا بالنصر والظهور ففى الآية اعلام بغيب * وقوله وجعلوا لله مما ذرأ يعنى مشركى العرب الذين تقدم الرد عليهم من اول السورة وذرأ معناه خلق وانشأ وبث وسبب نزول هذه الآية ان العرب كانت تجعل من غلاتها وزروعها وثمارها وانعامها جزأ تسميه لله وجزأ تسميه لاصنامها وكانت عادتها التحفى والاهتبال بنصيب الاصنام اكثر منها بنصيب الله اذ كانوا يعتقدون ان الاصنام بها فقر وليس ذلك بالله سبحانه فكانوا اذا جمعوا الزرع فهبت الريح فحملت من الذى لله الى الذى لشركائهم اقروه واذا حملت من الذى لشركائهم الى الذى لله ردوه واذا لم يصيبوا فى نصيب شركائهم شيأ قالوا لا بد للآلهة من نفقة فيجعلون نصيب الله تعالى فى ذلك قال هذا المعنى ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم انهم كانوا يفعلون هذا ونحوه من الفعل وكذلك فى الانعام كانوا اذا اصابتهم السنة اكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركائهم * وقوله سبحانه وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم الكثير هنا يراد به من كان يئد من مشركى العرب والشركاء هاهنا الشياطين الآمرون بذلك المزينون له والحاملون عليه ايضا من بنى آدم ومقصد

الآية الذم للوأد والانحناء على فعلته وليردوهم معناه ليهلكوهم من الردى وليلبسوا معناه ليخلطوا * وقوله سبحانه ولو شاء الله ما فعلوه يقتضى ان لا شيء الا بمشيئة الله عز وجل وفيها رد على من قال بان المرء يخلق افعاله وقوله فذرهم وعيد محض * وقوله سبحانه وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها الآية تتضمن ما شرعوه لانفسهم والتزموه على جهة القربة كذبا منهم على الله سبحانه وحجر معناه التحجير وهو المنع والتحريم وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قال جماعة من المفسرين انهم كانت لهم سنة فى انعام ما ان لا يحج عليها فكانت تركب فى كل وجه الا فى الحج وقالت فرقة بل ذلك فى الذبائح جعلوا لآلهتهم نصيبا منها لا يذكرون الله على ذبحها * وقوله سبحانه وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا الآية كان من مذاهبهم الفاسدة فى بعض الانعام ان يحرموا ما ولدت على نسائهم ويخصصونه لذكورهم فازواجنا يراد به جماعة النساء التى هي معدة ان تكون ازواجا قاله مجاهد وقوله وان يكن ميتة يعنى انه كان من سنتهم ان ما خرج من الاجنة ميتا من تلك الانعام الموقوفة فهو حلال للرجال والنساء جميعا وكذلك ما مات من الانعام الموقوفة نفسها ثم اعقب تعالى بوعيدهم على ما وصفوا انه من القربات * وقوله سبحانه قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الآية تتضمن التشنيع بسوء فعلهم والتعجيب من سوء حالهم فيما ذكر قال عكرمة وكان الوأد فى ربيعة وفى مضر قال * ع * وكان جمهور العرب لا يفعله ثم ان فاعليه كان منهم من يفعله خوف العيلة والافتقار وكان منهم من يفعله غيرة مخافة السباء وقد ضلوا اخبار عنهم بالحيرة وما كانوا يريد فى هذه الفعلة ويحتمل ان يريد وما كانوا قبل ضلالهم بهذه الفعلة مهتدين ولكنهم زادوا

بهذه الفعلة ضلالا * وقوله سبحانه وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات الآية تنبيه على مواضع الاعتبار وانشأ معناه خلق واخترع ومعروشات قال ابن عباس ذلك فى ثمر العنب منها ما عرش وسمك ومنها ما لم يعرش ومتشابها يريد فى المنظر وغير متشابه فى الطعم قاله ابن جريج وغيره وقوله كلوا من ثمره نص فى الاباحة وقوله سبحانه واتوا حقه يوم حصاده قال ابن عباس وجماعة هي فى الزكاة المفروضة قال * ع * وهذا القول معترض بان السورة مكية وبانه لا زكاة فيما ذكر من الرمان وما فى معناه وحكى الزجاج ان هذه الآية قيل فيها انها نزلت بالمدينة وقال مجاهد وغيره بل قوله واتوا حقه يوم حصاده ندب الى اعطاء حقوق من المال غير الزكاة والسنة ان يعطي الرجل من زرعه عند الحصاد وعند الذرو وعند تكديسه فى البيدر فاذا صفّى وكال اخرج من ذلك الزكاة وقالت طائفة هذا حكم صدقات المسلمين حتى نزلت الزكاة المفروضة فنسختها قال * ع * والنسخ غير مترتب فى هذه الآية ولا تعارض بينها وبين اية الزكاة بل تنبنى هذه على الندب وتلك على الفرض * وقوله سبحانه ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين النهي عن الاسراف اما للناس عن التمنع عن ادائها لان ذلك اسراف من الفعل واما للولاة عن التشطط على الناس والاذاية لهم وكل قد قيل به فى تاويل الآية * وقوله سبحانه ومن الانعام حمولة وفرشا حمولة عطف على جنات معروشات التقدير وانشأنا من الانعام حمولة والحمولة ما تحمل الاثقال من الابل والبقر عند من عادته ان يحمل عليها والفرش ما لا يحمل ثقلا كالغنم وصغار البقر والابل وهذا هو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وغيرهم ولا مدخل فى الآية لغير الانعام وقوله كلوا مما رزقكم الله نص اباحة وازالة ما سنه الكفرة من البحيرة والسائبة

وغيـر ذلـك ثم تابع النهي عن تلك السنـن الآفكة بقوله سبحانه ولا تـتبعوا خطوات الشيطان وهي جمع خطوة اي لا تمشـوا فى طريقه قلت ولفظ البخاري خطوات من الخطو والمعنى آثاره انتهى * وقوله سبحانه ثمانية ازواج اختلف فى نصبها فقيل على البدل من ما فى قوله كلـوا مما رزقكم الله وقيـل على الحال وقيـل على البدل من قـوله حمولـة وفرشا وهذا اصوب الاقـوال واجراها مع معنى الآية والزوج الذكر والزوج الانثى فكل واحد منهما زوج صاحبه وهي اربعة انواع فتجيء ثمانية ازواج والضأن جمع ضائنة وضائن * وقوله سبحانه قل آلذكرين حرم ام الانثييـن هذا تقسيم على الكفار حتى يتبين كذبهم على الله اي لا بد ان يكون حرم الذكرين فيلزمكم تحريم جميع الذكور او الانـثييـن فيلزمكم تحريم جميع الانـاث اما اشتملت عليه ارحام الانثييـن فيلزمكم تحريم الجميع وانتم لم تلتزموا شيأ يوجبه هذا التقسيم وفى هذه السؤالات تقريـع وتوبيخ ثم اتبع تـقريعهم بقولـه نبـئونى اي اخبرونى بعلم اي من جهة نبوءة او كتـاب من كتب الله ان كـنتم صادقيـن وان شـرط وجوابه فى نبـئونى * وقوله سبحانه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم الآية القول فى هذه الآية فى المعنى وترتيب التقسيم كما تقدم فكانه قال انتم الذيـن تدّعون ان الله حرم خصائص من هذه الانعام لا يخلـو تحريمـه من ان يكون فى الذكريـن او فى الانثييـن او فيما اشـتملت عليه ارحام الانثييـن لكنه لم يحرم لا هذا ولا هذا ولا هذا فلم يبق الا انه لم يقع تحريم قال الفخر والصحيح عندى ان هذه الآية لم تـرد على سبيـل الاستدلال على بطلان قولهم بـل هي استفهام على سبيـل الانكار وحاصل الكـلام انكم لا تعترفـون بنبوءة احد من الانبيـاء فكيف تـثبتون هذه الاحكام المختلفة انـتهى * وقوله سبحانه ام كـنتـم شهداء اذ وصاكم الله

بهذا استفهام على سبيل التوبيخ وشهداء جمع شهيد وباقى الآية بين * وقوله تعالى قل لا اجد فى ما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الآية هذه الآية نزلت بمكة ولم يكن فى الشريعة فى ذلك الوقت شيء محرم غير هذه الاشياء ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة وزيد فى المحرمات كالخمر وكاكل كل ذى ناب من السباع مما وردت به السنة قال * ع * ولفظة التحريم اذا وردت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها صالحة ان تنتهي بالشيء المذكور غاية المنع والحظر وصالحة بحسب اللغة ان تقف دون الغاية فى حيز الكراهية ونحوها فما اقترنت به قرينة التسليم من الصحابة المتأولين واجمع عليه الكل منهم ولم تضطرب فيه الفاظ الاحاديث وامضاه الناس وجب بالشرع ان يكون تحريمه قد وصل الغاية من الحظر والمنع ولحق بالخنزير والميتة وهذه صفة تحريم الخمر وما اقترنت به قرينة اضطراب الفاظ الحديث واختلف الامة فيه مع علمهم بالاحاديث كقوله عليه السلام كل ذى ناب من السباع حرام وقد روي عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذى ناب من السباع ثم اختلفت الصحابة ومن بعدهم فى تحريم ذلك فجاز لهذه الوجوه لمن ينظر ان يحمل لفظ التحريم على المنع الذى هو على الكراهية ونحوها وما اقترنت به قرينة التأويل كتحريمه عليه السلام لحوم الحمر الانسية فتأول بعض الصحابة الحاضرين ذلك لانها لم تخمس وتأول بعضهم ان ذلك ليلا تفنى حمولة الناس وتأول بعضهم التحريم المحض وثبت فى الامة الاختلاف فى لحمها فجائز لمن ينظر من العلماء ان يحمل لفظ التحريم بحسب اجتهاده وقياسه على كراهية او نحوها وباقى الآية بين * وقوله سبحانه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية هذا خبر من الله سبحانه يتضمن تكذيب اليهود

فى قولهم ان الله لم يحرم علينا شيأ وانما حرمنا على انفسنا ما حرمه اسرايل على نفسه وكل ذى ظفر يراد به الابل والنعام والاوز ونحوه من الحيوان الذى هو غير منفرج الاصابع وله ظفر واخبرنا سبحانه فى هذه الآية بتحريم الشحوم عليهم وهي الثروب وشحم الكلى وما كان شحما خالصا خارجا عن الاستثناء الذى فى الآية واختلف فى تحريم ذلك على المسلمين من ذبائحهم فعن مالك كراهية شحومهم من غير تحريم * وقوله تعالى الا ما حملت ظهورهما يريد ما اختلط باللحم فى الظهر والاجناب ونحوه قال السدي وابو صالح الاليات مما حملت ظهورهما والحوايا ما تحوّى فى البطن واستدار وهي المصارين والحشوة ونحوها وقال ابن عباس وغيره هي المباعر وقوله او ما اختلط بعظم يريد فى سائر الشخص * وقوله سبحانه ذلك جزيناهم ببغيهم يقتضى ان هذا التحريم انما كان عقوبة لهم على بغيهم واستعصائهم على انبيائهم * وقوله سبحانه وانا لصادقون اخبار يتضمن التعريض بكذبهم فى قولهم ما حرم الله علينا شيأ * وقوله سبحانه فان كذبوك اي فيما اخبرت به ان الله حرمه عليهم فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي فى امهاله اذ لم يعاجلكم بالعقوبة مع شدة جُرمكم ولكن لا تغتروا بسعة رحمته فان له بأسا لا يرد عن القوم المجرمين اما فى الدنيا واما فى الآخرة وهذه الآية وما جانسها من آيات مكة مرتفع حكمها بآية القتال ثم اخبر سبحانه نبيه عليه السلام بان المشركين سيحتجون لتصويب ما هم عليه من شركهم وتديّنهم بتحريم تلك الاشياء بامهال الله تعالى لهم وتقريره حالهم وانه لو شاء غير ذلك لما تركهم على تلك الحال ولا حجة لهم فيما ذكروه لانه سبحانه شاء اشراكهم واقدرهم على الاكتساب ويلزمهم على احتجاجهم ان تكون كل طريقة وكل نحلة صوابا اذ كلها لو شاء الله لم تكن وفى الكلام حذف يدل عليه تناسق الكلام كانه قال سيقول

المشركون كذا وكذا وليس فى ذلك حجة لهم ولا شيء يقتضى تكذيبك ولكن كذلك كذب الذين من قبلهم بنحو هذه الشبهة من ظنهم ان ترك الله لهم دليل على رضاه بحالهم وفى قوله تعالى حتى ذاقوا بأسنا وعيد بين * وقوله سبحانه قل هل عندكم من علم اي من قبل الله قل فلله الحجة البالغة يريد البالغة غاية المقصد فى الامر الذى يحتج له ثم أعلم سبحانه انه لو شاء لهدى العالم باسره وهلم معناها هات وهي حينئذ متعدية وقد تكون بمعنى اقبل فلا تتعدى وبعض العرب يجعلها اسم فعل كرو يدك وبعضهم يجعلها فعلا ومعنى الآية قل هاتوا شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعمتم تحريمه فان شهدوا اي فان افترى لهم احد اوزوّر شهادة او خبرا عن نبوءة ونحو ذلك فجنب انت ذلك ولا تشهد معهم قلت وهذه الآية والتى بعدها من نوع ما تقدم من ان الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يمكن ذلك منه وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له اندادا يسوّونهم به تعالى الله عن قولهم * وقوله سبحانه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيأ هذا امر من الله عزوجل لنبيه عليه السلام ان يدعو جميع الخلق الى سماع تلاوة ما حرم الله بشرع الاسلام المبعوث به الى الاسود والاحمر وما نصبت بقوله اتل وهي بمعنى الذى وأن فى قوله ان لا تشركوا فى موضع رفع التقدير الامر ان او ذاك ان وقال كعب الاحبار هذه الآية هي مفتتح التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم الى ءاخر الآيات وقال ابن عباس هذه الآيات هي المحكمات المذكورة فى ءال عمران اجتمعت عليها شرائع الخلق ولم تنسخ قط فى ملة وقد قيل انها العشر الكلمات المنزلة على موسى والاملاق الفقر وعدم المال قاله ابن عباس وغيره قال القشيري خوف الفقر قرينة الكفر وحسن الثقة بالرب سبحانه نتيجة

لايمان انتهى من التحبير * وقوله سبحانه ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هي احسن قال مجاهد التى هي احسن التجارة فيه والاشد هنا الحزم والنظر فى لامور وحسن التصرف فيها وليس هذا بالاشد المقرون بالاربعين بل هذا يكون مع صغر السن فى ناس كثير * وقوله سبحانه واوفوا الكيل والميزان امر بالاعتدال * وقوله سبحانه لا نكلف نفسا الا وسعها يقتضى ان هذه الاوامر انما هي فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ والتحرز * وقوله تعالى واذا قلتم فاعدلوا يتضمن الشهادات والاحكام والتوسط بين الناس وغير ذلك اي ولو كان ميل الحق على قراباتكم * وقوله سبحانه وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه الاشارة بهذا هي الى الشرع الذى جاءبه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال الطبري الاشارة هي الى هذه الوصايا التى تقدمت من قوله قل تعالوا وقال ابن مسعود ان الله سبحانه جعل طريقه صراطا مستقيما طرقه محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ونهايته الجنة وتتشعب منه طرق فمن سلك الجادة نجا ومن خرج الى تلك الطرق افضت به الى النار وقال ايضا خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط عن يمين ذلك وعن شماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها ثم قرأ هذه الآية قال * ع * وهذه الآية تعم اهل الاهواء والبدع والشذوذ فى الفروع وغير ذلك من اهل التعمق فى الجدل والخوض فى الكلام هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقَد ولعلكم ترج بحسبنا ومن حيث كانت المحرمات الاول لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله جاءت العبارة لعلكم تعقلون والمحرمات الاخر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر وركوب الجادة الكاملة يتضمن فعل الفضائل وتلك درجة التقوى * وقوله سبحانه ثم ءاتينا موسى الكتاب تماما على الذى احسن

ثم فى هذه الآية انما مهلتها فى ترتيب القول الذى امر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال ثم مما قصيناه انا ءاتينا موسى الكتاب ويدعو الى ذلك ان موسى عليه السلام متقدم بالزمان على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتلاوته ما حرم الله والكتاب التوراة وتماما مصدر وقوله على الذى احسن مختلف فى معناه فقالت فرقة الذى بمعنى الذين واحسن فعل ماض صلة الذين وكأن الكلام وءاتينا موسى الكتاب تفضلا على المحسنين من اهل ملته واتماما للنعمة عليهم وهذا تاويل مجاهد ويؤيده ما فى مصحف ابن مسعود تماما على الذين احسنوا وقالت فرقة المعنى تماما على ما احسن هو من عبادة ربه يعنى موسى عليه السلام وهذا تاويل الربيع وقتادة وقالت فرقة المعنى تماما على الذى احسن الله فيه الى عباده من النبوات وسائر النعم وبلقاء ربهم اي بالبعث * وقوله سبحانه وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون هذا اشارة الى القرءان ومبارك وصف بما فيه من التوسعات وانواع الخيرات ومعناه منمى خيره مكثر والبركة الزيادة والنمو فاتبعوه دعاء الى الدين واتقوا امر بالتقوى العامة فى جميع الاشياء بقرينة قوله لعلكم ترحمون وان فى قوله ان تقولوا فى موضع نصب والعامل فيه انزلناه والتقدير وهذا كتاب انزلناه كراهية ان تقولوا والطائفتان اليهود والنصارى باجماع المتأولين والدراسة القراءة والتعلم بها ومعنى الآية ازالة الحجة من ايدى قريش وسائر العرب ولما تقرر ان البينة قد جاءتهم والحجة قد قامت عليهم حسن بعد ذلك ان يقع التقرير بقوله سبحانه فمن اظلم ممن كذب بـآيات الله وصدف عنها اي حاد عنها وزاغ واعرض وسنجزى الذين وعيد * وقوله سبحانه هل ينظرون اي ينتظرون يعنى العرب المتقدم الآن ذكرهم والملائكة هنا هم ملائكة الموت الذين يصحبون عزراءيل المخصوص بقبض

الارواح قاله مجاهد وقتادة وابن جريج * وقوله تعالى او ياتي ربك قال الطبري لموقف الحساب يوم القيامة واسند ذلك الى قتادة وجماعة من المتأولين وقال الزجاج ان المراد او ياتي عذاب ربك قال * ع * وعلى كل تاويل فانما هو بحذف مضاف تقديره امر ربك او بطش ربك او حساب ربك والا فالاتيان المفهوم من اللغة مستحيل على الله تعالى الا ترى ان الله عز وجل يقول فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فهذا اتيان قد وقع وهو على المجاز وحذف المضاف قال الفخر والجواب المعتمد عليه هنا ان هذا حكاية مذهب الكفار واعتقادهم فلا يفتقر الى تاويله واجمعوا على ان المراد بهذه الآيات علامات القيامة انتهى قلت وما ذكره الفخر من ان هذا حكاية مذهب الكفار هي دعوى تفتقر الى دليل * وقوله سبحانه او ياتي بعض ءايات ربك قال مجاهد وغيره هي اشارة الى طلوع الشمس من مغربها بدليل التى بعدها قال * ع * ويصح ان يريد سبحانه بقوله او ياتي بعض ءايات ربك جميع ما يقطع بوقوعه من اشراط الساعة ثم خصص سبحانه بعد ذلك بقوله يوم ياتى بعض ءايات ربك الآية التى ترتفع التوبة معها وقد بينت الاحاديث الصحاح فى البخاري ومسلم انها طلوع الشمس من مغربها ومقصد الآية تهديد الكفار باحوال لا يخلون منها وقوله او كسبت فى ايمانها خيرا يريد جميع اعمال البر وهذا الفصل هو للعصاة من المومنين كما ان قوله لم تكن آمنت من قبل هو للكافرين فالآية المشار اليها تقطع توبة الصنفين قال الداودي قوله تعالى اوكسبت فى ايمانها خيرا يريد ان النفس المومنة التى ارتكبت الكبائر لا تقبل منها التوبة يومئذ وتكون فى مشيئة الله تعالى كأن لم تتب وعن عائشة رضي الله عنها اذا خرجت اول الآيات طرحت الاقلام وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال انتهى * وقوله سبحانه

قل انتظروا انا منتظرون لفظ يتضمن الوعيد * وقوله سبحانه ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء قال ابن عباس وغيره المراد بالذين اليهود والنصارى اي فرقوا دين ابراهيم ووصفهم بالشيع اذ كل طائفة منهم لها فرق واختلافات ففى الآية حض للمومنين على الائتلاف وترك الاختلاف وقال ابو الاحوص وام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم الآية فى اهل البدع والاهواء والفتن ومن جرى مجراهم من امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اي فرقوا دين الاسلام وقرأ حمزة والكسائي فارقوا ومعناه تركوا * وقوله تعالى لست منهم فى شيء اي لا تشفع لهم ولا لهم بك تعلق وهذا على الاطلاق فى الكفار وعلى جهة المبالغة فى العصاة * وقوله سبحانه انما امرهم الى الله الآية وعيد محض وقال السدي هذه آية لم يومر فيها بقتال فهي منسوخة بالقتال قال * ع * الآية خبر لا يدخله نسخ ولكنها تضمنت بالمعنى امرا بموادعة فيشبه ان يقال ان النسخ وقع فى ذلك المعنى الذي قد تقرر نسخه فى آيات اخرى * وقوله سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها الآية قال ابن مسعود وغيره الحسنة هنا لا اله الا الله والسيئة الكفر قال * ع * وهذه هي الغاية من الطرفين وقالت فرقة ذلك لفظ عام فى جميع الحسنات والسيئات وهذا هو الظاهر وتقدير الآية من جاء بالحسنة فله ثواب عشر امثالها وقرأ يعقوب وغيره فله عشر بالتنوين امثالها بالرفع * وقوله تعالى قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم الآية فى غاية الوضوح والبيان وقيما نعت للدين ومعناه مستقيما وملة بدل من الدين * وقوله سبحانه قل ان صلاتي ونسكي الآية امر من الله عز وجل لنبيه عليه السلام ان يعلن بان مقصده فى صلاته وطاعته من ذبيحة وغيرها وتصرفه مدة حياته وحاله من اخلاص وايمان عند مماته انما هو لله عز وجل وارادة

وجهه وطلب رضاه وفى اعلان النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المقالة ما يلزم المومنين التأسي به حتى يلتزموا فى جميع اعمالهم قصد وجه الله عز وجل ويحتمل ان يريد بهذه المقالة ان صلاته ونسكه وحياته ومماته بيد الله عز وجل والله يصرفه فى جميع ذلك كيف شاء سبحانه ويكون قوله وبذلك امرت على هذا التاويل راجعا الى قوله لا شريك له فقط او راجعا الى القول وعلى التاويل الاول يرجع الى جميع ما ذكر من صلاة وغيرها وقالت فرقة النسك فى هذه الآية الذبائح قال * ع * ويحسن تخصيص الذبيحة بالذكر فى هذه الآية انها نازلة قد تقدم ذكرها والجدل فيها فى السورة وقالت فرقة النسك فى هذه الآية جميع اعمال الطاعات من قولك نسك فلان فهو ناسك اذا تعبد وقرأ السبعة سوى نافع ومحياي بفتح الياء وقرأ نافع وحده ومحياي بسكون الياء قال ابو حيان وفيه جمع بين ساكنين وسوغ ذلك ما فى الالف من المد القائم مقام الحركة انتهى وقوله وانا اول المسلمين اي من هذه الامة * وقوله سبحانه قل اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شيء الآية حكى النقاش انه روي ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع يا محمد الى ديننا واعبد الهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها فى دنياك واخرتك فنزلت هذه الآية وهي استفهام يقتضي التوبيخ لهم وابغى معناه اطلب فكانه قال افيحسن عندكم ان اطلب الها غير الله الذى هو رب كل شيء وما ذكرتم من كفالتكم باطل ليس الامر كما تظنون فلا تكسب كل نفس من الشر والاثم الا عليها وحدها ولا تزر اي تحمل وازرة اي حاملة حمل اخرى وثقلها والوزر اصله الثقل ثم استعمل فى الاثم تجوزا واستعارة ثم الى ربكم مرجعكم تهديد ووعيد وقوله فينبئكم بما كنتم فيه

تختلفون اي فى امرى فى قول بعضكم هو ساحر وبعضكم هو شاعر الى غير ذلك
قاله بعض المتأولين وهذا التاويل يحسن فى هذا الموضع وان كان اللفظ يعم جميع
انواع الاختلافات بين الاديان والملل والمذاهب وغير ذلك وخلائف جمع
خليفة اي يخلف بعضكم بعضا لان من اتى خليفةٌ لمن مضى وهذا يتصور فى جميع
الامم وسائر اصناف الناس ولكنه يحسن فى امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان
يسمى اهلها بجملتهم خلائف للامم وليس لهم من يخلفهم اذ هم ءاخر الامم وعليهم
تقوم الساعة وروى الحسن بن ابى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
توفون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله عز وجل ويروى انتم ءاخرها واكرمها
على الله * وقوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات لفظ عام فى المال والقوة والجاه
وجودة النفوس والاذهان وغير ذلك وكل ذلك انما هو ليختبر الله سبحانه
الخلق فيرى المحسن من المسيء ولما اخبر الله عز وجل بهذا فسح للناس
ميدان العمل وحضهم سبحانه على الاستباق الى الخيرات توعد ووعد تخويفا منه
وترجية فقال ان ربك سريع العقاب اما باخذاته فى الدنيا واما بعقاب الآخرة
وحسن ان يوصف عقاب الآخرة بسريع لما كان متحققا مضمون الاتيان والوقوع
وكل ءات قريب وانه لغفور رحيم ترجية لمن اذنب واراد التوبة وهذا فى كتاب
الله كثير وهو اقتران الوعيد بالوعد لطفا من الله سبحانه بعباده اللهم اجعلنا
ممن شملته رحمتك وغفرانك بجودك واحسانك ومن كلام الشيخ الولي
العارف ابى الحسن الشاذلي رحمه الله قال من اراد ان لا يضره ذنب فليقل
رب اعوذ بك من عذابك يوم تبعث عبادك واعوذ بك من عاجل العذاب
ومن سوء الحساب فانك لسريع الحساب وانك لغفور رحيم رب انى ظلمت

نفسي ظلما كثيرا فاغفر لى وتب علي لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين انتهى نسأل الله ان ينفع به ناظره وان يجعله لنا ذخرا ونورا يسعى بين ايدينا يوم لقائه والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليمـــــــــــــــا

* * *

انتهـــى هذا الجزء الاول مصححا بالمقابلة على خط مؤلفـــه

شكر الله سعيه وقدس ســـــــــــره

فهرس الجزء الاول من الجواهر الحسان

تفسير الثعالبي

الموسوم

بجواهر الحسان في تفسير القرآن

الجزء الثاني

منشورات
مؤسسة الأعلى للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب. ٧١٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الاعراف مكية كلها قاله الضحاك وغيره وقال مقاتل هي مكية الا قوله سبحانه واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى قوله من ظهورهم ذرياتهم فان هذه الآيات مدنية

قوله جلت عظمته المص كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمومنين تقدم القول فى تفسير الحروف المقطعة فى اوائل السور والحرج الضيق ومنه الحرجة الشجر الملتف الذى قد تضايق والحرج هاهنا يعم الشك والخوف والهم وكل ما يضيق الصدر والضمير فى منه عائد على الكتاب اي بسبب من اسبابه * وقوله سبحانه فلا يكن فى صدرك حرج منه اعتراض فى اثناء الكلام ولذلك قال بعض الناس ان فيه تقديما وتاخيرا * وقوله وذكرى معناه تذكرة وارشاد * وقوله سبحانه اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم امر يعم جميع الناس ولا تتبعوا من دونه اي من دون ربكم اولياء يريد كل من عبد واتبع من دون الله وقليلا نعت لمصدر نصب بفعل مضمر وقال مكي هو منصوب بالفعل الذى بعده وما فى قوله ما تذكرون مصدرية * وقوله سبحانه وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون قالت فرقة المراد وكم من اهل قرية وقالت فرقة اللفظ يتضمن هلاك القرية واهلها

وهو اعظم فى العقوبة والفاء فى قوله سبحانه فجاءها بأسنا لترتيب القول فقط وقيل المعنى اهلكناها بالخذلان وعدم التوفيق فجاءها بأسنا بعد ذلك وبياتا نصب على المصدر فى موضع الحال وقائلون من القائلة وانما خص وقتي الدعة والسكون لان مجيء العذاب فيهما افظع واهول لما فيه من البغتة والفجأة قال ابو حيان او للتفصيل اي جاء بعضهم بأسنا ليلا وبعضهم نهارا انتهى * وقوله عز وجل فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين هذه الآية يتبين منها ان المراد فى الآية قبلها اهل القرى والدعوى فى كلام العرب تاتى لمعنيين احدهما الدعاء ومنه قوله عز وجل فما زالت تلك دعواهم والثانى الادعاء وهذه الآية تحتمل المعنيين ثم استثنى سبحانه من غير الاول كانه قال لم يكن منهم دعاء او ادعاء الا الاقرار والاعتراف اي هذا كان بدل الدعاء والادعاء واعترافهم وقولهم انا كنا ظالمين هو فى المدة التى ما بين ظهور العذاب الى اتيانه على انفسهم وفى ذلك مهلة بحسب نوع العذاب تتسع لهذه المقالة وغيرها وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما هلك قوم حتى يعذروا من انفسهم * وقوله سبحانه فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين الآية وعيد من الله عز وجل لجميع العالم اخبر سبحانه انه يسأل الامم اجمع عما بلغ اليهم عنه وعن جميع اعمالهم ويسأل النبيين عما بلغوا وهذا هو سؤال التقرير فان الله سبحانه قد احاط علما بكل ذلك قبل السؤال فاما الانبياء والمومنون فيعقبهم جوابهم رحمة وكرامة واما الكفار ومن نفذ عليه الوعيد من العصاة فيعقبهم جوابهم عذابا وتوبيخا (ت) وروى ابو عمر بن عبدالبر فى كتاب فضل العلم بسنده عن مالك انه قال بلغنى ان العلماء يسألون يوم القيامة كما تسأل الانبياء يعنى عن تبليغ العلم انتهى وخرج ابو نعيم الحافظ من حديث الاعمش عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخطو خطوة

الايسأل عنها ما اراد بها وقد ذكرنا حديث مسلم عن ابي برزة فى غير هذا الموضع وخرج الطبراني بسنده عن ابن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله انتهى وروى مالك عن يحيي بن سعيد قال بلغني ان اول ما ينظر فيه من عمل المرء الصلاة فان قبلت منه نظر فيما بقي من عمله وان لم تقبل منه لم ينظر فى شيء من عمله وروى ابو داود والترمذي والنساءي وابن ماجه معنى هذا الحديث مرفوعا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من اعمالهم الصلاة قال يقول ربنا عز وجل للملائكة انظروا فى صلاة عبدى اتمها ام نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان انتقص منها شيء قال الله انظروا هل لعبدى من تطوع فان كان له تطوع قال اتموا لعبدى فريضته من تطوعه ثم توخذ الاعمال على ذلك انتهى واللفظ لابي داود وقال النساءي ثم سائر الاعمال تجرى على ذلك انتهى من التذكرة * وقوله سبحانه فلنقصن عليهم بعلم اي فلنسردن عليهم اعمالهم قصة قصة بعلم اي بحقيقة ويقين وما كنا غائبين * وقوله عز وجل والوزن يومئذ الحق التقدير والوزن الحق ثابت او ظاهر يومئذ اي يوم القيامة قال جمهور الامة ان الله عز وجل اراد ان يبين لعباده ان الحساب والنظر يوم القيامة هو فى غاية التحرير ونهاية العدل بامر قد عرفوه في الدنيا وعهدته افهامهم فميزان القيامة له عمود وكفتان على هيئة موازين الدنيا جمع لفظ الموازين اذ فى الميزان موزونات كثيرة فكانه اراد التنبيه عليها قال الفخر والاظهر اثبات موازين فى يوم القيامة لاميزان واحد لظواهر الآيات وحمل الموازين على الموزونات او على الميزان الواحد يوجبان العدول عن ظاهر اللفظ وذلك انما يصار اليه عند تعذر حمل الكلام على ظاهره ولا مانع هاهنا منه فوجب اجراء اللفظ على

حقيقته فكما لم يمتنع اثبات ميزان له كفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين بهذه الصفة وما الموجب لتركه والمصير الى التاويل انتهى قال ابو حيان موازينه جمع باعتبار الموزونات وهذا على مذهب الجمهور فى ان الميزان واحد وقال الحسن لكل واحد ميزان فالجمع اذن حقيقة انتهى والآيات هنا البراهين والاوامر والنواهى * وقوله سبحانه ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش الآية خطاب لجميع الناس والمعايش بكسر الياء دون همز جمع معيشة وهي لفظة تعم جميع الماكول الذى يعاش به والتحرف الذى يؤدى اليه وقليلا نصب بتشكرون * ويحتمل ان تكون ما مع الفعل بتاويل المصدر وقليلا نعت لمصدر محذوف تقديره شكرا قليلا شكركم او شكرا قليلا تشكرون * وقوله سبحانه ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية هذه الآية معناها التنبيه على مواضع العبرة والتعجب من غريب الصنعة واسداء النعمة واختلف العلماء فى ترتيب هذه الآية لان ظاهرها يقتضى ان الخلق والتصوير لبنى آدم قبل القول للملائكة ان يسجدوا وقد صححت الشريعة ان الامر لم يكن كذلك فقالت فرقة المراد بقوله سبحانه ولقد خلقناكم ثم صورناكم آدم وان كان الخطاب لبنيه وقال مجاهد المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم فى صلب آدم وفى وقت استخراج ذرية آدم من ظهره امثال الذر فى صورة البشر ويترتب فى هذين القولين ان تكون ثم على بابها فى الترتيب والمهلة وقال ابن عباس والربيع بن انس اما خلقناكم فآدم واما صورناكم فذريته فى بطون الامهات وقال قتادة وغيره بل ذلك كله فى بطون الامهات من خلق وتصوير وثم لترتيب الاخبار بهذه الجمل لا لترتيب الجمل فى انفسها * وقوله سبحانه فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك

قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم تقدم الكلام على قصص الآية فى سورة البقرة وما فى قوله ما منعك استفهام على جهة التوبيخ والتقريع ولا في قوله الا تسجد قيل هي زائدة والمعنى ما منعك ان تسجد وكذلك قال ابو حيان انها زائدة كهي فى قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب قال ويدل على زيادتها سقوطها فى قوله تعالى ما منعك ان تسجد فى ص انتهى وجواب ابليس اللعين ليس بمطابق لما سئل عنه لكن لما جاء بكلام يتضمن الجواب والحجة فكانه قال منعنى فضلى عليه اذ انا خير منه وظن ابليس ان النار افضل من الطين وليس كذلك بل هما فى درجة واحدة من حيث انهما جماد مخلوق ولما ظن ابليس ان صعود النار وخفتها يقتضى فضلا على سكون الطين وبلادته قاس ان ما خلق منها افضل مما خلق من الطين فاخطأ قياسه وذهب عليه ان الروح الذى نفخ فى آدم ليس من الطين وقال الطبري ذهب عليه ما فى النار من الطيش والخفة والاضطراب وفى الطين من الوقار والاناة والحلم والتثبت وروي عن الحسن وابن سيرين انهما قالا اول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالقياس وهذا القول منهما ليس هو بانكار للقياس وانما خرج كلامهما نهيا عما كان فى زمانها من مقاييس الخوارج وغيرهم فارادا حمل الناس على الجادة * وقوله سبحانه فاهبط منها الآية يظهر منه انه اهبط اولا واخرج من الجنة وصار فى السماء لان الاخبار تظاهرت انه اغوى آدم وحواء من خارج الجنة ثم امر آخرا بالهبوط من السماء مع آدم وحواء والحية وقوله انك من الصاغرين حكم عليه بضد معصيته التى عصى بها وهي الكبرياء فعوقب بالحمل عليه بخلاف شهوته وامله والصَّغار الذل

قاله السدي ومعنى انظرنى اخرنى فاعطاه الله النظرة الى النفخة الاولى قاله اكثر الناس وهو الاصح والاشهر فى الشرع وقوله فبما يريد به القسم كقوله فى الآية الاخرى فبعزتك واغويتنى قال الجمهور معناه اضللتنى من الغي وعلى هذا المعنى قال محمد بن كعب القرظي قاتل الله القدرية لابليس اعلم بالله منهم يريد فى انه علم ان الله يهدى ويضل وقوله لاقعدن لهم صراطك المعنى لاعترضن لهم فى طريق شرعك وعبادتك ومنهج النجاة فلاصدنهم عنه ومنه قوله عليه السلام ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه نهاه عن الاسلام وقال تترك دين آبائك فعصاه فاسلم فنهاه عن الهجرة فقال تدع اهلك وبلدك فعصاه فهاجر فنهاه عن الجهاد فقال تقتل وتترك ولدك فعصاه فجاهد فله الجنة الحديث * وقوله سبحانه ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولاتجد اكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين مقصد الآية ان ابليس اخبر عن نفسه انه ياتى اضلال بنى آدم من كل جهة فعبر عن ذلك بالفاظ تقتضى الاحاطة بهم وفى اللفظ تجوز وهذا قول جماعة من المفسرين قال الفخر وقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم اي على صراطك اجمع النحاة على تقدير على فى هذا الموضع انتهى وقوله ولاتجد اكثرهم شاكرين اخبر اللعين ان سعايته تفعل ذلك ظنا منه وتوسما فى خلقة آدم حين رأى خلقته من اشياء مختلفة فعلم انه ستكون لهم شيم تقتضى طاعته كالغل والحسد والشهوات ونحو ذلك قال ابن عباس وقتاده الا ان ابليس لم يقل انه ياتى بنى آدم من فوقهم ولاجعل الله له سبيلا الى ان يحول بينهم وبين رحمة الله وعفوه ومنّه وما ظنه ابليس صدقه الله عز وجل ومنه قوله سبحانه ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الافريقا من المومنين فجعل اكثر

العالَم كفرة ويبينه قوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح يقول الله عز وجل يا آدم اخرج بعث النار فيقول يا رب وما بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة ونحوه مما يخص امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما انتم فى الامم الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود وشاكرين معناه مومنين لان ابن آدم لايشكر نعمة الله الا بان يومن قاله ابن عباس وغيره وقوله سبحانه اخرج منها اي من الجنة مذءوما اي معيبا مدحورا اي مقصيا مبعدا لمن تبعك بفتح اللام هي لام قسم وقال ابو حيان الظاهر انها الموطئة للقسم ومن شرطية فى موضع رفع بالابتداء وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه ويجوز ان تكون لام ابتداء ومن موصولة فى موضع رفع بالابتداء والقسم المحذوف وجوابه وهو لاملأن فى موضع خبرها انتهى وقال الفخر وقيل مذءوما اي محقورا فالمذءوم المحتقر قاله الليث وقال ابن الانباري المذءوم المذموم وقال الفراء اذأمته اذا عيبته انتهى وباقى الآية بين اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء وسوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء * وقوله جل وعلا ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين اذا امِر الانسان بشيء وهو متلبس به فانما المقصد من ذلك ان يستمر على حاله ويتمادى فى هيئته وقوله سبحانه لآدم اسكن هو من هذا الباب وقد تقدم الكلام فى سورة البقرة على الشجرة وتعيينها وقوله سبحانه هذه قال (م) الاصل هذى والهاء بدل من الياء ولذلك كسرت الذال اذ ليس فى كلامهم هاء تانيث قبلها كسرة انتهى * وقوله عز وجل فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتها الوسوسة الحديث فى اخفاء همسا واسرارا من الصوت والوسواس صوت الحلي فشبه الهمس

به وسمى القاء الشيطان فى نفس ابن آدم وسوسة اذهي ابلغ الاسرار واخفاه هذا فى حال الشيطان معنا الآن واما مع آدم فممكن ان تكون وسوسة بمحاورة خفية او بالقاء فى نفس واللام في ليبدي هي فى قول الاكثرين لام الصيرورة والعاقبة ويمكن ان تكون لام كي على بابها وما ووري معناه ما ستر من قولك وارى يوارى اذا ستر والسوأة الفرج والدبر ويشبه ان يسمى بذلك لان منظره يسوء وقالت طائفة ان هذه العبارة انما قصد بها انها كشفت لهما معائبهما وما يسوءهما ولم يقصد بها العورة وهذا القول محتمل الا ان ذكر خصف الورق يرده الا ان يقدر الضمير فى عليهما عائد على بدنيهما فيصح * وقوله سبحانه وقال مانها كما الآية هذا القول المحكي عن ابليس يدخله من التاويل ما دخل الوسوسة فممكن ان يقول هذا مخاطبة وحوارا وممكن ان يقولها القاء فى النفس ووحيا والا ان تقديره عند سيبويه والبصريين الا كراهية ان وتقديره عند الكوفيين الا ان لا على اضمار لا ويرجح قول البصريين ان اضمار الاسماء احسن من اضمار الحروف وقرأ جمهور الناس ملكين بفتح اللام وقرأ ابن عباس ملكين بكسرها ويؤيده قوله وملك لا يبلى وقال بعض الناس يوخذ من هذه الالفاظ ان الملائكة افضل من البشر وهى مسئلة اختلف الناس فيها وتمسك كل فريق بظواهر من الشريعة والفضل بيد الله يوتيه من يشاء وقاسمهما اي حلف لهما بالله وهي مفاعلة اذ قبول المحلوف له اليمين كالقسم * وقوله عز وجل فدلاهما بغرور قال (ع) يشبه عندى ان تكون هذه استعارة من الرجل يدلى آخر من هوة بحبل قد ارم اوسبب ضعيف يغتر به فاذا تدلى به وتورك عليه انقطع به وهلك فيشبه الذى يغر بالكلام حتى يصدقه فيقع فى مصيبة بالذى يدلى من هوة بسبب ضعيف * وقوله سبحانه بدت قيل تمزقت عنهما ثياب الجنة وملابسها

وتطايرت تبريا منها ويخصفان معناه يلصقانها والمخصف الاشفي وضم الورق بعضه الى بعض اشبه بالخرز منه بالخياطة قال البخاري يخصفان يؤلفان الورق بعضه الى بعض انتهى وهو معنى ما تقدم وروى ابيٌّ عن النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام كان يمشي فى الجنة كانه النخلة السحوق فلما اكل من الشجرة وبدت له حاله فر على وجهه فاخذت شجرة بشعر راسه فقال لها ارسلني فقالت ما انا بمرسلتك فناداه ربه جل وعلا امني تفر يا آدم فقال لا يا رب ولكن استحييك فقال اما كان لك فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يارب ولكن وعزتك ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا * وقوله عن تلكما يريد بحسب اللفظ انه انما اشار الى شجرة مخصوصة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين اشارة الى الآية التي فى طه فى قوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وهذا هو العهد الذى نسيه آدم على مذهب من جعل النسيان على بابه وقولهما ربنا ظلمنا انفسنا اعتراف من آدم وحواء عليهما السلام وطلب للتوبة والستر والتغمد بالرحمة فطلب آدم هذا فاجيب وطلب ابليس النظرة ولم يطلب التوبة فوكل الى سوء رأيه قال الضحاك وغيره هذه الآية هي الكلمات التي تلقى آدم من ربه * وقوله عز وجل قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو المخاطبة بقوله اهبطوا قال ابو صالح والسدي والطبري وغيرهم هي لآدم وحواء وابليس والحية وقالت فرقة هي مخاطبة لآدم وذريته وابليس وذريته قال (ع) وهذا ضعيف لعدمهم فى ذلك الوقت (ت) وما ضعفه رحمه الله صححه فى سورة البقرة فتأمله هناك وعداوة الحية معروفة روى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم ماسالمناهن منذ حاربناهن * وقوله سبحانه يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم الآية خطاب لجميع الامم وقت النبي صلى الله عليه وسلم والسبب والمراد

قريش ومن كان من العرب يتعرى فى طوافـه بالبيت قال مجاهـد ففيهم نزلت هـذه الاربـع آيات وقوله انزلنا يحتمـل التدريج اي لمـا انزل المطـر فكان عنـه جميـع مـا يلبس ويحتمـل ان يريـد بانزلنـا خلقنـا كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد ولباسا عام فى جميـع مـا يلبس ويوارى يستر وقرأ الجهور وريشـا وقرأ عاصم وابو عمرو ورياشا وهما عبارتان عـن سعـة الرزق ورفاهة العيش وجـودة الملبس والتمتع وقال البخاري قال ابن عبـاس وريشا المـال انتهى وقرأ نافع وغيره ولبـاس بالنصب وقرأ حمـزة وغيره بالرفع وقوله ذلك من آيات الله اشـارة الى جميع مـا انزل الله مـن اللبـاس والريش وحكى النقـاش ان الاشـارة الى لبـاس التقوى اي هـو فى العبـد آيـة اي علامة وامارة مـن الله تعالى انه قـد رضي عنـه ورحمـه وقال ابن عباس لباس التقوى هو السمت الحسن فى الوجه وقاله عثمان بن عفان على المنبر وقال ابن عباس ايضا هو العمل الصالح وقال عروة بن الزبير هو خشية الله وقيـل هـو لباس الصوف وكل ما فيه تواضع لله عز وجل وقال الحسن هو الورع وقال معبد الجهني هو الحياء وقال ابن عباس ايضا لباس التقوى العفة قال (ع) وهذه كلها مثل وهي من لباس التقوى ولعلهم ترج بحسبهم ومبلغهم من المعرفة وقوله عز وجل يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية خطاب لجميع العالم والمقصود بهـا فى ذلك الوقت من كان يطوف من العرب بالبيت عريانا قيل كانت العرب تطوف عراة الا الحمس وهم قريش ومن والاها وهذا هو الصحيح ثم نودي بمكة فى سنة تسع لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان والفتنـة فى هذه الآية الاستهواء والغلبة على النفس واضاف الاخراج فى هذه الآية الى ابليس تجوزا لما كان هو السبب فى ذلك قال ابو حيـان كما اخرج كما فى موضع نصب اي فتنـة مثل فتنـة اخـراج ابويكم

انتهى * وقوله سبحانه انه يراكم الآية زيادة فى التحذير واعلام بان الله عز وجل قد مكن ابليس من بنى آدم فى هذا القدر وبحسب ذلك يجب ان يكون التحرز بطاعة الله عز وجل وقبيل الشيطان يريد نوعه وصنفه وذريته والشيطان موجود وهو جسم قال النووى وروينا فى كتاب ابن السني عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ما بين اعين الجن وعورات بنى آدم ان يقول الرجل المسلم اذا اراد ان يطرح ثيابه بسم الله الذى لا اله الا هو انتهى وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ستر ما بين الجن وعورات بنى آدم اذا دخلوا الكنف ان يقولوا بسم الله رواه الترمذي وقال اسناده ليس بالقوي قال النووي قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم يجوز ويستحب العمل فى الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكون مضوعا واما الاحكام كالحلال والحرام والبيع والنكاح والطلاق وغير ذلك فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح او الحسن الا ان يكون فى احتياط فى شيء من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع او الانكحة فان المستحب ان يتنزه عنه ولكن لا يجب انتهى ونحوه لابى عمر بن عبد البر فى كتاب فضل العلم ثم اخبر عز وجل انه صير الشياطين اولياء اي صحابة ومتداخلين للكفرة الذين لا ايمان لهم * وقوله واذا فعلوا وما بعده داخل فى صفة الذين لا يومنون والفاحشة فى هذه الآية وان كان اللفظ عاما هي كشف العورة عند الطواف فقد روي عن الزهري انه قال ان فى ذلك نزلت هذه الآية وقاله ابن عباس ومجاهد * وقوله عز وجل قل امر ربى بالقسط تضمن معنى اقسطوا ولذلك عطف عليه قوله واقيموا حملا على المعنى والقسط العدل واختلف فى قوله سبحانه واقيموا وجوهكم عند كل مسجد فقال مجاهد

والسدي اراد الى الكعبة والمقصد على هـذا شرع القبلة والتزامهـا وقيـل اراد الامر باحضار النيـة لله فى كل صلاة والقصد نحـوه كما تقـول وجهت وجهى لله قاله الربيع وقيـل المراد اباحة الصلاة فى كل موضع من الارض اي حيث ما كنتم فهو مسجد لكم تلزمكم عند الصلاة اقامة وجوهكم فيه لله عز وجل * وقوله سبحانـه كما بدأكم تعودون قال ابن عباس وقتادة ومجاهد المعني كما اوجدكم واخترعكم كذلك يعيدكم بعد الموت والوقف على هذا التاويل تعودون وفريقا نصب بهدى والثانى منصوب بفعل تقديره وعذب فريقا وقال جابر بن عبد الله وغيره وروي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المراد الاعلام بان من سبقت له من الله الحسنى وكتب سعيدا كان فى الآخرة سعيدا ومن كتب عليه انه من اهل الشقاء كان فى الآخرة شقيا ولا يتبدل من الامور التى احكمها ودبرهـا وانفذها شيء فالوقف فى هـذا التاويل فى قوله تعودون غير حسن وفريقا على هذا التاويل نصب على الحال والثانى عطف على الاول ويحسبون انهم مهتدون معناه يظنون قال الطبري وهذه الآية دليل على خطإ من زعم ان الله لايعذب احدا على معصية ركبها اوضلالة اعتقدها الا ان ياتيها على علم منه بموضع الصواب * وقوله سبحانه يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد الآية هذا خطاب عام لجميع العالم كما تقدم وامروا بهذه الاشياء بسبب عصيان حاضرى ذلك الوقت من مشركى العرب فيها والزينة الثياب الساترة قاله مجاهد وغيره وعند كل مسجد اي عند كل موضع سجود فهي اشارة الى الصلوات وستر العورة فيها (ت) ومن المستحسن هنا ذكر شيء مما جاء فى اللباس فمن احسن الاحاديث فى ذلك واصحها ما رواه مالك فى الموطإ عن ابى سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أُزْرَة المومن الى انصاف ساقيه لاجناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما اسفل من ذلك فى النار قال ذلك

ثلاث مرات لا ينظر الله عز وجل الى من جر ازاره بطرا وحدث ابو عمر فى التمهيد بسنده عن ابن عمر قال فيما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الازار فهو فى القميص يعنى ما تحت الكعبين من القميص فى النار كما قال فى الازار وقد روى ابو خيثمة زهير بن معاوية قال سمعت ابا اسحاق السبيعي يقول ادركتهم وقمصهم الى نصف الساق اوقريب من ذلك وكم احدهم لايجاوز يده انتهى وروى ابو داود عن اسماء بنت يزيد قالت كانت يد كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ واما احب اللباس فما رواه ابو داود عن ام سلمة قالت كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص انتهى وجاء فى المسبل وعيد شديد وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل اسبل ازاره ان هذا كان يصلي وهو مسبل ازاره وان الله لايقبل صلاة رجل مسبل ازاره رواه ابو داود انتهى * وقوله سبحانه وكلوا واشربوا اباحة لما التزموه من تحريم اللحم والودك فى ايام المواسم قاله ابن زيد وغيره ويدخل فى ذلك البحيرة والسائبة ونحو ذلك نص على ذلك قتادة * وقوله سبحانه ولا تسرفوا معناه لا تفرطوا قال اهل التاويل يريد تسرفوا بان تحرموا ما لم يحرم الله عز وجل واللفظة تقتضي النهي عن السرف مطلقا ومن تلبس بفعل مباح فان مشى فيه على القصد واوسط الامور فحسن وان افرط جعل ايضا من المسرفين وقال ابن عباس فى هذه الآية احل الله الاكل والشرب ما لم يكن سرفا اومخيلة قال ابن العربي قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا الاسراف تعدى الحد فنهاهم سبحانه عن تعدى الحلال الى الحرام وقيل لايزيد على قدر الحاجة وقد اختلف فيه على قولين فقيل حرام وقيل مكروه وهو الاصح فان قدر الشبع يختلف باختلاف البلدان والازمان والانسان والطعمان انتهى من احكام القرآن * وقوله سبحانه قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده اي قل لهم على جهة التوبيخ

وزينة الله هي ما حسنته الشريعة وقررته وزينة الدنيا كل ما اقتضته الشهوة وطلب العلو فى الارض كالمال والبنين والطيباتُ قال الجمهور يريد المحللات وقال الشافعي وغيره هي المستلذات اي من الحلال وانما قاد الشافعي الى هذا تحريمه المستقذرات كالوزغ ونحوها فانه يقول هي من الخبائث (ت) وقال مكي المعنى قل من حرم زينة الله اي اللباس الذى يزين الانسان بان يسترعورته ومن حرم الطيبات من الرزق المباحة وقيل عنى بذلك ما كانت الجاهلية تحرمه من السوائب والبحائر انتهى * وقوله سبحانه قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال ابن جبير المعنى قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ينتفعون بها فى الدنيا ولا يتبعهم اثمها يوم القيامة وقال ابن عباس والضحاك والحسن وقتادة وغيرهم المعنى هو ان يخبر صلى الله عليه وسلم ان هذه الطيبات الموجودات هي فى الحياة الدنيا للذين آمنوا وان كانت ايضا لغيرهم معهم وهي يوم القيامة خالصة لهم اي لا يشركهم احد فى استعمالها فى الآخرة وقرأ نافع وحده خالصة بالرفع والباقون بالنصب * وقوله سبحانه كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كما فصلنا هذه الاشياء المتقدمة الذكر نفصل الآيات اي نبين الامارات والعلامات والهدايات لقوم لهم علم ينتفعون به * وقوله عز وجل قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن الآية لما تقدم انكار ما حرمه الكفار بآرائهم اتبعه بذكر ما حرم الله عز وجل والفواحش فى اللغة ما فحش وشنع واصله من القبح فى النظر وهي هنا انما هي اشارة الى ما نص الشرع على تحريمه فكل ما حرمه الشرع فهو فاحش والاثم لفظ عام فى جميع الافعال والاقوال التى يتعلق بمرتكبها اثم هذا قول الجمهور وقال بعض الناس هي الخمر وهذا قول مردود لان هذه السورة مكية وانما حرمت الخمر بالمدينة بعد اُحد والبغي التعدى وتجاوز الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون من انه حرم البحيرة

والسائبة ونحوه * وقوله سبحانه ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون المعنى ولكل امة اجل موقت لمجيء العذاب اذا كفروا وخالفوا امر ربهم فانتم ايتها الامة كذلك قاله الطبري وغيره وقوله ساعة لفظ عين به الجزء القليل من الزمان والمراد جميع اجزائه والمعنى لا يستاخرون ساعة ولا اقل منها ولا اكثر وقوله عز وجل يا بنى آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولائك اصحاب النار هم فيها خالدون الخطاب فى هذه الآية لجميع العالم وان هي الشرطية دخلت عليها ما موكدة وكان هذا الخطاب لجميع الامم قديمها وحديثها هو متمكن لهم ومتحصل منه لحاضرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان هذا حكم الله فى العالم منذ انشأه وياتينكم مستقبل وضع موضع ماض ليفهم ان الاتيان باق وقت الخطاب لتقوى الاشارة بصحة النبوءة الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا على مراعاة وقت نزول الآية واسند الطبري الى ابى سَيَّار السلمي قال ان الله سبحانه خاطب آدم وذريته فقال يا بنى آدم اما ياتينكم رسل منكم الآية قال ثم نظر سبحانه الى الرسل فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون الحديث قال (ع) ولا محالة ان هذه المخاطبة فى الازل وقيل المراد بالرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذكره النقاش ويقصون اي يسردون ويوردون والآيات لفظ جامع لآيات الكتب المنزلة وللعلامات التى تقترن بالانبياء ونفي الخوف والحزن يعم جميع انواع مكاره النفس وانكادها * قوله سبحانه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اوكذب بآياته الآية هذه الآية وعيد واستفهام على جهة التقرير اى لا احد اظلم منه والكتاب هو اللوح المحفوظ فى قول الحسن وغيره وقيل ما تكتبه الحفظة ونصيبهم من ذلك هو

الكفر والمعاصى قاله مجاهد وغيره وقيل هو القرآن وحظهم فيه سواد الوجوه يوم القيامة وقال الربيع بن انس وغيره المعنى بالنصيب ما سبق لهم فى ام الكتاب من رزق وعمر وخير وشر فى الدنيا ورجحه الطبري واحتج له بقوله تعالى بعد ذلك حتى اذا جاءتهم رسلنا اي عند انقضاء ذلك فكان معني الآية على هذا التاويل اولائك يتمتعون ويتصرفون فى الدنيا بقدر ما كتب لهم حتى اذا جاءتهم رسلنا لموتهم وهذا تاويل جماعة وعلى هذا يترتب ترجيح الطبري وقالت فرقة رسلنا يريد بهم ملائكة العذاب يوم القيامة ويتوفونهم معناه عندهم يستوفونهم عددا فى السوق الى جهنم * وقوله سبحانه حكاية عن الرسل اين ما كنتم تدعون استفهام تقرير وتوبيخ وتوقيف على خزي وتدعون معناه تعبدون وتؤملون وقولهم ضلوا عنا معناه هلكوا وتلفوا وفقدوا ثم ابتدأ الخبر عن المشركين بقوله سبحانه وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين * قوله سبحانه قال ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار هذه حكاية ما يقول الله سبحانه لهم يوم القيامة بواسطة ملائكة العذاب نسأل الله العافية وعبر عن يقول بقال لتحقق وقوع ذلك وصدق القصة وهذا كثير وخلت حكاية عن حال الدنيا اي ادخلوا فى النار فى جملة الامم السابقة لكم فى الدنيا الكافرة (ت) وكذا قدره ابو حيان فى جملة امم قال وقيل فى بمعنى مع اي مع امم وتقدم له فى البقرة ان فى تجيء للمصاحبة كقوله تعالى ادخلوا فى امم قد خلت انتهى وقدم ذكر الجن لانهم اعرق فى الكفر وابليس اصل الضلال والاغواء وهذه الآية نص فى ان كفرة الجن فى النار والذى يقتضيه النظر ان مومنيهم فى الجنة لانهم عقلاء مكلفون مبعوث اليهم آمنوا وصدقوا وقد بوب البخاري رحمه الله بابا فى ذكر الجن وثوابهم وعقابهم وذكر عبد الجليل ان مومنى الجن يكونون ترابا كالبهائم وذكر فى ذلك حديثا مجهولا وما أُراه يصح والله اعلم

والاخوة فى هذه الآية اخوة الملة قال (ص) فى النار متعلق بخلت او بمحذوف وهو صفة لامم اي فى امم سابقة فى الزمان كائنة من الجن والانس كائنة فى النار ويحتمل ان يتعلق بادخلوا على ان فى الاولى بمعنى مع والثانيـة للظرفية واذا اختلف مدلول الحرفين جاز تعلقهما بمحل واحد انتهى وادار كوا معناه تلاحقوا اصله تداركوا ادغم فجلبت الف الوصل وقال البخاري اداركوا اجتمعوا انتهى * وقوله سبحانه قالت اخراهم لاولاهم معنـاه قالت الامم الاخيرة التى وجدت ضلالات متقررة وسننا كاذبة مستعملة للاولى التي شرعت ذلك وافترت على الله وسلكت سبيل الضلال ابتداء ربنا هؤلاء اضلونا اي طرقوا لنا طرق الضلال قال لكل ضعف اي عـذاب مشـدد على الاول والآخـر ولكن لا تعلمون اي المقادير وصور التضعيف * قوله سبحانه وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينـا من فضل اي قد استوت حالنا وحالكم فذوقوا العذاب باجترامكم وهـو مـن كلام الامـة المتقدمـة للمتأخـرة وقيـل قـوله فذوقـوا هـو مـن كلام الله عز وجل لجميعهم * وقـوله سبحانه ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة الآية هـذه الآية عامة فى جميع الكفرة قديمهم وحديثهم قرأ نافع وغيره لا تفتح بتشديد التاء الثانية وقرأ ابو عمرو تفتح بالتـاء ايضا وسكون الفاء وتخفيف الثانية وقرأ حمزة يفتح باليـاء من اسفل وتخفيف التاء ومعنى الآية لا يرتفع لهم عمل ولا روح ولا دعاء فهي عامة فى نفي ما يوجب للمومنين قاله ابن عبـاس وغيره ثم نفى سبحـانه عنهم دخول الجنة وعلق كونه بكون محال وهو ان يدخل الجمل فى ثقب الابرة حيث يدخل الخيط والجمل كما عهد والسم كما عهد وقرأ جمهور المسلمين الجمل واحد الجمال وقرأ ابن عباس وغيره الجمل بضم الجيم وتشديد الميم وهو حبل السفينة والسم الثقب من الابرة وغيرها وكذلك اي وعلى هذه الصفة وبمثل هذا

الحتم وغيره نجزى الكفرة واهل الجرائم على الله لهم من جهنم مهاد اي فراش ومسكن ومضجع يتمهدونـه وهي لهم غواش جمع غاشية وهي ما يغشى الانسان اي يغطيه ويستره من جهة فوق * وقوله سبحانه لا نكلف نفسا الاوسعها اولائك اصحاب الجنة هم فيها خالدون هذه آية وعد مخبرة ان جميـع المومنين هم اصحاب الجنـة ولهم الخلـد فيهـا ثم اعترض فيها القول بعقب الصفة التى شرطها فى المومنين باعتراض يخفف الشرط ويرجى فى رحمة الله ويعلم ان دينـه يسر وهذه الآية نص فى ان الشريعة لا يتقرر من تكاليفها شيء لا يطاق وقد تقدم ذلك فى سورة البقرة والوسع معناه الطاقة وهو القـدر الذى يتسع له البشر * وقـوله سبحانه ونزعنـا ما فى صدورهم من غل هذا اخبار من الله عز وجل انه ينقى قلوب ساكنى الجنة من الغل والحقد وذلك ان صاحب الغل معـذب بـه ولاعذاب فى الجنـة وورد فى الحديث الغل على باب الجنة كمبارك الا بل قد نزعه الله من قلوب المومنين والغل الحقد والاحنـة الخفية فى النفس وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهـذا الاشارة بهذا يتجه ان تكون الى الايمـان والاعمال الصالحات المؤدية الى الجنة ويحتمل ان تكون الى الجنة نفسها اي ارشدنا الى طرقها وقرأ ابن عامر وحده ما كنا لنهتدي بسقوط الواو وكذلك هي فى مصاحف اهل الشام ووجهها ان الكلام متصل مرتبط بما قبله ولما رأو تصديق ما جآت بـه الانبياء عن الله سبحانه وعاينوا انجاز المواعيد قالوا لقـد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا اي قيـل لهم بصيـاح وهذا النـداء من قبل الله وان مفسرة لمعنى النـداء بمعنى اي وقوله بمـا كنتم تعملون لا على طريق وجوب ذلك على الله تعالى لكن بقرينة رحمته وتغمده والاعمال امارة من الله سبحانـه وطريق الى قوة الرجاء ودخولُ الجنـة انما هو بمجرد رحمته والقسم فيها على قدر الاعمال واورثتم مشيرة الى الاقسـام وقوله سبحانـه ونادى اصحـاب الجنـة

اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا الآيـة هذا النداء من اهل الجنة لاهل النار تقريع وتوبيخ وزيادة فى الكرب وهو بان يشرفوا عليهم ويخلق الادراك فى الاسماع والابصار وقوله سبحانه فاذن مؤذن بينهم اي اعلم معلم والظالمون هنا هم الكافرون (ت) حكي عن غير واحد ان طاووس دخل على هشام بن عبد الملك فقال له اتق الله واحذر يوم الاذان فقال وما يوم الاذان فقال قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فصعق هشام فقال طاووس هذا ذل الوصف فكيف ذل المعاينة انتهى ويبغونها عوجا اي يطلبونها او يطلبون لها والضمير فى يبغونها عائد على السبيل وقوله سبحانه وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم وبينهما اي بين الجنة والنار ويحتمل بين الجمعين والحجاب هو السور الذى ذكره الله عز وجل فى قوله فضرب بينهم بسور له باب قال ابن عباس وقال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال ابن عباس ايضا هو تل بين الجنة والنار وذكر الزهراوي حديثا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اُحدا جبل يحبنا ونحبه وانه يوم القيامة يمثل بين الجنة والنار يحتبس عليه اقوام يعرفون كلا بسيماهم هم ان شاء الله من اهل الجنة والاعراف جمع عرف وهو المرتفع من الارض ومنه عرف الفرس وعرف الديك لعلوهما وقال بعض الناس سمي الاعراف اعرافا لان اصحابه يعرفون الناس قال (ع) وهذه عجمة وانما المراد على اعراف ذلك الحجاب اي اعاليه وقوله رجال قال الجمهور انهم رجال من البشر ثم اختلفوا فى تعيينهم فقال شرحبيل بن سعد هم المستشهدون فى سبيل الله الذين خرجوا عصاة لآبائهم وذكر الطبري فى ذلك حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وانه تعادل عقوقهم واستشهادهم وقال ابن عباس وغيره هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ووقع فى مسند خثيمة بن سليمان فى آخر

الجزء الخامس عشر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار قيل يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته قال اولائك اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون وقيل غير هذا من التاويلات قال (ع) واللازم من الآية ان على اعراف ذلك السور او على مواضع مرتفعة عن الفريقين حيث شاء الله تعالى رجالا من اهل الجنة يتأخر دخولهم ويقع لهم ما وصف من الاعتبار ويعرفون كلا بسيماهم اي بعلاماتهم من بياض الوجوه وحسنها فى اهل الجنة وسوادها وقبحها فى اهل النار الى غير ذلك فى حيز هؤلاء وحيز هؤلاء وقوله لم يدخلوها وهم يطمعون المراد به اهل الاعراف فقط وهو تاويل ابن مسعود والسدي وقتادة والحسن وقال والله ما جعل الله ذلك الطمع فى قلوبهم الا لخير اراده بهم قال (ع) وهذا هو الاظهر الاليق مما قيل فى هذه الآية ولا نظر لاحد مع قول النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه واذا صرفت ابصارهم اي ابصار اصحاب الاعراف فهم يسلمون على اصحاب الجنة واذا نظروا الى النار واهلها قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين قاله ابن عباس وجماعة من العلماء * وقوله سبحانه ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم يريد من اهل النار ما اغنى عنكم جمعكم ما استفهام بمعنى التقرير والتوبيخ وما الثانية مصدرية وجمعكم لفظ يعم المال والاجناد والخول * وقوله سبحانه اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة اهل الاعراف هم القائلون اهؤلاء اشارة الى اهل الجنة والذين خوطبوا هم اهل النار والمعنى اهؤلاء الضعفاء فى الدنيا الذين حلفتم ان الله لا يعبؤ بهم قيل لهم ادخلوا الجنة وقال النقاش اقسم اهل النار ان اصحاب

الاعراف داخلون النار معهم فنادتهم الملائكة اهؤلاء ثم نادت اصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وقرأ عكرمة دخلوا الجنة على الاخبار بفعل ماض * وقوله سبحانه ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء الآية لفظة النداء تتضمن ان اهل النار وقع لهم علم بان اهل الجنة يسمعون نداءهم وجائز ان يكون ذلك وهم يرونهم بادراك يجعله الله لهم على بعد السفل من العلو وجائز ان يكون ذلك وبينهم السور والحجاب المتقدم الذكر وروي ان ذلك النداء هو عند اطلاع اهل الجنة عليهم وقوله سبحانه او مما رزقكم الله اشارة الى الطعام قاله السدي فيقول لهم اهل الجنة ان الله حرم طعام الجنة وشرابها على الكافرين واجابة اهل الجنة بهذا الحكم هو عن امر الله تعالى ومعنى قوله تعالى الذين اتخذوا دينهم لهوا اي بالاعراض والاستهزاء بمن يدعوهم الى الاسلام وغرتهم الحياة الدنيا اي خدعتهم بزخرفها واعتقادهم انها الغاية القصوى وقوله فاليوم ننساهم هو من اخبار الله عز وجل عما يفعل بهم والنسيان هنا بمعنى الترك اي نتركهم فى العذاب كما تركوا النظر للقاء هذا اليوم قاله ابن عباس وجماعة وما كانوا عطف على ما من قوله كما نسوا ويحتمل ان تقدر ما الثانية زائدة ويكون قوله وكانوا عطفا على قوله نسوا وقوله سبحانه ولقد جئناهم بكتاب الضمير فى جئناهم لمن تقدم ذكره والكتاب اسم جنس واللام فى لقد لام قسم وقال يحيى بن سلام بل الكلام تم فى يجحدون وهذا الضمير لمكذبى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو ابتداء كلام آخر والمراد بالكتاب القرءان وعلى علم معناه على بصيرة وقوله سبحانه هل ينظرون اي ينتظرون الا تاويله اي مثاله وعاقبته يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره وقال السدي مثاله فى الدنيا وقعة بدر وغيرها ويوم القيامة ايضا ثم اخبر تعالى ان مثال حال هذا الدين يوم ياتى يقع معه ندمهم ويقولون تأسفا على ما فاتهم من

الايمان لقد جاءت رسل ربنا بالحق فالتاويل على هذا من آل يئول ونسوه يحتمل ان يكون بمعنى الترك وباقى الآية بين (ت) وهذا التقرير يرجح تاويل ابن سلام المتقدم * وقوله سبحانه ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام الآية خطاب عام يقتضى التوحيد والحجة عليه بدلائله وجاء فى التفسير والاحاديث ان الله سبحانه ابتدأ الخلق يوم الاحد وكملت المخلوقات يوم الجمعة وهذا كله والساعة اليسيرة فى قدرة الله سبحانه سواء قال (م) فى ستة ايام ستة اصلها سدسة فابدلوا من السين تاء ثم ادغموا الدال فى التاء وتصغيره سديس وسديسة انتهى * وقوله سبحانه ثم استوى على العرش معناه عند ابى المعالى وغيره من حذاق المتكلمين الملك والسلطان وخص العرش بالذكر تشريفا اه اذ هو اعظم المخلوقات * وقوله سبحانه الا له الخلق والامر الا استفتاح كلام واخذ المفسرون الخلق بمعنى المخلوقات اي هي كلها ملكه واختراعه واخذوا الامر مصدرا من آمر يامر قال (ع) ويحتمل ان توخذ لفظة الخلق على المصدر من خلق يخلق خلقا اي له هذه الصفة اذ هو الموجد للاشياء بعد العدم ويوخذ الامر على انه واحد الامور فيكون بمنزلة قوله واليه يرجع الامر كله والى الله ترجع الامور وكيف ما تأولت الآية فالجميع لله سبحانه وتبارك معناه عظم وتعالى وكثرت بركاته ولا يوصف بها الا الله سبحانه وتبارك لا يتصرف فى كلام العرب فلا يقال منه يتبارك والعالمين جمع عالم * قوله عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين هذا امر بالدعاء وتعبد به ثم قرن سبحانه بالامر به صفات تحسن معه وقوله تضرعا معناه بخشوع واستكانة والتضرع لفظة تقتضى الجهر لان التضرع انما يكون باشارات جوارح وهيآت اعضاء تقترن بالطلب وخفية يريد فى النفس خاصة وقد اثنى الله سبحانه على ذلك فى قوله سبحانه اذ نادى ربه نداء خفيا ونحو

هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفي والشريعة مقررة ان السر فيما لم يفرض من اعمال البر اعظم اجرا من الجهر (ت) ونحو هذا لابن العربي لما تكلم على هذه الآية قال الاصل فى الاعمال الفرضية الجهر والاصل فى الاعمال النفلية السر وذلك لما يتطرق الى النفل من الرياء والتظاهر بذلك فى الدنيا والتفاخر على الاصحاب بالاعمال وقلوب الخلق جبلت بالميل الى اهل الطاعة انتهى من الاحكام وقوله سبحانه انه لا يحب المعتدين يريد فى الدعاء وان كان اللفظ عاما والاعتداء فى الدعاء على وجوه منها الجهر الكثير والصياح وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا ومنها ان يدعو فى محال ونحو هذا من التشطط وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المراء ان يقول اللهم انى اسألك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل وقال البخاري انه لا يحب المعتدين اي فى الدعاء وغيره انتهى (ت) قال الخطابي وليس معنى الاعتداء الاكثار فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب الملحين فى الدعاء وقال اذا دعا احدكم فليستكثر فانما هو يسأل ربه انتهى وروى ابو داود فى سننه عن عبد الله بن مُغَفَّل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون فى هذه الامة قوم يعتدون فى الطهر والدعاء انتهى * وقوله سبحانه ولا تفسدوا فى الارض الآية الفاظها عامة تتضمن كل فساد قل او كثر بعد صلاح قل او كثر والقصد بالنهي هو العموم وتخصيص شيء دون شيء فى هذا تحكم الا ان يقال على جهة المثال * وقوله سبحانه وادعوه خوفا وطمعا امر بان يكون الانسان فى حالة تقرب وتحرز وتاميل لله عز وجل حتى يكون الخوف والرجاء

كالجناحين للطير يحملانه فى طريق استقامة وان انفرد احدهما هلك الانسان وقد قال كثير من العلماء ينبغي ان يغلب الخوف الرجاء طول الحياة فاذا جاء الموت غلب الرجاء وقد رأى كثير من العلماء ان يكون الخوف اغلب على المرء بكثير وهذا كله طريق احتياط ومنه تمنى الحسن البصري ان يكون الرجلَ الذى هو آخر من يدخل الجنة وتمنى سالم مولى ابى حذيفة ان يكون من اصحاب الاعراف ثم انّس سبحانه بقوله ان رحمت الله قريب من المحسنين * وقوله سبحانه وهو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا الآية هذه آية اعتبار واستدلال وقرأ عاصم الرياح بالجمع بشرا بالباء المضمومة والشين الساكنة وروي عنه بشرا بضم الباء والشين ومن جمع الريح فى هذه الآية فهو اسعد وذلك ان الرياح حيث وقعت فى القرءان فهي مقترنة بالرحمة كقوله ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات واكثر ذكر الريح مفردة انما هو بقرينة عذاب كقوله سبحانه وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقد تقدم ايضاح هذا فى سورة البقرة ومن قرأ فى هذه الآية الريح بالافراد فانما يريد به اسم الجنس وايضا فتقييدها بنشراً يزيل الاشتراك والارسال فى الريح هو بمعنى الاجراء والاطلاق ونشرا اي تنشر السحاب واما بشرا بضم الباء والشين فجمع بشير كنذير ونذر والرحمة فى هذه الآية المطر وبين يدي اي امام رحمته وقدامها واقلت معناه رفعته منْ الارض واستقلت به وثقالا معناه من الماء والعرب تصف السحاب بالثقل والريح نسوق السحاب من ورائه فهو سوق حقيقة والضمير فى سقناه عائد على السحاب ووصف البلد بالموت استعارة بسبب شعثه وجذوبته والضمير فى قوله فانزلنا به يحتمل ان يعود على السحاب اي منه ويحتمل ان يعود على البلد ويحتمل ان يعود على الريح *

وقوله تبارك وتعالى كذلك نخرج الموتى يحتمل مقصدين احدهما ان يراد كهذه القدرة العظيمة هي القدرة على احياء الموتى وهذا مثال لها الثانى ان يراد ان هكذا نصنع بالاموات من نزول المطر عليهم حتى يحيوا به حسب ماوردت به الآثار فيكون الكلام خبرا لامثالا * وقوله سبحانه والبلد الطيب يخرج نباته آية متممة للمعنى الاول فى الآية قبلها معرفة بعادة الله سبحانه فى انبات الارضين فمن اراد ان يجعلها مثالا لقلب المومن وقلب الكافر كما هو محكي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي فذلك مترتب لكن الفاظ الآية لا تقتضى ان المثل قصد به ذلك والطيب هو الجيد التراب الكريم الارض وخص باذن ربه مدحا وتشريفا وهذا كما تقول لمن تغض منه انت كما شاء الله فهي عبارة تعطى مبالغة فى مدح اوذم والخبيث هو السباخ ونحوها من ردىء الارض والنكد العسير القليل كذلك نصرف الآيات اي هكذا نبين الامور ويشكرون معناه يومنون ويثنون بآلاء الله سبحانه * قوله عز وجل لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون قال الطبري اقسم الله تعالى انه ارسل نوحا وكذا قال ابو حيان لقد اللام جواب قسم محذوف انتهى وغيره بالرفع بدل من قوله من اله لانه فى موضع رفع ويجوز ان يكون نعتا على الموضع لان التقدير ما لكم اله غيره والملأ الجماعة من الاشراف قيل انهم ماخذون من انهم يملئون النفس والعين ويحتمل من انه اذا تمالئوا على امرتم وقولهم انا لنراك يحتمل من رؤية البصر ويحتمل من رؤية القلب وهو اظهر وفى ضلال اي فى تلف وجهالة بما تسلك وقوله

لهم جواب عن هذا ليس بي ضلالة مبالغة فى حسن الادب والاعراض عن الجفاء منهم وتناول رفيق وسعة صدر حسب ما تقتضيه خلق النبوءة وقوله ولكنى رسول تعرض لمن يريد النظر والبحث والتأمل فى المعجزة وقوله عليه السلام واعلم من الله ما لا تعلمون لفظ مضمنه الوعيد لاسيما وهم لم يسمعوا قط بامة عذبت * وقوله او عجبتكم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه فى الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين الاستفهام هنا على جهة التقرير والتوبيخ وقوله على رجل منكم قيل على بمعني مع وقيل هو على حذف مضاف تقديره على لسان رجل ويحتمل ان يكون معناه منزل على رجل منكم اذ كل ما ياتى من الله سبحانه فله حكم النزول ولعلكم ترج بحسب حال نوح ومعتقده * وقوله سبحانه فانجيناه والذين معه فى الفلك الآية وفى التفسير ان الذين كانوا مع نوح فى السفينة اربعون رجلا وقيل ثمانون رجلا وثمانون امرأة وقيل عشرة وقيل ثمانية قاله قتادة وقيل سبعة والله اعلم وفى كثير من كتب الحديث الترمذى وغيره ان جميع الخلق الآن من ذرية نوح عليه السلام وقوله عمين جمع عم ويريد عمي البصائر واتى فى حدبث الشفاعة وغيره ان نوحا اول الرسل * وقوله سبحانه والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين عاد اسم الحى وهم عرب فيما يذكر واخاهم نصب بارسلنا وهو معطوف على نوح وهذه ايضا نذارة من هود عليه السلام وقوله افلا تتقون استعطاف الى التقوى والايمان وقوله او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم

واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قوله وزادكم فى الخلق اي فى الخلقة والبسطة الكمال فى الطول والعرض وقيل زادكم على اهل عصركم وقال الطبري زادكم على قوم نوح وقاله قتادة قال (ع) واللفظ يقتضى ان الزيادة على جميع العالم وهو الذى يقتضيه ما يذكر عنهم وروي ان طول الرجل منهم كان مائة ذراع وطول اقصرهم ستون ونحوها والآلاء جمع الى على مثل معى وهي النعمة والمنة قال الطبري وعاد هؤلاء فيما حدث ابن اسحاق من ولد عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الشحر من ارض اليمن وما والى حضرموت الى عمان قال السدي وكانوا بالاحقاف وهي الرمال وكانت بلادهم اخصب بلاد فردها الله صحارى وقال علي بن ابى طالب رضي الله عنه ان قبر هود عليه السلام هنالك فى كثيب احمر تخالطه مدرة ذات اراك وسدر وكانوا قد فشوا فى جميع الارض وملكوا كثيرا بقوتهم وعددهم وظلموا الناس وكانوا ثلاثة عشر قبيلة وكانوا اصحاب اوثان فبعث الله اليهم هودا من افضلهم واوسطهم نسبا فدعاهم الى توحيد الله سبحانه والى ترك الظلم قال ابن اسحاق ولم يامرهم فيما يذكر بغير ذلك فكذبوه وعتوا واستمروا على ذلك الى ان اراد الله انفاذ امره امسك عنهم المطر ثلاث سنين فشقوا بذلك وكان الناس فى ذلك الزمان اذا دهمهم امر فزعوا الى المسجد الحرام بمكة فدعوا الله فيه تعظيما له مومنهم وكافرهم واهل مكة يومئذ العماليق وسيدهم رجل يسمى معاوية بن بكر فاجتمعت عاد على ان تجهز منهم وفدا الى مكة يستسقون الله لهم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال وعتيل بن ضد ابن عاد الاكبر ومرثد بن سعد وكان هذا مومنا يكتم ايمانه وجلهمة بن

الخيبرى فى سبعين رجلا من قومهم فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فانزلهم واقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتا معاوية ولما رأى معاوية اقامتهم وقد بعثهم عاد للغوث اشفق على عاد وكان ابن اختهم امه كلهدة ابنة الخيبرى اخت جلهمة وقال هلك اخوالى وشق عليه ان يامر اضيافه بالانصراف عنه فشكا ذلك الى قينتيه فقالتا اصنع شعرا نغنى به عسى ان ننبههم فقال

الا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يصحبنا غماما
فتسقى ارض عاد ان عادا * قدامسوا لايبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد امست نساؤهم عياما
وان الوحش تاتيهم جهارا * ولا تخشى لعادي سهاما
وانتم هاهنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فغنت به الجرادتان فلما سمعه القوم قال بعضهم ياقوم انما بعثكم قومكم لما حل بهم فادخلوا هذا الحرم وادعوا لعل الله يغيثهم فخرجوا لذلك فقال لهم مرثد ابن سعد انكم والله ما تسقون بدعائكم ولكنكم ان اطعتم نبيكم وآمنتم سقيتم واظهر ايمانه يومئذ فخالفه الوفد وقالوا لمعاوية بن بكر وابيه بكر احبسا عنا مرثدا ولا يدخل معنا الحرم فانه قد اتبع هودا ومضوا الى الحرم فاستسقى قيل بن عنز وقال يا الاهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله تعالى سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم نادى مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحائب ما شئت فقال قيل قد اخترت السوداء

فانها اكثرهن ماء فنودي قد اخترت رمادا رمددا * لاتبقي من عاد احدا * لا والدا ولا ولدا * الاجعلتهم همدا * وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها قالوا هذا عارض ممطرنا حتى عرفت انها ريح امرأة منهم يقال لها مهدر فصاحت وصعقت فلما افاقت قيل لها ما رأيت قالت ريحا فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد احدا الاهلك فاعتزل هود ومن معه من المومنين فى حظيرة ما يصيبه من ريح الا ما يلتذ به قال (ع) وهذا قصص وقع فى تفسير الطبري مطولا وفيه اختلاف فاقتضبت عيون ذلك بحسب الايجاز وفى خبرهم ان الريح كانت تدمغهم بالحجارة وترفع الظعينة عليها المرأة حتى تلقيها فى البحر وفى خبرهم ان اقوياءهم كان احدهم يسد بنفسه مهب الريح حتى تغلبه فتلقيه فى البحر فيقوم اخر مكانه حتى هلك الجميع وقال زيد بن اسلم بلغنى ان ضبعا ربت اولادها فى حجاج عين رجل منهم وفى خبرهم ان الله سبحانه لما اهلكهم بعث طيرا فنقلت جيفهم حتى طرحتها فى البحر فذلك قوله سبحانه فاصبحوا لاترى الا مساكنهم وفى بعض ما روي من شأنهم ان الريح لم تبعث قط الابمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فذلك قوله سبحانه فاهلكوا بريح صرصر عاتية وروي ان هودا لما هلكت عاد نزل بمن آمن معه الى مكة فكانوا بها حتى ماتوا فالله اعلم اي ذلك كان وقولهم اجئتنا لنعبد الله وحده الآية ظاهر قولهم وحده انهم انكروا ان يتركوا اصنامهم ويفردون العبادة لله مع اقرارهم بالاله الخالق المبدع وهذا هو الاظهر فيهم وفى عباد الاوثان كلهم ولا يجحد ربوبية الله تعالى من الكفرة الا من افرطت غباوته وقولهم فاتنا بما تعدنا

تصميم على التكذيب واستعجال للعقوبة * وقوله سبحانه قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني فى اسماء سميتموها انتم وءاباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا الآية اعلمهم بان القضاء قد نفذ وحل عليهم الرجس وهو السخط والعذاب وقوله اتجادلونني فى اسماء سميتموها اي فى مسميات سميتموها ءالهة وقطعنا دابر استعارة تستعمل فيمن يستاصل بالهلاك والدابر الذى يدبر القوم وياتى خلفهم فاذا انتهى القطع والاستيصال الى ذلك فلم يبق احد وقوله كذبوا بآياتنا دال على المعجزة وان لم تتعين (ت) ومن معجزاته قوله فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون على ما سياتى ان شاء الله فى موضعه * وقوله سبحانه والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم ءاية فذروها تاكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم قرأ الجمهور والى ثمود بغير صرف على ارادة القبيلة وقرأ يحيى بن وثاب والاعمش والى ثمود بالصرف على ارادة الحي والقراءتان فصيحتان مستعملتان وقد قال تعالى الا ان ثمودا كفروا ربهم واخاهم عطف على نوح والمعنى وارسلنا الى ثمود اخاهم وهي اخوة نسب وهم قوم عرب فهود وصالح عربيان وكذلك اسماعيل وشعيب كذا قال الناس وفى امر اسماعيل نظر (ت) النظر الذى اشار اليه لايخفى عليك وذلك ان اسماعيل والده ابراهيم عليه السلام اعجمي وتعلم اسماعيل العربية من العرب الذين نزلوا عليه بمكة حسب ما ذكره اهل السيرة فهذا وجه النظر الذى اشار اليه وفى نظره رحمه الله نظر يمنعنى من البحث معه ما انا له قاصد من الايجاز والاختصار دون البسط والانتشار نعم خرج ابو بكر الآجري من حديث ابى ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال واربعة من

العرب هود وشعيب وصالح ونبيك يا ابا ذر انتهى ولم يذكر اسماعيل فهذا الحديث قد يعضد ما قاله (ع) وصالح عليه السلام هو صالح بن عبيد بن عابر بن ارم بن سام بن نوح كذا ذكر مكي قال وهب بعثه الله حين راهق الحلم ولما هلك قومه ارتحل بمن معه الى مكة فاقاموا بها حتى ماتوا فقبورهم بين دار الندوة والحجر اي كما ارتحل هود بمن معه الى مكة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين * وقوله قد جاءتكم بينة من ربكم اي ءاية او حجة او موعظة بينة من ربكم قال بعض الناس ان صالحا جاء بالناقة من تلقاء نفسه وقال الجمهور بل كانت مقترحة وهذا اليق بما ورد فى الآثار من امرهم روي ان قومه طلبوا منه ءاية تضطرهم الى الايمان وقالوا ياصالح ان كنت صادقا فادع لنا ربك يخرج لنا من هذه الهضبة وفى بعض الروايات من هذه الصخرة لصخرة بالحجر ناقة عُشَراء فدعا الله فتمخضت تلك الهضبة وانشقت عن ناقة عظيمة وروي انها كانت حاملا فولدت سقبها المشهور وروي انه خرج معها فصيلها من الصخرة وقيل انها ناقة الله تشريفا لها وتخصيصا وهي اضافة خلق الى خالق وجعل الله لها شربا يوما ولهم شرب يوم وكانت ءاية فى شربها وحلبها قال المفسرون كانت خلقا عظيما تاتى الى الماء بين جبلين فيزحمانها من العظم وقاسمت ثمود فى الماء يوما بيوم فكانت الناقة ترد يومها فتستوفى ماء بيرهم شربا ويحلبونها ماشاءوا من لبن ثم تمكث يوما وترد بعد ذلك غبا فاستمر ذلك ما شاء الله حتى ملتها ثمود وقالوا ما نصنع باللبن الماء احب الينا منه وكان سبب الملل فيما روي انها كانت تصيف فى بطن الوادى وادى الحجر وتشتو فى ظاهره فكانت مواشيهم تفر منها فتما لئوا على ملل الناقة وروي ان صالحا اوحى الله اليه ان قومك سيعقرون الناقة وينزل بهم العذاب عند ذلك فاخبرهم بذلك فقالوا عياذا

بالله ان نفعل ذلك فقال ان لم تفعلوا انتم اوشك ان يولد فيكم من يفعله وقال لهم صفة عاقرها احمر اشقر ازرق فوُلد قدار على الصفة المذكورة فكان الذى عقرها بالسيف وقيل بالسهم فى ضرعها وهرب فصيلها عند ذلك حتى صعد على جبل يقال له القارة فرغا ثلاثا فقال يا صالح هذا ميعاد ثلاثة ايام للعذاب وامرهم قبل رغاء الفصيل ان يطلبوه عسى ان يصلوا اليه فيندفع عنهم العذاب به فراموا الصعود اليه فى الجبل فارتفع الجبل فى السماء حتى ما تناله الطير وحينئذ رغا الفصيل وروي ان صالحا عليه السلام قال لهم حين رغا الفصيل ستصفر وجوهكم فى اليوم الاول وتحمر فى الثانى وتسود فى الثالث فلما ظهرت العلامات التى قال لهم ايقنوا بالهلاك واستعدوا ولطّخوا ابدانهم بالمر وحفروا القبور وتحنطوا وتكفنوا فى الانطاع فاخذتهم الصيحة وخرج صالح ومن ءامن معه حتى نزل رملة فلسطين وقد اكثر الناس فى هذا القصص وهذا القدر كافٍ ومن اراد استيفاء هذا القصص فليطالع الطبري قال (ع) وبلاد ثمود هي بين الشام والمدينة وهي التى مربها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين فى غزوة تبوك فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل ما اصابهم ثم اعتجر بعمامة واسرع السير حتى جاز الوادى صلى الله عليه وسلم (ت) ولفظ البخاري ثم قنع راسه واسرع السير الحديث * وقوله سبحانه واذكروا اذجعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض الآية بوأكم معناه مكنكم وهي مستعملة فى المكان وظروفه والقصور جمع قصر وهي الديار التى قصرت على بقاع من الارض مخصوصة بخلاف بيوت العمود وقصرت على الناس قصرا تاما والنحت النجر والقشر فى الشيء الصلب كالحجر والعود ونحوه وكانوا ينحتون الجبال لطول اعمارهم وتعثوا معناه تسفدوا قال ابو حيان ومفسدين حال موكدة

انتهى والذين استكبروا هم الاشراف والعظماء الكفرة والـذين استضعفوا هم العامـة والاغفال فى الدنيا وهم اتبـاع الرسل وقولهم اتعلمون استفهـام على معنى الاستهزاء والاستخفـاف فاجاب المومنون بالتصديق والصرامـة فى دين الله فحملت الانفة الاشراف على مناقضـة المومنين فى مقالتهم واستمـروا على كفرهم * وقوله سبحانـه فعقروا الناقـة يقتضى بتشريكهم اجمعين فى الضمير ان عقـر الناقة كان على تمالئ منهم واتفاق وكذلك روي ان قـدارا لم يعقرهـا حتى كان يستشير وعتوا معناه خشنوا وصلبوا ولم يذعنوا للامر والشرع وصمموا على تكذيبه واستعجلوا النقمة بقولهم ايتنا بمـا تعدنا فحل بهم العذاب والرجفة ما تؤثره الصيحة او الطامة التي يرجف بها الانسان وهو ان يتحرك ويضطرب ويرتعد ومنه فرجع بهـا رسول الله صلى الله عليـه وسلم يرجف فؤاده وروي ان صيحة ثمود كان فيها من كل صوت مهول وكانت مفرطة شقت قلوبهم فجثموا على صدورهم والجاثم اللاطئ بالارض على صدره فجاثمين معناه باركين قـد صعق بهم وهو تشبيه بجثوم الطير وجثوم الرمـاد وقال بعض المفسرين معنـاه حمما محترقين كالرمـاد الجاثم وذهب صاحب هـذا القول الى ان الصيحة اقترن بهـا صواعق محرقـة وروي ان الصيحة اصابت كل من كان منهم فى شرق الارض وغربهـا الارجلا كان فى الحرم فمنعه الحرم ثم هلك بعد خروجـه من الحـرم ففى مصنف ابى داود قيل يا رسول الله من ذلك الرجل قال ابو رغال وذكره الطبري ايضـا عن النبي صلى الله عليـه وسلم وهـذا الخبر يرد ما فى السير من ان ابارغال هو دليل الفيل وقوله فتولى عنهم اي تولى عنهم وقت عقر النـاقة وذلك قبل نزول العـذاب وكذلك روي انـه عليـه السلام خرج من بين اظهرهم قبل نزول العـذاب وهـو الـذى تقتضيه مخاطبته لهم ويحتمل ان يكون خطابه لهم وهم موتى على جهـة التفجع عليهم

وذكر حالهم او غير ذلك كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر قال الطبري وقيل انه لم تهلك امة ونبيها معها وروي انه ارتحل بمن معه حتى جاء مكة فاقام بها حتى مات ولفظ التولى يقتضى اليأس من خيرهم واليقين فى اهلاكهم وقوله ولكن لاتحبون الناصحين عبارة عن تغليبهم الشهوات على الرأي السديد اذ كلام الناصح صعب مضاد لشهوة الذى ينصح ولذلك تقول العرب امر مبكياتك لا امر مضحكاتك ☆ وقوله سبحانه ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امرأته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين لوط عليه السلام بعثه الله سبحانه الى امة تسمى سدوم وروي انه ابن اخى ابراهيم عليه السلام ونصبه اما بارسلنا المتقدم فى الانبياء واما بفعل محذوف تقديره واذكر لوطا والفاحشة اتيان الذكور فى الادبار وروي انه لم تكن هذه المعصية فى امة قبلهم وحكم هذه الفاحشة عند مالك وغيره الرجم احصن ام لم يحصن وحرق ابو بكر الصديق رضي الله عنه رجلا عمل عمل قوم لوط وقرأ نافع وغيره انكم على الخبر كانه فسر الفاحشة والاسراف الزيادة الفاسدة ولم تكن مراجعة قومه باحتجاج منهم ولا بمدافعة عقلية وانما كانت بكفر وخذلان ويتطهرون معناه يتنزهون عن حالنا وعادتنا قال قتادة عابوهم بغير عيب وذموهم بغير ذم واستثنى الله سبحانه امرأة لوط عليه السلام من الناجين واخبر انها هلكت والغابر هو الباقى هذا هو المشهور فى اللغة وقد يجيء الغابر بمعنى الماضى وكذلك حكى اهل اللغة غبر بمعنى بقى وبمعنى مضى وقوله وامطرنا عليهم مطرا الآية اي بحجارة وروي ان الله تعالى بعث

جبريل فاقتلهـا بجناحـه وهي ست مدن وقيل خمس وقيل اربـع فرفعها حتى سمع اهل السماء الدنيـا صراخ الديكة ونباح الكلاب ثم عكسها ورد اعلاها اسفلها وارسلها الى الارض وتبعتهم الحجارة مع هـذا فاهلكت من كان منهم من كان فى سفر اوخارجا من البقـع المرفوعـة وقالت امرأة لوط حين سمعت الوجبة واقوماه والتفتت فاصابتها صخرة فقتلتها * وقوله سبحانـه والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم مـن اله غيره قد جاءتكم بينـة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعـد اصلاحهـا الآية قيل فى مـدين انـه اسم بلد وقطر وقيـل اسم قبيلة وقيل هم مـن ولد مدين بن ابراهيم الخليـل وهذا بعيـد وروي ان لوطـا هو جـد شعيب لامـه وقال مكي كان زوج بنت لوط واخاهم منصـوب بارسلنـا فى اول القصص والبينـة اشـارة الى معجزتـه ولا تبخسوا معناه ولا تظلموا ومنـه قولهم تحسبها حمقـاء وهي باخس اي ظالمة خادعة وقال فى سورة هود البخس النقص (ت) ويحتمل والله اعلم ان البخس هو ما اعتاده الناس من ذم السلع ليتوصلوا بذلك الى رخصهـا فتأمله والله اعلم بما اراد سبحانـه قال ابو حيّـان ولا تبخسوا متعد الى مفعولين تقول بخست زيدا حقه اي نقصته اياه انتهى واشياءهم يريـد امتعتهم واموالهم ولا تفسدوا لفظ عام فى دقيق الفساد وجليله وكذلك الاصلاح عام ذلكم خير لكم اي عند الله ان كنتم مومنين اي بشرط الايمـان والتوحيـد والا فـلا ينفع عمل دون ايمان ولا تقعدوا بكل صراط الآيـة قال السدي هذا نهي عن العشارين والمتقلبين ونحوه من اخذ اموال الناس بالباطل والصـراط الطريق وذلك انهم كانوا يكثرون من هذا لانه من قبيل بخسهم ونقصهم الكيل والوزن وقال ابو هريرة رضي الله عنه هو نهي عن السلب وقطع الطرق وكان ذلك من

فعلهم وروي فى ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وما تقدم من الآية يؤيد هذين القولين وقال ابن عباس وغيره قوله ولا تقعدوا نهي لهم عما كانوا يفعلونه من رد الناس عن شعيب وذلك انهم كانوا يقعدون على الطرقات المفضية الى شعيب فيتوعدون من اراد المجيء اليه ويصدونه وما بعد هذا من الالفاظ يشبه هذا من القول والضمير فى به يحتمل ان يعود على اسم الله وان يعود على شعيب فى قول من رأى القعود على الطرق للرد عن شعيب قال الداودي وعن مجاهد يبغونها عوجا يلتمسون لها الزيغ انتهى ثم عدّد عليهم نعم الله تعالى وانه كثرهم بعد قلة عدد وقيل اغناهم بعد فقر ثم حذرهم ومثل لهم بمن امتحن من الامم وقوله وان كان طائفة منكم ءامنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يومنوا فاصبروا الآية قوله فاصبروا تهديد للطائفة الكافرة وقولهم او لتعودن فى ملتنا معناه او لتصيرنّ وعاد فى كلام العرب على وجهين احدهما عاد الشيء الى حال قد كان فيها قبل ذلك وهي على هذا الوجه لا تتعدى فان عديت فبحرف ومنه قول الشاعر

الا ليت ايام الشباب جديد * وعمرا تولى بابثين يعود

ومنه قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه والوجه الثانى ان تكون بمعنى صار وعاملة عملها ولا تتضمن ان الحال قد كانت متقدمة ومنه قول الشاعر

تلك المكارم لاقعبانِ مِن لبن * شيبا بماء فعادا بعدُ ابوالا

ومنه قول الآخر * وعاد راسى كالثغامة * ومنه قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم على ان هذه محتملة بقوله فى الآية اولتعودن وشعيب عليه السلام لم يك قط كافرا فيقتضى انها بمعنى صار واما فى جهة المومنين به بعد كفرهم فيترتب المعنى الآخر ويخرج عنه شعيب وقوله اولو كنا كارهين توقيف منه لهم على شنعة المعصية وطلب ان يقروا بالسنتهم باكراه المومنين على الاخراج ظلما

وغشيا قال (ص) قد افترينا هو بمعنى المستقبل لانه سد مسد جواب الشرط وهو ان عدنا او هو جوابه على قول انتهى وقوله الا ان يشاء الله ربنا يحتمل ان يريد الا ان يسبق علينا فى ذلك من الله سابق سوء وينفذ منه قضاء لا يرد قال (ع) والمومنون هم المجوزون لذلك واما شعيب فقد عصمته النبوءة وهذا اظهر مما يحتمل القول ويحتمل ان يريد استثناء ما يمكن ان يتعبد الله به المومنين مما يفعله الكفار من القربات وقيل ان هذا الاستثناء انما هو تسنُّنٌ وتأَدُّبٌ وقوله وسع ربنا كل شيء علما معناه وسع علم ربنا كل شيء كما تقول تصبب زيد عرقا اي تصبب عرق زيد ووسع بمعنى احاط وقوله افتح معناه احكم وقوله على الله توكلنا استسلام لله سبحانه وتمسك بلطفه وذلك يؤيد التاويل الاول فى قوله الا ان يشاء الله ربنا ✱ وقوله سبحانه وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا الآية اي قال الملأ لتباعهم ومقلديهم والرجفة الزلزلة الشديدة التى ينال الانسان معها اهتزاز وارتعاد واضطراب فيحتمل ان فرقة من قوم شعيب هلكت بالرجفة وفرقة بالظلة ويحتمل ان الظلة والرجفة كانتا فى حين واحد (ت) والرجفة هي الصيحة يرجف بسببها الفؤاد وكذلك هو مصرح بها فى قصة قوم شعيب فى قوله سبحانه واخذت الذين ظلموا الصيحة الآية وقوله سبحانه كان لم يغنوا فيها الضمير فى قوله فيها عائد على دارهم ويغنوا معناه يقيمون بنعمة وخفض عيش وهذا اللفظ فيه قوة الاخبار عن هلاكهم ونزول النقمة بهم والتنبيه على العبرة والاتعاظ بهم ونحو هذا قول الشاعر

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ✱ انيس ولم يسمر بمكة سامر

قال (ع) فغنيت في المكان انما يقال فى الاقامة التى هي مقترنة بتنعم وعيش مرضي وقوله ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم كلام

يقتضى حزنا واشفاقا لما رأى هلاك قومه اذ كان امله فيهم غير ذلك ولما وجد فى نفسه ذلك طلب ان يثير في نفسه سبب التسلى عنهم فجعل يعدد معاصيهم واعراضهم ثم قال لنفسه لما نظر وفكر فكيف ءاسى على قوم كافرين ونحو هذا قوله صلى الله عليه وسلم لاهل قليب بدر وءاسى معناه احزن قال مكي وسار شعيب بمن معه حتى سكن مكة الى ان ماتوا بها * وقوله سبحانه وما ارسلنا فى قرية من نبيء الاخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون اخبر سبحانه انه ما بعث نبيا فى قرية وهي المدينة الا اخذ اهلها المكذبين له بالبأساء وهى المصائب فى المال وعوارض الزمن والضراء وهي المصائب فى البدن كالامراض ونحوها لعلهم يضرعون اي ينقادون الى الايمان وهكذا قولهم الحمى اضرعتني لك ثم بدلنا مكان السيئة وهي البأساء والضراء الحسنة وهي السراء والنعمة حتى عفوا معناه حتى كثروا يقال عفا النبات والريش اذا كثر نباته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم احفوا الشوارب واعفوا اللحى ولما بدل لله حالهم بالخير لطفا بهم فنموا رأوا ان اصابة الضراء والسراء انما هي بالاتفاق وليست بقصد كما يخبر به النبيء واعتقدوا ان ما اصابهم من ذلك انما هو كالاتفاق الذى كان لآبائهم فجعلوه مثالا اي قد اصاب هذا ءاباءنا فلا ينبغى لنا ان ننكره ثم اخبر سبحانه انه اخذ هذه الطوائف التي هذا معتقدها وقوله بغتة اي فجأة واخذة اسف وبطشا للشقاء السابق لهم فى قديم علمه سبحانه * وقوله تعالى ولو ان اهل القرىء امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اي من بركات المطر والنبات وتسخير الرياح والشمس والقمر فى مصالح العباد وهذا بحسب ما يدركه نظر البشر ولله سبحانه خدام غير ذلك لا يحصى عددهم وما فى علم الله اكثر * وقوله سبحانه افأمن اهل القرى ان ياتيهم بأسنا بياتا وهم

نائمون الآية تتضمن وعيدا للكافرين المعاصرين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه لما اخبر عما فعل فى الامم الخالية قال ومن يؤمن هؤلاء ان ينزل بهم مثل ما نزل باولائك وهذا استفهام على جهة التوقيف والبأس العذاب ومكر الله هي اضافة مخلوق الى خالق والمراد فعل يعاقب به مكرة الكفرة والعرب تسمى العقوبة باسم الذنب * وقوله سبحانه او لم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الآية هذه الف تقرير دخلت على واو العطف ويهدى معناه يبين فيحتمل ان يكون المبين الله سبحانه ويحتمل ان يكون المبين قوله ان لو نشاء اي علمهم بذلك وقال ابن عباس ومجاهد وابن زيد يهدى معناه يتبين وهذه ايضا آية وعيد اي الم يظهر لوارثى الارض بعد اولائك الذين تقدم ذكرهم وما حلّ بهم انا نقدر لو شئنا اصبناهم بذنوبهم كما فعلنا بمن تقدم وفي العبارة وعظ بحال من سلف من المهلكين * وقوله سبحانه تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين تلك ابتداء والقرى قال قوم هو نعت والخبر نقص وعندى ان اهل القرى هي خبر الابتداء وفى ذلك معنى التعظيم لها ولمهلكها وهذا كما قيل فى قوله تعالى ذلك الكتاب وكما قال عليه السلام اولائك الملا وكقول ابن ابي الصلت تلك المكارم وهذا كثير ثم ابتدأ سبحانه الخبر عن جميعهم بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل هذا الكلام يحتمل وجوها من التاويل احدها ان يريد ان الرسول جاء لكل فريق منهم فكذبوه لاول امره ثم استبانت حجته وظهرت الآيات الدالة على صدقه مع استمرار دعوته فلجوا هم فى كفرهم ولم يومنوا بما سبق به تكذيبهم والثانى من الوجوه ان يريد فما كان آخرهم فى الزمن ليومن بما كذب به اولهم في الزمن بل مشى بعضهم على

سنن بعض فى الكفر اشار الى هذا التاويل النقاش والثالث ان هؤلاء لورُدوا من الآخرة الى الدنيا لم يكن منهم ايمان قاله مجاهد وقرنه بقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه والرابع انه يحتمل فما كانوا ليومنوا بما سبق فى علم الله سبحانه انهم مكذبون به وذكر هذا التاويل المفسرون * وقوله سبحانه وما وجدنا لاكثرهم من عهد الآية اخبر سبحانه انه لم يجد لاكثرهم ثبوتا على العهد الذى اخذه سبحانه على ذرية ءادم وقت استخراجهم من ظهره قاله ابو العالية عن ابي بن كعب ويحتمل ان يكون المعنى وما وجدنا لاكثرهم التزام عهد وقبول وصاة مما جاءتهم به الرسل عن الله ولا شكروا نعم الله عز وجل قال (ص) لاكثرهم يحتمل ان يعود على الناس او على اهل القرى او الامم الماضية انتهى وقوله سبحانه ثم بعثنا من بعدهم موسى بئاياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها الآيات فى هذه الآية عام فى التسع وغيرها والضمير فى من بعدهم عائد على الانبياء المتقدم ذكرهم وعلى اممهم * وقوله سبحانه فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فيه وعيد وتحذير للكفرة المعاصرين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين حقيق علي ان لا اقول على الله الا الحق قرأ نافع وحده عليّ باضافة على اليه وقرأ الباقون على بسكون الياء قال الفارسي معنى هذه القراءة ان على وضعت موضع الباء كانه قال حقيق بان لا اقول على الله الا الحق وقال قوم حقيق صفة لرسول تم عندها الكلام وعلى خبر مقدم وان لا اقول ابتداء واعراب ان على قراءة من سكن الياء خفض وعلى قراءة من فتحها مشددة رفع وفى قراءة عبد الله حقيق ان لا اقول وهذه المخاطبة اذا تأملت غاية فى التلطف ونهاية فى القول اللين الذى امِر به عليه السلام وقوله قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بني اسراءيل قال ان

كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين البينة هنا اشارة الى جميع ءاياته وهي على المعجزة منها ادل وهذا من موسى عليه السلام عرض نبوءته ومن فرعون استدعاء خرق العادة الدال على الصدق وظاهر هذه الآية وغيرها ان موسى عليه السلام لم تنبن شريعته الا على بنى اسراءيل فقط ولم يدع فرعون وقومه الا الى ارسال بنى اسراءيل وذكره لعله يتذكر او يخشى * وقوله فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين روي ان موسى قلق به وبمجاورته فرعون فقال لاعوانه خذوه فالقى موسى العصا فصارت ثعبانا وهمت بفرعون فهرب منها وقال السدي انه احدث وقال يا موسى كفه عنى فكفه وقال نحوه سعيد بن جبير ويقال ان الثعبان وضع اسفل لحييه فى الارض واعلاهما فى اعلى شَرَفات القصر والثعبان الحية الذكر وهو اهول واجرأ قاله الضحاك وقال قتادة صارت حية اشعر ذكرا وقال ابن عباس غرزت ذنبها فى الارض ورفعت صدرها الى فرعون وقوله مبين معناه لاتخييل فيه بل هو بين انه ثعبان حقيقة ونزع يده معناه من جيبه او من كمه حسب الخلاف فى ذلك * وقوله فاذا هي بيضاء للناظرين قال مجاهد كاللبن او اشد بياضا وروي انها كانت تظهر منيرة شفافة كالشمس تأتلق وكان موسى عليه السلام ءادم احمر الى السواد ثم كان يرد يده فترجع الى لون بدنه قال (ع) فهاتان الآيتان عرضهما عليه السلام للمعارضة ودعا الى الله بهما وخرق العادة بهما (ت) وظاهر الآية كما قال وليس فى الآية ما يدل على انه اراد بالقاء العصا الانتصار والتخويف كما يعطيه ما تقدم ذكره من القصص * وقوله عز وجل قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون لامحالة انهم خافوا امر موسى وجالت ظنونهم كل مجال وقوله فماذا تامرون الظاهر انه من كلام الملإ بعضهم لبعض وقيل انه من كلام

فرعون لهم وروى كَرْدَم عن نافع تامرون بكسر النون وكذلك فى الشعراء وما استفهام وذا بمعنى الذى فهما ابتداء وخبر وفى تامرون ضمير عائد على الذى تقديره تامرون به ويجوز ان تجعل ما ذا بمنزلة اسم واحد فى موضع نصب بتامرون ولا يضمر فيه على هذا وقوله قالوا ارجه واخاه وارسل فى المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم اشار الملأ على فرعون بان يؤخر موسى وهارون ويدع النظر فى امرهما ويجمع السحرة وحكى النقاش انه لم يكن يجالس فرعون ولد غِيَّة وانما كانوا اشرافا ولذلك اشاروا بالارجاء ولم يشيروا بالقتل وقالوا ان قتلته دخلت على الناس شبهة ولكن اغلبه بالحجة * وقوله سبحانه وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين الاجر هنا الاجرة واختلف الناس فى عدد السحرة على اقوال كثيرة ليس لها سند يوقف عنده والحاصل من ذلك انهم جمع عظيم وقوله تعالى قالوا ياموسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس وخير السحرة موسى فى ان يتقدم فى الالقاء او يتأخر وهذا فعل المدل الواثق بنفسه والظاهر ان التقدم فى التخييلات والمخاريق انجح لان بديهتها تمضى بالنفوس فليظهر الله امر نبوءة موسى قوى نفسه ويقينه ووثق بالحق فاعطاهم التقدم فنشطوا وسرُّوا حتى اظهر الله الحق وابطل سعيهم وقوله سبحانه سحروا اعين الناس نص فى ان لهم فعلا ما زائدا على ما يحدثونه من التزويق واسترهبو هم بمعنى ارهبوهم اي فزَّعوهم ووصف الله سبحانه سحرهم بالعظيم ومعنى ذلك من كثرته وروي انهم جلبوا ثلاثمائة وستين بعيرا موقورة بالحبال والعصي فلما القوها تحركت وملأت الوادي يركب بعضها بعضا فاستهول الناس ذلك واسترهبهم قال الزجاج قيل انهم جعلوا فيها الزيبق فكانت لا تستقر * وقوله

سبحانه واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون وروي ان موسى عليه السلام لما كان يوم الجمع خرج متكئا على عصاه ويده فى يد اخيه وقد صف له السحرة فى عدد عظيم حسبما ذكر فلما القوا واسترهبوا اوحى الله اليه ان الق فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين فعظم حتى كان كالجبل وروي ان السحرة لما القوا والقى موسى جعلوا يرقون وجعلت حبالهم تعظم وجعلت عصا موسى تعظم حتى سدت الافق وابتلعت الكل وروي ان الثعبان استوفى تلك الحبال والعصي اكلا واعدمها الله عز وجل ومد موسى يده الى فمه فعاد عصا كما كان فعلم السحرة حينئذ ان ذلك ليس من عند البشر فخروا سجدا مومنين بالله ورسوله وتلقف معناه تبتلع وتزدرد وقرأ ابن جبير تلقم بالميم * وقوله سبحانه فوقع الحق الآية اي نزل ووجد وقال ابو حيان فوقع اي فظهر والحق يريد به سطوع البرهان وظهور الاعجاز وما كانوا يعملون لفظ يعم سحر السحرة وسعي فرعون وشيعته والضمير فى قوله فغلبوا عائد على جميعهم ايضا وفى قوله وانقلبوا صاغرين ان قدرنا انقلاب الجمع قبل ايمان السحرة فهم فى الضمير وان قدرناه بعد ايمانهم فليسوا فى الضمير ولا لحقهم صَغار لانهم ءامنوا واستشهدوا رضي الله عنهم * وقوله سبحانه والقي السحرة ساجدين قالوا ءامنا برب العالمين رب موسى وهارون قال أأمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين لما رأي السحرة من عظيم القدرة ما تيقنوا به نبوءة موسى ءامنوا بقلوبهم وانضاف الى ذلك الاستهوال والاستعظام والفزع من قدرة الله عز وجل فخرّوا لله سبحانه متطارحين قائلين بالسنتهم ءامنا برب العالمين رب موسى وهارون قال (ع) وهارون اخو موسى اسن منه بثلاث سنين وقول فرعون أأمنتم به قبل ان

آذن لكم دليل على وهنه وضعف امره لانـه انما جعل ذنبهم عدم اذنه والضمير في به يحتمل ان يعود على اسم الله سبحانـه ويحتمـل ان يعود على موسى عليه السلام وعنفهم فرعون على الايمـان قبل اذنـه ثم الزمهم ان هـذا كان عن اتفاق منهم وروي في ذلك عن ابن عباس وابن مسعود ان موسى اجتمع مع رئيس السحرة واسمه شمعون فقال له موسى ارأيت ان غلبتـكم اتومنـون بي فقال نعم فعلم بذلك فرعون فلهذا قال ان هـذا لمكر مكرتمـوه في المدينـة ثم توعدهم * وقوله سبحانه قالوا انا الى ربنا منقلبون وماتنـقم منا الا ان آمنـا بـايات ربنا لما جاءتنا الآية هذا استسلام من مومني السحرة واتكال على الله سبحانه وثقة بما عنده وقرأ الجمهور تنقم بكسر القاف ومعناه وما تعد علينا ذنبا تواخذنا به الا ان آمنا قال ابن عباس وغيره فيهم اصبحوا سحرة وامسوا شهـداء قال ابن عباس لما ءامنت السحرة اتبـع موسى ستمائة الف من بني اسراءيـل وقول مـلإ فرعون اتـذر موسى وقومـه الآية مقالة تتضمن اغراء فرعـون وتحريضه وقولهم ويذرك وءالهتـك روي ان فرعون كان في زمنه للناس ءالهـة مـن بقر واصنـام وغير ذلك وكان فرعون قـد شرع ذلك وجعل نفسـه الاله الاعلى فقوله على هذا انا ربكم الاعلى انما يريد بالنسبة الى تلك المعبودات وقيل ان فرعون كان يعبد حجرا يعلقه في صدره كانه يا قوتة او نحوها وعن الحسن نحوه وقوله سنقـتل ابناءهم المعنى سنستمر على ما كنا عليـه من تعذيبهم وقوله وانا فوقهم يريد في المنزلة والتمكن من الدنيا وقاهرون يقتضى تحقير امرهم اي هم اقل من ان يهتم بهم قلت وهذا من عدو الله تجلد والا فقـد قال فيما اخبر الله سبحانه به عنه ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون * وقوله سبحانه قال موسى لقومـه استعينوا بالله واصبروا الآيه لمـا قال فرعـون سنقـتل ابناءهم وتوعدهم قال مـوسى لبني اسراءيـل يثبتهم ويعدهم عن الله

تعالى استعينوا بالله والارض هنا ارض الدنيا وهو الاظهر وقيل المراد هنا ارض الجنة واما فى الثانية فارض الدنيا لاغير والصبر فى هـذه الآية يعم الانتظار الذى هو عبادة والصبر فى المناجزات والبأس وقولهم اوذينا من قبل ان تاتينا يعنون به الذبح الذى كان فى المدة التى كان فرعون يتخوف فيها ان يولد المولود الذى يخرب ملكه ومن بعد ما جئتنا يعنون به وعيد فرعون وسائر ما كان خلال تلك المدة من الاخافة لهم وقال ابن عباس والسدي انما قالت بنوا اسراءيل هذه المقالة حين اتبعهم فرعون واضطرهم الى البحر قال (ع) وبالجملة فهوكلام يجرى مع المعهود من بنى اسراءيل من اضطرابهم على انبيائهم وقلة يقينهم واستعطاف موسى لهم بقوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم ووعده لهم بالاستخلاف فى الارض يدل على انه يستدعى نفوسا نافرة ويقوى هذا الظن فى جهة بنى اسراءيل سلوكهم هذا السبيل فى غير ما قصة وقوله فينظر كيف تعملون تنبيه وحض على الاستقامة ولقد استخلفوا فى مصر فى زمن داود وسليمان وقد فتحوا بيت المقدس مع يوشع * وقوله سبحانه ولقد اخذنا ءال فرعون بالسنين اي بالجدوب والقحوط وهذه سيرة الله فى الامم وقوله ونقص من الثمرات اي حتى روي ان النخلة من نخلهم لاتحمل الاثمرة واحدة وقال نحوه رجاء بن حيوة وفعل الله تعالى بهم هذا لينيبوا ويزدجروا عماهم عليه من الكفر اذ احوال الشدة ترق معها القلوب وترغب فيما عند الله سبحانه * وقوله عز وجل فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الآية كان القصد فى اصابتهم بالقحط والنقص فى الثمرات ان ينيبوا ويرجعوا فاذا هم قد ضلوا وجعلوها تشاؤما بموسى فكانوا اذا اتفق لهم اتفاق حسن فى غلات ونحوها قالوا هذه لنا وبسببنا واذا نالهم ضر قالوا هذا بسبب موسى وشؤمه قاله مجاهد وغيره وقرأ الجمهور يطيروا بالياء

وشد الطاء والياء الاخيرة وقرأ طلحة بن مصرف وغيره تطيروا بالتاء وتخفيف الطاء وقرأ مجاهد تشاءموا بموسى بالتاء من فوق وبلفظ الشؤم * وقوله سبحانه الا انما طائرهم عند الله معناه حظهم ونصيبهم قاله ابن عباس وهو ماخوذ من زجر الطير فسمي ما عند الله من القدر للانسان طائرا لما كان الانسان يعتقد ان كل ما يصيبه انما هو بحسب ما يراه فى الطائر فهي لفظة مستعارة ومهما اصلها عند الخليل ماما فابدلت الالف الاولى هاء وقال سيبويه هي مه ما خلطتا وهي حرف واحد لمعنى واحد وقال غيره معناها مه اي كف وما جزاء ذكره الزجاج وهذه الآية تتضمن طغيانهم وعتوهم وقطعهم على انفسهم بالكفر البحت * وقوله سبحانه فارسلنا عليهم الطوفان الآية الطوفان مصدر من قولك طاف يطوف فهو عام فى كل شيء يطوف الاان استعمال العرب له كثير فى الماء والمطر الشديد قال ابن عباس وغيره الطوفان فى هذه الآية هو المطر الشديد اصابهم وتوالى عليهم حتى هدم بيوتهم وضيق عليهم وقيل طم فيض النيل عليهم وروي فى كيفيته قصص كثير وقالت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الطوفان المراد فى هذه الآية هو الموت قلت ولو صح هذا النقل لم يبق مجملا وروي ان الله عز وجل لما والى عليهم المطر غرقت ارضهم وامتنعوا من الزراعة قالوا يا موسى ادع لنا ربك فى كشف هذا الغرق ونحن نومن فدعا فكشفه الله عنهم فانبتت الارض انباتا حسنا فنكثوا وقالوا مانود انا لم نمطر وما هذا الا احسان من الله الينا فبعث الله عليهم حينئذ الجراد فاكل جميع ما انبتت الارض فروى ابن وهب عن مالك انه اكل حتى ابوابهم واكل الحديد والمسامير وضيق عليهم غاية التضييق وترك الله من نباتهم ما يقوم به الرمق فقالوا لموسى ادع لنا ربك فى كشف الجراد ونحن نومن فدعا الله فكشفه

ورجعوا الى كفرهم فبعث الله عليهم القمل وهي الدبى صغار الجراد الذى يثب ولا يطير قاله ابن عباس وغيره وقرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم فهي على هذا القمل المعروف وروي ان موسى مشى بعصاه الى كثيب اهيل فضربه فانتشر كله قملا فى مصر ثم انهم قالوا ادع فى كشف هذا فدعا فرجعوا الى طغيانهم وكفرهم فبعث الله عليهم الضفادع فكانت تدخل فى فرشهم وبين ثيابهم واذا همّ الرجل ان يتكلم وثب ضفدع فى فمه قال ابن جبير كان الرجل يجلس الى ذقنه فى الضفادع وقال ابن عباس لما ارسلت الضفادع عليهم وكانت برية سمعت واطاعت فجعلت تقذف انفسها فى القدور وهي تغلى فاثابها الله بحسن طاعتها برد الماء فقالوا ياموسى ادع فى كشف هذا فدعا فكشف فرجعوا الى كفرهم فبعث الله عليهم الدم فرجع ماؤهم الذى يستقونه ويحصل عندهم دما فروي انه كان يستقى القبطي والاسرائيلي باناء واحد فاذا خرج الماء كان الذى يلى القبطي دما والذى يلى الاسرائيلي ماء الى نحو هذا وشبهه من العذاب بالدم المنقلب عن الماء هذا قول جماعة من المتأولين وقال زيد بن اسلم انما سلط عليهم الرعاف فهذا معنى قوله والدم وقوله ءايات مفصلات التفصيل اصله فى الاجرام ازالة الاتصال فهو تفريق شيئين فاذا استعمل فى المعانى فيراد به انه فرق بينها وازيل اشتباكها واشكالها فيجيء من ذلك بيانها وقالت فرقة مفصلات يراد بها مفرقات فى الزمن قال الفخر قال المفسرون كان العذاب يبقى عليهم من السبت الى السبت وبين العذاب والعذاب شهر وهذا معنى قوله ءايات مفصلات على هذا التاويل اي فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه احوالهم وينظر ايقبلون الحجة والدليل ام يستمرون على الخلاف والتقليد انتهى * وقوله عز وجل ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك

الآيـة الرجز العـذاب والظـاهر من الآيـة ان المراد بالرجز هنـا العـذاب المتقـدم الذكـر مـن الطوفان والجراد وغيره وقال قوم الرجز هنـا طاعون انزله الله بهم والله اعلم وهذا يحتاج الى سند وقولهم بمـا عـهد عندك لفظ يعم جميع الوسائـل بـين الله وبـين مـوسى من طاعـة من موسى ونعمة من الله تبـارك وتعالى ويحتمـل ان يكون ذلك منهم على جهـة القسم على موسى وقـولهم لـئن كشفت اي بدعائـك لنومـن ولنرسلـن قسـم وجوابـه وهذا عـهد من فرعون وملائـه وروي انـه لمـا انكشف العذاب قال فرعون لموسى اذهب ببني اسراءيـل حيث شئت فخالفه بعض ملائه فرجع ونكث واذا هنـا للمفاجـأة والاجـل يراد بـه غايـة كل واحـد منهم بمـا يخصه من الهلاك والموت كما تقول اخرت كذا الى وقت وانت لا تريـد وقتـا بعينه فاللفظ متضمن توعدا مـا وكانوا عنهـا غافلين اي غافلين عمـا تضمنتـه الآيات من النجاة والهدى * وقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغـاربهـا الآيـة الذين كانوا يستضعفون كنايـة عن بنى اسراءيل ومشـارق الارض ومغـاربهـا قال الحسن وغيره هي الشام وقالت فرقة يريد الارض كلهـا وهذا يتجـه اما على المجـاز لانـه ملكهم بلادا كثيرة وامـا على الحقيقة فى انـه ملك ذريتهم وهم سليمان بن داود ويترجح التاويـل الاول بوصف الارض بانها التى بارك فيها سبحانـه * وقوله سبحانه وتمت كلمة ربك الحسنى اي ما سبق لهم فى علمه وكـلامـه فى الازل من النجـاة من عدوهم والظهور عليه قاله مجـاهد ويعرشون قال ابن عبـاس ومجـاهد معناه يبنون قال (ع) رأيت للحسن البصري رحمـه الله انـه احتج بقوله سبحانـه وتمت كلمة ربك الى ءاخر الآيـة على انه ينبغى ان لا يخرج عن مـلوك السوء وانمـا ينبغى ان يصبر عليهم فان الله سبحانـه يدمرهم ورأيت لغيره انـه اذا

قابل الناس البلاء بمثله وكلهم الله اليه واذا قابلوه بالصبر وانتظار الفرج اتى الله بالفرج وروي هذا ايضا عن الحسن * وقوله سبحانه وجاوزنا ببني اسراءيل البحر اي بحر القُلْزُم فاتوا على قوم قيل هم الكنعانيون وقيل هم من لخم وجُذام والقوم فى كلام العرب هم الرجال خاصة يعكفون العكوف الملازمة على اصنام لهم قيل كانت بقرا وقال ابن جريج كانت تماثيل بقر من حجارة وعيدان ونحوها وذلك كان اول فتنة العجل وقولهم اجعل لنا الها كما لهم ءالهة يظهر منه استحسانهم لما رأوه من تلك الآلهة بجهلهم فارادوا ان يكون ذلك فى شرع موسى وفى جملة ما يتقرب به الى الله والا فبعيد ان يقولوا لموسى اجعل لنا صنما نفرده بالعبادة ونكفر بربك وعلى هذا الذى قلت يقع التشابه الذى نصه النبي صلى الله عليه وسلم فى قول ابي واقد الليثى اجعل لنا يا رسول الله ذات انواط كما لهم ذات انواط فانكره النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر قلتم والله كما قالت بنو اسراءيل اجعل لنا الها كما لهم ءالهة لتتبعن سنن من قبلكم الحديث ولم يقصد ابو واقد بمقالته فسادا وقال بعض الناس كان ذلك من بنى اسراءيل كفرا ولفظة الاله تقتضى ذلك وهذا محتمل وما ذكرته اولا اصح والله اعلم قلت وقولهم هذا الهكم واله موسى وجواب موسى هنا يقوى الاحتمال الثانى نعم الذى يجب ان يعتقد ان مثل هذه المقالات انما صدرت من اشرارهم وقريبي العهد بالكفر قال الشيخ الحافظ ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي ثم السهيلى ذكر النقاش فى قوله تعالى فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم انهم كانوا من لخم وكانوا يعبدون اصناما على صور البقر وان السامري كان اصله منهم ولذلك نزع الى عبادة العجل انتهى والله اعلم وهذا هو معنى ما تقدم من كلام (ع) وقوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه اي مهلك مدمر ردىء العاقبة

والتبار الهلاك واناء متبر اي مكسور وكسارته تبر ومنه تبر الذهب لانه كسارة وقوله ما هم فيه يعم جميع احوالهم وباطل معناه فاسد ذاهب مضمحل وابغيكم معناه اطلب ثم عدد عليهم سبحانه فى هذه الآية النعم التى يجب من اجلها ان لا يكفروا به ولا يرغبوا فى عبادة غيره فقال واذ انجيناكم من آل فرعون الآية ويسومونكم معناه يحملونكم ويكلفونكم ومساومة البيع تنظر الى هذا فان كل واحد من المتساومين يكلف صاحبه ارادته ثم فسر سوء العذاب بقوله يقتلون ابناءكم الآية * وقوله سبحانه وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر الآية قال ابن عباس وغيره الثلاثون ليلة هي شهر ذى القعدة وان العشر هي عشر ذى الحجة وروي ان الثلاثين انما وعد بان يصومها وان مدة المناجاة هي العشر وحيث ورد ان المواعدة اربعون ليلة فذلك اخبار بجملة الامر وهو فى هذه الآية اخبار بتفصيله والمعنى فى قوله وكلمه ربه انه خلق له ادراكا سمع به الكلام القائم بالذات القديم الذى هو صفة ذات وكلام الله سبحانه لايشبه كلام المخلوقين وليس فى جهة من الجهات وكما هو موجود لا كالموجودات ومعلوم لا كالمعلومات كذلك كلامه لا يشبه الكلام الذى فيه علامات الحدوث وجواب لما فى قوله قال والمعنى انه لما كلمه الله عز وجل وخصه بهذه المرتبة طمحت همته الى رتبة الرؤية وتشوق الى ذلك فسأل ربه الرؤية ورؤية الله عز وجل عند اهل السنة جائزة عقلا لانه من حيث هو موجود تصح رؤيته قالوا لان الرؤية للشيء لا تتعلق بصفة من صفاته اكثر من الوجود فموسى عليه السلام لم يسأل ربه محالا وانما سأله جائزا * وقوله سبحانه لن ترانى ولكن انظر الى الجبل الآية ليس بجواب من سأل محالا ولن تنفى الفعل المستقبل ولو بقينا مع هذا النفى بمجرده لقضينا انه لا يراه موسى ابدا ولا فى

الآخرة لكن ورد من جهة اخرى بالحديث المتواتر ان اهل الايمان يرون الله يوم القيامة فموسى عليه السلام احرى برؤيته قلت وايضا قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فهو نص فى الرؤية بينه صلى الله عليه وسلم فنى الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظرالى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال ابو عيسى وقد روي هذا الحديث من غير وجه مرفوعا وموقوفا انتهى قال مجاهد وغيره ان الله عز وجل قال له يا موسى لن ترانى ولكن ساتجلى للجبل وهو اقوى منك واشد فان استقر واطاق الصبر لهيبتى فستمكنك انت رؤيتى قال (ع) فعلى هذا انما جعل الله الجبل مثالا قلت وقول (ع) ولو بقينا مع هذا النفي بمجرده لقضينا انه لايراه موسى ابدا ولا فى الآخرة قول مرجوح لم يتفطن له رحمه الله والحق الذى لاشك فيه ان لن لاتقتضى النفي المؤبد قال بدر الدين ابو عبد الله بن مالك فى شرح التسهيل ولن كغيرها من حروف النفى فى جواز كون استقبال المنفي بها منقطعا عند حد وغير منقطع وذكر الزمخشري فى انموذجه ان لن لتابيد النفى وحامله على ذلك اعتقاده ان الله تعالى لايرى وهو اعتقاد باطل لصحة ثبوت الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدل على عدم اختصاصها بالتابيد بمجيء استقبال المنفي بها مغيا الى غاية ينتهى بانتهائها كما فى قوله تعالى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى وهو واضح انتهى ونحوه لابن هشام ولفظه ولا تفيد لن توكيد المنفي خلافا للزمخشري فى كشافه ولا تابيده خلافا له فى انموذجه وكلاهما دعوى بلا دليل قيل ولوكانت للتابيد لم يقيد منفيها باليوم فى فلن

اكلم اليوم انسيا ولكان ذكره الابد فى ولن يتمنوه ابدا تكرارا والاصل عدمه انتهى من المغنى * وقوله سبحانه فلما تجلى ربه للجبل التجلى هو الظهور من غير تشبيه ولا تكييف وقوله جعله دكا المعنى جعله ارضا دكا يقال ناقة دكاء اي لاسنام لها وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه قاله جماعة من المفسرين قال (ص) وخر معناه سقط وقوله سبحانك اى تنزيها لك كذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تبت اليك معناه من ان اسألك الرؤية فى الدنيا وانت لا تبيحها فيها قال (ع) ويحتمل عندى انه لفظ قاله عليه السلام لشدة هول المطلع ولم يعن التوبة من شيء معين ولكنه لفظ لائق بذلك المقام والذى يتحرز منه اهل السنة ان تكون توبة من سؤال المحال كما زعمت المعتزلة وقوله وانا اول المومنين اى من قومه قاله ابن عباس وغيره او من اهل زمانه انكان الكفر قد طبق الارض اواول المومنين بانك لاترى فى الدنيا قاله ابو العالية * وقوله سبحانه فخذ ماءاتيتك وكن من الشاكرين فيه تاديب وتقنيع وحمل على جادة السلامة ومثال لكل احد فى حاله فان جميع النعم من عند الله سبحانه بمقدار وكل الامور برأى منه ومسمع وكتبنا له فى الالواح من كل شيء اي من كل شيء ينفع فى معنى الشرع وقوله وتفصيلا لكل شيء مثله وقوله بقوة اي بجد وصبر عليها قاله ابن عباس وقوله باحسنها يحتمل معنيين احدهما التفضيل كما اذا عرض مثلا مباحان كالعفو والقصاص فياخذون بالاحسن منهما والمعنى الثانى ياخذون بحسن وصف الشريعة بجملتها كما تقول الله اكبر دون مقايسة * وقوله سبحانه سأوريكم دار الفاسقين الرؤية هنا رؤية عين هذا هو الاظهر الا ان المعنى يتضمن الوعد للمومنين والوعيد للفاسقين ودار الفاسقين قيل هي مصر والمراد ءال فرعون وقيل الشام والمراد العمالقة وقيل جهنم والمراد الكفرة

بموسى وقيل غير هذا مما يفتقر الى صحة اسناد * وقوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الارض الآية المعنى سأمنع واصد قال سفيان ابن عيينة الآيات هنا كل كتاب منزل قال (ع) والمعنى عن فهمها وتصديقها وقال ابن جريج الآيات العلامات المنصوبة الدالة على الوحدانية والمعنى عن النظر فيها والتفكر والاستدلال بها واللفظ يعم الوجهين والمتكبرون فى الارض بغير الحق هم الكفار قلت ويدخل فى هذا المعنى من تشبه بهم من عصاة المومنين والمعنى فى هذه الآية ساجعل الصرف عن الآيات عقوبة للمتكبرين على تكبرهم وقوله وان يروا كل ءاية لا يومنوا بها حتم من الله على الطائفة التى قدر عليهم ان لا يومنوا وقوله ذلك اشارة الى الصرف المتقدم * وقوله سبحانه والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة الآية هذه الآية موكدة للتى قبلها وفيها تهديد * وقوله سبحانه واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الخوار صوت البقر وقرأت فرقة له جؤار بالجيم اي صياح ثم بين سبحانه سوء فطرهم وقرر فساد اعتقادهم بقوله الم يروا انه لا يكلمهم الآية وقوله وكانوا ظالمين اخبار عن جميع احوالهم ماضيا وحالا ومستقبلا وقد مر فى البقرة قصة العجل فاغنى عن اعادته قال ابو عبيدة يقال لمن ندم على امر وعجز عنه سقط فى يده وقول بنى اسراءيل لئن لم يرحمنا ربنا انما كان بعد رجوع موسى وتغييره عليهم ورؤيتهم انهم قد خرجوا من الدين ووقعوا فى الكفر * وقوله سبحانه ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا يريد رجع من المناجات والاسف قد يكون بمعنى الغضب الشديد واكثر ما يكون بمعنى الحزن والمعنيان مترتبان هنا وعبارة (ص) غضبان صفة مبالغة والغضب غليان القلب بسبب ما يولم واسفا من اسف فهو اسف كفرق فهو فرق يدل على ثبوت الوصف

ولو ذهب به مذهب الزمان لقيل ءاسف على وزن فاعل والاسف الحزن انتهى وقوله تعالى اعجلتم معناه اسابقتم قضاء ربكم واستعجلتم اتيانى قبل الوقت الذى قدر به قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان سبب القائه الالواح غضبه على قومه فى عبادتهم العجل وغضبه على اخيه فى اهمال امرهم قال ابن عباس لما القاها تكسرت فرفع اكثرها الذى فيه تفصيل كل شيء وبقي الذى فى نسخته الهدى والرحمة وهو الذى اخذ بعد ذلك قال ابن عباس كانت الالواح من زمرذ وقيل من ياقوت وقيل من زبرجد وقيل من خشب والله اعلم وقوله ابن ام استعطاف برحم الام اذ هو الصق القرابات وقوله كادوا معناه قاربوا ولم يفعلوا وقوله ولا تجعلنى مع القوم الظالمين يريد عبدة العجل * وقوله سبحانه ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وقد وقع ذلك النيل بهم فى عهد موسي عليه السلام فالغضب والذلة هو امرهم بقتل انفسهم وقال بعض المفسرين الذلة الجزية ووجه هذا القول ان الغضب والذلة بقيت فى عقب هؤلاء وقال ابن جريج الاشارة الى من مات من عبدة العجل قبل التوبة بقتل الانفس والى من فر فلم يكن حاضرا وقت القتل والغضب من الله عز وجل ان اخذ بمعنى الارادة فهو صفة ذات وان اخذ بمعنى العقوبة واحلال النقمة فهو صفة فعل وقوله وكذلك نجزى المفترين المراد اولا اولئك الذين افتروا على الله سبحانه فى عبادة العجل وتكون قوة اللفظ تعم كل مفتر الى يوم القيامة وقد قال سفيان بن عيينة وابو قلابة وغيرهما كل صاحب بدعة او فرية ذليل واستدلوا بالآية * وقوله سبحانه والذين عملوا السيئات الآية تضمنت وعدا بان الله سبحانه يغفر للتائبين وقرأ معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب قال ابو حيان

واللام فى لربهم يرهبون مقوية لوصول الفعل وهو يرهبون الى مفعوله المتقدم وقال الكوفيون زائدة وقال الاخفش لام المفعول له اي لاجل ربهم انتهى قلت قال ابن هشام فى المغنى ولام التقوية هي المزيدة لتقوية عامل ضعف اما لتاخير نحو لربهم يرهبون وان كنتم للرؤيا تعبرون او لكونه فرعا فى العمل نحو مصدقا لما معهم فعال لما يريد وقد اجتمع التاخير والفرعية فى وكنا لحكمهم شاهدين انتهى * وقوله واختار موسى قومه الآية قال الفخر قال جماعة النحويين معناه واختار موسى من قومه فحذف من يقال اخترت من الرجال زيدا واخترت الرجال زيدا انتهى قال (ع) معنى هذه الآية ان موسى عليه السلام اختار من قومه هذه العدة ليذهب بهم الى موضع عبادة وابتهال ودعاء فيكون منه ومنهم اعتذار الى الله سبحانه من خطإ بنى اسراءيل فى عبادة العجل وقد تقدم فى سورة البقرة قصصهم قالت فرقة من العلماء ان موسى عليه السلام لما اعلمه الله سبحانه بعبادة بنى اسراءيل العجل وبصفته قال موسى اي رب ومن اختاره قال انا قال موسى فانت يا رب اضللتهم ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء اي ان الامور بيدك تفعل ما تريد * وقوله سبحانه واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة الآية اكتب معناه اثبت واقض والكتب مستعمل فى كل ما يخلد وحسنة لفظ عام فى كل ما يحسن فى الدنيا من عاقبة وطاعة لله سبحانه وغير ذلك وحسنة الآخرة الجنة لا حسنة دونها ولا مرمى وراءها وهدنا بضم الهاء معناه تبنا * وقوله سبحانه قال عذابى اصيب به من اشاء يحتمل ان يريد بالعذاب الرجفة التى نزلت بالقوم ثم اخبر سبحانه عن رحمته ويحتمل وهو الاظهر ان الكلام قصد به الخبر عن عذابه وعن رحمته وتصريف ذلك فى خليقته كما يشاء سبحانه ويندرج فى عموم العذاب اصحاب الرجفة وقرأ الحسن بن ابى

الحسن وطاوس وعمرو بن فائد من اساء من الاساءة ولا تعلق فيه للمعتزلة واطنب القراء فى التحفظ من هذه القراءة وحملهم على ذلك شحهم على الدين * وقوله سبحانه ورحمتي وسعت كل شيء قال بعض العلماء هو عموم فى الرحمة وخصوص فى قوله كل شيء والمراد من قد سبق فى علم الله ان يرحمهم وقوله سبحانه فساكتبها اي اقدرها واقضيها وقال نوف البكالي ان موسى عليه السلام قال يا رب جعلت وفادتى لامة محمد عليه السلام وقوله ويوتون الزكاة الظاهر انها الزكاة المختصة بالمال وروي عن ابن عباس ان المعنى يوتون الاعمال التى يزكون بها انفسهم * وقوله سبحانه الذين يتبعون الرسول النبيء الامي الآية هذه الفاظ اخرجت اليهود والنصارى من الاشتراك الذى يظهر فى قوله فساكتبها للذين يتقون وخلصت هذه العدة لامة محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وغيره قلت وهذه الآية الكريمة معلمة بشرف هذه الامة على العموم فى كل من ءامن بالله تعالى واقر برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ثم هم يتفاوتون بعد فى الشرف بحسب تفاوتهم فى حقيقة الاتباعية للنبي صلى الله عليه وسلم قال الغزالي رحمه الله فى الاحياء وانما امته صلى الله عليه وسلم من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فانه عليه السلام ما دعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما تعرض عن الدنيا وتقبل على الآخرة تسلك سبيله الذى سلكه صلى الله عليه وسلم وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وبقدرما اتبعته صرت من امته وبقدرما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فاما من طغى وءاثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى انتهى فان اردت اتباع النبي صلى الله عليهِ وسلم على الحقيقة واقتفاء اثره فابحث عن سيرته وخلقه فى كتب

الحديث والتفسير قال ابن القطان فى تصنيفه الذى صنفه فى الآيات والمعجزات والقول الوجيز فى زهده وعبادته وتواضعه وسائرحلاه ومعاليه صلى الله عليه وسلم انه ملك من اقصى اليمن الى صحراء عمان الى اقصى الحجاز ثم توفي عليه السلام وعليه دين ودرعه مرهونة فى طعام لاهله ولم يترك دينارا ولا درهما ولا شيد قصرا ولا غرس نخلا ولا شقق نهرا وكان يا كل على الارض ويجلس على الارض ويلبس العباءة ويجالس المساكين ويمشى فى الاسواق ويتوسد يده ويلعق اصابعه ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويصلح خصه ويمهن لاهله ولا يا كل متكئا ويقول انا عبد ءاكل كما يا كل العبد ويقتص من نفسه ولا يرى ضاحكا ملء فيه ولو دعي الى ذراع لاجاب ولو اهدي اليه كراع لقبل لا يا كل وحده ولا يضرب عبده ولا يمنع رفده ولا ضرب قط بيده الا في سبيل الله وقام لله حتى ورمت قدماه فقيل له اتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وكان يسمع لجوفه ازيزكازيز المرجل من البكاء اذا قام بالليل صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله واتباعه صلاة دائمة الى يوم القيامة انتهى وقال الفخر قوله تعالى الذين يتبعون الرسول الآية قال بعضهم الاشارة بذلك الى من تقدم ذكره من بنى اسراءيل والمعنى يتبعونه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته فى التوراة وسيجدونه مكتوبا فى الانجيل وقال بعضهم بل المراد من لحق من بنى اسراءيل ايام النبي صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هؤلاء اللاحقين لا تكتب لهم رحمة الآخرة الا اذا اتبعوا النبي الامي قال الفخر وهذا القول اقرب وقوله يجدونه اي يجدون صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ففى البخاري وغيره عن عبد الله بن عمرو ان فى التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبىء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت

عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزئى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن اقبضه حتى اقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فنقيم به قلوبا غلفا وءاذانا صما واعينا عميا وفى البخاري فيفتح بـه عيونا عميـا وآذانا صما وقلوبا غلفـا ونص كعب الاحبار نحو هذه الالفـاظ الا انـه قال قلوبا غلوفا وءاذانا صمومـا * وقوله سبحانـه يامرهم بالمعروف الآيـة يحتمل ان يكون ابتداء كلام وصف بـه النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمـل ان يكون متعلقـا بيجدونـه فى موضع الحـال على تجوز اي يجدونـه فى التوراة ءامرا بشرط وجوده والمعروف ما عرف بالشرع وكل معروف من جهـة المروءة فهو معروف بالشرع فقـد قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق والمنكر مقابله والطيبات عند مالك هي المحلـلات والخبائث هي المحرمات وكذلك قال ابن عباس والاصر الثقـل وبـه فسر هنـا قتادة وغيره والاصر ايضا العهـد وبـه فسر ابن عبـاس وغيره وقد جمعت هذه الآية المعنيـين فان بنى اسراءيل قدكان اخذ عليهم العهد بان يقوموا باعمـال ثقال فوضع عنهم نبينـا محمـد صلى الله عليـه وسلم وقال ابن جبير الاصـر شـدة العبـادة وقرأ ابن عامر آصارهم بالجمع فمـن وحد الاصر فانمـا هو اسم جنس عنده يراد به الجمع والاغـلال التى كانت عليهم عبـارة مستعارة ايضا لتلك الاثقال كقطع الجلد من اثر البول وان لا دية ولا بد من قتل القاتـل الى غير ذلك هذا قول جمهور المفسرين وقال ابن زيـد انما المراد هنا بالاغـلال قول الله عز وجـل فى اليهود غلت ايديهم فمـن ءامن بنبينـا محمـد صلى الله عليه وسلم زالت عنـه الدعوة وتغليلهـا ومعنى عزروه اي وقروه فالتعزير والنصر مشاهدة خاصة للصحابة واتباع النور يشترك فيه معهم المومنون الى يوم القيامـة والنور كنايـة عن جمـلة الشرع وشبـه الشرع والهـدى

بالنور اذ القلوب تستضيء به كما يستضيء البصر بالنور * وقوله سبحانه قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا هذا امر من الله سبحانه لنبيه باشهار الدعوة العامة وهذه من خصائصه صلى الله عليه وسلم من بين سائر الرسل فانه صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة والى الجن وكل نبي انما بعث الى فرقة دون العموم * وقوله سبحانه فآمنوا بالله ورسوله الآية حض على اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله الذى يومن بالله وكلماته اي يصدق بالله وكلماته والكلمات هنا الآيات المنزلة من عند الله كالتوراة والانجيل وقوله واتبعوه لفظ عام يدخل تحته جميع الزامات الشريعة جعلنا الله من متبعيه على ما يلزم بمنه ورحمته قلت فان اردت الفوز ايها الاخ فعليك باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم شريعته وتعظيم جميع اسبابه قال عياض ومن اعظامه صلى الله عليه وسلم واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته ومعاهده وما لمسه عليه السلام او عرف به حدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا و قرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول عليه السلام انشأ يقول

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري * قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الحصى * فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشائخ انه حج ماشيا فقيل له فى ذلك فقال العبد الآبق

ياتى الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسى ما مشيت على قدمي قال عياض وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل * وتردد فيها جبريل وميكاءيل * وعرجت منها الملائكة والروح * وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح * واشتملت تربتها على جسد سيد البشر * وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر * مدارس ءايات * ومساجد وصلوات * ومشاهد الفضائل والخيرات * ومعاهد البراهين والمعجزات * ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها * وتقبل ربوعها وجدراتها *

يا دار خير المرسلين ومن به * هدي الانام وخص بالآيات
عندى لاجلك لوعة وصبابة * وتشوق متوقد الجمرات

الابيات انتهى من الشفا * وقوله سبحانه ومن قوم موسى امة يهدون اي يرشدون انفسهم وهذا الكلام يحتمل ان يريد به وصف المومنين منهم على عهد موسى وما والاه من الزمن فاخبر سبحانه انه كان فى بنى اسراءيل على عتوهم وخلافهم من اهتدى واتقى وعدل ويحتمل ان يريد الجماعة التى ءامنت بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من بنى اسراءيل على جهة الاستجلاب لايمان جميعهم وقوله اسباطا بدل من اثنتي والتمييز الذى بين العدد محذوف تقديره اثنتي عشرة فرقة او قطعة اسباطا * وقوله سبحانه واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام الآية انبجست بمعنى انفجرت وقد تقدم الكلام على هذه المعانى فى البقرة * وقوله سبحانه واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا تغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون القرية هي بيت المقدس وقيل

اريحاء وبدل معناه غير اللفظ * وقوله سبحانـه وسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الآية قال بعض المتأولين ان اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان بنى اسرايل لم يكن فيهم عصيان ولا معاندة لما امروا به فنزلت هذه الآية موبخة لهم فسؤالهم انما هو على جهة التوبيخ والقرية هنا ايلة قاله ابن عباس وغيره وقيل مدين وحاضرة البحر اي البحر فيها حاضر ويحتمل ان يريد معنى الحاضرة على جهة التعظيم لها اي هي الحاضرة فى مدن البحر ويعـدون معنـاه يخالفون الشرع من عدا يعدو وشرعا اي مقبلة اليهم مصطفة كما تقول شرعت الرماح اذا مدت مصطفة وعبارة البخاري شرعا اي شوارع انتهى والعامل فى قوله ويوم لا يسبتون قوله لا تاتيهم وهو ظرف مقدم ومعنى قوله كذلك الاشارة الى امر الحوت وفتنتهم به هذا على من وقف على تاتيهم ومن وقف على كذلك فالاشارة الى كثرة الحيتان شرعا اي فما اتى منها يوم لا يسبتون فهو قليل ونبلوهم اي نمتحنهم بفسقهم وعصيانهم وقد تقدم فى البقرة قصصهم * وقوله سبحانـه واذ قالت امة منهم لم تعظون قومـا الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديـدا قال جمهور المفسرين ان بنى اسرايل افترقت ثلاث فرق فرقة عصت وفرقة نهت وجاهرت وتكلمت واعتزلت وفرقة اعتزلت ولم تعص ولم تنه وان هذه الفرقة لما رأت مجاهرة الناهية وطغيان العاصية وعتوها قالت للناهيـة لم تعظون قومـا يريدون العاصية الله مهلكهم او معذبهم فقالت الناهية موعظتنا معذرة الى الله اي اقامة عذر ومعنى مهلكهم اي فى الدنيا او معذبهم اي فى الآخرة والضمير فى قوله نسوا للمنهيين وهو ترك سمي نسيانا مبالغة وما فى قوله ما ذكروا به بمعنى الذى والسوء لفظ عام فى جميع المعاصي الا ان الذى يختص هنا بحسب قصص الآية هو صيد الحوت والذين ظلموا هم العاصون وقوله بعذاب بيس معناه مولم موجع شديد واختلف فى الفرقة التى لم تعص ولم تنه فقيل نجت مع الناجين

وقيل هلكت مع العاصين وقوله بما كانوا يفسقون اي لاجل ذلك وعقوبة عليه والعتو الاستعصاء وقلة الطواعية * وقوله سبحانه قلنا لهم كونوا يحتمل ان يكون قولا بلفظ من ملك اسمعهم فكان اذهب فى الاغراب والهول والاصغار ويحتمل ان يكون عبارة عن القدرة المكونة لهم قردة وخاسئين معناه مبعدين فخاسئين خبر بعد خبر فهذا اختيار ابى الفتح وضعف الصفة فروي ان الشباب منهم مسخوا قردة والرجال الكبار مسخوا خنازير * وقوله سبحانه واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب معني هذا الآية واذ علم الله ليبعثن وتقتضى قوة الكلام ان ذلك العلم منه سبحانه مقترن بانفاذ وامضاء كما تقول فى امر عزمت عليه علم الله لافعلن وقال الطبري وغيره تأذن معناه اعلم وقال مجاهد تاذن معناه امر وقالت فرقة معنى تاذن تألى والضمير فى عليهم لبنى اسراءيل وقوله من يسومهم قال ابن عباس هي اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم وامته يسومون اليهود سوء العذاب قال (ع) والصحيح ان هذا حالهم فى كل قطر ومع كل ملة ويسومهم معناه يكلفهم ويحملهم وسوء العذاب الظاهر منه انه الجزية والاذلال وقد حتم الله عليهم هذا وحط ملكهم فليس فى الارض راية ليهودي ثم حسن فى ءاخر الآية التنبيه على سرعة العقاب والتخويف لجميع الناس ثم رجى سبحانه بقوله وانه لغفور رحيم لطفا منه بعباده جل وعلا وقطعناهم فى الارض معناه فرقناهم فى الارض قال الطبري عن جماعة من المفسرين ليس فى الارض بقعة الا وفيها معشر من اليهود والظاهر فى المشار اليهم بهذه الآية انهم الذين بعد سليمان وقت زوال ملكهم والظاهر انهم قبل مدة عيسى عليه السلام لانهم لم يكن فيهم صالح بعد كفرهم بعيسى صلى الله عليه وسلم وبلوناهم معناه امتحناهم بالحسنات اي بالصحة والرخاء ونحو هذا مما هو بحسب رأي ابن ءادم ونظره والسيئات مقابلات هذه لعلهم يرجعون الى الطاعة * وقوله

سبحانه فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الآية خلف معناه حدث خلفهم وبعدهم وخلف باسكان اللام يستعمل فى الاشهر فى الذم * وقوله سبحانه ياخذون عرض هذا الادنى اشارة الى الرشى والمكاسب الخبيثة والعرض ما يعرض ويعن ولا يثبت والادنى اشارة الى عيش الدنيا وقولهم سيغفر لنا ذم لهم باغترارهم وقولهم سيغفر لنا مع علمهم بما فى كتاب الله من الوعيد على المعاصى واصرارهم وانهم بحال اذا امكنتهم ثانية ارتكبوها فهؤلاء عجزة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فهؤلاء قطعوا بالمغفرة وهم مصرون وانما يقول سيغفر لنا من اقلع وندم * وقوله سبحانه الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب الآية تشديد فى لزوم قول الحق على الله فى الشرع والاحكام وقوله ودرسوا ما فيه معطوف على قوله الم يوخذ لانه بمعنى المضي والتقدير اليس قد اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه وبهذين الفعلين تقوم الحجة عليهم فى قولهم الباطل وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي وادارسوا ما فيه ثم وعظ وذكّر تبارك وتعالى بقوله والدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون وقرأ ابوعمرو افلا يعقلون بالياء من اسفل * وقوله سبحانه والذين يمسكون بالكتاب عطف على قوله للذين يتقون وقرأ عاصم وحده فى رواية ابى بكر يمسكون بسكون الميم وتخفيف السين وقرأ الاعمش والذين استمسكوا * وقوله عز وجل واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة نتقنا معناه اقتلعنا ورفعنا وقد تقدم قصص الآية فى البقرة وقوله سبحانه واذكروا ما فيه اي تدبروه واحفظوا اوامره ونواهيه فما وفوا * وقوله سبحانه واذ اخذ ربك من بنى ءادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا الآية قوله من ظهورهم قال النحاة هو بدل اشتمال من قوله من بنى ءادم وتواترت الاحاديث فى تفسير هذه الآية عن

النبي صلى الله عليه وسلم من طرق ان الله عز وجل استخرج من ظهر ءادم عليه السلام نسم بنيه ففي بعض الروايات كالذر وفي بعضها كالخردل وقال محمد بن كعب انها الارواح جعلت لها مثالات وروي عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخذوا من ظهر ءادم كما يوخذ بالمشط من الراس وجعل الله لهم عقولا كنملة سليمان واخذ عليهم العهد بانه ربهم وان لا اله غيره فاقروا بذلك والتزموه واعلمهم انه سيبعث الرسل اليهم مذكرة وداعية فشهد بعضهم على بعض وشهد الله عليهم وملائكته قال الضحاك بن مزاحم من مات صغيرا فهو على العهد الاول ومن بلغ فقد اخذه العهد الثاني يعني الذي في هذه الحياة المعقولة الآن وقوله شهدنا يحتمل ان يكون من قول بعض النسم لبعض فلا يحسن الوقف على قوله بلى ويحتمل ان يكون قوله شهدنا من قول الملائكة فيحسن الوقف على قوله بلى قال السدي المعنى قال الله وملائكته شهدنا ورواه عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين الآية المعنى ليلا تقولوا او مخافة ان تقولوا والمعنى في هذه الآية ان الكفرة لو لم يوخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول مذكر بما تضمنه العهد من توحيد الله وعبادته لكانت لهم حجتان احداهما ان يقولوا كنا عن هذا غافلين والاخرى كنا تباعا لاسلافنا فكيف نهلك والذنب انما هو لمن طرق لنا واضلنا فوقع شهادة بعضهم على بعض وشهادة الملائكة عليهم لتنقطع لهم هذه الحجة * وقوله سبحانه واتل عليهم نبأ الذى ءاتيناه ءاياتنا قال ابن عباس هو رجل من الكنعانيين الجبارين اسمه بلعم بن باعوراء وقيل بلعام بن باعر وقيل غير هذا وكان في جملة الجبارين الذين غزاهم موسى عليه السلام فلما قرب منهم موسى لجئوا الى بلعام وكان صالحا مستجاب الدعوة وقيل كان عنده علم من صحف ابراهيم

ولمحوها وقيل كان يعلم اسم الله الاعظم قاله ابن عباس ايضا وهذا الخلاف هو فى المراد بقوله ءاتيناه ءاياتنا فقال له قومه ادع الله على موسى وعسكره فقال لهم وكيف ادعو على نبي مرسل فما زالوا به حتى فتنوه فخرج حتى اشرف على جبل يرى منه عسكر موسى وكان قد قال لقومه لا افعل حتى استامر ربي ففعل فنهي عن ذلك فقال لهم قد نهيت فما زالوا به حتى قال سأستامره ثانية ففعل فسكت عنه فاخبرهم فقالوا له ان الله لم يدع نهيك الا وقد اراد ذلك فخرج فلما اشرف على العسكر جعل يدعو على موسى فتحول لسانه بالدعاء لموسى والدعاء على قومه فقالوا له ما تقول فقال انى لا املك هذا وعلم انه قد اخطأ فروي انه قد خرج لسانه على صدره فقال لقومه انى قد هلكت ولكن لم يبق لكم الا الحيلة فاخرجوا النساء الى عسكر موسى على جهة التجر وغيره ومروهن الا تمتنع امرأة من رجل فانهم اذا زنوا هلكوا ففعلوا فخرج النساء فزنى بهن رجال من بنى اسرايل وجاء فنحاص بن العيزار بن هارون فانتظم برمحه امرأة ورجلا من بنى اسرايل ورفعهما على اعلى الرمح فوقع فى بنى اسرايل الطاعون فمات منهم فى ساعة واحدة سبعون الفا ثم ذكر المعتمر عن ابيه ان موسى عليه السلام قتل بعد ذلك الرجل المنسلخ من ءايات الله قال المهدوي روي انه دعا على موسى ان لا يدخل مدينة الجبارين فاجيب ودعا عليه موسى ان ينسى اسم الله الاعظم فاجيب وفى هذه القصة روايات كثيرة تحتاج الى صحة اسناد وانسلخ عبارة عن البراءة منها والانفصال والبعد كالمنسلخ من الثياب والجلد واتبعه الشيطان اي صيره تابعا كذا قال الطبري اما لضلالة رسمها له واما لنفسه ومن الغاوين اي من الضالين ولو شيئنا لرفعناه بها قال ابن عباس وجماعة معنى لرفعناه لشرفنا ذكره ورفعنا منزلته لدينا بهذه الآيات التى ءاتيناه ولكنه اخلد الى الارض اي تقاعس الى

الحضيض الاسفل الاخس من شهوات الدنيا ولذاتها وذلك ان الارض وما ارتكن فيها هي الدنيا وكل ما عليها فان ومن اخلد الى الفانى فقد حرم حظ الآخرة الباقية (ث) قال الهروي قوله اخلد الى الارض معناه سكن الى لذاتها واتبع هواه يقال اخلد الى كذا اى ركن اليه واطمأن به انتهى قال عبد الحق الاشبيلي رحمه الله فى العاقبة واعلم رحمك الله ان لسوء الخاتمة اعاذنا الله منها اسبابا ولها طرق وابواب اعظمها الاكباب على الدنيا والاعراض عن الآخرة وقد سمعت بقصة بلعام بن باعوراء وما كان ءاتاه الله تعالى من ءاياته واطلعه عليه من بيناته وما اراه من عجائب ملكوته اخلد الى الارض واتبع هواه فسلبه الله سبحانه جميع ما كان اعطاه وتركه مع من استماله واغواه انتهى * وقوله فمثله كمثل الكلب شبه به فى انه كان ضالا قبل ان يوتى الآيات ثم اوتيها فكان ايضا ضالا لم تنفعه فهو كالكلب فى انه لا يفارق اللهث فى كل حال هذا قول الجمهور وقال السدي وغيره ان هذا الرجل عوقب فى الدنيا فانه كان يلهث كما يلهث الكلب فشبه به صورة وهيئة وذكر الطبري عن ابن عباس ان معنى ان تحمل عليه ان تطرده * وقوله ذلك مثل القوم الذين كذبوا بئاياتنا اي هذا المثل يا محمد مثل هؤلاء الذين كانوا ضالين قبل ان تاتيهم بالهدى والرسالة ثم جئتهم بها فبقوا على ضلالتهم ولم ينتفعوا بذلك فمثلهم كمثل الكلب * وقوله فاقصص القصص اي اسرد عليهم ما يعلمون انه من الغيوب التى لا يعلمها الا اهل الكتب الماضية ولست منهم لعلهم يتفكرون فى ذلك فيومنوا * وقوله سبحانه من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولائك هم الخاسرون القول فيه ان ذلك كله من عند الله الهداية منه وبخلقه واختراعه وكذلك الاضلال وفى الآية تعجيب من حال المذكورين * وقوله سبحانه ولقد ذرأنا

لجهنم كثيرا من الجن والانس هذا خبر من الله تعالى انه خلق لسكنى جهنم والاحتراق فيها كثيرا وفى ضمنه وعيد للكفار وذرأ معناه خلق واوجد مع بث ونشر * وقوله سبحانه لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم ءاذان لا يسمعون بها اولائك كالانعام بل هم اضل الآية لما كانت هذه الطائفة الكافرة المعرضة عن النظر فى ءايات الله لم ينفعهم النظر بالقلب ولا بالعين ولا ما سمعوه من الآيات والمواعظ استوجبوا الوصف بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون والفقه الفهم اولائك كالانعام فى ان الانعام لا تفقه الاشياء ولا تعقل المقاييس ثم حكم سبحانه عليهم بانهم اضل لان الانعام تلك هي بنيتها وخلقتها وهؤلاء معدون للفهم والنظر ثم بين سبحانه بقوله اولائك هم الغافلون الطريق الذى به صاروا اضل من الانعام وهو الغفلة والتقصير قال الفخر اما قوله تعالى اولائك كالانعام بل هم اضل فتقريره ان الانسان وسائر الحيوانات متشاركة فى قوى الطبيعة الغاذية والنامية والمولدة ومتشاركة ايضا فى منافع الحواس الخمس الباطنة والظاهرة وفى احوال التخيل والتفكر والتذكر وانما حصل الامتياز بين الانسان وسائر الحيوانات فى القوة العقلية والفكرية التى تهديه الى معرفة الحق فلما اعرض الكفار عن احوال العقل والفكر ومعرفة الحق كانوا كالانعام بل هم اضل لان الحيوانات لا قدرة لها على تحصيل هذه الفضائل وقد قال حكيم الشعراء

الروح من عند رب العرش مبدؤه * وتربة الارض اصل الجسم والبدن
قد الف الملك الجبار بينهما * ليصلحا لقبول الامر والمحن
فالروح فى غربة والجسم فى وطن * فلتعرفن ذمام النازح الوطن

انتهى * وقوله سبحانه ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها الآية السبب فى

هذه الآيـة على ما روي ان ابا جهل سمع بعض اصحاب النبي صلى الله عليـه وسلم يقرأ فيذكر الله تعالى فى قراءتـه ومرة يذكر الرحمن ونحو ذلك فقال محمد يزعم ان الا له واحد وهو انما يعبد ءالهة كثيرة فنزلت هـذه الآيـة ومن اسماء الله تعالى ما ورد فى القرءان ومنها ما ورد فى الحديث وتواتر وهذا هو الذى ينبغي ان يعتمد عليه * وقوله سبحانه وذروا الذين يلحدون فى اسمائه قال ابن زيد معناه اتركوهم فالآية على هذا منسوخة وقيل معناه الوعيد كقوله سبحانه ذرنى ومن خلقت وحيدا وذرهم ياكلوا ويتمتعوا يقال الحد ولحد بمعنى جار ومال وانحرف والحد اشهر ومنه لحد القبر ومعنى الالحاد فى اسماء الله عز وجل ان يسموا اللات نظير اسم الله تعالى قاله ابن عباس والعزى نظير العزيز قاله مجاهد ويسمون الله ابا ويسمون اوثانهم اربابا * وقوله سبحانه سيجزون ما كانوا يعملون وعيد محض * وقوله سبحانـه وممن خلقنا امـة يهـدون بالحق وبـه يعـدلون والـذين كـذبوا بآياتنـا سنستدرجهم مـن حيث لا يعلمون الآيـة تتضمن الاخبار عن قوم اهـل ايمـان واستقامـة وهدايـة وظاهرهـا يقتضى كل مومن كان من لدن ءادم عليه السلام الى قيام الساعـة وروي عن كثير من المفسرين انها فى امة نبينا محمـد صلى الله عليـه وسلم وروي فى ذلك حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الآية لكم * وقوله سبحانه والذين كذبوا بـءاياتنا الآية وعيد والاشارة الى الكفار وسنستدرجهم معناه سنسوقهم شيـئا بعد شيء ودرجة بعد درجة بالنعم عليهم والامهال لهم حتى يغتروا ويظنوا انهم لا ينالهم عقاب وقوله مـن حيث لا يعلمون اي مـن حيث لا يعلمون انـه استدراج لهم وهذه عقوبة لهم من الله سبحانـه على التكذيب لمـا حتم عليهم بالعذاب املى لهم ليزدادوا اثما * وقوله واملى معناه اؤخر مـلاوة من الدهر اي مدة ومتين معناه قوي * وقوله سبحانه او لم يتفكروا مـا بصاحبهم من جنة

الآية تقرير يقارنه توبيخ للكفار والوقف على قوله او لم يتفكروا ثم ابتدأ القول بنفي ما ذكروه فقال ما بصاحبهم من جنة اي بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون المعنى او لم يتفكروا انه ما بصاحبهم من جنة ويظهر من رصف الآية انها باعثة لهم على الفكرة فى امره صلى الله عليه وسلم وانه ليس به جنة كما احالهم بعد هذه الآية على النظر وقال الفخر قوله تعالى او لم يتفكروا امر بالفكر والتأمل والتدبر وفى اللفظ محذوف والتقدير او لم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة والجنة حالة من الجنون كالجلسة ودخول من فى قوله من جنة ينفى انواع الجنون انتهى * وقوله سبحانه اولم ينظروا فى ملكوت السموات والاض الآية النظر هنا بالقلب عبرة وفكرا وملكوت بناء عظمة ومبالغة * وقوله وما خلق الله من شيء لفظ يعم جميع ما ينظر فيه ويستدل به من الصنعة الدالة على الصانع ومن نفس الانسان وحواسه ومواضع رزقه والشيء واقع على الموجودات وان عسى عطف على قوله فى ملكوت والمعنى توقيفهم على ان لم يقع لهم نظر فى شيء من هذا ولا فى انهم قربت اجالهم فماتوا ففات اوان التدارك ووجب عليهم المحذور ثم وقفهم باي حديث اوامر يقع ايمانهم وتصديقهم اذا لم يقع بامر فيه نجاتهم ودخولهم الجنة ونحو هذا المعنى قول الشاعر * وعن اي نفس بعد نفسى اقاتل * والضمير فى بعده يراد به القرءان وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقصته وامره اجمع وقيل هو عائد على الاجل اي بعد الاجل اذ لا عمل بعد الموت * وقوله سبحانه من يضلل الله فلا هادي له الآية هذا شرط وجواب مضمنه اليأس منهم والمقت لهم لان المراد ان هذا قد نزل بهم والطغيان الافراط فى الشيء وكانه مستعمل فى غير الصلاح والعمه الحيرة * وقوله سبحانه يسئلونك عن الساعة قال قتادة السائلون هم قريش وقال

ابن عباس هم احبار اليهود (ت) وفي السيرة لابن هشام ان السائلين من احبار اليهود حمل بن ابي قشير وسموأل بن زيد انتهى والساعة القيامة موت كل من كان حيا حينئذ وبعث الجميع وايان معناه متى وهي مبنية على الفتح قال الشاعر

ايان تقضى حاجتى ايانا * اما ترى لفعلها ابانا

ومرساها معناه مثبتها ومنتهاها ماخوذ من ارسى يرسى فمرساها رفع بالابتداء والخبر ايان وعبارة البخاري ايان مرساها متى خروجها انتهى ويجليها معناه يظهرها * وقوله سبحانه ثقلت في السموات والارض قيل معناه ثقل ان تعلم ويوقف على حقيقة وقتها وقال الحسن بن ابي الحسن معناه ثقلت هيئتها والفزع على اهل السموات والارض لاتاتيكم الا بغتة اي فجأة * وقوله سبحانه يسئلونك كانك حفي عنها قال ابن عباس وغيره المعنى يسئلونك كانك حفي اي متحف ومهتبل بهم وهذا ينحو الى ما قالت قريش يا محمد انا قرابتك فاخبرنا بوقت الساعة وقال ابن زيد وغيره معناه كانك حفي في المسألة عنها والاشتغال بها حتى حصلت علمها وقرأ ابن عباس فيما ذكر ابو حاتم كانك حفي بها * وقوله سبحانه ولكن اكثر الناس لا يعلمون قال الطبري معناه لايعلمون ان هذا الامر لا يعلمه الا الله بل يظن اكثرهم انه مما يعلمه البشر * وقوله سبحانه قل لااملك لنفسى نفعا ولاضرا الا ما شاء الله الآية هذا امر بان يبالغ في الاستسلام ويتجرد من المشاركة في قدرة الله وغيبه وان يصف نفسه لهؤلاء السائلين بانه لايملك من منافع نفسه ومضارها الاما سنى الله وشاء ويسر وهذا الاستثناء منقطع واخبر انه لوكان يعلم الغيب لعمل بحسب ما ياتى واستعد لكل شيء استعداد من يعلم قدر ما يستعد له وهذا لفظ عام في كل شيء * وقوله وما مسنى السوء

يحتمل وجهين وبكليهما قيل احدهما ان ما معطوفة على قوله لا ستكثرت اي ولما مسني السوء والثانى ان يكون الكلام مقطوعا تم فى قوله لاستكثرت من الخير وابتدأ يخبر بنفي السوء عنه وهو الجنون الذى رموه بـه قال مؤرِّج السَدوسي السوء الجنون بلغة هذيل (ت) واما على التاويل الاول فلا يريد بالسوء الجنون ويترجح الثانى بنحو قوله سبحانـه مـا بصاحبكم من جنـة ان هو الا نـذير لـكم الآيـة ولقوم يومنون يحتمـل معنيين احدهما ان يريد لقوم يطلب منهم الايمـان وهؤلاء الناس اجمع والثانى ان يخبر انـه نـذير ويتم الكلام ثم يبتدئ يخبر انه بشير للمومنين به ففى هـذا وعد لمن حصل ايمانـه * وقوله جلت عظمته هو الذى خلقكم من نفس واحدة الآيـة قال جمهور المفسرين المراد بالنفس الواحدة ءادم عليه السلام وبقوله وجعـل منهـا زوجها حواء وقوله منها هو ما تقـدم ذكره مـن ان ءادم نام فاستخرجت قصرى اضلاعـه وخلقت منهـا حواء * وقـوله ليسكن اليهـا اي ليأنس ويطمئن وكان هـذا كله فى الجنة ثم ابتدأ بحالة اخرى وهي فى الدنيا بعـد هبوطهما فقال فلما تغشاهـا اي غشيهـا وهى كناية عن الجماع والحمـل الخفيف هو المني الذى تحمله المرأة فى رحمها * وقوله فمرت بـه اي استمرت به وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ ابن مسعود فاستمرت بحملها وقرأ عبد الله ابن عمرو بن العاص فمارت به اي جاءت به وذهبت وتصرفت كما تقول مارت الريح مورا واثقلت دخلت فى الثقل كما تقول اصبح وامسى والضمير فى قوله دعوا على هذا التاويل عائد على ءادم وحواء وروي فى قصص ذلك ان الشيطان اشار على حواء ان تسمي هـذا المولود عبد الحارث وهو اسم ابليس وقال لها ان لم تفعلي قتلته فزعموا انهما اطاعاه حرصا على حياة المولود فهذا هو الشرك الذى جعلا لله فى التسمية فقط وقال الطبري والسدي فى قوله فتعالى الله عما يشركون

كلام منفصل من خبر ءادم وحـواء يراد بـه مشركوا العرب (ت) وينزه ءادم وحواء عن طاعتهما لابليس ولم اقف بعد على صحـة ما روي فى هـذه القصص ولو صح لوجب تاويله نعم روى الترمذي عن سمرة بن جنـدب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمـا حملت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال لها سميه عبد الحارث فسمته عبد الحارث فعاش ذلك وكان ذلك من وحي الشيطان وامره قال الترمذي هـذا حديث حسن غريب انفرد بـه عمر بن ابراهيم عن قتادة وعمر شيخ بصري انتهى وهـذا الحديث ليس فيـه انهما اطاعاه وعلى كل حال الواجب التوقف والتنزيـه لمن اجتبـاه الله وحسن التاويـل مـا امكن وقـد قال ابن العربي فى توهين هـذا القول وتزييفـه وهذا القول ونحوه مذكور فى ضعيف الحـديث فى الترمـذي وغيره وفى الاسراءيليات التى ليس لها ثبات ولا يعول عليهـا من له قلب فان ءادم وحواء وان كانا غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المومن من جحر مرتين ومـا كانا بعـد ذلك ليقبلا له نصحا ولا يسمعا له قولا والقول الاشبه بالحق ان المـراد بهـذا جنس الآدميين انتهى من الاحكام قال (ع) وقوله صالحا قال الحسن معناه غلامـا وقال ابن عباس وهو الاظهر بشرا سويا سليما وقال قوم انمـا الغرض من هـذه الآيـة تعديد النعمة فى الازواج وفى تسهيل النسـل والولادة ثم ذكر سوء فعل المشركين الموجب للعقاب فقال مخاطبا لجميع الناس هوالذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها يريد ءادم وحواء اي واستمرت حالكم واحـدا واحـدا كذلك فهـذه نعمـة يختص كل واحد بجزء منهـا ثم جاء قوله فلما تغشاها الى ءاخر الآيـة وصفا لحال الناس واحدا واحدا اي هكذا يفعلون فاذا ءاتاهم الله ولدا صالحا سليما كما ارادوه صرفوه عن الفطرة الى الشرك فهذا فعل المشركين قال ابن العربي فى احكامـه وهـذا القول هو الاشبـه

بالحق واقرب للصدق وهو ظاهر الآيـة وعمومها الذى يشمل جميع متناولاتها ويسلم فيها الانبيـاء عن النقص الذى لا يليق بجهال البشر فكيف بساداتهم وانبيائهم انتهى وهوكلام حسن وبالله التوفيق وقرأ نافع وعاصم فى رواية ابى بكر شركا بكسر الشين وسكون الراء على المصدر وقـرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكساءي وحفص عن عاصم شركاء على الجمع وهي بينة على هذا التاويل الاخير وقلقة على قول من قال ان الآيـة الاولى فى ءادم وحواء وفى مصحف ابي بن كعب فلما ءاتاهما صالحا اشركا فيه * وقوله ايشركون مـا لا يخلق شيئـا الآية ذهب بعض من قال بالقول الاول الى ان هذه الآية فى ءادم وحواء على ما تقدم وفيه قلق وتعسف من التاويل فى المعنى وانما تنسق هذه الآيات ويروق نظمها ويتناصر معناها على التاويـل الاخير فانهم قالوا ان الآيـة فى مشركى الكفار الذين يشركون الاصنام فى العبادة واياها يراد فى قوله ما لا يخلق وعبر عن الاصنام بهم كانها تعقل على اعتقـاد الكفـار فيهـا وبحسب اسمائها ويخلقون معنـاه ينحتون ويصنعون يعنى الاصنـام ويحتمـل ان يكون المعنى وهؤلاء المشركون يخلقون اي فـكان حقهم ان يعبدوا خالقهم لا من لا يخلق شيئـا وقرأ ابوعبد الرحمن عما تشركون بالتاء من فوق اتشركون * وقوله سبحانه وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون من قال ان الآيات فى ءادم عليه السـلام قال هذه مخاطبة مستانفـة للنبي صلى الله عليـه وسلم وامته فى امر الكفار المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ومن قال بالقول الآخر قال ان هذه مخاطبة للمومنين والكفار على قـراءة من قرأ ايشركون بالياء من تحت وللكفـار فقط على قراءة من قرأ بالتاء من فوق على جهة التوقيف اي هذا حال الاصنام معكم ان دعوتموهم لم يجيبوكم * وقوله سبحانه ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا

لكم ان كنتم صادقين الآيـة مخاطبة للـكفار فى تحقير شـأن اصنامهم وقوله فادعوهم اي فاختبروا فان لم يستجيبوا فهم كما وصفنا * وقوله سبحانـه الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم ءاذان يسمعون بها الآية الغرض من هذه الآية الهم حواس الحي واوصافه فاذا قالوا لا حكموا بانها جمادات من غير شك لا خير عندها قال الزهراوي المعنى انتم افضل منهم بهذه الجوارح النافعة فكيف تعبدونهم ثم امر سبحانه نبيـه عليه السـلام ان يعجزهم بقوله قل ادعوا شركاءكم اي استنجدوهم واستنفروهم الى اضرارى وكيدى ولا تؤخرونى المعنى فان كانوا ءالهة فسيظهر فعلكم ولما احالهم على الاستنجاد بآلهتهم فى ضرره واراهم ان الله سبحانه هو القادر على كل شيء لا تلك عقب ذلك بالاستناد الى الله سبحانـه والتوكل عليه والاعلام بانه وليـه وناصره فقال ان وليي الله الذى نزل الكتـاب وهو يتولى الصالحين * وقوله والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون انما تكرر القول فى هذا وترددت الآيات فيه لان امر الاصنام وتعظيمها كان متمكنـا من نفوس العرب فى ذلك الزمان ومستوليا على عقولها فاوعب القول فى ذلك لطفا منه سبحانه بهم * وقوله وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا الآية قالت فرقة هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته فى امر الكفار والهاء والميم فى قـوله تدعوهم للكفـار ووصفهم بانهم لا يسمعـون ولا يبصـرون اذ لم يتحصل لهم عن النظر والاستماع فائدة قاله مجاهـد والسـدي وقال الطبري المراد بالضمير المذكور الاصنام ووصفهم بالنظر كناية عن المحاذاة والمقابـلة ولمـا فيها من تخييل النظر كما تقول دار فلان تنظر الى دار فلان * وقوله سبحانـه خذ العفو وامر بالعرف الآيـة وصية من الله سبحانه لنبيه عليه السـلام تعم جميع امته واخذ بجميع مكارم الاخلاق قال الجمهور معنى خذ العفو اقبل من الناس

فى اخلاقهم واقوالهم ومعاشرتهم ما اتى عفوا دون تكلف فالعفو هنا الفضل والصفو قال مكي قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف الآية قال بعض اهل المعانى فى هذه الآية بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم فهذه الآية قد جمعت معان كثيرة وفوائد عظيمة وجمعت كل خلق حسن لان فى اخذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين واعطاء المانعين وفى الامر بالمعروف تقوى الله وطاعته وصلة الرحم وصون الجوارح عن المحرمات وسمي هذا ونحوه عرفا لان كل نفس تعرفه وتركن اليه وفى الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مخاطبة السفيه ومنازعة اللجوج وغير ذلك من الافعال المرضية انتهى من الهداية وقوله وامر بالعرف معناه بكل ما عرفته النفوس مما لاترده الشريعة ومن ذلك ان تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عن من ظلمك الحديث فالعرف بمعنى المعروف * وقوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم هذه الآية وصية من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم تعم امته رجلا رجلا والنزغ حركة فيها فساد وقلما تستعمل الا فى فعل الشيطان لان حركته مسرعة مفسدة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يشر احدكم على اخيه بالسلاح لاينزغ الشيطان فى يده فالمعنى فى هذه الآية فاما تلمن بك لمة من الشيطان فاستعذ بالله وعبارة البخاري ينزغنك يستخفنك انتهى ونزغ الشيطان عام فى الغضب وتحسين المعاصى واكتساب الغوائل وغير ذلك وفى جامع الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للملك لمة وللشيطان لمة الحديث قال (ع) وعن هاتين اللمتين هي الخواطر من الخير والشر فالآخذ بالواجب يلقى لمة الملك بالامتثال والاستدامة ولمة الشيطان بالرفض والاستعاذة واستعاذ معناه طلب ان يعاذ وعاذ معناه

لاذ وانضوى واستجار قال الفخر قال ابن زيد لما نزل قوله تعالى واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ وقوله انه سميع عليم يدل على ان الاستعاذة لا تفيد الا اذا حضر فى القلب العلم بمعنى الاستعاذة فكانه تعالى قال اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فانى سميع واستحضر معاني الاستعاذة بعقلك وقلبك فانى عليم بما فى ضميرك وفى الحقيقة القول اللسانى دون المعارف العقلية عديم الفائدة والاثر انتهى * وقوله سبحانه ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الآية خرجت مخرج المدح للمتقين والتقوى هاهنا عامة فى اتقاء الشرك والمعاصى وقرأ ابن كثير وغيره طيف قال ابو علي الطائف كالخاطر والطيف كالخطرة وقوله تذكروا اشارة الى الاستعاذة المامور بها والى ما لله عز وجل من الاوامر والنواهي فى النازلة التى يقع تعرض الشيطان فيها وقرأ ابن الزبير من الشيطان تأملوا فاذا هم وفى مصحف ابي بن كعب اذا طاف من الشيطان طائف تأملوا وقوله مبصرون من البصيرة اي فاذا هم قد تبينوا الحق ومالوا اليه والضمير فى اخوانهم عائد على الشياطين وفى يمدونهم عائد على الكفار وهم المراد بالاخوان هذا قول الجمهور قال (ع) وقرأ جميع السبعة غير نافع يمدونهم من مددت وقرأ نافع يمدونهم من امددت قال الجمهور هما بمعنى واحد الا ان المستعمل فى المحبوب امد والمستعمل فى المكروه مد فقراءة الجماعة جارية على المنهاج المستعمل وقراءة نافع هي مقيدة بقوله فى الغي كما يجوز ان تقيد البشارة فتقول بشرته بشر ومد الشياطين للكفرة اي ومن نحا نحوهم هو بالتزيين لهم والاغواء المتتابع وقوله ثم لا يقصرون من اقصر والضمير عائد على الجميع اي هؤلاء لا يقصرون عن الاغواء وهؤلاء لا يقصرون فى الطاعة للشياطين * وقوله سبحانه واذا

لم تاتهم بئـايـة قالوا لولا اجتبيتهـا سببها فيما روي ان الوحي كان يتأخر احيانا فكان الكفار يقولون هلا اجتبيتها اي اخترتها فامره الله عز وجل ان يجيب بالتسليم لله وان الامر فى الوحي اليه ينزله متى شاء ثم اشار بقوله هـذا بصـائر الى القرءان اي علامات هدى وانوار تستضيء القلوب به * وقوله سبحانه واذا قرئ القرءان فاستمعـوا له وانصتـوا لعلكم ترحمـون ذكر الطبري وغيره ان اصحاب النبي صلى الله عليـه وسلم كانوا بمكة يتكلمون فى المكتوبـة بحوائجهم فنزلت الاية امـرا لهم بالاستماع والانصات فى الصلاة واما قول من قال انها فى الخطبة فضعيف لان الآيـة مكية والخطبة لم تكن الا بعد الهجرة والفاظ الآيـة على الجملة تتضمن تعظيم القـرءان وتوقـيره وذلك واجب فى كل حالة والانصات السكوت قال الزجاج ويجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اي اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه قال ابن العربي فى احكامـه روى الترمـذي وابو داود عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صـلاة الصبح فثقلت عليـه القراءة فلما انصرف قال انى لأراكم تقرءون وراء امامكم قلنـا يا رسول الله إي والله فـقال لا تفعلوا الا بام القرءان فانـه لا صلاة لمن لم يقرأ بها وقد روى الناس فى قراءة المامومين خلف الامام بفاتحـة الكتـاب احاديث كثيرة واعظمهم فى ذلك اهتبالا الدارقطني وقد جمـع البخـاري فى ذلك جزءا وكان رايـه قـراءة الفاتحـة خلف الامام فى الصلاة الجهرية وهي احدى روايات مالك وهو اختيار الشافعي انتهى وقـد تقـدم اول الكـتاب مـا اختاره ابن العربي وقوله سبحانه واذكر ربك فى نفسك الآيـة مخاطبـة للنبي صلى الله عليـه وسلم وتعم جميـع امتـه وهو امر من الله تعالى بذكره وتسبيحه وتقديسه والثناء عليه بمحامده والجمهور على ان الذكر لا يكـون فى النفس ولا يراعى الا بحركة اللسان ويـدل على ذلك مـن هـذه الآية

قوله ودون الجهر من القول وهـذه مرتبـة السر والمخافتـة وقال الفخر المراد بقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك كونه عارفا بمعانى الاذكار التى يقولها بلسانه مستحضرا لصفات الجلال والعظمة وذلك ان الذكر باللسان اذا كان عاريا عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة الاترى ان الفقهاء اجمعوا على ان الرجل اذا قال بعت واشتريت مع انه لا يعرف معانى هذه الالفاظ ولا يفهم منها شيأ فانه لا ينعقد البيع والشراء فكذلك هنا قال المتكلمون وهذه الآية تدل على اثبات كلام النفس * وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين يدل على ان الذكر القلبي يجب ان يكون دائما وان لا يغفل الانسان لحظة عن استحضار جلال الله وكبريائه بقدر الطاقة البشرية وتحقيق القول فى هذا ان بين الروح والبدن علاقة عجيبة لان كل اثر يحصل فى البدن يصعد منه نتائج الى الروح الاترى ان الانسان اذا تخيل الشيء الحامض ضرس منه واذا تخيل حالة مكروهة او غضب سخن بدنه انتهى وتضرعا معناه تذللا وخضوعا البخاري وخيفة اي خوفا انتهى * وقوله بالغدو والآصال معناه دأبا وفى كل يوم وفى اطراف النهار ولا تكن من الغافلين تنبيه منه عز وجل ولما قال سبحانه ولا تكن من الغافلين جعل بعد ذلك مثالا من اجتهاد الملائكة ليبعث على الجد فى طاعة الله سبحانه (ت) قال صاحب الكلم الفارقية غفلة ساعة عن ربك مكدرة لمرآة قلبك فكيف بغفلة جميع عمرك انتهى قال ابن عطاء الله رحمه الله لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره اشد من غفلتك فى وجود ذكره فعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله

بعزيز انتهى قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى ولا تكن من الغافلين اي فيما امرت بـه وكلفتـه وهذا خطاب له عليه السـلام والمراد بـه جميع امتـه انتهى * وقوله الذين يريد به الملائكة * وقوله عند انما يريد بـه المنزلة والتشـريف والقـرب فى المكانـة لا فى المكان فهم بـذلك عنـده ثم وصف سبحانـه حالهم من تواضعهم وادمانهم العبادة والتسبيح والسجود وفى الحديث اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع شبر الا وفيـه ملك قائم او راكع او ساجد وهذا موضع سجدة

قال عبد الرحمن بن محمـد عفا الله عنـه كَمل مـا انتخبناه فى تفسير السورة والحمد لله على ما بـه انعم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وسلم تسليما كثيرا

* بسم الله الـرحمن الـرحيم *

سورة الانفـال مدنيـة كلهـا

قال مجاهـد الا ءايـة واحـدة وهي قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآيـة ولا خلاف ان هذه السورة نزلت فى شان بدر وامر غنائمـه * قوله عز وجل يسئلونـك عن الانفـال الآيـة النفـل والنـافلة فى كلام العرب الزيادة على الواجب والاكثر فى هـذه الآيـة ان السؤال انما هـو عـن حكم الانفـال وقالت فرقـة انما سألوه الانفال نفسها محتجين بقراءة سعد بن ابى وقاص وغيره يسئلونك الانفال وعن ابى امامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن

الانفال فقال فينا اهل بدر نزلت حين اختلفنا وساءت اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى رسوله صلى الله عليه وسلم وقسمه عليه السلام بين المسلمين على بواء يريد على سواء فكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وصلاح ذات البين قال (ع) ويجيء من مجموع الآثار المذكورة هنا ان نفوس اهل بدر تنافرت ووقع فيها ما يقع فى نفوس البشر من ارادة الاثرة لاسيما من ابلى فانزل الله عز وجل الآية فرضي المسلمون وسلموا فاصلح ذات بينهم ورد عليهم غنائمهم قال بعض اهل التاويل عكرمة ومجاهد كان هذا الحكم من الله سبحانه لرفع الشغب ثم نسخ بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء الآية وهذا اولى الاقوال واصحها * وقوله سبحانه واصلحوا ذات بينكم تصريح بانه شجر بينهم اختلاف ومالت النفوس الى التشاح وذات فى هذا الموضع يراد بها نفس الشيء وحقيقته والذى يفهم من بينكم هو معنى يعم جميع الوُصَل والالتحامات والمودات وذات ذلك هو المامور باصلاحها اي نفسه وعينه وباقى الآية بين * وقوله سبحانه انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية انما لفظ لا تفارقه المبالغة والتاكيد حيث وقع ويصلح مع ذلك للحصر بحسب القرينة فقوله هنا انما المومنون ظاهرها انها للمبالغة والتاكيد فقط اي الكاملون قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد بن احمد الانصاري الساحلي المالقى فى كتابه الذى الفه فى السلوك واعلم ان الانسان مطلوب بطهارة نفسه وتزكيتها وطرق التزكية وان كثرت فطريق الذكر اسرع نفعا واقرب مراما وعليه درج اكثر مشائخ التربية ثم قال والذكر ضد النسيان والمطلوب منه عمارة الباطن بالله تعالى فى كل زمان ومع كل حال لان الذكر يدل على المذكور لامحالة فذكره دبدنا يوجب المحبة له والمعرفة به والذكر وان اختلفت الفاظه ومعانيه فلكل معنى معانيه اختصاص

بنوع من التحلية والتخلية والتزكية ثم قال والذكر على قسمين ذكر العامة وذكر الخاصة اما ذكر العامة وهو ذكر الاجور فهو ان يذكر العبد مولاه بما شاء من ذكره لا يقصد غير الاجور والثواب واما ذكر الخاصة فهو ذكر الحضور وهو ان يذكر العبد مولاه باذكار معلومة على صفة مخصوصة لينال بذلك المعرفة بالله سبحانه بطهارة نفسه من كل خلق ذميم وتحليتها بكل خلق كريم انتهى ووجلت معناه فزعت ورقت وخافت وبهذه المعانى فسرتها العلماء وتليت معناه سردت وقرئت والآيات هنا القرءان المتلو ومن كلام صاحب الكلم الفارقية ان تيقظت يقظة قلبية وانتبهت انتباهة حقيقية لم تر فى وقتك سعة لغير ذكر ربك واستشعار عظمته ومهابته والاقبال على طاعته ما فى وقت العاقل فضلة فى غير ما خلق له من عبادة خالقه والاهتمام بمصالح آخرته والاستعداد لمعاده اعرف العبيد بجلال مولاه اخلاهم عما سواه واكثرهم لهجا بذكره وتعظيما لامره واحسنهم تأملا لآثار صنعته وبدائع حكمته واشدهم شوقا الى لقائه ومشاهدته انتهى وزيادة الايمان على وجوه كلها خارج عن نفس التصديق منها ان المومن اذا كان لم يسمع حكما من احكام الله عز وجل فى القرءان فنزل على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه فآمن به زاد ايمانا الى سائر ما قد ءامن به اذ لكل حكم تصديق خاص وهذا يترتب فيمن بلغه ما لم يكن عنده من الشرع الى يوم القيامة وترتب زيادة الايمان بزيادة الدلائل ولهذا قال مالك الايمان يزيد ولا ينقص ويترتب بزيادة الاعمال البرة على قول من يرى ان لفظة الايمان واقعة على التصديق والطاعات وهؤلاء يقولون يزيد وينقص * وقوله سبحانه وعلى ربهم يتوكلون عبارة جامعة لمصالح الدنيا والآخرة اذا اعتبرت وعمل بحسبها فى ان يمتثل الانسان ما امر به ويبلغ فى ذلك اقصى جهده دون عجز وينتظر بعدما وعد به من نصر او رزق او غيره وهذه اوصاف جميلة

وصف الله بها فضلاء المومنين فجعلها غاية للامة يستبق اليها الافاضل ثم اتبع ذلك وعدهم ووسمهم باقامة الصلاة ومدحهم بها حضا على ذلك * وقوله ومما رزقناهم ينفقون قال جماعة من المفسرين هي الزكاة وانما حملهم على ذلك اقتران الكلام باقامة الصلاة والا فهو لفظ عام فى الزكاة ونوافل الخير وصلات المستحقين ولفظ ابن عباس فى هذا المعنى محتمل * وقوله سبحانه لهم درجات ظاهره وهو قول الجمهور ان المراد مراتب الجنة ومنازلها ودرجاتها على قدر اعمالهم ورزق كريم يريد مآكل الجنة ومشاربها وكريم صفة تقتضى رفع المذام كقوله ثوب كريم * وقوله سبحانه كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الآية اختلف فى معنى هذه الآية فقال الفراء التقدير امض لامرك فى الغنائم وان كرهوا كما اخرجك ربك قال (ع) وتحرير هذا المعنى عندى ان يقال هذه الكاف شبهت هذه القصة التى هي اخراجه من بيته بالقصة المتقدمة التى هي سؤالهم عن الانفال كانهم سألوا عن النفل وتشاجروا فاخرج الله ذلك عنهم فكانت فيه الخيرة كما كرهوا فى هذه القصة انبعاث النبي صلى الله عليه وسلم فاخرجه الله من بيته فكانت فى ذلك الخيرة وعلى هذا التاويل يمكن ان يكون قوله يجادلونك كلاما مستانفا يراد به الكفار اي يجادلونك فى شريعة الاسلام من بعد ما تبين الحق فيها كانما يساقون الى الموت فى الدعاء الى الايمان وهذا الذى ذكرت من ان يجادلونك فى الكفار منصوص وقال مجاهد وغيره المعنى فى الآية كما اخرجك ربك من بيتك على كراهية من فريق منهم كذلك يجادلونك فى قتال كفار مكة ويودون غير ذات الشوكة من بعد ما تبين لهم انك انما تفعل ما امرت به لاما يريدون هم وقائل هذه المقالة يقول ان المجادلين هم المومنون وقائل المقالة الاولى يقول ان المجادلين هم المشركون وهذان

القولان يتم بها المعنى ويحسن رصف اللفظ وقيل غير هذا وقوله من بيتك يريد من المدينة يثرب قاله الجمهور * وقولهسبحانه واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم الآية فى هذه الآية قصص حسن محل استيعابه كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن هشام واختصاره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه وقيل اوحي اليه ان ابا سفيان بن حرب قد اقبل من الشام بالعير التى فيها تجارة قريش واموالها قال لاصحابه ان عير قريش قد عنت لكم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها قال فانبعث معه من خف وثقل قوم وكرهوا الخروج واسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلوى على من تعذر ولا ينظر من غاب ظهره فسار فى ثلاث مائة وثلاثة عشر او نحو ذلك من اصحابه بين مهاجري وانصاري وقد ظن الناس باجمعهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلقى حربا فلم يكثر استعدادهم وكان ابو سفيان فى خلال ذلك يستقصى ويحذر فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ضمضم بن عمرو الغفاري الى مكة يستنفر اهلها ففعل ضمضم فخرج اهل مكة فى الف رجل اونحو ذلك فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خروجهم اوحى الله اليه وحيا غير متلو يعده احدى الطائفتين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك فسروا وودوا ان تكون لهم العير التى لاقتال معها فلما علم ابو سفيان بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه اخذ طريق الساحل وابعد وفات ولم يبق الالقاء اهل مكة واشار بعض الكفار على بعض بالانصراف وقالوا هذه عيرنا قد نجت فلننصرف فحرش ابو جهل ولج حتى كان امر الواقعة وقال بعض المومنين نحن لم نخرج لقتال ولم نستعد له فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وهو بواد يسمى دَقران وقال اشيروا علي ايها الناس فقام ابو بكر فتكلم واحسن وحرض الناس على

لقاء العدو فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستشارة فقام عمر بمثل ذلك فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستشارة فتكلم المقداد بن الاسود الكندي فقال لانقول لك يا رسول الله كما قالت بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول انا معكما مقاتلون والله لو اردت بنا برك الغماد يعني مدينة الحبشة لقاتلنا معك من دونها فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلامه ودعا له بخير ثم قال اشيروا علي ايها الناس فكلمه سعد بن معاذ وقيل سعد بن عبادة ويحتمل هما معا فقال يا رسول الله كانك ايانا تريد معشر الانصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل فقال انا قد ءامنا بك واتبعناك وبايعناك فامض لامر الله فوالله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك فقال النبي صلى الله عليه وسلم امضوا على بركة الله فكانى انظر الى مصارع القوم فالتقوا وكانت وقعة بدر (ت) وفى صحيح البخاري من حديث عائشة فى خروج ابى بكر من مكة فلقيه ابن الدغنة عند برك الغماد الحديث وليست بمدينة الحبشة من غير شك فالله اعلم ولعلهما موضعان انتهى والشوكة عبارة عن السلاح والحدة * وقوله سبحانه ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين المعنى ويريد الله ان يظهر الاسلام ويعلى دعوة الشرع بكلماته التى سبقت فى الازل والدابر الذى يدبر القوم اي ياتى ءاخرهم واذا قطع فقد اتى على ءاخرهم بشرط ان يبدأ الاهلاك من اولهم وهي عبارة فى كل من اتى الهلاك عليه وقوله سبحانه ليحق الحق اي ليظهر الحق الذى هو دين الاسلام ويبطل الباطل اي الكفر وتستغيثون معناه تطلبون الغوث وممدكم اي مكثركم ومقويكم من امددت ومردفين معناه متبعين وقرأ سائر السبعة غير نافع مردفين بكسر الدال ونافع بفتحها وروي عن ابن عباس خلف كل ملك ملك وهذا معنى التتابع يقال ردف واردف اذا اتبع وجاء بعد الشيء

ويحتمل ان يراد مردفين للمومنين ويحتمل ان يراد مردفين بعضهم بعضا وانشد الطبري شاهدا على ان اردف بمعنى جاء تابعا قول الشاعر

اذا الجوزاء اردفت الثريا * ظننت بآل فاطمة الظنونا

والثريا تطلع قبل الجوزاء وروي فى الصحيح الاشهر ان الملائكة قاتلت يوم بدر واختلف فى غيره قال ابن اسحاق حدثنى عبد الله بن ابى بكر انه حدث عن ابن عباس انه قال حدثنى رجل من بنى غفار قال اقبلت انا وابن عم لى حتى صعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون فننتهب مع من ينتهب قال فبينما نحن فى الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمى فانكشف قناع قلبه فمات مكانه واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت قال ابن اسحاق وحدثنى عبد الله بن ابى بكر عن بعض بنى ساعدة عن ابى سعيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدرا قال بعد ان ذهب بصره لو كنت اليوم ببدر ومعى بصرى لاريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة لا اشك ولا اتمارى انتهى من سيرة ابن هشام * وقوله سبحانه وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم الضمير فى جعله عائد على الوعد وهذا عندى امكن الاقوال من جهة المعنى وقيل عائد على المدد والامداد وقيل عائد على الارداف وقيل عائد على الالف * وقوله وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم توقيف على ان الامر كله لله وان تكسب المرء لا يغنى اذا لم يساعده القدر وان كان مطلوبا بالجد كما ظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين * وقوله سبحانه اذ يغشيكم النعاس امنة منه القصد تعديد نعمه سبحانه على المومنين فى يوم بدر والتقدير اذكروا اذ فعلنا بكم كذا واذ فعلنا كذا والعامل فى اذا اذكروا وقرأ نافع يغشيكم بضم الياء وسكون الغين وقرأ حمزة وغيره يغشيكم بفتح الغين

وشـد الشين المكسورة وقرأ ابن كثير وغيره يغشاكم بفتح الياء والف بعـد الشين النعاس بالرفع ومعنى يغشيكم يغطيكم والنعـاس اخف النوم وهوالـذى يصيب الانسان وهو واقف او ماش وينص على ذلك قصص هذه الآيـة انهم انما كان بهم خفق بالرءوس وقوله امنة مصدر من اِمن يأمن امنا وامنـة وامانا والهاء فيـه لتانيث المصدر كما هي فى المساءة والحماقة والمشقة وروي عن ابن مسعود انـه قال النعـاس عنـد حضور القتال علامـة امن وهو من الله وهو فى الصلاة من الشيطان قال (ع) وهذا انما طريقـه الوحي فهو لامحالة يسنـده * وقـوله سبحانـه وينزل عليكم من السماء مـاء ليطهركم بـه وذلك ان قومـا من المومنين لحقتهم جنابات فى سفرهم وعدموا المـاء قريب بدر فصلوا كذلك فوسوس الشيطان فى نفوس بعضهم مع تخويفه لهم من كثرة العدو وقلتهم وايضا فكانت بينهم وبين ماء بدر مسافة من رمل دهس تسوخ فيها الارجل فكانوا يتوقعـون ان يسبقهم الكفـار الى مـاء بـدر فانزل الله تلك المطرة فسالت الاوديـة فاغتسلوا وطهرهم الله تعالى فـذهب رجز الشيطـان وتدمث الطريق وتلبـدت تلك الرمـال فسهـل الله عليهم السير وامكنهم الاسراع حتى سبقوا الى مـاء بدر واصاب المشركين من ذلك المطر مـا صعب عليهم طريقهم فسر المومنون وتبينوا من فعل الله بهم ذلـك قصد المعونة لهم فطـابت نفوسهم واجتمعت وتشجعت فذلك الربط على قلوبهم وتثبيت اقدامهم على الرملة الليـنة والضمير فى بـه على هذا الاحتمال عائد على الماء ويحتمل عوده على ربط القلوب ويكون تثبيت الاقدام عبارة عن النصر والمعونة فى موطن الحرب ونزول الماء كان فى الزمن قبل تغشية النعاس ولم يترتب كذلك فى الآيـة اذ القصـد فيهـا تعديـد النعم فقط * وقوله سبحانـه فثبتوا الـذين ءامنوا وتثبيتهم يكون بقتـالهم وبحضورهم وباقوالهم المونسـة ويحتمـل ان يكون

التثبيت بما يلقيه الملك فى القلب بلمته من توهم الظفر واحتقار الكفار وبخواطر تشجعه قال (ع) ويقوى هذا التاويل مطابقة قوله تعالى سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب وعلى هذا التاويل يجيء قوله سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب مخاطبة للملائكة ويحتمل ان يكون مخاطبة للمومنين * وقوله سبحانه فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة هي على بابها واراد الرءوس وهذا انبل الاقوال قال (ع) ويحتمل عندى ان يريد وصف ابلغ ضربات العنق واحكمها وهي الضربة التى تكون فوق عظم العنق دون عظم الرأس فى المفصل كما وصف دريد بن الصمة فيجيء على هذا فوق الاعناق متمكنا والبنان قالت فرقة هي المفاصل حيث كانت من الاعضاء وقالت فرقة البنان الاصابع وهذا هو الصحيح لانه اذا قطع البنان لم ينتفع صاحبه بشيء من اعضائه واستاسر وشاقوا معناه خالفوا ونابذوا وقطعوا وهو ماخوذ من الشق وهو القطع والفصل بين شيئين وعبر المفسرون عن قوله شاقوا اي صاروا فى شق غير شقه قال (ع) وهذا وان كان معناه صحيحا فتحرير الاشتقاق انما هو ما ذكرناه وقوله فان الله شديد العقاب جواب للشرط تضمن وعيدا وتهديدا * وقوله سبحانه ذلكم فذوقوه المخاطبة للكفار اي ذلكم الضرب والقتل وما اوقع الله بهم يوم بدر فكانه قال الامر ذلكم فذوقوه وكذا قرره سيبويه وقال بعضهم يحتمل ان يكون ذلكم فى موضع نصب كقوله زيدا فاضربه * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الآية زحفا يراد به متقابلى الصفوف والاشخاص اي يزحف بعضهم الى بعض واصل الزحف الاندفاع على الالية ثم سمي كل ماش الى ءاخر فى الحرب رويدا زاحفا اذ فى مشيته من التماهل والتباطئ ما فى مشي الزاحف وفى هذا المعنى شواهد من كلام العرب ونهى الله سبحانه

فى هـذه الآيـة عن تولى الادبار وهـذا مقيـد بالشريطـة المنصوصـة فى مثلي المومنين والفرار هنالك كبيرة موبقـة بظاهر القرءان والحديث واجماع الاكثر من الامة * وقوله ومن يولهم يومئذ دبره الآيـة قال جمهور الامـة الاشارة بيومئذ الى يوم اللقاء الذى يتضمنه قوله اذا لقيتم وحكم الآيـة باق الى يوم القيامة بشرط الضعف الذى بينه الله سبحانه (ت) قال ابن رشد وهذا ما لم يبلغ عدد المسلمين اثني عشر الفـا فان بلـغ حرم الفرار وان زاد المشركون على الضعف للحديث لن تغلب اثنا عشر الفا من قلة فان اكثر اهل العلم خصصوا بهذا الحديث عموم الآيـة وعن ملك مثله انتهى وفهم (ع) الحديث على التعجب ذكره عند قوله ويوم حنين ومـا قاله ابن رشـد هو الصواب والله اعلم ومتحرفا لقتال يراد بـه الذى يرى ان فعله ذلك انكى للعدو ونصبه على الحال وكذلك نصب متحيزا وامـا الاستثنـاء فهـو من المولين الذين تضمنهم من والفئـة هنا الجماعة الحاضرة للحرب هـذا قول الجمهور * وقوله سبحانـه فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هذه الالفاظ ترد على من يزعم ان افعال العباد خلق لهم ومذهب اهل السنة انها خلق للرب سبحانه كسب للعبد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ يومئذ ثلاث قبضات من حصى وتراب فرمى بها فى وجوه القوم فانهزموا عند ءاخر رميـة ويروى انـه قال يوم بـدر شاهت الوجوه وهـذه الفعلة ايضـا كانت يوم حنين بلا خـلاف وليبلي المومنين اي ليصيبهم ببلاء حسن وظاهر وصفـه بالحسن يقتضى انـه اراد الغنيمة والظفر والعزة ان الله سميع لاستغاثتكم عليم بوجوه الحكمة فى جميـع افعاله لا اله الا هـو * وقوله سبحانـه ذلكم اشارة الى ما تقدم من قتل الله لهم ورميه اياهم وموضع ذلكم من الاعراب رفع قال سيبويه التقدير الامر ذلكم وموهن معناه مضعف مبطل * وقوله

سبحانـه ان تستـفتحوا فقـد جاءكم الفتح الآيـة قال اكثر المتـأولين هذه الآية مخاطبة لكفار مكة روي ان قريشا لما عزموا على الخروج الى حماية العير تعلقـوا باستـار الكعبة واستفتحـوا وروي ان ابا جهـل قال صبيحة يوم بـدر اللهم انصراحب الفئتـين اليـك واظهر خـير الدينـين عنـدك اللهم اقطعنا للرحم فاحنه الغـداة ونحو هـذا فقـال الله لهم ان تطلبوا الفتح فقـد جاءكم اي كما ترونـه عليكم لا لكم وفى هـذا توبيخ لهم وان تنتهوا عن كفركم وغيكم فهو خـير لكم وان تعودوا لـلاستفتـاح نعـد بمثل وقعة بدر وباقى الآيـة بين * وقوله سبحانـه يا ايها الذين ءامنوا اطيعوا الله ورسوله الآية قيل انها نزلت بسبب اختلافهم فى النفل ومجادلتهم فى الحـق وكراهيتهم خـروج النبي صلى الله عليـه وسلم وتولوا اصله تتولوا * وقوله وانتم تسمعون يريد دعاءه لكم بالقرءان والمواعظ * وقوله كالذين قالوا يريـد الكفار اما من قريش لقولهم سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا واما الكفار على الاطلاق * وقوله سبحانـه ان شر الدواب عند الله الصم اليكم مقصد الآيـة بيان ان هذه الصنيفة العاتية من الكفار هي شر النـاس عند الله سبحانـه وانها فى اخس المنازل لديه وعبر بالدواب ليتأكد ذمهم وقوله الصم البكم عبارة عما فى قلوبهم وعدم انشراح صـدورهم وادراك عقولهم * وقوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم اي سماع هدى وتفهم ولو اسمعهم اي ولو فهمهم لتولوا بحكم القضـاء السابق فيهم ولاعرضوا عما تبين لهم من الهدى * وقوله سبحانه يا ايهـا الذين ءامنوا استجيبـوا لله وللرسـول الآيـة استجيبـوا بمعنى اجيبوا وقوله لما يحييكم قال مجاهد والجمهور المعنى للطاعة وما يتضمنه القرءان وهـذا احياء مستعار لانه من موت الكفر والجهل والطاعة تؤدى الى الحياة الدائمة فى الآخرة * وقـوله سبحانـه واعلموا ان الله يحول بين المـرء وقلبـه يحتمـل

وجوها منها انـه لما امرهم سبحانه بالاستجابـة فى الطاعة حضهم على المبادرة والاستعجال واعلمهم انـه يحول بين المرء وقلبـه بالموت والقبض اي فبادروا الطاعات ويلتئم مع هذا التاويل قوله وانه اليه تحشرون اي فبادروا الطاعات وتزودوها ليوم الحشر ومنها ان يقصد اعلامهم ان قـدرة الله وعلمـه واحاطتـه حائلة بين المرء وقلبه فكان هذا المعنى يحض على المراقبـة والخوف لله المطلع على الضمائر حكي هـذا التاويـل عن قتادة ويحتمـل ان يريـد تخويفهم ان لم يمتثلوا الطاعات ويستجيبوا لله وللرسول ان يحل بهم ما حل بالكفار الذين ارادهم بقوله ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لانه حتمه عليهم بانهم لو سمعوا لم ينتفعوا يقتضى انه كان قد حال بينهم وبين قلوبهم ومنها ان يكون المعنى ترجية لهم بان الله يبدل الخوف الذى فى قلوبهم مـن كثرة العـدو فيجعله جراءة وقوة وبضد ذلك للكفار اي فان الله تعالى هو مقلب القلوب كما كان قسم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل غير هذا قال مكي وقال الطبري هـذا خبر من الله عز وجل انـه املك بقلوب العباد منهم لها وانـه يحول بينهم وبينها اذا شاء حتى لا يدرك الانسان شيئا من ايمان ولا كفر ولا يعى شيـأ ولا يفهم شيـأ الا باذنه ومشيئته سبحانه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول فى دعائـه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك انتهى من الهداية وروى مالك بن انس والنساءي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ابي بن كعب وهو فى الصلاة فلم يجبه واسرع فى بقية صلاته فلما فرغ جاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الم يقـل الله عز وجل يا ايها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال ابي لاجرم يا رسول الله لا تدعونى ابدا الا اجبتك الحديث بطوله واختلاف الفاظه وفى البخاري ومسلم ان ذلك وقع مع ابى سعيـد بن المعلى وروي انـه وقع نحوه مع حذيفـة بن اليمان فى غزوة الخنـدق * وقوله

عز وجل واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فى الآية تاويلات اسبقها الى النفس ان الله سبحانه حذر جميع المومنين من فتنة ان اصابت لم تخص الظلمة فقط بل تصيب الكل من ظالم وبريء وهذا تاويل الزبير بن العوام والحسن البصري وكذلك تاويل ابن عباس فانه قال امر الله المومنين فى هذه الآية ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم العذاب وخاصة نعت لمصدر محذوف تقديره اصابة خاصة فهي نصب على الحال وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه وغيره لتصيبن باللام على جواب قسم والمعنى على هذا وعيد للظلمة فقط * وقوله سبحانه واذكروا اذ انتم قليل الآية هذه الآية تتضمن تعديد نعم الله على المومنين واذ ظرف لمعمول واذكروا تقديره واذكروا حالكم الكائنة او الثابتة اذ انتم قليل ولا يجوز ان تكون اذ ظرفا للذكر وانما يعمل الذكر فى اذ لو قدرناها مفعولة واختلف فى الحال المشار اليها بهذه الآية فقالت فرقة وهي الاكثر هي حال المومنين بمكة فى وقت بداءة الاسلام والناس الذين يخاف تخطفهم كفار مكة والمأوى المدينة والتاييد بالنصر وقعة بدر وما انجر معها فى وقتها والطيبات الغنائم وسائر ما فتح الله عليهم به وقالت فرقة الحال المشار اليها هي حالهم فى غزوة بدر والناس الذين يخاف تخطفهم على هذا عسكر مكة وسائر القبائل المجاورة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتخوف من بعضهم والمأوى على هذا والتابيد بالنصر هو الامداد بالملائكة والتغليب على العدو والطيبات الغنيمة * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لاتخونوا الله والرسول هذا خطاب لجميع المومنين الى يوم القيامة وهو يجمع انواع الخيانات كلها قليلها وكثيرها والخيانة التنقص للشيء باختفاء وهي مستعملة فى ان يفعل الإنسان خلاف ما ينبغي من حفظ امر ما مالا كان او سرا

او غير ذلك والخيانة لله عز وجل هي فى تنقص او امره فى سر * وقوله وتخونوا اماناتكم قال الطبري يحتمل ان يكون داخلا فى النهي كانه قال لاتخونوا الله والرسول ولاتخونوا اماناتكم ويحتمل ان يكون المعنى لاتخونوا الله والرسول فذلك خيانة لاماناتكم * وقوله فتنة يريد محنة واختبارا وامتحانا ليرى كيف العمل فى جميع ذلك * وقوله وان الله عنده اجر عظيم يريد فوز الآخرة فلا تدعوا حظكم منه للحيطة على اموالكم وابنائكم فان المذخور للآخرة اعظم اجرا * قوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا ان تتقوا الله الآية وعد للمومنين بشرط التقوى والطاعة لله سبحانه ويجعل لكم فرقانا معناه فرقا بين حقكم وباطل من ينازعكم بالنصر والتابيد وعبر قتادة وبعض المفسرين عن الفرقان هاهنا بالنجاة وقال مجاهد والسدي معناه مخرجا ونحو هذا مما يعمه ما ذكرناه وقد يوجد للعرب استعمال الفرقان كما ذكر المفسرون وعلى ذلك شواهد منها قول الشاعر

وكيف ارجى الخلد والموت طالبى * ومالي من كاس المنية فرقان

(ت) قال ابن رشد واحسن ما قيل فى هذا لمعنى قوله تعالى يجعل لكم فرقانا اي فصلا بين الحق والباطل حتى يعرفوا ذلك بقلوبهم ويهتدوا اليه انتهى من البيان * وقوله سبحانه واذ يمكر بك الذين كفروا الآية تذكير بحال مكة وضيقها مع الكفرة وجميل صنع الله تعالى فى جميع ذلك والمكر المخاتلة والتداهى تقول فلان يمكر بفلان اذا كان يستدرجه وهذا المكر الذى ذكر الله تعالى فى هذه الآية هو باجماع المفسرين اشارة الى اجتماع قريش في دار الندوة بمحضر ابليس فى صورة شيخ نجدي على ما نص ابن اسحاق فى سيره الحديث بطوله وهو الذى كان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه ولا خلاف ان ذلك كان بعد موت ابي طالب ففي القصة ان ابا جهل قال الرأي ان ناخذ من

كل بطن فى قريش فتى قويا جلدا فيجتمعون ثم ياخـذ كل واحـد منهم سيفـا ويأتون محمدا فى مضجعه فيضربونه ضربـة رجل واحد فلا تقدر بنو هاشم على قتال قريش باسرها فياخذون العقل ونستريح منـه فقـال النجـدي صدق الفتى هذا الرأي لا رأي غيره فافترقوا على ذلك فاخبر الله تعالى بذلك نبيـه صلى الله عليه وسلم واذن له فى الخروج الى المدينـة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من ليلته وقال لعلي بن ابى طالب التف فى بردى الحضرمي واضطجع فى مضجعى فانـه لا يضرك شيء ففعل فجـاء فتيـان قريش فجعلوا يرصـدون الشخص وينتظرون قيامه فيثورون به فلما قام رأوا عليا فقالوا له اين صاحبك فقال لا ادرى وفى السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم فى طريقه فطمس الله اعينهم عنـه وجعـل على رأس كل واحـد منهم ترابا ومضى لوجهه فجاءهم رجل فقال ما تنتظرون قالوا محمدا قال انى رأيتـه الآن جائيا من ناحيتكم وهو لا محالة وضـع التراب على رءوسكم فمـد كل واحد يـده الى رأسه فاذا عليه التراب وجاءوا الى مضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوا عليـا فركبوا وراءه حينئذ كل صعب وذلول وهـو بالغـار ومعنى ليثبتـوك ليسجنوك قاله عطاء وغيره وقال ابن عباس وغيره ليوثقوك * وقوله سبحانـه واذا تتلى عليهم آياتنـا يعنى القرءان قالوا قد سمعنا لو نشـاء لقلنـا مثـل هذا وقولهم ان هذا الا اساطير الاولين اي قصصهم المكتوبة المسطورة واساطير جمع اسطورة ويحتمـل جمع اسطـار وتواترت الروايات عـن ابن جريـج وغيره ان قائـل هذه المقالة هو النضر بن الحارث وذلك انـه كان كثير السفر الى فارس والحيرة فكان قد سمع من قصص الرهبان واخبار رستم واسفنديار فلما سمع القرءان ورأى فيه اخبـار الانبياء والامم قال لو شئت لقلت مثـل هـذا وكان النضر من مردة قريش النائلين من النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت فيـه

ءايات كثيرة من كتاب الله عز وجل وامكن الله منه يوم بدر وقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرا بالصفراء منصرفه من بدر فى موضع يقال له الاثيل وكان ءاسره المقداد فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه قال المقداد اسيرى يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى كتاب الله ما قد علمتم ثم اعاد الامر بقتله فاعاد المقداد مقالته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغن المقداد من فضلك فقال المقداد هذا الذى اردت فضربت عنق النضر * وقوله عز وجل واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية روي عن مجاهد وغيره ان قائل هذه المقالة هو النضر بن الحارث المذكور وفيه نزلت هذه الآية قال (ع) وترتب ان يقول النضر مقالة وينسبها القرءان الى جميعهم لان النضر كان فيهم موسوما بالنبل والفهم مسكونا الى قوله فكان اذا قال قولا قاله منهم كثير واتبعه عليه حسب ما يفعله الناس ابدا بعلمائهم وفقهائهم (ت) وخرج البخاري بسنده عن انس بن مالك قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الى عن المسجد الحرام اه والمشار اليه بهذا هو القرءان وشرع محمد صلى الله عليه وسلم والذى حملهم على هذه المقالة هو الحسد فعميت بصائرهم عن الهدى وصمموا على ان هذا ليس بحق نعوذ بالله من جهد البلاء وسوء القضاء وحكى ابن فورك ان هذه المقالة خرجت منهم مخرج العناد وهذا بعيد فى التاويل ولا يقول هذا على جهة العناد عاقل وقراءة الناس انما هي بنصب الحق على انه خبر كان ويكون هو فصلا فهو حينئذ اسم وامطر انما تستعمل غالبا فى المكروه ومطر فى الرحمة قاله ابو عبيدة * وقوله سبحانه وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الآية قالت فرقة نزلت هذه الآية كلها بمكة وقالت

فرقة نزلت كلها بعد وقعة بدر حكاية عما مضى وقال ابن أَبزى نزل قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم بمكة اثر قولهم او ائتنا بعذاب اليم ونزل قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة فى طريقه الى المدينة وقد بقي بمكة مومنون يستغفرون ونزل قوله وما لهم الا يعذبهم الله الى ءاخر الآية بعد بدر عند ظهور العذاب عليهم (ت) وهذا التاويل بين وعليه اعتمد عياض فى الشفا قال وفى الآية تاويل ءاخر ثم ذكر حديث الترمذي عن ابى موسى الاشعري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انزل الله تعالى علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار انتهى قال (ع) واجمع المتأولون على ان معنى قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ان الله عز وجل لم يعذب قط امة ونبيها بين اظهرها اي فما كان الله ليعذب هذه الامة وانت فيهم بل كرامتك لديه اعظم * وقوله عز وجل ومالهم الا يعذبهم الله توعد بعذاب الدنيا والضمير فى قوله او لياءه عائد على الله سبحانه او على المسجد الحرام كل ذلك جيد وروي الاخير عن الحسن وقال الطبري عن الحسن بن ابى الحسن ان قوله سبحانه وما لهم الا يعذبهم الله ناسخ لقوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال (ع) وفيه نظر لانه خبر لا يدخله نسخ * وقوله سبحانه وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية المكاء الصفير قاله ابن عباس والجمهور والتصدية عبر عنها اكثر الناس بانها التصفيق وذهب اكثر المفسرين الى ان المكاء والتصدية انما احدثهما الكفار عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لتقطع عليه وعلى المومنين قراءتهم وصلاتهم وتخلط عليهم فلما نفى الله تعالى ولايتهم للبيت امكن ان يعترض منهم معترض بان يقول وكيف لا نكون او لياءه ونحن نسكنه ونصلى عنده فقطع سبحانه

هذا الاعتراض بان قال وما كان صلاتهم عند البيت الا المكاء والتصدية قال (ع) والذى مربى من امر العرب فى غير ما ديوان ان المكاء والتصدية كان من فعل العرب قديما قبل الاسلام على جهة التقرب به والتشرع وعلى هذا يستقيم تغييرهم وتنقصهم بان شرعهم وصلاتهم لم تكن رهبة ولا رغبة وانما كانت مكاء وتصدية من نوع اللعب ولكنهم كانوا يتزيدون فيهما وقت النبي صلى الله عليه وسلم ليشغلوه هو وامته عن القراءة والصلاة * وقوله سبحانه فذوقوا العذاب الآية اشارة الى عذابهم ببدر بالسيف قاله الحسن وغيره فيلزم ان هذه الآية الآخرة نزلت بعد بدر ولا بد قال (ع) والاشبه ان الكل نزل بعد بدر حكاية عما مضى * وقوله سبحانه ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية لما قتل من قتل ببدر اجتمع ابناؤهم وقراباتهم فقالوا لمن خلص ماله فى العير ان محمدا قد نال منا ما ترون ولكن اعينونا بهذا المال الذى كان سبب الوقعة فلعلنا ان ننال منه ثارا يريدون نفقته فى غزوة احد * وقوله سبحانه فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون الحسرة التلهف على فائت وهذا من اخبار القرءان بالغيوب قبل ان تكون فكان كما اخبر ثم اخبر سبحانه عن الكافرين وانهم يجمعون الى جهنم والحشر الجمع * وقوله سبحانه ليميز الله الخبيث من الطيب وقرأ حمزة والكسائي ليميز الله بضم الياء وفتح الميم وشد الياء قال ابن عباس وغيره المعنى بالخبيث الكفار وبالطيب المومنون وقال ابن سلام والزجاج الخبيث ما انفقه المشركون فى الصد عن سبيل الله والطيب هو ما انفقه المومنون فى سبيل الله قال (ع) روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه يخرج يوم القيامة من الاموال ما كان صدقة او قربة ثم يامر بسائر ذلك فيلقى فى النار وعلى التاويلين فقوله سبحانه ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا

انما هي عبارة عن جمع ذلك وضمه وتاليف اشتاته وتكاثفه بالاجتماع ويركمه فى كلام العرب يكثفه ومنه سحاب مركوم وعبارة البخاري فيركمه فيجمعه انتهى * وقوله سبحانه ان ينتهوا يعنى عن الكفر يغفرلهم ما قد سلف لان الاسلام يجب ما قبله وان يعودوا يريد به الى القتال ولا يصح ان يتأول وان يعودوا الى الكفرلانهم لم ينفصلوا عنه * وقوله فقد مضت سنة الاولين عبارة تجمع الوعيد والتهديد والتمثيل بمن هلك من الامم فى سالف الدهر بعذاب الله حين صد فى وجه نبيه بمن هلك فى يوم بدر بسيف الاسلام * وقوله سبحانه وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة قال ابن عباس وابن عمر وغيرهما الفتنة الشرك قال (ع) وهذا هو الظاهر ويفسر هذه الآية قوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث وقال ابن اسحاق معناها حتى لا يفتن احد عن دينه كما كانت قريش تفعل بمكة بمن اسلم * وقوله ويكون الدين كله لله اي لا يشرك معه صنم ولاوثن ولا يعبد غيره سبحانه ثم قال تعالى فان انتهوا عن الكفر فان الله بصير بعملهم مجاز عليه عنده ثوابه وجميل المقارضة عليه * وقوله سبحانه وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير معادل لقوله فان انتهوا المعنى وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله تعالى ينصركم عليهم وهذا وعد محض بالنصر والظفر والمولى هاهنا الموالى والمعين والمولى فى اللغة على معان هذا هو الذى يليق بهذا الموضع منها والمولى الذى هو السيد المقترن بالعبد يعم المومنين والمشركين * وقوله عز وجل واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الآية الغنيمة فى اللغة ما يناله الرجل بسعي ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الصيام فى الشتاء هي الغنيمة الباردة وقوله من شيء ظاهره العموم ومعناه الخصوص فاما الناض والمتاع والاطفال والنساء وما لايوكل لحمه من الحيوان ويصح تملكه فالامام ياخذ

خمسه ويقسم الباقي فى الجيش واما الارض فقال فيها مالك يقسمها الامام ان رأى ذلك صوابا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر اولا يقسمها بل يتركها لنوائب المسلمين ان اداه اجتهاده الى ذلك كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بارض مصر وبسواد الكوفة واما الرجال ومن شارف البلوغ من الصبيان فالامام عند مالك وجمهور العلماء مخير فيهم على خمسة اوجه منها القتل وهومستحسن فى اهل الشجاعة والنكاية ومنها الفداء وهومستحسن فى ذى المنصب الذى ليس بشجاع ولايخاف منه رأي ومكيدة لانتفاع المسلمين بالمال الذى يوخذ منه ومنها المن وهو مستحسن فيمن يرجى ان يحنو على اسرى المسلمين ونحو ذلك من القرائن ومنها الاسترقاق ومنها ضرب الجزية والترك فى الذمة واما الطعام والغنم ونحوها مما يوكل فهو مباح فى بلد العدو اكله وما فضل منه كان فى المغنم ومحل استيعاب فروع هذا الفصل كتب الفقه * وقوله سبحانه وما انزلنا على عبدنا اي من النصر والظهور الذى انزله الله سبحانه يوم بدر ويحتمل ان تكون الاشارة الى قرءان نزل يوم بدر اوفى قصة يوم بدر ويوم الفرقان معناه يوم الفرق بين الحق والباطل باعزاز الاسلام واذلال الشرك والجمعان يريد جمع المسلمين وجمع الكفار وهو يوم بدر ولا خلاف فى ذلك * وقوله سبحانه والله على كل شيء قدير يعضد ان قوله وما انزلنا على عبدنا يراد به النصر والظفر اي الآيات والعظائم من غلبة القليل للكثير وذلك بقدرة الله عز وجل الذى هو على كل شيء قدير * وقوله سبحانه اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم العدوة شفير الوادى وحرفه الذى يتعذر المشي فيه بمنزلة رجا البير لانها عدت ما فى الوادى من ماء ونحوه ان يتجاوز الوادى اي منعته ومنه قول الشاعر

عدتني عن زيارتك العوادى * وحالت دونها حرب زبون

وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالعدوة بكسر العين وقوله الدنيا والقصوى انما هو بالاضافة الى المدينة وبين المدينة ووادى بدر موضع الوقعة مرحلتان والدنيا من الدنو والقصوى من القصو وهو البعد والركب باجماع من المفسرين عير ابي سفيان وقوله اسفل فى موضع خفض تقديره فى مكان اسفل كذا قال سيبويه وكان الركب ومدبر امره ابوسفيان بن حرب قد نكب عن بدر حين نذر بالنبي صلى الله عليه وسلم واخذ سيف البحر فهو اسفل بالاضافة الى اعلى الوادى * وقوله سبحانه ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد المقصد من الآية تبيين نعمة الله سبحانه فى شان قصة بدر وتيسيره سبحانه ما يسر من ذلك والمعنى لو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد بسبب العوارض التى تعرض للناس الامع تيسير الله الذى تمم ذلك وهذا كما تقول لصاحبك فى امر سناه الله تعالى دون تعب كثير لو بنينا على هذا وسعينا فيه لم يتم هكذا ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا اي لينفذ ويظهر امرا قد قدره فى الازل مفعولا لكم بشرط وجودكم فى وقت وجودكم وهذا كله معلوم عنده عز وجل لم يتجدد له به علم وقوله عز وجل ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة قال الطبري المعنى ليقتل من قتل من كفار قريش وغيرهم ببيان من الله واعذار بالرسالة ويحي ايضا ويعيش من عاش عن بيان منه ايضا واعذار لاحجة لاحد عليه سبحانه (ت) قال ابو عمر بن عبد البر فى كتاب فضل العلم فى قوله عز وجل ليهلك من هلك عن بينة الآية البينة ما بان به الحق انتهى وقال ابن اسحاق وغيره معنى ليهلك اي ليكفر ويحي اي ليومن فالحياة والهلاك على هذا التاويل مستعارتان * وقوله سبحانه اذ يريكهم الله فى منامك قليلا الآية وتظاهرت الروايات ان هذه الآية نزلت فى رؤيا رءاها رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فيها عدد الكفار

قليـلا فاخبر بذلك اصحابـه فقويت نفوسهم وحرصوا على اللقاء قاله مجاهـد وغيره والظاهر انـه رءاهم صلى الله عليه وسلم فى نومه قليـلا قدرهم وبأسهم ويحتمل انـه رءاهم قليـلا عددهم فكان تاويـل رؤياه انهزامهم والفشل الخور عن الامر ولتنازعتم اي لتخالفتم فى الامر يريد فى اللقـاء والحرب وسلم لفظ يعم كل متخوف * وقوله سبحانـه واذ يريكموهم اذ التقيتم الآية وهذه الرؤية هي فى اليقظـة باجماع وهي الرؤيـة التى كانت حين التقوا ووقعت العين على العين والمعنى ان الله تعالى لمـا اراده من انفاذ قضائه فى نصرة الاسلام واظهار دينـه قلل كل طائفـة فى عيون الاخرى فوقع الخلل في التخمين والحزر الذى يستعمله الناس فى هذا لتجسر كل طائفة على الاخرى وتتسبب اسباب الحرب والامر المفعول المذكور فى الآيتين هو القصة باجمعها * وقوله والى الله ترجع الامور تنبيه على ان الحول باجمعه لله وان كل امر فله واليه * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا اذا لقيتم فئـة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنـازعـوا الآيـة هذا امر من الله سبحانـه بما فيـه داعية النصر وسبب العز وهي وصية منـه سبحانـه بحسب التقييد الذى فى ءايـة الضعف والفئـة الجماعـة اصلها فئوة وهي من فأوت اي جمعت ثم امر سبحانـه باكثار ذكره هنالك اذ هو عصمة المستنجد ووزر المستعين قال قتادة افترض الله ذكره عند اشغل ما يكون عند الضراب والسيوف قال (ع) وهذا ذكر خفي لان رفع الصوت فى موطن القتال رديء مكروه اذا كان الغاطا فاما ان كان من الجميع عند الحملة فحسن فات فى عضد العدو قال قيس بن عبـاد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكرهون الصوت عند ثلاث عند قرءاة القرءان وعند الجنازة وعند القتال وقال النبي صلى الله عليه وسلم اطلبوا اجابـة الدعاء عند القتال واقامـة الصلاة ونزول الغيث وقال ابن

عباس يكره التلثم عند القتال قال النووي وسئل الشيخ ابو عمرو بن الصلاح عن القدر الذى يصير بـه المرء من الـذاكرين الله كثيرا فقال اذا واظب على الاذكار المـاثورة المثبتة صباحا ومسـاء وفى الاوقات والاحوال المختلفة ليلا ونهارا وهي مبينـة فى كتب عمل اليوم والليلة كان من الذاكرين الله كثيرا والله سبحانه اعلم انتهى من الحليـة (ت) واحسن من هذا جوابـه صلى الله عليه وسلم حيث قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رواه مسلم والترمـذي وعنده قالوا يا رسول الله ومـا المفردون قال المستهترون فى ذكر الله يضع عنهم الذكر اثقـالهم فيـاتون يوم القيامة خفافا قال صاحب سلاح المومن المستهترون فى ذكر الله هو بفتح التاءين المثناتين يعنى الذين او لعوا بـه يقال استهتر فلان بكذا اي اولع بـه والله اعلم انتهى فقد بين صلى الله عليه وسلم هنا صفـة الذاكرين الله كثيرا وقد نقلنا فى غير هذا المحل بيان صفة الذاكرين الله كثيرا بنحو هذا من طريق ابن المبارك واذا كان العبد مستهترا بذكر مولاه انس به واحبـه واحب لقـاءه فلم يبـال بلقاء العدو وان هي الا احدى الحسنيين اما النصر وهو الاغلب لمن هذه صفته او الشهادة وذلك مناه ومطلبه انتهى وتفلحون تنالون بغيتكم وتنالون ءامالكم والجمهور على ان الريح هنا مستعارة قال مجاهد الريح النصر والقوة وذهب ريح اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد وقوله سبحانه واصبروا الى ءاخر الآية تتميم فى الوصية وعدة مونسة وقوله سبحانه ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الآيـة الاشـارة الى كفار قريش والبطر الاشر وغمط النعمة وروي ان ابا سفيان لمـا احرز عيره بعث الى قريش وقال ان الله قـد سلم عيركم فارجعوا فانّى رأي الجماعـة على ذلك وخالف ابو جهـل وقال والله لا نفعل حتى ناتي بدرا وكانت بدر سوقا من اسواق العرب

لها يوم موسم فننحر عليها الابل ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب ويهابنا الناس فهذا معنى قوله تعالى ورئاء الناس وقوله سبحانه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس الضمير فى لهم عائد على الكفار والشيطان ابليس نفسه والذى عليه الجمهور وتظاهرت به الروايات ان ابليس جاء كفار قريش ففى السير لابن هشام انه جاءهم بمكة وفى غيرها انه جاءهم وهم فى طريقهم الى بدر وقد لحقهم خوف من بنى بكر وكنانة لحروب كانت بينهم فجاءهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو سيد من ساداتهم فقال لهم انى جار لكم ولن تخافوا من قومى وهم لكم اعوان على مقصدكم ولن يغلبكم احد فروي انه لما التقى الجمعان كانت يده فى يد الحارث بن هشام فلما رأى الملائكة نكص فقال له الحارث اتفر ياسراقة فلم يلو عليه ويروى انه قال له ما تضمنته الآية وروي ان عمير بن وهب اوالحارث بن هشام قال له اين يا سراق فلم يلو مثل عدو الله فذهب ووقعت الهزيمة فتحدثوا ان سراقة فر بالناس فبلغ ذلك سراقة بن مالك فاتى مكة فقال لهم والله ما علمت بشيء من امركم حتى بلغتنى هزيمتكم ولا رأيتكم ولا كنت معكم (ت) قال ابن اسحاق ذكر لى انهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة لا ينكرونه حتى اذا كان يوم بدر والتقى الجمعان نكص عدو الله على عقبيه فاوردهم ثم اسلمهم انتهى من السيرة لابن هشام * وقوله انى جار لكم اي انتم فى ذمتى وحماى وتراءت تفاعلت من الرؤية اي رأى هؤلاء هؤلاء * وقوله نكص على عقبيه اي رجع من حيث جاء واصل النكوص فى اللغة الرجوع القهقرى * وقوله انى ارى ما لا ترون يريد الملائكة وهو الخبيث انما شرط الاغالب لهم من الناس فلما رأى الملائكة وخرق العادة خاف وفر * وقوله انى اخاف الله قال

الزجاج وغيره خاف مما رأى من الامر وهوله انه يومه الذى انظر اليه ويقوى هذا انه رأى خرق العادة ونزول الملائكة للحرب * وقوله سبحانه اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الآية قال المفسرون ان هؤلاء الموصوفين بالنفاق انما هم من اهل عسكر الكفار ممن كان الاسلام داخل قلوبهم خرجوا مع المشركين الى بدر منهم مكره وغير مكره فلما اشرفوا على المسلمين ورأوا قلتهم ارتابوا وقالوا مشيرين الى المسلمين غر هؤلاء دينهم قال (ع) ولم يذكر احد ممن شهد بدرا بنفاق الا ما ظهر بعد ذلك من معتب ابن قشير فانه القائل يوم احد لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وقد يحتمل ان يكون منافقو المدينة لما وصلهم خروج قريش فى قوة عظيمة قالوا هذه المقالة ثم اخبر الله سبحانه بان من توكل عليه وفوض امره اليه فان عزته سبحانه وحكمته كفيلة بنصره وقوله سبحانه ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوهم واد بارهم الآية هذه الآية تتضمن التعجيب مما حل بالكفار يوم بدر قاله مجاهد وغيره وفى ذلك وعيد لمن بقي منهم وقوله وادبارهم قال جل المفسرين يريد استاههم ولكن الله كريم كنى وقال ابن عباس والحسن اراد ظهورهم وما ادبر منهم وباقى الآية بين * وقوله سبحانه كدأب ءال فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم الآية الدأب العادة فى كلام العرب وهو ماخوذ من دأب على العمل اذا لازمه * وقوله سبحانه ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم الآية معنى هذه الآية اخبار من الله سبحانه اذا انعم على قوم نعمة فانه باطفه ورحمته لا يبدأ بتغييرها وتنكيدها حتى يجيء ذلك منهم بان يغيروا حالهم التى تراد او تحسن منهم فاذا فعلوا ذلك غير الله نعمته عندهم بنقمته منهم ومثال هذه نعمة الله على قريش بنبينا محمد

صلى الله عليه وسلم فكفروا به فغير الله تلك النعمة بان نقلها الى غيرهم من الانصار واحل بهم عقوبته * وقوله تعالى كدأب ءال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم هذا التكرير هو لمعنى ليس للاول اذ الاول دأب فى ان هلكوا لما كفروا وهذا الثانى دأب فى ان لم يغير نعمتهم حتي غيروا ما بانفسهم والاشارة بقوله والذين من قبلهم الى قوم شعيب وصالح وهود ونوح وغيرهم * وقوله سبحانه ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يومنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون اجمع المتأولون ان الآية نزلت فى بنى قريظة وهي بعد تعم كل من اتصف بهذه الصفة الى يوم القيامة وقوله فى كل مرة يقتضى ان الغدر قد تكرر منهم وحديث قريظة هو انهم عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا يحاربوه ولا يعينوا عليه عدوا من غيرهم فلما اجتمعت الاحزاب على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة غلب على ظن بنى قريظة ان النبي صلى الله عليه وسلم مغلوب ومستاصل وخدع حي بن اخطب النضري كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم فغدروا ووالوا قريشا وامدوهم بالسلاح والادراع فلما انجلت تلك الحال عن النبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى بالخروج اليهم وحربهم فاستنزلوا وضربت اعناقهم بحكم سعد واستيعاب قصتهم فى السير وانما اقتضبت منها ما يخص تفسير الآية * وقوله سبحانه فاما تثقفنهم في الحرب الآية معنى تثقفنهم تاسرهم وتحصلهم فى ثقافك او تلقاهم بحال تقدر عليهم فيها وتغلبهم ومعنى فشرد اي طرد وابعد وخوف والشريد المبعد عن وطن ونحوه ومعنى الآية فان اسرت هؤلاء الناقضين فى حربك لهم فافعل بهم من النقمة ما يكون تشريدا لمن ياتى خلفهم فى مثل طريقتهم وعبارة البخاري فشرد فرق انتهى والضمير فى لعلهم عائد على الفرقة

المشردة وقال ابن عباس المعنى نكل بهم من خلفهم وقالت فرقة معناه سمع بهم والمعنى متقارب ومعنى خلفهم اي بعدهم ويذكرون اي يتعظون * وقوله سبحانه واما تخافن من قوم خيانة الآية قال اكثر المفسرين ان الآية فى بنى قريظة والذى يظهر من الفاظ الآية ان امر بنى قريظة قد انقضى عند قوله فشرد بهم من خلفهم ثم ابتدأ تبارك وتعالى فى هذه الآية بما يصنعه فى المستقبل مع من يخاف منه خيانة الى ءاخر الدهر وبنو قريظة لم يكونوا فى حد من تخاف خيانته وقوله فانبذ اليهم اي الق اليهم عهدهم وقوله على سواء قيل معناه حتى يكون الامر فى بيانه والعلم به على سواء منك ومنهم فتكونون فى استشعار الحرب سواء وذكر الفراء ان المعنى فانبذ اليهم على اعتدال وسواء من الامر اي بين لهم على قدر ما ظهر منهم لاتفرط ولا تفجأ بحرب بل افعل بهم مثل ما فعلوا بك يعنى موازنة ومقايسة وقرأ نافع وغيره ولاتحسبن بالتاء مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وسبقوا معناه فاتوا بانفسهم وانجوها انهم لايعجزون اي لا يفلتون ولايعجزون طالبهم وروي ان الآية نزلت فيمن افلت من الكفار فى بدر وغيره فالمعنى لاتظنهم ناجين بل هم مدركون وقرأ حمزة وغيره ولايحسبن بالياء من تحت وبفتح السين وقوله سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الآية المخاطبة فى هذه الآية لجميع المومنين وفى صحيح مسلم الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي ولما كانت الخيل هي اصل الحرب واوزارها والتى عقد الخير فى نواصيها خصها الله تعالى بالذكر تشريفا لها ولما كانت السهام من انجع ما يتعاطى فى الحرب وانكاه فى العدو واقربه تناولا للارواح خصها صلى الله عليه وسلم بالذكر والتنبيه عليها (ت) وفى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعلم الرمي وتركه فليس منا او قد عصى وفى سنن ابى داود والترمذي والنساءي

عن عقبـة بن عـامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول ان الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثـة انفس الجنـة صانعه يحتسب فى صنعتـه الخير والرامي به ومنبله فارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبـوا كل شيء يلهوبه الرجل باطل الارميه بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته امرأته انتهى ورباط الخيل مصدر من ربط ولا يكثر ربطهـا الا وهي كثيرة ويجـوز ان يكون مصدرا من رابط واذا ربط كل واحد من المومنين فرسا لاجل صاحبه فقد حصل بينهم رباط وذلك الذى حض عليه فى الآية وقد قال عليه السلام من ارتبط فرسا فى سبيل الله فهوكالباسط يده بالصدقة لا يقبضها والاحاديث فى هذا المعنى كثيرة (ت) وقد ذكرنا بعض ما ورد فى فضل الرباط فى ءاخر ءال عمران قال صاحب التذكرة وعن عثمان بن عفان قال سممت رسول صلى الله عليه وسلم يقول من رابط ليلة فى سبيل الله كانت له كالف ليلة صيامها وقيامها وعن ابي بن كعب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لرباط يوم فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غيرشهر رمضان اعظم اجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين من شهر رمضان افضل عند الله واعظم اجـرا اراه قال مـن عبـادة الفي سنـة صيامهـا وقيامهـا فان رده الله الى اهله سالما لم تكتب عليـه سيئة الف سنـة ويكتب له من الحسنات ويجرى له اجر الرباط الى يوم القيامة قال القرطبي فى تـذكرته فدل هذا الحديث على ان رباط يوم فى رمضان يحصل له هـذا الثواب الدائم وان لم يمت مرابطا خرج هـذا الحديث والذى قبله ابن ماجه انتهى من التذكـرة وترهبون معناه تخوفون وتفزعون والرهبة الخوف ✲ وقـوله وءاخرين من دونهم فيـه اقوال قيل هم المنافقون وقيل فارس وقيل غير هذا قال (ع) ويحسن ان يقدر قوله لا تعلمونهم بمعني لا تعلمـونهم فازعين راهبـين وقال (ص) لا تعلمـونهم بمعنى لا تعرفـونهم

فيتعدى لو احد ومن عداه الى اثنين قدره محاربين واستبعد لعدم تقدم ذكره فهو ممنوع عند بعضهم وعزيز جدا عند بعضم انتهى * وقوله سبحانه وان جنحوا للسلم فاجنح لها جنح الرجل الى الامر اذا مال اليه وعاد الضمير فى لها موٴنثا اذ السلم بمعنى المسالمة والهدنة وذهب جماعة من المفسرين الى ان هذه الآية منسوخة والضمير فى جنحوا هو للذين نبذ اليهم على سواء * وقوله سبحانه وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله الآية الضمير فى قوله وان يريدوا عائد على الكفار الذين قال فيهم وان جنحوا اي وان يريدوا ان يخدعوك بان يظهروا السلم ويبطنوا الغدر والخيانة فان حسبك الله اي كافيك ومعطيك نصره وايدك معناهقواك وبالمومنين يريد الانصار بذلك تظاهرت اقوال المفسرين * وقوله والف بين قلوبهم الآية اشارة الى العداوة التي كانت بين الاوس والخزرج قال (ع) ولو ذهب ذاهب الى عموم المومنين فى المهاجرين والانصار وجعل التاليف ما كان بين جميعهم من التحاب لساغ ذلك وقال ابن مسعود نزلت هذه الآية فى المتحابين فى الله وقال مجاهد اذا تراأى المتحابان فى الله وتصافحا تحاتت خطاياهما فقال له عبدة بن ابى لبابة ان هذا ليسير فقال له لا تقل ذلك فان الله تعالى يقول لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم قال عبدة فعرفت انه افقه منى قال (ع) وهذا كله تمثيل حسن بالآية لاان الآية نزلت فى ذلك وقد روى سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المومن مالفة لاخير فيمن لايالف ولايولف قال (ع) والتشابه سبب الالفة فمن كان من اهل الخير الف اشباهه والفوه (ت) وفى صحيح البخاري الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف انتهى وروى مالك فى الموطإ عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة اين

المتحابون لجلالى اليوم اظلهم فى ظلى يوم لاظل الاظلى قال ابو عمر بن عبد البر فى التمهيد وروينا عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ياعبد الله بن مسعود اتدرى اي عرى الايمان اوثق قلت الله ورسوله اعلم قال الولاية فى الله الحب والبغض فيه ورواه البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم ايضا وعن عبد الله فى قوله تعالى لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم قال نزلت في المتحابين فى الله قال ابو عمر واما قوله اليوم اظلهم فى ظلى فانه اراد والله اعلم فى ظل عرشه وقد يكون الظل كناية عن الرحمة كما قال ان المتقين فى ظلال وعيون يعنى بذلك ما هم فيه من الرحمة والنعيم انتهى وقوله سبحانه يا ايها النبيء حسبك الله ومن اتبعك من المومنين قال النقاش نزلت هذه الآية بالبيداء فى غزوة بدر وحكي عن ابن عباس انها نزلت فى الاوس والخزرج وقيل انها نزلت حين اسلم عمر وكمل المسلمون اربعين قاله ابن عمر وانس فهي على هذا مكية وحسبك فى كلام العرب وشرعك بمعنى كافيك ويكفيك والمحسب الكافى قالت فرقة معنى الآية يكفيك الله ويكفيك من اتبعك فمن فى موضع رفع وقال الشعبي وابن زيد معنى الآية حسبك الله وحسب من اتبعك من المومنين فمن فى موضع نصب عطفا على موضع الكاف لان موضعها نصب على المعنى بيكفيك التى سدت حسبك مسدها قال (ص) ورد بان الكاف ليس موضعها نصب لان اضافة حسب اليها اضافة صحيحة انتهى وقوله سبحانه يا ايها النبيء حرض المومنين على القتال الآية حرض المومنين اي حثهم وحضهم وقوله سبحانه ان يكن منكم الى ءاخر الآية لفظ خبر مضمنه وعد بشرط لان قوله ان يكن منكم عشرون صابرون بمنزلة ان يقال ان يصبر منكم عشرون يغلبوا وفى ضمنه الامر بالصبر قال الفخر وحسن هذا التكليف لما كان مسبوقا

بقوله حسبك الله ومن اتبعك من المومنين فلما وعد الله المومنين بالكفاية والنصركان هذا التكليف سهلا لان من تكفل الله بنصره فان اهل العالم لا يقدرون على اذايته انتهى وتظاهرت الروايات عن ابن عباس وغيره من الصحابة بان ثبوت الواحد للعشرة كان فرضا على المومنين ثم لما شق ذلك عليهم حط الله الفرض الى ثبوت الواحد للاثنين وهذا هونسخ الاثقل بالاخف وقوله لا يفقهون معناه لا يفهمون مراشدهم ولا مقصد قتالهم لا يريدون به الا الغلبة الدنيوية فهم يخافون الموت اذا صبرلهم ومن يقاتل ليغلب او يستشهد فيصير الى الجنة اثبت قدما لامحالة وقوله والله مع الصابرين لفظ خبر فى ضمنه وعد وحض على الصبر ويلحظ منه وعيد لمن لم يصبر بانه يغلب وقوله سبحانه ما كان لنبيء ان يكون له اسرى الآية قال (ع) هذه ءاية تتضمن عندى معاتبة من الله عز وجل لاصحاب نبيه عليه السلام والمعنى ما كان ينبغى لكم ان تفعلوا هذا الفعل الذى اوجب ان يكون للنبي اسرى قبل الاثخان ولذلك استمر الخطاب لهم بتريدون والنبي صلى الله عليه وسلم لم يامر باستبقاء الرجال وقت الحرب ولا اراد صلى الله عليه وسلم قط عرض الدنيا وانما فعله جمهور مباشرى الحرب وجاء ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فى الآية مشيرا الى دخوله عليه السلام فى العتب حين لم ينه عن ذلك حين رءاه من العريش وانكره سعد بن معاذ ولكنه صلى الله عليه وسلم شغله بغت الامر وظهور النصر عن النهي ومر كثير من المفسرين على ان هذا التوبيخ انما كان بسبب اشارة من اشار على النبي صلى الله عليه وسلم باخذ الفدية حين استشارهم فى شان الاسرى والتاويل الاول احسن والاثخان هو المبالغة فى القتل والجراحة ثم امر بمخاطبة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال تريدون عرض الدنيا ي مالها الذى يعز ويعرض والمراد ما اخذ من الاسرى من الاموال والله يريد

الآخرة اي عمل الآخرة وذكر الطبري وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس ان شئتم اخذتم فداء الاسرى ويقتل منكم فى الحرب سبعون على عددهم وان شئتم قتلوا وسلمتم فقالوا ناخذ المال ويستشهد منا وذكر عبد ابن حميد بسنده ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بتخيير الناس هكذا وعلى هذا فالامر فى هذا التخيير من عند الله فانه اعلام بغيب واذا خيروا رضي الله عنهم فكيف يقع التوبيخ بعد بقوله تعالى لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فهذا يدلك على صحة ما قدمناه ان العتب لهم انما هو على استبقاء الرجال وقت الهزيمة رغبة فى اخذ المال وهو الذى اقول به وذكر المفسرون ايضا فى هذه الآيات تحليل المغانم ولا اقول ذلك لان تحليل المغانم قد تقدم قبل بدر فى السرية التى قتل فيها ابن الحضرمي وانما المبتدع فى بدر استبقاء الرجال لاجل المال والذى من الله به فيها الحاق فدية الكافر بالمغانم التى تقدم تحليلها وقوله سبحانه لولا كتاب من الله سبق الآية قال ابن عباس وابو هريرة والحسن وغيرهم الكتاب هو ما كان الله قضاه فى الازل من احلال الغنائم والفداء لهذه الامة وقال مجاهد وغيره الكتاب السابق مغفرة الله لاهل بدر وقيل الكتاب السابق هو ان لا يعذب الله احدا بذنب الا بعد النهي عنه حكاه الطبري قال ابن العربي فى احكام القرءان وهذه الاقوال كلها صحيحة ممكنة لكن اقواها ما سبق من احلال الغنيمة وقد كانوا غنموا اول غنيمة فى الاسلام حين ارسل النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش انتهى وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو نزل فى هذا الامر عذاب لنجا منه عمر بن الخطاب وفى حديث ءاخر وسعد بن معاذ وذلك ان رأيهما كان ان تقتل الاسرى وقوله سبحانه فكلوا مما غنمتم الآية نص على اباحة المال الذى اخذ من الاسرى والحاق له بالغنيمة التى كان تقدم

تحليلها وقوله سبحانه يا ايها النبيء قل لمن فى ايديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم روي ان الاسرى ببدر اعلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهم ميلا الى الاسلام وانهم ان رجعوا الى قومهم سعوا فى جلبهم الى الاسلام قال ابن عباس الاسرى فى هـذه الآية عباس واصحابـه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ءامنا بما جئت بـه ونشهد انك لرسول الله ولننصحن لك على قومنـا فنزلت هـذه الآيـة ومعنى الكلام ان كان هذا عن جد منكم وعلم الله من انفسكم الخير والاسلام فانه سيجبر عليكم افضل مما اعطيتم فديـة ويغفر لكم جميع ما اجترمتموه وروي ان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال في وفى اصحابى نزلت هـذه الآيـة وقال حين اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مال البحرين ما قدر ان يقول هـذا خيرمما اخذ منى وانا بعد ارجو ان يغفر الله لى وروي عنه انه قال ما اود ان هذه الآيـة لم تنزل ولى الدنيا باجمعها وذلك ان الله تعالى قد اتانى خيرا مما اخذ منى وانا ارجو ان يغفر لى وقوله فقـد خانوا الله من قبل اي بالكفر فامكن منهم اي بان جعلهم اسرى والله عليم بما يبطنونـه حكيم فيما يجازيهم بـه ☆ وقوله سبحانـه ان الذين ءامنـوا وهاجروا وجاهـدوا بامـوالهم وانفسهم فى سبيل الله والذين ءاووا ونصروا اولائك بعضهم او ليـاء بعض مقصـد هـذه الآية وما بعدها تبيين منازل المهاجرين والانصار والمومنين الذين لم يهاجروا وذكر المهاجرين بعد الحديبية فقدم اولا ذكر المهاجرين وهم اصل الاسلام وتـأمل تقديم عمر لهم فى الاستشارة وهاجر معناه هجر اهله وقرابته وهجروه والذين ءاووا ونصروا هم الانصـار فحكم سبحانـه على هـاتين الطائفتين بان بعضهم اوليـاء بعض فقال كثير من المفسرين هـذه الموالاة هي الموازرة والمعاونـة واتصال الايدى وعليه فسر الطبري الآيـة وهذا الـذى قالوه لازم

من دلالة لفظ الآية وقال ابن عباس وغيره هـذه الموالاة هي فى المواريث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ءاخى بين المهاجرين والانصار فكان المهاجري اذا مات ولم يكن له بالمدينة ولي مهاجري ورثه اخوه الانصاري وكان المسلم الذى لم يهاجر لا ولاية بينه وبين قريبه المهاجري ولا يرثه ثم نسخ ذلك بقوله سبحانه واولوا الارحام الآية وعلى التاويلين فى الآية حض على الهجرة قال ابو عبيدة الولاية بالكسر من وليت الامر اليه فهي فى السلطان وبالفتح هي من المولى يقال مولى بين الولاية بفتح الواو * وقوله سبحانه وان استنصروكم يعنى ان استدعى هؤلاء المومنون الذين لم يهاجروا نصركم فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم لان ذلك غدر ونقض للميثاق * وقوله سبحانه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض وذلك يجمع الموارثة والمعاونة والنصرة وهذه العبارة تحريض واقامة لنفوس المومنين كما تقول لمن تريد تحريضه عدوك مجتهد اي فاجتهد انت وحكى الطبري فى تفسير هذه الآية عن قتادة انه قال ابى الله ان يقبل ايمان من ءامن ولم يهاجر وذلك فى صدر الاسلام وفيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم انا بريء من مسلم اقام بين المشركين لا تتراءى ناراهما الحديث على اختلاف الفاظه وقول قتادة انما هو فيمن كان يقيم متربصا يقول من غلب كنت معه وكذلك ذكر فى كتاب الطبري وغيره والضمير فى قوله الا تفعلوه قيل هو عائد على الموازرة والمعاونة ويحتمل على الميثاق المذكور ويحتمل على النصر للمسلمين المستنصرين ويحتمل على الموارثة والتزامها ويجوز ان يعود مجملا على جميع ما ذكر والفتنة المحنة بالحرب وما انجر معها من الغارات والجلاء والاسر والفساد الكبير ظهور الشرك * وقوله سبحانه والذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين ءاووا ونصروا اولائك هم المومنون حقا

تضمنت الآيـة تخصيص المهاجرين والانصـار وتشريفهم بهـذا الوصف العظيم (ت) وهي مع ذلك عند التأمل يلوح منها تاويل قتادة المتقدم فتأمله والرزق الكريم هو طعام الجنـة كذا ذكر الطبري وغيره قال ابن العربي فى احكامـه واذا كان الايمان فى القلب حقا ظهر ذلك فى استقامة الاعمال بامتثـال الامر واجتناب المنهي عنه واذا كان مجـازا قصرت الجـوارح فى الاعمـال اذ لم تبلغ قوتـه اليها انتهى والذين ءامنوا من بعد وهـاجروا وجاهـدوا معكم قوله من بعد يريد بـه من بعد الحديبية وذلك ان الهجرة من بعد ذلك كانت اقل رتبة من الهجرة قبل ذلك وكان يقـال لهـا الهجرة الثانية وجاهـدوا معكم لفظ يقتضى انهم تبع لاصدر * وقوله سبحانـه واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله قال من تقدم ذكره هـذه فى المواريث وهي ناسخـة للحكم المتقدم ذكره وقالت فرقة منها مالك ان الآيـة ليست فى المواريث وهذا فرار من توريث الخال والعمة ونحو ذلك وقالت فرقـة هي فى المواريث الا انها نسخت بـآيـة المواريث المبينة وقوله فى كتاب الله معنـاه القرءان اي ذلك مثبت فى كتاب الله وقيل فى اللوح المحفوظ كمل تفسير السورة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

تفسير سورة براءة

وهي مدنية الاءايتين قوله سبحانه لقد جاءكم رسول من انفسكم الى ءاخرهـا وتسمى سورة التوبـة قاله حذيفة وغيره وتسمى الفاضحة قاله ابن عباس وقال مازال ينزل ومنهم ومنهم حتى ظن انه لايبقى احد وهي من ءاخر ما انزل على

النبي صلى الله عليه وسلم قال علي رضي الله عنه لابن عباس بسم الله الرحمن الرحيم امان وبشارة وبراءة نزلت بالسيف ونبذ العهود فلذلك لم تبدأ بالامان * قوله عز وجل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين التقدير هذه الآيات براءة ويصح ان يرتفع براءة بالابتداء والخبر فى قوله الى الذين وبراءة معناه تخلص وتبر من العهود التي بينكم وبين الكفار البادءين بالنقض قال ابن العربي فى احكامه تقول برأت من الشيء ابرأ براءة فانا منه بريء اذا ازلته عن نفسك وقطعت سبب ما بينك وبينه انتهى ومعنى السياحة فى الارض الذهاب فيها مسرحين ءامنين كالسيح من الماء وهو الجارى المنبسط قال الضحاك وغيره من العلماء كان من العرب من لا عهد بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم جملة وكان منهم من بينه وبينهم عهد وتحسس منهم نقض وكان منهم من بينه وبينهم عهد ولم ينقضوا فقوله فسيحوا فى الارض اربعة اشهر هو اجل ضربه الله لمن كان بينه وبينهم عهد وتحسس منهم نقضه واول هذا الاجل يوم الاذان وءاخره انقضاء العشر الاول من ربيع الآخر وقوله سبحانه فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حكم مباين للاول حكم به فى المشركين الذين لا عهد لهم البتة فجاء اجل تامينهم خمسين يوما اولها يوم الاذان وءاخرها انقضاء المحرم * وقوله الا الذين عاهدتم يريد به الذين لهم عهد ولم ينقضوا ولا تحسس منهم نقض وهم فيما روي بنو ضمرة من كنانة كان بقي من عهدهم يوم الاذان تسعة اشهر * وقوله عز وجل واعلموا انكم غير معجزى الله اي لا تفلتون الله ولا تعجزونه هربا * وقوله واذان من الله ورسوله الآية اي اعلام ويوم الحج الاكبر قال عمر وغيره هو يوم عرفة وقال ابو هريرة وجماعة هو يوم النحر وتظاهرت الروايات ان عليا اذن بهذه الآيات يوم عرفة اثر خطبة ابى بكر ثم رأى انه لم يعم الناس بالاسماع فتتبعهم بالاذان بها

يوم النحر وفى ذلك اليـوم بعث ابـو بكـر من يعينـه فى الاذان بهـا كابى هريرة وغيره وتتبعوا بها ايضا اسواق العرب كذى المجـاز وغيره وهـذا هو سبب الخـلاف فقالت طائفـة يـوم الحج الاكبر عرفـة حيث وقـع اول الاذان وقالت اخرى هو يوم النحر حيث وقع اكمال الاذان وقال سفيـان ابن عيينة المراد باليوم ايام الحج كلهـا كما تقول يـوم صفين ويوم الجمـل ويتجه ان يوصف بالاكبر على جهة المدح لا بالاضافـة الى اصغر معين بـل يكون المعنى الاكبر من سائر الايام فتأمله واختصار مـا تحتاج اليـه هـذه الآيـة على ما ذكر مجاهد وغيره مـن صورة تلك الحـال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح مكة سنة ثمان فاستعمل عليهـا عتاب بن اسيد وقضى امر حنين والطائف وانصرف الى المدينة فاقام بها حتى خرج الى تبوك ثم انصرف من تبوك فى رمضان سنة تسع فاراد الحج ثم نظر فى ان المشركين يحجون فى تلك السنـة ويطوفـون عراة فقـال لا اريـد ان ارى ذلـك فأمّر ابا بكر على الحج بالنـاس وانفـذه ثم اتبعه على بن ابى طالب رضي الله عنه على ناقته العضباء وامره ان يؤذن فى النـاس باربعين ءايـة صدر سورة براءة وقيـل ثلاثـين وقيل عشرين وفى بعض الروايات عشر ءايات وفى بعضها تسع ءايات وامره ان يؤذن النـاس باربعة اشياء وهي ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يـدخل الجنـة الا نفس مومنـة وفى بعض الروايات ولا يـدخل الجنـة كافر ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله عهـد فهو الى مدتـه وفى بعض الروايات ومن كان بينه وبـين رسول الله عهد فاجله اربعة اشهر يسيح فيهـا فاذا انقضت فان الله بريء من المشركين ورسوله قال (ع) واقول انهم كانوا ينـادون بهـذا كله فاربعـة اشهر للذين لهم عهـد وتحسس منهم نقضه والابقاء الى المـدة لمن لم يخبر منـه نقض وذكر الطبري ان العرب قالت

يومئـذ نحن نبرأ من عهدك ثم لام بعضهم بعضا وقالوا ما تصنعون وقد اسلمت قريش فاسلموا كلهم ولم يسح احد قال (ع) وحينئـذ دخل الناس فى دين الله افواجا * وقوله سبحانه ان الله برىء من المشركين ورسوله اي ورسوله بريء منهم * وقوله فان تبتم اي عن الكفر * وقوله سبحانـه الا الـذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم احدا فاتمـوا اليهم عهدهم الى مدتهم هذا هو الاستثناء الذى تقدم ذكره وقرأ عكرمة وغيره ينقضوكم بالضاد المعجمـة ويظاهروا معناه يعاونوا والظهير المعين * وقوله ان الله يحب المتقين تنبيه على ان الوفاء بالعهد من التقوى * وقوله سبحانه فاذا انسلخ الاشهر الحرم الانسلاخ خروج الشيء عن الشيء المتلبس به كانسلاخ الشاة عن الجلد فشبه انصرام الاشهر بذلك * وقوله سبحانه فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآيـة قال ابن زيد هذه الآيـة وقوله سبحانـه فاما منا بعد واما فداءها محكمتان اي ليست احداهما بناسخة للاخرى قال (ع) هذا هو الصواب * وقوله وخذوهم معناه الاسر * وقوله كل مرصد معنـاه مواضع الغرة حيث يرصدون ونصب كل على الظرف او باسقاط الخافض التقـدير فى كل مرصد * وقوله فان تابوا اي عن الكفر * وقوله سبحانه وان احـد من المشركين استجارك اي جلب منك عهدا وجوارا يامن بـه حتى يسمع كلام الله يعنى القرءان والمعنى يفهم احكامه قال الحسن وهذه ءاية محكمة وذلك سنـة الى يوم القيامة * وقوله سبحانه الا الذين عاهدتم عنـد المسجد الحرام الآيـة قال ابن اسحاق هي قبائـل بنى بكر كانوا دخلوا وقت الحديبية فى العهد فامر المسلمون باتمام العهد لمن لم يكن نقض منهم * وقوله سبحانـه كيف وان يظهروا عليكم الآيـة فى الكلام حذف تقديره كيف يكون لهم عهد ونحوه وفى كيف هنـا تاكيد للاستبعاد الذى فى الاولى ولا يرقبـوا

معناه لا يراعوا ولا يحفظوا وقرأ الجمهور الا وهو الله عز وجل قاله مجاهد وابو مجلز وهو اسمه بالسريانية وعرب ويجوز ان يراد بـه العهد والعرب تقول للعهد والحلف والجوار ونحو هذه المعاني الا والذمـة ايضا بمعنى الحلف والجوار ونحوه * وقوله سبحانـه وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم الآية ويليق هنا ذكر شيء من حكم طعن الذمي فى الدين والمشهور من مذهب مالك انـه اذا فعل شيأ من ذلك مثل تكذيب الشريعة وسب النبي صلى الله عليه وسلم قتل * وقوله سبحانـه فقاتلوا ايمة الكفر اي رءوسهم واعيانهم الذين يقودون الناس اليه واصوب ما يقال فى هذه الآية انـه لا يعنى بها معين وانما وقـع الامر بقتال ايمة الناكثين للعهود من الكفرة الى يوم القيامة واقتضت حال كفار العرب ومحاربى النبي صلى الله عليه وسلم ان تكون الاشارة اليهم اولا ثم كل من دفع فى صدر الشريعة الى يوم القيامة فهو بمنزلتهم وقرأ الجمهور لا ايمان لهم جمع يمين اي لا ايمان لهم يوفى بها وتبر وهذا المعنى يشبه الآية وقرأ ابن عامر وحده من السبعة لا إيمان لهم وهذا يحتمل وجهين احدهما لا تصديق لهم قال ابو علي وهذا غير قوي لانـه تكرير وذلك انـه وصف ايمة الكفر بانهم لا ايمان لهم والوجه فى كسر الالف انـه مصدر من ءامنته ايمانا ومنه قوله تعالى وءامنهم من خوف فالمعنى انهم لا يومنون كما يومن اهل الذمة الكتابيون اذ المشركون ليس لهم الا الاسلام او السيف قال ابو حاتم فسر الحسن قراءته لا اسلام لهم قال (ع) والتكرير الذى فر ابو علي منه متجه لانـه بيان المهم الذى يوجب قتلهم * وقوله عز وجل الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول الآية الا عرض وتحضيض قال الحسن والمراد باخراج الرسول اخراجه من المدينة وهذا مستقيم كغزوة احد والاحزاب وقال السدي

المراد من مكة * وقوله سبحانه وهم بدءوكم اول مرة قيل يراد افعالهم بمكة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمومنين وقال مجاهد يراد بـه ما بدأت بـه قريش من معونة بنى بكر حلفائهم على خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم فكان هـذا بدأ النقض وقال الطبري يعنى فعلهم يوم بـدر قال الفخر قال ابن اسحاق والسدي والكلبي نزلت هـذه الآيـة فى كفار مكـة نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية واعانوا بنى بكر على خزاعـة انتهى * وقوله سبحانـه اتخشونهم استفهام على معنى التقرير والتوبيخ فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين اي كاملي الايمان * وقوله سبحانه قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم قررت الآيات قبلها افعال الكفرة ثم حض على القتال مقترنا بذنوبهم لتنبعث الحمية مع ذلك ثم جزم الامر بقتالهم فى هذه الآيـة مقترنا بوعـد وكيد يتضمن النصر عليهم والظفر بهم * وقوله سبحانـه يعذبهم الله بايديكم معناه بالقتل والاسر ويخزهم معناه يذلهم على ذنوبهم يقال خزي الرجل يخزى خزيا اذا ذل من حيث وقع فى عار واخزاه غيره وخزي يخزى خزاية اذا استحي واما قوله تعالى ويشف صدور قوم مومنين فيحتمـل ان يريـد جماعة المومنين لان كل ما يهـد من الكفر هو شفاء من هم صدور المومنين ويحتمل ان يريد تخصيص قوم من المومنين وروي انهم خزاعة قاله مجاهـد والسدي ووجـه تخصيصهم انهم الذين نقض فيهم العهد ونالتهم الحرب وكان يومئذ فى خزاعـة مومنين كثير ويقتضى ذلك قول الخزاعي المستنصر بالنبي صلى الله عليه وسلم * ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا * وفى ءاخر الرجز * وقتلونا ركعا وسجدا * وقرأ جمهور الناس ويتوب بالرفع على القطع مما قبله والمعنى ان الآيـة استانفت الخبر بانـه قـد يتوب على بعض هوءلاء الكفرة الذين امر بقتالهم وعبـارة (ص) ويتوب الجمهـور بالرفع على الاستيناف وليس بداخل فى جواب الامر لان توبتـه سبحانـه على

من يشـاء ليست جزاء على قتـال الكفار انتهى * وقوله عز وجل ام حسبتم ان تتركوا ولمـا يعلم الله الذين جاهدوا منكم الآيـة خطاب للمومنين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الآيـة ومعنى الآيـة اظننتم ان تتركوا دون اختبار وامتحان والمراد بقوله ولمـا يعلم الله اي لمـا يعلم الله ذلك موجودا كما علمه ازلا بشرط الوجود وليس يحدث له علم تبارك وتعالى عن ذلك ووليجة معناه بطانـة ودخيلة وهو ماخوذ من الولوج فالمعنى امرا باطنا مما ينكر وفى الآيـة طعن على المنافقين الذين اتخذوا الولائج قال الفخر قال ابو عبيدة كل شيء ادخلتـه فى شيء ليس منه فهو وليجة واصله من الولوج قال الواحدي يقال هو وليجة للواحد والجمع انتهى * وقوله سبحانه ماكان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الى قوله انما يعمر مساجد الله من ءامن بالله الآية لفظ هذه الآية الخبر وفى ضمنها امر المومنين بعمارة المساجد وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمـان (ت) زاد ابن الخطيب فى روايتـه فان الله تعـالى يقول انمـا يعمر مساجـد الله من آمن بالله واليوم الآخر انتهى من ترجمـة محمـد بن عبد الله وفى الحديث عنـه صلى الله عليه وسلم انـه قال ان الله ضمن لمـن كانت المساجـد بيتـه الامن والامـان والجواز على الصراط يوم القيامة خرجـه علي بن عبد العزيز البغوي فى المسنـد المنتخب له وروى البغوي ايضا فى هذا المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اوطن الرجل المساجـد بالصلاة والذكر تبشبش الله له كما يتبشبش اهل الغائب لغائبهم اذا قدم عليهم انتهى من الكوكب الدري قيـل ومعنى يتبشبش اي يفرح به * وقوله سبحانـه ولم يخش الا الله يريد خشية التعظيم والعبادة وهذه مرتبة العدل من الناس ولامحالة ان الانسان يخشى غيره ويخشى المحاذير الدنياويـة وينبغي ان يخشى فى ذلك كله قضـاء الله وتصريفـه * وقوله

سبحانه اجعلتم سقاية الحاج الآية سقاية الحاج كانت فى بني هاشم وكان العباس يتولاها قال الحسن ولما نزلت هذه الآية قال العباس ما اراني الاتارك السقاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقيموا عليها فهي خير لكم وعمارة المسجد الحرام قيل هي حفظه ممن يظلم فيه او يقول هجرا وكان ذلك الى العباس وقيل هي السدانة/وخدمة البيت خاصة وكان ذلك فى بنى عبد الدار وكان يتولاها عثمان بن طلحة وابن عمه شيبة وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم لهما ثاني يوم الفتح وقال خذاها خالدة تالدة لا ينازعكموها الاظالم واختلف الناس فى سبب نزول هذه الآية فقال مجاهد امروا بالهجرة فقال العباس انا اسقى الحاج وقال عثمان بن طلحة انا حاجب الكعبة وقال محمد بن كعب ان العباس وعليا وعثمان بن طلحة تفاخروا فنزلت الآية وقيل غير هذا * وقوله سبحانه الذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله الآية لما حكم سبحانه فى الآية المتقدمة بان الصنفين لا يستوون بين ذلك فى هذه الآية الاخيرة واوضحه فعدد الايمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس وحكم على ان اهل هذه الخصال اعظم درجة عند الله من جميع الخلق ثم حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه والفوز بلوغ البغية اما فى نيل رغيبة او نجاة من هلكة وينظر الى معنى هذه الآية الحديث دعوا لى اصحابى فلو ان احدكم انفق مثل أُحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه ولان اصحاب هذه الخصال على سيوفهم انبنى الاسلام وتمهد الشرع * وقوله سبحانه يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان هذا وعد كريم من رب رحيم وفى الحديث الصحيح اذا استقر اهل الجنة فى الجنة يقول الله عز وجل لهم هل رضيتم فيقولون وكيف لانرضى يا ربنا فيقول انى ساعطيكم افضل من ذلك رضوانى ارضى عليكم فلا اسخط عليكم ابدا الحديث *

وقوله سبحانـه يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا ءباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ظاهر هذه المخاطبة انها لجميع المومنين كافة وهي باقية الحكم الى يوم القيامة وروت فرقة انها نزلت فى الحض على الهجرة ورفض بلاد الكفر * وقوله سبحانـه قل ان كان ءاباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم الآيـة هذه الآية تقوى مذهب من رأى ان هذه الآيـة والتى قبلها انما مقصودها الحض على الهجرة وفى ضمن قوله فتربصوا وعيد بين * وقوله بامره قال الحسن الاشارة الى عذاب او عقوبة من الله تعالى وقال مجاهد الاشارة الى فتح مكة وذكر الابناء فى هذه الآية دون التى قبلها لما جلبت ذكرهم المحبة والابناء صدر فى المحبة وليسوا كذلك فى ان تتبع ءاراؤهم كما فى الآية المتقدمة واقترفتموها معناه اكتسبتموها ومساكن جمع مسكن بفتح الكاف مفعل من السكنى وما كان من هـذا معتل الفاء فانما ياتى على مفعل بكسر العين كموعد وموطن * وقوله سبحانه لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين هـذه مخاطبة لجميع المومنين يعدد الله تعالى نعمه عليهم والمواطن المشار اليها بدر والخندق والنضير وقريظة وخيبر وغيرها وحنين واد بين مكة والطائف * وقوله اذ اعجبتكم كثرتكم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حين رأى جملته اثني عشر الفا لن تغلب اليوم من قلة وروي ان رجلا من اصحابه قالها فاراد الله تعالى اظهار العجز فظهر حين فر الناس (ت) العجب جائز فى حق غير النبي صلى الله عليه وسلم وهو معصوم منه صلى الله عليه وسلم والصواب فى فهم الحديث انه خرج مخرج الاخبار لا على وجه العجب وعلى هذا فهمه ابن رشد وغيره وانـه اذا بلغ عدد المسلمين اثـني عشـر الفا حرم الفرار وان زاد عـدد المشركين على الضعف وعليه عول فى الفتوى وقوله تعالى وضاقت عليكم الارض بما رحبت معناه

برحبها كانـه قال على ما هي عليه فى نفسها رحبة واسعة لشدة الحال وصعوبتها فما مصدريـة * وقوله سبحانـه ثم وليتم مدبرين اي فرارا عن النبي صلى الله عليه وسلم واختصار هذه القصـة ان رسول الله صلى الله عليـه وسلم لمـا فتح مكة وكان فى عشرة ءالاف من اصحابـه وانضـاف اليهم الفان من الطلقـاء فصار فى اثني عشر الفا سمع بذلك كفـار العـرب فشق عليهم فجمعت له هوازن والفافها وعليهم ملك بن عوف النصري وثقيف وعليهم عبد ياليـل بن عمرو وانضـاف اليهم اخـلاط من النـاس حتى كانوا ثلاثين الفـا فخرج اليهم رسـول الله صلى الله عليـه وسلم حين اجتمعوا بحنين فلما تصـاف الناس حمـل المشركون من محـاني الوادى وانهزم المسلمون قال قتـادة وكان يقـال ان الطلقاء من اهل مكة فروا وقصدوا القاء الهزيمـة فى المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء قد اكتنفه العباس عمه وابن عمـه ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وبين يديه ايمن بن ام ايمن وثم قتل رحمه الله والنبي صلى الله عليه وسلم يقول

انا النبي لا كـــــذب * انا ابن عبد المطلـــــب

فلما رأى نبي الله صلى الله عليه وسلم شدة الحال نزل عن بغلتـه الى الارض قاله البراء بن عازب واستـنصر الله عز وجل فاخـذ قبضة مـن تراب وحصى فرمى بها فى وجوه الكفار وقال شـاهت الوجوه ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصار وامر العباس ان ينادي اين اصحاب الشجرة اين اصحاب سورة البقرة فرجع الناس عنـقا واحـدا للحرب وتصاحفوا بالسيوف والطعن والضرب وهناك قال عليه السلام الآن حمي الوطيس وهزم الله المشركين واعلى كلمة الاسلام الى يوم الدين قال يعلى بن عطاء فحدثنى ابنـاء المنهزمين عن ءابائهم قالوا لم يبق منا احد الا دخل عينيه مـن ذلك التراب واستيعـاب هـذه القصة فى

كتب السير ومدبرين نصب على الحال الموكدة كقوله وهو الحق مصدقا
والموكدة هي التى يدل ما قبلها عليها كدلالة التولى على الادبار * وقوله
سبحانه ثم انزل الله سكينته الآية السكينة النصر الذى سكنت اليه
ومعه النفوس والجنود الملائكة والرعب قال ابو حاجز يزيد بن عامر كان فى
اجوافنا مثل ضربة الحجر فى الطست من الرعب وعذب الذين كفروا اي
بالقتل والاسر وروى ابو داود عن سهل بن الحنظلية انهم ساروا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم حنين فاطنبوا السير حتى كان عشية فحضرت الصلاة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فارس فقال يا رسول الله انى
انطلقت بين ايديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذ انا بهوازن على
بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم وشياههم اجتمعوا الى حنين فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله الحديث انتهى
فكانوا كذلك غنيمة بحمد الله كما اخبر صلى الله عليه وسلم * وقوله عز
وجل يا ايها الذين ءامنوا انما المشركون نجس قال ابن عباس وغيره معنى
الشرك هو الذى نجسهم كنجاسة الخمر ونص الله سبحانه فى هذه الآية
على المشركين وعلى المسجد الحرام فقاس مالك رحمه الله وغيره جميع الكفار
من اهل الكتاب وغيرهم على المشركين وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام
ومنع من دخول الجميع فى جميع المساجد وقوة قوله سبحانه فلا يقربوا يقتضى
امر المسلمين بمنعهم * وقوله بعد عامهم هذا يريد بعد عام تسع من الهجرة
وهو عام حج ابو بكر بالناس * وقوله سبحانه وان خفتم عيلة اي فقرا
فسوف يغنيكم الله من فضله وكان المسلمون لما منع المشركون من الموسم وهم
كانوا يجلبون الاطعمة والتجارات قذف الشيطان فى نفوسهم الخوف من الفقر
وقالوا من اين نعيش فوعدهم الله سبحانه بان يغنيهم من فضله فكان الامر كما

وعد الله سبحانه فاسلمت العرب فتمادى حجهم وتجرهم واغنى الله من فضله بالجهاد والظهور على الامم * وقوله سبحانه قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر الآية هذه الآية تضمنت قتال اهل الكتاب قال مجاهد وعند نزول هذه الآية اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزو الروم ومشى نحو تبوك ونفى سبحانه عن اهل الكتاب الايمان بالله واليوم الآخر حيث تركوا شرع الاسلام وايضا فكانت اعتقاداتهم غير مستقيمة لانهم تشعبوا وقالوا عزير بن الله والله ثالث ثلاثة وغير ذلك ولهم ايضا فى البعث اراء فاسدة كشراء منازل الجنة من الرهبان الى غير ذلك من الهذيان ولا يدينون دين الحق اي لا يطيعون ولا يمتثلون ومنه قول عائشة ما عقلت ابوي الا وهما يدينان الدين والدين هنا الشريعة قال ابن القاسم واشهب وسحنون وتوخذ الجزية من مجوس العرب والامم كلها واما عبدة الاوثان والنيران وغير ذلك فجمهور العلماء على قبول الجزية منهم وهو قول مالك فى المدونة وقال الشافعي وابو ثور لا توخذ الجزية الا من اليهود والنصارى والمجوس فقط واما قدرها فى مذهب مالك وغيره فاربعة دنانير على اهل الذهب واربعون درهما على اهل الفضة وهذا فى العنوة واما الصلح فهو ما صالحوا عليه قليل او كثير * وقوله عن يد يحتمل وجوها منها ان يريد عن قوة منكم عليهم وقهر واليد فى كلام العرب القوة ومنها ان يريد سوق الذمي لها بيده لا ان يبعثها مع رسول ليكون فى ذلك اذلال لهم ومنها ان يريد نقدها ناجزا تقول بعته يدا بيد اي لا يوخروا بها ومنها ان يريد عن استسلام يقال القى فلان بيده اذا عجز واستسلم * وقوله سبحانه وقالت اليهود عزير بن الله الذى كثر فى كتب اهل العلم ان فرقة من اليهود قالت هذه المقالة وروي انه قالها نفر يسير منهم فنحاص وغيره قال النقاش ولم يبق الآن يهودي

يقولها بل انقرضوا قال (ع) فاذا قالها ولو واحد من رؤسائهم توجهت شنعة المقالة على جماعتهم وحكى الطبري وغيره ان بني اسراءيل اصابتهم فتن وجلاء وقيل مرض واذهب الله عنهم التوراة فى ذلك ونسوها وكان علماؤهم قددفنوها اول ما احسوا بذلك البلاء فلما طالت المدة فقدت التوراة جملة فحفظها الله عزيرا كرامة منه له فقال لبنى اسراءيل ان الله قد حفظني التوراة فجعلوا يدرسونها من عنده ثم ان التوراة المدفونة وجدت فاذا هي مساوية لما كان عزير يدرس فضلوا عند ذلك وقالوا ان هذا لم يتهيأ لعزير الا وهو ابن الله نعوذ بالله من الضلال * وقوله بافواههم اي بمجرد الدعوى من غير حجة ولابرهان ويضاهون قراءة الجماعة ومعناه يحاكون ويماثلون والاشارة بقوله الذين كفروا من قبل اما لمشركى العرب اذ قالوا الملائكة بنات الله قاله الضحاك واما لامم سالفة قبلها واما للصدر الاول من كفرة اليهود والنصارى ويكون يضاهون لمعاصرى النبي صلى الله عليه وسلم وان كان الضمير فى يضاهون للنصارى فقط كانت الاشارة بالذين كفروا من قبل الى اليهود وعلى هذا فسر الطبري وحكاه غيره عن قتادة * وقوله قاتلهم الله دعاء عليهم عام لانواع الشر وعن ابن عباس ان المعنى لعنهم الله قال الداودي وعن ابن عباس قاتلهم الله لعنهم الله وكل شيء فى القرءان قتل فهو لعن انتهى وانى يوفكون اي يصرفون عن الخير * وقوله سبحانه اتخذوا احبارهم ورهبانهم الآية هذه الآية يفسرها ما حكاه الطبري ان عدي بن حاتم قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب ذهب فقال يا عدي اطرح هذا الصليب من عنقك فسمعته يقرأ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقلت يا رسول الله وكيف ذلك ونحن لم نعبدهم فقال اليس تستحلون ما احلوا وتحرمون ما حرموا قلت نعم قال فذلك ومعنى سبحانه تنزيها له

ونور الله فى هذه الآيـة هداه الصادر عن القرءان والشرع * وقوله بافواههم عبارة عن قلة حيلتهم وضعفها * وقوله بالهدى يعم القرءان وجميـع الشرع * وقوله ليظهره على الدين كله وقد فعل ذلك سبحانـه فالضمير فى ليظهره عائـد على الدين وقيل على الرسول وهذا وان كان صحيحا فالتاويـل الاول ابرع منه واليق بنظام الآيـة * وقوله عز وجل يا ايهـا الذين ءامنوا ان كثيرا مـن الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل المراد بهـذه الآيـة بيـان نقائص المذكورين ونهي المومنين عن تلك النقائص مترتب ضمـن ذلك واللام فى لياكلون لام التوكيد وصورة هذا الاكل هى بانهم ياخذون من اموال اتباعهم ضرائب وفروضا باسم الكنائس والبيع وغير ذلك ممـا يوهمونهم ان النفقـة فيه مـن الشرع والتقرب الى الله وهم خـلال ذلك يحتجنون تلك الاموال كالذى ذكره سلمان فى كتاب السير عن الراهب الـذى استخرج كنزه * وقوله سبحانـه ويصدون عن سبيل الله اي عن شريعة الاسلام والايمان بنبينا محمد صلى الله عليـه وسلم * وقوله سبحانه والذين ابتداء وخبره فبشرهم والذى يظهر من الفاظ الآيـة انه لما ذكـر نقص الاحبار والرهبان الآكلين للمال بالباطل ذكر بعد ذلك بقول عام نـقص الـكانزين المانعين حق المال وقرأ طلحة بن مصرف الذين يكنزون بغير واو وعلى هذه القراءة يجرى قول معاويـة ان الآيـة فى اهل الكتاب وخالفه ابو ذر فقال بـل هي فينا ويكنزون معناه يجمعون ويحفظون فى الاوعية وليس من شرط الكنز الدفن والتوعد فى الكنز انما وقع على منع الحقوق منه وعلى هـذا كثير من العلماء وقال علي رضي الله عنه اربعة ءالاف درهم فما دونها نفقـة وما زاد عليهـا فهو كنز وان اديت زكاتـه وقال ابو ذر وجماعة معه ما فضل من مال الرجل على حاجة نفسه فهو كنز وهذان القولان يقتضيان ان الذم فى حبس المال لا فى منع

زكاتـه فقط (ت) وحدث ابو بكر بن الخطيب بسنـده عـن علي بن ابى طالب وابن عمر عن النبي صلى الله عليـه وسلم انـه قال ان الله فرض للفقراء فى اموال الاغنياء قدر مـا يسعهم فان منعوهم حتى يجوعوا ويعروا ويجهـدوا حاسبهم الله حسابا شديـدا وعذبهم عذابا نكرا انتهى * وقوله سبحانـه فتكوى بها جباهم الآيـة قال ابن مسعود والله لايمس دينـار دينارا بـل يمد الجلد حتى يكوى بكل دينار وبكل درهم قال الفخر قال ابو بكر الوراق وخصت هـذه المواضـع بالذكر لان صاحب المـال اذا رأى الفقير قبض جبينه واذا جلس الى جنبه تباعد عنـه وولاه ظهره انتهى * وقوله سبحانـه ان عدة الشهور عنـد الله اثنـا عشر شهرا فى كتاب الله هـذه الآيـة والتى بعدها تتضمن ما كانت العرب عليه فى جاهليتها من تحريم شهور الحل وتحليل شهور الحرمـة واذا نص مـا كانت العـرب تفعله تبين معنى الآيـات فالذى تظاهرت بـه الروايات ويتخلص مـن مجموع مـا ذكره النـاس ان العرب كانت لا عيش لاكثرها الا من الغارات واعمـال سلاحهـا فكانوا اذا توالت عليهم حرمة الاشهر الحرم صعب عليهم واملقوا وكان بنوفقيم من كنانـة اهل دين فى العرب وتمسك بشرع ابراهيم عليه السـلام فانتدب منهم القلمس وهو حذيفـة بن عبد فقيم فنسى الشهور للعرب ثم خلفـه على ذلك بنوه وذكر الطبري وغيره ان الامر كان فى عدوان قبل بنى مالك بن كنانـة وكانت صورة فعلهم ان العرب كانت اذا فرغت من حجهـا جاء اليـه من شـاء منهم مجتمعين فقالوا انسانا شهرا اي اخر عنا حرمة المحرم فاجعلهـا فى صفر فيحـل لهم المحرم فيغيرون فيه ثم يلتزمـون حرمة صفر ليوافقوا عـدة الاشهر الحرم الاربعـة قال مجاهد ويسمون ذلك الصفر المحرم ثم يسمون ربيعا الاول صفرا وربيعا الآخر ربيعا الاول وهكـذا فى سائر الشهور وتجئ السنـة من ثلاثـة عشر شهرا

اولها المحرم المحلل ثم المحرم الذى هو فى الحقيقة صفر وفى هذا قال الله عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشرشهرا اي ليست ثلاثة عشر ثم كانت حجة ابي بكر فى ذى القعدة حقيقة وهم يسمونه ذا الحجة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر فى ذى الحجة حقيقة فذلك قوله عليه السلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان * وقوله فى كتاب الله اي فيما كتبه واثبته فى اللوح المحفوظ او غيره فهي صفة فعل مثل خلقه ورزقه وليست بمعنى قضائه وتقديره لان تلك هي قبل خلق السموات والارض * وقوله سبحانه منها اربعة حرم نص على تفضيل هذه الاربعة وتشريفها قال قتادة اصطفى الله من الملائكة والبشر رسلا ومن الشهور المحرم ورمضان ومن البقع المساجد ومن الايام الجمعة ومن الليالى ليلة القدر ومن الكلام ذكره فينبغي ان يعظم ما عظم الله * وقوله سبحانه ذلك الدين القيم قالت فرقة معناه الحساب المستقيم وقال ابن عباس فيما حكى المهدوي معناه القضاء المستقيم قال (ع) والاصوب عندى ان يكون الدين هاهنا على اشهر وجوهه اي ذلك الشرع والطاعة * وقوله فلا تظلموا فيهن اي فى الاثني عشر شهرا اي لا تظلموا انفسكم بالمعاصى فى الزمان كله وقال قتادة المراد الاربعة الاشهر وخصصت تشريفا لها قال سعيد بن المسيب كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرم القتال فى الاشهر الحرم بما انزل الله فى ذلك حتى نزلت براءة * وقوله تعالى وقاتلوا المشركين معناه فيهن فاحرى فى غيرهن وقوله كافة معناه جميعا * وقوله سبحانه انما النسي يعنى فعل العرب فى تاخيرهم الحرمة زيادة فى الكفر اي جار مع كفرهم بالله وخلافهم للحق فالكفر متكثر بهذا الفعل الذى هو باطل فى نفسه ومما وجد فى

اشعارهم قول جِذْل الطِّعَان

وقد علمت معد ان قومي * كرام الناس ان لهم كراما
السنا الناسئين على معد * شهور الحل نجعلها حراما

وقوله سبحانه يحلونه عاما ويحرمونه عاما معناه عاما من الاعوام وليس يريد ان تلك كانت مداولة * وقوله سبحانه ليواطئوا عدة ما حرم الله معناه ليوافقوا والمواطأة الموافقة * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض هذه الآية بلا خلاف انها نزلت عتابا على تخلف من تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام غزا فيها الروم فى عشرين الفا بين راكب وراجل والنفر هو التنقل بسرعة من مكان الى مكان وقوله اثاقلتم اصله تثاقلتم وكذلك قرأ الاعمش وهو نحو قوله اخلد الى الارض * وقوله ارضيتم تقرير والمعنى ارضيتم نزر الدنيا على خطير الآخرة وحظها الاسعد قال ابن هشام فمن من قوله من الآخرة للبدل انتهى ثم اخبر سبحانه ان الدنيا بالاضافة الى الآخرة قليل نزر فتعطى قوة الكلام التعجب من ضلال من يرضى النزر الفانى بدل الكثير الباقى (ت) وفى صحيح مسلم والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما الدنيا فى الآخرة الامثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بما ذا ترجع قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى * وقوله سبحانه الا تنفروا يعذبكم شرط وجواب ولفظ العذاب عام يدخل تحته انواع عذاب الدنيا والآخرة * وقوله ويستبدل قوما غيركم توعد بان يبدل لرسوله عليه السلام قوما لا يقعدون عند استنفاره اياهم والضمير فى قوله ولا تضروه شيأ عائد على الله عز وجل ويحتمل ان يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وهو اليق * وقوله سبحانه الا تنصروه فقد نصره الله هذا ايضا شرط وجواب ومعنى الآية انكم

ان تركتم نصره فالله متكفل به اذ قد نصره فى موضع القلة والانفراد وكثرة العدو ولن يترك نصره الآن * وقوله اذ اخرجه الذين كفروا اسند الاخراج اليهم تذنيبا لهم ولما كان مقصد ابى سفيان بن الحارث الفخر فى قوله من طردبت كل مطرد لم يقره النبي صلى الله عليه وسلم على ما علم فى كتب السيرة والاشارة الى خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وفى صحبته ابو بكر واختصار القصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر اذن الله سبحانه فى الهجرة من مكة وكان ابو بكر حين ترك ذمة ابن الدغنة قد اراد الخروج فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر لعل الله ان يسهل الصحبة فلما اذن الله لنبيه فى الخروج تجهز من دار ابى بكر وخرجا فبقيا فى الغار الذى فى جبل ثور فى غربي مكة ثلاث ليال وخرج المشركون فى اثرهم حتى انتهوا الى الغار فطمس الله عليهم الاثر وقال ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم لو نظر احدهم الى قدمه لرءانا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما هكذا فى الحديث الصحيح ويروى ان العنكبوت نسجت على باب الغار ويروى ان الحمامة عششت عند باب الغار وكان يروح عليهما باللبن عامر بن فُهَيرة * وقوله ثاني اثنين معناه احد اثنين * وقوله ان الله معنا يريد بالنصر والنجاة واللطف * وقوله سبحانه وكلمة الله هي العليا قيل يريد لا اله الا الله وقيل الشرع باسره * وقوله سبحانه انفروا خفافا وثقالا معنى الخفة والثقل هاهنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة واما من لا يمكنه كالعمي ونحوهم فخارج عن هذا وقال ابو طلحة ما اسمع الله عذر احدا وخرج الى الشام فجاهد حتى مات وقال ابو ايوب ما اجدنى ابدا الا خفيفا او ثقيلا * وقوله سبحانه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون تنبيه وهز للنفوس * وقوله سبحانه لوكان عرضا قريبا وسفرا قاصدا

لاتبعوك هذه الآية فى المنافقين المتخلفين فى غزوة تبوك وكشف ضمائرهم واما الآيات التى قبلها فعامة فيهم وفى غيرهم والمعنى لوكان هـذا الغزو لعـرض اي لمال وغنيمة تنال قريبا بسفر قاصد يسير لبادروا لا لوجه الله ولكن بعدت عليهم الشقة وهى المسافة الطويلة * وقوله وسيحلفون بالله يريد المنافقين وهذا اخبار بغيب * وقوله عز وجـل عفـا الله عنـك لم اذنت لهم هـذه الآيـة هي فى صنف مبالغ فى النفاق استاذنوا دون اعتذار منهم الجـد بن قيس ورفاعـة بن التابوت ومن اتبعهم قال مجاهد وذلك ان بعضهم قال نستاذنه فان اذن فى القعود قعدنا والا قعدنا وقدم له العفو قبل العتـاب اكرامـا له صلى الله عليـه وسلم وقالت فرقـة بل قوله سبحانـه عفا الله عنك استفتاح كلام كما تقول اصلحك الله واعزك الله ولم يكـن منـه عليـه السـلام ذنب يعفى عنـه لان صورة الاستنفـار وقبول الاعـذار مصروفـة الى اجتهاده * وقوله حتى يتبين لك الذين صدقوا يريد فى استيذانك وانك لو لم تاذن لهم خرجوا معك * وقـوله وتعلم الكاذبـين اي بمخالفتـك لو لم تاذن لانهم عزمـوا على العصيـان اذنت لهم او لم تاذن وقال الطـبري معنـاه حتى تعلم الصـادقـين فى ان لهم عـذرا والكاذبين فى ان لا عـذر لهم والاول اصوب والله اعلم وامـا قوله سبحانـه فى سورة النور فاذا استاذنوك لبعض شأنهم الآيـة ففى غزوة الخنـدق نزلت وارتابت قلوبهم اي شكـت وبترددون اي يتحيرون اذ كانوا تخطر لهم صحـة امر النبي صلى الله عليه وسلم احيانا وانـه غير صحيح احيانا فهم مذبذبون * وقوله سبحانـه ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة اي لو ارادوا الخروج بنيـاتهم لنظروا فى ذلك واستعدوا له * وقوله ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم قال (ص) ولكـن اصلهـا ان تقع بين نقيضين او ضدين او خلافين على خـلاف فيـه انتهى وانبعاثهم نفوذهم لهـذه الغزوة والتثبيط التكسيل وكسرا لعزم *

وقوله سبحانه وقيل اقعدوا يحتمل ان يكون حكاية عن الله اي قال الله في سابق قضائه اقعدوا مع القاعدين ويحتمل ان يكون حكاية عنهم اي كانت هذه مقالة بعضهم لبعض ويحتمل ان يكون عبارة عن اذن النبي صلى الله عليه وسلم لهم في القعود اي لما كره الله خروجهم يسر ان قلت لهم اقعدوا مع القاعدين والقعود هنا عبارة عن التخلف وكراهية الله انبعاثهم رفق بالمومنين * وقوله سبحانه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الاخبالا الخبال الفساد في الاشياء المؤتلفة كالمودات وبعض الاجرام ولا اوضعوا معناه لاسرعوا السير وخلالكم معناه فيما بينكم قال (ص) خلالكم جمع خلل وهو الفرجة بين الشيئين وانتصب على الظرف بلا اوضعوا ويبغونكم حال اي باغين انتهى والايضاع سرعة السير ووقعت لا اوضعوا بألف بعد لا في المصحف وكذلك وقعت في قوله اولا اذبحنه يبغونكم الفتنة اي يطلبون لكم الفتنة وفيكم سماعون لهم قال مجاهد وغيره معناه جواسيس يسمعون الاخبار وينقلونها اليهم وقال الجمهور معناه وفيكم مطيعون سامعون لهم * وقوله سبحانه لقد ابتغوا الفتنة من قبل في هذه الآية تحقير لشأنهم ومعنى قوله من قبل ما كان من حالهم في أُحد وغيرها ومعنى قوله وقلبوا لك الامور دبروها ظهرا لبطن وسعوا بكل حيلة ومنهم من يقول ايذن لي ولا تفتني نزلت في الجد بن قيس واسند الطبري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اغزوا تبوك تغنموا بنات الاصفر فقال الجد ايذن لنا ولا تفتنا بالنساء وقال ابن عباس ان الجد قال ولكني اعينك بمالي * وقوله سبحانه الا في الفتنة سقطوا اي في الذي اظهروا الفرار منه * وقوله سبحانه ان تصبك حسنة الآية الحسنة هنا بحسب الغزوة هي الغنيمة والظفر والمصيبة الهزيمة والخيبة واللفظ عام بعد ذلك في كل محبوب ومكروه ومعنى قوله قد اخذنا امرنا من قبل اي قد اخذنا بالحزم في تخلفنا ونظرنا

لانفسنا ثم امر تعالى نبيه فقال قل لهم يا محمد لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وهو اما ظفرا وسرورا عاجلا واما ان نستشهد فندخل الجنة وباقى الآية بين * وقوله سبحانه قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين اي قل للمنافقين والحسنيين الظفر والشهادة * وقوله او بايدينا يريد القتل * وقوله سبحانه قل انفقوا طوعا اوكرها الآية سببها ان الجد بن قيس حين قال ايذن لى ولا تفتنى قال انى اعينك بمالى فنزلت هذه الآية فيه وهي عامة بعده * وقوله عز وجل وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله وفى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان ثواب الكافر على افعاله البرة هو فى الطعمة يطعمها ونحو ذلك وهذا مقنع لا يحتاج معه الى نظر واما ان ينتفع بها فى الآخرة فلا وكسالى جمع كسلان * وقوله سبحانه فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا الآية حقر فى الآية شأن المنافقين وعلل اعطاء الله لهم الاموال والاولاد بارادته تعذيبهم بها فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال ابن زيد وغيره تعذيبهم بها فى الدنيا هو بمصائبها ورزاياها هي لهم عذاب اذ لا يوجرون عليها ومن ذلك قهر الشرع لهم على اداء الزكاة والحقوق الواجبات قال الفخر اما كون كثرة الاموال والاولاد سببا للعذاب فى الدنيا فحاصل من وجوه منها ان كلما كان حب الانسان للشيء اشد واقوى كان حزنه وتألم قلبه على فراقه اعظم واصعب ثم عند الموت يعظم حزنه وتشتد حسرته لمفارقته المحبوب، فالمشغوف بحب المال والولد لايزال فى تعب فيحتاج فى اكتساب الاموال وتحصيلها الى تعب شديد ومشقة عظيمة ثم عند حصولها يحتاج الى متاعب اشد واصعب فى حفظها وصونها لان حفظ المال بعد حصوله اصعب من اكتسابه ثم انه لا ينتفع الا بالقليل من تلك الاموال فالتعب كثير والنفع قليل

ثم قال واعلم ان الدنيا حلوة خضرة والحواس الخمس مائلة اليها فاذا كثرت وتوالت استغرقت فيها وانصرف الانسان بكليته اليها فيصير ذلك سببا لحرمانه من ذكر الله ثم انه يحصل فى قلبه نوع قسوة وقوة وقهر وكلما كان المال والجاه اكثر كانت تلك القسوة اقوى والى ذلك الاشارة بقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رءاه استغنى فظهر ان كثرة الاموال والاولاد سبب قوي فى زوال حب الله تعالى وحب الآخرة من القلب وفى حصول الدنيا وشهواتها فى القلب وعند الموت كان الانسان ينتقل من البستان الى السجن ومن مجالسة الاقرباء والاحبة الى موضع الغربة والكربة فيعظم تألمه ويقوى حزنه ثم عند الحشر حلالها حساب وحرامها عقاب فثبت ان كثرة الاموال والاولاد سبب لحصول العذاب فى الدنيا والآخرة انتهى ثم اخبر سبحانه انهم ليسوا من المومنين وانما هم يفزعون منهم والفرق الخوف * وقوله سبحانه لو يجدون ملجأ الملجأ من لجأ يلجأ اذا اوى واعتصم وقرأ الجمهور او مغارات بفتح الميم وهي الغيران فى اعراض الجبال او مدخلا معناه السرب والنفق فى الارض وهو تفسير ابن عباس فى هذه الالفاظ وقرأ جمهور الناس يجمحون ومعناه يسرعون قال الفخر قوله وهم يجمحون اي يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شيء ومن هذا يقال جمح الفرس وفرس جموح وهو الذى اذا حمل لم يرده اللجام انتهى * وقوله عز وجل ومنهم من يلمزك الآية اي ومن المنافقين من يلمزك اي يعيبك وياخذ منك فى الغيبة ومنه قول الشاعر

اذا لقيتك تبدى لى مكاشرة * وان اغيب فانت الهامز اللمزه

ومنه قوله سبحانه ويل لكل همزة لمزة * وقوله سبحانه ولو انهم رضوا ما ءاتاهم الله ورسوله الآية المعنى لو ان هؤلاء المنافقين رضوا قسمة الله الرزق

لهم وما اعطاهم على يد رسوله واقروا بالرغبة الى الله لكان خيرا لهم وحذف الجواب لدلالة ظاهر الكلام عليه وذلك من فصيح الكلام وايجازه وقوله سبحانه انما الصدقات للفقراء الآية انما فى هذه الآية حاصرة تقتضى وقوف الصدقات على الثمانية الاصناف وانما اختلف فى صورة القسمة ومذهب مالك وغيره ان ذلك على قدر الاجتهاد وبحسب الحاجة واما الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري وابن زيد وغيرهم المساكين الذين يسعون ويسئلون والفقراء الذين يتصاونون وهذا القول احسن ماقيل فى هذا وتحريره ان الفقيرهو الذى لا مال له الا انه لم يذل نفسه ولا يذل وجهه وذلك اما لتعفف مفرط واما لبلغة تكون له كالحلوبة وما اشبهها والمسكين هو الذى يقترن بفقره تذلل وخضوع وسؤال فهذه هي المسكنة ويقوى هذا ان الله سبحانه قد وصف بنى اسراءيل بالمسكنة وقرنها بالذلة مع غناهم واذا تأملت ما قلناه بان انهما صنفان موجودان فى المسلمين (ت) وقد اكثر الناس فى الفرق بين الفقير والمسكين واولى ما يعول عليه ما ثبت فى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى مالك عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين بهذا الطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان انما المسكين الذى ليس له غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس انتهى واول ابو عمر فى التمهيد هذا الحديث فقال كانه اراد والله اعلم ليس المسكين على تمام المسكنة وعلى الحقيقة الا الذى لا يسأل الناس انتهى واما العاملون فهم جباتها يستنيبهم الامام فى السعي على الناس وجمع صدقاتهم قال الجمهور لهم قدر تعبهم ومئونتهم واما المؤلفة قلوبهم فكانوا مسلمين وكافرين مستترين مظهرين للاسلام حتى وثقه الاستيلاف فى اكثرهم واستيلافهم انما

كان لتجلب الى الاسلام منفعة او تدفع عنه مضرة والصحيح بقاء حكمهم ان احتيج اليهم واما الرقاب فمذهب مالك وغيره هو ابتداء عتق مومن واما الغارم فهو الرجل يركبه دين فى غير معصية ولا سفه كذا قال العلماء واما فى سبيل الله فهو الغازى وان كان مليا ببلده واما ابن السبيل فهو المسافر وان كان غنيا ببلده وسمي المسافر ابن السبيل لملازمته السبيل ومن ادعى الفقر صدق الا لريبة فيكلف حينئذ البينة واما ان ادعى انه غارم او ابن السبيل او غاز ونحو ذلك مما لا يعلم الا منه فلا يعطى الا ببينة واهل بلد الصدقة احق بها الا ان تفضل فضلة فتنقل الى غيرهم قال ابن حبيب وينبغى للامام ان يامر السعاة بتفريقها فى المواضع التى جبيت فيها ولا يحمل منها شيء الى الامام وفى الحديث توخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم * وقوله سبحانه فريضة من الله اي موجبة محدودة * وقوله سبحانه ومنهم الذين يوذون النبيء ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين اي ومن المنافقين ويوذون لفظ يعم انواع اذايتهم له صلى الله عليه وسلم وخص بعد ذلك من قولهم هو اذن وروي ان قائل هذه المقالة نبتل بن الحارث وكان من مردة المنافقين وفيه قال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث وكان ثائر الرأس منتفش الشعر احمر العينين اسفع الخدين مشوها قال الحسن البصري ومجاهد قولهم هو اذن اي يسمع معاذيرنا ويقبلها اي فنحن لا نبالى من الوقوع فيه وهذا تنقص بقلة الحزم وقال ابن عباس وغيره انهم ارادوا بقولهم هو اذن اي يسمع كل ما ينقل اليه عنا ويصغى اليه ويقبله فهذا تشك منه عليه السلام ومعنى اذن سماع وهذا من باب تسمية الشيء بالشيء اذا كان منه بسبب كما يقال للرؤية عين وكما يقال للمسنة من الابل التى قد بزل نابها ناب وقيل معنى الكلام ذو اذن اي

ذو سماع وقيل انه مشتق من قولهم اذن الى شيء اذا استمع ومنه قول الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

وقرأ نافع اذن بسكون الذال فيهما وقرأ الباقون بضمها فيهما وكلهم قرأ بالاضافة الى خير الا ما روي عن عاصم وقرأ الحسن وغيره قل اذن خير بتنوين اذن ورفع خير وهذا جار على تاويله المتقدم والمعنى من يقبل معاذيركم خير لكم ورويت هذه القراءة عن عاصم ومعنى اذن خير على الاضافة اي سماع خير وحق ويومن بالله معناه يصدق بالله ويومن للمومنين قيل معناه ويصدق المومنين واللام زائدة وقيل يقال ءامنت لك بمعنى صدقتك ومنه وما انت بمومن لنا قال (ع) وعندى ان هذه التي معها اللام فى ضمنها باء فالمعنى ويصدق للمومنين بما يخبرونه به وكذلك قوله وما انت بمومن لنا بما نقوله (ت) ولما كانت اخبار المنافقين تصل الى النبي صلى الله عليه وسلم تارة باخبار الله له وتارة باخبار المومنين وهم عدول ناسب اتصال قوله سبحانه يومن بالله ويومن للمومنين بما قبله ويكون التصديق هنا خاصا بهذه القضية وان كان ظاهر اللفظ عاما اذ من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم لم يزل مصدقا بالله وقرأ جميع السبعة الا حمزة ورحمة بالرفع عطفا على اذن وقرأ حمزة وحده ورحمة بالخفض عطفا على خير وخصص الرحمة للذين ءامنوا اذ هم الذين فازوا ونجوا بالرسول عليه السلام * يحلفون بالله لكم يعنى المنافقين * وقوله والله ورسوله احق ان يرضوه التقدير عند سيبويه والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه فحذف الخبر من الجملة الاولى لدلالة الثانية عليه وقيل الضمير فى يرضوه عائد على المذكور كما قال رؤبة

فيها خطوط من سواد وبلق * كانه فى الجلد توليع البهق

اي كان المذكور * وقوله الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله الآية يحادد

معناه يخالف ويشاق * وقوله سبحانه يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم يحذر خبر عن حال قلوبهم وقال الزجاج وغيره معنى يحذر الامر وان كان لفظه لفظ الخبر كانه قال ليحذر * وقوله سبحانه قل استهزءوا لفظه لفظ الامر ومعناه التهديد ثم اخبر سبحانه انه مخرج لهم ما يحذرونه الى حين الوجود وقد فعل ذلك تبارك وتعالى فى سورة براءة فهي تسمى الفاضحة لانها فضحت المنافقين * وقوله سبحانه ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الآية نزلت على ما ذكر جماعة من المفسرين فى وديعة بن ثابت وذلك انه مع قوم من المنافقين كانوا يسيرون فى غزوة تبوك فقال بعضهم هذا يريد ان يفتح قصور الشام وياخذ حصون بنى الاصفر هيهات هيهات فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب وذكر الطبري عن عبد الله بن عمر انه قال رأيت قائل هذه المقالة وديعة متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يماشيها والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ابالله وءاياته ورسوله كنتم تستهزءون ثم حكم سبحانه عليهم بالكفر فقال لهم لا تعتذروا قد كفرتم الآية * وقوله سبحانه ان يعف عن طائفة منكم يريد فيما ذكره المفسرون رجلا واحدا قيل اسمه مخشى بن حمير قاله ابن اسحاق وذكر جميعهم انه استشهد باليمامة وقد كان تاب وتسمى عبد الرحمن فدعا الله ان يستشهد ويجهل امره فكان كذلك ولم يوجد جسده وكان مخشى مع المنافقين الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب فقيل كان منافقا ثم تاب توبة صحيحة وقيل كان مسلما مخلصا الا انه سمع المنافقين فضحك لهم ولم ينكر عليهم فعفا الله عنه فى كلا الوجهين ثم اوجب العذاب لباقى المنافقين الذين قالوا ما تقدم * وقوله سبحانه

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يريد فى الحكم والمنزلة فى الكفر ولما تقدم قبل وما هم منكم حسن هذا الاخبار ويقبضون ايديهم اي عن الصدقة وفعل الخير نسوا الله اي تركوه حين تركوا اتباع نبيه وشرعه فنسيهم اي فتركهم حين لم يهدهم والكفار فى الآية الملعنون * وقوله هي حسبهم اي كافيتهم * وقوله تعالى كالذين من قبلكم اي انتم ايها المنافقون كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة فعصوا فاهلكوا فانتم اولى بالاهلاك لمعصيتكم وضعفكم والخلاق الحظ من القدر والدين وجميع حال المرء فخلاق المرء الشيء الذى هو به خليق والمعنى عجلوا حظهم فى دنياهم وتركوا الآخرة فاتبعتموهم انتم * اولائك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة المعنى وانتم ايضا كذلك ويحتمل ان يريد باولائك المنافقين * وقوله سبحانه الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود الآية المعنى الم يات هؤلاء المنافقين خبر الامم السالفة التى عصت الله بتكذيب رسله فاهلكها * وقوم ابراهيم نمرود واصحابه واتباع دولته * واصحاب مدين قوم شعيب * والموتفكات اهل القرى الاربعة او السبعة التى بعث اليهم لوط عليه السلام ومعنى الموتفكات المنصرفات والمنقلبات افكت فائتفكت لانها جعل عاليها سافلها ولفظ البخاري الموتفكات ائتفكت انقلبت بهم الارض انتهى والضمير فى اتتهم رسلهم عائد على هذه الامم المذكورة ثم عقب سبحانه بذكر المومنين وما منّ به عليهم من حسن الاعمال ترغيبا وتنشيطا لمبادرة ما به امر لطفا منه بعباده سبحانه لا رب غيره ولا خير الا خيره * وقوله سبحانه ويقيمون الصلوة قال ابن عباس هي الصلوات الخمس قال (ع) وبحسب هذا تكون الزكاة هي المفروضة والمدح عندى بالنوافل ابلغ اذ من يقيم النوافل احرى باقامة الفرض والسين فى قوله سيرحمهم مدخلة فى الوعد

مهلة لتكون النفوس تنعم برجائه سبحانه وفضله سبحانه زعيم بالانجاز وذكر الطبري فى قوله تعالى ومساكن طيبة عن الحسن انه سأل عنها عمران ابن حصين وابا هريرة فقالا على الخبير سقطت سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر فى الجنة من اللؤلؤ فيه سبعون دارا من يقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمرذة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا ونحو هذا مما يشبه هذه الالفاظ ويقرب منها فاختصرتها طلب الايجاز (ت) وتمام الحديث من الاحياء وكتاب الآجري المعروف بكتاب النصيحة عن الحسن عن عمران ابن حصين وابى هريرة قالا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المومن فى كل غداة من القوة ما ياتى على ذلك اجمع واما قوله سبحانه ورضوان من الله اكبر ففى الحديث الصحيح ان الله عز وجل يقول لعباده اذا استقروا فى الجنة هل رضيتم فيقولون وكيف لانرضى يا ربنا فيقول انى ساعطيكم افضل من هذا كله رضوانى ارضى عنكم فلا اسخط عليكم ابدا الحديث وقوله اكبر يريد اكبر من جميع ما تقدم ومعنى الآية والحديث متفق وقال الحسن بن ابى الحسن وصل الى قلوبهم برضوان الله من اللذة والسرور ما هو الذ عندهم واقر لاعينهم من كل شيء اصابوه من لذة الجنة قال الامام الفخر وانما كان الرضوان اكبر لانه عند العارفين نعيم روحاني وهوا شرف من النعيم الجسماني انتهى انظره فى اوائل ءال عمران قال (ع) ويظهر ان يكون قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اشارة الى منازل المقربين الشاربين من تسنيم والذين يرون كما يرى النجم الغابر فى الافق وجميع من فى الجنة راض والمنازل مختلفة وفضل الله متسع والفوز النجاة والخلاص ومن ادخل الجنة فقد فاز والمقربون هم

فى الفوز العظيم والعبارة عندى بسرور وكمال اجود من العبارة عنها بلذة واللذة ايضا مستعملة فى هذا * وقوله سبحانه يا ايها النبيء جاهد الكفار اي بالسيف والمنافقين اي باللسان والتعنيف والاكفهرار فى الوجه وباقامة الحدود عليهم قال الحسن واكثر ما كانت الحدود يومئذ تصيب المنافقين ومذهب الطبري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرفهم ويسترهم واما قوله واغلظ عليهم فلفظة عامة فى الافعال والاقوال ومعنى الغلظ خشن الجانب فهو ضد قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين وقوله عز وجل يحلفون بالله ماقالوا الآية نزلت فى الجلاس بن سويد وقوله لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمر فسمعها منه ربيبه او رجل اخر فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء الجلاس فحلف بالله ما قال هذه الكلمة فنزلت الآية فكلمة الكفر هي مقالته هذه لان مضمنها قوي فى التكذيب قال مجاهد وقوله وهموا بما لم ينالوا يعنى ان الجلاس قد كان هم بقتل صاحبه الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال قتادة نزلت في عبد الله بن ابي ابن سلول وقوله فى غزوة المريسيع مامثلنا ومثلهم الا كما قال الاول سمن كلبك ياكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فوقفه فحلف انه لم يقل ذلك فنزلت الآية مكذبة له (ت) وزاد ابن العربي فى احكامه قولا ثالثا ان الآية نزلت فى جماعة المنافقين قاله الحسن وهو الصحيح لعموم القول ووجود المعنى فيه وفيهم انتهى وحدث ابو بكر بن الخطيب بسنده قال سئل سفيان بن عيينة عن الهم ايواخذ به صاحبه قال نعم اذا كان عزما الم تسمع الى قوله تعالى وهموا بما لم ينالوا الآية الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فجعل عليهم فيه التوبة قال سفيان الهم يسود القلب انتهى قال (ع) وعلى تاويل قتادة فالاشارة بكلمة الكفر الى تمثيل

ابن ابي سمن كلبك يا كلك قال قتادة والاشارة بهموا الى قوله لئن رجعنا الى المدينة وقال الحسن هم المنافقون من اظهار الشرك ومكابرة النبي صلى الله عليه وسلم بما لم ينالوا وقال تعالى بعد اسلامهم ولم يقل بعد ايمانهم لان ذلك لم يتجاوز السنتهم * وقوله سبحانه وما نقموا الا ان اغناهم الله الآية كان الكلام وما نقموا الا ماحقه ان يشكر وذكر رسول الله فى اغنائهم من حيث كثرت اموالهم من الغنائم ورسول الله صلى الله عليه وسلم سبب فى ذلك وعلى هذا الحد قال عليه السلام للانصار فى غزوة حنين كنتم عالة فاغنا كم الله قال العراقي نقموا اي انكروا وقال (ص) الا ان اغناهم الله ان وصلتها مفعول نقموا اي ما كرهوا الا اغناء الله اياهم وقيل هو مفعول من اجله والمفعول به محذوف اي ما كرهوا الايمان الا للاغناء انتهى ثم فتح لهم سبحانه باب التوبة رفقا بهم ولطفا فروي ان الجُلَاس تاب من النفاق وقال ان الله قد ترك لى باب التوبة فاعترف واخلص وحسنت توبته * وقوله سبحانه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية هذه الآية نزلت فى ثعلبة بن حاطب الانصاري قال الحسن وفى معتب بن قشير معه واختصار ما ذكره الطبري وغيره من امره انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعل لى مالا فانى لو كنت ذا مال لقضيت حقوقه وفعلت فيه الخير فراده النبي صلى الله عليه وسلم وقال قليل تودى شكره خير من كثير لا تطيقه فعاود فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الا تريد ان تكون مثل رسول الله ولو دعوت الله ان يسير الجبال معى ذهبا لسارت فاعاد عليه حتى دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت به المدينة فتنحى عنها وكثرت غنمه حتى كان لا يصلي الا الجمعة ثم كثرت حتى تنحى بعيدا فترك الصلاة ونجم

نفاقه ونزل خلال ذلك فرض الزكاة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم مصدقين بكتابه فى اخذ زكاة الغنم فلما بلغوا ثعلبة وقرأ الكتاب قال هذه اخت الجزية ثم قال لهم دعونى حتى ارى رأيي فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه قال ويح ثعلبة ثلاثا ونزلت الآية فيه فحضر القصة قريب لثعلبة فخرج اليه فقال ادرك امرك فقد نزل فيك كذا وكذا فخرج ثلعبة حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغب ان يؤدي زكاته فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله امرنى ان لا آخذ زكاتك فبقي كذلك حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ورد ثعلبة على ابى بكر ثم على عمر ثم على عثمان يرغب الى كل واحد منهم ان ياخذ منه الزكاة فكلهم رد ذلك واباه اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فبقي ثعلبة كذلك حتى هلك فى مدة عثمان * وفى قوله تعالى فاعقبهم نص فى العقوبة على الذنب بما هو اشد منه * وقوله الى يوم يلقونه يقتضى موافاتهم على النفاق قال ابن العربى فى ضمير يلقونه قولان احدهما انه عائد على الله تعالى والثانى انه عائد على النفاق مجازا على تقدير الجزاء كانه قال فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقون جزاءه انتهى من الاحكام ويلمزون معناه ينالون بالسنتهم واكثر الروايات فى سبب نزول الآية ان عبد الرحمن بن عوف تصدق باربعة الاف وامسك مثلها وقيل هو عمر بن الخطاب تصدق بنصف ماله وقيل عاصم بن عدي تصدق بمائة وسق فقال المنافقون ما هذا الا رياء فنزلت الآية فى هذا كله واما المتصدق بقليل فهو ابو عقيل تصدق بصاع من تمر فقال بعضهم ان الله غني عن صاع ابى عقيل وخرجه البخاري وقيل ان الذى لمز فى القليل هو ابو خيثمة قاله كعب بن مالك * فيسخرون منهم معناه يستهزءون ويستخفون وروى مسلم عن جرير بن عبد الله قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابى النمار متقلدى السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعروجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فامر بلا لا فاذن واقام فصلى ثم خطب فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الى ءاخر الآية ان الله كان عليكم رقيبا والآية التى فى سورة الحشر واتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة قال فجاء رجل من الانصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كانه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من او زارهم شيء انتهى * وقوله سبحانه استغفرلهم او لا تستغفرلهم المعنى ان الله خير نبيه فى هذا فكانه قال له ان شئت فاستغفرلهم وان شئت لا تستغفر ثم اعلمه انه لا يغفرلهم وان استغفر سبعين مرة وهذا هو الصحيح فى تاويل الآية لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر ان الله قد خيرنى فاخترت ولو علمت انى اذا زدت على السبعين يغفرلهم لزدت الحديث وظاهر لفظ الحديث رفض الزام دليل الخطاب وظاهر صلاته صلى الله عليه وسلم على ابن ابي ان كفره لم يكن يقينا عنده ومحال ان يصلى على كافر ولكنه راعى ظواهره من الاقرار ووكل سريرته الى الله عز وجل وعلى هذا كان ستر المنافقين واذا ترتب كما قلنا التخيير فى هذه الآية صح ان ذلك التخيير هو الذى نسخ بقوله تعالى فى سورة المنافقين سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم (ت)

والظاهر ان الآيتين بمعنى فلا نسخ فتأمله ولولا الاطالة لا وضحت ذلك قال (ع) واما تمثيله بالسبعين دون غيرها من الاعداد فلانه عدد كثيرا ما يجئ غاية ومقنعا فى الكثرة * وقوله ذلك اشارة الى امتناع الغفران * وقوله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الآية هذه ءاية تتضمن وصف حالهم على جهة التوبيخ وفى ضمنها وعيد وقوله المخلفون لفظ يقتضى تحقيرهم وانهم الذين ابعدهم الله من رضاه ومقعد بمعنى القعود وخلاف معناه بعد ومنه قول الشاعر

فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى * تأهب لاخرى مثلها فكأن قد

يريد بعد الذى مضى وقال الطبري هو مصدر خالف يخالف وقولهم لا تنفروا فى الحر كان هذا القول منهم لان غزوة تبوك كانت فى شدة الحر وطيب الثمار * وقوله سبحانه فليضحكوا قليلا اشارة الى مدة العمر فى الدنيا * وقوله وليبكوا كثيرا اشارة الى تابيد الخلود فى النار فجاء بلفظ الامر ومعناه الخبر عن حالهم وتقدير الكلام ليبكوا كثيرا اذهم معذبون جزاء بما كانوا يكسبون وخرج ابن ماجه بسنده عن يزيد الرقاشي عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يرسل البكاء على اهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى تصير فى وجوههم كهيئة الاخدود لو ارسلت فيها السفن لجرت وخرجه ابن المبارك ايضا عن انس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان اهل النار تسيل دموعهم فى وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت انتهى من التذكرة وقوله سبحانه فان رجعك الله الى طائفة منهم الآية يشبه ان تكون هذه الطائفة قد حتم عليها بالموافاة على النفاق وعينوا للنبي صلى الله عليه وسلم * وقوله وماتوا وهم

فاسقون نص فى موافاتهم على ذلك ومما يوئيد هذا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم عينهم لحذيفة بن اليمان وكان الصحابة اذا رأوا حذيفة تأخر عن الصلاة على جنازة تأخروا هم عنها وروي عن حذيفة انه قال يوما بقي من المنافقين كذا وكذا * وقوله اول هو بالاضافة الى وقت الاستيذان والخالفون جمع من تخلف من نساء وصبيان واهل عذر وتظاهرت الروايات انه صلى الله عليه وسلم صلى على عبد الله بن ابي ابن سلول وان قوله ولا تصل على احد منهم نزلت بعد ذلك وقد خرج ذلك البخاري من رواية عمر بن الخطاب انتهى * وقوله سبحانه ولا تعجبك اموالهم واولادهم تقدم تفسير مثل هذه الآية والطول فى هذه الآية المال قاله ابن عباس وغيره والاشارة بهذه الآية الى الجد بن قيس ونظرائه والقاعدون الزمنى واهل العذر فى الجملة والخوالف النساء جمع خالفة هذا قول جمهور المفسرين وقال ابو جعفر النحاس يقال للرجل الذى لا خير فيه خالفة فهذا جمعه بحسب اللفظ والمراد اخسة الناس واخلافهم ونحوه عن النضر بن شميل وقالت فرقة الخوالف جمع خالف كفارس وفوارس * وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون اي لا يفهمون والخيرات جمع خيرة وهو المستحسن من كل شيء * وقوله سبحانه اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم اعد معناه يسر وهيأ وباقى الآية بين * وقوله سبحانه وجاء المعذرون من الاعراب الآية قال ابن عباس وغيره هؤلاء كانوا مومنين وكانت اعذارهم صادقة واصل اللفظة المعتذرون فقلبت التاء ذالا وادغمت وقال قتادة وفرقة معه بل الذين جاءوا كفرة وقولهم وعذرهم كذب قال (ص) والمعنى تكلفوا العذر ولا عذرلهم وكذبوا الله ورسوله اي فى ايمانهم انتهى * وقوله سيصيب الذين كفروا منهم الآية قوله منهم يؤيد ان المعذرين كانوا مومنين فتأمله قال ابن اسحاق

المعذرون نفر من بني غفار وهذا يقتضي انهم مومنون * وقوله جلت عظمته ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية يقول ليس على اهل الاعذار من ضعف بدن او مرض او عدم نفقة اثم والحرج الاثم * وقوله اذا نصحوا يريد بنياتهم واقوالهم سرا وجهرا ما على المحسنين من سبيل اي من لائمة تناط بهم ثم اكد الرجاء بقوله سبحانه والله غفور رحيم وقرأ ابن عباس والله لاهل الاساءة غفور رحيم وهذا على جهة التفسير اشبه منه على جهة التلاوة لخلافه المصحف واختلف فيمن المراد بقوله الذين لا يجدون ما ينفقون فقالت فرقة نزلت فى بنى مُقَرِّن ستة اخوة وليس فى الصحابة ستة اخوة غيرهم وقيل كانوا سبعة وقيل نزلت فى عائذ بن عمرو المزنى قاله قتادة وقيل فى عبد الله بن معْقِل المزني قاله ابن عباس * وقوله عز وجل ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم هذه الآية نزلت فى البكائين واختلف فى تعيينهم فقيل فى ابى موسى الاشعري ورهطه وقيل فى بنى مقرن وعلى هذا جمهور المفسرين وقيل نزلت فى سبعة نفر من بطون شتى فهم البكاءون وقال مجاهد البكاءون هم بنو مقرن من مزينة ومعنى قوله لتحملهم اي على ظهر يركب ويحمل عليه الاثاث (ت) وقصة ابي موسى الاشعري ورهطه مذكورة فى الصحيح قال ابن العربي فى احكامه القول بان الآية نزلت فى ابى موسى واصحابه هو الصحيح انتهى * وقوله سبحانه انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء الآية هذه الآية نزلت فى المنافقين المتقدم ذكرهم عبد الله بن ابي والجد بن قيس ومعتب وغيرهم * وقوله اذا رجعتم يريد من غزوة تبوك ومعنى لن نومن لكم لن نصدقكم والاشارة بقوله قد نبأنا الله من اخباركم الى قوله ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم ونحوه من الآيات * وقوله سبحانه وسيرى الله عملكم توعد والمعنى فيقع الجزاء عليه قال الاستاذ ابو بكر الطُّرطوشي اعمل للدنيا بقدر مُقامك فيها واعمل للآخرة

بقدر بقائك فيها واستحي من الله تعالى بقدر قربه منك واطعه بقدر حاجتك اليه وخفه بقدر قدرته عليك واعصه بقدر صبرك على النار انتهى من سراج الملوك * وقوله ثم تردون يريد البعث من القبور * وقوله عز وجل سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم الآية قيل ان هذه الآية من اول ما نزل فى شان المنافقين فى غزوة تبوك * وقوله انهم رجس اي نتن وقذر وناهيك بهذا الوصف محطه دنياوية ثم عطف بمحطة الآخرة فقال ومأواهم جهنم اي مسكنهم * وقوله فان ترضوا الى ٠اخر الآية شرط يتضمن النهي عن الرضى عنهم وحكم هذه الآية يستمر فى كل مغموص عليه ببدعة ونحوها * وقوله سبحانه الاعراب اشد كفرا ونفاقا هذه الآية نزلت فى منافقين كانوا فى البوادى ولا محالة ان خوفهم هناك كان اقل من خوف منافقى المدينة فالسنتهم لذلك مطلقة ونفاقهم انجم واجدر معناه احرى وقال (ص) معناه احق والحدود هنا السنن والاحكام * وقوله سبحانه ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما الآية نص فى المنافقين منهم والدوائر المصائب ويحتمل ان تشتق من دوران الزمان والمعنى ينتظر بكم ما تاتى به الايام وتدور به ثم قال على جهة الدعاء عليهم دائرة السوء وكل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل فانما هو بمعنى ايجاب الشيء لان الله لا يدعو على مخلوقاته وهي فى قبضته ومن هذا ويل لكل همزة لمزة ويل للمطففين فهي كلها احكام تامة تضمنها خبره تعالى (ت) وهذه قاعدة جيدة وما وقع له رحمه الله مما ظاهره مخالف لهذه القاعدة وجب تاويله بما ذكره هنا وقد وقع له ذلك بعد هذا فى قوله صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون قال يحتمل ان يكون دعاء عليهم ويحتمل ان يكون خبرا اي استوجبوا ذلك وقد اوضح ذلك عند قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود فانظره هناك * وقوله سبحانه ومن

الاعراب من يومن بالله قال قتادة هذه ثنيــة الله تعالى من الاعراب وروي ان هذه الآية نزلت فى بنى مقرن وقاله مجاهد ويتخذ فى الآيتين بمعنى يجعله قصده والمعنى ينوى بنفقته ما ذكره الله عنهم وصلوات الرسول دعاؤه فنى دعائه خير الدنيا والآخرة والضمير فى قوله انها يحتمل عوده على النفقة ويحتمل عوده على الصلوات وباقى الآيــة بين * وقوله سبحانــه والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآيــة قال ابو موسى الاشعري وغيره السابقون الاولون من صلى القبلتين وقال عطاء هم من شهد بدرا وقال الشعبي من ادرك بيعة الرضوان والذين اتبعوهم باحسان يريد سائر الصحابة ويدخل فى هذا اللفظ التابعون وسائر الامة لكن بشريطة الاحسان وقرأ عمر بن الخطاب وجماعة والانصار بالرفع عطفا على والسابقون وقرأ ابن كثير من تحتها الانهار وقرأ الباقون تحتها باسقاط من وقوله سبحانه وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق الاشارة بمن حولكم الى جهينة ومزينة وأسلم وغفار وعصية ولحيان وغيرهم من القبائل المجاورة للمدينــة فاخبر الله سبحانــه عن منافقيهم وتقدير الآية ومن اهل المدينة قوم او منافقون هذا احسن ما حمل اللفظ ومردوا قال ابو عبيدة معناه مرنوا عليه ولجوا فيه وقيل غير هذا مما هو قريب منه وقال ابن زيد قاموا عليه لم يتوبوا كما تاب الآخرون والظاهر من اللفظة ان التمرد فى الشيء او المرود عليه انما هو اللجاج والاشتهار بــه والعتو على الزاجر وركوب الراس فى ذلك وهو مستعمل فى الشر لا فى الخير ومنه شيطان مريد ومارد وقال ابن العربي فى احكامه مردوا على النفاق اي استمروا عليــه وتحققوا بــه انتهى ذكره بعد قوله تعالى الذين اتخذوا مسجدا ضرارا ثم نفى عز وجل علم نبيــه بهم على التعيين * وقوله سبحانه سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم لفظ الآيــة يقتضى ثلاث مواطن من العذاب ولا خلاف بين

المتأولين ان العذاب العظيم الذى يردون اليه هو عذاب الآخرة واكثر الناس ان العذاب المتوسط هو عذاب القبر واختلف فى عذاب المرة الاولى فقال ابن عباس عذابهم باقامة حدود الشرع عليهم مع كراهيتهم فيه وقال ابن اسحاق عذابهم هو همهم بظهور الاسلام وعلو كلمته وقال ابن عباس ايضا وهو الاشهر عنه عذابهم هو فضيحتهم ووصمهم بالنفاق وقيل غير هذا وقوله عز وجل وءاخرون اعترفوا بذنوبهم الآية قال ابن عباس وابوعثمان هذه الآية فى الاعراب وهي عامة فى الامة الى يوم القيامة قال ابو عثمان ما فى القرءان ءاية ارجى عندى لهذه الامة منها وقال مجاهد بل نزلت هذه الآية فى ابى لبابة الانصاري خاصة فى شانه مع بنى قريظة لما اشار لهم الى حلقه ثم ندم وربط نفسه فى سارية من سوارى المسجد وقالت فرقة عظيمة بل نزلت هذه الآية فى شان المخلفين عن غزوة تبوك (ت) وخرج البخاري بسنده عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى الليلة ءاتيان فابتعثانى فانتهينا الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن ما انت راءى وشطر كاقبح ما انت راءى قالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى احسن صورة قالا لى هذه جنة عدن وهذاك منزلك قالا اما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا فتجاوز الله عنهم انتهى وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة الآية روي ان الجماعة التائبة لما تيب عليها قالوا يا رسول الله انا نريد ان نتصدق باموالنا زيادة فى توبتنا فقال لهم صلى الله عليه وسلم انى لا اعرض لاموالكم الا بامر من الله فتركهم حتى نزلت هذه الآية فهم المراد بها فروي انه صلى الله عليه وسلم اخذ ثلث اموالهم مراعاة لقوله تعالى من اموالهم فهذا هو الذى تظاهرت

به اقوال المتأولين وقالت جماعة من الفقهاء المراد بهذه الآيـة الزكاة المفروضة وقوله تعالى تطهرهم وتزكيهم بها احسن ما يحتمل ان تكون هـذه الافعـال مسندة الى ضمير النبي صلى الله عليـه وسلم * وقوله سبحانـه وصـل عليهم معناه ادع لهم فان فى دعائك لهم سكونا لانفسهم وطمانينة ووقارا فهي عبارة عن صـلاح المعتقـد والضمير فى قـوله الم يعلمـوا قال ابن زيـد يراد به الذين لم يتوبوا من المتخلفين ويحتمل ان يراد به الذين تابوا وقوله وياخذ الصدقات قال الزجاج معناه ويقبل الصدقات وقد جاءت احاديث صحاح فى معنى الآيـة منهـا حـديث ابى هريرة ان الصدقـة قـد تكون قدر اللقمة ياخذهـا الله بيمينـه فيربيها لاحدكم كما يربى احدكم فلوه او فصيله حتى تكون مثل الجبل ونحو هـذا من الاحاديث التى هي عبارة عن القبول والتحفى بصدقة العبـد * وقوله عن عباده هي بمعنى من * وقوله سبحانـه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنـون وستردون الى عالم الغيب والشهـادة الآيـة هـذه الآيـة صيغتها صيغـة امر مضمنهـا الوعيد وقال الطبري المراد بها الذين اعتذروا من المتخلفـين وتابوا قال (ع) والظاهر ان المراد بهـا الذين اعتذروا ولم يتوبوا وهم المتوعدون وهم الذين فى ضمير الم يعلموا ومعنى فسيرى الله عملكم اي موجودا معرضا للجزاء عليه بخير او بشر وقال ابن العربي فى احكامه قوله سبحانه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله هـذه الآيـة نزلت بعد ذكر المومنـين ومعناهـا الامر اي اعملوا بمـا يرضى الله سبحانـه وامـا الآيـة المتقدمـة وهي قـوله تعالى قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله فانها نزلت بعد ذكر المنافقـين ومعناهـا التهديد وذلك لان النفاق موضـع ترهيب والايمـان موضع ترغيب فقوبل اهـل كل محـل من الخطاب بمـا يليـق بهم انتهى * وقوله سبحانـه وءاخرون مرجـون لامر الله عطف على قـوله اولا

وءاخرون اعترفوا ومعنى الارجاء التاخير والمراد بهذه الآيـة فيما قال ابن عباس وجماعـة الثلاثـة الـذين خلفـوا وهم كعب بن مالك وصاحباه على مـا سياتى ان شاء الله وقيل انما نزلت فى غيرهم من المنافقين الذين كانوا معرضين للتوبـة مع بنائهم مسجـد الضرار وعلى هذا يكون الذين اتخـذوا باسقاط واو العطف بدلا من ءاخرون او خبر مبتدا تقديره هم الذين وقرأ عاصم وعوام القراء والنـاس فى كل قطر الا بالمدينـة والذين اتخذوا وقرأ اهل المدينـة نافع وغيره الذين اتخذوا باسقاط الواو على انه مبتدا والخبر لا يزال بنيانهم واما الجماعة المرادة بالذين اتخـذوا مسجـدا فهم منافقوا بنى غنم بن عوف وبنى سـالم بن عوف واسنـد الطبري عن ابن اسحـاق عن الزهري وغيره انـه قال اقبـل النبي صلى الله عليـه وسلم من غزوة تبوك حتى نزل بذى اوان بلد بينه وبـين المدينـة ساعـة من نهـار وكان اصحـاب مسجـد الضرار قـد اتوه صلى الله عليـه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقـالوا يا رسـول الله انا قـد بنينـا مسجـدا لذى العلة والحاجة والليـلة المطيرة وانا نحب ان تاتينـا فتصلي لنـا فيـه فقال انى على جنـاح سفر وحال شغـل ولو قدمنـا ان شاء الله اتينـاكم فصلينـا لكم فيـه فلما قفـل ونزل بذى اوان نزل عليه القرءان فى شان مسجد الضرار فدعا رسول الله صلى الله عليـه وسلم مالـك بن الدخشـن ومعن بن عـدي او اخاه عاصم بن عدي فقال انطلقـا الى هـذا المسجد الظالم اهـله فاهدمـاه وحرقاه فانطلقـا مسرعين ففعـلا وحرقاه وذكـر النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث لهدمـه وتحريقـه عمار بن ياسر ووحشيا مولى المطعم بن عـدي وكان بانوه اثني عشر رجلا منهم ثعلبـة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبتـل بن الحارث وغيرهم وروي انـه لمـا بنى صلى الله عليـه وسلم مسجدا فى بنى عمرو ابن عوف وقت الهجرة وهو مسجد قباء وتشرف القوم بذلك حسدهم حينئذ

رجال من بني عمهم من بني غنم بن عوف وبني سالم بن عوف وكان فيهم نفاق وكان موضع مسجد قباء مربطا لحمار امرأة من الانصار اسمها لية فكان المنافقون يقولون والله لانصبر على الصلاة في مربط حمار لية ونحو هذا من الاقوال وكان ابو عامر المعروف بالراهب منهم وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيدا من نظراء عبد الله بن ابي ابن سلول فلما جاء الله بالاسلام نافق ولم يزل مجاهرا بذلك فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ثم خرج في جماعة من المنافقين فحزب على النبي صلى الله عليه وسلم الاحزاب فلما ردهم الله بغيظهم اقام ابو عامر بمكة مظهرا لعداوته فلما فتح الله مكة هرب الى الطائف فلما اسلم اهل الطائف خرج هاربا الى الشام يريد قيصر مستنصرا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب الى المنافقين من قومه ان ابنوا مسجدا مقاومة لمسجد قباء وتحقيرا له فاني سآتي بجيش من الروم اخرج به محمدا واصحابه من المدينة فبنوه وقالوا سياتي ابو عامر ويصلي فيه فذلك قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني ابا عامر وقولهم سياتي ابو عامر وقوله ضرارا اي داعية للتضارر من جماعتين * وقوله وتفريقا بين المومنين يريد تفريقا بين الجماعة التي كانت تصلي في مسجد قباء فان من جاور مسجدهم كانوا يصرفونه اليه وذلك داعية الى صرفه عن الايمان وقيل اراد بقوله بين المومنين جماعة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان مسجد الضرار لما هدم واحرق اتخذ مزبلة ترمى فيه الاقذار والقمامات وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت لا تقم فيه ابدا كان لا يمر بالطريق التي هو فيها * وقوله لمسجد قيل ان اللام لام قسم وقيل هي لام ابتداء كما تقول لزيد احسن الناس فعلا وهي مقتضية تاكيدا وذهب ابن عباس وفرقة من الصحابة والتابعين الى ان المراد بمسجد اسس على التقوى مسجد قباء وروي عن ابن عمر

وابي سعيد وزيد بن ثابت انه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويليق القول الاول بالقصة الان القول الثانى مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نظر مع الحديث قال ابن العربي فى احكامه وقد روى ابن وهب واشهب عن مالك ان المراد بمسجد اسس على التقوى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال الله تبارك وتعالى وتركوك قائما وكذلك روى عنه ابن القاسم وقد روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال تمارى رجلان فى المسجد الذى اسس على التقوى من اول يوم فقال رجل هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدى هذا قال ابو عيسى هذا حديث صحيح وخرجه مسلم انتهى ومعنى ان تقوم فيه اي بصلاتك وعبادتك * وقوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا اختلف فى الضمير ايضا هل يعود على مسجد النبي صلى الله عليه وسلم او على مسجد قباء روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الانصار انى رأيت الله اثنى عليكم بالطهور فما ذا تفعلون قالوا يا رسول الله انا رأينا جيراننا من اليهود يتطهرون بالماء يريدون الاستنجاء ففعلنا نحن ذلك فلما جاء الاسلام لم ندعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تدعوه اذن والبنيان الذى اسس على شفا جرف هو مسجد الضرار باجماع والشفا الحاشية والشفير وهار معناه متهدم بال وهو من هار يهور البخاري هار هائر تهورت البير اذا تهدمت وانهارت مثله انتهى وتاسيس البناء على تقوى انما هو بحسن النية فيه وقصد وجه الله تعالى واظهار شرعه كما صنع فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وفى مسجد قباء والتاسيس على شفا جرف هار انما هو بفساد النية وقصد الرياء والتفريق بين المومنين فهذه تشبيهات صحيحة بارعة * وقوله سبحانه فانهار به فى نار جهنم الظاهر منه انه خارج مخرج المثل وقيل بل ذلك حقيقة

وان ذلك المسجد بعينه انهار فى نار جهنم قاله قتادة وابن جريج وروي عن جابر بن عبد الله وغيره انه قال رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي فى بعض الكتب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رءاه حين انهار بلغ الارض السابعة ففزع لذلك صلى الله عليه وسلم وروي انهم لم يصلوا فيه اكثر من ثلاثة ايام وهذا كله باسناد لين والله اعلم واسند الطبري عن خلف بن ياسين انه قال رأيت مسجد المنافقين الذى ذكره الله فى القرءان فرأيت فيه مكانا يخرج منه الدخان وذلك فى زمن ابى جعفر المنصور وروي شبيه بهذا اونحوه عن ابن جريج اسنده الطبري قال ابن العربي فى احكامه وفى قوله تعالى فانهار به فى نار جهنم مع قوله فامه هاوية اشارة الى ان النار تحت كما ان الجنة فوق انتهى والريبة الشك وقد يسمى ريبة فساد المعتقد ومعنى الريبة فى هذه الآية امر يعم الغيظ والحنق ويعم اعتقاد صواب فعلهم ونحو هذا مما يودى كله الى الارتياب فى الاسلام فمقصد الكلام لايزال هذا البنيان الذى هدم لهم يبقى فى قلوبهم حزازة واثر سوء وبالشك فسر ابن عباس الريبة هنا وبالجملة ان الريبة هنا تعم معان كثيرة ياخذ كل منافق منها بحسب قدره من النفاق * وقوله الا ان تقطع قلوبهم بضم التاء يعنى بالموت قاله ابن عباس وغيره وفى مصحف ابي حتى الممات وفيه حتى تقطع * وقوله عز وجل ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الآية هذه الآية نزلت فى البيعة الثالثة وهي بيعة العقبة الكبرى وهي التى اناف فيها رجال الانصار على السبعين وذلك انهم اجتمعوا مع النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا اشترط لك ولربك والمتكلم بذلك عبد الله بن رواحة فاشترط نبي الله حمايته مما يحمون منه انفسهم واشترط لربه التزام الشريعة وقتال الاحمر والاسود فى الدفع

عن الحوزة فقالوا مالنا على ذلك يا نبي الله فقال الجنة فقالوا نعم ربح البيع لا تقيل ولا تقال وفى بعض الروايات ولا نستقيل فنزلت الآية فى ذلك وهكذا نقله ابن العربي فى احكامه عن عبد الله بن رواحة ثم ذكر من طريق الشعبي عن ابى امامة اسعد بن زرارة نحو كلام ابن رواحة قال ابن العربي وهذا وان كان سنده مقطوعا فان معناه ثابت من طرق انتهى ثم الآية بعد ذلك عامة فى كل من جاهد فى سبيل الله من امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة قال بعض العلماء مامن مسلم الا ولله فى عنقه هذه البيعة وفى بها او لم يف وفى الحديث ان فوق كل بر برا حتى يبذل العبد دمه فاذا فعل فلا بر فوق ذلك واسند الطبري عن كثير من اهل العلم انهم قالوا ثامن الله تعالى فى هذه الآية عباده فاغلى لهم وقاله ابن عباس وغيره وهذا تاويل الجمهور وقال ابن عيينة معنى الآية اشترى منهم انفسهم الا يعملوها الا فى طاعته واموالهم الا ينفقوها الا فى سبيله فالآية على هذا اعم من القتل فى سبيل الله * وقوله يقاتلون فى سبيل الله على تاويل ابن عيينة مقطوع ومستانف واما على تاويل الجمهور من ان الشراء والبيع انما هو مع المجاهدين فهو فى موضع الحال * وقوله سبحانه وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرءان قال المفسرون يظهر من قوله فى التوراة والانجيل والقرءان ان كل امة امرت بالجهاد ووعدت عليه قال (ع) ويحتمل ان ميعاد امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تقدم ذكره فى هذه الكتب والله اعلم قال (ص) وقوله فاستبشروا ليس للطلب بل بمعني ابشروا كاستوقد قال ابو عمر بن عبد البر فى كتابه المسمى ببهجة المجالس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ما وعده ومن اوعده على عمل عقابا فان شاء عذبه وان شاء غفر له وعن ابن عباس مثله انتهى وباقى الآية بين قال الفخر واعلم ان

هذه الآيـة مشتملة على انواع من التاكيدات فاولها قوله سبحانـه ان الله اشترى من المومنـين انفسهم واموالهم فكون المشترى هو الله المقدس عن الكذب والحيلة من ادل الدلائـل على تاكيد هذا العهد والثانى انـه عبر عن ايصال هذا الثواب بالبيع والشراء وذلك حق موكد وثالثها قوله وعـدا ووعد الله حق ورابعهـا قوله عليه وكلمة على للوجوب وخامسهـا قوله حقا وهو تاكيد للتحقيق وسادسها قوله فى التوراة والانجيـل والقرءان وذلـك يجرى مجرى اشهاد جميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والمرسلين على هـذه المبايعة وسابعها قوله ومن اوفى بعهده من الله وهو غايـة التاكيد وثامنها قوله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وهو ايضا مبالغـة فى التاكيد وتاسعها قـوله وذلـك هو الفوز وعاشرهـا قوله العظيم فثبت اشتمال هذه الآيـة على هذه الوجوه العشرة فى التاكيد والتقرير والتحقيـق انتهى وقوله عز وجل التائبون العابـدون الى قوله وبشر المومنـين هـذه الاوصاف هي من صفات المومنـين الذين ذكر الله انـه اشترى منهم انفسهم واموالهم ومعنى الآيـة على مـا تقتضيه اقوال العلماء والشرع انهـا اوصاف الكملة من المومنـين ذكرها سبحانـه ليستبق اليهـا اهـل التوحيـد حتى يكونوا فى اعلى رتبـة والآيـة الاولى مستقلة بنفسهـا يقع تحت تلك المبايعـة كل موحـد قاتل فى سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وان لم يتصف بهذه الصفات التى فى هذه الآيـة الثانيـة او باكثرهـا وقالت فرقـة بـل هـذه الصفات جاءت على جهـة الشـرط والآيتـان مرتبطتـان فلا يدخـل فى المبايعـة الا المومنـون الـذين هم على هـذه الاوصـاف وهـذا تحريـج وتضييـق والاول اصوب والله إعلم والشهادة ماحية لكل ذنب الا لمظالم العباد وقد روي ان الله عز وجل يحمل على الشهيد مظالم العباد ويجازيهم عنـه ختم الله لنـا بالحسنى والسائحون

معناه الصائمون وروي عن عائشة انها قالت سياحة هذه الامة الصيام اسنده الطبري وروي انه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم قال الفخر ولما كان اصل السياحة الاستمرار على الذهاب فى الارض سمي الصائم سائحا لاستمراره على فعل الطاعة وترك المنهي عنه من المفطرات قال الفخر وعندى فيه وجه ءاخر وهو ان الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب والوقاع وسد على نفسه باب الشهوات انفتحت له ابواب الحكمة وتجلت له انوار عالم الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فيصير من السائحين فى عالم جلال الله المنتقلين من مقام الى مقام ومن درجة الى درجة انتهى قال (ع) وقال بعض الناس وهو فى كتاب النقاش السائحون هم الجائلون بافكارهم فى قدرة الله وملكوته وهذا قول حسن وهو من افضل العبادات والراكعون الساجدون هم المصلون الصلوات كذا قال اهل العلم ولكن لا يختلف فى ان من يكثر النوافل هو ادخل فى الاسم واعرق فى الاتصاف * وقوله والحافظون لحدود الله لفظ عام تحته التزام الشريعة (ت) قال البخاري قال ابن عباس الحدود الطاعة قال ابن العربي فى احكامه وقوله والحافظون لحدود الله خاتمة البيان وعموم الاشتمال لكل امر ونهي انتهى * وقوله سبحانه وبشر المومنين قيل هو لفظ عام امر صلى الله عليه وسلم ان يبشر امته جميعا بالخير من الله وقيل بل هذه الالفاظ خاصة لمن لم يغز اي لما تقدم فى الآية وعد المجاهدين وفضلهم امر صلى الله عليه وسلم ان يبشر سائر المومنين ممن لم يغز بان الايمان مخلص من النار والحمد لله رب العالمين * وقوله سبحانه ما كان للنبيء والذين ءامنوا ان يستغفروا للمشركين الآية جمهور المفسرين ان هذه الآية نزلت فى شان ابى طالب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه حين احتُضِر فوعظه وقال اي عم قل لا اله

الا الله كلمة احاج لك بها عند الله وكان بالحضرة ابو جهل وعبد الله بن ابى امية فقالا له يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فقال ابو طالب يا محمد والله لولا انى اخاف ان يعير بها ولدى من بعدى لاقررت بها عينك ثم قال هو على ملة عبد المطلب ومات على ذلك اذ لم يسمع منه صلى الله عليه وسلم ما قال العباس فنزلت انك لا تهدى من احببت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية فترك نبي الله الاستغفار لابى طالب وروي ان المومنين لما رأوا نبي الله يستغفر لابى طالب جعلوا يستغفرون لموتاهم فلذلك دخلوا فى النهي والآية على هذا ناسخة لفعله صلى الله عليه وسلم اذ افعاله فى حكم الشرع المستقر وقال ابن عباس وقتادة وغيرهما انما نزلت الآية بسبب جماعة من المومنين قالوا نستغفر لموتانا كما استغفر ابراهيم عليه السلام فنزلت الآية فى ذلك وقوله سبحانه وما كان استغفار ابراهيم لابيه الآية المعنى لاحجة ايها المومنون فى استغفار ابراهيم عليه السلام فان ذلك لم يكن الاعن موعدة واختلف فى ذلك فقيل عن موعدة من ابراهيم وذلك قوله سأستغفر لك ربي انه كان بى حفيا وقيل عن موعدة من ابيه له فى انه سيومن فقوي طمعه فحمله ذلك على الاستغفار له حتى نهي عنه وموعدة من الوعد واما تبينه انه عدو لله قيل ذلك بموت ءازر على الكفر وقيل ذلك بانه نهي عنه وهو حي وقوله سبحانه ان ابراهيم لاواه حليم ثناء من الله تعالى على ابراهيم والاواه معناه الخائف الذى يكثر التأوه من خوف الله عز وجل والتأوه التوجع الذى يكثر حتى ينطق الانسان معه باوه ومن هذا المعنى قول المُثَقِّب العبدي

اذا ما قمت ارحلها بليل * تأوهُ آهة الرجل الحزين

ويروى ءاهة وروي ان ابراهيم عليه السلام كان يسمع وجيب قلبه من الخشية كما تسمع اجنحة النسور وللمفسرين فى الاواه عبارات كلها ترجع الى ما ذكرته (ت) روى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا عبد الحميد بن بهرام قال حدثنا شهر بن حوشب قال حدثنى عبد الله بن شداد قال قال رجل يا رسول الله ما الاواه قال الاواه الخاشع الدّعّاء المتضرع قال الله سبحانه ان ابراهيم لاواه حليم انتهى وحليم معناه صابر محتمل عظِيم العقل والحلمُ العقل * وقوله سبحانه وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم الآية معناه التانيس للمومنين وقيل ان بعضهم خاف على نفسه من الاستغفار للمشركين فنزلت الآية مونسة اي ما كان الله بعد ان هدى الى الاسلام وانقذ من النار ليحبط ذلك ويضل اهله لمواقعتهم ذنبا لم يتقدم من الله عنه نهي فاما اذا بين لهم ما يتقون من الامور ويتجنبون من الاشياء فحينئذ من واقع شيأ من ذلك بعد النهي استوجب العقوبة وباقى الآية بين * وقوله سبحانه لقد تاب الله على النبيء والمهاجرين والانصار الآية التوبة من الله تعالى هو رجوعه بعبده من حالة الى ارفع منها فقد تكون فى الاكثر رجوعا من حالة طاعة الى اكمل منها وهذه توبته سبحانه فى هذه الآية على نبيه عليه السلام واما توبته على المهاجرين والانصار فمعرضة لان تكون من تقصير الى طاعة وجد فى الغزو ونصرة الدين واما توبته على الفريق الذى كاد يزيغ فرجوع من حالة محطوطة الى حال غفران ورضى وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رحمه الله فى هذه الآية ذكر الله سبحانه توبة من لم يذنب ليلا يستوحش من اذنب لانه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ولم يذنبوا ثم قال وعلى الثلاثة الذين خلفوا فذكر من لم يذنب ليونس من قد اذنب انتهى من لطائف المنن وساعة العسرة يريد وقت العسرة والعسرة الشدة

وضيق الحال والعدم وهذا هو جيش العسرة الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان بن عفان رضي الله عنه بالف جمل والف دينار وجاء ايضا رجل من الانصار بسبعمائة وسق من تمر وهذه غزوة تبوك (ت) وعن ابن عباس انه قيل لعمر بن الخطاب حدثنا عن شان ساعة العسرة فقال عمر خرجنا الى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ثم يجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا فادع الله فقال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فاظلت ثم سكبت فملئوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر رواه الحاكم فى مستدركه على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين يعنى مسلما والبخاري انتهى من السلاح ووصل النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك الى اوائل بلد العدو فصالحه اهل اذرح وايلة وغيرهما على الجزية ونحوها وانصرف والزيغ المذكور هو ما همت به طائفة من الانصراف لما لقوا من المشقة والعسرة قاله الحسن وقيل زيغها انما كان بظنون لها ساءت فى معنى عزم النبي صلى الله عليه وسلم على تلك الغزوة لما رأته من شدة الحال وقوة العدو المقصود ثم اخبر عز وجل انه تاب ايضا على هذا الفريق وراجع به وانس باعلامه للامة بانه رءوف رحيم والثلاثة الذين خلفوا هم كعب بن مالك وهلال بن امية الواقفي ومُرارة بن الربيع العامري وقد خرج حديثهم بكماله البخاري ومسلم وهو فى السير فلذلك اختصرنا سوقه وهم الذين تقدم فيهم وءاخرون مرجون لامر الله ومعنى خلفوا اخروا وترك النظر فى امرهم قال كعب وليس بتخلفنا عن الغزو وهو بين من لفظ الآية * وقوله وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ظنوا هنا بمعنى

ايقنوا قال الشيخ بن ابي جمرة رحمه الله قال بعض اهل التوفيق اذا نزلت بي نازلة ما من اي نوع كانت فالهمت فيها اللجأ فلا ابالي بها واللجأ على وجوه منها الاشتغال بالذكر والتعبد وتفويض الامر له عز وجل لقوله تعالى على لسان نبيه من شغله ذكرى عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطى السائلين ومنها الصدقة ومنها الدعاء فكيف بالمجموع انتهى * وقوله سبحانه ثم تاب عليهم ليتوبوا لما كان هذا القول فى تعديد النعم بدأ فى ترتيبه بالجهة التي هي عن الله عز وجل ليكون ذلك منها على تلقي النعمة من عنده لارب غيره ولوكان هذا القول فى تعديد ذنب لكان الابتداء بالجهة التي هي على المذنب كما قال عز وجل فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ليكون ذلك اشد تقريرا للذنب عليهم وهذا من فصاحة القرءان وبديع نظمه ومعجز اتساقه وبيان هذه الآية ومواقع الفاظها انما يكمل مع مطالعة حديث الثلاثة الذين خلفوا فى الكتب المذكورة فانظره وانما عظم ذنبهم واستحقوا عليه ذلك لان الشرع يطلبهم من الجد فيه بحسب منازلهم منه وتقدمهم فيه اذ هم اسوة وحجة للمنافقين والطاعنين اذ كان كعب من اهل العقبة وصاحباه من اهل بدر وفى هذا ما يقتضي ان الرجل العالم والمقتدى به اقل عذرا فى السقوط من سواه وكتب الاوزاعي رحمه الله الى ابي جعفر المنصور فى ءاخر رسالة واعلم ان قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تزيد حق الله عليك الاعظما ولا طاعته الاوجوبا ولاالناس فيما خالف ذلك منك الاانكارا والسلام * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا اتقوا وكونوا مع الصادقين هذا الامر بالكون مع الصادقين حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين وكان ابن مسعود يتأول الآية فى صدق الحديث واليه نحا كعب بن مالك * وقوله سبحانه ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله الآية

هذه الآية معاتبة للمومنين من اهل يثرب وقبائل العرب المجاورة لها على التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة وقوة الكلام تعطى الامر بصحبته اين ما توجه غازيا وبذل النفوس دونه والمخمصة مفعلة من خموص البطن وهو ضموره واستعير ذلك لحالة الجوع اذ الخموص ملازم له ومن ذلك قول الاعشى

تبيتون فى المشتى مِلاءً بطونكم * وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وقوله ولا ينالون من عدو نيلا لفظ عام لقليل ما يصنعه المومنون بالكفرة من اخذ مال او ايراد هوان وكثيره ونيلا مصدر نال ينال وفى الحديث ما ازداد قوم من اهليهم فى سبيل الله بعدا الا ازدادوا من الله قربا (ت) وروى ابو داود فى سننه عن ابى مالك الاشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من فصل فى سبيل الله فمات او قتل فهو شهيد او وقصه فرسه او بعيره او لدغته هامة او مات على فراشه باي حتف شاء الله فانه شهيد وان له الجنة انتهى قال ابن العربي فى احكامه قوله عز وجل ولا يقطعون واديا الا كتب لهم يعني الا كتب لهم ثوابه وكذلك قال فى المجاهد ان ارواث دوابه وابوالها حسنات له وكذلك اعطى سبحانه لاهل العذر من الاجر ما اعطى للقوي العامل بفضله ففي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الغزوة بعينها ان بالمدينة قوما ما سلكتم واديا ولا قطعتم شعبا الا وهم معكم حبسهم العذر انتهى * وقوله سبحانه وما كان المومنون لينفروا كافة الآية قالت فرقة ان المومنين الذين كانوا بالبادية سكانا ومبعوثين لتعليم الشرع لما سمعوا قول الله عز وجل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب الآية اهمهم ذلك فنفروا الى النبي صلى الله عليه وسلم خشية ان يكونوا عصاة فى التخلف عن الغزو فنزلت هذه الآية فى نفرهم ذلك وقالت فرقة سبب هذه الآية ان

المنافقين لما نزلت الآيات فى المتخلفين قالوا هلك اهل البوادى فنزلت هذه الآية مقيمة لعذر اهل البوادى قال (ع) فيجيء قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب عموم فى اللفظ والمراد به فى المعنى الجمهور والاكثر وتجيء هذه الآية مبينة لذلك وقالت فرقة هذه الآية ناسخة لكل ما ورد من الزام الكافة النفير والقتال وقال ابن عباس ما معناه ان هذه الآية مختصة بالبعوث والسرايا والآية المتقدمة ثابتة الحكم مع خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغزو وقالت فرقة يشبه ان يكون التفقه فى الغزو وفى السرايا لما يرون من نصرة الله لدينه واظهاره العدد القليل من المومنين على الكثير من الكافرين وعلمهم بذلك صحة دين الاسلام ومكانته قال (ع) والجمهور على ان التفقه انما هو بمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته وقيل غير هذا (ت) وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وقد استنفر رسول الله صلى الله عليه الناس فى غزوة تبوك واعلن بها حسب ما هو مصرح به فى حديث كعب ابن مالك في الصحاح فكان العتب متوجها على من تأخر عنه بعد العلم فيظهر والله اعلم ان الآية الاولى باق حكمها كما قال ابن عباس وتكون الثانية ليست فى معنى الغزو بل فى شان التفقه فى الدين على الاطلاق وهذا هو الذى يفهم من استدلالهم بالآية على فضل العلم وقد قالت فرقة ان هذه الآية ليست فى معنى الغزو وانما سببها قبائل من العرب اصابتهم مجاعة فنفروا الى المدينة لمعنى المعاش فكادوا يفسدونها وكان اكثرهم غير صحيح الايمان وانما اضرعه الجوع فنزلت الآية فى ذلك والانذار فى الآية عام للكفر والمعاصى والحذر منها ايضا كذلك قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال اذا اراد الله تبارك وتعالى

بعبد خيرا جعل فيه ثلاث خصال فقها فى الدين وزهادة فى الدنيا وبصّره بعيوبه انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار قيل ان هذه الآية نزلت قبل الامر بقتال الكفار كافة فهي من التدريج الذى كان فى اول الاسلام قال (ع) وهذا ضعيف فان هذه السورة من ءاخر ما نزل وقالت فرقة معنى الآية ان الله تبارك وتعالى امر فيها المومنين ان يقاتل كل فريق منهم الجنس الذى يليه من الكفرة * وقوله سبحانه وليجدوا فيكم غلظة اي خشونة وبأسا ثم وعد سبحانه فى ءاخر الآية وحض على التقوى التى هي مِلاك الدين والدنيا وبها يلقى العدو وقد قال بعض الصحابة انما تقاتلون الناس باعمالكم ووعد سبحانه انه مع المتقين ومن كان الله معه فلن يغلب * وقوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا الآية هذه الآية نزلت فى شان المنافقين وقولهم ايكم زادته هذه ايمانا يحتمل ان يكون لمنافقين مثلهم او لقوم من قراباتهم على جهة الاستخفاف والتحقير لشان السورة ثم ابتدأ عز وجل الرد عليهم بقوله فاما الذين ءامنوا فزادتهم ايمانا وذلك انه اذا نزلت سورة حدث للمومنين بها تصديق خاص لم يكن قبل فتصديقهم بما تضمنته السورة من اخبار وامر ونهي امر زائد على الذى كان عندهم قبل وهذا وجه من زيادة الايمان ووجه ءاخر ان السورة ربما تضمنت دليلا او تنبيها على دليل فيكون المومن قد عرف الله بعدة ادلة فاذا نزلت السورة زادت فى ادلته ووجه ءاخر من وجوه الزيادة ان الانسان ربما عرضه شك يسير او لاحت له شبهة مشغبة فاذا نزلت السورة ارتفعت تلك الشبهة وقوي ايمانه وارتقى اعتقاده عن معارضة الشبهات والذين فى قلوبهم مرض هم المنافقون والرجس فى اللغة يجيء

بمعنى القذر ويجيء بمعنى العذاب وحال هؤلاء المنافقين هي قذر وهي عذاب عاجل كفيل بآجل واذا تجدد كفرهم بسورة فقد زاد كفرهم فذلك زيادة رجس الى رجسهم * وقوله سبحانه اولا يرون يعنى المنافقين وقرأ حمزة اولا ترون بالتاء من فوق على معنى اولا ترون ايها المومنون انهم يفتنون اي يختبرون وقرأ مجاهد مرضة او مرضتين والذى يظهر مما قبل الآية ومما بعدها ان الفتنة والاختبار انما هي بكشف الله اسرارهم وافشائه عقائدهم اذ يعلمون ان ذلك من عند الله وبهذا تقوم الحجة عليهم واما الاختبار بالمرض فهو فى المومنين * وقوله سبحانه واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم المعنى واذا ما انزلت سورة فيها فضيحة اسرار المنافقين نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد اي هل معكم من ينقل عنكم هل يراكم من احد حين تدبرون اموركم ثم انصرفوا عن طريق الاهتداء وذلك انهم وقت كشف اسرارهم والاعلام بمغيبات امورهم يقع لهم لامحالة تعجب وتوقف ونظر فلو اريد بهم خير لكان ذلك الوقت مظنة الاهتداء وقد تقدم بيان قوله صرف الله قلوبهم * وقوله عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية مخاطبة للعرب فى قول الجمهور وهذا على جهة تعديد النعمة عليهم اذ جاءهم بلسانهم وبما يفهمونه من الاغراض والفصاحة وشرفوا به غابر الدهر وقوله من انفسكم يقتضى مدحا لنسبه صلى الله عليه وسلم وانه من صميم العرب وشرفها وقرأ عبد الله بن قسيط المكي من انفسكم بفتح الفاء من النفاسة ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله ما عنتم معناه عنتكم فما مصدرية والعنت المشقة وهي هنا لفظة عامة اي عزيز عليه ما شق عليكم من قتل واسار وامتحان بحسب الحق واعتقادكم ايضا معه حريص عليكم اي على ايمانكم وهداكم * وقوله بالمومنين رءوف اي مبالغ فى الشفقة عليهم قال ابو عبيدة الرأفة ارق الرحمة ثم خاطب سبحانه نبيه

بقوله فان تولوا اي اعرضوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم هذه الآيـة من ءاخر ما نزل وصلى الله على سيدنا ومولانا محمـد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمـن الـرحيم

تفسير سـورة يونس عليه السلام

بعضها نزل بمكـة وبعضها بالمدينـة قوله عز وجـل الرتلك ءايات الـكتاب الحـكيم المراد بالـكتاب القرءان والحـكيم بمعنى محـكم ويمكن ان يكون حكيم بمعنى ذى حـكمة فهو على النسب * وقوله عز وجل اكان للناس عجبا الآيـة قال ابن عباس وغيره سبب هذه الآية استبعاد قريش ان يبعث الله بشرا رسولا والقدم هنا ما قدم واختلف فى المراد بها هاهنـا فقـال ابن عبـاس ومجاهـد والضحاك وغيرهم هي الاعمال الصالحـات من العبـادات وقال الحسن بن ابى الحسن وقتادة هي شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ايضا وغيره هي السعادة السابقة لهم فى اللوح المحفوظ وهذا اليق الاقـوال بالآيـة ومن هذه اللفظـة قـول حسان رضي الله عنـه

لنا القدم العليا اليك وخلفنـا * لاولنا فى طاعـة الله تابـــع

ومن هذه اللفظة قوله صلى الله عليه وسلم حتى يضع الجبار فيها قدمه اي مـا قدم لها هذا على ان الجبار اسم الله تعالى والصدق هنا بمعنى الصلاح وقال البخاري قال زيـد بن اسلم قـدم صدق محمـد صلى الله عليه وسلم انتهى وقولهم ان هذا

لسحر مبين انما هو بسبب انه فرق بذلك كلمتهم وحال بين القريب وقريبه فاشبه ذلك ما يفعله الساحر فى ظنهم القاصر فسموه سحرا * وقوله سبحانه ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام الآية هذا ابتداء دعاء الى عبادة الله عز وجل وتوحيده وذكر بعض الناس ان الحكمة فى خلق الله تعالى هذه الاشياء فى مدة محدودة ممتدة وفى القدرة ان يقول لها كن فتكون انما هي ليعلم عباده التؤدة والتماهل فى الامور قال (ع) وهذا مما لا يوصل الى تعليله وعلى هذا هي الاجنة فى البطون وخلق الثمار وغير ذلك والله عز وجل قد جعل لكل شيء قدرا وهو اعلم بوجه الحكمة فى ذلك * وقوله سبحانه يدبر الامر يصح ان يريد بالامر اسم الجنس من الامور ويصح ان يريد الامر الذى هو مصدر امر يامر وتدبيره لا اله الا هو انما هو الانفاذ لانه قد احاط بكل شيء علما قال مجاهد يدبر الامر معناه يقضيه وحده * وقوله سبحانه مامن شفيع الا من بعد اذنه رد على العرب فى اعتقادها ان الاصنام تشفع لها عند الله * ذلكم الله اي الذى هذه صفاته فاعبدوه ثم قررهم على هذه الآيات والعبر فقال افلا تذكرون * وقوله اليه مرجعكم جميعا الآية انباء بالبعث * وقوله يبدؤا الخلق يريد النشأة الاولى والاعادة هي البعث من القبور * ليجزي هي لام كي والمعنى ان الاعادة انما هي ليقع الجزاء على الاعمال * وقوله بالقسط اي بالعدل * وقوله الذين كفروا ابتداء والحميم الحار المسخن وحميم النار فيما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا ادناه الكافر من فيه تساقطت فروة رأسه وهو كما وصفه سبحانه يشوى الوجوه * وقوله سبحانه هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا الآية هذا استمرار على وصف ءاياته سبحانه والتنبيه على صنعته الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته * وقوله وقدره منازل يحتمل ان يعود الضمير

على القمر وحده لانه المراعى فى معرفة عدد السنين والحساب عند العرب ويحتمل ان يريد الشمس والقمر معا لكنه اجتزأ بذكر احدهما كما قال والله ورسوله احق ان يرضوه * وقوله لتعلموا عدد السنين والحساب اي رفقا بكم ورفعا للالتباس فى معايشكم وغير ذلك مما يضطر فيه الى معرفة التواريخ * وقوله لقوم يعلمون انما خصهم لان نفع هذا فيهم ظهر * وقوله سبحانه ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض الآية ءاية اعتبار وتنبيه والآيات العلامات وخصص القوم المتقين تشريفا لهم اذ الاعتبار فيهم يقع ونسبتهم الى هذه الاشياء المنظور فيها افضل من نسبة من لم يهتد ولا اتقى * وقوله سبحانه ان الذين لا يرجون لقاءنا الآية قال ابو عبيدة وغيره يرجون فى هذه الآية بمعنى يخافون واحتجوا ببيت ابى ذؤيب

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * وحالفها فى بيت نوب عوامل

وقال ابن سِيدة والفراء لفظة الرجاء اذا جاءت منفية فانها تكون بمعنى الخوف فعلى هذا التاويل معنى الآية ان الذين لا يخافون لقاءنا وقال بعض اهل العلم الرجاء فى هذه الآية على بابه وذلك ان الكافر المكذب بالبعث لا يحسن ظنا بانه يلقى الله ولا له فى الآخرة امل اذ لو كان له فيها امل لقارنه لا محالة خوف وهذه الحال من الخوف المقارن هي القائدة الى النجاة قال (ع) والذى اقول به ان الرجاء فى كل موضع هو على بابه وان بيت الهذلي معناه لم يرج فقد لسعها قال ابن زيد هذه الآية فى الكفار * وقوله سبحانه ورضوا بالحيوة الدنيا يريد كانت منتهى غرضهم وقال قتادة فى تفسير هذه الآية اذا شئت رأيت هذا الموصوف صاحب دنيا لها يغضب ولها يرضى ولها يفرح ولها يهتم ويحزن فكان قتادة صورها فى العصاة

ولا يترتب ذلك الا مع تأول الرجاء على بابه لان المومن العاصي مستوحش من ٠اخرته فاما على التاويل الاول فمن لا يخاف الله فهو كافر * وقوله واطمأنوا بها تكميل فى معنى القناعة بها والرفض لغيرها * وقوله والذين هم عن آياتنا غافلون يحتمل ان يكون ابتداء اشارة الى فرقة اخرى ثم عقب سبحانه بذكر الفرقة الناجية فقال ان الذين ٠امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم الآية الهداية فى هذه الآية تحتمل وجهين احدهما ان يربد انه يديمهم ويثبتهم الثانى ان يريد انه يرشدهم الى طريق الجنان فى الآخره * وقوله بايماهم يحتمل ان يريد بسبب ايمانهم ويحتمل ان يكون الايمان هو نفس الهدى اي يهديهم الى طريق الجنة بنور ايمانهم قال مجاهد يكون لهم ايمانهم نورا يمشون به ويترکب هذا التاويل على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد المومن اذا قام من قبره للحشر تمثل له رجل جميل الوجه طيب الرائحة فيقول من انت فيقول انا عملك الصالح فيقوده الى الجنة وبعكس هذا فى الكافر ونحو هذا مما اسنده الطبري وغيره * وقوله سبحانه دعواهم اي دعاؤهم فيها وسبحانك اللهم تقديس وتسبيح وتنزيه لجلاله سبحانه عن كل ما لا يليق به وقال علي بن ابى طالب فى ذلك هي كلمات رضيها الله تعالى لنفسه وقال طلحة بن عبيد الله قلت يا رسول الله ما معنى سبحان الله فقال معناها تنزيها لله من السوء وحكي عن بعض المفسرين انهم رووا ان هذه الكلمة انما يقولها المومن عند ما يشتهى الطعام فانه اذا رأى طائرا او غير ذلك قال سبحانك اللهم فنزلت تلك الارادة بين يديه فوق ما اشتهى رواه ابن جريج وسفيان بن عيينة وعبارة الداودي عن ابن جريج دعواهم فيها قال اذا مر بهم الطائر يشتهونه كان دعواهم به سبحانك اللهم فياكلون منه ما يشتهون ثم يطير واذا جاءتهم

الملائكة بما يشتهون سلموا عليهم فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام واذا اكلوا حاجتهم قالوا الحمدلله رب العالمين فذلك قوله وءاخر دعواهم ان الحمدلله رب العالمين * وقوله سبحانه وتحيتهم فيها سلام يريد تسليم بعضهم على بعض والتحية ماخوذة من تمنى الحياة للانسان والدعاء بها يقال حياه ويحييه ومنه قول زهير بن جناب

من كل ما نال الفتى * قد نلته الا التحيه

يريد دعاء الناس للملوك بالحياة وقال بعض العلماء وتحيتهم يريد تسليم الله تعالى عليهم والسلام ماخوذ من السلامة وءاخر دعواهم اي خاتمة دعائهم وكلامهم فى كل موطن حمد الله وشكره على ما اسبغ عليهم من نعمه وقال ابن العربي فى احكامه فى تفسير هذه الآية قولان الاول ان الملك ياتيهم بما يشتهون فيقول سلام عليكم اي سلمتم فيردون عليه فاذا اكلوا قالوا الحمد لله رب العالمين الثانى ان معنى تحيتهم اي تحية بعضهم بعضا فقد ثبت فى الخبر ان الله تعالى خلق ءادم ثم قال له اذهب الى اولائك النفر من الملائكة فسلم عليهم فجاءهم فقال لهم سلام عليكم فقالوا له وعليك السلام ورحمة الله فقال له هذه تحيتك وتحية ذريتك من بعدك الى يوم القيامة وبين فى القرءان هاهنا انها تحيتهم فى الجنة فهي تحية موضوعة من اول الخلقة الى غير نهاية وقد روى ابن القاسم عن مالك فى قوله تعالى وتحيتهم فيها سلام اي هذا السلام الذى بين اظهركم وهذا اظهر الاقوال والله اعلم انتهى وقرأ الجمهور ان الحمد لله وهى عند سيبويه ان المخففة من الثقيلة قال ابو الفتح فهي بمنزلة قول الاعشى

فى فتية كسيوف الهند قد علموا * ان هالك كل من يحفى وينتعل

وقوله سبحانه ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم

الآيـة هذه الآيـة نزلت فى دعاء الرجل على نفسـه او ولده او مـاله فاخبر سبحانه انه لو فعل مع الناس فى اجابته الى المكروه مثل ما يريد فعله معهم فى اجابته الى الخير لاهلكهم وحذف بعد ذلك جملة يتضمنها الظاهر تقديرهـا فلا يفعل ذلك ولكن يذر الذين لايرجون لقاءنا الآيـة وقيـل ان هـذه الآيـة نزلت فى قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقيل نزلت فى قولهم ايتنا بما تعـدنا وماجرى مجراه والعمـه الخبط فى ضلال * وقوله سبحانـه واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبـه الآيـة هـذه الآيـة ايضا عتاب على سوء الخلق من بعض الناس ومضمنه النهي عن مثـل هذا والامر بالتسليم الى الله والضراعة اليه فى كل حال والعلم بان الخير والشر منه لا رب غيره وقوله لجنبه فى موضع الحال كانـه قال مضطجعا والضر عـام لجميع الامراض والرزايا * وقوله مر يقتضى ان نزولها فى الكفار ثم هي بعد تتناول كل من دخل تحت معناها من كافر وعـاص * وقـوله سبحانـه ولقد اهلكنا القرون من قبلكم الآية ءايـة وعيد للكفار وضرب امثال لهم وخلائف جمـع خليفـة * وقوله لننظر معناه لنبين فى الوجود ما علمناه ازلا لكن جرى القول على طريق الايجاز والفصاحة والمجاز وقال عمر رضي الله عنه ان الله تعالى انما جعلنا خلفاء لينظر كيف عملنـا فاروا الله حسن اعمالكم فى السر والعلانية * وقوله سبحانـه واذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا يعنى بعض كفار قريش ايت بقرءان غير هذا او بدله ثم امر سبحانـه نبيه ان يرد عليهم بالحق الواضح فقال قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا اعلمكم بـه وادريكم بمعنى اعلمكم تقول دريت بالامر وادريت بـه غيرى ثم قال فقد لبثت فيكم عمرا من قبله يعنى الاربعين سنة قبل بعثته عليه السلام اي فلم تجربونى فى كذب ولا تكلمت فى شيء من هـذا افـلا تعقلون ان

من كان على هذه الصفة لا يصح منه كذب بعد ان ولى عمره وتقاصر امله واشتدت حنكته وخوفه لربه * وقوله فمن اظلم استفهام وتقرير اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا او ممن كذب بآياته بعد بيانها والضمير فى يعبدون لكفار قريش وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله هذا قول النبلاء منهم ثم امر سبحانه نبيه ان يقررهم ويوبخهم بقوله اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض وذكر السموات لان من العرب من يعبد الملائكة والشعرى وبحسب هذا حسن ان يقول هؤلاء شفعاؤنا وقيل ذلك على تجوز فى الاصنام التى لا تعقل * وقوله سبحانه وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا قالت فرقة المراد ءادم كان امة وحده ثم اختلف الناس بعده وقالت فرقة المراد ءادم وبنوه من لدن نزوله الى قتل احد ابنيه الآخر ويحتمل ان يريد كان الناس صنفا واحدا بالفطرة معدا للاهتداء وقد تقدم الكلام على هذا فى قوله سبحانه كان الناس امة واحدة * وقوله سبحانه ولولا كلمة سبقت من ربك يريد قضاءه وتقديره لبنى ءادم بالآجال الموقتة ويحتمل ان يريد الكلمة فى امر القيامة وان العقاب والثواب انما يكون حينئذ * وقوله فقل انما الغيب لله اي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل * وقوله فانتظروا وعيد * وقوله سبحانه واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم الآية هذه الآية فى الكفار وهي بعد تتناول من العصاة من لا يودى شكر الله عند زوال المكروه عنه ولا يرتدع بذلك عن معاصيه وذلك فى الناس كثير والرحمة هنا بعد الضراء كالمطر بعد القحط والامن بعد الخوف ونحو هذا مما لا ينحصر والمكر الاستهزاء والطعن عليها من الكفار واطراح الشكر والخوف من العصاة وقال ابو علي اسرع من سرع لا من اسرع يسرع اذ لو كان من اسرع لكان شاذا قال (ع) وفى

الحديث فى نار جهنم لهي اسود من القار وما حفظ للنبي صلى الله عليه وسلم فليس بشاذ (ص) ورد بان اسود من فعل لا من افعل تقول سود فهو اسود وانما امتنع من سود ونحوه عند البصريين لانه لون انتهى * وقوله سبحانه هو الذى يسيركم فى البر والبحر الآية تعديد نعم منه سبحانه على عباده * وقوله سبحانه دعوا الله مخلصين له الدين اى نسوا الاصنام والشركاء وافردوا الدعاء لله سبحانه وذكر الطبري فى ذلك عن بعض العلماء حكاية قول العجم هيا شرا هيا ومعناه يا حي يا قيوم ويبغون معناه يفسدون * وقوله متاع الحياة الدنيا متاع خبر مبتدا محذوف تقديره هو متاع او ذلك متاع ومعنى الآية انما بغيكم وافسادكم مضر لكم وهو فى حالة الدنيا ثم تلقون عقابه فى الآخرة قال سفيان بن عيينة انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا اي تعجل لكم عقوبته وعلى هذا قالوا البغي يصرع اهله قال (ع) وقالوا الباغى مصروع قال تعالى ثم بغي عليه لينصرنه الله وقال النبي عليه السلام ما ذنب اسرع عقوبة من بغي * وقوله سبحانه انما مثل الحيوة الدنيا اي تفاخر الحياة الدنيا وزينتها بالمال والبنين اذ مصير ذلك الى الفناء كمطر نزل من السماء فاختلط به نبات الارض اي اختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء ولفظ البخاري قال ابن عباس فاختلط به نبات الارض فنبت بالماء من كل لون انتهى واخذت الارض لفظة كثرت فى مثل هذا كقوله خذوا زينتكم والزخرف التزيين بالالوان وقرأ ابن مسعود وغيره وتزينت وهذه اصل قراءة الجمهور * وقوله وظن اهلها على بابها وهذا الكلام فيه تشبيه جملة امر الحياة الدنيا بهذه الجملة الموصوفة احوالها وحتى غاية وهي حرف ابتداء لدخولها على اذا ومعناهما متصل الى قوله قادرون عليها ومن بعد ذلك بدأ الجواب والامر الآتى واحد الامور كالريح والصر والسموم ونحو ذلك وتقسيمه

ليلا اونهارا تنبيه على الخوف وارتفاع الامن فى كل وقت وحصيدا بمعنى محصود اي تالفا مستهلكا كأن لم تغن اي كان لم تنضرولم تنعم ولم تعمر بغضارتها ومعنى الآية التحذير من الاغترار بالدنيا اذ هي معرضة للتلف كنبات هذه الارض وخص المتفكرين بالذكر تشريفا للمنزلة وليقع التسابق الى هذه الرتبة * والله يدعوا الى دار السلام الآية نص ان الدعاء الى الشرع عام فى كل بشر والهداية التي هي الارشاد مختصة بمن قدر ايمانه والسلام هنا قيل هو اسم من اسماء الله تعالى والمعنى يدعو الى داره التي هي الجنة وقيل السلام بمعنى السلامة * وقوله سبحانه للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الجمهور الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله عز وجل وفى صحيح مسلم من حديث صهيب فيكشف الحجاب فما اعطوا شيأ احب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل وفى رواية ثم تلا هذه الآية للذين احسنوا الحسنى وزيادة واخرج هذه الزيادة النساءي عن صهيب واخرجها عن صهيب ايضا ابو داود الطيالسي انتهى من التذكرة * وقوله سبحانه ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة الآية ويرهق معناه يغشى مع غلبة وتضييق والقتر الغبار المسود * وقوله سبحانه والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت فرقة التقدير لهم جزاء سيئة بمثلها وقالت فرقة التقدير جزاء سيئة مثلها والباء زائدة وتعم السيئات هاهنا الكفر والمعاصي والعاصم المنجى والمجير واغشيت كسيت والقطع جمع قطعة وقرأ ابن كثير والكساءي قطعا من الليل بسكون الطاء وهو الجزء من الليل والمراد الجزء من سواده وباقى الآية بين ومكانكم اسم فعل الامر ومعناه قفوا واسكنوا (ت) قال (ص) وقدر باثبتوا واما من قدره بالزموا مكانكم فمردود لان الزموا متعد ومكانكم لا يتعدى فلا يقدر به والا لكان متعديا واسم الفعل على حسب الفعل ان متعديا فمتعد وان لازما فلازم ثم اعتذر بانه

يمكن ان يكون تقديره بالزموا تقدير معنى لا تقدير اعراب فلا اعتراض انتهى قال (ع) فاخبر سبحانه عن حالة تكون لعبدة الاوثان يوم القيامة يومرون بالاقامة فى موقف الخزي مع اصنامهم ثم ينطق الله شركاءهم بالتبرى منهم * وقوله فزيلنا بينهم معناه فرقنا فى الحجة والمذهب روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الكفار اذا رأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب قيل لهم اتبعوا ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد هؤلاء فتقول الاصنام والله ما كنا نسمع ولا نعقل وما كنتم ايانا تعبدون فيقولون والله لاياكم كنا نعبد فتقول الآلهة فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم الآية وظاهر الآية ان محاورتهم انما هي مع الاصنام دون الملائكة وعيسى بدليل القول لهم مكانكم انتم وشركاؤكم ودون فرعون ومن عبد من الجن بدليل قولهم ان كنا عن عبادتكم لغافلين وان هذه عند سيبويه المخففة من الثقيلة موجبة ولزمتها اللام فرقا بينها وبين ان النافية وعند الفراء ان نافية بمعنى ما واللام بمعنى الا وقرأ نافع وغيره تبلوا بالباء الموحدة بمعنى تختبر وقرأ حمزة والكسائي تتلوا بتاءين بمعنى تتبع وتطلب ما اسلفت من اعمالها (ت) قال (ص) كقوله

ان المريب يتبع المريبا * كما رأيت الذيب يتلو الذيبا

اي يتبعه انتهى ويصح ان يكون بمعنى تقرأ كتبها التى تدفع اليها * وقوله ومن يدبر الامر الآية تدبير الامر عام فى جميع الاشياء وذلك استقامة الامور كلها على ارادته عز وجل وليس تدبيره سبحانه بفكر وروية وتغييرات تعالى عن ذلك بل علمه سبحانه محيط كامل دائم * فسيقولون الله اي لا مندوحة لهم عن ذلك ولا تمكنهم المباهتة بسواه فاذا اقروا بذلك فقل افلا تتقون فى افترائكم وجعلكم الاصنام آلهة * وقوله فذلكم الله ربكم الآية يقول فهذا الذى هذه صفاته ربكم الحق اي المستوجب للعبادة

والالوهيــة واذا كان كذلــك فتشريــك غيره ضــلال وغير حق قال (ع)
وعبارة القرءان فى سوق هذه المعانى تفوت كل تفسير براعة وايجازا ووضوحا
وحكمت هذه الآيــة بانــه ليس بــين الحق والضلال منزلة ثالثــة فى هــذه
المسئلة التى هي توحيد الله تعالى وكذلك هو الامر فى نظائرها من مسائل
الاصول التي الحق فيها فى طرف واحد لان الكلام فيها انمــا فى تقرير وجود
ذات كيف هي وذلك بخلاف مسائل الفروع التى قال الله تعالى فيها لكل
جعلنــا منكم شرعــة ومنهاجــا * وقوله فانى تصرفــون تقرير كما قال فاين
تذهبون ثم قال كذلك حقت اي كما كانت صفات الله كما وصف وعبادتــه
واجبــة كما تقرر وانصراف هوءلاء كما قدر عليهم كذلك حقت كلمات ربك
الآيــة وقرأ ابو عمرو وغيره كلمة على الافراد الذى يراد بــه الجمع كما يقال
للقصيدة كلمة فعبر عن وعيد الله تعالى بكلمــة * وقوله سبحانه قــل هل من
شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده الآيــة توقيف على قصور الاصنام وعجزهــا
وتنبيه على قدرة الله عز وجل وتوفكون معناه تصرفون وتحرمون وارض مافوكة
اذا لم يصبها مطر فهي بمعنى الخيبــة * وقوله تعالى قــل هل من شركائكم من
يهدى الى الحق اي يبــين طرق الصواب ثم وصف الاصنام بانها لاتهدى الا
ان تهــدى * وقوله الا ان يهدى فيــه تجوز لانا نجدها لاتهــدى وان هديت
وقال بعضم هي عبارة عن انهــا لا تنتقل الا ان تنقــل ويحتمل ان يكون
مــا ذكر الله مــن تسبيح الجمادات هو اهتــداؤهــا وقرأ نافع وابو عمرو يهدى
بسكون الهاء وتشديد الدال وقرأ ابن كثير وابن عامر يهدى بفتح اليــاء
والهاء وتشديد الدال وهذه رواية ورش عن نافع وقرأ حمزة والكساءي يهدى
بفتح الياء وسكون الهاء ومعنى هذه القراءة امن لا يهدى احــدا الا ان
يهدي ذلك الاحد ووقف القراء فمــا لــكم ثم يبــدأ كيف تحــكمــون *

وقوله سبحانه وما يتبع اكثرهم الاظنا الآية اخبر الله سبحانه عن فساد طريقتهم وضعف نظرهم وانه ظن ثم بين منزلة الظن من المعارف وبعده عن الحق * وقوله سبحانه وما كان هذا القرءان ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه هذا رد لقول من يقول ان محمدا يفترى القرءان والذى بين يديه التوراة والانجيل وهم يقطعون انه لم يطالع تلك الكتب ولاهي فى بلده ولافى قومه وتفصيل الكتاب هو تبيينه * وقوله ام يقولون افتراه الآية ام هذه ليست بالمعادله لهمزة الاستفهام فى قوله ازيد قام ام عمرو ومذهب سيبوية انها بمنزلة بل ثم عجزهم سبحانه بقوله قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم الآية والتحدى فى هذه الآية عند الجمهور وقع بجهتي الاعجاز اللتين فى القرءان احداهما النظم والرصف والايجاز والجزالة كل ذلك فى التعريف والاخرى المعانى من الغيب لما مضى ولما يستقبل وحين تحداهم بعشر مفتريات انما تحداهم بالنظم وحده ثم قال (ع) هذا قول جماعة المتكلمين ثم اختار ان الاعجاز فى الآيتين انما وقع فى النظم لا فى الاخبار بالغيوب (ت) والصواب ما تقدم للجمهور واليه رجع فى سورة هود واوجه اعجاز القرءان اكثر من هذا وانظر الشفا وقوله من استطعتم احالة على شركائهم * وقوله سبحانه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه الآية المعنى ليس الامر كما قالوا من انه مفترى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله اي تفسيره وبيانه ويحتمل ان يريد بما لم ياتهم تاويله اي ما يئول اليه امره كما هو فى قوله هل ينظرون الا تاويله وعلى هذا فالآية تتضمن وعيدا والذين من قبلهم من سلف من امم الانبياء * وقوله سبحانه ومنهم من يومن به الآية اي ومن قريش من يومن بهذا الرسول ولهذا الكلام معنيان قالت فرقة معناه من هؤلاء القوم من سيومن فى المستقبل ومنهم من

حتم الله عليه انـه لا يومن بـه ابدا وقالت فرقـة معناه ومنهم من يومـن بهـذا الرسول الا انـه يكتم ايمانه حفظا لرياسته او خوفا من قومه كالفتـية الذين قتلوا مع الكفار ببدر قال (ع) وفائدة الآية على هـذا التاويـل التـفريق لكلمـة الكفار واضعاف نفوسهم وفى قوله وربك اعلم بالمفسـدين تهديـد ووعيد * وقوله سبحانـه وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم الآيـة فيها منابذة ومتاركة قال كثير من المفسرين منهم ابن زيد هذه الآيـة منسوخة بالقتال وباقى الآيـة بين * وقوله سبحانه ويوم نحشرهم الآيـة وعيد بالحشر وخزيهم فيه وتعارفهم على جهة التلاوم والخزي من بعضهم لبعض حيث لا ينفع ذلك * وقوله سبحانه قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله الى ءاخرها حكم من الله عز وجل على المكذبين بالخسران وفى اللفظ اغلاظ وقيل ان هذا الكلام من كلام المحشورين على جهة التوبيخ لانفسهم (ت) والاول ابين * وقوله واما نرينك الآيـة اما شرط وجوابـه فالينا والرؤيـة فى نرينك بصريـة ومعنى هذه الآية الوعيد بالرجوع الى الله تعالى اي ان اريناك عقوبتهم او لم نركها فهم على كل حال راجعون الينا الى الحساب والعذاب ثم مع ذلك فالله شهيد من اول تكليفهم على جميـع اعمـالهم فثم لترتيب الاخبـار لا لترتيب القصص فى انفسها واما هي ان زيدت عليها ما ولاجلها جاز دخول النون الثقيلة ولو كانت ان وحدها لم يجز (ص) واعترض بان مذهب سيبويـه جواز دخولها وان لم تكن ما انتهى * وقوله سبحانه ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط قال مجاهد وغيره المعنى فاذا جاء رسولهم يوم القيامـة للشهـادة عليهم صير قوم للجنـة وقوم للنار فذلك القضاء بينهم بالقسط * وقوله سبحانه ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قـل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون الآيـة الضمير

فى يقولون لكفار قريش وسؤالهم عن الوعد تحرير منهم بزعمهم للحجة اي
هذا العذاب الذى توعدنا به حدد لنا وقته لنعلم الصدق فى ذلك من الكذب
ثم امر الله تعالى نبيه ان يقول على جهة الرد عليهم قل لااملك لنفسى
ضرا ولانفعا الاما شاء الله ولكن لكل امة اجل انفرد الله بعلم حده ووقه
وباقى الآية بين * وقوله ما ذا يستعجل منه المجرمون اي فما تستعجلون
منه وانتم لاقبل لكم به والضمير فى منه يحتمل ان يعود على الله عز وجل
ويحتمل ان يعود على العذاب * وقوله اثم اذا ما وقع ءامنتم به المعنى اذا وقع
العذاب وعاينتموه ءامنتم حينئذ وذلك غير نافعكم بل جوابكم الآن وقد
كنتم تستعجلونه مكذبين به ويستنبئونك معناه يستخبرونك وهي على هذا
تتعدى الى مفعولين احدهما الكاف والآخر الجملة وقيل هي بمعنى يستعملونك
فعلى هذا تحتاج الى ثلاثة مفاعيل (ص) ورد بان الاستنباء لا يحفظ تعديه
الى ثلاثة ولا استعلم الذى هو بمعناه انتهى واحق هو قيل الاشارة الى الشرع
والقرءان وقيل الى الوعيد وهو اظهر * وقوله اي وربي اي بمعنى نعم وهي
لفظة تتقدم القسم ويجىء بعدها حرف القسم وقد لا يجىء تقول اي وربى
واي ربى ومعجزين معناه مفلتين * وقوله سبحانه ولو ان لكل نفس ظلمت ما
فى الارض لافتدت به واسروا الندامة الآية واسروا لفظة تجىء بمعنى اخفوا
وهي حينئذ من السر وتجىء بمعنى اظهروا وهي حينئذ من اسارير الوجه (ص)
قال ابو البقاء وهو مستانف وهو حكاية ما يكون فى الآخرة * وقوله
تعالى الا ان لله ما فى السموات والارض الآية الا استفتاح وتنبيه وباقى
الآية بين * وقوله سبحانه يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم
الآية هذه ءاية خوطب بها جميع العالم والموعظة القرءان لان الوعظ انما هو
بقول يامر بالمعروف ويزجر ويرقق القلوب ويعد ويوعد وهذه صفة الكتاب

العزيز وقوله من ربكم يريد لم يختلقها محمد ولا غيره وما فى الصدور يريد به الجهل ونحوه وجعله موعظة بحسب الناس اجمع وجعله هدى ورحمة بحسب المومنين فقط وهذا تفسير صحيح المعنى اذا تأمل بان وجهه * وقوله سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال ابن عباس وغيره الفضل الاسلام والرحمة القرءان وقال ابو سعيد الخدري الفضل القرءان والرحمة ان جعلهم من اهله وقال زيد بن اسلم والضحاك الفضل القرءان والرحمة الاسلام قال (ع) ولا وجه عندى لشيء من هذا التخصيص الا ان يستند شيء منه الى النبي صلى الله عليه وسلم وانما الذى يقتضيه اللفظ ويلزم منه ان الفضل هو هداية الله تعالى الى دينه والتوفيق الى اتباع شرعه والرحمة هي عفوه وسكنى جنته التى جعلها جزاء على التشرع بالاسلام والايمان به ومعنى الآية قل يا محمد لجميع الناس بفضل الله ورحمته فليقع الفرح منكم لا بامور الدنيا وما يجمع من حطامها فان قيل كيف امر الله بالفرح فى هذه الآية وقد ورد ذمه فى قوله فرح فخور وفى قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قيل ان الفرح اذا ورد مقيدا فى خير فليس بمذموم وكذلك هو فى هذه الآية واذا ورد مقيدا فى شر او مطلقا لحقه ذم اذ ليس من افعال الآخرة بل ينبغى ان يغلب على الانسان حزنه على دينه وخوفه لربه * وقوله مما يجمعون يريد مال الدنيا وحطامها الفانى المردى فى الآخرة * وقوله سبحانه قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا الآية قال (ص) ارأيتم مضمن معنى اخبرونى وما موصولة قال (ع) هذه المخاطبة لكفار العرب الذين جعلوا البحائر والسوائب وغير ذلك * وقوله انزل لفظة فيها تجوز * وقوله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ٠اية وعيد لما تحقق عليهم بتقسيم الآية التى قبلها انهم مفترون على

الله عظم فى هذه الآيـة جرم الافتراء اي ظنهم فى غايـة الرداءة بحسب سوء افعالهم ثم ثنى بذكر الفضل على الناس فى الامهال لهم مع الافتراء والعصيان اذ الامهـال لهم داعيـة الى التوبـة والانابـة ثم الآيـة تعم جميـع فضـل الله سبحانـه وجميـع تقصير الخلق * وقوله سبحانه وما تكون فى شأن الآيـة مقصد هذه الآيـة وصف احاطة الله عز وجل بكل شيء لا رب غيره ومعنى اللفظ ومـا تكون يا محمـد والمراد هو وغيره فى شـأن من جميع الشئـون وما تتلوا منه الضمير عائد على شأن اي فيه وبسببه من قرءان ويحتمل ان يعود الضمير على جميع القرءان وقال (ص) ضمير منـه عائـد على شأن ومن قرءان تفسير للضمـير انتهى وهو حسن ثم عم سبحانـه بقوله ولا تعملون من عمـل وفى قوله سبحانـه الا كنا عليكم شهودا تحذير وتنبيـه (ت) وهذه الآيـة عظيمة الموقع لاهل المراقبة تثير من قلوبهم اسرارا ويغترفون من بحر فيضها انوارا وتفيضون معناه تاخذون وتنهضون بجد وما يعزب معناه ومـا يغيب عن ربك من مثقال ذرة والكتاب المبين هو اللوح المحفوظ ويحتمل ما كتبته الحفظة * وقوله سبحانـه الا ان اولياء الله الآيـة الا استفتاح وتنبيـه واوليـاء الله هم المومنون الذين والوه بالطاعة والعبادة وهذه الآية يعطى ظاهرها ان من ءامن واتقى الله فهو داخل فى اولياء الله وهذا هو الذى تقتضيه الشريعـة فى الولي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انـه سئل من اولياء الله فقال الـذين اذا رأيتهم ذكرت الله قال (ع) وهـذا وصف لازم للمتقـين لانهم يخشعـون ويخشعون وروي عنه صلى الله عليه وسلم ايضا انـه قال اولياء الله قوم تحابوا فى الله واجتمعـوا فى ذاتـه لم تجمعهم قرابـة ولا مـال يتعاطونـه وروى الدارقطني فى سننه عن النبي صلى الله عليـه وسلم انه قال خيار عباد الله الذين اذ ارءوا ذكر الله وشر عبـاد الله المشاءون بالنميمة المفرقـون بين الاحبـة الباغون

للبرءاء العيب انتهى من الكوكب الدري * وقوله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون يعنى فى الآخرة ويحتمل فى الدنيا لايخافون احدا من اهل الدنيا ولا من اعراضها ولا يحزنون على ما فاتهم منها والاول اظهر والعموم فى ذلك صحيح لا يخافون فى الآخرة جملة ولا فى الدنيا الخوف الدنياوي وذكر الطبري عن جماعة من العلماء مثل ما فى الحديث فى الاولياء انهم هم الذين اذا رءاهم احد ذكر الله وروي فيهم حديث ان اولياء الله هم قوم يتحابون فى الله ويجعل لهم يوم القيامة منابر من نور وتنير وجوههم فهم فى عرصات القيامة لا يخافون ولا يحزنون وروى عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من عباد الله عبادا ماهم بانبياء ولاشهداء يغبطهم الانبياء والشهداء لمكانتهم من الله قالوا ومن هم يا رسول الله قال قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام ولا اموال الحديث ثم قرأ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (ت) وقد خرج هذا الحديث ابو داود والنساءي قال ابو داود فى هذا الحديث فو الله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور ذكره باسناد ءاخر انتهى ورواه ايضا ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن ابى مالك الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيئون والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله عز وجل فقال اعرابي انعتهم لنا يانبي الله فقال هم ناس من ابناء الناس لم تصل بينهم ارحام متقاربة تحابوا فى الله وتصافوا فيه يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة وهم لا يفزعون وهم اولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون انتهى * وقوله تعالى لهم البشرى الآية اما بشرى الآخرة فهي بالجنة بلا خلاف قولا واحدا وذلك هو الفضل الكبير واما بشرى الدنيا

فتظاهرت الاحاديث من طرق عن النبي صلى الله عليه وسلم انها الرؤيا الصالحة يراها المومن او ترى له وقال قتادة والضحاك البشرى فى الدنيا هي ما يبشر به المومن عند موته وهو حي عند المعاينة ويصح ان تكون بشرى الدنيا ما فى القرءان من الآيات المبشرات ويقوى ذلك بقوله لاتبديل لكلمات الله ويؤول قوله صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا انه اعطى مثالا يعم جميع الناس * وقوله سبحانه لا تبديل لكلمات الله يريد لا خلف لمواعيده ولا رد فى امره وقد اخذ ذلك ابن عمر على نحو غير هذا وجعل التبديل المنفي فى الالفاظ وذلك انه روي ان الحجاج خطب فقال الا ان عبد الله بن الزبير قد بدل كتاب الله فقال له عبد الله بن عمر انك لاتطيق ذلك انت ولا ابن الزبير لاتبديل لكلمات الله وقد روي هذا النظر عن ابن عباس فى غير مقاولة الحجاج ذكره البخاري * وقوله تعالى ولايحزنك قولهم اي قول قريش فهذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولفظة القول تعم جحودهم واستهزاءهم وخداعهم وغير ذلك ثم ابتدأ تعالى فقال ان العزة لله جميعا اي لا يقدرون لك على شيء ولايوذونك الا بما شاء الله ففى الآية وعيد لهم ثم استفتح بقوله الا ان لله من فى السموات ومن الارض اي بالملك والاحاطة * وقوله تعالى وما يتبع يصح ان تكون ما استفهاما ويصح ان تكون نافية (ت) ورجح هذا الثانى * وقوله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان نافية ويخرصون معناه يحدسون ويخمنون * وقوله عز وجل هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الآية فى هذه الالفاظ ايجاز واحالة على ذهن السامع لان العبرة فى ان الليل مظلم يسكن فيه والنهار مبصر يتصرف فيه فذكر طرفا من هذا وطرفا من الجهة الثانية ودل المذكوران على المتروكين * وقوله يسمعون يريد يوعون والضمير فى قالوا لكفار العرب ثم الآية بعد تعم كل من قال نحو هذا القول كالنصارى

وسبحانه معناه تنزيها له وبراءة من ذلك فسره بهذا النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله ان عندكم من سلطان بهذا ان نافية والسلطان الحجة وكذلك معناه حيث تكرر فى القرءان ثم وبخهم تعالى بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون * وقوله سبحانه ان الذين يفترون الآية توعد لهم بانهم لا يظفرون ببغية ولا يبقون فى نعمة اذ هذه حال من يصير الى العذاب وان نعم فى دنياه يسيرا * وقوله تعالى متاع مرفوع على خبر ابتداء اي ذلك متاع قال (ص) متاع جواب سؤال مقدر كانه قيل كيف لا يفلحون وهم فى الدنيا مفلحون بانواع التلذذات فقيل ذلك متاع فهو خبر مبتدا محذوف انتهى وهذا الذى قدره (ص) يفهم من كلام (ع) وقول نوح عليه السلام يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى الآية المقام وقوف الرجل لكلام او خطبة او نحوه والمقام بضم الميم اقامته ساكنا فى موضع او بلد ولم يقرأ هنا بضم الميم فيما علمت وتذكيره وعظه وزجره * وقوله فاجمعوا من اجمع الرجل على الشيء اذا عزم عليه ومنه الحديث ما لم يجمع مكثا وامركم يريد به قدرتكم وحيلكم ونصب الشركاء بفعل مضمر كانه قال وادعوا شركاءكم فهو من باب

علفتها تبنا وماء باردا * حتى شتت همالة عيناها

وفى مصحف ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم قال الفارسي وقد ينتصب الشركاء بواو مع كما قالوا جاء البرد والطيالسة * وقوله ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي ملتبسا مشكلا ومنه قوله عليه السلام فى الهلال فان غم عليكم * وقوله ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي انفذوا قضاءكم نحوى ولا تؤخرونى والنظرة التاخير * وقوله سبحانه فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف مضى شرح هذه المعانى * وقوله سبحانه فانظر كيف كان عاقبة المنذرين مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم يشاركه فى معناها جميع الخلق * وقوله

سبحانه ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم الضمير فى من بعده عائد على نوح عليه السلام * وقوله تعالى فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين معنى هذه الآية ضرب المثل لحاضرى نبينا محمد عليه السلام ليعتبروا بمن سلف والبينات المعجزات والضمائر فى ما كانوا ليومنوا وفى كذبوا تعود الثلاثة على قوم الرسل وقيل الضمير فى كذبوا يعود على قوم نوح وقد تقدم تفسير نظيرها فى الاعراف * وقوله سبحانه فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين الآية يريد بالحق آيتي العصا واليد * وقوله اسحر هذا قالت فرقة هو حكاية عن موسى عنهم ثم اخبرهم موسى عن الله ان الساحرين لا يفلحون ثم اختلفوا فى معنى قول قوم فرعون فقال بعضهم قالها منهم كل مستفهم جاهل بالامر فهو يسئل عنه وهذا ضعيف وقال بعضهم بل قالوا ذلك على معنى التعظيم للسحر الذى رأوه وقالت فرقة ليس ذلك حكاية عن موسى عنهم وانما هو من كلام موسى وتقدير الكلام اتقولون للحق لما جاكم سحر ثم ابتدأ يوقفهم بقوله اسحر هذا على جهة التوبيخ وقولهم لتلفتنا اي لتصرفنا وتلوينا وتردنا عن دين آبائنا يقال لفت الرجل عنق الآخر اذا الواه ومنه قولهم التفت فانه افتعل من لفت عنقه اذا الواه والكبرياء مصدر من الكبر والمراد به فى هذا الموضع الملك قاله اكثر المتأولين لانه اعظم تكبر الدنيا وقرأ ابو عمرو وحده به آلسحر بهمزة استفهام ممدودة وفى قراءة ابي ما اتيتم به سحر والتعريف هنا فى السحر ارتب لانه تقدم منكرا فى قولهم ان هذا لسحر فجاء هنا بلام العهد قال (ص) قال الفراء انما قال السحر بال لان النكرة اذا اعيدت اعيدت بأل وتبعه ابن عطية ورد بان شرط ما ذكراه اتحاد

مدلول النكرة المعادة كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وهنا السحر المنكر هو ما اتى به موسى والمعروف ما اتوا به هم فاختلف مدلولها والاستفهام هنا على سبيل التحقير انتهى وهو حسن * وقوله ان الله سيبطله ايجاب عن عدة من الله تعالى * وقوله ان الله لايصلح عمل المفسدين يحتمل ان يكون ابتداء خبر من الله عز وجل ويحتمل ان يكون من كلام موسى عليه السلام وكذلك قوله ويحق الله الحق الآية محتمل للوجهين وكون ذلك كله من كلام موسى اقرب وهو الذى ذكر الطبري واما قوله بكلماته فمعناه بكلماته السابقة الازلية فى الوعد بذلك * وقوله عز وجل فما ءامن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم اختلف المتأولون فى عود الضمير الذى فى قومه فقالت فرقة هو عائد على موسى وذلك فى اول مبعثه وملا الذرية هم اشراف بنى اسرءايل قال (ص) وهذا هو الظاهر وقالت فرقة الضمير فى قومه عائد على فرعون وضمير ملائهم عائد على الذرية قال (ع) ومما يضعف عود الضمير على موسى ان المعروف من اخبار بنى اسراءيل انهم كانوا قوما تقدمت فيهم النبوءات ولم يحفظ قط ان طائفة من بني اسراءيل كفرت به فدل على ان الذرية من قوم فرعون * وقوله سبحانه وقال موسى يا قوم ان كنتم ءامنتم بالله فعليه توكلوا الآية هذا ابتداء حكاية قول موسى لجماعة بنى اسراءيل مونسا لهم ونادبا الى التوكل على الله عز وجل الذى بيده النصر قال المحاسبي قلت لابى جعفر محمد بن موسى ان الله عز وجل يقول وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين فما السبيل الى هذا التوكل الذى ندب الله اليه وكيف دخول الناس فيه قال ان الناس متفاوتون فى التوكل وتوكلهم على قدر ايمانهم وقوة علومهم قلت فما معنى ايمانهم

قال تصديقهم بمواعيد الله عز وجل وثقتهم بضمان الله تبارك وتعالى قلت من اين فضلت الخاصة منهم على العامة والتوكل فى عقد الايمان مع كل من ءامن بالله عز وجل قال ان الذى فضلت به الخاصة على العامة دوام سكون القلب عن الاضطراب والهدو عن الحركة فعندها يافتى استراحوا من عذاب الحرص وفكوا من اسر الطمع واعتقوا من عبودية الدنيا وابنائها وحظوا بالروح فى الدارين جميعا فطوبى لهم وحسن مئاب قلت فما الذى يولد هذا قال حالتان دوام لزوم المعرفة والاعتماد على الله عز وجل وترك الحيل والثانية الممارسة حتى يألفها الفا ويختارها اختيارا فيصير التوكل والهدو والسكون والرضى والصبر له شعارا ودثارا انتهى من كتاب القصد الى الله سبحانه * وقولهم ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين المعنى لا تنزل بنا بلاء بايديهم او بغير ذلك مدة محاربتنا لهم فيفتنون لذلك ويعتقدون صلاح دينهم وفساد ديننا قاله مجاهد وغيره فهذا الدعاء على هذا التاويل يتضمن دفع فصلين احدهما القتل والبلاء الذى توقعه المومنون والآخر ظهور الشرك باعتقاد اهله انهم اهل الحق ونحو هذا قوله صلى الله عليه وسلم بيس الميت ابو امامة ليهود والمشركين يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه ورجح (ع) فى سورة الممتحنة قول ابن عباس ان معنى لا تجعلنا فتنة للذين كفروا لا تسلطهم علينا فيفتنونا انظره هناك * وقوله سبحانه واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا روي ان فرعون اخاف بني اسرايل وهدم لهم مواضع كانوا اتخذوها للصلاة ونحو هذا فاوحى الله الى موسى وهارون ان تبوءا اي اتخذا وتخيرا لبنى اسرايل بمصر بيوتا قال مجاهد مصر فى هذه الآية الاسكندرية ومصر ما بين اسوان والاسكندرية * وقوله سبحانه واجعلوا بيوتكم قبلة قيل معناه مساجد قاله ابن عباس وجماعة قالوا خافوا فامروا بالصلاة فى بيوتهم وقيل معناه موجهة

الى القبلة قاله ابن عباس ومن هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير بيوتكم ما استقبل به القبلة * وقوله واقيموا الصلوة خطاب لبني اسراءيل وهذا قبل نزول التوراة لانها لم تنزل الا بعد اجازة البحر * وقوله وبشر المومنين امر لموسى عليه السلام وقال الطبري ومكي هو امر لنبينا محمد عليه السلام وهذا غير متمكن * وقوله سبحانه وقال موسى ربنا انك ءاتيت فرعون وملأه زينة الآية هذا غضب من موسى على القبط ودعاء عليهم لما عتوا وعاندوا وقدم للدعاء تقرير نعم الله عليهم وكفرهم بها وءاتيت معناه اعطيت واللام في ليضلوا لام كي ويحتمل ان تكون لام الصيرورة والعاقبة المعنى آتيتهم ذلك فصار امرهم الى كذا وقرأ حمزة وغيره ليضلوا بضم الياء على معنى ليضلوا غيرهم * وقوله ربنا اطمس على اموالهم هو من طموس الاثر والعين وطمس الوجوه منه وتكرير قوله ربنا استغاثة كما يقول الداعي يا الله يا الله روي انهم حين دعا موسى بهذه الدعوة رجع سكرهم حجارة ودراهمهم ودنانيرهم وحبوب اطعمتهم رجعت حجارة قاله قتادة وغيره وقال مجاهد وغيره معناه اهلكها ودمرها * وقوله واشدد على قلوبهم بمعنى اطبع واختم عليهم بالكفر قاله مجاهد والضحاك * وقوله فلا يومنوا مذهب الاخفش وغيره ان الفعل منصوب عطفا على قوله ليضلوا وقيل منصوب في جواب الامر وقال الفراء والكساءي هو مجزوم على الدعاء وجعل رؤية العذاب نهاية وغاية وذلك لعلمه من الله ان المومن عند رؤية العذاب لا ينفعه ايمانه في ذلك الوقت ولا يخرجه من كفره ثم اجاب الله دعوتهما قال ابن عباس العذاب هنا الغرق وروي ان هارون كان يؤمن على دعاء موسى فلذلك نسب الدعوة اليهما قاله محمد ابن كعب القرظي قال البخاري وعدوا من العدوان انتهى وقول فرعون ءامنت انه لا اله الا الذى ءامنت به بنو اسراءيل الآية روي عن النبي

صلى الله عليه وسلم ان جبريـل عليه السلام قال مـا ابغضت احـدا قط بغضي لفرعون ولقد سمعته يقول ءامنت الآيـة فاخذت من حال البحر فملأت فمه مخافـة ان تلحقـه رحمـة الله وفى بعض الطرق مخافة ان يقـول لا اله الا الله فتلحقه الرحمة قال (ع) فانظر الى كلام فرعون ففيـه مجهلة وتلعثم ولا عذر لاحد فى جهل هذا وانمـا العذر فيما لاسبيل الى علمه كقول علي رضي الله عنـه اهللت باهلال كاهلال النبي صلى الله عليه وسلم والحال الطين والآثار بهـذا كثيرة مختلفـة الالفاظ والمعنى واحد وقوله سبحانـه ءالآن وقد عصيت قبل وهذا على جهة التوبيخ له والاعلان بالنقمـة منه وهذا الكلام يحتمـل ان يكـون من ملك موصـل عن الله او كيف شاء الله ويحتمل ان يكـون هـذا الكلام معنى حاله وصورة خزيـه وهذه الآيـة نص فى رد توبـة المعاين ✲ وقـوله سبحانـه فاليوم ننجيـك ببدنـك الآيـة يقـوى انـه صورة حاله لان هذه الالفـاظ انمـا يظهر انها قيلت بعد غرقه وسبب هذه المقالة على مـا روي ان بنى اسراءيل بعد عندهم غرق فرعون وهلاكه لعظمه فى نفوسهم وكذب بعضهم ان يكـون فرعون يموت فنجي على نجوة من الارض حتى رءاه جميعهم ميتـا كانـه ثور احمر وتحققوا غرقه والجمهور على تشديد ننجيك فقالت فرقـة معناه من النجاة اي من غمرات البحر والماء وقال جماعـة معناه نلقيك على نجوة من الارض وهي ما ارتفـع منهـا وقرأ يعقوب بسكون النون وتخفيف الجيم وقوله ببدنـك قالت فرقـة معناه بشخصك وقالت فرقـة معناه بدرعك وقرأ الجمهور خلفك اي من اتى بعدك وقرئ شاذا لمن خلفك بفتح اللام المعنى ليجعلك الله ءايـة له فى عبـاده وباقى الآيـة بـين ✲ وقـوله سبحانـه ولقـد بوأنا بنى اسراءيـل مبوأ صدق ورزقنـاهم من الطيبات فمـا اختلفوا حتى جاءهم العلم المعنى ولقد اخترنا لبنى اسراءيل احسن اختيار واحللناهم من الاماكن احسن

محل ومبوأ صدق اي يصدق فيه ظن قاصده وساكنه ويعنى بهذه الآية احلالهم بلاد الشام وبيت المقدس قاله قتادة وابن زيد وقيل بلاد الشام ومصر والاول اصح وقوله سبحانه فما اختلفوا اي فى نبوءة نبينا محمد عليه السلام وهذا التخصيص هو الذى وقع فى كتب المتأولين كلهم وهو تاويل يحتاج الى سند والتاويل الثانى الذى يحتمله اللفظ ان بنى اسراءيل لم يكن لهم اختلاف على موسى فى اول حاله فلما جاءهم العلم والاوامر وغرق فرعون اختلفوا فالآية ذامة لهم (ت) فر رحمه الله من التخصيص فوقع فيه فلو عمم اختلافهم على انبيائهم موسى وغيره وعلى نبينا لكان احسن وما ذهب اليه المتأولون من التخصيص احسن لقرينة قوله فان كنت فى شك فالربط بين الآيتين واضح والله اعلم * وقوله عز وجل فان كنت فى شك الآية الصواب فى معنى الآية انها مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بها سواه من كل من يمكن ان يشك او يعارض (ت) وروينا عن ابى داود سليمان بن الاشعث قال حدثنا احمد بن حنبل قال حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء فى القرءان كفر قال عياض فى الشفا تأول بمعنى الشك وبمعنى الجدال انتهى والذين يقرءون الكتاب من قبلك من اسلم من اهل الكتاب كابن سلام وغيره وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما ترلت هذه الآية انا لااشك ولا اسأل ثم جزم سبحانه الخبر بقوله لقد جاءك الحق من ربك واللام فى لقد لام قسم * وقوله مما ازلنا اليك يريد به من ان بنى اسراءيل لم يختلفوا فى امره الا من بعد مجيئه عليه السلام هذا قول اهل التاويل قاطبة قال (ع) وهذا هو الذى يشبه ان ترجى ازالة الشك فيه من قبل اهل الكتاب ويحتمل اللفظ ان يريد بما انزلنا جميع

الشرع (ت) وهـذا التاويـل عنـدى ابـين اذا لخص وان كان قـد استبعـده (ع) ويكون المراد بمـا انزلنـا مـا ذكره سبحانـه من قصصهم وذكر صفته عليـه السلام وذكر انبيائهم وصفتهم وسيرهم وسائر اخبارهم الموافقـة لمـا فى كتبهم المنزلة على انبيائهم كالتوراة والانجيـل والزبور والصحف وتكون هذه الآيـة تنظر الى قوله سبحانـه ماكان حديثـا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديـه فتأمله والله اعلم وامـا قوله هذا قول اهل التاويل قاطبـة فليس كذلك وقد تكلم صاحب الشفا على الآيـة فاحسن ولفظه واختلف فى معنى الآيـة فقيـل المراد قل يا محمـد للشاك ان كنت فى شك الآيـة قالوا وفى السورة نفسها ما دل على هـذا التاويـل وهو قوله تعالى قل يا ايها النـاس ان كنتم فى شك من دينى الآيـة ثم قال عيـاض وقيل ان هـذا الشك الذى امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرءون الكتاب عنه انما هو فى ما قصـه الله تعالى من اخبار الامم لا فيما دعا اليـه من التوحيد والشريعـة انتهى * وقـوله سبحانـه فلا تكونن من الممترين ولاتكونن من الذين كذبوا بـئـايات الله الآية مما خوطب بـه النبي صلى الله عليـه وسلم والمراد سواه قال (ع) ولهذا فائـدة ليست فى مخاطبـة الناس به وذلك شـدة التخويف لانـه اذا كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم يحـذر من مثـل هذا فغيره من الناس اولى ان يحذر ويتـق على نفسه * وقوله سبحانـه ان الذين حقت عليهم كلمات ربك اي حق عليهم فى الازل وخلقهم لعذابـه لايومنـون ولوجاءتهم كل ءايـة الا فى الوقت الذى لاينفعهم فيـه الايمـان كما صنع فرعون واشباهه وذلك وقت المعاينة * وقوله سبحانـه فلولا كانت قرية ءامت الآية وفى مصحف ابي وابن مسعود فهلا والمعنى فيهما واحـد واصل لولا التحضيض او الدلالة على منع امر لوجود غيره ومعنى الآيـة فهلا ءامن اهل قريـة وهم

على مهل لم يتلبس العذاب بهم فيكون الايمان نافعا لهم فى هذا الحال ثم استثنى قوم يونس فهو بحسب اللفظ استثناء منقطع وهو بحسب المعنى متصل لان تقديره ما ءامن اهل قرية الا قوم يونس وروي فى قصة قوم يونس ان القوم لما كفروا اي تمادوا على كفرهم اوحى الله تعالى اليه ان انذرهم بالعذاب لثالثة ففعل فقالوا هو رجل لا يكذب فارقبوه فان اقام بين اظهركم فلا عليكم وان ارتحل عنكم فهو نزول العذاب لا شك فيه فلما كان الليل تزود يونس وخرج عنهم فاصبحوا فلم يجدوه فتابوا ودعوا الله وءامنوا ولبسوا المسوح وفرقوا بين الامهات والاولاد من الناس والبهائم وكان العذاب فيما روي عن ابن عباس على ثلثي ميل منهم وروي على ميل وقال ابن جبير غشيهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فرفع الله عنهم العذاب فلما مضت الثالثة وعلم يونس ان العذاب لم ينزل بهم قال كيف انصرف وقد وجدوني فى كذب فذهب مغاضبا كما ذكر الله سبحانه فى غير هذه الآية وذهب الطبري الى ان قوم يونس خصوا من بين الامم بان تيب عليهم من بعد معاينة العذاب وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين وليس كذلك والمعاينة التى لا تنفع التوبة معها هي تلبس العذاب او الموت بشخص الانسان كقصة فرعون واما قوم يونس فلم يصلوا هذا الحد (ت) وما قاله الطبري عندى ابين ومتعناهم الى حين يريد الى ءاجالهم المقدرة فى الازل وروي ان قوم يونس كانوا بنينوى من ارض الموصل * وقوله سبحانه افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين المعنى افانت تكره الناس بادخال الايمان فى قلوبهم والله عز وجل قد شاء غير ذلك والرجس هنا بمعنى العذاب * وقوله سبحانه قل انظروا ما ذا فى السموات والارض الاية هذه الآية امر للكفار بالاعتبار والنظر فى المصنوعات الدالة على الصانع من ءايات السموات وافلاكها وكواكبها وسحابها ونحو ذلك والارض ونباتها ومعادنها

وغير ذلك المعنى انظروا فى ذلك بالواجب فهو ينهيكم الى المعرفة بالله وبوحدانيته ثم اخبر سبحانه ان الآيات والنذر وهم الانبياء لا تغنى الا بمشيئته فما على هذا نافية ويجوز ان تكون استفهاما فى ضمنه نفي وقوع الغنى وفى الآية على هذا توبيخ لحاضرى النبي صلى الله عليه وسلم قال (ص) والنذر جمع نذير اما مصدر بمعنى الانذارات واما بمعنى منذر انتهى * وقوله سبحانه فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم الآية وعيد اذا لجوا فى الكفر حل بهم العذاب * وقوله سبحانه ثم ننجى رسلنا والذين ءامنوا اي عادة الله سلفت بانجاء رسله ومتبعيهم عند نزول العذاب بالكفرة كذلك حقا علينا ننج المومنين قال (ص) اي مثل ذلك الانجاء الذى نجينا الرسل ومومنيهم ننجى من ءامن بك انتهى وخط المصحف فى هذه اللفظة ننج بجيم مطلقة دون ياء وكلهم قرأ ننجى مشددة الجيم الا الكساءي وحفصا عن عاصم فانهما قرءا بسكون النون وتخفيف الجيم * وقوله سبحانه قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى الآية مخاطبة عامة للناس اجمعين الى يوم القيامة * وقوله وان اقم وجهك للدين الآية الوجه فى هذه الآية بمعنى المنحى والمقصد اي اجعل طريقك واعتمالك للدين والشرع * وقوله تعالى ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية قد تقدم ان ما كان من هذا النوع فالخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره * وقوله سبحانه وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الآية مقصود هذه الآية ان الحول والقوة لله والضر لفظ جامع لكل ما يكرهه الانسان * وقوله وان يردك بخير لفظ تام العموم * وقوله سبحانه قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه هذه مخاطبة لجميع الكفار ومستمرة مدى الدهر والحق هو القرءان والشرع الذى جاء به النبي صلى الله

عليه وسلم * وقوله وما انا عليكم بوكل منسوخة بالقتـال * وقوله سبحانـه واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين قوله حتى يحكم الله وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بان يغلبهم كما وقع وهذا الصبر منسوخ ايضا بالقتال وصلى الله على سيدنا ومولانا محمـد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة هود عليه السلام مكية

الا نحو ثلاث ءايات

قال الداودي وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قلت يا رسول الله لقد اسرع اليك الشيب قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وفى رواية عن ابن عباس هود واخواتها انتهى * قوله عز وجل الر كتاب احكمت آياته اي اتقنت واجيدت وبهذه الصفة كان القرءان فى الازل ثم فصل بتقطيعه وتبيين احكامه واوامره على محمد نبيه عليه السلام فى ازمنة مختلفة فثم على بابها فالاحكام صفة ذاتية والتفصيل انما هو بحسب من يفصل له والكتاب باجمعه محكم ومفصل والاحكام الذى هو ضد النسخ والتفصيل الذى هو خلاف الاجمال انما يقالان مع ما ذكرناه باشتراك قال (ص) ثم فصلت ثم لترتيب الاخبار لا لترتيب الوقوع فى الزمان ولدن بمعنى عند انتهى قال الداودي وعن الحسن احكمت ءاياته قال احكمت بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد وعنه فصلت بالثواب والعقاب انتهى وقدم

النذير لان التحذير من النار هو الاهم وان استغفروا ربكم اي اطلبوا مغفرته وذلك بطلب دخولكم فى الاسلام ثم توبوا من الكفر يمتعكم متاعا حسنا ووصف المتاع بالحسن لطيب عيش المومن برجائه فى ثواب ربه وفرحه بالتقرب اليه باداء مفترضاته والسرور بمواعيده سبحانه والكافر ليس فى شيء من هذا ويوت كل ذى فضل اي كل ذى احسان فضله فيحتمل ان يعود الضمير من فضله على ذى فضل اي ثواب فضله ويحتمل ان يعود على الله عز وجل اي يوتى الله فضله كل ذى فضل وعمل صالح من المومنين ونحو هذا المعنى ما وعد به سبحانه من تضعيف الحسنات وان تولوا فانى اخاف عليكم اي فقل انى اخاف عليكم عذاب يوم كبير وهو يوم القيامة * وقوله سبحانه الا انهم يثنون صدورهم الآية قيل ان هذه الآية نزلت فى الكفار الذين كانوا اذا لقيهم النبي صلى الله عليه وسلم تطامنوا وثنوا صدورهم كالمتستر وردوا اليه ظهورهم وغشوا وجوههم بثيابهم تباعدا منهم وكراهية للقائه وهم يظنون ان ذلك يخفى عليه او عن الله عز وجل وقيل هي استعارة للغل والحقد الذى كانوا ينطوون عليه فمعنى الآية الا انهم يسرون العداوة ويتكتمون بها لتخفى فى ظنهم عن الله وهو سبحانه حين تغشيهم بثيابهم وابلاغهم فى التستر يعلم ما يسرون ويستغشون معناه يجعلونها اغشية واغطية قال (ص) قرأ الجمهور يثنون بفتح الياء مضارع ثنى الشيء ثنيا طواه انتهى وقرأ ابن عباس وجماعة تَثْنَوْنِى صدورهم بالرفع على وزن تفعوعل وهي تحتمل المعنيين المتقدمين وحكى الطبري عن ابن عباس على هذه القراءة ان هذه الآية نزلت فى قوم كانوا لا ياتون النساء والحدث الا ويستغشون ثيابهم كراهية ان يفضوا بفروجهم الى السماء * وقوله عز وجل وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها الآية المراد جميع الحيوان المحتاج الى رزق والمستقر صلب الاب والمستودع بطن الام وقيل غير

هذا وقد تقدم * وقوله فى كتاب اشارة الى اللوح المحفوظ قال (ص) ليبلوكم اللام متعلقة بخلق وقيل بفعل محذوف اي اعلم بذلك ليبلوكم انتهى ولئن قلت اللام فى لئن موذنة بان اللام فى ليقولن لام قسم لاجواب شرط وقولهم ان هذا الا سحر مبين تناقض منهم لانهم مقرون بان الله خلق السموات والارض وهم مع ذلك ينكرون ما هو ايسر من ذلك وهو البعث من القبور واذ خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس * ولئن اخرنا عنهم العذاب اي المتوعد به الى امة معدودة اي مدة معدودة ليقولن ما يحبسه اي ما هذا الحابس لهذا العذاب على جهة التكذيب وحاق معناه حل واحاط البخاري حاق نزل * ولئن اذقنا الانسان منا رحمة الآية الرحمة هنا تعم جميع ما ينتفع به من مطعوم وملبوس وجاه وغير ذلك والانسان هنا اسم جنس والمعنى ان هذا الخلق فى سجية الانسان ثم استثنى منهم الذين ردتهم الشرائع والايمان الى الصبر والعمل الصالح وكفور هنا من كفر النعمة والنعماء تشمل الصحة والمال والضراء من الضر وهو ايضا شامل ولفظة ذهاب السيئات عنى يقتضى بطرا وجهلا ان ذلك بانعام من الله تعالى والسيئات هنا كل ما يسوء فى الدنيا والفرح هنا مطلق فلذلك ذم اذ الفرح انهمال النفس ولا ياتى الفرح فى القرءان ممدوحا الا اذا قيد بانه فى خير * وقوله الا الذين صبروا استثناء متصل على ما قدمنا من ان الانسان عام يراد به الجنس وهو الصواب ومن قال انه مخصوص بالكافر قال هاهنا الاستثناء منقطع وهو قول ضعيف من جهة المعنى لا من جهة اللفظ لان صفة الكفر لا تطلق على جميع الناس كما تقتضى لفظة الانسان واستثنى الله تعالى من الماشين على سجية الانسان هؤلاء الذين حملتهم الاديان على الصبر على المكاره والمثابرة على عبادة الله وليس شيء من ذلك فى سجية البشر وانما حمل على ذلك خوف الله

وحب الدار الآخرة والصبر على العمل الصالح لا ينفع الامع هداية وايمان ثم وعد تعالى اهل هذه الصفة بالمغفرة للذنوب والتفضل بالاجر والنعيم * وقوله سبحانه فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز سبب هذه الآية ان كفار قريش قالوا يا محمد لو تركت سب ءالهتنا وتسفيه ءابائنا لجالسناك واتبعناك وقالوا له ايت بقرءان غير هذا او بدله ونحو هذا من الاقوال فخاطب الله تعالى نبيه عليه السلام على هذه الصورة من المخاطبة ووقفه بها توقيفا رادا على اقوالهم ومبطلا لها وليس المعنى انه عليه السلام هم بشيء من ذلك فزجر عنه فانه لم يرد قط ترك شيء مما اوحي اليه ولا ضاق صدره به وانما كان يضيق صدره باقوالهم وافعالهم وبعدهم عن الايمان قال (ص وع) وعبر بضائق وان كان اقل استعمالا من ضيق لمناسبة تارك ولان ضائق وصف عارض بخلاف ضيق فانه يدل على الثبوت والصالح هنا الاول بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم والضمير فى به عائد على البعض ويحتمل ان يعود على ما وان يقولوا اي كراهة ان يقولوا او ليلا يقولوا ثم انسه تعالى بقوله انما انت نذير اي هذا القدر هو الذى فوض اليك والله تعالى بعد ذلك هو الوكيل المضى لايمان من شاء وكفر من شاء ام يقولون افتراه ام بمعنى بل والافتراء اخص من الكذب ولا يستعمل الا فيما يهت به المرء وكابر * وقوله سبحانه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين تقدم تفسير نظيرها وقال بعض الناس هذه الآية متقدمة على التى فى يونس اذ لا يصح ان يعجزوا فى واحدة ثم يكلفوا عشرا قال (ع) وقائل هذا القول لم يلحظ ما ذكرناه من الفرق بين التكليفين فى كمال المماثلة مرة كما هو فى سورة يونس ووقوفها على النظم مرة كما هو هنا وقوله ان

كنتم صادقين يريد فى ان القرءان مفترى * وقوله سبحانه فالم يستجيبوا لكم لهذه الآية تاويلان احدهما ان تكون المخاطبة من النبي صلى الله عليه وسلم للكفار اي ويكون ضمير يستجيبوا على هذا التاويل عائدا على معبوداتهم والثانى ان تكون المخاطبة من الله تعالى للمومنين ويكون قوله على هذا فاعلموا بمعنى دوموا على علمكم قال مجاهد قوله تعالى فهل انتم مسلمون هو لاصحاب محمد عليه السلام * وقوله سبحانه من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية قال قتادة وغيره هي فى الكفرة وقال مجاهد هي فى الكفرة واهل الرياء من المومنين واليه ذهب معاوية والتاويل الاول ارجح بحسب تقدم ذكر الكفار وقال ابن العربي فى احكامه بل الآية عامة فى كل من ينوى غير الله بعمله كان معه ايمان اولم يكن وفى هذه الآية بيان لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى وذلك ان العبد لا يعطى الاعلى وجه قصده وبحكم ما ينعقد فى ضميره وهذا امر متفق عليه * وقوله نوف اليهم اعمالهم فيها قيل ذلك فى صحة ابدانهم وادرار ارزاقهم وقيل ان هذه الآية مطلقة وكذلك التى فى حم عسق من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه الآية الى ءاخرها قيدتهما وفسرتهما الآية التى فى سورة سبحان وهي قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الآية فاخبر سبحانه ان العبد ينوى ويريد والله يحكم ما يريد ثم ذكر ابن العربي الحديث الصحيح فى النفر الثلاثة الذين كانت اعمالهم رياء وهم رجل جمع القرءان ورجل قتل فى سبيل الله ورجل كثير المال وقول الله لكل واحد منهم ماذا عملت ثم قال فى ءاخر الحديث ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي وقال يا ابا هريرة اولائك الثلاثة اول خلق الله تسعر بهم النار ثم قرأ قوله تعالى اولائك

الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها اي فى الدنيا وهذا نص فى مراد الآية والله اعلم انتهى وحبط معناه بطل وسقط وهي مستعملة فى فساد الاعمال قال (ص) قوله ما صنعوا ما بمعنى الذى او مصدرية وفيها متعلق بحبط والضمير فى فيها عائد على الآخرة اي ظهر حبوط ما صنعوا فى الآخرة او متعلق بصنعوا فيكون عائدا على الدنيا انتهى والباطل كل ما تقتضى ذاته ان لا تنال به غاية فى ثواب ونحوه وقوله سبحانه افمن كان على بينة من ربه فى الآية تاويلات قال (ع) والراجح عندى من الاقوال فى هذه الآية ان يكون افمن للمومنين اولهم وللنبي صلى الله عليه وسلم معهم والبينة القرءان وما تضمن والشاهد الانجيل يريد او اعجاز القرءان فى قول والضمير فى يتلوه للبينة وفى منه للرب والضمير فى قبله للبينة ايضا وغير هذا مما ذكر محتمل فان قيل اذا كان الضمير فى قبله عائدا على القرءان فلم لم يذكر الانجيل وهو قبله وبينه وبين كتاب موسى فالجواب انه خص التوراة بالذكر لانه مجمع عليه والانجيل ليس كذلك لان اليهود تخالف فيه فكان الاستشهاد بما تقوم به الحجة على الجميع اولى وهذا يجرى مع قول الجن انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى والاحزاب هاهنا يراد بهم جميع الامم وروى سعيد بن جبير عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد يسمع بى من هذه الامة ولا من اليهود والنصارى ثم لا يومن بى الا دخل النار قال سعيد فقلت اين مصداق هذا فى كتاب الله حتى وجدته فى هذه الآية وكنت اذا سمعت حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم طلبت مصداقه فى كتاب الله عز وجل وقرأ الجمهور فى مرية بكسر الميم وهو الشك والضمير فى منه عائد على كون الكفرة موعدهم النار وسائر الآية بين * وقوله تعالى ويقول الاشهاد قالت

فرقــة يريــد الشهداء من الانبيـاء والمـلائكة وقالت فرقـه الاشهاد بمعنى
المشاهدين ويريد جميع الخلائق وفى ذالك اشادة بهم وتشهير لخزيهم وروي فى
نحو هذا حديث انه لا يخزى احد يوم القيامة الا ويعلم ذلك جميع من شهد
المحشر وباقى الآية بـين مما تقدم فى غيرها قال (ص) * وقوله الالعنة الله على
الظالمين يحتمل ان يكون داخلا فى مفعول القول واليه نحـا بعضهم انتهى *
وقوله سبحانه ماكانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون يحتمل وجوها احدها
انه وصف سبحانــه هؤلاء الكفار بهذه الصفـة فى الدنيا على معنى انهم
لا يسمعون سماعا ينتفعون بـه ولا يبصرون كذلك والثـانى ان يكـون
وصفهم بذلك من اجل بغضتهم فى النبي صلى الله عليه وسلم فهم لا يستطيعـون
ان يحملوا نفوسهم على السمع منه والنظر اليه ومـا فى هذين الوجهـين نافية
الثالث ان يكـون التقدير يضاعف لهم العذاب بمـا كانوا اي بسبب مـا كانوا
فما مصدريـة وباقى الآيـة بـين * وقوله سبحانه لاجرم انهم فى الآخرة هم
الاخسرون ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحات واخبتـوا الى ربهم الآيـة لاجرم
تـقدم بيانها واخبتوا قال قتادة معناه خشعوا وقيل معناه انابوا قاله ابن عبـاس
وقيل اطمأنوا قاله مجاهد وقيـل خافوا قاله ابن عباس ايضا وهذه اقوال بعضهـا
قريب من بعض * وقوله سبحانــه مثـل الفريقين الآيـة الفريقان الكافرون
والمومنون شبه الكافر بالاعمى والاصم وشبه المومن بالبصير والسميع فهـو
تمثيل بمثالـين * وقوله تعالى ولقـد ارسلنـا نوحا الى قومه انى لكم نـذير
مبين الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال المـلأ الذين
كفروا من قـومه مـا نراك الا بشرا مثلنا الآيـة فيهـا تمثيل لقريش وكفار
العرب واعلام بان محمدا عليـه السـلام ليس ببدع من الرسل والاراذل جمـع
الجمـع فـقيـل جمع ارذل وقيل جمع ارذال وهم سفلة النـاس ومن لا خلاق له

ولا يبالى مـا يقول ولا مـا يقال له وقرأ الجمهـور بادي الرأي بياء دون همـز من بدا يبدو فيحتمل ان يتعلق بادي الرأي بنراك اي وما نراك باول نظر واقل فكرة وذلك هو بادي الرأي الا ومتبعوك اراذلنـا ويحتمل ان يتعلق بقوله اتبعك اي ومـا نراك اتبعك بادي الرأي الا الاراذل ثم يحتمل على هـذا قوله بادي الرأي معنيين احدهما ان يريدوا اتبعك فى ظاهر امرهم وعسى ان بواطنهم ليست معك والثـانى ان يريدوا اتبعوك باول نظر وبالرأي البـادى دون تثبت ويحتمـل ان يكون قولهم بادي الرأي وصفـا منهم لنوح اي تـدعى عظيما وانت مكشوف الرأي لاحصافـة لك ونصبه على الحـال او على الصفـة لبشر * وقوله سبحانـه قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينـة من ربى وءاتانى رحمـة من عنده الآيـة كانه قال ارأيتم ان هدانى الله واضلكم اجبركم على الهدى وانتم له كارهون وعبارة نوح عليه السلام كانت بلغتـه دالة على المعنى القائم بنفسه وهو هذا المفهوم من هـذه العبارة العربيـة فبهذا استقام ان يقال قال كذا وكذا اذ القول ما افاد المعنى القائم فى النفس وقوله على بينة اي على امر بين جلي وقرأ الجمهور فعميت ولذلك وجهان من المعنى احدهما خفيت والثانى ان يكون المعنى فعميتم انتم عنها * وقوله انلزمكموهـا يريـد الزام جبر كالقتال ونحوه واما الزام الايجاب فهو حاصل * وقوله وما انا بطارد الذين ءامنوا يقتضى ان قومه طلبوا طرد الضعفاء الذين بادروا الى الايمـان به نظير ما اقترحت قريش وتزدرى اصله تزترى تفتعل من زرى يزرى ومعنى تزدرى تحتقر والخير هنا يظهر فيه انه خير الآخرة اللهم الا ان يكون ازدراؤهم من جهة الفقر فيكون الخير المال وقـد قال بعض المفسرين حيث مـا ذكر الله الخير فى القرءان فهو المـال قال (ع) وفى هذا الكلام تحامل والذى يشبه ان يقـال انـه حيث ما ذكر الخير فان المـال يدخل فيه (ت) وهذا ايضا غير ملخص

والصواب ان الخير اعم من ذلك كله وانظر قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فانه يشمل المال وغيره ونحوه وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وانظر قوله عليه السلام اللهم لا خير الا خير الآخرة وقوله تعالى ان علمتم فيهم خيرا فهاهنا لا مدخل للمال الا على تجوز وقد يكون الخير المراد به المال فقط وذلك بحسب القرائن كقوله تعالى ان ترك خيرا الآية * وقوله الله اعلم بما فى انفسهم تسليم لله تعالى وقال بعض المتأولين هي رد على قولهم اتبعك اراذلنا فى ظاهر امرهم حسب ما تقدم فى بعض التاويلات ثم قال اني اذا لو فعلت ذلك لمن الظالمين وقولهم قد جادلتنا معناه قد طال منك هذا الجدال والمراد بقولهم بما تعدنا العذاب والهلاك وما انتم بمعجزين اي بمفلتين * وقوله سبحانه ام يقولون افتراه الآية قال الطبري وغيره هذه الآية اعترضت فى قصة نوح وهي فى شان النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش قال (ع) ولو صح هذا بسند لوجب الوقوف عنده والا فهو يحتمل ان يكون فى شان نوح عليه السلام وتتسق الآية ويكون الضمير فى افتراه عائدا على ما توعدهم به او على جميع ما اخبرهم به وام بمعنى بل * وقوله سبحانه واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد آمن الآية قيل لنوح هذا بعد ان طال عليه كفر القرن بعد القرن به وكان ياتيه الرجل بابنه فيقول يا بني لا تصدق هذا الشيخ فهكذا عهده ابي وجدي كذابا مجنونا رواه عبيد بن عمير وغيره فروي انه لما اوحي اليه ذلك دعا فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وتبتئس من البوس ومعناه لا تحزن * وقوله باعيننا يمكن ان يريد بمرأى منا فيكون عبارة عن الادراك والرعاية والحفظ ويكون جمع الاعين للعظمة لا للتكثير كما قال عز من قائل فنعم القادرون والعقيدة انه تعالى منزه عن الحواس والتشبيه والتكييف لا رب غيره ويحتمل قوله باعيننا اي بملائكتنا

الذين جعلناهم عيونا على مواضع حفظك ومعونتك فيكون الجمع على هذا التاويل للتكثير * وقوله ووحينا معناه وتعليمنا له صورة العمل بالوحي وروي في ذلك ان نوحا عليه السلام لما جهل كيفية صنع السفينة اوحى الله اليه ان اصنعها على مثال جُؤْجُؤِ الطائر الى غير ذلك مما علمه نوح من عملها * وقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية قال ابن جريج في هذه الآية تقدم الله الى نوح ان لا يشفع فيهم * وقوله ويصنع الفلك التقدير فشرع يصنع فحكيت حال الاستقبال والملاهنا الجماعة * وقوله سخروا منه الآية السخر الاستجهال مع استهزاء وانما سخروا منه في ان صنعها في برية * وقوله فانا نسخر منكم قال الطبري يريد في الآخرة قال (ع) ويحتمل الكلام وهو الارجح ان يريد انا نسخر منكم الآن والعذاب المخزى هو الغرق والمقيم هو عذاب الآخرة والامر واحد الامور ويحتمل ان يكون مصدر امر فمعناه امرنا للماء بالفوران وفار معناه انبعث بقوة واختلف الناس في التنور والذى عليه الاكثر منهم ابن عباس وغيره انه هو تنور الخبز الذى يوقد فيه وقالوا كانت هذه امارة جعلها الله لنوح اي اذا فار التنور فاركب في السفينة * وقوله سبحانه قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن الآية الزوج يقال في مشهور كلام العرب للواحد مماله ازدواج فيقال هذا زوج هذا وهما زوجان والزوج ايضا في كلام العرب النوع وقوله واهلك عطف على ما عمل فيه احمل والاهل هنا القرابة وبشرط من آمن منهم خصصوا تشريفا ثم ذكر من آمن وليس من الاهل واختلف في الذى سبق عليه القول بالعذاب فقيل ابنه يام او كنعان وقيل امرأته والعة بالعين المهملة وقيل هو عموم فيمن لم يومن من اهل نوح ثم قال سبحانه اخبارا عن حالهم وما ءامن معه الا قليل * وقوله تعالى وقال اركبوا فيها اي وقال نوح لمن

معه اركبوا فيها وقوله بسم الله يصح ان يكون فى موضع الحال من ضمير اركبوا اي اركبوا متبركين بسم الله او قائلين بسم الله ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة ثانية من مبتدا وخبر لا تعلق لها بالاولى كانهم امرهم اولا بالركوب ثم اخبر ان مجراها ومرساها بسم الله قال الضحاك كان نوح اذا اراد جري السفينة جرت واذا اراد وقوفها قال بسم الله فتقف وقرأ الجمهور بضم الميم من مجراها ومرساها على معنى اجرائها وارسائها وقرأ الاخوان حمزة والكسائي وحفص بفتح ميم مجريها وكسر الراء وكلهم ضم الميم فى مرساها (ت) قوله وكسر الراء يريد امالتها وفى كلامه تسامح ولفظ البخاري مجراها مسيرها ومرساها موقفها وهو مصدر اجريت وارسيت انتهى قال النووي وروينا فى كتاب ابن السني بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال امان لامتي من الغرق اذا ركبوا ان يقولوا بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره الآية هكذا هو فى النسخ اذا ركبوا ولم يقل فى السفينة انتهى * وقوله وكان فى معزل اي فى ناحية اي فى بعد عن السفينة او عن الدين واللفظ يعمها * وقوله ولا تكن مع الكافرين يحتمل ان يكون نهيا محضا مع علمه بانه كافر ويحتمل ان يكون خفي عليه كفره والاول ابين * وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الظاهر ان لا عاصم اسم فاعل على بابه وقوله الا من رحم يريد الا الله الراحم فمن كناية عن الله المعنى لا عاصم اليوم الا الذى رحمنا * وقوله سبحانه وقيل يا ارض ابلعي ماءك الآية البلع تجرع الشيء وازدراده والاقلاع عن الشيء تركه وغيض معناه نقص واكثر ما يجيء فيما هو بمعنى الجفوف وقوله وقضي الامر اشارة الى جميع القصة بعث الماء واهلاك الامم وانجاء اهل السفينة قال (ع) وتظاهرت الروايات وكتب التفسير بان الغرق نال جميع اهل الارض وعم الماء جميعها قاله ابن عباس وغيره وذلك بين من

امر نوح بحمل الازواج من كل الحيوان ولولا خوف فنائها من جميع الارض ما كان ذلك وروي ان نوحا عليه السلام ركب فى السفينة من عين الوردة بالشام اول يوم من رجب واستوت على الجودي فى ذى الحجة واقامت عليه شهرا وقيل له اهبط فى يوم عاشوراء فصامه هو ومن معه وروي ان الله تعالى اوحى الى الجبال ان السفينة ترسى على واحد منها فتطاولت كلها وبقي الجودي وهو جبل بالموصل فى ناحية الجزيرة لم يتطاول تواضعا لله فاستوت السفينة بامر الله عليه وقال الزجاج الجودي هو بناحية ٠امد وقال قوم هو عند باقردى واكثر الناس فى قصص هذه الآية والله اعلم بما صح من ذلك ☼ وقوله وقيل بعدا يحتمل ان يكون من قول الله عز وجل عطفا على قوله وقيل الاول ويحتمل ان يكون من قول نوح والمومنين والاول اظهر ☼ وقوله ان ابنى من اهلى الآية احتجاج من نوح عليه السلام ان الله امره بحمل اهله وابنه من اهله فينبغى ان يحمل فاظهر الله له ان المراد من آمن من الاهل وهذه الآية تقتضى ان نوحا عليه السلام ظن ان ابنه مومن ☼ وقوله انه ليس من اهلك اي الذين عمهم الوعد لانه ليس على دينك وان كان ابنك بالولادة ☼ وقوله عمل غير صالح جعله وصفا له بالمصدر على جهة المبالغة فى وصفه بذلك كما قالت الخنساء تصف ناقة ذهب عنها ولدها

ترتع ما رتعت حتى اذا ادّكرت ☼ فانما هي اقبال وادبار

اي ذات اقبال وادبار ويبين هذا قراءة الكسائي انه عمل غير صالح فعلا ماضيا ونصب غير على المفعول لعمل وقول من قال ان الولد كان لغَية خطأ محض وهذا قول ابن عباس والجمهور قالوا واما قوله تعالى فخانتاهما فان الواحدة كانت تقول للناس هو مجنون والاخرى كانت تنبه على الاضياف واما خيانة غير هذا فلا ويعضده المعنى لشرف النبوءة وجوز المهدوي ان يعود

الضمير فى انه على السؤال اي ان سؤالك اياي ماليس لك به علم عمل غير صالح قاله النخعي وغيره انتهى والاول ابين وعليه الجمهور وبه صدر المهدوي ومعنى قوله فلاتسألني ما ليس لك به علم اي اذا وعدتك فاعلم يقينا انه لاخلف فى الوعد فاذا رأيت ولدك لم يحمل فكان الواجب عليك ان تقف وتعلم ان ذلك بحق واجب عند الله قال (ع) ولكن نوحا عليه السلام حملته شفقة الابوة وسجية البشر على التعرض لنفحات الرحمة وعلى هذا القدر وقع عتابه ولذلك جاء بتلطف وترفيع فى قوله سبحانه اني اعظك ان تكون من الجاهلين ويحتمل قوله فلاتسألني ما ليس لك به علم اي لا تطلب منى امرا لاتعلم المصلحة فيه علم يقين ونحا الى هذا ابو علي الفارسي وهذا والاول فى المعنى واحد * وقوله رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لى به علم انابة منه عليه السلام وتسليم لامر ربه والسؤال الذى وقع النهي عنه انما هو سؤال العزم الذى معه محاجة وطلبة ملحة فيما قد حجب وجه الحكمة فيه واما السؤال على جهة الاسترشاد والتعلم فغير داخل فى هذا ثم قيل له اهبط بسلام وذلك عند نزوله من السفينة والسلام هنا السلامة والامن والبركات الخير والنمو فى كل الجهات وهذه العدة تعم جميع المومنين الى يوم القيامة قاله محمد بن كعب القرظي ثم قطع قوله وامم على وجه الابتداء وهؤلاء هم الكفار الى يوم القيامة * وقوله سبحانه تلك اشارة الى القصة وباقى الآية بين * وقوله عز وجل والى عاد اخاهم هودا الآية عطف على قوله لقد ارسلنا نوحا الى قومه * وقوله وياقوم استغفروا ربكم الآية الاستغفار طلب المغفرة فقد يكون ذلك باللسان وقد يكون بانابة القلب وطلب الاسترشاد * وقوله ثم توبوا اليه اي بالايمان من كفركم والتوبة عقد فى ترك متوب منه يتقدمها علم بفساد المتوب منه وصلاح ما يرجع اليه ويقترن بها ندم على فارط المتوب منه

لا ينفك منه وهو من شروطها ومدرارا بناء تكثير وهو من در يدر
وقد تقدمت قصة عاد * وقوله سبحانه ويزدكم قوة الى قوتكم ظاهره العموم
فى جميع ما يحسن الله تعالى فيه الى العباد ويحتمل ان خص القوة بالذكر
اذ كانوا اقوى العوالم فوعدوا بالزيادة فيما بهروا فيه ثم نهاهم عن التولى
عن الحق وقولهم عن قولك اي لا يكون قولك سبب تركنا وقال (ص)
عن قولك حال من الضمير فى تاركى اي صادرين عن قولك وقيل عن
للتعليل كقوله الا عن موعدة وقولهم ان نقول الآية معناه ما نقول الا
ان بعض ءالهتنا التى ضللت عبدتها اصابك بجنون يقال عر يعر واعترى
يعترى اذا الم بالشيء * وقوله فكيدونى جميعا اي انتم واصنامكم ويذكر
ان هذه كانت له عليه السلام معجزة وذلك انه حرض جماعتهم عليه مع
انفراده وقوتهم وكفرهم فلم يقدروا على نيله بسوء وتنظرون معناه تؤخرونى
اي عاجلونى بما قدرتم عليه * وقوله ان ربى على صراط مستقيم يريد ان
افعال الله عز وجل فى غاية الاحكام وقوله الصدق ووعده الحق وعنيد من عند اذا
عتا * وقوله سبحانه واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة الآية حكم عليهم سبحانه بهذا
لموافاتهم على الكفر ولا يلعن معين حي لا من كافر ولا من فاسق ولا من
بهيمة كل ذلك مكروه بالاحاديث (ت) وتعبيره بالكراهة لعله يريد التحريم
ويوم ظرف ومعناه ان اللعنة عليهم فى الدنيا وفى يوم القيامة ثم ذكر العلة
الموجبة لذلك وهي كفرهم بربهم وباقى الآية بين * وقوله عز وجل
والى ثمود اخاهم صالحا الآية التقدير وارسلنا الى ثمود وانشأكم من الارض
اي اخترعكم واوجدكم وذلك باختراع ءادم عليه السلام وقال (ص) من
الارض لابتداء الغاية باعتبار الاصل المتولد منه النبات المتولد منه الغذاء
المتولد منه المني ودم الطمث المتولد عنه الانسان انتهى وقد نقل (ع) فى

غير هذا الموضع نحو هذا ثم اشار الى مرجوحيته وانه داع الى القول بالتولد قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى واستعمركم فيها اي خلقكم لعمارتها ولا يصح ان يقال هو طلب من الله لعمارتها كما زعم بعض الشافعية (ت) والمفهوم من الآية انها سيقت مساق الامتنان عليهم انتهى وقولهم يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا قال جمهور المفسرين معناه مسودا نؤمل فيك ان تكون سيدا سادا مسد الاكابر وقولهم واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب معنى مريب ملبس متهم وقوله ارأيتم اي اتدبرتم فالرؤية قلبية وءاتانى منه رحمة يريد النبوءة وما انضاف اليها وقال (ص) قد تقرر فى ارأيتم انها بمعنى اخبرونى انتهى والتخسير هو من الخسارة وليس التخسير فى هذه الآية الا لهم وفى حيزهم وهذا كما تقول لمن توصيه انا اريد بك خيرا وانت تريد بى شرا وقال (ص) غير تخسير من خسر وهو هنا للنسبية كفسقته وفجرته اذا نسبته اليهما (ت) ونقل الثعلبي عن الحسين بن الفضل قال لم يكن صالح فى خسارة حين قال فما تزيدوننى غير تخسير وانما المعنى ما تزيدوننى بما تقولون الا نسبتى اياكم للخسارة وهو من قول العرب فسقته وفجرته اذا نسبته الى الفسوق والفجور انتهى وهو حسن وباقى الآية بين قد تقدم الكلام فى قصصها * واخذ الذين ظلموا الصيحة قال ابو البقاء فى حذف التاء من اخذ ثلاثة اوجه احدها انه فصل بين الفعل والفاعل والثانى ان التانيث غير حقيقي والثالث ان الصيحة بمعنى الصياح فحمل على المعنى انتهى وقد اشار (ع) الى الثلاثة واختار الاخير * وقوله سبحانه ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى الرسل الملائكة قال المهدوي بالبشرى يعنى بالولد وقيل البشرى بهلاك قوم لوط انتهى قالوا سلاما اي سلمنا عليك سلاما وقرأ حمزة والكساءي قالوا سلاما قال سلم فيحتمل ان يريد بالسلم السلام

ويحتمل ان يريد بالسلم ضد الحرب وحنيذ بمعنى محنوذ ومعناه بعجل مشوي نضج يقطر ماؤه وهذا القطر يفصل الحنيذ من جملة المشويات وهيئة المحنوذ فى اللغة الذى يغطى بحجارة او رمل محمى او حائل بينه وبين النار يغطى به والمعرض من الشواء الذى يصفف على الجمر والمضهب الشواء الذى بينه وبين النار حائل ويكون الشواء عليه لامدفونا به والتحنيذ فى تضمير الخيل هو ان يغطى الفرس بجل على جل ليتصبب عرقه ونكرهم على ما ذكر كثير من الناس معناه انكرهم واوجس منهم خيفة من اجل امتناعهم من الاكل اذ عرف من جاء بشر الايا كل طعام المنزول به قال ابن العربي فى احكامه ذهب الليث بن سعد الى ان الضيافة واجبة لقوله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة وما وراء ذلك صدقة وفى رواية ثلاثة ايام ولا يحل له ان يثوى عنده حتى يحرجه وهذا حديث صحيح خرجه الايمة واللفظ للترمذي وذهب علماء الفقه الى ان الضيافة لاتجب وحملوا الحديث على الندب قال ابن العربي والذى اقول به ان الضيافة فرض على الكفاية ومن الناس من قال انها واجبة فى القرى حيث لامأوى ولا طعام بخلاف الحواضر لتيسر ذلك فيها قال ابن العربي ولا شك ان الضيف كريم والضيافة كرامة فان كان عديما فهي فريضة انتهى واوجس معناه احس والوجيس ما يعترى النفس عند الحذر واوائل الفزع * وقوله سبحانه فضحكت قال الجمهور هو الضحك المعروف وذكر الطبري ان ابراهيم عليه السلام لما قدم العجل قالوا له انا لانا كل طعاما الا بثمن فقال لهم ثمنه ان تذكروا الله تعالى عليه فى اوله وتحمدوه فى ءاخره فقال جبريل لاصحابه بحق اتخذ الله هذا خليلا ثم بشر الملائكة سارة باسحاق وبان اسحاق سيلد يعقوب ويسمى ولد الولد وراء وهو قريب من معنى

وراء فى الظرف اذ هو ما يكون خلف الشيء وبعده وقال (ص) وراء هنا استعمل غير ظرف لدخول من عليه اي ومن بعد اسحاق انتهى وقولها ياويلتى الالف بدل من ياء الاضافة اصلها ياويلتي ومعنى ياويلتا فى هذا الموضع العبارة عما دهم النفس من العجب فى ولادة عجوز ومن امر الله واحد الامور * وقوله سبحانه رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت يحتمل ان يكون دعاء وان يكون خبرا (ص) ونصب اهل البيت على النداء او على الاختصاص او على المدح انتهى وهذه الآية تعطى ان زوجة الرجل من اهل بيته (ت) وهي هنا من اهل البيت على كل حال لانها من قرابته وابنة عمه والبيت فى هذه الآية وفى سورة الاحزاب بيت السكنى * وقوله فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا اي اخذ يجادلنا فى قوم لوط * وقوله تعالى ان ابراهيم لحليم اواه منيب وصف عليه السلام بالحلم لانه لم يغضب قط لنفسه الا ان يغضب لله وامره بالاعراض عن المجادلة يقتضي انها انما كانت فى الكفرة حرصا على اسلامهم وامر ربك واحد الامور اي نفذ فيهم قضاؤه سبحانه وهذه الآية مقتضية ان الدعاء انما هو ان يوفق الله الداعي الى طلب المقدور فاما الدعاء فى طلب غير المقدور فغير مجد ولا نافع (ت) والكلام فى هذه المسئلة متسع رحب ومن احسن ما قيل فيها قول الغزالي فى الاحياء فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا يرد فالجواب ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات انتهى وقد اطال فى المسئلة ولولا الاطالة لاتيت بنبذ يثلج لها الصدر وخرج الترمذي فى جامعه عن ابى خزامة واسمه رفاعة عن ابيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ارأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة

نتقيها هل ترد من قدر الله شيأ قال هي من قدر الله قال ابو عيسى هذا حديث حسن وفى بعض نسخه حسن صحيح انتهى فليس وراء هذا الكلام من السيد المعصوم مرمى لاحد وتأمل جواب الفاروق لابى عبيدة حين هم بالرجوع من اجل الدخول على ارض بها الطاعون وهي الشام * وقوله سبحانه ولما جاءت رسلنا لوطا الرسل هنا الملائكة اضياف ابراهيم قال المهدوي والرسل هنا جبريل وميكائيل واسرافيل ذكره جماعة من المفسرين انتهى والله اعلم بتعيينهم فان صح فى ذلك حديث صير اليه والا فالواجب الوقف وسيء بهم اي اصابه سوء والذرع مصدر مأخوذ من الذراع ولما كان الذراع موضع قوة الانسان قيل فى الامر الذى لاطاقة له به ضاق بهذا الامر ذراع فلان وذرع فلان اي حيلته بذراعه وتوسعوا فى هذا حتى قلبوه فقالوا فلان رحب الذراع اذا وصفوه باتساع القدرة وعصيب بناء اسم فاعل معناه يعصب الناس بالشر فهو من العصابة ثم كثر وصفهم لليوم بعصيب ومنه * وقد سلكوك فى يوم عصيب * وبالجملة فعصيب فى موضع شديد وصعب الوطأة ويهرعون معناه يسرعون ومن قبل كانوا يعملون السيئات اي كانت عادتهم اتيان الفاحشة فى الرجال * وقوله هؤلاء بناتى هن اطهر لكم يعنى بالتزويج وقولهم وانك لتعلم ما نريد اشارة الى الاضياف فلما رأى لوط استمرارهم فى غيهم قال على جهة التفجع والاستكانة لو ان لى بكم قوة قال (ع) لوان جوابها محذوف اي لفعلت كذا وكذا ويروى ان الملائكة وجدت عليه حين قال هذه الكلمات وقالوا ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياوى الى ركن شديد فالعجب منه لما استكان قال (ع) وانما خشي لوط عليه السلام ان يمهل الله اولائك العصابة حتى يعصوه فى الاضياف كما امهلهم فيما قبل ذلك ثم ان جبريل عليه السلام ضرب القوم

بجناحه فطمس اعينهم ثم امروا لوطا بالسُّرَى واعلموه بان العذاب نازل بالقوم فقال لهم لوط فعذبوهم الساعة فقالوا له ان موعدهم الصبح اي بهذا امر الله ثم انسوه فى قلقه بقولهم اليس الصبح بقريب والقطع القطعة من الليل قال (ص) الا امرأتك ابن كثير وابوعمرو بالرفع والباقون بالنصب فقيل كلاهما استثناء من احد وقيل النصب على الاستثناء من اهلك انتهى * وقوله سبحانه وامطرنا عليها حجارة من سجيل ذهبت فرقة منهم ابن عباس الى ان الحجارة التى رموا بها كانت كالآجر المطبوخ كانت من طين قد تحجر وان سجيلا معناها ماء وطين وهذا القول هو الذى عليه الجمهور وقالت فرقة من سجيل معناه من جهنم لانه يقال سجيل وسجين حفظ فيها بدل النون لاما وقيل غير هذا ومنضود معناه بعضه فوق بعض متتابع ومسومة اي معلمة بعلامة * وقوله تعالى وما هي اشارة الى الحجارة والظالمون قيل يعنى قريشا وقيل يريد عموم كل من اتصف بالظلم وهذا هو الاصح وقيل يعنى بهذا الاعلام بان هذه البلاذ قريبة من مكة وما تقدم ابين * وقوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير الآية قوله بخير قال ابن عباس معناه فى رخص من الاسعار وقيل قوله بخير عام فى جميع نعم الله تعالى وتعثوا معناه تسعون فى فساد يقال عثا يعثو وعثي يعثى اذا افسد * وقوله بقيت الله خير لكم قال ابن عباس معناه الذى يبقى الله لكم من اموالكم بعد توفيتكم الكيل والوزن خير لكم مما تستكثرون به على غير وجهه وهذا تفسير يليق بلفظ الآية وقال مجاهد معناه طاعة الله وهذا لا يعطيه لفظ الآية قال (ص) وقرأ الحسن تقية الله اي تقواه قال (ع) وانما المعنى عندى ابقاء الله عليكم ان اطعتم وقولهم اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا قالت فرقة ارادوا الصلوات المعروفة وروي

ان شعيبا عليه السلام كان اكثر الانبياء صلاة وقال الحسن لم يبعث الله نبيا الا فرض عليه الصلاة والزكاة وقيل ارادوا ادعواتك وذلك ان من حصل فى رتبة من خير او شر ففى الاكثر تدعوه رتبته الى التزيد من ذلك النوع فمعنى هذا لما كنت مصليا تجاوزت الى ذم شرعنا وحالنا فكأن حاله من الصلاة جسرته على ذلك فقيل امرته كما قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال (ص و ع) او ان نفعل معطوف على ما يعبد واو للتنويع انتهى وظاهر حالهم الذى اشاروا اليه هو بخس الكيل والوزن الذى تقدم ذكره وروي ان الاشارة الى قرضهم الدينار والدرهم واجراء ذلك مع الصحيح على جهة التدليس قاله محمد بن كعب القرظي وتؤول ايضا بمعنى تبديل السكك التى يقصد بها اكل اموال الناس قال ابن العربي قال ابن المسيب قطع الدنانير والدراهم من الفساد فى الارض وكذلك قال زيد بن اسلم فى هذه الآية وفسرها به ومثله عن يحيى بن سعيد من رواية مالك قال ابن العربي واذا كان قطع الدنانير والدراهم وقرضها من الفساد عوقب من فعل ذلك وقرض الدراهم غير كسرها فان الكسر فساد الوصف والقرض تنقيص للقدر وهو اشد من كسرها فهو كالسرقة انتهى من الاحكام مختصرا وبعضه بالمعنى وقولهم انك لانت الحليم الرشيد قيل انهم قالوه على جهة الحقيقة اي انت حليم رشيد فلا ينبغى لك ان تنهانا عن هذه الاحوال وقيل انما قالوا هذا على جهة الاستهزاء * وقوله ورزقنى منه رزقا حسنا اي سالما من الفساد الذى ادخلتم فى اموالكم وجواب الشرط الذى فى قوله ان كنت على بينة من ربى محذوف تقديره اضل كما ضللتم او اترك تبليغ رسالة ربى ونحو هذا * وقوله لايجرمنكم معناه لا يكسبنكم وشقاقي معناه مشاقتى وعداوتى وان مفعولة بيجرمنكم قال (ص و ع) وما

قوم لوط منكم ببعيد اي بزمان بعيد او بمكان قال (ص) ودود بناء مبالغة من ود الشيء اذا احبه وءاثره (ع) ومعناه ان افعاله سبحانه ولطفه بعباده لما كانت فى غاية الاحسان اليهم كانت كفعل من يتودد ويود المصنوع له وقولهم ما نفقه كقول قريش قلوبنا فى اكنة والظاهر من قولهم انا لنراك فينا ضعيفا انهم ارادوا ضعف الانتصار والقدرة وان رهطه الكفرة يراعون فيه والرهط جماعة الرجل وقولهم لرجمناك اي بالحجارة قاله ابن زيد وقيل بالسب باللسان وقولهم بعزيز اي بذى منعة وعزة ومنزلة والظهري الشيء الذى يكون وراء الظهر وذلك يكون فى الكلام على وجهين اما بمعنى الاطراح كما تقول جعلت كلامى وراء ظهرك ودبر اذنك وعلى هذا المعنى حمل الجمهور الآية اي اتخذتم امر الله وشرعه وراء ظهوركم اي غير مراعى واما بان يستند اليه ويلجأ كما قال عليه السلام والجأت ظهرى اليك وعلى هذا المعنى حمل الآية قوم اي وانتم تتخذون الله سند ظهوركم وعماد آمالكم * وقوله اعملوا على مكانتكم معناه على حالاتكم وفيه تهديد * وقوله سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هوكاذب وارتقبوا انى معكم رقيب والصحيح ان الوقف فى قوله انى عامل * وقوله سبحانه واخذت الذين ظلموا الصيحة الآية الصيحة هي صيحة جبريل عليه السلام * وقوله سبحانه كان لم يغنوا فيها الآية يغنوا معناه يقيمون بنعمة وخفض عيش ومنه المغانى وهي المنازل المعمورة بالاهل وضمير فيها عائد على الديار * وقوله بعدا مصدر دعا به كقولك سحقا للكافرين وفارقت هذه قولهم سلام عليكم لان بعدا اخبار عن شيء قد وجب وتحصل وتلك انما هي دعاء مرتجى ومعنى البعد فى قراءة بعدت بكسر العين الهلاك وهي قراءه الجمهور ومنه قول خرنق بنت هفان

لا يبعدن قومى الذين هم * سم العداة وءافة الجزر

ومنه قول مالك بن الربيع

يقولون لا تبعد وَهم يدفنوننى * واين مكان البعد الا مكانيا

واما من قرأ بعدت وهو السلمي وابوحيوة فهو من البعد الذي هو ضد القرب ولا يدعى به الا على مبغوض قال (ص) وقال ابن الانباري من العرب من يسوى بين الهلاك والبعد الذى هوضد القرب فيقولون فيهما بعد يبعد وبعد يبعد انتهى * وقوله سبحانه فاتبعوا امر فرعون اي وخالفوا امر موسى وما امر فرعون برشيد اي بمرشد الى خير وقال (ع) برشيد اي بمصيب فى مذهبه يقدم قومه اي يقدمهم الى النار والورد فى هذه الآية هو ورود دخول قال (ص) والورد فاعل ببيس والمورود المخصوص بالذم وفى الاول حذف اي مكان الورد ليطابق المخصوص بالذم وجوز (ع) وابو البقاء ان يكون المورود صفة لمكان الورد والمخصوص محذوف اي بيس مكان الورد المورود النار والورد يجوز ان يكون مصدرا بمعنى الورود او بمعنى الواردة من الابل وقيل الورد بمعنى الجمع للوارد والمورود صفة لهم والمخصوص بالذم ضمير محذوف اي بيس القوم المورود بهم هم انتهى واتبعوا فى هذه لعنة يريد دار الدنيا * وقوله بيس الرفد المرفود اي بيس العطاء المعطى لهم وهو العذاب والرفد فى كلام العرب العطية * وقوله سبحانه ذلك من انباء القرى الآية ذلك اشارة الى ما تقدم من ذكر العقوبات النازلة بالامم المذكورة منها قائم وحصيد اي منها قائم الجدرات ومتهدم داثر والآية بجملتها متضمنة التخويف وضرب المثل للحاضرين من اهل مكة وغيرهم والتتبيب الخسران ومنه تبت يدا ابى لهب * وقوله وكذلك الاشارة الى ما ذكر من الاخذات فى الامم وهذه ءاية وعيد يعم قرى المومنين والكافرين فان ظالمة اعم من كافرة وقد يمهل الله تعالى بعض الكفرة واما

الظلمة فمعاجلون فى الغالب وقد يملى لبعضهم وفى الحديث من رواية ابى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة الآية وهذه قراءة الجماعة وهي تعطى بقاء الوعيد واستمراره فى الزمان ان فى ذلك لاية اي لعبرة وعلامة اهتداء لمن خاف عذاب الآخرة ثم عظم الله امر الآخرة فقال ذلك يوم مجموع له الناس وهو يوم الحشر وذلك يوم مشهود بشهده الاولون والآخرون من الملائكة والانس والجن والحيوان فى قول الجمهور وما نوخره الا لاجل معدود لا يتقدم عنه ولا يتأخر قال (ص) والظاهر ان ضمير فاعل ياتى يعود على ما عاد عليه ضمير نوخره والناصب ليوم لا تكلم والمعنى لا تكلم نفس يوم ياتى ذلك اليوم الا باذنه سبحانه انتهى * وقوله تعالى فمنهم عائد على الجمع الذى يتضمنه قوله نفس اذ هو اسم جنس يراد به الجمع فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق وهي اصوات المكروبين والمحزونين والمعذبين ونحو ذلك قال قتادة الزفير اول صوت الحمار والشهيق اخره فصياح اهل النار كذلك وقال ابو العالية الزفير من الصدر والشهيق من الحلق والظاهر ما قال ابو العالية * وقوله سبحانه خالدين فيها ما دامت السموات والارض يروى عن ابن عباس ان الله خلق السموات والارض من نور العرش ثم يردهما الى هنالك فى الآخرة فلهما ثم بقاء دائم وقيل معنى ما دامت السموات والارض العبارة عن التابيد بما تعهده العرب وذلك ان من فصيح كلامها اذا ارادت ان تخبر عن تابيد شيء ان تقول لا افعل كذا وكذا امد الدهر وما ناح الحمام وما دامت السموات والارض وقيل غير هذا قال (ص) وقيل المراد سموات الآخرة وارضها يدل عليه قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات انتهى واما قوله الا ما شاء ربك فى الاستثناء ثلاثة

اقوال احدها انـه متصل اي الا ما شاء ربك من اخراج الموحدين وعلى هذا يكون قوله فاما الذين شقوا عام فى الكفرة والعصاة ويكـون الاستثناء من خالدين وهذا قول قتادة وجماعة الثانى ان هذا الاستثناء ليس بمتصل ولا منقطع وانما هو على طريق الاستثناء الذى ندب اليه الشرع فى كل كلام فهو على نحـو قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شـاء الله الثالث ان الا فى هذه الآيـة بمعنى سوى والاستثناء منقطع وهذا قول الفراء فانه يقدر الاستثناء المنقطع بسوى وسيبويـه يقدره بلكن اي سوى مـا شاء الله زائـدا على ذلك ويؤيـد هذا التاويل قوله بعد عطاء غير مجذوذ وقيل سوى مـا اعد الله لهم من انواع العذاب واشد من ذلك كله سخطه سبحانه عليهم وقيل الاستثناء فى الآيتين من الكون فى النار والجنة وهو زمـان الموقف وقيل الاستثناء فى الآيـة الاولى من طول المدةو ذلك على مـا روي ان جهنم تخرب ويعدم اهلها وتخفق ابوابهـا فهم على هذا يخلدون حتى يصير امرهم الى هذا قال (ع) وهذا قول محتمل والذى روي ونقل عن ابن مسعود وغيره ان مـا يخلى من النـار انمـا هو الدرك الاعلى المختص بعصاة المومنين وهذا الذى يسمى جهنم وسمي الكل بـه تجوزا (ت) وهـذا هو الصواب ان شـاء الله وهو تاويـل صاحب العاقبة ان الذى يخرب ما يخص عصاة المومنـين وتقـدم الكلام على نظير هذه الآيـة وهو قـوله فى الانعام خالدين فيهـا الا مـا شـاء الله ان ربك حكيم عليم قال (ع) والاقوال المترتبـة فى الاستثناء الاول مرتبـة فى الاستثناء الثانى فى الذين سعدوا الا تاويل من قال هو استثناء المدة التى تخرب فيهـا جهنم فانـه لا يترتب هنـا والمجـذوذ المقطوع والاشارة بقوله ممـا يعبـد هؤلاء الى كفـار العرب وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص معنـاه من العقوبـة وقال الداودي عن ابن عبـاس وانا لموفـوهم نصيبهم غـير منقوص

قال مـا قدر لهم من خير وشر انتهى * وقوله ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه اي اختلف الناس عليه فلا يعظم عليك يا محمد امر من كذبك وقال (ص) فيه الظاهر عوده على الكتاب ويجوز ان يعود على موسى وقيل فى بمعنى على اي عليه انتهى والكلمة هنا عبارة عن الحكم والقضاء * لقضي بينهم اي لفصل بين المومن والكافر بنعيم هذا وعذاب هذا ووصف الشك بالريب تقوية لمعنى الشك فهذه الآية يحتمل ان يكون المراد بها امة موسى ويحتمل ان يراد بها معاصرو النبي صلى الله عليه وسلم وان يعمهم اللفظ احسن ويؤيده قوله وان كلا وقرأ نافع وابن كثير وان كلا لما وقرأ ابو عمرو والكساءي بتشديد ان وقرأ حمزة وحفص بتشديد ان وتشديد لما فالقراءتان المتقدمتان بمعنى فان فيهما على بابها وكلا اسمها وعرفها ان تدخل على خبرها لام وفى الكلام قسم تدخل لامه ايضا على خبر ان فلما اجتمع لامان فصل بينهما بما هذا قول ابى علي والخبر فى قوله ليوفينهم وهذه الآية وعيد ومعنى الآية ان كل الخلق موفى عمله * وقوله عز وجل فاستقم كما امرت ومن تاب معك امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستقامة وهو عليها انما هو امر بالدوام والثبوت وهو امر لسائر الامة وروي ان بعض العلماء رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال يا رسول الله بلغنا عنك انك قلت شيبتني هود واخواتها فما الذى شيبك من هود فقال له قوله عز وجل فاستقم كما امرت قال (ع) والتاويل المشهور فى قوله عليه السلام شيبتني هود واخواتها انه اشارة الى ما فيها مما حل بالامم السالفة فكان حذره على هذه مثل ذلك شيبه عليه السلام * وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا الآية الركون السكون الى الشيء والرضى به قال ابو العالية الركون الرضى قال ابن زيد الركون الادهان قال (ع) فالركون يقع على قليل هذا المعنى وكثيره والنهي هنا يترتب من معنى الركون على

الميل اليهم بالشرك معهم الى اقل الرتب من ترك التغيير عليهم مع القدرة والذين ظلموا هنا هم الكفرة ويدخل بالمعنى اهل المعاصى * وقوله سبحانه واقم الصلوة طرفي النهار الآية لا خلاف ان الصلاة فى هذه الآية يراد بها الصلوات المفروضة واختلف فى طرفي النهار وزلف الليل فقيل الطرف الاول الصبح والثانى الظهر والعصر والزلف المغرب والعشاء قاله مجاهد وغيره وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فى المغرب والعشاء هما زلفتا الليل وقيل الطرف الاول الصبح والثانى العصر قاله الحسن وقتادة والزلف المغرب والعشاء وليست الظهر فى هذه الآية على هذا القول بل هي فى غيرها قال (ع) والاول احسن الاقوال عندى ورجح الطبري القول بان الطرفين الصبح والمغرب وهو قول ابن عباس وغيره وانه لظاهر الاان عموم الصلوات الخمس بالآية اولى والزلف الساعات القريب بعضها من بعض * وقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ذهب جمهور المتأولين من صحابة وتابعين الى ان الحسنات يراد بها الصلوات الخمس والى هذه الآية ذهب عثمان رضي الله عنه فى وضوئه على المقاعد وهو تاويل مالك وقال مجاهد الحسنات قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال (ع) وهذا كله انما هو على جهة المثال فى الحسنات ومن اجل ان الصلوات الخمس هي معظم الاعمال والذى يظهر ان لفظ الآية عام فى الحسنات خاص فى السيئات بقوله عليه السلام ما اجتنبت الكبائر وروي ان هذه الآية نزلت فى رجل من الانصار وهو ابو اليسر بن عمرو وقيل اسمه عباد خلا بامرأة فقبلها وتلذذ بها فيما دون الجماع ثم جاء الى عمر فشكا اليه فقال له قد ستر الله عليك فاستر على نفسك فقلق الرجل فجاء ابا بكر فشكا اليه فقال له مثل مقالة عمر فقلق الرجل فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فصلى معه ثم اخبره وقال اقض

في ما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلها زوجة غاز فى سبيل الله قال نعم فوبخه النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما ادرى فنزلت هذه الآية فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فتلاها عليه فقال معاذ بن جبل يا رسول الله اهذا له خاصة فقال بل للناس عامة قال ابن العربي فى احكامه وهذا الحديث صحيح رواه الايمة كلهم انتهى قال (ع) وروي ان الآية قد كانت نزلت قبل ذلك واستعملها النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك الرجل وروي ان عمر قال ما حكي عن معاذ وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الجمعة الى الجمعة والصلوات الخمس ورمضان الى رمضان كفارة لما بينهما ان اجتنبت الكبائر * وقوله ذلك ذكرى اشارة الى الصلوات اي هي سبب الذكرى وهي العظة ويحتمل ان تكون اشارة الى الاخبار بان الحسنات يذهبن السيئات ويحتمل ان تكون اشارة الى جميع ما تقدم من الاوامر والنواهى والقصص فى هذه السورة وهو تفسير الطبري * فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية الآية لولا هي التي للتحضيض لكن يقترن بها هنا معنى التفجع والتأسف الذى ينبغى ان يقع من البشر على هذه الامم التى لم تهتد وهذا نحو قوله سبحانه يا حسرة على العباد والقرون من قبلنا قوم نوح وعاد وثمود ومن تقدم ذكره * وقوله اولوا بقية اي اولوا بقية من عقل وتمييز ودين * ينهون عن الفساد وانما قيل بقية لان الشرائع والدول ونحوها قوتها فى اولها ثم لا تزال تضعف فمن ثبت فى وقت الضعف فهو بقية الصدر الاول * والفساد فى الارض هو الكفر وما اقترن به من المعاصى وهذه الآية فيها تنبيه لهذه الامة وحض على تغيير المنكر ثم استثنى الله عز وجل القوم الذين نجاهم مع انبيائهم وهم قليل بالاضافة الى جماعاتهم وقليلا استثناء منقطع اي لكن قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد والمترف المنعم الذى شغلته تُرْفَتُه عن الحق حتى

هالك * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه سبحانه وتعالى عن ذلك * ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة اي مومنة لا يقع منهم كفر قاله قتادة ولكنه عز وجل لم يشأ ذلك فهم لا يزالون مختلفين فى الاديان والآراء والملل هذا تاويل الجمهور * الا من رحم ربك اي بان هداه الى الايمان * وقوله تعالى ولذلك خلقهم قال الحسن اي وللاختلاف خلقهم قال (ع) وذلك ان الله تعالى خلق خلقا للسعادة وخلقا للشقاوة ثم يسر كلا لما خلق له وهذا نص فى الحديث الصحيح وجعل بعد ذلك الاختلاف فى الدين على الحق هو امارة الشقاوة وبه علق العقاب فيصح ان يحمل قول الحسن هنا وللاختلاف خلقهم اي لثمرة الاختلاف وما يكون عنه من شقاوة اوسعادة وقال اشهب سألت مالكا عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقيل غير هذا * وقوله تعالى وتمت كلمة ربك اي نفذ قضاؤه وحق امره واللام فى لأملأن لام قسم * وقوله سبحانه وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وكلا مفعول مقدم بنقص وما بدل من قوله وكلا ونثبت به فؤادك اي نؤنسك فيما تلقاه ونجعل لك الاسوة * وجاءك فى هذه الحق قال الحسن هذه اشارة الى دار الدنيا وقال ابن عباس هذه اشارة الى السورة وهو قول الجمهور قال (ع) ووجه تخصيص هذه السورة بوصفها بحق والقرءان كله حق ان ذلك يتضمن معنى الوعيد للكفرة والتنبيه للناظر اي جاءك فى هذه السورة الحق الذى اصاب الامم الماضية وهذا كما يقال عند الشدائد جاء الحق وان كان الحق ياتى فى غير الشدائد ثم وصف سبحانه ان ما تضمنته السورة هو موعظة وذكرى للمومنين * وقوله سبحانه وقل للذين لا يومنون الآية ءاية وعيد * وقوله تعالى ولله غيب السموات والارض الآية ءاية تعظيم وانفراد بما لا حظ لمخلوق فيه ثم امر سبحانه

العبد بعبادته والتوكل عليه وفيهما زوال همه وصلاحه ووصوله الى رضوان الله تعالى فقال فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون اللهم اجعلنا ممن توكل عليك ووفقته لعبادتك كما ترضى وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله على جزيل ما به انعم

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة يوسف عليه السلام

هذه السورة مكية والسبب فى نزولها ان اليهود امروا كفار مكة ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذى احل بنى اسراءيل بمصر فنزلت السورة وقيل سبب نزولها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما يفعله به قومه بما فعل اخوة يوسف بيوسف وسورة يوسف لم يتكرر من معانيها فى القرءان شيء كما تكررت قصص الانبياء ففيها حجة على من اعترض بان الفصاحة تمكنت بترداد القول وفى تلك القصص حجة على من قال فى هذه لو كررت لفترت فصاحتها * وقوله عز وجل الر تلك ءايات الكتاب المبين الكتاب هنا القرءان ووصفه بالمبين من جهة بيان احكامه وحلاله وحرامه ومواعظه وهداه ونوره ومن جهة بيان اللسان العربي وجودته والضمير فى انزلناه للكتاب وقرءانا حال وعربيا صفة له وقيل قرءانا توطئة للحال وعربيا حال * وقوله سبحانه نحن نقص عليك احسن القصص الآية روى ابن مسعود ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا لو قصصت علينا

يارسول الله فنزلت هذه الآيـة ثم ملوا ملة اخرى فقالوا لو حدثتنا يا رسول الله فنزلت الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها الآيـة والقصص الاخبار بما جرى من الامور * وقوله بمـا اوحينا اليك اي بوحينا اليك هذا والقرءان نعت لهـذا ويجـوز فيـه البدل والضمير فى قبله للقصص العام لمـا فى جميـع القرءان منـه ومن الغافلـين اي عن معرفة هذا القصص وعبارة المهدوي قال قتادة اي نحن نقص عليك من الكتب المـاضيـة واخبار الامم السالفـة احسن القصص بوحينا اليك هذا القرءان وان كنت من قبله لمن الغافلين عن اخبـار الامم انتهى * وقوله سبحانـه اذ قال يوسف لابيـه يا ابت انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قيـل انـه رأى كواكب حقيقـة والشمس والقمر فتأولهـا يعقوب اخوتـه وابويـه وهذا هو قول الجمهور وقيـل الاخوة والاب والخالة لان امه كانت ميتـة وروي ان رؤيا يوسف خرجت بعد اربعين سنة وقيل بعد ثمـانين سنـة * وقوله قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا من هنا ومن فعـل اخوة يوسف بيوسف يظهر انهم لم يكونوا انبيـاء فى ذلك الوقت ومـا وقع فى كتاب الطبري لابن زيد انهم كانوا انبياء يرده القطع بعصمة الانبياء عن الحسد الدنياوي وعن عقوق الآباء وتعريض مومن للهلاك والتوءامر فى قتله * وكذلك يجتبيك ربك اي يختارك ويصطفيك * ويعلمك من تاويـل الاحاديث قال مجاهد وغيره هي عبارة الرؤيا وقال الحسن هي عواقب الامور وقيـل هي عامة لذلك وغيره من المغيبات * ويتم نعمته عليك الآية يريد بالنبوءة وما انضاف اليهـا من سائر النعم ويروى ان يعقوب علم هذا من دعوة اسحاق له حين تشبه بعيصو وباقى الآيـة بين * وقوله سبحانـه لقد كان فى يوسف واخوتـه ءايات للسائلـين اذ كل احد ينبغى ان يسأل عن مثـل هذا القصص اذ هي مقر العبر

والا تعاظ وقولهم واخوه يريدون به يامين وهو اصغر من يوسف ويقال له بنيامين قيل وهو شقيقه * احب الى ابينا منا اي لصغرهما وموت امهما وهذا من حب الصغير هي فطرة البشر وقولهم ونحن عصبة اي جماعة تضر وتنفع وتحمى وتخذل اي لنا كانت تنبغي المحبة والمراعاة والعصبة فى اللغة الجماعة وقولهم لفى ضلال مبين اي لفى انتلاف وخطإ فى محبة يوسف واخيه وهذا هو معنى الضلال وانما يصغر قدره ويعظم بحسب الشيء الذى فيه يقع الانتلاف ومبين معناه ظاهر للمتأمل وقولهم او اطرحوه ارضا اي بارض بعيدة فارضا مفعول ثان باسقاط حرف الجر والضمير فى بعده عائد على يوسف او قتله او طرحه وصالحين قال مقاتل وغيره انهم ارادوا صلاح الحال عند ابيهم والقائل منهم لاتقتلوه هو روبيل اسنهم قاله قتادة وابن اسحاق وقيل هو شمعون قاله مجاهد وهذا عطف منه على اخيه لامحالة لما اراد الله من انفاذ قضائه والغيابة ما غاب عنك والجب البير التى لم تطو لانها جبت من الارض فقط قال المهدوي والجب فى اللغة البير المقطوعة التى لم تطو انتهى والسيارة جمع سيار وروي ان جماعة من الاعراب التقطت يوسف عليه السلام * وقوله سبحانه قالوا يا ابانا مالك لاتامنا على يوسف وانا له لناصحون الآية المتقدمة تقتضى ان اباهم قدكان علم منهم ارادتهم السوء فى جهة يوسف وهذه الآية تقتضى انهم علموا هم منه بعلمه ذلك وقرأ ابو عامر وابن عمرو نرتع ونلعب بالنون فيهما واسكان العين والباء ونرتع على هذا من الرتوع وهي الاقامة فى الخصب والمرعى فى اكل وشرب وقرأ ابن كثير نرتع ونلعب بالنون فيهما وكسر العين واسكان الباء وقد روي عنه ويلعب بالياء ونرتع على هذا من رعاية الابل وقال مجاهد من المراعاة اي يرعى بعضنا بعضا ويحرسه وقرأ عاصم وحمزة والكساءي يرتع ويلعب باسناد ذلك كله الى يوسف وقرأ نافع يرتع

ويلعب فيرتع على هـذا من رعاية الابل قال ابو علي وقراءة ابن كثير نرتع بالنون ويلعب بالياء منزعها حسن لاسناد النظر فى المال والرعايـة اليهم واللعب الى يوسف لصباه ولعبهم هذا داخل فى اللعب المباح والمنـدوب كاللعب بالخيل والرمي وعللوا طلبه والخروج به بما يمكن ان يستهوي يوسف لصباه مـن الرتوع واللعب والنشاط وانما خاف يعقوب عليه السلام الذيب دون سواه وخصصه لانه كان الحيوان العادي المنبث فى القطر ولصغر يوسف واجمعوا معناه عزموا * وقوله سبحانه واوحينا اليه يحتمـل ان يكون الوحي الى يوسف حينئـذ برسول ويحتمل ان يكون بالهام او بنوم وكل ذلك قد قيل وقرأ الجمهور لتنبئنهم بالتـاء من فوق * وقـوله وهم لا يشعرون قال ابن جريـج معنـاه لا يشعرون وقت التنبئة انك يوسف وقال قتادة لا يشعرون بوحينـا اليك * وقوله وجاءو اباهم عشـاء يـبكون اي وقت العشاء وقرأ الحسن عشى على مثال دجى جمـع عاش ومعنى ذلك اصابهم عشى من البكاء او شبه العشى اذ كذلك هي عين الباكى لانه يتعاشى ومثل شريح امرأة بكت وهي مبطلة ببكاء هؤلاء وقرأ الآيـة ونستبق معناه على الاقدام وقيل بالرمي اي ننتضل وهو نوع من المسابقة قاله الزجاج وقولهم وما انت بمومن لنا اي بمصدق لنـا ولو كنا صادقين اي ولو كنا موصوفين بالصدق ويحتمل ان يكون قولهم ولو كنـا صادقين بمعنى وان كنا صادقين فى معتقدنا * وقوله سبحانه وجـاءو على قميصه بدم كذب روي انهم اخذوا سخلة او جديا فذبحوه ولطخوا به قميص يوسف وقالوا ليعقوب هذا قميصه فاخذه وبكى ثم تأمله فلم ير خرقا ولا اثر ناب فاستدل بذلك على كذبهم وقال لهم متى كان الذيب حليما يا كل يوسف ولا يخرق قميصه قص هذا القصص ابن عباس وغيره واجمعوا على انه استدل على كذبهم بصحة القميص واستند الفقهاء الى هذا فى اعمال الامارات فى مسائل كالقسامة بها فى قول مالك الى

غير ذلك قال الشعبي كان فى القميص ثلاث ءايات دلالته على كذبهم وشهادته فى قده ورد بصر يعقوب به ووصف الدم بالكذب الذى هو مصدر على جهة المبالغة ثم قال لهم يعقوب بل سولت لكم اي رضيت وجعلت سولا ومرادا امرا اي صنعا قبيحا بيوسف * وقوله فصبر جميل اما على حذف المبتدا اي فشأنى صبر جميل واما على حذف الخبر تقديره فصبر جميل امثل وجميل الصبر ان لا تقع شكوى الى البشر وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بث لم يصبر صبرا جميلا * وقوله والله المستعان على ما تصفون تسليم لامر الله تعالى وتوكل عليه * وقوله سبحانه وجاءت سيارة فارسلوا واردهم قيل ان السيارة جاءت فى اليوم الثانى من طرحه والسيارة بناء مبالغة للذين يرددون السير فى الطرق قال (ص) والسيارة جمع سيار وهو الكثير السير فى الارض انتهى والوارد هو الذى ياتى الماء يستقى منه لجماعته وهو يقع على الواحد وعلى الجماعة وروي ان مدلي الدلو كان يسمى مالك بن دعر ويروى ان هذا الجب كان بالاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ويقال ادلى دلوه اذا القاه ليستقي الماء وفى الكلام حذف تقديره فتعلق يوسف بالحبل فلما بصر به المدلى قال يا بشراي وروي ان يوسف كان يومئذ ابن سبع سنين ويرجح هذا لفظة غلام فانها لما بين الحولين الى البلوغ فان قيلت فيما فوق ذلك فعلى استصحاب حال وتجوز وقرأ نافع وغيره يا بشراي باضافة البشرى الى المتكلم وبفتح الياء على ندائها كانه يقول احضرى فهذا وقتك وقرأ حمزة والكساءي يا بشرى ويميلان ولا يضيفان وقرأ عاصم كذلك الا انه يفتح الراء ولا يميل واختلف فى تاويل هذه القرءاة فقال السدي كان فى اصحاب هذا الوارد رجل اسمه بشرى فناداه واعلمه بالغلام وقيل هو على نداء البشرى كما قدمنا * وقوله سبحانه واسروه بضاعة قال مجاهد وذلك ان الوراد خشوا

من تجار الرفقة ان قالوا وجدناه ان يشاركوهم فى الغلام الموجود يعنى او يمنعوهم من تملكه ان كانوا اخيارا فاسروا بينهم ان يقولوا ابضعه معنا بعض اهل المصر وبضاعة حال والبضاعة القطعة من المال يتجر فيها بغير نصيب من الربح ماخوذة من قولهم بضعة اي قطعة وقيل الضمير فى اسروه يعود على اخوة يوسف * وقوله سبحانه وشروه بثمن بخس شروه هنا بمعنى باعوه قال الداودي وعن ابى عبيدة وشروه اي باعوه فاذا ابتعت انت قلت اشتريت انتهى وقال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى وشروه بثمن بخس يقال اشتريت بمعنى بعت وشريت بمعنى اشتريت لغة انتهى وعلى هذا فلا مانع من حمل اللفظ على ظاهره ويكون شروه بمعنى اشتروه قال (ع) روي ان اخوة يوسف لما علموا ان الوراد قد اخذوه جاءوهم فقالوا هذا عبد قد ابق منا ونحن نبيعه منكم فقارّهم يوسف على هذه المقالة خوفا منهم ولينفذ الله امره والبخس مصدر وصف به الثمن وهو بمعنى النقص * وقوله دراهم معدودة عبارة عن قلة الثمن لانها دراهم لم تبلغ ان توزن لقلتها وذلك انهم كانوا لا يزنون ما كان دون الاوقية وهي اربعون درهما * وقوله سبحانه وكانوا فيه من الزاهدين وصف يترتب فى اخوة يوسف وفى الوراد ولكنه فى اخوة يوسف ارتب اذ حقيقة الزهد فى الشيء اخراج حبه من القلب ورفضه من اليد وهذه كانت حال اخوة يوسف فى يوسف واما الوراد فان تمسكهم به وتجرهم يمانع زهدهم الا على تجوز قال ابن العربي فى احكامه وكانوا فيه من الزاهدين اي اخوته والواردة اما اخوته فلان مقصودهم زوال عينه واما الواردة فلانهم خافوا اشتراك اصحابهم معهم انتهى * وقوله سبحانه وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا روي ان مبتاع يوسف ورد به مصر البلد المعروف ولذلك لا ينصرف فعرضه فى السوق وكان اجمل الناس فوقعت

فيه مزايدة حتى بلغ ثمنا عظيما فقيل وزنه من ذهب ومن فضة ومن حرير فاشتراه العزيز وهو كان حاجب الملك وخازنه واسم الملك الريان بن الوليد وقيل مصعب بن الريان وهو احد الفراعنة واسم العزيز المذكور قطيفين قاله ابن عباس وقيل اظفير وقيل قنطور واسم امرأته راعيل قاله ابن اسحاق وقيل زليخا قال البخاري ومثواه مقامه * وقوله او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان فيما يقال لاولد له ثم قال تعالى وكذلك اي وكما وصفنا مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه فعلنا ذلك والاحاديث الرؤيا فى النوم قاله مجاهد وقيل احاديث الانبياء والامم والضمير فى امره يحتمل ان يعود على يوسف قاله الطبري ويحتمل ان يعود على الله عز وجل قاله ابن جبير فيكون اخبارا منبها على قدرة الله عز وجل ليس فى شان يوسف خاصة بل عاما فى كل امر والاشد استكمال القوة وتناهى بنية الانسان وهما اشدان اولهما البلوغ والثانى الذى يستعمله العرب * وقوله سبحانه ءاتيناه حكما وعلما يحتمل ان يريد بالحكم الحكمة والنبوة وهذا على الاشد الاعلى ويحتمل ان يريد بالحكم السلطان فى الدنيا وحكما بين الناس وتدخل النبوءة وتاويل الاحاديث وغير ذلك فى قوله وعلما وقال ابن العربي ءاتيناه حكما وعلما الحكم هو العمل بالعلم انتهى * وقوله سبحانه وكذلك نجزى المحسنين عبارة فيها وعد للنبي صلى الله عليه وسلم اي فلا يهولنك فعل الكفرة وعتوهم عليك فالله تعالى يصنع للمحسنين اجمل صنع * وقوله سبحانه وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه المراودة الملاطفة فى السوق الى غرض والتى هو فى بيتها هي زليخا امرأة العزيز وقوله عن نفسه كناية عن غرض المواقعة وظاهر هذه النازلة انها كانت قبل ان ينبأ عليه السلام وقولها هيت لك معناه الدعاء اي تعال واقبل على هذا الامر قال الحسن معناها هلم قال البخاري قال عكرمة هيت لك بالحورانية هلم وقال

ابن جبير تعاله انتهى وقرأ هشام عن ابن عامر هئت لك بكسر الهاء والهمز وضم التاء ورويت عن ابي عمرو وهذا يحتمل ان يكون من هاء الرجل يهيء اذا حسن هيئته ويحتمل ان يكون بمعنى تهيأت ومعاذ نصب على المصدر ومعنى الكلام اعوذ بالله ثم قال انه ربي احسن مثواي فيحتمل ان يعود الضمير فى انه على الله عز وجل ويحتمل ان يريد العزيز سيده اي فلا يصلح لى ان اخونه وقد اكرم مثواي وائتمننى قال مجاهد وغيره ربي معناه سيدى واذا حفظ الادمي لاحسانه فهو عمل زاك واحرى ان يحفظ ربه والضمير فى قوله انه لا يفلح مراد به الامر والشان فقط وحكى بعض المفسرين ان يوسف عليه السلام لما قال معاذ الله ثم دافع الامر باحتجاج وملاينة امتحنه الله تعالى بالهم بما هم به ولو قال لا حول ولا قوة الا بالله ودافع بعنف وتغيير لم يهم بشيء من المكروه * وقوله سبحانه وهم بها اختلف فى هم يوسف قال (ع) والذى اقول به فى هذه الآية ان كون يوسف عليه السلام نبيا فى وقت هذه النازلة لم يصح ولا تظاهرت به رواية فاذا كان ذلك فهو مومن قد اوتي حكما وعلما ويجوز عليه الهم الذى هو ارادة الشيء دون مواقعته وان يستصحب الخاطر الرديء على ما فى ذلك من الخطيئة وان فرضناه نبيا فى ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندى الا الهم الذى هو الخاطر ولا يصح عندى شيء مما ذكر من حل تكة ونحو ذلك لان العصمة مع النبوءة وللهم بالشيء مرتبتان فالخاطر المجرد دون استصحاب يجوز عليه ومع استصحاب لا يجوز عليه اذ الاجماع منعقد ان الهم بالمعصية واستصحاب التلذذ بها غير جائز ولا داخل فى التجاوز (ت) قال عياض والصحيح ان شاء الله تنزيههم ايضا قبل النبوءة من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب ثم قال عياض بعد هذا واما قول الله سبحانه ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى

برهان ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يواخذ به وليس بسيئة لقوله عليه السلام عن ربه اذا هم عبدى بسيئة فلم يعلمها كتبت له حسنة فلا معصية فى همه اذن واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما مالم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفوعنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسى الآية اي من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع انتهى واختلف فى البرهان الذى رءاه يوسف فقيل ناداه جبريل يا يوسف تكون فى ديوان الانبياء وتفعل فعل السفهاء وقيل رأى يعقوب عاضا على ابهامه وقيل غير هذا وقيل بل كان البرهان فكرته فى عذاب الله ووعيده على المعصية والبرهان فى كلام العرب الشيء الذى يعطى القطع واليقين كان مما يعلم ضرورة او بخبر قطعي او بقياس نظري وان فى قوله لولا ان رأى فى موضع رفع تقديره لولا رؤيته برهان ربه لفعل وذهب قوم الى ان الكلام تم فى قوله ولقد همت به وان جواب لولا فى قوله وهم بها وان المعنى لولا ان رأى البرهان لهم اي فلم يهم عليه السلام وهذا قول يرده لسان العرب واقوال السلف (ت) وقد ساق عياض هذا القول مساق الاحتجاج به متصلا بما نقلناه عنه ءانفا ولفظه فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابى عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا ان رأى برهان به لهم بها وقد قال الله تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال معاذ الله الآية انتهى وكذا نقله الداودي ولفظه وقد قال سعيد بن الحداد فى الكلام تقديم وتاخير ومعناه انه لولا ان رأى برهان ربه لهم بها فلما رأى البرهان لم يهم انتهى

قال ابن العربي فى احكامه وقد اخبر الله سبحانه عن حال يوسف من حين بلوغه بانه ءاتاه حكما وعلما والحكم هو العمل بالعلم وكلام الله صادق وخبره صحيح ووصفه حق فقد عمل يوسف بما علمه الله من تحريم الزنا وتحريم خيانة السيد فى اهله فما تعرض لامرأة العزيز ولا اناب الى المراودة بل ادبر عنها وفرمنها حكمة خص بها وعمل بما علمه الله تعالى وهذا يطمس وجوه الجهلة من الناس والغفلة من العلماء فى نسبتهم الى الصديق ما لايليق واقل ما اقتحموا من ذلك هتك السراويل والهم بالفتك فيما رأوه من تاويل وحاشاه من ذلك فما لهؤلاء المفسرين لا يكادون يفقهون حديثا يقولون فعل فعل والله تعالى انما قال هم بها قال علماء الصوفية ان فائدة قوله تعالى ولما بلغ اشده ءاتيناه حكما وعلما ان الله عز وجل اعطاه العلم والحكمة بان غلب الشهوة ليكون ذلك سببا للعصمة انتهى والكاف من قوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء متعلقة بمضمر تقديره جرت افعالنا واقدارنا كذلك لنصرف ويصح ان تكون الكاف فى موضع رفع بتقدير عصمتنا له كذلك وقرأ ابن كثير وغيره المخلصين بكسر اللام فى سائر القرءان ونافع وغيره بفتحها * وقوله تعالى واستبقا الباب الآية معناه سابق كل واحد منهما صاحبه الى الباب هي لترده الى نفسها وهو ليهرب عنها فقبضت فى اعلى قميصه فتخرق القميص عند طوقه ونزل التخريق الى اسفل القميص قال البخاري والفيا اي وجدا الفوا ءاباءهم وجدوهم انتهى والقد القطع واكثر ما يستعمل فيما كان طولا والقط يستعمل فيما كان عرضا والفيا وجدا والسيد الزوج قاله زيد ابن ثابت ومجاهد * وقوله سبحانه قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الآية قال نوف الشامي كان يوسف عليه السلام لم يبن على كشف القصة فلما بغت عليه غضب فقال الحق فاخبر انها هي راودته عن نفسه فروي ان الشاهد كان ابن

عمها قال انظروا الى القميص وقال ابن عباس كان رجلا من خاصة الملك وقاله مجاهد وغيره والضمير فى رأى هو للعزيز وهو القائل انه من كيدكن قاله الطبري وقيل بل الشاهد قال ذلك ونزع بهذه الآيـة من يرى الحكم بالامارة من العلماء فانها معتمدهم ويوسف فى قوله يوسف اعرض عن هذا منادى قال ابن عباس ناداه الشاهد وهو الرجل الذى كان مع العزيز واعرض عن هذا معناه عن الكلام به اي اكتمه ولا تتحدث به ثم رجع اليها فقال واستغفرى لذنبك اي استغفرى زوجك وسيدك وقال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لان الخاطئين اعم * وقوله سبحانه وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه نسوة جمع قلة وجمع التكثير نساء ويروى ان هؤلاء النسوة كن اربعا امرأة خبازة وامرأة ساقية وامرأة بوابة وامرأة سجانة والعزيز الملك والفتى الغلام وعرفه فى المملوك ولكنه قد قيل فى غير المملوك ومنه اذ قال موسى لفتاه واصل الفتى فى اللغة الشاب ولكن لما كان جل الخدمة شبابا استعير لهم اسم الفتى وشغفها معناه بلغ حتى صار من قلبها موضع الشغاف وهو على اكثر القول غلاف من اغشية القلب وقيل الشغاف سويداء القلب وقيل الشغاف داء يصل الى القلب * فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن ليحضرن * واعتدت لهن متكأ اي اعدت ويسرت ما يتكأ عليه من فرش ووسائد وغير ذلك وقرأ ابن عباس وغيره متكا بضم الميم وسكون التاء وتنوين الكاف واختلف فى معناها فقيل هو الاترنج وقيل هو اسم يعم جميع ما يقطع بالسكين وقولها اخرج عليهن امر ليوسف واطاعها بحسب الملك * وقوله اكبرنه معناه اعظمنه واستهولن جماله هذا قول الجمهور * وقطعن ايديهن اي كثرن الحز فيها بالسكاكين وقرأ ابو عمرو وحده حاشى لله وقرأ سائر السبعة حاش لله فمعنى حاش لله اي حاشى يوسف لطاعته لله او

لمكانه من الله ان يرمى بما رميته به او يدعى الى مثله لان تلك افعال البشر وهو ليس منهم انما هو ملك هكذا رتب بعضهم معنى هذا الكلام على القراءتين وقرأ الحسن وغيره ما هذا بشرا ان هذا الاملك كريم بكسر اللام من ملك وعلى هذه القراءة فالكلام فصيح لما استعظمن حسن صورته قلن ما هذا مما يصلح ان يكون عبدا بشرا ان هذا الا مما يصلح ان يكون ملكا كريما (ت) وفي صحيح مسلم من حديث الاسراء ثم عرج بنا الى السماء الثالثة ففتح لنا فاذا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير انتهى وقولها فذلكن الذى لمتننى فيه المعنى فهذا الذى لمتننى فيه وقطعتن ايديكن بسببه هو الذى جعلني ضالة فى هواه ثم اقرت امرأة العزيز للنسوة بالمراودة واستامنت اليهن فى ذلك اذ علمت انهن قد عذرنها * واستعصم معناه طلب العصمة وتمسك بها وعصاني ثم جعلت تتوعده وهو يسمع بقولها * ولئن لم يفعل ما ءامره الى ءاخر الآية (ت) واعترض (ص) بان تفسير استعصم باعتصم اولى من جعله للطلب اذ لا يلزم من طلب الشيء حصوله انتهى واللام فى ليسجنن لام قسم واللام الاولى هي الموذنة بالمجيء بالقسم والصاغرون الاذلاء وقول يوسف عليه السلام رب السجن احب الي الى قوله من الجاهلين كلام يتضمن التشكى الى الله تعالى من حاله معهن واصب ماخوذ من الصبوة وهي افعال الصبا ومن ذلك قول دريد ابن الصِّمَّة

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه * فلما علاه قال للباطل ابعد

قال (ص) اصب معناه اِمِلْ وهو جواب الشرط والصبابة افراط الشوق انتهى * فاستجاب له ربه اي اجابه الى ارادته وصرف عنه كيدهن فى ان حال بينه وبين المعصية * وقوله سبحانه ثم بدا لهم من بعد ما رأوا

الآيات ليسجننه حتى حين بدا معناه ظهر ولما ابى يوسف عليه السلام من المعصية ويئست منه امرأة العزيز طالبته بان قالت لزوجها ان هذا الغلام العبراني قد فضحني فى الناس وهو يعتذر اليهم ويصف الامر بحسب اختياره وانا محبوسة محجوبة فاما اذنت لى فخرجت الى الناس فاعتذرت وكذبته واما حبسته كما انا محبوسة فحينئذ بدالهم سجنه (ع) وليسجننه جملة دخلت عليها لام قسم والآيات ذكر فيها اهل التفسير انها قد القميص وخمش الوجه وحز النساء ايديهن وكلام الصبي على ما روي قال (ع) ومقصد الكلام انما هو انهم رأوا سجنه بعد ظهور الآيات المبرئة له من التهمة فهكذا يبين ظلمهم له والحين فى كلام العرب وفى هذه الآية الوقت من الزمان غير محدود يقع للقليل والكثير وذلك بين من موارده فى القرءان * وقوله سبحانه ودخل معه السجن فتيان الآية المعنى فسجنوه فدخل معه السجن غلامان سجنا ايضا وروي انهما كانا للملك الاعظم الوليد بن الريان احدهما خبازه واسمه مجلث والآخر ساقيه واسمه نبو وروي ان الملك اتهمهما بان الخباز منهما اراد سمه ووافقه على ذلك الساقى فسجنهما قاله السدي فلما دخل يوسف السجن استمال الناس فيه بحسن حديثه وفضله ونبله وكان يسلى حزينهم ويعود مريضهم ويسأل لفقيرهم ويندبهم الى الخير فاحبه الفتيان ولزماه واحبه صاحب السجن والقيم عليه وكان يوسف عليه السلام قد قال لاهل السجن انى اعبر الرؤيا واجيد فروي عن ابن مسعود ان الفتيين استعملا هاتين المنامتين ليجرباه وروي عن مجاهد انهما رأيا ذلك حقيقة فقال احدهما انى ارانى اعصر خمرا قيل فيه انه سمى العنب خمرا بالمئال وقيل هي لغة ازد عمان يسمون العنب خمرا وفى قراءة ابي وابن مسعود اعصر عنبا * وقوله انا نراك من المحسنين قال الجمهور يريدان فى العلم وقال الضحاك وقتادة المعنى من

المحسنين فى جريه مع اهل السجن واجماله معهم * وقوله عز وجل قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما روي عن السدي وابن اسحاق ان يوسف عليه السلام لما علم شدة تعبير منامة الراءى الخبز وانها توذن بقتله ذهب الى غير ذلك من الحديث عسى ان لا يطالباه بالتعبير فقال لهما معلما بعظيم علمه للتعبير انه لا يجيئكما طعام فى نومكما تريان انكما رزقتماه الا اعلمتكما بتاويل ذلك الطعام اي بما يئول اليه امره فى اليقظة قبل ان يظهر ذلك التاويل الذى اعلمكما به فروي انهما قالا ومن اين لك ما تدعيه من العلم وانت لست بكاهن ولا منجم فقال لهما ذلك مما علمني ربي ثم نهض ينحى لهما على الكفر ويقبحه ويحسن الايمان بالله فروي انه قصد بذلك وجهين احدهما تنسيتهما امر تعبير ما سألا عنه اذ فى ذلك النذارة بقتل احدهما والآخر الطاعية فى ايمانهما لياخذ المقتول بحظه من الايمان وتسلم له ٠اخرته وقال ابن جريج اراد يوسف عليه السلام لا ياتيكما طعام فى اليقظة قال (ع) فعلى هذا انما اعلمهم بانه يعلم مغيبات لا تعلق لها بروٗيا وقصد بذلك احد الوجهين المتقدمين وهذا على ما روي انه نبئ فى السجن فاخباره كاخبار عيسى عليه السلام * وقوله تركت مع انه لم يتشبث بها جائز صحيح وذلك انه اخبر عن تجنبه من اول بالترك وساق لفظ الترك استجلابا لهما عسى ان يتركا الترك الحقيق الذى هو بعد الاخذ فى الشيء والقوم المتروك ملتهم الملك واتباعه * وقوله واتبعت الآية تماد من يوسف عليه السلام فى دعائهما الى الملة الحنيفية * وقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء من هي الزائدة الموكدة التى تكون مع الجحود * وقوله لا يشكرون يريد الشكر التام الذى فيه الايمان بالله عز وجل * وقوله يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وصفه لهما بصاحبي السجن

من حيث سكناه كما قال اصحاب الجنـة واصحاب النار ونحو ذلك ويحتمل ان يريد صحبتهما له فى السجن كانه قال يا صاحباي فى السجن وعرضـه عليهما بطلان امر الاوثان بان وصفها بالتفرق ووصف الله تعالى بالوحدة والقهر تلطف حسن واخذ بيسير الحجة قبل كثيرها الذى ربما نفرت منه طباع الجاهـل وعاندته وهكذا الوجه فى محاجـة الجاهـل ان يوخـذ بدرجـة يسيرة من الاحتجاج يقبلها فاذا قبلها لزمته عنها درجة اخرى فوقها ثم كذلك ابدا حتى يصل الى الحق وان اخذ الجاهل بجميع المذهب الذى يساق اليـه دفعـة اباه للحين وعانـده ولقـد ابتلي بارباب متفرقين من يخـدم ابناء الدنيا ويؤملهم * وقوله ما تعبدون من دونه الا اسماء اي مسميات ويحتمل وهو الراجح المختار ان يريد ما تعبـدون من دونـه الوهيـة ولا لكم تعلق باله الا بحسب ان سميتم اصنامكم ءالهة فليست عبادتكم لا لله الا بالاسم فـقط لا بالحقيقـة واما الحقيقة فهي وسائر الحجارة والخشب سواء وانمـا تعلقت عبـادتكم بحسب الاسم الذى وضعتم فذلك هو مبعودكم ومفعول سميتم الثانى محذوف تقديره ءالهة هذا على ان الاسماء يراد بها ذوات الاصنام واما على المعنى المختار من ان عبادتهم انما هي لمعان تعطيهـا الاسمـاء وليست موجـودة فى الاصنـام فقوله سميتموهـا بمنزلة وضعتموها ان الحكم الا لله اي ليس لاصنامكم والقيم معنـاه المستقيم واكثر الناس لا يعلمون لجهالتهم وكفرهم ثم نادى يا صاحبي السجن ثانيـة لتجتمع انفسهما لسماع الجواب فروي انـه قال لنبو اما انت فـتعود الى مرتبتك وسقاية ربك وقال لمجلث اما انت فـتصلب وذلك كلـه بعد ثـلاث فروي انهما قالا له مـا رأينـا شيـأ وانمـا تحالمنـا لنجربك وروي انـه لم يقـل ذلك الا الـذى حدثـه بالصلب وقيـل كانا رأيا ثم انكرا ثم اخبرهما يوسف عن غيبٍ علمَـه من الله تعالى ان الامر قد قضي ووافق القدر * وقوله وقال للذى ظن انـه

ناج منهما الآية الظن هنا بمعنى اليقين لان ما تقدم من قوله قضي الامر يلزم ذلك وقال قتادة الظن هنا على بابه لان عبارة الرؤيا ظن قال (ع) وقول يوسف عليه السلام قضي الامر دال على وحي ولا يترتب قول قتادة الا بان يكون معنى قوله قضي الامر اي قضي كلامى وقلت ما عندى وتم والله اعلم بما يكون بعد وفى الآية تاويل ءاخر وهو ان يكون ظن مسندا الى الذى قيل له انه يسقى ربه خمرا لانه داخله السرور بما بشر به وغلب على ظنه ومعتقده انه ناج * وقوله اذكرنى عند ربك يحتمل ان يريد ان يذكره بعلمه ومكانته ويحتمل ان يذكره بمظلمته وما امتحن به بغير حق او يذكره بجملة ذلك والضمير فى انساه قيل هو عائد على يوسف اي نسي فى ذلك الوقت ان يشتكي الى الله فروي ان جبريل جاءه فعاتبه عن الله عز وجل فى ذلك قيل اوحي اليه يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن سجنك والله اعلم بصحته وقيل الضمير فى انساه عائد على الساقى قاله ابن اسحاق اي نسي ذكر يوسف عند ربه وهو الملك والبضع اختلف فيه والاكثر انه من الثلاثة الى العشرة قاله ابن عباس وعلى هذا فقه مذهب مالك فى الدعاوى والايمان وقال قتادة البضع من الثلاثة الى التسعة ويقوى هذا قوله صلى الله عليه وسلم لابى بكر الصديق فى قصة خطره مع قريش فى غلبة الروم لفارس اما علمت ان البضع من الثلاث الى التسع * وقوله سبحانه وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف روي انه قال رأيتها خارجة من نهر وخرجت وراءها سبع عجاف فاكلت تلك السمان وحصلت فى بطونها ورأى السنابل ايضا كما ذكر والعجاف التى بلغت غاية الهزال ثم قال لحاضريه يا ايها الملأ افتونى فى رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون وعبارة الرؤيا ماخوذة من عبر

النهر وهو تجاوزه من شط الى شط فكان عابر الرؤيا ينتهى الى ءاخر تاويلها قال (ص) وانما لم يضف سبع الى عجاف لان اسم العدد لا يضاف الى الصفة الا فى الشعر انتهى * وقوله سبحانه قالوا اضغاث احلام الآية الضغث فى كلام العرب اقل من الحزمة واكثر من القبضة من النبات والعشب ونحوه وربما كان ذلك من جنس واحد وربما كان من اخلاط النبات والمعنى ان هذا الذى رأيت ايها الملك اختلاط من الاحلام بسبب النوم ولسنا من اهل العلم بما هو مختلط ورديء والاحلام جمع حلم وهو ما يخيل الى الانسان فى منامه والاحلام والرؤيا مما اثبتته الشريعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله وهي من المبشرة والحلم المحزن من الشيطان فاذا رأى احدكم ما يكره فليتفل عن يساره ثلاث مرات وليقل اعوذ بالله من شر ما رأيت فانها لا تضره وماكان عن حديث النفس فى اليقظة فانه لا يلتفت اليه ولما سمع الساقى الذى نجا هذه المقالة من الملك ومراجعة اصحابه تذكر يوسف وعلمه بالتاويل فقال مقالته فى هذه الآية وادكر اصله اذتكر من الذكر فقلبت التاء دالا وادغم الاول فى الثانى وقرأ جمهور الناس بعد امة وهي المدة من الدهر وقرأ ابن عباس وجماعة بعد أَمَهٍ وهو النسيان وقرأ مجاهد وشبل بعد امه بسكون الميم وهو مصدر من امه اذا نسي وبقوله ادكر يقوى قول من قال ان الضمير فى انساه عائد على الساقى والامر محتمل وقرأ الجمهور انا انبئكم وقرأ الحسن بن ابى الحسن انا ءاتيكم وكذلك فى مصحف ابي * وقوله فارسلون استيذان فى المضي * وقوله يوسف ايها الصديق افتنا المعنى فجاء الرسول وهو الساقى الى يوسف فقال له يوسف ايها الصديق وسماه صديقا من حيث كان جرب صدقه فى غير ماشيء وهو بناء مبالغة من الصدق ثم قال له افتنا فى سبع بقرات اي فيمن رأى فى المنام سبع

بقرات * وقوله لعلهم يعلمون اي تاويـل هذه الرؤيا فيزول هم الملك لذلك وهم الناس وقيل لعلهم يعلمون مكانتك من العلم وكنه فضلك فيكون ذلك سببا لتخلصك ودأبا معناه ملازمة لعادتكم فى الزراعة * وقوله فما حصدتم فذروه فى سنبله اشارة برأيٍ نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التى لا تبقى عامين بوجه الا بحيلة ابقائها فى السنبل والمعنى اتركوا الزرع فى السنبل الا ما لا غنى عنه للاكل فيجتمع الطعام هكذا ويتركب ويوكل الاقدم فالاقدم وروي ان يوسف عليه السلام لما خرج ووصف هذا الترتيب للملك واعجبه امره قال له الملك قد اسندت اليك تولى هذا الامر فى الاطعمة هذه السنين المقبلة فكان هذا اول ماولي يوسف وتحصنون معناه تحرزون وتخزنون قاله ابن عباس وهوماخوذ من الحصن وهو الحرز والملجأ ومنه تحصن النساء لانه بمعنى التحرز * وقوله يغاث الناس جائز ان يكون من الغيث وهوقول ابن عباس وجمهور المفسرين اي يمطرون وجائز ان يكون من اغاثهم الله اذا فرج عنهم ومنه الغوث وهو الفرج وفيه يعصرون قال جمهور المفسرين هي من عصر النباتات كالزيتون والعنب والقصب والسمسم والفجل ومصر بلد عصر لاشياء كثيرة * وقوله سبحانه وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول الآية لما رأى الملك وحاضروه نُبْل التعبير وحسن الرأي وتضمن الغيب فى امر العام الثامن مع ما وصف به من الصدق عظم يوسف فى نفس الملك وقال ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك يعنى الملك فسأله ما بال النسوة التى قطعن ايدبهن وقصده عليه السلام بيان براءته وتحقق منزلته من العفة والخير فرسم القصة بطرف منها اذا وقع النظر عليه بان الامر كله ونكب عن ذكر امرأة العزيز حسن عشرة ورعاية لذمام ملك العزيز له وفى صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك عن النبي صلى الله

عليه وسلم ولو لبثت فى السجن لبث يوسف لاجبت الداعي المعنى لوكنت انا لبادرت بالخروج ثم حاولت بيان عذرى بعد ذلك وذلك ان هذه القصص والنوازل انما هي معرضة ليقتدي الناس بها الى يوم القيامة فاراد صلى الله عليه وسلم حمل الناس على الاحزم من الامور وذلك ان التارك لمثل هذه الفرصة ربما نتج له بسبب التاخير خلاف مقصوده وان كان يوسف قد امن ذلك بعلمه من الله فغيره من الناس لايامن ذلك فالحالة التى ذهب النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه اليها حالة حزم ومدح ليقتدى به وما فعله يوسف عليه السلام حالة صبر وتجلد قال ابن العربي فى احكامه وانظر الى عظيم حلم يوسف عليه السلام ووفور ادبه كيف قال ما بال النسوة اللتى قطعن ايديهن فذكر النساء جملة لتدخل فيهن امرأة العزيز مدخل العموم بالتلويح دون التصريح انتهى وهذه كانت اخلاق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا يقابل احدا بمكروه وانما يقول ما بال اقوام يفعلون كذا من غير تعيين وبالجملة فكل خصلة حميدة مذكورة فى القرءان اتصف بها الانبياء والاصفياء فقد اتصف بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذكان خلقه القرءان كما روته عائشة فى الصحيح وكما ذكرالله سبحانه اولائك الذين هدى الله فبهداهم اقتده انتهى * وقوله ان ربى بكيدهن عليم فيه وعيد وقوله قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه المعنى فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن وقال لهن ما خطبكن الآية اي اي شيء كانت قصتكن فجاوب النساء بجواب جيد تظهر منه براءة انفسهن واعطين يوسف بعض براءة فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء فلما سمعت امراة العزيز مقالتهن وحيدتهن حضرتها نية وتحقيق فقالت الآن حصحص الحق اي تبين الحق بعد خفائه قاله الخليل وغيره قال البخاري حاش وحاشي تنزيه واستثناء وحصحص وضح انتهى ثم اقرت على نفسها

بالمراودة والتزمت الذنب وابرأت يوسف البراءة التامة * وقوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب الى قوله ان ربي غفور رحيم اختلف فيه اهل التاويل هل هو من قول يوسف او من قول امرأة العزيز * وقوله سبحانه وقال الملك ايتونى به استخلصه لنفسى المعنى ان الملك لما تبينت له براءة يوسف وتحقق فى القصة امانته وفهم ايضا صبره وعلو همته عظمت عنده منزلته وتيقن حسن خلاله فقال ايتونى به استخلصه لنفسى فلما جاءه وكلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال ابن العربي فى احكامه قوله انك اليوم لدينا مكين امين اي متمكن مما اردت امين على ما ائتمنت عليه من شيء اما امانته فلظهور براءته واما مكانته فلثبوت عفته ونزاهته انتهى ولما فهم يوسف عليه السلام من الملك انه عزم على تصريفه والاستعانة بنظره قال اجعلنى على خزائن الارض لما فى ذلك من مصالح العباد قال (ع) وطلبة يوسف للعمل انما هي حسبة منه عليه السلام فى رغبته فى ان يقع العدل وجائز ايضا للمرء ان يثني على نفسه بالحق اذا جهل امره والخزائن لفظ عام لجميع ما تختزنه المملكة من طعام ومال وغيره * وقوله سبحانه وكذلك مكنا ليوسف فى الارض الاشارة بذلك الى جميع ما تقدم من جميل صنع الله به فروي ان العزيز مات فى تلك الليالى وقال ابن اسحاق بل عزله الملك ثم مات اظفير فولاه الملك مكانه وزوجه زوجته فلما دخلت عليه عروسا قال لها اليس هذا خيرا مما كنت اردت فدخل يوسف بها فوجدها بكرا وولدت له ولدين وروي ايضا ان الملك عزل العزيز وولى يوسف موضعه ثم عظم ملك يوسف وتغلب على حال الملك اجمع قال مجاهد واسلم الملك آخر امره ودرس امر العزيز وذهبت دنياه ومات وافتقرت زوجته وشاخت فلما كان فى بعض الايام لقيت يوسف فى طريق والجنود حوله ووراءه وعلى رأسه بنود عليها مكتوب هذه سبيلى

ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين فصاحت به وقالت سبحان الله من اعز العبيد بالطاعة واذل الارباب بالمعصية فعرفها وقالت له تعطف علي وارزقني شيأ فدعا لها وكلمها واشفق لحالها ودعا الله تعالى فرد عليها جمالها وتزوجها وروي فى نحو هذا من القصص ما لا يوقف على صحته ويطول الكلام بسوقه وباقى الآية بين واضح للمستبصرين ونور وشفاء لقلوب العارفين * وقوله ليوسف ابو البقاء اللام زائدة اي مكنا يوسف ويجوز الا تكون زائدة فالمفعول محذوف اي مكنا ليوسف الامور انتهى * وقوله عز وجل وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قال السدي وغيره سبب مجيئهم ان المجاعة اتصلت ببلادهم وكان الناس يمتارون من عند يوسف وهو فى رتبة العزيز المتقدم وكان لا يعطى الوارد اكثر من حمل بعير يسوى بين الناس فلما ورد اخوته عرفهم ولم يعرفوه لبعد العهد وتغير سنه ولم يقع لهم بسبب ملكه ولسانه القبطي ظن عليه وروي فى بعض القصص انه لما عرفهم اراد ان يخبروه بجميع امرهم فباحثهم بان قال لهم بترجمان اظنكم جواسيس فاحتاجوا حينئذ الى التعريف بانفسهم فقالوا نحن ابناء رجل صديق وكنا اثني عشر ذهب منا واحد فى البرية وبقي اصغرنا عند ابينا وجئنا نحن للميرة وسقنا بعير الباقى منا وكنا عشرة ولهم احد عشر بعيرا فقال لهم يوسف ولم تخلف احدكم قالوا لمحبة ابينا فيه قال فاتوا بهذا الاخ حتى اعلم حقيقة قولكم وأرى لم احبه ابوكم اكثر منكم ان كنتم صادقين وروي فى القصص انهم وردوا مصر واستاذنوا على العزيز وانتسبوا فى الاستيذان فعرفهم وامر بانزالهم وادخلهم فى ثانى يوم على هيئة عظيمة لملكه وروي انه كان متلثما ابدا سترا لجماله وانه كان ياخذ الصواع فينقره ويفهم من طنينه صدق الحديث من كذبه فسئلوا عن

اخبارهم فكلما صدقوا قال لهم يوسف صدقتم فلما قالوا وكان لنا اخ اكله الذيب اطن يوسف الصواع وقال كذبتم ثم تغير لهم وقال اراكم جواسيس وكلفهم سوق الاخ الباقى ليظهر صدقهم فى ذلك فى قصص طويل جاءت الاشارة اليه فى القرءان والجهاز ما يحتاج اليه المسافر من زاد ومتاع * وقوله باخ لكم (ص) نكره ليريهم انه لا يعرفه وفرق بين غلام لك وبين غلامك ففى الاول انت جاهل به وفى الثانى انت عالم لان التعريف به يفيد نوع عهد فى الغلام بينك وبين المخاطب انتهى وقول يوسف الا ترون انى اوفى الكيل الآية يرغبهم فى نفسه ءاخرا ويؤنسهم ويستميلهم والمنزلين يعنى المضيفين ثم توعدهم بقوله فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون اي فى المستانف وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان يوسف يلقى حصاة فى اناء فضة مخوص بالذهب فيطن فيقول لهم ان هذا الاناء يخبرنى ان لكم ابا شيخا وروي ان ذلك الاناء به كان يكيل الطعام اظهارا لعزته بحسب غلائه وروي ان يوسف استوفى فى تلك السنين اموال الناس ثم املاكهم وظاهر كل ما فعله يوسف معهم انه بوحي وامر والا فكان بر يعقوب يقتضى ان يبادر اليه ويستدعيه لكن الله تعالى اعلمه بما يصنع ليكمل اجر يعقوب ومحنته وتتفسر الرؤيا الاولى * وقوله لعلهم يعرفونها يريد لعلهم يعرفون لها يدا وتكرمة يرون حقها فيرغبون فى الرجوع الينا واما ميز البضاعة فلا يقال فيه لعل وقيل قصد يوسف برد البضاعة ان يتحرجوا من اخذ الطعام بلا ثمن فيرجعوا لدفع الثمن وهذا ضعيف من وجوه وسرورهم بالبضاعة وقولهم هذه بضاعتنا ردت الينا يكشف ان يوسف لم يقصد هذا وانما قصد ان يستميلهم ويصلهم ويظهر ان ما فعله يوسف من صلتهم وجبرهم فى تلك الشدة كان واجبا عليه وقيل علم عدم البضاعة والدراهم عند ابيه فرد البضاعة اليهم ليلا يمنعهم العدم من الرجوع اليه وقيل

جعلها توطئة لجعل السقاية فى رحل اخيه بعد ذلك ليبين انه لم يسرق لمن يتأمل القصة والظاهر من القصة انه انما اراد الاستيلاف وصلة الرحم واصل نكتل نكتتل وقولهم منع منا الكيل ظاهره انهم اشاروا الى قوله فلا كيل لكم عندى فهو خوف فى المستانف وقيل اشاروا الى بعير يامين والاول ارجح ثم تضمنوا له حفظه وحيطته وقول يعقوب عليه السلام هل آمنكم عليه الآية هل توقيف وتقرير ولم يصرح بمنعهم من حمله لما رأى فى ذلك من المصلحة لكنه اعلمهم بقلة طمانينته اليهم ولكن ظاهر امرهم انهم قد انابوا الى الله سبحانه وانتقلت حالهم فلم يخف على يامين كخوفه على يوسف وقرأ نافع وغيره خير حفظا وقرأ حمزة وغيره خير حافظا ونصب ذلك فى القراءتين على التمييز والمعنى ان حفظ الله خير من حفظكم فاستسلم يعقوب عليه السلام لله وتوكل عليه وقولهم ما نبغي يحتمل ان تكون ما استفهاما قاله قتادة ونبغى من البغية اي ماذا نطلب بعد هذه التكرمة هذا مالنا رد الينا مع ميرتنا قال الزجاج ويحتمل ان تكون ما نافية اي ما بقي لنا ما نطلب ويحتمل ان تكون ايضا نافية ونبغى من البغي اي ما تعدينا فكذبنا على هذا الملك ولا فى وصف اجماله واكرامه هذه البضاعة ردت الينا وقرأ ابو حيوة ما تبغى على مخاطبة يعقوب وهي بمعنى ما تريد وما تطلب وقولهم ونزداد كيل بعير يريدون بعير اخيهم اذكان يوسف انما حمل لهم عشرة ابعرة ولم يحمل الحادي عشر لغيب صاحبه وقولهم ذلك كيل يسير قيل معناه يسير على يوسف ان يعطيه وقال السدي يسير اي سريع لانحبس فيه ولانمطل * وقوله تعالى فلما اتوه موثقهم فالآية اي لما عاهدوه اشهد الله بينه وبينهم بقوله الله على ما نقول وكيل والوكيل القيم الحافظ الضامن * وقوله الا ان يحاط بكم لفظ عام لجميع وجوه الغلبة وانظر ان يعقوب عليه السلام قد توثق فى هذه القصة واشهد

الله تعالى ووصى بنيه واخبر بعد ذلك بتوكله فهذا توكل مع سبب وهو توكل جميع المومنين الا من شذ فى رفض السعي بالكلية وقنع بالماء وبقل البرية فتلك غاية التوكل وعليها بعض الانبياء عليهم السلام والشارعون منهم مثبتون سنن التسبب الجائز قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابى جمرة رضي الله عنه وقد اشتمل القرءان على احكام عديدة فمنها التعلق بالله تعالى وترك الاسباب ومنها عمل الاسباب فى الظاهر وخلو الباطن من التعلق بها وهو اجلها وازكاها لان ذلك جمع بين الحكمة وحقيقة التوحيد وذلك لا يكون الا للافذاذ الذين من الله عليهم بالتوفيق ولذلك مدح الله تعالى يعقوب عليه الصلاة والسلام فى كتابه فقال وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانه عمل الاسباب واجتهد فى توفيتها وهو مقتضى الحكمة ثم رد الامر كله لله تعالى واستسلم اليه وهو حقيقة التوحيد فقال وما اغنى عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله الآية فاثنى الله تعالى عليه من اجل جمعه بين هاتين الحالتين العظيمتين * وقوله لا تدخلوا من باب واحد قيل خشي عليهم العين لكونهم احد عشر لرجل واحد وكانوا اهل جمال وبسطة قاله ابن عباس وغيره * وقوله سبحانه ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم روي انه لما ودعوا اباهم قال لهم بلغوا ملك مصر سلامى وقولوا له ان ابانا يصلي عليك ويدعو لك ويشكر صنيعك معنا وفى كتاب ابى منصور المهراني انه خاطبه بكتاب قرئ على يوسف فبكى * وقوله سبحانه ما كان يغنى عنهم من الله من شيء الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها بمثابة قولهم لم يكن فى ذلك دفع قدر الله بل كان اربا ليعقوب قضاه فالاستثناء ليس من الاول والحاجة هي ان يكون طيب النفس بدخولهم من ابواب متفرقة خوف العين ونظير هذا الفعل ان النبي صلى الله عليه وسلم سد كوة

فى قبر بحجر وقال ان هذا لا يغنى شيأ ولكنه تطييب لنفس الحي ثم اثنى الله عز وجل على يعقوب بانه لقن ما علمه الله من هذا المعنى وان اكثر الناس ليس كذلك وقال قتادة معناه لعامل بما علمناه وقال سفيان من لا يعمل لا يكون عالما قال (ع) وهذا لا يعطيه اللفظ اما انه صحيح فى نفسه يرجحه المعنى وما تقتضيه منزلة يعقوب عليه السلام * وقوله انى الا اخوك قال ابن اسحاق وغيره اخبره بانه اخوه حقيقة واستكتمه وقال له لا تبال بكل ما تراه من المكروه فى تحيلى فى اخذك منهم وكان يامين شقيق يوسف * وقوله فلا تبتئس بما كانوا يعملون يحتمل ان يشير الى ما عمله الاخوة ويحتمل الاشارة الى ما يعمله فتيان يوسف من امر السقاية ونحو ذلك وتبتئس من البؤس اي لا تحزن ولا تهتم وهكذا عبر المفسرون * وقوله سبحانه فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل اخيه ثم اذن موذن ايتها العير انكم لسارقون هذا من الكيد الذى يسره الله ليوسف عليه السلام وذلك انه كان فى دين يعقوب ان يستعبد السارق وكان فى دين مصر ان يضرب ويضعف عليه الغرم فعلم يوسف ان اخوته لثقتهم ببراءة ساحتهم سيدعون فى السرقة الى حكمهم فتحيل لذلك واستسهل الامر على ما فيه من رمي ابرياء وادخال الهم على يعقوب وعليهم لما علم فى ذلك من الصلاح فى الآجل وبوحي لامحالة وارادة من الله محنتهم بذلك والسقاية الاناء الذى به يشرب الملك وبه كان يكيل الطعام للناس هكذا نص جمهور المفسرين ابن عباس وغيره وروي انه كان من فضة وهذا قول الجمهور وكان هذا الجعل بغير علم من يامين قاله السدي وهو الظاهر فلما فصلت العير باوقارها وخرجت من مصر فيما روي امر بهم فحبسوا واذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون ومخاطبة العير مجاز والمراد اربابها (ت) قال الهروي قوله تعالى ايتها العير العير الابل

والحمير التي يحمل عليها الاحمال واراد اصحاب العير وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم ياخيل الله اركبي اراد يا اصحاب خيل الله اركبي وانث ابا لانه للعير وهي جماعة انتهى فلما سمع اخوة يوسف هذه المقالة اقبلوا عليهم وساءهم ان يرموا بهذه المثلبة وقالوا ماذا تفقدون ليقع التفتيش فتظهر براءتهم ولم يلوذوا بالانكار من اول بل سألوا اكمال الدعوى عسى ان يكون فيها ما تبطل به فلا يحتاج الى خصام قالوا نفقد صواع الملك وهو المكيال وهو السقاية قال ابو عبيدة يؤنث الصواع من حيث سمي سقاية ويذكر من حيث هو صاع (ت) ولفظ ابي عبيدة الهروي قال الاخفش الصاع يذكر ويؤنث قال الله تعالى ثم استخرجها من وعاء اخيه فانث وقال ولمن جاء به حمل بعير فذكر لانه عنى به الصواع انتهى * وقوله ولمن جاء به حمل بعير اي لمن دل على سارقه وجبر الصواع وهذا جعل * وقوله وانا به زعيم حَمالة قال مجاهد الزعيم هو المؤذن الذى قال ايتها العير والزعيم الضامن في كلام العرب * وقوله تعالى قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض روي ان اخوة يوسف كانوا ردوا البضاعة الموجودة فى الرحال وتحرجوا من اخذ الطعام بلا ثمن فلذلك قالوا لقد علمتم اي لقد علمتم منا التحرى وروي انهم كانوا قد اشتهروا بمصر بصلاح وتعفف وكانوا يجعلون الاكِمَّة فى افواه ابلهم ليلا تنال زروع الناس فلذلك قالوا لقد علمتم والتاء فى تالله بدل من الواو ولا تدخل التاء فى القسم الا فى هذا الاسم قال ابن العربي فى احكامه قال الطبري قوله تعالى قالوا جزاؤه من وجد فى رحله على حذف مضاف تقديره جزاؤه استعباد اواسترقاق من وجد فى رحله انتهى وقولهم كذلك نجزى الظالمين اي هذه سنتنا وديننا فى اهل السرقة ان يتملك السارق كما تملك هو الشيء المسروق * وقوله سبحانه فبدأ باوعيتهم الآية بدؤه ايضا

من اوعيتهم تمكين للحيلة وابعاد لظهور انها حيلة واضاف الله سبحانه الكيد الى ضميره لما خرج القدر الذى اباح به ليوسف اخذ اخيه مخرج ما هو فى اعتقاد الناس كيد وقال السدي والضحاك كدنا معناه صنعنا ودين الملك فسره ابن عباس بسلطانه وفسره قتادة بالقضاء والحكم وهذا متقارب قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اذ كان الملك لا يرى استرقاق السارق وانما كان دينه ان يأخذ المجنى عليه من السارق مثلي السرقة * الا ان يشاء الله التزام الاخوة لدين يعقوب بالاسترقاق فقضى عليهم به انتهى قال (ع) والاستثناء فى هذه الآية حكاية حال التقدير الا ان يشاء الله ما وقع من هذه الحيلة وروى ابو عمر بن عبد البر بسنده عن مالك عن زيد بن اسلم انه قال فى قوله عز وجل نرفع درجات من نشاء قال بالعلم انتهى من كتاب العلم * وقوله سبحانه وفوق كل ذى علم عليم المعنى ان البشر فى العلم درجات فكل عالم فلا بد من اعلم منه فاما من البشر واما الله عز وجل فهذا تاويل الحسن وقتادة وابن عباس وروي ايضا عن ابن عباس انما العليم الله وهو فوق كل ذى علم قال ابن عطاء الله فى التنوير اعلم ان العلم حيث ما تكرر فى الكتاب العزيز او فى السنة فانما المراد به العلم النافع الذى تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة انتهى قال الشيخ العارف ابو القاسم عبد الرحمن ابن يوسف اللجاءي رحمه الله اذا كملت للعبد ثلاث خصال وصدق فيها تفجر العلم من قلبه على لسانه وهي الزهد والاخلاص والتقوى قال ولا مطمع فى هذا العلم المذكور الا بعد معالجة القلب من علله التى تشينه كالكبر والحسد والغضب والرياء والسمعة والمحمدة والجاه والشرف وعلو المنزلة والطمع والحرص والقسوة والمداهنة والحقد والعداوة وكل ما عددناه من العلل وما

لم نعده راجع الى اصل واحد وهو حب الدنيا لان حبها عنه يتفرع كل شر وعنه يتشعب كل قبيح فاذا زالت هذه العلل ظهر الصدق والاخلاص والتواضع والحلم والورع والقناعة والزهد والصبر والرضى والانس والمحبة والشوق والتوكل والخشية والحزن وقصر الامل ومزاج النية بالعمل فينبع العلم وينتفى الجهل ويضيء القلب بنور الاهي ويتلالأ الايمان وتوضح المعرفة ويتسع اليقين ويتقوى الالهام وتبدو الفراسات ويصفى السر وتتجلى الاسرار وتوجد الفوائد قال رحمه الله وليس بين العبد والترقى من سفل الى علو الاحب الدنيا فان الترقى يتعذر من اجل حبها لانها جاذبة الى العالم الظلماني وطباع النفوس لذلك مائلة فان اردت ان تقتفى اثر الذاهبين الى الله تعالى فاستخف بدنياك وانظرها بعين الزوال وانزل نفسك عند اخذ القوت منها منزلة المضطر الى الميتة والسلام انتهى وروي ان المفتش كان اذا فرغ من رحل رجل فلم يجد فيه شيأ استغفر الله عز وجل من فعله ذلك وظاهر كلام قتادة وغيره ان المستغفر هو يوسف حتى انتهى الى رحل بنيامين فقال ما اظن هذا الفتى رضي بهذا ولا اخذ شيأ فقال له اخوته والله لا تبرح حتى تفتشه فهو اطيب لنفسك ونفوسنا ففتش حينئذ فاخرج السقاية وروي ان اخوة يوسف لما رأوا ذلك عنفوا بنيامين وقالوا له كيف سرقت هذه السقاية فقال لهم والله ما فعلت فقالوا له فمن وضعها فى رحلك قال الذى وضع البضاعة فى رحالكم والضمير فى قوله استخرجها عائد على السقاية ويحتمل على السرقة * وقوله سبحانه قالوا ان يسرق اي قالوا اخوة يوسف ان كان هذا قد سرق فغير بدع من ابني راحيل لان اخاه يوسف قد كان سرق فهذا من الاخوة انحاء على ابني راحيل يوسف ويامين وهذه الاقوال منهم عليهم السلام انما كانت بحسب الظاهر وموجب الحكم فى النازلتين فلم يعنوا فى غيبة ليوسف وانما قصدوا

الاخبار بامر جرى ليزول بعض المعرة عنهم ويختص بها هذان الشقيقان واما ما روي فى سرقة يوسف فالجمهور على ان عمته كانت ربته فلما شب اراد يعقوب اخذه منها فولعت به واشفقت من فراقه فاخذت منطقة اسحاق وكانت متوارثة عندهم فنطقته بها من تحت ثيابه ثم صاحت وقالت انى قد فقدت المنطقة ويوسف قد خرج بها ففتشت فوجدت عنده فاسترقته حسب ما كان فى شرعهم وبقي عندها حتى ماتت فصار عند ابيه * وقوله فاسرها يوسف يعنى اسر الحزة التى حدثت فى نفسه من قول الاخوة * وقوله انتم شر مكانا الآية الظاهر منه انه قالها افصاحا كانه اسر لهم كراهية مقالتهم ثم نجههم بقوله انتم شر مكانا اي لسوء افعالكم والله اعلم ان كان ما وصفتموه حقا وفى اللفظ اشارة الى تكذيبهم ومما يقوى هذا عندى انهم تركوا الشفاعة بانفسهم وعدلوا الى الشفاعة بابيهم عليه السلام وقالت فرقة لم يقل هذا الكلام الا فى نفسه وانه تفسير للذى اسر فى نفسه فكأن المراد قال فى نفسه انتم شر مكانا وذكر الطبري هنا قصصا اختصاره انه لما استخرجت السقاية من رحل يامين قال اخوته يا بنى راحيل لا يزال البلاء ينالنا من جهتكم فقال يامين بل بنو راحيل ينالهم البلاء منكم ذهبتم باخى فاهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع الدراهم فى رحالكم فقالوا لا تذكر الدراهم لئلا نوخذ بها ثم دخلوا على يوسف فاخذ الصواع فنقره فطن فقال انه يخبر انكم ذهبتم باخ لكم فبعتموه فسجد يامين وقال ايها العزيز سل صواعك هذا يخبرك بالحق فى قصص يطول ٠اثرنا اختصاره وروي ان روبيل غضب وقف شعره حتى خرج من ثيابه فامر يوسف بنيا له فمسه فسكن غضبه فقال روبيل لقد مسنى احد من ولد يعقوب ثم انهم تشاوروا فى محاربة يوسف وكانوا اهل قوة لا يدانون فى ذلك فلما احس يوسف بذلك قام الى روبيل فلببه وصرعه فرأوا من قوته ما استعظموه وقالوا يا ايها العزيز

الآية وخاطبوه باسم العزيز اذ كان فى تلك الخطـة بعزل الاول او موته على ما روي فى ذلك وقولهم فخذ احدنا مكانـه يحتمل ان يكون ذلك منهم مجازا ويحتمـل ان يكون حقيقـة على طريق الحمالة حتى يصل يامـين الى ابيـه ويعرف يعقوب جليـة الامر فمنع يوسف من ذلك وقال معـاذ الله الآيـة * وقـوله سبحانـه فلما استيأسـوا منه الآيـة يقـال يئس واستيـأس بمعنى واحد قال البخـاري خلصوا نجيـا اعترلوا والجمـع انجيـة وللاثنـين والجمـع نجي وانجيـة انتهى وقال الهروي خلصوا نجيـا اي تميزوا عن النـاس متناجـين انتهى وكبيرهم قال مجاهـد هو شمعـون كان كبيرهم رأيا وعلما وان كان روبيـل اسنهم وقال قتـادة هو روبيـل لانـه اسنهم وهـذا اظهر ورجحه الطبري وذكرهم اخوهم ميثاق ابيهم لتاتنني به الا ان يحاط بكم * وقـوله فلن ابرح الارض قال (ص) برح التامـة بمعنى ذهب وظهر ومنه برح الخفاء اي ظهر والمتوجـه هنـا معنى ذهب لكنه لا ينصب الظرف المكاني المختص الا بواسطـة فاحتيج الى تضمينـه معنى فارق والارض مفعول به ولا يجـوز ان تكون ابرح ناقصة انتهى * وقوله ارجعوا الى ابيكم الامر بالرجوع قيـل هو من قول كبيرهم وقيـل من قـول يوسف والاول اظهر وذكر الطبري ان يوسف قال لهم اذا اتيتم اباكم فاقرءوا عليه السلام وقولوا له ان ملك مصر يدعو لك ان لا تموت حتى ترى ولدك يوسف ليعلم ان فى ارض مصر صديقين مثله وقرأ الجمهور سرق وروي عن الكسـاءي وغيره سـرّق ببنائه للمفعول * ومـا شهدنا الا بمـا علمنـا اي باعتبـار الظاهر والعلم فى الغيب الى الله ليس ذلك فى حفظنـا هذا تاويـل ابن اسحـاق ثم استشهدوا بالقريـة التي كانوا فيهـا وهي مصر قاله ابن عبـاس والمراد اهلهـا قال البخـاري سولت اي زينت وقول يعقوب عسى الله ان ياتيني بهم جميعا يعني بيوسف ويامين وروبيل

الذى لم يبرح الارض ورجاؤه هذا من جهات منها حسن ظنه بالله سبحانه فى كل حال ومنها رؤيا يوسف المتقدمة فانه كان ينتظرها ومنها ما اخبروه عن ملك مصر انه يدعوله برؤية ابنه * وقوله سبحانه وتولى عنهم اي زال بوجهه عنهم ملتجأ الى الله وقال يا اسفى على يوسف قال الحسن خصت هذه الامة بالاسترجاع الاترى الى قول يعقوب يا اسفى قال (ع) والمراد يا اسفى لكن هذه لغة من يرد ياء الاضافة الفا نحو ياغلاما ويا ابتا ولا يبعد ان يجتمع الاسترجاع ويا اسفى لهذه الامة وليعقوب عليه السلام وروي ان يعقوب عليه السلام حزن حزن سبعين ثكلى واعطي اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله قط رواه الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو كظيم بمعنى كاظم كما قال والكاظمين الغيظ ووصف يعقوب بذلك لانه لم يشك الى احد وانما كان يكمد فى نفسه ويمسك همه فى صدره فكان يكظمه اي يرده الى قلبه (ت) وهذا ينظر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم القلب يحزن والعين تدمع ولانقول الاما يرضى الرب الحديث ذكر هذا صلى الله عليه وسلم عند موت ولده ابراهيم قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا معمر عن قتادة فى قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قال كظم على الحزن فلم يقل الا خيرا انتهى قال ابن العربي فى احكامه وفى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فى ابنه ابراهيم ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى الرب وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون وقال ايضا فى الصحيح صلى الله عليه وسلم ان الله لايعذب بدمع العين ولا بحزن القلب وانما يعذب بهذا واشار الى لسانه او يرحم انتهى خرجه البخاري وغيره * وقوله تعالى قالوا تالله تفتؤا الآية المعنى تالله لا تفتأ فتحذف لا فى هذا الموضع من القسم لدلالة الكلام عليها فمن ذلك قول

امرئى القيس

فقلت يمين الله ابرح قاعـدا ✲ ولو قطعوا رأسى لديك واوصالى

ومنه قول الآخـر ✲ تالله يبقى على الايام ذو حيـد ✲ اراد لا ابرح ولا يبقى وفتئ بمنزلة زال وبرح فى المعنى والعمل تقول والله لا فتئت قاعدا كما تقول لازلت ولا برحت وعبارة الداودي وعن ابن عباس تفتؤا اي لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا انتهى والحرض الـذى قد نهاه الهرم او الحب او الحزن الى حال فساد الاعضاء والبدن والحس يقال رجل حارض اي ذو هم وحزن ومنه قول الشـاعر

انى امرؤلج بى حب فاحرضنى ✲ حتى بليت وحتى شفنى السقـم

والحرض بالجملة الذى فسد ودنا موته قال مجاهـد الحرض ما دون الموت وفى حديث النبي صلى الله عليه وسلم مـا من مومن يمرض حتى يحرضـه المرض الا غفر له انتهى من رقائق ابن المبارك ثم اجابهم يعقوب عليه السلام بقوله انمـا اشكوا بثى وحزني الى الله اي انى لست ممن يجـزع ويضجـر وانمـا اشكو الى الله والبث ما فى صـدر الانسان مما هو معتزم ان يثبـه وينشره وقال ابو عبيدة وغيره البث اشد الحزن قال الداودي عـن ابن جبير قال من بث فلم يصبر ثم قرأ انمـا اشكوا بثى وحزني الى الله انتهى ✲ وقوله وتيـأسوا من روح الله الآية الروح الرحمة ثم جعل اليأس من رحمة الله وتفريجـه من صفـة الكافرين اذ فيه اما التكذيب بالربوبيـة واما الجهل بصفات الله تعالى والبضاعة القطعة من المال يقصد بها شراء شيء ولزمها عرف الفقـه فيما لا حظ لحاملهـا من الربح والمزجاة معناهـا المدفوعـة المتحيل لهـا وبالجملة فـمن يسوق شيـأ ويتلطف فى تسييره فقد ازجاه فاذا كانت الدراهم مدفوعة نازلة القدر تحتاج ان يعتذر معها ويشفع لهـا فهي مزجاة فقيل كان ذلك لانهـا كانت زيوفا قاله

ابن عباس وقيل كانت بضاعتهم عروضا وقولهم وتصدق علينا معناه مابين الدراهم الجياد وبين هذه المزجاة قاله السدي وغيره وقال الداودي عن ابن جريج وتصدق علينا قال اردد علينا اخانا انتهى وهو حسن * وقوله تعالى هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون روي ان يوسف عليه السلام لما قال له اخوته مسنا واهلنا الضر واستعطفوه رق ورحمهم قال ابن اسحاق وارفض دمعه باكيا فشرع فى كشف امره اليهم فروي انه حسر قناعه وقال لهم هل علمتم الآية وما فعلتم بيوسف واخيه اي من التفريق بينهما فى الصغر وما نالهما بسببكم من المحن اذ انتم جاهلون نسبهم اما الى جهل المعصية واما الى جهل الشباب وقلة الحنكة فلما خاطبهم هذه المخاطبة تنبهوا ووقع لهم من الظن القوي وقرائن الحال انه يوسف فقالوا ائنك لانت يوسف مستفهمين فاجابهم يوسف كاشفا امره قال انا يوسف وهذا اخى وباقى الآية بين * وقوله سبحانه قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين هذا منهم استنزال ليوسف واقرار بالذنب فى ضمنه استغفار منه وءاثرك لفظ يعم جميع التفضيل * وقوله لا تثريب عليكم عفو جميل وقال عكرمة اوحى الله الى يوسف بعفوك عن اخوتك رفعت لك ذكرك والتثريب اللوم والعقوبة وما جرى معهما من سوء معتقد ونحوه وعبر بعض الناس عن التثريب بالتعيير ووقف بعض القرأة عليكم وابتدأ اليوم يغفر الله لكم ووقف اكثرهم اليوم وابتدأ يغفر الله لكم على جهة الدعاء وهو تاويل ابن اسحاق والطبري وهو الصحيح الراجح فى المعنى لان الوقف الآخر فيه حكم على مغفرة الله اللهم الا ان يكون ذلك بوحي * وقوله اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه ابى قال النقاش روي ان هذا القميص كان من ثياب الجنة كساه الله ابراهيم ثم توارثه بنوه قال (ع) وهذا يحتاج الى سند

والظاهر انه قميص يوسف كسائر القمص وقول يوسف يات بصيرا فيه
دليل على ان هذا كله بوحي واعلام من الله تعالى وروي ان يعقوب وجد
ريح يوسف وبينه وبين القميص مسيرة ثمانية ايام قاله ابن عباس وقال
هاجت ريح فحملت عرفه وقول يعقوب انى لاجد ريح يوسف مخاطبة
لحاضريه فروي انهم كانوا حفدته وقيل كانوا بعض بنيه وقيل كانوا قرابته
وتفندون معناه تردون رأيي وتدفعون فى صدره وهذا هو التفنيد لغة قال
منذر بن سعيد يقال شيخ مفند اي قد فسد رأيه والذى يشبه ان تفنيدهم
ليعقوب انما كان لانهم كانوا يعتقدون ان هواه قد غلبه فى جانب يوسف وقال
(ص) معنى تفندون تسفهون انتهى وقولهم انك لفى ضلالك القديم يريدون
لفى انتلافك فى محبة يوسف وليس بالضلال الذى هو فى العرف ضد الرشاد
لان ذلك من الجفاء الذى لا يسوغ لهم مواجهته به * وقوله سبحانه فلما ان
جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا روي عن ابن عباس ان البشير كان
يهوذا لانه كان جاء بقميص الدم وبصيرا معناه مبصرا وروي انه قال
للبشير على اي دين تركت يوسف قال على الاسلام قال الحمد لله الآن كملت
النعمة * وقوله تعالى قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا الآية روي ان يوسف
عليه السلام لما غفر لاخوته وتحققوا ان اباهم يغفر لهم قال بعضهم لبعض ما
يغنى عنا هذا ان لم يغفر الله لنا فطلبوا حينئذ من يعقوب عليه السلام ان يطلب
لهم المغفرة من الله تعالى واعترفوا بالخطإ فقال لهم يعقوب سوف استغفر لكم
ربي (ت) وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه
اذا كان ليلة الجمعة فان استطعت ان تقوم فى ثلث الليل الآخر فانها ساعة
مشهودة والدعاء فيها مستجاب وقد قال اخي يعقوب لبنيه سوف استغفر لكم
ربي يقول حتى تاتي ليلة الجمعة وذكر الحديث رواه الترمذي وقال حسن غريب

لانعرفه الامن حديث الوليد بن مسلم ورواه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين يعنى البخاري ومسلما انتهى من السلاح * وقوله سبحانه ٠اوى اليه ابويه قال ابن اسحاق والحسن اراد بالابوين اباه وامه وقيل اراد اباه وخالته قال (ع) والاول اظهر بحسب اللفظ الا ان يثبت بسند ان امه قدكانت ماتت * وقوله ان شاء الله هذا الاستثناء هو الذى ندب القرءان اليه ان يقوله الانسان فى جميع ما ينفذه فى المستقبل والعرش سرير الملك وخروا له سجدا اي سجود تحية فقيل كان كالسجود المعهود عندنا من وضع الوجه بالارض وقيل بل دون ذلك كالركوع البالغ ونحوه مما كان سيرة تحياتهم للملوك فى ذلك الزمان واجمع المفسرون انه كان سجود تحية لا سجود عبادة وقال الحسن الضمير فى له لله عز وجل ورد هذا القول على الحسن * وقوله عز وجل وقال يا ابت هذا تاويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا المعنى قال يوسف ليعقوب هذا السجود الذى كان منكم هو ما ٠الت اليه رؤياي قديما فى الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر قد جعلها ربى حقا ثم اخذ عليه السلام يعدد نعم الله عليه وقال وقد اخرجنى من السجن وترك ذكر اخراجه من الجب لان فى ذكره تجديد فعل اخوته وخزيهم وتحريك تلك الغوائل وتخبيث النفوس ووجه ٠اخر انه خرج من الجب الى الرق ومن السجن الى الملك فالنعمة هنا اوضح * ان ربى لطيف لما يشاء اي من الامور ان يفعله * انه هو العليم الحكيم قال (ع) ولا وجه فى ترك تعريف يوسف اباه بحاله منذ خرج من السجن الى العز الا الوحي من الله تعالى لما اراد ان يمتحن به يعقوب وبنيه واراد من صورة جمعهم لا اله الا هو وقال النقاش كان ذلك الوحي فى الجب وهو قوله سبحانه واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وهذا محتمل * وقوله رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من

تاويل الاحاديث الآيـة ذكر كثير من المفسرين ان يوسف عليه السلام لما عدد فى هذه الآيـة نعم الله عنده تشوق الى لقاء ربـه ولقـاء الجلة وصالحى سلفـه وغيرهم مـن المومنـين ورأى ان الدنيـا قليـلة فتمنى الموت فى قـوله توفنى مسلما والحقنى بالصالحين وقال ابن عباس لم يتمن الموت نبيء غير يوسف وذكر المهدوي تاويلا ءاخر وهو الاقوى عنـدى انـه ليس فى الآيـة تمنى موت وانما تمنى عليه السلام الموافاة على الاسلام لا الموت وكذا قال القرطبي فى التذكرة ان معنى الآيـة اذا جاء اجلى توفنى مسلما قال وهـذا القول هو المختار عند اهـل التاويل والله اعلم انتهى وقوله صلى الله عليـه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به انما يريد ضرر الدنيا كالفقر والمرض ونحو ذلك ويبقى تمنى الموت مخافة فساد الدين مباحا وقد قال صلى الله عليه وسلم فى بعض ادعيته واذا اردت بالناس فتنـة فاقبضنى اليك غير مفتون * وقـوله انت وليى اي القائم بامرى الكفيل بنصرتى ورحمتى * وقوله عز وجل ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك ذلك اشارة الى ما تقدم من قصة يوسف وهـذه الآيـة تعريض لقريش وتنبيه على ءاية صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفى ضمن ذلك الطعن على مكذبيه والضمير فى لديهم عائد على اخوة يوسف واجمعوا معناه عزموا والامر هنا هو القاء يوسف فى الجب وحكى الطبري عن ابى عمران الجوني انه قال والله ما قص الله نبأهم ليعيرهم انهم الانبياء من اهل الجنة ولكن الله قص علينا نبأهم ليلا يقنط عبده * وقوله سبحانه وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنـين الآيـة خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم * وقوله وما تسألهم عليه من اجر الآيـة توبيخ للكفرة واقامة للحجة عليهم ثم ابتـدأ الاخبـار عن كتابـه العزيز انـه ذكر وموعظة لجميع العالم نفعنا الله به ووفرحظنا منه * وقـوله سبحانـه وكأين من آيـة فى السمـوات والارض يعنى بالآيـة هنـا المخلوقات

المنصوبة للاعتبار الدالة على توحيد خالقها سبحانه وفى مصحف عبد الله يمشون عليها * وقوله سبحانه وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ابن عباس هي فى اهل الكتاب وقال مجاهد وغيره هي فى العرب وقيل نزلت بسبب قول قريش فى الطواف والتلبية لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع احدهم يقول لبيك لا شريك لك يقول له قط قط اي قف هنا ولا ترد الا شريكا هو لك والغاشية ما يغشى ويغطى ويغم وبغتة اي فجأة وهذه الآية من قوله وكاين من آية وان كانت فى الكفار فان العصاة ياخذون من الفاظها بحظ ويكون الايمان حقيقة والشرك لغويا كالرياء فقد قال عليه السلام الرياء الشرك الاصغر * وقوله سبحانه قل هذه سبيلي ادعوا الى الله الآية اشارة الى دعوة الاسلام والشريعة باسرها قال ابن زيد المعنى هذا امرى وسنتى ومنهاجى والبصيرة اسم لمعتقد الانسان فى الامر من الحق واليقين * وقوله انا ومن اتبعني يحتمل ان يكون انا تاكيد للضمير المستكن فى ادعوا ومن معطوف عليه وذلك بان تكون الامة كلها امرت بالمعروف داعية الى الله الكفرة والعصاة قال (ص) ويجوز ان يكون انا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن معطوف عليه انتهى وسبحان الله تنزيه لله اي وقل سبحان الله متبريا من الشرك * وقوله سبحانه وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم الآية تتضمن الرد على من استغرب ارسال الرسل من البشر والقرى المدن قال الحسن لم يبعث الله رسولا قط من اهل البادية قال (ع) والتبدى مكروه الا فى الفتنة وحين يفر بالدين ولا يعترض هذا ببدو يعقوب لان ذلك البدو لم يكن فى اهل عمود بل هو بتقر وفى منازل وربوع وايضا انما جعله بدوا بالاضافة الى مصر كما هي بنات الحواضر بدو

بالاضافة الى الحواضر ثم احال سبحانه على الاعتبار فى الامم السالفة ثم حض سبحانه على الآخرة والاستعداد لها بقوله ولدار الآخرة خير الآية قال (ص) ولدار الآخرة خرجه الكوفيون على انه من اضافة الموصوف لصفته واصله وللدار الآخرة والبصريون على انه من حذف الموصوف واقامة صفته مقامه واصله ولدار المدة الآخرة او النشأة الآخرة انتهى وبتضمن قوله تعالى افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ان الرسل الذين بعثهم الله من اهل القرى دعوا اممهم فلم يومنوا بهم حتى نزلت بهم المثلات فصاروا فى حيز من يعتبر بعاقبته فلهذا المضمن حسن ان ندخل حتى فى قوله حتى اذا استيأس الرسل وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بتشديد الذال وقرأ الباقون كذبوا بضم الكاف وكسر الذال المخففة فاما الاولى فمعناها ان الرسل ظنوا ان اممهم قد كذبتهم والظن هنا يحتمل ان يكون بمعنى اليقين ويحتمل ان يكون الظن على بابه ومعنى القراءة الثانية على المشهور من قول ابن عباس وابن جبير اي حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذَبوهم فيما ادعوه من النبوءة او فيما توعدوهم به من العذاب لما طال الامهال واتصلت العافية جاءهم نصرنا واسند الطبري ان مسلم بن يسار قال لسعيد بن جبير يا ابا عبد الله ءاية بلغت منى كل مبلغ حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا فهذا هو الموت ان تظن الرسل انهم قد كذبوا مخففة فقال له ابن جبير يا ابا عبد الرحمن انما يئس الرسل من قومهم ان يجيبوهم وظن قومهم ان الرسل قد كذبتهم فقام مسلم الى سعيد فاعتنقه وقال فرجت عنى فرج الله عنك قال (ع) فرضي الله عنهم كيف كان خلقهم فى العلم وقال بهذا التاويل جماعة وهو الصواب واما تاويل من قال ان المعنى وظنوا انهم قد كذبهم من

اخبرهم عن الله فغير صحيح ولايجوز هذا على الرسل واين العصمة والعلم (ت) قال عياض فان قيل فما معنى قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى فى ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن الرسل ذلك بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل الضمير فى ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء انتهى من الشفا * وقوله سبحانه جاءهم نصرنا اي بتعذيب اممهم الكافرة * فننجى من نشاء اي من اتباع الرسل * ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اي الكافرين والبأس العذاب * وقوله سبحانه لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب اي فى قصص يوسف واخوته وسائر الرسل الذين ذكروا على الجملة ولما كان ذلك كله فى القرءان قال عنه ما كان حديثا يفترى والذى بين يديه التوراة والانجيل وباقى الآية بين واضح (ت) كنت فى وقت انظر فى السيرة لابن هشام واتأمل فى خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وهي اول خطبة خطبها بالمدينة فاذا هاتف يقول لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى وقد كان حصل فى القلب عبرة فى امره صلى الله عليه وسلم وافاضل اصحابه رضي الله عنهم اجمعين وسلك بنا مناهجهم المرضية والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الرعد

قيل مكية الا بعض ءايات وقيل مدنية والظاهر ان المدني فيها كثير * قوله عز وجل المر تلك ءايات الكتاب والذى انزل اليك من ربك الحق قال ابن عباس هذه الحروف هي من قوله انا الله اعلم وارى * وقوله سبحانه الله الذى رفع السموات بغير عمد الآية قال جمهور الناس لا عمد للسموات البتة وهذا هو الحق والعمد اسم جمع * وقوله سبحانه ثم استوى على العرش ثم هنا لعطف الجمل لا للترتيب لان الاستواء على العرش قبل رفع السموات ففى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وقد تقدم القول فى هذا وفى معنى الاستواء (ت) والمعتقد فى هذا انه سبحانه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى اراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته كان الله ولا شيء معه كان سبحانه قبل ان يخلق المكان والزمان وهو الآن على ما عليه كان * وقوله سبحانه وسخر الشمس والقمر تنبيه على القدرة وفى ضمن الشمس والقمر الكواكب ولذلك قال كل يجرى اي كل ما هو فى معنى الشمس والقمر والاجل المسمى هو انقضاء الدنيا وفساد هذه البنية * يدبر الامر معناه يبرمه وينفذه وعبر بالتدبير تقريبا للافهام وقال مجاهد يدبر الامر معناه

يقضيه وحده * ولعلكم بلقاء ربكم توقنون اي توقنون بالبعث * وقوله سبحانه وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسي لما فرغت ءايات السماء ذكرت ءايات الارض والرواسي الجبال الثابتة * وقوله سبحانه جعل فيها زوجين اثنين الزوج فى هذه الآية الصنف والنوع وليس بالزوج المعروف فى المتلازمين الفردين من الحيوان وغيره ومنه قوله سبحانه سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض الآية ومنه وانبتنا فيها من كل زوج بهيج وهذه الآية تقتضى ان كل ثمرة فموجود منها نوعان فان اتفق ان يوجد من ثمرة اكثر من نوعين فغير ضار فى معنى الآية وقطع جمع قطعة وهي الاجزاء وقيد منها فى هذا المثال ما جاور وقرب بعضه من بعض لان اختلاف ذلك فى الاكل اغرب وقرأ الجمهور وجنات بالرفع عطفا على قطع وقرأ نافع وغيره وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان بالخفض فى الكل عطفا على اعناب وقرأ ابن كثير وغيره وزرع بالرفع فى الكل عطفا على قطع وصنوان جمع صنو وهو الفرع يكون مع الآخر فى اصل واحد قال البراء بن عازب الصنوان المجتمع وغير الصنوان المفترق فردا فردا وفى الصحيح العم صنو الاب وانما نص على الصنوان فى هذه الآية لانها بمثابة التجاور فى القطع تظهر فيها غرابة اختلاف الاكل والاكل بضم الهمزة اسم ما يوكل والاكل المصدر وحكى الطبري عن ابن عباس وغيره قطع متجاورات اي واحدة سبخة واخرى عذبة ونحو هذا من القول وقال قتادة المعنى قرى متجاورات قال (ع) وهذا وجه من العبرة كانه قال وفى الارض قطع مختلفات بتخصيص الله لها بمعان فهي تسقى بماء واحد ولكن تختلف فيما تخرجه والذى يظهر من وصفه لها بالتجاور انها من تربة واحدة ونوع واحد وموضع العبرة فى هذا ابين وعلى المعنى الاول قال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى ءادم

الارض واحدة وينزل عليها مـاء واحد من السماء فتخرج هذه زهرة وثمرة وتخرج هذه سبخة وملحا وخبثا وكذلك النـاس خلقوا مـن ءادم فنزلت عليهم من السماء تذكرة فرقت قلوب وخشعت وقست قلوب ولهت قال الحسن فوالله ما جالس احد القرءان الاقام عنه بزيادة او نقصان قال الله تعالى وننزل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولايزيد الظالمين الا خسارا * وقوله سبحانـه وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا انا لفى خلق جديد المعنى وان تعجب يا محمـد من جهالتهم واعراضهم عن الحق فهم اهـل لذلك وعجب غريب قولهم انعود بعد كوننا ترابا خلقا جديدا * اولائك الذين كفروا بربهم لتصميمهم على الجحود وانكارهم للبعث * واولائك الاغلال فى اعناقهم اي فى الآخرة ويحتمل ان يكون خبرا عن كونهم مغللين عن الايمان كقوله تعـالى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون * وقوله سبحانه ويستعجلونك بالسيئـة قبل الحسنة الآية تبيين لخطإهم كطلبهم سقوط كسف من السماء وقولهم امطر علينـا حجارة من السماء ونحو هـذا مع نزول ذلك باناس كثير وقرأ الجمهور المثلات بفتح الميم وضم الثاء وقرأ مجاهد المثلات بفتح الميم والثاء اي الاخذة الفذة بالعقوبة ثم رجى سبحانـه بقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ثم خوف بقوله وان ربك لشديد العقاب قال ابن المسيب لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله ومغفرتـه ما تهنـأ احد عيشا ولولا عقابه لاتكل كل احد وقال ابن عبـاس ليس فى القرءان ارجى من هذه الآيـة والمثـلات هي العقوبات المنكلات التى تجعل الانسان مثلا يتمثل به ومنه التمثيل بالقتلى ومنه المثـلة بالعبيد * ويقولون لولا انزل عليه ءاية من ربه هذه من اقتراحاتهم والآية هنا يراد بها الاشياء التى سمتها قريش كالملك والكنز وغير ذلك ثم اخبر تعالى بانه

منذر وهاد قال عكرمة وابو الضحى المراد بالهادى محمد صلى الله عليه وسلم فهاد عطف على منذركانه قال انما انت منذر وهاد لكل قوم وهاد على هذا التاويل بمعنى داع الى طريق الهدى وقال مجاهد وابن زيد المعنى انما انت منذر ولكل امة سلفت هاد اي نبيء يدعوهم اي فليس امرك يا محمد ببدع ولا منكر وهذا يشبه غرض الآية وقالت فرقة الهادى فى هذه الآية الله عز وجل والالفاظ تقلق بهذا المعنى ويعرف ان الله تعالى هو الهادى من غير هذا الموضع والقولان الاولان ارجح ما تأول فى الآية * وقوله سبحانه الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد هذه الآيات امثال منبهات على قدرة الله تعالى القاضية بتجويز البعث وما تغيض الارحام معناه ما تنقص ثم اختلف المتأولون فى صورة الزيادة والنقصان وجمهور المتأولين على ان غيض الرحم هو نقص الدم على الحمل وقال الضحاك غيض الرحم ان تسقط المرأة الولد والزيادة ان تضعه لمدة كاملة ونحوه لقتادة * وقوله وكل شيء عنده بمقدار عام فى كل ما يدخله التقدير والغيب ما غاب عن الادراكات والشهادة ما شوهد من الامور * وقوله الكبير صفة تعظيم والمتعال من العلو * وقوله سبحانه سواء منكم من اسر القول الآية اي لا يخفى على الله شيء والسارب فى اللغة المتصرف كيف شاء * وقوله سبحانه له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله المعنى جعل الله للعبد معقبات يحفظونه فى كل حال من كل ما جرى القدر باندفاعه فاذا جاء المقدور الواقع اسلم المرء اليه والمعقبات على هذا التاويل الحفظة على العباد اعمالهم والحفظة لهم ايضا قاله الحسن وروى فيه عن عثمان بن عفان حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اقوى التاويلات فى الآية وعبارة البخاري معقبات ملائكة حفظة يعقب الاول منها الآخر انتهى وقالت فرقة الضمير فى له عائد على اسم الله

المتقدم ذكره اي لله معقبات يحفظون عبده والضمير فى قوله يديه وما بعده من الضمائر عائد على العبد ثم ذكر سبحانه انه لا يغير هذه الحالة من الحفظ للعبد حتى يغير العبد ما بنفسه والمعقبات الجماعات التى يعقب بعضها بعضا وهي الملائكة وينظر هذا الى قول النبي صلى الله عليه وسلم يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث وفى قراءة ابي بن كعب من بين يديه ورقيب من خلفه وقرأ ابن عباس ورقباء من خلفه يحفظونه بامر الله وقوله يحفظونه اي يحرسونه ويذبون عنه ويحفظون ايضا اعماله ثم اخبر تعالى انه اذا اراد بقوم سوءا فلا مرد له ولا حفظ منه * وقوله سبحانه هو الذى يريكم البرق الآية قد تقدم فى اول البقرة تفسيره والظاهر ان الخوف انما هو من صواعق البرق والطمع فى الماء الذى يكون معه وهو قول الحسن والسحاب جمع سحابة ولذلك جمع الصفة والثقال معناه بحمل الماء قاله قتادة ومجاهد والعرب تصفها بذلك وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده وقال ابن ابي زكرياء من قال اذا سمع الرعد سبحان الله وبحمده لم تصبه صاعقة (ت) وعن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك رواه الترمذي والنساءي والحاكم فى المستدرك ولفظهم واحد انتهى من السلاح قال الداودي وعن ابن عباس قال من سمع الرعد فقال سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان اصابته صاعقة فعلي ديته انتهى * وقوله سبحانه ويرسل الصواعق الآية قال ابن جريج كان سبب نزولها قصة اربد وعامر بن الطفيل سألا النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل الامر بعده لعامر بن الطفيل ويدخلا فى دينه فابى عليه السلام ثم تؤامرا فى قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال

عامر لاربد انا اشغله لك بالحديث واضربه انت بالسيف فجعل عامر يحدثه واربد لا يصنع شيأ فلما انصرفا قال له عامر والله يا اربد لاخفتك ابدا ولقد كنت اخافك قبل هذا فقال له اربد والله لقد اردت اخراج السيف فما قدرت على ذلك ولقد كنت اراك بيني وبينه افاضربك فمضيا للحشد على النبي صلى الله عليه وسلم فاصابت اربد صاعقة فقتلته والمحال القوة والاهلاك (ت) وفى صحيح البخاري المحال العقوبة * وقوله عز وجل له دعوة الحق الضمير فى له عائد على اسم الله عز وجل قال ابن عباس ودعوة الحق لا اله الا الله يريد وما كان من الشريعة فى معناها * وقوله والذين يراد به ما عبد من دون الله والضمير فى يدعون لكفار قريش وغيرهم ومعنى الكلام والذين يدعونهم الكفار فى حوائجهم ومنافعهم لا يجيبونهم بشيء الا ثم مثلا سبحانه مثالا لاجابتهم بالذى يبسط كيفيه نحو الماء ويشير اليه بالاقبال الى فيه فلا يبلغ فمه ابدا فكذلك اجابة هؤلاء والانتفاع بهم لا يقع * وقوله هو يريد به الماء وهو البالغ والضمير فى بالغه للفم ويصح ان يكون هو يراد به الفم وهو البالغ ايضا والضمير فى بالغه للماء لان الفم لا يبلغ الماء ابدا على تلك الحال ثم اخبر سبحانه عن دعاء الكافرين انه فى انتلاف وضلال لا يفيد * وقوله تعالى ولله يسجد من فى السموات والارض الآية تنبيه على قدرته وعظمته سبحانه وتسخير الاشياء له والطعن على الكفار التاركين للسجود ومن تقع على الملائكة عموما وسجودهم طوع واما اهل الارض فالمومنون داخلون فى من وسجودهم ايضا طوع واما سجود الكفرة فهو الكره وذلك على معنيين فان جعلنا السجود هذه الهيئة المعهودة فالمراد من الكفرة من اسلم خوف سيف الاسلام كما قاله قتادة وان جعلنا السجود الخضوع والتذلل حسب ما هو فى اللغة

فيدخل الكفار اجمعون فى من لانه ليس من كافر الا ويلحقه من التذلل والاستكانة لقدرة الله تعالى انواع اكثر من ان تحصى بحسب زاياه واعتباراته * وقوله سبحانه وظلالهم بالغدو والآصال اخبار عن ان الظلال لها سجود لله تعالى كقوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله الآية وقال مجاهد ظل الكافر يسجد طوعا وهوكاره وروي ان الكافر اذا سجد لصنمه فان ظله يسجد لله حينئذ وباقى الآية بين ثم مثل الكفار والمومنين بقوله قل هل يستوى الاعمى والبصير وشبه الكافر بالاعمى والكفر بالظلمات وشبه المومن بالبصير والايمان بالنور * وقوله سبحانه قل الله خالق كل شيء لفظ عام يراد به الخصوص كما تقدم ذكره فى غير هذا الموضع * وقوله سبحانه انزل من السماء ماء يريد به المطر * فسالت اودية بقدرها الاودية ما بين الجبال من الانخفاض والخنادق وقوله بقدرها يحتمل ان يريد بما قدر لها من الماء ويحتمل ان يريد بقدر ما تحمله على قدر صغرها وكبرها (ت) وقوله فاحتمل بمعني حمل كاقتدر وقدر قاله (ص) والزبد ما يحمله السيل من غثاء ونحوه والرابى المنتفخ الذى قد ربا ومنه الربوة * وقوله سبحانه ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله المعنى ومن الاشياء التى توقدون عليها ابتغاء الحلي وهي الذهب والفضة او ابتغاء الاستمتاع بها فى المرافق وهي الحديد والرصاص والنحاس ونحوها من الاشياء التى توقدون عليها فاخبر تعالى ان من هذه ايضا اذا احمي عليها يكون لها زبد مماثل للزبد الذى يحمله السيل ثم ضرب سبحانه ذلك مثلا للحق والباطل اي ان الماء الذى تشربه الارض من السيل فيقع النفع به هو كالحق والزبد الذى يخمد وينفش ويذهب هوكالباطل وكذلك ما يخلص من الذهب والفضة والحديد ونحوه هوكالحق وما يذهب فى الدخان هوكالباطل * وقوله جفاء

مصدر من قولهم اجفأت القدر اذا غلت حتى خرج زبدها وذهب وقال (ص) جفاء حال اي مضمحلا متلاشيا ابو البقاء وهمزته منقلبة عن واو وقيل اصل انتهى * وقوله ما ينفع الناس يريد الخالص من الماء ومن تلك الاحجار * وقوله سبحانه للذين استجابوا لربهم الحسنى ابتداء كلام والحسنى الجنة * والذين لم يستجيبوا هم الكفرة * وسوء الحساب هو التقصى على المحاسب وان لا يقع فى حسابه من التجاوز شيء قاله شهر بن حوشب والنخعي وفرقد السنجي وغيرهم * وقوله سبحانه افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى المعنى اسواء من هداه الله فعلم صدق نبوتك وءامن بك كمن هو اعمى البصيرة باق على كفره روي ان هذه الآية نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وابى جهل وهي بعد هذا مثال فى جميع العالم * انما يتذكر اولوا الالباب انما فى هذه الآية حاصرة اي انما يتذكر فيومن ويراقب الله من له لب ثم اخذ فى وصفهم فقال الذين يوفون بعهد الله الآية قال الثعلبي قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مسيرة الى ثمانية ابواب الجنة وقال ابو بكر الوراق هذه ثمان جسور فمن اراد القربة من الله عبرها انتهى وباقى الآية الفاظها واضحة وانوارها لذوى البصائر لائحة * ويدرءون يدفعون قال الغزالي لما ذكر هذه الآية والذى ءاثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوى الالباب ولذلك لا تنكشف له اسرار الكتاب انتهى وجنات بدل من عقبى وتفسير لها * وعدن هي مدينة الجنة ووسطها ومعناها جنات الاقامة من عدن فى المكان اذا اقام فيه طويلا ومنه المعادن وجنات عدن يقال هي مسكن الانبياء والشهداء والعلماء فقط قاله عبد الله بن عمرو بن العاصى ويروى ان لها خمسة ءالاف باب * وقوله ومن صلح اي عمل صالحا * والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم

اي يقولون سلام عليكم والمعنى هذا بما صبرتم وباقى الآية واضح * وقوله سبحانه والذين ينقضون عهد الله الآية هذه صفة حال مضادة للمتقدمة نعوذ بالله من سخطه * وقوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء الآية لما اخبر عن من تقدم وصفه بان لهم اللعنة وسوء الدار انحى بعد ذلك على اغنيائهم وحقر شأنهم وشأن اموالهم المعنى ان هذا كله بمشيئة الله يهب الكافر المال ليهلكه به ويقدر على المومن ليعظم بذلك اجره وذخره * وقوله ويقدر من التقدير المناقض للبسط والاتساع * ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه ءاية من ربه قل ان الله يضل من يشاء الآية رد على مقترحى الآيات من كفار قريش كما تقدم * وقوله سبحانه الذين ءامنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الذين بدل من من فى قوله من اناب وطمانينة القلوب هي الاستكانة والسرور بذكر الله والسكون به كمالا به ورضى بالثواب عليه وجودة اليقين ثم قال سبحانه الا بذكر الله تطمئن القلوب اي لا بالآيات المقترحة التى ربما كفر بعدها فنزل العذاب * والذين الثانى مبتدأ وخبره طوبى لهم واختلف فى معنى طوبى فقال ابن عباس طوبى اسم الجنة بالحبشية وقيل طوبى اسم الجنة بالهندية وقيل طوبى اسم شجرة فى الجنة وبهذا تواترت الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى اسم شجرة فى الجنة يسير الراكب المجد فى ظلها مائة عام لا يقطعها الحديث قال (ص) طوبى فعلى من الطيب والجمهور انها مفرد مصدر كسقيا وبشرى قال الضحاك ومعناها غبطة لهم قال القرطبي والصحيح انها شجرة للحديث المرفوع انتهى (ت) وروى الشيخ الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن الخطيب البغدادي فى تاريخه عن شيخه ابى نعيم الاصبهاني بسنده عن ابى سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له يا رسول الله طوبى لمن رءاك وءامن بك قال

طوبى لمـن رءانى وءامن بى ثم طوبى ثم طوبى لمن ءامن بى ولم يرنى فقال له رجل يا رسول الله ما طوبى قال شجرة فى الجنـة مسيرة مائـة سنـة ثياب اهل الجنـة تخرج من اكمامها انتهى من ترجمة احمد بن الحسن * وقوله تعالى كذلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم اي كما اجرينا عادتنا كذلك ارسلناك الآية * وقوله وهم يكفرون بالرحمن قال قتادة نزلت فى قريش لما كتب فى الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم فى قصة الحديبيـة فقال قائلهم نحن لا نعرف الرحمن قال (ع) وذلك منهم ابايـة اسم فقط وهروب عن هذه العبارة التى لم يعرفوها الا من قبل النبي عليه السلام والمتاب المرجع كالمـآب لان التوبة هي الرجوع * وقوله سبحانـه ولو ان قرءانا سيرت بـه الجبال او قطعت بـه الارض الآيـة قال ابن عبـاس وغيره ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليـه وسلم ازح عنا وسير جبلي مكة فقد ضيقـا علينا واجعل لنا ارضنا قطع غراسة وحرث واحي لنـا ءاباءنا واجدادنا وفلانا وفلانا فنزلت الآيـة فى ذلك معلمة انهم لا يومنـون ولوكان ذلك كله * وقـوله تعالى افلم ييـأس الذين ءامنـوا الآيـة ييأس معناه يعلم وهي لغة هوازن وقـرأ علي بن ابي طالب وابن عباس وجماعة افلم يتبين ثم اخبر سبحانـه عن كفار قريش والعرب انهم لا يزالون تصيبهم قوارع من سرايا النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته ثم قال اوتحل انت يا محمد قريبا من دارهم هذا تاويـل ابن عباس وغيره وقال الحسن بن ابي الحسن المعنى او تحل القارعة قريبـا من دارهم ووعـد الله على قول ابن عباس وغيره هو فتح مكة وقال الحسن الآيـة عامة فى الكفار الى يوم القيامة وان حال الكفرة هكذا هي الى يوم القيامة ووعد الله قيـام الساعة والقارعـة الرزيـة التى تقرع قلب صاحبها * وقوله سبحانـه ولقد استهزئ برسـل الآيـة تانيس وتسليـة له عليـه السـلام قال البخـاري فامليت اي

اطلت من الملي والملاوة ومنه مليا ويقال للواسع الطويل من الارض مَلًى من الارض انتهى * وقوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اي اهو احق بالعبادة ام الجمادات * وقوله قل سموهم اي سموا من له صفات يستحق بها الالوهية ومكرهم يعم اقوالهم وافعالهم التى كانت بسبيل مناقضة الشرع * ولهم عذاب فى الحيوة الدنيا اي بالقتل والاسر والجدوب وغير ذلك * واشق من المشقة اي اصعب والواقى الساتر على جهة الحماية من الوقاية * وقوله سبحانه مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها قد تقدم تفسير نظيره وقوله اكلها معناه ما يوكل فيها * وقوله سبحانه والذين ءاتيناهم الكتاب يفرحون الآية قال ابن زيد المراد بالآية من آمن من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره قال (ع) والمعنى مدحهم وباقى الآية بين * وقوله سبحانه يمحوا الله ما يشاء ويثبت المعنى ان الله سبحانه يمحو من الامور ما يشاء ويغيرها عن احوالها مما سبق فى علمه محوه وتغييره ويثبتها فى الحالة التى ينقلها اليها حسب ما سبق فى علمه قال (ع) واصوب ما يفسر به ام الكتاب انه كتاب الامور المجزومة التى قد سبق القضاء فيها بما هو كائن وسبق ان لاتبدل ويبقى المحو والتثبيت فى الامور التى سبق فى القضاء ان تبدل وتمحى وتثبت قال نحوه قتادة وقوله سبحانه واما نرينك بعض الذى نعدهم ان شرط دخلت عليها ما * وقوله او نتوفينك اوعاطفة * وقوله فانما جواب الشرط ومعنى الآية ان نبقك يا محمد لترى بعض الذى نعدهم او نتوفينك قبل ذلك فعلى كلا الوجهين فانما يلزمك البلاغ فقط والضمير فى قوله اولم يروا عائد على كفار قريش كالذى فى نعدهم * وقوله ناتى معناه بالقدرة والامر * والارض يريد بها اسم الجنس وقيل يريد ارض الكفار المذكورين المعنى اولم يروا

انا نأتى ارض هؤلاء بالفتح عليك فننقصها بما يدخل فى دينك من القبائل والبلاد المجاورة لهم فما يؤمنهم ان نمكنك منهم ايضا قاله ابن عباس وهذا على ان الآية مدنية ومن قال ان الارض اسم جنس جعل انتقاص الارض بتخريب العمران الذى يحله الله بالكفار وقيل الانتقاص بموت البشر ونقص الثمار والبركة وقيل بموت العلماء والاخيار قاله ابن عباس ايضا وكل ما ذكر يدخل فى لفظ الآية وجملة معنى هذه الآية الموعظة وضرب المثل وقال ابوعمر بن عبد البر فى كتاب العلم بسنده عن عطاء بن ابي رباح فى معنى ننقصها من اطرافها قال بذهاب فقهائها وخيار اهلها وعن وكيع نحوه وقال الحسن نقصانها هو بظهور المسلمين على المشركين قال ابو عمر وقول عطاء فى تاويل الآية حسن جدا تلقاه اهل العلم بالقبول وقول الحسن ايضا حسن انتهى * وقوله سبحانه فلله المكر جميعا اي العقوبات التى احلها بهم وسماها مكرا على عرف تسمية العقوبة باسم الذنب وباقى الآية تحذير ووعيد * ويقول الذين كفروا لست مرسلا المعنى ويكذبك يا محمد هؤلاء الكفرة ويقولون لست مرسلا * قل كفى بالله شهيدا اي شاهدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال قتادة يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام وغيره كمل تفسير السورة وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة ابراهيم عليه السلام

هذه السورة مكية الاءايتين وهما قوله عز وجل الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا الى ءاخر الآيتين ذكره مكي والنقاش * قوله عز وجل الر كتاب

انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور قال القاضي بن الطيب وابو المعالي وغيرهما ان الانزال لم يتعلق بالكلام القديم الذى هو صفة الذات لكن بالمعاني التى افهمها الله تعالى جبريل عليه السلام من الكلام * وقوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور فى هذه اللفظة تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وعم الناس اذ هو مبعوث الى جميع الخلق وقرأ نافع وابن عامر الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض برفع اسم الله على القطع والابتداء وقرأ الباقون بخفض الهاء * وويل معناه وشدة وبلاء وباقى الآية بين * وقوله سبحانه وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الآية هذه الآية طعن ورد على المستغربين امر محمد صلى الله عليه وسلم وباقى الآية بين * وقوله سبحانه لموسى وذكرهم بايام الله اي عظهم بالتهديد بنقم الله التى احلها بالامم الكافرة قبلهم وبالتعديد لنعمه عليهم وعبر عن النعم والنقم بالايام اذ هي فى ايام وفى هذه العبارة تعظيم هذه الكوائن المذكر بها وفى الحديث الصحيح بينما موسى فى قومه يذكرهم ايام الله الحديث فى قصة موسى مع الخضر قال عياض فى الاكمال ايام الله نعماؤه وبلاؤه انتهى وقال الداودي وعن النبي صلى الله عليه وسلم وذكرهم بايام الله قال بنعم الله وعن قتادة لايات لكل صبار شكور قال نعم والله العبد اذا ابتلي صبر واذا اعطي شكر انتهى وقال ابن العربي فى احكامه وفى ايام الله قولان احدهما نعمه والثاني نقمه انتهى * وقوله واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم الآية تأذن بمعنى اذن اي اعلم قال بعض العلماء الزيادة على الشكر ليست فى الدنيا وانما هي من نعم الآخرة والدنيا اهون من ذلك قال (ع) وجائز ان يزيد الله المومن على شكره من نعم الدنيا والآخرة والكفر هنا يحتمل ان يكون على بابه ويحتمل ان يكون كفر النعم لا كفر الجحد وفى الآية ترجية

وتخويف وحكى الطبري عن سفيان وعن الحسن انهما قالا معنى الآية لئن شكرتم لازيدنكم من طاعتى قال (ع) وضعفه الطبري وليس كما قال بل هو قوي حسن فتأمله (ت) وتضعيف الطبري بين من حيث التخصيص والاصل التعميم * وقوله الم ياتكم هذا ايضا من التذكير بايام الله * وقوله سبحانه فردوا ايديهم فى افواههم قيل معناه ردوا ايدي انفسهم فى افواه انفسهم اشارة على الانبياء بالسكوت وقال الحسن ردوا ايدي انفسهم فى افواه الرسل تسكيتا لهم وهذا اشنع فى الرد * وقوله عز وجل قالت رسلهم افى الله شك التقدير افى الاهية الله شك او افى وحدانية الله شك وما فى قوله ما ءاذيتمونا مصدرية ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذي قال الداودي عن ابى عبيدة لمن خاف مقامى مجازه حيث اقيمه بين يدى للحساب انتهى قال عبد الحق فى العاقبة قال الربيع بن خيثم من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن طال امله ساء عمله انتهى وباقى الآية بين * وقوله سبحانه واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد استفتحوا اي طلبوا الحكم والفتاح الحاكم والمعنى ان الرسل استفتحوا اي سألوا الله تبارك وتعالى انفاذ الحكم بنصرهم وقيل بل استفتح الكفار على نحو قول قريش عجل لنا قطنا وعلى نحو قول ابى جهل يوم بدر اللهم اقطعنا للرحم وأتيانا بما لا نعرف فاحنه الغداة وهذا قول ابن زيد وقرأت فرقة واستفتحوا بكسر التاء على معنى الامر للرسل وهي قراءة ابن عباس ومجاهد وابن محيصن وخاب معناه خسر ولم ينجح والجبار المتعظم فى نفسه والعنيد الذى يعاند ولا ينافد * وقوله من ورائه قال الطبري وغيره معناه من امامه وعلى ذلك حملوا قوله تعالى وكان وراءهم ملك وليس الامر كما ذكروا بل الوراء هنا وهناك على بابه اي هو ما ياتى بعد فى الزمان وذلك ان التقدير فى هذه الحوادث بالامام

والوراء انما هو بالزمان وما تقدم فهو امام وهو بين اليد كما نقول فى التوراة والانجيل انهما بين يدي القرءان والقرءان وراءهما وعلى هذا فما تأخر فى الزمان فهو وراء المتقدم * ويسقى من ماء صديد الصديد القيح والدم وهو ما يسيل من اجساد اهل النار قاله مجاهد والضحاك * وقوله يتجرعه ولا يكاد يسيغه عبارة عن صعوبة امره عليهم وروي ان الكافر يوتى بالشربة من شراب اهل النار فيتكرهها فاذا ادنيت منه شوت وجهه وسقطت فيها فروة رأسه فاذا شربها قطعت امعاءه وهذا الخبر مفرق فى ءايات من كتاب الله عز وجل * ويأتيه الموت من كل مكان اي من كل شعرة في بدنه قاله ابراهيم التيمي وقيل من جميع جهاته الست * وما هو بميت لا يراح بالموت * ومن ورائه عذاب غليظ قال الفضيل بن عياض العذاب الغليظ حبس الانفاس فى الاجساد وفى الحديث تخرج عنق من النار تكلم بلسان طلق ذلق لها عينان تبصر بهما ولها لسان تكلم به فتقول انى امرت بمن جعل مع الله الها ءاخر وبكل جبار عنيد وبمن قتل نفسا بغير نفس فتنطلق بهم قبل سائر الناس بخمس مائة عام فتنطوى عليهم فتقذفهم فى جهنم خرجه البزار انتهى من الكوكب الدري * وقوله فى يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف وهي من صفات الريح بالحقيقة لما كانت فى اليوم كقول الشاعر * ونمت وما ليل المطي بنائم * وباقى الآية بين وبرزوا لله جميعا معناه صاروا فى البراز وهي الارض المتسعة فقال الضعفاء وهم الاتباع للذين استكبروا وهم القادة واهل الرأي وقولهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص المحيص المفر والملجأ ماخوذ من حاص يحيص اذا نفر وفر ومنه فى حديث هرقل فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب وروي عن ابن زيد وعن محمد بن كعب ان اهل النار يقولون انما نال اهل الجنة الرحمة

بالصبر على طاعة الله فتعالوا فلنصبر فيصبرون خمس مائة سنة فلا ينتفعون فيقولون هلم فلنجزع فيضجون ويصيحون ويبكون خمس مائة سنة اخرى فحينئذ يقولون هذه المقالة سواء علينا الآية وظاهر الآية انهم انما يقولونها فى موقف العرض وقت البروز بين يدي الله عز وجل * وقوله عز وجل وقال الشيطان لما قضي الامر المراد هنا بالشيطان ابليس الاقدم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق عقبة بن عامر انه قال يقوم يوم القيامة خطيبان احدهما ابليس يقوم فى الكفرة بهذه الالفاظ والثانى عيسى بن مريم يقوم بقوله ما قلت لهم الا ما امرتنى به الآية وروي فى حديث ان ابليس انما يقوم بهذه الالفاظ فى النار على اهلها عند قولهم مالنا من محيص فى الآية المتقدمة فعلى هذه الرواية يكون معنى قوله قضي الامر اي حصل اهل النار فى النار واهل الجنة فى الجنة وهو تاويل الطبري * وقوله وما كان لى عليكم من سلطان اي من حجة بينة والا ان دعوتكم استثناء منقطع ويحتمل ان يريد بالسلطان فى هذه الآية الغلبة والقدرة والملك اي ما اضطررتكم ولا خوفتكم بقوة منى بل عرضت عليكم شيأ فاتى رأيكم عليه * وقوله فلا تلومونى يريد بزعمه اذ لا ذنب لى ولوموا انفسكم اي فى سوء نظركم فى اتباعى وقلة تثبتكم * ما انا بمصرخكم المصرخ المغيث والصارخ المستغيث واما الصريخ فهو مصدر بمنزلة البريح * وقوله انى كفرت بما اشركتمون ما مصدرية وكانه يقول انى الآن كافر باشراككم اياي مع الله قبل هذا الوقت فهذا تبر منه وقد قال تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم * وقوله عز وجل وادخل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم الاذن هنا عبارة عن القضاء والامضاء * وقوله سبحانه الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة

الم تر بمعنى الم تعلم قال ابن عباس وغيره الكلمة الطيبة هي لا اله الا الله مثلها الله سبحانه بالشجرة الطيبة وهي النخلة فى قول اكثر المتأولين فكان هذه الكلمة اصلها ثابت فى قلوب المومنين وفضلها وما يصدر عنها من الافعال الزكية وانواع الحسنات هو فرعها يصعد الى السماء من قبل العبد والحين القطعة من الزمان غير محدودة كقوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين وقد تقتضى لفظة الحين بقرينتها تحديدا كهذه الآية والكلمة الخبيثة هي كامة الكفر وما قاربها من كلام السوء فى الظلم ونحوه والشجرة الخبيثة قال اكثر المفسرين هي شجرة الحنظل ورواه انس عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا عندى على جهة المثل * اجتثت اي اقتعلت جثتها بنزع الاصول وبقيت فى غاية الوهن والضعف فتقلبها اقل ريح فالكافر يرى ان بيده شيأ وهو لا يستقر ولا يغنى عنه كهذه الشجرة الذى يظن بها على بعد او للجهل بها انها شيء نافع وهي خبيثة الجنى غير باقية * وقوله سبحانه يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة القول الثابت فى الحياة الدنيا كلمة الاخلاص والنجاة من النار لا اله الا الله والاقرار بالنبوءة وهذه الآية تعم العالم من لدن ءادم عليه السلام الى يوم القيامة قال طاوس وقتادة وجمهور من العلماء الحياة الدنيا هي مدة حياة الانسان وفى الآخرة وقت سؤاله فى قبره وقال البراء بن عازب وجماعة فى الحياة الدنيا هي وقت سؤاله فى قبره ورواه البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم فى لفظ متأول وفى الآخرة هو يوم القيامة عند العرض والاول احسن ورجحه الطبري (ت) ولفظ البخاري عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل فى القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة

انتهى وحديث البراء خرجه البخاري ومسلم وابو داود والنساءي وابن ماجه قال صاحب التذكرة وقد روى هذا الحديث ابو هريرة وابن مسعود وابن عباس وابو سعيد الخدري قال ابو سعيد الخدري كنا فى جنازة مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فاذا الانسان دفن وتفرق عنه اصحابه جاءه ملك بيده مطراق فاقعده فقال ما تقول فى هذا الرجل الحديث وفيه فقال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما احد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق الا هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء انتهى قال ابو عمر بن عبد البر وروينا من طرق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر كيف بك يا عمر اذا جاءك منكر ونكير اذا مت وانطلق بك قومك فقاسوا ثلاثة اذرع وشبرا فى ذراع وشبر ثم غسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك فوضعوك فيه ثم اهالوا عليك التراب فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران شعورهما معهما مرزبة لو اجتمع عليها اهل الارض لم يقلبوها فقال عمر يارسول الله ان فرقنا فحق لنا ان نفرق انبعث على ما نحن عليه قال نعم ان شاء الله قال اذن اكفيكهما انتهى والظالمون فى هذه الآية الكافرون * ويفعل الله ما يشاء اي بحق الملك فلا راد لامره ولا معقب لحكمه وجاءت احاديث صحيحة فى مسايلة العبد فى قبره وجماعة السنة تقول ان الله سبحانه يخلق للعبد فى قبره ادراكات وتحصيلا اما بحياة كالمتعارفة واما بحضور النفس وان لم تتلبس بالجسد كالعرف كل هذا جائز فى قدرة الله تبارك وتعالى غير ان فى الاحاديث الصحيحة انه يسمع خفق النعال ومنها انه يرى الضوء كأن الشمس دنت للغروب وفيها انه يراجع

وفيها فيعاد روحه الى جسده وهذا كله يتضمن الحياة فسبحان من له هذه القدرة العظيمة * وقوله سبحانه الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا المراد بالذين بدلوا نعمة الله كفرة قريش وقد خرجه البخاري وغيره مسندا عن ابن عباس انتهى والتقدير بدلوا شكر نعمة الله كفرا ونعمة الله تعالى فى هذه الآية هو محمد صلى الله عليه وسلم ودينه * واحلوا قومهم اي من اطاعهم وكأن الاشارة والتعنيف انما هو للرءوس والاعلام * والبوار الهلاك قال عطاء بن يسار نزلت هذه الآية فى قتلى بدر والانداد جمع ند وهو المثيل والمراد الاصنام واللام فى قوله ليضلوا بضم الياء لام كي وبفتحها لام عاقبة وصيرورة والقراءتان سبعيتان * وقوله سبحانه قل لعبادي الذين ءامنوا يقيموا الصلوة الآية العباد جمع عبد وعرفه فى التكرمة بخلاف العبيد والسر صدقة التنفل والعلانية المفروضة هذا هو مقتضى الاحاديث وفسر ابن عباس هذه الآية بزكاة الاموال مجملا وكذلك فسر الصلاة بانها الخمس وهذا عندى منه تقريب للمخاطب * والخلال مصدر من خالل اذا واد وصافى ومنه الخلة والخليل والمراد بهذا اليوم يوم القيامة * وقوله سبحانه الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم هذه الآية تذكير بءالائه سبحانه وتنبيه على قدرته التي فيها احسان الى البشر لتقوم الحجة عليهم * وقوله بامره مصدر امر يامر وهذا راجع الى الكلام القديم القائم بالذات * ودائبين معناه متماديين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لصاحب الجمل الذى بكى واجهش اليه ان هذا الجمل شكا الي انك تجيعه وتدئبه اي تديمه فى الخدمة والعمل وظاهر الآية ان معناه دائبين فى الطلوع والغروب وما بينهما من المنافع للناس التى لا تحصى كثرة وعن ابن عباس انه قال معناه دائبين فى طاعة الله * وقوله سبحانه وءاتاكم

من كل ما سألتموه المعنى ان جنس الانسان بجملته قد اوتي من كل ما شأنه ان يسأل وينتفع به وقرأ ابن عباس وغيره من كل ما سألتموه بتنوين كل ورويت عن نافع * وقوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها اي لكثرتها وعظمها فى الحواس والقوى والايجاد بعد العدم والهداية للايمان وغير ذلك وقال طلق بن حبيب ان حق الله تعالى اثقل من ان يقوم به العبّاد ونعمه اكثر من ان يحصيها العباد ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين (ت) ومن الكلم الفارقية ايها الحريص على نيل عاجل حظه ومراده الغافل عن الاستعداد لمعاده تنبه لعظمة من وجودك بايجاده وبقاؤك بارفاده ودوامك بامداده انت طفل فى حجر لطفه ومهد عطفه وحضانة حفظه يغذك بلبان بره ويقلبك بايدى اياديه وفضله وانت غافل عن تعظيم امره جاهل بما اولاك من لطيف سره وفضلك به على كثير من خلقه اذكر عهد الايجاد ودوام الامداد والارفاد وحالتي الاصدار والايراد وفاتحة المبدإ وخاتمة المعاد انتهى * وقوله سبحانه ان الانسان يريد به النوع والجنس المعنى توجد فيه هذه الخلال وهي الظلم والكفر فان كانت هذه الخلال من جاحد فهي بصفة وان كانت من عاص فهي بصفة اخرى * وقوله سبحانه واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا تقدم تفسيره * وقوله واجنبنى وبني ان نعبد الاصنام واجنبنى معناه امنعنى يقال جنبه كذا واجنبه وجنبه اذا منعه من الامر وحماه منه (ت) وكذا قال (ص) واجنبنى معناه امنعنى اصله من الجانب وعبارة المهدوي اي اجعلنى جانبا من عبادتها وقال الثعلبي واجنبنى اي بعدنى واجعلنى منها على جانب بعيد انتهى وهذه الالفاظ كلها متقاربة المعانى واراد ابراهيم عليه السلام بنى صلبه واما باقى نسله فمنهم من عبد الاصنام وهذا الدعاء من الخليل عليه السلام يقتضى افراط خوفه على نفسه ومن حصل فى رتبته فكيف يخاف

ان يعبد صنما لكن هذه الآية ينبغي ان يقتدى بها فى الخوف وطلب حسن الخاتمة والاصنام هي المنحوتة على خلقة البشر وما كان منحوتا على غير خلقة البشر فهي اوثان قاله الطبري عن مجاهد ونسب الى الاصنام انها اضلت كثيرا من الناس تجوزا وحقيقة الاضلال انما هي لمخترعها سبحانه وقيل اراد بالاصنام هنا الدنانير والدراهم * وقوله ومن عصاني ظاهره بالكفر لمعادلة قوله فمن تبعني فانه مني واذا كان ذلك كذلك فقوله فانك غفور رحيم معناه بتوبتك على الكفرة حتى يومنوا لا انه اراد ان الله يغفر لكافر وحمله على هذه العبارة ما كان ياخذ نفسه به من القول الجميل والنطق الحسن وجميل الادب صلى الله عليه وسلم قال قتادة اسمعوا قول الخليل صلى الله عليه وسلم والله ما كانوا طعانين ولا لعانين وكذلك قول نبي الله عيسى عليه السلام وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم واسند الطبري عن عبد الله بن عمرو حديثا ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا هاتين الآيتين ثم دعا لامته فبشر فيهم وكان ابراهيم التيمي يقول من يامن على نفسه بعد خوف ابراهيم الخليل على نفسه من عبادة الاصنام * وقوله ومن ذريتي يريد اسماعيل عليه السلام وذلك ان سارة لما غارت بهاجر بعد ان ولدت اسماعيل تشوش قلب ابراهيم منهما فروي انه ركب البراق هو وهاجر والطفل فجاء فى يوم واحد من الشام الى بطن مكة فتركهما هناك وركب منصرفا من يومه ذلك وكان ذلك كله بوحي من الله تعالى فلما ولى دعا بضمن هذه الآية واما كيفية بقاء هاجر وما صنعت وسائر خبر اسماعيل ففى كتاب البخاري وغيره وفى السير ذكر ذلك كله مستوعبا (ت) وفى صحيح البخاري من من حديثه الطويل فى قصة ابراهيم مع هاجر وولدها لما حملهما الى مكة قال وليس بمكة يومئذ احد وليس فيها ماء فوضعهما هنالك ووضع

عندهما جرابا فيه تمـر وسقاء فيه مـاء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له ءالله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم حتى بلـغ يشكرون الحديث بطوله وفى طريق قالت يا ابراهيم الى من تتركنا قال الى الله عز وجل قالت رضيت انتهى وفى هذا الحديث من الفوائد لارباب القلوب والمتوكلين واهل الثقـة بالله سبحانه مـا يطول بنـا سردها فاليك استخراجها ولما انقطعت هاجر وابنها الى الله تعالى ءاواهما الله وانبع لهما مـاء زمزم المبارك الذى جعله غذاء قال ابن العربي وقـد قال النبي صلى الله عليـه وسلم مـاء زمزم لما شرب له قال ابن العربي ولقد كنت مقيما بمكة سنـة سبع وثمانين واربعمائة وكنت اشرب مـاء زمزم كثيرا وكلما شربت نويت بـه العلم والايمـان ونسيت ان اشربه للعمل ففتح لى فى العلم ويا ليتنى شربتـه لهما معـا حتى يفتح لى فيهما ولم يقدر فكان صغوى الى العلم اكثر منه الى العمل انتهى من الاحكام ومن فى قوله ومن ذريتي للتبعيض لان اسحاق كان بالشام والوادى مـا بـين الجبلـين وليس من شرطه ان يكون فيـه مـاء وجمعـه الضمير فى قوله ليقيموا يدل على ان الله قـد اعلمه ان ذلك الطفل سيعقب هناك ويكون له نسل واللام فى ليقيموا لام كي هذا هو الظاهر ويصح ان تكون لام الامر كانـه رغب الى الله سبحانـه ان يوفقهم لاقامة الصلاة والافـئدة القلوب جمع فؤاد سمي بذلك لاتقاده ماخوذ من فأد ومنـه المفتأد وهو مستوقد النـار حيث يشوى اللحم * وقوله من الناس تبعيض ومراده المومنون وباقى الآية بين *

وقوله رب اجعلني مقيم الصلوة دعا ابراهيم عليه السلام في امر كان مثابرا عليه متمسكا بـه ومتى دعا الانسان في مثل هذا فانما المقصد ادامة ذلك الامر واستمراره قال السهيلي قوله تعالى رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي بحرف التبعيض ولذلك اسلم بعض ذريتـه دون بعض انتهى وفاقا لما تقدم الآن * وقوله ربنا اغفرلي ولوالدي اختلف في تاويل ذلك فقالت فرقـة كان ذلك قبل يأسه من ايمان ابيـه وتبينـه انـه عدو لله فاراد اباه وامـه لانهـا كانت مومنة وقيل اراد ءادم ونوحا عليهما السلام وقرأ الزهري وغيره ولولدي على انه دعاء لاسماعيـل واسحاق وانكرها عاصم الجحدري وقال ان في مصحف ابي بن كعب ولأبوي * وقوله عز وجـل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمـل الظالمون انمـا يوخرهم الآيـة هذه الآيـة بجملتهـا فيهـا وعيد للظالمين وتسليـة للمظلومـين والخطـاب بقوله تحسبن للنبي صلى الله عليـه وسلم وتشخص فيـه الابصار معناه تحد النـظر لفرط الفزع ولفرط ذلـك يشخص المحتضر والمهطع المسرع في مشيـه قاله ابن جبير وغيره وذلـك بـذلة واستكانـة كاسراع الاسير ونحـوه وهذا ارجح الاقوال وقال ابن عباس وغيره الاهطاع شدة النـظر من غير ان يطرف وقال ابن زيد المهطع الذى لا يرفع رأسه قال ابو عبيدة قـد يكون الاهطاع للوجهـين جميعا الاسراع وادامـة النظر والمقنع هو الذى يرفـع رأسـه قدما بوجهـه نحو الشيء ومن ذلك قول الشاعر

يباكرن العضاه بمقنعـات * نواجذهن كالحـد الوقيـــع

يصف الابل عند رعيها اعالي الشجر وقال الحسن في تفسير هذه الآيـة وجوه الناس يوم القيامـة الى السماء لاينظر احد الى احد وذكر المبرد فيما حكى عنه مكي ان الاقناع يوجد في كلام العرب بمعنى خفض الرأس من الذلة قال (ع) والاول اشهر * وقوله سبحانه لا يرتد اليهم طرفهم اي لا يطرفون من الحذر والجزع

وشدة الحال * وقوله وافئدتهم هواء تشبيه محض وجهة التشبيه يحتمل ان تكون فى فراغ الافئدة من الخير والرجاء والطمع فى الرحمة فهي متخرقة مشبهة الهواء فى تفرغه من الاشياء وانخراقه ويحتمل ان تكون فى اضطراب افئدتهم وجيشانها فى صدورهم وانها تذهب وتجيء وتبلغ على ما روي حناجرهم فهي فى ذلك كالهواء الذى هو ابدا فى اضطراب * وقوله سبحانه وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب المراد باليوم يوم القيامة ونصبه على انه مفعول بانذر ولا يجوز ان يكون ظرفا لان القيامة ليست بموطن انذار قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابي جمرة يجب التصديق بكل ما اخبر الله ورسوله به ولا يتعرض الى الكيفية فى كل ما جاء من امر الساعة واحوال يوم القيامة فانه امر لا تسعه العقول وطلب الكيفية فيه ضعف فى الايمان وانما يجب الجزم بالتصديق بجميع ما اخبر الله به انتهى قال الغزالي فاعلم العلماء واعرف الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا التفكر فى خطر تلك الاحوال وما الذى ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة او سعادة دائمة لكان ذلك كافيا فى استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين ايدينا انتهى من الاحياء * وقوله اولم تكونوا الآية معناه يقال لهم * وقوله ما لكم من زوال هو المقسم عليه وهذه الآية ناظرة الى ما حكى الله سبحانه عنهم فى قوله واقسموا بالله جهدا ايمانهم لا يبعث الله من يموت * وقوله سبحانه وسكنتم الآية المعنى يقول الله عز وجل وسكنتم ايها المعرضون عن ءايات الله من جميع العالم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر من الامم السالفة فنزلت بهم المثلات فكان حقكم الاعتبار والاتعاظ * وقوله وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم وقرأ

السبعـة سوى الكسـاءي وان كان مكرهم لتزول بكسر اللام من لتزول وفتح الاخيرة وهذا على ان تكون ان نافية بمعنى مـا ومعنى الآيـة تحقير مكرهم وانـه مـا كان لتزول منه الشرائع والنبوءات واقدار الله بها التى هي كالجبال فى ثبوتهـا وقوتها هذا هو تاويـل الحسن وجماعة المفسرين وتحتمل عندى هذه القراءة ان تكون بمعنى تعظيم مكرهم اي وان كان شديدا وقرأ الكسـاءي وان كان مكرهم لتزول منـه الجبال بفتح اللام الاولى من لتزول وضم الاخيرة وهي قراءة ابن عبـاس وغيره ومعنى الآيـة تعظيم مكرهم وشدته اي انه ممـا يشق بـه ويزيـل الجبال عن مستقراتهـا لقوتـه ولكن الله تعالى ابطله ونصر اوليـاءه وهذا اشـد فى العبرة وقرأ علي وابن مسعود وعمر بن الخطاب وابي وان كاد مكرهم وذكر ابو حاتم ان فى قراءة ابي ولولا كلمة الله لزال من مكرهم الجبال * وقوله سبحانـه فـلا تحسبن الله مخلف وعده رسله الآيـة تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره من امتـه ولم يكن النبي عليه السلام ممـن يحسبن مثـل هذا ولكن خرجت العبارة هكذا والمراد بمـا فيهـا من الزجر غيره * ان الله عزيز لايمتنع منـه شيء ذو انتقـام من الكفرة * وقوله سبحانـه يوم تبدل الارض الآيـة يوم ظرف للانتقـام المذكور قبله وروي فى تبديل الارض اخبـار منهـا فى الصحيح يبـدل الله هـذه الارض بارض عفراء بيضاء كانها قرصة نقي وفى الصحيح ان الله يبدلها خبزة ياكل المومن منهـا من تحت قدميـه وروي انهـا تبدل ارضـا من فضة وروي انهـا ارض كالفضة من بياضها وروي انهـا تبدل من نار قال (ع) وسمعت من ابي رحمه الله انه روي ان التبديل يقع فى الارض ولكن يبدل لكل فريق بما يقتضيه حاله فالمومن يكون على خبز ياكل منـه بحسب حاجته اليه وفريق يكون على فضة ان صح السنـد بهـا وفريق الكفـرة يكونون على نار ونحو

هذا مما كله واقع تحت قدرة الله عز وجل واكثر المفسرين على ان التبديل يكون بارض بيضاء عفراء لم يعص الله فيها ولا سفك فيها دم وليس فيها معلم لاحد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المومنون وقت التبديل فى ظل العرش وروي عنه انه قال الناس وقت التبديل على الصراط وروي انه قال الناس حينئذ اضياف الله فلا يعجزهم ما لديه وفى صحيح مسلم من حديث ثوبان فى سؤال الحبر وقوله يا محمد اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال صلى الله عليه وسلم هم فى الظلمة دون الجسر الحديث بطوله وخرجه مسلم وابن ماجه جميعا قالا حدثنا ابو بكر ابن ابى شيبة ثم اسندا عن عائشة قالت سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاين يكون الناس قال على الصراط وخرجه الترمذي من حديث عائشة قالت يا رسول الله والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فاين يكون المومنون يومئذ قال على الصراط يا عائشة قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى من التذكرة * وترى المجرمين اي الكفار ومقرنين اي مربوطين فى قرن وهو الحبل الذى تشد به رءوس الابل والبقر والإصفاد هي الاغلال واحدها صفد والسرابيل القمص والقطران هو الذى تهنأ به الابل وللنار فيه اشتعال شديد فلذلك جعل الله قمص اهل النار منه وقرأ عمر بن الخطاب وعلي وابو هريرة وابن عباس وغيرهم من قِطْرٍ آنٍ والقطر القصدير وقيل النحاس وروي عن عمر انه قال ليس بالقطران ولكنه النحاس يسربلونه وآن صفة وهو الذائب الحار الذى تناهى حره * قال الحسن قد سعرت عليه جهنم منذ خلقت فتناهى حره * وقوله سبحانه ليجزي الله كل نفس ما كسبت الآية جاء من لفظة الكسب بما يعم المسيء والمحسن لينبه على ان المحسن ايضا يجازى باحسانه خيرا *

وقوله سبحانـه هذا بلاغ للناس الآيـة اشارة الى القرءان والوعيد الذى تضمنه والمعنى هـذا بلاغ للناس وهو لينذروا به وليذكر اولوا الالبـاب وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمـن الرحيم

تفسير سـورة الحجر مكيـة

قوله عز وجل الرتلك ءايات الكـتـاب وقرءان مبين قال مجاهـد وقتـادة الكـتاب فى الآيـة مـا نزل من الكتب قبـل القـرءان ويحتمـل ان يراد بالكـتاب القرءان ثم تعطف الصفـة عليه ✲ وربما للتقليل وقد تجيء شاذة للتكـثير وقال قوم ان هـذه مـن ذلك وانكر الزجاج ان تجيء رب للتكـثير واختلف المتأولون فى الوقت الذى يود فيـه الكفار ان يكونوا مسلمين فقـالت فرقة هو عند معاينـة الموت حكى ذلك الضحاك وقالت فرقة هو عند معاينة اهوال يوم القيامة وقال ابن عبـاس وغيره هو عنـد دخولهم النـار ومعرفتهم بدخول المومنين الجنـة وروي فيـه حديث من طريق ابى موسى ✲ وقـوله سبحانـه ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الآيـة وعيـد وتهديد ومـا فيـه من المهادنـة منسوخ بـآية السيف وروى ابن المبارك فى رقائقـه قال اخبرنا الاوزاعي عن عروة بن رويم قال قال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم شرار امتى الذين ولدوا فى النعيم وغذوا بـه همتهم الوان الطعـام والوان الثياب يتشدقون بالكـلام انتهى ✲ وقوله فسوف يعلمون وعيدثان وحكى الطبري عن بعض العلماء انه

قال الاول فى الدنيا والثانى فى الآخرة فكيف تطيب حياة بين هذين الوعدين * وقوله ويلههم الامل اي يشغلهم املهم فى الدنيا والتزيد منها قال عبد الحق فى العاقبة اعلم رحمك الله ان تقصير الامل مع حب الدنيا متعذر وانتظار الموت مع الاكباب عليها غير متيسر ثم قال واعلم ان كثرة الاشتغال بالدنيا والميل بالكلية اليها ولذة امانيها تمنع مرارة ذكر الموت ان ترد على القلب وان تلج فيه لان القلب اذا امتلأ بشيء لم يكن لشيء آخر فيه مدخل فاذا اراد صاحب هذا القلب سماع الحكمة والانتفاع بالموعظة لم يكن له بد من تفريقه ليجد الذكر فيه منزلا وتلقى الموعظة فيه محلا قابلا قال ابن السماك رحمه الله ان الموتى لم يبكوا من الموت لكنهم بكوا من حسرة الفوت فاتتهم والله دار لم يتزودوا منها ودخلوا دارا لم يتزودوا لها انتهى وانما حصل لهم الفوت بسبب استغراقهم فى الدنيا وطول الامل الملهى عن المعاد الهمنا الله رشدنا بمنه * وقوله سبحانه وما اهلكنا من قرية الآية اي فلا تستبطئن هلاكهم فليس من قرية مهلكة الا باجل وكتاب معلوم محدود * وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر الآية القائلون هذه المقالة هم كفار قريش ولوما بمعنى لولا فتكون تحضيضا كما هي فى هذه الآية وفى البخاري لوما تاتينا هلا تاتينا * وقوله الا بالحق قال مجاهد المعنى بالرسالة والعذاب والظاهر ان معناه كما ينبغى ويحق من الوحي والمنافع التى اراها الله لعباده لا على اقتراح كافر ثم ذكر عادته سبحانه فى الامم من انه لم ياتهم بآية اقتراح الا ومعها العذاب فى اثرها ان لم يومنوا والنظرة التاخير * وقوله سبحانه انا نحن نزلنا الذكر رد على المستخفين فى قولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر * وقوله وانا له لحافظون قال مجاهد وغيره الضمير فى له عائد على القرءان المعنى وانا له لحافظون من ان يبدل او يغير * وقوله سبحانه ولقد ارسلنا من قبلك

فى شيع الاولين الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا يضق صدرك يا محمد بما يفعله قومك من الاستهزاء فى قولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر وغير ذلك والشيعة الفرقة التابعة لرأس ما (ت) قال الفراء فى شيع الاولين انه من اضافة الموصوف الى صفته كحق اليقين وجانب الغربي وتأوله البصريون على حذف الموصوف اي شيع الامم الاولين انتهى من (ص) * وقوله سبحانه كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يومنون به وقد خلت سنة الاولين يحتمل ان يكون الضمير فى نسلكه يعود على الذكر المحفوظ المتقدم وهو القرءان ويكون الضمير فى به عائد عليه ايضا ويحتمل ان يعود الضميران معا على الاستهزاء والشرك ونحوه والباء فى به باء السبب اي لا يومنون بسبب شركهم واستهزائهم ويحتمل ان يكون الضمير فى نسلكه عائدا على الاستهزاء والشرك والضمير فى به عائد على القرءان والمعنى فى ذلك كله ينظر بعضه الى بعض ونسلكه معناه ندخله والمجرمين هنا يراد بهم كفار قريش ومعاصرو النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله لا يومنون به عموم معناه الخصوص فيمن حتم عليه * وقوله وقد خلت سنة الاولين اي على هذه الوتيرة * ولو فتحنا عليهم اي على قريش وكفرة العصر والضمير فى قوله فظلوا عائد عليهم وهو تاويل الحسن ويعرجون معناه يصعدون ويحتمل ان يعود على الملائكة اي ولو رأوا الملائكة يصعدون ويتصرفون فى باب مفتوح فى السماء لما ءامنوا وهذا هو تاويل ابن عباس وقرأ السبعة سوى ابن كثير سكرت بضم السين وشد الكاف وقرأ ابن كثير بتخفيف الكاف تقول العرب سكرت الريح تسكر سكورا اذا ركدت ولم تنفذ لما كانت بسبيله اولا وسكر الرجل من الشراب اذا تغيرت حاله وركد ولم ينفذ لما كان بسبيله ان ينفذ فيه وتقول العرب سكرت البثق فى

مجارى المـاء سكرا اذا طمسته وصرفت المـاء عنـه فلم ينفذ لوجهـه قال (ع) فهذه اللفظة سكرت بشد الكاف ان كانت من سكر الشراب او من سكور الريح فهي فعل عدي بالتضعيف وان كانت من سكر مجارى الماء فتضعيفها للمبالغـة لاللتعـدى لان المخفف مـن فعله متعـد ومعنى هـذه المقـالة منهم اي غيرت ابصارنا عما كانت عليه فهي لا تنفذ وتعطينا حقائق الاشياء كما كانت تفعل * وقوله سبحانـه ولقد جعلنا فى السماء بروجا البروج المنازل واحدها برج وسمي بذلك لظهوره ومنه تبرج المرأة ظهورها وبدوها وحفظ السماء هوبالرجم بالشهب على ما تضمنته الاحاديث الصحاح قال النبي صلى الله عليـه وسلم ان الشياطين تقرب من السماء افواجا قال فينفرد المـارد منها فيعلو فيسمع فيرمى بالشهـاب فيقول لاصحابه انه من الامر كذا وكذا فيزيد الشياطين فى ذلك ويلقون الى الكهنة فيزيدون مع الكلمة مائة ونحو هذا الحديث والاٴمنى لكن ويظهر ان الاستثناء من الحفظ وقال محمد بن يحيي عن ابيه الامن استرق السمع فانها لم تحفظ منه * وقوله موزون قال الجمهور معناه مقدر محرر بقصـد وارادة فالوزن على هـذا مستعـار وقال ابن زيد المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والفضـة وغير ذلك مما يوزن والمعايش جمع معيشة * وقوله ومن لستم له برازقين يحتمل ان يكون عطفا على معايش كأن الله تعالى عدد النعم فى المعايش وهي ما يوكل ويلبس ثم عدد النعم فى الحيوان والعبيد وغير ذلك ممـا ينتفـع بـه النـاس وليس عليهم رزقهم * وقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنـه قال ابن جريج هو المطر خاصـة قال (ع) وينبغى ان يكـون اعم من هذا فى كثير من المخلوقات * وقوله سبحانـه وارسلنـا الرياح لواقح اي ذات لقح يقـال لقحت الناقة والشجر فهي لاقحة اذا حملت فالوجه فى الريح ملقحة لا لاقحة قال الداودي وعـن ابن عمـر الرياح ثمـان اربـع رحمة واربع عذاب فالرحمـة

المرسلات والمبشرات والناشرات والذاريات واما العذاب فالصرصر والعقيم والقاصف والعاصف وهما فى البحر انتهى * وقوله جلت عظمته وانا لنحن نحي ونميت الآيات هذه الآيات مع الآيات التى قبلها تضمنت العبرة والدلالة على قدرة الله تعالى وما يوجب توحيده وعبادته المعنى وانا لنحن نحي من نشاء باخراجه من العدم الى وجود الحياة ونميت بازالة الحياة عمن كان حيا * ونحن الوارثون اي لا يبقى شيء سوانا وكل شيء هالك الا وجهه لا رب غيره * ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين اي من لدن ءادم الى يوم القيامة قال ابن العربي فى احكامه روى الترمذي وغيره فى سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس انه قال كانت امرأة تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ولا والله ما رأيت مثلها قط قال فكان بعض المسلمين اذا صلوا تقدموا وبعضهم يستاخر فاذا سجدوا نظروا اليها من تحت ايديهم فانزل الله الآية ثم قال ابن العربي فى شرح المراد بهذه الآية خمسة اقوال احدها هذا القول الثانى المتقدمين فى الخلق الى اليوم والمتأخرين الذين لم يخلقوا بعد بيان ان الله يعلم الموجود والمعدوم قاله قتادة وجماعة الثالث من مات ومن بقي قاله ابن عباس ايضا الرابع المستقدمين سائر الامم والمستاخرين امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قاله مجاهد الخامس قال الحسن معناه المتقدمين فى الطاعة والمستاخرين فى المعصية انتهى (د ت) والحديث المتقدم ان صح فلا بد من تاويله فان الصحابة ينزهون عن فعل ما ذكر فيه فيؤول بان ذلك صدر من بعض المنافقين او بعض الاعراب الذين قرب عهدهم بالاسلام ولم يرسخ الايمان فى قلوبهم واما ابن عباس فانه كان يومئذ صغيرا بلا شك هذا ان كانت الآية مدنية فان كانت مكية فهو يومئذ فى سن الطفولية وبالجملة فالظاهر ضعف هذا الحديث من وجوه انتهى وباقى الآية بين * ولقد

خلقنا الانسان يعنى ءادم قال ابن عباس خلق من ثلاثة من طين لازب وهو اللازق الجيد ومن صلصال وهو الارض الطيبة يقع عليها الماء ثم ينحسر فتشقق وتصير مثل الخزف ومن حمإ مسنون وهو الطين فيه الحمأة والمسنون قال معمر هو المنتن وهو من اسن الماء اذا تغير ورد من جهة التصريف وقيل غير هذا وفى الحديث ان الله تعالى عز وجل خلق ءادم من جميع انواع التراب الطيب والخبيث والاسود والاحمر * وقوله والجان يراد به جنس الشياطين وسئل وهب بن منبه عنهم فقال هم اجناس قال (ع) والمراد بهذه الخلقة ابليس ابو الجن * وقوله من قبل لان ابليس خلق قبل ءادم بمدة والسموم فى كلام العرب افراط الحر حتى يقتل من نار او شمس اوريح واما اضافة النار الى السموم فى هذه الآية فيحتمل ان تكون النار انواعا ويكون السموم امرا يختص بنوع منها فتصح الاضافة حينئذ وان لم يكن هذا فيخرج هذا على قولهم مسجد الجامع ودار الآخرة على حذف مضاف * قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون اخبر الله سبحانه الملائكة بعجب عندهم وذلك انهم كانوا مخلوقين من نور فهي مخلوقات لطاف فاخبرهم سبحانه انه يخلق جسما حيا ذا بشرة وانه يخلقه من صلصال والبشرة هي وجه الجلد فى الاشهر من القول * وقوله من روحى اضافة خلق وملك الى خالق ومالك وقول ابليس لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال الآية ليس ابايته نفس كفره عند الحذاق لان ابايته انما هي معصية فقط وانما كفره بمقتضى قوله وتعليله اذ يقتضى ان الله

خلق خلقا مفضولا وكلف خلقا افضل منه ان يذل له فكانه قال وهذا جور وقد تقدم تفسير اكثر هذه المعانى * وقوله عز وجل قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما اغويتني لأزينن لهم فى الارض الآية قوله بما اغويتنى قال ابو عبيدة وغيره اقسم بالاغواء قال (ع) كانه جعله بمنزلة قوله رب بقدرتك علي وقضائك ويحتمل ان تكون باء السبب * وقوله سبحانه هذا صراط علي مستقيم المعنى هذا امرالي يصير والعرب تقول طريقك فى هذا الامر على فلان اي اليه يصير النظر فى امرك والآية تتضمن وعيدا وظاهر قوله عبادى الخصوص فى اهل الايمان والتقوى فيكون الاستثناء منقطعا وان اخذنا العباد عموما كان الاستثناء متصلا ويكون الاقل فى القدر من حيث لا قدر للكفار والنظر الاول احسن وانما الغرض ان لايقع فى الاستثناء الاكثر من الاقل وان كان الفقهاء قد جوزوه * وقوله لموعدهم اي موضع اجتماعهم عافانا الله من عذابه بمنه وعاملنا بمحض جوده وكرمه * وقوله سبحانه ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام الآية السلام هنا يحتمل ان يكون السلامة ويحتمل ان يكون التحية والغل الحقد قال الداودي عن النبي صلى الله عليه وسلم ونزعنا ما فى صدورهم الآية قال اذا خلص المومنون من الصراط حبسوا على صراط بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض بمظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم فى دخول الجنة والله لاحدهم اهدى بمنزله فى الجنة من منزله فى الدنيا انتهى والسرر جمع سرير ومتقابلين الظاهر ان معناه فى الوجوه اذ الاسرة متقابلة فهي احسن فى الرتبة قال مجاهد لاينظر احدهم فى قفا صاحبه وقيل غير هذا مما لا يعطيه اللفظ والنصب التعب ونبئ

معناه اعلم قال الغزالي رحمه الله فى منهاجه ومن الآيات اللطيفة الجامعة بين الرجاء والخوف قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم ثم قال فى عقبه وان عذابي هو العذاب الاليم ليلا يستولي عليك الرجاء بمرة وقوله تعالى شديد العقاب ثم قال فى عقبه ذى الطول ليلا يستولي عليك الخوف واعجب من ذلك قوله تعالى ويحذركم الله نفسه ثم قال فى عقبه والله رءوف بالعباد واعجب منه قوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب فعلق الخشية باسم الرحمن دون اسم الجبار او المنتقم او المتكبر ونحوه ليكون تخويفا فى تامين وتحريكا فى تسكين كما تقول اما تخشى الوالدة الرحيمة اما تخشى الوالد الشفيق والمراد من ذلك ان يكون الطريق عدلا فلا تذهب الى امن وقنوط جعلنا الله واياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم العاملين بما فيه انه الجواد الكريم انتهى * وقوله سبحانه ونبئهم عن ضيف ابراهيم الآية هذا ابتداء قصص بعد انصرام الغرض الاول والضيف مصدر وصف به فهو للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد * وقوله انا منكم وجلون اي فزعون وانما وجل منهم لما قدم اليهم العجل الحنيذ فلم يرهم ياكلون وكانت عندهم العلامة المؤمنة اكل الطعام وكذلك هو فى غابر الدهر امنة للنازل والمنزول به * وقوله ان مسني الكبر اي فى حالة قد مسني فيها الكبر وقول ابراهيم عليه السلام فبم تبشرون تقرير على جهة التعجب والاستبعاد لكبرهما او على جهة الاحتقار وقلة المبالاة بالمسرات الدنيوية لمضي العمر واستيلاء الكبر وقولهم بشرناك بالحق فيه شدة ما اي ابشر بما بشرت به ولا تكن من القانطين والقنوط اتم اليأس * وقوله سبحانه قال فما خطبكم ايها المرسلون لفظة الخطب انما تستعمل فى الامور الشداد وقولهم الا ءال لوط استثناء منقطع والآل القوم الذين يئول امرهم الى المضاف اليه كذا قال سيبويه وهذا

نص فى ان لفظة ءال ليست لفظة اهل كما قال النحاس والاامرأته استثناء متصل والاستثناء بعد الاستثناء يرد المستثنى الثانى فى حكم الامر الاول والغابرين هنا اي الباقين فى العذاب وغبر من الاضداد يقال فى الماضى وفى الباقى وقول الرسل للوط بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بما وعدك الله من تعذيبهم الذى كانوا يشكون فيه والقطع الجزء من الليل * وقوله سبحانه واتبع ادبارهم اي كن خلفهم وفى ساقتهم حتى لايبقى منهم احد ولا يلتفت ماخوذ من الالتفات الذى هو نظر العين قال مجاهد المعنى لا ينظر احد وراءه ونهوا عن النظر مخافة العُلقه وتعلق النفس بمن خلف وقيل ليلا تنفطر قلوبهم من معاينة ما جرى على القرية فى رفعها وطرحها * وقوله سبحانه وقضينا اليه ذلك الامر اي امضيناه وحتمنا به ثم ادخل فى الكلام اليه من حيث اوحي ذلك اليه واعلمه الله به * وقوله يستبشرون اي بالاضياف طمعا منهم فى الفاحشة وقولهم او لم ننهك عن العالمين روي انهم كانوا تقدموا اليه فى ان لا يضيف احدا والعمر والعمر بفتح العين وضمها واحد وهما مدة الحياة ولا يستعمل فى القسم الا بالفتح وفى هذه الآية شرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل اقسم بحياته ولم يفعل ذلك مع بشر سواه قاله ابن عباس (ت) وقال (ص) اللام فى لعمرك للابتداء والكاف خطاب للوط عليه السلام والتقدير قالت الملائكة له لعمرك واقتصر على هذا وما ذكره (ع) هو الذى عول عليه عياض وغيره وقال ابن العربي فى احكامه قال المفسرون باجمعهم اقسم الله فى هذه الآية بحياة محمد صلى الله عليه وسلم ولا ادرى ما اخرجهم عن ذكر لوط الى ذكر محمد عليه السلام وما المانع ان يقسم الله بحياة لوط ويبلغ به من التشريف ما شاء وكل ما يعطى الله للوط من فضل ويوتيه من شرف فلنبينا محمد عليه

السلام ضعفاه لانه اكرم على الله منه واذا اقسم الله بحياة لوط فحياة نبينا محمد عليه السلام ارفع ولا يخرج من كلام الى كلام ءاخر غيره لم يجر له ذكر لغير ضرورة انتهى (ت) وما ذكره الجمهور احسن لان الخطاب خطاب مواجهة ولانه تفسير صحابي وهو مقدم على غيره * ويعمهون معناه يترددون فى حيرتهم * ومشرقين معناه قد دخلوا فى الاشراق وهو سطوع ضوء الشمس وظهوره قاله ابن زيد وهذه الصيحة هي صيحة الوجبة وليست كصيحة ثمود واهلكوا بعد الفجر مصبحين واستوفاهم الهلاك مشرقين وباقى قصص الآية تقدم تفسيره * والمتوسمين قال مجاهد المتفرسون وقال ايضا المعتبرون وقيل غير هذا وهذا كله تفسير بالمعنى واما تفسير اللفظة فالمتوسم هو الذى ينظر فى وسم المعنى فيستدل به على المعنى وكأن معصية هؤلاء ابقت من العذاب والاهلاك وسما فمن رأى الوسم استدل على المعصية به واقتاده النظر الى تجنب المعاصى ليلا ينزل به ما نزل بهم ومن الشعر فى هذه اللفظة قول الشاعر

توسمته لما رأيت مهابة * عليه وقلت المرء من ءال هاشم

والضمير فى قوله وانها لبسبيل مقيم يحتمل ان يعود على المدينة المهلكة اي انها فى طريق ظاهر بين للمعتبر وهذا تاويل مجاهد وغيره ويحتمل ان يعود على الآيات ويحتمل ان يعود على الحجارة ويقويه ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان حجارة العذاب معلقة بين السماء والارض منذ الفي سنة لعصاة امتى * وقوله سبحانه وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم الايكة الغيضة والشجر الملتف المخضر قال الشاعر

الا انما الدنيا غضارة ايكة * اذا اخضر منها جانب جف جانب

وكان هؤلاء قوما يسكنون غيضة ويرتفقون بها فى معايشهم فبعث اليهم

شعيب فكفروا به فسلط الله عليهم الحر فدام عليهم سبعة ايام ثم رأوا سحابة فخرجوا فاستظلوا بها فامطرت عليهم نارا وحكى الطبري قال بعث شعيب الى امتين فكفرتا فعذبتا بعذابين مختلفين اهل مدين عذبوا بالصيحة واصحاب الايكة بالظلة * وقوله وانهما لبامام مبين الضمير فى انهما يحتمل ان يعود على مدينة قوم لوط ومدينة اصحاب الايكة ويحتمل ان يعود على لوط وشعيب عليهما السلام اي انهما على طريق من الله وشرع مبين والامام فى كلام العرب الشيء الذى يهتدى به ويؤتم به فقد يكون الطريق وقد يكون الكتاب وقد يكون الرجل المقتدى به ونحو هذا ومن رأى عود الضمير على المدينتين قال الامام الطريق وقيل على ذلك الكتاب الذى سبق فيه اهلاكهما واصحاب الحجر هم ثمود وقد تقدم قصصهم والحجر مدينتهم وهي ما بين المدينة وتبوك وقال المرسلين من حيث يلزم من تكذيب رسول واحد تكذيب الجميع اذ القول فى المعتقدات واحد * وقوله ينحتون من الجبال بيوتا آمنين النحت النقر بالمعاول وءامنين قيل معناه من انهدامها وقيل من حوادث الدنيا وقيل من الموت لاغترارهم بطول الاعمار واصح ما يظهر فى ذلك انهم كانوا يامنون عواقب الآخرة فكانوا لا يعملون بحسبها * وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي لم تخلق عبثا ولاسدى * وان الساعة ءلاتية اي فلا تهتم يا محمد باعمال الكفرة فان الله لهم بالمرصاد * وقوله عز وجل ولقد آتيناك سبعا من المثانى ذهب ابن مسعود وغيره الى ان السبع المثاني هنا هي السبع الطوال البقرة وءال عمران والنساء والمائدة والانعام والمص والانفال مع براءة وذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم الى ان السبع هنا ءايات الفاتحة وهو نص حديث ابي بن كعب وغيره (ت) وهذا هو الصحيح وقد تقدم بيان ذلك اول الكتاب * وقوله سبحانه

لاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم حكى الطبري عن سفيان بن عيينة انه قال هذه الآية ءامرة بالاستغناء بكتاب الله عن جميع زينة الدنيا قال (ع) فكانه قال ءاتيناك عظيما خطيرا فلا تنظر الى غير ذلك من امور الدنيا وزينتها التى متعنا بها انواعا من هؤلاء الكفرة ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من اوتي القرءان فرأى ان احدا اعطي افضل مما اعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيما (ت) وفى صحيح مسلم عن ابى سعيد قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس فقال لا والله ما اخشى عليكم ايها الناس الا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا الحديث وفى رواية اخوف ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا قالوا وما زهرة الدنيا يا رسول الله قال بركات الارض الحديث وفى رواية ان مما اخاف عليكم بعدى ما يفتح لكم من زهرة الدنيا وزينتها الحديث انتهى والاحاديث فى هذه الباب اكثر من ان يحصيها كتاب قال الغزالي فى المنهاج واذا انعم الله عليك بنعمة الدين فاياك ان تلتفت الى الدنيا وحطامها فان ذلك منك لايكون الا بضرب من التهاون بما اولاك مولاك من نعم الدارين اما تسمع قوله تعالى لسيد المرسلين ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرءان العظيم لاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الآية تقديره ان من اوتي القرءان العظيم حق له ان لاينظر الى الدنيا الحقيرة نظرة باستحلاء فضلا عن ان يكون له فيها رغبة فليلتزم الشكر على ذلك فانه الكرامة التى حرص عليها الخليل لابيه والمصطفى عليه السلام لعمه فلم يفعل واما حطام الدنيا فان الله سبحانه يصبه على كل كافر وفرعون وملحد وزنديق وجاهل وفاسق الذين هم اهون خلقه عليه ويصرفه عن كل نبي وصفي وصديق وعالم وعابد الذين هم اعز خلقه عليه حتى انهم لايكادون يصيبون كسرة وخرقة ويمن عليهم سبحانه بان لايلطخهم بقذرها انتهى

وقال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى لاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم المعنى اعطيناك الآخرة فلا تنظر الى الدنيا وقد اعطيناك العلم فلا تتشاغل بالشهوات وقد منحناك لذة القلب فلا تنظر الى لذة البدن وقد اعطيناك القرءان فاستغن به فمن استغنى به لا يطمح بنظره الى زخارف الدنيا وعنده معارف المولى حيي بالباقى وفني عن الفانى انتهى * وقوله سبحانه وقل اني انا النذير المبين كما ازلنا على المقتسمين قال (ع) والذى اقول به فى هذا ان المعنى وقل انا نذير كما قال قبلك رسلنا ونزلنا عليهم كما ازلنا عليك واختلف فى المقتسمين من هم فقال ابن عباس وابن جبير المقتسمون هم اهل الكتاب الذين فرقوا دينهم وجعلوا كتاب الله اعضاء ءامنوا ببعض وكفروا ببعض وقال نحوه مجاهد وقالت فرقة المقتسمون هم كفار قريش جعلوا القرءان سحرا وشعرا وكهانة وجعلوه اعضاء بهذا التقسيم وقالت فرقة عضين جمع عضة وهي اسم للسحر خاصة بلغة قريش وقاله عكرمة (ت) وقال الواحدي كما ازلنا عذابا على المقتسمين الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الايمان انتهى من مختصره * وقوله سبحانه فوربك لنسألنهم اجمعين الآية ضمير عام ووعيد محض ياخذ كل احد منه بحسب جرمه وعصيانه فالكافر يسأل عن التوحيد والرسالة وعن كفره وقصده به والمومن العاصى يسأل عن تضييعه وكل مكلف عما كلف القيام به وفى هذا المعنى احاديث قال ابن عباس فى هذه الآية يقال لهم لم عملتم كذا وكذا قال وقوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان معناه لايقال له ماذا اذنبت لان الله تعالى اعلم بذنبه منه وقوله سبحانه فاصدع بما تومر اصدع معناه انفذ وصرح بما بعثت به * وقوله واعرض عن المشركين من آيات المهادنة التى نسختها ءاية

السيف قاله ابن عباس ثم اعلمه الله تعالى بانــه قدكفاه المستهزءين بـه من كفار
مكة ببوائق اصابتهم من الله تعالى قال ابن اسحاق وغيره وهم الذين قذفوا فى
قليب بدركابى جهل وغيره انتهى * وقوله سبحانه ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بمـا يقولون ءايـة تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم واليقـين هنـا الموت قاله ابن
عمر وجماعة قال الداودي وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اوحي الي ان
اجمع المـال واكون مـن التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمـد ربك
وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين انتهى وباقى الآية بين
وصلى الله على سيدنا محمـد وعلى ءاله وصحبـه وسلم تسليما

بسم الله الرحمــن الرحيم

تفسير سورة النحــل

وهي مكية غير ءايات يسيرة ياتى بيانها ان شاء الله

قوله سبحانه اتى امر الله فلا تستعجلوه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمـا قال جبريـل فى سرد الوحي اتى امر الله وثب رسول الله صلى الله عليــه
وسلم قائمـا فلما قال فـلا تستعجلوه سكن وقوله امر الله قال فيــه جمهور
المفسرين انه يريد القيامة وفيها وعيد للكفار وقيل المراد نصر محمد صلى الله عليه
وسلم فمـن قال ان الامر القيامـة قال ان قوله تعالى فـلا تستعجـلوه رد على
المكذبـين بالبعث القائلـين متى هذا الوعـد واختلف المتأولون فى قوله
تعالى ينزل المـلائكة بالروح فقال مجاهد الروح النبوءة وقال ابن عبـاس
الروح الوحي وقال قتـادة بالرحمـة والوحي وقال الربيع بن انس كل كلام الله

روح ومنه قوله تعالى اوحينا اليك روحا من امرنا وقال الزجاج الروح ما تحي به القلوب من هداية الله عز وجل وهذا قول حسن قال الداودي عن ابن عباس قال الروح خلق من خلق الله وامر من امر الله على صور بنى ءادم وما ينزل من السماء ملك الا ومعه روح كالحفيظ عليه لا يتكلم ولا يراه ملك ولا شيء مما خلق الله وعن مجاهد الروح خلق من خلق الله لهم ايد وارجل انتهى والله اعلم بحقيقة ذلك وهذا امر لا يقال بالرأي فان صح فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب الوقوف عنده انتهى ومن فى قوله من يشاء هي للانبياء * وقوله تعالى خلق الانسان من نطفة يريد بالانسان الجنس * وقوله خصيم يحتمل ان يريد به الكفرة الذين يجادلون فى ءايات الله قاله الحسن البصري ويحتمل ان يريد اعم من هذا على ان الآية تعديد نعمة الذهن والبيان على البشر * وقوله سبحانه والانعام خلقها لكم فيها دفء الدفء السخانة وذهاب البرد بالاكسية ونحوها وقيل الدفء تناسل الابل وقال ابن عباس هو نسل كل شيء والمعنى الاول هو الصحيح والمنافع البانها وما تصرف منها وحرثها والنضح عليها وغير ذلك * وقوله جمال اي فى المنظر وتريحون معناه حين تردونها وقت الرواح الى المنازل وتسرحون معناه تخرجونها غدوة الى السرح والاثقال الامتعة وقيل الاجسام كقوله واخرجت الارض اثقالها اي اجساد بنى ءادم وسميت الخيل خيلا لاختيالها فى مشيتها (ت) ويجب على من ملكه الله شيأ من هذا الحيوان ان يرفق به ويشكر الله تعالى على هذه النعمة التى خولها وقد روى مالك فى الموطإ عن ابى عبيد مولى سليمان بن عبد الملك عن خالد بن معدان يرفعه قال ان الله رفيق يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين على العنف فاذا ركبتم هذه الدواب العجم فانزلوها منازلها فان كانت الارض جدبة فانجوا عليها بنقيها

وعليكم بسير الليل فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار واياكم والتعريس على الطريق فانها طرق الدواب ومأوى الحيات قال ابو عمر فى التمهيد هذا الحديث يستند عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة فاما الرفق فحمود فى كل شيء وما كان الرفق فى شيء الا زانه وقد روى مالك بسنده عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يحب الرفق فى الامر كله وامر المسافر فى الخصب بان يمشي رويدا ويكثر النزول لترعى دابته فاما الارض الجدبة فالسنة للمسافر ان يسرع السير ليخرج عنها وبدابته شيء من الشحم والقوة والنقي فى كلام العرب الشحم والودك انتهى وروى ابو داود عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم ان تتخذوا ظهور دوابكم منابر فان الله انما سخرها لكم لتبلغكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وجعل لكم الارض فعليها فاقضوا حاجاتكم انتهى * وقوله سبحانه ويخلق ما لا تعلمون عبرة منصوبة على العموم اي ان مخلوقات الله من الحيوان وغيره لا يحيط بعلمها بشر بل ما يخفى عنه اكثر مما يعلمه * وقوله سبحانه وعلى الله قصد السبيل الآية هذه ايضا من اجل نعم الله تعالى اي على الله تقويم طريق الهدى وتبيينه بنصب الادلة وبعث الرسل والى هذا ذهب المتأولون ويحتمل ان يكون المعنى ان من سلك السبيل القاصد فعلى الله ورحمته وتنعيمه طريقه والى ذلك مصيره وطريق قاصد معناه بين مستقيم قريب والالف واللام فى السبيل للعهد وهي سبيل الشرع * وقوله ومنها جائر يريد طريق اليهود والنصارى وغيرهم فالضمير فى منها يعود على السبل التى يتضمنها معنى الآية * وقوله سبحانه فيه تسيمون يقال اسام الرجل ماشيته اذا ارسلها ترعى * وقوله سبحانه وما ذرأ لكم ذرأ معناه بث ونشر * ومختلفا الوانه اي اصنافه ويحتمل ان يكون التنبيه على اختلاف الالوان

من حمرة وصفرة وغير ذلك والاول ابين * وقوله سبحانه وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون البحر الماء الكثير ملحا كان او عذبا قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها يعنى به اللؤلؤ والمرجان وهذا امتنان عام للرجال والنساء فلا يحرم عليهم شيء من ذلك انتهى ومواخر جمع ماخرة والمخر فى اللغة الصوت الذى يكون من هبوب الريح على شيء يشق او يصحب فى الجملة الماء فيترتب منه ان يكون المخر من الريح وان يكون من السفينة ونحوها وهو فى هذه الآية من السفن وقال بعض النحاة المخر فى كلام العرب الشق يقال مخر الماء الارض وهذا ايضا بين ان يقال فيه للفلك مواخر * وقوله وسبلا لعلكم تهتدون يحتمل تهتدون فى مشيكم وتصرفكم فى السبل ويحتمل تهتدون بالنظر فى دلالة هذه المصنوعات على صانعها * وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال ابن عباس العلامات معالم الطرق بالنهار والنجوم هداية الليل وهذا قول حسن فانه عموم بالمعنى واللفظة عامة وذلك ان كان ما دل على شيء واعلم به فهو علامة والنجم هنا اسم جنس وهذا هو الصواب * وقوله سبحانه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها الآية وبحسب العجز عن عد نعم الله تعالى يلزم ان يكون الشاكر لها مقصرا عن بعضها فلذلك قال عز وجل لغفور رحيم اي عن تقصيركم فى الشكر عن جميعها نحا هذا المنحى الطبري ويرد عليه ان نعمة الله فى قول العبد الحمد لله رب العالمين مع شرطها من النية والطاعة يوازى جميع النعم ولكن اين قولها بشروطها والمخاطبة بقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها عامة لجميع الناس * والذين تدعون من دون الله اي تدعونهم آلهة * واموات يراد به الذين يدعون من دون الله ورفع اموات على انه خبر مبتدا مضمر تقديره

هم امــوات * وقــوله غير احياء اي لم يقبلوا حياة قط ولا اتصفوا بها * وقوله سبحانه وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يشعر الكفار متى يبعثون الى التعذيب * وقوله سبحانــه الهكم اله واحد فالذين لا يومنون بالآخرة قلوبهم منكرة اي منكرة اتحاد الاله (ت) وهذا كما حكى عنهم سبحانه فى قولهم اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب * وقوله لا جرم عبرت فرقة من اللغويين عن معناها بلا بد ولا محالة وقالت فرقـة معناها حق ان الله ومذهب سيبويه ان لا نفى لمـا تقدم من الكلام وجرم معناه وجب او حق ونحـو هذا مذهب الزجاج ولكن مع مذهبهما لا ملازِمة لجرم لا تنفـك هـذه من هـذه * وقوله سبحانـه انـه لا يحب المستكبرين عام فى الكافرين والمومنـين ياخذ كل احد منهم بقسطه قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابى جمرة رحمـه الله موت النفوس حياتهـا من احب ان يحيي يموت ببذل اهل التوفيق نفوسهم وهوانهـا عليهم نالوا مـا نالوا وبحب اهـل الدنيـا نفوسهم هانوا وطـرأ عليهم الهوان هنـا وهناك وقد ورد فى الحديث انـه ما من عبد الاو فى رأسه حكمة بيد ملك فان تعاظم وارتفع ضرب الملـك فى رأسه وقال له اتضع وضعك الله وان تواضع رفعه الملك وقال له ارتفع رفعك الله من الله علينـا بمـا بـه يقربنـا اليه بمنّـه انتهى * وقوله سبحانـه واذا قيـل لهم يعنى كفار قريش مـاذا انزل ربكم الآية يقال ان سببها النضر بن الحارث واللام فى قوله ليحملوا يحتمل ان تكون لام العاقبـة ويحتمل ان تكون لام كي ويحتمل ان تكون لام الامر على معنى الحتم عليهم والصغـار الموجب لهم * وقوله سبحانه ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من للتبعيض وذلك ان هذا الرأس المضل يحمـل وزر نفسـه ووزرا من وزر كل من ضل بسببه ولا ينقص من اوزار اولائك شيء والاوزار هي الاثقـال * وقوله سبحانـه قـد مكـر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم

الآيــة قال ابن عباس وغيره من المفسرين الاشارة بالذين مــن قبلهم الى نمروذ الذى بنى صرحا ليصعد فيه الى السماء بزعمه فلما افرط فى علوه وطوله فى السماء فرسخين على ما حكى النقاش بعث الله عليه ريحا فهدمتـه وخر سقفه عليه وعلى اتباعه وقيل ان جبريل هدمه بجناحه والقى اعلاه فى البحر وانجعف من اسفله وقالت فرقة المراد بالذين من قبلهم جميع من كفر من الامم المتقدمة ومكر ونزلت به عقوبة وقوله على هذا فاتى الله بنيانهم من القواعد الى ءاخر الآيــة تمثيـل وتشبيه اي حالهم كحال من فعل به هذا * وقوله يخزيهم لفظ يعم جميع المكاره التى تنزل بهم وذلك كله راجع الى ادخالهم النـار ودخولهم فيهـا * وتشاقون معنــاه تحاربون اي تكونون فى شق والحق فى شق * والذين اوتوا العلم هم الملائكة فيما قال بعض المفسرين وقال يحي بن سلام هو المومنون قال (ع) والصواب ان يعم جميع من آتاه الله علم ذلك من ملائكة وانبياء وغيرهم وقد تقدم تفسير الخزي وانه الفضيحة المخجلة وفى الحديث ان العار والتخزيـة لتبلغ من العبد فى المقام بـين يدي الله تعالى ما ان يتمنى ان ينطلق بـه الى النار وينجـو مـن ذلك المقام اخرجـه البغوي فى المسند المنتخب له انتهى من الكوكب الدري * وقوله سبحانه الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم الذين نعت للكافرين فى قول اكثر المتأولين والملائكة يريد القابضين لارواحهم * والسلم هنا الاستسلام واللام فى قوله فلبيس لام تاكيد والمثوى موضع الاقامة * وقوله سبحانه وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم الآيـة لمـا وصف سبحانـه مقالة الكفار الذين قالوا اساطير الاولـين عادل ذلك بذكر مقالة المومنـين من اصحاب النبي صلى الله عليـه وسلم واوجب لكـل فريق مـا يستحق وقولهم خيرا جـواب بحسب السؤال واختلف فى قوله تعالى للذين احسنوا الى ءاخر الآية هل هو ابتداء كلام او هو تفسير للخير الذى انزل

الله فى الوحي على نبينا خبرا ان من احسن فى الدنيا بالطاعة فله حسنة فى الدنيا ونعيم فى الآخرة وروى انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المومن حسنة يثاب عليها الرزق فى الدنيا ويجزى بها فى الآخـرة * وقوله سبحانه جنات عدن يدخلونها الايـة تقدم تفسير نظيرها * وطيبين عبارة عن صالح حالهم واستعدادهم للموت والطيب الذى لاخبث معه وقول الملائكة سلام عليكم بشـارة من الله تعـالى وفى هذا المعنى احاديث صحاح يطول ذكرها وروى ابن المبارك فى رقائقـه عن محمد بن كعب القرظي قال اذا ا استنقعت نفس العبد المومن جاءه ملك فقال السلام عليك ولي الله الله يقرئ عليـك السلام ثم نزع بهذه الآيـة الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليـكم انتهى وقوله سبحانـه بمـا كنتم تعملون علق سبحانـه دخولهم الجنة باعمالهم من حيث جعل الاعمال امارة لادخال العبد الجنـة ولا معارضة بـين الآيـة وقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد الجنـة بعمله قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة فان الآية ترد بالتاويل الى معنى الحديث قال (ع) ومن الرحمة والتغمد ان يوفق الله العبد الى اعمال برة ومقصد الحديث نفي وجوب ذلك على الله تعالى بالعقل كما ذهب اليه فريق مـن المعتزلة * وقوله سبحانـه هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم ينظرون معناه ينتظرون ونظرمتى كانت من رؤيـة العين فانما تعديهـا العرب بالى ومتى لم تتعد بالى فهي بمعنى انتظر ومنهـا انظرونا نقتبس مـن نوركم ومعنى الكلام ان تاتيهم الملائكـة لقبض ارواحهم ظالمى انفسهم * وقوله اوياتي امر ربك وعيد يتضمن قيـام الساعة او عذاب الدنيـا ثم ذكر تعالى ان هذا كان فعل الامم قبلهم فعوقبوا * وقوله سبحانـه فاصابهم سيئـات ما عملوا اي جزاء ذلك فى الدنيـا والآخرة *

وحاق معناه نزل واحاط * وقوله سبحانه وقال الذين اشركوا لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شيء الآية تقدم تفسير نظيرها فى الانعام وقولهم ولاحرمنا يريد من البحيرة والسائبة والوصيلة وغير ذلك * وقوله سبحانه ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله الآية الى قوله فان الله لايهدى من يضل وقرأ حمزة والكساءي وعاصم لايهدى بفتح الياء وكسر الدال وذلك على معنيين اي ان الله لايهدى من قضى باضلاله والمعنى الثانى ان العرب تقول هدى الرجل بمعنى اهتدى * وقوله سبحانه واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت الضمير فى اقسموا لكفار قريش ثم رد الله تعالى عليهم بقوله بلى فاوجب بذلك البعث واكثر الناس فى هذه الآية الكفار المكذبون بالبعث * وقوله سبحانه ليبين التقدير بلى يبعثه ليبين لهم الذى يختلفون فيه * وقوله سبحانه انما قولنا لشيء اذا اردناه الآية المقصد بهذه الاية اعلام منكرى البعث بهوان امره على الله تعالى وقربه فى قدرته لارب غيره * وقوله سبحانه والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا هؤلاء هم الذين هاجروا الى ارض الحبشة هذا قول الجمهور وهو الصحيح فى سبب نزول الآية لان هجرة المدينة لم تكن وقت نزول الآية والآية تتناول كل من هاجر اولا وءاخرا وقرأ جماعة خارج السبع لنثوينهم واختلف فى معنى الحسنة هنا فقالت فرقة الحسنة عدة ببقعة شريفة وهي المدينة وذهبت فرقة الى ان الحسنة عامة فى كل امر مستحسن يناله ابن ءادم وفى هذا القول يدخل ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يعطى المال وقت القسمة الرجل من المهاجرين ويقول له خذ ما وعدك الله فى الدنيا ولأجر الآخرة اكبر ثم يتلو هذه الآية ويدخل فى هذا القول النصر على العدو وفتح البلاد وكل امل بلغه المهاجرون والضمير فى يعلمون عائد على كفار

قريش * وقوله الذين صبروا من صفة المهاجرين * وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم هذه الآيـة رد على كفار قريش الذين استبعدوا ان يبعث الله بشرا رسولا ثم قال تعالى فسئلوا اي قل لهم فسألوا واهل الذكر هنا احبار اليهود والنصارى قاله ابن عبـاس وغيره وهو اظهر الاقوال وهم فى هذه النازلة خاصة انما يخبرون بان الرسل من البشر واخبارهم حجة على هؤلاء وقد ارسلت قريش الى يهود يثرب يسألونهم ويسندون اليهم * وقوله بالبينات تعلق بفعل مضمر تقديره ارسلناهم بالبينـات وقالت فرقـة البـاء متعلقـة بارسلنا فى اول الآيـة والتقدير على هذا وما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا ففى الآيـة تقديم وتاخير والزبر الكتب المزبورة * وقوله سبحانه لتبين للناس ما نزل اليهم الآيـة (ت) وقد فعل صلى الله عليه وسلم ذلك فبين عن الله واوضح وقد اوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فاعرب عن دين الله وافصح ولنذكر الآن طرفا من حكمه وفصيح كلامه بحذف اسانيده قال عياض فى شفـاه واما كلامه صلى الله عليـه وسلم المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فمنها ما لا يوازى فصاحـة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دمـاؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يـد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير فى صحبـة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرء عرف قـدره والمستشـار مؤتمن وهو بالخيـار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت عن شر فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يوتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويولفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه * ويبخل بما لا يغنيه * وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع

وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله فى بعض دعائه اللهم انى اسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها امرى وتلم بها شعثى وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتلهمنى بها رشدى وترد بها أُلفَتى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم انى اسألك الفوز فى القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى غير ذلك من بيانه وحسن كلامه مما روته الكافة عن الكافة مما لا يقاس به غيره وحاز فيه سبقا لا يقدر قدره كقوله السعيد من وعظ بغيره والشقي من شقي فى بطن امه فى اخواتها مما يدرك الناظر العجب فى مضمنها ويذهب به الفكر فى ادانى حكمها وقال صلى الله عليه وسلم بيد انى من قريش ونشأت فى بنى سعد فجمع الله له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التاييد الالهي الذى مدده الوحي الذى لا يحيط بعلمه بشري انتهى وبالجملة فليس بعد بيان الله ورسوله بيان لمن عمر الله قلبه بالايمان * وقوله سبحانه افأمن الذين مكروا السيئات الآية تهديد لكفار مكة ونصب السيئات بمكروا وعدى مكروا لانه فى معنى عملوا قال البخاري قال ابن عباس فى تقلبهم اي فى اختلافهم انتهى وقال المهدوي قال قتادة فى تقلبهم فى اسفارهم الضحاك فى تقلبهم بالليل انتهى * وقوله على تخوف اي على جهة التخوف والتخوف التنقص وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خفي عليه معنى التخوف فى هذه الآية واراد الكتب الى الامصار يسأل عن ذلك فيروى انه جاءه فتى من العرب فقال يا امير المومنين ان ابى يتخوفنى مالى فقال عمر الله اكبر او ياخذهم على تخوف ومنه قول النابغة

تخوفهم حتى اذل سراتهـــم * بطعن ضرار بعد فتح الصفائح
وهذا التنـقص يتجه به الوعيد على معنيين احدهما ان يهلكهم ويخرج ارواحهم على تخوف اي افذاذا يتنـقصهم بذلك الشيء بعد الشيء ويصيرهم الى مـا اعد لهم من العذاب وفى هذه الرتبة الثالثـة من الوعيد رأفـة ورحمة وامهال ليتوب التائب ويرجع الراجع والثانى ما قاله الضحاك ان ياخذ بالعذاب طائفة او قرية ويترك اخرى ثم كذلك حتى يهلك الكل وقالت فرقـة التخوف هنا من الخوف اي فياخذهم بعد تخوف ينالهم يعذبهم بـه * وقوله سبحانـه او لم يروا الى مـا خلق الله من شيء الآيـة قـوله مـن شيء لفظ عام فى كل شخص وجرم له ظل كالجبال والشجر وغير ذلك وفاء الظل رجع ولا يقال الفيء الامن بعد الزوال فى مشهور كلام العرب لكن هذه الآيـة الاعتبـار فيهـا من اول النهار الى آخره فكأن الآيـة جارية فى بعض على تجوز كلام العرب واقتضائه والرؤية هنا رؤية القلب ولكن الاعتبار برؤيـة القلب هنا انمـا تكون فى مرئيات بالعين وعن اليمين والشمائـل هنا فيه تجوز واتساع وذكر الطبري عن الضحاك قال اذا زالت الشمس سجد كل شيء قبَل القبلة مـن نبت او شجر ولذلك كان الصالحـون يستحبـون الصـلاة فى ذلك الوقت قال الداودي وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع قبل الظهر بعد الزوال تحسب بمثلهن فى صلاة السحر قال وليس شيء الا يسبح لله تلك الساعة وقرأ يتـفيؤا ظلاله الآية كلها انتهى والداخر المتصاغر المتواضع * وقوله سبحانه يخافون ربهم عام لجميع الحيوان ومن فوقهم يريد فوقية القـدر والعظمـة والقهر * وقـوله سبحانه وله ما فى السموات والارض السموات هنا كل ما ارتفع مـن الخلق من جهة فوق فيدخل فى ذلك العرش والكرسي وغيرهما والدين الطاعـة والملـك والواصب الدائم قاله ابن عبـاس ثم ذكَّر سبحـانـه بنعمـه ثم ذكـر

باوقات المرض والتجاء العباد اليه سبحانه والضر وان كان يعم كل مكروه فاكثر ما يجيء عن ارزاء البدن وتجئرون معناه ترفعون اصواتكم باستغاثة وتضرع * ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون الفريق هنا يراد به المشركون الذين يرون ان للاصنام افعالا من شفاء المرضى وجلب النفع ودفع الضر فهم اذا شفاهم الله عظموا اصنامهم واضافوا ذلك الشفاء اليها * وقوله سبحانه ليكفروا يجوز ان تكون اللام لام الصيرورة ويجوز ان تكون لام امر على معنى التهديد * وقوله بما ءاتيناهم اي بما انعمنا عليهم * وقوله سبحانه ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم اي لما لا يعلمون له حجة ولا برهانا ويحتمل ان يريد بنفي العلم الاصنام اي لجمادات لا تعلم شيأ نصيبا والنصيب المشار اليه هو ما كانت العرب سنته من الذبح لاصنامها والقسم من الغلات وغيره * وقوله سبحانه ويجعلون لله البنات سبحانه الآية تعديد لقبائح الكفرة فى قولهم الملائكة بنات الله تعالى الله عن قولهم والمراد بقوله ولهم ما يشتهون الذكران من الاولاد * وقوله ظل وجهه مسودا عبارة عما يعلو وجه المغموم قال (ص) ظل تكون بمعنى صار وبمعنى اقام نهارا على الصفة المسندة الى اسمها وتحتمل هنا الوجهين انتهى وكظيم بمعنى كاظم والمعنى انه يخفى وجده وهمه بالانثى ومعنى يتوارى يتغيب من القوم وقرأ الجحدري ايمسكها ام يدسها وقرأ الجمهور على هون وقرأ عاصم الجحدري على هوان ومعنى الآية يدبر ايمسك هذه الانثى على هوان يتحمله وهم يتجلد له ام يئدها فيدفنها حية وهو الدس فى التراب * وقوله سبحانه للذين لا يومنون بالآخرة مثل السوء قالت فرقة مثل فى هذه الآية بمعنى صفة اي لهؤلاء صفة السوء * ولله المثل الاعلى قال (ع) وهذا لا يضطر اليه لانه خروج عن اللفظ بل قوله مثل على بابه فلهم على الاطلاق مثل السوء فى كل سوء

ولا غاية اخزى من عذاب النار ولله سبحانه المثل الاعلى على الاطلاق ايضا اي الكمال المستغنى * وقوله سبحانه ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة الضمير فى عليها عائد على الارض وتمكن ذلك مع انه لم يجر لها ذكر لشهرتها وتمكن الاشارة اليها وسمع ابو هريرة رجلا يقول ان الظالم لا يهلك الا نفسه فقال ابو هريرة بلى ان الله ليهلك الحبارى فى وكرها هزلا بذنوب الظلمة والاجل المسمى فى هذه الآية هو بحسب شخص شخص * وقوله ما يكرهون يريد البنات * وقوله سبحانه وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى قال مجاهد وقتادة الحسنى الذكور من الاولاد وقالت فرقة يريد الجنة قال (ع) ويؤيده قوله لاجرم ان لهم النار وقرأ السبعة سوى نافع مفرطون بفتح الراء وخفتها اي مقدمون الى النار وقرأ نافع مفرطون بكسر الراء المخففة اي متجاوزون الحد فى معاصى الله * وقوله سبحانه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك الآية هذه اية ضرب مثل لهم بمن سلف فى ضمنها وعيد لهم وتانيس للنبي صلى الله عليه وسلم * وقوله فهو وليهم اليوم يحتمل ان يريد باليوم يوم الاخبار ويحتمل ان يريد يوم القيامة اي وليهم فى اليوم المشهور * وقوله سبحانه الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه لتبين فى موضع المفعول من اجله اي الا لاجل البيان والذى اختلفوا فيه لفظ عام لانواع كفر الكفرة لكن الاشارة هنا الى تشريكهم الاصنام فى الالهية ثم اخذ سبحانه ينص العبر المؤدية الى بيان وحدانيته وعظيم قدرته فبدأ بنعمة المطر التى هي ابين العبر وهي ملاك الحياة وهي فى غاية الظهور لا يخالف فيها عاقل * وقوله مما فى بطونه الضمير عائد على الجنس وعلى المذكور وهذا كثير * وقوله سبحانه سائغا للشاربين السائغ السهل فى الشرب اللذيذ (ت) وعن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من اطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك

لنـا فيـه واطعمنا خيرا منـه ومن سقاه الله لبنـافليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شيء يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللـبن رواه ابو داود والترمذي وابن ماجـه وقال الترمذي واللفظ له هذا حديث حسـن انتهى من السلاح * وقوله سبحانـه ومن ثمرات النخيـل والاعناب تتخذون منـه سكرا الآيـة السكر ما يسكر هذا هو المشهور فى اللغـة قال ابن عبـاس نزلت هذه الآيـة قبل تحريم الخمر وأراد بالسكر الخمر وبالرزق الحسن جميع مـا يشرب ويوكل حلالا من هاتـين الشجرتـين فالحسن هنـا الحلال وقال بهذا القول ابن جبير وجماعـة وصحح ابن العربي هذا القول ولفظه والصحيح ان ذلك كان قبل تحريم الخمر فان هذه الآية مكيـة باتفـاق العلماء وتحريم الخمر مدني انتهى من احكام القرءان وقال مجاهـد وغيره السكر المائـع من هاتـين الشجرتـين كالخـل والرب والنبيذ والرزق الحسن العنب والتمر قال الطبري والسكر ايضا فى كلام العرب مـا يطعم ورجح الطبري هذا القول ولا مدخل للخمر فيـه ولا نسخ فى الآيـة * وقوله تعالى واوحى ربك الى النحل الآية الوحي فى كلام العرب القاء المعنى من الموحي الى الموحى اليه فى خفاء فمنه الوحي الى الانبياء برسالة الملك ومنه وحي الرؤيا ومنه وحي الالهـام وهو الذى فى ءايتنـا باتفاق من المتـأولـين والوحي ايضا بمعنى الامر كما قال تعالى بان ربك اوحى لها وقد جعل الله بيوت النحل فى هذه الثلاثة الانواع امـا فى الجبال وكواها واما فى متجوف الاشجار وامـا فيما يعرش ابن ءادم من الاجباح والحيطان ونحوها وعرش معناه هيأ والسبل الطرق وهي مسالكها فى الطيران وغيره وذللا يحتمل ان يكون حالا من النحل اي مطيعة منقادة قاله قتادة قال ابن زيد فهم يخرجون بالنحل ينتجعون وهي تتبعهم وقرأ او لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما الآية ويحتمل ان يكون حالا من السبل اي

مسهلة مستقيمة قاله مجاهد لا يتوعر عليها سبيل تسلكه ثم ذكر تعالى على جهة تعديد النعمة والتنبيه على العبرة امر العسل فى قوله يخرج من بطونها شراب وجمهور الناس على ان العسل يخرج من افواه النحل واختلاف الالوان فى العسل بحسب اختلاف النحل والمراعى اي والفصول (ت) قال الهروي قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه وذلك انه يستحيل فى بطونها ثم تمجه من افواهها انتهى * وقوله فيه شفاء للناس الضمير للعسل قاله الجمهور قال ابن العربي فى احكامه وقد روى الائمة واللفظ للبخاري عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وروى ابو سعيد الخدري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه عسلا ثم اتاه الثانية فقال اسقه عسلا ثم اتاه فقال فعلت فما زاده ذلك الا استطلاقا فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن اخيك اسقه عسلا فسقاه فبرأ وروي ان عوف ابن مالك الاشجعي مرض فقيل له الا نعالجك فقال ائتونى بماء سماء فان الله تعالى يقول ونزلنا من السماء ماء مباركا وائتونى بعسل فان الله تعالى يقول فيه شفاء للناس وائتونى بزيت فان الله تعالى يقول من شجرة مباركة فجاءوه بذلك كله فخلطه جميعا ثم شربه فبرأ انتهى * وقوله سبحانه ومنكم من يرد الى ارذل العمر وارذل العمر الذى تفسد فيه الحواس ويختل العقل وخص ذلك بالرذيلة وان كانت حالة الطفولة كذلك من حيث كانت هذه لارجاء معها وقال بعض الناس اول ارذل العمر خمس وسبعون سنة روي ذلك عن علي رضي الله عنه قال (ع) وهذا فى الاغلب وهذا لا ينحصر الى مدة معينة وانما هو بحسب انسان انسان ورب من يكون ابن خمسين سنة وهو فى ارذل عمره ورب ابن تسعين ليس فى ارذل عمره واللام فى لكي يشبه ان تكون لام الصيرورة والمعنى ليصير امره بعد العلم بالاشياء الى ان لا يعلم شيأ وهذه

عبارة عن قلة علمه لانه لا يعلم شيأ البتة * وقوله سبحانه والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق اخبار يراد به العبرة وانما هي قاعدة بني المثل عليها والمثل هو ان المفضلين لايصح منهم ان يساهموا مماليكهم فيما اعطوا حتى تستوي احوالهم فاذاكان هذا فى البشر فكيف تنسبون ايها الكفرة الى الله انه يسمح بان يشرك فى الالوهية الاوثان والاصنام وغيرها مما عبد من دونه وهم خلقه وملكه هذا تاويل الطبري وحكاه عن ابن عباس قال المفسرون هذه الآية كقوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فى ما رزقناكم فانتم فيه سواء الآية ثم وقفهم سبحانه على جحدهم بنعمته فى تنبيهه لهم على مثل هذا من مواضع النظر المؤدية الى الايمان * وقوله سبحانه والله جعل لكم من انفسكم ازواجا هذه ايضا ءاية تعديد نعم والازواج هنا الزوجات وقوله من انفسكم يحتمل ان يريد خلقة حواء من نفس ءادم وهذا قول قتادة والاظهر عندى ان يريد بقوله من انفسكم اي من نوعكم كقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم والحفدة قال ابن عباس هم اولاد البنين وقال الحسن هم بنوك وبنو بنيك وقال مجاهد الحفدة الانصار والاعوان وقيل غير هذا ولا خلاف ان معنى الحفد الخدمة والبر والمشي مسرعا فى الطاعة ومنه فى القنوت واليك نسعى ونحفد والحفدان ايضا خبب فوق المشي * وقوله سبحانه فلا تضربوا لله الامثال الآية اي لا تمثلوا لله الامثال وهو ماخوذ من قولك هذا ضريب هذا اي مثيله والضرب النوع * وقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الآية الذى هو مثال فى هذه الآية هو عبد بهذه الصفة مملوك لايقدر على شيء من المال ولا امر نفسه وانما هو مسخر بارادة سيده مدبر وبازاء العبد فى المثال رجل موسع عليه فى المال فهو يتصرف فيه بارادته واختلف الناس فى الذى له المثل فقال

ابن عباس وقتادة هو مثل الكافر والمومن وقال مجاهد والضحاك هذا المثال والمثال الآخر الذى بعده انما هو مثال لله تعالى والاصنام فتلك كالعبد المملوك الذى لا يقدر على شيء والله تعالى تتصرف قدرته دون معقب وكذلك فسر الزجاج على نحو قول مجاهد وهذا التاويل اصوب لان الآية تكون من معنى ما قبلها ومدارها فى تبيين امر الله والرد على امر الاصنام * وقوله الحمد لله اي على ظهور الحجة * وقوله سبحانه وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم الآية هذا مثل لله عز وجل والاصنام فهي كالابكم الذى لا نطق له ولا يقدر على شيء * والكل الثقيل المئونة كما الاصنام تحتاج الى ان تنقل وتخدم ويتعذب بها ثم لا ياتى من جهتها خير ابدا والذى يامر بالعدل هو الله تعالى * وقوله تعالى وما امر الساعة الآية المعنى على ما قاله قتادة وغيره ما تكون الساعة واقامتها فى قدرة الله تعالى الا ان يقول لها كن فلو اتفق ان يقف على ذلك محصل من البشر لكانت من السرعة بحيث يشك هل هي كلمح البصر او هي اقرب ولمح البصر هو وقوعه على المرءي * وقوله سبحانه الم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء الآية الجو مسافة ما بين السماء والارض وقيل هو ما يلى الارض منها والآية عبرة بينة المعنى تفسيرها تكلف مَحْت * ويوم ظعنكم معناه رحيلكم والاصواف للضأن والاوبار للابل والاشعار للمعز ولم تكن بلادهم بلاد قطن وكتان فلذلك اقتصر على هذه ويحتمل ان ترك ذكر القطن والكتان والحرير اعراض عن السرف اذ ملبس عباد الله الصالحين انما هو الصوف قال ابن العربي فى احكامه عند قوله تعالى لكم فيها دفء فى هذه الآية دليل على لباس الصوف فهو اول ذلك واولاه لانه شعار المتقين ولباس الصالحين وشارة الصحابة والتابعين واختيار الزهاد والعارفين واليه نسب جماعة من الناس الصوفية لانه لباسهم فى الغالب انتهى

والاثاث متاع البيت واحدها اثاثة هذا قول ابى زيد الانصاري وقال غيره الاثاث جميع انواع المال ولا واحد له من لفظه قال (ع) والاشتقاق يقوى هذا المعنى الاعم لان حال الانسان تكون بالمال اثيثة كما تقول شعر اثيث ونبات اثيث اذا كثر والتف والسرابيل جميع ما يلبس على جميع البدن وذكر وقاية الحراذ هو امس بتلك البلاد والبرد فيها معدوم فى الاكثر وايضا فذكر احدهما يدل على الآخر وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى ما اوارى به عورتى واتجمل به فى حياتى ثم عمد الى الثوب الذى خلق فتصدق به كان فى كنف الله وفى حفظ الله وفى ستر الله حيا وميتا رواه الترمذي واللفظ له وابن ماجه والحاكم فى المستدرك وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اشترى عبد ثوبا بدينار او نصف دينار فحمد الله عليه الالم يبلغ ركبتيه حتى يغفر الله له رواه الحاكم فى المستدرك وقال هذا الحديث لااعلم فى اسناده احدا ذكر بجرح انتهى من السلاح والسرابيل التى تقى البأس هي الدروع ونحوها ومنه قول كعب بن زهير فى المهاجرين

شم العرانين ابطال لَبوسهم * من نسج داود فى الهيجا سرابيل

والبأس مس الحديد فى الحرب وقرأ الجمهور تسلمون وقرأ ابن عباس تسلمون من السلامة فتكون اللفظة مخصوصة فى بأس الحرب * وقوله سبحانه ويوم نبعث من كل امة شهيدا اي شاهدا على كفرهم وايمانهم ثم لا يوذن اي لا يوذن لهم فى المعذرة وهذا فى موطن دون موطن ويستعتبون بمعنى يعتبون تقول اعتبت الرجل اذا كفيته ما عتب فيه كما تقول اشكيته اذا كفيته ما شكا وقال قوم معناه لايسألون ان يرجعوا عما كانوا عليه فى الدنيا وقال الطبري معنى يستعتبون يعطون الرجوع الى الدنيا فتقع منهم توبة وعمل (ت)

وهذا هو الراجح وهو الذى تدل عليه الاحاديث وظواهر الآيات فى غير ما موضع * وقوله سبحانه واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اي اذا رأوهم بابصارهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الآية كانهم ارادوا بهذه المقالة تذنيب المعبودين * وقوله سبحانه فالقوا اليهم القول الآية الضمير فى القوا للمعبودين انطقهم الله بتكذيب المشركين وقد قال سبحانه فى ءاية اخرى فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون الآية انظر تفسيرها فى سورة يونس وغيرها * وقوله والقوا الى الله يومئذ السلم الضمير فى القوا هنا عائد على المشركين والسلم الاستسلام * وقوله تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب الآية روي فى ذلك عن ابن مسعود ان الله سبحانه يسلط عليهم عقارب وحيات لها انياب كالنخل الطوال وقال عبيد بن عمير حيات لها انياب كالنخل ونحو هذا وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاصى ان لجهنم سواحل فيها هذه الحيات وهذه العقارب فيفر الكافرون الى السواحل فتلقاهم هذه الحيات والعقارب فيفرون منها الى النار فتتبعهم حتى تجد حر النار فترجع قال وهي فى اسراب * وقوله سبحانه ويوم نبعث فى كل امة شهيدا يعنى رسولها ويجوز ان يبعث الله شهودا من الصالحين مع الرسل وقد قال بعض الصحابة اذا رأيت احدا على معصية فانهه فان اطاعك والا كنت شاهدا عليه يوم القيامة * وقوله سبحانه وجئنابك شهيدا على هؤلاء الاشارة بهؤلاء الى هذه الامة * وقوله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية قال ابن مسعود رضي الله عنه اجمع ءاية فى كتاب الله هذه الآية وروي عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه الآية قرأتها على ابى طالب فعجب وقال يا ءال غالب اتبعوه تفلحوا فوالله ان الله ارسله ليامر بمكارم الاخلاق قال (ع) والعدل فعل كل مفروض والاحسان فعل كل مندوب اليه * وايتاءى ذى القربى لفظ

يقتضى صلة الرحم ويعم جميع اسداء الخير الى القرابة * والفحشاء الزنا قاله ابن عباس ويتناول اللفظ سائر المعاصى التى شنعتها ظاهرة * والمنكر اعم منه لانه يعم جميع المعاصى والرذائل والاذايات على اختلاف انواعها * والبغي هو انشاء ظلم الانسان والسعاية فيه وكفيلا معناه متكفلا بوفائكم وباقى الآية بين * وقوله سبحانه ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها الآية شبهت هذه الآية الذى يحلف او يعاهد ويبرم عقده بالمرأة تغزل غزلها وتفتله محكما ثم تنقض قوى ذلك الغزل فتحله بعد ابرامه * وانكاثا نصب على الحال والنكث النقض والعرب تقول انتكث الحبل اذا انتقضت قواه والدخل الدغل بعينه وهو الذرائع الى الخدع والغدر وذلك ان المحلوف له مطمئن فيتمكن الحالف من ضرره بما يريد * وقوله سبحانه ان تكون امة هي اربى من امة المعنى لا تنقضوا الايمان من اجل ان تكون قبيلة ازيد من قبيلة فى العدد والعزة والقوة ويبلوكم اي يختبركم والضمير فى به يحتمل ان يعود على الربا اي ان الله ابتلى عباده بالربا وطلب بعضهم الظهور على بعض واختبرهم بذلك ليرى من يجاهد بنفسه ممن يتبع هواها وباقى الآية وعيد بيوم القيامة * وقوله سبحانه ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم الآية الدخل كما تقدم الغوائل والخدائع وكرر مبالغة قال الثعلبي قال ابو عبيدة كل امر لم يكن صحيحا فهو دخل انتهى * وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها استعارة للمستقيم الحال يقع فى شر عظيم * وقوله سبحانه ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الآية هذه آية نهي عن الرشا واخذ الاموال ثم اخبر تعالى ان ما عنده من نعيم الجنة ومواهب الآخرة خير لمن اتقى وعلم واهتدى ثم بين سبحانه الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بان هذه تنفد وتنقضى عن الانسان او ينقضى عنها ومن الآخرة باقية دائمة وصبروا معناه عن الشهوات وعلى مكاره الطاعات

وهذه اشارة الى الصبر عن شهوة كسب المال بالوجوه المكروهة واختلف الناس فى معنى الحياة الطيبة فقال ابن عباس هو الرزق الحلال وقال الحسن وعلي بن ابى طالب هي القناعة قال (ع) والذى اقول به ان طيب الحياة اللازم للصالحين انما هو بنشاط نفوسهم ونبلها وقوة رجائهم والرجاء للنفس امر ملذ فبهذا تطيب حياتهم وانهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم فان انضاف الى هذا مال حلال وصحة او قناعة فذلك كمال والا فالطيب فيما ذكرناه راتب * وقوله سبحانه ولنجزينهم الآية وعد بنعيم الجنة قال ابو حيان وروي عن نافع وليجزينهم بالياء التفاتا من ضمير المتكلم الي ضمير الغيبة وينبغي ان يكون على تقدير قسم ثان لا معطوفا على فلنحيينه فيكون من عطف جملة قسمية على جملة قسمية وكلتاهما محذوفة وليس من عطف جواب لتغاير الاسناد انتهى * وقوله سبحانه فاذا قرأت القرءان فاستعذ بالله الآية التقدير فاذا اخذت فى قراءة القرءان والاستعاذة ندب وعن عطاء ان التعوذ واجب ولفظ الاستعاذة هو على رتبة هذه الآية والرجيم المرجوم باللعنة وهو ابليس ثم اخبر تعالى ان ابليس ليس له ملكة ولا رياسة هذا ظاهر السلطان عندى فى هذه الآية وذلك ان السلطان ان جعلناه الحجة فليس لابليس حجة فى الدنيا على احد لا على مومن ولا على كافر الا ان يتأول متأول ليس له سلطان يوم القيامة فيستقيم ان يكون بمعنى الحجة لان ابليس له حجة على الكافرين انه دعاهم بغير دليل فاستجابوا له من قبل انفسهم ويتولونه معناه يجعلونه وليا والضمير فى به يحتمل ان يعود على اسم الله عز وجل والظاهر انه يعود على اسم العدو الشيطان بمعنى من اجله وبسببه فكانه قال والذين هم بسببه مشركون بالله وهذا الاخبار بان لا سلطان للشيطان على المومنين بعقب الامر بالاستعاذة يقتضي ان الاستعاذة تصرف كيده كانها متضمنة للتوكل على الله والانقطاع اليه *

وقوله سبحانـه واذا بدلنا ءايـة مكان ءايـة يعنى بهذا التبديل النسخ * قالوا انما انت مفتر اي قال كفار مكة وروح القدس هو جبريـل بلا خلاف * وقوله سبحانـه ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر قال ابن عباس كان بمكة غلام اعجمي لبعض قريش يقال له بلعـام فكان النبي صلى الله عليـه وسلم يعمله الاسلام ويرومه عليه فقال بعض الكفار هذا يعلم محمدا وقيل اسم الغلام جبر وقيل يسار وقيل يعيش والاعجمي هو الذى لايتكلم بالعربية واما العجمي فقد يتكلم بالعربيـة ونسبته قائمـة * وقوله وهـذا اشارة الى القرءان والتقدير وهـذا سـرد لسان او نطق لسان * وقوله سبحانـه انمـا يفترى الكذب بمعنى انمـا يكذب وهـذه مقاومـة للذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انمـا انت مفـتر ومن فى قوله من كفر بـدل من قـوله الكاذبون فروي ان قوله سبحانـه واولائـك هم الكاذبون يراد بـه مقيس بن ضبابـة واشباهـه ممـن كان ءامـن ثم ارتـد باختيـاره من غـير اكراه * وقوله سبحانـه الا من اكره اي كبـلال وعمار بن ياسِر وامه وخَبَّـاب وصُهَيب واشباههم ممن كان يوذى فى الله سبحانـه فربـما سامح بعضهـم بـما اراد الكفار من القـول لمـا اصابه من تعذيب الكفرة فيروى ان عمار بن ياسر فعـل ذلك فاستثناه الله فى هـذه الآيـة وبقيـة الرخصـة عامـة فى الامر بعـده ويروى ان عمـار ابن ياسر شكا الى النبي صلى الله عليـه وسلم ما صنع بـه من العذاب وما سامح به من القول فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف تجد قلبك قال اجـده مطمئنا بالايمان قال فا جبهم بلسانك فانه لايضرك وان عادوا فعـد * وقوله سبحانه ولكن من شرح بالكفر صدرا معناه انبسط الى الكفر باختياره (ت) وقـد ذكـر (ع) هنا نبذا من مسائل الاكراه تركت ذلك خشية التطويل واذمحل بسطها كتب الفقه * وقوله سبحانه ذلك بانهم استحبوا

الحيوة الدنيا على الآخرة الآية ذلك اشارة الى الغضب والعذاب الذى توعد به قبل هذه الآية والضمير فى انهم لمن شرح بالكفر صدرا * وقوله سبحانه ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الآية قال ابن اسحاق نزلت هذه الآية فى عمار بن ياسر وعياش بن ابى ربيعة والوليد بن الوليد قال (ع) وذكر عمار فى هذا عندى غير قويم فانه ارفع من طبقة هؤلاء وانما هؤلاء من تاب ممن شرح بالكفر صدرا فتح الله له باب التوبة فى ءاخر الآية وقال عكرمة والحسن نزلت هذه الآية فى شان عبد الله بن ابى سرح واشباهه فكانه يقول من بعد ما فتنهم الشيطان وهذه الآية مدنية بلا خلاف وان وجد فهو ضعيف وقرأ الجمهور من بعد ما فتنوا مبني للمفعول وقرأ ابن عامر وحده من بعد ما فتنوا بفتح الفاء والتاء اي فتنوا انفسهم والضمير فى بعدها عائد على الفتنة او على الفعلة او الهجرة او التوبة والكلام يعطيها وان لم يجر لها ذكر صريح * وقوله يوم تاتى كل نفس المعنى لغفور رحيم يوم ونفس الاولى هي النفس المعروفة والثانية هي بمعنى الذات (ت) قال المهدوي يجوز ان ينتصب يوم على تقدير لغفور رحيم يوم فلا يوقف على رحيم وقال (ص) يوم تاتى ظرف منصوب برحيم او مفعول به باذكر انتهى وهذا الاخير اظهر والله اعلم * وقوله سبحانه وتوفى كل نفس ما عملت اي يجازى كل من احسن باحسانه وكل من اساء باساءته * وقوله سبحانه وضرب الله مثلا قريه كانت آمنة مطمئنة الآية قال ابن عباس القرية هنا مكة والمراد بهذه الضمائر كلها فى الآية اهل القرية ويتوجه عندى فى الآية انها قصد بها قرية غير معينة جعلت مثلا لمكة على معنى التحذير لاهلها ولغيرها من القرى الى يوم القيامة وهو الذى يفهم من كلام حفصة ام المومنين والنعم جمع نعمة * وقوله سبحانه فاذاقها الله لباس الجوع والخوف

استعارات اي لما باشرهم ذلك صاركاللباس والضمير فى جاءهم لاهل مكة والرسول محمد صلى الله عليه وسلم والعذاب الجوع وامر بدر ونحو ذلك ان كانت الآية مدنية وان كانت مكية فهو الجوع فقط * وقوله سبحانه فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا الآية هذا ابتداء كلام ءاخر اي وانتم ايها المومنون لستم كهذه القرية فكلوا واشكروا الله على تباين حالكم من حال الكفرة وقوله حلالا حال وقوله طيبا اي مستلذا اذ فيه ظهور النعمة ويحتمل ان يكون الطيب بمعنى الحلال كرر مبالغة وتاكيدا * وقوله سبحانه ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام الآية هذه الآية مخاطبة للكفار الذين حرموا البحائر والسوائب قال ابن العربي فى احكامه ومعنى الآية لا تصفوا الاعيان بانها حلال او حرام من قبل انفسكم انما المحرم والمحلل هو الله سبحانه قال ابن وهب قال مالك لم يكن من فتيا الناس ان يقال لهم هذا حلال وهذا حرام ولكن يقول انا اكره هذا ولم اكن لاصنع هذا فكان الناس يطيعون ذلك ويرضونه ومعنى هذا ان التحليل والتحريم انما هو لله كما تقدم بيانه فليس لاحد ان يصرح بهذا فى عين من الاعيان الا ان يكون البارى تعالى يخبر بذلك عنه وما يؤدى اليه الاجتهاد انه حرام يقول فيه انى اكره كذا وكذلك كان مالك يفعل اقتداء بمن تقدم من اهل الفتوى انتهى * وقوله متاع قليل اشارة الى عيشهم فى الدنيا ولهم عذاب اليم بعد ذلك فى الآخرة * وقوله ما قصصنا عليك من قبل اشارة الى ما فى سورة الانعام من ذى الظفر والشحوم * وقوله سبحانه ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم هذه ءاية تانيس لجميع العالم فهي تتناول كل كافر وعاص تاب من سوء حاله قالت فرقة الجهالة هنا العمد والجهالة عندى فى هذا الموضع ليست ضد

العلم بـل هي تعدى الطور وركـوب الرأس ومنـه قوله صلى الله عليه وسلم
او اجهل او يجهل على وقد تقدم بيان هذا وقلما يوجد فى العصاة من لم يتقدم
له علم بحظر المعصية التى يواقع * وقوله سبحانـه ان ابراهيم كان امة قانتا لله
الآيـة لما كشف الله فعل اليهود وتحكمهم فى شرعهم بذكر مـا حرم عليهم
اراد ان يبـين بُعدهم عن شرع ابراهيم عليه السلام والامـة فى اللغـة لفظـة
مشتركـة تقع للحين وللجمع الكثير وللرجل المنفرد بطريقـة وحـده وعلى
هذا الوجه سمي ابراهيم عليه السلام امة قال مجاهد سمي ابراهيم امة لانفراده
بالايمـان فى وقته مـدة مـا وفى البخاري انـه قال لسـارة ليس على الارض
اليوم مومن غيرى وغيرك وفى البخاري قال ابن مسعود الامة معلم الخير والقانت
المطيع الدائم على العبادة والحنيف المائل الى الخير والصلاح * وقوله سبحانـه
وءاتيناه فى الدنيا حسنـة الآيـة الحسنـة لسان الصدق وامامتـه لجميع الخلق
هذا قول جميع المفسرين وذلك ان كل امة متشرعة فهي مقرة ان ايمانها ايمان
ابراهيم وانـه قدوتهـا وانـه كان على الصواب (ت) وهـذا كلام فيـه بعض
اجمال وقد تقدم فى غير هذا الموضع بيانه فلا نطول بسرده * وقوله سبحانه
ان اتبع ملة ابراهيم الآيـة الملة الطريقـة فى عقائـد الشرع * وقوله سبحانـه
انمـا جعل السبت الآيـة اي لم يكن من مـلة ابراهيم وانما جعله الله فرضا
عاقب بـه القوم المختلفين فيـه قاله ابن زيـد وذلك ان موسى عليه السلام امر
بنى اسراءيل ان يجعلوا من الجمعة يوما مختصا بالعبادة وامرهم ان يكون الجمعة
فقال جمهورهم بل يكون يوم السبت لان الله تعالى فرغ فيـه من خلق مخلوقاته
وقال غيرهم بـل نقبـل مـا امر به موسى فراجعهم الجمهور فتابعهم الآخرون
فالزمهم الله يوم السبت الزامـا قويا عقوبـة لهم ثم لم يكن منهم ثبوت بـل
عصوا فيـه وتعدوا فاهلكهم وورد فى الحديث الصحيح ان اليهود والنصارى

اختلفوا فى اليوم الذى يختص من الجمعة فاخذ هؤلاء السبت واخذ هؤلاء الاحد فهدانا الله نحن الى يوم الجمعة قال صلى الله عليه وسلم فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه فليس الاختلاف المذكور فى الآية هو الاختلاف فى هذا الحديث (ت) يعنى ان الاختلاف المذكور فى الآية هو بين اليهود فيما بينهم والاختلاف المذكور فى الحديث الصحيح هو فيما بين اليهود والنصارى * وقوله سبحانه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة هذه الآية نزلت بمكة امر عليه السلام ان يدعو الى دين الله وشرعه بتلطف وهكذا ينبغى ان يوعظ المسلمون الى يوم القيامة * وقوله سبحانه وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية اطبق اهل التفسير ان هذه الآية مدنية نزلت فى شأن التمثيل بحمزة وغيره فى يوم اُحد ووقع ذلك فى صحيح البخاري وغيره وقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بثلاثين وفى كتاب النحاس وغيره بسبعين منهم فقال الناس ان ظفرنا لنفعلن ولنفعلن فنزلت هذه الآية ثم عزم على النبي صلى الله عليه وسلم فى الصبر عن المجازاة بالتمثيل فى القتلى ويروى انه عليه السلام قال لاصحابه اما انا فاصبر كما امرت فما ذا تصنعون فقالوا نصبر يا رسول الله كما ندبنا * وقوله وما صبرك الا بالله اي بمعونة الله وتاييده على ذلك * وقوله سبحانه ولا تحزن عليهم قيل الضمير فى قوله عليهم يعود على الكفار اي لا تتأسف على ان لم يسلموا وقالت فرقة بل يعود على القتلى حمزة واصحابه الذين حزن عليهم صلى الله عليه وسلم والاول اصوب * ولا تك فى ضيق مما يمكرون قرأ الجمهور فى ضيق بفتح الضاد وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان * ان الله مع الذين اتقوا اي بالنصر والمعونة واتقوا يريد المعاصى * ومحسنون هم الذين يتزيدون فيما ندب اليه من فعل الخير وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم

☆ تفسير سورة سبحان ☆

هذه السورة مكية الا ثلاث ءايات قال ابن مسعود فى بنى اسرائيل والكهف انهما من العتاق الاول وهن من تلادى يريد انهن من قديم كسبه ☆ قوله عز وجل سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام جل العلماء على ان الاسراء كان بشخصه صلى الله عليه وسلم وانه ركب البراق من مكة ووصل الى بيت المقدس وصلى فيه وقالت عائشة ومعاوية انما اسري بروحه والصحيح ما ذهب اليه الجمهور ولوكانت منامة ما امكن قريشا التشنيع ولا فضل ابو بكر بالتصديق ولا قالت له ام هانئ لاتحدث الناس بهذا فيكذبوك الى غيرهذا من الدلائل واما قول عائشة فانها كانت صغيرة ولا حدثت عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك معاوية قال ابن العربي قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا قال علماؤنا لوكان للنبي صلى الله عليه وسلم اسم هو اشرف منه لسماه الله تعالى به فى تلك الحالة العلية وقد قال الاستاذ جمال الاسلام ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن لما رفعه الله الى حضرته السنية وارقاه فوق الكواكب العلوية الزمه اسم العبودية تواضعا واجلالا للالوهية انتهى من الاحكام وسبحان مصدر معناه تنزيها لله وروى طلحة بن عبيد الله الفياض احد العشرة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما معنى سبحان الله قال تنزيه الله من كل سوء وكان الاسراء فيما قال مقاتل وقتادة قبل الهجره بعام وقيل بعام ونصف والمتحقق ان ذلك كان بعد شق الصحيفة

وقيل ببيعة العقبة ووقع فى الصحيحين لشريك بن ابى نمر وهم فى هـذا المعنى فانـه روى حديث الاسراء فقال فيه وذلك قبل ان يوحى اليه ولا خلاف بين المحدثين ان هذا وهم من شريك قال (ص) اسرى بعبده بمعنى سرى وليست همزتـه للتعدية بل كسقى واسقى والباء للتعديـة وليـلا ظرف للتاكيد لان السرى لا يكون لغة الا بليل وقيل يعنى بـه فى جوف الليل فلم يكن ادْلاجا ولا ادّلاجا انتهى والمسجد الاقصى بيت المقدس والاقصى البعيد والبركـة حوله من وجهين احدهما النبوءة والشرائع والرسـل الذين كانوا فى ذلك القطر وفى نواحيه والآخر النعم من الاشجار والمياه والارض المفيدة * وقوله سبحانه لنريه يريد لنري محمدا بعينه ءاياتنا فى السموات والملائكة والجنة والسدرة وغير ذلك من العجائب مما رءاه تلك الليلة ولا خلاف ان فى هـذا الاسـراء فرضت الصلوات الخمس على هذه الامة * وقوله سبحانـه انـه هو السميع البصير وعيد للمكذبين بامر الاسراء اي هو السميع لما تقولون البصير بافعالكم * وءاتينا موسى الكتاب اي التوراة * وقوله الا تتخذوا مـن دونى وكيـلا الايـة التقدير فعلنا ذلك ليلا تتخـذوا يا ذرية فذريـة منصوب على النـداء وهذه مخاطبة للعالم ويتجه نصب ذريـة على انـه مفعول بتتخـذوا ويكون المعنى ان لا يتخذوا بشرا الاها من دون الله وقرأ ابوعمرو وحده الا يتخذوا بالياء على لفظ الغائب والوكيل هنا من التوكيل اي متوكَّلا عليه فى الامور فهو ند لله بهذا الوجه وقال مجاهد وكيلا شريكا ووصف نوح بالشكر لانه كان يحمد الله فى كل حال وعلى كل نعمة من المطعم والمشرب والملبس والبراز وغير ذلك صلى الله عليـه وسلم قاله سلمان الفـارسي وغيره قال ابن المبـارك فى رقائقـه اخبرنا ابن ابى ذيب عن سعيد المقبري عن ابيه عن عبد الله بن سلام ان موسى عليه السلام قال يا رب مـا الشكر الذى ينبغى لك قال يا مـوسى لا يزال

لسانك رطبا من ذكرى انتهى وقد رويناه مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم اعنى قوله لايزال لسانك رطبا من ذكر الله * وقوله سبحانه وقضينا الى بنى اسراءيل الآية قالت فرقة قضينا معناه فى ام الكتاب قال (ع) وانما يلبس فى هذا المكان تعدية قضينا بالى وتلخيص المعنى عندى ان هذا الامر هو مما قضاه الله عز وجل فى ام الكتاب على بنى اسراءيل والزمهم اياه ثم اخبرهم به فى التوراة على لسان موسى فلما اراد هنا الاعلام لنا بالامرين جميعا فى ايجاز جعل قضينا دالة على النفوذ فى ام الكتاب وقرن بها الى دالة على انزال الخبر بذلك الى بنى اسراءيل والمعنى المقصود مفهوم خلال هذه الالفاظ ولهذا فسر ابن عباس مرة بان قال قضينا الى بنى اسراءيل معناه اعلمناهم وقال مرة قضينا عليهم والكتاب هنا التوراة لان القسم فى قوله لتفسدن غير متوجه مع ان نجعل الكتاب هو اللوح المحفوظ وقال (ص) وقضينا مضمن معنى اوحينا ولذلك تعدى بالى واصله ان يتعدى بنفسه الى مفعول واحد كقوله سبحانه فلما قضى موسى الاجل انتهى وهو حسن موافق لكلام (ع) وقوله ولتعلن اي لتتجبرن وتطلبون فى الارض العلو ومقتضى الآيات ان الله سبحانه اعلم بنى اسراءيل فى التوراة انه سيقع منهم عصيان وكفر لنعم الله وانه سيرسل عليهم امة تغلبهم وتذلهم ثم يرحمهم بعد ذلك ويجعل لهم الكرة ويردهم الى حالهم من الظهور ثم تقع منهم ايضا تلك المعاصى والقبائح فيبعث الله تعالى عليهم امة اخرى تخرب ديارهم وتقتلهم وتجليهم جلاء مبرحا واعطى الوجود بعد ذلك هذا الامر كله قيل كان بين المرتين مائتا سنة وعشر سنين ملكا مؤيدا بانبياء وقيل سبعون سنة * وقوله سبحانه فاذا جاء وعد اولاهما الضمير فى قوله اولاهما عائد على قوله مرتين وعبر عن الشر بالوعد لانه قد صرح بذكر المعاقبة قال (ص) وعد اولاهما اي موعود وهو العقاب لان الوعد سبق بذلك

وقيل هو على حذف مضاف اي وعد عقاب اولاهما انتهى وهو معنى ما تقدم
واختلف الناس فى العبيد المبعوثين وفى صورة الحال اختلافا شديدا متباعدا
عيونه ان بنى اسراءيل عصوا وقتلوا زكرياء عليه السلام فغزاهم سنجاريب ملك
بابل قاله ابن اسحاق وابن جبير وقال ابن عباس غزاهم جالوت من اهل الجزيرة
وقيل غزاهم بخت نصر وروي انه دخل قبل فى جيش من الفرس وهو خامل
يسير فى مطبخ الملك فاطلع من جور بنى اسراءيل على ما لم تعلمه الفرس فلما
انصرف الجيش ذكر ذلك للملك الاعظم فلما كان بعد مدة جعله الملك رءيس
جيش وبعثه فخرب بيت المقدس وقتلهم واجلاهم ثم انصرف فوجد الملك قد
مات فملك موضعه واستمرت حاله حتى ملك الارض بعد ذلك وقالت فرقة
انما غزاهم بخت نصر فى المرة الاخيرة حين عصوا وقتلوا يحي بن زكرياء وصورة
قتله ان الملك اراد ان يتزوج بنت امرأته فنهاه يحي عنها فعز ذلك على امرأته
فزينت بنتها وجعلتها تسقى الملك الخمر وقالت لها اذا راودك عن نفسك
فتمنعي حتى يعطيك الملك ما تتمنين فاذا قال لك تمني علي ما اردت فقولى رأس
يحي بن زكرياء ففعلت الجارية ذلك فردها الملك مرتين واجابها فى الثالثة
فجيء بالرأس فى طست ولسانه يتكلم وهو يقول لاتحل لك وجرى دم يحي
فلم ينقطع فجعل الملك عليه التراب حتى ساوى سور المدينة والدم ينبعث فلما
غزاهم الملك الذى بعث عليهم بحسب الخلاف الذى فيه قتل منهم على الدم
سبعين الفا حتى سكن هذا مقتضى خبرهم وفى بعض الروايات زيادة ونقص
وقرأ الناس فجاسوا وقرأ ابو السمال بالحاء وهما بمعنى الغلبة والدخول قهرا وقال مؤرج
جاسوا خلال الازقة (ت) قال (ص) جاسوا مضارعه يجوس ومصدره جوس
وجوسان ومعناه التردد وخلال ظرف اي وسط الديار انتهى * وقوله سبحانه ثم
رددنا لكم الكرة عليهم الآية عبارة عما قاله سبحانه لبنى اسراءيل فى التوراة وجعل

رددنا موضع نرد لما كان وعد الله فى غاية الثقة وانه واقع لامحالة فعبر عن المستقبل بالماضى وهذه الكرة هى بعد الجلوة الاولى كما وصفنا فغلبت بنو اسراءيل على بيت المقدس وملكوا فيه وحسنت حالهم برهة من الدهر واعطاهم الله الاموال والاولاد وجعلهم اذا نفروا الى امر اكثر الناس فلما قال الله انى سأفعل بكم هكذا عاقب بوصيتهم فى قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم الآية المعنى انكم بعملكم تجازون ووعد الآخرة معناه من المرتين * وقوله ليسوءوا اللام لام امر وقيل المعنى بعثناهم ليسوءوا وليدخلوا فهي لام كي كلها والضمير للعباد اولى البأس الشديد والمسجد مسجد بيت المقدس وتبر معناه افسد بغشم وركوب رأس * وقوله ما علوا اي ما علوا عليه من الاقطار وملكوه من البلاد وقيل ما ظرفية والمعنى مدة علوهم وغلبتهم على البلاد * وقوله سبحانه عسى ربكم ان يرحمكم الآية يقول الله عز وجل لبقية بنى اسراءيل عسى ربكم ان اطعتم فى انفسكم واستقمتم ان يرحمكم وهذه العدة ليست برجوع دولة وانما هي بان يرحم المطيع منهم وكان من الطاعة اتباعهم لعيسى ومحمد عليهما السلام فلم يفعلوا وعادوا الى الكفر والمعصية فعاد عقاب الله عليهم بضرب الذلة عليهم وقتلهم واذلالهم بيد كل امة والحصير من الحصر بمعنى السجن وبنحو هذا فسره مجاهد وغيره وقال الحسن الحصير فى الآية اراد به ما يفترش ويبسط كالحصير المعروف عند الناس قال (ع) وذلك الحصير ايضا هو ماخوذ من الحصر * وقوله سبحانه ان هذا القرءان يهدى للتى هي اقوم الآية يهدى فى هذه الآية بمعنى يرشد ويتوجه فيها ان تكون بمعنى يدعو والتى يريد بها الحالة والطريقة وقالت فرقة التى هي اقوم لا اله الا الله والاول اعم والاجر الكبير الجنة وكذلك حيث وقع فى كتاب الله فضل كبير واجر كبير فهو الجنة قال الباجي قال ابن وهب سمعت مالكا يقول ان استطعت

ان تجعل القرءان اماما فافعل فهو الامام الذى يهدى الى الجنة قال ابو سليمان الداراني ربما اقمت فى الآية الواحدة خمس ليال ولولا انى ادع التفكر فيها ما جزتها وقال انما يوتى على احدكم من انه اذا ابتدأ السورة اراد ءاخرها قال الباجي وروى ابن لبابة عن العتبي عن سحنون انه رأى عبد الرحمن بن القاسم فى النوم فقال له ما فعل الله بك قال وجدت عنده ما احببت قال له فاي اعمالك وجدت افضل قال تلاوة القرءان قال قلت له فالمسائل فكان يشير باصبعه كانه يلشيها فكنت اسأله عن ابن وهب فيقول لى هو فى عليين انتهى من سنن الصالحين * وقوله سبحانه ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا سقطت الواو من يدع فى خط المصحف قال ابن عباس وقتادة ومجاهد هذه الآية نزلت ذامة لما يفعله الناس من الدعاء على اموالهم فى وقت الغضب والضجر فاخبر سبحانه انهم يدعون بالشر فى ذلك الوقت كما يدعون بالخير فى وقت التثبت فلو اجاب الله دعاءهم اهلكهم لكنه سبحانه يصفح ولايجيب دعاء الضجر المستعجل ثم عذر سبحانه بعض العذر فى ان الانسان له عجلة فطرية والانسان هنا يراد به الجنس قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس وسلمان الاشارة الى ءادم لما نفخ الروح فى رأسه عطس وابصر فلما مشى الروح فى بدنه قبل ساقيه اعجبته نفسه فذهب ليمشي مستعجلا لذلك فلم يقدر والمعنى على هذا فانتم ذووا عجلة موروثة من ابيكم وقالت فرقة معنى الآية معاتبة الناس فى دعائهم بالشر مكان ما يجب ان يدعوه بالخير (ت) قول هذه الفرقة نقله (ع) غير ملخص فانالخصته * وقوله سبحانه وجعلنا الليل والنهار ءايتين الآية هنا العلامة المنصوبة للنظر والعبرة * وقوله سبحانه فمحونا ءاية الليل قالت فيه فرقة سبب تعقيب الفاء ان الله تعالى خلق الشمس والقمر مضيئين فمحا بعد ذلك القمر محاه جبريل بجناحه ثلاث مرات

فمن هنالك كلفه وقالت فرقة ان قوله فمحونا ءاية الليل انما يريد فى اصل خلقته * وجعلنا ءاية النهار مبصرة اي يبصر بها ومعها ليبتغي الناس الرزق وفضل الله وجعل سبحانه القمر مخالفا لحال الشمس ليعلم به العدد من السنين والحساب للاشهر والايام ومعرفة ذلك فى الشرع انما هو من جهة القمر لا من جهة الشمس وحكى عياض فى المدارك فى ترجمة الغازى بن قيس قال روي عن الغازى بن قيس انه كان يقول ما من يوم ياتى الاويقول انا خلق جديد وعلى ما يفعل في شهيد فخذوا مني قبل ان ابيد فاذا امسى ذلك اليوم خر لله ساجدا وقال الحمد لله الذى لم يجعلني اليوم العقيم انتهى والتفصيل البيان * وقوله سبحانه وكل انسان الزمناه طائره قال ابن عباس طائره ما قدر له وعليه وخاطب الله العرب فى هذه الاية بما تعرف وذلك انه كان من عادتها التيمن والتشاؤم بالطير فى كونها سانحة وبارحة وكثر ذلك حتى فعلته بالظباء وحيوان الفلا وسمت ذلك كله تطيرا وكانت تعتقد ان تلك الطيرة قاضية بما يلقى الانسان من خير وشر فاخبرهم الله تعالى فى هذه الآية باوجز لفظ وابلغ اشارة ان جميع ما يلقى الانسان من خير وشر قد سبق به القضاء والزم حظه وعمله وتكسبه فى عنقه وذلك فى قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه فعبر عن الحظ والعمل اذهما متلازمان بالطائر قاله مجاهد وقتادة بحسب معتقد العرب فى التطير ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا هذا الكتاب هو عمل الانسان وخطيآته اقرأ كتابك اي يقال له اقرأ كتابك واسند الطبري عن الحسن انه قال يا ابن ءادم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان احدهما عن يمينك يكتب حسناتك والآخر عن شمالك يحفظ سيئاتك فاملل ما شئت واقلل او اكثر حتى اذا مت طويت صحيفتك فجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا

اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قد عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك قال (ع) فعلى هذه الالفاظ التى ذكر الحسن يكون الطائر ما يتحصل مع ابن ءادم من عمله فى قبره فتأمل لفظه وهذا قول ابن عباس وقال قتادة فى قوله اقرأ كتابك انه سيقرأ يومئذ من لم يكن يقرأ * وقوله سبحانه واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها قرأ الجمهور امرنا على صيغة الماضى وعن نافع وابن كثير فى بعض ما روي عنهما ءامرنا بمد الهمزة بمعنى كثرنا وقرأ ابو عمرو بخلاف عنه امرنا بتشديد الميم وهي قراءة ابى عثمان النهدي وابي العالية وابن عباس ورويت عن علي قال الطبري القرءاة الاولى معناها امرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها وهو قول ابن عباس وابن جبير والثانية معناها كثرناهم والثالثة هي من الامارة اي ملكناهم على الناس قال الثعلبي واختار ابو عبيد وابو حاتم قرءاة الجمهور قال ابو عبيد وانما اخترت هذه القراءة لان المعاني الثلاثة مجتمعة فيها وهي معنى الامر والامارة والكثرة انتهى (ت) وعبارة ابن العربي امرنا مترفيها يعنى بالطاعة ففسقوا بالمخالفة انتهى من كلامه على الافعال الواقعة فى القرءان والمترف الغني من المال المتنعم والتُرْفة النعمة وفى مصحف ابي بن كعب قرية بعثنا اكابر مجرميها فمكروا فيها * وقوله سبحانه فحق عليها القول اي وعيد الله لها الذى قاله رسولهم والتدمير الاهلاك مع طمس الآثار وهدم البناء * وكم اهلكنا من القرون الآية مثال لقريش ووعيد لهم اي لستم ببعيد مما حصلوا فيه ان كذبتم واختلف فى القرن وقد روى محمد بن القاسم فى ختنه عبد الله بن بُسْر قال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قلت كم القرن قال مائة سنة قال محمد بن القاسم فمازلنا نعد له حتى كمل مائة سنة ثم مات رحمه الله والباء فى قوله بربك

زائدة التقدير وكفى ربك وهذه الباء انما تجيء في الاغلب في مدح او ذم وقد يجيء كفى دون باء كقول الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * وكقول الآخر

ويخبرني عن غائب المرء هديه * كفى الهدي عما غيب المرء مخبرا

وقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الآية المعنى فان الله يعجل لمن يريد من هؤلاء ما يشاء سبحانه على قراءة النون اوما يشاء هذا المريد على قراءة الياء وقوله لمن نريد شرط كاف على القراءتين وقال ابن اسحاق الفزاري المعنى لمن نريد هلكته والمدحور المهان المبعد المذلل المسخوط عليه * وقوله سبحانه ومن اراد الآخرة اي ارادة يقين وايمان بها وبالله ورسالاته ثم شرط سبحانه في مريد الآخرة ان يسعى لها سعيها وهو ملازمة اعمال الخير على حكم الشرع * فاولائك كان سعيهم مشكورا ولا يشكر الله سعيا ولا عملا الا اثاب عليه وغفر بسببه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الرجل الذى سقى الكلب العاطش فشكر الله له فغفر له * وقوله سبحانه كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك يحتمل ان يريد بالعطاء الطاعات لمريد الآخرة والمعاصي لمريد العاجلة وروي هذا التاويل عن ابن عباس ويحتمل ان يريد بالعطاء رزق الدنيا وهو تاويل الحسن بن ابى الحسن وقتادة المعنى انه سبحانه يرزق في الدنيا من يريد العاجلة ومريد الآخرة وانما يقع التفاضل والتباين في الآخرة ويتناسب هذا المعنى مع قوله وما كان عطاء ربك محظورا اي ممنوعا وقل ما تصلح هذه العبارة لمن يمد بالمعاصي * وقوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض الآية تدل دلالة ما على ان العطاء في التي قبلها الرزق وباقي الآية معناه اوضح من ان يبين * وقوله سبحانه لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا هذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد لجميع الخلق قاله الطبري وغيره

ولا مرية فى ذم من نحت عودا اوحجرا واشركه فى عبادة ربه قال (ص) فتقعد اي فتصير بهذا فسره الفراء وغيره اه والخذلان فى هذا باسلام الله لعبده وان لا يتكفل له بنصر والمخذول الذى اسلمه ناصروه والخاذل من الظباء التى تترك ولدها * وقوله سبحانه وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الآية قضى فى هذه الآية هي بمعنى امر والزم واوجب عليكم وهكذا قال الناس واقول ان المعنى وقضى ربك امره فالمقضي هنا هو الامر وفى مصحف ابن مسعود ووصى ربك وهي قراءة ابن عباس وغيره والضمير فى تعبدوا لجميع الخلق وعلى هذا التاويل مضى السلف والجمهور ويحتمل ان يكون قضى على مشهورها فى الكلام ويكون الضمير فى تعبدوا للمومنين من الناس الى يوم القيامة * وقوله فلا تقل لهما اف معنى اللفظة انها اسم فعل كأن الذى يريد ان يقول اضجر او اتقذر او اكره ونحو هذا يعبر ايجازا بهذه اللفظة فتعطى معنى الفعل المذكور واذا كان النهي عن التافيف فما فوقه من باب احرى وهذا هو مفهوم الخطاب الذى المسكوت عنه حكمه حكم المذكور قال (ص) وقرأ الجمهور الذل بضم الذال وهو ضد العز وقرأ ابن عباس وغيره بكسرها وهو الانقياد ضد الصعوبة انتهى وباقى الآية بين قال ابن الحاجب فى منتهى الوصول وهو المختصر الكبير المفهوم ما دل عليه اللفظ فى غير محل النطق وهو مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة فالاول ان يكون حكم المفهوم موافقا للمنطوق فى الحكم ويسمى فحوى الخطاب ولحن الخطاب كتحريم الضرب من قوله تعالى فلا تقل لهما اف وكالجزاء بما فوق المثقال من قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة وكتأدية ما دون القنطار من قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك وعدم تأدية ما فوق الدينار من قوله تعالى بدينار لا يؤده اليك وهو من قبيل التنبيه بالادنى على الاعلى والاعلى على الادنى فلذلك كان الحكم فى المسكوت اولى وانما يكون ذلك اذا عرف المقصود من الحكم

وانه اشد مناسبة فى المسكوت كهذه الامثلة ومفهوم المخالفة ان يكون المسكوت عنه مخالفا للمنطوق به فى الحكم ويسمى دليل الخطاب وهو اقسام مفهوم الصفة مثل فى الغنم السائمة الزكاة ومفهوم الشرط مثل وان كن اولات حمل ومفهوم الغاية مثل حتى تنكح زوجا غيره ومفهوم انما مثل انما الربا فى النسيئة ومفهوم الاستثناء مثل لا اله الا الله ومفهوم العدد الخاص مثل فاجلدوهم ثمانين جلدة ومفهوم حصر المبتدإ مثل العالم زيد وشرط مفهوم المخالفة عند قائله ان لا يظهر ان المسكوت عنه اولى ولا مساويا كمفهوم الموافقة ولا خرج مخرج الاعم الاغلب مثل وربائبكم اللتى فى حجوركم فاما مفهوم الصفة فقال به الشافعي ونفاه الغزالي وغيره انتهى وفسر الجمهور الاوابين بالرجاعين الى الخير وهي لفظة لزم عرفها اهل الصلاح (ت) قال عبد الحق الاشبيلي واعلم ان الميت كالحي فيما يعطاه ويهدى اليه بل الميت اكثر واكثر لان الحي قد يستقل ما يهدى اليه ويستحقر ما يتحف به والميت لا يستحقر شيأ من ذلك ولو كان مقدار جناح بعوضة او وزن مثقال ذرة لانه يعلم قيمته وقد كان يقدر عليه فضيعه وقد قال عليه السلام اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث الا من صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له فهذا دعاء الولد يصل الى والده وينتفع به وكذلك امره عليه السلام بالسلام على اهل القبور والدعاء لهم ما ذاك الا لكون ذلك الدعاء لهم والسلام عليهم يصل اليهم ويأتيهم والله اعلم وروي عنه عليه السلام انه قال الميت فى قبره كالغريق ينتظر دعوة تلحقه من ابنه او اخيه او صديقه فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها والاخبار فى هذا الباب كثيرة انتهى من العاقبة (ت) وروى مالك فى الموطإ عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه قال كان يقال ان الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده واشار بيده نحو السماء قال ابوعمرو وقد رويناه باسناد جيد ثم اسند عن ابى

هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليرفع العبد الدرجة فيقول اي رب انى لى هذه الدرجة فيقال باستغفار ولدك لك انتهى من التمهيد وروينا فى سنن ابى داود ان رجلا من بنى سلمة قال يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما واكرام صديقهما انتهى * وقوله سبحانه وءات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل الآية قال الجمهور الآية وصية للناس كلهم بصلة قرابتهم خوطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والمراد الامة والحق فى هذه الآية ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه قال بنحو هذا الحسن وابن عباس وعكرمة وغيرهم والتبذير انفاق المال فى فساد او فى سرف فى مباح * وقوله تعالى واما تعرضن عنهم اي عن من تقدم ذكره من المساكين وابن السبيل فقل لهم قولا ميسورا اي فيه ترجية بفضل الله وتانيس بالميعاد الحسن ودعاء فى توسعة الله وعطائه وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد نزول هذه الآية اذا لم يكن عنده ما يعطى يرزقنا الله واياكم من فضله والرحمة على هذا التاويل الرزق المنتظر وهذا قول ابن عباس وغيره والميسور من اليسر * وقوله سبحانه ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك استعارة لليد المقبوضة عن الانفاق جملة واستعير لليد التى تستنفد جميع ما عندها غاية البسط ضد الغل وكل هذا فى انفاق الخير واما انفاق الفساد فقليله وكثيره حرام والملامة هنا لاحقة ممن يطلب من المستحقين فلا يجد ما يعطى والمحسور الذى قد استنفدت قوته تقول حسرت البعير اذا اتعبته حتى لم تبق له قوة ومنه البصر الحسير قال ابن العربي وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وكثيرا ما جاء هذا المعنى فى القرءان فان النبي صلى الله عليه

وسلم لما كان سيدهم وواسطتهم الى ربهم عبر به عنهم على عادة العرب فى ذلك انتهى من الاحكام والحسير هو الكال * ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر معنى يقدر يضيق * وقوله سبحانه انه كان بعباده خبيرا بصيرا اي يعلم مصلحة قوم فى الفقر ومصلحة ءاخرين فى الغنى وقال بعض المفسرين الآية اشارة الى حال العرب التى كانت يصلحها الفقر وكانت اذا شبعت طغت (ت) وهذا التاويل يعضده قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض الآية ولا خصوصية لذكر العرب الامن حيث ضرب المثل * وقوله سبحانه ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق الاية نهي عن الوأد الذى كانت العرب تفعله والاملاق الفقر وعدم المال وروى ابو داود عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له ابنة فلم يئدها ولم يهنها ولم يوثر ولده عليها قال يعنى الذكور ادخله الله الجنة انتهى والحق الذى تقتل به النفس قد فسره النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله لا يحل دم المسلم الا احدى ثلاث خصال كفر بعد ايمان اوزنى بعد احصان او قتل نفس اي وما فى هذا المعنى من حرابة او زندقة ونحو ذلك * ومن قتل مظلوما اي بغير الوجوه المذكورة فقد جعلنا لوليه سلطانا ولا مدخل للنساء فى ولاية الدم عند جماعة من العلماء ولهن ذلك عند ءاخرين والسلطان الحجة والملك الذى جعل اليه من التخيير فى قبول الدية او العفو قاله ابن عباس قال البخاري قال ابن عباس كل سلطان فى القرءان فهو حجة انتهى وقال قتادة السلطان القود * وقوله سبحانه فلا يسرف فى القتل المعنى فلا يتعدى الولي امر الله بان يقتل غير قاتل وليه اويقتل اثنين بواحد الى غير ذلك من وجوه التعدى وقرأ حمزة والكساءي وابن عامر فلا تسرف بالتاء من فوق قال الطبري على معنى الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والائمة بعده قال (ع) ويصح ان يراد به

الولي اي فلا تسرف اي الولي والضمير فى انه عائد على الولي وقيل على المقتول وفى قراءة ابي بن كعب فلا تسرفوا فى القتال ان ولي المقتول كان منصورا وباقى الآية تقدم بيانه قال الحسن القسطاس هو القبان وهو القرسطون وقيل القسطاس هو الميزان صغيرا كان اوكبيرا قال (ع) وسمعت ابى رحمه الله تعالى يقول رأيت الواعظ ابا الفضل الجوهري رحمه الله فى جامع عمرو بن العاصى يعظ الناس فى الوزن فقال فى جملة كلامه ان فى هيئة اليد بالميزان عظة وذلك ان الاصابع يجيء منها صورة المكتوبة الف ولامان وهاء فكأن الميزان يقول الله الله قال (ع) وهذا وعظ جميل والتاويل فى هذه الآية المئال قاله قتادة ويحتمل ان يكون التاويل مصدر تأول اي يتأول عليكم الخير فى جميع اموركم اذا احسنتم الكيل والوزن وقال (ص) تاويلا اي عاقبة انتهى * وقوله سبحانه ولا تقف معناه لا تقل ولا تتبع واللفظة تستعمل فى القذف ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نحن بنو النضر لا نقفو امنا ولا ننتفى من ابينا واصل هذه اللفظة من اتباع الاثر تقول قفوت الاثر وحكى الطبري عن فرقة انها قالت قفا وقاف مثل عثا وعاث فمعنى الآية ولا تتبع لسانك من القول ما لا علم لك به وبالجملة فهذه الاية تنهى عن قول الزور والقذف وما اشبه ذلك من الاقوال الكاذبة والمردية * ان السمع والبصر والفؤاد كل اولائك كان عنه مسؤلا عبر عن هذه الحواس باولائك لان لها ادراكا وجعلها فى هذه الآية مسؤلة فهى حالة من يعقل (ت) قال (ص) وما توهمه ابن عطية من اولائك تختص بمن يعقل ليس كذلك اذ لا خلاف بين النحاة فى جواز اطلاق اولاء واولائك على من لا يعقل (ت) وقد نقل (ع) الجواز عن الزجاج وفى الفية ابن مالك * وباولى اشر لجمع مطلقا * فقال ولده بدر الدين اي سواء كان مذكرا او مؤنثا واكثر ما يستعمل

فيمن يعقل وقد يجيء لغيره كقوله

ذم المنازل بعد منزلة اللـوى * والعيش بعد اولائك الايام

وقد حكى (ع) البيت وقال الرواية فيه الاقوام والله اعلم انتهى والضمير في عنه يعود على ما ليس للانسان به علم ويكون المعنى ان الله تعالى يسئل سمع الانسان وبصره وفؤاده عما قال مما لاعلم له به فيقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي ويحتمل ان يعود على كل التى هي السمع والبصر والفؤاد والمعنى ان الله تعالى يسئل الانسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده قال صاحب الكلم الفارقيه لاتدع جدول سمعك يجرى فيه اجاج الباطل فيهلب باطنك بناء الحرص على العاجل السمع قمع تغورفيه المعانى المسموعة الى قرار وعاء القلب فان كانت شريفة لطيفة شرفته ولطفته وهذبته وزكته وان كانت رذيلة دنية رذلته وخبثته وكذلك البصر منفذ من منافذ القلب فالحواس الخمس كالجداول والرواضع ترضع من اثداء الاشياء التى تلابسها وتاخذ ما فيها من معانيها واوصافها وتؤديها الى القلب وتنهيها انتهى * وقوله سبحانه ولاتمش فى الارض مرحا قرأ الجمهور مرحا بفتح الحاء مصدر مرح يمرح اذا تسيب مسرورا بدنياه مقبلا على راحته فنهي الانسان ان يكون مشيه فى الارض على هذا الوجه وقرأت فرقة مرحا بكسر الراء ثم قيل له انك ايها المرح المختال الفخور لن تخرق الارض ولن تطاول الجبال بفخرك وكبرك وخرق الارض قطعها ومسحها واستيفاؤها بالمشي * وقوله سبحانه كل ذلك كان سيئة قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو سيئة فالاشارة بذلك على هذه القراءة الى ما تقدم ذكره مما نهي عنه كقوله اف وقذف الناس والمرح وغير ذلك وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي سيئه على اضافة سيء الى الضمير فتكون الاشارة

على هذه القراءة الى جميع مـا ذكر فى هذه الآيات من بر ومعصيـة ثم اختص ذكر السيء منه بانـه مكروه عند الله تعالى * وقوله سبحانـه ذلك مما اوحى اليك ربك الآيـة الاشارة بذلك الى هذه الآداب التى تضمنتها هذه الآيات المتقدمة والحكمـة قوانـين المعانى المحكمة والافعال الفاضلة (ت) فينبغى للعاقل ان يتأدب بآداب الشريعـة وان يحسن العشرة مع عباد الله قال الامام فخر الدين بن الخطيب فى شرح اسماء الله الحسنى كان بعض المشـائخ يقـول مجامع الخيرات محصورة فى امرين صدق مـع الحق وخُلق مـع الخلق انتهى وذكر هشام بن عبـد الله القرطبي فى تاريخـه المسمى ببهجـة النفس قال دخـل عبد الملك بن مروان على معاويـة وعنده عمرو بن العاصى فلم يلبث ان نهض فقـال معاويـة لعمـرو مـا اكمل مـروءة هـذا الفتى فقـال له عمرو انـه اخذ باخـلاق اربعـة وترك اخلاقا ثلاثـة اخـذ باحسن البشر اذا لقي وباحسن الاستماع اذا حُدث وباحسن الحديث اذا حدث وباحسن الرد اذا خولف وترك مزاح من لا يوثـق بعقله وترك مخالطـة لئام الناس وترك من الحديث مـا يعتذر منـه انتهى * وقوله سبحانه ولا تجعل مع الله الهـا آخر الآيـة خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره والمدحور المهـان المبعد * وقـوله سبحانـه افاصفاكم الآيـة خطـاب للعرب وتشنيع عليهم فساد قولهم * وقوله سبحانـه ولقد صرفنـا فى هذا القرءان ليذكروا اي صرفنـا فيـه الحكم والمواعظ * وقـوله سبحانـه اذا لا بتغوا الى ذى العرش سبيلا قال سعيد بن جبير وغيره معنى الكلام لا بتغوا اليـه سبيـلا فى افساد ملكه ومضاهاتـه فى قدرتـه وعلى هذا فالآيـة بيـان للتمانع وجارية مع قوله تعالى لو كان فيهما ءالهة الا الله لفسدتا قال (ع) ونقتضب شيأ من الدليـل على انـه لا يجوز ان يكـون مـع الله تبـارك وتعـالى اله غيره على مـا قال ابو المعـالى وغيره انالو

فرضناه لفرضنا ان يريد احدهما تسكين جسم والآخر تحريكه ومستحيل ان تنفذ الارادتان ومستحيل الا تنفذا جميعا فيكون الجسم لا متحركا ولا ساكنا فان صحت ارادة احدهما دون الآخر فالذى لم تتم ارادته ليس باله فان قيل نفرضهما لا يختلفان قلنا اختلافهما جائز غير ممتنع عقلا والجائز فى حكم الواقع ودليل آخر انه لوكان الاثنان لم يمتنع ان يكونوا ثلاثة وكذلك ويتسلسل الى ما لا نهاية له ودليل آخر ان الجزء الذى لا يتجزأ من المخترعات لا تتعلق به الاقدرة واحدة لا يصح فيها اشتراك والآخر كذلك دأبا فكل جزء انما يخترعه واحد وهذه نبذة شرحها بحسب التقصى يطول * وقوله سبحانه وان من شيء الايسبح بحمده الآية اختلف فى هذا التسبيح هل هو حقيقة اومجاز (ت) والصواب انه حقيقة ولولا خشية الاطالة لاتينا من الدلائل على ذلك بما يثلج له الصدر * وقوله سبحانه واذا قرأت القرءان جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالآخرة يعنى كفار مكة وحجابا مستورا يحتمل ان يريد به حماية نبيه منهم وقت قراءته وصلاته بالمسجد الحرام كما هو معلوم مشهور ويحتمل انه اراد انه جعل بين فهم الكفرة وبين فهم ما يقرأه صلى الله عليه وسلم حجابا فالآية على هذا التاويل فى معنى التى بعدها وقال الواحدي قوله تعالى واذا قرأت القرءان الآية نزلت فى قوم كانوا يوذون النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرءان فحجبه الله عن اعينهم عند قراءة القرءان حتى يكونوا يمرون به ولا يرونه * وقوله مستورا معناه ساترا انتهى والاكنة جمع كنان وهو ما غطى الشيء والوقر الثقل فى الاذن المانع من السمع وهذه كلها استعارات للاضلال الذى حفهم الله به * وقوله سبحانه نحن اعلم بما يستمعون به الآية هذا كما تقول فلان يستمع باعراض وتغافل واستخفاف وما بمعنى الذى قيل المراد بقوله واذ هم نجوى اجتماعهم فى دار

الندوة ثم انتشرت عنهم * وقوله سبحانه انظر كيف ضربوا لك الامثال الآية حكى الطبري انها نزلت فى الوليد بن المغيرة واصحابه * وقوله سبحانه فلا يستطيعون سبيلا اي الى افساد امرك واطفاء نورك وقولهم ائذا كنا عظاما ورفاتا الآية فى انكارهم البعث وهذا منهم تعجب وانكار واستبعاد والرفات من الاشياء مامر عليه الزمان حتى بلغ غاية البِلَى وقربه من حالة التراب وقال ابن عباس رفاتا غبارا وقال مجاهد ترابا * وقوله سبحانه قل كونوا حجارة اوحديدا الآية المعنى قل لهم يا محمد كونوا ان استطعتم هذه الاشياء الصعبة الممتنعة التأتى لا بد من بعثكم ثم احتج عليهم سبحانه فى الاعادة بالفطرة الاولى من حيث خلقهم واختراعهم من تراب * وقوله سبحانه فسينغضون معناه يرفعون ويخفضون يريد على جهة التكذيب والاستهزاء قال الزجاج وهو تحريك من يبطل الشيء ويستبطيه ومنه قول الشاعر

انغض نحوى رأسه واقنعا * كانما ابصر شيأ اطمعا

ويقال انغضت السن اذا تحركت قال الطبري وابن سلام عسى من الله واجبة فالمعنى هو قريب وفى ضمن اللفظ توعد * وقوله سبحانه يوم يدعوكم بدل من قوله قريبا ويظهر ان يكون المعنى هو يوم جوابا لقولهم متى هو ويريد يدعوكم من قبوركم بالنفخ فى الصور لقيام الساعة * وقوله فتستجيبون اي بالقيام والعودة والنهوض نحو الدعوة * وقوله بحمده قال ابن جبير ان جميع العالمين يقومون وهم يحمدون الله ويمجدونه لما يظهر لهم من قدرته (ص) ابو البقاء بحمده اي حامدين وقيل بحمده من قول الرسول اي وذلك بحمد الله على صدق خبرى ووقع فى لفظ (ع) حين قرر هذا المعنى عسى ان الساعة قريبة وهو تركيب لا يجوز لاتقول عسى ان زيدا قائم انتهى * وقوله سبحانه وتظنون ان لبثتم الا قليلا يحتمل معنيين احدهما انهم لما رجعوا الى

حالة الحياة وتصرف الاجساد وقع لهم ظن انهم لم ينفصلوا عن حال الدنيا الا قليلا لمغيب علم مقدار الزمان عنهم اذ من فى الآخرة لايقدر زمن الدنيا اذهم لامحالة اشد مفارقة لها من النائمين وعلى هذا التاويل عول الطبري والآخر ان يكون الظن بمعنى اليقين فكانه قال يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتتيقنون انكم انما لبثتم قليلا من حيث هو منقض منحصر وحكى الطبري عن قتادة انهم لما رأوا هول يوم القيامة احتقروا الدنيا فظنوا انهم لبثوا فيها قليلا * وقوله سبحانه وقل لعبادى يقولوا التي هي احسن اختلف الناس فى التي هي احسن فقالت فرقة هي لا اله الا الله وعلى هذا فالعباد جميع الخلق وقال الجمهور التي هي احسن هي المحاورة الحسنة بحسب معنى معنى قال الحسن يقول يغفر الله لك يرحمك الله وقوله لعبادى خاص بالمومنين قالت فرقة امر الله المومنين فيما بينهم بحسن الادب وخفض الجناح والانة القول واطراح نزغات الشيطان ومعنى النزغ حركات الشيطان بسرعة ليوجب فسادا وعداوة الشيطان البينة هي من قصة ءادم عليه السلام فما بعد وقالت فرقة انما امر الله فى هذه الآية المومنين بالانة القول للمشركين بمكة ايام المهادنة ثم نسخت بآية السيف * وقوله سبحانه ربكم اعلم بكم يقوى هذا التاويل اذ هو مخاطبة لكفار مكة بدليل قوله وما ارسلناك عليهم وكيلا فكان الله عز وجل امر المومنين ان لا يخاشنوا الكفار فى الدين ثم قال للكفار انه اعلم بهم ورجاهم وخوفهم ومعنى يرحمكم بالتوبة عليكم من الكفر قاله ابن جريج وغيره * وقوله سبحانه وءاتينا داود زبورا قرأ الجمهور زبورا بفتح الزاي وهو فعول بمعنى مفعول وهو قليل لم يجئ الا فى قدوع وركوب وحلوب وقرأ حمزة بضم الزاي قال قتادة زبور داود مواعظ ودعاء وليس فيه حلال ولاحرام * وقوله سبحانه قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا

يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا هذه الآية ليست فى عبدة الاصنام وانما هي فى عبدة من يعقل كعيسى وامه وعزير وغيرهم قاله ابن عباس فلا يملكون كشف الضر ولا تحويله ثم اخبر تعالى ان هؤلاء المعبودين يطلبون التقرب الى الله والتزلف اليه وان هذه حقيقة حالهم * وقوله سبحانه ويرجون رحمته الآية قال عز الدين بن عبد السلام فى اختصاره لرعاية المحاسبي الخوف والرجاء وسيلتان الى فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات ولكن لابد من الاكباب على استحضار ذلك واستدامته فى اكثر الاوقات حتى يصير الثواب والعقاب نصب عينيه فيحثاه على فعل الطاعات وترك المخالفات ولن يحصل له ذلك الا بتفريغ القلب من كل شيء سوى ما يفكر فيه او يعينه على الفكر وقد مثل القلب المريض بالشهوات بالثوب المتسخ الذى لا تزول ادرانه الا بتكرير غسله وحته وقرضه انتهى وباقى الآية بين * وقوله سبحانه وان من قرية الا نحن مهلكوها الآية اخبر سبحانه فى هذه الآية انه ليس مدينة من المدن الاهي هالكة قبل يوم القيامة بالموت والفناء هذا مع السلامة واخذها جزأ جزأ او هي معذبة ماخوذة مرة واحدة * وقوله فى الكتاب يريد فى سابق القضاء وما خطه القلم فى اللوح المحفوظ والمسطور المكتوب اسطارا * وقوله سبحانه وما منعنا ان نرسل بالآيات الآية هذه العبارة فى منعنا هي على ظاهر ما تفهم العرب فسمى سبحانه سبق قضائه بتكذيب من كذب وتعذيبه منعا وسبب هذه الآية ان قريشا اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا ونحو هذا من الاقتراحات فاوحى الله الى نبيه عليه السلام ان شئت افعل لهم ذلك ثم ان لم يومنوا عاجلتهم بالعقوبة وان شئت استأنيت بهم عسى ان اجتبي منهم مومنين فقال عليه السلام بل استأني بهم يا رب فاخبر

سبحانــه في هذه الآية انــه لم يمنعه جل وعلا من ارســال الآيات المقترحــة الا الاستئناء اذ قد سلفت عادته سبحانـه بمعاجلة الامم الذين جاءتهم الآيات المقترحة فلم يومنوا كثمود وغيرهم قال الزجاج اخبر تعالى ان موعـد كفار هذه الامة الساعة بقوله سبحانــه بـل الساعة موعدهم فهذه الآيــة تنظر الى ذلك ومبصرة اي ذات ابصــار وهي عبـارة عن بيـان امر الناقــة ووضوح اعجازها ☆ وقوله فظلموا بها اي بعقرها وبالكفر في امرهــا ثم اخبر تعــالى انــه انمـا يرسل بالآيات غير المقترحة تخويفا للعباد وهي ءايات معها امهال فمن ذلك الكسوف والرعد والزلزلة وقوس قزح وغير ذلك وءايات الله المعتبر بها ثلاثــة اقسام فقسم عام في كل شيء اذ حيث ما وضعت نظرك وجـدت ءايــة وهنا فكرة للعلماء وقسم معتاد غالبا كالكسوف ونحوه وهنا فكرة الجهلة وقسم خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوءة وانمـا يعتبر بــه توهما لما سلف منــه ☆ وقوله سبحانه واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس هذه الآيــة اخبار للنبي صلى الله عليــه وسلم بانــه محفوظ من الكفرة ءامن اي فلتبلــغ رسـالة ربك ولا تتهيب احدا من المخلوقين قاله الطبري ونحوه للحسن والســدي ☆ وقوله سبحانــه ومـا جعلنـا الرؤيا التي اريناك الآيــة الجمهـور ان هــذه الرؤيا رؤيا عين ويقظة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لمـا كان صبيحــة الاســراء واخبر بمـا رأى في تلك الليلة من العجائب قال الكفـار ان هــذا لعجب واستبعدوا ذلك فافتتن بهذا قوم من ضعفة المسلمين فارتدوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليــه وسلم فنزلت هذه الآيــة فعلى هــذا يحسـن ان يكـون معنى قوله احاط بالناس في اضلالهم وهدايتهم اي فــلا تهتم يا محمــد بكفر من كفر وقال ابن عباس الرؤيا في هــذه الآيــة هي رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم انــه يدخل مكة فعجل في سنــة الحديبيــة فصــد فافتتن المسلمون

لذلك يعني بعضهم وليس بفتنة كفر * وقوله والشجرة الملعونة في القرءان معطوفة على قوله الرؤيا اي جعلنا الرؤيا والشجرة فتنة والشجرة الملعونة في قول الجمهور هي شجرة الزقوم وذلك ان امرها لما نزل في سورة والصافات قال ابو جهل وغيره هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر والنار تاكل الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر بالزبد ثم احضر تمرا وزبدا وقال لاصحابه تزقموا فافتتن ايضا بهذه المقالة بعض الضعفاء قال الطبري عن ابن عباس ان الشجرة الملعونة يريد الملعون اكلها لانها لم يجر لها ذكر قال (ع) ويصح ان يريد الملعونة هنا فاكد الامر بقوله في القرءان وقالت فرقة الملعونة اي المبعدة المكروهة وهذا قريب في المعنى من الذى قبله ولا شك ان ما ينبت في اصل الجحيم هو في نهاية البعد من رحمة الله سبحانه * وقوله سبحانه ونخوفهم يريد كفار مكة * وقوله ارأيتك هذا الذى كرمت علي الكاف في ارأيتك هي كاف خطاب ومبالغة في التنبيه لا موضع لها من الاعراب فهي زائدة ومعنى ارأيت اتأملت ونحوه كان المخاطب بها ينبه المخاطب ليستجمع لما ينصه بعد * وقوله لاحتنكن معناه لاميلن ولاجُرّن وهو ماخوذ من تحنيك الدابة وهو ان يشد على حنكها بحبل او غيره فتنقاد والسنة تحتنك المال اي تجترهُ وقال الطبري لاحتنكن معناه لاستأصلن وعن ابن عباس لاستولين وقال ابن زيد لاضلن قال (ع) وهذا بدل اللفظ لا تفسير * وقوله اذهب فمن تبعك منهم وما بعده من الاوامر هي صيغة افعل بمعنى التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم والموفور المكمل واستفزز معناه استخف واخدع * وقوله بصوتك قيل هو الغناء والمزامير والملاهي لانها اصوات كلها مختصة بالمعاصي فهي مضافة الى الشيطان قاله مجاهد وقيل بدعائك اياهم الى طاعتك قال ابن عباس صوته دعاء كل من دعا الى معصية الله والصواب ان يكون

الصوت يعم جميع ذلك * وقوله واجلب اي هول والجلبة الصوت الكثير المختلط الهائل * وقوله بخيلك ورجلك قيل هذا مجاز واستعارة بمعنى اسع سعيك وابلغ جهدك وقيل حقيقة وان له خيلا ورجلا من الجن قاله قتادة وقيل المراد فرسان الناس ورجالتهم المتصرفون فى الباطل فانهم كلهم اعوان لابليس على غيرهم قاله مجاهد * وشاركهم فى الاموال والاولاد عام لكل معصية يصنعها الناس بالمال ولكل ما يصنع فى امر الذرية من المعاصى كالايلاد بالزنا وكتسميتهم عبد شمس وابا الكويفر وعبد الحارث وكل اسم مكروه ومن ذلك وأد البنات ومن ذلك صبغهم فى اديان الكفر وغير هذا وما ادخله النقاش من وطء الجن وانه يحبل المرأة من الانس فضعيف كله (ت) اما ما ذكره من الحبل فلا شك فى ضعفه وفساد قول ناقله ولم ار فى ذلك حديثا لاصحيحا ولا سقيما ولو امكن ان يكون الحبل من الجن كما زعم ناقله لكان ذلك شبهة يدرأ بها الحد عن من ظهر بها حبل من النساء اللواتى لا ازواج لهن لاحتمال ان يكون حبلها من الجن كما زعم هذا القائل وهو باطل واما ما ذكره من الوطء فقد قيل ذلك وظواهر الاحاديث تدل عليه وقد خرج البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنساءي وابن ماجه عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان ابدا فظاهر قوله عليه السلام اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا يقتضى ان لهذا اللعين مشاركة ما فى هذا الشأن وقد سمعت من شيخنا ابى الحسن علي بن عثمان الزواوي المانجلاتي سيد علماء بجاية فى وقته قال حدثنى بعض الناس ممن يوثق به يخبر عن زوجته انها تجد هذا الامر قال المخبر واصغيت الى ما اخبرت به الزوجة

فسمعت حس ذلك الشيء والله اعلم * وقوله سبحانه ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر ازجاء الفلك سوقه بالريح اللينة والمجاذيف ولتبتغوا من فضله لفظ يعم التجر وغيره وهذه الآية المباركة توقيف على ءالاء الله وفضله ورحمته بعباده والضر هنا لفظ يعم الغرق وغيره واهوال حالات البحر واضطرابه وتموجه وضل معناه تلف وفقد * وقوله اعرضتم اي فلم تفكروا فى جميل صنع الله بكم * وقوله كفورا اي بالنعم والانسان هنا الجنس والحاصب العارض الرامى بالبرد والحجارة ومنه الحاصب الذى اصاب قوم لوط والحصب الرمي بالحصباء والقاصف الذى يكسر كل ما يلقى ويقصفه وتارة معناه مرة اخرى والتبيع الذى يطلب ثارا اودينا ومن هذه اللفظة قوله صلى الله عليه وسلم اذا أتبع احدكم على ملي فليتبع فالمعنى لاتجدون من يتتبع فعلنا بكم ويطلب نصرتكم وهذه لآيات انوارها واضحة للمهتدين * وقوله جلت عظمته ولقد كرمنا بنى ءادم الآية عدد الله سبحانه على بنى ءادم ما خصهم به من المزايا من بين سائر الحيوان ومن افضل ما اكرم به الآدمي العقل الذى به يعرف الله تعالى ويفهم كلامه ويوصل الى نعيمه * وقوله سبحانه على كثير ممن خلقنا المراد بالكثير المفضول الحيوان والجن واما الملائكة فهم الخارجون عن الكثير المفضول وليس فى الآية ما يقتضى أن الملائكة افضل من الانس كما زعمت فرقة بل الامر محتمل ان يكونوا افضل من الانس ويحتمل التساوى * وقوله سبحانه يوم ندعوا كل اناس بامامهم يحتمل ان يريد باسم امامهم فيقول يا امة محمد ويا اتباع فرعون ونحو هذا ويحتمل ان يريد مع امامهم ان تجيء كل امة معها امامها من هاد ومضل واختلف فى الامام فقال ابن عباس والحسن كتابهم الذى فيه اعمالهم وقال قتادة ومجاهد نبيهم وقال ابن زيد كتابهم الذى نزل عليهم وقالت فرقة متبعهم من هاد

او مضل ولفظة الامام تعم هذا كله * وقوله سبحانه فمن اوتي كتابه بيمينه حقيقة فى ان فى القيامة صحائف تتطاير وتوضع فى الايمان لاهل الايمان وفى الشمائل لاهل الكفر والخذلان وتوضع فى ايمان المذنبين الذين ينفذ عليهم الوعيد فيستفيدون منها انهم غير مخلدين فى النار * وقوله سبحانه يقرءون كتابهم عبارة عن السرور بها اي يرددونها ويتأملونها * وقوله سبحانه ولا يظلمون فتيلا اي ولا اقل وقوله سبحانه ومن كان فى هذه اعمى قال ابن عباس ومجاهد وقتاده وابن زيد الاشاره بهذه الى الدنيا اي من كان فى هذه الدار اعمى عن النظر فى ءايات الله وعبره والايمان بانبيائه فهو فى الآخرة اعمى على معنى انه حيران لا يتوجه لصواب ولا يلوح له نجح قال مجاهد فهو فى الآخرة اعمى عن حجته ويحتمل ان يكون صفة تفضيل اي اشد عمى وحيرة لانه قد باشر الخيبة ورأى مخايل العذاب ويقوى هذا التاويل قوله عطفا عليه واضل سبيلا الذى هو افعل من كذا والعمى فى هذه الآية هو عمى القلب وقول سيبويه لا يقال اعمى من كذا انما هو فى عمى العين الذى لا تفاضل فيه واما فى عمى القلب فيقال ذلك لانه يقع فيه التفاضل (ت) وكذا قال (ص) وقوله سبحانه وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفتري علينا غيره الآية الضمير فى قوله كادوا هو لقريش وقيل لثقيف فاما لقريش فقال ابن جبير ومجاهد نزلت الآية لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندعك تستلم الحجر الاسود حتى تمس ايضا اوثاننا على معنى التشرع وقال ابن اسحاق وغيره انهم اجتمعوا اليه ليلة فعظموه وقالوا له انت سيدنا ولكن اقبل على بعض امرنا ونقبل على بعض امرك فنزلت الآية فى ذلك قال (ع) فهي فى معنى قوله ودوا لو تدهن فيدهنون واما لثقيف فقال ابن عباس وغيره لانهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوخرهم بعد اسلامهم سنة يعبدون فيها اللات

وقالوا انما نريد ان ناخذ ما يهدى لها ولكن ان خفت ان تنكر ذلك عليك العرب فقل اوحى الله ذلك الي فنزلت الآية فى ذلك (ت) والله اعلم بصحة هذه التاويلات وقد تقدم ما يجب اعتقاده فى حق النبي صلى الله عليه وسلم فالتزمه تفلح * وقوله واذا لاتخذوك خليلا توقيف على ما نجاه الله منه من مخالة الكفار والولاية لهم * وقوله سبحانه ولولا ان ثبتناك الآية تعديد نعمة على النبي صلى الله عليه وسلم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال اللهم لاتكلني الى نفسى طرفة عين وقرأ الجمهور تركن بفتح الكاف والنبي صلى الله عليه وسلم لم يركن لكنه كاد بحسب همه بموافقتهم طمعا منه فى استيلافهم وذهب ابن الانباري الى ان معنى الآية لقد كادوا ان يخبروا عنك انك ركنت ونحو هذا ذهب فى ذلك الى نفي الهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فحمل اللفظ ما لا يحتمل وقوله شيأ قليلا يبطل ذلك (ت) وجزى الله ابن الانباري خيرا وان تنزيه سائر الانبياء لواجب فكيف بسيد ولد ءادم صلى الله عليه وعليهم اجمعين قال ابو الفضل عياض فى الشفا قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى نبينا عليه السلام قبل وقوع ما يوجب العتاب ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان يركن اليه وفى اثناء عتبه براءته وفى طي تخويفه تامينه قال عياض رحمه الله ويجب على المومن المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب بآداب القرءان فى قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية انتهى قال (ع) وهذا الهم من النبي صلى الله عليه وسلم انما كان خطرة مما لايمكن دفعه ولذلك قيل كدت وهي تعطى انه لم يقع ركون ثم قيل شيأ

قليلا اذكانت المقاربة التى تضمنتها كدت قليلة خطرة لم تتأكد فى النفس * وقوله اذا لاذقناك الآية يبطل ايضا ما ذهب اليه ابن الانباري (ت) وما ذكره (ع) رحمه الله تعالى من البطلان لايصح وما قدمناه عن عياض حسن فتأمله * وقوله ضعف الحيوة قال ابن عباس وغيره يريد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات * وقوله سبحانه وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها الآية قال الحضرمي الضمير فى كادوا ليهود المدينة وناحيتها ذهبوا الى المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له ان هذه الارض ليست بارض الانبياء فان كنت نبيا فاخرج الى الشام فانها ارض الانبياء فنزلت الآية واخبر سبحانه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو خرج لم يلبثوا بعده الاقليلا وقالت فرقة الضمير لقريش قال ابن عباس وقد وقع استفزازهم واخراجهم له فلم يلبثوا خلفه الا قليلا يوم بدر وقال مجاهد ذهبت قريش الى هذا ولكنه لم يقع منها لانه لما اراد الله سبحانه استبقاء قريش وان لا يستأصلها اذن لرسوله فى الهجرة فخرج من الارض باذن الله لا بقهر قريش واستبقيت قريش ليسلم منها ومن اعقابها من اسلم (ت) قال (ص) قوله لا يلبثون جواب قسم محذوف اي والله ان استفززت فخرجت لا يلبثون خلفك الا قليلا انتهى * وقوله سبحانه سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا الآية معنى الآية الاخبار ان سنة الله تعالى فى الامم الخالية وعادته انها اذا اخرجت نبيها من بين اظهرها نالها العذاب واستأصلها فلم تلبث خلفه الا قليلا * وقوله سبحانه اقم الصلوة لدلوك الشمس الآية اجماع المفسرين على ان الاشارة هنا الى الصلوات المفروضة والجمهور ان دلوك الشمس زوالها والاشارة الى الظهر والعصر وغسق الليل اشير به الى المغرب والعشاء وقرءان الفجر يريد به صلاة الصبح فالآية تعم جميع الصلوات والدلوك فى اللغة هو الميل فاول الدلوك هو الزوال وءاخره هو

الغروب قال ابو حيان واللام فى لدلوك الشمس للظرفية بمعنى بعد انتهى وغسق الليل اجتماعه وتكاثف ظلمته وعبر عن صلاة الصبح خاصة بالقرءان لان القرءان هو عظمها اذ قراءتها طويلة مجهور بها * وقوله سبحانه ان قرءان الفجركان مشهودا معناه يشهده حفظة النهار وحفظة الليل من الملائكة حسبما ورد فى الحديث الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر الحديث بطوله وفى مسند البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان افضل الصلوات صلاة الصبح يوم الجمعة فى جماعة وما احسب شاهدها منكم الا مغفورا له انتهى من الكوكب الدري * ومن الليل فتهجد به من للتبعيض التقدير ووقتا من الليل اي قم وقتا والضمير فى به عائد على هذا المقدر ويحتمل ان يعود على القرءان وتهجد معناه اطرح الهجود عنك والهجود النوم المعنى ووقتا من الليل اسهر به فى صلاة وقراءة وقال علقمة وغيره التهجد بعد نومة وقال الحجاج بن عمرو انما التهجد بعد رقدة وقال الحسن التهجد ما كان بعد العشاء الآخرة * وقوله نافلة لك قال ابن عباس معناه زيادة لك فى الفرض قال وكان قيام الليل فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد انما هي نافلة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه مغفور له والناس يحطون بمثل ذلك خطاياهم يعني ويجبرون بها فرائضهم حسبما ورد فى الحديث قال صاحب المدخل وهو ابو عبد الله بن الحاج وقد قالوا ان من كان يتفلت منه القرءان فليقم به فى الليل فان ذلك يثبته له ببركة امتثال السنة سيما الثلث الاخير من الليل لما ورد فى ذلك من البركات والخيرات وفى قيام الليل من الفوائد جملة فلا ينبغى لطالب العلم ان يفوته منها شيء فمنها انه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة الثانى انه ينور القلب الثالث انه يحسن الوجه الرابع انه يذهب الكسل وينشط البدن

الخامس ان موضعه تراه الملائكة من السماء كما يتراءى الكوكب الدري لنا فى السماء وقد روى الترمذي عن ابى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه من دأب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله تعالى ومنهاة عن الآثام وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد وروى ابو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام بعشر ءايات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة ءاية كتب من القانتين ومن قام بالف ءاية كتب من المقنطرين انتهى من المدخل * وقوله سبحانه عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا عدة من الله عز وجل لنبيه وهو امر الشفاعة الذى يتدافعه الانبياء حتى ينتهي اليه صلى الله عليه وسلم والحديث بطوله فى البخاري ومسلم قال ابن العربي فى احكامه واختلف فى وجه كون قيام الليل سببا للمقام المحمود على قولين للعلماء احدهما ان البارى تعالى يجعل ما يشاء من فضله سببا لفضله من غير معرفة لنا بوجه الحكمة الثانى ان قيام الليل فيه الخلوة بالبارى تعالى والمناجات معه دون الناس فيعطى الخلوة به ومناجاته فى القيامة فيكون مقاما محمودا ويتفاضل فيه الخلق بحسب درجاتهم واجلهم فيه درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيعطى من المحامد ما لم يعط احد ويشفع فيشفع انتهى * وقوله سبحانه وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق الآية ظاهر الآية والاحسن ان يكون دعا عليه السلام فى ان يحسن الله حالته فى كل ما يتناول من الامور ويحاول من الاسفار والاعمال وينتظر من تصرف المقادير فى الموت والحياة فهي على اتم عموم معناه رب اصلح لى وردى فى كل الامور وصدرى وذهب المفسرون الى تخصيص اللفظ فقال ابن عباس وغيره ادخلنى المدينة واخرجنى من مكة وقال ابن عباس ايضا الادخال بالموت فى القبر والاخراج البعث

وقيل غير هذا ومـا قدمت من العموم التـام الذى يتناول هـذا كله اصوب والصدق هنا صفة تقتضى رفع المذام واستيعاب المدح * واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا قال مجاهد يعنى حجة تنصرنى بها على الكفار * وقوله سبحانــه وقل جاء الحق الآية قال قتادة الحق القرءان والباطل الشيطان وقالت فرقة الحق الايمان والباطل الكفران وقيل غير هذا والصواب تعميم اللفظ بالغايـة الممكنة فيكون التفسير جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه وزهق الكفر بجميع ما انطوى فيه وهذه الآية نزلت بمكة وكان يستشهد بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقت طعنه الاصنام وسقوطها لطعنه اياهـا بالمخصرة * وقوله سبحانـه وننزل من القرءان ما هو شفاء الآية اي شفاء بحسب ازالته للريب وكشفه غطاء القلب وشفاء ايضا من الامراض بالرقى والتعويذ ونحوه * وقوله سبحانـه واذا انعمنا على الانسان اعرض ونئا بجانبه يحتمل ان يكون الانسان عاما للجنس فالكافر يبالغ فى الاعراض والعاصى ياخذ بحظ منه ونئا اي بعد * قل كل يعمل على شاكلته اي على ما يليق به قال ابن عباس على شاكلته معناه على ناحيته وقال قتادة معناه على ناحيته وعلى ما ينوى * وقوله سبحانه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا توعد بـين * وقوله سبحانـه ويسئلونـك عن الروح روى ابن مسعود ان اليهود قال بعضهم لبعض سلوا محمدا عن الروح فان اجاب فيـه عرفتم انه ليس بنبي قال (ع) وذلك انه كان عندهم فى التوراة ان الروح مما انفرد الله بعلمه ولا يطلع عليه احد من عباده فسألوه فنزلت الآية وقيل ان الآية مكية والسائلون هم قريش باشارة اليهود واختلف الناس فى الروح المسئول عنـه اي روح هو فقال الجمهور وقع السؤال عن الارواح التى فى الاشخاص الحيوانيـة مـا هي فالروح اسم جنس على هذا وهذا هو الصواب وهو المشكل الذى لا تفسير له * وقوله سبحانــه من امر ربى يحتمل ان يريد ان الروح من جملة امور الله التى

استأثر سبحانه بعلمها وهي اضافة خلق الى خالق قال ابن راشد فى مرقبته اخبرنى شيخى شهاب الدين القرافي عن ابن دقيق العيد انه رأى كتابا لبعض الحكماء فى حقيقة النفس وفيه ثلاثمائة قول قال رحمه الله وكثرة الخلاف توذن بكثرة الجهالات ثم علماء الاسلام اختلفوا فى جواز الخوض فيها على قولين ولكل حجج يطول بنا سردها ثم القائلون بالجواز اختلفوا هل هي عرض او جوهر او ليست بجوهر ولا عرض ولا توصف بانها داخل الجسم ولا خارجه واليه ميل الامام ابى حامد وغيره والذى عليه المحققون من المتأخرين انها جسم نوراني شفاف سار فى الجسم سريان النار فى الفحم والدليل على انها فى الجسم قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم فلو لم تكن فى الجسم لما قال ذلك وقدا خبرنى الفقيه الخطيب ابومحمد البرجينيى رحمه الله عن الشيخ الصالح ابى الطاهر الركراكي رحمه الله قال حضرت عند ولي من الاولياء حين النزع فشاهدت نفسه قد خرجت من مواضع من جسده ثم تشكلت على رأسه بشكله وصورته ثم صعدت الى السماء وصعدت نفسى معها فلما انتهينا الى السماء الدنيا شاهدت بابا ورجل ملك ممدودة عليه فازال ذلك الملك رجله وقال لنفس ذلك الولي اصعدى فصعدت فارادت نفسى ان تصعد معها فقال لها ارجعى فقد بقي لك وقت قال فرجعت فشاهدت الناس دائرين على جسمي وقائل يقول مات وءاخر يقول لم يمت فدخلت من انفى او قال من عينى وقمت انتهى (ت) وهذه الحكاية صحيحة ورجال اسنادها ثقات معروفون بالفضل فابن راشد هو شارح ابن الحاجب الفرعي والبرجيني معروف عند اهل افريقية وابو الطاهر من اكابر الاولياء معظم عند اهل تونس مزاره وقبره بالزلاج معروف زرته رحمه الله وقرأ الجمهور وما او تيتم واختلف فيمن خوطب بذلك فقالت فرقة السائلون فقط وقالت

فرقة العالم كله وقد نص على ذلك صلى الله عليه وسلم على ما حكاه الطبري * وقوله ولئن شئنا لنذهبن الآية المعنى وما او تيتم انت يا محمد وجميع الخلائق من العلم الا قليلا فالله يعلم من علمه بما شاء ويدع ما شاء ولو شاء لذهب بالوحي الذى ءاتاك * وقوله الا رحمة استثناء منقطع اي لكن رحمة من ربك تمسك عليك قال الداودي وما روي عن ابن مسعود من انه سينزع القرءان من الصدور وترفع المصاحف لا يصح وانما قال سبحانه ولئن شئنا فلم يشأ سبحانه وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون قال البخاري وهم اهل العلم ولا يكون العلم مع فقد القرءان انتهى كلام الداودي وهو حسن جدا وقد جاء فى الصحيح ما هو ابين من هذا وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينتزع العلم انتزاعا ولكن يقبض العلم بقبض العلماء الحديث * وقوله سبحانه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرءان الآية سبب هذه الآية ان جماعة من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو جئتنا بءاية غريبة غير هذا القرءان فانا نقدر نحن على المجيء بمثله فنزلت هذه الآية المصرحة بالتعجيز لجميع الخلائق قال (ص) واللام فى لئن اجتمعت اللام الموطئة للقسم وهي الداخلة على الشرط كقوله لئن اخرجوا ولئن قوتلوا والجواب بعد للقسم لتقدمه اذا لم يسبق ذو خبره لا للشرط هذا مذهب البصريين خلافا للفراء فى اجازته الامرين الا ان الاكثر ان يجيء جواب قسم والظهير المعين قال (ع) وفهمت العرب الفصحاء بخلوص فهمها فى ميز الكلام ودربتها به ما لا نفهمه نحن ولا كل من خالطته حضارة ففهموا العجز عنه ضرورة ومشاهدة وعلمه الناس بعدهم استدلالا ونظرا ولكل حصل علم قطعي لكن ليس فى مرتبة واحدة * وقوله سبحانه وقالوا لن نومن

لـك حتى تفجر لنـا من الارض ينبوعا الآيـة روي في قول هذه المقـالة للنبي صلى الله عليه وسلم حديث طويل مقتضاه ان عتبـة وشيبة ابني ربيعة وعبد الله بن ابي اميـة والنضر بن الحـارث وغـيرهم من مشيخـة قريش وساداتهـا اجتمعوا عليه فعرضوا عليه ان يملكوه ان اراد الملـك او يجمعوا له كثيرا من المـال ان اراد الغنى ونحو هـذا مـن الاقاويـل فدعاهم صلى الله عليـه وسلم عند ذلك الى الله وقال انما جئتكم بامر من الله فيـه صلاح دنياكم ودينـكم فان اطعتم فحسن والاصبرت حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا له حينئـذ فان كان مـا تزعم حقا ففجر لنـا من الارض ينبوعا الحديث بطوله والينبوع الماء النـابع وخلالها ظرف ومعناه اثناءها وفي داخلها * وقوله كما زعمت اشارة الى ماتلا عليهم قبل ذلك في قوله سبحانـه ان نشـأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء الآية والكسف الشيء المقطوع وقال الزجاج المعنى او تسقط السماء علينا طبقا * وقوله قبيلا قيل معناه مقابلة وعيانا وقيل معناه ضامنا وزعيما بتصديقك ومنـه القبالة وهي الضمان وقيل معناه نوعا وجنسا لا نظير له عندنا * او يكون لـك بيت من زخرف قال المفسرون الزخرف الذهب في هذا الموضع * او ترقى في السماء اي في الهواء علوا ويحتمـل ان يريـد السماء المعروفـة وهو اظهر (ت) وذكر (ع) هنـا كلمات الواجب طرحهـا ولهذا اعرضت عنها وترقى معناه تصعد ويروى ان قائـل هذه المقالة هو عبد الله بن ابي اميـة ويروى ان جماعتهم طلبت هذا النحو منـه فامره عز وجل ان يقول سبحان ربي اي تنزيها له من الاتيان اليكم مع الملائكة قبيلا ومن اقتراحي انا عليه هذه الاشيـاء وهل انا الابشر انمـا علي البلاغ المبين فقط * وقوله مطمئـنـين اي وادعين فيها مقيمين * وقـوله سبحانـه قـل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم روي ان من تقدم الآن ذكرهم من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم في اخر قولهم

فلتجئ معك بطائفـة من الملائكة تشهد لك بصدقك فى نبوءتك وروي انهم قالوا فمن يشهد لك ففي ذلك نزلت الآية اي الله يشهد بيني وبينكم ثم اخبر سبحانه انه يحشرهم على الوجوه حقيقـة وفى هذا المعنى حديث قيل يارسول الله كيف يمشي الكافر على وجهه قال اليس الذى امشاه فى الدنيا على رجلين قادرا على ان يمشيه فى الآخرة على وجهه قال قتادة بلى وعزة ربنا (ت) وهذا الحديث قد خرجه الترمذي من طريق ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامـة على ثلاثـة اصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم الحديث * وقوله كلما خبت اي كلما فرغت من احراقهم فسكن اللهيب القائم عليهم قـدر مـا يعادون ثم يثـور فتلك زيادة السعير قاله ابن عباس قال (ع) فالزيادة فى حيزهم واما جهنم فعلى حالها من الشدة لافتور وخبت النار معناه سكن اللهيب والجمـر على حاله وخمدت معناه سكن الجمـر وضعف وهمـدت معناه طفئت جملة * وقوله سبحانـه ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بـٴاياتنا الآية الاشـارة بذلـك الى الوعيد المتقدم بجهنم * قوله عز وجل اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض الآية الرؤية فى هذه الآية هي رؤية القلب وهذه الآية احتجاج عليهم فيما استبعدوه من البعث والاجـل هاهنا يحتمل ان يريد به القيامة ويحتمل ان يريد اجل الموت * وقوله سبحانه قل لوانتم تملكـون خزائن رحمة ربي الآيـة الرحمـة فى هـذه الآيـة المـال والنعم التى تصرف فى الارزاق * وقوله خشيـة الانفاق المعنى خشيـة عاقبة الانفاق وهو الفقر وقال بعض اللغويين انفـق الرجل معناه افتـقر كما تقول اترب واقتر * وقـوله وكان الانسـان قتورا اي ممسكا يريـد ان فى طبعـه ومنتهى نظره ان الاشياء تتناهى وتفنى فهو لو ملك خزائن رحمة الله لامسك خشيـة الفـقر وكذلك يظن ان قدرة الله تقف دون البعث والامر ليس

كذلك بل قدرته لاتتناهى * وقوله سبحانه ولقد آتينا موسى تسع ايات بينات الآية اتفق المتأولون والرواة ان الآيات الخمس التى فى سورة الاعراف هي من هذه التسع وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم واختلفوا فى الاربع (ت) وفى هذا الاتفاق نظر وروى فى هذا صفوان بن عسال ان يهوديا من يهود المدينة قال لآخر سر بنا الى هذا النبي نسأله عن آيات موسى فقال له الآخر لاتقل له انه نبي فانه لو سمعها صار له اربعة اعين قال فسارا الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال هي لاتشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تمشوا ببريء الى السلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة معشر اليهود ان لاتعدوا فى السبت انتهى وقد ذكر (ع) هذا الحديث * وقوله سبحانه فسأل بنى اسرايل اذ جاءهم اي اذ جاءهم موسى واختلف فى قوله مسحورا فقالت فرقة هو مفعول على بابه وقال الطبري هو بمعنى ساحر كما قال حجابا مستورا وقرأ الجمهور لقد علمت وقرأ الكساءي لقد علمت بتاء المتكلم مضمومة وهي قراءة علي بن ابى طالب وغيره وقال ما علم عدو الله قط وانما علم موسى والاشارة بهؤلاء الى التسع * وقوله بصائر جمع بصيرة وهي الطريقة اي طرائق يهتدى بها والمثبور المهلك قاله مجاهد * فاراد ان يستفزهم من الارض اي يستخفهم ويقتلهم والارض هنا ارض مصر ومتى ذكرت الارض عموما فانما يراد بها ما يناسب القصة المتكلم فيها واقتضبت هذه الآية قصص بنى اسرايل مع فرعون وانما ذكرت عظم الامر وخطيره وذلك طرفاه اراد فرعون غلبتهم وقتلهم وهذا كان بدء الامر فاغرقه الله وجنوده وهذا كان نهاية الامر ثم ذكر سبحانه امر بنى اسرايل بعد اغراق فرعون بسكنى ارض الشام ووعد الآخرة هو

يوم القيامـة واللفيف الجمع المختلط الذى قد لف بعضـه الى بعض * وقوله سبحانـه وبالحق انزلناه يعنى القرءان نزل بالمصالح والسداد للناس وبالحق نزل يريـد بالحق فى اوامره ونواهيـه واخباره وقرأ جمهور الناس فرقنـاه بتخفيف الراء ومعناه بينـاه واوضحنـاه وجعلنـاه فرقانا وقرأ جماعة خارج السبع فرقناه بتشديد الراء اي انزلنـاه شيأ بعد شيء لاجملة واحدة ويتنـاسق هذا المعنى مع قوله لتقرأه على الناس على مكث وتأولت فرقة قوله على مكث اي على ترسل فى التلاوة وترتل هذا قول مجاهد وابن عباس وابن جريج وابن زيد والتاويل الآخر اي على مكث وتطاول فى المدة شيأ بعد شيء * وقوله سبحانـه قل آمنوا به او لاتومنوا فيه تحقير للكفار وضرب من التوعد والذين اوتوا العلم من قبله قالت فرقة هم مومنو اهل الكتاب والاذقان اسافل الوجوه حيث يجتمع اللحيان قال الواحدي ان كان وعد ربنا اي بانزال القرءان وبعث محمد لمفعولا انتهى * وقوله سبحانه ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا هذه مبالغة فى صفتهم ومدح لهم وحض لكل من توسم بالعلم وحصل منـه شيأ ان يجري الى هذه الرتبة النفيسة وحكى الطبري عن التميمي ان من اوتي من العلم مالم يبكه لخليق ان لا يكون اوتي علما ينفعـه لان الله سبحانـه نعت العلماء ثم تلا هذه الآيـة كلها (ت) وانه والله لكذلك وانما يخشى الله من عباده العلماء اللهم انفعنـا بما علمتنا ولا تجعله علينـا حجة بفضلك ونقل الغزالي عن ابن عباس انـه قال اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبـك عين احدكم فليبك قلبه قال الغزالي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافيـة فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلـك من اعظم المصائب قال الغزالي واعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بعظمـة الله تعالى ومن رزق ذلك فانـه يكون خاشعـا فى الصلاة وغيرهـا

فان موجب الخشوع استشمار عظمة الله ومعرفـة اطلاعـه على العبـد ومعرفـة تـقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ثم قال وقد دلت الاخبـار على ان الاصـل فى الصلاة الخشوع وحضور القلب وان مجـرد الحركات مع الغفلة قليـل الجدوى فى المعاد قال واعلم ان المعاني التى بهـا تـتم حياة الصلاة تجمعهـا ست جمل وهي حضور القلب والتـفهم والتعظيم والهيبـة والرجاء والحياء فحضور القلب ان يفرغـه من غير مـا هو مـلابس له والتـفهم امر زائـد على الحضور واما التعظيم فهو امر وراء الحضور والفهم واما الهيبـة فامر زائـد على التعظيم وهي عبارة عن خوف منشأه التعظيم واما التعظيم فهو حالة للقلب تـتولد من معرفتـين احداهما معرفـة جلال الله سبحانـه وعظمتـه والثانيـة معرفـة حقارة النـفس واعلم ان حضور القلب سببـه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما اهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شـاء ام ابى والقلب اذا لم يحضر فى الصـلاة لم يكـن متعطلا بـل يكون حاضرا فيما الهمة مصروفـة اليـه انتهى من الاحيـاء * وقوله سبحانه قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن الآيـة سبب نزول هذه الآيـة ان بعض المشركين سمع النبي صلى الله عليـه وسلم يدعو يا الله يا رحمن فـقالوا كان محمد يامرنا بدعاء اله واحد وهو يدعو الهين قاله ابن عباس فـنزلت الآيـة مبينة انها اسماء لمسمى واحد وتـقـدير الآيـة اي الاسـماء تدعو بـه فانت مصيب فله الاسماء الحسنى وفى صحيـح البخاري بسنده عن ابن عباس فى قوله سبحانـه ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بهـا قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة كان اذا صلى باصحابه رفع صوتـه بالقرءان فاذا سمعه المشركون سبوا القرءان ومن انزله ومن جـاء بـه فـقال الله تبارك وتعالى لنبيـه صلى الله عليـه وسلم ولا تجهر بصلاتك اي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرءان ولا تخافت بهـا عن اصحابك فـلا

تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا واسند البخاري عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت انزل ذلك فى الدعاء انتهى قال الغزالي فى الاحياء وقد جاءت احاديث تقتضي استحباب السر بالقرءان واحاديث تقتضي استحباب الجهر به والجمع بينهما ان يقال ان التالي اذا خاف على نفسه الرياء والتصنع او تشويش مصل فالسر افضل وان امن ذلك فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته ايضا تتعدى الى غيره والخير المتعدى افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارئ ويجمع همته الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ويطرد عنه النوم برفع صوته ولانه يزيد فى نشاطه فى القراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون سببا فى اعانته على الخير ويسمعه بطال غافل فينشط بسببه ويشتاق لخدمة خالقه فمهما حضرت نية من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات يزكو عمل الابرار وتتضاعف اجورهم انتهى ☆ وقوله سبحانه ولم يكن له ولي من الذل هذه الآية رادة على كفرة العرب فى قولهم لولا اولياء الله لذل تعالى الله عن قولهم وقيد سبحانه نفي الولاية له بطريق الذل وعلى جهة الانتصار اذ ولايته سبحانه موجودة بفضله ورحمته لمن والى من صالح عباده قال مجاهد المعنى لم يخالف احدا ولا ابتغى نصر احد سبحانه لا اله الا هو وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الكهف

هذه السورة مكية فى قول جميع المفسرين وروي عن قتادة ان اول السورة نزل بالمدينة الى قوله جرزا والاول اصح وهي من افضل سور القرءان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بسورة عظمها ما بين السموات والارض ولمن جاء بها من الاجر مثل ذلك قالوا اي سورة هي يا رسول الله قال سورة الكهف من قرأ بها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام وفى رواية انس من قرأ بها اعطي نورا بين السماء والارض ووقي بها فتنة القبر (ت) وعن البراء بن عازب قال كان رجل يقرأ سورة الكهف والى جانبه فرس مربوط بشطَنين فغشيته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال تلك السكينة نزلت بالقرءان رواه البخاري واللفظ له ومسلم والترمذي والنساءي والرجل المبهم فى الحديث هو اسيد بن حضير وفى الحديث الصحيح من طريق النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن ادرك الدجال منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف وذكر الحديث رواه مسلم وغيره زاد ابو داود فانها جِوارُكم من فتنته وعن ابى الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ عشر ءايات من اول سورة الكهف عصم من الدجال رواه مسلم وابو داود والترمذي والنساءي واللفظ لمسلم وفى رواية لمسلم وابى داود من ءاخر الكهف وعن ابى سعيد

الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الكهف كما انزلت كانت له نورا من مقامه الى مكة ومن قرأ بعشر ءايات من ءاخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه رواه الترمذي والحاكم فى المستدرك والنساءي وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وله فى رواية من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة اضاء له من النور ما بين الجمعتين وقال صحيح الاسناد واخرجه الدارمي فى مسنده موقوفا ورواته متفق على الاحتجاج بهم الا اباهاشم يحي ابن دينار الرماني وقد وثقه احمد ويحي وابو زرعة وابو حاتم انتهى من السلاح * قوله تعالى الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب كان حفص عن عاصم يسكت عند قوله عوجا سكتة خفيفة وعند مرقدنا فى يس وسبب هذه البداءة فى هذه السورة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سألته قريش عن المسائل الثلاث الروح واصحاب الكهف وذى القرنين حسب ما امرتهم به يهود قال لهم صلى الله عليه وسلم غدا اخبركم بجواب ما سألتم ولم يقل ان شاء الله فعاتبه الله عز وجل وامسك عنه الوحي خمسة عشر يوما وارجف به كفار قريش وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ منه فلما انقضى الامد الذى اراد الله عتاب نبيه جاءه الوحي بجواب ما سألوه عنه وغير ذلك فافتتح الوحي بالحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب وهو القرءان * وقوله ولم يجعل له عوجا اي لم ينزله عن طريق الاستقامة والعوجُ فقد الاستقامة ومعنى قيما اي مستقيما قاله ابن عباس وغيره وقيل معناه انه قيم على سائر الكتب بتصديقها ولم يرتضه (ع) قال ويصح ان يكون معنى قيم قيامه بامر الله على العالم وهذا معنى يؤيده ما بعده من النذارة والبشارة اللتين عمتا العالم والبأس الشديد عذاب الآخرة ويحتمل ان يندرج معه فى النذارة عذاب الدنيا ببدر وغيرها ومن لدنه اي من عنده والمعنى لينذر العالم والاجر

الحسن نعيم الجنة ويتقدمه خير الدنيا * وقوله تعالى ان يقولون الاكذبا
اي ما يقولون فهي النافية * وقوله سبحانه فلعلك باخع نفسك هذه
ءاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والباخع نفسه هو مهلكها قال (ص)
لعل للترجي فى المحبوب وللاشفاق فى المحذور وهي هنا للاشفاق انتهى *
وقوله على ءاثارهم استعارة فصيحة من حيث لهم ادبار وتباعد عن الايمان
فكانهم من فرط ادبارهم قد بعدوا فهو فى ءاثارهم يحزن عليهم * وقوله بهذا
الحديث اي بالقرءان والاسف المبالغة فى حزن او غضب وهو فى هذا الموضع
الحزن لانه على من لايملك ولا هو تحت يد الآسف ولوكان الاسف من
مقتدر على من هو فى قبضته وملكه لكان غضبا كقوله تعالى فلما
ءاسفونا اي اغضبونا قال قتادة اسفا حزنا * وقوله سبحانه انا جعلنا ما على
الارض زينة لها الآية بسط فى التسلية اي لاتهتم بالدنيا واهلها فان امرها
وامرهم اقل لفناء ذلك وذهابه فانا انما جعلنا ما على الارض زينة وامتحانا
واختبارا وفى معنى هذه الآية قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلوة خضرة وان
الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء *
لنبلوهم اي لنختبرهم وفى هذا وعيد ما قال سفيان الثوري احسنهم عملا
ازهدهم فيها وقال ابو عاصم العسقلاني احسن عملا الترك لها قال (ع) وكان
ابي رحمه الله يقول احسن العمل اخذ بحق وانفاق فى حق واداء الفرائض
واجتناب المحارم والاكثار من المندوب اليه * وقوله سبحانه وانا لجاعلون
ما عليها صعيدا جرزا اي يرجع ذلك كله ترابا والجرز الارض التى لا
شيء فيها من عمارة وزينة فهي البلقع وهذه حالة الارض العامرة لابد لها
من هذا فى الدنيا جزءا جزءا من الارض ثم يعمها ذلك باجمعها عند القيامة
والصعيد وجه الارض وقيل الصعيد التراب خاصة * وقوله سبحانه ام

حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اي ليسوا بعجب من آيات الله اي فلا يعظم ذلك عليك بحسب ما عظمه السائلون فان سائر ايات الله اعظم من قصتهم وهو قول ابن عباس وغيره واختلف الناس فى الرقيم ما هو اختلافا كثيرا فقيل الرقيم كتاب فى لوح نحاس وقيل فى لوح رصاص وقيل فى لوح حجارة كتبوا فيه قصة اهل الكهف وقيل غير هذا وروي عن ابن عباس انه قال ما ادرى ما الرقيم قال (ع) ويظهر من هذه الروايات انهم كانوا قوما مؤرخين وذلك من نبل المملكة وهو امر مفيد * وقوله سبحانه اذ اوى الفتية الى الكهف الفتية فيما روي قوم من ابناء اشراف مدينة دقيوس الملك الكافر ويقال فيه دقيانوس وروي انهم كانوا مطوقين مسورين بالذهب وهم من الروم واتبعوا دين عيسى وقيل كانوا قبل عيسى واختلف الرواة فى قصصهم ونذكر من الخلاف عيونه وما لا تستغني الآية عنه فروي عن مجاهد عن ابن عباس ان هؤلاء الفتية كانوا فى دين ملك يعبد الاصنام فوقع للفتية علم من بعض الحواريين حسبما ذكره النقاش او من مومنى الامم قبلهم فآمنوا بالله ورأوا ببصائرهم قبيح فعل الناس فرفع امرهم الى الملك فاستحضرهم وامرهم بالرجوع الى دينه فقالوا له فيما روي ربنا رب السموات والارض الآية فقال لهم الملك انكم شبان اغمار لا عقل لكم وانا لا اعجل عليكم وضرب لهم اجلا ثم سافر خلال الاجل فتشاور الفتية فى الهروب بأديانهم فقال لهم احدهم انى اعرف كهفا فى جبل كذا فلنذهب اليه وروت فرقة ان امر اصحاب الكهف انما كان انهم من ابناء الاشراف فحضر عيد لاهل المدينة فرأى الفتية ما ينتحله الناس فى ذلك العيد من الكفر وعبادة الاصنام فوقع الايمان فى قلوبهم واجمعوا على مفارقة دين الكفرة وروي انهم خرجوا وهم يلعبون بالصولجان والكرة وهم يدحرجونها

الى نحو طريقهم ليلا يشعر الناس بهم حتى وصلوا الى الكهف واما الكلب فروي انه كان كلب صيد لبعضهم وروي انهم وجدوا فى طريقهم راعيا له كلب فاتبعهم الراعى على رأيهم وذهب الكلب معهم فدخلوا الغار فروت فرقة ان الله سبحانه ضرب على ءاذانهم عند ذلك لما اراد من سترهم وخفي على اهل المملكة مكانهم وعجب الناس من غرابة فقدهم فارخوا ذلك ورقموه فى لوحين من رصاص اونحاس وجعلوه على باب المدينة وقيل على الرواية ان الملك بنى باب الغار وانهم دفنوا ذلك فى بناء الملك على الغار وروت فرقة ان الملك لما علم بذهاب الفتية امر بقص ءاثارهم الى باب الغار وامر بالدخول عليهم فهاب الرجال ذلك فقال له بعض وزرائه الست ايها الملك ان اخرجتهم قتلتهم قال نعم قال فاي قتلة ابلغ من الجوع والعطش ابن عليهم باب الغار ودعهم يموتوا فيه ففعل وقد ضرب الله على ءاذانهم كما تقدم ثم اخبر الله سبحانه عن الفتية انهم لما اووا الى الكهف اي دخلوه وجعلوه مأوى لهم وموضع اعتصام دعوا الله تعالى بان يوتيهم من عنده رحمة وهي الرزق فيما ذكره المفسرون وان يهيئ لهم من امرهم رشدا خلاصا جميلا وهذا الدعاء منهم كان فى امر دنياهم والفاظهم تقتضى ذلك وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة ورحمتها وينبغى لكل مومن ان يجعل دعاءه فى امر دنياه بهذه الآية الكريمة فقط فانها كافية ويحتمل ذكر الرحمة ان يراد بها امر الآخرة * وقوله تعالى فضربنا على ءاذانهم الآية عبارة عن القاء الله تعالى النوم عليهم * وقوله عددا نعت للسنين والقصد به العبارة عن التكثير * وقوله لنعلم عبارة عن خروج ذلك الشيء الى الوجود اي لنعلم ذلك موجودا والا فقد كان سبحانه علم اي الحزبين احصى الامد والحزبان الفريقان والظاهر من الآية ان الحزب الواحد هم الفتية اذ ظنوا لبثهم قليلا والحزب الثانى هم اهل المدينة

الذين بعث الفتيـة على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بامر الفتيـة وهذا قول الجمهور من المفسرين واما قوله احصى فالظاهر الجيد فيه انـه فعل ماض وامدا منصوب به على المفعول والامد الغاية وياتى عبارة عن المدة وقال الزجاج أحصى هو افعل ويعترض بان افعل لا يكون من فعل رباعي الا فى الشاذ واحصى فعل رباعي ويحتج لقول الزجاج بان افعل من الرباعي قد كثر كقولك ما اعطـاه للمال وكقوله عليه الصلاة والسلام فى صفة جهنم اسود من القار وفى صفة حوضه ابيض من اللبن (ت) وقد تقدم ان اسود من سود وما فى ذلك من النقد وقال مجاهد امـدا معناه عددا وهذا تفسير بالمعنى * وقوله سبحانه وزدناهم هدى اي يسرناهم للعمل الصالح والانقطاع الى الله عز وجل ومباعدة الناس والزهـد فى الدنيا وهذه زيادات على الايمان * وقوله سبحانـه وربطنـا على قلوبهم عبارة عن شدة عزم وقوة صبر ولمـا كان الفزع وخورالنفس يشبه بالتناسب الانحلال حسن فى شـدة النفس وقوة التصميم ان يشبـه الربط ومنـه يقال فلان رابط الجاش اذا كان لا تفرق نفسه عنـد الفزع والحروب وغيرها ومنه الربط على قلب ام موسى * وقوله تعالى اذ قاموا يحتمل ان يكون وصف قيامهم بين يدي الملك الكافر فانه مقام يحتاج الى الربط على القلب ويحتمل ان يعبر بالقيام على انبعاثهم بالعزم على الهروب الى الله ومنابذة النـاس كما تقول قام فلان الى امر كذا اذا اعتزم عليه بغايـة الجد وبهذه الالفـاظ التى هي قاموا فقالوا تعلقت الصوفيـة فى القيام والقول والشطط الجور وتعدى الحد والحق بحسب امر امر والسلطان الحجة وقال قتادة المعنى بعذر بـين ثم عظموا جرم الداعين مع الله غيره وظلمهم بقولهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقولهم واذ اعتزلتموهم الآية المعنى قال بعضهم لبعض وبهذا يترجح ان قوله تعالى اذ قاموا فقالوا انمـا المراد بـه اذ عزموا ونفذوا لامرهم وفى مصحف ابن مسعود ومـا

يعبدون من دون الله ومضمن هذه الآية الكريمة ان بعضهم قال لبعض اذ قد فارقنا الكفار وانفردنا بالله تعالى فلنجعل الكهف مأوى ونتكل على الله تعالى فانه سيبسط علينا رحمته وينشرها علينا ويهيئ لنا من امرنا مرفقا وهذا كله دعاء بحسب الدنيا وهم على ثقة من الله فى امر ءاخرتهم وقرأ نافع وغيره مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وقرأ حمزة وغيره بكسر الميم وفتح الناء ويقالان معا فى الامر وفى الجارحة حكاه الزجاج وقوله سبحانه وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وتزاور اي تميل وتقرضهم معناه تتركهم والمعنى انهم كانوا لا تصيبهم شمس البتة وهو قول ابن عباس وحكى الزجاج وغيره قال كان باب الكهف ينظر الى بنات نعش وذهب الزجاج الى ان فعل الشمس كان ءاية من الله تعالى دون ان يكون باب الكهف الى جهة توجب ذلك والفجوة المتسع قال قتادة فى فضاء منه ومنه الحديث فاذا وجد فجوة نص * وقوله سبحانه ذلك من آيات الله الاشارة الى الامر بجملته * وقوله سبحانه ونقلبهم ذات اليمين الآية ذكر بعض المفسرين ان تقليبهم انما كان حفظا من الارض وروي عن ابن عباس انه قال لومستهم الشمس لاحرقتهم ولولا التقليب لاكلتهم الارض وظاهر كلام المفسرين ان التقليب كان بامر الله وفعل ملائكته ويحتمل ان يكون ذلك باقدار الله اياهم على ذلك وهم فى غمرة النوم * وقوله وكلبهم اكثر المفسرين على انه كلب حقيقة قال (ع) وحدثنى ابى رحمه الله قال سمعت ابا الفضل بن الجوهري فى جامع مصر يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين واربعمائة من احب اهل الخير نال من بركتهم كلب احب اهل الفضل وصحبهم فذكره الله فى محكم تنزيله والوصيد العتبة التى لباب الكهف او موضعها ان لم تكن وقال ابن عباس الوصيد الباب والاول اصح والباب الموصد هو

المغالق ثم ذكر سبحانه ما حفهم به من الرعب واكتنفهم من الهيبة حفظا منه سبحانه لهم فقال لو اطلعت عليهم الآية * وقوله سبحانه وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم الاشارة بذلك الى الامر الذى ذكره الله فى جهتهم والعبرة التى فعلها فيهم والبعث التحريك عن سكون واللام فى قوله ليتساءلوا لام الصيرورة وقول القائل كم لبثتم يقتضى انه هجس فى خاطره طول نومهم واستشعر ان امرهم خرج عن العادة بعض الخروج وظاهر امرهم انهم انتبهوا فى حال من الوقت والهواء الزماني لايباين الحالة التى ناموا عليها وقولهم فابعثوا احدكم بورقكم يروى انهم انتبهوا وهم جياع وان المبعوث هو تمليخا وروي ان باب الكهف انهدم بناء الكفار منه لطول السنين ويروى ان راعيا هدمه ليدخل فيه غنمه فاخذ تمليخا ثيابا رثة منكرة ولبسها وخرج من الكهف فانكر ذلك البناء المهدوم اذ لم يعرفه بالامس ثم مشى فجعل ينكر الطريق والمعالم ويتحير وهو فى ذلك لايشعر شعورا تاما بل يكذب ظنه فيما تغير عنده حتى بلغ باب المدينة فرأى على بابها امارة الاسلام فزادت حيرته وقال كيف هذا ببلد دقيوس وبالامس كنا معه تحت ماكنا فنهض الى باب آخر فرأى نحوا من ذلك حتى مشى الابواب كلها فزادت حيرته ولم يميز بشرا وسمع الناس يقسمون باسم عيسى فاستراب بنفسه وظن انه جن او انفسد عقله فبقي حيران يدعو الله تعالى ثم نهض الى باب الطعام الذى اراد اشتراءه فقال ياعبد الله بعنى من طعامك بهذا الورق فدفع اليه دراهم كاخفاف الربع فيما ذكر فعجب لها البائع ودفعها الى آخر يعجبه وتعاطاها الناس وقالوا له هذه دراهم عهد فلان الملك من اين انت وكيف وجدت هذا الكنز فجعل يبهت ويعجب وقد كان بالبلد مشهورا هو وبيته فقال ما اعرف غيرانى واصحابى خرجنا بالامس

من هذه المدينـة فقال النـاس هذا مجنـون اذهبوا بـه الى الملك ففزع عند ذلك فذهب بـه حتى جيء به الى الملك فلما لم ير دقيوس الكافر تأنس وكان ذلك الملك مومنـا فاضلا يسمى تبدوسيس فقال له الملك اين وجدت هذا الكنز فقال له انمـا خرجت انا واصحابى امس من هذه المدينة فاوينـا الى الكهف الذى فى جبل انجلوس فلما سمع الملك ذلك قال فى بعض ما روي لعل الله قد بعث لكم ايهـا الناس ءاية فلنسر الى الكهف حتى نرى اصحابه فسـاروا وروي انه او بعض جلسائـه قال هؤلاء هم الفتية الذين ورخ امرهم على عهد دقيوس الملك وكتب على لوح النحاس بباب المدينـة فسار الملك اليهم وسار الناس معه فلما انتهوا الى الكهف قال تمليخا ادخل عليهم ليلا يرعبوا فدخل عليهم فاعلمهم بالامر وان الامـة امة اسـلام فروي انهم سروا وخرجـوا الى الملك وعظموه وعظهم ثم رجعـوا الى الكهف واكثر الروايات على انهم ماتوا حين حدثهم تمليخا فانتظرهم الناس فلما ابطأ خروجهم دخل النـاس اليهم فرعب كل من دخل ثم اقدموا فوجدوهم موتى فتـنازعوا بحسب مـا ياتى وفى هذا القصص من الاختلاف مـا تضيق بـه الصحف فاختصرته وذكرت المهم الذى بـه تتفسر الفاظ الآيـة واعتمـدت الاصح والله المعـين برحمتـه وفى هـذا البعث بالورق جواز الوكالة وصحتهـا وازكى معنـاه اكثر فـيما ذكر عكرمة وقال ابن جبير المراد احل وقولهم يرجموكم قال الزجاج بالحجارة وهو الاصح وقال حجاج يرجموكم معنـاه بالقول وقوله سبحانـه وكذلك اعثرنا عليهم الاشارة فى قوله وكذلك الى بعثهم ليتساءلوا اي كما بعثنـاهم اعثرنا عليهم والضمير فى قوله ليعلموا يحتمل ان يعـود على الامـة المسلمـة الذين بعث اهل الكهف على عهدهم والى هذا ذهب الطبري وذلك انهم فـيما روي دخلتهم حينئذ فتـنة فى امر الحشر وبعث الاجساد من القبور فشك فى ذلك

بعض الناس واستبعدوه وقالوا انما تحشر الارواح فشق ذلك على ملكهم وبقي حيران لايدرى كيف يبين امره لهم حتى لبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع الى الله فى حجة وبيان فاعثرهم الله على اهل الكهف فلما بعثهم الله وتبين الناس امرهم سر الملك ورجع من كان شك فى بعث الاجساد الى اليقين به والى هذا وقعت الاشارة بقوله اذ يتنازعون بينهم امرهم على هذا التاويل ويحتمل ان يعود الضمير فى يعلموا على اصحاب الكهف وقوله اذ يتنازعون على هذا التاويل ابتداء خبر عن القوم الذين بعثوا على عهدهم والتنازع على هذا التاويل انما هو فى امر البناء او المسجد لا فى امر القيامة وقد قيل ان التنازع انما هو فى ان اطلعوا عليهم فقال بعضهم هم اموات وبعض هم احياء وروي ان بعض القوم ذهبوا الى طمس الكهف عليهم وتركهم فيه مغيبين فقالت الطائفة الغالبة على الامر لنتخذن عليهم مسجدا فاتخذوه قال قتادة الذين غلبوا هم الولاة * وقوله سبحانه سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الآية الضمير فى سيقولون يراد به اهل التوراة من معاصرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم اختلفوا فى عدد اهل الكهف * وقوله رجما بالغيب معناه ظنا وهو مستعار من الرجم كأن الانسان يرمى الموضع المشكل المجهول عنده بظنه المرة بعد المرة يرجمه به عسى ان يصيبه والواو فى قوله وثامنهم كلبهم طريق النحاة فيها انها واو عطف دخلت فى ءاخر الكلام اخبارا عن عددهم لتفصل امرهم وتدل على ان هذا نهاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام وتقول فرقة منهم ابن خالويه هي واو الثمانية وذكر ذلك الثعلبي عن ابى بكر بن عياش وان قريشا كانت تقول فى عددها ستة سبعة وثمانية تسعة فتدخل الواو فى الثمانية قال (ع) وهي فى القرءان فى قوله والناهون عن المنكر وفى قوله وفتحت ابوابها واما قوله وابكارا وقوله وثمانية ايام فليست بواو الثمانية بل هي لازمة

اذ لا يستغنى الكلام عنها وقد امر الله سبحانه نبيه فى هذه الآية ان يرد علم عدتهم اليه ثم قال ما يعلمهم الا قليل يعنى من اهل الكتاب وكان ابن عباس يقول انا من ذلك القليل وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم قال (ع) ويدل على هذا من الآية انه سبحانه لما حكى قول من قال ثلاثة وخمسة قرن بالقول انه رجم بالغيب ثم حكى هذه المقالة ولم يقدح فيها بشيء وايضا فيقوى ذلك على القول بواو الثمانية لانها انما تكون حيث عدد الثمانية صحيح * وقوله سبحانه فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا معناه على بعض الاقوال اي بظاهر ما اوحينا اليك وهو رد علم عدتهم الى الله تعالى وقيل معنى الظاهر ان يقول ليس كما تقولون ونحو هذا ولا يحتج هو على امر مقرر فى ذلك وقال التبريزي ظاهرا معناه ذاهبا وانشد * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * ولم يبح له فى هذه الآية ان يماري ولكن قوله الا مراء مجاز من حيث يماريه اهل الكتاب سميت مراجعته لهم مراء ثم قيد بانه ظاهر ففارق المراء الحقيقي المذموم والمراء مشتق من المرية وهو الشك فكانه المشاككة (ت) وفى سماع ابن القاسم قال كان سليمان بن يسار اذا ارتفع الصوت فى مجلسه اوكان مراء اخذ نعليه ثم قام قال ابن رشد هذا من ورعه وفضله والمراء فى العلم منهى عنه فقد جاء انه لا تومن فتنته ولا تفهم حكمته انتهى من البيان والضمير فى قوله ولا تستفت فيهم عائد على اهل الكهف وفى قوله منهم عائد على اهل الكتاب * وقوله فلا تمار فيهم اي فى عدتهم * وقوله سبحانه ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله قد تقدم ان هذه الآية عتاب من الله تعالى لنبيه حيث لم يستثن والتقدير الا ان تقول الا ان يشاء الله او الا ان تقول ان شاء الله والمعنى الا ان تذكر مشيئة الله * وقوله سبحانه واذكر ربك اذا نسيت قال ابن عباس والحسن معناه الاشارة به الى الاستثناء اي ولتستثن

بعد مدة اذا نسيت اولا لتخرج من جملة من لم يعلق فعله بمشيئة الله وقال عكرمة واذكر ربك اذا غضبت وعبارة الواحدي واذكر ربك اذا نسيت اي اذا نسيت الاستثناء بمشيئة الله فاذكره وقله اذا تذكرت اه * وقوله سبحانه وقل عسى ان يهدينى ربى الآية الجمهور ان هذا دعاء مامور به والمعنى عسى ان يرشدنى ربى فيما استقبل من امرى والآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهي بعد تعم جميع امته وقال الواحدي وقل عسى ان يهدينى اي يعطينى ربى الآيات من الدلالات على النبوءة ما يكون اقرب فى الرشد وادل من قصة اصحاب الكهف ثم فعل الله له ذلك حيث اتاه علم غيوب المرسلين وخبرهم انتهى * وقوله سبحانه ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين الآية قال قتادة وغيره الآية حكاية عن بنى اسراءيل انهم قالوا ذلك واحتجوا بقراءة ابن مسعود وفى مصحفه وقالوا لبثوا فى كهفهم ثم امر الله نبيه بان يرد العلم اليه ردا على مقالهم وتفنيدا لهم وقال المحققون بل قوله تعالى ولبثوا فى كهفهم الآية خبر من الله تعالى عن مدة لبثهم وقوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا اي فليزل اختلافكم ايها المخرصون وظاهر قوله سبحانه وازدادوا تسعا انها اعوام * وقوله سبحانه ابصر به واسمع اي ما اسمعه سبحانه وما ابصره قال قتادة لا احد ابصر من الله ولا اسمع قال (ع)- وهذه عبارة عن الادراك ويحتمل ان يكون المعنى ابصر به اي بوحيه وارشاده هداك وحججك والحقّ من الامور واسمع به العالم فتكون اللفظتان امرين لا على وجه التعجب * وقوله سبحانه ما لهم من دونه من ولي الضمير فى لهم يحتمل ان يرجع الى اهل الكهف ويحتمل ان يرجع الى معاصرى النبي صلى الله عليه وسلم من الكفار ويكون فى الآية تهديد لهم * وقوله سبحانه اتل ما اوحي اليك اي اتبع وقيل اسرد بتلاوتك ما اوحي

اليك من كتاب ربك لا نقض فى قوله ولا مبدل لكلماته وليس لك سواه جانب تميل اليه وتستند والملتحد الجانب الذى يمال اليه ومنه اللحد (ت) قال النووي يستحب لتالى القرءان اذا كان منفردا ان يكون ختمه فى الصلاة ويستحب ان يكون ختمه اول الليل اواول النهار وروينا فى مسند الامام المجمع على حفظه وجلالته واتقانه وبراعته ابى محمد الدارمي رحمه الله تعالى عن سعد بن ابى وقاص رضي الله عنه قال اذا وافق ختم القرءان اول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وان وافق ختمه اول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي قال الترمذي هذا حديث حسن وعن طلحة بن مطرف قال من ختم القرءان اية ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي واية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وعن مجاهد نحوه انتهى * وقوله سبحانه واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية تقدم تفسيرها * وقوله سبحانه ولا تعد عيناك عنهم اي لا تتجاوز عنهم الى ابناء الدنيا وقرأ الجمهور من اغفلنا قلبه بنصب الباء على معنى جعلناه غافلا والفرط يحتمل ان يكون بمعنى التفريط ويحتمل ان يكون بمعنى الافراط والاسراف وقد فسره المتأولون بالعبارتين * وقوله سبحانه وقل الحق من ربكم المعنى وقل لهم يا محمد هذا القرءان هو الحق (ت) وقد ذم الله تعالى الغافلين عن ذكره والمعرضين عن آياته فى غير ما ءاية من كتابه فيجب الحذر مما وقع فيه اولائك ولقد احسن العارف فى قوله غفلة ساعة عن ربك مكدرة لمرءاة قلبك فكيف بغفلتك جميع عمرك وقد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم تِرة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم رواه ابوداود والترمذي والنساءي والحاكم وابن حبان فى صحيحيهما وهذا لفظ الترمذي وقال حديث حسن وقال الحاكم صحيح على

شرط مسلم والترة بكسر التاء المثناة من فوق وتخفيف الراء النقص وقيل التبعة ولفظ ابن حبان الاكان عليهم حسرة يوم القيامة وان دخلوا الجنة انتهى من السلاح * وقوله فمن شاء فليومن الآية توعد وتهديد اي فليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غدا عند الله عز وجل وقال الداودي عن ابن عباس فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر يقول من شاء الله له الايمان ءامن ومن شاء له الكفر كفر هو كقوله وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين وقال غيره هو كقوله اعملوا ما شئتم بمعنى الوعيد والقولان معا صحيحان انتهى واعتدنا ماخوذ من العتاد وهو الشيء المعد الحاضر والسرادق هو الجدار المحيط كالحجرة التي تدور وتحيط بالفسطاط قد تكون من نوع الفسطاط اديما او ثوبا او نحوه وقال الزجاج السرادق كل ما احاط بشيء واختلف فى سرادق النار فقال ابن عباس سرادقها حائط من نار وقالت فرقة سرادقها دخان يحيط بالكفار وهو قوله تعالى انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب وقيل غير هذا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق ابى سعيد الخدري انه قال سرادق النار اربعة جدر كثف عرض كل جدار مسيرة اربعين سنة والمهل قال ابو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم هو دردي الزيت اذا انتهى حره وقال ابو سعيد وغيره هو كل ما اذيب من ذهب او فضة وقالت فرقة المهل هو الصديد والدم اذا اختلطا ومنه قول ابى بكر رضي الله عنه فى الكفن انما هو للمهلة يريد لما يسيل من الميت فى قبره ويقوى هذا بقوله سبحانه ويسقى من ماء صديد والمرتفق الشيء الذى بطلب رفقه * وقوله سبحانه ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا تقدم تفسير نظيره والله الموفق بفضله واساور جمع اسوار وهي ما كان من الحلي فى الذراع وقيل اساور جمع اسورة واسورة جمع اسوار

والسندس رقيق الديباج والاستبرق ما غلظ منه قيل فهو استبرق من البريق والارائك جمع اريكة وهي السرير فى الحجال والضمير فى قوله وحسنت للجنات وحكى النقاش عن ابى عمران الجوني انه قال الاستبرق الحرير المنسوج بالذهب * وقوله سبحانه واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب الآية الضمير فى لهم عائد على الطائفة المتجبرة التى ارادت من النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرد فقراء المومنين فالمثل مضروب للطائفتين اذ الرجل الكافر صاحب الجنتين هو بازاء متجبرى قريش او بنى تميم على الخلاف فى ذلك والرجل المومن المقر بالربوبية هو بازاء فقراء المومنين وحففنا بمعنى جعلنا ذلك لهما من كل جهة وظاهر هذا المثل انه بامر وقع فى الوجود وعلى ذلك فسره اكثر المتأولين فروي فى ذلك انهما كانا اخوين من بنى اسراءيل ورثا اربعة ءالاف دينار فصنع احدهما بما له ما ذكر واشترى عبيدا وتزوج واثرى وانفق الآخر ماله فى طاعة الله عز وجل حتى افتقر والتقيا فافتخر الغني ووبخ المومن فجرت بينهما هذه المحاورة وروي انهما كانا شريكين حدادين كسبا مالا كثيرا وصنعا نحو ما روي فى امر الاخوين فكان من امرهما ما قص الله فى كتابه قال السهيلي وذكر ان هذين الرجلين هما المذكوران فى والصافات فى قوله تعالى قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول ائنك لمن المصدقين الى قوله فاطلع فرءاه فى سواء الجحيم والى قوله لمثل هذا فليعمل العاملون انتهى * وقوله سبحانه كلتا الجنتين ءاتت اكلها الاكل ثمرها الذى يوكل ولم تظلم منه شيأ اي لم تنقص عن العرف الاتم الذى يشبه فيها ومنه قول الشاعر

ويظلمنى مالى كذا ولوى يدى * لوى يده الله الذى هو غالبه

وقرأ الجمهور ثمر وبثمره بضم الثاء والميم جمع ثمار وقرأ ابو عمرو بسكون الميم

فيهما واختلف المتأولون فى الثمر بضم الثـاء والميم فقال ابن عباس وغيره الثمر جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال ابن زيد هي الاصول والمحاورة مراجعة القول وهو من حار يحور * وقوله انا اكثر منك مالا واعز نفرا هذه المقالة بازاء مقالة متجبرى قريش او بنى تميم على ما تقدم فى سورة الانعام (ت) وقوله واعز نفرا يضعف قول من قال انهما اخوان فتأمله والله اعلم بما صح من ذلك * وقوله سبحانه ودخل جنته وهو ظالم لنفسه الآية افرد الجنة من حيث الوجود كذلك اذ لا يدخلهما معا فى وقت واحد وظلمه لنفسه هو كفره وعقائده الفاسدة فى الشك فى البعث وفى شكه فى حدوث العالم ان كانت اشارته بهذه الى الهيئة من السموات والارض وانواع المخلوقات وان كانت اشارته الى جنته فقط فانما الكلام تساخف واغترار مفرط وقلة تحصيل كانه من شدة العجب بها والسرور افرط فى وصفها بهذا القول ثم قاس ايضا الآخرة على الدنيا وظن انه لم يمل له فى دنياه الا لكرامة يستوجبها فى نفسه فقال فان كان ثم رجوع فستكون حالى كذا وكذا * وقوله قال له صاحبه يعنى المومن * وقوله خلقك من تراب اشارة الى ءادم عليه السلام * وقوله لكنا هو الله ربى معناه لكن انا اقول هو الله ربى وروى هارون عن ابى عمرو لكنه هو الله ربى وباقى الآية بين * وقوله ولولا اذ دخلت جنتك الآية وصية من المومن للكافر ولولا تحضيض بمعنى هلا وما تحتمل ان تكون بمعنى الذى بتقدير الذى شاء الله كائن وفى شاء ضمير عائد على ما ويحتمل ان تكون شرطية بتقدير ما شاء الله كان او خبر مبتدإ محذوف تقديره هو ما شاء الله او الامر ما شاء الله * وقوله لاقوة الا بالله تسليم وضد لقول الكافر ما اظن ان تبيد هذه ابدا وفى الحديث ان هذه الكلمة كنز من كنوز الجنة اذا قالها العبد قال الله

عز وجل اسلم عبدى واستسلم قال النووي وروينـا فى سنن ابى داود والترمذي والنساءي وغيرهما عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال يعنى اذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله ولاحول ولاقوة الابالله يقال له هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنك الشيطان قال الترمذي حديث حسن زاد ابو داود فى روايته فيقول يعنى الشيطان لشيطان آخر كيف لـك برجـل قـد هدي وكفي ووقي انتهى وروى الترمذي عن ابى هريرة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من قول لاحول والاقوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنـة انتهى قال المحاسبي فى رعايتـه واذا عزم العبد فى القيام بجميع حقوق الله سبحانـه فليرغب اليـه فى المعونـة من عنـده على اداء حقوقـه ورعايتهـا وناجاه بقلب راغب راهب انى انسى ان لم تـذكرنى واعجـز ان لم تقـونى واجزع ان لم تصبرنى وعـزم وتوكل واستغـاث واستعـان وتبرأ مـن الحـول والقوة الا بربه وقطع رجاءه من نفسه ووجه رجاءه كله الى خالقه فانه سيجد الله عز وجل قريبا مجيبـا متفضلا متحننـا انتهى قال ابن العربي فى احكامه قال مالك ينبغى لكل من دخل منزله ان يقول كما قال الله تعالى مـا شـاء الله لاقوة الا بالله انتهى * وقوله فعسى ربي ان يوتينى خيرا من جنتك هذا الترجى بعسى يحتمل ان يريـد بـه فى الدنيـا ويحتمل ان يريد بـه فى الآخرة وتمنى ذلك فى الآخرة اشرف واذهب مع الخير والصلاح وان يكـون ذلـك يراد بـه الدنيـا اذهب فى نكايـة هذا المخاطب والحسبـان العذاب كالبرد والصر ونحوه والصعيد وجه الارض والزلق الذى لا تثبت فيه قدم يعنى تذهب منافعها حتى منفعة المشي فهي وحل لا تثبت فيه قدم * وقوله سبحانه واحيط بثمره الآية هذا خبر من الله عزوجل عن احاطة العذاب بحال هذا الممثل به ويقلب كفيه يريد يضع بطن احداهما على ظهر الا خرى وذلك فعل المتلهف المتأسف *

وقوله خاوية على عروشهـا يريد ان السقوف وقعت وهي العروش ثم تهدمت الحيطان عليها فهي خاوية والحيطان على العروش (ت) فسر (ع) رحمه الله لفظ خاويـة فى سورة الحج والنمـل بخاليـة والاحسن ان تفسرهنـا وفى الحـج بساقطة واما التى فى النمل فيتجه ان تفسر بخالية وبساقطة قال الزبيدي فى مختصر العين خوت الدار باد اهلها وخوت تهدمت انتهى وقال الجوهري فى كتابه المسمى بتاج اللغة وصحاح العربية خوت النجوم خيا امحلت وذلك اذا سقطت ولم تمطر فى نوئهـا واخوت مثله وخوت الدار خواء ممدودا اقوت وكذلك اذا سقطت ومنـه قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا اي خالية ويقال ساقطة كما قال فهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها انتهى وهو تفسير بارع وبـه اقول وقد تقدم ايضاح هـذا المعنى فى سورة البقرة * وقوله ياليتنى لم اشرك بربي احدا قال بعض المفسرين هي حكاية عن مقالة هذا الكافر فى الآخرة ويحتمل ان يكون قالها فى الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة ويكون فيها زجر لكفرة قريش وغيرهم والفئة الجماعة التى يلجأ الى نصرها * وقوله سبحانـه هنالك يحتمل ان تكون ظرفا لقوله منتصرا ويحتمل ان يكون الولاية مبتدأ وهنالك خبره وقرأ حمزة والكسائي الولاية بكسر الواو وهي بمعنى الرياسة ونحوه وقرأ الباقون الولاية بفتح الواو وهي بمعنى الموالاة والصلة ونحوه وقرأ ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع على النعت للولاية وقرأ الباقون بالخفض على النعت لله عز وجل وقرأ الجمهور عقبا بضم العين والقاف وقرأ حمزة وعاصم بسكون القاف والعقب والعُقْب بمعنى العاقبة * واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا يريد حياة الانسان كماء انزلناه من السماء فاختلط به اي فاختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء فاصبح هشيما اصبح عبارة عن صيرورته الى ذلك والهشيم المتفتت من يابس العشب وتذروه بمعنى تفرقـه

فمعنى هذا المثل تشبيه حال المرء فى حياته وماله وعزته وبطره با لنبات الذى له خضرة ونضرة عن الماء النازل ثم يعود بعد ذلك هشيما ويصير الى عدم فمن كان له عمل صالح يبقى فى الآخرة فهو الفائز * وقوله سبحانه المال والبنون زينة الحيوة الدنيا لفظه لفظ الخبر لكن معه قرينة الصفة للمال والبنين لانه فى المثل قبلُ حقّر امر الدنيا وبينه فكانه يقول المال والبنون زينة هذه الحياة الدنيا المحقرة فلا تتبعوها نفوسَكم والجمهور ان الباقيات الصالحات هي الكلمات المذكور فضلها فى الاحاديث سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد جاء ذلك مصرحا به من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله وهن الباقيات الصالحات * وقوله سبحانه خير عندك ربك ثوابا وخير املا اي صاحبها ينتظر الثواب وينبسط امله فهو خير من حال ذى المال والبنين دون عمل صالح وعن ابى سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله رواه النساءي وابن حبان فى صحيحه انتهى من السلاح وفى صحيح مسلم عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احب الكلام الى الله تعالى اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدأت وفى صحيح مسلم عن ابى مالك الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الطُّهور شطر الايمان والحد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن او تملأ ما بين السموات والارض الحديث انتهى قال ابن العربي فى احكامه وروى مالك عن سعيد بن المسيب ان الباقيات الصالحات قول العبد الله اكبر وسبحان الله والحمدلله ولا اله الا الله ولا حول ولاقوة الا بالله وروي عن ابن عباس وغيره ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس انتهى

(ت) ومـا تقدم اولى ومن كلام الشيخ الولي العـارف ابى الحسن الشـاذلي رضي الله عنه قال عليك بالمطهرات الخمس فى الاقـوال والمطهرات الخمس فى الافعال والتبرى من الحول والقوة فى جميع الاحوال وغص بعقلك الى المعانى القائمة بالقلب واخرج عنها وعنه الى الرب واحفظ الله يحفظك واحفظ الله تجده امامك واعبد الله بها وكن من الشاكرين فالمطهرات الخمس فى الاقوال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله والمطهرات الخمس فى الافعال الصلوات الخمس والتبرى من الحول والقوة هو قـولك لا حول ولا قوة الا بالله انتهى * وقوله سبحانـه وترى الارض بارزة يحتمل ان الارض لذهاب الجبال والضراب والشجر برزت وانكشفت ويحتمل ان يريـد بروز اهلها من بطنها للحشر والمغادرة الترك وعرضوا على ربك صفـا اي صفوفا وفى الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد صفوفا يسمعهم الداعى وينفذهم البصر الحديث بطوله وفى حديث آخر اهل الجنة يوم القيامـة مائة وعشرون صفا انتم منها ثمانون صفا * وقوله سبحانه لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة يفسره قـول النبي صلى الله عليه وسلم انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده وقوله سبحانه ووضع الكتاب فترى المجرمـين مشفقين مما فيه الآيـة الكتاب اسم جنس يراد بـه كتب الناس التى احصتها الحفظة لواحد واحد ويحتمل ان يكون الموضوع كتابا واحدا حاضرا وباقى الآيـة بين * وقوله سبحانه الا ابليس كان من الجن قالت فرقـة ابليس لم يكن من الملائكة بل هو من الجن وهم الشياطين المخلوقون من مارج من نار وجميع الملائكة انمـا خلقوا من نور واختلفت هذه الفرقـة فقال بعضهم ابليس من الجن وهو اولهم وبدأتهم كـآدم من الانس وقالت فرقـة بـل كان ابليس وقبيله جنـا لكن جميع الشياطـين اليوم من ذريتـه فهو كنوح فى الانس

واحتجوا بهذه الآيــة * وقوله فـفسق معنـاه فخرج عن امر ربه وطاعته * وقوله عز وجل افتتخذونـه يريد افتتخذون ابليس * وقوله وذريتـه ظاهر اللفظ يقتضي الموسوسـين من الشياطـين الذين يامـرون بالمنكر ويحملـون على الاباطيل * وقوله تعالى بيس للظالمين بدلا اي بدل ولايـة الله عز وجل بولايـة ابليس وذريتـه وذلـك هو التعوض من الحـق بالباطـل * وقولـه سبحانـه مـا اشهدتهم خلق السمـوات والارض الآيـة الضمير فى اشهدتهم عائـد على الكفار وعلى النـاس بالجمـلة فتتضمن الآيـة الرد على طوائف من المنجمـين واهـل الطبائـع والمتحكمـين مـن الاطبـاء وسواهم مـن كل مـن يتخرص فى هـذه الاشيـاء وقيـل عائـد على ذريـة ابليس فالآيـة على هـذا تتضمن تحقـيرهم والقـول الاول اعظم فائـدة واقول ان الغرض اولا بالآيـة هم ابليس وذريتـه وبهذا الوجه يتجه الرد على الطوائف المذكورة وعلى الكهان والعرب المصدقين لهم والمعظمين للجن حين يقولون اعوذ بعـزيز هـذا الوادى اذ الجميع من هذه الفرق متعلقون بابليس وذريته وهم اضل الجميع فهم المراد الاول بالمضلين وتندرج هذه الطوائف فى معناهم وقرأ الجمهور وما كنت وقرأ ابو جعفر والجحدري والحسن بخلاف ومـا كنت والعضد استعـارة للمعين والموازر * ويوم يقول نادو اشركاءي اي على جهـة الاستغاثـة بهم واختلف فى قوله موبقـا فقال ابن عبـاس معناه مهلكا وقال عبـد الله بن عمر وانس بن مالك ومجاهد موبقا هو واد فى جهنم يجرى بدم وصديد قال انس يحجز بين اهل النار وبين المومنين * وقوله سبحانه فظنوا انهم مواقعوها اي مباشروها واطلق الناس ان الظن هنـا بمعنى اليقين قال (ع) والعبـارة بالظن لاتجيء ابدا فى موضع يقين تام قد ناله الحس بل اعظم درجاتـه ان يجيء فى موضـع متحقق لكنـه لم يقع ذلك المظنون والا فمـذ يقع ويحس لايكاد توجـد فى

كلام العرب العبارة عنه بالظن وتأمل هذه الآية وتأمل كلام العرب وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الكافر ليرى جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة والمصرف المعدل والمراغ وهو ماخوذ من الانصراف من شيء الى شيء * وقوله تعالى ولقد صرفنا فى هذا القرءان للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا الانسان هنا يراد به الجنس وقد استعمل صلى الله عليه وسلم الآية على العموم فى مروره بعلي ليلا وامره له بالصلاة بالليل فقال علي انما انفسنا يا رسول الله بيد الله او كما قال فخرج صلى الله عليه وسلم وهو يضرب فخذه بيده ويقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا * وقوله سبحانه وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى الآية الناس هنا يراد بهم كفار عصر النبي صلى الله عليه وسلم وسنة الاولين هي عذاب الامم المذكورة فى القرءان * اوياتيهم العذاب قبلا اى مقابلة عيانا والمعنى عذابا غير المعهود فتظهر فائدة التقسيم وقد وقع ذلك بهم يوم بدر وكأن حالهم تقتضى التأسف عليهم وعلى ضلالهم ومصيرهم بآرائهم الى الخسران عافانا الله من ذلك * ويدحضوا معناه يزهقوا والدحض الطين * وقوله فلن يهتدوا اذا ابدا لفظ عام يراد به الخاص ممن حتم الله عليه انه لا يومن ولا يهتدى ابدا كابي جهل وغيره * وقوله بل لهم موعد قالت فرقة هو اجل الموت وقالت فرقة هو عذاب الآخرة وقال الطبري هو يوم بدر والحشر * وقوله سبحانه لن يجدوا من دونه موئلا اي لايجدون عنه منجى يقال وَأَلَ الرجل يئِل اذا نجا ثم عقب سبحانه توعدهم بذكر الامثلة من القرى التى نزل بها ما توعد هؤلاء بمثله والقرى المدن والاشارة الى عاد وثمود وغيرهم وباقى الآية بين قال (ص) وقوله لما ظلموا فى لما ظلموا اشعار بعلة الاهلاك وبهذا استدل ابن عصفور على حرفية لما لان الظرف لادلالة فيه على

العلية * وقوله سبحانه واذ قال موسى لفتاه لاابرح الآية موسى هو ابن عمران وفتاه هو يوشع بن نون وفى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام جاس يوما فى مجلس لبنى اسرايل وخطب فابلغ فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك قال لا فاوحى الله اليه بلى عبدنا خضر فقال يارب دلنى على السبيل الى لقيه فاوحى الله اليه ان يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فاذا فقد الحوت فانه هنالك وامر ان يتزود حوتا ويرتقب زواله عنه ففعل موسى ذلك وقال لفتاه على جهة امضاء العزيمة لاابرح اسير اي لاازال وانما قال هذه المقالة وهو سائر قال السهيلي كان موسى عليه السلام اعلم بعلم الظاهر وكان الخضر اعلم بعلم الباطن واسرار الملكوت فكانا بحرين اجتمعا بمجمع البحرين والخضر شرب من عين الحياة فهوحي الى ان يخرج الدجال وانه الرجل الذى يقتله الدجال وقال البخاري وطائفة من اهل الحديث منهم شيخنا ابو بكر بن العربي رحمه الله مات الخضر قبل انقضاء المائة من قوله صلى الله عليه وسلم ارأيتكم ليلتكم هذه فان الى رأس مائة عام منها لايبقى على الارض ممن هو عليها احد يعنى من كان حيا حين قال هذه المقالة واما اجتماع الخضر مع النبي صلى الله عليه وسلم وتعزيته لاهل بيته فروي من طرق صحاح وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء قال الخطابي الفروة وجه الارض ثم انشد على ذلك شاهدا انتهى واختلف الناس فى مجمع البحرين فقال مجاهد وقتادة هو مجمع بحر فارس وبحر الروم وقالت فرقة مجمع البحرين هو عند طنجة وقيل غير هذا واختلف فى الحقب فقال ابن عباس وغيره الحقب ازمان غير محدودة وقال عبد الله بن عمر ثمانون سنة وقال مجاهد سبعون وقيل سنة * وقوله سبحانه فلما بلغا مجمع بينهما الضمير

فى بينهما للبحرين قاله مجاهد وفى الحديث الصحيح ثم انطلق وانطلق معه فتاه
يوشع بن نون حتى اتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت فى المكتل
فخرج منه فسقط فى البحر واتخذ سبيله فى البحر سربا اي مسلكا فى جوف
الماء وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ
نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد
قال موسى لفتاه ءاتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ويعنى بالنصب
تعب الطريق قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى امره الله به
قال له فتاه ارأيت اذ اوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت يريد ذكرما جرى فيه
وما انسانيه اي ان اذكره الا الشيطان واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال فكان
للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغى فارتدا على
ءاثارهما قصصا قال فرجعا يقصان ءاثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل
مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وانى بارضك السلام قال انا موسى
قال موسى بنى اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن
تستطيع معى صبرا يعنى لا تطيق ان تصبر على ما تراه من عملى لان الظواهر التى
هي علمك لا تعطيه وكيف تصبر على ما تراه خطأ ولم تخبر بوجه الحكمة فيه يا موسى
انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه يريد علم الباطن وانت على علم من علم الله علمكه
الله لا اعلمه يريد علم الظاهر فقال له موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا
اعصى لك امرا فقال له الخضر فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى احدث
لك منه ذكرا اي حتى اشرح لك ما ينبغى شرحه فانطلقا يمشيان على ساحل
البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول
يقول بغير اجرفلما ركبا فى السفينة لم يفجأ موسى الا والخضر قد قلع لوحا من
الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم

فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيأ امرا اي شنيعا من الامور وقال مجاهد الامر المنكر قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تواخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من امرى عسرا قال بن ابي كعب قال النبي صلى الله عليه وسلم فكانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر ما علمى وعلمك من علم الله الامثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحروفى رواية والله ما علمى وعلمك فى جنب علم الله الاكما اخذ هذا الطائر بمنقاره من البحروفى رواية ما علمى وعلمك وعلم الخلائق فى علم الله الامقدار ما غمس هذا العصفور منقاره قال (ع) وهذا التشبيه فيه تجوز اذ لا يوجد فى المحسوسات اقوى فى القلة من نقطة بالاضافة الى البحر فكانها لاشيء ولم يتعرض الخضر لتحرير موازنة بين المثال وبين علم الله تعالى اذ علمه سبحانه غير متناه ونقط البحر متناهية ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زاكية قال (ع) قيل كان هذا الغلام لم يبلغ الحلم فلهذا قال موسى نفسا زاكية وقالت فرقة بل كان بالغا * وقوله بغير نفس يقتضى انه لوكان عن قتل نفس لم يكن به بأس وهذا يدل على كبر الغلام والا فلوكان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس ولا بغير نفس (ت) وهذا اذا كان شرعهم كشرعنا وقد يكون شرعهم ان النفس بالنفس عموما فى البالغ وغيره وفى العمد والخطأ فلا يلزم من الآية ما ذكر * وقوله لقد جئت شيأ نكرا معناه شيأ ينكر قال (ع) ونصف القرءان بعد الحروف انتهى الى النون من قوله نكرا * قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال وهذه اشد من الاولى * قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنى عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية

استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض قال مائل فقال الخضر بيده هكذا فاقامه فقال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال سعيد بن جبير اجرا ناكله قال هذا فراق بيني وبينك الى قوله ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددنا ان موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما قال سعيد فكان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مومنين وفى رواية للبخاري يزعمون عن غير سعيد بن جبير ان اسم الملك هُدَدُ بن بُدَدٍ والغلام المقتول اسمه يزعمون حيْسور ويقال جَيسور ملك ياخذ كل سفينة غصبا فاردت اذا هي مرت به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزوا اصلحوها فانتفعوا بها ومنهم من يقول سدوها بقارورة ومنهم من يقول بالقار كان ابواه مومنين وكان كافرا فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا ان يحملهما حبه على ان يتابعاه على دينه * فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة لقوله اقتلت نفسا زاكية واقرب رحما هما به ارحم منهما بالاول الذى قتله خضر وزعم غير سعيد انهما ابدلا جارية واما داود بن ابي عاصم فقال عن غير واحد انها جارية انتهى لفظ البخاري (ت) وقد تحرينا فى هذا المختصر بحمد الله التحقيق فيما علقناه جهد الاستطاعة والله المستعان وهو المسئول ان ينفع به بجوده وكرمه قال (ع) ويشبه ان تكون هذه القصة ايضا اصلا للآجال فى الاحكام التى هي ثلاثة وايام التلوم ثلاثة فتأمله * وقوله سبحانه فابوا ان يضيفوهما وفى الحديث انهما كانا يمشيان على مجالس اولائك القوم يستطعمانهم قال (ع) وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله عز وجل (ص) وقوله فراق بيني الجمهور باضافة فراق ابو البقاء اي تفريق وصلنا وقرأ ابن ابي عبلة فراق بالتنوين ابو البقاء فبين منصوب على الظرف انتهى

قال (ع) ووراءهم هو عندى على بابه وذلك ان هذه الالفاظ انما تجيء مراعى
بها الزمان وذلك ان الحادث المقدم الوجود هو الامام والذى ياتى بعد هو
الوراء وتأمل هذه الالفاظ فى مواضعها حيث وردت تجدها تطرد ومن قرأ
امامهم اراد فى المكان قال (ع) وفى الحديث ان هذا الغلام طبع يوم طبع كافرا
والضمير فى خشينا للخضر قال الداودي قوله فخشينا ان يرهقهما اي علمنا انتهى
والزكاة شرف الخُلق والوقار والسكينة المنطوية على خير ونية والرحم الرحمة
وروي عن ابن جريج انهما بدلا غلاما مسلما وروي عنه انهما بدلا جارية وحكى
النقاش انها ولدت هي وذريتها سبعين نبيا وذكره المهدوي عن ابن عباس
وهذا بعيد ولا تعرف كثرة الانبياء الا فى بنى اسراءيل وهذه المرأة لم تكن فيهم
واختلف الناس فى هذا الكنز المذكور هنا فقال ابن عباس كان علما فى صحف
مدفونة وقال عمر مولى غفرة كان لوحا من ذهب قد كتب فيه عجبا للموقن
بالرزق كيف يتعب وعجبا للموقن بالحساب كيف يغفل وعجبا للموقن بالموت
كيف يفرح وروي نحو هذا مما هو فى معناه وقال الداودي وكان تحته كنز
لهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذهب وفضة انتهى فان صح هذا الحديث
فلا نظر لاحد معه فالله اعلم اي ذلك كان * وقوله سبحانه وكان ابوهما
صالحا ظاهر اللفظ والسابق منه الى الذهن انه والدهما دنية وقيل هو الاب
السابع وقيل العاشر فحفظا فيه وفى الحديث ان الله تعالى يحفظ الرجل الصالح
فى ذريته وقول الخضر وما فعلته عن امرى يقتضى انه نبي وقد اختلف فيه فقيل
هو نبي وقيل عبد صالح وليس بنبي وكذلك اختلف فى موته وحياته والله اعلم
بجميع ذلك ومما يقضى بموت الخضر قوله صلى الله عليه وسلم ارأيتكم ليلتكم هذه
فان الى رأس مائة منها لايبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد قال القرطبي
فى تذكرته وذكر عن عمرو بن دينار الخضر والياس عليهما السلام حيان فاذا

رفع القرءان ماتا قال القرطبي وهذا هو الصحيح انتهى وحكايات من رأى الخضر من الاولياء لاتحصى كثرة فلا نطيل بسردها وانظر لطائف المنن لابن عطاء الله * وقوله ذلك تاويل اي مثال وحكى السهيلي انه لما حان للخضر وموسى ان يفترقا قال له الخضر لو صبرت لاتيت على الف عجب كلها اعجب مما رأيت فبكى موسى وقال للخضر اوصني يرحمك الله فقال يا موسى اجعل همك فى معادك ولا تخض فيما لا يعنيك ولا تامن من الخوف فى امنك ولا تيأس من الامن فى خوفك وتدبر الامور فى علانيتك ولا تذر الاحسان فى قدرتك فقال له موسى زدنى يرحمك الله فقال له الخضر يا موسى اياك واللجاجة ولا تمش فى غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير احدا وابك على خطيئتك يا ابن عمران انتهى * وقوله سبحانه ويسألونك عن ذى القرنين الآية ذو القرنين هو الملك الاسكندر اليوناني واختلف فى وجه تسميته بذى القرنين واحسن ما قيل فيه انه كان ذا ظفيرتين من شعرهما قرناه والتمكين له فى الارض انه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها وروي ان جميع من ملك الدنيا كلها اربعة مومنان وكافران فالمومنان سليمان بن داود عليهما السلام والاسكندر والكافران نمرود وبخت نصر * وقوله سبحانه وءاتيناه من كل شيء سببا معناه علما فى كل امر واقيسة يتوصل بها الى معرفة الاشياء وقوله كل شيء عموم معناه الخصوص فى كل ما يمكنه ان يعلمه ويحتاج اليه * وقوله فاتبع سببا اي طريقا مسلوكة وقرأ نافع وابن كثير وحفص عن عاصم فى عين حمئة اي ذات حمأة وقرأ الباقون فى عين حامية اي حارة وذهب الطبري الى الجمع بين الامرين فقال يحتمل ان تكون العين حارة ذات حمأة واستدل بعض الناس على ان ذا القرنين نبي بقوله تعالى قلنا ياذا القرنين ومن قال انه ليس بنبي قال كانت هذه المقالة من الله له بالهام قال (ع) والقول بانه نبي ضعيف واما

ان تعذب معناه بالقتل على الكفر واما ان تتخذ فيهم حسنا اي ان امنوا وذهب الطبري الى ان اتخاذه الحسن هو الاسر مع كفرهم ويحتمل ان يكون الاتخاذ ضرب الجزية ولكن تقسيم ذى القرنين بعد هذا الامر الى كفر وايمان يرد هذا القول بعض الرد وظلم فى هذه الآية بمعنى كفر * وقوله عذابا نكرا اي تنكره الاوهام لعظمه وتستهوله والحسنى يراد بها الجنة * وقوله تعالى ثم اتبع سببا المعنى ثم سلك ذو القرنين الطرق المؤدية الى مقصده وكان ذو القرنين على ما وقع فى كتب التاريخ يدوس الارض بالجيوش الثقال والسيرة الحميدة والحزم المستيقظ والتاييد المتواصل وتقوى الله عز وجل فالقي امة ولامر بمدينة الاذلت ودخلت فى طاعته وكل من عارضه او توقف عن امره جعله عظة وآية لغيره وله فى هذا المعنى اخبار كثيرة وغرائب محل ذكرها كتب التاريخ * وقوله وجدها تطلع على قوم المراد بالقوم الزنج قاله قتادة وهم الهنود وما وراءهم وقال الناس فى قوله سبحانه لم نجعل لهم من دونها سترا معناه انهم ليس لهم بنيان اذ لاتحتمل ارضهم البناء وانما يدخلون من حر الشمس فى اسراب وقيل يدخلون فى ماء البحر قاله الحسن وغيره واكثر المفسرون فى هذا المعنى والظاهر من اللفظ انها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم ولوكان لهم اسراب تغنى لكان سترا كثيفا * وقوله كذلك معناه فعل معهم كفعله مع الاولين اهل المغرب فاوجز بقوله كذلك * وقوله حتى اذا بلغ بين السدين الآية السدان فيما ذكر اهل التفسير جبلان سدا مسالك تلك الناحية وبين طرفي الجبلين فتح هو موضع الردم وهذان الجبلان فى طرف الارض مما يلى المشرق ويظهر من الفاظ التواريخ انهما الى ناحية الشمال * وقوله تعالى ووجد عندها قوما قال السهيلي هم اهل جابلص ويقال لها بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود بقيتهم

الذين ءامنوا بصالح * وقوله تعالى ووجدها تطلع على قوم هم اهل جابَلَق وهم من نسل مومنى قوم عاد الذين ءامنوا بهود ويقال لها بالسريانية مرقيسيا ولكل واحدة من المدينتين عشرة ءالاف باب بين كل بابين فرسخ ومربهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء فدعاهم فاجابوه وءامنوا به ودعا من ورائهم من الامم فلم يجيبوه فى حديث طويل رواه الطبري عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم انتهى والله اعلم بصحته * وياجوج وماجوج قبيلان من بنى ءادم لكنهم ينقسمون انواعا كثيرة اختلف الناس فى عددها واختلف فى افسادهم الذى وصفوهم به فقيل اكل بنى ءادم وقالت فرقة افسادهم هو الظلم والغشم وسائر وجوه الافساد المعلوم من البشر وهذا اظهر الاقوال وقولهم فهل نجعل لك خرجا استفهام على جهة حسن الادب والخرج المجبى وهو الخراج وقرأ عاصم وحمزة والكساءي خراجا وروي فى امر ياجوج وماجوج ان ارزاقهم هي من التنين يمطرون به ونحو هذا مما لم يصح وروي ايضا ان الذكر منهم لا يموت حتى يولد له الف والانثى كذلك وروي انهم يتسافدون فى الطرق كالبهائم واخبارهم تضيق بها الصحف فاختصرت ذلك لعدم صحته (ت) والذى يصح من ذلك كثرة عددهم على الجملة على ما هو معلوم من حديث اخرج بعث النار وغيره من الاحاديث * وقوله ما مكنى فيه ربى خير المعنى قال لهم ذوالقرنين ما بسطه الله لى من القدرة والملك خير من خراجكم ولكن اعينونى بقوة الابدان وهذا من تاييد الله تعالى له فانه تهدّى فى هذه المحاورة الى الانفع الانزه فان القوم لوجمعوا له الخراج الذى هو المال لم يعنه منهم احد ولوكلوه الى البنيان ومعونتهم بالقوة اجمل به * وقوله ءاتونى زبر الحديد الآية قرأ حمزة وغيره ائتونى بمعنى جيئونى وقرأ نافع وغيره ءاتونى بمعنى اعطونى وهذا

كله انما هو استدعاء المناولة واعمال القوة والزبر جمع زبرة وهي القطعة العظيمة منه والمعنى فرصفه وبناه حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما الجبلان * وقوله قال انفخوا الى ءاخر الآية معناه انه كان يامر بوضع طاقة من الزبر والحجارة ثم يوقد عليها حتى تحمى ثم يوتى بالنحاس المذاب او بالرصاص او بالحديد بحسب الخلاف فى القطر فيفرغه على تلك الطاقة المنضدة فاذا التأم واشتد استانف رصف طاقة اخرى الى ان استوى العمل وقال اكثر المفسرين القطر النحاس المذاب ويؤيد هذا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال يا رسول الله انى رأيت سد ياجوج وماجوج فقال كيف رأيته قال رأيته كالبرد المحبر طريقة صفراء وطريقة حمراء وطريقة سوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد رأيته ويظهروه معناه يعلونه بصعود فيه ومنه قوله فى الموطإ والشمس فى حجرتها قبل ان تظهر وما استطاعوا له نقبا لبعد عرضه وقوته ولا سبيل سوى هذين اما ارتقاء واما نقب وروي ان فى طوله ما بين طرفي الجبلين مائة فرسخ وفى عرضه خمسين فرسخا وروي غير هذا مما لم نقف على صحته فاختصرناه اذ لا غاية للتخرص وقوله فى الآية انفخوا يريد بالاكيار * وقوله هذا رحمة من ربى الآية القائل ذو القرنين واشار بهذا الى الردم والقوة عليه والانتفاع به والوعد يحتمل ان يريد به يوم القيامة ويحتمل ان يريد به وقت خروج ياجوج وماجوج وقرأ نافع وغيره دكا مصدر دك يدك اذا هدم ورض وناقة دكاء لاسنام لها والضمير فى تركنا لله عز وجل * وقوله يومئذ يحتمل ان يريد به يوم القيامة ويحتمل ان يريد به يوم كمال السد والضمير فى قوله بعضهم على هذا لياجوج وماجوج واستعارة الموج لهم عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم فى بعض كالمولهين من هم وخوف ونحوه فشبههم بموج البحر الذى يضطرب بعضه فى بعض * وقوله ونفخ فى

الصور الى ءاخر الآية يعنى به يوم القيامة بلا احتمال لغيره والصور فى قول الجمهور وظاهر الاحاديث الصحاح هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل للقيامة * وقوله سبحانه وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا معناه ابرزناها لهم لتجمعهم وتحطمهم ثم اكد بالمصدر عبارة عن شدة الحال * وقوله اعينهم كناية عن البصائر والمعنى الذين كانت فكرهم بينها وبين ذكرى والنظر فى شرعى حجاب وعليها غطاء * وكانوا لا يستطيعون سمعا يريد لاعراضهم ونفارهم عن دعوة الحق وقرأ الجمهور افحسب الذين كفروا بكسر السين بمعنى اظنوا وقرأ علي بن ابى طالب وغيره وابن كثير بخلاف عنه افحسب بسكون السين وضم الباء بمعنى أكافيهم ومنتهى غرضهم وفى مصحف ابن مسعود افظن الذين كفروا وهذه حجة لقراءة الجمهور * وقوله ان يتخذوا عبادى قال جمهور المفسرين يريد كل من عبد من دون الله كالملائكة وعزير وعيسى والمعنى ان الامر ليس كما ظنوا بل ليس لهم من ولاية هؤلاء المذكورين شيء ولا يجدون عندهم منتفعا واعتدنا معناه يسرنا والنزل موضع النزول والنزل ايضا ما يقدم للضيف اوالقادم من الطعام عند نزوله ويحتمل ان يريد بالآية هذا المعنى ان المعد لهؤلاء بدل النزل جهنم والآية تحتمل الوجهين ثم قال تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الآية المعنى قل لهؤلاء الكفرة على جهة التوبيخ هل نخبركم بالذين خسر عملهم وضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم مع ذلك يظنون انهم يحسنون فيما يصنعوه فاذا طلبوا ذلك فقل لهم اولائك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه وعن سعد بن ابى وقاص فى معنى قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال هم عباد اليهود والنصارى واهل الصوامع والديارات وعن علي هم الخوارج ويضعف هذا كله قوله تعالى بعد ذلك اولائك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه وليس هذه الطوائف ممن

يكفر بالله ولقائـه وانما هذه صفة مشركى عبدة الاوثان وعلي وسعـد رضي الله عنهما ذكرا قوما اخذوا بحظهم من صدر الآيـة * وقوله سبحانه فلا نقيم لهم يوم القيامـة وزنا يريد انهم لاحسنة لهم توزن لان اعمالهم قد حبطت اي بطلت ويحتمل المجاز والاستعارة كأنه قال فلا قدر لهم عندنا يومئذ وهذا معنى الآيـة عندى وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوتى بالاكول الشروب الطويل فلا يزن جناح بعوضة ثم قرأ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا * وقوله ذلك اشارة الى ترك اقامة الوزن * وقوله سبحانه ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحـات كانت لهم جنـات الفردوس اختلف المفسرون فى الفردوس فقال قتادة انه اعلى الجنة وربوتهـا وقال ابو هريرة انـه جبل تتفجر منه انهار الجنة وقال ابو امامة انه سرة الجنة ووسطها وروى ابو سعيد الخدري انه تتفجر منه انهار الجنـة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سألتم الله فاسألوه الفـردوس (ت) فى البخـاري مـن حديث ابى هـريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائـة درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بـين الدرجتـين كما بـين السماء والارض فاذا سألتم الله فسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقـه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة انتهى * وقوله تعـالى لا يبغون عنهـا حـولا الحول بمعنى المتحول قال مجاهـد متحولا واما قوله سبحانه قل لو كان البحر مـدادا لكلمات ربى الآيـة فروي ان سبب الآية ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم كيف ترعم انك نبي الامم كلها وانك اعطيت ما يحتاجه الناس من العلم وانت مقصر قد سئلت عن الروح فلم تجب فيه ونحو هذا من القول فانزل الله الآية معلمة باتساع معلومات الله عز وجل وانها غير متناهية وان الوقوف دونها ليس ببدع فالمعنى لو كان البحر مـدادا تكتب به معلوماته تعالى لنفد قبل ان يستوفيها وكلمات ربى هي المعانى القائمة بالنفس وهي

المعلومات ومعلومات الله عز وجل لا تتناهى والبحر متناه ضرورة وذكر الغزالي في اخر المنهاج ان المفسرين يقولون في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ان هذه هي الكلمات التي يقول الله عز وجل لاهل الجنة في الجنة باللطف والاكرام مما لا تكيفه الاوهام ولا يحيط به علم مخلوق وحق ان يكون ذلك كذلك وهو عطاء العزيز العليم على مقتضى الفضل العظيم والجود الكريم الا لمثل هذا فليعمل العاملون انتهى * وقوله مددا اي زيادة (ت) وكذا فسره الهروي ولفظه وقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا اي زيادة انتهى * وقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم اي انا بشر ينتهى علمى الى حيث يوحى الي ومهم ما يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وباقى الآية بين في الشرك بالله تعالى وقال ابن جبير في تفسيرها لا يراءى في عمله وقد ورد حديث انها نزلت في الرياء (ت) وروى ابن المبارك في رقائقه قال اخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه انه كان يصف امر الرياء فيقول ما كان من نفسك فرضيته نفسك لها فانه من نفسك فعاتبها وما كان من نفسك فكرهته نفسك لها فانه من الشيطان فتعوذ بالله منه وكان ابو حازم يقول ذلك واسند ابن المبارك عن عبد الرحمن بن ابي امية قال كل ما كرهه العبد فليس منه انتهى وخرج الترمذي عن ابي سعيد ابن ابي فضالة الانصاري وكان من الصحابة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لاريب فيه نادى مناد من كان اشرك في عمل عمله لله احدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله اغنى الشركاء عن الشرك قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب انتهى وقد خرج مسلم معناه (ت) ومما جربته وصح من خواص هذه السورة ان من اراد ان يستيقظ اي وقت شاء من الليل فليقرأ عند نومه قوله سبحانه افحسب الذين كفروا ان

يتخذوا عبادى من دوني اولياء الى ءاخر السورة فانه يستيقظ باذن الله فى الوقت الذى نواه ولتكن قراءته عند ءاخر ما يغلب عليه النعاس بحيث لا يتجدد له عقب القراءة خواطر هذا مما لاشك فيه وهو من عجائب القرءان المقطوع بها والله الموفق بفضله تنبيه روينا فى صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان فى الليل لساعة لايوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من امر الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة فان اردت ان تعرف هذه الساعة فاقرأ عند نومك من قوله تعالى ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس الى ءاخرالسورة فانك تستيقظ فى تلك الساعة ان شاء الله تعالى بفضله ويتكرر تيقظك ومهما استيقظت فادع لى ولك وهذا مما الهمنيه الله سبحانه فاستفده وما كتبته الا بعد استخارة واياك ان تدعو هنا على مسلم ولوكان ظالما فان خالفتنى فالله حسيبك وبين يديه اكون خصيمك وانا ارغب اليك ان تشركنى فى دعائك اذ افدتك هذه الفائدة العظيمة وكنت شيخك فيها وللقرءان العظيم اسرار يطلع الله عليها من يشاء من اوليائه جعلنا الله منهم بفضله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

فهرست الجزء الثانى من كتاب الجواهر الحسان فى تفسير القرءان

تفسير الثعالبي

الموسوم

بجواهر الحسان في تفسير القرآن

اليافعي التميمي المتوفى سنة [illegible] هجرية

الجزء الثالث

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب. ٧١٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة مريم عليها السلام

هذه السورة مكية باجماع الا السجدة منها فقيل مكية وقيل مدنية * قوله عز وجل كهيعص قد تقدم الكلام فى فواتح السور * وقوله ذكر رحمت ربك مرتفع بقوله كهيعص فى قول فرقة وقيل انه ارتفع على انه خبر مبتدإ محذوف تقديره هذا ذكر وحكى ابو عمرو الداني عن ابن يعمر انه قرأ ذكّر رحمة ربك بفتح الذال وكسر الكاف المشددة ونصب الرحمة * وقوله نادى معناه بالدعاء والرغبة قاله ابن العربي فى احكامه * وقوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا يناسب قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي وذلك لانه ابعد من الرياء فاما دعاء زكرياء عليه السلام فانما كان خفيا لوجهين احدهما انه كان ليلا والثانى انه ذكر فى دعائه احوالا تفتقر الى الاخفاء كقوله وانى خفت الموالي من وراءى وهذا مما يكتم انتهى ووهن العظم

معناه ضعف واشتعل مستعار للشيب من اشتعال النار * وقوله ولم اكن بدعائك رب شقيا شكر لله عز وجل على سالف اياديه عنده معناه قد احسنت الي فيما سلف وسعدت بدعاءى اياك فالانعام يقتضى ان يشفع اوله اخره (ت) وكذا فسر الداودي ولفظه ولم اكن بدعائك رب شقيا يقول كنت تعرفنى الاجابة فيما مضى وقاله قتادة انتهى * وقوله وانى خفت الموالي الآية قيل معناه خاف ان يرث الموالى ماله والموالى بنو العم والقرابة * وقوله من وراءى اي من بعدى وقالت فرقة انما كان مواليه مهملين للدين فخاف بموته ان يضيع الدين فطلب وليا يقوم بالدين بعده حكى هذا القول الزجاج وفيه انه لا يجوز ان يسأل زكرياء من يرث ماله اذ الانبياء لاتورث قال (ع) وهذا يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء لانورث ما تركنا فهو صدقة والاظهر الاليق بزكرياء عليه السلام ان يريد وراثة العلم والدين فتكون الوراثة مستعارة وقد بلغه الله امله قال ابن هشام ومن وراءى متعلق بالموالى او بمحذوف هو حال من الموالى او مضاف اليهم اي كائنين من وراءى او فعل الموالى من وراءى ولا يصح تعلقه بخفت لفساد المعنى انتهى من المغنى وخفت الموالي هي قراءة الجمهور وعليها هو هذا التفسير وقرأ عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابن عباس وجماعة خفت بفتح الخاء وفتح الفاء وشدها وكسر التاء والمعنى على هذا قد انقطع اولياءى وماتوا وعلى هذه القراءة فانما طلب وليا يقوم بالدين قال ابن العربي فى احكامه ولم يخف زكرياء وارث المال وانما اراد ارث النبوءة وعليها خاف ان تخرج عن عقبه وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبياء لانورث ماتركناه صدقة انتهى وقرأ علي بن ابى طالب وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم يرثنى وارث من آل يعقوب (ت) وقوله فهب لى قال ابن مالك فى شرح الكافية

اللام هنــا هي لام التعديــة وقاله ولده فى شرح الخلاصة قال ابن هشام والاولى عندى ان يمثل للتعديــة بنحو ما اكرم زيدا لعمرو ومــا احبه لبكر انتهى ☆ وقوله من آل يعقوب يريد يرث منهم الحكمة والعلم والنبوءة ورضيا معناه مرضيا والعاقر من النساء التى لا تــلد من غير كبرة وكذلــك العاقر من الرجال ☆ وقوله لم نجعل له من قبل سميا معناه فى اللغة لم نجعل له مشاركا فى هذا الاسم اي لم يسم به قبــل يحي وهذا قول ابن عباس وغيره وقال مجاهد وغيره سميــا معنــاه مثيــلا ونظيرا وفى هذا بعد لانــه لا يفضل على ابراهيم وموسى عليهــما السلام الا ان يفضل فى خاص كالسودد والحصر والعتي والعُسِيّ المبالغة فى الكبر او يبس العود اوشيب الرأس او عقيدة ما وزكرياء هو من ذريــة هارون عليهما السلام ومعنى قوله سويا فيما قال الجمهور صحيحا من غير علة ولاخرس وقال ابن عباس ذلك عائــد على الليالى اراد كامــلات مستويات ☆ وقوله فاوحى اليهم قال قتادة وغيره كان ذلك باشارة وقال مجاهد بــل بكتابــة فى التراب قال (ع) وكلا الوجهين وحي ☆ وقوله ان سبحوا قال قتــادة معناه صلوا السبحــة والسبحة الصلاة وقالت فرقة بل امرهم بذكر الله وقول سبحان الله ☆ وقوله عز وجل يايحي خذ الكتاب بقوة المعنى قال الله له يايحي خذ الكتاب وهوالتوراة وقوله بقوة اي العلم به والحفظ له والعمل به والالتزام للوازمه ☆ وقوله صبيا يريد شابا لم يبلغ حد الكهولة ففى لفظ صبي على هذا تجوز واستصحاب حــال وروى معمر ان الصبيــان دعوا يحي الى اللعب وهو طفل فقال انى لم اخلــق للعب فتلك الحكمة التى اتاه الله عز وجل وهو صبي وقال ابن عباس من قرأ القرءان قبل ان يحتلم فهو ممن اوتي الحكمــة صبيا والحنــان الرحمة والشفقــة والمحبة قاله جمهور المفسرين وهوتفسير اللغة ومن الشواهد فى الحنان قول النابغة

ابامنذر افنيت فاستبق بعضنــــا ☆ حنانيك بعض الشر اهون من بعض

وقال عطاء بن ابى رباح حنانا من لدنا بمعنى تعظيما من لدنا قال (ع) وهو ايضا ما عظم من الامر لاجل الله عز وجل ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل فى خبر بلال والله لئن قتلتم هذا العبد لاتخذن قبره حنانا قال (ص) قال ابوعبيدة واكثر ما يستعمل مثنى انتهى والزكاة التنمية والتطهير فى وجوه الخير قال مجاهد كان طعام يحيي العشب وكان للدمع فى خده مجار ثابتة ولم يكن جبارا عصيا روي ان يحيى عليه السلام لم يواقع معصية قط صغيرة ولا كبيرة والبَر كثير البر والجبار المتكبر كانه يجبر الناس على اخلاقه * وقوله وسلام عليه قال الطبري وغيره معناه وامان عليه قال (ع) والاظهر عندى انها التحية المتعارفة فهي اشرف وانبه من الامان لان الامان متحصل له بنفي العصيان عنه وهو اقل درجاته وانما الشرف فى ان سلم الله عليه وحياه فى المواطن التى الانسان فيها فى غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة * واذكر فى الكتاب مريم الكتاب هو القرءان والانتباذ التنحى قال السدي انتبذت لتطهر من حيض وقال غيره لتعبد الله عز وجل قال (ع) وهذا احسن * وقوله شرقيا يريد فى جهة الشرق من مساكن اهلها وكانوا يعظمون جهة المشرق قاله الطبري وقال بعض المفسرين اتخذت المكان بشرقي المحراب * وقوله سبحانه فاتخذت من دونهم حجابا اي لتستتر به عن الناس لعبادتها والروح جبريل عليه السلام * وقوله تعالى قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا المعنى قالت مريم للملك الذى تمثل لها بشرا لمارأته قد خرق الحجاب الذى اتخذته فاساءت به الظن اعوذ بالرحمن منك ان كنت ذا تقى فقال لها جبريل عليه السلام انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا وقرأ ابوعمرو ونافع بخلاف عنه ليهب * قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا والبغي الزانية وروي ان جبريل عليه السلام حين

قاولها هذه المقاولة نفخ فى جيب درعها فسرت النفخة باذن الله تعالى حتى حملت منها قاله وهب بن منبه وغيره وقال ابي بن كعب دخل الروح المنفوخ من فمها فذلك قوله تعالى فحملته اي فحملت الغلام ويذكر انها كانت بنت ثلاث عشرة سنة فلما احست بذلك وخافت تعنيف الناس وان يظن بها الشر انتبذت اي تنحت مكانا بعيدا حياء وفرارا على وجهها واجاءها معناه اضطرها وهو تعدية جاء بالهمزة والمخاض الطلق وشدة الولادة واوجاعها وروي انها بلغت الى موضع كان فيه جذع نخلة بال يابس فى اصله مذود بقرة على جرية ماء فاشتد بها الامر هنا لك واحتضنت الجذع لشدة الوجع وولدت عيسى عليه السلام فقالت عند ولادتها لما رأته من صعوبة الحال من غير ما وجه ياليتني مت قبل هذا فتمنت الموت من جهة الدين ان يظن بها الشر وخوف ان تفتتن بتعيير قومها وهذا مباح وعلى هذا الحد تمناه عمر رضى الله عنه وكنت نسيا اي شيأ متروكا محتقرا والنسي فى كلام العرب الشيء الحقير الذى شانه ان ينسى فلا يتألم لفقده كالوتد والحبل للمسافر ونحوه وهذه القصة تقتضى انها حملت واستمرت حاملا على عرف البشر واستحيت من ذلك ومرت بسببه وهي حامل وهو قول جمهور المتأولين وروي عن ابن عباس انه قال ليس الا ان حملت فوضعت فى ساعة واحدة والله اعلم وظاهر قوله فاجاءها المخاض انها كانت على عرف النساء * وقوله سبحانه فناداها من تحتها قرأ ابن كثير وابوعمرو وابن عامر وعاصم فناداها من تحتها على ان من فاعل ينادى والمراد بمن عيسى قاله مجاهد والحسن وابن جبير وابي بن كعب وقال ابن عباس المراد بمن جبريل ولم يتكلم عيسى حتى اتت به قومها والقول الاول اظهر وابين وبه يتبين عذر مريم ولا تبقى بها استرابة وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم من تحتها بكسر الميم واختلفوا ايضا

فقالت فرقة المراد عيسى وقالت فرقة المراد جبريل المحاور لها قبل قالوا وكان فى بقعة اخفض من البقعة التى كانت هي عليها والاول اظهر وقرأ ابن عباس فناداها ملك من تحتها والسري من الرجال العظيم السيد والسري ايضا الجدول من الماء وبحسب هذا اختلف الناس فى هذه الآية فقال قتادة وابن زيد اراد جعل تحتك عظيما من الرجال له شأن وقال الجمهور اشار لها الى الجدول ثم امرها بهز الجذع اليابس لترى ءاية اخرى وقالت فرقة بل كانت النخلة مطعمة رطبا وقال السدي كان الجذع مقطوعا واجري تحتها النهر لحينه قال (ع) والظاهر من الآية ان عيسى هو المكلم لها وان الجذع كان يابسا فهي ءايات تسليها وتسكن اليها قال (ص) قوله وهزى اليك تقرر فى علم النحو ان الفعل لا يتعدى الى ضمير متصل وقد رفع المتصل وهما لمدلول واحد واذا تقرر هذا فاليك لا يتعلق بهزى ولكن يمكن ان يكون اليك حالا من جذع النخلة فيتعلق بمحذوف اى هزى بجذع النخلة منتهيا اليك انتهى والباء فى قوله بجذع زائدة موكدة وجنيا معناه قد طابت وصلحت للاجتناء وهو من جنيت الثمرة وقال عمرو بن ميمون ليس شيء للنفساء خيرا من التمر والرطب وقرة العين ماخوذة من القر وذلك انه يحكى ان دمع الفرح بارد المس ودمع الحزن سخن المس وقيل غير هذا قال (ص) وقرى عينا اي طيبي نفسا ابو البقاء عينا تمييز اه * وقوله سبحانه فاما ترين من البشر احدا الآية المعنى ان الله عز وجل امرها على لسان جبريل عليه السلام او ابنها على الخلاف المتقدم بان تمسك عن مخاطبة البشر وتحيل على ابنها فى ذلك ليرتفع عنها خجلها وتبين الآية فيقوم عذرها وظاهر الآية انها ابيح لها ان تقول مضمن هذه الالفاظ التي فى الآية وهو قول الجمهور وقالت فرقة معنى قولى

بالاشارة لا بالكلام قال (ص) وقوله فقولى جواب الشرط وبينهما جملة محذوفة يدل عليها المعنى اي فاما ترين من البشر احدا وسألك او حاورك الكلام فقولى انتهى وصوما معناه عن الكلام اذ اصل الصوم الامساك وقرأت فرقة انى نذرت للرحمن صمتا ولا يجوز فى شرعنا نذر الصمت فروي ان مريم عليها السلام لما اطمأنت بما رأت من الآيات وعلمت ان الله تعالى سيبين عذرها اتت به تحمله مدلة من المكان القصي الذى كانت منتبذة به والفري العظيم الشنيع قاله مجاهد والسدي واكثر استعماله فى السوء واختلف فى معنى قوله تعالى يااخت هارون فقيل كان لها اخ اسمه هارون لان هذا الاسم كان كثيرا فى بنى اسراءيل وروى المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسله الى اهل نجران فى امر من الامور فقالت له النصارى ان صاحبك يزعم ان مريم هي اخت هارون وبينهما فى المدة ست مائة سنة قال المغيرة فلم ادر ما اقول فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال الم يعلموا انهم كانوا يسمون باسماء الانبياء والصالحين قال (ع) فالمعنى انه اسم وافق اسما وقيل نسبوها الى هارون اخي موسى لانها من نسله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان اخا صداء اذن ومن اذن فهو يقيم وقال قتادة نسبوها الى هارون اسم رجل صالح فى ذلك الزمان وقالت فرقة بل كان فى ذلك الزمان رجل فاجر اسمه هارون نسبوها اليه على جهة التعيير (ت) والله اعلم بصحة هذا وما رواه المغيرة ان ثبت هو المعول عليه وقولهم ما كان ابوك امرأ سوء المعنى ما كان ابوك ولا امك اهلا لهذه الفعلة فكيف جئت انت بها والبغي التى تبغي الزنا اي تطلبه * وقوله تعالى فاشارت اليه يقوى قول من قال ان امرها بقُولى انما اريد به الاشارة * وقوله ءاتاني الكتاب يعنى الانجيل ويحتمل ان يريد التوراة والانجيل وءاتانى معناه قضى بذلك سبحانه وانفذه

فى سابق حكمه وهذا نحو قوله تعالى اتى امر الله * واوصانى بالصلوة والزكوة قيل هما المشروعتان فى البدن والمال وقيل الصلاة الدعاء والزكاة التطهر من كل عيب ونقص ومعصية والجبار المتعظم وهي خلق مقرونة بالشقاء لانها مناقضة لجميع الناس فلا يلقى صاحبها من كل احد الا مكروها وكان عيسى عليه السلام فى غاية التواضع ياكل الشجر ويلبس الشعر ويجلس على الارض وياوى حيث جنه الليل لا مسكن له قال قتادة وكان يقول سلونى فانى لين القلب صغير فى نفسى وقالت فرقة ان عيسى عليه السلام كان اوتي الكتاب وهو فى سن الطفولية وكان يصوم ويصلى قال (ع) وهذا فى غاية الضعف (ت) وضعفه من جهة سنده والا فالعقل لا يحيله لاسيما وامره كله خرق عادة وفى قصص هذه الآية عن ابن زيد وغيره انهم لما سمعو كلام عيسى اذعنوا وقالوا ان هذا لامر عظيم * وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون المعنى قل يا محمد لمعاصريك من اليهود والنصارى ذلك الذى هذه قصته عيسى ابن مريم وقرأ نافع وعامة الناس قول الحق برفع القول على معنى هذا هو قول الحق وقرأ عاصم وابن عامر قول الحق بنصب اللام على المصدر * وقوله ان الله ربى وربكم الآية هذا من تمام القول الذى امر به محمد صلى الله عليه وسلم ان يقوله ويحتمل ان يكون من قول عيسى ويكون قوله ان بفتح الهمزة عطفا على قوله الكتاب وقد قال وهب بن منبه عهد عيسى اليهم ان الله ربى وربكم (ت) وما ذكره وهب مصرح به فى القرءان ففى ءاخر المائدة ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم الآية وامتراؤهم فى عيسى هو اختلافهم فيقول بعضهم لزنية وهم اليهود ويقول بعضهم هو الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فهذا هو امتراؤهم وسياتى شرح ذلك باثر هذا * وقوله فاختلف الاحزاب من بينهم هذا ابتداء

خبر من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم بان بنى اسرايل اختلفوا احزابا اي فرقا وقوله من بينهم بمعنى من تلقائهم ومن انفسهم ثار شرهم وان الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين وروي فى هذا عن قتادة ان بنى اسرايل جمعوا من انفسهم اربعة احبار غاية فى المكانة والجلالة عندهم وطلبوهم ان يبينوا لهم امر عيسى فقال احدهم عيسى هو الله تعالى الله عن قولهم وقال له الثلاثة كذبت واتبعه اليعقوبية ثم قيل للثلاثة فقال احدهم عيسى ابن الله تعالى الله عن قولهم فقال له الاثنان كذبت واتبعه النسطورية ثم قيل للاثنين فقال احدهما عيسى احد ثلاثة الله اله ومريم اله وعيسى اله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فقال له الرابع كذبت واتبعته الاسرايلية فقيل للرابع فقال عيسى عبد الله وكلمته القاها الى مريم فاتبع كلٌ واحد فريق من بنى اسرايل ثم اقتتلوا فغلب المومنون وقتلوا وظهرت اليعقوبية على الجميع والويل الحزن والثبور وقيل الويل واد فى جهنم ومشهد يوم عظيم هو يوم القيامة * وقوله سبحانه اسمع بهم وابصر اي ما اسمعهم وابصرهم يوم يرجعون الينا ويرون ما نصنع بهم لكن الظالمون اليوم اي فى الدنيا فى ضلال مبين اي بين وانذرهم يوم الحسرة وهو يوم ذبح الموت قاله الجمهور وفى هذا حديث صحيح خرجه البخاري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الموت يجاء به فى صورة كبش املح فيذبح على الصراط بين الجنة والنار وينادى يا اهل الجنة خلود لاموت ويا اهل النار خلود لاموت ثم قرأ وانذرهم يوم الحسرة الآية قال (ع) وعند ذلك تصيب اهل النار حسرة لا حسرة مثلها وقال ابن زيد وغيره يوم الحسرة هو يوم القيامة قال (ع) ويحتمل ان يكون يوم الحسرة اسم جنس شامل لحسرات كثيرة بحسب مواطن الآخرة منها يوم موت الانسان واخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك وهم

فى غفلة يريد فى الدنيا * قوله سبحانه انا نحن نرث الارض الآية عبارة عن بقائه جل وعلا بعد فناء مخلوقاته لا اله غيره * وقوله عز وجل واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيأ الآية قوله واذكر بمعنى اتل وشهر لان الله تعالى هو الذاكر والكتاب هو القرءان والصديق بناء مبالغة فكان ابراهيم عليه السلام يوصف بالصدق فى افعاله واقواله * وقوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن الآية قال الطبري اخاف بمعنى اعلم قال (ع) والظاهر عندى انه خوف على بابه وذلك ان ابراهيم عليه السلام فى وقت هذه المقالة لم يكن ءايسا من ايمان ابيه (ت) ونحو هذا عبارة المهدوي قال قيل اخاف معناه اعلم اي انى اعلم ان مت على ما انت عليه ويجوز ان يكون اخاف على بابه ويكون المعنى انى اخاف ان تموت على كفرك فيمسك العذاب انتهى * وقوله لارجمنك قال الضحاك وغيره معناه بالقول اي لاشتمنك وقال الحسن معناه لارجمنك بالحجارة وقالت فرقة معناه لاقتلنك وهذان القولان بمعنى واحد * وقوله واهجرنى على هذا التاويل انما يترتب بانه امر على حياله كانه قال ان لم تنته قتلتك بالرجم ثم قال له واهجرنى اي مع انتهائك ومليا معناه دهرا طويلا ماخوذ من الملوين وهما الليل والنهار هذا قول الجمهور * وقوله قال سلام عليك اختلف فى معنى تسليمه على ابيه فقال بعضهم هي تحية مفارق وجوزوا تحية الكافر وان يبدأ بها وقال الجمهور ذاك السلام بمعنى المسالمة لا بمعنى التحية وقال الطبري معناه أَمَنَة منى لك وهذا قول الجمهور وهم لا يرون ابتداء الكافر بالسلام وقال النقاش حليم خاطب سفيها كما قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * وقوله سأستغفر لك ربي معناه سأدعو الله تعالى فى ان يهديك فيغفر لك بايمانك ولما تبين له انه عدو لله تبرأ منه والحفى المهتبل المتلطف وهذا شكر من ابراهيم لنعم الله تعالى عليه ثم اخبر

ابراهيم عليه السلام بانـه يعتزلهم اي يصير عنهم بمعزل ويروى انهم كانوا بارض كُوثَى فرحل عليه السلام حتى نزل الشام وفى سفرته تلك لـقِي الجبار الذى اخدم هاجر الحديث الصحيح بطوله وتدعون معنـاه تعبـدون * وقوله عسى ترج فى ضمنـه خوف شديد * وقوله سبحانـه فلـما اعتزلهم الى ءاخر الآية اخبار من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انـه لما رحل ابراهيم عن بلد ابـيه وقومـه عوضه الله تعـالى مـن ذلك ابنـه اسحـاق وابن ابنـه يعقـوب على جيعهم السلام وجعل الولد له تسلية وشدا لعضده واسحاق اصغر من اسماعيـل ولـما حملت هاجر باسماعيل غارت سارة فحملت باسحاق هكذا فيما روي * وقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا يريد العلم والمنزلة والشرف فى الدنيا والنعيم فى الآخرة كل ذلك من رحمة الله عز وجل ولسان الصدق هو الثناء البـاقى عليهم ءاخر الابد قاله ابن عباس وابراهيم الخليـل صلى الله عليـه وسلم وذريتـه معظمة فى جميع الامم والملل قال (ص) وكلاجعلنا نبيـأ ابو البقاء هو منصوب بجعلنا انتهى * وقوله عز وجل واذكـر فى الكتاب موسى اي على جهـة التشريف له وناديناه هو تـكليم الله له والايمن صفـة لجـانب وكان على يمـين موسى والا فالجبل نفسه لايمنة له ولا يسرة ويحتمل ان يكون الايمن ماخوذا من اليمن وقربناه اي تقريب تشريف والنجي من المناجاة * وقـوله تعالى واذكـر فى الكتاب اسماعيل هو ايضا من لسان الصدق المضمون بقاؤه على ابراهيم عليه السـلام واسماعيـل عليه السـلام هو ابو العرب اليوم وذلك ان اليَمَنِية والمُضَرِية ترجع الى ولد اسماعيـل وهو الذبيح فى قول الجمهـور وهو الراجح من وجوه منها قوله تعالى ومن وراء اسحـاق يعقوب فـولد بشّر ابواه بان سيكون منه ولد كيف يومر بذبحه ومنهـا ان امر الذبح كان بمنى بـلا خلاف وما روي قط ان اسحاق دخل تلك البلاد واسماعيل بها نشـأ وكان

ابوه يزوره مرارا كثيرة ياتى من الشام ويرجع من يومه على البراق وهو مركب الانبياء ومنها قوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين وهو ابوه عبد الله والذبيح الثانى هو اسماعيل ومنها ترتيب ءايات سورة والصافات يكاد ينص على ان الذبيح غير اسحاق ووصفه الله تعالى بصدق الوعد لانه كان مبالغا فى ذلك وروي انه وعد رجلا ان يلقاه فى موضع فبقي فى انتظاره يومه وليلته فلما كان فى اليوم الآخر جاء الرجل فقال له اسماعيل مازلت هنا فى انتظارك منذ امس وقد فعل مثله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه خرجه الترمذي وغيره قال سفيان بن عيينة اسوأ الكذب اخلاف الميعاد ورمي الابرياء بالتهم واهله المراد بهم قومه وامته قاله الحسن وفى مصحف ابن مسعود وكان يامر قومه وادريس عليه السلام من اجداد نوح عليه السلام ورفعناه مكانا عليا قالت فرقة من العلماء رفع الى السماء قال ابن عباس كان ذلك بامر الله تعالى * وقوله وبكيا قالت فرقة جمع باك وقالت فرقة هو مصدر بمعنى البكاء التقدير وبكوا بكيا واحتج الطبري ومكي لهذا القول بان عمر رضي الله عنه قرأ سورة مريم فسجد ثم قال هذا السجود فاين البكي يعنى البكاء قال (ع) ويحتمل ان يريد عمر رضي الله عنه فاين الباكون وهذا الذى ذكروه عن عمر ذكره ابو حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف الآية الخلف بسكون اللام مستعمل اذا كان الآتى مذموما هذا مشهور كلام العرب والمراد بالخلف من كفر وعصى بعدُ من بنى اسراءيل ثم يتناول معنى الآية من سواهم الى يوم القيامة واضاعة الصلاة يكون بتركها وبجحدها وباضاعة اوقاتها وروى ابو داود الطيالسي فى مسنده بسنده عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن الرجل الصلاة فأتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة

حفظك الله كما حفظتني وترفع واذا اساء الصلاة فلم يتم ركوعها ولا سجودها قالت الصلاة ضيعك الله كما ضيعتني وتلف كما يلف الثوب الخَلَق فيضرب بها وجهه انتهى من التذكرة والشهوات عموم والغي الخسران قاله ابن زيد وقد يكون الغي بمعنى الضلال والتقدير يلقون جزاء الغي وقال عبد الله بن عمرو وابن مسعود الغي واد فى جهنم وبه وقع التوعد فى هذه الآية وقال (ص) الغي عندهم كل شر كما ان الرشاد كل خير انتهى وجنات عدن بدل من الجنة فى قوله يدخلون الجنة * وقوله بالغيب اي اخبرهم من ذلك بما غاب عنهم وفى هذا مدح لهم على سرعة ايمانهم وبدارهم اذ لم يعاينوا وماتيا مفعول على بابه وقال جماعة من المفسرين هو مفعول فى اللفظ بمعنى فاعل فماتيا بمعنى ءات وهذا بعيد (ت) بل هو الظاهر وعليه اعتمد (ص) واللغو السقط من القول * وقوله بكرة وعشيا يريد فى التقدير * وقوله عز وجل وما نتنزل الا بامر ربك الآية قال ابن عباس وغيره سبب هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم ابطأ عنه جبريل عليه السلام مدة فلما جاءه قال يا جبريل قد اشتقت اليك افلا تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت هذه الآية وقال الضحاك ومجاهد سببها ان جبريل تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم عند قوله فى السؤالات المتقدمة فى سورة الكهف غدا اخبركم وقال الداودي عن مجاهد ابطأت الرسل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتى جبريل عليه السلام قال ما حبسك قال وكيف ناتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تاخذون شواربكم ولا تستاكون وما نتنزل الا بامر ربك انتهى وقد جاءت فى فضل السواك ءاثار كثيرة فمنها ما رواه البزار فى مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد اذا تسوك ثم قام يصلى قام الملك خلفه فيسمع لقراءته فيدنو منه حتى يضع فاه على فيه فما يخرج

من فيه شيء من القرءان الاصار فى جوف الملك انتهى من الكوكب الدري وفيه عن ابن ابى شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة على اثرسواك افضل من سبعين صلاة بغيرسواك انتهى وفى البخاري ان السواك مطهرة للفم مرضاة للرب اهـ * وقوله سبحانه له مابين ايدينا الآية المقصود بهذه الآية الاشعار بملك الله تعالى للملائكته وان قليل تصرفهم وكثيره انما هو بامره وانتقالهم من مكان الى مكان انما هو بحد منه * وقوله وما كان ربك نسيا اي ممن يلحقه نسيان لبعثنا اليك فنسيا فعيل من النسيان وهو الذهول عن الامور وقرأ ابن مسعود وما نسيك ربك * وقوله سميا قال قوم معناه موافقا فى الاسم قال (ع) وهذا يحسن فيه ان يريد بالاسم ما تقدم من قوله رب السموات والارض وما بينهما اي هل تعلم من يسمى بهذا او يوصف بهذه الصفة وذلك ان الامم والفرق لايسمون بهذا الاسم وثنا ولاشيأ سوى الله تعالى قال القشيري فى التحبير قوله تعالى واصطبر لعبادته الاصطبار نهاية الصبر ومن صبر ظفر ومن لازم وصل وفى معناه انشدوا

لاتيأسنّ وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذى الصبران يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب ان يلجا

وانشدوا

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى شيء يحاوله * واستصحب الصبر الافاز بالظفر

انتهى وقال ابن عباس وغيره سميا معناه مثيلا اوشبيها ونحو ذلك وهذا قول حسن وكان السمي بمعنى المسامى والمضاهى فهو من السمو * وقوله تعالى ويقول الانسان ائذا مامت لسوف اخرج حيا الانسان اسم جنس يراد به الكافرون وروي ان سبب نزول هذه الآية هو ان رجالا من قريش كانوا يقولون هذا

ونحوه وذكر ان القائل هو ابي بن خاف وروي ان القائل هو العاصى بن وائل
وفى قوله تعالى ولم يك شيأ دليل على ان المعدوم لايسمى شيأ وقال ابوعلي الفارسي
اراد شيأ موجودا قال (ع) وهذه من ابى علي نزغة اعتزالية فتأملها والضمير
فى لنحشرنهم عائد على الكفار القائلين ماتقدم ثم اخبر تعالى انه يقرن بهم
الشياطين المغوين لهم وجثيا جمع جاث فاخبر سبحانه انه يحضر هؤلاء المنكرين
البعث مع الشياطين المغوين فيجثون حول جهنم وهو قعود الخائف الذليل على
ركبتيه كالاسيرونحوه قال ابن زيد الجثي شرالجلوس والشيعة الفرقة المرتبطة بمذهب
واحد المتعاونة فيه فاخبر سبحانه انه ينزع من كل شيعة اعتاها واولاها بالعذاب
فنكون مقدمتها الى النار قال ابوالاحوص المعنى نبدأ بالا كابر جرما واي هنا
بنيت لما حذف الضمير العائد عليها من صدر صلتها وكان التقدير ايهم هو اشد
وصليا مصدر صلي يصلى اذا باشره * وقوله عزوجل وان منكم الاواردها
قسم والواو تقتضيه ويفسره قوله صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة اولاد لم
تمسه النارالاتحلة القسم وقرأ ابن عباس وجماعة وان منهم بالهاء على ارادة الكفار
قال (ع) ولاشغب فى هذه القراءة وقالت فرقة من الجمهورالقارئين منكم
المعنى قل لهم يامحمد فالخطاب بمنكم للكفرة وتاويل هؤلاء ايضا سهل التناول وقال
الا كثر المخاطب العالم كله ولابد من ورود الجميع ثم اختلفوا فى كيفية ورود
المومنين فقال ابن عباس وابن مسعود وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم
هو ورود دخول لكنها لاتعدو عليهم ثم يخرجهم الله عز وجل منها بعد معرفتهم
حقيقة مانجوا منه وروى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الورود فى هذه الآية هو الدخول وقد اشفق كثير من العلماء من تحقق
الورود مع الجهل بالصدر جعلنا الله تعالى من الناجين بفضله ورحمته وقالت فرقة
بل هو ورود اشراف واطلاع وقرب كما تقول وردت الماء اذا جئته وليس يلزم

ان تدخل فيه قالوا وحسب المومن بهذا هولا ومنه قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وروت فرقة اثرا ان الله تعالى يجعل النار يوم القيامة جامدة الاعلى كانها اهالة فياتى الخلق كلهم برهم وفاجرهم فيقفون عليها ثم تسوخ باهلها ويخرج المومنون الفائزون لم ينلهم ضر قالوا فهذا هو الورود قال المهدوي وعن قتادة قال يرد الناس جهنم وهي سوداء مظلمة فاما المومنون فاضاءت لهم حسناتهم فنجوا منها واما الكفار فاوبقتهم سيئاتهم واحتبسوا بذنوبهم انتهى وروت حفصة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لايدخل النار احد من اهل بدر والحديبية قالت فقلت يارسول الله واين قول الله تعالى وان منكم الاواردها فقال صلى الله عليه وسلم فمه ثم ننجي الذين اتقوا ورجح الزجاج هذا القول بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون (ت) وحديث حفصة هذا اخرجه مسلم وفيه افلم تسمعيه يقول ثم ننجى الذين اتقوا وروى ابن المبارك فى رقائقه انه لما نزلت هذه الآية وان منكم الاواردها ذهب ابن رواحة الى بيته فبكى فجاءت امرأته فبكت وجاءت الخادم فبكت وجاء اهل البيت فجعلوا يبكون فلما انقضت عبرته قال يااهلاه ما يبكيكم قالوا لاندرى ولكن رأيناك بكيت فبكينا فقال ءاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبئنى فيها ربى انى وارد النار ولم ينبئنى انى صادر عنها فذلك الذى ابكانى انتهى وقال ابن مسعود ورودهم هو جوازهم على الصراط وذلك ان الحديث الصحيح تضمن ان الصراط مضروب على متن جهنم والحتم الامر المنفذ المجزوم والذين اتقوا معناه اتقوا الكفر ونذر دالة على انهم كانوا فيها قال ابوعمر بن عبد البر فى التمهيد بعد ان ذكر رواية جابر وابن مسعود فى الورود وروي عن كعب انه تلا وان منكم الاواردها فقال اتدرون ماورودها انه يجاء بجهنم فتمسك للناس كانها متن اهالة يعنى الودك الذى يجمد على القدر من المرقة حتى اذا استقرت عليها اقدام

الخلائق برهم وفاجرهم نادى مناد ان خذى اصحابك وذرى اصحابى فيخسف بكل ولي لها فلهي اعلم بهم من الوالدة بولدها وينجو المومنون ندية ثيابهم وروي هـذا المعنى عن ابى نضرة وزاد وهـو معنى قوله تعالى فاستبقـوا الصراط فانى يبصرون انتهى * وقوله تعالى واذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات قال الذين كفروا للذين ءامنـوا اي الفريقين خير مقاما الآية هذا افتخار من كفار قريش وانه انما انعم الله عليهم لاجل انهم على الحق بزعمهم والندي والنادى المجلس ثم رد الله تعالى حجتهم وحقر امرهم فقال تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورءيا اي فلم يغن ذلك عنهم شيـأ والاثاث المال العين والعرض والحيوان وقرأ نافع وغيره ورءيا بهمزة بعدها ياء من رؤية العين قال البخاري ورءيا منظرا وقرأ نافع ايضا واهل المدينة وريا بياء مشددة فقيل هي بمعنى القراءة الاولى وقيل هي بمعنى الري فى السقيـا اذ اكثر النعمة من الري والمطر وقرأ ابن جبير وابن عباس ويزيد البربري وزيا بالزاي المعجمة بمعنى الملبس واما قوله سبحانه قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيحتمل ان يكون بمعنى الدعاء والابتهال كانه يقول الاضل منا ومنكم مد الله له اي املى له حتى يـؤول ذلك الى عـذابه ويحتمل ان يكون بمعنى الخبر انه سبحانه هذه عادته الاملاء للضالين حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب اي فى الدنيا بنصر الله للمومنين عليهم واما الساعة فيصيرون الى النار والجند الناصرون القائمون بامر الحرب وشر مكانا بازاء قولهم خير مقاما واضعف جندا بازاء قولهم احسن نديا ولما ذكر سبحانه ضلالة الكفرة وافتخارهم بنعم الدنيا عقب ذلك بذكر نعمة الله على المومنين فى انه يزيدهم هدى فى الارتباط بالاعمال الصالحة والمعرفة بالدلائل الواضحة وقد تقدم تفسير الباقيات الصالحات عن النبي صلى الله عليه وسلم وانها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقد قال صلى الله عليه وسلم لابى الدرداء خـذهن ياابا الدرداء قبل ان يحال

بينك وبينهن فهن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال خذوا جُنتكم قالوا يارسول الله امن عدو حضر قال من النار قالوا ماهي يارسول الله قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وهن الباقيات الصالحات وكان ابوالدرداء يقول اذا ذكر هذا الحديث لاهللن ولا كبرن الله ولاسبحنه حتى اذا رءانى الجاهل ظننى مجنونا (ت) ولو ذكرنا ماورد من صحيح الاحاديث فى هذا الباب لخرجنا بالاطالة عن مقصود الكتاب * وقوله سبحانه افرأيت الذى كفر بءاياتنا هو العاصى بن وائل السهمي قاله جمهور المفسرين وكان خبره ان خباب بن الارت كان قينا فى الجاهلية فعمل له عملا واجتمع له عنده دين فجاءه يتقاضاه فقال له العاصى لااقضيك حتى تكفر بمحمد فقال خباب لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك فقال العاصى اومبعوث انا بعد الموت فقال نعم فقال فانه اذا كان ذلك فسيكون لى مال وولد وعند ذلك اقضيك دينك فنزلت الآية فى ذلك وقال الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة قال (ع) وقد كانت للوليد ايضا اقوال تشبه هذا الغرض (ت) الا ان المسند الصحيح فى البخاري هو الاول * وقوله ام اتخذ عند الرحمن عهدا معناه بالايمان والاعمال الصالحات (وكلا) زجر ورد وهذا المعنى لازم لكلا ثم اخبر سبحانه ان قول هذا الكافر سيكتب على معنى حفظه عليه ومعاقبته به ومد العذاب هو اطالته وتعظيمه * وقوله سبحانه ونرثه مايقول اي هذه الاشياء التى سمى انه يوتاها فى الآخرة يرث الله ماله منها فى الدنيا باهلاكه وتركه لها فالوراثة مستعارة وقال النحاس نرثه مايقول معناه نحفظه عليه لنعاقبه به ومنه قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء اي حفظة ماقالوا قال (ع) فكان هذا المجرم يورث هذه المقالة * وقوله ويكونون عليهم ضدا معناه يجدونهم خلاف ماكانوا املوه فى معبوداتهم فيؤول ذلك بهم الى ذلة وضد ماامله من العزوغيره وهذه صفة عامة * وتؤزهم

معناه تقلقهم وتحركهم الى الكفر والضلال قال قتادة ترعجهم ازعاجا وقال ابن زيد تشليهم اشلاء ومنه ازيز القدر وهو غليانه وحركته ومنه الحديث اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يصلي وهو يبكي ولصدره ازيز كازيز المرجل (ت) هذا الحديث خرجه مسلم وابو داود عن مطرف عن ابيه وقال العراقي تؤزهم اي تدفعهم انتهى * وقوله سبحانه فلا تعجل عليهم اي لا تستبطئ عذابهم * وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال (ع) وظاهر هذه الوفادة انها بعد انقضاء الحساب وانما هي النهوض الى الجنة وكذلك سوق المجرمين انما هو لدخول النار ووفدا قال المفسرون معناه ركبانا وهي عادة الوفود لانهم سراة الناس واحسنهم شكلا وانما شبههم بالوفد هيئة وكرامة وروي عن علي رضي الله عنه انهم يجيئون ركبانا على النوق المحلاة بحلية الجنة خطمها من ياقوت وزبرجد ونحو هذا وروى عمرو ابن قيس الملاءي انهم يركبون على تماثيل من اعمالهم الصالحة وهي فى غاية الحسن وروي انه يركب كل واحد منهم ما احب فمنهم من يركب الابل ومنهم من يركب الخيل ومنهم من يركب السفن فتجئ عائمة بهم وقد ورد فى الضحايا انها مطاياكم الى الجنة وا كثر هذه فيها ضعف من جهة الاسناد والسوق يتضمن هوانا والورد العطاش قاله ابن عباس وابو هريرة والحسن واختلف فى الضمير فى قوله لايملكون فقالت فرقة هو عائد على المجرمين اي لايملكون ان يشفع لهم وعلى هذا فالاستثناء منقطع اي لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يشفع له والعهد على هذا الايمان وقال ابن عباس العهد لا اله الا الله وفى الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة من كان له عندي عهد فليقم قال (ع) ويحتمل ان يكون المجرمون يعم الكفرة والعصاة اي الا من اتخذ عند الرحمن عهدا من عصاة المومنين فانه يشفع لهم ويكون الاستثناء متصلا وقالت فرقة الضمير فى لايملكون للمتقين * وقوله الا من اتخذ الآية اي الا من كان

له عمل صالح مبرور فيشفع فيشفع وتحتمل الآية ان يراد بمن النبي صلى الله عليه وسلم وبالشفاعـة الخاصة له العامة فى اهل الموقف ويكون الضمير فى لا يملكون لجميع اهل الموقف الاترى ان سائر الانبياء يتدافعون الشفاعة اذ ذاك حتى تصيراليه صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قال الباجي فى سنن الصالحين له روي عن ابن مسعود انه قال ان الجبل ليقول للجبل يافلان هل مربك اليوم ذاكرلله تعالى فان قال نعم سر به ثم قرأ عبد الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا الى قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا قال اترونها تسمع الزور ولا تسمع الخير انتهى وهكذا رواه ابن المبارك فى رقائقه وما ذكره ابن مسعـود لايقال من جهة الرأي وقد روي عن انس وغيره نحوه قال الباجي باثرالكلام المتقدم وروى جعفر بن زيد عن انس بن مالك انه قال مامن صباح ولارواح الاوتنادى بقاع الارض بعضها بعضا اي جارة هل مربك اليوم عبد يصلى او يذكرالله فمن قائلة لاومن قائلة نعم فاذا قالت نعم رأت لها فضلا بذلك انتهى * وقوله سبحانه لقد جئتم شيأ ادا الآية الاد الامر الشنيـع الصعب (ت) وقال العراقي ادا اي عظيما انتهى والانفطار الانشقاق والهد الانهدام قال محمـد بن كعب كاد اعداء الله ان يقيموا علينا السـاعة * وقوله ان كل من فى السموات الآيـة ان نافيـة بمعنى ما * وقوله فردا يتضمن عدم النصير والحول والقوة اي لامجير له مما يريد الله به وعبارة الثلعبي فردا اي وحيـدا بعمـله ليس معـه من الدنيـا شيء اه (ت) وهذه الآية تنظر الى قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى الآية * وقوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا ذهب اكثرالمفسرين الى ان هذا الود هو القبول الذى يضعه الله لمن يحب من عباده حسبما فى الحـديث الصحيح المـا ثور وقال عثمان بن عفـان رضي الله عنه انها بمنزلة قول النـبي صلى الله عليه وسلم من اسر سريرة البسه الله رداءها (ت) والحديث المتقدم المشـار اليه اصله فى الموطـا

ولفظه مالك عن سهيل بن ابى صالح السمان عن ابيه عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله العبد قال لجبريل ياجبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له القبول فى الارض واذا ابغض العبد قال مالك لااحسبه الاقال فى البغض مثل ذلك قال ابوعمر بن عبد البر فى التمهيد وممن روى هذا الحديث عن سهيل باسناده هذا فذكر البغض من غير شك معمر وعبد العزيز بن المختار وحماد بن سلمة قالوا فى ءاخره واذا ابغض بمثل ذلك ولم يشكوا قال ابو عمر وقد قال المفسرون فى قوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا يحبهم ويحببهم الى الناس وقاله مجاهد وابن عباس ثم اسند ابو عمر عن كعب انه قال والله ما استقرلعبد ثناء فى اهل الدنيا حتى يستقرله فى اهل السماء قال كعب وقرأت فى التوراة انه لم تكن محبة لاحد من اهل الارض الا كان بدأها من الله عز وجل ينزلها على اهل السماء ثم ينزلها على اهل الارض ثم قرأت القرءان فوجدت فيه ان الذين ءامنوا وعملواالصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا واسند ابوعمر عن قتادة قال قال هرم بن حيان ماأقبل عبد بقلبه الى الله تعالى الا اقبل الله بقلوب اهل الايمان عليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم انتهى قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قيل يارسول الله من اهل الجنة قال من لايموت حتى يملأ الله سمعه مما يحب قال فقيل يارسول الله من اهل النارقال من لايموت حتى يملأ الله سمعه مما يكره انتهى قال (ع) وفى حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد الا وله فى السماء صيت فان كان حسنا وضع فى الارض حسنا وان كان سيأ وضع فى الارض سيأ (ت) وهذا الحديث خرجه ابو داود فى كتاب الزهد * وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك اي القرءان لتبشر به المتقين اي بالجنة والنعيم الدائم والعز فى

الدنيا * وقوما لدا هم قريش ومعناه مجادلين مخاصمين والالد المخاصم المبالغ فى ذلك ثم مثل لهم باهلاك من قبلهم اذ كانوا اشد منهم وألد واعظم قدرا والركز الصوت الخفي

تفسير سورة طه وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* قوله سبحانه وتعالى طه ماانزلنا عليك القرءان لتشقى قيل طه اسم من اسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يارجل بالسريانية وقيل بغيرها من لغات العجم قال البخاري قال ابن جبير طه يارجل بالنبطية انتهى وقيل انها لغة يمانية فى عك وانشد الطبري فى ذلك

دعوت بطاها فى القتال فلم يجب * فخفت عليه ان يكون موائلا

وقال ءاخر

ان السفاهة طاها من خلائقكم * لابارك الله فى القوم الملاعين

وقالت فرقة من العلماء سبب نزول هذه الآية ان قريشا لما نظرت الى عيش النبي صلى الله عليه وسلم وشظفه وكثرة عبادته قالت ان محمدا مع ربه فى شقاء فنزلت الآية رادة عليهم واسند عياض فى الشفا من طريق ابى ذر الهروي عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله طه يعنى طإ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرءان لتشقى

ولا خفاء بما فى هـذا كله من الاكرام له صلى الله عليــه وسلم وحسن المعــاملة انتهى قال (ص) لتشقى الا تذكرة علتان لقوله ما انزلنــا انتهى وقد تقدم القول فى مسئلة الاستواء وباقى الآية بين قال ابن هشام قوله تعـالى وان تجهر بالقول اي فاعلم انـه غني عن جهرك فانـه يعـلم السر واخفى فالجواب محذوف انتهى * وقوله سبحانــه وهـل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهــله امكثوا اني ءانست نارا لعـلي ءاتيكم منهــا بقبس اواجد على النــار هدى هذا الاستفهام توقيف مضمنه تنبيـه النفس الى استماع ما يورد عليها وهذا كما تبــدأ الرجل اذا اردت اخبــاره بامر غريب فتـقـول اعلمت كذا وكذا ثم تبــدأ تخبره وكان من قصة موسى عليـه السلام انه رحل من مدين باهله بنت شعيب عليه السلام وهو يريد ارض مصر وقد طالت مدة جنايته هنـالك فرجا خفـاء امره وكان فيما يزعمون رجلا غيورا فكان يسير الليل باهله ولا يسير بالنهار مخافة كشفـة الناس فضل عن طريقه فى ليلة مظلمــة فبينما هو كذلك وقــد قدح بزنده فلم يور شيأ اذ رأى نارا فـقال لاهله امكثوا اي اقيموا وذهب هو الى النار فاذا هي مضطرمة فى شجرة خضراء يانعة قيل كانت من عناب وقيـل من عوسج وقيل من عليق فكلما دنا منهــا تباعدت منه ومشت فاذا رجع عنها اتبعتــه فلما رأى ذلك ايقن ان هــذا من امور الله الخارقة للعــادة ونودي وانقضى امره كله فى تلك الليلة هذا قول الجمهور وهو الحق وما حكي عن ابن عباس انه قال اقام فى ذلك الامر حولا فغير صحيح عن ابن عباس وءانست معناه احسست والقبس الجذوة من النــار تكون على رأس العود والهدى اراد هدى الطريق اي لعلي اجد مرشدا لى او دليــلا وفى قصة موسى باسرها فى هــذه السورة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما لقي فى تبليغه من المشقات صلى الله عليه وسلم والضمير فى قوله اتاها عائد على النار * وقوله نودي كناية عن تكليم الله تعالى

له عليه السلام وقرأ نافع وغيره اني بكسر الهمزة على الابتداء وقرأ ابو عمرو وابن كثير اني بفتحها على معنى لاجل اني انا ربك فاخلع نعليك واختلف فى السبب الذى من اجله امر بخلع النعلين فقالت فرقة كانتا من جلد حمار ميت فامر بطرح النجاسة وقالت فرقة بل كانت نعلاه من جلد بقرة ذكي لكن امر بخلعهما لينال بركة الوادى المقدس وتمس قدماه تربة الوادى قال (ع) وتحتمل الآية معنى آخر هو الاليق بها عندى وهو ان الله تعالى امره ان يتأدب و يتواضع لعظم الحال التى حصل فيها والعرف عند الملوك ان تخلع النعلان ويبلغ الانسان الى غاية تواضعه فكان موسى عليه السلام امر بذلك على هذا الوجه ولا نبالى كيف كانت نعلاه من ميتة اوغيرها والمقدس معناه المطهر وطوى معناه مرتين فقالت فرقة معناه قدس مرتين وقالت فرقة معناه طويت لك الارض مرتين من ظنك قال الفخر وقيل ان طوى اسم واد بالشام وهو عند الطور الذى اقسم الله به فى القرءان وقيل ان طوى بمعنى يا رجل بالعبرانية كانه قيل يا رجل اذهب الى فرعون انتهى من تفسيره لسورة والنازعات قال (ع) وحدثنى ابى رحمه الله قال سمعت ابا الفضل ابن الجوهري رحمه الله تعالى يقول لما قيل لموسى استمع لما يوحى وقف على حجر واستند الى حجر ووضع يمينه على شماله والقى ذقنه على صدره ووقف يستمع وكان كل لباسه صوفا * وقوله تعالى واقم الصلوة لذكرى يحتمل ان يريد لتذكرنى فيها او يريد لاذكرك فى عليين بها فالمصدر محتمل الاضافة الى الفاعل او المفعول وقالت فرقة معنى قوله لذكرى اي عند ذكرى اي اذا ذكرتني وامرى لك بها (ت) وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها فان ذلك وقتها قال الله تعالى اقم الصلوة لذكرى انتهى فقد بين لك صلى الله عليه وسلم ما تحتمله الآية والله الموفق بفضله وهكذا استدل ابن العربي هنا بالحديث ولفظه وقدروى مالك

وغيره ان النبي صلى عليه وسلم قال من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها فان الله تعالى يقول اقم الصلوة لذكرى انتهى من الاحكام وقرأت فرقة للذكرى وقرأت فرقة للذكر وقرأت فرقة لذكرًى بغير تعريف * وقوله تعالى ان الساعة يريد القيامة ءاتية فيه تحذير ووعيد وقرأ ابن كثير وعاصم اكاد اخفيها بفتح الهمزة بمعنى اظهرها اي انها من تيقن وقوعها تكاد تظهر لكن تنحجب الى الاجل المعلوم والعرب تقول خفيت الشيء بمعنى اظهرته وقرأ الجمهور اخفيها بضم الهمزة فقيل معناه اظهرها وزعموا ان اخفيت من الاضداد وقالت فرقة اكاد بمعنى اريد اي اريد اخفاءها عنكم لتجزى كل نفس بما تسعى واستشهدوا بقول الشاعر *كادت وكدت وتلك خير ارادة * وقالت فرقة اكاد على بابها بمعنى انها مقاربة ما لم يقع لكن الكلام جار على استعارة العرب ومجازها فلما كانت الآية عبارة عن شدة خفاء امر القيامة ووقتها وكان القطع باتيانها مع جهل الوقت اهيب على النفوس بالغ سبحانه فى ابهام وقتها فقال اكاد اخفيها حتى لا تظهر البتة ولكن ذلك لا يقع ولابد من ظهورها وهذا التاويل هو الاقوى عندى * وقوله سبحانه فلايصدنك عنها اي عن الايمان بالساعة ويحتمل عود الضمير على الصلاة * وقوله فتردى معناه فتهلك والردى الهلاك وهذا الخطاب كله لموسى عليه السلام وكذلك ما بعده وقال النقاش الخطاب بلا يصدنك لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا بعيد * وقوله سبحانه وما تلك بيمينك يا موسى تقرير مضمنه التنبيه وجمع النفس لتلقى ما يورد عليها والا فقد علم سبحانه ما هي فى الازل قال ابن العربي فى احكامه واجاب موسى عليه السلام بقوله هي عصاي الاية باكثر مما وقع السوال عنه وهذا كقوله صلى عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل ميتته لمن سأله عن طهورية ماء البحر انتهى (ت) والمستحسن من الجواب

ان يكون مطابقا للسؤال اواعم منه كما فى الآية والحديث اما كونه اخص منه فلا انتهى * واهش معناه اخبط بها الشجر حتى ينتشر الورق للغنم وعصا موسى عليه السلام هي التى كان اخذها من بيت عصي الانبياء عليهم السلام الذى كان عند شعيب عليه السلام حين اتفقا على الرعي وكانت عصاءادم عليه السلام هبط بها من الجنة وكانت من العير الذى فى ورق الريحان وهو الجسم المستطيل فى وسطها ولما اراد الله سبحانه تدريب موسى فى تلقى النبوءة وتكاليفها امره بالقاء العصا فالقاها فاذا هي حية تسمى اي تنتقل وتمشى وكانت عصا ذات شعبتين فصارت الشعبتان فما يلتقم الحجارة فلما رءاها موسى رأى عبرة فولى مدبرا ولم يعقب فقال الله تعالى له خذها ولا تخف فاخذها بيده فصارت عصا كما كانت اول مرة وهي سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك اي جنبك قال (ع) وكل مرعوب من ظلمة ونحوها فانه اذا ضم يده الى جناحه فتر رعبه وربط جاشه فجمع الله سبحانه لموسى عليه السلام تفتير الرعب مع الآية فى اليد وروي ان يد موسى خرجت بيضاء تشف وتضيء كانها شمس من غير سوء اي من غير برص ولا مثلة بل هو امر ينحسر ويعود بحكم الحاجة اليه ولما امره الله تعالى بالذهاب الى فرعون علم انها الرسالة وفهم قدر التكليف فدعا الله فى المعونة اذ لا حول له الا به * واشرح لى صدرى معناه لفهم ما يرد علي من الامور والعقدة التى دعا فى حلها هي التى اعترته بالجمرة فى فيه حين جربه فرعون وروي فى ذلك ان فرعون اراد قتل موسى وهو طفل حين مد يده عليه السلام الى لحية فرعون فقالت له امرأته انه لا يعقل فقال بل هو يعقل وهو عدوى فقالت له نجربه فقال لها افعل فدعا بجمرات من النار وبطبق فيه ياقوت فقالا ان اخذ الياقوت علمنا انه يعقل وان اخذ النار عذرناه فمد موسى يده الى جمرة

فاخذها فلم تعد على يده فجعلها فى فيه فاحرقتـه واورثت لسانه عقدة وموسى عليه السلام انما طلب من حل العقدة قدرا يفقـه معـه قوله فجائز ان تكون تلك العقدة قد زالت كلها وجائز ان يكون قد بقي منهـا القليل فيجتمع ان يوتى هوسؤله وان يقول فرعون ولا يكاد يبين ولو فرضنا زوال العقدة جملة لكان قول فرعون سبا لموسى بحالته القديمـة والوزير المعين القائم بوزر الامور وهو ثقلها فيحتمل الكلام ان طلب الوزير من اهله على الجملة ثم ابدل هرون من الوزير المطلوب ويحتمل ان يريد واجعل هرون وزيرا فيكون مفعولا اولا لاجعل وكان هرون عليـه السلام اكبر من موسى عليـه السلام باربع سنين والازر الظهر قاله ابو عبيدة * وقوله كثيرا نعت لمصدر محذوف اي تسبيحا كثيرا * وقوله سبحانه ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى قيل هو وحي الهام وقيل بملك وقيل برؤيا رأتها وكان من قصة موسى عليـه السلام فيما روي ان فرعون ذكر له ان خراب ملكه يكون على يد غـلام من بنى اسرائيل فامر بقتل كل مولود يولد لبنى اسرائيل ثم انه رأى مع اهل مملكتـه ان فناء بنى اسرائيل يعود على القبط بالضرر اذ هم كانوا عملة الارض والصنـاع ونحو هذا فعزم على ان يقتل الولدان سنة ويستحييهم سنة فولد هرون عليـه السلام فى سنـة الاستحيـاء ثم ولد موسى عليـه السلام فى العام الرابع سنـة القتـل فخافت عليـه امـه فاوحى الله اليها ان اقذفيـه فى التـابوت فاخذت تابوتا فقذفت فيه موسى راقدا فى فراش ثم قذفته فى يم النيل وكان فرعون جالسا فى موضع يشرف منه على النيل اذ رأى التابوت فامر به فسيق اليه وامرأتـه معه ففتح فرأوه فرحمته امرأتـه وطلبتـه لتتخذه ابنا فاباح لها ذلك ثم انـها عرضته للرضاع فلم يقبـل امرأة فجعلت تنادى عليـه فى المدينـة ويطاف به يعرض للمراضع فكلما عرضت عليـه امرأة اباهـا وكانت امه قالت لاختـه

قصيه فبصرت به وفهمت امره فقالت لهم انا ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فتعلقوا بها وقالوا انت تعرفين هذا الصبي فانكرت وقالت لا غير انى اعلم من اهل هذا البيت الحرص على التقرب الى المملكة والجد فى خدمتها ورضاها فتركوها وسألوها الدلالة فجاءت بام موسى فلما قربته شرب ثديها فسرت بذلك ءاسية امرأة فرعون رضي الله عنها وقالت لها كونى معى فى القصر فقالت لها ما كنت لادع بيتى وولدى ولكنه يكون عندى فقالت نعم فاحسنت الى اهل ذلك البيت غاية الاحسان واعتز بنواسراءيل بهذا الرضاع والسبب من المملكة واقام موسى عليه السلام حتى كمل رضاعه فارسلت اليها ءاسية ان جئيني بولدى ليوم كذا وامرت خدمها ومن معها ان يلقينه بالتحف والهدايا واللباس فوصل اليها على ذلك وهو بخير حال واجمل شباب فسرت به ودخلت به على فرعون ليراه ويهب له فرءاه واعجبه وقربه فاخذ موسى عليه السلام بلحية فرعون وجبذها فاستشاط فرعون وقال هذا عدو لى وامر بذبحه فناشدته فيه امرأته وقالت انه لا يعقل فقال فرعون بل يعقل فاتفقا على تجريبه بالجمرة والياقوت حسب ما تقدم فنجاه الله من فرعون ورجع الى امه فشب عندها فاعتز به بنو اسراءيل الى ان ترعرع وكان فتى جلدا فاضلا كاملا فاعتزت به بنو اسراءيل بظاهر ذلك الرضاع وكان يحميهم ويكون ضلعه معهم وهو يعلم من نفسه انه منهم ومن صميمهم فكانت بصيرته فى حمايتهم اكيدة وكان يعرف ذلك اعيان بنى اسراءيل ثم وقعت له قصة القبطي المتقاتل مع الاسراءيلي على ماسياتى ان شاء الله تعالى وعدد الله سبحانه على موسى فى هذه الآية ما تضمنته هذه القصة من لطفه سبحانه به فى كل فصل وتخليصه من قصة الى اخرى وهذه الفتون التى فتنه بها اي اختبره بها وخلصه حتى صلح للنبوءة وسلم لها * وقوله مايوحى ابهام يتضمن عظم الامر وجلالته

وهذا كقوله تعالى اذيغشى الـسدرة مايغشى فاوحى الى عبـده ماوحى وهو كثير فى القرءان والـكـلام الفصيـح * وقوله فليلقه اليم بالساحـل خبر خرج فى صيغة الامر مبالغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم قومـوا فـلاصل لـكم فاخرج الخبر فى صيغة الامر لنفسه مبالغة وهـذا كثير والمراد بالعـدو فى الآية فرعون ثم اخبر تعالى موسى عليه السلام انه القى عليه محبة منه قالت فرقة اراد القبول الذى يضعه الله فى الارض لخيار عباده وكان حظ موسى منـه فى غايـة الوفـر وهـذا اقوى ماقيل هنـا من الاقوال وقرأ الجمهور ولتصنع بكسر اللام وضم التاء على معنى ولتغذى وتطعم وتربى * وقوله على عيني معناه بمرأى منى * وقوله على قدراي لميقات محدود للنبوءة التى قد ارادها الله تعـالى واصطنعتك معناه جعلتك موضع الصنيعة ومقر الاجمال والاحسان * وقوله لنفسى اضافة تشريف وهذا كما تقول بيت الله ونحـوه والصيـام لى وعبر بالنفس عن شدة القرب وقوة الاختصاص * وقوله تعـالى ولا تنيا فى ذكرى معنـاه لاتبطئـا وتضعفا تقول ونى فلان فى كذا اذا تباطأ فيه عن ضعف والونى الـكلال والفشل فى البهائم والانس وفى مصحف ابن مسعود ولا تهنـا فى ذكرى معنـاه لا تلينا من قولك هين لين فقولا له قولا لينـا اي حسّنـا له الكلمـة مع اكمال الدعوة قال ابن العربي فى احكامه وفى الآيـة دليـل على جواز الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باللين لمن معه القوة وفى الاسراءيليـات ان مـوسى عليه السلام اقام بباب فرعون سنة لايجد من يبلغ كلامـه حتى لقيه حين خرج فجرى له ماقص الله تعالى علينا من خبره وكان ذلك تسلية لمن جاء بعده من المومنين فى سيرتهم مع الظالمين انتهى وقولها اننا نخـاف ان يفرط معنـاه يعجـل ويتسرع الينـا بمكروه * وقوله عزوجل اننى معكما اي بالنصر والمعونة * وقوله تعالى فاتيـاه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسراءيـل ولا تعذبهم الآية جملة ما دعي

اليه فرعون الايمان وارسال بنى اسرايل واما تعذيبه بنى اسرايل فبذبح اولادهم وتسخيرهم واذلالهم * وقولهما والسلام على من اتبع الهدى يحتمل ان يكون ءاخر كلام فيقوى ان يكون السلام بمعنى التحية كانهما رغبا بها عنه وجريا على العرف فى التسليم عند الفراغ من القول ويحتمل ان يكون فى درج القول فيكون خبرا بان السلامة للمهتدين وبهذين المعنيين قالت كل فرقة من العلماء * وقوله سبحانه اعطى كل شيء خلقه قالت فرقة المعنى اعطى كل موجود من مخلوقاته خلقته وصورته اي اكمل ذلك له واتقنه ثم هدى اي يسر كل شيء لمنافعه وهذا احسن ما قيل هنا واشرف معنى واعم فى الموجودات وقول فرعون فما بال القرون الاولى يحتمل ان يريد ما بال القرون الاولى لم تبعث لها ولم يوجد امرك عندها ويحتمل ان يريد فرعون قطع الكلام والرجوع الى سؤال موسى عن حالة من سلف من الامم روغانا فى الحجة وحيدة وقيل البال الحال فكانه سأله عن حالهم وقول موسى علمها عند ربى فى كتاب يريد فى اللوح المحفوظ ولا يضل معناه لا ينتلف ويعمه والازواج هنا بمعنى الانواع * وقوله شتى نعت للازواج اي مختلفة * وقوله كلوا وارعوا بمعنى هي صالحة للاكل والرعي فاخرج العبارة فى صيغة الامر لانه ارجى الافعال واهزها للنفوس والنهى جمع نهية والنهية العقل الناهى عن القبائح * وقوله سبحانه منها خلقناكم يريد من الارض وفيها نعيدكم اي بالموت والدفن ومنها نخرجكم اي بالبعث ليوم القيامة * وقوله ولقد اريناه ءاياتنا اخبار لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله كلها عائد على الآيات التى رءاها فرعون لانه رأى كل ءاية لله عز وجل وانما المعنى ان الله اراه ءايات ما كاليد والعصا والطمسة وغير ذلك وكانت رؤيته لهذه الآيات مستوعبة يرى الآيات كلها كاملة ومعنى سوى اي عدلا ونصفة اي حالنا فيه

مستوية وقالت فرقة معناه مستويا من الارض لاوهد فيه ولا نشز فقال موسى موعدكم يوم الزينة وروي ان يوم الزينة كان عيدا لهم ويوما مشهورا وقيل هو يوم كسر الخليج الباقى الى اليوم * وقوله وان يحشر الناس عطفا على الزينة فهو فى موضع خفض * فتولى فرعون فجمع كيده اي جمع السحرة وامرهم بالاستعداد لموسى فهذا هو كيده * ثم اتى فرعون بجمعه فقال موسى للسحرة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا وهذه مخاطبة محذر وندبهم فى هذه الآية الى قول الحق اذا رأوه وان لا يباهتوا بكذب فيسحتكم اي فيهلككم ويذهبكم فلما سمع السحرة هذه المقالة هالهم هذا المنزع ووقع فى نفوسهم من هيبته شديد الموقع وتنازعوا امرهم والتنازع يقتضى اختلافا كان بينهم فى السر فقائل منهم يقول هو محق وقائل يقول هو مبطل ومعلوم ان جميع تناجيهم انما كان فى امر موسى عليه السلام والنجوى المسارة اي كل واحد يناجى من يليه سرا مخافة من فرعون ان يتبين له فيهم ضعف وقالت فرقة انما كان تناجيهم بالآية التى بعد هذا * ان هذان لساحران قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ان هذان لساحران فقالت فرقة قوله ان بمعنى نعم كما قال صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله برفع الحمد وقالت فرقة ان هذه القراءة على لغة بلحارث بن كعب وهي ابقاء الف التثنية فى حال النصب والخفض وتعزى هذه اللغة لكنانة وتعزى لخثعم وقال الزجاج فى الكلام ضمير تقديره انه هذان لساحران وقرأ ابو عمرو وحده ان هذين لساحران وقرأ ابن كثير ان هذان لساحران بتخفيف ان وتشديد نون هذان لساحران وقرأ حفص عن عاصم ان بالتخفيف هذان خفيفة ايضا لساحران وعبر كثير من المفسرين عن الطريقة بالسادة اهل العقل والحجا وحكوا ان العرب تقول فلان طريقة قومه اي سيدهم والاظهر فى

الطريقة هنا انها السيرة والمملكة والحال التى كانوا عليها والمثلى تانيث امثل اي الفاضلة الحسنة وقرأ جمهور القراء فاجمعوا بقطع الهمزة وكسرالميم على معنى انفذوا واعزموا وقرأ ابوعمرو وحده فاجمعوا من جمع اي ضموا سحركم بعضه الى بعض * وقوله صفا اي مصطفين وتداعوا الى هذا لانه اهيب واظهر لهم وافلح معناه ظفر ببغيته وباقى الآية بين مما تقدم * وقوله فاوجس عبارة عما يعترى نفس الانسان اذا وقع ظنه فى امرعلى شئ يسوءه وعبرالمفسرون عن اوجس باضمر وهذه العبارة اعم من الوجيس بكثير * انك انت الاعلى اي الغالب وروي فى قصص هذه الآية ان فرعون لعنه الله جلس فى علية له طولها ثمانون ذراعا والناس تحته فى بسيط وجاء سبعون الف ساحر فالقوا من حبالهم وعصيهم ما فيه وقر ثلاث مائة بعيرفهال الامرثم ان موسى عليه السلام القى عصاه من يده فاستحالت ثعبانا وجعلت تنمو حتى روي انها عبرت النهر بذنبها وقيل البحر وفرعون فى هذا كله يضحك ويرى ان الاستواء حاصل ثم اقبلت تاكل الحبال والعصي حتى افنتها ثم فغرت فاها نحو فرعون ففزع عند ذلك واستغاث بموسى فمد موسى يده اليها فرجعت عصا كما كانت فنظرالسحرة وعلموا الحق ورأوا عدم الحبال والعصي فايقنوا ان الامر من الله عز وجل فءامنوا رضي الله عنهم * وقوله سبحانه فالقي السحرة سجدا قالوا ءامنا برب هارون وموسى قال ءامنتم له قبل ان ءاذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل قال (ص) فى على بابها وقيل بمعنى على (ت) والاول اصوب * ولتعلمن اينا قوله اينا يريد نفسه ورب موسى عليه السلام وقال الطبري يريد نفسه وموسى والاول اذهب مع مخرقة فرعون وباقى الآية بين ثم قال السحرة لفرعون لن نوثرك اي لن نفضلك ونفضل السلامة منك على مارأينا من حجة الله تعالى وءاياته

وعلى الذى فطرنا هذا على قول جماعة ان الواو فى قوله والذى عاطفة وقالت فرقة هي واو القسم وفطرنا اي خلقنا واخترعنا فافعل يافرعون ماشئت وانما قضاؤك فى هذه الحياة الدنيا والآخرةُ من وراء ذلك لنا بالنعيم ولك بالعذاب الا ليم وهؤلاء السحرة اختلف الناس هل نفذ فيهم وعيد فرعون ام لا والامر فى ذلك محتمل وقولهم والله خير وابقى رد لقول فرعون اينا اشد عذابا وابقى * وقوله عز وجل انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لايموت فيها ولا يحيي الآية قالت فرقة هذه الآية بجملتها من كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه وقالت فرقة بل هي من كلام الله عز وجل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم تنبيها على قبح مافعل فرعون وحسن مافعل السحرة وموعظة وتحذيرا قد تضمنت القصة المذكورة مثاله * وقوله لايموت فيها ولا يحيي مختص بالكافر فانه معذب عذابا ينتهى به الى الموت ثم لا يجهز عليه فيستريح بل يعاد جلده ويجدد عذابه واما من يدخل النار من المومنين بالمعاصى فهم قبل ان تخرجهم الشفاعة فى غمرة قد قاربوا الموت الا انهم لا يجهز عليهم ولايجدد عذابهم فهذا فرق مابينهم و بين الكفار وفى الحديث الصحيح انهم يماتون فيها اماتة وهذا هو معناها لانه لاموت فى الآخرة وتزكى معناه اطاع الله واخذ بازكى الامور * وقوله سبحانه ولقد اوحينا الى موسى هذا استيناف اخبارعن شيء من امر موسى وباقي الآية بين وقد تقدم ذكر ما يخصها من القصص * وقوله تعالى لاتخاف دركا اي من فرعون وجنوده ولا تخشى غرقا من البحر * وقوله ما غشيهم ابهام اهول من النص وهذا كقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى * واضل فرعون قومه يريد من اول امره الى هذه النهاية وماهدى مقابل لقوله وما اهديكم الاسبيل الرشاد * وقوله عز وجل يا بني اسراءيل قد انجينا كم الآية ظاهر هذه الآية ان هذا

القـول قيـل لبنى اسراءيـل حينئـذ عنـد حلول النعم التى عـددهـا الله عليهم ويحتمل ان تكون هذه المقالة خوطب بها معاصرو النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى هذا فعلنـا باسلافكم وتكون الآية على هذا اعتراضا فى اثنـاء قصة موسى والقصد به توبيخ هؤلاء الحضور اذ لم يصبر سلفهم على اداء شكـر نعم الله تعالى والمعنى الاول اظهر وابين * وقوله سبحانـه وواعدناكم جانب الطـور الايمن الآية وقصص هذه الآية ان الله تعالى لما انجى بنى اسراءيـل وغـرّق فرعون وعد بنى اسراءيل ان يسيروا الى جانب طور سينـاء ليكلم فـيه موسى ويناجيه بما فيه صلاحهم فلما اخذوا فى السير تعجـل موسى عليـه السـلام ابتغـاء مرضـاة ربـه حسبما ياتى بعـد وقـرأ جمهـور النـاس فيحـل بكسر الحاء ويحلل بكسر الـلام وقـرأ الكسـاءي وحده بضمهـما ومعنى الاول فيجب ويحق ومعنى الثـانى فيقع وينزل وهوى معنـاه سقط اي هـوى فى جهنم وفى سخط الله عافانا الله من ذلك ثم رجى سبحانه عباده بقوله وانى لغفار لمن تاب الآية والتوبة من ذنب تصح مع الاقامة على غيره وهي توبة مقيدة واذا تاب العبد ثم عاود الذنب بعينـه بعد مـدة فيحتمل عند حذاق اهل السنـة ان لايعيد الله تعالى عليه الذنب الاول لان التوبة قدكانت محته ويحتمل ان يعيده لانهـا توبة لم يوف بهـا واضطرب النـاس فى قوله سبحانـه ثم اهتـدى من حيث وجدوا الهدى ضمن الايمان والعمـل فقالت فرقـة ثم لزم الاسلام حتى يموت عليه وقيل غير هذا والذى يقوى فى معنى ثم اهتـدى ان يكون ثم حفظ معتقداته من ان تخالف الحق فى شيء من الاشيـاء فان الاهتـداء على هـذا الوجه غير الايمان وغير العمـل ورب مومن عمـل صالحا قـد اوبقـه عـدم الاهتـداء كالقدرية والمرجئـة وسائر اهل البدع فمعنى ثم اهتـدى ثم مشى فى عقائد الشرع على طريق قويم جعلنا الله منهم بمنه و فى حفظ المعتقـدات ينحصر

معظم امر الشرع * وقوله سبحانه وما اعجلك عن قومك يا موسى الآية وقصص هذه الآية ان موسى عليه السلام لما شرع فى النهوض ببنى اسرائيل الى جانب الطور حيث كان الموعد ان يكلم الله موسى بما لهم فيه شرف العاجل والآجل رأى موسى عليه السلام على جهة الاجتهاد ان يتقدم وحده مبادرا لامر الله سبحانه طلبا لرضائه وحرصا على القرب منه وشوقا الى مناجاته واستخلف عليهم هارون وقال لهم موسى تسيرون الى جانب الطور فلما انتهى موسى صلى الله عليه وسلم وناجى ربه زاده الله فى الاجل عشرا وحينئذ وقفه على معنى استعجاله دون القوم ليخبره موسى انهم على الاثر فيقع الاعلام له بما صنعوا واعلمه موسى انه انما استعجل طلب الرضى فاعلمه الله سبحانه انه قد فتن بنى اسرائيل اي اختبرهم بما صنع السامري ويحتمل ان يريد القيناهم فى فتنة فلما اخبر الله تعالى موسى بما وقع رجع موسى الى قومه غضبان اسفا وباقى الآية بين وقد تقدم قصصها مستوفى وسمى العذاب غضبا من حيث هو عن الغضب وقرأ نافع وعاصم بملكنا بفتح الميم وقرأ حمزة والكسائي بملكنا بضمة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بملكنا بكسرة فاما فتح الميم فهو مصدر من ملك والمعنى ما فعلنا ذلك باناملكنا الصواب ولا وفقنا له بل غلبتنا انفسنا واما كسر الميم فقد كثر استعماله فيما تحوزه اليد ولكنه يستعمل فى الامور التى يبرمها الانسان ومعناها كمعنى التى قبلها والمصدر مضاف فى الوجهين الى الفاعل وقولهم ولكنا حملنا اوزارا الآية سموها اوزارا من حيث هي ثقيلة الاجرام اومن حيث تأثموا فى قذفها وقرأ ابوعمرو وحمزة والكسائي حملنا بفتح الحاء والميم وقولهم فكذلك اي فكما قذفنا نحن فكذلك ايضا القى السامري قال (ع) وهذه الالفاظ تقتضى ان العجل لم يصغه السامري ثم اخبر تعالى عن فعل السامري بقوله فاخرج لهم عجلا

ومعنى قوله جسدا اي شخصا لاروح فيه وقيل معناه جسدا لا يتغذى والخوارصوت البقر قالت فرقة منهم ابن عباس كان هذا العجل يخور ويمشى وقيل غيرهذا * وقوله سبحانه فقالوا يعنى بنى اسرائيل هذا الهكم واله موسى فنسي موسى الهه وذهب يطلبه فى غير موضعه ويحتمل ان يكون قوله فنسي اخبارا من الله تعالى عن السامري اي فنسي السامري دينه وطريق الحق فالنسيان فى التاويل الاول بمعنى الذهول وفى الثانى بمعنى الترك (ت) وعلى التاويل الاول عول البخاري وهوالظاهر ولقولهم ايضا قبل ذلك اجعل لنا الها وقول هارون فاتبعونى اي الى الطورالذى واعدكم الله تعالى اليه واطيعوا امرى فيما ذكرته لكم فقال بنو اسرائيل حين وعظهم هارون وندبهم الى الحق لن نبرح عابدين لهذا الاله عاكفين عليه اي ملازمين له ويحتمل قوله الا تتبعني اي ببنى اسرائيل نحوجبل الطور ويحتمل قوله الا تتبعني اي الا تسير بسيرى وعلى طريقتى فى الاصلاح والتسديد * وقوله يبنؤم قالت فرقة ان هارون لم يكن اخا موسى الامن امه قال (ع) وهذا ضعيف وقالت فرقة كان شقيقه وانما دعاه بالام استعطافا برحم الام وقول موسى ما خطبك يا سامري هوكما تقول ما شأنك وما امرك لكن لفظة الخطب تقتضى انتهارا لان الخطب مستعمل فى المكاره وبصرت بضم الصاد من البصيرة وقرأت فرقة بكسرها فيحتمل ان يراد من البصيرة ويحتمل من البصر وقرأ حمزة والكسائي بما لم تبصروا بالتاء من فوق يريد موسى مع بنى اسرائيل و الرسول هنا هو جبريل عليه السلام والاثر هو تراب تحت حافر فرسه * وقوله فنبذتها اي على الحلي فكان منها ما ترى وكذلك سولت لى نفسى اي وكما وقع وحدث قربت لى نفسى وجعلت لى سؤلا واربا حتى فعلته وكان موسى عليه السلام لايقتل بنى اسرائيل الا فى حد او بوحي فعاقبه باجتهاد نفسه بان ابعده ونحاه عن الناس وامر بنى

اسراءيل باجتنابه واجتناب قبيلته وان لايواكلوا ولايناكحوا ونحو هذا وجعل له ان يقول مدة حياته لامساس اي لامماسة ولا اذاية وقرأ الجمهور لن تخلفه بفتح اللام اي لن يقع فيه خلف وقرأ ابن كثير وابو عمرو تخلفه بكسر اللام على معنى لن تستطيع الروغان والحيدة عن موعد العذاب ثم وبخه عليه السلام بقوله وانظر الى الهك الآية وظلت وظل معناه اقام يفعل الشيء نهارا ولكنها قد تستعمل فى الدائب ليلا ونهارا بمثابة طفق وقرأ ابن عباس وغيره لنحرقنه بضم الراء وفتح النون بمعنى لنبردنه بالمبرد وقرأ نافع وغيره لنحرقنه وهي قراءة تحتمل الحرق بالنار وتحتمل بالمبرد وفى مصحف ابن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسفنه وهذه القراءة هي مع رواية من روى ان العجل صار لحما ودما وعلى هذه الرواية يتركب ان يكون هناك حرق بنار والافاذا كان جمادا من ذهب ونحوه فانما هو حرق بمبرد اللهم الا ان تكون اذابة ويكون النسف مستعارا لتفريقه فى اليم مذابا وقرأت فرقة لننسفنه بكسر السين وقرأت فرقة بضمها والنسف تفريق الريح الغبار وكل ما هو مثله كتفريق الغربال ونحوه فهو نسف واليم غمر الماء من بحر او نهر وكل ما غمر الانسان من الماء فهو يم واللام فى قوله لنحرقنه لام قسم وقال مكي رحمه الله تعالى واسند ان موسى عليه السلام كان مع السبعين فى المناجات وحينئذ وقع امر العجل وان الله تعالى اعلم موسى بذلك فكتمه موسى عنهم وجاء بهم حتى سمعوا لغط بنى اسراءيل حول العجل فحينئذ اعلمهم قال (ع) وهذه رواية ضعيفة والجمهور على خلافها وانما تعجل موسى عليه السلام وحده فوقع امر العجل ثم جاء موسى وصنع ماصنع بالعجل ثم خرج بعد ذلك بالسبعين على معنى الشفاعة فى ذنب بنى اسراءيل وان يطلعهم ايضا على امر المناجات فكان لموسى عليه السلام نهضتان والله اعلم * وقوله سبحانه كذلك نقص عليك مخاطبة لنبينا محمد

صلى الله عليه وسلم اي كما قصصنا عليك نبأ بنى اسراءيل كذلك نقص عليك من انباء ماقد سبق مدتك والذكر القرءان * وقوله من اعرض عنه يريد بالكفر به و زرقا قالت فرقة معناه يحشرون اول قيامهم سود الالوان زرق العيون فهو تشويه ثم يعمون بعد ذلك وهي مواطن وقالت فرقة اراد زرق الالوان وهي غاية فى التشويه لانهم يجيئون كلون الرماد ومهيع فى كلام العرب ان يسمى هذا اللون ازرق يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا اي يتخافت المجرمون بينهم اي يتسارون والمعنى انهم لهول المطلع وشدة ذهاب اذهانهم قد عزب عنهم قدر مدة لبثهم واختلف الناس فيما ذا فقالت فرقة فى دار الدنيا ومدة العمر وقالت فرقة فى الارض مدة البرزخ وامثلهم طريقة معناه اثبتهم نفسا يقول ان لبثتم الا يوما اي فهم فى هذه المقالة يظنون ان هذا قدر لبثهم * وقوله سبحانه و يسئلونك عن الجبال الآية السائل قيل رجل من ثقيف وقيل السائل جماعة من المومنين وروي ان الله تعالى يرسل على الجبال ريحا فتدككها حتى تكون كالعهن المنفوش ثم تتوالى عليها حتى تعيدها كالهباء المنبث فذلك هو النسف والقاع هو المستوى من الارض والصفصف نحوه فى المعنى والامت مايعترى الارض من ارتفاع وانخفاض * وقوله لاعوج له يحتمل ان يريد الاخبار به اي لاشك فيه ولايخالف وجوده خبره ويحتمل ان يريد لامحيد لاحد عن اتباع الداعى والمشي نحو صوته والخشوع التطامن والتواضع وهو فى الاصوات استعارة بمعنى الخفاء والهمس الصوت الخفي الخافت وهو تخافتهم بينهم وكلامهم السر ويحتمل ان يريد صوت الاقدام وفى البخاري همسا صوت الاقدام انتهى ومن فى قوله الا من اذن له الرحمن يحتمل ان تكون للشافع ويحتمل ان تكون للمشفوع فيه * وقوله تعالى وعنت الوجوه معناه ذلت وخضعت والعانى الاسير ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى امر النساء هن عوان عندكم وهذه

حالة الناس يوم القيامة قال (ص) وعنت من عنا يعنو ذل وخضع قال امية ابن ابي الصلت

مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

انتهى (ت) واحاديث الشفاعة قد استفاضت وبلغت حد التواتر ومن اعظمها شفاعة ارحم الراحمين سبحانه وتعالى ففى صحيح مسلم من حديث ابي سعيد الخدري قال فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيئون وشفع المومنون ولم يبق الاارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى افواه الجنة وفيه فيخرجون اكاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه الحديث وخرج ابو القاسم اسحاق ابن ابراهيم الختلي بسنده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا فرغ الله تعالى من القضاء بين خلقه اخرج كتابا من تحت العرش ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين قال فيخرج من النار مثل اهل الجنة اوقال مثلي اهل الجنة قال واكبر ظني انه قال مثلي اهل الجنة مكتوب بين اعينهم عتقاء الله انتهى من التذكرة * وقد خاب من حمل ظلما معنى خاب لم ينجح ولا ظفر بمطلوبه والظلم يعم الشرك والمعاصي وخيبة كل حامل بقدر ما حمل من الظلم * وقوله سبحانه ومن يعمل من الصالحات معادل لقوله من حمل ظلما والظلم والضهم هما متقاربان فى المعنى ولكن من حيث تناسقا فى هذه الآية ذهب قوم الى تخصيص كل واحد منهما بمعنى فقالوا الظلم ان تعظم عليه سيئاته وتكثر اكثرمما يجب والهضم ان ينقص من حسناته ويبخسها وكلهم قرأ فلا يخاف على الخبر غير ابن كثير فانه قرأ فلا يخف على النهي * وكذلك انزلناه قرءانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم بحسب

توقع البشر وترجيهم يتقون الله و يخشون عقابه فيومنون ويتذكرون نعمه عندهم وما حذرهم من اليم عقابه هذا تاويل فرقة فى قوله اويحدث لهم ذكرا وقالت فرقة معناه او يكسبهم شرفا و يبقى عليهم ايمانهم ذكرا صالحا فى الغابرين * وقوله تعالى ولاتعجل بالقرءان الآية قالت فرقة سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاف وقت تكليم جبريل له ان ينسى اول القرءان فكان يقرأ قبل ان يستتم جبريل عليه السلام الوحي فنزلت فى ذلك وهي على هذا فى معنى قوله لاتحرك به لسانك لتعجل به وقيل غير هذا * وقوله عز وجل ولقد عهدنا الى ءادم من قبل فنسي الآية العهد هنا بمعنى الوصية والشيء الذى عهد الى ءادم عليه السلام هوان لايقرب الشجرة (ت) قال عياض واما قوله تعالى وعصى ءادم ربه فغوى اي جهل فان الله تعالى اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ءادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال تعالى ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة (ت) وقيل غير هذا مما لا ارى ذكره هنا ولله در ابن العربي حيث قال يجب تنزيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام عما نسب اليهم الجهال ولكن البارى سبحانه بحكمه النافذ وقضائه السابق اسلم ءادم الى الاكل من الشجرة متعمدا للاكل ناسيا للعهد فقال فى تعمده وعصى ءادم وقال فى بيان عذره ولقد عهدنا الى ءادم من قبل فنسي فتعلق العهد غير متعلق النسيان وجاز للمولى ان يقول فى عبده لحقه عصى تثريبا و يعود عليه بفضله فيقول نسي تقريبا ولا يجوز لاحد منا ان يطلق ذلك على ءادم او يذكره الا فى تلاوة القرءان او قول النبي صلى الله عليه وسلم انتهى من الاحكام * وقوله سبحانه ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى المعنى ان لك ياءادم فى الجنة نعمة تامة لايصيبك جوع ولاعري ولا ظمأ ولابروز للشمس يوذيك وهو الضحاء * وقوله فوسوس اليه (ص) عدي هنا بالى على

معنى انهى الوسوسة اليه وفى الاعراف باللام فقال ابو البقاء لانه بمعنى ذكرلها انتهى
ثم اعلمهم سبحانه ان من اتبع هداه فلا يضل فى الدنيا ولا يشـــقى فى الآخرة
وان من اعرض عن ذكر الله وكفر به فان له معيشة ضنكا والضنك النكـد
الشاق من العيش والمنازل ونحو ذلـك وهل هذه المعيشة الضنـك تكـون
فى الدنيا او فى البرزخ او فى الآخرة اقوال (ت) ويحتمـل فى الجميـع قال
القرطبي قال ابو سعيد الخدري وابن مسعود ضنكا عـذاب القبر وروى ابوهريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون فيمن نزلت هذه الآية فان له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيـامة اعمى اتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسـوله
اعلم قال عــذاب الكافر فى القبر والذى نفسى بيده انه ليسلـط عليـه تسعـة
وتسعون تنينا وهي الحيات لكل حية تسعة رءوس ينفخن فى جسمه ويلسعنـه
ويخدشنه الى يوم القيامة ويحشر من قبره الى موقفه اعمى انتهى من التذكرة
فان صح هذا الحديث فلا نظر لاحد معه وان لم يصح فالصواب حمل الآية على
عمومها والله اعلم قال الثعلبي قال ابن عباس فمن اتبع هداي فلا يضل ولايشقى
قال اجار الله تعالى تابع القرءان من ان يضل فى الدنيا او يشقى فى الآخرة وفى
لفظ ءاخر ضمن الله تعالى لمن قرأ القرءان الحديث وعنه من قرأ القرءان واتبع
مافيه هد اه الله تعالى من الضلالة ووقاه الله تعالى يوم القيامة سـوء الحساب
انتهى * وقوله سبحانه ونحشره يوم القيامه اعمى قالت فرقة وهو عمى البصر
وهذا هو الاوجه واما عمى البصيرة فهو حاصل للكافر * وقوله سبحانه كذلك
اتتك ءاياتنا فنسيتها النسيان هنا هو الترك ولامدخل للذهول فى هذا الموضع
وتنسى ايضـا بمعنى تترك فى العذاب * وقوله سبحانه افلم يهد لهم كم اهلكنا
قبلهم من القرون المعنى افلم يبين لهم وقرأت فرقة نهد بالنون والمراد بالقرون
المهلكين عاد وثمود والطوائف التى كانت قريش تجوز على بلادهم فى المـرور

الى الشام وغيره ثم اعلم سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان العذاب كان يصير لهم لزاما لولا كلمة سبقت من الله تعالى فى تاخيره عنهم الى اجل مسمى عنده فتقدير الكلام ولولا كلمة سبقت فى التاخير واجل مسمى لكان العذاب لزاما كما تقول لكان حتما او واقعا لكنه قدم وأخر لتشابه رءوس الآي واختلف فى الاجل المسمى هل هو يوم القيامة او موت كل واحد منهم او يوم بدر وفى صحيح البخاري ان يوم بدر هو اللزام وهو البطشة الكبرى يعني وقع فى البخاري من تفسير ابن مسعود وليس هو من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم * قال (ص) ولزاما اما مصدر واما بمعنى ملزم واجاز ابو البقاء ان يكون جمع لازم كقائم وقيام انتهى ثم امر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على اقوالهم انه ساحر انه كاهن انه كاذب الى غير ذلك * وقوله سبحانه وسبح بحمد ربك الآية قال اكثر المفسرين هذه اشارة الى الصلوات الخمس فقبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر ومن آناء الليل العشاء واطراف النهار المغرب والظهر قال ابن العربي والصحيح ان المغرب من طرف الليل لا من طرف النهار انتهى من الاحكام وقالت فرقة ءاناء الليل المغرب والعشاء واطرف النهار الظهر وحدها ويحتمل اللفظ ان يراد به قول سبحان الله وبحمده وقالت فرقة فى الآية اشارة الى نوافل فمنها ءاناء الليل ومنها قبل طلوع الشمس ركعتا الفجر (ت) ويتعذر على هذا التاويل قوله وقبل غروبها اذليس ذلك الوقت وقت نفل على ماعلم الا ان يتأول ماقبل الغروب بما قبل صلاة العصر وفيه بعد قال (ص) بحمد ربك فى موضع الحال اي وانت حامد انتهى وقرأ الجمهور لعلك ترضى بفتح التاء اي لعلك تثاب على هذه الاعمال بما ترضى به قال ابن العربي فى احكامه وهذه الآية تماثل قوله تعالى

ولسوف يعطيك ربك فترضى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال انكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس يعنى الصبح وقبل غروبها فافعلوا وفى الحديث الصحيح ايضا من صلى البردين دخل الجنة انتهى وقرأ الكسائي وابو بكر عن عاصم ترضى اي لعلك تعطى مايرضيك ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالاحتقار لشأن الكفرة والاعراض عن اموالهم وما فى ايديهم من الدنيا اذ ذلك منحسر عنهم صائر الى خزي والازواج الانواع فكانه قال الى ما متعنا به اقواما منهم واصنافا * وقوله زهرة الحياة الدنيا شبه سبحانه نعم هؤلاء الكفار بالزهر وهو ما اصفر من النور وقيل الزهر النور جملة لان الزهر له منظر ثم يضمحل عن قرب فكذلك مال هؤلاء ثم اخبر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان ذلك انما هو ليختبرهم به ويجعله فتنة لهم وامرا يجازون عليه اسوأ الجزاء لفساد تقلبهم فيه (ص) وزهرة منصوب على الذم او مفعول ثان لمتعنا مضمن معنى اعطينا اه ورزق الله تعالى الذى احله للمتقين من عباده خير وابقى اي رزق الدنيا خير ورزق الآخرة ابقى وبين انه خير من رزق الدنيا ثم امره سبحانه وتعالى بان يامر اهله بالصلاة ويمتثلها معهم ويصطبر عليها ويلازمها وتكفل هو تعالى برزقه لا اله الا هو واخبره ان العاقبة للمتقين بنصره فى الدنيا ورحمته فى الآخرة وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فى عمومه جميع امته وروي ان عروة بن الزبير رضي الله عنه كان اذا رأى شيأ من اخبار السلاطين واحوالهم بادر الى منزله فدخله وهو يقول ولا تمدن عينيك الآية الى قوله وابقى ثم ينادى الصلاة الصلاة رحمكم الله ويصلى وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوقظ اهل داره لصلاة الليل ويصلى هو ويتمثل بالآية قال الداودي وعن عبد الله بن سلام قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل باهله ضيق

اوشدة امرهم بالصلاة ثم قرأ وامر اهلك بالصلوة الى قوله للتقوى انتهى قال ابن عطاء الله فى التنوير واعلم ان هذه الآية علمت اهل الفهم عن الله تعالى كيف يطلبون رزقهم فاذا توقفت عليهم اسباب المعيشة اكثروا من الخدمة والموافقة وقرعوا باب الرزق بمعاملة الرزاق جل وعلا ثم قال وسمعت شيخنا ابا العباس المرسي رضي الله عنه يقول والله مارأيت العز الافى رفع الهمة عن الخلق واذكر رحمك الله هنا ولله العزة ولرسوله وللمومنين ففى العز الذى اعز الله به المومن رفع همته الى مولاه وثقته به دون من سواه واستحي من الله بعد ان كساك حلة الايمان وزينك بزينة العرفان ان تستولي عليك الغفلة والنسيان حتى تميل الى الاكوان او تطلب من غيره تعالى وجود احسان ثم قال ورفع الهمة عن الخلق هو ميزان ذوى الكمال ومسبار الرجال وكما توزن الذوات كذلك توزن الاحوال والصفات انتهى ومن كتاب صفوة التصوف لابى الفضل محمد بن طاهر المقدسي الحافظ حديث بسنده عن ابن عمر قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يارسول الله حدثنى حديثا واجعله موجزا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صل صلاة مودع كانك تراه فان كنت لا تراه فانه يراك وايأس مما فى ايدى الناس تعش غنيا واياك وما يعتذر منه ورواه ابو ايوب الانصاري بمثله عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى * وقالوا لولا ياتينا محمد بءاية من ربه اي بعلامة مما اقترحناها عليه ثم وبخهم سبحانه بقوله اولم تاتهم بينة ما فى الصحف الاولى اي ما فى التوراة وغيرها ففيها اعظم شاهد واكبر ءاية له سبحانه * وقوله سبحانه ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل ارسالنا اليهم محمدا لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا الآية وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة الهالك فى الفترة والمغلوب على عقله والصبي الصغير فيقول المغلوب على عقله رب

لم تجعل لى عقلا ويقول الصبي نحوه ويقول الهالك فى الفترة رب لم ترسل الي رسولا ولوجاءنى لكنت اطوع خلقك لك قال فترتفع لهم نار ويقال لهم ردوها فيردها من كان فى علم الله انه سعيد ويكع عنها الشقي فيقول الله تعالى اياي عصيتم فكيف برسلى لو اتتكم قال (ع) اما الصبي والمغلوب على عقله فبين امرهما واما صاحب الفترة فليس ككفار قريش قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لان كفار قريش وغيرهم ممن علم وسمع نبوءة ورسالة فى اقطار الارض ليس بصاحب فترة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل ابى وابوك فى النار ورأى صلى الله عليه وسلم عمرو بن لحي فى النار الى غير هذا مما يطول ذكره وانما صاحب الفترة يفرض انه آدمي لم يطرأ اليه ان الله تعالى بعث رسولا ولادعا الى دين وهذا قليل الوجود الاان يشذ فى اطراف الارض والمواضع المنقطعة عن العمران (ت) والصحيح فى هذا الباب ان اولاد المشركين فى الجنة واما اولاد المسلمين ففى الجنة من غير شك متفق عليه وقد اسند ابو عمر فى التمهيد من طريق انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت ربى فى اللاهين من ذرية البشر الايعذبهم فاعطانيهم قال ابو عمر انما قيل للا طفال اللا هون لان اعمالهم كاللهو واللعب من غير عقد ولاعزم ثم اسند ابو عمر عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اولاد المشركين خدم اهل الجنة قال ابو عمر وروى شعبة وسعيد بن ابى عروبة وابو عوانة عن قتادة عن ابى سراية العجلي عن سلمان قال اطفال المشركين خدم اهل الجنة وذكر البخاري حديث الرؤيا الطويل وفيه واما الرجل الطويل الذى فى الروضة فانه ابراهيم عليه السلام واما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة قال فقيل يارسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين وفى رواية والصبيان حوله اولاد الناس

وظاهره العموم فى جميع اولاد الناس انتهى من التمهيد والذل والخزي مقترنان بعذاب الآخرة * وقوله قل كل اي منا ومنكم متربص والتربص التأنى والصراط الطريق وهذا وعيد بين والله الموفق والهادى الى الرشاد بفضله

سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل اقترب للناس حسابهم الآية روي ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يبنى جدارا فمر به ءاخر يوم نزول هذه السورة فقال الذى كان يبنى الجدار ماذا نزل اليوم من القرءان فقال الآخر نزل اليوم اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون فنفض يديه من البنيان وقال والله لا بنيت قال ابو بكر بن العربي قال لى شيخى فى العبادة لايذهب لك الزمان * فى مصاولة الاقران * ومواصلة الاخوان * ولم ار للخلاص شيأ اقرب من طريقين اما ان يغلق الانسان على نفسه بابه واما ان يخرج الى موضع لا يعرف فيه فان اضطر الى مخالطة الناس فليكن معهم ببدنه ويفارقهم بقلبه ولسانه فان لم يستطع فبقلبه ولا يفارق السكوت قال القرطبي ولابى سليمان الخطابي فى هذا المعنى

انست بوحدتى ولزمت بيتي * فدام الانس لى ونمى السرور
وادبنى الزمان فلا ابالى * بأنى لا ازار ولا ازور

واست بسائل مادمت حيا * اسار الجيش ام ركب الامير
انتهى من التذكرة * وقوله اقترب للناس حسابهم عام فى جميع الناس وان كان المشار اليه فى ذلك الوقت كفار قريش ويدل على ذلك ما ياتى بعد من الآيات قال (ص) اقترب بمعنى الفعل المجرد وهو قرب وقيل اقترب ابلغ للزيادة وهم فى غفلة الواو للحال انتهى * وقوله وهم فى غفلة معرضون يريد الكفار وياخذ عصاة المومنين من هذه الالفاظ قسطهم (ت) ايها الاخ اشعر قلبك مهابة ربك فاليه مئالك * وتأهب للقدوم عليه فقد ءان ارتحالك * انت فى سكرة لذاتك * وغشية شهواتك * واغماء غفلاتك * ومقراض الفناء يعمل فى ثوب حياتك * ويفصل اجزاء عمرك جزءا جزءا فى سائر ساعاتك * كل نفس من انفاسك جزء منفصل من جملة ذاتك * وبذهاب الاجزاء تذهب الجمل انت جملة توخذ ءاحادها وابعاضها الى ان تستوفي سائرها عساكر الاقضية والاقدار محدقة باسوار الاعمار * تهدمها بمعاول الليل والنهار * فلو اضاء لنا مصباح الاعتبار * لم يبق لنا فى جميع او قاتنا سكون ولا قرار * انتهى من الكلم الفارقية والحكم الحقيقية * وقوله ما ياتيهم من ذكر وما بعده مختص بالكفار والذكر القرءان ومعناه محدث نزوله لاهو فى نفسه * وقوله وهم يلعبون جملة فى موضع الحال اي استماعهم فى حال لعب فهو غير نافع ولا واصل الى النفس * وقوله لاهية حال بعد حال واختلف النحاة فى اعراب قوله واسروا النجوى الذين ظلموا فمذهب سيبويه رحمه الله تعالى ان الضمير فى اسروا فاعل وان الذين بدل منه وقال ليس فى القرءان لغة من قال اكلونى البراغيث ومعني اسروا النجوى تكلموا بينهم فى السر ومناجات بعضهم لبعض وقال ابو عبيدة اسروا اظهروا وهو من الاضداد ثم

بين تعالى الامر الذى تناجوا به وهو قول بعضهم لبعض على جهة التوبيخ بزعمهم افتاتون السحر المعنى افتتبعون السحروانتم تبصرون ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم وللناس جميعا قل ربى يعلم القول فى السماء والارض اي يعلم اقوالكم هذه وهو بالمرصاد فى المجازاة عليها ثم عدد سبحانه جميع ما قالته طوائفهم ووقع الاضراب بكل مقالة عن المتقدمة لها ليبين اضطراب امرهم فقال تعالى بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر والاضغاث الاخلاط ثم حكى سبحانه اقتراحهم ءاية تضطرهم كناقة صالح وغيرها وقولهم كما ارسل الاولون دال على معرفتهم باتيان الرسل الامم المتقدمة * وقوله سبحانه ما ءامنت قبلهم فيه محذوف يدل عليه المعنى تقديره والآية التى طلبوها عادتنا ان القوم ان كفروا بها عاجلناهم وما ءامنت قبلهم قرية من القرى التى نزلت بها هذه النازلة أفهذه كانت تومن * وقوله اهلكناها جملة فى موضع الصفة لقرية والجمل اذا اتبعت النكرات فهي صفات لها واذا اتبعت المعارف فهي احوال منها * وقوله سبحانه وما ارسلنا قبلك الارجالا يوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون هذه الآية رد على من استبعد منهم ان يبعث الله بشرا رسولا والذكر هو كل ما ياتى من تذكير الله عباده فاهل القرءان اهل ذكر واما المحال على سؤالهم فى هذه الآية فلا يصح ان يكونوا اهل القرءان فى ذلك الوقت لانهم كانوا خصومهم وانما احيلوا على سؤال احبار اهل الكتاب من حيث كانوا موافقين لكفار قريش على ترك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام قيل الجسد من الاحياء مالا يتغذى وقيل الجسد يعم المتغذي من الاجسام وغير المتغذى فجعلناهم جسدا على التاويل الاول

منفي وعلى الثانى موجب والنفي واقع على صفته * وقوله سبحانه ثم صدقناهم الوعد الآية هذه ءاية وعيد * وقوله ومن نشاء يعنى من المومنين والمسرفون الكفارثم وبخهم تعالى بقوله لقد انزلنا اليكم كتابا يعنى القرءان فيه ذكركم اي شرفكم ءاخر الدهر وفى هذا تحريض لهم ثم اكدالتحريض بقوله افلا تعقلون وكم للتكثير وقصمنا معناه اهلكنا واصل القصم الكسر فى الاجرام فاذا استعير للقوم والقرية ونحو ذلك فهو ما يشبه الكسر وهو اهلاكهم وانشأنا اي خلقنا وبثثنا امة اخرى غير المهلكة * وقوله فلما احسوا وصف عن حال قرية من القرى المجملة اولا قيل كانت باليمن تسمى حضور بعث الله تعالى الى اهلها رسولا فقتلوه فارسل الله تعالى عليهم بختنصر صاحب بنى اسراءيل فهزموا جيشه مرتين فنهض فى الثالثة بنفسه فلما هزمهم واخذ القتل فيهم ركضوا هاربين ويحتمل ان لا يريد بالآية قرية بعينها وان هذا وصف حال كل قرية من القرى المعذبة اذا احسوا العذاب من اي نوع كان اخذوا فى الفرار واحسوا باشروه بالحواس (ص) اذا هم منها يركضون اذا الفجائية وهي وما بعدها جواب لما انتهى * وقوله لا تركضوا يحتمل على الرواية المتقدمة ان يكون من قول رجال بختنصر على جهة الخداع والاستهزاء بهم فلما انصرفوا راجعين امر بختنصر ان ينادى فيهم ياثارات النبي المقتول فقتلوا بالسيف عن آخرهم قال (ع) وهذا كله مروي ويحتمل ان يكون لاتركضوا الى ءاخر الآية من كلام ملائكة العذاب على جهة الهزء بهم * وقوله حصيدا اي بالعذاب كحصيد الزرع بالمنجل وخامدين اي موتى مشبهين بالنار اذا طفئت ثم وعظ سبحانه السامعين بقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين * وقوله سبحانه لو اردنا ان نتخذ لهوا الآية ظاهر الآية الرد على من قال من الكفار فى امر مريم

وما ضارعه من الكفر تعالى الله عن قول المبطلين وان فى قوله ان كنا فاعلين يحتمل ان تكون شرطية ويحتمل ان تكون نافية بمعنى ما كنا فاعلين وكل هذا قد قيل والحق عام فى القرءان والرسالة والشرع وكل ما هو حق فيدمغه معناه يصيب دماغه وذلك مهلك فى البشر فكذلك الحق يهلك الباطل والويل الخزي وقيل هو اسم واد فى جهنم وانه المراد فى هذه الآية وهذه مخاطبة للكفار الذين وصفوا الله عز وجل بما لايجوز عليه تعالى الله عن قولهم * وقوله ومن عنده الآية عند هنا ليست فى المسافات وانما هي تشريف فى المنزلة ولا يستحسرون اي لا يكلون والحسير من الابل المعيى * وقوله لا يفترون وفى الترمذي عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى ارى مالا ترون واسمع مالا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله الحديث قال ابو عيسى هذا حديث صحيح وفى الباب عن عائشة وابن عباس وانس انتهى من اصل الترمذي اعنى جامعه * وقوله سبحانه ام اتخذوا ءالهة من الارض هم ينشرون اي يحيون غيرهم ثم بين تعالى امر التمانع بقوله لوكان فيهما ءالهة الا الله لفسدتا وقد تقدم ايضاح ذلك عند قوله تعالى اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا * وقوله هذا ذكر من معى وذكر من قبلى يحتمل ان يريد بالاشارة بقوله هذا الى جميع الكتب المنزلة قديمها وحديثها انها بين ان الله الخالق واحد لاشريك له ويحتمل ان يريد بقوله هذا القرءان والمعنى فيه نبأ الاولين والآخرين فنص اخبار الاولين وذكر الغيوب فى امورهم حسبما هي فى الكتب المتقدمة وذكر الآخرين بالدعوة وبيان الشرع لهم ثم حكم عليهم سبحانه بان اكثرهم لايعلمون الحق لاعراضهم عنه وليس المعنى فهم معرضون لانهم لايعلمون بل المعنى فهم معرضون ولذلك

لايعلمون الحق وباقي الآية بين ثم بين سبحانه نوعا آخر من كفرهم بقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الآية كقول بعضهم اتخذ الملائكة بناتا وكما قالت النصارى في عيسى بن مريم واليهود في عزير * وقوله سبحانه بل عباد مكرمون عبارة تشمل الملائكة وعيسى وعزير وقال (ص) بل اضراب عن نسبة الولد اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وعباد خبر مبتدإ محذوف اي هم عباد قاله ابو البقاء انتهى * وقوله سبحانه لايسبقونه بالقول عبارة عن حسن طاعتهم ومراعاتهم لامتثال الامر ثم اخبر تعالى انهم لايشفعون الالمن ارتضى الله ان يشفع له قال بعض المفسرين لاهل لااله الاالله والمشفق المبالغ في الخوف المحترق النفس من الفزع على امرما * وقوله سبحانه ومن يقل منهم اني اله من دونه الآية المعنى ومن يقل منهم كذا ان لو قاله وليس منهم من قال هذا وقال بعض المفسرين المراد بقوله ومن يقل الآية ابليس وهذا ضعيف لان ابليس لم يروقط انه ادعى الربوبية ثم وقفهم سبحانه على عبرة دالة على وحدانيته جلت قدرته فقال اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا والرتق الملتصق بعضه ببعض الذى لاصدع فيه ولافتح ومنه امرأة رتقاء واختلف في معنى قوله كانتا رتقا ففتقناهما فقالت فرقة كانت السماء ملتصقة بالارض ففتقها الله بالهواء وقالت فرقة كانت السموات ملتصقة بعضها ببعض والارض كذلك ففتقهما الله سبعا سبعا فعلى هذين القولين فالرؤية الموقف عليها رؤية قلب وقالت فرقة السماء قبل المطر رتق والارض قبل النبات رتق ففتقهما الله تعالى بالمطر والنبات كما قال تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع وهذا قول حسن يجمع العبرة وتعديد النعمة والحجة بمحسوس بين ويناسب قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي اي من الماء الذى كان عن

الفتق فيظهر معنى الآية ويتوجه الاعتبار بها وقالت فرقة السماء والارض رتق بالظلمة ففتقهما الله بالضوء والرؤية على هذين القولين رؤية العين وبا قى الآية بين قال (ص) قال الزجاج السموات جمع اريد به الواحد ولذا قال كانتا رتقا وقال الحوفي قال كانتا والسموات جمع لانه اراد الصنفين انتهى * وقوله سقفا محفوظا الحفظ هنا عام فى الحفظ من الشيطان ومن الوهي والسقوط وغير ذلك من الآفات والفلك الجسم الدائر دورة اليوم والليلة ويسبحون معناه يتصرفون وقالت فرقة الفلك موج مكفوف ورأوا قوله يسبحون من السباحة وهي العوم * وقوله عز وجل وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد الآية وتقدير الكلام افهم الخالدون ان مت * وقوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت الآية موعظة بليغة لمن وفق قال ابو نعيم كان الثوري رضي الله عنه اذا ذكر الموت لاينتفع به اياما انتهى من التذكرة للقرطبي قال عبد الحق فى العاقبة وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بذكر الموت واعاد القول فيه تهويلا لامره وتعظيما لشانه ثم قال واعلم ان كثرة ذكر الموت يردع عن المعاصى ويلين القلب القاسي قال الحسن مارأيت عاقلا قط الا وجدته حذرا من الموت حزينا من اجله ثم قال واعلم ان طول الامل يكسل عن العمل ويورث التواني ويخلد الى الارض ويميل الى الهوى وهذا امر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج الى بيان ولا يطالب صاحبه بالبرهان كما ان قصره يبعث على العمل ويحمل على المبادرة ويحث على المسابقة قال النبي صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد ذكره القاضى ابو الحسن بن صخر فى الفوائد انتهى * ونبلوكم معناه نختبركم وقدم الشر على لفظة الخير لان العرب من عادتها ان تقدم الاقل والاردى ومنه قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فبدأ تعالى فى تقسيم امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

بالظالم وفتنة معناه امتحانا * وقوله تعالى واذا رءاك الذين كفروا كابى جهل وغيره وان بمعنى ماوفى الكلام حذف تقديره يقولون أهذا الذى وقال (ص) ان نافية والظاهر انها وما دخلت عليه جواب اذا انتهى * وقوله سبحانه وهم بذكر الرحمن هم كافرون روي ان الآية نزلت حين انكروا هذه اللفظة وقالوا مانعرف الرحمن الا فى اليمامة وظاهر الكلام ان الرحمن قصد به العبارة عن الله عز وجل ووصف سبحانه الانسان الذى هو اسم جنس بانه خلق من عجل وهذا على جهة المبالغة كما تقول للرجل البطال انت مِن لعب ولهو * وقوله سبحانه لو يعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجوههم النار الآية حذف جواب لوايجازا لدلالة الكلام عليه وتقدير المحذوف لما استعجلوا ونحوه وذكر الوجوه لشرفها من الانسان ثم ذكر الظهور ليبين عموم النار لجميع ابدانهم والضمير فى قوله بل تاتيهم بغتة للساعة التى تصيرهم الى العذاب ويحتمل ان يكون للنار وينظرون معناه يؤخرون وحاق معناه حل ونزل ويكلؤكم اي يحفظكم * وقوله سبحانه ولا هم منا يصحبون يحتمل تاويلين احدهما يجارون ويمنعون والآخر ولا هم منا يصحبون بخير وتزكية ونحو هذا * وقوله سبحانه افلا يرون انا ناتى الارض ننقصها من اطرافها الآية ناتى الارض معناه بالقدرة ونقص الارض اما ان يريد بتخريب المعمور واما بموت البشر وقال قوم النقص من الاطراف موت العلماء ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم متوعدا لهؤلاء الكفرة بقوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك الآية والنفحة الخطرة والمسة والمعنى ولئن مستهم صدمة عذاب ليندمن وليقرن بظلمهم وباقى الآية بين وقال الثعلبي نفحة اي طرف قاله ابن عباس انتهى * وقوله سبحانه ليوم القيامة قال ابوحيان اللام للظرفية بمعنى فى انتهى قال القرطبي فى تذكرته قال العلماء اذا انقضى الحساب

كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي ان يكون بعد المحاسبة واختلف فى الميزان والحوض ايهما قبل الآخر قال ابو الحسن القابسي والصحيح ان الحوض قبل الميزان وذهب صاحب القوت وغيره الى ان حوض النبي صلى الله عليه وسلم انما هو بعد الصراط قال القرطبي والصحيح ان للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين وكلاهما يسمى كوثرا وان الحوض الذى يذاد عنه من بدل وغير يكون فى الموقف قبل الصراط وكذا احياض الانبياء عليهم الصلاة والسلام تكون فى الموقف على ما ورد فى ذلك من الاخبار انتهى والفرقان الذى اوتي موسى وهارون قيل التوراة وهي الضياء والذكر وقالت فرقة الفرقان هو ما رزقهما الله تعالى من نصر وظهور على فرعون وغير ذلك والضياء التوراة والذكر بمعنى التذكرة * وقوله سبحانه وهذا ذكر مبارك يعني القرءان ثم وقفهم سبحانه تقريرا وتوبيخا هل يصح لهم انكار بركته وما فيه من الدعاء الى الله تعالى والى صالح العمل * وقوله سبحانه ولقد آتينا ابراهيم رشده الآية الرشد عام اي فى جميع المراشد وانواع الخيرات وقال الثعلبي رشده اي توفيقه وقيل صلاحه انتهى * وقوله وكنا به عالمين مدح لابراهيم عليه السلام اي عالمين بما اهل له وهذا نحو قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والتماثيل الاصنام * وقوله وتالله لاكيدن اصنامكم الآية روي انه حضرهم عيد لهم فعزم قوم منهم على ابراهيم فى حضوره طمعا منهم ان يستحسن شيأ من احوالهم فمشى معهم فلما كان فى الطريق ثنى عزمه على التخلف عنهم فقعد وقال لهم انى سقيم فمر به جمهورهم ثم قال فى خلوة من نفسه وتالله لاكيدن اصنامكم فسمعه قوم من ضعفتهم ممن كان يسير فى ءاخر الناس * وقوله بعد ان تولوا مدبرين معناه الى عيدكم ثم انصرف ابراهيم عليه السلام الى بيت اصنامهم فدخله ومعه قدوم فوجد الاصنام قد وقفت اكبرها اول ثم

الذى يليه فالذى يليه وقد جعلوا اطعمتهم فى ذلك اليوم بين يدي الاصنام تبركا لينصرفوا من ذلك العيد الى اكله فجعل عليه السلام يقطعها بتلك القدوم ويهشمها حتى افسد اشكالها حاشا الكبير فانه تركه بحاله وعلق القدوم فى يده وخرج عنها وجذاذا معناه قطعا صغارا والجذ القطع والضمير فى اليه اظهر ما فيه انه عائد على ابراهيم اي فعل هذا كله ترجيا منه ان يعقب ذلك منهم رجعة اليه والى شرعه ويحتمل ان يعود على كبيرهم * وقوله سبحانه قالوا من فعل هذا الآية المعنى فانصرفوا من عيدهم فرأوا ما حدث بآلهتهم فقالوا من فعل هذا بئالهتنا وقالوا الثانى الضمير فيه للقوم الضعفة الذين سمعوا قول ابراهيم تالله لاكيدن اصنامكم * وقوله على اعين الناس يريد فى الحفل وبمحضر الجمهور وقوله يشهدون يحتمل ان يريد الشهادة عليه بفعله او بقوله لاكيدن ويحتمل ان يريد به المشاهدة اي يشاهدون عقوبته او غلبته المؤدية الى عقوبته وقوله عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا على معنى الاحتجاج عليهم اي انه غار من ان يعبد هو وتعبد الصغار معه ففعل هذا بها لذلك وفى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك هي اختى وكانت مقالاته هذه فى ذات الله وذهبت فرقة الى ان معنى الحديث لم يكذب ابراهيم اي لم يقل كلاما ظاهره الكذب اويشبه الكذب وذهب الفراء الى جهة اخرى فى التاويل بان قال قوله فعله ليس من الفعل وانما هو فعله على جهة التوقع حذف اللام على قولهم عله بمعنى لعله ثم خففت اللام قال (ع) وهذا تكلف (ت) قال عياض واعلم اكرمك الله ان هذه الكلمات كلها خارجة عن الكذب لا فى القصد ولا فى غيره وهي داخلة فى باب المعاريض التى فيها مندوحة عن الكذب فاما قوله بل فعله كبيرهم

هذا فانه علق خبره بشرط النطق كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه انتهى ثم ذكر بقية التوجيه وهو واضح لانطيل بسرده * وقوله سبحانه فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون اي فى توقيف هذا الرجل على هذا الفعل وانتم معكم من تسئلون ثم رأوا ببديهة العقل ان الاصنام لا تنطق فقالوا لابراهيم حين نكسوا فى حيرتهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فوجد ابراهيم عليه السلام عند هذه المقالة موضع الحجة ووقفهم موبخا لهم بقوله افتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيأ الآية ثم حقر شأنهم وشأنها بقوله اف لكم ولما تعبدون من دون الله الآية (ص) وقولهم لقد علمت جواب قسم محذوف معمول لقول محذوف فى موضع الحال اي قائلين لقد علمت انتهى وقال الثعلبي فرجعوا الى انفسهم اي تفكروا بعقولهم فقالوا مانراه الاكما قال انكم انتم الظالمون فى عبادتكم الاصنام الصغار مع هذا الكبير اه وما قدمناه عن (ع) هو الاوجه وأف لفظة تقال عند المستقذرات من الاشياء ويستعار ذلك للمستقبح من المعانى ثم اخذتهم العزة بالاثم وانصرفوا الى طريق الغلبة والغشم فقالوا حرقوه روي ان قائل هذه المقالة هو رجل من الاكراد من اعراب فارس اي من باديتها فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وروي انه لما اجمع رأيهم على تحريقه حبسه نمرود الملك لعنه الله وامر بجمع الحطب حتى اجتمع منه ماشاء الله ثم اضرم نارا فلما ارادوا طرح ابراهيم فيها لم يقدروا على القرب منها فجاءهم ابليس فى صورة شيخ فقال لهم انا اصنع لكم ءالة يلقى بها فعلمهم صنعة المنجنيق ثم اخرج ابراهيم عليه السلام فشد رباطا ووضع فى كفة المنجنيق ورمي به فتلقاه جبريل عليه السلام فى الهواء فقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى (ت) قال ابن عطاء الله فى التنوير

وكن ايها الاخ ابراهيميا اذ زج بـه فى المنجنيق فتعرض له جبريل فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا واما الى ربى فبلى قال فاسئله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فانظر كيف رفع همته عن الخلق ووجهها الى الملك الحق فلم يستغث بجبريل ولا احتال على السؤال بل رأى ربه تعالى اقرب اليه من جبريل ومن سؤاله فلذلك سلمه من نمرود ونكاله وانعم عليه بنواله وافضاله انتهى * وقوله سبحانه قلنا يانار كونى بردا وسلاما قال بعض العلماء فيما روي ان الله تعالى لولم يقل وسلاما لهلك ابراهيم من برد النار وروي انه لما وقع فى النار سلمه الله واحترق الحبل الذى ربط به وقد اكثر الناس فى قصصه فاختصرناه لعدم صحة اكثره وروي ان ابراهيم عليه السلام كان له بسط وطعام فى تلك النار كل ذلك من الجنة وروي ان العيدان اينعت واثمرت له هنالك ثمارها وروي انهم قالوا ان هذه نار مسحورة لا تحرق فرموا فيها شيخا منهم فاحترق والله اعلم بما كان من ذلك (ت) قال صاحب غاية المغنم فى اسم الله الاعظم وهو من الائمة المحدثين وعن الامام احمد بن حنبل رحمه الله انه يكتب للمحموم ويعلق عليه بسم الله الرحمن الرحيم يالله يالله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبريل وميكائيل اشف حاملها بحولك وقوتك وجبروتك ياارحم الراحمين انتهى * وقوله وسلاما معناه وسلامة والكيد هو ما ارادوه من حرقه * وقوله سبحانه ونجيناه ولوطا الآية روي ان ابراهيم عليه السلام لما خرج من النار احضره نمرود وقال له فى بعض قوله ياابراهيم اين جنود ربك الذى تزعم فقال له عليه السلام سيريك فعل اضعف جنوده فبعث الله تعالى على نمرود واصحابه سحابة من بعوض فاكلتهم عن آخرهم ودوابهم حتى كانت العظام تلوح بيضاء

ودخلت منها بعوضة فى رأس نمرود فكان رأسه يضرب بالعيدان وغيرها ثم هلك منها وخرج ابراهيم وابن اخيه لوط عليهما السلام من تلك الارض مهاجرين وهي كُوثى من العراق ومع ابراهيم ابنت عمه سارة زوجته وفى تلك السفرة لقي الجبار الذى رام اخذها منه واختلف فى الارض التى بورك فيها ونحا اليها ابراهيم ولوط عليهما السلام فقالت فرقة هي مكة وقال الجمهور هي الشام فنزل ابراهيم بالسبع من ارض فلسطين وهي برية الشام ونزل لوط بالموتكفة والنافلة العطية وباقى الآية بين وخبائث قرية لوط هي اتيان الذكور وتضارطهم فى مجالسهم الى غير ذلك من قبيح افعالهم * وقوله سبحانه فى نوح عليه السلام ونصرناه من القوم الآية لما كان جل نصرته النجاة وكانت غلبة قومه بامر اجنبي منه حسن ان يقول نصرناه من ولاتتمكن هنا على قال (ص) علي نصرناه بمن لتضمنه معنى نجينا وعصمنا ومنعنا وقال ابو عبيدة من بمعنى على (ت) وهذا اولى واما الاول ففيه نظر لان تلك الالفاظ المقدمة كلها غيرمرادفة لنصرنا انتهى (ت) وكذا يظهر من كلام ابن هشام ترجيح الثانى وذكر هؤلاء الانبياء عليهم السلام ضرب مثل لقصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه ونجاة الانبياء وهلاك مكذبيهم ضمنها توعد لكفار قريش * وقوله تعالى وداود وسليمان المعنى واذكر داود وسليمان هكذا قدره جماعة من المفسرين ويحتمل ان يكون المعنى وءاتينا داود والنفش هو الرعي ليلا ومضى الحكم فى الاسلام بتضمين ارباب النعم ما افسدت بالليل لان على اهلها ان يثقفوها وعلى اهل الزروع حفظها بالنهار هذا هو مقتضى الحديث فى ناقة ابن عازب وهو مذهب مالك وجمهور الامة وفى كتاب ابن سحنون ان الحديث انما جاء فى امثال المدينة التى هي حيطان محدقة واما البلاد التى هي زروع متصلة غير محظرة

فيضمن ارباب النعم ما افسدت بالليل والنهار قال (ص) والضمير فى قوله لحكمهم يعود على الحاكمين والمحكوم له وعليه ابو البقاء وقيل الضمير لداود وسليمان عليهما السلام فقط وجمع لان الاثنين جمع انتهى قال ابن العربي فى احكامه المواشي على قسمين ضوار وغير ضوار وهكذا قسمها مالك فالضوارى هي المعتادة باكل الزرع والثمار فقال مالك تغرب وتباع فى بلد لا زرع فيه ورواه ابن القاسم فى الكتاب وغيره قال ابن حبيب وان كره ذلك اربابها وكان قول مالك فى الدابة التى ضريت بفساد الزرع ان تغرب وتباع واما ما يستطاع الاحتراز منه فلا يومر صاحبه باخراجه عن ملكه وهذا بين انتهى * وقوله يسبحن اي يقلن سبحان الله هذا قول الاكثر وذهبت فرقة منهم منذر بن سعيد الى انه بمعنى يصلين معه بصلاته واللبوس فى اللغة هو السلاح فمنه الدرع وغيره قال (ص) ولبوس معناه ملبوس كالركوب بمعنى المركوب قال الشاعر

عليها اسود ضاريات لبوسهم * سوابغ بيض لا تخرقها النبل

ولسليمان الريح اي وسخرنا لسليمان الريح هذا على قراءة النصب وقرأت فرقة الريح بالرفع ويروى ان الريح العاصفة كانت تهب على سرير سليمان الذى فيه بساطه وقد مد حول البساط بالخشب والالواح حتى صنع سريرا يحمل جميع عسكره واقواته فتقله من الارض فى الهواء ثم تتولاه الريح الرخاء بعد ذلك فتحمله الى حيث اراد سليمان قال (ص) والعصف الشدة والرخاء اللين انتهى * وقوله تعالى الى الارض التى باركنا فيها اختلف فيها فقالت فرقة هي الشام وكانت مسكنه وموضع ملكه وقد قال بعضهم ان العاصفة هي فى القفول على عادة البشر والدواب فى الاسراع الى الوطن وان الرخاء كانت فى البدأة حيث اصاب اي حيث يقصد لان ذلك

وقت تأن وتدبير وتقلب رأي ويحتمل ان يريد الارض التي يسير اليها سليمان كائنة ماكانت وذلك انه لم يكن يسير الى ارض الا اصلحها الله تعالى به صلى الله عليه وسلم ولابركة اعظم من هذا والغوص الدخول فى الماء والارض والعمل دون ذلك البنيان وغيره من الصنائع والخدمة ونحوها وكنا لهم حافظين قيل معناه من افسادهم ماصنعوه وقيل غيرهذا (ت) وقوله سبحانه وانت ارحم الراحمين هذا الاسم المبارك مناسب لحال ايوب عليه السلام وقد روى اسامة بن زيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تعالى ملكا موكلا بمن يقول ياارحم الراحمين فمن قالها ثلاثا قال له الملك ان ارحم الراحمين قد اقبل عليك فاسئل رواه الحاكم فى المستدرك وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول ياارحم الراحمين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل فقد نظر الله اليك رواه الحاكم انتهى من السلاح وفى قصص ايوب عليه السلام طول واختلاف وتلخيص بعض ذلك ان ايوب عليه السلام اصابه الله تعالى باكلة فى بدنه فلما عظمت وتقطع بدنه اخرجه الناس من بينهم ولم يبق معه غير زوجته ويقال كانت بنت يوسف الصديق عليه السلام قيل اسمها رحمة وقيل فى ايوب انه من بني اسراءيل وقيل انه من الروم من قرية عيصو فكانت زوجته تسعى عليه وتاتيه بما ياكل وتقوم عليه ودام عليه ضره مدة طويلة وروي ان ايوب عليه السلام لم يزل صابرا شاكرا لايدعو فى كشف مابه حتى ان الدودة تسقط منه فيردها فمر به قوم كانوا يعادونه فشمتوا به فحينئذ دعا ربه سبحانه فاستجاب له وكانت امرأته غائبة عنه فى بعض شأنها فانبع الله تعالى له عينا وامر بالشرب منها فبرئ باطنه وامر بالاغتسال فبرئ ظاهره ورد الى افضل جماله واوتي باحسن ثياب وهب عليه

رجل من جراد من ذهب فجعل يحتفن منـه فى ثوبه فناداه ربه سبحانه وتعالى ياايوب الم اكن اغنيتـك عن هـذا فقال بلى يارب ولكن لاغنى بى عـن بركتك فبينما هو كذلك اذ جاءت امرأته فلم تره فى المـوضع فجزعت وظنت انـه ازيـل عنه فجعلت تتوله فقال لها ماشأنك ايتها المرأة فهابته لحسن هيئته وقالت انى فقدت مريضالى فى هـذا الموضـع ومعـالم المكان قد تغيرت وتأملته فى اثناء المقاولة فرأت ايوب فقـالت له انت ايوب فقال لهـا نعم واعتنقها وبكى فروي انه لم يفـارقهـا حتى اراه الله جميـع ماله حاضرا بين يديه واختلف النـاس فى اهـله وولده الذين اتاه الله فقيل كان ذلك كله فى الدنيا فرد الله عليه ولده باعيانهم وجعـل مثلهم له عـدة فى الآخرة وقيل بل اوتي جميع ذلـك فى الدنيا من اهـل ومال (ت) وقـد قـدم (ع) فى صدر القصة ان الله سبحانه اذن لابليس لعنه الله فى اهلاك مال ايوب وفى اهلاك بنيه وقرابته ففعل ذلك اجمع والله اعلم بصحة ذلك ولو صح لوجب تاويـله * وقوله سبحانه وذكرى للعابدين اي وتذكرة وموعظـة للمومنـين ولا يعبد الله الا مومـن * وقوله سبحانه واسماعيل وادريس المعـنى واذكر اسماعيل وقوله سبحـانه وذا النـون اذ ذهب مغاضبا التـقدير واذكر ذا النون قال السهيلي لمـا ذكر الله تعالى يونس هنـا فى معرض الثناء قال وذا النـون وقال فى الآية الاخرى ولا تكن كصاحب الحوت والمعـنى واحـد ولكن بين اللفظـين تفاوت كثير فى حسن الاشارة الى الحالتـين وتنزيل الكلام فى الموضعين والاضافة بذى اشرف من الاضافة بصاحب لان قولك ذو يضـاف بهـا الى التابع وصاحب يضاف بها الى المتبـوع انتهى والنون الحوت والصاحب يونس ابن متى عليه السلام وهو نبي من اهل نينوى * وقوله مغاضبا قيل انه غاضب قومه حين طال عليه امرهم وتعنتهم فذهب فارا بنـفسه وقد كان الله تعالى امره

بملازمتهم والصبر على دعائهم فكان ذلك ذنبه اي فى خروجه عن قومه بغير اذن ربه (ت) قال عياض والصحيح فى قوله تعالى اذ ذهب مغاضبا انه مغاضب لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لالربه اذ مغاضبة الله تعالى معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمومنين فكيف بالانبياء عليهم السلام وفرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه بما وعدهم به من العذاب * وقوله سبحانه فظن ان لن نقدر عليه معناه انلن نضيق عليه وقيل معناه نقدر عليه مااصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وذلك كما قيل لحسن ظنه بربه انه لايقضى عليه بعقوبة وقال عياض فى موضع آخر وليس فى قصة يونس عليه السلام نص على ذنب وانما فيها ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله تعالى عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لاالقاهم بوجه كذاب ابدا وهذا كله ليس فيه نص على معصية انتهى * وقوله سبحانه فظن انلن نقدر عليه قالت فرقة معناه ان لن نضيق عليه فى مذهبه من قوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقرأ الزهري نقدر بضم النون وفتح القاف وشد الدال ونحوه عن الحسن وروي ان يونس عليه السلام سجد فى جوف الحوت حين سمع تسبيح الحيتان فى قعر البحر * وقوله انى كنت من الظالمين يريد فيما خالف فيه من ترك ملازمة قومه والصبر عليهم هذا احسن الوجوه فاستجاب الله له (ت) وليس فى هذه الكلمة مايدل انه اعترف بذنب كما اشار اليه بعضهم وفى الحديث الصحيح دعوة اخى ذى النون فى بطن الحوت لااله الاانت سبحانك انى كنت من الظالمين مادعا بها عبد مومن اوقال مسلم الااستجيب له الحديث انتهى وعن سعد ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى لااله الاانت

سبحانك انى كنت من الظالمين ايما مسلم دعا بها فى مرضه اربعين مرة فمات فى مرضه ذلك اعطي اجر شهيد وان برئ برئ وقد غفر الله له جميع ذنوبه اخرجه الحاكم فى المستدرك انتهى من السلاح وذكر صاحب السلاح ايضا عن سعد بن ابى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة ذى النون اذ دعا وهو فى بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فانه لم يدع بها رجل مسلم فى شيء قط الا استجاب الله تعالى له رواه الترمذي واللفظ له والنساءي والحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد و زاد فيه من طريق آخر فقال رجل يارسول الله هل كانت ليونس خاصة ام للمومنين عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتسمع الى قول الله عز وجل ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المومنين انتهى والغم ماكان ناله حين التقمه الحوت * وقوله سبحانه وزكرياء اذ نادى ربه الآية تقدم امر زكرياء * وقوله سبحانه واصلحنا له زوجه قيل بان جعلت ممن تحمل وهي عاقر قاعد وعموم اللفظ يتناول جميع الاصلاح * وقوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا المعنى انهم يدعون فى وقت تعبداتهم وهم بحال رغبة ورجاء ورهبة وخوف فى حال واحدة لان الرغبة والرهبة متلازمان والخشوع التذلل بالبدن المتركب على التذلل بالقلب قال القشيري فى رسالته سئل الجنيد عن الخشوع فقال تذلل القلوب لعلام الغيوب قال سهل بن عبد الله من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان انتهى * وقوله سبحانه والتى احصنت فرجها المعنى واذكر التى احصنت فرجها وهي الجارحة المعروفة هذا قول الجمهور وفى احصانها هو المدح وقالت فرقة الفرج هنا هو فرج ثوبها الذى منه نفخ الملك وهذا قول ضعيف وقد تقدم امرها (ت) وعكس رحمه الله فى سورة التحريم النقل فقال قال الجمهور هو فرج الدرع * وقوله

تعالى ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون يحتمل ان يكون منقطعا خطابا لمعاصرى النبي صلى الله عليه وسلم ثم اخبر عن الناس انهم تقطعوا ثم وعد واوعد ويحتمل ان يكون متصلا بقصة مريم وابنها عليهما السلام (ص) ابو البقاء وتقطعوا امرهم اي فى امرهم يريد انه منصوب على اسقاط حرف الجر وقيل عدي بنفسه لانه بمعنى قطعوا اي فرقوا انتهى وقال البخاري امتكم امة واحدة اي دينكم دين واحد انتهى وقرأ جمهور السبعة وحرام وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وحرم بكسر الحاء وسكون الراء وهما مصدران بمعنى فاما معنى الآية فقالت فرقة حرام وحرم معناه جزم وحتم فالمعنى وحتم على قرية اهلكناها انهم لايرجعون الى الدنيا فيتوبون ويستعتبون بل هم صائرون الى العقاب وقالت طائفة حرام وحرم اي ممتنع * وقوله سبحانه حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون الآية تحتمل حتى فى هذه الآية ان تتعلق بيرجعون وتحتمل ان تكون حرف ابتداء وهو الاظهر بسبب اذا لانها تقتضى جوابا واختلف هنا فى الجواب والذى اقول به ان الجواب فى قوله فاذا هي شاخصة وهذا هو المعنى الذى قصد ذكره قال (ص) قال ابو البقاء حتى اذا متعلقة فى المعنى بحرام اي يستمر الامتناع الى هذا الوقت ولا عمل لها فى اذا انتهى وقرأ الجمهور فتحت بتخفيف التاء وقرأ ابن عامر وحده فتحت بالتشديد وروي ان ياجوج وماجوج يشرفون فى كل يوم على الفتح فيقولون غدا نفتح ولا يردون المشيئة الى الله تعالى فاذا كان غد وجدوا الردم كاوله حتى اذا اذن الله تعالى فى فتحه قال قائلهم غدا نفتحه ان شاء الله تعالى فيجدونه كما تركوه قريب الانفتاح فيفتحونه حينئذ (ت) وقد تقدم فى سورة الكهف كثير من اخبار ياجوج وماجوج فاغنانا عن اعادته وهذه عادتنا فى هذا

المختصر اسئل الله تعالى ان ينفعنا واياكم به ويجعله لنا نورا بين ايدينا يوم لاينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم والحدب كل مسنم من الارض كالجبل والظَرِب والكدية والقبر ونحوه وقالت فرقة المراد بقوله وهم ياجوج وماجوج يعنى أنهم يطلعون من كل ثنية ومرتفع ويملئون الارض من كثرتهم وقالت فرقة المراد بقوله وهم جميع العالم وانما هوتعريف بالبعث من القبور وقرأ ابن مسعود وهم من كل جدث بالجيم والثاء المثلثة وهذه القراءة تؤيد هذا التاويل وينسلون معناه يسرعون فى تطامن واسند الطبري عن ابى سعيد قال يخرج ياجوج وماجوج فلا يتركون احدا الا قتلوه الا اهل الحصون فيمرون على بحيرة طبرية فيمر ءاخرهم فيقول كان هنا مرة ماء قال فيبعث الله عليهم النَغَف حتى تكسر اعناقهم فيقول اهل الحصون لقد هلك اعداء الله فيدلون رجلا ينظر فيجدهم قد هلكوا قال فينزل الله من السماء ماء فيقذف بهم فى البحر فيطهر الله الأرض منهم وفى حديث حذيفة نحوهذا وفى ءاخره قال وعند ذلك طلوع الشمس من مغربها * وقوله سبحانه واقترب الوعد الحق يريد يوم القيامة * وقوله فاذا هي مذهب سيبويه انها ضمير القصة وجوز الفراء ان تكون ضمير الابصار تقدمت لدلالة الكلام ومجيء ما يفسرها والشخوص بالبصر احداد النظر دون ان يطرف وذلك يعترى من الخوف المفرط ونحوه وباقى الآية بين * وقوله سبحانه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية هذه الآية مخاطبة لكفار مكة اي انكم واصنامكم حصب جهنم والحصب ما توقد به النار اما لانها تحصب به اي ترمى واما ان يكون لغة فى الحطب اذا رمي واما قبل ان يرمى فلا يسمى حصبا الا بتجوز وحرق الاصنام بالنار على جهة التوبيخ لعابديها ومن حيث تقع ما لمن يعقل فى بعض المواضع اعترض فى هذه

الآية عبد الله بن الزبعرى على رسول الله صلى عليه وسلم فقال ان عيسى وعزيرا ونحوهما قد عبدا من دون الله فيلزم ان يكونوا حصبا لجهنم فنزلت ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية والورود فى هذه الآية ورود الدخول والزفير صوت المعذب وهو كنهيق الحمير وشبهه الا انه من الصدر * وقوله سبحانه لا يسمعون حسيسها هذه صفة الذين سبقت لهم الحسنى وذلك بعد دخولهم الجنة لان الحديث يقتضى ان فى الموقف تزفر جهنم زفرة لا يبقى نبي ولا ملك الاجثا على ركبتيه قال البخاري الحسيس والحس واحد وهو الصوت الخفي انتهى والفزع الاكبر عام فى كل هول يكون يوم القيامة فكان يوم القيامة بجملته هو الفزع الاكبر * وقوله سبحانه وتتلقاهم الملائكة يريد بالسلام عليهم والتبشير لهم اي هذا يومكم الذى وعدتم فيه الثواب والنعيم والسجل فى قول فرقة هو الصحيفة التى يكتب فيها والمعنى كما يطوى السجل من اجل الكتاب الذى فيه فالمصدر مضاف الى المفعول وهكذا قال البخاري السجل الصحيفة انتهى وماخرجه ابو داود فى مراسيله من ان السجل اسم رجل من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم قال السهيلى فيه هذا غير معروف انتهى * وقوله سبحانه كما بدأنا اول خلق نعيده يحتمل معنيين احدهما ان يكون خبرا عن البعث اي كما اخترعنا الخلق اولا على غير مثال كذلك ننشئهم تارة اخرى فنبعثهم من القبور والثانى ان يكون خبرا عن ان كل شخص يبعث يوم القيامة على هيئته التى خرج بها الى الدنيا ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده * وقوله كما بدأنا الكاف متعلقة بقوله نعيده وقالت فرقة الزبور هنا يعم جميع الكتب المنزلة لانه ماخوذ من زبرت الكتاب اذا كتبته والذكر اراد به اللوح المحفوظ وقالت فرقة الزبور هو زبور داود عليه

السلام والذكر التوراة وقالت فرقة الزبور ما بعد التوراة من الكتب والذكر التوراة وقالت فرقة الارض هنا ارض الدنيا اي كل ما يناله المومنون من الارض وقالت فرقة اراد ارض الجنة واستشهدوا بقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء * وقوله سبحانه ان فى هذا لبلاغا الاشارة بهذا الى هذه الآيات المتقدمة فى قول فرقة وقالت فرقة الاشارة الى القرءان بجملته والعبادة تتضمن الايمان * وقوله سبحانه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قالت فرقة هوصلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين عموما اما للمومنين فواضح واما للكافرين فلان الله تعالى رفع عنهم ما كان يصيب الامم والقرون السابقة قبلهم من التعجيل بانواع العذاب المستاصلة كالطوفان وغيره * وقوله آذنتكم معناه عرفتكم بنذارتي واردت ان تشاركوني فى معرفة ما عندى من الخوف عليكم من الله تعالى وقال البخاري آذنتكم اعلمتكم فاذا اعلمتهم فانت وهم على سواء انتهى ثم اخبرانه لايعرف تعيين وقت لعقابهم هل هوقريب ام بعيد وهذا اهول واخوف قال (ص) وان ادرى بمعنى ما ادرى انتهى والضميرفى قوله لعله عائد على الاملاء لهم وفتنة معناه امتحان وابتلاء والمتاع ما يستمتع به مدة الحياة الدنيا ثم امره تعالى ان يقول على جهة الدعاء رب احكم بالحق وهذا دعاء فيه توعد ثم توكل فى ءاخرالآية واستعان بالله تعالى قال الداودي وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق انتهى

تفسير سورة الحج وهي مكية

سوى ثلاث ءايات وهي هذان خصمان الى تمام ثلاث ءايات هذا قول ابن عباس ومجاهد وقال الجمهور السورة مختلطة منها مكي ومنها مدني وهذا هو الاصح لان آلايات تقتضي ذلك

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الزلزلة التحريك العنيف وذلك مع نفخة الفزع ومع نفخة الصعق حسبما تضمنه حديث ابي هريرة من ثلاث نفخات والجمهور على ان زلزلة الساعة هي كالمعهودة فى الدنيا الا انها فى غاية الشدة واختلف المفسرون فى الزلزلة المذكورة هل هي فى الدنيا على القوم الذين تقوم عليهم القيامة ام هي فى يوم القيامة على جميع العالم فقال الجمهور هي فى الدنيا والضمير فى ترونها عائد عندهم على الزلزلة وقوى قولهم ان الرضاع والحمل انما هو فى الدنيا وقالت فرقة الزلزلة فى يوم القيامة والضمير عندهم عائد على الساعة والذهول الغفلة عن الشيء بطريان ما يشغل عنه من هم اووجع او غيره قال ابن زيد المعنى تترك ولدها للكرب الذى نزل بها (ت) وخرج البخاري وغيره عن ابى سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يوم القيامة يا ءادم فيقول لبيك ربنا وسعديك فيقول اخرج بعث النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف

تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد الحديث انتهى وهذا الحديث نص صريح فى انه يوم القيامة وانظر قوله يوما يجعل الولدان شيبا وقوله واذا العشار عطلت تجده موافقا للحديث وجاء فى حديث ابى هريرة فيما ذكره علي بن معبد ان نفخة الفزع تمتد وان ذلك يوم الجمعة فى النصف من شهر رمضان فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب ثم تكون سرابا ثم ترتج الارض باهلها رجا وتضع الحوامل ما فى بطونها ويشيب الولدان ويولى الناس مدبرين ثم ينظرون الى السماء فاذا هي كالمهل ثم انشقت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم والموتى لا يعلمون شيأ من ذلك قلت يا رسول الله فمن استثنى الله عز وجل حين يقول ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال اولائك هم الشهداء انتهى مختصرا وهذا الحديث ذكره الطبري والثعلبي وصححه ابن العربي فى سراج المريدين وقال عبد الحق بل هو حديث منقطع لايصح والذى عليه المحققون ان هذه الاهوال هي بعد البعث قاله صاحب التذكرة وغيره انتهى والحمل بفتح الحاء ما كان فى بطن او على رأس شجرة * وقوله سبحانه وترى الناس سكارى تشبيها لهم اي من الهم ثم نفى عنهم السكر الحقيقي الذى هو من الخمر قاله الحسن وغيره وقرأ حمزة والكساءي سكرى فى الموضعين قال سيبويه وقوم يقولون سكرى جعلوه مثل مرضى ثم جعلوا روبى مثل سكرى وهم المستثقلون نوما من شرب الرائب * وقوله سبحانه ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد قال ابن جريج هذه الآية نزلت فى النضر بن الحارث وابي بن خلف وقيل فى ابي جهل بن هشام ثم هي بعد تتناول كل من اتصف بهذه الصفة ومجادلتهم فى ان الله تعالى لايبعث من يموت والشيطان هنا هو مغويهم

من الجن ويحتمل من الانس والمريد المتجرد من الخير للشر ومنه الامرد وشجرة مرداء اي عارية من الورق وصرح ممرد اي مملس والضمير فى عليه عائد على الشيطان قاله قتادة ويحتمل ان يعود على المجادل وانه فى موضع رفع على المفعول الذى لم يسم فاعله وانه الثانية عطف على الاولى موكدة مثلها وقيل هي مكررة للتاكيد فقط وهذا معترض بان الشيء لايوكد الابعد تمامه وتمام ان الاولى انما هو بصلتها فى قوله السعير وكذلك لايعطف عليه ولسيبويه فى مثل هذا انه بدل وقيل انه الثانية خبر مبتدإ محذوف تقديره فشأنه انه يضله قال (ع) ويظهرلى ان الضمير فى انه الاولى للشيطان وفى الثانية لمن الدى هوالمتولى وقرأ ابوعمرو فانه بالكسرفيهما * وقوله عزوجل ياايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث الآية هذا احتجاج على العالم بالبدأة الاولى وضرب سبحانه وتعالى فى هذه الآية مثلين اذا اعتبرهما الناظرجوز فى العقل البعثة من القبور ثم ورد الشرع بوقوع ذلك * وقوله فانا خلقناكم من تراب يريد ءادم عليه السلام ثم من نطفة يريد المني والنطفة تقع على قليل الماء وكثيره ثم من علقة يريد من الدم الذى تعود النطفة اليه فى الرحم اوالمقارن للنطفة والعلق الدم الغليظ وقيل العلق الشديد الحمرة ثم من مضغة يريد مضغة لحم على قدر ما يمضغ * وقوله مخلقة معناه متممة وغير مخلقة غيرمتممة اي التى تسقط قاله مجاهد وغيره فاللفظة بناء مبالغة من خلق ولما كان الانسان فيه اعضاء متباينة وكل واحد منها مختص بخلق حسُن فى جملته تضعيف الفعل لان فيه خلقا كثيرا * وقوله سبحانه لنبين لكم قالت فرقة معناه امر البعث ونقر اي ونحن نقر فى الارحام والاجل المسمى مختلف بحسب حين حين فثم من يسقط وثم من يكمل امره ويخرج حيا * وقوله سبحانه ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم

من بعد علم شيأ قد تقدم بيان هذه المعانى والرد الى ارذل العمرهوحصول الانسان فى زمانة واختلال العقل والقوة فهذا مثال واحد يقتضى للمعتبر به ان القادرعلى هذه المناقل المتقن لها قادر على اعادة تلك الاجساد التى اوجدها بهذه المناقل الى حالها الاولى * وقوله عز وجل وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج هذا هو المثال الثانى الذى يعطى للمعتبر فيه جواز بعث الاجساد وذلك ان احياء الارض بعد موتها بين فكذلك الاجساد وهامدة معناه ساكنة دارسة بالية واهتزاز الارض هو حركتها بالنبات وغير ذلك مما يعتريها بالماء وربت معناه نشزت وارتفعت ومنه الربوة وهي المكان المرتفع والزوج النوع والبهيج من البهجة وهي الحسن قاله قتادة وغيره * وقوله ذلك اشارة الى كل ماتقدم ذكره وباقى الآية بين * وقوله سبحانه ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم الآية الاشارة بقوله ومن الناس الى القوم الذين تقدم ذكرهم وكرر هذه الآية على جهة التوبيخ فكانه يقول فهذه الامثال فى غاية الوضوح ومن الناس مع ذلك من يجادل وثاني حال من الضمير فى يجادل * وقوله ثاني عطفه عبارة عن المتكبر المعرض قاله ابن عباس وغيره وذلك ان صاحب الكبر يرد وجهه عمن يتكبر عنه فهو برد وجهه يصعر خده ويولى صفحته ويلوى عنقه ويثنى عطفه وهذه هي عبارات المفسرين والعطف الجانب * وقوله تعالى ذلك بما قدمت يداك اي يقال له ذلك واختلف فى الوقف على يداك فقيل لا يجوز لان التقدير وبان الله اي ان هذا هو العدل فيك بجرائمك وقيل يجوز بمعنى والامر ان الله ليس بظلام للعبيد * وقوله سبحانه ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية نزلت فى اعراب وقوم لا يقين لهم كان احدهم اذا اسلم فاتفق له اتفاقات حسان من

نمو مال وولد يرزقه وغير ذلك قال هذا دين جيد وتمسك به لهذه المعاني وان كان الامر بخلاف ذلك تشاءم به وارتد كما فعل العرنيون قال هذا المعنى ابن عباس وغيره وقوله على حرف معناه على انحراف منه عن العقيدة البيضاء وقال البخاري على حرف على شك ثم اسند عن ابن عباس ما تقدم من حال الاعراب انتهى * وقوله يدعوا من دون الله ما لا يضره يريد الاوثان ومعنى يدعو يعبد ويدعو ايضا في ملماته واللام في قوله لمن ضره لام موذنة بمجيء القسم والثانية في لبيس لام القسم والعشير القريب المعاشر في الامور (ت) وفي الحديث في شأن النساء ويكفرن العشير يعني الزوج قال ابو عمر بن عبد البر قال اهل اللغة العشير الخليط من المعاشرة والمخالطة ومنه قوله عز وجل لبيس المولى ولبيس العشير انتهى من التمهيد والذى يظهر ان المراد بالمولى والعشير هو الوثن الذى ضره اقرب من نفعه وهو قول مجاهد ثم عقب سبحانه بذكر حالة اهل الايمان وذكر ما وعدهم به فقال ان الله يدخل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار الآية ثم اخذت الآية في توبيخ اولائك الاولين كانه يقول هؤلاء العابدون على حرف صحبهم القلق وظنوا ان الله تعالى لن ينصر محمدا واتباعه ونحن انما امرناهم بالصبر وانتظار وعدنا فمن ظن غير ذلك فليمدد بسبب وهو الحبل وليختنق هل يذهب بذلك غيظه قال هذا المعنى قتادة وهذا على جهة المثل السائر في قولهم دونك الحبل فاختنق والسماء على هذا القول الهواء علوا فكانه اراد سقفا او شجرة ولفظ البخاري وقال ابن عباس بسبب الى سقف البيت انتهى والجمهور على ان القطع هنا هو الاختناق قال الخليل وقطع الرجل اذا اختنق بحبل ونحوه ثم ذكر الآية ويحتمل المعنى من ظن ان محمدا لا ينصر فليمت كمدا هو منصور لامحالة فليختنق هذا الظان غيظا وكمدا ويؤيد هذا

ان الطبري والنقاش قالا وقال نزلت فى نفر من بنى اسد وغطفان قالوا نخاف ان لا ينصر محمد فينقطع الذى بيننا وبين حلفائنا من يهود من المنافع والمعنى الاول الذى قيل للعابدين على حرف ليس بهذا ولكنه بمعنى من قلق واستبطأ النصر وظن ان محمدا لا ينصر فليختنق سفاهة اذ تعدى الامر الذى حد له فى الصبر وانتظار صنع الله وقال مجاهد الضمير فى ينصره عائد على من والمعنى من كان من المتقلقين من المومنين وما فى قوله ما يغيظ بمعنى الذى ويحتمل ان تكون مصدرية حرفا فلا عائد عليها وابين الوجوه فى الآية التاويل الاول وباقى الآية بين * وقوله وكثير من الناس اي ساجدون مرحومون بسجودهم وقوله وكثير حق عليه العذاب معادل له ويؤيد هذا قوله تعالى بعد هذا ومن يهن الله فماله من مكرم الآية * وقوله سبحانه هذان خصمان اختصموا فى ربهم الآية نزلت هذه الآية فى المتبارزين يوم بدر وهم ستة نفر حمزة وعلي وعبيدة ابن الحارث رضي الله عنهم بارزوا لعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وشيبة بن ربيعة قال علي بن ابى طالب انا اول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى واقسم ابو ذر على هذا القول ووقع فى صحيح البخاري رحمه الله تعالى ان الآية فيهم وقال ابن عباس الاشارة الى المومنين واهل الكتاب وذلك انه وقع بينهم تخاصم فقالت اليهود نحن اقدم دينا منكم ونحو هذا فنزلت الآية وقال مجاهد وجماعة الاشارة الى المومنين والكفار على العموم * قال (ع) وهذا قول تعضده الآية وذلك انه تقدم قوله وكثير من الناس المعنى هم مومنون ساجدون ثم قال تعالى وكثير حق عليه العذاب ثم اشار الى هذين الصنفين بقوله هذان خصمان والمعنى ان الايمان واهله والكفر واهله خصمان مذ كانا الى يوم القيامة بالعداوة والجدال والحرب وخصم مصدر يوصف به الواحد والجمع ويدل على انه اراد الجمع قوله اختصموا فانه قراءة الجمهور وقرأ ابن

ابى عبلة اختصما (ت) وهذه التاويلات متفقات فى المعنى وقد ورد ان اول ما يقضى به بين الناس يوم القيامة فى الدماء ومن المعلوم ان اول مبارزة وقعت فى الاسلام مبارزة علي واصحابه فلاجرم كانت اول خصومة وحكومة يوم القيامة وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفى رواية المقضى بينهم * وقوله فى ربهم اي فى شأن ربهم وصفاته وتوحيده ويحتمل فى رضى ربهم وفى ذاته وقال (ص) فى ربهم اي فى دين ربهم انتهى ثم بين سبحانه حكم الفريقين فتوعد تعالى الكفار بعذابه الاليم وقطعت معناه جعلت لهم بتقدير كما يفصل الثوب وروي انها من نحاس ويصهر معناه يذاب وقيل معناه ينضج قيل ان الحميم بحرارته يهبط كل ما فى الجوف ويكشطه ويسلته وقد روى ابو هريرة نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يسلته و يبلغ به قدميه ويذيبه ثم يعاد كما كان * وقوله سبحانه كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها روي فيه ان لهب النار اذا ارتفع رفعهم فيصلون الى ابواب النار فيريدون الخروج فتردهم الزبانية بمقامع الحديد وهي المقارع * وقوله سبحانه ان الله يدخل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جنات الآية معادلة لقوله فالذين كفروا واللؤلؤ الجوهر واخبر سبحانه بان لباسهم فيها حرير لانه من اكمل حالات الدنيا قال ابن عباس لا تشبه امور الآخرة امور الدنيا الا فى الاسماء فقط واما الصفات فمتباينة والطيب من القول لا اله الا الله وماجرى معها من ذكر الله وتسبيحه وتقديسه وسائر كلام اهل الجنة من محاورة وحديث طيب فانها لا تسمع فيها لاغية وصراط الحميد هو طريق الله الذى دعا عباده اليه ويحتمل ان يريد بالحميد نفس الطريق فاضاف اليه على حد اضافته فى قوله دار الآخرة وقال البخاري وهدوا الى الطيب اي الهموا الى قراءة القرءان وهدوا الى صراط

الحميد اي الى الاسلام انتهى * وقوله سبحانه ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله هذه الآية نزلت عام الحديبية حين صد النبي صلى الله عليه وسلم وجاء يصدون مستقبلا اذ هو فعل يديمونه وخبر ان محذوف مقدر عند قوله والبادى تقديره خسروا او هلكوا والعاكف المقيم فى البلد والبادى القادم عليه من غيره * وقوله بالحاد قال ابو عبيدة الباء فيه زائدة (ت) قال ابن العربي فى احكامه وجعل الباء زائدة لا يحتاج اليه فى سبيل العربية لان حمل المعنى على القول اولى من حمله على الحروف فيقال المعنى ومن يهم فيه بميل لان الالحاد هو الميل فى اللغة الا انه قد صار فى عرف الشرع ميلا مذموما فرفع الله الاشكال وبين سبحانه ان الميل بالظلم هو المراد هنا انتهى * قال (ع) والالحاد الميل وهو يشمل جميع المعاصى من الكفر الى الصغائر فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالى على نية السيئة فيه ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب بذلك الا فى مكة هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم قال (ص) وقوله ان لا تشرك ان مفسرة لقول مقدر اي قائلين له او موحين له لا تشرك وفى التقدير الاول نظر فانظره انتهى * وقوله تعالى وطهر بيتي للطائفين والقائمين الآية تطهير البيت عام فى الكفر والبدع وجميع الانجاس والدماء وغير ذلك والقائمون هم المصلون وخص سبحانه بالذكر من اركان الصلاة اعظمها وهو القيام والركوع والسجود وروي ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما امر بالاذان بالحج قال يارب واذا اذنت فمن يسمعنى فقيل له ناد يا ابراهيم فعليك النداء وعلينا البلاغ فصعد على ابي قبيس وقيل على حجر المقام ونادى ايها الناس ان الله تعالى قد امركم بحج هذا البيت فحجوا فروي ان يوم نادى اسمع كل من يحج الى يوم القيامة فى اصلاب الرجال واجابه كل شيء فى ذلك الوقت من جماد وغيره لبيك اللهم لبيك فجرت التلبية

على ذلك قاله ابن عباس وابن جبير ورجالا جمع راجل والضامر قالت فرقة اراد بها الناقة وذلك انه يقال ناقة ضامر وقالت فرقة لفظ ضامر يشمل كل من اتصف بذلك من جمل او ناقة وغير ذلك * قال (ع) وهذا هو الاظهر وفى تقديم رجالا تفضيل للمشاة فى الحج واليه نحا ابن عباس قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى يا تين رد الضمير الى الابل تكرمة لها لقصدها الحج مع اربابها كما قال تعالى والعاديات ضبحا فى خيل الجهاد تكرمة لها حين سعت فى سبيل الله انتهى والفج الطريق الواسعة والعميق معناه البعيد قال الشاعر

اذا الخيل جاءت من فجاج عميقة * يمد بها فى السير اشعث شاحب

والمنافع فى هذه الآية التجارة فى قول اكثر المتأولين ابن عباس وغيره وقال ابو جعفر محمد بن علي اراد الاجر ومنافع الآخرة وقال مجاهد بعموم الوجهين (ت) واظهرها عندى قول ابى جعفر يظهر ذلك من مقصد الآية والله اعلم وقال ابن العربي الصحيح القول بالعموم انتهى * وقوله سبحانه ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ذهب قوم الى ان المراد ذكر اسم الله على االنحر والذبح وقالوا ان فى ذكر الايام دليلا على ان الذبح فى الليل لا يجوز وهو مذهب مالك واصحاب الرأي وقالت فرقة فيها مالك واصحابه الايام المعلومات يوم النحر ويومان بعده * وقوله فكلوا ندب واستحب اهل العلم ان ياكل الانسان من هديه واضحيته وان يتصدق بالاكثر والبائس الذى قد مسه ضر الفاقة وبؤسها والمراد اهل الحاجة والتفث ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر وحلقه وازالة شعث ونحوه وليوفوا نذورهم وهو ما معهم من هدي وغيره وليطوفوا بالبيت العتيق يعنى طواف الافاضة الذى هو من واجبات الحج قال الطبري ولا خلاف بين

المتأولين فى ذلك قال مالك هو واجب و يرجع تاركه من وطنه الا ان يطوف طواف الوداع فانه يجزيه عنه ويحتمل ان تكون الاشارة بالآية الى طواف الوداع وقد اسند الطبري عن عمرو بن ابى سلمة قال سألت زهيرا عن قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق فقال هوطواف الوداع وقاله مالك فى الموطإواختلف فى وجه وصف البيت بالعتيق فقال مجاهد وغيره عتيق اي قديم وقال ابن الزبير لان الله تعالى اعتقه من الجبابرة وقيل اعتقه من غرق الطوفان وقيل غيرهذا * وقوله ذلك يحتمل ان يكون فى موضع رفع بتقدير فرضكم ذلك او الواجب ذلك ويحتمل ان يكون فى محل نصب بتقدير امتثلوا ذلك ونحو هذا الاضمار واحسن الاشياء مضمرا احسنها مظهرا ونحو هذه الاشارة البليغة قول زهير

هذا وليس كمن يعي بخطبته * وسط الندي اذا ما ناطق نطقا

والحرمات المقصودة هنا هي افعال الحج وقال ابن العربي فى احكامه الحرمات امتثال ما امر الله تعالى به واجتناب ما نهى عنه فان للقسم الاول حرمة المبادرة الى الامتثال وللثانى حرمة الانكفاف والانزجار انتهى * وقوله فهو خير ظاهره انها ليست للتفضيل وانما هي عدة بخير ويحتمل ان يجعل خير للتفضيل على تجوز فى هذا الموضع (ص) فهو خير له اي فالتعظيم خيرله انتهى * وقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان يحتمل معنيين احدهما ان تكون من لبيان الجنس اي الرجس الذى هو الاوثان فيقع النهي عن رجس الاوثان فقط وتبقى سائر الارجاس نهيها فى غير هذا الموضع والمعنى الثانى ان تكون من لابتداء الغاية فكانه نهاهم سبحانه عن الرجس عموما ثم عين لهم مبدأه الذى منه يلحقهم اذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس و يظهر ان الاشارة الى الذبائح التى كانت للاوثان فيكون هذا مما يتلى عليهم والمروي عن ابن عباس

وابن جريج ان الآية نهي عن عبادة الاوثان والزور عام في الكذب والكفر وذلك ان كل ما عدا الحق فهو كذب وباطل وقال ابن مسعود وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عدلت شهادة الزور بالشرك وتلا هذه الآية والزور مشتق من الزور وهو الميل ومنه في جانب فلان زور ويظهر ان الاشارة الى زور اقوالهم في تحريم وتحليل ما كانوا قد شرعوا في الانعام وحنفاء معناه مستقيمين او مائلين الى الحق بحسب ان لفظة الحنف من الاضداد تقع على الاستقامة وتقع على الميل والسحيق البعيد * وقوله سبحانه ذلك ومن يعظم شعائر الله التقدير في هذا الموضع الامر ذلك والشعائر جمع شعيرة وهي كل شيء لله عزوجل فيه امر اشعر به واعلم قال الشيخ ابن ابي جمرة ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قال تعظيم شعائر الله كان من البقع او من البشر او ممن شاء الله تعالى زيادة في الايمان وقوة في اليقين انتهى وقال العراقي في ارجوزته * اعلام طاعة هي الشعائر * البيت وقالت فرقة قصد بالشعائر في هذه الآية الهدي والانعام المشعرة ومعنى تعظيمها التسمين والاهتبال بامرها قاله ابن عباس وغيره ثم اختلف المتأولون في قوله سبحانه لكم فيها منافع الآية فقال مجاهد وقتادة اراد ان للناس في انعامهم منافع من الصوف واللبن والذبح للاكل وغير ذلك مالم يبعثها ربها هديا فاذا بعثها فهو الاجل المسمى وقال عطاء اراد لكم في الهدي المبعوث منافع من الركوب والاحتلاب لمن اضطر والاجل نحرها وتكون ثم من قوله ثم محلها الى البيت العتيق لترتيب الجمل لان المحل قبل الاجل ومعنى الكلام عند هذين الفريقين ثم محلها الى موضع النحر وذكر البيت لانه اشرف الحرم وهو المقصود بالهدي وغيره وقال ابن زيد والحسن وابن عمر ومالك الشعائر في هذه الآية مواضع الحج كلها ومعالمه بمنى وعرفة والمزدلفة والصفا

والمروة والبيت وغيرذلك وفى الآيـة التى تاتى ان البدن من الشعائروالمنافـع التجارة وطلب الرزق اوالاجروالمغفرة والاجـل المسمـى الرجـوع الى مكـة لطواف الا فاضـة ومحلها ماخوذ من احلا ل المحرم والمعـنى ثم اخروا هذا كلـه الى طواف الافاضة بالبيت العتيق فالبيت على هـذا التاويل مراد بنـفسـه قاله مالك فى الموطا (ت) واظهرهـذه التاويـلات عندى تاويـل عطـاء وفى الثالث بعض تكلف ثم اخبر تعالى انه جعل لـكل امـة من الامم المـومـنة منسكا اي موضع نسك وعبادة هذا على ان المنسك ظرف ويحتمل ان يريـد به المصدركانه قال عبادة والناسـك العابـد وقال مجاهـد سنة فى هراقة دماء الذبائح * وقوله ليذكروا اسم الله معنـاه امرناهم عنـد ذبائحهم بذكرالله وان يكون الذبح له لانـه رازق ذلك وقوله فله اسلموا اي ءامنوا ويحتمل ان يريد استسلموا ثم امرسبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبشر بشارة على الاطـلاق وهي ابلغ من المفسرة لانها مرسـلة مع نهاية التخيـل للمخبتـين المتواضعـين الخاشعين المومنين والخبت ما انخفض من الارض والمخبت المتـواضـع الذى مشيه متطامن كانـه فى حـدور من الارض وقال عمـرو بن اوس المخبتـون الذين لايظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا قال (ع) وهذا مثال شريف من خلق المومن الهين اللين وقال مجاهـد هم المطمئنون بامر الله تعـالى ووصفهم سبحانه بالخوف والوجـل عنـد ذكـر الله تعـالى وذلك لقوة يقينهم ومراقبتهم لربهـم وكانهم بين يديه جل وعـلا ووصفهم بالصبروباقامة الصلاة وادامتها وروي ان هذه الآية قوله وبشرالمخبتين نزلت فى ابى بكروعمروعثمان وعـلي رضي الله عنهم اجمعين * وقوله سبحانه والبدن جعلناها لكم من شعـائرالله البـدن جمع بدنة وهي ماأشعرمن ناقة اوبقرة قاله عطـاء وغيره وسميت بذلك لانهـا تبدن اي تسمن وقيل بل هذا الاسم خاص بالابل والخـيرهنا قيل فيه ماقيـل

فى المنافع التى تقدم ذكرها والصواب عمومه فى خيرالدنياوالآخرة * وقوله عليها يريد عند نحرها وصواف اي مصطفة وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وغيرهم صوافن جمع صافنة وهي التى رفعت احدى يديها بالعقل ليلا تضطرب ومنه فى الخيل الصافنات الجياد ووجبت معناه سقطت * وقوله فكلوا منها ندب وكل العلماء يستحب ان ياكل الانسان من هديه وفيه اجر وامتثال اذ كان اهل الجاهلية لاياكلون من هديهم وتحرير القول فى القانع انه السائل والمعتر المتعرض من غير سؤال قاله الحسن ومجاهد وغيرهما وعكست فرقة هذا القول فحكى الطبري عن ابن عباس انه قال القانع المستغنى بما اعطيته والمعتر هو المتعرض وحكي عنه انه قال القانع المتعفف والمعتر السائل قال (ع) يقال قنع الرجل بفتح النون يقنع قنوعا فهو قانع اذا سأل فالقانع هو السائل بفتح النون فى الماضى وقنع بكسر النون يقنع قناعة فهو قنع اذا تعفف واستغنى ببلغته قاله الخليل بن احمد * وقوله سبحانه لن ينال الله لحومها الآية عبارة مبالغة وهي بمعنى لن ترفع عنده سبحانه وتتحصل سبب ثواب والمعنى ولكن تنال الرفعة عنده وتحصل الحسنة لديه بالتقوى * وقوله تعالى لتكبروا الله على ماهداكم وبشر المحسنين روي ان قوله وبشر المحسنين نزلت فى الخلفاء الاربعة حسبما تقدم فى التى قبلها وظاهر اللفظ العموم فى كل محسن * وقوله سبحانه ان الله يدافع عن الذين ءامنوا الآية وقرأ ابو عمرو وابن كثير يدفع ولولا دفع قال ابو علي اجريت دافع مجرى دفع كعاقبت اللص وطارقت النعل قال ابو الحسن الاخفش يقولون دافع الله عنك ودفع عنك الا ان دفع اكثر فى الكلام قال (ع) ويحسن يدافع لانه قد عن للمومنين من يدفعهم و يوذيهم فيجيء دفعه سبحانه مدافعة عنهم وروي ان هذه الاية نزلت بسبب المومنين لما كثروا بمكة واذاهم الكفار هم بعضهم

ان يقتل من امكنه من الكفار ويغتال ويغدر فنزلت هـذه الآيـة الى قوله كفور ثم اذن الله سبحانه فى قتال المومنين لمن قاتلهم من الكفار بقوله اذن للذين يقاتلون * وقوله بانهم ظلموا معناه كان الاذن بسبب انهم ظلموا قال ابن جريج وهذه الآية اول ما نقضت الموادعة قال ابن عباس وابن جريج نزلت عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقال ابو بكر الصديق لما سمعتها علمت انه سيكون قتال (ت) وهذا الحديث خرجه الترمذي قال ابن العربي ومعنى إذن ابيح وقرئ يقاتلون بكسر التاء وفتحها فعلى قراءة الكسر تكون الآية خبرا عن فعل الماذون لهم وعلى قراءة الفتح فالآية خبر عن فعل غيرهم وان الاذن وقع من اجل ذلك لهم ففى فتح التاء بيان سبب القتال وقد كان الكفار يتعمدون النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين بالاذاية ويعاملونهم بالنكاية وقد قتل ابوجهل سمية ام عمار بن ياسر وعذب بلال وبعد ذلك جاء الانتصار بالقتال انتهى ثم وعد سبحانه بالنصر فى قوله وان الله على نصرهم لقدير * وقوله سبحانه الذين اخرجوا من ديارهم يريد كل من خرج من مكة واذاه اهلها حتى اخرجوه باذايتهم طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة ونسب الاخراج الى الكفار لان الكلام فى معرض تقرير الذنب والزامه لهم * وقوله الا ان يقولوا ربنا الله استثناء منقطع قال (ص) واجاز ابواسحاق وغيره ان يكون فى موضع جر بدلا من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى ان يكون موجب الاقرار لاموجب الاخراج ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله انتهى وهو حسن من حيث المعنى والانتقاد عليه مزيف * وقوله ولولا دفاع الله الناس الآية تقوية للامر بالقتال وذكر انه متقدم فى الامم وبه صلحت الشرائع فكانه قال اذن فى القتال فليقاتل المومنون ولولا القتال والجهاد لتغلب على الحق

فى كل امة هذا اصوب تاويلات الآية والصومعة موضع العبادة وهي بناء
مرتفع منفرد حديد الاعلى والاصمع من الرجال الحديد القول وكانت
قبل الاسلام مختصة برهبان النصارى وعباد الصابين قاله قتادة ثم استعملت فى
مئذنة المسلمين والبيع كنائس النصارى واحدتها بيعة وقال الطبري قيل هي
كنائس اليهود ثم ادخل عن مجاهد مالايقتضى ذلك والصلوات مشتركة
لكل ملة واستعير الهدم للصلوات من حيت تعطيلها اواراد موضع صلوات
وقال ابو العالية الصلوات مساجد الصابين وقيل غيرهذا * وقوله يذكر
فيها الضمير عائد على جميع ماتقدم ثم وعد سبحانه بنصرة دينه وشرعه وفى ذلك
حض على القتال و الجد فيه ثم الآية تعم كل من نصرحقا الى يوم القيامة *
وقوله سبحانه الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة الآية قالت
فرقة هذه الآية فى الخلفاء الاربعة والعموم فى هذا كله ابين وبه يتجه
الامر فى جميع الناس وانما الآية اخذة عهدا على كل من مكن فى الارض على
قدر ما مكن وا لآية امكن ماهي فى الملوك * وقوله سبحانه ولله عاقبة الامور
توعد للمخالف عن هذه الامور التى تقتضيها الآية لمن مكن * وقوله سبحانه
وان يكذبوك يعنى قريشا فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم
ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى الآية فيها وعيد لقريش
وامليت معناه امهلت والنكير مصدر بمعنى الانكار * وقوله و بير معطلة
قيل هومعطوف على العروش وقيل على القرية وهو اصوب ثم وبخهم تعالى
على الغفلة وترك الاعتبار بقوله افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب
يعقلون بها وهذه الآية تقتضى ان العقل فى القلب وذلك هوالحق ولاينكر
ان للدماغ اتصالا بالقلب يوجب فساد العقل متى اختل الدماغ * وقوله
فتكون نصب بالفاء فى جواب الاستفهام صرف الفعل من الجزم الى النصب *

وقوله سبحانه فانها لا تعمى الابصار لفظ مبالغة كانه قال ليس العمى عمى العين وانما العمى كل العمى عمى القلب ومعلوم ان الابصار تعمى ولكن المقصود ما ذكرنا وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وليس المسكين بهذا الطواف والضمير فى انها للقصة ونحوها من التقدير والضمير فى يستعجلونك لقريش * وقوله وان يخلف الله وعده وعيد واخبار بان كل شيء الى وقت محدود والوعد هنا مقيد بالعذاب * وقوله سبحانه وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قالت فرقة معناه وان يوما من ايام عذاب الله كالف سنة من هذه لطول العذاب وبؤسه فكان المعنى اي من هذه السنين فما اجهل من يستعجل هذا وكرر قوله وكأين لانه جلب معنى آخر ذكر اولا القرى المهلكة دون املاء بل بعقب التكذيب ثم ثنى سبحانه بالمهلة ليلا يفرح هؤلاء بتاخير العذاب عنهم وباقى الآية بين والرزق الكريم الجنة ومعاجزين معناه مغالبين كانهم طلبوا عجز صاحب الآيات والآيات تقتضى تعجيزهم فصارت مفاعلة * وقوله سبحانه وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبيء الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته الآية (ت) قال القاضى ابوالفضل عياض وقد ترجهت هاهنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ماروي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى قال عياض اعلم اكرمك الله ان لنا فى الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين احدهما فى توهين اصله والثانى على تقدير تسليمه اما المأخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولارواه ثقة بسند متصل سليم وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضى ابوبكر

ابن العلاء المالكي رحمه الله تعالى حيث يقول لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير ثم قال عياض قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره وانما يعرف عن الكلبي قال عياض والكلبي ممن لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار وقد اجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذا انتهى ونحوهذا لابن عطية قال وهذا الحديث الذى فيه هن الغرانقة وقع فى كتب التفسير ونحوها ولم يدخله البخاري ولا مسلم ولا ذكره فى علمى مصنف مشهور بل يقتضى مذهب اهل الحديث ان الشيطان القى ولايعينون هذا السبب ولا غيره قال (ع) وحدثنى ابى رحمه الله تعالى انه لقي بالمشرق من شيوخ العلماء والمتكلمين من قال هذا لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم فى التبليغ وانما الامر يعنى على تقدير صحته ان الشيطان نطق بلفظ اسمعه الكفار عند قول النبي صلى الله عليه وسلم افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقرب صوته من صوت النبي صلى الله عليه وسلم حتى التبس الامر على المشركين وقالوا محمد قرأها هذا على تقديرصحته وقد روي نحوهذا التاويل عن الامام ابى المعالى (ت) قال عياض وقد اعاذنا الله من صحته وقد حكى محمد بن عقبة فى مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك فى اسماع المشركين ومعنى قوله تعالي تمنى اي تلا ومنه قوله تعالى لايعلمون الكتاب الا امانى اي تلاوة فينسخ الله ما يلقى الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم ءاياته وعبارة البخاري وقال ابن عباس اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته اي اذا حدث القى الشيطان فى حديثه فيبطل الله ما يلقى الشيطان ويحكم ءاياته ويقال امنيته قراءته انتهى قال عياض وقيل معنى الآية هوما يقع للنبى صلى

الله عليه وسلم من السهو اذا قرأ فيتنبه لذلك ويرجع عنه انتهى * وقوله سبحانه ليجعل مايلق الشيطان فتنة الفتنة الامتحان والاختبار والذين فى قلوبهم مرض عامة الكفاروالقاسية قلوبهم خواص منهم عتاة كابى جهل وغيره والشقاق البعد عن الخيروالكون فى شق غيرشق الصلاح والذين اوتوا العلم هم اصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والضمير فى انه عائد على القرءان فتخبت له قلوبهم معناه تتطامن وتخضع وهوماخوذ من الخبت وهو المطمئن من الارض كما تقدم ولايزال الذين كفروا فى مرية منه اي من القرءان والمرية الشك حتى تاتيهم الساعة يعنى يوم القيامة اوياتيهم عذاب يوم عقيم قيل يوم بدر وقيل الساعة ساعة موتهم واليوم العقيم يوم القيامة * وقوله سبحانه والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الآية ابتداء معنى آخر وذلك انه لما مات عثمان بن مظعون وابو سلمة بن عبد الاسد قال بعض الناس من قتل من المهاجرين افضل ممن مات حتف انفه فنزلت هذه الآية مسوية بينهم فى ان الله تعالى يرزق جميعهم رزقا حسنا وليس هذا بقاض بتساويهم فى الفضل وظاهرالشريعة ان المقتول افضل وقد قال بعض الناس المقتول والميت فى سبيل الله شهيدان ولكن للمقتول مزية مااصابه فى ذات الله والرزق الحسن يحتمل ان يريد به رزق الشهداء عند ربهم فى البرزخ ويحتمل ان يريد بعد يوم القيامة فى الجنة وقرأت فرقة مدخلا بضم الميم من ادخل فهو محمول على الفعل المذكور وقرأت فرقة مدخلا بفتح الميم من دخل فهو محمول على فعل مقدرتقديره فيدخلون مدخلا ثم اخبرسبحانه عمن عاقب من المومنين من ظلمه من الكفرة ووعد المبغى عليه بانه ينصره وذلك ان هذه الآية نزلت فى قوم من المومنين لقيهم كفارفى الاشهرالحرم فابى المومنون من قتالهم وابى المشركون الا القتال فلما اقتتلوا جد المومنون ونصرهم الله تعالى فنزلت

الآية فيهم وجمل تقصير الليل وزيادة النهار وعكسهما ايلاجا تجوزا وتشبيها وباقى الآية بين * وقوله سبحانه الم تران الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبيرله ما فى السموات ومافى الارض وان الله لهوالغني الحميد قوله فتصبح عبارة عن استعجالها اثر نزول الماء وروي عن عكرمة انه قال هذا لايكون الابمكة وتهامة قال (ع) ومعنى هذا انه اخذ قوله فتصبح مقصودا به صباح ليلة المطروذهب الى ان ذلك الاخضرار فى سائر البلاد يتأخر قال (ع) وقد شاهدت هذا فى السوس الاقصى نزل المطر ليلا بعد قحط واصبحت تلك الارض الرملة التى تسفيها الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف دقيق (ت) وقد شاهدت انا ذلك بصحراء سواكن بالمشرق وهي فى حكم مكة الاان البحرقد حال بينهما وذلك ان التعدية من جدة الى سوا كن مقدار يومين فى البحراواقل بالريح المعتدلة وكان ذلك فى اول الخريف واجرى الله العادة ان امطار تلك البلاد تكون بالخريف فقط هذا هو الغالب ولما شاهدت ذلك تذكرت هذه الآية الكريمة فسبحان الله ما اعظم قدرته واللطيف المحكم للامور برفق * وقوله سبحانه الم تران الله سخرلكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحربامره اي سخرلنا سبحانه ما فى الارض من الحيوان والمعادن وسائرالمرافق وباقى الآية بين مما ذكر فى غير هذا الموضع * وقوله سبحانه لكل امة جعلنا منسكا الآية المنسك المصدر فهوبمعنى العبادة والشرعة وهوايضا موضع النسك وقوله هم ناسكوه يعطى ان المنسك المصدر ولوكان الموضع لقال هم ناسكون فيه * وقوله سبحانه وان جادلوك الآية موادعة محضة نسختها اية السيف وباقى الآية وعيد * وقوله سبحانه ان ذلك فى كتاب يعنى اللوح المحفوظ * وقوله ان ذلك على الله يسير يحتمل ان تكون الاشارة الى الحكم فى الاختلاف *

وقوله سبحانه واذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يعنى ان كفارقريش كانوا اذا تلي عليهم القرءان وسمعوا ما فيه من رفض ءالهتهم والدعاء الى التوحيد عرفت المساءة فى وجوههم والمنكرمن معتقدهم وعداوتهم وانهم يريدون ويتسرعون الى السطوة بالتالين والسطو ايقاع ببطش ثم امرتعالى نبيه عليه السلام ان يقول لهم على جهة الوعيد والتقريع افأنبئكم اي اخبركم بشرمن ذلكم والاشارة بذلكم الى السطو ثم ابتدأ بخبر كأن قائلا قال له وما هو قال النار اي نار جهنم * وقوله وعدها الله الذين كفروا يحتمل ان يكون اراد ان الله وعدهم بالنار فيكون الوعد فى الشرويحتمل انه اراد ان الله سبحانه وعد النار بان يطعمها الكفار فيكون الوعد على بابه اذ الذى يقتضى قولها هل من مزيد ونحوذلك ان ذلك من مسارها (ت) والظاهر الاول * وقوله سبحانه وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه الآية ذكرتعالى امرسلب الذباب وذلك انهم كانوا يضمخون اوثانهم بانواع الطيب فكان الذباب يتسلط ويذهب بذلك الطيب وكانوا يتألمون من ذلك فجعلت مثلا واختلف المتأولون فى قوله تعالى ضعف الطالب والمطلوب فقالت فرقة اراد بالطالب الاصنام وبالمطلوب الذباب اي انهم ينبغى ان يكونوا طالبين لما يسلب من طيبهم على معهود الانفة فى الحيوان وقيل معناه ضعف الكفارفى طلبهم الصواب والفضيلة من جهة الاصنام وضعف الاصنام فى اعطاء ذلك وانالته قال (ع) ويحتمل ان يريد ضعف الطالب وهو الذباب فى استلابه ماعلى الاصنام وضعف الاصنام فى ان لامنعة لهم وبالجملة فدلتهم الآية على ان الاصنام فى احط رتبة واخس منزلة لوكانوا يعقلون وماقدروا الله حق قدره المعنى ماوفوه حقه سبحانه من التعظيم والتوحيد * وقوله سبحانه الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس الآية نزلت بسبب

قول الوليد بن المغيرة انزل عليه الذكر من بيننا (ص) ابو البقاء ومن الناس اي رسلا انتهى ثم امر سبحانه بعبادته وخص الركوع والسجود بالذكر تشريفا للصلاة واختلف الناس هل فى هذه الآية سجدة ام لا قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اركعوا واسجدوا تقبلها قوم على انها سجدة تلاوة فسجدوها وقال ءاخرون هو سجود الصلاة فقصروه عليه ورأى عمر وابنه عبد الله رضي الله عنهما انها سجدة تلاوة وانى لاسجدها واراها كذلك لما روى ابن وهب وغيره عن مالك وغيره انتهى وقوله سبحانه وافعلوا الخير ندب فيما عدا الواجبات (ت) وهذه الآية الكريمة عامة فى انواع الخيرات ومن اعظمها الرأفة والشفقة على خلق الله ومواساة الفقراء واهل الحاجة وقد روى ابو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وايما مسلم اطعم مسلما على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظمإ سقاه الله من الرحيق المختوم انتهى وروى علي بن عبد العزيز البغوي فى المسند المنتخب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما مسلم كسا مسلما ثوبا كان فى حفظ الله ما بقيت عليه منه رقعة وروى ابن ابى شيبة فى مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما اهل عرصة ظل فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله انتهى من الكوكب الدري * وقوله سبحانه وجاهدوا فى الله حق جهاده قالت فرقة الآية فى قتال الكفار وقالت فرقة بل هي اعم من هذا وهو جهاد النفس وجهاد الكفار والظلمة وغير ذلك امر الله عباده بان يفعلوا ذلك فى ذات الله حق فعله قال (ع) والعموم احسن وبين ان عرف اللفظة يقتضى القتال فى سبيل الله * وقوله هو اجتباكم اي تخيركم وما جعل عليكم فى الدين من حرج اي من تضييق وذلك ان الملة حنيفية سمحة ليست

كشدائد بنى اسرايـل وغيرهم بل فيها التوبة والكفارات والرخص ونحو هذا مما يكثرعده ورفع الحرج عن هذه الامة لمن استقام منهم على منهاج الشـرع واما السلابة والسراق واصحاب الحدود فهم ادخلوا الحرج على انفسهم بمفارقتهم الدين وليس فى الدين اشـد من الزام رجل لاثنين فى سبيل الله ومع صحـة اليقين وجودة العزم ليس بمحرج وملة نصب بفعل مضمر من افعـال الاغراء * وقـوله هوسماكـم قال ابن زيـد الضمير لابراهـيم والاشـارة الى قـوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقال ابن عباس وقتادة ومجاهـد الضمير لله عزوجل ومن قبل معناه فى الكتب القديمـة وفى هذا اي فى القران وهذه اللفظة تضعف قول من قال الضمير لابراهيم عليـه السـلام ولايتوجـه الا على تقدير محذوف من الكلام مستانف قال (ص) هو قيل يعود على الله تعالى وقيل على ابراهيم وعلى هذا فيكون وفى هذا القران اي وسميتم بسببه فيـه انتهـى * وقوله سبحانـه ليكـون الرسول شهيدا عليكم اي بالتبليـغ * وقوله وتـكونوا شهداء على الناس اي بتبليغ رسلهم اليهم على مااخبركم نبيـكم ثم امرسبحانه بالصلاة المفروضة ان تقام ويدام عليها بجميـع حـدودها وبالزكاة ان تؤدى ثم امرسبحانه بالاعتصام به اي بالتعلق به والخـلوص له وطلب النجاة منه ورفض التوكل على سواه * وقوله سبحانه هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير المولى فى هذه الآية معناه الذى يليـكم نصره وحفظه وباقى الآية بـين

تفسير سورة المومنين وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه قد افلح المومنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون اخبر الله سبحانه عن فلاح المومنين وانهم نالوا البغية واحرزوا البقاء الدائم (ت) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه صلى الله عليه وسلم دوي كدوي النحل فانزل عليه يوما فمكثنا ساعة وسري عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وءاثرنا ولا تؤثر علينا وارضنا وارض عنا ثم قال انزلت عني عشر ءايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المومنون حتى ختم عشر ءايات رواه الترمذي واللفظ له والنساءي والحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من سلاح المومن (ت) وقد نص بعض ائمتنا على وجوب الخشوع فى الصلاة قال الغزالي رحمه الله ومن مكائد الشيطان ان يشغلك فى الصلاة بفكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات لتمتنع عن فهم ما تقرأه واعلم ان كل ما اشغلك عن معانى قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها انتهى من الاحياء وروي عن مجاهد ان الله تعالى لما خلق الجنة واتقن حسنها قال قد افلح المومنون ثم وصف تعالى هؤلاء المفلحين فقال الذين هم فى صلاتهم خاشعون والخشوع التطامن وسكون الاعضاء والوقار وهذا انما يظهر فى الاعضاء ممن فى قلبه

خوف واستكانة لانه اذا خشع قلبه خشعت جوارحه وروي ان سبب الآيـة ان المسلمـين كانوا يلتفتـون فى صلاتهم يمنـة و يسرة فنزلت هذه الآيـة وامروا ان يكون بصر المصلى حذاء قبلته او بـين يديه وفى الحرم الى الكعبة واللغو سقط القول وهذا يعم جميع ما لا خير فيه ويجمع ٠اداب الشرع وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اي يعرضون عن اللغو وكأن الآية فيها موادعة * والذين هم للزكوة فاعلون ذهب الطبري وغيره الى انها الزكاة المفروضة فى الاموال وهذا بين ويحتمل اللفظ ان يريد بالزكاة الفضائل كانه اراد الازكى من كل فعل كما قال تعالى خيرا منـه زكاة واقرب رحما * وقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله العادون يقتضى تحريم الزنا والاستمناء ومواقعة البهائم وكل ذلك داخل فى قوله وراء ذلك و يريد وراء هذا الحد الذى حد والعادى الظالم والامانة والعهد يجمع كل ما تحمله الانسان من امر دينه ودنياه قولا وفعلا وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك ورعاية ذلك حفظه والقيام به والامانة اعم من العهد اذ كل عهد فهو امانـة وقرأ الجمهور صلوتهم وقرأ حمزة والكسائي صلاتهم بالافراد والوارثون يريد الجنة وفى حديث ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعـل لكل انسان مسكنا فى الجنة ومسكنا فى النار فاما المومنون فياخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ويحصل الكفـار فى منازلهم فى النار (ت) وخرجه ابن ماجه ايضا بمعناه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم الامـن له منزلان منزل فى الجنـة ومنزل فى النار فاذا مات يعنى الانسـان ودخل النار ورث اهل الجنـة منزله فـذلـك قوله تعالى اولئـك هم الوارثون قال القرطبي فى التـذكـرة اسناده صحيح انتهى من التذكرة قال (ع) ويحتمل ان يسمي الله تعالى حصولهم فى الجنة وراثة من حيث حصلوها دون غيرهم وفى الحديث عنه صلى الله عليه

وسلم انه قال ان الله احاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس غراسها بيده وقال لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون فقال طوبى لك منزل الملوك خرجه البغوي في المسند المنتخب له انتهى من الكوكب الدري * وقوله سبحانه ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية اختلف في قوله الانسان فقال قتادة وغيره اراد ءادم عليه السلام لانه استُل من الطين وقال ابن عباس وغيره المراد ابن ءادم والقرار المكين من المراة هو موضع الولد والمكين المتمكن والعلقة الدم الغليظ والمضغة بضعة اللحم قدر ما يمضغ واختلف في الخلق الآخر فقال ابن عباس وغيره هو نفخ الروح فيه وقال ابن عباس ايضا هو خروجه الى الدنيا وقال ايضا تصرفه في امور الدنيا وقيل هو نبات شعره قال (ع) وهذا التخصيص كله لاوجه له وانما هو عام في هذا وغيره من وجوه النطق والادراك وحسن المحاولة وتبارك مطاوع بارك فكانها بمنزلة تعالى وتقدس من معنى البركة * وقوله احسن الخالقين معناه الصانعين يقال لمن صنع شيأ خلقه وذهب بعض الناس الى نفي هذه اللفظة عن الناس فقال ابن جريج انما قال الخالقين لانه تعالى اذن لعيسى في ان يخلق واضطرب بعضهم في ذلك قال (ع) ولا تنفى اللفظة عن البشر في معنى الصنع وانما هي منفية بمعنى الاختراع والايجاد من العدم * وقوله سبحانه ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد هذه الاحوال المذكورة ويريد بالسبع الطرائق السموات والطرائق كل ما كان طبقات بعضه فوق بعض ومنه طارقت نعلي ويجوز ان تكون الطرائق بمعنى المبسوطات من طرقت الشيء (ت) وقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر الآية ظاهر الآية انه ماء المطر واسند ابو بكر ابن الخطيب في اول تاريخ بغداد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انزل الله من الجنة الى الارض خمسة انهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى

من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل فاستودعها الجبال واجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى اصناف معايشهم فذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله تعالى جبريل فرفع من الارض القرءان والعلم كله والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع ذلك كله الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا وفى رواية خير الدنيا والآخرة انتهى فان صح هذا الحديث فلا نظر لاحد معه ونقل ابن العربي فى احكامه هذا الحديث ايضا عن ابن عباس وغيره ثم قال فى ءاخره وهذا جائز فى القدرة ان صحت به الرواية انتهى قال (ع) قوله تعالى ماء بقدر قال بعض العلماء اراد المطر وقال بعضهم انما اراد الانهار الاربعة سيحان وجيحان والفرات والنيل قال (ع) والصواب ان هذا كله داخل تحت الماء الذى انزله الله تعالى * وقوله تعالى لكم فيها فواكه كثيرة يحتمل ان يعود الضمير على الجنات فيشمل انواع الفواكه ويحتمل ان يعود على النخيل والاعناب خاصة اذ فيهما مراتب وانواع والاول اعم لسائر الثمرات * وقوله سبحانه وشجرة عطف على قوله جنات ويريد بها الزيتونة وهي كثيرة فى طور سيناء من ارض الشام وهو الجبل الذى كلم فيه موسى عليه السلام قاله ابن عباس وغيره والطور الجبل فى كلام العرب واختلف فى سيناء فقال قتادة معناه الحسن وقال الجمهور هو اسم الجبل كما تقول جبل احد وقرأ الجمهور تنبت بفتح التاء وضم الباء فالتقدير تنبت ومعها الدهن كما تقول خرج زيد بسلاحه وقرأ ابن كثير وابو عمرو تنبت بضم التاء وكسر الباء واختلف فى التقدير على هذه القراءة فقالت فرقة الباء زائدة

كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقالت فرقة التقدير تنبت جناها ومعه الدهن فالمفعول محذوف وقيل نبت وانبت بمعنى فيكون المعنى كما مضى فى قراءة الجمهور والمراد بالآية تعديد النعم على الانسان وباقى الآية بين * وقوله سبحانه ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملأُ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم الآية هذا ابتداء تمثيل لكفار قريش بامم كفرت بانبيائها فاهلكوا وفى ضمن ذلك الوعيد بان يحل بهؤلاء نحو ما حل باولائك والملأُ الاشراف والجنة الجنون وحتى حين معناه الى وقت يريحكم القدر منه ثم ان نوحا عليه السلام دعا على قومه حين يئس منهم وان كان دعاؤه فى هذه الآية ليس بنص وانما هو ظاهر من قوله بما كذبون فهذا يقتضى طلب العقوبة واما النصرة بمجردها فكانت تكون بردهم الى الايمان * وقوله عز وجل فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذاجاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الامن سبق عليه القول منهم ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله قوله باعيننا عبارة عن الادراك هذا مذهب الحذاق ووقفت الشريعة على اعين وعين ولايجوز ان يقال عينان من حيث لم توقف الشريعة على التثنية ووحينا معناه فى كيفية العمل ووجه البيان لجميع حكم السفينة وما يحتاج اليه وامرنا يحتمل ان يكون واحد الاوامر ويحتمل ان يريد واحد الامور والصحيح من الاقوال فى التنور انه تنور الخبز وانها امارة كانت بين الله تعالى وبين نوح عليه السلام * وقوله فاسلك معناه فادخل يقال سلك واسلك بمعنى وقرأ حفص عن عاصم من كل بالتنوين والباقون بغير تنوين والزوجان كل ما شأنه الاصطحاب من كل شيء نحوالذكر والانثى من الحيوان ونحوالنعال

وغيرها هذا موقع اللفظة فى اللغة * وقوله واهلك يريد قرابته ثم استثنى من سبق عليه القول بانه كافر وهوابنه وامرأتــه ثم امر نوح ان لا يراجــع ربه ولا يخاطبه شافعافى احد من الظالمين ثم امر بالدعاء فى بركة المنزل * وقوله سبحانه ان فى ذلك ءلايات خطاب لنبينا محمــد صلى الله عليه وسلم ثم اخــبر سبحانــه انه يبتلى عباده الزمن بعد الزمن على جهة الوعيد لكفار قريش بهــذا الاخبــار واللام فى لمبتلين لام تاكيــد ومبتلين معنــاه مصيبين ببلاء ومختبرين اختــبارا يؤدى الى ذلك * وقولهسبحانه ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين قال الطبري رحمه الله ان هــذا القرن هم ثمود قوم صالح قال (ع) وفى جل الروايات ما يقتضى ان قــوم عاد اقــدم الا انهم لم يهلكوا بصيحــة (ت) وهوظاهر ترتيب قصص القرءان ان عادا اقدم واترفناهم معناه نعمناهم وبسطنــالهم الاموال والا رزاق وقولهم ايعدكم استفهام على جهة الاستبعاد وانكم الثانيــة بــدل من الاولى عند سيبو يه وقولهم هيهات هيهات استبعاد وهيهات احيانا تلى الفــاعل دون لام تقول هيهات مجيء زيد اي بعد ذلك ومنــه قول جرير

فهيهات هيهات العقيق ومن به * وهيهات خل بالعقيق نواصــــله

واحيانا يكون الفاعل محــذوفا وذلك عند وجود اللام كهذه الآية التــقدير بعد الوجود لما توعدن قال (ص) ورد بان فيــه حذف الفاعل وحذف المصدر وهو الوجود وذلك غيرجائز عندالبصريين وذكرابو البقاء ان اللام زائدة وما فاعل اي بعد ماتوعدون قال ابو حيان وهذا تفسيرمعنى لااعراب لانه لم تثبت مصدرية هيهات انتهى وقولهم ان هي الاحياتنا الدنيا ارادوا انه لا وجود لنا غيرهذا الوجود وانما تموت منا طائفة فتذهب وتجيء طائفة جديدة وهذا هوكفر الدهرية * وقوله قال عما قليل ليصبحن نادمين المعنى قال الله لهذ النبــيء الداعى عما قليــل يندم قومك على كفرهم حين لا ينفعهم الندم ومن ذكر الصيحة ذهب الطبري

الى انهم قوم ثمود * وقوله بالحق اي بما استحقوا بافعالهم وبما حق منا فى عقوبتهم والغثاء ما يحمله السيل من زبده الذى لاينتفع به فيشه كل هامد وتالف بذلك قال ابوحيان وبعدا منصوب بفعل محذوف اي بعدوا بعدا اي هلكوا انتهى ثم اخبر سبحانه انه انشأ بعد هؤلاء امما كثيرة كل امة باجل وفى كتاب لاتتعداه فى وجودها وعند موتها وتترى مصدر من تواتر الشيء * وقوله سبحانه فاتبعنا بعضهم بعضا اي فى الاهلاك * وقوله تعالى وجعلناهم احاديث يريد احاديث مثل وقلما يستعمل الجعل حديثا الا فى الشر وعالين معناه قاصدين للعلو بالظلم وقولهم وقومهما لنا عابدون معناه خادمون متذللون والطريق المعبد المذلل ومن المهلكين يريد بالغرق * وقوله سبحانه ولقد آتينا موسى الكتاب يعنى التوراة ولعلهم يريد بنى اسرائيل لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون والقبط والربوة المرتفع من الارض والقرار التمكن وبين انماء هذه الربوة يرى معينا جاريا على وجه الارض قاله ابن عباس والمعين الظاهر الجري للعين فالميم زائدة وهو الذى يعاين جريه لا كالبير ونحوه ويحتمل ان يكون من قولهم معن الماء اذا كثر وهذه الربوة هي الموضع الذى فرت اليه مريم وقت وضع عيسى عليه السلام هذا قول بعض المفسرين واختلف الناس فى موضع الربوة فقال ابن المسيب هي الغوطة بدمشق وهذا اشهر الاقوال لان صفة الغوطة انها ذات قرار ومعين على الكمال وقال كعب الاحبار الربوة بيت المقدس وزعم ان فى التوراة ان بيت المقدس اقرب الارض الى السماء وانه يزيد على الارض ثمانية عشر ميلا قال (ع) ويترجح ان الربوة فى بيت لحم من بيت المقدس لان ولادة عيسى هنالك كانت وحينئذ كان الايواء وقال ابن العربي فى احكامه اختلف الناس فى تعيين هذه الربوة على اقوال منها ما تفسر لغة ومنها ما تفسر نقلا فيفتقر الى صحة سنده الى النبي صلى الله عليه وسلم الا

ان هاهنا نكتة وذلك انه اذا نقل الناس نقل تواتر ان هذا موضع كذا وان هذا الامر جرى كذا وقع العلم به ولزم قبوله لان الخبر المتواتر ليس من شرطه الايمان وخبرالآحاد لابد من كون المخبربه بصفة الايمان لانه بمنزلة الشاهد والخبر المتواتر بمنزلة العيان وقد بينا ذلك فى اصول الفقه والذى شاهدت عليه الناس ورأيتهم يعينونه تعيين تواتر موضع فى سفح الجبل فى غربي دمشق انتهى وما ذكره من ان التواتر ليس من شرطه الايمان هذاهو الصحيح وفيه خلاف الا انا لا نسلم ان هذا متواتر لاختلال شرطه انظرالمنتهى لابن الحاجب * وقوله سبحانه ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم يحتمل ان يكون معناه وقلنا ياايها الرسل وقالت فرقة الخطاب بقوله ياايها الرسل للنبي صلى الله عليه وسلم قال (ع) والوجه فى هذا ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وخرج بهذه الصيغة ليفهم وجيزا ان المقالة قد خوطب بها كل نبيء اوهي طريقتهم التى ينبغى لهم الكون عليها كما تقول لعالم ياعلماء انكم ائمة يقتدى بكم فتمسكوا بعلمكم وقال الطبري الخطاب لعيسى (ت) والصحيح فى تاويل الآية انه امر للمرسلين كما هونص صريح فى الحديث الصحيح فلا معنى للتردد فى ذلك وقد روى مسلم والترمذي عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولايقبل الاطيبا وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وقال ياايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك اهـ * وقوله تعالى وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وهذه

الآية تقوى ان قوله تعالى ياايها الرسل انما هو مخاطبة لجميعهم وانه بتقدير حضورهم واذا قدرت ياايها الرسل مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم قلق اتصال هذه واتصال قوله فتقطعوا ومعنى الامة هنا الملة والشريعة والاشارة بهذه الى الحنيفية السمحة ملة ابراهيم عليه السلام وهو دين الاسلام * وقوله سبحانه فتقطعوا يريد الامم اي افترقوا وليس بفعل مطاوع كما تقول تقطع الثوب بل هو فعل متعد بمعنى قطعوا وقرأ نافع زبرا جمع زبور وهذه القراءة تحتمل معنيين احدهما ان الامم تنازعت كتبا منزلة فاتبعت فرقة الصحف وفرقة التوراة وفرقة الانجيل ثم حرف الكل وبدل وهذا قول قتادة والثاني انهم تنازعوا امرهم كتبا وضعوها وضلالة الفوها قاله ابن زيد وقرأ ابو عمرو بخلاف زبرا بضم الزاي وفتح الباء ومعناها فرقا كزبر الحديد ومن حيث كان ذكر الامم فى هذه الآية مثالا لقريش خاطب الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فى شأنهم متصلا بقوله فذرهم اي فذر هؤلاء الذين هم بمنزلة من تقدم والغمرة ما عمهم من ضلالهم وفعل بهم فعل الماء الغمر بما حصل فيه والخيرات هنا نعم الدنيا * وقوله سبحانه والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة الآية اسند الطبري عن عائشة انها قالت قلت يارسول الله قوله تعالى يوتون ما اتوا اهي فى الذى يزنى ويسرق قال لا يابنت ابى بكر بل هي فى الرجل يصوم ويتصدق وقلبه وجل يخاف ان لا يتقبل منه قال (ع) ولا نظر مع الحديث والوجل نحو الاشفاق والخوف وصورة هذا الوجل اما المخلط فينبغى ان يكون ابدا تحت خوف من ان يكون ينفذ عليه الوعيد بتخليطه واما التقي او التائب فخوفه امر الخاتمة وما يطلع عليه بعد الموت وفى قوله تعالى انهم الى ربهم راجعون تنبيه على الخاتمة وقال الحسن معناه الذين يفعلون ما يفعلون من البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم وهذه عبارة حسنة

وروي عن الحسن ايضا انه قال المومن يجمع احسانا وشفقة والمنافق يجمع اساءة وامنا (ت) ولهذا الخطب العظيم اطال الاوليـاء فى هذه الدار حزنهم واجروا على الوجنات مدامعهم قال ابن المبـارك فى رقائقه اخبرنا سفيان قال انما الحزن على قدر البصيرة قال ابن المبارك واخبرنا مالك بن مغول عن رجل عن الحسن قال ماعبد الله بمثل طول الحزن وقال ابن المبارك ايضا اخبرنا مسعر عن عبد الاعلى التيمي قال ان من اوتي من العلم مالا يبكيه لخليق ان لايكون اوتي علما ينفعه لان الله تعالى نعت العلماء فقال ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم الى قوله ويخرون للاذقان يبكون انتهى * وقوله سبحانه اولائك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون اي اليها سابقون وهذا قول بعضهم فى قوله لها وقالت فرقة معناه وهم من اجلها سابقون وقال الطبري عن ابن عباس المعنى سبقت لهم السعادة فى الازل فهم لها ورجحه الطبري بان اللام متمكنة فى المعنى * وقوله سبحانه ولدينا كتاب ينطق بالحق اظهر ما قيل فيه انه اراد كتاب احصاء الاعمال الذى ترفعه الملائكة وقيل الاشارة الى القرءان والاول اظهر * وقوله سبحانه بل قلوبهم فى غمرة من هذا اختلف فى الاشارة بقوله من هذا هل هي الى القرءان او الى كتاب الاحصاء او الى الدين بجملته او الى النبي صلى الله عليه وسلم ولهم اعمال اي من الفساد هم لها عاملون فى الحال والاستقبال والمترف المنعم فى الدنيا الذى هو منها فى سرف ويجئرون معناه يستغيثون بصياح كصياح البقر وكثر استعمال الجؤار فى البشر ومنه قول الاعشى

يراوح من صلوات المليـــك طورا سجودا وطورا جؤارا

وقال (ص) جأر الرجل الى الله تعالى اي تضرع قاله الحوفي انتهى وذهب مجاهد وغيره الى ان هذا العذاب المذكور هو الوعيد بيوم بدر وقيل غير هذا * وقوله سبحانه لاتجئروا اليوم اي يقال لهم يوم العذاب لاتجئروا اليوم *

وقوله قدكانت آياتى تتلى عليكم يعنى القرءان وتنكصون معناه ترجعون وراءكم وهذه استعارة للاعراض والادبار عن الحق ومستكبرين حال والضمير فى به عائد على الحرم والمسجد وان لم يتقدم له ذكر لشهرته والمعنى انكم تعتقدون فى نفوسكم ان لكم بالمسجد الحرام اعظم الحقوق على الناس والمنزلة عند الله فانتم تستكبرون لذلك وليس الاستكبار من الحق وقالت فرقة الضمير عائد على القرءان المعنى يحدث لكم سماع ءاياتى كبرا وطغيانا وهذا قول جيد وذكر منذر ابن سعيد ان الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بما بعده كأن الكلام تم فى قوله مستكبرين ثم قال بمحمد عليه السلام سامرا تهجرون وسامرا حال وهو مفرد بمنى الجمع يقال قوم سمر وسمر وسامر ومعناه سهر الليل ماخوذ من السمر وهو ما يقع على الاشخاص من ضوء القمر وكانت العرب تجلس للسمر تتحدث وهذا اوجب معرفتها بالنجوم لانها تجلس فى الصحراء فترى الطوالع من الغوارب وقرأ ابو رجاء سمارا وقرأ ابن عباس وغيره سمرا وكانت قريش تسمر حول الكعبة فى اباطيلها وكفرها وقرأ السبعة غير نافع تهجرون بفتح التاء وضم الجيم قال ابن عباس معناه تهجرون الحق وذكر الله وتقطعونه من الهجران المعروف وقال ابن زيد هو من هجر المريض اذا هذى اي تقولون اللغو من القول وقاله ابو حاتم وقرأ نافع وحده تهجرون بضم التاء وكسر الجيم وهي قراءة اهل المدينة ومعناه تقولون الفحش والهجر من القول وهذه اشارة الى سبهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قاله ابن عباس ايضا وغيره ثم وبخهم سبحانه بقوله افلم يدبروا القول لانهم بعد التدبر والنظر الفاسد قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وغير ذلك ام جاءهم مالم يات ءاباءهم الاولين اي ليس ببدع بل قد جاء آباءهم الاولين وهم سالف الامم الرسل كنوح وابراهيم واسماعيل وغيرهم وفى هذا التاويل من التجوز ان جعل سالف الامم ءاباء اذ الناس فى الجملة ءاخرهم من اولهم

ام لم يعرفوا رسولهم المعنى الم يعرفوا صدقه وامانته مدة عمره صلى الله عليه سلم * وقوله سبحانه ولو اتبع الحق اهواءهم قال ابن جريج وابو صالح الحق الله تعالى قال (ع) وهذا ليس من نمط الآية وقال غيرهما الحق هنا الصواب والمستقيم قال (ع) وهـذا هو الاحرى ويستقيم على هذا فساد السموات والارض ومن فيهن لوكان بحكم هوى هؤلاء وذلك انهم جعلوا لله شركاء واولادا ولوكان هذا حقا لم تكن لله عز وجل الصفات العلية ولو لم تكن له سبحانه لم تكن الصنعة ولا القدرة كما هي وكان ذلك فساد السموات والارض ومن فيهن لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * وقوله سبحانه بل اتيناهم بذكرهم قال ابن عباس بوعظهم ويحتمل بشرفهم وهو مروي ام تسئلهم خرجا الخرج والخراج بمعنى وهو المال الذى يجبى ويوتى به لاوقات محدودة * وقوله سبحانه فخراج ربك خير يريد ثوابه ويحمل ان يريد بخراج ربك رزقه ويؤيده قوله وهو خير الرازقين والصراط المستقيم دين الاسلام وناكبون اي مجادلون ومعرضون وقال البخاري لناكبون لعادلون انتهى قال ابو حيان يقال نكب عن الطريق ونكب بالتشديد اي عدل عنه انتهى ثم اخبر تعالى عنهم انهم لوزال عنهم القحط ومن الله عليهم بالخصب ورحمهم بذلك لبقوا على كفرهم ولجوا فى طغيانهم وهذه الآية نزلت فى المدة التى اصاب فيها قريشا السنون الجدبة والجوع الذى دعا به النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف الحديث ولقد اخذناهم بالعذاب قال ابن عباس وغيره هو الجوع والجدب حتى أكلوا الجلود وما جرى مجراها وروي انهم لما بلغهم الجهد ركب ابو سفيان وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال يامحمد الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى قال قد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع وقد اكلنا العِلْهِز فنزلت الآية واستكانوا معناه تواضعوا وانخفضوا * وقوله سبحانه حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد الآية

توعد بعذاب غير معين وهذا هو الصواب وهذه المجاعة انما كانت بعد وقعة بدر والمبلس الذى قد نزل به شر ويئس من زواله ونسخه بخير ثم ابتدأ تعالى بتعديد نعم فى نفس تعديدها استدلال بها على عظم قدرته سبحانه فقال وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار الاية انشأ بمعنى اخترع والافئدة القلوب وذرأ بث وخلق * وقوله بل اضراب والجحد قبله مقدر كانه قال ليس لهم نظر فى هذه الآيات اونحو هذا والاولون يشير به الى الامم الكافرة كعاد وثمود * وقوله تعالى لقد وعدنا نحن وءاباؤنا هذا من قبل الآية قولهم وءاباؤنا ان حكى المقالة عن العرب فمرادهم من سلف من العالم جعلوهم ءاباء من حيث النوع واحد وكونهم سلفا وفيه تجوز وان حكى ذلك عن الاولين فالامر مستقيم فيهم * وقوله سبحانه قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولايجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون امر الله تعالى نبيه عليه السلام بتوقيفهم على هذه الاشياء التى لايمكنهم الا الاقرار بها ويلزم من الاقرار بها توحيد الله واذعانهم لشرعه ورسالة رسله وقرأ الجميع فى الاول لله بلا خلاف واختلف فى الثانى والثالث فقرأ ابو عمرو وحده الله جوابا على اللفظ وقرأ باقى السبعة لله جوابا على المعنى كانه قال فى السؤال لمن ملك السموات السبع * وقوله سبحانه فانى تسحرون استعارة وتشبيه لما وقع منهم من التخليط ووضع الافعال والاقوال غير مواضعها ما يقع من المسحور عبر عنهم بذلك وقالت فرقة تسحرون معناه تمنعون وحكى بعضهم ذلك لغة والاجارة المنع والمعنى ان الله اذا اراد منع احد فلا يُقدَر عليه واذا اراد اخذه فلا مانع له * وقوله سبحانه وانهم لكاذبون اي فيما ذكروه من الصاحبة والولد والشريك تعالى الله

عن قولهم علوا كبيرا وفى قوله سبحانه وماكان معه من اله الآية دليل التمانع وهذا هو الفساد الذى تضمنه قوله تعالى لوكان فيهما ءالهة الا الله لفسدتا والجزء المخترع محال ان تتعلق به قدرتان فصاعدا وقدتقدم الكلام على هذا الدليل فاغنى عن اعادته * وقوله اذا جواب لمحذوف تقديره لوكان معه اله اذا لذهب * وقوله عالم الغيب المعنى هو عالم الغيب وقرأ ابوعمرو وغيره عالم بالجر اتباعا للمكتوبة * وقوله سبحانه قل رب اما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلني فى القوم الظالمين امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظلمة انكان قضى ان يرى ذلك وان شرط وما زائدة وترينى جزم بالشرط لزمته النون الثقيلة وهي لا تفارق اما عند المبرد ويجوز عند سيبويه ان تفارق ولكن استعمال القرءان لزومها فمن هنالك الزمه المبرد وهذا الدعاء فيه استصحاب الخشية والتحذير من الامر المعذب من اجله ثم نظيره لسائر الامة دعاء فى حسن الخاتمة وقوله ثانيا رب اعتراض بين الشرط وجوابه * وقوله سبحانه ادفع بالتى هي احسن السيئة امر بالصفح ومكارم الاخلاق وما كان منها لهذا فهو محكم باق فى الامة ابدا وماكان بمعنى الموادعة فمنسوخ بـءاية القتال * وقوله نحن اعلم بما يصفون يقتضى انها ءاية موادعة وقال مجاهد الدفع بالتى هي احسن هو السلام تسلم عليه اذا لقيته وقال الحسن والله لايصيبها احد حتى يكظم غيظه ويصفح عما يكره وفى الآية عدة للنبي صلى الله عليه وسلم اي اشتغل انت بهذا وكل امرهم الينا ثم امره سبحانه بالتعوذ من همزات الشياطين وهي سورات الغضب التى لايملك الانسان فيها نفسه وكانها هي التى كانت تصيب المومنين مع الكفار فتقع المجادلة ولذلك اتصلت بهذه الآية وقال ابن زيد همز الشيطان الجنون وفى مصنف ابى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اعوذ بك من الشيطان همزه ونفخه ونفثه قال

ابو داود همزه المُوتة ونفخه الكبر ونفثه السحر قال (ع) والنزغات وسورات الغضب من الشيطان وهي المتعوذ منها فى الآية واصل الهمز الدفع والوكز بيدا وغيرها (ت) قال صاحب سلاح المومن وهمزات الشياطين خطراتها التى تخطرها بقلب الانسان انتهى وقال الواحدي همزات الشياطين نزغاتها ووساوسها انتهى * وقوله سبحانه حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت حتى فى هذا الموضع حرف ابتداء والضمير فى قوله احدهم للكفار وقوله ارجعون اي الى الحياة الدنيا والنون فى ارجعون نون العظمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة اذا عاين المومن الموت قالت له الملائكة نرجعك فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدما الى الله واما الكافر فيقول ارجعون لعلي اعمل صالحا * وقوله كلا رد وزجر * وقوله انها كلمة هو قائلها تحتمل ثلاثة معان احدها الاخبار الموكد بان هذا الشيء يقع ويقول هذه الكلمة الثانى ان يكون المعنى انها كلمة لا تغنى اكثر من انه يقولها ولا نفع له فيها ولا غوث الثالث ان يكون اشارة الى انه لو رد لعاد والضمير فى ورائهم للكفار والبرزخ فى كلام العرب الحاجز بين المسافتين ثم يستعار لما عدا ذلك وهو هنا للمدة التى بين موت الانسان وبين بعثه هذا اجماع من المفسرين * وقوله عز وجل فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم الآية قال ابن مسعود وغيره هذا عند النفخة الثانية وقيام الناس من القبور فهم حينئذ لهول المطلع واشتغال كل امرئ بنفسه قد انقطعت بينهم الوسائل وزال انتفاع الانساب فلذلك نفاها سبحانه والمعنى فلا انساب نافعة وروي عن قتاذة انه ليس احد ابغض الى الانسان فى ذلك اليوم ممن يعرف لانه يخاف ان يكون له عنده مظلمة وفى ذلك اليوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ويفرح كل احد يومئذ ان يكون له حق على ابنه وابيه وقد ورد بهذا حديث وكانّ

ارتفاع التساؤل لهذه الوجوه ثم تاتى فى القيامة مواطن يكون فيها السؤال والتعارف قال (غ) وهذا التاويل حسن وهومروي المعنى عن ابن عباس وذكر البزار من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ملك موكل بالميزان فيوتى بابن ءادم فيوقف بين كفتي الميزان فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لايشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا انتهى من العاقبة وروى ابو داود فى سننه عن عائشة انها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبكيك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون اهليكم يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر احد احدا عند الميزان حتى يعلم ايخف ميزانه ام يثقل وعند الكتاب حتى يقول هاؤم اقرءوا كتابيه حتى يعلم اين يعطى كتابه افى يمينه ام فى شماله ام من وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهري جهنم انتهى ولفح النار اصابتها بالوهج والاحراق والكلوح انكشاف الشفتين عن الاسنان وقد شبه ابن مسعود ما فى الآية بما يعترى رءوس الكباش اذا شيطت بالنارفانها تكلح ومنه كلوح الكلب والاسد (ت) وفى الترمذي عن ابى سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته الحديث قال ابوعيسى هذا حديث حسن صحيح غريب انتهى وهذا هو المعول عليه فى فهم الآية واما قول البخاري كالحون معناه عابسون فغير ظاهر ولعله لم يقف على الحديث * وقوله سبحانه الم تكن اياتى اي يقال لهم والآيات هنا القرءان وقرأ حمزة شقاوتنا ثم وقع جواب رغبتهم بحسب ما حتمه الله من عذابهم بقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون ويقال ان

هذه الكلمة اذا سمعوها يئسوا من كل خير فتنطبق عليهم جهنم ويقع اليأس عافانا الله من عذابه بمنه * وقوله اخسئوا زجر وهو مستعمل فى زجر الكلاب * وقوله عز وجل انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا ءامنا الآية الهاء فى انه مبهمة وهي ضمير الامر والشان والفريق المشار اليه كل مستضعف من المومنين يتفق ان تكون حاله مع كفار مثل هذه الحال ونزلت الآية فى كفار قريش مع صهيب وعمار وبلال ونظرائهم ثم هي عامة فيمن جرى مجراهم قديما وبقية الدهر وقرأ نافع وحمزة والكساءي سخريا بضم السين والباقون بكسرها فقيل هما بمعنى واحد ذكر ذلك الطبري وقال ذلك ابو زيد الانصاري انهما بمعنى الهزء وقال ابوعبيدة وغيره ان ضم السين من السخرة والاستخدام وكسرها من السخر وهو الاستهزاء ومعنى الاستهزاء هنا اليق الا ترى الى قوله وكنتم منهم تضحكون * وقوله سبحانه كم لبثتم فى الارض عدد سنين الآية قوله فى الارض قال الطبري معناه فى الدنيا احياء وعن هذا وقع السؤال ونسوا لفرط هول العذاب حتى قالوا يوما او بعض يوم والغرض توقيفهم على ان اعمارهم قصيرة اداهم الكفر فيها الى عذاب طويل عافانا الله من ذلك بمنه وقال الجمهور معناه كم لبثتم فى جوف التراب امواتا قال (ع) وهذا هو الاصوب من حيث انكروا البعث وكان قولهم انهم لا يقومون من التراب وقوله ءاخرا وانكم الينا لا ترجعون يقتضى ما قلناه (ت) الآيات محتملة للمعنيين والله اعلم بما اراد سبحانه قال البخاري قال ابن عباس فاسأل العادين اي الملائكة انتهى (ص) قرأ الجمهور العادين بتشديد الدال اسم فاعل من عد وقرأ الحسن والكساءي فى رواية العادين بتخفيف الدال اي الظلمة وان من قوله ان لبثتم نافية اي ما لبثتم الا قليلا اه وعبثا معناه باطلا لغير غاية مرادة وخرج ابو نعيم الحافظ عن حنش الصنعاني عن ابن مسعود انه قرأ فى اذن مبتلى افحسبتم انما خلقناكم عبثا الى ءاخر السورة فافاق

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقرأت فى اذنه قال قرأت افحسبتم الى آخرالسورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لوان رجلا موقنا قرأها على جبل لزال انتهى وخرجه ابن السني ايضا ذكره النووي * وقوله سبحانه فتعالى الله الملك الحق المعنى فتعالى الله عن مقالتهم فى دعوى الشريك والصاحبة والولد ثم توعد سبحانه عبدة الاوثان بقوله فانما حسابه عند ربه وفى حرف عبد الله عند ربك وفى حرف ابي عند الله ثم امرتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالدعاء والذكر له فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين

تفسير سورة النور وهي مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى سورة ازلناها وفرضناها الآية معنى فرضنا اوجبنا واثبتنا وقال الثعلبي والواحدي فرضناها اي اوجبنا ما فيها من الاحكام انتهى وقال البخاري قال ابن عباس سورة ازلناها بيناها انتهى وما تقدم ابين (ص) فرضناها الجمهور بتخفيف الراء اي فرضنا احكامها وابو عمرو وابن كثير بتشديد الراء اما للمبالغة فى الايجاب واما لان فيها فرائض شتى انتهى والآيات البينات امثالها ومواعظها واحكامها * وقوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الآية هذه الآية ناسخة لآية الحبس باتفاق وحكم المحصنين منسوخ بآية الرجم والسنة المتواترة على ماتقدم فى سورة النساء وقرأ الجمهور

رأفة بهمزة ساكنة من رأف اذا رق ورحم والرأفة المنهي عنها هي فى اسقاط الحد اي اقيموه ولابد وهذا تاويل ابن عمر وغيره وقال قتادة وغيره هي فى تخفف الضرب عن الزناة ومن رأيهم ان يخفف ضرب الخمر والفرية دون ضرب الزنا * وقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المومنين اي اغلاظا على الزناة وتوبيخا لهم ولاخلاف ان الطائفة كلما كثرت فهو اليق بامتثال الامرواختلف فى اقل ما يجزئ فقال الزهري الطائفة ثلاثة فصاعدا وقال عطاء لابد من اثنين وهذا هو مشهور قول مالك فرءاها موضع شهادة * وقوله تعالى الزانى لاينكح الازانية اومشركة مقصد الآية تشنيع الزنا وتشنيع امره وانه محرم على المومنين ويريد بقوله لاينكح اي لايطأ فالنكاح هنا بمعنى الجماع كقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره وقد بينه صلى الله عليه وسلم فى الصحيح انه بمعنى الوطء حيث قال لاحتى تذوق عسيلته الحديث وتحتمل الآية وجوها هذا احسنها * وقوله سبحانه والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء الآية نزلت بسبب القاذفين وذكر تعالى فى الآية قذف النساء من حيث هو اهم وابشع وقذف الرجال داخل فى حكم الآية بالمعنى والاجماع على ذلك والمحصنات هنا العفائف وشدد تعالى على القاذف باربعة شهداء رحمة بعباده وسترا لهم وحكم شهادة الاربعة ان تكون على معاينة مبالغة كالمرود فى المكحلة فى موطن واحد فان اضطرب منهم واحد جلد الثلاثة والجلد الضرب ثم امرتعالى ان لاتقبل للقذفة المحدودين شهادة ابدا وهذا يقتضى مدة اعمارهم ثم حكم بفسقهم ثم استثنى تعالى من تاب واصلح من بعد القذف فالاستثناء غيرعامل فى جلده باجماع وعامل فى فسقه باجماع واختلف فى عمله فى رد الشهادة والجمهورانه عامل فى رد الشهادة فاذا تاب القاذف قبلت شهادته ثم اختلفوا فى صورة توبته فقيل بان يكذب

نفسه والالم تقبل وقالت فرقة منها مالك توبته ان يصلح وتحسن حاله وان لم يرجع عن قوله بتكذيب واختلف فقهاء المالكية متى تسقط شهادة القاذف فقال ابن الماجشون بنفس قذفه وقال ابن القاسم وغيره لاتسقط حتى يجلد فان منع من جلده مانع عفو او غيره لم ترد شهادته قال اللخمي شهادته فى مدة الاجل للاثبات موقوفة وتابوا معناه رجعوا وقد رجح الطبري وغيره قول مالك واختلف ايضا على القول بجواز شهادته فقال مالك تجوز فى كل شيء باطلاق وكذلك كل من حد فى شيء وقال سحنون من حد فى شيء فلاتجوز شهادته فى مثل ماحدفيه واتفقوا فيما احفظ على ولد الزنا ان شهادته لاتجوز فى الزنا * وقوله سبحانه والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم الآية لما رمى هلال بن امية الواقفي زوجته بشريك بن سحماء عزم النبي صلى الله عليه وسلم على ضربه حد القذف فنزلت هذه الآية حسبما هو مشروح فى الصحاح فجمعهما صلى الله عليه وسلم فى المسجد وتلاعنا وجاء ايضا عويمر العجلاني فرمى امرأته ولاعن والمشهور ان نازلة هلال قبل وانها سبب الآية والازواج فى هذه الآية يعم المسلمات والكافرات والاماء فكلهن يلاعنهن الزوج للانتفاء من الحمل وتختص الحرة بدفع حد القذف عن نفسها وقرأ السبعة غير نافع ان لعنة وان غضب بتشديد ان فيهما ونصب اللعنة والغضب والعذاب المدرأ فى قول الجمهورهوالحد وجعلت اللعنة للرجل الكاذب لانه مفترمباهت فابعد باللعنة وجعل الغضب الذى هواشد على المرأة التى باشرت المعصية بالفعل ثم كذبت وباهتت بالقول والله اعلم واجمع مالك واصحابه على وجوب اللعان بادعاء الرؤية زنا لاوطء من الزوج بعده وذلك مشهور المذهب وقال مالك ان اللعان يجب بنفي حمل يدعى قبله استبراء والمستحب من الفاظ اللعان ان يمشي مع ترتيب القرءان ولفظه فيقول الزوج اشهد بالله

لرأيت هذه المرأة تزني واني في ذلك لمن الصادقين ثم يقول في الخامسة ولعنة الله علي ان كنت من الكاذبين واما في لعان نفي الحمل فيقول ماهذا الولد مني وتقول المرأة اشهد بالله مازنيت وانه في ذلك لمن الكاذبين ثم تقول غضب الله علي ان كان من الصادقين فان منع جهلهما من ترتيب هذه الالفاظ واتيا بما في معناها اجزأ ذلك ومشهور المذهب ان نفس تمام اللعان بينهما فرقة ولايحتاج معها الى تفريق حاكم وتحريم اللعان ابدي باتفاق فيما احفظ من مذهب مالك وجواب لولا محذوف تقديره لكشف الزناة باسر من هذا او لاخذهم بعقابه ونحو هذا * وقوله تعالى ان الذين جاءو بالافك الآية نزلت في شأن ام المومنين عائشة رضي الله عنها ففي البخاري في غزوة بني المصطلق عن عائشة رضي الله عنها قالت وانزل الله العشر الآيات في براءتي ان الذين جاءو بالافك الآيات والافك الزور والكذب وحديث الافك في البخاري ومسلم وغيرهما مستوعب والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين * وقوله سبحانه لا تحسبوه خطاب لكل من ساءه ذلك من المومنين * وقوله تعالى بل هو خير لكم معناه انه تبرئة في الدنيا وترفيع من الله تعالى في ان نزل وحيه بالبراءة من ذلك واجر جزيل في الآخرة وموعظة للمومنين في غابر الدهر واكتسب مستعملة في المآثم والاشارة بقوله تعالى والذى تولى كبره هي الى عبد الله بن ابي ابن سلول وغيره من المنافقين وكبره مصدر كبر الشيء وعظم ولكن استعملت العرب ضم الكاف في السن * وقوله تعالى لولا اذ سمعتوه ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا الآية الخطاب للمومنين حاشى من تولى كبره وفي هذا عتاب للمومنين اي كان الانكار واجبا عليهم ويقيس فضلاء المومنين الامر على انفسهم فاذا كان ذلك يبعد فيهم فام المومنين ابعد لفضلها ووقع هذا النظر السديد من ابى ايوب

وامرأته وذلك انه دخل عليها فقالت له ياابا ايوب اسمعت ما قيل فقال نعم وذلك الكذب اكنت انت ياام ايوب تفعلين ذلك قالت لاوالله قال فعائشة والله افضل منك قالت ام ايوب نعم فهذا الفعل ونحوه هوالذى عاتب الله فيه المومنين اذلم يفعله جميعهم والضمير فى قوله لولا جاءو الـذين تولوا كبره * وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم هذا عتاب من الله تعالى بليغ فى تعاطيهم هذا الحديث وان لم يكن المخبر والمخبر مصدقين ولكن نفس التعاطى والتلقى من لسان الى لسان والافاضة فى الحديث هوالذى وقع العتاب فيه وقرأ ابن يعمروعائشة رضي الله عنها وهي اعلم الناس بهذا الامراذ تلقونه بفتح التاء وكسراللام وضم القاف ومعنى هذه القراءة من قول العرب ولق الرجل ولقا اذا كذب وحكى الطبري ان هذه اللفظة ماخوذة من الولق الذى هو اسراعك بالشيء بعد الشيء يقال ولق فى سيره اذا اسرع والضمير فى تحسبونه للحديث والخوض فيه والاذاعة له * وقوله تعالى سبحانك اي تنزيها لله ان يقع هذا من زوج نبيه صلى الله عليه وسلم وحقيقة البهتان ان يقال فى الانسان ما ليس فيه والغيبة ان يقال فى الانسان ما فيه ثم وعظهم تعالى فى العودة الى مثل هذه الحالة * وقوله سبحانه ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين ءامنوا الآية قال مجاهد وغيره الاشارة بهذه الآية الى المنافقين وعذابهم الاليم فى الدنيا الحدود وفى الآخرة النار وقالت فرقة الآية عامة فى كل قاذف وهذا هوالاظهر * وقوله تعالى والله يعلم معناه يعلم البرئ من المذنب ويعلم سائر الامور وجواب لولا ايضا محذوف تقديره لفضحكم بذنوبكم اولعذبكم ونحوه * وقوله تعالى ياايها الذين ءامنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان الآية خطوات جمع خطوة وهي ما بين القدمين فى المشي فكان المعنى لاتمشوا فى سبله وطرقه (ت) وفى قوله سبحانه

ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ما يردع العاقل عن الاشتغال بغيره ويوجب له الاهتمام باصلاح نفسه قبل هجوم منيته وحلول رمسه وحدث ابو عمر فى التمهيد بسنده عن اسماعيل بن كثير قال سمعت مجاهدا يقول ان الملائكة مع ابن ءادم فاذا ذكر اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره بشر قالت الملائكة ابن ءادم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله الذى يستر عورتك انتهى وروينا فى سنن ابى داود عن سهل بن معاذ بن انس الجهني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حمى مومنا من منافق اراه قال بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مسلما بشيء يريد به شينه حبسه الله عز وجل على جسر جهنم حتى يخرج مما قال وروينا ايضا عن ابي داود بسنده عن جابر بن عبد الله وابي طلحة بن سهل الانصاريين انهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئى يخذل امرءا مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته وما من امرئى ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله فى موضع يحب فيه نصرته انتهى ثم ذكر تعالى انه يزكى من يشاء ممن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح امارة على سبق السعادة له * وقوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم الآية المشهور من الروايات ان هذه الآية نزلت فى قصة ابى بكر رضي الله عنه ومسطح بن أثاثة وكان من قرابة ابي بكر وكان ابو بكر ينفق عليه لمسكنته فلما وقع امر الافك بلغ ابا بكر انه وقع مسطح مع من وقع فحلف ابو بكر لاينفق عليه ولاينفعه بنافعة ابدا فجاء مسطح معتذرا وقال انما كنت اسمع ولا اقول فنزلت الآية والفضل الزيادة فى الدين والسعة هنا هي المال ثم قال تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم الآية اي كما تحبون عفو الله لكم عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم فروينا ان ابا بكر قال

بلى انى احب ان يغفر الله لى ورجع الى مسطح ما كان يجرى عليه من النفقة والاحسان قال ابن العربي فى احكامه وفى هذه الآية دليل على ان الحنث اذا رءاه الانسان خيرا هو اولى من البر ولقول النبي صلى الله عليه وسلم فرأى غيرها خيرا منها فليات الذى هو خير وليكفر عن يمينه انتهى وقال بعض الناس هذه ارجى ءاية فى كتاب الله عز وجل من حيث لطف سبحانه بالقذفة العصاة بهذا اللفظ قال (ع) وانما تعطى الآية تفضلا من الله تعالى فى الدنيا وانما الرجاء فى الآخرة اما ان الرجاء فى هذه الآية بقياس اي اذا امر اولى الفضل والسعة بالعفو فطرد هذا التفضل بسعة رحمته سبحانه لارب غيره وانما ءايات الرجاء قوله تعالى قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله تعالى الله لطيف بعباده وسمعت ابى رحمه الله يقول ارجى ءاية فى كتاب الله عندى قوله تعالى وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقال بعضهم ارجى ءاية قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى * وقوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الآية قال ابن جبير هذه الآية خاصة فى رماة عائشة وقال ابن عباس وغيره بل ولجميع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لمكانهن من الدين ولم يقرن بآخر الآية توبة قال (ع) وقاذف غيرهن له اسم الفسق وذكرت له التوبة ولعن الدنيا الابعاد وضرب الحد والعامل فى قوله يوم فعل مضمر تقديره يعذبون يوم او نحو هذا والدين فى هذه الآية الجزاء وفى مصحف ابن مسعود وابي يومئذ يوفيهم الله الحق دينهم بتقديم الصفة على الموصوف * وقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين يقوى قول من ذهب ان الآية فى المنافقين عبد الله بن ابي وغيره * وقوله تعالى الخبيثات للخبيثين الآية قال ابن عباس وغيره الموصوف بالخبث والطيب الاقوال والافعال وقال ابن زيد الموصوف بالخبث والطيب النساء والرجال ومعنى هذا التفريق بين حكم ابن ابي واشباهه وبين حكم النبي صلى الله عليه

وسلم وفضلاء اصحابه وامته * وقوله تعالى اولئك مبرءون اشارة الى الطيبين المذكورين وقيل الاشارة باولئك الى عائشة رضي الله عنها ومن فى معناها * وقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا سبب هذه الآية فيماروى الطبري ان امرأة من الانصار قالت يارسول الله انى اكون فى منزلى على الحال التى لا احب ان يرانى احد عليها لا والد ولا ولد وانه لا يزال يدخل علي رجل من اهلى وانا على تلك الحال فنزلت هذه الآية ثم هي عامة فى الامة غابر الدهر وبيت الانسان هو الذى لا احد معه فيه او البيت الذى فيه زوجته او امته وما عدا هذا فهو غير بيته وتستانسوا معناه تستعلموا من فى البيت وتستبصروا تقول آنست اذا علمت عن حس واذا ابصرت ومنه قوله تعالى آنستم منهم رشدا واستانس وزنه استفعل فكان المعنى فى تستانسوا تطلبوا ان تعلموا مايونسكم ويونس اهل البيت منكم واذا طلب الانسان ان يعلم امر البيت الذى يريد دخوله فذلك يكون بالاستيذان على من فيه او بان يتنحنح ويشعر بنفسه باي وجه امكنه وبتأنى قدر ما يتحفظ منه ويدخل اثر ذلك وذهب الطبري فى تستانسوا الى انه بمعنى حتى تونسوا اهل البيت بانفسكم بالتنحنح والاستيذان ونحوه وتونسوا نفوسكم بان تعلموا ان قد شعر بكم قال (ع) وتصريف الفعل يابى ان يكون من انس وقرأ ابي وابن عباس حتى تستاذنوا وتسلموا وصورة الاستيذان ان يقول الانسان السلام عليكم أأدخل فان اذن له دخل وان امر بالرجوع انصرف وان سكت عنه استاذن ثلاثا ثم ينصرف جاءت فى هذا كله ءاثار والضمير فى قوله تجدوا فيها للبيوت التى هي بيوت الغير واسند الطبري عن قتادة انه قال قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عمرى كله هذه الآية فما ادركتها ان استاذن على بعض اخوانى فيقول لى ارجع فارجع وانا مغتبط لقوله تعالى هو ازكى لكم * وقوله تعالى والله بما تعملون عليم توعد لاهل التجسس *

وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة الآية اباح سبحانه فى هذه الآية رفع الاستيذان فى كل بيت لايسكنه احد لان العلة فى الاستيذان خوف الكشفة على المحرمات فاذا زالت العلة زال الحكم وباقى الآية بين ظاهر التوعد وعن مالك رحمه الله انه بلغه انه كان يستحب اذا دخل البيت غير المسكون ان يقول الذى يدخله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين انتهى اخرجه فى الموطإ * وقوله تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم اظهرما فى من ان تكون للتبعيض لان اول نظرة لايملكها الانسان وانما يغض فيما بعد ذلك فقد وقع التبعيض بخلاف الفروج اذ حفظها عام لها والبصرهو الباب الاكبر الى القلب وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير منه وحفظ الفرج هو عن الزنا وعن كشفه حيث لايحل (ت) النواظر صوارم مشهورة فاغمدها فى غمد الغض والحياء من نظر المولى والاجرحك بها عدو الهوى لا ترسل بريد النظر فيجلب لقلبك ردئ الفكر غض البصر يورث القلب نورا واطلاقه يقدح فى القلب نارا انتهى من الكلم الفارقية فى الحكم الحقيقية قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى ذلك ازكى لهم يريد اطهر وانمى يعنى اذا غض بصره كان اطهرله من الذنوب وانمى لعمله فى الطاعة قال ابن العربي ومن غض البصر كف التطلع الى المباحات من زينة الدنيا وجمالها كما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى يريد ما عند الله تعالى انتهى * وقوله تعالى وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن الآية امر الله تعالى النساء فى هذه الآية بغض البصر عن كل ما يكره من جهة الشرع النظر اليه وفى حديث ام سلمة قالت كنت اناوعائشة عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل ابن ام مكتوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم احتجبن فقلن انه اعمى فقال صلى الله عليه وسلم

افعمياوان انتيا ومن الكلام فيها كالتي قبلها قال ابن العربي فى احكامه وكما لا يحل للرجل ان ينظر الى المرأة لا يحل للمرأة ان تنظر الى الرجل فان علاقته بها كعلاقتها به وقصده منها كقصدها منه ثم استدل بحديث ام سلمة المتقدم انتهى وحفظ الفرج يعم الفواحش وستر العورة وما دون ذلك مما فيه حفظ ثم امر تعالى بان لا يبدين زينتهن الا ما يظهر من الزينة قال ابن مسعود ظاهر الزينة هو الثياب وقال ابن جبير وغيره الوجه والكفان والثياب وقيل غير هذا قال زينتها (ع) ويظهر لى بحكم الفاظ الآية ان المرأة مامورة بان لا تبدي وان تجتهد فى الاخفاء لكل ما هو زينة ووقع الاستثناء فى كل ما غلبها فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لابد منه او اصلاح شان فما ظهر على هذا الوجه فهو المعفو عنه وذكر ابو عمر الخلاف فى تفسير الآية كما تقدم قال وروي عن ابى هريرة فى قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال القُلب والفتخة قال جرير بن حازم القلب السوار والفتخة الخاتم انتهى من التمهيد * وقوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن قال ابن العربي الجيب هو الطوق والخمار هو المقنعة انتهى قال (ع) سبب الآية ان النساء كن فى ذلك الزمان اذا غطين رؤوسهن بالاخمرة سدلنها من وراء الظهر فيبقى النحر والعنق والاذنان لا ستر على ذلك فامر الله تعالى بلي الخمار على الجيوب وهيئة ذلك يستر جميع ما ذكرناه وقالت عائشة رضي الله عنها رحم الله المهاجرات الاول لما نزلت هذه الآية عمدن الى اكثف المروط فشققنها اخمرة وضربن بها على الجيوب * وقوله سبحانه اونسائهن يعنى جميع المومنات ويخرج منه نساء المشركين وكتب عمر الى ابى عبيدة بن الجراح ان يمنع نساء اهل الذمة ان يدخلن الحمام مع نساء المسلين فامتثل * وقوله سبحانه اوما ملكت ايمانهن يدخل فيه الاماء الكتابيات والعبيد وقال ابن عباس وجماعة لا يدخل العبد على سيدته فيرى شعرها الا ان يكون

وغدا * وقوله تعالى او التابعين يريد الاتباع ليطعموا وهم فسول الرجال الذين لا اربة لهم فى الوطء ويدخل فى هذه الصنيفة المجبوب والشيخ الفانى وبعض المتوهين والذى لا اربة له من الرجال قليل والاربة الحاجة الى الوطء والطفل اسم جنس ويقال طفل مالم يراهق الحلم ويظهروا معناه يطلعوا بالوطء * وقوله تعالى ولا يضربن بارجلهن الآية قيل سببها ان امرأة مرت على قوم فضربت برجلها الارض فصوت الخلخال وسماع صوت هذه الزينة اشد تحريكا للشهوة من ابدائها ذكره الزجاج ثم امر سبحانه بالتوبة مطلقة عامة من كل شيء صغير وكبير * وقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم الايم من لا زوجة له او لا زوج لها فالايم يقال للرجل والمرأة * وقوله والصالحين يريد للنكاح وهذا الامر بالنكاح يختلف بحسب شخص شخص ففى نازلة يتصور وجوبه وفى نازلة الندب وغير ذلك حسبما هو مذكور فى كتب الفقه قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى والصالحين من عبادكم الاظهر فيه انه امر بانكاح العبيد والاماء كما امر بانكاح الايامى وذلك بيد السادة فى العبيد والاماء كما هو فى الاحرار بيد الاولياء انتهى ثم وعد تعالى باغناء الفقراء المتزوجين طلب رضا الله عنهم واعتصاما من معاصيه ثم امر تعالى كل من يتعذر عليه النكاح ان يستعفف حتى يغنيهم الله من فضله اذ الغالب من موانع النكاح عدم المال فوعد سبحانه المتعفف بالغنى والمكاتبة مفاعلة من حيث يكتب هذا على نفسه وهذا على نفسه ومذهب مالك ان الامر بالكتابة هو على الندب وقال عطاء ذلك واجب وهو ظاهر مذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه * وقوله ان علمتم فيهم خيرا قالت فرقة الخير هنا المال وقال مالك انه ليقال الخير القوة والاداء وقال عبيدة السلماني الخير هو الصلاح فى الدين * وقوله تعالى وءاتوهم قال المفسرون هو امر لكل مكاتب ان يضع عن

العبد من مال كتابته ورأى مالك هذا الامر على الندب ولم ير لقدر الوضيعة حدا واستحسن علي بن ابى طالب رضي الله عنه ان يوضع عنه الربع وقيل الثلث وقيل العشر ورأى عمران يكون ذلك من اول نجومه مبادرة الى الخير وخوف ان لا يدرك آخرها ورأى مالك وغيره ان يكون الوضع من آخر نجم وعلة ذلك انه ربما عجز العبد فرجع هو وماله الى السيد فعادت اليه وضيعته وهي شبه الصدقة (ت) والظاهر ان هذا لا يعد رجوعا كما لو رجع اليه بالميراث ورأى الشافعي وغيره ان الوضيعة واجبة يحكم بها وقال الحسن وغيره الخطاب بقوله تعالى وآتوهم للناس اجمعين فى ان يتصدقوا على المكاتبين وقال زيد بن اسلم انما الخطاب لولاة الامور * وقوله سبحانه ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا الآية روي ان سبب الآية هو ان عبد الله بن ابي ابن سلول كانت له امة فكان يامرها بالزنا والكسب به فشكت ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فيه وفيمن فعل فعله من المنافقين وقوله ان اردن تحصنا راجع الى الفتيات وذلك ان الفتاة اذا ارادت التحصن فحينئذ يمكن ويتصور ان يكون السيد مكرها ويمكن ان ينهى عن الاكراه واذا كانت الفتاة لا تريد التحصن فلا يتصور ان يقال للسيد لا تكرهها لان الاكراه لا يتصور فيها وهي مريدة للفساد فهذا امر فى سادة وفتيات حالهم هذه وذهب هذا النظر عن كثير من المفسرين فقال بعضهم قوله ان اردن راجع الى الايامى فى قوله وانكحوا الايامى منكم وقال بعضهم هذا الشرط فى قوله ان اردن ملغى ونحو هذا مما هو ضعيف والله الموفق للصواب برحمته (ت) وما اختاره (ع) هو الذى عول عليه ابن العربي ونصه وانما ذكر الله تعالى ارادة التحصن من المرأة لان ذلك هو الذى يصور الاكراه فاما اذا كانت هي راغبة فى الزنا لم يتحصل الاكراه فحصلوه ان شاء الله انتهى من الاحكام وقرأ ابن مسعود وغيره فان الله من بعد اكراههن لهن غفور رحيم

ثم عدد سبحانه نعمه على المومنين فى قوله ولقد انزلنا اليكم ءايات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ليقع التحفظ مما وقع اولئك فيــه * وقوله تعــالى الله نور السموات والارض الآيــة النور فى كلام العــرب الاضواء المــدركـة بالبصر ويستعمل مجازا فيما صح من المعانى ولاح فيقال كلام له نور ومنه الكتاب المنير والله تعالى ليس كمثله شيء فــواضح انه ليس من الاضــواء المدركــة ولم يبق الا ان المعنى منور السموات والارض اي به وبقدرته انارت اضواؤها واستقامت امورها كما تقــول الملك نور الامــة اي به قِوام امــورهــا وصــلاح جملتها والامر فى الملــك مجاز وهو فى صفة الله تعالى حقيقــة محضــة وقرأ ابو عبــد الرحمن السلمي وغيره الله نور بفتح النون والواو المشددة وفتح الــراء والضمير فى نوره يعود على الله تعالى قاله جماعة وهو اضافة خلق الى خالــق كما تقول ناقــة الله وبيت الله ثم اختلفوا فى المراد بهذا النور فقيــل هــو محمــد صلى الله عليه وسلم وقيل هو المومن وقيل هو الايمان والقرءان وفى قــراءة ابي ابن كعب مثل نور المومنين والمشكاة هي الكوة غير النافــذة فيها القنديــل ونحوه وهذه الاقوال الثلاثة يطــرد فيها مقابلة جزء من المثــال بجــزء مــن الممثــل فعلى قول من قال الممثل محمــد صلى الله عليــه وسلم وهــو قول كعب الاحبــار فرسول الله صلى الله عليــه وسلم هو المشكاة او صدره والمصباح هو النبوءة وما يتصل بها من علمه وهداه والزجاجة قلبه والشجرة المبــاركة هي الوحي والزيت هو الحجج والبراهين وعلى قــول من قال ان الممثــل بــه هو المــومن وهو قول ابي بن كعب فالمشكاة صدره والمصباح الايمان والعــلم والزجاجة قلبه والشجرة القرءان وزيتهــا هو الحجج والحكمة التى تضمنها قول ابي فهو على احسن الحال يمشى فى الناس كالرجل الحي فى قبور الامــوات وتحتمل الآية معنى آخر وهوان يريد مثل نور الله الذى هو هداه فى الوضوح

كهذه الجملة من النور الذى تتخذونه انتم على هذه الصفة التى هي ابلغ صفات النور الذى هو بين ايديكم ايها البشر وقال ابو موسى المشكاة الحديدة اوالرصاصة التى يكون فيها القنديل فى جوف الزجاجة والاول اصح * وقوله فى زجاجة لانه جسم شفاف المصباح فيه انور منه فى غير الزجاجة والمصباح الفتيل بناره * وقوله كانه كوكب دري اي فى الانارة والضوء وذلك يحتمل معنيين اما ان يريد انها بالمصباح كذلك واما ان يريد انها فى نفسها لصفائها وجودة جوهرها وهذا التاويل ابلغ فى التعاون على النور قال الضحاك الكوكب الدري الزهرة وقرأ ابن كثير وابوعمرو توقد بفتح التاء والدال والمراد المصباح وقرأ نافع وغيره يوقد اي المصباح * وقوله من شجرة اي من زيت شجرة والمباركة المنماة * وقوله تعالى لاشرقية ولاغربية قال الحسن اي ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا وانما هو مثل ضربه الله تعالى لنوره ولو كانت فى الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية وقيل غير هذا * وقوله سبحانه يكاد زيتها يضيء الآية مبالغة فى صفة صفائه وحسنه * وقوله نور على نور اي هذه كلها ومعان تكامل بها هذا النور الممثل به وفى هذا الموضع تم المثال وباقى الآية بين * وقوله تعالى فى بيوت اذن الله ان ترفع قال ابن عباس وغيره هي المساجد المخصوصة بعبادة الله التى من عادتها ان تنور بهذا النوع من المصابيح وقوله اذن الله بمعنى امر وقضى وترفع قيل معناه تبنى وتعلى قاله مجاهد وغيره كقوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وقال الحسن معناه تعظم ويرفع شانها وذكر اسمه تعالى هو بالصلاة والعبادة قولا وفعلا ويسبح له فيها اي فى المساجد بالغدو والآصال قال ابن عباس اراد ركعتي الضحى والعصر وان ركعتي الضحى لفى كتاب الله وما يغوص عليها الاغواص ثم وصف تعالى المسبحين بانهم لمراقبتهم امر الله تعالى وطلبهم رضاه لا يشغلهم عن الصلاة وذكر الله شيء

من امور الدنيا (ت) وعن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الناس فى صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعى فينادى مناد سيعلم اهل الجمع لمن الكرم اليوم ثلاث مرات ثم يقول اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ثم يقول اين الذين كانوا لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله الى ءاخر الآية ثم ينادى مناد سيعلم اهل الجمع لمن الكرم اليوم ثم يقول اين الحمادون الذين يحمدون ربهم مختصرا رواه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين وله طرق عن ابى اسحاق انتهى من السلاح ورواه ايضا ابن المبارك من طريق ابن عباس قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الحامدون لله تعالى على كل حال فيقومون فيسرحون الى الجنة ثم ينادى ثانية ستعلمون من اصحاب الكرم ليقم الذين كانت جنوبهم تتجافى عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال فيقومون فيسرحون الى الجنة ثم ينادى ثالثة ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار فيقومون فيسرحون الى الجنة انتهى من التذكرة والزكاة هنا عند ابن عباس الطاعة لله وقال الحسن هي الزكاة المفروضة فى المال واليوم المخوف هو يوم القيامة ومعنى الآية ان ذلك اليوم لشدة هوله القلوب والابصار فيه مضطربة قلقة متقلبة (ت) ومن الكلم الفارقية سعادة القلب اقباله على مقلبه والعالم بحال مئاله ومنقلبه القلوب بحار جواهرها المعارف وسواحلها الالسنة وغواصها الفكرة النافذة غواص بحر الصور يغوص بصورته فى طلب مكسبه والعارف يغوص بمعنى قلبه فى بحار غيب ربه فيلتقط جواهر الحكمة ودرر الدراية قلوب العارفين كالبحار تنعقد فى اصداف ضمائرهم جواهر المعارف والاسرار القلوب كالاراضي الى من اسلمت اليه قلبك

بذر فيـه ما عنده امـا من بذر نفسه ووسواسه العفن المسوس او بذر فيه معرفته بالرب المقدس انتهى (ت) فان اردت سلامتك فى ذلك اليوم فليكن قلبك الآن مقبلا على طاعة مولاك فانه يوم لاينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم قال الواحدي تتقلب فيـه القلوب بين الطمع فى النجـاة والخوف من الهلاك والابصار تتقلب فى اي ناحية يوخذ بهم اذات اليمين امذات الشمال ومن اي جهة يوتون كتبهم انتهى * وقوله سبحانه ليجزيهم اي فعلوا ذلك ليجزيهم احسن ماعملوا اي ثواب احسن ما عملوا ولما ذكر تعالى حالة المومنين وتنويره قلوبهم عقب ذلك بذكر الكفرة واعمالهم فقال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة وهي جمع قاع والقاع المنخفض البساط من الارض ويريد بجاءه جاء موضعه الذى تخيله فيه ويحتمل ان يعود الضمير فى جاءه على السراب ثم يكون فى الكلام بعد ذلك متروك يدل عليه الظاهر تقديره فكذلك الكافر يوم القيامة يظن عمله نافعا حتى اذا جاءه لم يجده شيأ * وقوله ووجد الله عنده اي بالمجازات والضمير فى عنده عائد على العمل وباقى الآية وعيد بين * وقوله تعالى اوكظلمات عطف على قوله كسراب وهذا المثال الاخير تضمن صفة اعمالهم فى الدنيا اي انهم من الضلال فى مثل هذه الظلمات المجتمعة من هذه الاشياء وذهب بعض الناس الى ان فى هذا المثال اجزاء تقابل اجزاء من الممثل به فقال الظلمات الاعمال الفاسدة والمعتقدات الباطلة والبحر اللجي صدر الكافر وقلبه واللجي معناه ذواللجة وهي معظم الماء وغمره واجتماع ما به اشد لظلمته والموج هو الضلال والجهالة التى قد غمرت قلبه والسحاب هو شهوته فى الكفر واعراضه عن الايمان قال (ع) وهذا التاويل سائغ وان لايقدر هذا التقابل سائغ * وقوله اذا اخرج يده لم يكد يراها لفظ يقتضى مبالغة الظلمة واختلف فى هذه اللفظة هل معناها انه لم يريده البتة او المعنى انه رءاها

بعد عسر وشدة وكاد ان لايراها ووجه ذلك ان كاد اذا صحبها حرف النفي وجب الفعل الذى بعدها واذا لم يصحبها انتفى الفعل وكاد معناها قارب ☼ وقوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور قالت فرقة يريد فى الدنيا اي من لم يهده الله لم يهتد وقالت فرقة اراد فى الآخرة اي من لم يرحمه الله وينور حاله بالمغفرةوالرحمة فلا رحمة له قال (ع) والاول ابين واليق بلفظ الآية وايضا فذلك متلازم ونور الآخرة انما هو لمن نورقلبه فى الدنيا ☼ وقوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من فى السموات والارض الآية الرؤية هنا قلبية والتسبيح التنزيه والتعظيم والآية عامة عند المفسرين لكل شيء من العقلاء والجمادات ☼ وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه قال الزجاج وغيره المعنى كل قد علم الله صلاته وتسبيحه وقال الحسن المعنى كل قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه وقالت فرقة المعنى كل قد علم صلاة الله وتسبيح الله اللذين امر بهما وهدى اليهما فهذه اضافة خلق الى خالق وباقى الآية وعيد ويزجى معناه يسوق والركام الذى يركب بعضه بعضا ويتكاثف والودق المطر قال البخاري من خلاله اي من بين اضعاف السحاب انتهى ☼ وقوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد قيل ذلك حقيقة وقد جعل الله فى السماء جبالا من برد وقالت فرقة ذلك مجاز وانما اراد وصف كثرته وهذا كما تقول عند فلان جبال من مال وجبال من العلم (ت) وحمل اللفظ على حقيقته اولى ان لم يمنع من ذلك مانع ومن كتاب الفرج بعد الشدة للقاضى ابى علي التنوخي احد الرواة عن ابى الحسن الدارقطني والمختصين به قال اخبرنا ابو بكر الصولي عن بعض العلماء قال رأيت امرأة بالبادية وقد جاء البرد فذهب بزرعها فجاء الناس يعزونها فرفعت رأسها الى السماء وقالت اللهم انت المامول لاحسن الخلف وبيدك التعويض مما تلف فافعل بنا ما انت اهله فان ارزاقنا عليك وآمالنا مصروفة اليك قال فلم ابرح حتى مر

رجل من الاجلاء فحُدِّث بما كان فوهب لها خمسمائة دينار فاجاب الله دعوتها وفرج فى الحين كربتها انتهي والسنا مقصورا الضوء وبالمد المجد والباء فى قوله بالابصار يحتمل ان تكون زائدة * وقوله سبحانه والله خلق كل دابة من ماء الآية ءاية اعتبار والدابة كل مادب من جميع الحيوان وقوله من ماء قال الجمهور يعنى ان خلقة كل حيوان فيها ماء كما خلق آدم من الماء والطين وقال النقاش اراد مني الذكور والمشي على البطن للحيات والحوت والدود وغيره وعلى رجلين للانسان والطير اذا مشى وعلى اربع لسائر الحيوان وفى مصحف ابي بن كعب ومنهم من يمشى على اكثر فعمم بهذه الزيادة جميع الحيوان * وقوله تعالى لقد انزلنا آيات مبينات يعم كل ما نصب الله تعالى من آية * وقوله تعالى ويقولون يعنى المنافقين روي ان رجلا من المنافقين اسمه بشر دعاه يهودي الى التحاكم عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان المنافق مبطلا فابى ودعا اليهودي الى كعب بن الاشرف فنزلت هذه الآية فيه والحيف الميل * وقوله سبحانه انما كان قول المومنين الآية المعنى انما كان الواجب ان يقوله المومنون اذا دعوا الى حكم الله ورسوله سمعنا واطعنا * وقوله سبحانه ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون قال الغزالي فى المنهاج التقوى فى القرءان تطلق على ثلاثة اشياء احدها بمعنى الخشية والهيبة قال الله عز وجل واياي فاتقون وقال سبحانه واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والثاني بمعنى الطاعة والعبادة قال تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس اطيعوا الله حق طاعته وقال مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب وهذه هي الحقيقة فى التقوى دون الاوليين الاترى ان الله تعالى يقول ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم

ذكر التقوى فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي تنزيه القلب عن الذنوب انتهى * وقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم الآية جهد اليمين بلوغ الغاية فى تعقيدها وليخرجن معناه الى الغزو وهذه فى المنافقين الذين تولوا حين دعوا الى الله ورسوله * وقوله تعالى قل لا تقسموا طاعة معروفة يحتمل معاني احدها النهي عن القسم الكاذب اذ قد عرف ان طاعتهم دغلة فكانه يقول لا تغالطوا فقد عرف ما انتم عليه والثانى ان المعنى لا تتكلفوا القسم فطاعة معروفة على قدر الاستطاعة امثل واجدر بكم وفى هذا التاويل ابقاء عليهم وقيل غير هذا * وقوله تولوا معناه تتولوا والذى حمل النبي صلى الله عليه وسلم هو التبليغ والذى حمل الناس هو السمع والطاعة واتباع الحق وباقى الآية بين * وقوله تعالى وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية عامة لامة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى ان يملكهم الله البلاد كما هو الواقع فسبحانه ما اصدق وعده وقال الضحاك فى كتاب النقاش هذه الآية تتضمن خلافة ابى بكر وعمر وعثمان وعلي والصحيح فى الآية انها فى استخلاف الجمهور واللام فى ليستخلفنهم لام القسم * وقوله يعبدوننى فعل مستانف اي هم يعبدوننى * وقوله ومن كفر يحتمل ان يريد كفر هذه النعم ويحتمل الكفر المخرج عن الملة عياذا بالله من سخطه وباقى الآية بين مما تقدم فى غيرها * وقوله تعالى يايها الذين ءامنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم قيل الذين ملكت ايمانهم الرجال والنساء ورجحه الطبري وقيل الرجال خاصة وقيل النساء خاصة ومعنى الآية عند جماعة من العلماء ان الله تعالى ادب عباده بان يكون العبيد والاطفال الذين عقلوا معاني الكشفة ونحوها يستاذنون على اهليهم فى هذه الاوقات الثلاث وهي الاوقات التى تقتضى عادة الناس الانكشاف فيها وملازمة التعرى فى المضاجع وهي عند الصباح وفى وقت

القائلة وهي الظهيرة لان النهار يظهر فيها اذا علا واشتد حره وبعد العشاء لانه وقت التعرى للنوم واما فى غير هذه الاوقات فالعرف من الناس التحرز والتحفظ فلا حرج فى دخول هذه الصنيفة بغير اذن اذ هم طوافون يمضون ويجيئون لا يجد الناس بدا من ذلك * وقوله بعضكم على بعض بدل من قوله طوافون وثلاث مرات نصب على الظرف لانهم لم يوموا بالاستيذان ثلاثا وانما امروا بالاستيذان فى ثلاث مواطن فالظرفية فى ثلاث بينة * وقوله سبحانه كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم بين للمتأمل * وقوله سبحانه واذا بلغ الاطفال منكم الحلم الآية امر تعالى فى هذه الآية ان يكونوا اذا بلغوا الحلم على حكم الرجال فى الاستيذان فى كل وقت وهذا بيان من الله عز وجل * وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم ءاياته والله عليم حكيم بين لا يحتاج الى تفسير * والقواعد من النساء هن اللواتى قد اسنن وقعدن عن الولد واحدتهن قاعد وقال ربيعة هي هنا التى تستقذر من كبرها قال غيره وقد تقعد المرأة عن الولد وفيها مستمتع ولما كان الغالب من النساء ان ذوات هذا السن لا مذهب للرجال فيهن ابيح لهن ما لم يبح لغيرهن وقرأ ابن مسعود وابي ان يضعن من ثيابهن والعرب تقول امرأة واضع للتى كبرت فوضعت خمارها ثم استثنى عليهن فى وضع الثياب ان لا يقصدن به التبرج وابداء الزينة فرب عجوز يبدو منها الحرص على ان يظهر لها جمال والتبرج طلب البدو والظهور للعين ومنه بروج مشيدة والذى ابيح وضعه لهن الجلباب الذى فوق الخمار والرداء قاله ابن مسعود وغيره ثم ذكر تعالى ان تحفظ الجميع منهن واستعفافهن عن وضع الثياب والتزامهن ما يلتزم الشواب من الستر افضل لهن وخير * وقوله تعالى والله سميع عليم اي سميع لما يقول كل قائل وقائلة عليم بمقصد كل احد وفى هاتين الصفتين توعد وتحذير * وقوله تعالى ليس على

الاعمى حرج الى قوله كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ظاهر الآية وامر الشريعة ان الحرج عنهم مرفوع فى كل مايضطرهم اليه العذر وتقتضى نيتهم الاتيان به بالاكمل ويقتضى العذر ان يقع منهم الانقص فالحرج مرفوع عنهم فى هذا وللناس اقوال فى الآية وتخصيصات يطول ذكرها وذكر الله تعالى بيوت القرابات وسقط منها بيوت الابناء فقال المفسرون ذلك لانها داخلة فى قوله من بيوتكم لان بيت ابن الرجل بيته * وقوله تعالى اوما ملكتم مفاتحه يريد ما خزنتم وصار فى قبضتكم فمعظمه ما ملكه الرجل فى بيته وتحت غلقه وهو تاويل الضحاك ومجاهد وعند جمهور المفسرين يدخل فى الآية الوكلاء والعبيد والاجراء بالمعروف وقرأ ابن جبير ملكتم مفاتيحه مبنيا للمفعول وزيادة ياء بين التاء والحاء وقرن تعالى فى هذه الآية الصديق بالقرابة المحضة الوكيدة لان قرب المودة لصيق قال معمر قلت لقتادة الا اشرب من هذا الجب قال انت لى صديق فما هذا الاستيذان قال ابن عباس فى كتاب النقاش الصديق اوكد من القرابة الاترى استغاثة الجهنميين فما لنا من شافعين ولا صديق حميم * وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا رد لمذهب جماعة من العرب كانت لا تاكل افذاذا البتة نحت به نحو كرم الخلق فافرطت فى الزامه وان احضار الاكيل لحسن ولكن بان لا يحرم الانفراد قال البخاري اشتاتا وشتى واحد انتهى وقال بعض اهل العلم هذه الآية منسوخة بقوله عليه السلام ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الحديث وبقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الآية وبقوله عليه السلام من حديث ابن عمر لا يحلبن احدكم ماشية احد الا باذنه الحديث (ت) والحق ان لا نسخ فى شيء مما ذكر وسياتى مزيد بيان لهذا المعنى * وقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا قال النخعي اراد المساجد والمعنى سلموا على من فيها

فان لم يكن فيها احد فالسلام ان يقول السلام على رسول الله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال ابن عباس وغيره المراد البيوت المسكونة اي سلموا على من فيها قالوا ويدخل فى ذلك غير المسكونة ويسلم المرء فيها على نفسه بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (ت) وفى سلاح المومن وعن ابن عباس فى قوله عز وجل فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال هو المسجد اذا دخلته فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين يعنى البخاري ومسلما انتهى وهذا هو الصحيح عن ابن عباس وفهم النووي ان الآية فى البيوت المسكونة قال ففى الترمذي عن انس قال قال لى النبي صلى الله عليه وسلم يابني اذا دخلت على اهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى اهل بيتك قال الترمذي حديث حسن صحيح وفى ابى داود عن ابى امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل رجل خرج غازيا فى سبيل الله عز وجل فهو ضامن على الله تعالى حتى يتوفاه فيدخله الجنة او يرده بما نال من اجر اوغنيمة ورجل راح الى المسجد فهو ضامن على الله تعالى حتى يتوفاه فيدخله الجنة او يرده بما نال من اجر وغنيمة ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله تعالى حديث حسن رواه ابو داود باسناد حسن ورواه آخرون والضمان الرعاية للشيء والمعنى انه فى رعاية الله عز وجل انتهى وقوله تعالى تحية من عند الله مباركة وصفها تعالى بالبركة لان فيها الدعاء واستجلاب مودة المسلم عليه (ت) وقد ذكرنا فى سورة النساء ماورد فى المصافحة من رواية ابن السني قال النووي وروينا فى سنن ابى داود والترمذي وابن ماجه عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الاغفر لهما قبل ان يفترقا انتهى والكاف من قوله كذلك كاف تشبيه وذلك اشارة الى هذه السنن وقال ايضا بعض الناس فى

هذه الآية انها منسوخة بـئاية الاستيذان المتقدمة قال (ع) والنسخ لايتصور فى شيء من هذه الآيات بل هي كلها محكمة اما قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل فـفى التعدى والخدع ونحوه واما هـذه الآيـة ففى اباحة طعام هـذه الاصناف التى يسرها استباحة طعامها على هـذه الصفةواما ءايـة الاذن فعـلة ايجاب الاستيذان خوف الكشفة فاذا استاذن المرء ودخل المنزل بالوجه المباح صح له بعد ذلك اكل الطعام بهذه الاباحة وليس يكون فى الآية نسخ فتأمله * وقوله تعالى انما المومنون الذين ءامنوا بالله ورسـوله الآية انما هنا للحصر والامر الجامع يراد به مـا للامام حاجـة الى جمع الناس فيه لمصلحة فالادب اللازم فى ذلك ان لا يـذهـب احد لعذر الاباذنـه والامـام الذى يترقب اذنـه هو امـام الامارة وروي ان هذه الآية نزلت فى وقت حفر النبي صلى الله عليـه وسـلم خندق المدينة فـكان المومنون يستاذنون والمنافـقون يذهبون دون اذن ثم امر تعالى نبيه عليه السلام بالاستغفار لصنفي المومنين من اذن له ومن لم يوذن له وفى ذلك تانيس للمومنين ورأفة بهم * وقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسـول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي لا تخاطبوه كمخاطبة بعضكم لبعض وامرهم تعالى فى هـذه الآية وفى غيرها ان يدعوا رسول الله باشرف اسمائـه وذلك هو مقتضى التوقير فالادب فى الدعاء ان يقول يارسول الله ويكون ذلك بتوقير وبر وخفض صوت قاله مجاهد واللواذ الروغان ثم امرهم تعالى بالحذر من عـذاب الله ونقمتـه اذا خالفوا امره ومعنى يخالفون عن امره اي يقع خلافهم بعد امره ثم اخبر تعالى انه قد علم ما اهل الارض والسماء عليه وباقى الآية بين والحمد لله

تفسير سورة الفرقان وهي مكية في قول الجمهور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى تبارك هو مطاوع بارك من البركة وبارك فاعل من واحد ومعناه زاد وتبارك فعل مختص بالله تعالى لم يستعمل فى غيره وهو صفة فعل اي كثرت بركاته ومن جملتها انزال كتابه الذى هو الفرقان بين الحق والباطل والضمير فى قوله ليكون قال ابن زيد هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو عبده المذكور ويحتمل ان يكون للفرقان * وقوله وخلق كل شيء عام فى كل مخلوق ثم عقب تعالى بالطعن على قريش فى اتخاذهم ءالهة ليست لها صفات الالوهية والنشور بعث الناس من القبور * وقال الذين كفروا يعنى قريشا ان هذا الا افك افتراه محمد واعانه عليه قوم آخرون تقدمت الاشارة الى ذلك فى سورة النحل ثم اكذبهم الله تعالى واخبر انهم ماجاءوا الا اثما وزورا اي ما قالوا الا باطلا وبهتانا قال البخاري تملى عليه تقرأ عليه من امليت وامللت انتهى ثم امر تعالى نبيه عليه السلام ان يقول ان الذى انزله هو الذى يعلم سر جميع الاشياء التى فى السموات والارض وعبارة الشيخ العارف بالله سيدى عبد الله بن ابى جمرة رضي الله عنه ولما كان المراد منا بمقتضى الحكمة الربانية العبادة ودوامها ولذلك خلقنا كما ذكر مولانا سبحانه فى الآية الكريمة يعنى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الآية وهو عز وجل غني عن عبادتنا وعن كل شيء لكن الحكمة اقتضته لامر لايعلمه

الاهو كما قال الله عز وجل الذى يعلم السر فى السموات والارض اي الذى يعلم الحكمـة فى خلقها وكذلك فى خلقنا وخلق جميع المخلوقات انتهى * وقالوا مـال هذا الرسول يأكل الطعـام الآية المعنى عندهم ان من كان رسولا فهـو مستغن عن الاكل والمشي فى الاسـواق ومحاجتهم بهذا مذكـورة فى السير ثم اخبر تعالى عن كفار قريش وهم الظالمون المشـار اليهم انهم قالوا ان تتبعـون الا رجلامسحورا اي قد سحر ثم نبه تعالى نبيه مسليا له عن مقالتهم فقال انظر كيف ضربوا لك الامثال الآية والقصور التى فى هذه الآية تأولها الثعلبي وغيره انها فى الدنيا والقصـور هي البيـوت المبنية بالجدرات لانها قصرت عن الداخلـين والمستـاذنين وباقى الآية بين والضمير فى رأتهم لجهنم * وقوله سبحانه قـل اذلك خيرام جنـة الخلد المعنى قل يامحمد لهؤلاء الكفرة الصائرين الى هـذه الاحوال من النـار اذلك خيرام جنة الخلد وهذا استفهام على جهـة التوقيـف والتـوبيخ لان الموقـف جائز له ان يوقـف محاوره على ما شاء ليرى هل يجيبه بالصواب اوبالخطإ * وقوله تعالى ويوم نحشرهم يعنى الكفار وما يعبدون من دون الله يريد كل شيء عبـد من دون الله وقـرأ ابن عامر فنـقول بالنون قال جمهـور المفسرين والموقـف المجيب كل من ظلم بان عبد ممن يعقل كالملائكة وعيسى وعزير وغيرهم وقال الضحاك وعكرمة الموقـف المجيـب الاصنام التى لا تعقل يقدرهـا الله تعالى على هذه المقالة واجىء خزي الكفرة لذلك ابلغ وقرأ الجمهور نتخـذ بفـتح النون وذهبوا بالمعنى الى انه من قول من يعقل وان هذه الآية بمعنى التى فى سورة سبإ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة الآية وكقول عيسى ماقلت لهم الاما امرتنى به وقولهم حتى نسوا الذكر اي ما ذكـر به الناس على السنـة الانبياء عليهم السلام وقرأ زيد بن ثابت وجماعة نتخذ بضم النون * وقوله تعالى فقد كذبوكم الآية خطاب من الله تعالى للكفرة اخبرهم ان معبوداتهم

كذبتهم وفى هذا الاخبار خزي وتوبيخ لهم وقرأ حفص عن عاصم فما تستطيعون بالتاء من فوق قال مجاهد الضمير فى يستطيعون هو للمشركين وصرفا معناه رد التكذيب اوالعذاب * وقوله تعالى ومن يظلم منكم قيل هو خطاب للكفار وقيل للمومنين والظلم هنا الشرك قاله الحسن وغيره وقد يحتمل ان يعم غيره من المعاصى وفى حرف ابي ومن يكذب منكم نذقه عذابا كبيرا * وقوله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الآية رد على قريش فى قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق ثم اخبر عز وجل ان السبب فى ذلك انه جعل بعض عبيده فتنة لبعض على العموم فى جميع الناس مومن وكافر والتوقيف باتبصرون خاص بالمومنين المحققين قال ابن العربي فى الاحكام ولما كثر الباطل فى الاسواق وظهرت فيه المناكر كره علماؤنا دخولها لارباب الفضل والمقتدى بهم فى الدين تنزيها لهم عن البقاع التى يعصى الله تعالى فيها انتهى ثم اعرب قوله تعالى وكان ربك بصيرا عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة رواه الترمذي وابن ماجه وهذا لفظ الترمذي وزاد فى رواية اخرى وبنى له بيتا فى الجنة ورواه الحاكم فى المستدرك من عدة طرق انتهى من السلاح * وقوله تعالى وقال الذين لايرجون لقاءنا الآية الرجاء هنا على بابه وقيل هو بمعنى الخوف ولما تمنت كفار قريش رؤية ربهم اخبر تعالى عنهم انهم عظموا انفسهم وسألوا ماليسوا له باهل (ص) لقد جواب قسم محذوف انتهى والضمير فى قوله ويقولون قال مجاهد وغيره هو للملائكة والمعنى يقول الملائكة للمجرمين حجرا محجورا عليكم البشرى اي حراما محرما والحجر الحرام

وقال مجاهد ايضا وابن جريج الضمير للكافرين المجرمين قال ابن جريج كانت العرب اذا كرهوا شيأ قالوا حجرا قال مجاهد حجرا عوذا يستعيذون من الملائكة قال (ع) ويحتمل ان يكون المعنى ويقولون حرام محرم علينا العفو وقد ذكر ابوعبيدة ان هاتين اللفظتين عوذة للعرب يقولها من خاف ءاخر فى الحرم او فى شهر حرام اذا لقيه وبينهما ترة قال الداودي وعن مجاهد وقدمنا اي عمدنا انتهى قال (ع) وقدمنا اي قصد حكمنا وانفاذنا ونحوهذا من الالفاظ اللائقة ومعنى الآية وقصدنا الى اعمالهم التى لا ترن شيأ فصيرناها هباء اي شيأ لاتحصيل له والهباء ما يتطاير فى الهواء من الاجزاء الد قيقة ولايكاد يرى الا فى الشمس قاله ابن عباس وغيره ومعنى هذه الآية جعلنا اعمالهم لاحكم لها ولا منزلة ووصف تعالى الهباء فى هذه الآية بمنثور ووصفه فى غيرها بمنبث فقالت فرقة هما سواء وقالت فرقة المنبث ارق وادق من المنثور لان المنشور يقتضى ان غيره نثره والمنبث كانه انبث من دقته * وقوله تعالى واحسن مقيلا ذهب ابن عباس والنخعي وابن جريج الى ان حساب الخلق يكمل فى وقت ارتفاع النهار ويقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار فالمقيل القائلة قال (ع) ويحتمل ان اللفظة انما تضمنت تفضيل الجنة جملة وحسن هوائها فالعرب تفضل البلاد بحسن المقيل لان وقت القائلة يبدى فساد هواء البلاد فاذا كان بلد فى وقت فساد الهواء حسنا حاز الفضل وعلى ذلك شواهد * ويوم تشقق السماء يريد يوم القيامة (ص) بالغمام الباء للحال اي متغيمة او للسبب او بمعنى عن انتهى وفى قوله تعالى وكان يوما على الكافرين عسيرا دليل على انه سهل على المومنين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليهون يوم القيامة على المومن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا وعض اليدين هو فعل النادم قال ابن عباس وجماعة من المفسرين الظالم فى هذه الآية

عقبة بن ابى معيط وذلك انه كان اسلم اوجنح الى الاسلام وكان ابي بن خلف الذى قتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد خليلا لعقبة فنهاه عن الاسلام فقبل نهيه فنزلت الآية فيهما فالظالم عقبة وفلانا ابي قال السهيلى وكنى سبحانه عن هذا الظالم ولم يصرح باسمه ليكون هذا الوعيد غير مخصوص به ولا مقصور عليه بل يتناول جميع من فعل مثل فعله انتهى وقال مجاهد وعيره الظالم عام اسم جنس وهذ هو الظاهر وان مقصد الآية تعظيم يوم القيامة وذكر هوله بانه يوم تندم فيه الظلمة وتتمنى انها لم تطع فى دنياها اخلاءها والسبيل المتمناة هي طريق الآخرة وفى هذه الآية لكل ذى نهية تنبيه على تجنب قرين السوء والاحاديث والحكم فى هذا الباب كثيرة مشهورة والذكر ما ذكر الانسان امر اخرته من قرءان او موعظة ونحوه * وكان الشيطان للانسان خذولا يحتمل ان يكون من قول الظالم ويحتمل ان يكون ابتداء اخبار من الله عز وجل على وجه التحذير من الشيطان الذى بلغهم ذلك المبلغ * وقوله تعالى وقال الرسول حكاية عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا وتشكيه ما يلقى من قومه هذا قول الجمهور وهو الظاهر وقالت فرقة هو حكاية عن قوله ذلك فى الآخرة ومهجورا يحتمل ان يريد مبعدا مقصيا من الهجر بفتح الهاء وهذا قول ابن زيد ويحتمل ان يريد مقولا فيه الهجر بضم الهاء اشارة الى قولهم شعر وكهانة ونحوه قاله مجاهد قال (ع) وقول ابن زيد منبه للمومن على ملازمة المصحف وان لايكون الغبار يعلوه فى البيوت ويشتغل بغيره وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من علق مصحفا ولم يتعاهده جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب هذ اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وفى حلية النووي قال وروينا فى سنن ابى داود ومسند الدارمي عن سعد بن عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ القرءان ثم نسيه لقى الله تعالى يوم

القيامة اجذم وروينا فى كتاب ابى داود والترمذي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي اجور امتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب امتي فلم ار ذنبا اعظم من سورة من القرءان او ءاية اوتيها رجل ثم نسيها تكلم الترمذي فيه انتهى ثم سلاه تعالى عن فعل قومه بقوله وكذلك جعلنا لكل نبيء عدوا من المجرمين اي فاصبر كما صبروا قاله ابن عباس ثم وعد تعالى بقوله وكفى بربك هاديا ونصيرا والباء فى بربك للتاكيد دالة على الامر اذ المعنى اكتف بربك * وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرءان جملة واحدة قال ابن عباس وغيره قالوا فى بعض معارضاتهم لوكان من عند الله لنزل جملة كالتوراة والانجيل * وقوله كذلك يحتمل ان يكون من قول الكفار اشارة الى التوراة والانجيل ويحتمل ان يكون من الكلام المستانف وهو اولى ومعناه كانزل اردناه فالاشارة الى نزوله متفرقا والترتيل التفريق بين الشيء المتتابع ومنه ترتيل القرءان وجعل الله تعالى السبب فى نزوله متفرقا تثبيت قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان ينزله فى النوازل والحوادث التى قد قدرها وقدر نزوله فيها وان هؤلاء الكفرة لايجيئون بمثل يضربونه على جهة المعارضة منهم الاجاء القرءان بالحق فى ذلك والجلية ثم هو احسن تفسيرا وافصح بيانا وباقي الآية بين تقدم تفسير نظيره والجمهور ان هذا المشي على الوجوه حقيقة وقدجاء كذلك فى الحديث وقد تقدم ولفظ البخاري عن انس ان رجلا قال يا نبي الله ايحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال اليس الذى امشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة بلى وعزة ربنا انتهى * وقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب الآيات تنبيه لكفار قريش وتوعد ان يحل بهم ماحل بهؤلاء المعذبين قال قتادة اصحاب الرس واصحاب الايكة قومان ارسل اليهما شعيب وقاله وهب بن منبه وقيل غير هذا *

وقوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا ابهام لايعلم حقيقته الا الله عز وجل والتبار الهلاك والقرية التى امطرت مطر السوء هي سذوم مدينة قوم لوط ومالم نذكر تفسيره قد تقدم بيانه للفاهم المتيقظ ثم ذكر سبحانه انهم اذا رأوا محمدا عليه السلام قالوا على جهة الاستهزاء اهذا الذى بعث الله رسولا قال (ص) ان يتخذونك ان نافية جواب اذا انتهى ثم انس الله تعالى نبيه بقوله ارأيت من اتخذ الهه هواه الآية المعنى لاتتأسف عليهم ومعنى اتخذ الهه هواه اي جعل هواه مطاعا فصار كالاله ان هم الا كالانعام اي بل هم كالانعام (ت) وعبارة الواحدي انهم اي ماهم الا كالانعام انتهى * وقوله سبحانه الم تر الى ربك كيف مد الظل الآية مد الظل باطلاق هو مابين اول الاسفار الى بزوغ الشمس ومن بعد مغيبها ايضا وقتا يسيرا فان فى هذين الوقتين على الارض كلها ظلا ممدودا * ولوشاء لجعله ساكنا اي ثابتا غير متحرك ولامنسوخ لكنه جعل الشمس ونسخها اياه وطردها له من موضع الى موضع دليلا عليه مبينا لوجوده ولوجه العبرة فيه وحكى الطبري انه لولا الشمس لم يعلم ان الظل شيء اذ الاشياء انما تعرف باضدادها * وقوله تعالى قبضا يسيرا يحتمل ان يريد لطيفا اي شيأ بعد شيء لافى مرة واحدة قال الداودي قال الضحاك قبضا يسيرا يعنى الظل اذا علته الشمس انتهى قال الطبري ووصف الليل باللباس من حيث يستر الاشياء ويغشاها والسبات ضرب من الاغماء يعترى اليقظان مرضا فشبه النوم به والنشور هنا الاحياء شبه اليقظة به ويحتمل ان يريد بالنشور وقت انتشار وتفرق واناسي قيل هو جمع انسان والياء المشددة بدل من النون فى الواحد قاله سيبويه وقال المبرد هو جمع انسي والضمير فى صرفناه عائد على القرءان وان لم يتقدم له ذكر ويعضد ذلك قوله وجاهدهم به جهادا كبيرا * وقوله تعالى وهوالذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج مرج معناه خلط

قال (ع) والذى اقول به فى معنى هذه الآية ان المقصود بها التنبيه على قدرة الله تعالى فى ان بث فى الارض مياها عذبة كثيرة جعلها خلال الاجاج وجعل الاجاج خلالها كما هو مري تجد البحر قد اكتنفته المياه العذبة فى ضفته وتجد الماء العذب فى الجزائر ونحوها قد اكتنفه الماء الاجاج وكل باق على حاله ومطعمه فالبحران يراد بهما جميع الماء العذب وجميع الماء الاجاج والبرزخ والحجر هو ما بين البحرين من الارض واليبس قاله الحسن والفرات الصافى اللذيذ المطعم والاجاج ابلغ ما يكون من الملوحة * وقوله تعالى وهو الذى خلق من الماء بشرا الآية تعديد نعم على الناس والنسب هو ان يجتمع انسان مع ءاخر فى اب اوام والصهر هو تواشج المناكحة فقرابة الزوجة هم الاختان وقرابة الزوج هم الاحماء والاصهار يقع عاما لذلك كله * وقوله تعالى وكان الكافر على ربه ظهيرا اي معينا يعينون على ربهم غيرهم من الكفرة بطاعتهم للشيطان وهذا تاويل مجاهد وغيره والكافر هنا اسم جنس وقال ابن عباس هو ابو جهل قال (ع) فيشبه ان ابا جهل هو سبب الآية ولكن اللفظ عام للجنس كله (ت) والمعنى على دين ربه ظهيرا * وقوله تعالى الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا الظاهر فيه انه استثناء منقطع والمعنى لكن مسئولى ومطلوبى من شاء ان يهتدي ويومن ويتخذ الى رحمة ربه طريق نجاة * وقوله سبحانه وتوكل على الحي الذى لايموت قال القشيري فى التحبير واذا علم العبد ان مولاه حي لايموت صح توكله عليه قال تعالى وتوكل على الحي الذى لايموت قيل ان رجلا كتب الى ءاخر ان صديقى فلانا قد مات فمن كثرة ما بكيت عليه ذهب بصرى فكتب اليه الذنب لك حين احببت الحي الذى يموت فهلا احببت الحي الذى لايموت حتى لاتحتاج الى البكاء عليه انتهى وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كربنى امر الاتمثل لى جبريل عليه السلام فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذى لا

يموت والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح * وقوله تعالى وسبح بحمده اي قل سبحان الله وبحمده اي تنزيهه واجب وبحمده اقول وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قال فى كل يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت له ذنوبه ولوكانت مثل زبد البحر فهذا معنى قوله وسبح بحمده وهي احدى الكلمتين الخفيفتين على اللسان الثقيلتين فى الميزان الحديث فى البخاري وغيره (ت) وعن جويرية رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي فى مسجدها ثم رجع بعد ان اضحى وهي جالسة فقال مازلت على الحال التى فارقتك عليها قالت نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لووزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشة ومداد كلماته رواه الجماعة الا البخاري زاد النسائي فى آخره والحمد لله كذلك وفى رواية له سبحان الله وبحمده ولا اله الا الله والله اكبر عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته انتهى من السلاح * وقوله سبحانه وكفى به بذنوب عباده خبيرا وعيدبين * وقوله تعالى الرحمن يحتمل ان يكون رفعه باضمار مبتدإ اي هو الرحمن ويحتمل ان يكون بدلا من الضمير فى قوله استوى * وقوله فسئل به خبيرا فيه تاويلان احدهما فسئل عنه خبيرا والمعنى اسئل جبريل والعلماء واهل الكتاب والثانى ان يكون المعنى كماتقول لو لقيت فلانا لقيت به البحر كرما اي لقيت منه والمعنى فسئل الله عن كل امر وقال عياض فى الشفا قال القاضى ابو بكر بن العلاء المامور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم انتهى قال ابو حيان والظاهر تعلق به فسئل وبقاء الباء على بابها

وخبيرا من صفاتـه تعالى نحو لقيت بزيد اسدا اي انه الاسد شجاعـة والمعنى فسئل الله الخبير بالاشياء انتهى * واذا قيـل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن يعني ان كفار قريش قالوا مانعرف الرحمن الا رحمن اليمامـة وهو مسيلمـة الكذاب وكان مسيلمـة تسمى بالرحمـن * انسجد لما تامرنا وزادهم هـذا اللفـظ نفورا والبروج هي التى علمتهـا العرب وهي المشهورة عنـد اللغويين واهل تعـديل الاوقات وكل برج منها على منزلتين وثلث من منازل القمر التى ذكرها الله تعالى فى قوله والقمر قدرناه منازل * وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة اي هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا قال مجاهد وغيره لمن اراد ان يذكر اي يعتبر بالمصنوعات ويشكر الله تعالى على ٠الائـه وقال عمر وابن عباس والحسن معناه لمن اراد ان يذكر ما فاته من الخير والصلاة ونحوه فى احدهما فيستدركه فى الذى يليه وقرأ حمزة وحده يذكر بسكون الذال وضم الكاف ثم لما قال تعالى لمن راد ان يذكر او اراد شكورا جاء بصفات عباده الذين هم اهل التذكر والشكور* وقوله الذين يمشون خبر مبتدإ والمعنى وعباده حـق عباده هـم الذين يمشون * وقوله يمشون على الارض عبارة عـن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم وهونا بمعنى ان امرهـم كله هين اي لـين حسـن قال مجاهـد بالحلم والوقار وقال ابن عباس بالطاعـة والعفاف والتـواضـع وقال الحسـن حلماء ان جهـل عليهم لم يجهلوا قال الثعلبي قال الحسـن يمشون حلماء علماء مثـل الانبياء لايوذون الذر فى سكون وتواضع وخشوع وهو ضد المختال الفخور الذى يختال فى مشيه اه قال عياض فى صفة نبـينا محمد صلى الله عليه وسلم يخطو تكفوًا ويمشى هونا كانما ينحط من صبب انتهى من الشفا قال ابو حيان هونا نعت لمصدر محذوف اي مشيا هـونا اوحال اي هينين انتهى وروى الترمذي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بمن يحرم على النار او بمن تحرم عليه النار على كل قريب هين

سهل قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى * واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما العامل فى سلاما قالوا والمعنى قالوا هذا اللفظ وقال مجاهد معنى سلاما قولا سدادا اي يقول للجاهل كلاما يدفعه به برفق ولين وهذه الآية كانت قبل ءاية السيف فنسخ منها ما يخص الكفرة وبقي ادبها فى المسلمين الى يوم القيامة قال صاحب الحكم الفارقية اذا نازعك انسان فلا تجبه فان الكلمة الاولى انثى واجابتها فحلها فان امسكت عنها بترتها وقطعت نسلها وان اجبتها القحتها فكم من نسل مذموم يتولد بينهما فى ساعة واحدة انتهى * والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما هذه ءاية فيها تحريض على قيام الليل بالصلاة قال الحسن لما فرغ من وصف نهارهم وصف فى هذه ليلهم وغراما معناه ملازما ثقيلا ومقاما من الاقامة وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم ادخله الجنة ومن استجار من النار مرات قالت النار اللهم اجره من النار رواه ابو داود والنساءي وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه بلفظ واحد وراوه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح * وقوله سبحانه والذين اذا انفقوا لم يسرفوا الآية عبارة اكثر المفسرين ان الذى لايسرف هو المنفق فى الطاعة وان افرط والمسرف هو المنفق فى المعصية وان قل انفاقه وان المقتر هو الذى يمنع حقا عليه وهذا قول ابن عباس وغيره والوجه ان يقال ان النفقة فى المعصية امر قد حظرت الشريعة قليله وكثيره وهؤلاء الموصوفون منزهون عن ذلك وانما التاديب بهذه الآية هو فى نفقة الطاعات والمباحات فادب الشريعة فيها ان لايفرط الانسان حتى يضيع حقا آخر اوعيالا ونحو هذا وان لايضيق ايضا ويقتر حتى يجيع العيال ويفرط فى الشح والحسن فى ذلك هو القوام اي المعتدل والقوام فى كل واحد بحسب عياله وحاله وخير الامور اوساطها ولهذا ترك النبي صلى الله عليه وسلم ابابكر

الصديق يتصدق بجميع ماله لان ذلك وسط بنسبة جلده وصبره فى الدين ومنع غيره من ذلك وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة ما نفقتك فقال له عمر الحسنة بين السيئتين ثم تلا الآية وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كفى بالمرء سرفا ان لا يشتهي شيأ الا اشتراه فاكله وقواما خبر كان واسمها مقدر اي الانفاق * والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية فى نحو هذه الآية قال ابن مسعود قلت يوما يارسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية والاثام فى كلام العرب العقاب وبه فسر ابن زيد وقتادة هذه الآية قال (ع) يضاعف بالجزم بدل من يلق قال سيبويه مضاعفة العذاب هو لقي الاثام * وقوله تعالى الا من تاب لاخلاف بين العلماء ان الاستثناء عام فى الكافر والزانى واختلفوا فى القاتل وقد تقدم بيان ذلك فى سورة النساء * وقوله سبحانه فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اي بان يجعل اعمالهم بدل معاصيهم الاولى طاعة قاله ابن عباس وغيره ويحتمل ان يكون ذلك فى يوم القيامة يجعل بدل السيئات الحسنات تكرما منه سبحانه وتعالى كما جاء فى صحيح مسلم وهو تاويل ابن المسيب (ص) والاولى ان يكون الاستثناء هنا منقطعا اي لكن من تاب وءامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات انتهى ثم اكد سبحانه امر التوبة ومدح المتاب فقال ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا كانه قال فانه يجد بابا للفرج والمغفرة عظيما ثم استمرت الآيات فى صفة عباد الله المومنين بان نفى عنهم شهادة الزور ويشهدون فى هذا الموضع ظاهر معناها يشاهدون ويحضرون والزور كل باطل زور واعظمه الشرك وبه فسر الضحاك ومنه الغناء وبه فسر مجاهد وقال علي وغيره معناه لايشهدون بالزور فهي من

الشهادة لامن المشاهدة والمعنى الاول اعم واللغو كل سقط من فعل اوقول وقال الثعلبي اللغو كل ما ينبغي ان يطرح ويلغى انتهى وكراما معناه معرضين مستحيين يتجافون عن ذلك ويصبرون على الاذى فيه قال (ع) واذا مر المسلم بمنكر فكرمه ان يغيره وحدود التغيير معروفة * وقوله تعالى والذين اذا ذكروا بءايات ربهم يريد ذكروا بالقرءان امر ءاخرتهم ومعادهم * وقوله لم يخروا عليها صما وعميانا يحتمل تاويلين احدهما ان يكون المعنى لم يكن خرورهم بهذه الصفة بل يكونوا سجدا وبكيا وهذا كما تقول لم يخرج زيد الى الحرب جزعا اي انما خرج جريئا مقداما وكأن الذى يخر اصم اعمى هو المنافق او الشاك والتاويل الثانى ذهب اليه الطبري وهو ان يخروا صما وعميانا هي صفة للكفار وهي عبارة عن اعراضهم وقال الفراء لم يخروا اي لم يقيموا وهو نحو تاويل الطبري انتهى وقال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى والذين اذا ذكروا بءايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال علماؤنا يعنى الذين اذا قرءوا القرءان قرءوه بقلوبهم قراءة فهم وتثبيت ولم ينثروه نثر الدقل فان المرور عليه بغير فهم ولا تثبيت صمم وعمى انتهى وقرة العين من القر وهذا هو الاشهر لان دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن فلهذا يقال اقر الله عينك واسخن الله عين العدو وقرة العين فى الازواج والذرية ان يراهم الانسان مطيعين لله تعالى قاله ابن عباس والحسن وغيرهما وبين المقداد بن الاسود الوجه من ذلك بانه كان فى اول الاسلام يهتدى الاب والابن كافر او الزوج والزوجة كافرة فكانت قرة اعينهم فى ايمان احبابهم * واجعلنا للمتقين اماما اي اجعلنا يأتم بنا المتقون وذلك بان يكون الداعى متقيا قدوة وهذا هو قصد الداعى قال النخعي لم يطلبوا الرياسة بل ان يكونوا قدوة فى الدين وهذا حسن ان يطلب ويسعى له قال الثعلبي قال ابن عباس المعنى واجعلنا ائمة هدى انتهى وهو حسن لانهم طلبوا ان يجعلهم اهلا لذلك والغرفة

من منازل الجنة وهي الغرف فوق الغرف وهي اسم جنس كما قال

ولولا الحبة السمرا * لم نحلل بواديكم

(ت) واخرج ابو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد بن الشحامي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لغرفا ليس لها معاليق من فوقها ولاعماد من تحتها قيل يارسول الله وكيف يدخلها اهلها قال يدخلونها اشباه الطير قيل هي يارسول الله لمن قال هي لاهل الاسقام والاوجاع والبلوى انتهى من التذكرة وقرأ حمزة وغيره يلقون بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف * وقوله تعالى قل مايعبؤ بكم الآية مانافية وتحتمل التقرير ثم الآية تحتمل ان تكون خطابا لجميع الناس فكانه قال لقريش منهم ما يبالى الله بكم ولا ينظر اليكم لولا عبادتكم اياه ان لو كانت اذ ذلك الذى يعبأ بالبشر من اجله قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال النقاش وغيره المعنى لولا استغاثتكم اليه فى الشدائد وقرأ ابن الزبير وغيره فقد كذب الكافرون وهذا يؤيد ان الخطاب بما يعبأ هو لجميع الناس ثم يقول لقريش فانتم قد كذبتم ولم تعبدوه فسوف يكون العذاب اوالتكذيب الذى هو سبب العذاب لزاما ويحتمل ان يكون الخطاب بالآيتين لقريش خاصة وقال الداودي وعن ابن عيينة لولا دعاؤكم معناه لولا دعاؤكم اياه لتطيعوه انتهى قال ابن العربي فى احكامه زعم بعض الادباء ان لولا دعاؤكم معناه لولا سؤالكم اياه وطلبكم منه ورأى انه مصدر اضيف الى فاعل وليس كما زعم وانما هو مصدر اضيف الى مفعول والمعنى قل يامحمد للكفار لولا دعاؤكم ببعثة الرسول اليكم وتبيين الادلة لكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما ذكر هذا عند قوله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فى آخر سورة النور انتهى (ت) والحق ان الآية محتملة لجميع ماتقدم ومن ادعى التخصيص فعليه بالدليل والله اعلم ويعبأ مشتق من العبء وهو الثقل الذى يعبأ ويرتب كما

يعبأ الجيش قال الثعلبي قال ابو عبيدة يقال ماعبأت بـه شيأ اي لم اعده شيأ فوجوده وعدمه سواء انتهى وقال العراقي ما يعبأ اي ما يبالى انتهى واكثر الناس على ان اللزام المشار اليه هو يوم بدر وقالت فرقة هوتوعد بعذاب الآخرة وقال ابن عباس اللزام الموت وقال البخاري فسوف يكون لزاما اي هالكة انتهى

تفسير سورة الشعراء وهي مكية
كلها فى قول الجمهور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى طسم تلك ءايات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الايكونوا مومنين تقدم الكلام على الحروف التى فى اوائل السور والباخع القاتل والمهلك نفسه بالهم والخضوعُ للآية المنزلة اما لخوف هلاك كنتق الجبل على بنى اسراءيل واما لاجل الوضوح وبهر العقول بحيث يقع الاذعان لها والاعناق الجارحة المعلومة وذلك ان خضوع العنق والرقبة هو علامة الذلة والانقياد وقيل المراد بالاعناق جماعتهم يقال جاء عنق من الناس اي جماعة * وقوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقدكذبوا فسياتيهم انباء ماكانوا بـه يستهزءون اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم تقدم تفسير هذه الجملة فانظره فى محله وقوله تعالى فسياتيهم وعيد بعذاب الدنيا كبدر وغيرها ووعيد بعذاب الآخرة والزوج النوع والصنف والكريم الحسن المتقن قاله مجاهد وغيره * وقوله تعالى وماكان اكثرهم مومنين حتم

على اكثرهم بالكفر ثم توعد تعالى بقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم اي عزيز فى انتقامه من الكفار رحيم باوليائه المومنين * وقوله تعالى واذ نادى ربك موسى التقدير واذكر اذ نادى ربك موسى وسوق هذه القصة تمثيل لكفار قريش فى تكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله فارسل الى هارون معناه يعينني ولهم علي ذنب يعنى قتله القبطي * وقوله تعالى كلا ردا لقوله اني اخاف اي لاتخف ذلك وقول فرعون لموسى الم نربك فينا وليدا هو على جهة المن عليه والاحتقار اي ربيناك صغيرا ولم نقتلك فى جملة من قتلنا ولبثت فينا من عمرك سنين فمتى كان هذا الذى تدعيه ثم قرره على قتل القبطي بقوله وفعلت فعلتك والفعلة بفتح الفاء المرة وقوله وانت من الكافرين يريد وقتلت القبطي وانت فى قتلك اياه من الكافرين اذهو نفس لايحل قتلها قاله الضحاك اويريد وانت من الكافرين بنعمتي فى قتلك اياه قاله ابن زيد ويحتمل ان يريد وانت الآن من الكافرين بنعمتى وكان بين خروج موسى عليه السلام حين قتل القبطي وبين رجوعه نبيا الى فرعون احد عشر عاما غير اشهر * وقوله قال فعلتها اذا من كلام موسى والضمير فى قوله فعلتها لقتلة القبطي وقوله وانا من الضالين قال ابن زيد معناه من الجاهلين بان وكزتى اياه تاتى على نفسه وقال ابو عبيدة معناه من الناسين ونزع بقوله ان تضل احداهما وفى قراءة ابن مسعود وابن عباس وانا من الجاهلين ويشبه ان تكون هذه القراءة على جهة التفسير وحكما يريد النبوءة وحكمتها * وقوله وجعلني من المرسلين درجة ثانية للنبوءة فرب نبيء ليس برسول * وقوله وتلك نعمة تمنها علي الآية قال قتادة هذا من موسى على جهه الانكار على فرعون كانه يقول اويصح لك ان تعد علي نعمة ترك قتلي من اجل انك ظلمت بنى اسراءيل وقتلتهم اي ليست بنعمة لان الواجب كان الا تقتلني ولا تقتلهم ولا تستعبدهم وقرأ الضحاك وتلك نعمة

ما لك ان تمنها علي وهذه قراءة تؤيد هذا التاويل وقال الطبري والسدي هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة الاقرار بالنعمة كانه يقول نعم وتربيتك نعمة علي من حيث عبدت غيرى وتركتنى ولكن ذلك لايدفع رسالتى ولما لم يجد فرعون حجة رجع الى معارضة موسى فى قوله ومارب العالمين واستفهمه استفهاما فقال موسى هو رب السموات والارض الآية فقال فرعون عند ذلك الاتستمعون على معنى الاغراء والتعجب من شنعة المقالة اذكانت عقيدة القوم ان فرعون ربهم ومعبودهم والفراعنة قبله كذلك فزاده موسى فى البيان بقوله ربكم ورب ابائكم الاولين فقال فرعون حينئذ على جهة الاستخفاف ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون فزاده موسى فى بيان الصفات التى تظهر نقص فرعون وتبين انه فى غاية البعد عن القدرة عليها وهي ربوبية المشرق والمغرب ولم يكن لفرعون الاملك مصر ولما انقطع فرعون فى باب الحجة رجع الى الاستعلاء والتغلب فقال لموسى لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين وفى توعده بالسجن ضعف لانه خارت طباعه معه وكان فيما روي انه يفزع من موسى فزعا شديدا حتى كان لايمسك بوله وكان عند موسى من امر الله والتوكل عليه مالا يفزعه توعد فرعون فقال له موسى على جهة اللطف به والطمع فى ايمانه اولو جئتك بشيىء مبين يتضح لك معه صدقى فلما سمع فرعون ذلك طمع ان يجد اثناءه موضع معارضة فقال له فات به ان كنت من الصادقين فالقى موسى عصاه فاذاهي ثعبان مبين على ماتقدم بيانه ونزع يده من جيبه فاذا هي تتلألأ كانها قطعة من الشمس فلمارأى فرعون ذلك هاله ولم يكن له فيه مدفع غير انه فزع الى رميه بالسحر * وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره تقدم بيانه وكذلك قولهم وابعث فى المدائن حاشرين ياتوك بكل سحارعليم تقدم بيانه * وقوله تعالى قال نعم وانكم اذا

لمن المقربين يريد بتقريبهم الجاه الزائد على العطاء الذى طلبوه * وقوله تعالى فالقي السحرة ساجدين قالوا ءامنا برب العالمين رب موسى وهارون قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لاضيرانا الى ربنا منقلبون تقدم بيان هذه الجملة والحمد لله فانظره فى محله قال ابن العربي فى احكامه قال مالك دعا موسى فرعون اربعين سنة الى الاسلام وان السحرة ءامنوا فى يوم واحد انتهى وقولهم لا ضيراي لايضرنا ذلك مع انقلابنا الى مغفرة الله ورضوانه وقولهم ان كنا اول المومنين يريدون من القبط وصنيفتهم والا فقد كانت بنواسراءيل ءامنت والشرذمة الجمع القليل المحتقر وشرذمة كل شيء بقيته الخسيسة * وقوله لغائظون يريد بخلافهم الامر وباخذهم الاموال عارية وحذرون جمع حذر والضمير فى قوله فاخرجناهم عائد على القبط والجنات والعيون بجافتي النيل من اسوان الى رشيد قاله ابن عمر وغيره والمقام الكريم قال ابن لهيعة هو الفيوم وقيل هو النابر وقيل مجالس الامراء والحكام وقيل المساكن الحسان ومشرقين معناه عند شروق الشمس وقيل معناه نحو المشرق والطود هو الجبل وازلفنا معناه قربنا وقرأ ابن عباس وازلقنا بالقاف * واتل عليهم نبأ ابراهيم الآية هذه الآية تضمنت الاعلام بغيب والعكوف الزوم * وقوله فانهم عدو لي الارب العالمين قالت فرقة هو استثناء متصل لان فى الآباء الاقدمين من قد عبد الله تعالى وقالت فرقة هو استثناء منقطع لانه انما اراد عباد الاوثان من كل قرن منهم واسند ابراهيم عليه السلام المرض الى نفسه والشفاء الى ربه عزوجل وهذا حسن ادب فى العبارة والكل من عند الله واوقف عليه السلام نفسه على الطمع فى المغفرة وهذا دليل على شدة خوفه مع علو منزلته عند الله وروى الترمذي عن ابى هريرة قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا اوزار اخا له فى الله ناداه مناد ان طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى وفى صحيح مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عاد مريضا لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة قال جناها انتهى وعنه صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا لم يحضر اجله فقال عنده سبع مرات اسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك الاعافاه الله سبحانه خرجه ابوداود والترمذي والحاكم فى المستدرك على الصحيحين بالاسناد الصحيح انتهى من حلية النووي وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عاد مريضا لم يحضر اجله فقال عند رأسه سبع مرات اسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك الاعافاه الله من ذلك المرض رواه ابو داود واللفظ له والترمذي والنساءي والحاكم وابن حبان فى صحيحيهما بمعناه وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين يعنى البخاري ومسلما وفى رواية النساءي وابن حبان كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاد المريض جلس عند رأسه ثم قال فذكر مثله بمعناه انتهى من السلاح * وقوله خطيئتي ذهب اكثر المفسرين الى انه اراد كذباته الثلاث قوله هي اختى فى شأن سارة وقوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقالت فرقة اراد بالخطيئة اسم الجنس فدعا فى كل امره من غير تعيين قال (ع) وهذا اظهر عندى * وقوله رب هب لى حكما اي حكمة ونبوءة ودعاؤه فى مثل هذا هو فى معنى التثبيت والدوام ولسان الصدق هو الثناء الحسن واستغفاره لابيه فى هذه الآية هو قبل ان يتبين له انه عدو لله * وقوله بقلب سليم معناه خالص من الشرك والمعاصى وعلق الدنيا المتروكة وان كانت مباحة كالمال والبنين قال سفيان هو الذى يلقى ربه وليس فى قلبه شيئ غيره

قال (ع) وهذا يقتضي عموم اللفظة ولكن السليم من الشرك هو الاهم وقال الجنيد بقلب لديغ من خشية الله والسليم اللديغ (ص) الا من اتى الله الظاهرانه استثناء منقطع اي لكن من اتى الله بقلب سليم نفعته سلامة قلبه انتهى وازلفت معناه قربت والغاوون الذين برزت لهم الجحيم هم المشركون ثم اخبر سبحانه عن حال يوم القيامة من ان الاصنام تكبكب فى النار اي تلقى كبة واحدة وقال (ص) فكبكبوا اي قلب بعضهم على بعض وحروفه كلها اصول عند جمهور البصريين وذهب الزجاج وابن عطية وغيرهما الى انه مضاعف الباء من كب وقال غيرهما وجعل التكرير من اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى وذهب الكوفيون الى ان اصله كبب والكاف بدل من الباء الثانية انتهى والغاوون الكفرة الذين شملتهم الغواية وجنود ابليس نسله وكل من يتبعه لانهم جنده واعوان ثم وصف تعالى ان اهل النار يختصمون فيها ويتلاومون قائلين لاصنامهم تالله ان كنا لفى ضلال مبين فى ان نعبدكم ونجعلكم سواء مع الله الذى هو رب العالمين ثم عطفوا يردون الملامة على غيرهم اي ما اضلنا الا كبراؤنا واهل الجرم والجراءة ثم قالوا على جهة التلهف والتأسف حين رأوا شفاعة الملائكة والانبياء والعلماء نافعة فى اهل الايمان عموما وشفاعة الصديق فى صديقه خصوصا فما لنا من شافعين ولاصديق حميم والحميم الولي والقريب الذى يخصك امره وتخصه امرك وحامة الرجل خاصته وباقى الآية بين وقول نوح عليه السلام انى لكم رسول امين اي امين على وحي الله ورسالته (ص) قرأ الجمهور واتبعك والجملة حال اي وقد اتبعك ويعقوب واتباعك وعن اليماني واتباعك بالجر عطفا على الضمير فى لك انتهى والارذلون جمع الارذل ولايستعمل الامعرفا اومضافا اوبمن قال (ع) ويظهر من الآية ان مراد قوم نوح بنسبة الرذيلة الى المومنين تهجين افعالهم لاالنظر فى صنائعهم

وذهب اشراف قوم نوح فى استنقاصهم ضعفة المومنين مذهب كفار قريش فى شأن عمار بن ياسر وصهيب وبلال وغيرهم وقولهم من المرجومين يحتمل ان يريدوا بالحجارة اوبالقول والشتم وقوله افتح معناه احكم والفتاح القاضى بلغة يمانية والفلك السفينة والمشحون معناه المملوء وقول هود عليه السلام لقومه اتبنون هو على جهة التوبيخ والريع المرتفع من الارض وله فى كلام العرب شواهد وعبر المفسرون عن الريع بعبارات وجملة ذلك انه المكان المشرف وهو الذى يتنافس البشر فى مبانيه والآية البنيان قال ابن عباس ءاية علَم وقال مجاهد ابراج الحمام وقيل القصور الطوال والمصانع جمع مصنع وهوما صنع واتقن فى بنيانه من قصر مشيد ونحوه قال البخاري كل بناء مصنعة انتهى * وقوله لعلكم تخلدون اي كانكم تخلدون وكذا نقله البخاري عن ابن عباس غير مسند انتهى والبطش الاخذ بسرعة والجبار المتكبر ثم ذكرهم عليه السلام بأياد الله تعالى فيما منحهم وحذرهم من عذابه فكانت مراجعتهم ان سووا بين وعظه وتركه الوعظ وقرأ نافع وغيره خلق الاولين بضم اللام فالاشارة بهذا الى دينهم اي ماهذا الذى نحن عليه الاخلق الناس وعادتهم وقرأ ابن كثير وغيره خلق بسكون اللام فيحتمل المعنى ما هذا الذى تزعمه الااختلاق الاولين من الكذبة فانت على منهاجهم وروى علقمة عن ابن مسعود الااختلاق الاولين وقول صالح لقومه اتتركون فيما هاهنا تخويف لهم بمعنى اتطمعون ان تقروا فى النعم على معاصيكم والهضيم معناه اللين الرطب والطلع الكفرى وهو عنقود التمر قبل ان يخرج من الكم فى اول نباته فكان الاشارة الى ان طلعها يتم ويرطب قال ابن عباس اذا اينع و بلغ فهو هضيم وقال الزجاج هو فيما قيل الذى رطبه بغير نوى وقال الثعلبي قال ابن عباس هضيم لطيف ما دام فى كفراه انتهى وقرأ الجمهور تنحتون بكسر الحاء وفرهين من الفراهة وهي جودة منظر

الشيىء وخبرته وقوته * وقوله ولاتطيعوا امر المسرفين خاطب به جمهور قومه وعنى بالمسرفين كبراءهم واعلام الكفر والاضلال فيهم قالوا انما انت من المسحرين اي قدسحرت (ص) قرأ الجمهور شرب بكسر الشين اي نصيب وقرأ ابن ابى عبلة بضم الشين فيهما انتهى * وقوله تعالى كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط قال النقاش ان فى مصحف ابن مسعود وابي وحفصة اذ قال لهم لوط وسقط اخوهم * وقوله انى لعملكم من القالين القلى البغض فنجاه الله بان امره بالرحلة على ما تقدم فى قصصهم * وقوله تعالى كذب اصحاب ليكة المرسلين قرأ نافع وابن كثير وابن عامر اصحاب ليكة على وزن فعلة هنا وفى ص وقرأ الباقون الايكة وهي الدوحة الملتفة من الشجر على الاطلاق وقيل من شجر معروف له غضارة تالفه الحمام والقماري ونحوها وليكة اسم البلد فى قراءة من قرأ ذلك قاله بعض المفسرين وذهب قوم الى انها مسهلة من الايكة وانها وقعت فى المصحف هنا وفى ص بغير الف * وقوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين وكذلك ما بعده بلفظ الجمع من حيث ان تكذيب نبيىء واحد يستلزم تكذيب جميع الانبياء لانهم كلهم يدعون الخلق الى الايمان بالله تعالى واليوم الآخر وفى قول الانبياء عليهم السلام الاتتقون عرض رفيق وتلطف كما قال تعالى فقل هل لك الى ان تزكى والجبلة الخليقة والقرون الماضية والكسف القطع واحدها كسفة ويوم الظلة هو يوم عذابهم وصورته فيما روي ان الله امتحنهم بحر شديد وانشأ الله سحابة فى بعض قطرهم فجاء بعضهم الى ظلها فوجدلها بردا وروحا فتداعوا اليها حتى تكاملوا فاضطرمت عليهم نارا فاحرقتهم عن آخرهم وقيل غير هذا والحق انه عذاب جعله الله ظلة عليهم * وقوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين يعنى القرءان * وقوله بلسان عربي متعلق بنزل اي سمعه النبي صلى الله عليه وسلم

من جبريل حروفا عربية وهذا هو القول الصحيح وما سوى هذا فمردود * وقوله سبحانه وانه لفى زبرالاولين اي القرءان مذكور فى الكتب المنزلة القديمة منبه عليه مشار اليه او لم يكن لهم ءاية ان يعلمه علماء بني اسراءيل كعبد الله بن سلام ونحوه قاله ابن عباس ومجاهد قال مقاتل هذه الآية مدنية ومن قال ان الآية مكية ذهب الى ان علماء بني اسراءيل ذكروا لقريش ان فى التوراة صفة النبي الامي وان هذا زمانه فهذه الاشارة الى ذلك وذلك ان قريشا بعثت الى الاحبار يسئلونهم عن امر النبي صلى الله عليه وسلم ثم اخبر تعالى ان هذا القرءان لوسمعوه من اعجم اي من حيوان غير ناطق اومن جماد والاعجم كل مـا لايفصح ماكانوا يومنون والاعجمون جمع اعجم وهو الذى لايفصح وان كان عربي النسب وكذلك يقال للحيوانات والجمادات ومنه الحديث جـرح العجماء جبار والعجمي هوالذى نسبه فى العجم وان كان افصـح الناس وقـرأ الحسن الاعجميين قال ابوحاتم اراد جمع الاعجمي المنسوب الى العجم وقال الثعلبي معنى الآية ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان فقرأه عليهم بغيرلغة العرب لما ءامنوا به انفة من اتباعه انتهى * وقوله تعالى كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين قال (ع) وسلكناه معناه ادخلناه والضمير فيـه للكفر الذى يتضمنه قوله ماكانوا به مومنين قاله الحسن وقيل الضمير للتكذيب وقيل للقرءان ورجح بانه المتبادر الى الذهن والمجرمون اراد به مجرمى كل امة اي ان هذه عادة الله فيهم لايومنون حتى يروا العذاب فكفار قريـش كذلك وهل نحـن منظرون اي مؤخرون * وقوله سبحانـه افبعذابنا يستعجلون توبيـخ لقريـش على استعجالهم العذاب وقولهم للنبي صلى الله عليـه وسلم اسقط علينا كسفا من السماء وقولهم اين ما تعدنا ثم خاطب سبحانه نبيـه عليه السلام بقوله افرأيت ان متعناهم سنين قال عكرمـة سنين يريد عمر الدنيا ثم اخبر تعالى انه لم يهلك قريـة من القرى الابعد ارسال

من ينذرهم عذاب الله عز وجل ذكرى لهم وتبصرة * وقوله تعالى وماتنزلت به الشياطين الضمير فى بـه عائد على القرءان * وقوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون اي لان السماء محروسة بالشهب الجارية اثر الشياطين ثم وصى تعالى نبيه بالثبوت على التوحيد والمراد امته فقال فلا تجعل مع الله الها آخر الآيـة * وقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين الآيـة وفى صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال ارأيتم ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبـل اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديـد الحديث وخص بانذاره عشيرتـه لانهم مظنة الطواعية واذ يمكنه من الاغلاظ عليهم مالا يحتمله غيرهم ولان الانسان غيرمتهم على عشيرته والعشيرة قرابة الرجل وخفض الجناح استعارة معناه لـين الكلمة وبسط الوجـه والبر والضمير فى عصوك عائد على عشيرتـه ثم امر تعالى نبيـه عليـه السلام بالتوكل عليـه فى كل اموره ثم جاء بالصفات التى تونـس المتـوكل وهي العزة والرحمة * وقـوله الذى يراك حـين تقوم يراك عبـارة عن الادراك وظاهر الآية انه اراد قيام الصلاة ويحتمل سائر التصرفات وهو تاويـل مجاهد وقتادة * وقوله سبحانه وتقلبك فى الساجدين قال ابن عباس وغيره يريد اهل الصلاة اي صلاتك مع المصلين * وقوله تعالى قل هل أنبئكم اي قل لهم يامحمـد هل اخبركم على مـن تنزل الشياطين والافاك الكذاب والاثيم الكثير الاثم ويريد الكهنة لانهم كانوا يتلقون من الشياطين الكلمة الواحدة التى سمعت من السماء فيخلطون معها مائـة كذبة حسبما جاء فى الحديث وقـد ذكرناه فى غير هذا الموضع والضمير فى يلقون يحتمل ان يكون للشياطين ويحتمل ان يكون للكهنة ولما ذكر الكهنة بافكهم وحالهم التى تقتضى نفي كلامهم عن كلام

الله تعالى عتب ذلك بذكر الشعراء وحالهم لينبه على بعد كلامهم من كلام القرءان اذ قال بعض الكفرة فى القرءان انه شعر والمراد شعراء الجاهلية ويدخل فى الآية كل شاعر مخلط يهجو ويمدح شهوة ويقذف المحصنات ويقول الزور * وقوله الغاوون قال ابن عباس هم المستحسنون لاشعارهم المصاحبون لهم وقال عكرمة هم الرعاع الذين يتبعون الشاعر ويغتنمون انشاده * وقوله فى كل واد يهيمون عبارة عن تخليطهم وخوضهم فى كل فن من غث الكلام وباطله قاله ابن عباس وغيره وروى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مشى سبع خطوات فى شعر كتب من الغاوين ذكره اسد بن موسى وذكره النقاش * وقوله تعالى الا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات الآية هذا الاستثناء هو فى شعراء الاسلام كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكل من اتصف بهذه الصفة ويروى عن عطاء بن يسار وغيره ان هؤلاء شق عليهم ما ذكر قبل فى الشعراء فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ءاية الاستثناء بالمدينة * وقوله تعالى وذكروا الله كثيرا يحتمل ان يريد فى اشعارهم وهو تاويل ابن زيد ويحتمل ان ذلك خلق لهم وعبادة قاله ابن عباس فكل شاعر فى الاسلام يهجو ويمدح عن غير حق فهو داخل فى هذه الآية وكل تقي منهم يكثر من الزهد ويمسك عن كل ما يعاب فهو داخل فى الاستثناء (ت) قد كتبنا والحمد لله فى هذا المختصر جملة صالحة فى فضل الاذكار عسى الله ان ينفع به من وقع بيده ففى جامع الترمذي عن ابى سعيد الخدري قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي العباد افضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قلت ومن الغازى فى سبيل الله عز وجل قال لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله تعالى افضل منه وروى الترمذي وابن ماجه عن ابى الدرداء قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخيرلكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله تعالى قال الحاكم ابو عبد الله فى كتابه المستدرك على الصحيحين هذا حديث صحيح الاسناد انتهى من حلية النووي * وقوله وانتصروا من بعد ما ظلموا اشارة الى ما رد به حسان وعلي وغيرهما على قريش (ت) قيل وانصف بيت قالته العرب قول حسان لابى سفيان اولابى جهل

اتهجوه ولست له بكفو * فشركما لخيركما الفداء

وباقى الاية وعيد لظلمة كفار مكة وتهديد لهم

تفسير سورة النمل وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى طس تلك ءايات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمومنين تقدم القول فى الحروف المقطعة وعطف الكتاب على القرءان وهما لمسمى واحد من حيث هما صفتان لمعنيين فالقرءان لانه اجتمع والكتاب لانه يكتب واقامة الصلاة ادامتها واداؤها على وجهها * وقوله تعالى زينا لهم اعمالهم اي جعل سبحانه عقابهم على كفرهم ان حتم عليهم الكفر وحبب اليهم الشرك وزينه فى نفوسهم والعمه الحيرة والتردد فى الضلال ثم توعدهم تعالى بسوء العذاب فمن ناله منه شيء فى الدنيا بقي عليه عذاب الآخرة ومن لم ينله عذاب الدنيا كان سوء عذابه فى موته وفى ما بعده * وقوله تعالى

وانـك لتلقى القرآن تلقى مضاعف لقي يلقى ومعناه تعطى كما قال وما يلقـاها الا ذو حظ عظيم وهـذه الآيـة رد على كفـار قريش فى قولهم ان القرآن من تلقـاء محمد ومن لدن معناه من عنده ومن جهته ثم قص تعالى خبر موسى حين خرج بزوجه بنت شعيب عليه السلام يريد مصر وقد تقدم فى طه قصص الآية * وقوله سـآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس الآية اصل الشهاب الكوكب المنقـض فى اثر مسترق السمع وكل مـا يقال له شهاب من المنيرات فعلى التشبيه والقبس يحتمل ان يكون اسما ويحتمل ان يكون صفـة وقـرأ الجمهور باضافـة شهاب الى قبس وقرأ حمـزة والكسـاي وعاصم بتنـوين شهاب قبس فهذا على الصفـة (ص) وقوله جاءهـا ضمير المفعول عائـد على النار وقيل على الشجرة انتهى وبورك معناه قدس ونمي خيره والبركـة مختصة بالخير * وقوله تعالى من فى النار قال ابن عباس اراد النور وقال الحسن وابن عباس واراد بمن حولها الملائكة وموسى قال (ع) ويحتمـل ان تكـون من للملائكـة لان ذلك النور الذى حسبه موسى نارا لم يخل من ملائكة ومن حولها لموسى والملائكة المطيفين بـه وقرأ ابي بن كعب ان بوركت النار ومن حولها * وقوله تعالى وسبحان الله رب العالمين هو تنزيـه لله تعالى ممـا عساه ان يخطر ببال فى معنى النداء من الشجرة اي هو منزه عن جميع مـا تتوهمه الاوهام وعن التشبيه والتكييف والضمير فى انه للامر والشان * وقوله سبحانـه والق عصاك الآية امره تعالى بهذين الامرين القاء العصـا وامر اليد تدريـا له فى استعمالها والجان الحيات لانها تجن انفسهـا اي تسترها وقالت فرقـة الجـان صغار الحيات * وقوله تعـالى ولى مدبرا ولم يعقب اي ولى فارا قال مجاهد ولم يرجع وقال قتادة ولم يلتفت قال (ع) وعقب الرجـل اذا ولى عن امر ثم صرف بدنه اووجهه اليه ثم ناداه سبحانـه مؤنسا له يا موسى لا

تخف انى لا يخاف لدي المرسلون * وقوله تعالى الا من ظلم قال الفراء وجماعة الاستثناء منقطع وهو اخبار عن غير الانبياء كانه سبحانه قال لكن من ظلم من الناس ثم تاب فانى غفور رحيم وهذه الآية تقتضى المغفرة للتائب والجيب الفتح فى الثوب لرأس الانسان * وقوله تعالى فى تسع ءايات متصل بقوله الق وادخل يدك وفيه اقتضاب وحذف والمعنى فى جملة تسع ءايات وقد تقدم بيانها والضمير فى جاءتهم لفرعون وقومه وظاهر قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها حصول الكفر عنادا وهي مسئلة خلاف قد تقدم بيانها وظلما معناه على غير استحقاق للجحد والعلو فى الارض اعظم ءافة على طالبه قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض ولافسادا * وقوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما الآية هذا ابتداء قصص فيه غيوب وعبر * وورث سليمان داود اي ورث ملكه ومنزلته من النبوءة بعد موت ابيه وقوله علمنا منطق الطير اخبار بنعمة الله تعالى عندهما فى ان فهمها من اصوات الطير المعاني التي فى نفوسها وهذا نحو ماكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع اصوات الحجارة بالسلام عليه وغير ذلك حسب ماهو فى الآثار قال قتادة وغيره انما كان هذا الامر فى الطير خاصة والنملة طائر اذ قد يوجد لها جناحان وقالت فرقة بل كان ذلك فى جميع الحيوان وانما خص الطير لانه كان جندا من جنود سليمان يحتاجه فى التظليل من الشمس وفى البعث فى الامور والنمل حيوان فطن قوي شمام جدا يدخر ويتخذ القرى ويشق الحب بقطعتين ليلا ينبت ويشق الكزبرة باربع قطع لانها تنبت اذا قسمت شقين وياكل فى عامه نصف ماجمع ويستبقي سائره عدة قال ابن العربي فى احكامه ولاخلاف عند العلماء فى ان الحيوانات كلها لها افهام وعقول وقد قال الشافعي الحمام اعقل الطير انتهى * وقوله واوتينا من كل شيء معناه يصلح لنا ونتمناه

وليست على العموم ثم ذكر شكر فضل الله تعالى واختلف فى مقدار جند سليمان عليه السلام اختلافا شديدا لااري ذكره لعدم صحة التحديد غير ان الصحيح فى هذا ان ملكه كان عظيما ملأ الارض وانقادت له المعمورة كلها وكان كرسيه يحمل اجناده من الانس والجن وكانت الطير تظله من الشمس ويبعثها فى الامور ويوزعون معناه يرد اولهم الى ءاخرهم ويكفون قال قتادة فكان لكل صنف وزعة ومنه قول الحسن البصري حين ولي قضاء البصرة لابد للحاكم من وزعة ومنه قول ابى قحافة للجارية ذلك يابنية الوازع ومنه قول الشاعر

على حين عاتبت المشيب على الصبا * فقلت الما اصح والشيب وازع

اي كاف وهكذا نقل ابن العربي عن مالك فقال يوزعون اي يكفون قال ابن العربي وقد يكون بمعنى يلهمون من قوله اوزعني ان اشكر نعمتك اي الهمنى انتهى من الاحكام * وقوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها التبسم هو ضحك الانبياء فى غالب امرهم لايليق بهم سواه وكان تبسمه سرورا بنعمة الله تعالى عليه فى اسماعه وتفهيمه وفى قول النملة وهم لايشعرون ثناء على سليمان وجنوده يتضمن تنزيههم عن تعمد القبيح ثم دعا سليمان عليه السلام ربه ان يعينه ويفرغه لشكر نعمته وهذا معنى ايزاع الشكر وقال الثعلبي وغيره اوزعني معناه الهمني وكذلك قال العراقي اوزعني الهمنى انتهى * وقوله تعالى وتفقد الطير الآية قالت فرقة ذلك بحسب ما تقتضيه العناية بالمملكة والتهمم بكل جزء منها وهذا ظاهر الآية انه تفقد جميع الطير وقالت فرقة بل تفقد الطير لان الشمس دخلت من موضع الهدهد فكان ذلك سبب تفقد الطير ليبين من اين دخلت الشمس وقال عبد الله بن سلام انما طلب الهدهد لانه احتاج الى معرفة الماء على كم هو من وجه الارض لانه

كان نزل فى مفازة عدم فيها الماء وان الهدهد كان يرى باطن الارض وظاهرها فكان يخبر سليمان بموضع الماء ثم كانت الجن تخرجه فى ساعة وقيل غير هذا والله اعلم بما صح من ذلك ثم توعد عليه السلام الهدهد بالعذاب فروي عن ابن عباس وغيره ان تعذيبه للطير كان بنتف ريشه والسلطان الحجة حيث وقع فى القرءان قاله ابن عباس وفعل سليمان هذا بالهدهد اغلاظا على العاصين وعقابا على اخلاله بنوبته ورتبته والضمير فى مكث يحتمل ان يكون لسليمان اوللهدهد وفى قراءة ابن مسعود فتمكث ثم جاء فقال وفى قراءة ابي فتمكث ثم قال احطت (ت) وهاتان القراءتان تبينان ان الضمير فى مكث للهدهد وهو الظاهر ايضا فى قراءة الجماعة ومعنى مكث اقام * وقوله غير بعيد يعني فى الزمن * وقوله احطت اي علمت وقرأ الجمهور سبإ بالصرف على انه اسم رجل وبه جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث فروة بن مسيك وغيره سئل عليه السلام عن سبإ فقال كان رجلا له عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة ورواه الترمذي من طريق فروة بن مسيك وقرأ ابن كثير وابو عمرو سبأ بفتح الهمزة وترك الصرف على انه اسم بلدة وقاله الحسن وقتادة * وقوله واوتيت من كل شيء اي مما تحتاجه المملكة قال الحسن من كل امر الدنيا وهذه المرأة هي بلقيس ووصف عرشها بالعظم فى الهيئة ورتبة الملك واكثر بعض الناس فى قصصها بما رأيت اختصاره لعدم صحته وانما اللازم من الآية انها امرأة ملكة على مدائن اليمن ذات ملك عظيم وكانت كافرة من قوم كفار * وقوله الايسجدوا لله الى قوله العظيم ظاهره انه من قول الهدهد وهو قول ابن زيد وابن اسحاق ويحتمل ان يكون من قول الله تعالى اعتراضا بين الكلامين وقراءة التشديد فى الاتعطى ان الكلام للهدهد وهي قراءة الجمهور وقراءة التخفيف وهي

للكسائي تمنعه وتقوى الآخر فتأمله وقرأ الاعمش هلا يسجدون وفى حرف عبد الله الاهل تسجدون بالتاء والخبء الخفى من الامور وهو من خبأت الشيء واللفظة تعم كل ما خفي من الامور وبه فسر ابن عباس وقرأ الجمهور يخفون ويعلنون بياء الغائب وهذه القراءة تعطى ان الآية من كلام الهدهد وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم تخفون وتعلنون بتاء الخطاب وهذه القراءة تعطى ان الآية من خطاب الله تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم * قوله فالقه اليهم ثم تول عنهم قال وهب بن منبه امره بالتولى حسن ادب ليتنحى حسب ما يتأدب به مع الملوك بمعنى وكن قريبا حتى ترى مراجعاتهم وليكل الامر الى حكم ما فى الكتاب دون ان تكون للرسول ملازمة ولا الحاح وروى وهب بن منبه فى قصص هذه الآية ان الهدهد وصل فوجد دون هذه الملكة حجب جدرات فعمد الى كوة كانت بلقيس صنعتها لتدخل منها الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها اياها فدخل منها ورمى بالكتاب اليها فقرأته وجمعت اهل ملكها فخاطبتهم بما ياتى بعد قالت ياايها الملأ تعنى الاشراف اني القي الي كتاب كريم وصفت الكتاب بالكريم امالانه من عند عظيم اولانه بدئ باسم كريم ثم اخذت تصف لهم ما فى الكتاب ثم اخذت فى حسن الادب مع رجالها ومشاورتهم فى امرها فراجعها قومها بما يقر عينها من اعلامهم اياها بالقوة والبأس ثم سلموا الامر الى نظرها وهذه محاورة حسنة من الجميع وفى قراءة عبد الله ما كنت قاضية امرا بالضاد من القضاء ثم اخبرت بلقيس بفعل الملوك بالقرى التى يتغلبون عليها وفى كلامها خوف على قومها وحيطة لهم قال الداودي وعن ابن عباس اذا دخلوا قرية افسدوها قال اذا اخذوها عنوة اخربوها انتهى * وقوله وكذلك يفعلون قالت فرقة هو من قول بلقيس وقال ابن عباس هو من قول الله تعالى معرفا لمحمد عليه السلام وامته بذلك * وانى مرسلة اليهم بهدية الآية روي ان بلقيس قالت

لقومها انى اجرب هذا الرجل بهدية فيها نفائس الاموال فان كان ملكا دنيويا ارضاه المال وان كان نبيئا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه على دينه فينبغي ان نومن به ونتبعه على دينه فبعثت اليه بهدية عظيمة * وقوله تعالى فلما جاء سليمان يعنى رسل بلقيس وقول سليمان ارجع خطاب لرسلها لان الرسول يقع على الجمع والافراد والتذكير والتانيث وفى قراءة ابن مسعود فلما جاءوا سليمان وقرأ ارجعوا ووعيد سليمان لهم مقترن بدوامهم على الكفر قال البخاري لا قبل لهم بها اي لاطاقة لهم انتهى ثم قال سليمان لجمعه ياايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها قال ابن زيد وغرضه فى استدعاء عرشها ان يريها القدرة التى من عند الله وليغرب عليها ومسلمين فى هذا التاويل بمعنى مستسلمين ويحتمل ان يكون بمعنى الاسلام وقال قتادة كان غرض سليمان اخذه قبل ان يعصمهم الاسلام فالاسلام على هذا التاويل يراد به الدين (ت) والتاويل الاول اليق بمنصب النبوءة فيتعين حمل الآية عليه والله اعلم وروي ان عرشها كان من ذهب وفضة مرصعا بالياقوت والجوهر وانه كان فى جوفه سبعة ابيات عليها سبعة اغلاق والعفريت هو من الشياطين القوي المارد * وقوله قبل ان تقوم من مقامك قال مجاهد وقتادة معناه قبل قيامك من مجلس الحكم وكان يجلس من الصبح الى وقت الظهر فى كل يوم وقيل معناه قبل ان تستوي من جلوسك قائما وقول الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال ابن جبير وقتادة معناه قبل ان يصل اليك من يقع طرفك عليه فى ابعد ما ترى وقال مجاهد معناه قبل ان تحتاج الى التغميض اي مدة مايمكنك ان تمد بصرك دون تغميض وذلك ارتداده قال (ع) وهذان القولان يقابلان القولين قبلهما * وقوله لقوي امين معناه قوي على حمله امين على مافيه ويروى ان الجن كانت تخبر سليمان بمناقل سير بلقيس فلما قربت قال ايكم ياتيني بعرشها فدعا الذى

عنده علم من التوراة وهو الكتاب المشار اليه باسم الله الاعظم الذى كانت العادة فى ذلك الزمان ان لايدعو به احد الا اجيب فشقت الارض بذلك العرش حتى نبع بين يدي سليمان عليه السلام وقيل بل جيء به فى الهواء وجمهور المفسرين على ان هذا الذى عنده علم من الكتاب كان رجلا صالحا من بنى اسرائيل اسمه آصف بن برخيا روي انه صلى ركعتين ثم قال لسليمان يانبي الله امدد بصرك نحو اليمن فمد بصره فاذا بالعرش فما رد سليمان بصره الاوهو عنده وقال قتادة اسمه بلخيا وقول سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها يريد تجربة ميزها ونظرها وروت فرقة ان الجن احست من سليمان اوظنت به انه ربما تزوجها فكرهوا ذلك وعيبوها عنده بانها غير عاقلة ولامميزة وان رجلها كحافر دابة فجرب عقلها وميزها بتنكير السرير وجرب امر رجلها بامر الصرح لتكشف عن ساقيها عنده وتنكير العرش تغيير وضعه وستر بعضه وقولها كانه هو تحرز فصيح وقال الحسن بن الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم ولو قالوا اهذا عرشك لقالت نعم ثم قال سليمان عند ذلك واوتينا العلم من قبلها الآية وهذا منه على جهة تعديد نعم الله عليه وعلى ءابائه * وقوله تعالى وصدها ما كانت تعبداي عن الايمان وهذا الكلام يحتمل ان يكون من قول سليمان اومن قول الله اخبارا لمحمد عليه السلام قال محمد ابن كعب القرظي وغيره ولما وصلت بلقيس امر سليمان الجن فصنعت له صرحا وهو السطح فى الصحن من غير سقف وجعلته مبنيا كالصهريج وملئى ماء وبث فيه السمك وطبقه بالزجاج الابيض الشفاف وبهذا جاء صرحا والصرح ايضا كل بناء عال وكل هذا من التصريح وهو الاعلان البالغ ثم وضع سليمان فى وسط الصرح كرسيا فلما وصلته بلقيس قيل لها ادخلى الى النبي عليه السلام فلما رأت الصرح حسبته لجة وهو معظم الماء ففزعت

وظنت انها قصد بها الغرق وتعجبت من كون كرسيه على الماء ورأت ماهالها ولم يكن لها بد من امتثال الامر فكشفت عن ساقيها فرأى سليمان ساقيها سليمة مما قالت الجن غير انها كثيرة الشعر فلما بلغت هذا الحد قال لها سليمان انه صرح ممرد من قوارير والممرد المحكوك المملس ومنه الامرد فعند ذلك قالت رب انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فروي ان سليمان تزوجها عند ذلك واسكنها الشام قاله الضحاك وقيل تزوجها وردها الى ملكها باليمن وكان ياتيها على الريح كل شهر مرة فولدت له غلاما سماه داود مات فى حياته وروي ان سليمان لما اراد زوال شعر ساقيها امر الجن بالتلطف فى زواله فصنعوا النورة ولم تكن قبل وصنعوا الحمام * وقوله تعالى ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا الآية تمثيل لقريش وفريقان يريد بهما من آمن بصالح ومن كفر به واختصامهم هو تنازعهم وقد ذكر تعالى ذلك فى سورة الاعراف ثم ان صالحا عليه السلام ترفق بقومه ووقفهم على خطإهم فى استعجالهم العذاب قبل الرحمة او المعصية لله قبل الطاعة ثم اجابوه بقولهم اطيرنا بك اي تشاءمنا بك وتسعة رهط هم رجال كانوا من اوجه القوم واعتاهم وهم اصحاب قدار والمدينة مجتمع ثمود وقريتهم * وقوله تعالى تقاسموا قال الجمهور هو فعل امر اشار بعضهم على بعض بان يتحالفوا على هذا الفعل بصالح وحكى الطبري انه يجوز ان يكون تقاسموا فعلا ماضيا فى موضع الحال كانه قال متقاسمين او متحالفين بالله لنبيتنه واهله وتؤيده قراءة عبد الله ولا يصلحون تقاسموا باسقاط قالوا قال (ع) وهذه الالفاظ الدالة على قسم تجاوب باللام وان لم يتقدم قسم ظاهر فاللام فى لنبيتنه جواب القسم وروي فى قصص هذه الآية ان هؤلاء التسعة لما كان فى صدر الثلاثة الايام بعد عقر الناقة وقد اخبرهم صالح بمجيىء العذاب اتفق هؤلاء التسعة فتحالفوا

على ان ياتوا دار صالح ليلا فيقتلوه واهله المختصين به قالوا فان كان كذبا في وعيده اوقعنا به ما يستحق وان كان صادقا كنا قد عجلناه قبلنا وشفينا به نفوسنا فجاءوا واختفوا لذلك فى غار قريب من داره فروي انه انحدرت عليهم صخرة شدختهم جميعا وروي انها طبقت عليهم الغار فهلكوا فيه حين هلك قومهم وكل فريق لا يعلم بما جرى على الآخر وقد كانوا بنوا على جحود الامر من قرابة صالح ويعنى بالاهل كل من آمن به قاله الحسن * وقوله سبحانه ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون قال ابن العربي الحاتمي المكر ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الادب انتهى من شرحه لالفاظ الصوفية والتدمير الهلاك وخاوية معناه قفرا وهذه البيوت المشار اليها هي التى قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك لا تدخلوا بيوت المعذبين الا ان تكونوا باكين الحديث فى صحيح مسلم وغيره * وقوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون تقدم قصص هؤلاء القوم وتبصرون معناه بقلوبكم قال ابو حيان وشهوة مفعول من اجله انتهى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله من عمل عمل قوم لوط رواه ابو داود والترمذي والنساءي واللفظ له وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه انتهى من السلاح * وقوله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آالله خير اما تشركون الآيات هذا ابتداء تقرير وتنبيه لقريش والعرب وهو بعد يعم كل مكلف من الناس جميعا وافتتح ذلك بالقول بحمده سبحانه وتمجيده وبالسلام على عباده الذين اصطفاهم للنبوءة والايمان فهذا اللفظ عام لجميعهم من ولد ءادم وكأن هذا صدر خطبة للتقرير المذكور قالت فرقة وفى الآية حذف مضاف فى

موضعين التقدير اتوحيد الله خير ام عبادة ما تشركون فما على هذا موصولة بمعنى الذي وقالت فرقة ما مصدرية وحذف المضاف انما هو اولا تقديره اتوحيد الله خير ام شرككم (ت) ومن كلام الشيخ العارف بالله ابى الحسن الشاذلي قال رحمه الله ان اردت ان لا يصدأ لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فاكثر من قولك سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا اله الا الله اللهم ثبت علمها فى قلبى واغفر لى ذنبى واغفر للمومنين والمومنات وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى انتهى * وقوله تعالى امن خلق وما بعدها من التقريرات توبيخ لهم وتقرير على مالا مندوحة عن الاقرار به والحدائق مجتمع الشجر من الاعناب والنخيل وغير ذلك قال قوم لا يقال حديقة الا لما عليه جدار قد احدق به وقال قوم يقال ذلك كان جدار او لم يكن لان البياض محدق بالاشجار والبهجة الجمال والنضارة * وقوله سبحانه ماكان لكم ان تنبتوا شجرها اي ليس ذلك فى قدرتكم ويعدلون يجوز ان يراد به يعدلون عن طريق الحق ويجوز ان يراد به يعدلون بالله غيره اي يجعلون له عديلا ومثيلا وخلالها معناه بينها والرواسى الجبال والبحران الماء العذب والماء الاجاج على ما تقدم والحاجز ما جعل الله بينهما من حواجز الارض وموانعها على رقتها فى بعض المواضع ولطافتها لولا قدرة الله لغلب المالح العذب * وقوله سبحانه امن يجيب المضطر اذا دعاه الآية وعن حبيب بن سلمة الفهري وكان مجاب الدعوة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم الا اجابهم الله رواه الحاكم فى المستدرك انتهى من سلاح المومن وعن ابى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء

من قلب غافل لاه رواه الترمذي وهذا لفظه قال صاحب السلاح ورواه الحاكم فى المستدرك وقال مستقيم الاسناد انتهى والسوء عام فى كل ضر يكشفه الله تعالى عن عباده قال ابن عطاء الله ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا اسرع بالمواهب لك مثل الذلة والافتقار انتهى والظلمات عام لظلمة الليل ولظلمة الجهل والضلال والرزق من السماء هو بالمطر ومن الارض بالنبات هذا هو مشهور ما يحسه البشر وكم لله بعد من لطف خفى ثم امر تعالى نبيه ان يوقفهم على ان الغيب مما انفرد الله بعلمه ولذلك سمي غيبا لغيبه عن المخلوقين روي ان هذه الآية من قوله قل لا يعلم انما نزلت لاجل سؤال الكفار عن الساعة الموعود بها فجاء بلفظ يعم الساعة وغيرها واخبر عن البشر انهم لايشعرون ايان يبعثون (ص) ايان اسم استفهام بمعنى متى وهي معمولة ليبعثون والجملة فى موضع نصب بيشعرون انتهى وقرأ جمهور القراء بل ادارك اصله تدارك وقرأ عاصم فى رواية ابى بكر بل ادرك على وزن افتعل وهي بمعنى تفاعل وقرأ ابن كثير وابو عمرو بل ادرك وهذه القراءات تحتمل معنيين احدهما ادرك علمهم اي تناهى كما تقول ادرك النبات والمعنى قد تناهى علمهم بالآخرة الى ان لايعرفوا لها مقدارا فيومنوا وانما لهم ظنون كاذبة اوالى ان لا يعرفوا لها وقتا والمعنى الثانى بل ادرك بمعنى يدرك اي انهم فى الآخرة يدرك علمهم وقت القيامة ويرون العذاب والحقائق التى كذبوا بها واما فى الدنيا فلا وهذا هو تاويل ابن عباس ونحا اليه الزجاج فقوله فى الآخرة على هذا التاويل ظرف وعلى التاويل الاول فى بمعنى الباء ثم وصفهم عز وجل بانهم فى شك منها ثم اردف بصفة هي ابلغ من الشك وهي العمى بالجملة عن امر الآخرة وعمون اصله عميون فعلون كحذرون * وقوله تعالى وقال الذين كفروا اذا كنا ترابا وءاباؤنا ائنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن

وءاباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين هذه الآية معناها واضح مما تقدم في غيرها ثم ذكر تعالى استعجال كفار قريش امر الساعة والعذاب بقولهم متى هذا الوعد على معنى التعجيز وردف معناه قرب وازف قاله ابن عباس وغيره ولكنها عبارة عايجيء بعد الشيء قريبا منه والهاء في غائبة للمبالغة اي ما من شيء في غاية الغيب والخفاء الا في كتاب عند الله وفي مكنون علمه لا اله الا هو ثم نبه تعالى على ان هذا القرءان يقص على بني اسراءيل اكثر الاشياء التي كان بينهم اختلاف في صفتها جاء بها القرءان على وجهها وانه لهدى ورحمة للمومنين كما انه عمى على الكافرين المحتوم عليهم ثم سلى نبيه بقوله انك لا تسمع الموتى فشبههم مرة بالموتى ومرة بالصم من حيث ان فائدة القول لهؤلاء معدومة وقرأ حمزة وحده وما انت تهدي العمي بفعل مستقبل ومعنى قوله تعالى واذا وقع القول عليهم اي اذا انتجز وعد عذابهم الذي تضمنه القول الازلي من الله في ذلك وهذا بمنزلة قوله تعالى حقت كلمة العذاب فمعنى الآية واذا اراد الله ان ينفذ في الكافرين سابق علمه لهم من العذاب اخرج لهم دابة من الارض وروي ان ذلك حين ينقطع الخير ولا يومر بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يبقى منيب ولا تائب ووقع عبارة عن الثبوت واللزوم وفي الحديث ان الدابة وطلوع الشمس من المغرب من اول الاشراط وهذه الدابة روي انها تخرج من الصفا بمكة قاله ابن عمر وغيره وقيل غير هذا وقرأ الجمهور تكلمهم من الكلام وقرأ ابن عباس وغيره تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح وسئل ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم او تكلمهم فقال كل ذلك والله تفعل تكلمهم وتكلمهم وروي انها تمر على الناس فتسم الكافر في جبهته وتربه وتشتمه وربما خطمته وتمسح على وجه المومن فتبيضه ويعرف بعد ذلك

الايمان والكفر من اثرها وفى الحديث تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجوه المومنين بالعصا وتختم انف الكافر بالخاتم حتى ان الناس ليجتمعون فيقول هذا ياسومن ويقول هذا ياكافر رواه البزار انتهى من الكوكب الدري وقرأ الجمهور ان الناس بكسر ان وقرأ حمزة والكسائي وعاصم ان بفتحها وفى قراءة عبد الله تكلمهم بان وعلى هذه القراءة فيكون قوله ان الناس الى ءاخرها من كلام الدابة وروي ذلك عن ابن عباس ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى * وقوله تعالى ويوم نحشر من كل امة فوجا هو تذكير بيوم القيامة والفوج الجماعة الكثيرة ويوزعون معناه يكفون فى السوق اي يحبس اولهم على ءاخرهم قاله قتادة ومنه وازع الجيش ثم اخبر تعالى عن توقيفه الكفرة يوم القيامة وسؤالهم على جهة التوبيخ اكذبتم الآية ثم قال اماذا كنتم تعملون على معنى استيفاء الحجج اي ان كان لكم عمل اوحجة فهاتوها ثم اخبر عن وقوع القول عليهم اي نفوذ العذاب وحتم القضاء وانهم لاينطقون بحجة وهذا فى موطن من مواطن القيامة ولما تكلم المحاسبي على اهوال القيامة قال واذكر الصراط بدقته وهوله وزلته وعظيم خطره وجهنم تخفق بامواجها من تحته فياله من منظر ما افظعه واهوله فتوهم ذلك بقلب فارغ وعقل جامع فان اهوال يوم القيامة انما خفت على الذين توهموها فى الدنيا بعقولهم فتحملوا فى الدنيا الهموم خوفا من مقام ربهم فخففها مولاهم يوم القيامة عنهم انتهى من كتاب التوهم * ويوم ينفخ فى الصور وهو القرن فى قول جمهور الامة وصاحب الصور هو اسرافيل عليه السلام وهذه النفخة المذكورة هنا هي نفخة الفزع وروى ابو هريرة انها ثلاث نفخات نفخة الفزع وهو فزع حياة الدنيا وليس بالفزع الاكبر ونفخة الصعق ونفخة القيام من القبور وقالت فرقة انما هما نفختان

كانهم جعلوا الفزع والصعق فى نفخة واحدة مستدلين بقوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى الاية قالوا واخرى لايقال الافى الثانية قال (ع) والاول اصح واخرى يقال فى الثالثة ومنه قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى * وقوله تعالى الامن شاء الله استثناء فيمن قضى الله سبحانه من ملائكته وانبيائه وشهداء عبيده ان لاينالهم فزع النفخ فى الصور حسب ماورد فى ذلك من الآثار قال (ع) واذا كان الفزع الاكبر لاينالهم فهم حريون ان لاينالهم هذا وقرأ حمزة وكل اتوه على صيغة الفعل الماضى والداخر المتذلل الخاضع قال ابن عباس وابن زيد الداخر الصاغر وقد تظاهرت الروايات بان الاستثناء فى هذه الآية انما اريد به الشهداء لانهم احياء عند ربهم يرزقون وهم اهل للفزع لانهم بشر لكن فضلوا بالامن فى ذلك اليوم (ت) واختار الحليمي هذا القول قال وهو مروي عن ابن عباس ان المستثنى هم الشهداء وضعف ماعداه من الاقوال قال القرطبي فى تذكرته وقدورد فى حديث ابى هريرة بانهم الشهداء وهو حديث صحيح انتهى * وقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة الآية هذا وصف حال الاشياء يوم القيامة عقب النفخ فى الصور والرؤية هي بالعين قال ابن عباس جامدة قائمة والحسنة الايمان وقال ابن عباس وغيره هي لااله الا الله وروي عن علي بن الحسين انه قال كنت فى بعض خلواتى فرفعت صوتى بلااله الاالله فسمعت قائلا يقول انها الكلمة التى قال الله فيها من جاء بالحسنة فله خيرمنها وقال ابن زيد يعطى بالحسنة الواحدة عشرا قال (ع) والسيئة التى فى هذه الآية هي الكفروالمعاصى فيمن حتم الله عليه من اهل المشيئة بدخول النار * وقوله انما امرت المعنى قل يامحمد لقومك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة يعنى مكة وان اتلوا القرءان معناه تابع فى قراءتك اي بين ءاياته واسرد قال (ص) وان

اتلوا معطوف على ان اكـون وقرأ عبـد الله وان اتل بغير واو وقوله ومن ضل جـوابـه محـذوف يـدل عليـه ما قبـله اي فـو بال ضـلاله عليـه اويكون الجواب فـقل ويقدر ضمير عائد من الجواب على الشرط لانه اسم غـير ظرف اي مـن المنـذرين له انتهى وتـلاوة القـرءان سبب الاهتداء الى كل خـير * وقـوله تعالى سيريكـم ءايـاتـه توعـد بعـذاب الدنيـا كبدر ونحوه وبعـذاب الآخرة * وما ربك بغافل عما تعملون فيه وعيـد

تفسير سورة القصص وهي مكية

الا قوله تعالى ان الذى فرض عليك القرءان لرادك الى معاد فانها نزلت بالجُحفة فى وقت هجرة النبي صلى الله عليـه وسلم الى المدينـة قالـه ابن سـلام وغيره وقال مقاتل فيها من المدني الذين ءاتيناهم الكتاب الى قوله لانبتغى الجاهلين

* بسم الله الرحمـن الرحـيم *

قوله تعالى طسم تلك ءايات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبـإ موسى الآيـة معنى نتلوا نقص وخص تعالى بقوله لقوم يومنون مـن حيث انهم هم المنتفعون بذلك دون غيرهم وعلا فى الارض اي علوطغيان وتغلب وفى الارض يريـد ارض مصر والشيع الفرق والطائفة المستضعفة هم بنو اسراءيل يذبح ابناءهـم خـوف خراب ملكـه على ما اخبرته كـهنته اولاجل رؤيا رءاها قاله السدي وطمـع بجهله ان يرد القدر واين هذا المنزع من قول النبي صلى الله عليه وسـلم

لعمر ان يكنه فلن تسلط عليه وان لم يكنه فلا خير لك فى قتله يعنى ابن صياد اذخاف عمر ان يكون هو الدجال وباقى الآية بين وتقدم قصصه والائمة ولاة الامور قاله قتادة * ونجعلهم الوارثين يريد ارض مصر والشام وقرأ حمزة ويرى فرعون بالياء وفتح الراء والمعنى ويقع فرعون وقومه فيما خافوه وحذروه من جهة بنى اسرائيل وظهورهم وهامان هو وزير فرعون واكبر رجاله وهذا الوحي الى ام موسى قيل وحي الهام وقيل بملك وقيل فى منام وجملة الامر انها علمت ان هذا الذى وقع فى نفسها هو من عند الله قال السدي وغيره امرت ان ترضعه عقب الولادة وتصنع به مافى الآية لان الخوف كان عقب كل ولادة واليم معظم الماء والمراد نيل مصر واسم ام موسى يوحانذ وروي فى قصص هذه الآية ان ام موسى لفته فى ثيابه وجعلت له تابوتا صغيرا وسدته عليه بقفل وعلقت مفتاحه عليه واسلمته ثقة بالله وانتظارا لوعده سبحانه فلما غاب عنها عاودها بثها واسفت عليه واقنطها الشيطان فاهتمت به وكادت تفتضح وجعلت الاخت تقصه اي تطلب اثره وتقدم باقى القصة فى طه وغيرها والالتقاط اللقاء عن غير قصد وآل فرعون اهله وجملته واللام فى ليكون لام العاقبة وقال (ص) ليكون اللام للتعليل المجازي ولما كان مآله الى ذلك عبر عنه بلام العاقبة وبلام الصيرورة انتهى وقرأ حمزة والكسائي وحزنا بضم الحاء وسكون الزاي والخاطئ متعمد الخطإ والمخطئ الذى لايتعمده * وقوله وهم لايشعرون اي بانه هو الذى يفسد ملك فرعون على يده قاله قتادة وغيره * واصبح فؤاد ام موسى فارغا اي فارغا من كل شيء الامن ذكر موسى قاله ابن عباس وقال مالك هو ذهاب العقل وقالت فرقة فارغا من الصبر * وقوله تعالى ان كادت لتبدى به اي امر ابنها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كادت ام موسى ان تقول وابناه

وتخرج سائحة على وجهها والربط على القلب تانيسه وتقويته ولتكون من المومنين اي من المصدقين بوعد الله وما اوحي اليها به وعن جنب اي ناحية فمعنى عن جنب عن بعد لم تدن منه فيشعر لها * وقوله وهم لا يشعرون معناه انها اخته ووعد الله المشار اليه هو الذى اوحاه اليها اولا اما بملك او بمنامة حسبما تقدم والقول بالالهام ضعيف ان يقال فيه وعد * وقوله واكثرهم يريد به القبط والاشد شدة البدن واستحكام امره وقوته واستوى معناه تكامل عقله وذلك عند الجمهور مع الاربعين والحكم الحكمة والعلم المعرفة بشرع ابراهيم عليه السلام * وقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها قال السدي كان موسى فى وقت هذه القصة على رسم التعلق بفرعون وكان يركب مراكبه حتى انه كان يدعى موسى بن فرعون فركب فرعون يوما وسار الى مدينة من مدائن مصر فركب موسى بعده ولحق بتلك المدينة فى وقت القائلة وهو حين الغفلة قاله ابن عباس وقال ايضا هو بين العشاء والعتمة وقيل غير هذا * وقوله تعالى هذا من شيعته اي من بنى اسرائيل وعدوه هم القبط والوكز الضرب باليد مجموعة وقرأ ابن مسعود فلكزه والمعنى واحد الا ان اللكز فى اللحى والوكز على القلب وقضى عليه معناه قتله مجهزا ولم يرد عليه السلام قتل القبطي لكن وافقت وكزته الاجل فندم ورأى ان ذلك من نزغ الشيطان فى يده ثم ان ندامة موسى حملته على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه فغفر الله له ذلك ومع ذلك لم يزل عليه السلام يعيد ذلك على نفسه مع علمه انه قد غفر له حتى انه فى القيامة يقول وقتلت نفسا لم اومر بقتلها حسبما صح فى حديث الشفاعة ثم قال موسى عليه السلام معاهدا لربه رب بنعمتك علي وبسبب احسانك وغفرانك فانا ملتزم ان لا اكون معينا للمجرمين هذا

احسن ما تأول وقال الطبري انـه قسم اقسم بنعمة الله عنده قال (ع) واحتج اهل الفضل والعلم بهذه الآيـة فى منع خدمـة اهل الجور ومعونتهم فى شيء من امورهم ورأوا انها تتناول ذلك نـص عليـه عطاء بن ابى رباح وغيره قال ابن عباس ثم ان موسى مر وهـو بحالة الترقب واذا ذلك الاسرائيلي الذى قاتل القبطي بالامس يقاتل آخر من القبط وكان قتـل القبطي قـد خفي على الناس واكتتم فلما رأى الاسرائيلي موسى استصرخـه بمعنى صاح بـه مستغيثـا فلما رأى موسى قتاله لآخـر اعظم ذلك وقال له معاتبا ومؤنبـا انك لغوي مبـين وكانت ارادة موسى مـع ذلك ان ينصر الاسـرائيلي فلما دنا منهما وحبس الاسرائيلي وفزع منه وظن انه ربما ضربـه وفزع من قوتـه التى رأى بالامس فناداه بالفضيحة وشهـر امر المقتول ولمـا اشتهـر ان موسى قتـل القتيل وكان قـول الاسـرائيلي يغلب على النفـوس تصـديقـه عـلى موسى مع ما كان لموسى مـن المقدمات اتى رأي فرعون وملائـه على قتـل موسى وغلب على نفس فرعون انه المشار اليه بفساد المملكة فانفـذ فيـه من يطلبه وياتى بـه للقتـل والهم الله رجـلا يقال انه مومن مـن آل فرعـون او غيره فجاء الى موسى وبلغـه قبلهـم ويسعـى معناه يسـرع فى مشيـه قاله الزجاج وغـيره وهـو دون الجـري فقال ياموسى ان المـلا ياتمـرون بـك الآيـة (ت) قال الهروي قوله تعـالى ياتمـرون بك اي يوامر بعضهـم بعضـا فى قتلـك وقال الازهري البـاء فى قوله ياتمـرون بـك بمعـنى فى يقـال ائتمر القوم اذا شاور بعضهم بعضا انتهى وعن ابى مجلز واسمه لاحق بن حميد قال مـن خاف مـن امير ظلما فقال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيـا وبالقرءان حكما واماما نجاه الله منـه رواه ابن ابى شيبة فى مصنفـه انتهى من السلاح وتلقاء معناه ناحيـة مـدين وبين مصر ومدين مسيرة ثمانيـة ايام

وكان ملك مدين لغير فرعون ولما خرج عليه السلام فارا بنفسه منفردا حافيا لاشيء معه ولازاد وغير عارف بالطريق اسند امره الى الله تعالى وقال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ومشى عليه السلام حتى ورد ماء مدين ووروده الماء معناه بلوغه ومدين لاينصرف اذ هو بلد معروف والامة الجمع الكثير ويسقون معناه ماشيتهم ومن دونهم معناه ناحية الى الجهة التى جاء منها فوصل الى المرأتين قبل وصوله الى الامة وتذودان معناه تمنعان وتحبسان غنمهما عن الماء خوفا من السقاة الاقوياء وابونا شيخ كبير اي لايستطيع لضعفه ان يباشر امر غنمه * وقوله تعالى فسقى لهما قالت فرقة كانت آبارهم مغطاة بحجارة كبار فعمد الى بير وكان حجرها لايرفعه الاجماعة فرفعه وسقى للمرأتين فمن رفع الصخرة وصفته احداهما بالقوة وقيل وصفته بالقوة لانه زحم الناس وغلبهم على الماء حتى سقى لهما وقرأ الجمهور يصدر الرعاء على حذف المفعول تقديره مواشيهم وتولى موسى الى الظل وتعرض لسؤال ما يطعمه بقوله رب انى لما انزلت الي من خير فقير ولم يصرح بسؤال هكذا روى جميع المفسرين انه طلب فى هذا الكلام ماياكله قال ابن عباس وكان قد بلغ به الجوع الى ان اخضر لونه من اكل البقل ورئيت خضرة البقل فى بطنه وانه لاكرم الخلق يومئذ على الله وفى هذا معتبر وحاكم بهوان الدنيا على الله تعالى وعن معاذ بن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من اكل طعاما فقال الحمد لله الذى اطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا فقال الحمدلله الذى كسانى هذا الثوب ورزقنيه من غير حول منى ولاقوة غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر رواه ابو داود واللفظ له والترمذي وابن ماجه والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط البخاري وقال الترمذي حسن غريب انتهى من السلاح * وقوله تعالى فجاءته احداهما تمشى على

استحياء الاية فى هذا الموضع اختصار يدل عليه الظاهر قدره ابن اسحاق فذهبتا الى ابيهما فاخبرتاه بما كان من الرجل فامر احدى ابنتيه ان تدعوه له فجاءته على مافى الآية وقوله على استحياء اى خفرة قد سترت وجهها بكم درعها قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وروى الترمذي عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء من الايمان والايمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى والجمهور ان الداعي لموسى عليه السلام هو شعيب عليه السلام وان المرأتين ابنتاه فقالت ان ابى يدعوك الآية فقام يتبعها فهبت ريح ضمت قميصها الى بدنها فتحرج موسى من النظر اليها فقال لها امشى خلفي وارشديني الى الطريق ففهمت عنه فذلك سبب وصفها له بالامانة قاله ابن عباس فلما جاءه وقص عليه القصص فانسه بقوله لاتخف نجوت من القوم الظالمين فلما فرغ كلامهما قالت احدى الابنتين ياابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين فقال لها ابوها ومن اين عرفت هذا منه قالت اما قوته ففي رفع الصخرة واما اما نته ففي تحرجه عن النظر الي قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم فقال له الاب عند ذلك اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين الآية قال ابن العربي فى احكامه قوله اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين يدل على انه عرض لاعقد لانه لوكان عقدا لعين المعقود عليها لان العلماء وان اختلفوا فى جواز البيع اذا قال له بعتك احد عبدي هذين بثمن كذا فانهم اتفقوا على ان ذلك لايجوز فى النكاح لانه خيار وشيء من الخيار لايلحق بالنكاح وروي انه قال شعيب ايتهما تريد قال الصغرى انتهى وتاجر معناه تثيب وجعل شعيب الثمانية الاعوام شرطا ووكل العامين الى المروءة ولما فرغ كلام شعيب قرره موسى وكرر معناه على جهة التوثق فى ان الشرط انما وقع فى ثمان حجج وايما استفهام

نصب بقضيت وما صلة للتاكيد ولاعدوان معناه لاتباعة علي والوكيل الشاهد القائم بالامر * وقوله تعالى فلما قضى موسى الاجل قال ابن عباس قضى اكملهما عشر سنين واسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله اني ءانست نارا لعلي ءاتيكم منها بخبر اوجذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي الآية تقدم قصصها فانظره فى محاله قال البخاري والجذوة قطعة غليظة من الخشب فيها لهب انتهى قال العراقي وءانس معناه ابصر انتهى * وقوله من الشجرة يقتضى ان موسى عليه السلام سمع ما سمع من جهة الشجرة وسمع وادرك غير مكيف ولامحدد قال السهيلي قيل ان هذه الشجرة عوسجة وقيل عليقة والعوسج اذا عظم قيل له الغرقد انتهى ولم يعقب معناه لم يرجع على عقبه من توليته * وقوله تعالى واضمم اليك جناحك من الرهب ذهب مجاهد وابن زيد الى ان ذلك حقيقة امره بضم عضده وذراعه وهو الجناح الى جنبه ليخف بذلك فزعه ورهبه ومن شان الانسان اذا فعل ذلك فى اوقات فزعه ان يقوى قلبه وذهبت فرقة الى ان ذلك على المجاز وانه امر بالعزم على ما امر به كما تقول العرب اشدد حيازيمك واربط جأشك اي شمر فى امرك ودع عنك الرهب * وقوله تعالى فذانك برهانان من ربك قال مجاهد والسدي هي اشارة الى العصا واليد وقرأ الجمهور ردأ بالهمز وقرأ نافع وحده ردا بتنوين الدال دون همز وذلك على التخفيف من ردء والردء الوزير المعين وشد العضد استعارة فى المعونة والسلطان الحجة * وقوله بـءاياتنا متعلق بقوله الغالبون اي تغلبون بـءاياتنا وهي المعجزات ثم ان فرعون استمر فى طريق مخرقته على قومه وامر هامان بان يطبخ له الآجر وان يبني له صرحا اي سطحا فى اعلى الهواء موهما لجهلة قومه ان يطلع بزعمه فى السماء ثم قال وانى لاظنه من الكاذبين يعني موسى فى انه ارسله مرسل

ونبذناهم معناه طرحناهم واليم بحر القلزم فى قول اكثر الناس وهو الاشهر *
وقوله تعالى وجعلناهم ائمة يدعون الى النار الآية عبارة عن حالهم وافعالهم
وخاتمتهم اي هم بذلك كالداعين الى النار وهم فيه ائمة من حيث اشتهروا
وبقي حديثهم فهم قدوة لكل كافر وعات الى يوم القيامة والمقبوحين الذين يقبح
كل امرهم قولا لهم وفعلا بهم قال ابن عباس هم الذين قبحوا بسواد الوجوه
وزرقة العيون ويوم ظرف مقدم ولقد آتينا موسى الكتاب يعنى التوراة والقصد
بهذا الاخبار التمثيل لقريش بما تقدم فى غيرها من الامم وبصائر نصب على
الحال اي طرائق هادية * وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي الآية اي
ما كنت يامحمد حاضرا لهذه الغيوب التى تخبرهم بها ولكنها صارت اليك
بوحينا اي فكان الواجب ان يسارعوا الى الايمان بك قال السهيلي وجانب
الغربي هو جانب الطور الايمن فحين ذكر سبحانه نداءه لموسى قال وناديناه
من جانب الطور الايمن وحين نفى عن محمد عليه السلام ان يكون بذلك
الجانب قال وما كنت بجانب الغربي والغربي هو الايمن وبين اللفظين فى ذكر
المقامين ما لا يخفى فى حسن العبارة وبديع الفصاحة والبلاغة فان محمدا عليه
السلام لايقال له وما كنت بالجانب الايمن فانه لم يزل بالجانب الايمن مذ كان
فى ظهر ءادم عليه السلام انتهى * وقوله سبحانه فتطاول عليهم العمر الثعلبي
اي فنسوا عهد الله انتهى وقضينا معناه انفذنا والامر يعنى التوراة وقالت
فرقة يعنى به ما اعلمه من امر محمد عليه السلام قال (ع) وهذا تاويل حسن
يلتئم معه ما بعده من قوله ولكنا انشأنا قرونا (ت) قال ابو بكر بن العربي قوله
تعالى اذ قضينا الى موسى الامر معناه اعلمناه وهو احد مايرد تحت لفظ القضاء
مرادا انتهى من كتاب تفسير الافعال الواقعة فى القرءان والثاوى المقيم *
وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور يريد وقت انزال التوراة الى موسى *

وقوله اذ نادينا روي عن ابى هريرة انه نودي يومئذ من السماء يا امة محمد استجبت لكم قبل ان تدعونى وغفرت لكم قبل ان تسئلونى فحينئذ قال موسى عليه السلام اللهم اجعلنى من امة محمد فالمعنى اذ نادينا بامرك واخبرنا بنبوتك وقال الطبري معنى قوله اذ نادينا بان سأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الآية * وقوله سبحانه ولولا ان تصيبهم مصيبة الآية المصيبة عذاب فى الدنيا على كفرهم وجواب لولا محذوف يقتضيه الكلام تقديره لعاجلناهم بما يستحقونه وقال الزجاج تقديره لما ارسلنا الرسل * وقوله سبحانه فلما جاءهم الحق يريد القرءان ومحمدا عليه السلام والمقالة التى قالتها قريش لولا اوتي مثل ما اوتي موسى كانت من تعليم اليهود لهم قالوا لهم لم لاياتى بءاية باهرة كالعصا واليد وغير ذلك فعكس الله عليهم قولهم ووقفهم على انهم قد وقع منهم فى تلك الآيات ماوقع من هؤلاء فى هذه فالضمير فى قوله يكفروا لليهود وقرأ الجمهور ساحران والمراد موسى وهارون قال (ع) ويحتمل ان يريد بما اوتي موسى من امر محمد والاخبار به الذى هو فى التوراة * وقوله وقالوا انا بكل كافرون يؤيد هذا التاويل وقرأ حمزة والكسائي وعاصم سحران والمراد بهما التوراة والقرءان قاله ابن عباس وتظاهرا معناه تعاونا * وقوله اهدى منهما قال الثعلبي يعنى اهدى من كتاب محمد وكتاب موسى انتهى (ت) ويحتمل ان يكون الضمير فى يكفروا لقريش كما اشار اليه الثعلبي وكذا فى قالوا لقريش عنده وساحران يريدون موسى ومحمدا عليهما السلام وهو ظاهر قولهم انا بكل كافرون لان اليهود لا يقولون ذلك فى موسى فى عصر نبينا محمد عليه السلام ويبين هذا كله قوله تعالى فان لم يستجيبوا لك الآية فان ظاهر الآية ان المراد قريش وعلى هذا كله مر الثعلبي انتهى * وقوله تعالى ولقد وصلنا لهم القول الآية الذين وصل لهم القول هم قريش قاله مجاهد وغيره قال الجمهور

والمعنى واصلنا لهم فى القرءان وتابعنـاه موصولا بعضه ببعض فى المواعـظ والزواجـر والدعاء الى الاسلام وذهبت فرقة الى ان الاشارة بتوصيل القول انما هي الى الالفاظ فالمعنى ولقد وصلنا لهـم قولا معجزا دالا على نبوتـك قال (ع) والمعنى الاول تقديره ولقد وصلنا لهم قولا يتضمـن معاني من تـدبرهـا اهتدى ثم ذكر تعالى القوم الذين ءامنوا بـمحمد من اهل الكتاب مباهيا بهـم قريشا واختلف فى تعيـينهم فـقال الزهري الاشارة الى النجاشي وقيـل الى سلمان وابن سلام واسند الطبري الى رفاعة القرظي قال نزلت هذه الآيـة فى اليهود فى عشرة انا احدهم اسلمنا فاوذينا فنزلت فينـا هذه الآية والضميـر فى قبله يعود على القرءان واجرهم مرتين معناه على ملتين وهذا المعنى هـو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم ثلاثـة يوتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب ءامن بنبيه وءامن بى الحديث ويدرءون معناه يدفعون وهذا وصف لمـكارم الاخـلاق اي يتغابون ومن قال لهم سوءا لاينوه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه واللغو سقط القول والقول يسقط لوجوه يعز حصرها والمراد منه فى الآية ماكان سبا واذى ونحوه فادب الاسلام الاعراض عنه وسلام فى هذا الموضع قصد به المتاركة لا التحيـة قال الزجاج وهـذا قبل الامر با لقتـال ولانبتغى الجاهلين معناه لانطلبهم للجدال والمراجعة والمشاتمة (ت) قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا حبيب بن حجر القيسي قال كان يقال ما احسن الايمان يزينه العلم ومـا احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضفت شيأ الى شيىء مثل حلم الى علم انتهى واجمع جل المفسرين على ان قوله تعالى انك لاتهدى من احببت انما نزلت فى شان ابى طالب فروى ابو هريرة وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه وهو يـجود بنفسه فقال له اي عم قل لااله الا الله كلمة اشهد لك بها عند الله الحديث قد ذكرناه فى سورة براءة فمات ابو طالب على

كفره فنزلت هذه الآية فيه قال ابو روق قوله تعالى ولكن الله يهدى من يشاء اشارة الى العباس والضمير فى قوله وقالوا لقريش قال ابن عباس والمتكلم بذلك فيهم الحارث بن نوفل وحكى الثعلبي انه قال له انا لنعلم ان الذى تقول حق ولكن ان اتبعناك تخطفتنا العرب وتجبى معناه تجمع وتجلب * وقوله كل شيء يريد مما به صلاح حالهم ثم توعد قريشا بقوله وكم اهلكنا من قرية وبطرت معناه سفهت واشرت وطغت قاله ابن زيد وغيره (ت) قال الهروي قوله تعالى بطرت معيشتها اي فى معيشتها والبطر الطغيان عند النعمة انتهى ثم احالهم على الاعتبار فى خراب ديار الامم المهلكة كحجر ثمود وغيره ثم خاطب تعالى قريشا محقرا لماكانوا يفتخرون به من مال وبنين وان ذلك متاع الدنيا الفانى وان الآخرة وما فيها من النعيم الذى اعده الله للمومنين خير وابقى (ت) وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة رواه الترمذي من طريق سهل بن سعد قال وفى الباب عن ابى هريرة قال ابو عيسى هذا حديث صحيح انتهى وباقى الآية بين لمن ابصر واهتدى جعلنا الله منهم بمنه * وقوله سبحانه افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه الآية معناها يعم جميع العالم ومن المحضرين معناه فى عذاب الله قاله مجاهد وقتادة ولفظة محضر مشيرة الى سوق بجبر * وقوله تعالى ويوم يناديهم الضمير المتصل بينادى لعبدة الاوثان والاشارة الى قريش وكفار العرب * وقوله قال الذين حق عليهم القول هؤلاء المجيبون هم كل مغو داع الى الكفر من الشياطين والانس طمعوا فى التبرى من متبعيهم فقالوا ربنا هؤلاء انما اضللناهم كما ضللنا نحن باجتهاد لنا ولهم واحبوا الكفر كما احببناه تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ثم اخبر تعالى انه يقال للكفرة العابدين للاصنام ادعوا شركاءكم يعنى

الاصنام فدعوهم فلم يكن فى الجمادات ما يجيب ورأى الكفار العذاب * وقوله تعالى لو انهم كانوا يهتدون ذهب الزجاج وغيره الى ان جواب لو محذوف تقديره لما نالهم العذاب وقالت فرقة لو متعلقة بما قبلها تقديره فودوا حين رأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون * وقوله سبحانه ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين هذا النداء ايضا للكفار وعميت عليهم الانباء معناه اظلمت عليهم جهاتها * وقوله فهم لا يتساءلون معناه فى قول مجاهد لايتساءلون بالارحام ويحتمل ان يريد انهم لايتساءلون عن الانباء ليقين جميعهم انه لاحجة لهم * قوله سبحانه فعسى ان يكون من المفلحين قال كثير من العلماء عسى من الله واجبة قال (ع) وهذا ظن حسن بالله تعالى يشبه كرمه وفضله سبحانه واللازم من عسى انها ترجية لاواجبة وفى كتاب الله تعالى عسى ربه ان طلقكن (ت) ومعنى الوجوب هنا الوقوع * وقوله سبحانه وربك يخلق ما يشاء ويختار الآية قيل سببها قول قريش لولا نزل هذا القرءان على رجل من القريتين عظيم ونحو ذلك من قولهم فرد الله عليهم بهذه الآية وجماعة المفسرين ان ما نافية اي ليس لهم الخيرة وذهب الطبري الى ان ما مفعولة بيختار اي ويختار الذى لهم فيه الخيرة وعن سعد بن ابى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة ابن ءادم استخارته الله ومن شقاوته تركه رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح وباقى الآية بين والسرمد من الاشياء الدائم الذى لاينقطع (ت) وقوله سبحانه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله الآية معناها بين وينبغى للعاقل ان لا يجعل ليله كله نوما فيكون ضائع العمر جيفة بالليل بطالا بالنهار كما قيل

نهارك بطال وليلك نائم * كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

فان اردت ايها الاخ ان تكون من الابرار فعليك بالقيام فى الاسحار وقد نقل صاحب الكوكب الدري عن البزار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما قالت ام سليمان لسليمان عليه السلام يابني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل يدع الرجل فقيرا يوم القيامة انتهى وابتغاء الفضل هو بالمشي والتصرف * وقوله تعالى ونزعنا من كل امة شهيدا اي عدول الامم واخيارها فيشهدون على الامم بخيرها وشرها فيحق العذاب على من شهد عليه بالكفر وقيل له على جهة الاعذار فى المحاورة هاتوا برهانكم ومن هذه الآية انتزع قول القاضى عند ارادة الحكم ابقيت لك حجة * وقوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم الآية كان قارون من قرابة موسى ممن آمن بموسى وحفظ التوراة وكان عند موسى من عباد المومنين ثم ان الله اضله وبغى على قومه بانواع البغي من ذلك كفره بموسى وقال الثعلبي قال ابن المسيب كان قارون عاملا لفرعون على بنى اسرايل ممن يبغى عليهم ويظلمهم قال قتادة بغى عليهم بكثرة ماله وولده انتهى (ت) وما ذكره ابن المسيب هو الذى يصح فى النظر لمتأمل الآية ولولا الاطالة لبينت وجه ذلك والمفاتح ظاهرها انها التى يفتح بها ويحتمل ان يريد بها الخزائن والاوعية الكبار قاله الضحاك لان المفتح فى كلام العرب الخزانة واما قوله لتنوء فمعناه تنهض بتحامل واشتداد قال كثير من المفسرين ان المراد ان العصبة تنوء بالمفاتح المثقلة لها فقلب (ت) وقال عريب الاندلسي فى كتاب الانواء له نوء كذا معناه ميله ومنه لتنوء بالعصبة انتهى وهو حسن ان ساعده النقل وقال الداودي عن ابن عباس لتنوء بالعصبة اولى القوة يقول تثقل وكذا قال الواحدي انتهى واختلف فى العصبة كم هم فقال ابن عباس ثلاثة وقال قتادة هم من العشرة الى الاربعين قال البخاري يقال الفرحين المرحين قال الغزالي فى الاحياء الفرح بالدنيا والتنعم بها سم قاتل يسرى فى العروق

فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيامة وهذا هو موت القلب والعياذ بالله فاولوا الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم فى حال الفرح بمواتاة الدنيا وعلموا ان النجاة فى الحزن الدائم والتباعد من اسباب الفرح والبطر فقطعوا النفس عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب ومن نوقش الحساب عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك فى الدنيا والآخرة بالخلاص من اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته انتهى قال ابن الحاج فى المدخل قال يمن بن رزق رحمه الله تعالى وانا اوصيك بان تطيل النظر فى مرءاة الفكرة مع كثرة الخلوات حتى يريك شين المعصية وقبحها فيدعوك ذلك النظر الى تركها ثم قال يمن بن رزق ولا تفرحن بكثرة العمل مع قلة الحزن واغتنم قليل العمل مع الحزن فان قليل حزن الآخرة الدائم فى القلب ينفى كل سرور الفته من سرور الدنيا وقليل سرور الدنيا فى القلب ينفى عنك جميع حزن الآخرة والحزن لايصل الى القلب الامع تيقظه وتيقظه حياته وسرور الدنيا لغير الآخرة لايصل الى القلب الامع غفلته وغفلة القلب موته وعلامة ثبات اليقين فى القلب استدامة الحزن فيه وقال رحمه الله اعلم انى لم اجد شيأ ابلغ فى الزهد فى الدنيا من ثبات حزن الآخرة فى القلب وعلامة ثبات حزن الآخرة فى القلب انس العبد بالوحدة انتهى وقولهم له ولا تنس نصيبك من الدنيا قال ابن عباس والجمهور معناه لا تضيع عمرك فى ان لا تعمل عملا صالحا فى دنياك اذ الآخرة انما يعمل لها فى الدنيا فنصيب الانسان عمره وعمله الصالح فيها فينبغى ان لايهمله وحكى الثعلبي انه قيل ارادوا بنصيبه الكفن قال (ع) وهذا كله وعظ متصل ونحو هذا قول الشاعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله * رداءان تلوى فيهما وحنوط

وقال ابن العربي فى احكامه وفى معنى النصيب ثلاثة اقوال الاول لاتنس حظك من الدنيا اي لاتغفل ان تعمل فى الدنيا للآخرة الثانى امسك مايبلغك فذلك حظ الدنيا وانفق الفضل فذلك حظ الآخرة الثالث لاتغفل عن شكر ماانعم الله به عليك انتهى وقولهم واحسن كما احسن الله اليك امر بصلة المساكين وذوى الحاجات (ص) كما احسن الكاف للتشبيه اوللتعليل انتهى وقول قارون انما اوتيته على علم عندى قال الجمهور ادعى ان عنده علما استوجب به ان يكون صاحب ذلك المال ثم اختلفوا فى ذلك العلم فقال ابن المسيب اراد علم الكيمياء وقال ابو سليمان الداراني اراد العلم بالتجارة ووجوه تثمير المال وقيل غير هذا * وقوله تعالى ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون قال محمد بن كعب هو كلام متصل بمعنى ما قبله والضمير فى ذنوبهم عائد على من اهلك من القرون اي اهلكوا ولم يسئل غيرهم بعدهم عن ذنوبهم اي كل احد انما يكلم ويعاتب بحسب ما يخصه وقالت فرقة هو اخبار مستانف عن حال يوم القيامة وجاءت ءايات اخر تقتضى السؤال فقال الناس فى هذا انها مواطن وطوائف وقيل غير هذا ويوم القيامة هو مواطن ثم اخبر تعالى عن خروج قارون على قومه فى زينته من الملابس والمراكب وزينة الدنيا واكثر الناس فى تحديد زينة قارون وتعيينها بما لاصحة له فتركته وباقى الآية بين فى اغترار الجهلة والاغمار من الناس * وقوله سبحانه وقال الذين اوتوا العلم ويلكم الآية اخبر تعالى عن الذين اوتوا العلم والمعرفة بالله وبحق طاعته انهم زجروا الاغمار الذين تمنوا حال قارون وحملوهم على الطريقة المثلى من ان النظر والتمني انما ينبغى ان يكون فى امور الآخرة وان حالة المومن العامل الذى ينتظر ثواب الله تعالى خير من حال كل ذى دنيا ثم اخبر تعالى عن هذه النزعة وهذه القوة فى الخير والدين انها لايلقاها اي لايمكن فيها ويخولها الا الصابر على طاعة

الله وعن شهوات نفسه وهذاهو جماع الخير كله وقال الطبري الضمير عائد على الكلمة وهي قوله ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا اي لايلقن هذه الكلمة الا الصابرون وعنهم تصدر وروي في الخسف بقارون وداره ان موسى عليه السلام لما امضه فعل قارون به وتعديه عليه استجار بالله تعالى وطلب النصرة فاوحى الله اليه انى قد امرت الارض ان تطيعك فى قارون واتباعه فقال موسى ياارض خذيهم فاخذتهم الى الركب فاستغاثوا ياموسى ياموسى فقال خذيهم فاخذتهم شيأ فشيأ الى ان تم الخسف بهم فاوحى الله اليه ياموسى لوبى استغاثوا والي تابوا لرحمتهم قال قتادة وغيره روي انه يخسف به كل يوم قامة فهو يتجلجل الى يوم القيامة (ت) وفى الترمذي عن معاذ بن انس الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من اي حلل الايمان شاء يلبسها وروى الترمذي عن عائشة قالت كان لنا قرام ستر فيه تماثيل على بابى فرءاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انزعيه فانه يذكرنى الدنيا الحديث وروى الترمذي عن كعب ابن عياض قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فتنة وفتنة امتى المال قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وفيه عن عثمان بن عفان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس لابن ءادم حق فى سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء قال النضر بن شميل جلف الخبز يعنى ليس معه ادام انتهى فهذه الاحاديث واشباهها تزهد فى زينة الدنيا وغضارة عيشها الفانى * وقوله ويكأن مذهب الخليل وسيبويه انوي حرف تنبيه منفصلة من كأن لكن اضيفت لكثرة الاستعمال وقال ابو حاتم وجماعة ويك هي ويلك حذفت اللام منها لكثرة الاستعمال وقالت فرقة ويكأن بجملتها كلمة * وقوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا

فى الارض ولا فسادا الآية هذا اخبار مستانف من الله تعالى لنبيه عليه السلام يراد به جميع العالم ويتضمن الحض على السعي حسب مادلت عليه الآية ويتضمن الانحناء على حال قارون ونظرائه والمعنى ان الآخرة ليست فى شيء من امر قارون واشباهه وانما هي لمن صفته كذا وكذا والعلو المذموم هو بالظلم والتجبر قال النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان تريد ان يكون شراك نعلك افضل من شراك نعل اخيك والفساد يعم وجوه الشر * وقوله تعالى ان الذى فرض عليك القرءان قالت فرقة معناه فرض عليك احكام القرءان * وقوله تعالى لرادك الى معاد قال الجمهور معناه لرادك الى الآخرة اي باعثك بعد الموت وقال ابن عباس وغيره المعاد الجنة وقال ابن عباس ايضا ومجاهد المعاد مكة وفى البخاري بسنده عن ابن عباس لرادك الى معاد الى مكة انتهى وهذه الآية نزلت بالجحفة كما تقدم والمعاد الموضع الذى يعاد اليه * وقوله تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الارحمة من ربك هوتعديد نعم والظهير المعين * ولا يصدنك عن آيات الله باقوالهم ولا تلتفت نحوهم وامض لشأنك وادع الى ربك وءايات الموادعة كلها منسوخة * وقوله تعالى كل شيء هالك الاوجهه قالت فرقة المعنى كل شيء هالك الاهو سبحانه قاله الطبري وجماعة منهم ابو المعالى رحمه الله وقال الزجاج الااياه

تفسير سورة العنكبوت وهي مكية

الا الصدر منها العشر الآيات فانها مدنية نزلت فى شأن من كان من المسلمين بمكة هذا اصح ماقيل هنا

* بسم الله الرحمــن الرحيم *

قوله تعالى الم تقدم الكلام على هذه الحروف * وقوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا ءامنا وهم لايفتنون نزلت هذه الآية فى قوم مــن المومنين بمكة وكان كفار قريش يوذونهم ويعذبونهم على الاسلام فكانت صدورهم تضيق لذلك وربما استنكر بعضهم ان يمكن الله الكفرة من المومنين قال مجاهد وغيره فنزلت هذه الآية مسلية ومعلمة ان هذه هي سيرة الله فى عباده اختبارا للمومنين ليعلم الصادق من الكاذب وحسب بمعنى ظن * والذين من قبلهم يريد بهم المومنين مع الانبياء فى سالف الدهــر * وقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ام معادلة للهمــزة فى قوله احسب وكانــه تعالى قرر الفريقين قــرر المومنين على ظنهم انهم لايفتنون وقرر الكافرين الذين يعملون السيئات فى تعذيب المومنين وغير ذلك على ظنهم انهم يسبقون عقاب الله ويعجزونــه ثم الآية بعد تعم كل عاص وعامل سيئة من المسلمين وغيرهم وفى الآيــة وعيــد شديد للكفرة الفاتنين وفى قوله تعالى من كان يرجوا لقاء الله تثبيت للمومنين وباقى الآية بين والله الموفق وقال (ص) قول (ع) ام معادلة للالف فى قوله احسب يقتضى انها هنا متصلة وليس كذلك بل ام هنا منقطعــة مقدرة ببل للاضراب بمعنى الانتقال لابمعنى الابطال وهمــزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ فلا تقتضى جوابا انتهى * وقوله تعالى والذين ءامنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم اخبار عن المومنين المهاجرين الذين هم فى اعلى رتبــة من البدار الى الله تعالى نوه بهم عز وجل وبحالهم ليقيم نفوس المتخلفين عــن الهجرة وهم الذين فتنهم الكفار * ولنجزينهم احسن اي ثواب احسن الذى كانوا يعملون * وقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ماليس لك به

علم فلا تطعهما روي عن قتادة وغيره انها نزلت فى شأن سعد بن ابى وقاص وذلك انه هاجر فحلفت امــه ان لاتستظــل بظــل حتى يرجع اليها ويكفر بمحمد فلج هو فى هجرته ونزلت الآية وقيل بل نزلت فى عياش بن ابى ربيعة وكانت قصته كهذه ثم خدعه ابو جهل ورده الى امه الحديث فى كتب السيرة وباقى الآية بين ثم كرر تعالى التمثيل بحالة المومنين العاملين ليحرك النفوس الى نيل مراتبهم قال الثعلبي قوله تعالى لندخلنهم فى الصالحين اي فى زمرتهم وقال محمد بن جرير فى مدخل الصالحين وهو الجنة وقيل فى بمعنى مع والصالحون هم الانبياء والاولياء انتهى * وقوله تعالى ومن الناس من يقول ءامنا بالله الى قوله المنافقين نزلت فى المتخلفين عن الهجرة المتقدم ذكرهم قاله ابن عباس ثم قررهم تعالى على علمه بما فى صدورهم اي لوكان يقينهم تاما واسلامهم خالصا لما توقفوا ساعة ولركبوا كل هــول الى هجرتهــم ودار نبيهم * وقوله تعالى وليعلمــن الله الذين ءامنوا وليعلمن المنافقــين هنا انتهى المدني مــن هــذه السورة * وقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين ءامنــوا اتبعوا سبيلنا الآيــة روي ان قائل هذه المقالة هــو الوليدبن المغيرة وقيل بل كانت شائعة من كفار قريش لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى وليحملن اثقالهم الآية لانه يلحق كل داع الى ضلالة كفل منها حسبماصرح به الحديث المشهور * وقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الاية العطف بالفاء يقتضى ظاهره انه لبث هذه المدة رسولا يدعو الى عبادة الله تعالى والطوفان العظيم الطامى ويقال ذلك لكل طام خرج عــن العادة من ماء اونار اوموت * وقوله وهم ظالمون يريد بالشرك ثم ذكــر تعالى قصة ابراهيم وقومه وذلك ايضا تمثيل لقريش * وتخلقون افكا قال ابن عبــاس هو نحت الاصنام وقال مجاهد هو اختلاق الكذب فى امر الاوثان وغير ذلك * وقوله تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخــلــق ثم يعيده الآية هــذه الحالة هي

على مايظهر مع الاحيان مـن احياء الارض والنبات واعادتـه ونحـو ذلك مما هو دليل على البعث من القبور ثم امر تعالى نبيه محمدا عليـه السلام ويحتمل ان يكون ابراهيم بان يامرهم على جهة الاحتجاج بالسير فى الارض والنظر فى اقطارها والنشأة الآخرة نشأة القيام من القبور * وقوله تعالى وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء الآية قال ابن زيد لا يعجزه اهل الارض فى الارض ولا اهـل السـماء فى السـماء ان عصوه وقيـل معناه ولا فى السـماء لو كنتم فيها وقيل المعنى ليس للبشر حيلة الى صعود اونزول يفلتون بها قال قتادة ذم الله قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا مـن رحمتى الآيـة قال (ع) وما تقدم من قوله اولم يروا كيف الى هذه الآية المستانفة يحتمل ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم ويكون اعتراضا فى قصة ابراهيم عليـه السلام ويحتمل ان يكون خطابا لابراهيم ومحاورة لقومه وعنـد ءاخر ذلك ذكر جواب قومـه * وقوله تعالى فانجاه الله من النار اي بان جعلها بردا وسلاما قال كعب الاحبار ولم تحرق النار الا الحبل الذى اوثقوه به وجعل سبحانه ذلك ءاية وعبرة ودليلا على توحيده لمن شرح صدره ويسره للايمان ثم ذكر تعالى ان ابراهيم عليه السلام قررهم على ان اتخاذهم الاوثان انما كان اتباعا من بعضهم لبعض وحفظا لمودتهم الدنيوية وانهم يوم القيامـة يجحد بعضهم بعضا ويتـلاعنون لان توادهـم كان على غـير تقوى والاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين * وقوله تعالى فـءامـن له لوط معناه صدق وآمن يتعدى باللام والباء والقائل انى مهاجر هو ابراهيم عليه السلام قاله قتادة والنخعي وقالت فرقة هو لوط عليه السلام * وقوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوءة والكتاب وءاتيناه اجره فى الدنيا الآية ٠لاجر الذى اتاه الله فى الدنيا العافية من النار ومن الملك الجائر والعمل الصالح اوالثنـا الحسن قاله مجاهد ويدخل فى عموم اللفظ غير مـا ذكـر * وانـه

فى الآخره لمن الصالحين اي فى عداد الصالحين الذين نالوا رضا الله عز وجل وقول لوط ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل قالت فرقة كان قطع الطريق بالسلب فاشيا فيهم وقيل غير هذا والنادى المجلس الذى يجتمع الناس فيه واختلف فى هذا المنكر الذى ياتونه فى ناديهم فقالت فرقة كانوا يخذفون الناس بالحصباء ويستخفون بالغريب والخاطر عليهم وروته ام هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم وكانت خلقهم مهملة لا يربطهم دين ولا مروءة وقال مجاهد كانوا ياتون الرجال فى مجالسهم وبعضهم يرى بعضا وقال ابن عباس كانوا يتضارطون ويتصافعون فى مجالسهم وقيل غير هذا وقد تقدم قصص الآية مكررا والرجز العذاب * وقوله تعالى ولقد تركنا منها اي من خبرها وما بقي من آثارها والآية موضع العبرة وعلامة القدرة ومزدجر النفوس عن الوقوع فى سخط الله تعالى * وقوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر الآية الرجاء فى الآية على بابه وذهب ابو عبيدة الى ان المعنى وخافوا وتعثوا معناه تفسدوا والسبيل هي طريق الايمان ومنهج النجاة من النار وما كانوا سابقين اي مفلتين اخذنا وعقابنا وقيل معناه وما كانوا سابقين الامم الى الكفر وباقى الآية بين * وقوله تعالى ان الله يعلم ماتدعون من دونه من شيئ قيل معناه ان الله يعلم الذين تدعون من دونه من جميع الاشياء وقيل مانافية وفيه نظر وقيل مااستفهامية قال جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون العالم من عقل عن الله تعالى فعمل بطاعته وانتهى عن معصيته * وخلق الله السموات والارض بالحق اي لا للعبث واللعب بل ليدل على سلطانه وتثبيت شرائعه ويضع الدلالة لاهلها ويعم بالمنافع الى غير ذلك مما لا يحصى عدا ثم امر تعالى نبيه عليه السلام بالنفوذ لامره وتلاوة القرءان الذى اوحي اليه واقامة الصلاة اي ادامتها والقيام بحدودها ثم اخبر

سبحانـه حكما منه ان الصلاة تنهـى صاحبهـا وممتثلها عن الفحشـاء والمنكر قال (ع) وذلك عندى بان المصلي اذا كان على الواجب من الخشوع والاخبات وتذكر الله وتوهم الوقوف بين يديه وان قلبه واخلاصه مطلع عليـه مرقوب صلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى فاطرد ذلك فى اقواله وافعاله وانتهى عن الفحشاء والمنكر ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صـلاة اخرى يرجع بها الى افضل حاله فهذا معنى هذا الاخبار لان صلاة المومن هكذا ينبغي ان تكون وقد روي عن بعض السلف انـه كان اذا اقام الصـلاة ارتعد واصفر لونه فكلم فى ذلك فقال انى اقف بين يدي الله تعالى قال (ع) فهذه صلاة تنهى ولابد عن الفحشاء والمنكر واما من كانت صلاته دائرة حـول الاجزاء بلا تذكر ولا خشوع ولا فضائل فتلك تترك صاحبها من منزلتـه حيـث كان * وقوله تعالى ولذكر الله اكبر قال ابن عباس وابو الدرداء وسلمان وابن مسعود وابو قرة معناه ولذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وقيل معناه ولذكـر الله اكبر مع المداومة من الصلاة فى النهي عن الفحشاء والمنكـر وقال ابن زيـد وغيره معناه ولذكر الله اكبر من كل شيئ وقيل لسلمان اي الاعمال افضل فقال اما تقرأ ولذكر الله اكبر والاحاديث فى فضل الذكر كثيرة لا تنحصر وقال ابن العـربي فى احكامـه قوله ولـذكـر الله اكـبر فيـه اربعـة اقوال الاول ذكر الله لكم افضـل من ذكركم له اضاف المصدر الى الفاعل الثانى ذكر الله افضل من كل شيئ الثالث ذكر الله فى الصلاة افضل من ذكره فى غيرها يعنى لانهما عبادتان الرابع ذكر الله فى الصـلاة اكبر من الصلاة وهذه الثلاثة الاخيرة من اضافة المصـدر الى المفعول وهذه كلهـا صحيحـة وان للصـلاة بركـة عظيمـة انتهى قال (ع) وعندى ان المعنى ولذكر الله اكبر على الاطلاق اي هـو الذى ينهى عن

الفحشاء والمنكر فالجزء الذى منه فى الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل فى غير الصلاة لان الانتهاء لايكون الا من ذاكر لله تعالى مراقب له وثواب ذلك الذكران يذكره الله تعالى كما فى الحديث الصحيح ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم والحركات التى فى الصلاة لاتأثير لها فى نهي والذكر النافع هومع العلم واقبال القلب وتفرغه الا من الله واما مالا يتجاوز اللسان ففى رتبة اخرى وذكر الله تعالى للعبد هو افاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة ذكرالعبد ربه قال الله عز وجل فاذكرونى اذكركم وعبارة الشيخ ابن ابى جمرة ولذكر الله اكبر معناه ذكره لك فى الازل ان جعلك من الذاكرين له اكبر من ذكرك انت الآن له انتهى قال القشيري فى رسالته الذكر ركن قوي فى طريق الحق سبحانه وهو العمدة فى هذا الطريق ولايصل احد الى الله سبحانه الا بدوام الذكر ثم الذكر على ضربين ذكر باللسان وذكر بالقلب فذكر اللسان به يصل العبد الى استدامة ذكر القلب والتاثير لذكر القلب فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه سمعت اباعلى الدقاق يقول الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد وفق للمنشور ومن سلب الذكر فقد عزل والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات واسند القشيري عن المظفر الجصاص قال كنت انا ونصر الخراط ليلة فى موضع فتذاكرنا شيأ من العلم فقال الخراط الذاكر لله تعالى فائدته فى اول ذكره ان يعلم ان الله ذكره فبذكر الله له ذكره قال فخالفته فقال لوكان الخضرهاهنا لشهد لصحته قال فاذا نحن بشيخ يجيء بين السماء والارض حتى بلغ الينا وقال صدق الذاكر لله بفضل الله وذكره له ذكره فعلمنا انه الخضرعليه السلام انتهى وباقى الآية ضرب من التوعد وحث على المراقبة قال الباجي فى سنن الصالحين قال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته

وكنت جليسه ومحادثه وانيسه انتهى * وقوله تعالى ولاتجادلوا اهل الكتاب الابالتى هي احسن هذه الآية مكية ولم يكن يومئذ قتال وكانت اليهود يومئذ بمكة وفيما جاورها فربما وقع بينهم وبين بعض المومنين جدال واحتجاج فى امر الدين وتكذيب فامر الله المومنين الايجادلوهم الابالتى هي احسن دعاء الى الله تعالى وملاينة ثم استثنى من ظلم منهم المومنين وحصلت منه اذية فان هذه الصنيفة استثني لاهل الاسلام معارضتها بالتغيير عليها والخروج معها عن التى هي احسن ثم نسخ هذا بعد بئاية القتال وهذا قول قتادة وهو احسن ما قيل فى تاويل الآية (ت) قال عزالدين بن عبد السلام فى اختصاره لقواعد الاحكام فائدة لايجوز الجدال والمناظرة الالاظهار الحق ونصرته ليعرف ويعمل به فمن جادل لذلك فقد اطاع ومن جادل لغرض آخر فقد عصى وخاب ولاخير فيمن يتحيل لنصرة مذهبه مع ضعفه وبعد ادلته من الصواب انتهى تنبيه روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق وروى ابو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها حديث غريب انتهى وهما فى مصابيح البغوي وروى ابو داود عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال او الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولاعدلا انتهى * وقوله تعالى وقولوا ءامنا الآية قال ابو هريرة كان اهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية للمسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا ءامنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وروى ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسئلوا اهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا

اما ان تكذبوا بحق واما ان تصدقوا بباطل * وقوله تعالى فالذين ءاتيناهم الكتاب يريد التوراة والانجيل كانوا فى وقت نزول الكتاب عليهم يرمنون بالقرءان ثم اخبر عن معاصرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان منهم ايضا من يومن به ولم يكونوا ءامنوا بعد ففى هذا اخبار بغيب بينه الوجود بعد ذلك * وما يجحد بئاياتنا الا الكافرون يشبه ان يراد بهذا الانحناء كفار قريش ثم بين تعالى الحجة واوضح البرهان ان مما يقوى ان نزول هذا القرءان من عند الله ان محمدا عليه السلام جاء به فى غاية الاعجاز والطول والتضمن للغيوب وغير ذلك وهو امي لا يقرأ ولا يكتب ولايتلو كتابا ولا يخط حروفا ولا سبيل له الى التعلم ولوكان ممن يقرأ اويخط لا رتاب المبطلون وكان لهم فى ارتيابهم معلق واما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده بل هو ءايات بينات يعنى القرءان ويحتمل ان يعود على امر محمد صلى الله عليه وسلم والظالمون والمبطلون يعم لفظهما كل مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن عظم الاشارة بهما الى قريش لانهم الاهم قاله مجاهد * وقالوا لولا انزل عليه ءايات من ربه الضمير فى قالوا لقريش ولبعض اليهود لانهم كانوا يعلمون قريشا مثل هذه الحجة على مامر فى غير ما موضع ثم احتج عليهم فى اقتراحهم ءاية بامر القرءان الذى هو اعظم الآيات ومعجز للجن والانس فقال سبحانه اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب الآية * وقوله ءامنوا بالباطل يريد الاصنام وما فى معناها * وقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب يريد كفار قريش وباقى الآية بين مما تقدم مكررا والله الموفق بفضله وبغتة معناه فجأة وهذا هو عذاب الدنيا كيوم بدر ونحوه ثم توعدهم سبحانه بعذاب الآخرة فى قوله يستعجلونك بالعذاب وان جهنم الآية * وقوله تعالى يا عبادي الذين ءامنوا ان ارضى واسعة فاياي فاعبدون الآيات هذه

الآيات نزلت فى تحريض المومنين الكائنين بمكة على الهجرة قال ابن جبير وعطاء ومجاهد ان الارض التى فيها الظلم والمنكر تترتب فيها هذه الآية وتلزم الهجرة عنها الى بلد حق وقاله مالك * وقوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون تحقير لامر الدنيا ومخاوفها كان بعض المومنين نظر فى عاقبة تلحقه فى خروجه من وطنه انه يموت او يجوع ونحو هذا فحقر الله سبحانه شأن الدنيا اي وانتم لامحالة ميتون ومحشرون الينا فالبدار الى طاعة الله والهجرة اليه اولى ما يمتثل ذكر هشام بن عبد الله القرطبي فى تاريخه المسمى ببهجة النفس قال بينما المنصور جالس فى منزله فى اعلى قصره اذ جاءه سهم عائر فسقط بين يديه فذعر المنصور منه ذعرا شديدا ثم اخذه فجعل يقلبه فاذا مكتوب عليه بين الريشتين

اتطمع فى الحياة الى التنادى * وتحسب ان مالك من معاد
ستسئل عن ذنوبك والخطايا * وتسئل بعد ذاك عن العباد

ومن الجانب الآخر

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما ياتى به القدر
وساعدتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وفى الآخر

هي المقادير تجرى فى اعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس القوم ترفعه * الى السماء ويوما تخفض العالى

ثم قرأ على الجانب الآخر من السهم

من يصحب الدهر لايامن تصرفه * يوما فللدهر احلاء وامرار
لكل شيء وان طالت سلامته * اذا انتهى مدة لابد اقصار

انتهى وقرأ حمزة لنثوينهم من الجنة غرفا من اثوى يثوى بمعنى اقام * وقوله تعالى

وكأين من دابة الآية تحريض على الهجرة لان بعض المومنين فكر فى الفقر والجوع الذى يلحقه فى الهجرة وقالوا غربة فى بلد لادار لنا فيه ولا عقار ولا من يطعم فمثل لهم باكثر الدواب التى لا تتقوت ولا تدخر ثم قال تعالى الله يرزقها واياكم فقوله لا تحمل يجوز ان يريد من الحمل اي لا تنتقل ولا تنظر فى ادخاره قاله مجاهد وغيره قال (ع) والادخار ليس من خلق الموقنين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمر كيف بك اذا بقيت فى حثالة من الناس يخبئون رزق سنة بضعف اليقين ويجوز ان يريد من الحمالة اي لا تتكفل لنفسها قال الداودي وعن علي بن الاقمر لا تحمل رزقها اي لا تدخر شيأ لغد انتهى وفى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى ثم خاطب تعالى فى امر الكفار واقامة الحجة عليهم بانهم ان سئلوا عن الامور العظام التى هي دلائل القدرة لم يكن لهم الا التسليم بانها لله تعالى و يوفكون معناه يصرفون* وقوله تعالى وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وصف الله تعالى الدنيا فى هذه الآية بانها لهو ولعب اي ما كان منها لغير وجه الله تعالى واما ما كان لله تعالى فهو من الآخرة واما امور الدنيا التى هي زائدة على الضروري الذى به قوام العيش والقوة على الطاعات فانما هي لهو ولعب وتأمل ذلك فى الملابس والمطاعم والاقوال والمكتسبات وغير ذلك وانظر ان حالة الغني والفقير من الامور الضرورية واحدة كالتنفس فى الهواء وسد الجوع وستر العورة وتوقي الحر والبرد هذه عظم امر العيش والحيوان والحياة بمعنى والمعنى لا موت فيها قاله مجاهد وهو حسن ويقال اصله حييان فابدلت احداهما واوا لاجتماع المثلين ثم وقفهم تعالى على حالهم فى البحر عند الخوف العظيم

ونسيانهم عند ذلك للاصنام وغيرها على ما تقدم بيانه فى غيرهذا الموضع وليكفروا نصب بلام كي ثم عدد تعالى على كفرة قريش نعمته عليهم فى الحرم والمثوى موضع الاقامة والفاظ هذه الآيـة فى غايـة الاقتضاب والايجاز وجمع المعانى ثم ذكر تعالى حال اوليائـه والمجاهدين فيـه * وقوله فينـا معناه فى مرضاتنـا وبغيـة ثوابنـا قال السدي وغيره نزلت هذه الآيـة قبل فرض القتال قال (ع) فهي قبل الجهاد العرفي وانمـا هو جهاد عام فى دين الله وطلب مرضاتـه قال الحسن بن ابى الحسن الآيـة فى العباد وقال ابراهيم ابن ادهم هي فى الذين يعملون بما علموا وقال ابو سليمان الداراني ليس الجهاد فى هذه الآيـة قتال العدو فقط بـل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين واعظمه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنـه مجاهدة النفوس فى طاعة الله عز وجل وهو الجهـاد الاكبر قاله الحسن وغيره وفيه حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رجعتم من الجهـاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والسبل هنـا يحتمل ان تكون طرق الجنـة ومسالكهـا ويحتمـل ان تكون سبل الاعمال المؤدية الى الجنة قال يوسف بن اسباط هي اصلاح النيـة فى الاعمـال وحب التزيـد والتفهم وهو ان يجازى العبـد على حسنة بازدياد حسنة وبعلم ينقدح من علم متقدم قال (ص) والذين جاهـدوا مبتدأ خبره القسم المحذوف وجوابه وهو لنهدينهم انتهى وقال الثعلبي قال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فى اقامة السنة لنهدينهم سبـل الجنـة انتهى واللام فى قوله لمع لام تاكيد

تفسير سورة الروم وهي مكية اتفاقا

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى الم غلبت الروم قرأ الجمهور غلبت بضم الغين وقالوا معنى الآية انه بلغ اهل مكة ان الملك كسرى هزم جيش الروم باذرعات وهي ادنى الارض الى مكة قاله عكرمة فسر بذلك كفار مكة فبشر الله تعالى المومنين بان الروم سيغلبون في بضع سنين فخرج ابو بكر رضي الله عنه الى المسجد الحرام فقال للكفار اسركم ان غلبت الروم فان نبينا اخبرنا عن الله تعالى انهم سيغلبون في بضع سنين فقال له ابي بن خلف واخوه امية بن خلف يا ابا بكر تعال فلنتناحب اي نتراهن في ذلك فراهنهم ابو بكر على خمس قلائص والاجل ثلاث سنين وذلك قبل ان يحرم القمار فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له ان البضع الى التسع ولكن زد هم في الرهن واستزد هم في الاجل ففعل ابو بكر فجعلوا القلائص مائة والاجل تسعة اعوام فغلبت الروم فارس في اثناء الاجل يوم بدر وروي ان ذلك كان يوم الحديبية يوم بيعة الرضوان وفي كلا اليومين كان نصر من الله تعالى للمومنين وذكر الناس سرور المومنين بغلبة الروم من اجل انهم اهل كتاب وفرحت قريش بغلبة الفرس من اجل انهم اهل اوثان ونحوه من عبادة النار * وقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد اي له انفاذ الاحكام من قبل ومن بعد هذه الغلبة التي بين هؤلاء ثم اخبر تعالى ان يوم غلبة الروم للفرس يفرح المومنون بنصر الله ولكن اكثر الناس لايعلمون يريد كفار قريش والعرب اي لايعلمون ان الامور من عند الله وان وعده لايخلف وان ما يورثه نبيه حق قل (ع) وهذا الذى ذكرناه عمدة ما قيل ثم وصف تعالى الكفرة الذين لايعلمون امر الله وصدق وعده بانهم انما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون قال صاحب الكلم الفارقية الدنيا طبق

مسموم * لايعرف ضرره الا ارباب الفهوم * قوة الرغبة فى الدنيا علامة ضعفها فى الآخرة * بحسب انصراف الرغبة الى الشيء يجدّ الراغب فى طلبه وتتوفر دواعيه على تحصيله * المطلوبات تُظهر وتبين اقدار طلابها * فمن شرفت همته شرفت رغبته وعزت طلبته * ياغافل سكر حبك لدنياك * وطول متابعتك لغاوى هواك * انساك عظمة مولاك * وثناك عن ذكره والهاك * وصرف وجه رغبتك عن آخرتك الى دنياك * ان كنت من اهل الاستبصار * فالق ناظر رغبتك عن زخارف هذه الدار * فانها مجمع الاكدار * ومنبع المضار * وسجن الابرار * ومجلس سرور الاشرار * الدنيا كالحية تجمع فى انيابها * سموم نوائبها * وتفرغه فى صميم قلوب ابنائها انتهى قال عياض فى الشفا قال ابو العباس المبرد رحمه الله قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنياوهم عن الآخرة هم غافلون لكن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جزأها ثلاثة اجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لايستطيع ابلاغى فانه من ابلغ حاجة من لايستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر انتهى والمومن المنهمك فى امور الدنيا التى هي اكبر همه ياخذ من هذه الآية بحظ نور الله قلوبنا بهداه (ت) قد تقدم ماجاء فى الفكرة فى ءال عمران قال ابن عطاء الله الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له وقال ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة انتهى وباقى الآية بين * وقوله عز وجل اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض الآية يريد اثاروا الارض بالمبانى والحرث والحروب وسائر الحوادث التى احدثوها

هي كلهـا اثارة للارض بعضهـا حقيقـة وبعضهـا بتجـوز والضمير فى عمروها الاول للماضين وفى الثانى للحاضرين المعاصرين * وقوله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بـايات الله قرأ نافع وغيره عاقبة بالرفع على انها اسم كان والخبر يجوز ان يكون السوأى ويجوز ان يكون ان كذبوا وتكون السوأى على هذا مفعولا باساءوا واذا كان السوأى خبرا فان كذبوا مفعول من اجله وقرأ حمزة والكسائي وغيرهما عاقبة بالنصب على انها خبر مقدم واسم كان احد ما تقدم والسوأى مصـدر كالرجعى والشورى والفتيا قال ابن عباس اساءوا هنا بمعنى كفروا والسوأى هي النار وعبارة البخـاري وقال مجـاهـد السوأى اي الاساءة جزاء المسيئين انتهى والابلاس الـكون فى شر مع اليأس من الخير (ص) وقال الزجاج المبلس الساكت المنقطع فى حجته اليائس من ان يهتـدي اليها انتهى * وقوله جلت عظمته ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون معناه فى المنازل والاحكام والجزاء قال قتادة فرقـة والله لا اجتماع بعدها ويحبرون معناه ينعمـون قاله مجاهد والحبرة والحبور السرور وقال يحي بن ابى كثير يحـبرون معناه يسمعون الاغانى وهذا نوع من الحبرة (ت) وفى الصحيح من قـول ابى موسى لوشعرت بك يارسول الله لحبرته لك تحبيرا اوكما قال وقال (ص) يحبرون قال الزجاج التحبير التحسين والحبر العالم انما هو من هذا المعنى لانـه متخـلق باحسن اخلاق المومنين والحـبر المداد انما سمي به لانه يحسن به انتهى قال الاصمعي ولايقال روضة حتى يكون فيها ماء يشرب منه ومعني فى العذاب محضرون اي مجموعون له لايغيب احد عنه * وقوله تعـالى فسبحان الله الآيـة خطاب للمومنين بالامر بالعبادة والحض على الصلاة فى هذه الاوقات كانه يقول سبحانـه اذاكان امر هذه الفرق هكـذا من النعمة والعذاب فجد ايها المومن فى طريق الفوز برحمة الله وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته فى يومه ذلك ومن قالهن حين يمسى ادرك مافاته فى ليلته رواه ابو داود انتهى من السلاح قال ابن عباس وغيره فى هذه الآية تنبيه على اربع صلوات المغرب والصبح والظهرو العصر قالوا والعشاء الاخيرة هي فى ءاية اخرى فى زلف الليل وقد تقدم بيان هذا مستوفى فى محاله * وقوله تعالى يخرج الحي من الميت الآية تقدم بيانها ثم بعد هذه الامثلة القاضية بتجويز بعث الاجساد عقلا ساق الخبر سبحانه بان كذلك خروجنا من قبورنا وتنتشرون معناه تتصرفون وتتفرقون والمودة والرحمة هما على بابهما المشهور من التواد والتراحم هذا هو البليغ وقيل غيرهذا وقرأ الجمهور للعالمين بفتح اللام يعنى جميع العالم وقرأ حفص عن عاصم بكسرها على معنى ان اهل الانتفاع بالنظرفيها انماهم اهل العلم وباقى الآية اطلبه فى محاله تجده ان شاء الله مبينا وهذا شاننا الاحالة فى هذا المختصر على ما تقدم بيانه فاعلمه راشدا (ت) وهذه الآيات والعبر انما يعظم موقعها فى قلوب العارفين بالله سبحانه ومن اكثر التفكر فى عجائب صنع الله تعالى حصلت له المعرفة بالله سبحانه قال الغزالي فى الاحياء وبحر المعرفة لاساحل له والاحاطة بكنه جلال الله محال وكلما كثرت المعرفة بالله تعالى وصفاته وافعاله واسرار مملكته وقويت كثر النعيم فى الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن وقال ايضا فى كتاب شرح عجائب القلب من الاحياء وتكون سعة ملك العبد فى الجنة بحسب سعة معرفته بالله وبحسب ما يتجلى له من عظمة الله سبحانه وصفاته وافعاله انتهى * وقوله تعالى ان تقوم السماء والارض معناه تثبت كقوله تعالى واذا اظلم عليهم قاموا وهذا كثير والدعوة من الارض هي البعث ليوم القيامة قال مكي والاحسن عند اهل النظر ان الوقف فى هذه الآية يكون

فى ءاخرها تخرجون لان مذهب سيبويه والخليل فى اذا الثانية انها جواب الاولى كانه قال ثم اذا دعاكم خرجتم وهذا اسد الاقوال وقال (ص) اذا انتم اذا للمفاجأة وهل هي ظرف مكان اوظرف زمان خلاف ومن الارض علقه الحوفي بدعا واجاز (ع) ان يتعلق بدعوة انتهى وقرأحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء والباقون بضمها والقنوت هنا بمعنى الخضوع والانقياد فى طاعته سبحانه واعادة الخلق هو بعثهم من القبور * وقوله تعالى وهو اهون عليه قال ابن عباس وغيره المعنى وهوهين عليه وفى مصحف ابن مسعود وهو هين عليه وفى بعض المصاحف وكل هين عليه وقال ابن عباس ايضا وغيره المعنى وهو ايسر عليه قال ولكن هذا التفضيل انما هو بحسب معتقد البشر وما يعطيهم النظر فى الشاهد من ان الاعادة فى كثير من الاشياء اهون علينا من البدءة ولما جاء باللفظ فيه استعارة وتشبيه بما يعهده الناس من انفسهم خلص جانب العظمة بان جعل له المثل الاعلى الذى لايلحقه تكييف ولاتماثل مع شيء ثم بين تعالى امر الاصنام وفساد معتقد من يشركها بالله بضربه هذا المثل وهو قوله ضرب لكم مثلامن انفسكم الآية ومعناه انكم ايها الناس اذا كان لكم عبيد تملكونهم فانكم لاتشركونهم فى اموالكم ومهم اموركم ولافى شيء على جهة استواء المنزلة وليس من شأنكم ان تخافوهم فى ان يرثوا اموالكم اويقاسموكم اياها فى حياتكم كما يفعل بعضكم ببعض فاذا كان هذا فيكم فكيف تقولون ان من عبيده وملكه شركاء فى سلطانه والوهيته هذا تفسير ابن عباس والجماعة * وقوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا الآية اقامة الوجه هي تقويم المقصد والقوة على الجد فى اعمال الدين وخص الوجه لانه جامع حواس الانسان ولشرفه وفطرة الله نصب على المصدر وقيل بفعل مضمر تقديره اتبع اوالتزم فطرة الله واختلف في الفطرة هاهنا والذى يعتمد عليه فى تفسير هذه

اللفظة انها الخلقة والهيئة التى فى نفس الطفل التى هي معدة مهيئة لان يميز بها مصنوعات الله ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويومن به فكانه تعالى قال اقم وجهك للدين الذى هو الحنيف وهو فطرة الله الذى على الاعداد له فطر البشر لكن تعرضهم العوارض ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه اوينصرانه الحديث ثم يقول فطرة الله الآية الى القيم فذكر الابوين انما هما مثال للعوارض التى هي كثيرة وقال البخاري فطرة الله هي الاسلام انتهى * وقوله تعالى لاتبديل لخلق الله يحتمل ان يريد بها هذه الفطرة ويحتمل ان يريد بها الانحاء على الكفرة اعترض به اثناء الكلام كانه يقول اقم وجهك للدين الذى من صفته كذا وكذا فان هؤلاء الكفرة قد خلق الله لهم الكفر ولاتبديل لخلق الله اي انهم لايفلحون وقيل غير هذا وقال البخاري لاتبديل لخلق الله اي لدين الله وخلق الاولين دينهم انتهى والقيم بناء مبالغة من القيام الذى هو بمعنى الاستقامة ومنيبين يحتمل ان يكون حالا من قوله فطر الناس لاسيما على رأي من رأى ان ذلك خصوص فى المومنين ويحتمل ان يكون حالا من قوله اقم وجهك وجمعه لان الخطاب باقامة الوجه هو للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته نظيرها قوله تعالى يا ايها النبيء اذا طلقتم النساء والمشركون المشاراليهم فى هذه الآية هم اليهود والنصارى قاله قتادة وقيل غير هذا * وقوله تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه الآية ابتداء انحاء على عبدة الاصنام قال (ع) ويلحق من هذه الالفاظ شيء للمومنين اذا جاءهم فرج بعد شدة فعلقوا ذلك بمخلوقين او بحذق آرائهم وغير ذلك لان فيه قلة شكر لله تعالى ويسمى تشريكا مجازا والسلطان هنا البرهان من رسول اوكتاب ونحوه * وقوله تعالى فهو يتكلم معناه فهو يظهر حجتهم ويغلب مذهبهم وينطق بشركهم ثم قال تعالى واذا اذقنا الناس

رحمة فرحوا بها الآية وكل احد ياخذ من هذه الخلق بقسط فالمقل والمكثر الامن ربطت الشريعة جاشه ونهجت السنة سبيله وتأدب بآداب الله فصبر عند الضراء وشكر عند السراء ولم يبطر عند النعمة ولا قنط عند الابتلاء والقنط اليأس الصريح ثم ذكر تعالى الامر الذى من اعتبره لم ييأس من روح الله وهو انه سبحانه يخص من يشاء من عباده ببسط الرزق ويقدر على من يشاء منهم فينبغى لكل عبد ان يكون راجيا ما عند ربه ثم امر تعالى نبيه عليه السلام امرا تدخل فيه امته على جهة الندب بايتاء ذى القربى حقه من صلة المال وحسن المعاشرة ولين القول قال الحسن حقه المواساة فى اليسر وقول ميسور فى العسر قال (ع) ومعظم ما قصد امر المعونة بالمال وقرأ الجمهور وما ءاتيتم بمعنى اعطيتم وقرأ ابن كثير بغير مد بمعنى وما فعلتم واجمعوا على المد فى قوله وما ءاتيتم من زكاة والربا الزيادة قال ابن عباس وغيره هذه الآية نزلت فى هبات الثواب قال (ع) وما جرى مجراها مما يصنعه الانسان ليجازئ عليه كالسلم وغيره فهو وان كان لا اثم فيه فلا اجر فيه ولا زيادة عند الله تعالى وما اعطى الانسان تنمية لماله وتطهيرا يريد بذلك وجه الله تعالى فذلك هو الذى يجازى به اضعافا مضاعفة على ما شاء الله له وقرأ جمهور السبعة ليربوا باسناد الفعل الى الربا وقرأ نافع وحده لتربوا وباقى الآية بين ثم ذكر تعالى على جهة العبرة ماظهر من الفساد بسبب المعاصى قال مجاهد البر البلاد البعيدة من البحر والبحر السواحل والمدن التى على ضفة البحر وظهور الفساد فيها هو بارتفاع البركات ووقوع الرزايا وحدوث الفتن وتغلب العدو وهذه الثلاثة توجد فى البر والبحر قال ابن عباس الفساد فى البحر انقطاع صيده بذنوب بنى ءادم وقلما توجد امة فاضلة مطيعة مستقيمة الاعمال الا يدفع الله عنها هذه الامور والامر بالعكس فى المعاصى وبطر النعمة ليذيقهم عاقبة بعض ما عملوا ويعفوا عن كثير ولعلهم يرجعون اي يتوبون

ويراجعون بصائرهم فى طاعة ربهم ثم حذر تعالى من يوم القيامة تحذيرا يعم العالم واياهم المقصد بقوله فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لامرد له من الله الآية ولامرد له معناه ليس فيه رجوع لعمل ويحتمل ان يريد لايرده راد وهذا ظاهر بحسب اللفظ ويصدعون معناه يتفرقون بعد جمعهم الى الجنة والى النار ثم ذكر تعالى من آياته اشياء وهي ما فى الريح من المنافع وذلك انها بشرى بالمطر وبلقح بها الشجر وغير ذلك وتجرى بها السفن فى البحر ثم انس سبحانه نبيه عليه السلام بقوله ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات الآية ثم وعد تعالى محمدا وامته النصر بقوله وكان حقا علينا نصر المومنين وحقا خبر كان قدمه اهتماما * وقوله تعالى الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا الآية الاثارة تحريكها من سكونها وتسييرها وبسطه فى السماء هو نشره فى الآفاق والكسف القطع * وقوله من قبله تاكيد افاد الاعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الابلاس الى الاستبشار والابلاس الكون فى حال سوء مع اليأس من زوالها * وقوله تعالى كيف يحيى الضمير فى يحيي يحتمل ان يكون للاثر ويحتمل ان يعود على الله تعالى وهو اظهر ثم اخبر تعالى عن حال تقلب بنى ءادم فى انه بعد الاستبشار بالمطر ان بعث الله ريحا فاصفر بها النبات ظلوا يكفرون قلقا منهم وقلة تسليم لله تعالى والضمير فى رأوه للنبات واللام فى لئن موذنة بمجيء القسم وفى لظلوا لام القسم * وقوله تعالى انك لاتسمع الموتى الآية استعارة للكفار وقد تقدم بيان ذلك فى سورة النمل * وقوله تعالى الله الذى خلقكم من ضعف قال كثير من اللغويين ضم الضاد فى البدن وفتحها فى العقل وهذه الآية انما يراد بها حال الجسم والضعف الاول هو كون الانسان من ماء مهين والقوة بعد ذلك الشبيبة وشدة الاسر والضعف الثانى هو الهرم والشيخوخة هذا قول قتادة وغيره وروى ابو داود فى

سننه بسند صحيح عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتنتفوا الشيب مامن مسلم يشيب شيبة فى الاسلام الا كانت له نورا يوم القيامة وفى رواية الا كتب الله عز وجل له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة انتهى ثم اخبر عزوجل عن يوم القيامة فقال ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا اي تحت التراب غير ساعة وقيل المعنى مالبثوا فى الدنيا كانهم استقلوها كذلك كانوا فى الدنيا يوفكون اي يصرفون عن الحق قال (ص) مالبثوا جواب القسم على المنى ولو حكي قولهم لكان مالبثنا انتهى ثم اخبر تعالى ان الكفرة لاينفعهم يومئذ اعتذار ولايعطون عتبى وهي الرضى وباقى الآية بين ولله الحمد

تفسير سورة لقمان وهي مكية

غير ءايتين قال قتادة اولهما ولو ان ما فى الارض الى ءاخر الآيتين وقال ابن عباس ثلاث

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل الم تلك ءايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين خصه للمحسنين من حيث لهم نفعه والافهو هدى فى نفسه * وقوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث روي ان الآية نزلت فى شأن رجل من قريش اشترى جارية مغنية لتغني له بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه ابن خطل وقيل نزلت فى النضر بن الحارث وقيل غير هذا والذى يترجح ان الآية

نزلت فى لهو حديث منضاف الى كفر فلذلك اشتدت الفاظ الآية ولهو الحديث كل ما يلهى من غناء وخناء ونحوه والآية باقية المعنى فى الامة غابر الدهر لكن ليس ليضلوا عن سبيل الله ولاليتخذوا ءايات الله هزؤا ولاعليهم هذا الوعيد بل ليعطلوا عبادة ويقطعوا زمنا بمكروه قال ابن العربي فى احكامه وروى ابن وهب عن مالك عن محمد بن المنكدر ان الله تعالى يقول يوم القيامة اين الذين كانوا ينزهون انفسهم واسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان ادخلوهم فى ارض المسك ثم يقول الله تعالى للملائكة اسمعوهم ثناءى وحمدى واخبروهم ان لاخوف عليهم ولاهم يحزنون انتهى * وقوله عز وجل واذا تتلى عليه ءاياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم الوقر فى الاذن الثقل الذى يعسر معه ادراك المسموعات والرواسى هي الجبال والميد التحرك يمنة ويسرة وماقرب من ذلك والزوج النوع والصنف وكريم مدحه بكرم جوهره وحسن منظره وغير ذلك ثم وقف تعالى الكفرة على جهة التوبيخ فقال هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه * وقوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة اختلف فى لقمان هل هو نبي اورجل صالح فقط وقال ابن عمر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم يكن لقمان نبيأ ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين احب الله فاحبه فمنّ عليه بالحكمة وخيره فى ان يجعله خليفة يحكم بالحق فقال رب ان خيرتنى قبلت العافية وتركت البلاء وان عزمت علي فسمعا وطاعة فانك ستعصمنى وكان قاضيا فى بنى اسراءيل نوبيا اسود مشقق الرجلين ذا مشافر قاله سعيد بن المسيب وابن عباس وجماعة وقال له رجل كان قد رعى معه الغنم ما بلغ بك يالقمان ما ارى قال صدق الحديث واداء الامانة وتركى مالايعنينى وحكم لقمان كثيرة ماثورة قال ابن العربي فى احكامه وروى

علماؤنا عن مالك قال قال لقمان لابنه يابني ان الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون وهم الى الآخرة سراعا يذهبون وانك قد استدبرت الدنيا مذ كنت واستقبلت الآخرة مع انفاسك وان دارا ستسير اليها اقرب اليك من دار تخرج منها انتهى * وقوله ان اشكر يجوز ان تكون ان فى موضع نصب على اسقاط حرف الجر اي بان اشكر لله ويجوز ان تكون مفسرة اي كانت حكمته دالة على الشكر لله وجميع العبادات داخلة فى الشكر لله عز وجل وحميد بمعنى محمود اي هو مستحق ذلك بذاته وصفاته * وقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن هاتان الآيتان اعتراض اثناء وصية لقمان ووهنا على وهن معناه ضعفا على ضعف كانه قال حملته امه والضعف يتزيد بعد الضعف الى ان ينقضي امده وقال (ص) وهنا على وهن حال من امه اي شدة بعد شدة اوجهدا على جهد وقيل وهنا نطفة ثم علقة فيكون حالا من الضمير المنصوب فى حملته انتهى * وقوله تعالى ان اشكر لى ولوالديك قال سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا لوالديه فى ادبار الصلوات فقد شكرهما * وقوله سبحانه وان جاهداك على ان تشرك بى الآية روي ان هاتين الآيتين نزلتا فى شأن سعد بن ابى وقاص وامه حمنة بنت ابى سفيان على ما تقدم بيانه وجملة هذا الباب ان طاعة الابوين لا تراعى فى ركوب كبيرة ولا فى ترك فريضة على الاعيان وتلزم طاعتهما فى المباحات وتستحسن فى ترك الطاعات الندب * وقوله سبحانه واتبع سبيل من اناب الي وصية لجميع العالم وهذه سبيل الانبياء والصالحين * وقوله تعالى حاكيا عن لقمان يابني انها ان تك مثقال حبة الآية ذكر كثير من المفسرين انه اراد مثقال حبة من اعمال المعاصى والطاعات وبهذا المعنى يتحصل فى الموعظة ترجية وتخويف منضاف الى تبيين قدرة الله تعالى *

وقـوله واصـبر على ما اصابك يقتضى حضـا على تغيير المنكـر وان
نال ضرر فـهو اشعار بان المغير يوذى احيانا * وقوله ان ذلك من عزم الامور
يحتمل ان يريـد مما عزمـه الله وامر بـه قاله ابن جريج ويحتمل ان يريـد ان
ذلك من مكـارم الاخلاق وعـزائم اهل الحزم السالكـين طريـق
النجاة قاله جماعة والصعر الميل فمعنى الآية ولاتمل خدك للناس كبرا
عليهم واعجابا واحتقارا لهم قاله ابن عباس وجماعـة وعبـارة البخاري
ولا تصاعر اي لاتعرض والتصاعر الاعراض بالوجـه انتهى والمرح النشاط
والمشي مرحا هـو فى غـير شغل ولغير حاجـة واهل هـذه الخلق ملازمون
للفخر والخيلاء فالمـرح مختـال فى مشيـه وقـد ورد من صحيح الاحاديث
فى جميع ذلك وعيـد شديـد يطول بنا سرده قال عيـاض كان ابو اسحاق
الجبنياني قل مايترك ثلاث كلمات وفيهن الخير كلـه اتبـع ولاتبتدع * اتضع
ولاترتفع * من ورع لايتسع * انتهى وغض الصوت اوقر للمتكلم وابسط
لنفس السامع وفهمـه ثم عارض ممثلا بصوت الحمير على جهـة التشبيه اي
تلك هي التى بعدت عن الغض فهي انكـر الاصوات فكذلك مابعد
عن الغض من اصوات البشر فهو فى طريق تلك وفى الحـديث اذا سمعتم
نهيق الحمير فتعـوذوا باللهمن الشيطان فانها رأت شيطانا وقال سفيان الثوري
صياح كل شيئ تسبيح الاصياح الحمير (ت) ولفظ الحديث عن ابيهريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم صياح الديكـة فسألوا الله
من فضله فانها رأت ملكا واذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان
فانـه رأى شيطانا رواه الجماعـة الاابن ماجـه وفى لفظ النسائي اذا سمعتم
الديكـة تصيح بالليل وعـن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم اذا
سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير مـن الليـل فتعوذوا بالله مـن الشيطـان

الرجيم فانهـا ترى مـا لاترون واقلوا الخـروج اذا جـدت فان الله يـبث فى ليـله مـن خلقـه ما يشاء رواه ابو داود والنسـاءي والحـاكم فى المسـتـدرك واللفظ له وقال صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح * وقوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهـرة وباطنـة قال المحاسبي رحمـه الله الظـاهـرة نعم الدنيـا والباطنـة نعم العقبى والظاهر عنـدى التعميم ثم وقف تعالى الكفرة على اتباعهم دين ءابائهم ايكـون وهم بحال مـن يصير الى عـذاب السعير فكأن القائل منهم يقول هم يتبعون دين ءابائهم ولوكان مصيرهم الى السعير فـدخلت الف التوقيف على حرف العطف كما كان اتساق الكلام فيـه فتأملـه * وقوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله معناه يخلص ويوجـه ويستسلم بـه والوجه هنـا الجارحة استعير للمقصد لان القاصد الى شيئ فهو مستقبله بوجهه فاستعير ذلـك للمعانى والمحسن الذى جمـع القـول والعـمـل وهـو الذى شرحـه صلى الله عليـه وسلم حـين سـأله جبريل عـن الاحسـان والمتـاع القليـل هناهو العمر فى الدنيـا * وقوله قـل الحمـد لله اي على ظهور الحجـة * وقوله تـعالى ولو ان مـا فى الارض مـن شجـرة اقلام الآيـة روي عـن ابن عباس ان سبب نزولهـا ان اليهـود قالت يامحمـد كيف عنينـا بهـذا القول وما اوتيتم من العلم الاقليلا ونحن قداوتينا التوراة تبيانا لكل شيئ فنزلت الآية وقيل غير هـذا قال (ع) وهذه الآيـة بحر نظر وفكرة نور الله فلوبنـا بهداه * وقوله تعالى ما خلقكم ولابعثكم الاكنفس واحدة اي لانه كله بكن فيكون قاله مجاهد * وقوله تعالى كل يجرى الى اجل مسمى يريد القيامة * وقوله بنعمة الله يحتمل ان يريد ما تحمله السفن من الطعام والارزاق والتجارات فالباء للالزاق ويحتمل ان يريد بالريح وتسخير الله البحر ونحو هـذا فالباء باء السبب وذكر تعالى من صفات المومن الصبار والشكور لانهما عُظم اخلاقه

الصبر على الطاعات وعلى النوائب وعن الشهوات والشكر على الضراء والسراء وقال الشعبي الصبر نصف الايمان والشكر نصفه الآخر واليقين الايمان كله وغشي غطى او قارب والظلل السحاب * وقوله تعالى فمنهم مقتصد قال الحسن منهم مومن يعرف حق الله فى هذه النعم والختار القبيح الغدر وذلك ان منن الله على العباد كانها عهود ومنن يلزم عنها اداء شكرها والعبادة لمسديها فمن كفر ذلك وجحد به فكانه ختر وخان قال الحسن الختار هو الغدار وكفور بناء مبالغة * وقوله تعالى ياايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده الآية يجزى معناه يقض والمعنى لاينفعه بشيء وقرأ الجمهور الغرور بفتح الغين وهو الشيطان قاله مجاهد وغيره واعلم ايها الاخ ان من فهم كلام ربه ورزق التوفيق لم ينخدع بغرور الدنيا وزخرفها الفانى بل يصرف همته بالكلية الى التزود لآخرته ساعيا فى مرضاة ربه وان من ايقن ان الله يطلبه صدق الطلب اليه كما قاله الامام العارف بالله ابن عطاء الله وانه لابد لبناء هذا الوجود ان تنهدم دعائمه وان تسلب كرائمه فالعاقل من كان بما هو ابقى افرح منه بما هو يفنى قد اشرق نوره وظهرت تباشيره فصدف عن هذه الدار مغضيا واعرض عنها موليا فلم يتخذها وطنا ولاجعلها سكنا بل انهض الهمة فيها الى الله وصارفيها مستعينا به فى القدوم عليه فمازالت مطية عزمه لايقر قرارها دائما تسيارها الى ان اناخت بحضرة القدس وبساط الانس انتهى وروينا فى جامع الترمذي عن ابى امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اغبط اولياءى عندى لمومن خفيف الحاذ ذوحظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لايشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نفض بيده فقال عجلت منيته قلت نوائحه قل تراثه قال ابو عيسى وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن

اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت شكرتك وحمدتك قال ابو عيسى هذا حديث حسن وفى الباب عن فضالة بن عبيد انتهى والغرور التطميع بما لايحصل وقال ابن جبير معنى الآية ان تعمل المعصية وتتمنى المغفرة وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال خمس من الغيب لايعلمهن الاالله تعالى وتلا الآية ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى ءاخرها قال ابو حيان باي ارض الباء ظرفية والجملة فى موضع نصب بتدرى انتهى

تفسير سورة السجدة وهي مكية
غير ثلاث ءايات نزلت بالمدينة

وهي قوله تعالى افمن كان مومنا كمن كان فاسقا الى تمام ثلاث ءايات

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال جابر ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام حتى يقرأ الم السجدة وتبارك الذى بيده الملك وتنزيل يصح ان يرتفع بالابتداء والخبر لاريب ويصح ان يرتفع على انه خبر مبتدإ محذوف اي ذلك تنزيل والريب الشك وكذلك هو فى كل القرءان الاقوله ريب المنون * وقوله ام يقولون اضراب كانه قال بل ايقولون ثم رد على مقالتهم واخبر انه الحق من عند الله * وقوله سبحانه ما ءاتاهم اي لم يباشرهم ولا رأوه هم ولا ءاباؤهم العرب * وقوله تعالى وان من امة الا خلافيها نذير يعم من بوشر من النذر ومن سمع به فالعرب من الامم

التى خلت فيها النذر على هذا الوجه لانها علمت بابراهيم وبنيه وبدعوتهم ولم ياتهم نذير مباشر لهم سوى محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ومقاتل المعنى لم ياتهم نذير فى الفترة بين عيسى ونبينا محمد صلى الله عليهما وسلم * وقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض الآية الامر اسم جنس لجميع الامور والمعنى ينفذ سبحانه قضاءه بجميع مايشاءه ثم يعرج اليه خبر ذلك فى يوم من ايام الدنيا مقداره ان لوسير فيه السير المعروف من البشر الف سنة اي نزولا وعروجا لان ما بين السماء والارض خمس مائة سنة هذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقيل المعنى يدبر الامر من السماء الى الارض فى مدة الدنيا ثم يعرج اليه يوم القيامة ويوم القيامة مقداره الف سنة من عدنا وهو على الكفار قدر خمسين الف سنة وقيل غير هذا وقرأ الجمهور الذى احسن كل شيئ خلقه بفتح اللام على انه فعل ماض ومعنى احسن اتقن واحكم فهو حسن من جهة ما هو لمقاصده التى اريد لها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر خلقه بسكون اللام وذهب بعض الناس على هذه القراءة الى ان احسن هنا معناه الهم وان هذه الآية بمعنى قوله تعالى اعطى كل شيئ خلقه ثم هدى اي الهم والانسان هنا ءادم والمهين الضعيف ونفخ عبارة عن افاضة الروح فى جسد ءادم والضمير فى روحه لله تعالى وهي اضافة ملك الى مالك وخلق الى خالق ويحتمل ان يكون الانسان فى هذه الآية اسم جنس وقليلا صفة لمصدر محذوف * وقوله تعالى وقالوا ائذا ضللنا فى الارض اي تلفنا وتقطعت اوصالنا فذهبنا فى التراب حتى لم نوجد انا لفى خلق جديد اي انخلق بعد ذلك خلقا جديدا انكارا منهم للبعث واستبعادا له ويتوفاكم معناه يستوفيكم روي عن مجاهد ان الدنيا بين يدي ملك الموت كالطست بين يدي الانسان ياخذ من حيث امر * وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم الآية تعجيب

لمحمد عليه السلام وامته من حال الكفرة وما حل بهم وجواب لومحذوف لان حذفه اهول فى النفوس وتنكيس رؤسهم هومن الذل والياس والهم بحلول العذاب وقولهم ابصرنا وسمعنا اي ما كنا نخبربه فى الدنيا ثم طلبوا الرجعة حين لاينفع ذلك ثم اخبر تعالى عن نفسه انه لوشاء لهدى الناس اجمعين بان يلطف بهم لطفا يومنون به ويخترع الايمان فى نفوسهم هذا مذهب اهل السنةِ والجنةُ الشياطين ونسيتم معناه تركتم قاله ابن عباس وغيره * وقوله انا نسيناكم سمى العقوبة باسم الذنب ثم اثنى سبحانه على القوم للذين يومنون بئاياته و وصفهم بالصفة الحسنى من سجودهم عند التذكير وتسبيحهم وعدم استكبارهم * وقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية تجافى الجنب عن موضعه اذا تركه قال الزجاج وغيره التجافى التنحى الى فوق قال (ع) وهذا قول حسن والجنوب جمع جنب والمضاجع موضع الاضطجاع للنوم (ت) وقال الهروي تتجافى جنوبهم عن المضاجع اي ترتفع وتتباعد والجفاء بين الناس هو التباعد انتهى وروى البخاري بسنده عن ابى هريرة ان عبد الله بن رواحة رضى الله عنه قال

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
ارانا الهدى بعد العمى فقلو بنا * به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

انتهى وجمهور المفسرين على ان المراد بهذا التجافى صلاة النوافل بالليل قال (ع) وعلى هذا التاويل اكثر الناس وهو الذى فيه المدح وفيه احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يذكر عليه السلام قيام الليل ثم يستشهد بالآية ففى حديث معاذ الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع

حتى بلـغ يعملون رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ورجـح الزجاج ماقاله الجمهور بانهم جُوزوا باخفاء فدل ذلك على ان العمل اخفاء ايضا وهو قيام الليل يدعون ربهم خوفا اي من عذابـه وطمعا اي فى ثوابـه قال (ص) تتجافى اعربه ابو البقاء حالا ويدعون حال او مستانف وخوفا وطمعا مفعولان من اجله اومصدران فى موضـع الحال انتهى وفى الترمذي عن معاذ بن جبل قال قلت يارسول الله اخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله لاتشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتوتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال الا اخبرك برأس الامر وعمـوده وذروة سنامـه قلت بلى يارسـول الله قال راس الامر الاسلام وعموره الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يارسول الله فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا قلت يارسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد السنتهم قال الترمذي حديث حسن صحيح انتهى وقرأ حمزة وحده اخفي بسكون الياء كانه قال اخفى انا وقرأ الجمهور اخفى بفتح الياء وفى معنى هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ذخرا بله مااطلعتم عليه واقرءوا ان شئتم فلا تعلم نفس مااخفي لهم من قرة اعين الآية انتهى قال القرطبي فى تذكرته وبله معناه غير وقيل هو اسم فعل بمعنى دع وهذا الحديث خرجه البخاري وغيره (ت) وفى روايـة للبخاري قال ابو هريرة واقرءوا ان شئتم فلا تعلم نفس الآية انتهى وقال ابن مسعود فى التوراة

مكتوب على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع مالا عين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر وباقى الآية بين والضمير فى قوله تعالى ولنذيقنهم لكفار قريش ولاخلاف ان العذاب الاكبر هو عذاب الآخرة واختلف فى تعيين العذاب الادنى فقيل هو السنون التى اجاعهم الله فيها وقيل هو مصائب الدنيا من الامراض ونحوها وقيل هو القتل بالسيف كبدر وغيرها * وقوله سبحانه انا من المجرمين منتقمون ظاهر الاجرام هنا انه الكفر وروى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من فعلهن فقد اجرم من عقد لواء فى غير حق ومن عق والديه ومن نصر ظالما * وقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه اختلف فى الضمير الذى فى لقائه على من يعود فقال قتادة وغيره يعود على موسى والمعنى فلا تكن يامحمد فى شك من انك تلقى موسى اي فى ليلة الاسراء وهذا قول جماعة من السلف وقالت فرقة الضمير عائد على الكتاب اي فلاتكن فى شك من لقاء موسى للكتاب (ص) وقيل يعود على الكتاب على تقدير مضمر اي من لقاء مثله اي ءاتيناك مثل ما ءاتينا موسى والتاويل الاول هو الظاهر انتهى والمرية الشك والضمير فى جعلناه يحتمل ان يعود على الكتاب او على موسى قاله قتادة * وقوله تعالى ان ربك هو يفصل بينهم الآية حكم يعم جميع الخلق وذهب بعضهم الى تخصيص الضمير وذلك ضعيف * وقوله تعالى او لم يهد معناه يبين قاله ابن عباس والفاعل بيهدى هو الله فى قول فرقة والرسول فى قول فرقة وقرأ ابو عبد الرحمن نهد بالنون وهي قراءة الحسن وقتادة فالفاعل الله تعالى والضمير فى يمشون يحتمل ان يكون للمخاطبين او للمهلكين والجرز الارض العاطشة التى قد اكلت نباتها من العطش والقيظ ومنه قيل للاكول جَروز وقال ابن عباس وغيره الارض الجرز ارض ابين من اليمن وهي ارض تشرب بسيول لابمطر

وفى البخاري وقال ابن عباس الجرز التى لم تمطر الامطرا لايغنى عنها شيأ انتهى ثم حكى سبحانه عن الكفرة انهم يستفتحون ويستعجلون فصل القضاء بينهم وبين الرسل على معنى الهزء والتكذيب والفتح الحكم هذا قول جماعة من المفسرين وهو اقوى الاقوال قال مجاهد والفتح هنا هو حكم الآخرة ثم امر تعالى نبيه عليه السلام بالاعراض عن الكفرة وانتظار الفرج وهذا مما نسخته اية السيف * وقوله انهم منتظرون اي العذاب بمعنى هذا حكمهم وان كانوا لا يشعرون

تفسير سورة الاحزاب وهي مدنية باجماع فيما علمت

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ياايها النبيء اتق الله الآية قوله اتق معناه دم على التقوى ومتى امر احد بشيئ وهو به متلبس فانما معناه الدوام فى المستقبل على مثل الحالة الماضية وحذره تعالى من طاعة الكافرين والمنافقين تنبيها على عداوتهم وان لايطمئن الى مايبدونه من نصائحهم والباء فى قوله وكفى بالله زائدة على مذهب سيبويه وكانه قال وكفى الله وغيره يراها غير زائدة متعلقة بكفى على انه بمعنى اكتف بالله واختلف فى السبب فى قوله تعالى ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه فقال ابن عباس سببها ان بعض المنافقين قال ان محمدا له قلبان وقيل غير هذا قال (ع) ويظهر من

الآيـة بجملتها انها نـفي لاشياء كانت العرب تعتقدها فى ذلك الوقت واعلام بحقيقة الامر فمنها ان العـرب كانت تقول ان الانسان له قلب يامره وقلب ينهاه وكان تضادا الخواطر يحملها على ذلك وكذلك كانت العـرب تعتقد الزوجة اذا ظاهر منها بمنزلة الام وتراه طلاقا وكانت تعتقد الدعي المتبنى ابنا فنفى الله ما اعتقـدوه من ذلك * وقوله سبحانـه وما جعل ادعياءكم ابناءكم سببها امر زيد بن حارثة كانوا يـدعونـه زيد بن محمد والسبيل هنا سبيل الشرع والايمان ثم امر تعالى فى هذه الآية بدعاء الادعياء لآبائهم اي الى ءابائـهم للصلب فمن جُهل ذلك فيه كان مولى واخا فى الدين فقال الناس زيد بن حارثة وسالم مولى ابي حذيفة الى غير ذلك واقسط معناه اعدل * وقوله عزوجل وليس عليكم جناح الآية رفع الحرج عمن وهم ونسي واخطـأ فجرى على العادة من نسبة زيد الى محمد وغيـر ذلك مما يشبهه وابقى الجناح فى المتعمد والخطأ مرفوع عن هذه الامة عقابـه قال صلى الله عليه وسلم وضع عن امتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه وقال عليه السلام ما اخشى عليكم الخطـأ وانما اخشى العمد قال السهيلي ولما نزلت الآيـة وامتثلها زيد فقال انـا زيـد بن حارثـة جبر الله وحشته وشرفه بان سماه باسمه فى القـرءان فقال فلما قـضى زيـد منها وطرا ومـن ذكـره سبحانـه باسمـه فى الذكـر الحكيم حـتى صار اسمه قرءانا يتلى فى المحاريب فقـد نـوه به غـايـة التـنويه فكان فى هذا تانيس له وعوض من الفخر بابوة سيدنا محمد صلى الله عليـه وسـلم له الا ترى الى قول ابي بن كـعب حـين قال له النبي صلى الله عليـه وسلم ان الله تعالى امـرني ان اقرأ عليك سـورة كذا فبكى ابي وقال اوذكـرت هنالك وكان بكاؤه من الفرح حين اخبر ان الله تـعالى ذكـره فكيـف بمن صار اسـمه قـرءانا يـتلى مخلدا لايبـيد يـتلوه اهـل الدنـيا اذا قـرءوا القـرءان

واهل الجنة كذلك فى الجنان ثم زاده فى الآية غاية الاحسان ان قال واذ تقول للذى انعم الله عليه يعنى بالايمان فدل على انه عند الله من اهل الجنان وهذه فضيلة اخرى هي غاية منتهى امنية الانسان انتهى * وقوله تعالى النبيء اولى بالمومنين من انفسهم ازال الله بهذه الآية احكاما كانت فى صدر الاسلام منها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لايصلى على ميت عليه دين فذكر الله تعالى انه اولى بالمومنين من انفسهم فجمع هذا ان المومن يلزم ان يحب النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من نفسه حسب حديث عمر بن الخطاب ويلزم ان يمتثل اوامره احبت نفسه ذلك اوكرهت وقال النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية انا اولى بالمومنين من انفسهم من ترك مالا فلورثته ومن ترك دينا اوضياعا فالي وعلي انا وليه اقرءوا ان شئتم النبيء اولى بالمومنين من انفسهم (ت) ولفظ البخاري من رواية ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن مومن الاوانا اولى به فى الدنيا والآخرة اقرءوا ان شئتم النبيء اولى بالمومنين من انفسهم فايما مومن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا فان ترك دينا اوضياعا فليأتنى فانا مولاه قال ابن العربي فى احكامه فهذا الحديث هو تفسير الولاية فى هذه الآية انتهى قال (ع) وقال بعض العارفين هو صلى الله عليه وسلم اولى بالمومنين من انفسهم لان انفسهم تدعوهم الى الهلاك وهو يدعوهم الى النجاة قال (ع) ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم فانا ءاخذ بحجزكم عن النار وانتم تقحمون فيها تقحم الفراش قال عياض فى الشفا قال اهل التفسير فى قوله تعالى النبيء اولى بالمومنين من انفسهم اي ماانفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع رأي النفس انتهى وشرف تعالى ازواج نبيه بان جعلهن امهات

المومنين فى المبرة وحرمة النكاح وفى مصحف ابي بن كعب وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقرأ ابن عباس من انفسهم وهو اب لهم ووافقه ابي على ذلك ثم حكم تعالى بان اولى الارحام بعضهم اولى ببعض فى التوارث مما كانت الشريعة قررته من التوارث باخوة الاسلام وفى كتاب الله يحتمل ان يريد القرءان اواللوح المحفوظ * وقوله من المومنين متعلق باولى الثانية * وقوله تعالى الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا يريد الاحسان فى الحياة والصلة والوصية عند الموت والكتاب المسطور يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا * وقوله سبحانه واذ اخذنا من النبيئين ميثاقهم المعنى واذكر اذ اخذنا من النبيئين وهذا الميثاق قال الزجاج وغيره انه الذى اخذ عليهم وقت استخراج البشر من صلب ءادم كالذر بالتبليغ وبجميع ماتضمنته النبوءة وروي نحوه عن ابي بن كعب وقالت فرقة بل اشار الى اخذ الميثاق عليهم وقت بعثهم والقاء الرسالة اليهم وذكر تعالى النبيين جملة ثم خصص اولى العزم منهم تشريفا لهم واللام فى قوله ليسأل يحتمل ان تكون لام كي اولام الصيرورة * وقوله تعالى ياايها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود الآيات الى قوله تعالى ياايها النبيء قل لازواجك نزلت فى شأن غزوة الخندق وما اتصل بها من امر بنى قريظة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلى بنى النضير من موضعهم عند المدينة الى خيبر فاجتمعت جماعة منهم ومن غيرهم من اليهود وخرجوا الى مكة مستنهضين قريشا الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجسروهم على ذلك وازمعت قريش السير الى المدينة ونهض اليهود الى غطفان وبنى اسد ومن امكنهم من اهل نجد وتهامة فاستنفروهم الى ذلك وتحزبوا وساروا الى المدينة واتصل خبرهم بالنبيء صلى الله عليه وسلم فحفر الخندق حول المدينة وحصنها فوردت

الاحزاب وحصروا المدينة وذلك في شوال سنة خمس وقيل اربع من الهجرة وكانت قريظة قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وعاقدوه الا يلحقه منهم ضرر فلما تمكن ذلك الحصار وداخلهم بنو النضير غدروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهده وضاق الحال على المومنين ونجم النفاق وساءت ظنون قوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع ذلك يبشر وبعد النصر فالقى الله عزوجل الرعب في قلوب الكافرين وتخاذلوا ويئسوا من الظفر وارسل الله عليهم ريحا وهي الصبا وملائكة تسدد الريح وتفعل نحو فعلها وتلقى الرعب في قلوب الكفرة وهى الجنود التى لم تر فارتحل الكفرة وانقلبوا خائبين * قوله تعالى اذ جاءوكم من فوقكم يريد اهل نجد مع عيينة بن حصن ومن اسفل منكم يريد اهل مكة وسائر تهامة قاله مجاهد وزاغت الابصار معناه مالت عن مواضعها وذلك فعل الواله الفزع المختبل وبلغت القلوب الحناجر عبارة عما يجده الهلع من ثوران نفسه وتفرقها ويجد كان حشوته وقلبه يصعد علوا وروى ابو سعيد ان المومنين قالوا يوم الخندق يانبي الله بلغت القلوب الحناجر فهل من شيىء نقوله قال نعم قولوا اللهم استرعوراتنا وامن روعاتنا فقالوها فضرب الله وجوه الكفار بالريح فهزمهم * وقوله سبحانه وتظنون بالله الظنونا الآية عبارة عن خواطر خطرت للمومنين لايمكن البشر دفعها واما المنافقون فنطقوا ونجم نفاقهم وابتلي المومنون معناه اختبروا وزلزلوا معناه حركوا بعنف ثم ذكر تعالى قول المنافقين والمرضى القلوب على جهة الذم لهم ماوعدنا الله ورسوله الاغرورا فروي عن يزيد بن رومان ان معتب بن قشير قال يعدنا محمد ان نفتتح كنوز كسرى وقيصر ومكة ونحن الآن لاينقدر احدنا ان يذهب الى الغائط مايعدنا الاغرورا وقال غيره من المنافقين نحو هذا * وقوله سبحانه واذ قالت طائفة منهم اي من المنافقين

لامقام لكم اي لاموضع قيام وممانعة فارجعوا الى منازلكم وبيوتكم وكان هذا على جهة التخذيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والفريق المستاذن هو اوس بن قيظي استاذن فى ذلك على اتفاق من اصحابه المنافقين فقال ان بيوتنا عورة اي منكشفة للعدو فاكذبهم الله تعالى ولودخلت المدينة من اقطارها اي من نواحيها واشتد الخوف الحقيقي ثم سئلوا الفتنة والحرب لمحمد واصحابه لبادروا اليها واتوها محبين فيها ولم يتلبثوا فى بيوتهم لحفظها الايسيرا قيل قدرماياخذون سلاحهم ثم اخبرتعالى عنهم انهم قد كانوا عاهدوا الله اثر احد لايولون الادبار وفى قوله تعالى وكان عهد الله مسئولا توعد وباقى الآية بين ثم وبخهم بقوله قد يعلم الله المعوقين منكم وهم الذين يعوقون الناس عن نصرة الرسول ويمنعونهم بالاقوال والافعال من ذلك ويسعون على الدين واما القائلون لاخوانهم هلم الينا فقال ابن زيد وغيره اراد من كان من المنافقين يقول لاخوانه فى النسب وقرابته هلم اي الى المنازل والاكل والشرب واترك القتال وروي ان جماعة منهم فعلت ذلك واصل هلم ها الم وهذا مثل تعليل رد من اردد والبأس القتال والاقليلا معناه الااتيانا قليلا واشحة جمع شحيح والصواب تعميم الشح ان يكون بكل مافيه للمومنين منفعة * وقوله فاذا جاء الخوف قيل معناه فاذا قوي الخوف رأيت هؤلاء المنافقين ينظرون اليك نظر الهلع المختلط الذى يغشى عليه فاذا ذهب ذلك الخوف العظيم وتنفس المختنق سلقوكم اي خاطبوكم مخاطبة بليغة يقال خطيب سلاق ومسلاق ومسلق ولسان ايضا كذلك اذا كان فصيحا مقتدرا ووصف الالسنة بالحدة لقطعها المعاني ونفوذها فى الاقوال قالت فرقة وهذا السلق هو فى مخادعة المومنين بما يرضيهم من القول على جهة المصانعة والمخاتلة * وقوله اشحة حال من الضمير فى سلقوكم * وقوله على الخير يدل على عموم الشح فى قوله اولا

اشحة عليكم وقيل المراد بالخير المال اي اشحة على مال الغنائم والله اعلم ثم اخبر تعالى عنهم انهم لم يومنوا وجمهور المفسرين على ان هذه الاشارة الى منافقين لم يكن لهم قط ايمان ويكون قوله فاحبط الله اعمالهم اي انها لم تقبل قط والاشارة بذلك فى قوله وكان ذلك الى حبط اعمال هؤلاء المنافقين والضمير فى قوله يحسبون الاحزاب للمنافقين والمعنى انهم من الفزع والجزع بحيث رحل الاحزاب وهزمهم الله تعالى وهؤلاء يظنون انها من الخدع وانهم لم يذهبوا وان يات الاحزاب اي يرجعوا اليهم كرة ثانية يودوا من الخوف والجبن لو انهم بادون اي خارجون الى البادية فى الاعراب وهم اهل العمود ليسلموا من القتال يسئلون اي من ورد عليهم ثم سلى سبحانه عنهم وحقر شانهم بان اخبر انهم لو حضروا لما اغنوا ولما قاتلوا الا قتالا قليلا لانفع له ثم قال تعالى على جهة الموعظة لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة حين صبر وجاد بنفسه واسوة معناه قدوة ورجاء الله تابع للمعرفة به ورجاء اليوم الآخر ثمرة العمل الصالح وذكر الله كثيرا من خير الاعمال فنبه عليه (ت) وعن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول انا مع عبدى اذا هو ذكرنى وتحركت بي شفتاه رواه ابن ماجه واللفظ له وابن حبان فى صحيحه ورواه الحاكم فى المستدرك من حديث ابى الدرداء وروى جابر بن عبد الله قال خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياايها الناس ان لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر فى الارض فارتعوا فى رياض الجنة قالوا واين رياض الجنة يارسول الله قال مجالس الذكر فاغدوا وروحوا فى ذكر الله وذكروه انفسكم من كان يحب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله من نفسه رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد وعن معاذ بن جبل قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم اي

الاعمال احب الى الله تعالى قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله رواه ابن حبان فى صحيحه انتهى من السلاح ولولا خشية الاطالة لاتيت فى هذا الباب باحاديث كثيرة وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا سفيان ابن عيينة عن ابن ابى نجيح عن مجاهد قال لايكون الرجل من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا انتهى وفى مصحف ابن مسعود يحسبون الاحزاب قد ذهبوا فاذا وجدوهم لم يذهبوا ودوا انهم بادون فى الاعراب * وقوله تعالى ولما رأى المومنون الاحزاب الآية قالت فرقة لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق اعلمهم بانهم سيحصرون وامرهم بالاستعداد لذلك واعلمهم بانهم سينصرون بعد ذلك فلما رأوا الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله الآية وقالت فرقة ارادوا بوعد الله مانزل فى سورة البقرة من قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله قريب قال (ع) ويحتمل انهم ارادوا جميع ذلك ثم اثنى سبحانه على رجال عاهدوا الله على الاستقامة فوفوا وقضوا نحبهم اي نذرهم وعهدهم والنحب فى كلام العرب النذر والشيء الذى يلتزمه الانسان وقد يسمى الموت نحبا وبه فسر ابن عباس وغيره هذه الآية ويقال للذى جاهد فى امر حتى مات قضى فيه نحبه ويقال لمن مات قضى فلان نحبه فمن سمى المفسرون انه اشير اليه بهذه الآية انس بن النضر عم انس بن مالك وذلك انه غاب عن بدر فساءه ذلك وقال لئن شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا ليرين الله ما اصنع فلما كان احد ابلى بلاء حسنا حتى قتل ووجد فيه نيف على ثمانين جرحا فكانوا يرون ان هذه الآية فى انس بن النضر ونظرائه وقالت فرقة الموصوفون بقضاء النحب هم جماعة من اصحاب

النبيى صلى الله عليه وسلم وفوا بعهود الاسلام على التمام فالشهداء منهم والعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة منهم الى من حصل فى هذه المرتبة ممن لم ينص عليه ويصحح هذه المقالة ايضا ماروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على المنبر فقال له اعرابي يارسول الله من الذى قضى نحبه فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم دخل طلحة بن عبيد الله على باب المسجد وعليه ثوبان اخضران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين السائل فقال ها اناذا يارسول الله قال هذا ممن قضى نحبه قال (ع) فهذا ادل دليل على ان النحب ليس من شرطه الموت وقال معاوية بن ابى سفيان انى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه وروت عائشة نحوه * وقوله تعالى ومنهم من ينتظر يريد ومنهم من ينتظر الحصول فى اعلى مراتب الايمان والصلاح وهم بسبيل ذلك وما بدلوا ولاغيروا واللام فى ليجزي يحتمل ان تكون لام الصيرورة اولام كيى وتعذيب المنافقين ثمرة ادامتهم الاقامة على النفاق الى موتهم والتوبة موازية لتلك الادامة وثمرة التوبة تركهم دون عذاب فهما درجتان ادامة على نفاق اوتوبة منه وعنهما ثمرتان تعذيب اورحمة ثم عدد سبحانه نعمه على المومنين فى هزم الاحزاب فقال ورد الله الذين كفروا بغيظهم الآية * وقوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم يريد بنى قريظة وذلك انهم لما غدروا وظاهروا الاحزاب اراد الله النقمة منهم فلما ذهب الاحزاب جاء جبريل الى النبيى صلى الله عليه وسلم وقت الظهر فقال يامحمد ان الله يامرك بالخروج الى بنى قريظة فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس وقال لهم لايصلين احد العصر الا فى بنى قريظة فخرج الناس اليهم وحصرهم النبيى صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم سعد

بان تقتل المقاتلة وتسبي الذرية والعيال والاموال وان تكون الارض والثمار للمهجرين دون الانصار فقالت له الانصار فى ذلك فقال اردت ان يكون للمهاجرين اموال كما لكم اموال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة ارقعة فامر صلى الله عليه وسلم برجالهم فضربت اعناقهم وفيهم حيي بن اخطب النضيري وهو الذى كان ادخلهم فى الغدر وظاهروهم معناه عاونوهم والصياصى الحصون واحدها صيصية وهي كل مايتمنع به ومنه يقال لقرون البقر الصياصي والفريق المقتول الرجال والفريق الماسور العيال والذرية * وقوله سبحانه وارضا لم تطئوها يريد بها البلاد التى فتحت على المسلمين بعد كالعراق والشام واليمن وغيرها فوعد الله تعالى بها عند فتح حصون بنى قريظة واخبر انه قد قضى بذلك قاله عكرمة * وقوله تعالى ياايها النبيء قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها الآية ذكر جل المفسرين ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم سألنه شيأ من عرض الدنيا وآذينه بزيادة النفقة والغيرة فهجرهن وءالى ان لايقربهن شهرا فنزلت هذه الآية فبدأ بعائشة وقال ياعائشة انى ذاكرلك امرا ولا عليك ان لاتعجلي حتى تستامرى ابويك ثم تلا عليها الآية فقالت له وفى اي هذا استمر ابوي فانى اريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت وقد علم ان ابوي لايامرانى بفراقه ثم تتابع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على مثل قول عائشة فاخترن الله ورسوله رضى الله عنهن قالت فرقة قوله بفاحشته مبينة يعم جميع المعاصى ولزمهن رضي الله عنهن بحسب مكانتهن اكثر مما يلزم غيرهن فضوعف لهن الاجر والعذاب * وقوله ضعفين معناه يكون العذاب عذابين اي يضاف الى عذاب سائر الناس عذاب آخر مثله ويقنت معناه يطيع ويخضع بالعبودية قاله الشعبي وقتادة والرزق الكريم

الجنة ثم خاطبهن الله سبحانه بانهن لسن كاحد من نساء عصرهن فما بعد بل هن افضل بشرط التقوى وانما خصصنا النساء لان فيمن تقدم آسية ومريم فتأمله وقد اشار الى هذا قتادة ثم نهاهن سبحانه عما كانت الحال عليه فى نساء العرب من مكالمة الرجال برخيم القول ولاتخضعن معناه لاتلن قال ابن زيد خضع القول ما يدخل فى القلوب الغزل والمرض فى هذه الآية قال قتادة هو النفاق وقال عكرمة الفسق والغزل والقول المعروف هو الصواب الذى لاتنكره الشريعة ولاالنفوس وقرأ الجمهور وقرن بكسر القاف وقرأ نافع وعاصم وقرن بالفتح فاما الاولى فيصح ان تكون من الوقار ويصح ان تكون من القرار واما قراءة الفتح فعلى لغة العرب قررت بكسر الراء اقر بفتح القاف فى المكان وهي لغة ذكرها ابو عبيد فى الغريب المصنف وذكرها الزجاج وغيره فامر الله تعالى فى هذه الآية نساء النبي بملازمة بيوتهن ونهاهن عن التبرج والتبرج اظهار الزينة والتصنع بها ومنه البروج لظهورها وانكشافها للعيون واختلف الناس فى الجاهلية الاولى فقال الشعبي ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل غير هذا قال (ع) والذى يظهر عندى انه اشار الى الجاهلية التى لحقنها فامرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة وجعلها اولى بالاضافة الى حالة الاسلام وليس المعنى ان ثم جاهلية آخرة والرجس اسم يقع على الاثم وعلى العذاب وعلى النجاسات والنقائص فاذهب الله جميع ذلك عن اهل البيت قالت ام سلمة نزلت هذه الآية فى بيتي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فدخل معهم تحت كساء خيبري وقال هؤلاء اهل بيتي وقرأ الآية وقال اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت ام سلمة فقلت وانا يارسول الله فقال انت من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم

وانت الى خير والجمهور على هذا وقال ابن عباس وغيره اهل البيت ازواجه خاصة والجمهور على ماتقدم قال (ع) والذى يظهرلى ان اهل البيت ازواجه وبنته وبنوها وزوجها اعنى عليا ولفظ الآية يقتضى ان الزوجات من اهل البيت لان الآية فيهن والمخاطبة لهن قال (ص) واهل البيت منصوب على النداء اوعلى المدح اوعلى الاختصاص وهو قليل فى المخاطب واكثر مايكون فى المتكلم كقوله

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق

انتهى (ت) واستصوب ابن هشام نصبه على النداء قاله فى المغنى * وقوله تعالى واذكرن يعطى ان اهل البيت نساؤه وعلى قول الجمهور هي ابتداء مخاطبة والحكمة السنة فقوله واذكرن يحتمل مقصدين كلاهما موعظة احدهما ان يريد تذكرنه واقدرنه قدره وفكرن فى ان من هذه حاله ينبغى ان تحسن افعاله والثانى ان يريد اذكرن بمعنى احفظن واقرأن والزمنه السنتكن (ت) ويحتمل ان يراد باذكرن افشاؤه ونشره للناس والله اعلم وهذا هو الذى فهمه ابن العربي من الآية فانه قال امر الله ازواج رسوله ان يخبرن بما ينزل من القرءان فى بيوتهن وبما يرين من افعال النبي صلى الله عليه وسلم واقواله حتي يبلغ ذلك الى الناس فيعملوا بما فيه ويقتدوا به انتهى وهو حسن وهو ظاهر الآية وقد تقدم له نحو هذا فى قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا الآية ذكره فى احكام القرءان * وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية روي فى سببها ان ام سلمة قالت يارسول الله يذكر الله تعالى الرجال فى كتابه فى كل شيئ ولايذكرنا فنزلت الآية فى ذلك والفاظ الآية فى غاية البيان * وقوله سبحانه والذاكرين الله كثيرا والذاكرات الآية وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول

الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رواه مسلم واللفظ له والترمذي وعنده قالوا يارسول الله وما المفردون قال المستهترون فى ذكر الله يضع الذكر عنهم اثقالهم فياتون يوم القيامة خفافا قال عياض والمفردون ضبطناه على متقنى شيوخنا بفتح الفاء وكسر الراء وقال ابن الاعرابي فرّد الرجل اذا تفقه واعتزل الناس وخلا لمراعاة الامر والنهي وقال الا زهري هم المتخلون من الناس بذكر الله تعالى وقوله المستهترون (١) فى ذكر الله هو بفتح التاءين المثناتين يعنى الذين اولعوا بذكر الله يقال استُهترفلان بكذ اي اولع به انتهى من سلاح المومن * وقوله سبحانه وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة الآية قوله وما كان لفظه النفي ومعناه الحظر والمنع والخيرة مصدر بمعنى التخير قال ابن زيد نزلت هذه الآية بسبب ان ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وهبت نفسها للنبي فزوجها من زيد بن حارثة فكرهت ذلك هي واخوها فنزلت الآية بسبب ذلك فاجابا الى ترويج زيد وقيل غير هذا والعصيان هنا يعم الكفر فما دون وفى حديث الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سعادة ابن ءادم رضاه بما قضاه الله ومن شقاوة ابن ءادم

---

(١) عبارة المجد فى قاموسه « وهم المهتزون بذكر الله تعالى » قال الشيخ نصر الهوريني فى تعليقه قوله المهتزون هكذا بالزاي فى النسخ المطبوعة ولعلها رواية وفى نسخة الشارح المهترون بالراء وكتب عليها كما جاء فى رواية نصها قال والذين أهتروا فى ذكر الله يضع الذكر عنهم اثقالهم فياتون يوم القيامة خفافا اه قلت اهتر الرجل فقد عقله من الكبر اوالمرض اوالحزن فهو مهتر بفتح التاء واهتِر فلان مجهولا اولع بالقول فى الشيء فهومهتَر « واهتِروا فى ذكرالله » اي خرفوا وهم يذكرون الله اه مصححه

سخطه بما قضاه الله له انتهى * وقوله تعالى واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه الآية ذهب جماعة من المتأولين الى ان الآية لا كبير عتب فيها على النبي صلى الله عليه وسلم فروي عن علي بن الحسين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد اوحي اليه ان زيدا يطلق زينب وانه يتزوجها بتزويج الله اياها له فلما تشكى زيد للنبي صلى الله عليه وسلم خلق زينب وانها لا تطيعه واعلمه بانه يريد طلاقها قال له النبي صلى الله عليه وسلم على جهة الادب والوصية اتق الله اي فى قولك وامسك عليك زوجك وهو يعلم انه سيفارقها وهذا هو الذى اخفى صلى الله عليه وسلم فى نفسه ولم يرد ان يامره بالطلاق لما علم من انه سيتزوجها وخشي صلى الله عليه وسلم ان يلحقه قول من الناس فى ان يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد امره بطلاقها فعاتبه الله على هذا القدر من ان خشي الناس فى شيء قد اباحه الله تعالى له قال عياض وتاويل علي بن الحسين احسن التاويلات واصحها وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه انتهى * وقوله انعم الله عليه يعنى بالاسلام وغير ذلك وانعمت عليه يعنى بالعتق وهو زيد بن حارثة وزينب هي بنت جحش بنت اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اعلم تعالى نبيه انه زوجها منه لما قضى زيد وطره منها لتكون سنة للمسلمين فى ازواج ادعيائهم وليبين انها ليست كحرمة البنوة والوطر الحاجة والبغية * وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا فيه حذف مضاف تقديره وكان حكم امر الله او مضمن امر الله والا فالامر قديم لا يوصف بانه مفعول ويحتمل ان يكون الامر واحد الامور التى شأنها ان تفعل وعبارة الواحدي وكان امر الله مفعولا اي كائنا لامحالة وكان قد قضى فى زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى * وقوله تعالى ما كان على النبيء من حرج فيما فرض الله له الآية هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الامة

اعلمهم انه لاحرج على نبيه فى نيل ما فرض الله له واباحه من تزويجه لزينب بعد زيد ثم اعلم ان هذا ونحوه هو السنن الاقدم فى الانبياء من ان ينالوا ما احله الله لهم وعبارة الواحدي ما كان على النبيء من حرج فيما فرض الله له اي احل الله له من النساء سنة الله فى الذين خلوا من قبل يقول هذه سنة قد مضت لغيرك يعنى كثرة ازواج داود وسليمان عليهما السلام وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا الذين يبلغون رسالات الله من نعت قوله فى الذين خلوا من قبل انتهى * وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الى قوله كريما اذهب الله بهذه الآية ماوقع فى نفوس المنافقين وغيرهم لانهم استعظموا ان تزوج زوجة ابنه فنفى القرءان تلك البنوة وقوله ابا احد من رجالكم يعنى المعاصرين له وباقى الآية بين ثم امر سبحانه عباده بان يذكروه ذكرا كثيرا وجعل تعالى ذلك دون حد ولا تقدير لسهولته على العبد ولعظم الاجرفيه قال ابن عباس لم يعذر احد فى ترك ذكر الله عز وجل الا من غلب على عقله وقال الذكر الكثير ان لاتنساه ابدا وروى ابو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون (ت) وهذا الحديث خرجه ابن حبان فى صحيحه * وقوله وسبحوه بكرة واصيلا اراد فى كل الاوقات فحدد الزمن بطرفي نهاره وليله والاصيل من العصر الى الليل وعن ابن ابى اوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله رواه الحاكم فى المستدرك انتهى من السلاح * وقوله سبحانه هو الذى يصلي عليكم وملائكته الآية صلاة الله على العبد هي رحمته له وصلاة الملائكة هي دعاؤهم للمومنين ثم اخبر تعالى برحمته بالمومنين تانيسا لهم * وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام قيل يوم القيامة تحي الملائكة المومنين بالسلام ومعناه السلامة من كل مكروه وقال قتادة يوم دخولهم الجنه

يحي بعضهم بعضا بالسلام والاجر الكريم جنة الخلد فى جوار الله تبارك وتعالى * وقوله تعالى ياايها النبي‌ء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا الآية هذه الآية فيها تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم وللمومنين وتكريم لجميعهم * وقوله وداعيا الى الله باذنه اي بامره وسراجا منيرا استعارة للنور الذى تضمنه شرعه * وقوله تعالى وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا قال (ع) قال لنا ابى رحمه الله هذه الآية من ارجى ءاية عندى فى كتاب الله عز وجل قال ابو بكر بن الخطيب اخبرنا ابو نعيم الحافظ ثم ذكر سنده الى ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انزلت علي ءاية ياايها النبي‌ء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا قال شاهدا على امتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا الى شهادة ان لا اله الا الله باذنه بامره وسراجا منيرا بالقرءان انتهى من تاريخ بغداد له من ترجمة محمد بن نصر * وقوله تعالى ودع اذاهم يحتمل ان يريد ان يامره تعالى بترك ان يوذيهم هو ويعاقبهم فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول ويحتمل ان يريد اعرض عن اقوالهم وما يوذونك به فالمصدر على هذا التاويل مضاف الى الفاعل وهذا تاويل مجاهد وباقى الآية بين * وقوله تعالى ياايها النبي‌ء انا احللنالك ازواجك الآية ذهب ابن زيد والضحاك فى تفسير هذه الآية الى ان الله تعالى احل لنبيه ان يتزوج كل امرأة يوتيها مهرها واباح له كل النساء بهذا الوجه وانما خصص هؤلاء بالذكر تشريفا لهن فالآية على هذا التاويل فيها اباحة مطلقة فى جميع النساء حاشى ذوات المحارم المذكور حكمهن فى غير هذه الآية ثم قال بعد هذا ترجى من تشاء منهن اي من هذه الاصناف كلها ثم تجرى الضمائر بعد ذلك على العموم الى قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فيجيء هذا الضمير مقطوعا من الاول عائدا على ازواجه التسع فقط على الخلاف فى ذلك وتأول غيرابن زيد فى قوله احللنا لك ازواجك من فى عصمته ممن تزوجها

بمهر وان ملك اليمين بعـد حلال له وان الله اباح له مع المذكورات بنات عمـه وعماته وخاله وخالاته ممن هاجر معـه والواهبات خاصة فيجئ الامر على هذا التاويل اضيق على النبي عليه السلام ويؤيـد هذا التاويل ما قاله ابن عباس كان النبي صلى الله عليـه وسلم يتزوج فى اي النساء شاء وكان ذلك يشق على نسائـه فلما نزلت هـذه الآيـة وحرم عليه بهـا النساء الامن سمي سرنساؤه بذلك * وقوله سبحانه وامرأة مومنـة ان وهبت نفسها للنبيء الآيـة قال السهيلي ذكر البخاري عن عائشة انهـا قالت كانت خولة بنت حكيم مـن اللاتى وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدل على انهن كن غير واحدة انتهى * وقوله خالصـة لك اي هبة النساء انفسهن خاصـة بك دون امتك قال (ع) ويظهر من لفظ ابي بن كعب ان معنى قوله خالصـة لك يراد بـه جميع هـذه الاباحـة لان المومنين لم يبح لهم الزيادة على اربع * وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم يريـد هو كون النكاح بالولي والشاهدين والمهر والاقتصار على اربع قاله قتادة ومجاهد * وقوله لكي لا اي بينا هذا البيان لكي لا يكون عليك حرج ويظن بك انك قد اثمت عنـد ربك * وقوله تعالى ترجى من تشاء منهن الآية ترجى معناه تؤخر وتـئوى معناه تضم وتقرب ومعنى هذه الآيـة ان الله تعالى فسح لنبيـه فيما يفعله فى جهة النساء والضمير فى منهن عائد على من تـقـدم ذكره من الاصنـاف حسب الخلاف المذكور فى ذلك وهذا الارجاء والايواء يحتمل معاني منها ان المعنى فى القسم اي تقرب مـن شئت فى القسمة لها من نـفسك وتؤخر عنك من شئت وتكثر لمن شئت وتقل لمن شئت لا حرج عليك فى ذلك فاذا علمن هن ان هذا هو حكم الله لك رضين وقرت اعينهن وهـذا تاويل مجاهـد وقتادة والضحاك قال (ع) لان سبب هذه الآية تغاير وقع بين زوجات النبي

صلى الله عليه وسلم تأذى به وقال ابن عباس المعنى فى طلاق من شاء وامساك من شاء وقال الحسن بن ابى الحسن المعنى فى تزوج من شاء وترك من شاء قال (ع) وعلى كل معنى فالآية معناها التوسعة على النبي صلى الله عليه وسلم والاباحة له وذهب هبة الله فى الناسخ والمنسوخ له الى ان قوله ترجى من تشاء الآية ناسخ لقوله لايحل لك النساء من بعد الآية * وقوله تعالى ومن ابتغيت ممن عزلت يحتمل معاني احدها ان تكون من للتبعيض اي من اردت وطلبته نفسك ممن كنت قد عزلته واخرته فلاجناح عليك فى رده الى نفسك وايوائه اليك ووجه ثان وهو ان يكون مقويا وموكدا لقوله ترجى من تشاء وتؤى مَن تشاء فيقول بعد ومن ابتغيت ومن عزلت فذلك سواء لاجناح عليك فى رده الى نفسك وايوائه اليك * وقوله ويرضين بما ءاتيتهن اي من نفسك ومالك واتفقت الروايات على انه عليه السلام مع ما جعل الله له من ذلك كان يسوى بينهن فى القسم تطييبا لنفوسهن واخذا بالفضل وما خصه الله من الخلق العظيم صلى الله عليه وعلى ءاله غير ان سودة وهبت يومها لعائشة تقمنا لمسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى لايحل لك النساء من بعد قيل كما قدمنا انها حظرت عليه النساء الا التسع وما عطف عليهن على ما تقدم لابن عباس وغيره قال ابن عباس وقتادة جازاهن الله بذلك لما اخترن الله ورسوله ومن قال بان الاباحة كانت له مطلقة قال هنا لايحل لك النساء معناه لايحل لك اليهوديات ولا النصرانيات ولاينبغى ان يكنّ امهات المومنين وروي هذا عن مجاهد وكذلك قدر ولا ان تبدل اليهوديات والنصرانيات بالمسلمات وهو قول ابى رزين وابن جبير وفيه بعد * وقوله تعالى ياايها الذين ءامنوا لاتدخلوا بيوت النبيء الا ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه هذه الآية تضمنت قصتين احداهما الادب فى امر الطعام والجلوس والثانية امر

الحجاب قال الجمهور سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش اولم عليها ودعا الناس فلما طعموا قعد نفر فى طائفة من البيت يتحدثون فثقل على النبي صلى الله عليه وسلم مكانهم فخرج ليخرجوا بخروجه ومر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم فى مكانهم وزينب فى البيت معهم فلما دخل وراهم انصرف فخرجوا عند ذلك قال انس بن مالك فاعلم او اعلمته بانصرافهم فجاء فلما وصل الحجرة ارخى الستربيني وبينه ودخل ونزلت ءاية الحجاب بسبب ذلك قال اسماعيل بن ابى حكيم هذا ادب ادب الله به الثقلاء وقالت عائشة وجماعة سبب الحجاب كلام عمر للنبي صلى الله عليه وسلم مرارا فى ان يحجب نساءه وناظرين معناه منتظرين واناه مصدرانى الشيء يانى انى اذا فرغ وحان ولفظ البخاري يقال اناه ادراكه انى يانى اناءة انتهى * وقوله تعالى وا للهلا يستحي من الحق معناه لا يقع منه ترك الحق ولما كان ذلك يقع من البشر لعلة الاستحياء نفى عنه تعالى العلة الموجبة لذلك فى البشر وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يحل لاحد ان يفعلهن لايؤم رجل قوما فيخص نفسه بالدعاء دونهم فان فعل فقد خانهم ولا ينظر فى قعر بيت قبل ان يستاذن فان فعل فقد خان ولا يصلي وهو حاقن حتى يتخفف رواه ابو داود واللفظ له وابن ماجه والترمذي وقال الترمذي حديث حسن ورواه ابو داود ايضا من حديث ابى هريرة انتهى من السلاح * وقوله تعالى واذا سألتموهن متاعا الآية هي ءاية الحجاب والمتاع عام فى جميع مايمكن ان يطلب من المواعين وسائر المرافق وباقى الآية بين وقد تقدم فى سورة النور طرف من بيانه فاغنى عن اعادته * وقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبيء الآية تضمنت شرف النبي صلى الله عليه وسلم وعظيم منزلته عند الله تعالى قالت فرقة تقدير الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون فالضمير فى قوله يصلون للملائكة فقط

وقالت فرقة بل الضمير فى يصلون لله والملائكة وهذا قول من الله تعالى شرف به ملائكته فلايرد عليه الاعتراض الذى جاء فى قول الخطيب من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد ضل فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيس الخطيب انت وهذا القدر كاف هنا وصلاة الله تعالى رحمة منه وبركة وصلاة الملائكة دعاء وصلاة المومنين دعاء وتعظيم والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فى كل حين من الواجبات وجوب السنن الموكدة التى لايسع تركها ولا يغفلها الا من لاخير فيه وفى حديث ابن عباس انه لما نزلت هذه الاية قال قوم من الصحابة هذا السلام عليك يارسول الله قد عرفناه فكيف نصلى عليك الحديث (ت) ولفظ البخاري عن كعب بن عجرة قال قيل يارسول الله اما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة قال قولوا اللهم صلى على محمد وعلى ءال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ءال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد انتهى وفيه طرق يزيد فيها بعض الرواة على بعض وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي الحديث رواه ابو داود والنساءي وابن ماجه واللفظ لابى داود ورواه الحاكم فى المستدرك من حديث ابى مسعود الانصاري وقال صحيح الاسناد.وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحى حتى ارد عليه السلام وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم صلوا علي فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم رواهما ابو داود وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اولى الناس بى يوم القيامة اكثرهم علي صلاة رواه الترمذي وابن حبان فى صحيحه ولفظهما سواء وقال الترمذي حسن غريب انتهى من السلاح * وقوله سبحانه يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب اكبر من

الحمار وروي عن ابن عباس وابن مسعود انه الحمار واختلف في صورة ادنائه فقال ابن عباس وغيره ذلك ان تلويه المرأة حتى لا يظهر منها الا عين واحدة تبصر بها وقال ابن عباس ايضا وقتادة ذلك ان تلويـه على الجبين وتشده ثم تعطفه على الانف وان ظهرت عينـاها لكنـه يستر الصدر ومعظم الوجـه * وقوله ذلك ادنى ان يعرفن اي حتى لا يختلطن بالاماء فاذا عرفن لم يقابلن با ذى من المعارضة مراقبة لرتبة الحرائر وليس المعنى ان تعرف المرأة حتى يعلم من هي وكان عمر اذا رأى امة قد تقنعت قنعها بالدرة محافظة على زي الحرائر * وقوله تعالى لئن لم ينته المنافقون الآية اللام في قوله لئن هي الموذنة بمجيء القسم واللام في لنغرينك هي لام القسم (ت) وروى الترمذي عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يامعشر من قد اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا توذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله الحديث اه ورواه ابو داود في سننـه مـن طريق ابي برزة الاسلمي عن النبي صل الله عليه وسلم وتوعد الله سبحانه هذه الاصناف في هذه الآيـة * وقوله سبحانـه والذين في قلوبهم مرض المرض هنـاهو الغزل وحب الزنا قاله عكرمة والمرجفون في المدينة هم قوم كانوا يتحدثون بغزو العرب المدينـة ونحو هذا مما يرجفون به نفوس المومنين فيحتمـل ان تكون هـذه الفرق داخلة في جملة المنافقين ويحتمل ان تكون متباينة ونغرينك معناه نحضك عليهم بعد تعيينهم لك وفي البخاري وقال ابن عباس لنغرينك لنسلطنك انتهى * وقوله تعالى ثم لا يجاورونك اي بعد الاغراء لانك تنفيهم بالاخافة والقتل * وقوله الا قليلا يحتمل ان يريد الا جوارا قليلا او وقتا قليلا او عـددا قليلا كانـه قال الا اقلاء وثقفوا معناه حصروا وقدر عليهم واخذوا معناه اسروا والاخيذ الاسير والذين

خلوا هم منافقوا الامم وباقى الآية متضح المعنى والسبيلا مفعول ثان لأن اضل
متمد بالهمزة وهي سبيل الايمان والهدى والذين ءاذوا موسى هم قوم من بنى
اسراءيل قال ابن عباس وابو هريرة وجماعة الاشارة الى ما تضمنه حديث النبي
صلى الله عليه وسلم من ان بنى اسراءيل كانوا يغتسلون عراة وكان موسى رجلا
ستيرا حييا لا يكاد يرى من جسده شيء فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل
معنا الا انه ءادر اوبه برص فذهب يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر
بثوبه فلج موسى فى اثره يقول ثوبى حجر ثوبى حجر فمر بهم فنظروا اليه فقالوا
والله ما بموسى من باس الحديث خرجه البخاري وغيره وقيل فى اذايتهم غير
هذا فبرأه الله مما قالوا والوجيه المكرم الوجه والقول السديد يعم جميع الخيرات
وقال عكرمة اراد لا اله الا الله وباقى الآية بين * وقوله سبحانه انا عرضنا الامانة
على السموات والارض الآية ذهب الجمهور الى ان الامانة كل شيء يؤتمن الانسان
عليه من امر ونهي وشأن دين ودنيا فالشرع كله امانة ومعنى الآية انا عرضنا على
هذه المخلوقات العظام ان تحمل الاوامر والنواهي ولها الثواب ان احسنت
والعقاب ان اساءت فابت هذه المخلوقات واشفقت فيحتمل ان يكون هذا
بادراك يخلقه الله لها ويحتمل ان يكون هذا العرض على من فيها من الملائكة
وحمل الانسان الامانة اي التزم القيام بحقها وهو فى ذلك ظلوم لنفسه
جهول بقدر ما دخل فيه وهذا هو تاويل ابن عباس وابن جبير قال ابن عباس
واصحابه والانسان ءادم تحمل الامانة فما تم له يوم حتى وقع فى امر الشجرة
وقال بعضهم الانسان النوع كله فعلى تاويل الجمهور يكون قولها فى الآية
الاخرى اتينا طائعين اجابة لامر امرت به وتكون هذه الآية اباية
واشفاقا من امر عرض عليها وخيرت فيه * وقوله تعالى ليعذب اللام لام
العاقبة وكذا قال ابو حيان اللام فى ليعذب للصيرورة لانه لم يحمل الامانة

ليعذب ولكن ءال امره الى ذلك (ص) ابو البقاء اللام تتعلق بحملها وقرأ الاعمش ويتوب بالرفع على الاستيناف والله اعلم انتهى وباقى الآية بين

تفسير سورة سبإ وهي مكية

واختلف فى قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الآية فقيل ذلك مكي وقيل مدني

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الالف واللام فى الحمد لاستغراق جنس المحامد اي الحمد على تنوعه هو لله تعالى من جميع جهات الفكرة ويلج معناه يدخل ويعرج معناه يصعد * قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة روي ان قائل هذه المقالة هو ابو سفيان ابن حرب واللام من قوله ليجزي يصح ان تكون متعلقة بقوله لتاتينكم والذين معطوف على الذين الاولى اي وليجزي الذين سعوا ومعاجزين معناه محاولين تعجيز قدرة الله فيهم ثم اخبر تعالى بان الذين اوتوا العلم يرون الوحي المنزل على محمد عليه السلام حقا والذين اوتوا العلم قيل هم من اسلم من اهل الكتاب وقال قتادة هم امة محمد المومنون به ثم حكى الله تعالى عن الكفار مقالتهم التى قالوها على جهة التعجب والهزء واستبعاد البعث هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق بالبلى وتقطع الاوصال فى القبور وغيرها وجديد بمعنى مجدد وقولهم افترى

على الله كـذبا هو ايضا من قول بعضهم لبعض ثم اضرب عن قولهم فقال بل الذين لايومنون بالآخرة فى العذاب يريد عذاب الآخرة لانهم صائرون اليه ويحتمل ان يريد عذاب الدنيا ايضا والضمير فى قوله افلم يروا لهؤلاء الذين لا يومنون بالآخرة وقفهم الله على قدرته وخوفهم من احاطتها بهم والمعنى اليس يرون امامهم ووراءهم سماءى وارضى وباقى الآية بين ثم ذكر الله تعالى نعمته على داود وسليمان احتجاجا على ما منح محمدا واوبى معناه رجعى معه قال ابن عباس وغيره معناه ياجبال سبحى معه اي يسبح هو وترجع هي معه التسبيح اي تردده بالذكر وقال مؤرج اوبى سبحى بلغة الحبشة وقرأ عاصم والطير بالرفع عطفا على لفظ قوله ياجبال وقرأ نافع وابن كثير والطير بالنصب قال سيبويه عطف على موضع قوله ياجبال لان موضع المنادى المفرد نصب وقيل نصبها باضمار فعل تقديره وسخرنا الطير والنا له الحديد معناه جعلناه لينا وروى قتادة وغيره ان الحديد كان له كالشمع لايحتاج فى عمله الى نار والسابغات الدروع الكاسيات ذوات الفضول * وقوله تعالى وقدر فى السرد قال ابن زيد الذى امر به هو فى قدر الحلقة اي لاتعملها صغيرة فتضعف فلا يقوى الدرع على الدفاع ولاتعملها كبيرة فينال لابسها من خلالها وقال ابن عباس التقدير الذى امر به هو فى المسمار وذكر البخاري فى صحيحه ذلك فقال المعنى لاتدق المسمار فيتسلل ولاتغلظه فينقصم بالقاف وبالفاء ايضا رواية (ت) قال الهروي قوله تعالى وقدر فى السرد السرد متابعة حلق الدرع شيأ بعد شيء حتى يتناسق يقال فلان يسرد الحديث سردا اي يتابعه انتهى * وقوله تعالى ولسليمان الريح المعنى ولسليمان سخرنا الريح وغدوها شهر ورواحها شهر قال قتادة معناه انها كانت تقطع به فى الغدو الي قرب الزوال مسيرة شهر وتقطع فى الرواح من بعد الزوال

الى الغروب مسيرة شهر وكان سليمان اذا اراد قوما لم يشعروا حتى يظلهم فى جو السماء * وقوله تعالى واسلنا له عين القطر قال ابن عباس وغيره كانت تسيل له باليمن عين جارية من نحاس يصنع له منها جميع ما احب والقطر النحاس ويزغ معناه يمل اي ينحرف عاصيا وقال عن امرنا ولم يقل عن ارادتنا لانه لايقع فى العالم شيء يخالف ارادته سبحانه ويقع مايخالف الامر * وقوله من عذاب السعير قيل عذاب الآخرة وقيل بل كان قد وكل بهم ملك بيده سوط من نار السعير فمن عصى ضربه فاحرقه والمحاريب الابنية العالية الشريفة قال قتادة القصور والمساجد والتماثيل قيل كانت من زجاج ونحاس تماثيل اشياء ليست بحيوان والجوابى جمع جابية وهي البركة التى يجبى اليها الماء وراسيات معناه ثابتات لكبرها ليست مما ينقل اويحمل ولا يستطيع على عمله الاالجن ثم امروا مع هذه النعم بان يعملوا بالطاعات وشكرا يحتمل نصبه على الحال اوعلى جهة المفعول اي اعملوا عملا هو الشكر كأن العبادات كلها هي نفس الشكر وفى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فتلا هذه الآية ثم قال ثلاث من اوتيهن فقد اوتي العمل شكرا العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الفقر والغنى وخشية الله فى السر والعلانية وهكذا نقل ابن العربي هذا الحديث فى احكامه وعبارة الداودي وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ على المنبر اعملوا ءال داود شكرا وقال ثلاث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي ءال داود العدل فى الغضب والرضا والقصد فى الفقر والغنى وذكر الله فى السر والعلانية قال القرطبي الشكر تقوى الله والعمل بطاعته انتهى قال ثابت روي ان داود كان قد جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتى ساعة من ساعات الليل والنهار الا وانسان من آل داود قائم يصلى يتناوبون دائما وكان سليمان عليه

السلام فيما روي يأكل الشعير ويطعم أهله الخشكار ويطعم المساكين الدرمك وروي انه ما شبع قط فقيل له فى ذلك فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجياع * وقوله تعالى وقليل من عبادي الشكور يحتمل ان تكون مخاطبة لآل داود ويحتمل ان تكون مخاطبة لنبينا محمد عليه السلام وعلى كل وجه ففيها تحريض وتنبيه قال ابن عطاء الله فى الحكم من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها وقال صاحب الكلم الفارقية لاتغفل عن شكر الصنائع وسرعة استرجاع الودائع وقال ايضا ياميتا نشر من قبر العدم بحكم الجود والكرم لاتنس سوالف العهود والذمم اذكر عهد الايجاد وذمة الاحسان والارفاد وحال الاصدار والايراد وفاتحة المبدإ وخاتمة المعاد وقال رحمه الله يادائم الغفلة عن عظمة ربه اين النظر فى عجائب صنعه والتفكر فى غرائب حكمته اين شكر ما افاض عليك من ملابس احسانه ونعمه ياذا الفطنة اغتنم نعمة المهلة وفرصة المكنة وخلسة السلامة قبل حلول الحسرة والندامة انتهى * قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية روي عن ابن عباس وابن مسعود فى قصص هذه الآية كلام طويل حاصله ان سليمان عليه السلام لما احس بقرب اجله اجتهد عليه السلام وجد فى العبادة وجاءه ملك الموت واخبره انه امر بقبض روحه وانه لم يبق له الامدة يسيرة قال الثعلبي وقال سليمان عند ذلك اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الانس ان الجن لايعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء وانهم يعلمون ما فى غد ولما اعلمه ملك الموت بقرب الاجل امر حينئذ الجن فصنعت له قبة من زجاج تشف ودخل فيها يتعبد ولم يجعل لها بابا وتوكأ على عصاه على وضع يتماسك معه وان مات ثم توفي عليه السلام على تلك الحالة فلما مضى لموته سنة خر عن عصاه والعصا

قد اكلتها الارضة وهي الدودة التي تاكل العود فرأت الجن انخراره فتوهمت موته والمنساة العصا وقرأ الجمهور تبينت الجن باسناد الفعل اليها اي بان امرها كانه قال افتضحت الجن اي للانس هذا تاويل ويحتمل ان يكون قوله تبينت الجن بمعنى علمت الجن وتحققت ويريد بالجن جمهورهم والخدمة منهم ويريد بالضمير في كانوا رؤساءهم وكبارهم لانهم هم الذين يدعون علم الغيب لاتباعهم من الجن والانس وقرأ يعقوب تبينت الجن على بناء الفعل للمفعول اي تبينها الناس والعذاب المهين ما هم فيه من الخدمة والتسخير وغير ذلك والمعنى ان الجن لو كانت تعلم الغيب لما خفي عليها موت سليمان وقد ظهر انه خفي عليها بدوامها في الخدمة الصعبة وهو ميت فالمهين المذل من الهوان وحكى الثعلبي ان الشياطين قالت للارضة لو كنت تاكلين الطعام لاتيناك باطيب الطعام والشراب ولكنا سننقل اليك الماء والطين فهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت شكرا لها انتهى * وقوله تعالى لقد كان لسبإ في مساكنهم ءاية الآية هذا مثل لقريش بقوم انعم الله عليهم فلم يشكروا فانتقم منهم اي فانتم ايها القوم مثلهم وسبأ هنا يراد به القبيل واختلف لم سمي القبيل بذلك فقالت فرقة هو اسم امرأة وقيل اسم موضع سمي به القبيل وقال الجمهور هو اسم رجل هو ابو القبيل كله وفيه حديث فروة بن مسيك المتقدم في سورة النمل خرجه الترمذي وءاية معناه عبرة وعلامة على فضل الله وقدرته وجنتان مبتدأ وخبره عن يمين وشمال اوخبر مبتدإ محذوف تقديره هي جنتان وقيل جنتان بدل من آية وضعف وروي في قصصهم انه كان في ناحية اليمن واد عظيم بين جبلين وكانت جنبتا الوادى فواكه وزروعا وكان قد بني في رأس الوادى عند اول الجبلين جسر عظيم من حجارة من الجبل الى الجبل فاحتبس الماء فيه وصار بحيرة عظيمة واخذ الماء من جنبتيها فمشى مرتفعا يسقى

جنات كثيرة جنبتي الوادى قيل بنته بلقيس وقيل بناه حمير ابو القبائل اليمانية كلها وكانوا بهذه الحال فى ارغد عيش وكانت لهم بعدذلك قرى ظاهرة متصلة من اليمن الى الشام وكانوا ارباب تلك البلاد فى ذلك الزمان (ت) وقول (ع) وكان قدبني فى رأس الوادى عند اول الجبلين صوابه وكان قدبني فى اسفل الوادى عند اخر الجبلين وكلوا فيه حذف معناه قيل لهم كلوا وطيبة معناه كريمة التربة حسنة الهواء وروي ان هذه المقالة من الامر بالاكل والشكر والتوقيف على طيب البلدة وغفران الرب مع الايمان به هي من قول الا نبياء لهم وبعث اليهم فيما روي ثلاثة عشرنبيا فكفروا بهم واعرضوا فبعث الله على ذلك السد جرذا اعمى توالد فيه وخرقه شيأ بعد شيء فانخرق السد وفاض الماء على اموالهم وجناتهم فغرّقها واهلك كثيرا من الناس ممن لم يمكنه الفرار واختلف فى العرم. فقال المغيرة بن حكيم وابو ميسرة هو كل ما بني اوسنم ليمسك الماء. وقال ابن عباس وغيره العرم اسم وادى ذلك الماء بعينه الذى كان السد بني له وقال ابن عباس ايضا العرم الشديد قال (ع) فكانه صفة للسيل من العرامة والاضافة الى الصفة مبالغة وهي كثيرة فى كلام العرب وقيل العرم صفة للمطر الشديد الذى كان عنه ذلك السيل * وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين فيه تجوز واستعارة وذلك ان البدل من الخمط والاثل لم يكن جنات لكن هذا كما تقول لمن جرد ثوبا جيدا وضرب ظهره هذا الضرب ثوب صالح لك ونحو هذا والخمط شجر الاراك قاله ابن عباس وغيره وقيل الخمط كل شجر له شوك وثمرته كريهة الطعم بمرارة او حموضة اونحوه ومنه تخمط اللبن اذا تغيرطعمه والاثل ضرب من الطرفاء هذا هوالصحيح والسدر معروف وهوله نبق شبه العناب لكنه دونه فى الطعم بكثير وللخمط ثمرغث هو البرير وللاثل ثمر قليل الغناء غير حسن الطعم وقرأ نافع وابن كثير اكل بضم الهمزة وسكون الكاف والباقون بضمهما

وهما بمعنى الجنى والثمرة ومنه توتى اكلها كل حين اي جناها وقرأ ابو عمرو اكل خمط باضافة اكل الى خمط * وقوله تعالى ذلك اشارة الى ما اجراه عليهم * وقوله وهل يجازى اي يناقش ويقارض بمثل فعله قدرا بقدر لان جزاء المومن انما هو بتفضل وتضعيف ثواب واما الذى لايزاد ولا ينقص فهو الكافر وقرأ حمزة والكساءي وهل نجازى بالنون وكسر الزاي الكفور بالنصب * وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى الآية هذه الآية وما بعدها وصف حالهم قبل مجيء السيل وهي ان الله تعالى مع ما كان منحهم من الجنتين والنعمة الخاصة بهم كان قد اصلح لهم البلاد المتصلة وعمرها وجعلهم اربابها وقدر السير بان قرب القرى بعضها من بعض حتى كان المسافر من مأرب الى الشام يبيت فى قرية ويقيل فى قرية فلا يحتاج الى حمل زاد والقرى المدن والقرى التى بورك فيها هي بلاد الشام باجماع المفسرين والقرى الظاهرة هي التى بين الشام ومأرب وهي اسم بلدهم قال ابن عباس وغيره هي قرى عربية بين المدينة والشام واختلف فى معنى ظاهرة فقالت فرقة معناه مستعلية مرتفعة فى الآكام وهي اشرف القرى وقالت فرقة معناه يظهر بعضها من بعض فهي ابدا فى قبضة عين المسافر لا يخلو عن رؤية شيء منها قال (ع) والذى يظهر لى ان معنى ظاهرة خارجة عن المدن فهي عبارة عن القرى الصغار التى هي فى ظواهر المدن والله اعلم وءامنين اى من الخوف والجوع والعطش وءافات السفر ثم حكى سبحانه عنهم مقالة قالوها على جهة البطر والاشر وهي طلب البعد بين الاسفار كانهم ملوا النعمة فى القرب وطلبوا استبدال الذى هو ادنى بالذى هو خير وظلموا انفسهم ففرق الله شملهم وخرب بلادهم وجعلهم احاديث ومنه المثل السائر تفرقوا ايادي سبا وايدي سبا يقال المثل بالوجهين وهذا هو تمزيقهم كل ممزق فتيامن منهم ستة قبائل وتشاءمت منهم اربعة حسبما فى

الحديث ثم اخبر تعالى محمدا عليه السلام وامته على جهة التنبيه بان هذا القصص فيه ءايات وعبر لكل مومن متصف بالصبر والشكر * وقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه الآية قرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ولقد صدق بتخفيف الدال وقرأ حمزة والكساءي صدق بتشديدها فالظن على هذه القراءة مفعول بصدق ومعنى الآية ان ابليس ظن فيهم ظنا حيث قال ولا تجد اكثرهم شاكرين وغير ذلك فصدق ظنه فيهم واخبر تعالى انهم اتبعوه وهو اتباع فى كفر لانه فى قصة قوم كفار * وقوله ممن هو منها فى شك يدل على ذلك ومن فى قوله من المومنين لبيان الجنس لا للتبعيض * وقوله وما كان له عليهم من سلطان اي من حجة قال الحسن والله ما كان له سيف ولا سوط و لكنه استمالهم فمالوا بتزيينه * وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله يريد الاصنام والملائكة وذلك ان منهم من كان يعبد الملائكة وهذه ءاية تعجيز واقامة حجة ويروى ان الآية نزلت عند الجوع الذى اصاب قريشا ثم جاء بصفة هؤلاء الذين يدعونهم ءالهة انهم لا يملكون ملك اختراع مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الارض وانهم لا شرك لهم فيهما وهذان نوعا الملك اما استبداد واما مشاركة فنفى عنهم جميع ذلك ونفى ان يكون منهم لله تعالى معين فى شيء والظهير المعين ثم قرر فى الآية بعدُ ان الذين يظنون انهم يشفعون لهم عند الله لا تصح منهم شفاعة لهم اذ هؤلاء كفرة ولا ياذن الله فى الشفاعة فى كافر وقرأ حمزة والكساءي وابو عمرو اذن بضم الهمزة * وقوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية الضمير فى قلوبهم عائد على الملائكة الذين دعوهم ءالهة قال (ع) وتظاهرت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه الآية اعنى قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم انما هي فى الملائكة اذا سمعت الوحي الى جبريل اوالامر يامر الله به سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك

تعظيما وهيبة لله تبارك وتعالى وقيل خوفا ان تقوم الساعة فاذا فرغ ذلك فزع عن قلوبهم اي اطير الفزع عنها وكشف فيقول بعضهم لبعض ولجبريل ماذا قال ربكم فيقول المسئولون قال الحق وهو العلي الكبير (ت) ولفظ الحديث من طريق ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله امرا فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير انتهى وقرأ الجمهور فزع بضم الفاء ومعناه اطير الفزع عنهم وقولهم وهو العلي الكبير تمجيد وتحميد ثم امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم على جهة الاحتجاج واقامة الدليل على الرازق لهم من السموات والارض من هو ثم امره ان يقتضب الاحتجاج بان ياتي بجواب السؤال اذهم فى بهتة ووجمة من السؤال واذ لا جواب لهم الا ان يقولوا هو الله وهذه السبيل فى كل سؤال جوابه فى غاية الوضوح لان المحتج يريد ان يقتضب ويتجاوز الى حجة اخرى يوردها ونظائرها فى القرءان كثير * وقوله وانا او اياكم تلطف فى الدعوة والمحاورة والمعنى كما تقول لمن خالفك فى مسئلة احدنا مخطئ اي تثبت وتنبه والمفهوم من كلامك ان مخالفك هو المخطئ فكذلك هذا معناه وانا لعلى هدى او فى ضلال مبين وانكم لعلى هدى او فى ضلال مبين فتنبهوا والمقصد ان الضلال فى حيزهم وحذف احد الخبرين لدلالة الباقى عليه * وقوله قل لا تسئلون الآية مهادنة ومتاركة منسوخة * وقوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا اخبار بالبعث ويفتح معناه يحكم والفتاح القاضى وهو مشهور فى لغة اليمن واروني هي رؤية قلب وهذا هو الصحيح اي اروني بالحجة والدليل * وقوله كلا رد لما تقرر من مذهبهم فى الاشراك * وقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس الآية اعلام من الله تعالى بانه بعث محمدا عليه السلام الى جميع العالم وهي احدى خصائصه التي خص بها من

بين سائر الانبياء وباقى الآيـة بين قال ابو عبيدة الوعد والوعيد والميعاد بمعنى وخولف فى هذا والذى عليه الناس ان الوعـد اذا اطلق ففى الخير والوعيد فى المكروه والميعاد يقع لهذا ولهذا * وقوله تعالى وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القرءان ولا بالذى بين يديه هذه المقالة قالها بعض قريش وهي انهم لا يومنون بالقرءان ولا بالذى بين يديه من التوراة والانجيل والزبور فكانهم كذبوا بجميع كتب الله عز وجل وانما فعلوا هـذا لما وقع الاحتجاج عليهم بما فى التوراة من امر محمد عليه السلام قال الواحدي قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول اي فى التلاوم انتهى وباقى الآيـة بين وقولهم بل مكر الليل والنهار المعنى بل كفرنا بمكركم بنا فى الليل والنهار واضاف المكر الى الليل والنهار من حيث هو فيهما ولتدل هذه الاضافة على الدءوب والدوام والضمير فى اسروا عام لجميعهم من المستضعفين والمستكبرين * وقوله تعالى وما ارسلنا فى قريـة من نـذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عـن فـعل قريش وقولها اي هـذه يامحمد سيرة الامم فلايهمنك امر قومك والقرية المدينـة والمترف الغني المنعم القليل تعب النفس والبدن فعادتهم المبادرة بالتكذيب * وقوله وقولوا نحن اكثر اموالا الآية يحتمل ان يعود الضمير فى قالوا على المترفين ويحتمل ان يكون لقريش ويكون كلام المترفين قدتم قبله وفى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله لا ينـظر الى صوركم واموالكم ولكن ينـظر الى قلوبكم واعمالكم انتهى واعلم ان المال الزائد على قدر الحاجة قل ان يسلم صاحبه من الآفات الا من عصمه الله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض وقد جاء فى صحيح البخاري وغيره من رواية ابى ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاكثرون مالا هم الاقلون يوم القيامة الا من قال بالمال هكذا وهكذا واشار ابن شهاب بين يديه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم اه

وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا حيوة بن شريح عن عقيل بن خالد عن سلمة بن ابى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قال لن ينجو منى الغنيى من احدى ثلاث اما ان ازين ماله فى عينيه فيمنعه من حقه واما ان اسهل له سبيله فينفقه فى غير حقه واما ان احببه فيكسبه بغير حقه انتهى والزلفى مصدر بمعنى القرب * وقوله الا من آمن استثناء منقطع وقرأ الجمهور جزاء الضعف بالاضافة والضعف هنا اسم جنس اي بالتضعيف اذ بعضهم يجازى الى عشرة وبعضهم اكثر صاعدا الى سبع مائة بحسب الاعمال ومشيئة الله فيها * وقوله تعالى والذين يسعون فى ءاياتنا معاجزين تقدم تفسيره ومحضرون من الاحضار والاعداد ثم كرر القول ببسط الرزق لا على المعنى الاول بل هذا هنا على جهة الوعظ والتزهيد فى الدنيا والحض على النفقة فى الطاعات ثم وعد بالخلف فى ذلك اما فى الدنيا واما فى الآخرة وفى البخاري ان ملكا ينادى كل يوم اللهم اعط منفقا خلفا ويقول ملك ءاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وروى الترمذي عن ابى كبشة الانصاري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث اقسم عليهن واحدثكم حديثا فاحفظوه قال ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عزا ولا فتح عبد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر اوكلمة نحوها الحديث قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وقوله تعالى ويوم نحشرهم الآية تقدم تفسير نظيرها مكررا وفى القرءان ءايات يظهر منها ان الجن عبدت فى سورة الانعام وغيرها ثم قال تعالى فاليوم اي يقال لمن عبد ومن عبد اليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا * وقوله تعالى وما ءاتيناهم من كتب يدرسونها الآية المعني ان هؤلاء الكفرة

يقولون بـآرائهم فى كتاب الله فيقول بعضهم سحر وبعضهم افتراء وذلك منهم تسور لايستندون فيه الى اثارة علم فانا ماءاتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يباشرهم ويشافههم فيمكنهم ان يسندوا دعواهم اليه * وقوله تعالى وما بلغوا معشار ماءاتيناهم الضمير فى بلغوا يعود على قريش وفى ءاتيناهم على الامم الذين من قبلهم والمعنى من القوة والنعم والظهور فى الدنيا قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد والمعشار العشر ولم يات هذا البناء الافى العشرة والاربعة فقالوا مرباع ومعشار والنكير مصدر كالانكار فى المعنى وكالعذير فى الوزن وكيف تعظيم للامر وليست استفهاما مجردا وفى هذا تهديد لقريش اي انهم متعرضون لنكير مثله ثم امر تعالى نبيه عليه السلام ان يدعوهم الى عبادة الله تعالى والنظر فى حقيقة نبوته هو ويعظهم بامر مقرب للافهام فقوله بواحدة معناد بقضية واحدة ايجازا لكم وتقريبا عليكم وهو ان تقوموا لله اي لاجل الله او لوجه الله مثنى اي اثنين اثنين متناظرين وفرادى اي واحدا واحدا ثم تتفكروا هل بصاحبكم جنة او هو بريء من ذلك والوقف عند ابى حاتم تتفكروا فيجيء مابصاحبكم نفيا مستانفا وهو عند سيبويه جواب ما تنزل منزلة القسم وقيل فى الآية غير هذ انما هو بعيد من الفاظها فتعين تركه * وقوله تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم معنى الآية بين واضح لايفتقر الى بيان * وقوله يقذف بالحق يريد بالوحي وءايات القرءان واستعار له القذف من حيث كان الكفار يرمون بـآياته وحكمه * وقوله سبحانه قل جاء الحق يريد الشرع بجملته وما يبدئ الباطل وما يعيد قالت فرقة الباطل غير الحق من الكذب والكفر ونحوه استعار له الابداء والاعادة ونفاهما عنه كانه قال وما يصنع الباطل شيئا * وقوله فبما يوحي يحتمل ان تكون ما بمعنى الذي اومصدرية * وقوله

تعالى ولو ترى اذ فزعوا الآية قال الحسن بن ابى الحسن ذلك فى الكفار عند خروجهم من القبور فى القيامة قال (ع) وهو ارجح الاقوال هنا واما معنى الآية فهو التعجيب من حالهم اذا فزعوا من اخذ الله اياهم ولم يتمكن لهم ان يفوت منهم احد واخذوا من مكان قريب اي ان الاخذ يجيئهم من قرب فى طمانينتهم وبعقبها بينما الكافر يؤمل ويترجى اذ غشيه الاخذ ومن غشيه اخذ من قريب فلا حيلة له ولاروية وقالوا ءامنا به الضمير فى به عائد على الله تعالى وقيل على محمد وشرعه والقرءان وقرأ نافع وعامة القراء التناوش دون همز ومعناه التناول من قولهم ناش ينوش اذا تناول وعبارة الواحدي وانى لهم التناوش اي كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم انتهى وقرأ ابو عمرو وحمزة والكساءي التناؤش بالهمز فيحتمل ان يكون تفسيره كالقراءة الاولى ويحتمل ان يكون من الطلب تقول انتأشت الخير اذا طلبته من بعد (ت) وقال البخاري التناوش الرد من الآخرة الى الدنيا انتهى ويقذفون بالغيب اي يرجمون بظنونهم ويرمون بها الرسول وكتاب الله وذلك غيب عنهم فى قولهم سحر وافتراء وغير ذلك قاله مجاهد وقال قتادة قذفهم بالغيب هو قولهم لا بعث ولا جنة ولا نار * وقوله سبحانه وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال الحسن معناه من الايمان والتوبة والرجوع الى الانابة والعمل الصالح وذلك انهم اشتهوه فى وقت لا تنفع فيه التوبة وقاله ايضا قتادة وقال مجاهد معناه وحيل بينهم وبين نعيم الدنيا وقيل معناه حيل بينهم وبين الجنة ونعيمها كما فعل باشياعهم من قبل والاشياع الفرق المتشابهة فاشياع هؤلاء هم الكفرة من كل امة (ص) قال ابو حيان ومريب اسم فاعل من اراب اي اتى بريبة وارتبه اوقعته فى ريبة ونسبة الارابة الى الشك مجاز قال (ع) والشك المريب اقوى ما يكون من الشك واشده اظلاما انتهى

تفسير سورة فاطر وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة الآية رسلا معناه بالوحي وغير ذلك من اوامره سبحانه كجبريل وميكائيل وعزرائيل رسل والملائكة المتعاقبون رسل وغير ذلك ومثنى وثلاث ورباع الفاظ معدولة عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة عدلت فى حالة التنكير فتعرفت بالعدل فهي لا تنصرف للعدل والتعريف وقيل للعدل والصفة وفائدة العدل الدلالة على التكرار لان مثنى بمنزلة قولك اثنين اثنين قال قتادة ان انواع الملائكة هم هكذا منها ماله جناحان ومنها ماله ثلاثة ومنها ماله اربعة ويشذ منها ماله اكثر من ذلك وروي ان لجبريل عليه السلام ست مائة جناح منها اثنان يبلغان من المشرق الى المغرب * وقوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء تقرير لما يقع فى النفوس من التعجب عند الخبر بالملائكة اولى الاجنحة اي ليس هذا ببدع فى قدرة الله تعالى فانه يزيد فى الخلق ما يشاء وروي عن الحسن وابن شهاب انهما قالا المزيد هو حسن الصوت قال الهيثم الفارسي رأيت النبي صلى الله عليه سلم فى النوم فقال لى انت الهيثم الذى تزين القرءان بصوتك جزاك الله خيرا وقيل من الاقوال فى الزيادة غير هذا وذلك على جهة المثال لان المقصد هي فقط * وقوله تعالى ما يفتح الله ما شرط ويفتح مجزوم بالشرط * وقوله من رحمة عام فى كل خير يعطيه الله تعالى لعباده * وقوله من بعده فيه حذف مضاف اي من بعد امساكه ومن هذه الآية

سمت الصوفية ما تعطاه من الاموال والمطاعم وغير ذلك الفتوحات * وقوله تعالى ياايها الناس خطاب لقريش وهو متوجه لكل كافر * وقوله سبحانه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا (ت) هذه الآية معناها بين قال ابن عطاء الله ينبغى للعبد ان يقلل الدخول فى اسباب الدنيا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قليل الدنيا يلهى عن كثير الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ما طلعت شمس الا وبجنبيها ملكان يناديان ياايها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر والهى انتهى من لطائف المنن وقرأ جمهور الناس الغرور بفتح الغين وهو الشيطان قاله ابن عباس * وقوله ان الشيطان لكم عدو الآية يقوى قراءة الجمهور فاتخذوه عدوا اي بالمباينة والمقاطعة والمخالفة له باتباع الشرع * وقوله تعالى افمن زين له سوء عمله فرءاه حسنا توقيف وجوابه محذوف يمكن ان يقدر كمن اهتدى ونحو هذا من التقدير واحسن التقدير ما دل اللفظ بعدُ عليه وقرأ الجمهور فلا تذهب بفتح التاء والهاء نفسك بالرفع وقرأ قتادة وغيره تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك بالنصب ورويت عن نافع والحسرة هم النفس على فوات امر وهذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن كفر قومه ووجب التسليم لله عز وجل فى اضلال من شاء وهداية من شاء * وقوله سبحانه والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت هذه ءاية احتجاج على الكفرة فى انكارهم البعث من القبور * وقوله تعالى من كان يريد العزة يحتمل ان يريد من كان يريد العزة بمغالبة فلله العزة اى ليست لغيره ولا تتم الا به ونحا اليه مجاهد وقال من كان يريد العزة بعبادة الاوثان قال (ع) وهذا تمسك بقوله تعالى واتخذوا من دون الله ءالهة ليكونوا لهم عزا ويحتمل ان يريد من كان يريد العزة وطريقها القويم ويحب نيلها على وجهها فلله العزة اي به وعن اوامره لا تنال عزته الا بطاعته ونحا اليه قتادة * وقوله تعالى اليه يصعد

الكلم الطيب اي التوحيد والتحميد وذكر الله ونحوه * وقوله والعمل الصالح يرفعه قيل المعنى يرفعه الله وهذا ارجح الاقوال وقال ابن عباس وغيره ان العمل الصالح هو الرافع للكلم وهذا التاويل انما يستقيم بان يتأول على معنى انه يزيد فى رفعه وحسن موقعه (ت) وعن ابن مسعود قال اذا حدثناكم بحديث اتيناكم بتصديق ذلك فى كتاب الله سبحانه ان العبد اذا قال سبحان الله والحمد لله والله اكبر وتبارك الله قبض عليهن ملك فضمهن تحت جناحه وصعدبهن لايمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يجاء بهن وجه الرحمن سبحانه ثم تلا عبد الله بن مسعود اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح ويمكرون السيئات اي المكرات السيئات ويبور معناه يفسد ويبقى لا نفع فيه * وقوله تعالى والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الآية قيل معنى الازواج هنا الانواع وقيل اراد ترويج الرجال النساء والضمير فى عمره قال ابن عباس وغيره ما مقتضاه انه عائد على معمر الذى هو اسم جنس والمراد غير الذى يعمر وقال ابن جبير وغيره بل المراد شخص واحد وعليه يعود الضمير اي ما يعمر انسان ولا ينقص من عمره بان يحصى ما مضى منه اذا مر حول كتب ما مضى منه فاذا مر حول آخر كتب ذلك ثم حول ثم حول فهذا هو النقص قال ابن جبير فما مضى من عمره فهو النقص وما يستقبل فهو الذى يعمره * وقوله تعالى وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون تقدم تفسير نظير هذه الآية * وقوله تعالى وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى الآية الاجل المسمى هو قيام

الساعــة وقيل ءاماد الليل وءاماد النهار والقطمير القشرة الرقيقة التى على نوى التمرة وقال الضحاك وغيره القطمير القمع الذى فى رأس التمرة والاول اشهـر واصوب ثم بين تعالى بطلان الاصنام بثلاثة اشياء اولها انها لاتسمع ان دعيت والثا نى انها لاتجيب ان لو سمعت وانما جاء بهذه لان القائل متعسف ان يقول عساها تسمع والثالث انها تتبرأ يوم القيامــة مــن الكـفرة * وقوله تعالى ولا ينبئك مثل خبير قال المفسرون الخبير هنا هو الله سبحانــه فهو الخبير الصادق الخبر ونبأ بهذا فلا شك فى وقوعه * وقوله تعالى ياايها الناس انتم الفقراء الى الله الآيــة ءاية وعظ وتذكـير والانسان فـقير الى الله تعالى فى دقائـق الامور وجلائلها لا يستغنى عنــه طرفـة عين وهو بـه مستغن عـن كل احد والله هو الغني الحميد اي المحمود بالاطلاق * وقوله بعزيز اي بممتنع وتزر معناه تحمل وهذه الآيــة فى الذنوب وانثت وازرة لانــه ذهب بها مذهب النفس وعلى ذلك اجريت مثقلة واسم كان مضمــر تـقديره ولوكان الداعى ثم اخبر تعــالى نبيه انه انما ينذر اهل الخشية ثم حض على التزكى بان رجى عليه غاية الترجية ثم توعد بعد ذلك بـقـوله والى الله المصير قال (ع) وكل عبارة فهى مقصرة عن تفسير هــذه الآيــة وكـذلك كـتاب الله كله ولكن يـظهر الامر لنــا نحن فى مواضع اكـثر منه فى مواضع بحسب تـقصيرنا * وقوله سبحانــه وما يستوى الاعمى والبصير الآيــة مضمن هذه الآيــة الطعن على الكـفرة وتمثيلهم بالعمي والظلمات وتمثيل المومنين بازائهم بالبصراء والانوار والحرور شدة الحر قال الفراء وغيره ان السموم يختــص بالنهار والحرور يقال فى حر الليل وحر النهر وتـأول قوم الظل فى هذه الآية الجنة والحرور جهنم وشبــه المومنين بالاحياء والكـفرة بالاموات من حيث لا يفهمون الذكر ولا يقبلون عليه * وقوله سبحانه وما انت بمسمع من فى القبور تمثيل بما يحسه البشر ويعهده جميعا من ان الميت الشخص

الذى فى القبر لايسمع واما الارواح فلا نقول انها فى القبر بل تتضمن الاحاديث ان ارواح المومنين فى شجر عند العرش وفى قناديل وغير ذلك وان ارواح الكفرة فى سجين ويجوز فى بعض الاحيان ان تكون الارواح عند القبور فربما سمعت وكذلك اهل قليب بدر انما سمعت ارواحهم فلا تعارض بين الآية وحديث القليب * وقوله تعالى وان من امة الا خلافيها نذير معناه ان دعوة الله تعالى قد عمت جميع الخلق وان كان فيهم من لم تباشره النذارة فهو ممن بلغته لان آدم بعث الى بنيه ثم لم تنقطع النذارة الى زمن محمد صلى الله عليه وسلم والبينات والزبر والكتاب المنير شيء واحد لكنه اكد اوصاف بعضها ببعض * وقوله تعالى ومن الجبال جدد الآية جمع جدة وهي الطريقة تكون من الارض والجبل كالقطعة العظيمة المتصلة طولا وحكى ابو عبيدة فى بعض كتبه انه يقال جدد فى جمع جديد ولا معنى لمدخل الجديد فى هذه الآية وقال الثعلبي وقيل الجدد القطع جددت الشيء اذا قطعته انتهى * وقوله وغرابيب سود لفظان لمعنى واحد وقدم الوصف الابلغ وكان حقه ان يتأخر وكذلك هو فى المعنى لكن كلام العرب الفصيح ياتى كثيرا على هذا النحو والمعنى ومنها اي من الجبال سود غرابيب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يبغض الشيخ الغربيب يعنى الذى يخضب بالسواد ومن الناس والدواب والانعام اي خلق مختلف الوانه * وقوله تعالى كذلك يحتمل ان يكون من الكلام الاول فيجيء الوقف عليه حسنا والى هذا ذهب كثير من المفسرين ويحتمل ان يكون من الكلام الثانى خرج مخرج السبب كانه قال كما جاءت القدرة فى هذا كله كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء اي المحصلون لهذه العبر الناظرون فيها وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم اعلمكم بالله اشدكم له خشية وقال صلى الله عليه وسلم رأس

الحكمة مخافة الله وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم وقال ابن عباس فى تفسير هذه الآية كفى بالزهد علما وقال ان فاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وبالاغترار به جهلا وقال مجاهد والشعبي انما العالم من يخشى الله وانما فى هذه الآية تحضيض للعلماء لا للحصر قال ابن عطاء الله فى الحكم العلم النافع هو الذى ينبسط فى الصدر شعاعه ويكشف به عن القلب قناعه خير العلم ما كانت الخشية معه والعلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك وقال فى التنوير اعلم ان العلم حيث ما تكرر فى الكتاب العزيز او فى السنة فانما المراد به العلم النافع الذى تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فبين سبحانه ان الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان العلماء انما هم اهل الخشية انتهى قال ابن عباد فى شرح الحكم واعلم ان العلم النافع المتفق عليه فيما سلف وخلف انما هو العلم الذى يؤدى صاحبه الى الخوف والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق باخلاق الايمان الى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا والزهادة فيها وايثار الآخرة عليها ولزوم الادب بين يدي الله تعالى الى غير ذلك من الصفات العلية والمناحى السنية انتهى وهذه المعانى كلها محصلة فى كتب الغزالي وغيره رضي الله عن جميعهم ونفعنا ببركاتهم قال صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية العلم النافع ما زهدك فى دنياك ورغبك فى اخراك وزاد فى خوفك وتقواك وبعثك على طاعة مولاك وصفاك من كدر هواك وقال رحمه الله العلوم النافعة ما كانت للهمم رافعة وللاهواء قامعة وللشكوك صارفة دافعة انتهى * وقوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم الآية قال مطرف بن عبد الله بن الشخير هذه اية القراء قال (ع) وهذا على ان يتلون بمعني يقرءون وان جعلناه بمعني يتبعون صح معنى الآية وكانت فى القراء وغيرهم

ممن اتصف باوصاف الآية وكتاب الله هو القرءان واقامة الصلاة اي بجميع شروطها والنفقة هي فى الصدقات ووجوه البر ولن تبور معناه لن تكسد ويزيدهم من فضله قالت فرقة هو تضعيف الحسنات وقالت فرقة هو اما النظر الى وجه الله عز وجل واما ان يجعلهم شافعين فى غيرهم كما قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة (ت) وقد خرج ابو نعيم باسناده عن الثوري عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله قال اجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليه المعروف فى الدنيا وخرج ابن ماجه فى سننه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف الناس صفوفا وقال ابن نمير اهل الجنة فيمر الرجل من اهل النار على الرجل من اهل الجنة فيقول يافلان اما تذكر يوم استسقيتني فسقيتك شربة قال فيشفع له ويمر الرجل على الرجل فيقول اما تذكر يوم ناولتك طهورا فيشفع له قال ابن نمير ويقول يافلان اما تذكر يوم بعثتني لحاجة كذا وكذا فذهبت لك فيشفع له وخرجه الطحاوي وابن وضاح بمعناه انتهى من التذكرة * وقوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا الآية اورثنا معناه اعطيناه فرقة بعد موت فرقة والكتاب هنا يريد به معاني الكتاب وعلمه واحكامه وعقائده فكأن الله تعالى لما اعطى امة محمد القرءان وهو قد تضمن معاني الكتب المنزلة قبله فكانه ورث امة محمد الكتاب الذى كان فى الامم قبلها قال ابن عطاء الله فى التنوير قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى اكرم المومنين وان كانوا عصاة فاسقين وامرهم بالمعروف وانههم عن المنكر واهجرهم رحمة بهم لا تعززا عليهم فلو كشف عن نور المومن العاصي لطبق السماء والارض فما ظنك بنور المومن المطيع ويكفيك فى تعظيم المومنين وان كانوا عن الله غافلين قول رب العالمين ثم اورثنا الكتاب

الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فانظر كيف اثبت لهم الاصطفاء مع وجود ظلمهم واعلم انه لابد فى مملكته من عبادٍ هم نصيب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة انتهى والذين اصطفينا يريد بهم امة محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وغيره واصطفينا معناه اخترنا وفضلنا والعباد عام فى جميع العالم واختلف فى عود الضمير من قوله فمنهم فقال ابن عباس وغيره ما مقتضاه ان الضمير عائد على الذين اصطفينا وان الاصناف الثلاثة هي كلها فى امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالظالم لنفسه العاصى المسرف والمقتصد متقى الكبائر وهم جمهور الامة والسابق المتقى على الاطلاق وقالت هذه الفرقة الاصناف الثلاثة فى الجنة وقاله ابو سعيد الخدري والضمير فى يدخلونها عائد على الاصناف الثلاثة قالت عائشة وكعب دخلوها كلهم ورب الكعبة وقال ابو اسحاق السبيعي اما الذى سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج وقال ابن مسعود هذه الامة يوم القيامة اثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث يجيئون بذنوب عظام فيقول الله عز وجل ما هؤلاء وهو اعلم بهم فتقول الملائكة هم مذنبون الا انهم لم يشركوا فيقول عز وجل ادخلوهم فى سعة رحمتي وروى اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال كلهم فى الجنة وقرأ عمر هذه الآية ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وقال عكرمة والحسن وقتادة ما مقتضاه ان الضمير فى منهم عائد على العباد فالظالم لنفسه الكافر والمقتصد المومن العاصى والسابق التقي على الاطلاق وقالوا هذه الآية نظير قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة الآية والضمير فى يدخلونها على هذا التاويل خاص بالمقتصد والسابق وباقى الآية بين والحزن فى هذه الآية عام فى جميع انواع الاحزان

وقولهم ان ربنا لغفور شكور وصفوه سبحانه بانه يغفر الذنوب ويجازى على القليل من الاعمال بالكثير من الثواب وهذا هو شكره لارب سواه ودار المقامة الجنة والمقامة الاقامــة والنصب تعب البدن واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن * وقوله سبحانه والذين كفروا لهم نار جهنم هذه الآية تؤيد التاويل الاول مــن ان الثلاثــة الاصناف هي كلها فى الجنــة لان ذكر الكافرين افرد هاهنا * وقوله لايقضى عليهم اي لا يجهز عليهم * وقولهم ربنا اخرجنا اي يقولون هذه المقالة فيقال لهم عل جهة التوبيخ اولم نعمركم الآية واختلف فى المدة التى هي حد للتذكر فقال الحسن بن ابى الحسن البلوغ يريد انه اول حال التذكر وقال ابن عباس اربعون سنة وهذا قول حسن ورويت فيه ءاثار وروي ان العبد اذا بلغ اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان على وجهه وقال بابى وجــه لا يفلح وقيل الستين وفيه حديث (ت) وفى البخاري من بلغ ستين سنــة فقد اعذر الله اليه لقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير يعنى الشيب ثم اسند عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله امرءا اخّر اجله حتى بلغ ستين سنــة انتهى والنذير فى قول الجمهور الانبياء قال الطبري وقيل النذير الشيب وهذا ايضا قول حسن * وقوله فعليه كفره اي وبال كفره والمقت احتقارك الانسان من اجل معصيته والخسار مصدر خسر يخسر وارأيتم تتنزل عند سيبويه منزلة اخبرونى ولذلك لاتحتاج الى مفعولين والرؤية فى قوله اروني رؤية بصر (ت) قال ابن هشام قوله من الارض من مرادفــة فى ثم قال والظاهر انها لبيان الجنس مثلها ما ننسخ من آية انتهى ثم اضرب سبحانه عنهم بقوله بل ان يعد اي بل انما يــعــدون انــفسهم غرورا * وقوله ان تزولا اي ليلا تزولا ومعنى الزوال هنا التنقل من مكانها والسقوط من علوها وعــن ابن مسعود ان السماء لاتدور وانما تجرى فيها الكواكب * وقوله تعالى ولئن زالتا

قيل اراد يوم القيامة * وقوله تعالى ان امسكهما من احد من بعده اي من بعد تركه الامساك قال (ص) ان امسكهما ان نافية بمعنى ما وامسك جواب القسم المقدر قبل اللام الموطئة فى لئن وهو بمعنى يمسك لدخول ان الشرطيـة كقوله تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكـل ءاية ما تبعوا قبلتك اي ما يتبعون وكقوله ولئن ارسلنا ريحا الآيـة الى قوله لظلوا من بعده اي ليظلون وحذف جواب ان فى هذه المواضع لدلالة جواب القسم عليه * وقوله من احد من زائدة لتاكيد الاستغراق انتهى * وقوله تعالى واقسموا بالله يعنى قريشا لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم الآية وذلك انه روي ان كفار قريش كانت قبل الاسلام تنكر على اليهود والنصارى وتاخذ عليهم فى تكذيب بعضهم بـعضا وتقول لو جاءنا نحن رسول لكـنا اهدى مـن هؤلاء واحدى الامم يريدون اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليـه وسلم ما زادهم الانفورا وقرأ ابن مسعود ومكـرا سيئا ويحيق معنـاه يحيط ويحـل وينزل ولا يستعمل الافى المكروه وينظرون معنه ينتظرون والسنة الطريقة والعادة * وقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا اي لتعذيبه الكفرة المكذبين وفى هذا وعيد بين * وقوله تعالى اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين مـن قبلهم وكانوا اشـد منهم قوة وما كان الله ليعجـزه مـن شيء فى السمـوات ولا فى الارض لما توعدهم سبحانـه بسنة الاولين وقفهم فى هـذه الآيـة على رؤيتهم لما رأوا من ذلك فى طريق الشام وغيره كديار ثمود ونحوها ويعجزه معناه يفوته ويفلته * وقوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها مـن دابـة الآيـة قوله من دابـة مبالغـة والمراد بنو ءادم لانهم المجازون وقيل المراد الانس والجن وقيـل المراد كل مادب مـن الحيوان واكثره انما هو لمنفعة ابن ءادم وبسببـه والضمير فى ظهرها عائد على الارض والاجل المسمى القيامـة *

وقوله تعالى فان الله كان بعباده بصيرا وعيد وفيه للمتقين وعد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله على ما انعم

انتهى الجزء الثالث من الجواهر الحسان * فى تفسير القرءان * ويليه الجزء الرابع منه واوله سورة يس

فهرست الجزء الثالث من كتاب الجواهر الحسان
فى تفسير القرءان

تفسير الثعالبي

الموسوم

بجواهر الحسان في تفسير القرآن

الجزء الرابع

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب. ٧١٢٠

الله

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما ﴾

تفسير سورة يس وهي مكية باجماع

الا ان فرقة قالت ان قوله تعالى ونكتب ما قدموا وءاثارهم نزلت فى بنى سلمة حين ارادوا ان ينتقلوا الى جوار مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وورد فى فضل يس ءاثار عديدة فعن معقل بن يسار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قلب القرءان يس لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له اقرءوها على موتاكم رواه ابو داود والنساءي وابن ماجه والحاكم فى المستدرك وهذا لفظ النساءي وهو عند الباقين مختصر انتهى من السلاح

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل يس والقرءان الحكيم انك لمن المرسلين قد تقدم الكلام فى الحروف المقطعة ويختص هذا الموضع باقوال منها ان ابن جبير قال يس اسم

من اسماء محمد عليه السلام وقال ابن عباس معناه يا انسان بالحبشية وقال ايضا هو بلغة طيء وقال قتادة يس قسم والصراط الطريق والمعنى انك على طريق هدى ومهيع رشاد واختلف المفسرون فى قوله تعالى ما انذر اباؤهم فقال عكرمة ما بمعنى الذى والتقدير الشيء الذى انذر اباؤهم من النار والعذاب ويحتمل ان تكون ما مصدرية على هذا القول ويكون الاباء هم الاقدمون على مر الدهر * وقوله فهم مع هذا التاويل بمعنى فانهم دخلت الفاء لقطع الجملة من الجملة وقال قتادة ما نافية فالآباء على هذاهم الاقربون منهم وهذه الآية كقوله تعالى وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وهذه النذارة المنفية هي نذارة المباشرة كما قدمنا وحق القول معناه وجب العذاب وسبق القضاء به وهذا فيمن لم يومن من قريش كمن قتل ببدر وغيرهم * وقوله تعالى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا الآية قال مكي قيل هي حقيقة فى الآخرة اذا دخلوا النار وقال ابن عباس وغيره الآية استعارة لحال الكفرة الذين ارادوا النبي صلى الله عليه وسلم بسوء فجعل الله هذه مثلا لهم فى كفه اياهم عنه ومنعهم من اذايته حين بيتوه وقالت فرقة الآية مستعارة المعانى من منع الله تعالى اياهم من الايمان وحوله بينهم وبينه وهذا ارجح الاقوال والغل ما احاط بالعنق على معنى التثقيف والتضييق والتعذيب * وقوله فهي يحتمل ان تعود على الاغلال اي هي عريضة تبلغ بحرفها الاذقان والذقن مجتمع اللحيين فتضطر المغلول الى رفع وجهه نحو السماء وذلك هو الاقماح وهو نحو الاقناع فى الهيئة قال قتادة المقمح الرافع رأسه ويحتمل وهو قول الطبري ان تعود هي على الايدى وذلك ان الغل انما يكون فى العنق مع اليدين وروي ان فى مصحف ابن مسعود وابي انا جعلنا فى أيمانهم وفى بعضها فى ايديهم وارى الناس علي بن ابى طالب الاقماح فجعل يديه تحت لحيته والصقها ورفع رأسه وقرأ الجمهور

سدا بضم السين فى الموضعين وقرأ حمزة والكسائي وغيرهما سدا بفتح السين فقيل هما بمعنى اي حائلا يسد طريقهم وقال عكرمة ما كان مما يفعله البشر فهو بالضم وما كان خلقة فهو بالفتح ومعنى الآية ان طريق الهدى سد دونهم * وقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر الآية انما ليست للحصر هنا بل هي على جهة تخصيص من ينفعه الانذار واتباع الذكر هو العمل بما فى كتاب الله والاقتداء به قال قتادة الذكر القرءان * وقوله بالغيب اي بالخلوات عند مغيب الانسان عن اعين البشر ثم اخبر تعالى باحيائه الموتى ردا على الكفرة ثم توعدهم بذكر كتب الآثار واحصاء كل شيء وكل ما يصنعه الانسان فيدخل فيما قدم ويدخل فى ءاثاره لكنه سبحانه ذكر الامر من الجهتين ولينبه على الآثار التى تبقى وتذكر بعد الانسان من خير وشر وقال جابر بن عبد الله وابو سعيد ان هذه الآية نزلت فى بنى سلمة على ما تقدم وقول النبي عليه السلام لهم دياركم تكتب ءاثاركم والامام المبين قال قتادة وابن زيد هو اللوح المحفوظ وقالت فرقة اراد صحف الاعمال * وقوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية الآية روي عن ابن عباس والزهري وعكرمة ان القرية هنا هي انطاكية واختلف فى هؤلاء المرسلين فقال قتادة وغيره كانوا من الحواريين الذين بعثهم عيسى حين رفع وصلب الذى القي عليه شبهه فتفرق الحواريون فى الآفاق فقص الله تعالى هنا قصة الذين نهضوا الى انطاكية وقالت فرقة بل هؤلاء انبياء من قبل الله عز وجل قال (ع) وهذا يرجحه قول الكفرة ما انتم الابشر مثلنا فانها محاورة انما تقال لمن ادعى الرسالة من الله تعالى والآخر محتمل وذكر المفسرون فى قصص الآية اشياء يطول ذكرها والصحة فيها غير متيقنة فاختصرته واللازم من الآية ان الله تعالى بعث اليها رسولين فدعيا اهل

القرية الى عبادة الله وتوحيده فكذبوهما فشدد الله امرهما بثالث وقامت الحجة على اهل القرية وءامن منهم الرجل الذى جاء يسعى وقتلوه فى ءاخر امره وكفروا واصابتهم صيحة من السماء فخمدوا وقرأ الجمهور فعززنا بشد الزاي على معنى قوينا وشددنا وبهذا فسره مجاهد وغيره وهذه الامة انكرت النبوءات بقولها وما انزل الرحمن من شيئ قال بعض المتأولين لما كذب اهل القرية المرسلين اسرع فيهم الجذام وقال مقاتل احتبس عنهم المطر فلذلك قالوا انا تطيرنا بكم اي تشاءمنا بكم والاظهران تطير هؤلاء انما كان بسبب ما دخل قريتهم من اختلاف كلمتهم وافتتان الناس * وقوله ائن ذكرتم جوابه محذوف اي تطيرتم قاله ابو حيان وغيره انتهى وقولهم عليهم السلام طائركم معكم معناه حظكم وما صارلكم من خير وشر معكم اي من افعالكم ومن تكسباتكم ليس هو من اجلنا وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر أإن ذكرتم بهمزتين الثانية مكسورة وقرأ نافع وغيره بتسهيل الثانية وردها ياء اين ذكرتم واخبر تعالى عن حال رجل جاء من اقصى المدينة يسعى سمع المرسلين وفهم عن الله تعالى فدعا عند ذلك قومه الى اتباعهم والايمان بهم اذهو الحق فروي عن ابن عباس وغيره ان اسم هذا الرجل حبيب وكان نجارا وكان فيما قال وهب بن منبه قد تجذم وقيل كان فى غار يعبد ربه فقال ياقوم اتبعوا المرسلين الآية وذكر الناس فى اسماء الرسل صادق وصدوق وشلوم وغير هذا والله اعلم بصحته واختلف المفسرون فى قوله فاسمعون فقال ابن عباس وغيره خاطب بها قومه اي على جهة المبالغة والتنبيه وقيل خاطب بها الرسل على جهة الاستشهاد بهم والاستحفاظ للامر عندهم قال (ع) وهنا محذوف تواترت به الاحاديث والروايات وهو انهم قتلوه فقيل له عند موته ادخل الجنة فلما أقر الله عينه بما رأى من الكرامة قال ياليت قومي يعلمون الآية

قيل اراد بذلك الاشفاق والنصح لهم اي لو علموا ذلك لآمنوا بالله تعالى وقيل اراد ان يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم به ويحزنهم ذلك وهذا موجود فى جبلة البشر اذا نال الشخص عزا وخيرا فى ارض غربة ود ان يعلم ذلك جيرانه واترابه الذين نشأ فيهم كما قيل

العز مطلوب وملتمس * واحبه ما نيل فى الوطن

قال (ع) والتاويل الاول اشبه بهذا العبد الصالح وفى ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم نصح قومه حيا وميتا وقال قتادة نصحهم على حالة الغضب والرضا وكذلك لاتجد المومن الا ناصحا للناس * وقوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند الآية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم فيها توعد لقريش وتحذير ان ينزل بهم من العذاب ما نزل بقوم حبيب النجار قال مجاهد لم ينزل الله عليهم من جند اراد انه لم يرسل اليهم رسولا ولا استعتبهم قال قتادة والله ما عاتب الله قومه بعد قتله حتى اهلكهم وقال ابن مسعود اراد لم يحتج فى تعذيبهم الى جند بل كانت صيحة واحدة لانهم كانوا ايسر واهون من ذلك واختلف فى قوله تعالى وما كنا منزلين فقالت فرقة ما نافية وقالت فرقة ما عطف على جند اي من جند ومن الذى كنا منزلين على الامم مثلهم قبل ذلك وخامدون اي ساكنون موتى * وقوله تعالى ياحسرة الحسرة التلهف وذلك ان طباع كل بشر توجب عند سماع حالهم وعذابهم على الكفر وتضييعهم امر الله ان يشفق ويتحسر على العباد وقال الثلعبي قال الضحاك انها حسرة الملائكة على العباد فى تكذيبهم الرسل وقال ابن عباس حلوا محل من يتحسر عليه انتهى وقرأ الاعرج وابو الزناد ومسلم بن جندب ياحسره بالوقف على الهاء وهو ابلغ فى معنى التحسر والتشفيق وهز النفس * وقوله تعالى ما ياتيهم من رسول الآية تمثيل لفعل قريش واياهم عنى بقوله الم يروا كم اهلكنا

وقرأ جمهور الناس لما جميع بتخفيف الميم وذلك على زيادة ما للتاكيد والمعنى لجميع وقرأ عاصم والحسن وابن جبير لما بشد الميم قالوا هي بمنزلة الا ومحضرون قال قتادة محشرون يوم القيامة * وقوله تعالى وءاية لهم الارض الميتة احييناها الآية وءاية معناه وعلامة على الحشر وبعث الاجساد والضمير فى لهم لكفار قريش والضمير فى ثمره قيل هو عائد على الماء الذى تضمنه ذكر العيون وقيل هو عائد على جميع ما تقدم مجملا كانه قال من ثمر ما ذكرنا وما فى قوله وما عملته ايديهم قال الطبري هي اسم معطوف على الثمر اي يقع الاكل من الثمر ومما عملته الايدى بالغرس والزراعة ونحوه وقالت فرقة هي مصدرية وقيل هي نافية والتقدير انهم ياكلون من ثمره وهو شيء لم تعمله ايديهم بل هي نعمة من الله تعالى عليهم والازواج الانواع من جميع الاشياء * وقوله ومما لا يعلمون نظير قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون * وقوله تعالى وءاية لهم الليل نسلخ منه النهار هذه الآيات جعلها الله عز وجل ادلة على قدرته ووجوب الالوهية له ونسلخ معناه نكشط ونقشر فهي استعارة (ت) قال الهروي قوله تعالى وءاية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نخرجه منه اخراجا لا يبقى من ضوء النهار معه شيء انتهى ومظلمون داخلون فى الظلام ومستقر الشمس على ما فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق ابى ذر بين يدي العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها وهو فى البخاري وفى حديث آخرانها تسجد فى عين حمئة ومنازل منصوب على الظرف وهي المنازل المعروفة عند العرب وهي ثمانية وعشرون منزلة يقطع القمر منها كل ليلة منزلة وعودته هي استهلاله رقيقا وحينئذ يشبه العرجون وهو الغصن من النخلة الذى فيه شماريخ التمر فانه ينحني ويصفر اذا قدم ويجيء اشبه شيء بالهلال قاله الحسن والوجود يشهد له والقديم معناه العتيق الذى قد مر عليه

زمن طويل وينبغى هنا مستعملة فيما لايمكن خلافه لانها لاقدرة لها على غير ذلك والفلك فيما روي عن ابن عباس متحرك مستدير كفلكة المغزل فيه جميع الكواكب ويسبحون معناه يجرون ويعومون ❊ وقوله تعالى وءاية لهم انا حملنا ذرياتهم فى الفلك الآية ذكر الذرية لضعفهم عن السفر فالنعمة فيهم امكن والضمير المتصل بالذريات هو ضمير الجنس كانه قال ذريات جنسهم اونوعهم هذا اصح ما يتجه فى هذا واما معنى الآية فقال ابن عباس وجماعة يريد بالذريات المحمولين اصحاب نوح فى السفينة ويريد بقوله من مثله السفن الموجودة فى جنس بنى ءادم الى يوم القيامة واياها اراد بقوله وان نشأ نغرقهم وقال مجاهد وغيره المراد بقوله انا حملنا ذرياتهم فى الفلك المشحون السفن الموجودة فى بنى ءادم الى يوم القيامة ويريد بقوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون الابل وسائر ما يركب فتكون المماثلة فى انه مركوب مبلغ الى الاقطار فقط ويعود قوله وان نشأ نغرقهم على السفن الموجودة فى الناس والصريخ هنا بمعنى المصرخ المغيث ❊ وقوله تعالى الارحمة منا قال الكساءي نصب رحمة على الاستثناء كانه قال الا ان نرحمهم ❊ وقوله الى حين يريد الى آجالهم المضروبة لهم ثم ابتدأ الاخبار عن عتو قريش بقوله واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم قال قتادة ومقاتل ما بين ايديهم هو عذاب الامم الذى قد سبقهم فى الزمن وهذا هو النظر الجيد وقال الحسن خوفوا بما مضى من ذنوبهم وبما ياتى منها قال (ع) وهذا نحو الاول فى المعنى ❊ وقوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله الآية الضمير فى قوله لهم لقريش وسبب الآية ان الكفار لما اسلم حواشيهم من الموالى وغيرهم والمستضعفين قطعوا عنهم نفقاتهم وصلاتهم وكان الامر بمكة اولا فيه بعض الاتصال فى وقت نزول ءايات الموادعة فندب اولائك المومنون قراباتهم من الكفار الى ان يصلوهم وينفقوا عليهم مما رزقهم

الله فقالوا عند ذلك انطعم من لويشاء الله اطعمه وقالت فرقة سبب الآية ان
قريشا شحت بسبب ازمة على المساكين جميعا مومن وغير مومن فندبهم النبي
صلى الله عليه وسلم الى النفقة على المساكين وقولهم يحتمل معنيين احدهما يخرج
على اختيار لجهال العرب فقدروي ان اعرابيا كان يرعى ابله فيجعل السمان فى
الخصب والمهازيل فى المكان الجدب فقيل له فى ذلك فقال اكرم ما اكرم
الله واهين ما اهان الله فيخرج قول قريش على هذا المعنى ومن امثالهم كن مع
الله على المدبر والتاويل الثانى ان يكون كلامهم بمعنى الاستهزاء بقول محمد عليه
السلام ان ثم الها هو الرزاق فكانهم قالوا لم لايرزقهم الهك الذى ترعم اي
نحن لا نطعم من لويشاء هذا الاله الذى زعمت لاطعمه * وقوله تعالى ان
انتم الا فى ضلال مبين يحتمل ان يكون من قول الكفرة للمومنين اي فى امركم
لنا بالنفقة وفى غير ذلك من دينكم ويحتمل ان يكون من قول الله تعالى
للكفرة وقولهم متى هذا الوعد اي متى يوم القيامة وقيل ارادوا متى هذا
العذاب الذى تتهددنا به وما ينظرون اي ينتظرون ومانافية وهذه الصيحة
هي صيحة القيامة وهي النفخة الاولى وفى حديث ابى هريرة ان بعدها نفخة
الصعق ثم نفخة الحشر وهي التى تدوم فمالها من فواق واصل يخصمون
يختصمون والمعنى وهم يتحاورون ويتراجعون الاقوال بينهم وفى مصحف ابي
ابن كعب يختصمون ولا الى اهلهم يرجعون لاعجال الامر بل تفيض انفسهم
حيث ما اخذتهم الصيحة * وقوله سبحانه ونفخ فى الصور فاذا هم من
الاجداث الى ربهم ينسلون هذه نفخة البعث والاجداث القبور وينسلون
اي يمشون مسرعين وفى قراءة ابن مسعود من اهبنا من مرقدنا وروي عن
ابي بن كعب وغيره ان جميع البشر ينامون نومة قبل الحشر قال (ع) وهذا
غير صحيح الاسناد وانما الوجه فى قولهم من مرقدنا انها استعارة كما تقول فى

قتيل هذا مرقده الى يوم القيامة * وقوله هذا ما وعد الرحمن جوز الزجاج ان يكون هذا اشارة الى المرقد ثم استانف ما وعد الرحمن ويضمر الخبر حق او نحوه وقال الجمهور ابتداء الكلام هذا ما وعد الرحمن واختلف فى هذه المقالة من قالها فقال ابن زيد هي من قول الكفرة وقال قتادة ومجاهد هي من قول المومنين للكفار وقال الفراء هي من قول الملائكة وقالت فرقة هي من قول الله تعالى على جهة التوبيخ وباقى الآية بين * وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل قال ابن عباس وغيره هو افتضاض الابكار وقال ابن عباس ايضا هو سماع الاوتار وقال مجاهد معناه نعيم قد شغلهم قال (ع) وهذا هو القول الصحيح وتعيين شيء دون شيء لا قياس له * وقوله سبحانه هم وازواجهم فى ظلال جاء فى صحيح البخاري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة ربه ورجل قلبه متعلق بالمسجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه انتهى وهذا الظل المذكور فى الحديث هو فى المحشر قال الشيخ ابن ابى جمرة رضي الله عنه وظلال الآخرة ما فيها مباح بل كلها قد تملكت بالاعمال التى عملها العاملون الذين هداهم الله تعالى فليس هنالك لصعلوك الاعمال ظل انتهى وهو كما قال فشمر عن ساق الجد ان اردت الفوز ايها الاخ والسلام والارائك السرر المفروشة قيل ومن شرطها ان تكون عليها حجلة والافليست باريكة وبذلك قيدها ابن عباس وغيره * وقوله ما يدعون بمنزلة ما يتمنون قال ابو عبيدة العرب تقول ادّع علي ماشئت بمعنى تمن علي * وقوله سلام قيل هي صفة اي مسلم لهم وخالص وقيل هو مبتدأ وقيل هو خبر

مبتدإ * وقوله تعالى وامتازوا اليوم فيه حذف تقديره ونقول للكفرة وامتازوا معناه انفصلوا وانحجزوا لان العالم فى الموقف انما هم مختلطون (ت) وهذا يحتاج الى سند صحيح وفى الكلام اجمال ويوم القيامة هو مواطن ثم خاطبهم تعالى لما تميزوا توبيخا وتوقيفا على عهده اليهم ومخالفتهم له وعبادة الشيطان هي طاعته والانقياد لاغوائه * وقوله هذا صراط مستقيم اشارة الى الشرائع اذبعث الله ءادم الى ذريته ثم لم تخل الارض من شريعة الى ختم الرسالة بسيدنا محمد خاتم النبيئين والجِبِل الامة العظيمة ثم اخبر سبحانه نبيه محمدا عليه السلام اخبارا تشاركه فيه امته بقوله اليوم نختم على افواههم وذلك ان الكفار يجحدون ويطلبون شهيدا عليهم من انفسهم حسبما ورد فى الحديث الصحيح فعند ذلك يختم الله تعالى على افواههم ويامر جوارحهم بالشهادة فتشهد * وقوله سبحانه ولو نشاء لطمسنا على اعينهم الضمير فى اعينهم لكفار قريش ومعنى الآية تبيين انهم فى قبضة القدرة وبمدرج العذاب قال الحسن وقتادة اراد الاعين حقيقة والمعنى لاعميناهم فلايرون كيف يمشون ويؤيد هذا مجانسة المسخ للعمى الحقيقي * وقوله فاستبقوا الصراط معناه على الفرض والتقدير كانه قال ولو شئنا لاعميناهم فاحسب او قدر انهم يستبقون الصراط وهو الطريق فانى لهم بالابصار وقد اعميناهم وعبارة الثعلبي وقال الحسن والسدي ولو نشاء لتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ انتهى وقال ابن عباس اراد اعين البصائر والمعنى لو شئنا لختمنا عليهم بالكفر فلم يهتد منهم احد ابدا وبين تعالى فى تنكيسه المعمرين وان ذلك مما لا يقدر عليه الا هو سبحانه وتنكيسه تحول خلقه من القوة الى الضعف ومن الفهم الى البله ونحو ذلك ثم اخبر تعالى عن حال نبيه محمد عليه السلام رادا على من قال من الكفرة انه شاعر وان القرءان شعر بقوله وما علمناه الشعر الآية *

وقوله تعالى لتنذر من كان حيا اي حي القلب والبصيرة ولم يكن ميتا لكفره وهذه استعارة قال الضحاك من كان حيا معناه عاقلا ويحق القول معناه يحتم العذاب ويجب الخلود * وقوله تعالى اولم يروا انا خلقنا الآية مخاطبة لقريش ايضا * وقوله ايدينا عبارة عن القدرة والله تعالى منزه عن الجارحة * وقوله تعالى فهم لها مالكون تنبيه على النعمة * وقوله وهم لهم جند محضرون اي يحضرون لهم فى الآخرة على معنى التوبيخ والنقمة وسمى الاصنام جندا اذ هم عدة للنقمة من الكفرة ثم انس الله نبيه عليه السلام بقوله فلا يحزنك قولهم وتوعد الكفرة بقوله انا نعلم ما يسرون وما يعلنون * وقوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة الآية والصحيح فى سبب نزول الآية هو ما رواه ابن وهب عن مالك وقاله ابن اسحاق وغيره ان ابي بن خلف جاء بعظم رميم ففته فى وجه النبي صلى الله عليه وسلم وحياله وقال من يحي هذا يامحمد ولابي هذا مع النبي صلى الله عليه وسلم مقامات ومقالات الى ان قتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد طعنه بحربة فى عنقه * وقوله ونسي خلقه يحتمل ان يكون نسيان الذهول ويحتمل ان يكون نسيان الترك والرميم البالى المتفتت وهو الرفات ثم دلهم سبحانه على الاعتبار بالنشأة الاولى ثم عقب تعالى بدليل ثالث فى ايجاد النار فى العود الاخضر المرتوى ماء وهذا هو زناد العرب والنار موجودة فى كل عود غير انها فى المتخلخل المفتوح المسام اوجد وكذلك هو المَرْخ والعَفار وجمع الضمير جمع من يعقل فى قوله مثلهم من حيث ان السموات والارض متضمنة من يعقل من الملائكة والثقلين هذا تاويل جماعة وقيل مثلهم عائد على الناس وباقى الآية بين

تفسير سورة والصافات وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل والصافات صفا الآية اقسم تعالى فى هذه الآية باشياء من مخلوقاته قال ابن مسعود وغيره الصافات هي الملائكة تصف فى السماء فى عبادة الله عز وجل وقالت فرقة المراد صفوف بنى ءادم فى القتال فى سبيل الله قال (ع) واللفظ يحتمل ان يعم هذه المذكورات كلها قال مجاهد والزاجرات هي الملائكة تزجر السحاب وغير ذلك من مخلوقات الله تعالى وقال قتادة الزاجرات هي ءايات القرءان والتاليات ذكرا معناه القارئات قال مجاهد اراد الملائكة التى تتلو ذكره وقال قتادة اراد بنى ءادم الذين يتلون كتبه المنزلة وتسبيحه وتكبيره ونحو ذلك والمقسم عليه قوله ان الهكم لواحد * وقوله مارد قال العراقي مارد سخط عليه وهكذا مريد انتهى وهذا لفظه والملأ الاعلى اهل السماء الدنيا فما فوقها وسمي الكل منهم اعلى بالاضافة الى ملإ الارض الذي هو اسفل والضمير فى يسمعون للشياطين وقرأ حمزة وعاصم فى رواية حفص لايسمعون بشد السين والميم بمعنى لا يتسمعون فينتفى على قراءة الجمهور سماعهم وان كانوا يستمعون وهو المعنى الصحيح ويعضده قوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون ويقذفون معناه يرجمون والدحور الاصفار والاهانة لان الدحر هو الدفع بعنف وقال البخاري ويقذفون يرمون ودحورا مطردين وقال ابن عباس مدحورا مطرودا انتهى والواصب الدائم قاله مجاهد وغيره وقال ابو صالح الواصب الموجع ومنه الوصب والمعنى هذه الحال هي

الغالبة على جميع الشياطين الا من شذ فخطف خبرا اونبأ فاتبعه شهاب فاحرقه والثاقب النافذ بضوءه وشعاعه المنير قاله قتادة وغيره * وقوله تعالى فاستفتهم اهم اشد خلقا امن خلقنا اي فلا يمكنهم ان يقولوا الاان خلق من سواهم من الامم والملائكة والجن والسموات والارض والمشارق والمغارب وغير ذلك هو اشد من هؤلاء المخاطبين وبان الضمير فى خلقنا يراد به ماتقدم ذكره قال مجاهد وقتادة وغيرهما ويؤيده مافى مصحف ابن مسعود ام من عددنا وكذلك قرأ الاعمش * وقوله تعالى انا خلقناهم من طين اي خلق اصلهم وهو ءادم عليه السلام واللازب اللازم يلزم ماجاوره ويلصق به وهو الصلصال بل عجبت يامحمد من اعراضهم عن الحق وقرأ حمزة والكسائي بل عجبت بضم التاء وذلك على ان يكون تعالى هو المتعجب ومعنى ذلك من الله تعالى انه صفة فعل ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم يعجب الله من الشاب ليست له صبوة فانما هي عبارة عما يظهره الله تعالى فى جانب المتعجب منه من التعظيم او التحقير حتى يصير الناس متعجبين منه قال الثعلبي قال الحسين ابن الفضل التعجب من الله انكار الشيء وتعظيمه وهو لغة العرب انتهى * وقوله ويسخرون اي وهم يسخرون من نبوتك * وقوله واذا رأوا آية يستسخرون يريد بالآية العلامة والدلالة وروي انها نزلت فى ركانة وهو رجل من المشركين من اهل مكة لقيه النبي صلى الله عليه وسلم فى جبل خال وهو يرعى غنما له وكان اقوى اهل زمانه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ياركانة ارأيت ان صرعتك اتومن بى قال نعم فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا ثم عرض عليه ءايات من دعاء شجرة واقبالها ونحو ذلك مما اختلفت فيه الفاظ الحديث فلما فرغ ذلك لم يومن وجاء الى مكة فقال يابنى هاشم ساحروا بصاحبكم اهل الارض فنزلت هذه الآية فيه وفى نظرائه ويستسخرون قال مجاهد وقتادة

معناه يسخرون ثم امر تعالى نبيه ان يجيب تقريرهم واستفهامهم عن البعث بنعم وان يزيدهم فى الجواب انهم مع البعث فى صَغار وذلة واستكانة والداخر الصاغر الذليل وقد تقدم بيانه غير ما مرة والزجرة الواحدة هي نفخة البعث قال العراقي الزجرة الصيحة بانتهار انتهى والدين الجزاء واجمع المفسرون على ان قوله تعالى هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون ليس هو من قول الكفرة وانما المعنى يقال لهم * وقوله وازواجهم معناه انواعهم وضرباؤهم قاله عمر وابن عباس وقتادة ومعهم ما كانوا يعبدون من دون الله من آدمي رضي بذلك ومن صنم ووثن توبيخا لهم واظهارا لسوء حالهم وقال الحسن ازواجهم نساؤهم المشركات وقاله ابن عباس ايضا * وقوله تعالى فاهدوهم معناه قدموهم واحملوهم على طريق الجحيم ثم يامر الله تعالى بوقوفهم على جهة التوبيخ لهم والسؤال قال جمهور المفسرين يسئلون عن اعمالهم ويوقفون على قبحها وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد الحديث قال (ع) ويحتمل عندى ان يكون المعنى على نحو ما فسره تعالى بقوله مالكم لا تناصرون اي انهم مسئولون عن امتناعهم عن التناصر وهذا على جهة التوبيخ وقرأ خالد لا تتناصرون (ت) قال عياض فى المدارك كان ابو اسحاق الجبنياني ظاهر الحزن كثير الدمعة يسرد الصيام قال ولده ابو الطاهر قال لى ابي ان انسانا بقي فى اية سنة لم يتجاوزها وهي قوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون فقلت له انت هو فسكت فعلمت انه هو وكان اذا دخل فى الصلاة لو سقط البيت الذى هو فيه ما التفت اقبالا على صلاته واشتغالا بمناجاة ربه وكان رحمه الله من اشد الناس تضييقا على نفسه ثم على اهله وكان ياكل البقل البري والجراد اذا وجده ويطحن قوته بيده شعيرا ثم يجعله بنخالته دقيقا فى قدر مع ما وجد من بقل بري وغيره حتى انه ربما رمى بشيء منه لكلب او هر فلا ياكله

وكان لباسه يجمعه من خرق المزابل ويرقعه وكان يتوطأ الرمل وفى الشتاء ياخذ قفاف المعاصر الملقاة على المزابل يجعلها تحته قال ولده ابو الطاهر وكنا اذا بقينا بلا شيء نقتاته كنت اسمعه فى الليل يقول

ما لى تلاد ولا استطرفت من نشب * وما أأمل غير الله من احد
ان القنوع بحمد الله يمنعنى * من التعرض للمنانة النكد

انتهى * وقوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون هذه الجماعة التى يقبل بعضها على بعض هي جن وانس قاله قتادة وتساؤلهم هو على معنى التقريع واللوم والتسخط والقائلون انكم كنتم تاتوننا اما ان يكون الانس يقولونها للشياطين وهذا قول مجاهد وابن زيد واما ان يكون ضعفة الانس يقولونها للكبراء والقادة واضطرب المتأولون فى معنى قولهم عن اليمين فعبر ابن زيد وغيره عنه بطريق الجنة ونحو هذا من العبارات التى هي تفسير بالمعنى ولا يختص بنفس اللفظة والذى يخصها معان منها ان يريد باليمين القوة اي تحملوننا على طريق الضلالة بقوة ومنها ان يريد باليمين اليمن اي تاتوننا من جهة النصائح والعمل الذى يتيمن به ومن المعانى التى تحتملها الآية ان يريدوا انكم كنتم تجيئوننا من جهة الشهوات واكثر ما يتمكن هذا التاويل مع اغواء الشياطين وقيل المعنى تحلفون لنا فاليمين على هذا القسم وقد ذهب بعض العلماء فى ذكر ابليس جهات بنىءادم فى قوله من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم الى ما ذكرناه من جهة الشهوات ثم اخبر تعالى عن قول الجن المجيبين لهؤلاء بقولهم بل لم تكونوا مومنين اي ليس الامر كما ذكرتم بل كان لكم اكتساب الكفر وما كان لنا عليكم حجة وبنحو هذا فسر قتادة وغيره انه قول الجن الى غاوين ثم اخبر تعالى بانهم جميعا فى العذاب مشتركون وان هذا فعله باهل الجرم والكفر * وقوله سبحانه انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله

الآيـة (ت) جاء فى فضل لااله الاالله احاديث كثيرة فمنها ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال موسى يارب علمنى شيأ اذكرك بـه وادعوك به قال قل ياموسى لااله الاالله قال يارب كل عبادك يقول هذا قال قل لااله الاالله قال انما اريد شيأ تخصنى به قال ياموسى لو ان السموات السبع والارضين السبع فى كفة ولااله الاالله فى كفـة مالت بهن لا اله الاالله رواه النساءي وابن حبان فى صحيحه واللفظ لابن حبان وعنه صلى الله عليه وسلم قال وقول لااله الاالله لاتترك ذنبا ولا يشبهها عمل رواه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح والطائفـة التى قالت ائنا لتاركوا ءالهتنا لشاعر مجنون هي قريش واشارتهم بالشاعر الى النبي صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم بقوله بل جاء بالحق وصدق المرسلين الذين تقدموه ثم اخبر تعالى مخاطبا لهم بقوله انكم لذائقوا العذاب الاليم الآيـة * وقوله تعالى الاعباد الله المخلصين استثناء منقطع وهؤلاء المومنون * وقوله معلوم معناه عندهم * وقوله بيضاء يحتمل ان يعود على الكاس ويحتمل ان يعود على الخمر وهو اظهر قال الحسن خمر الجنـة اشد بياضا من اللبن وفى قراءة ابن مسعود صفراء فهذا وصف الخمر وحدها والغول اسم عام فى الاذى وقال ابن عباس وغيره الغول وجع فى البطن وقال قتادة هو صداع فى الرأس وينزفون من قولك نزف الرجل اذا سكر وباذهاب العقل فسره ابن عباس وقرأ حمزة والكساءي ينزفون بكسر الزاي من انزف وله معنيان احدهما سكر والثانى نفد شرابـه وهذا كله منفي عن اهل الجنة وقاصرات الطرف قال ابن عباس وغيره معناه على ازواجهن اي لاينظرن الى غيرهم وعين جمع عيناء وهي الكبيرة العينين فى جمال * وقوله تعالى كانهن بيض مكنون قال ابن جبير والسدي شبـه الوانهن بلون قشر البيضـة

الداخلي وهو المكنون اي المصون ورجحه الطبري وقال الجمهور شبه الوانهن بلون قشر البيضة من النعام وهو بياض قد خالطته صفرة حسنة ومكنون اي بالريش وقال ابن عباس فيما حكى الطبري البيض المكنون اراد به الجوهر المصون قال (ع) وهذا يرده لفظ الآية فلا يصح عن ابن عباس * وقوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم الآية هذا التساؤل الذى بين اهل الجنة هو تساؤل راحة وتنعم يتذاكرون امورهم فى الجنة وامر الدنيا وحال الطاعة والايمان فيها ثم اخبر تعالى عن قول قائل منهم فى قصته وهو مثال لكل من له قرين سوء فيعطى هذا المثال التحفظ من قرناء السوء قال الثعلبي قوله انى كان لى قرين قال مجاهد كان شيطانا انتهى وقال ابن عباس وغيره كان هذان من البشر مومن وكافر وقال فرات بن ثعلبة البَهراني فى قصص هذين انهما كانا شريكين بثمانية الاف دينار فكان احدهما مشغولا بعبادة الله وكان الآخر كافرا مقبلا على ماله فحل الشركة مع المومن وبقي وحده لتقصير المومن فى التجارة وجعل الكافر كلما اشترى شيأ من دار او جارية او بستان ونحوه عرضه على المومن وفخر عليه فيمضى المومن عند ذلك ويتصدق بنحو ذلك ليشتري به من الله تعالى فى الجنة فكان من امرهما فى الآخرة ما تضمنته هذه الآية وحكى السهيلي ان هذين الرجلين هما المذكوران فى قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب الآية انتهى ومدينون معناه مجازون محاسبون قاله ابن عباس وغيره * وقوله تعالى قال هل انتم مطلعون الآية فى الكلام حذف تقديره فقال لهذا الرجل حاضروه من الملائكة ان قرينك هذا فى جهنم يعذب فقال عند ذلك هل انتم مطلعون يخاطب بانتم الملائكة او رفقاءه فى الجنة اوخدمته وكل هذا حكى المهدوي وقرأ ابو عمرو في رواية حسين مطلعون بسكون الطاء وفتح

النون وقرئ شاذا مطلعون بسكون الطاء وكسر النون قال ابن عباس وغيره سواء الجحيم وسطه فقال له المومن عند ذلك تالله ان كدت لتردينى اي لتهلكنى باغوائك والردى الهلاك وقول المومن افما نحن بميتين الى قوله بمعذبين يحتمل ان تكون مخاطبة لرفقائه فى الجنة لما رأى مازل بقرينه ونظر الى حاله فى الجنة وحال رفقائه قدر النعمة قدرها فقال لهم على جهة التوقيف على النعمة افما نحن بميتين ولا معذبين ويجيء على هذا التاويل قوله ان هذا لهو الفوز العظيم الى قوله العاملون متصلا بكلامه خطابا لرفقائه ويحتمل قوله افما نحن بميتين ان تكون مخاطبة لقرينه على جهة التوبيخ كانه يقول اين الذى كنت تقول من انا نموت وليس بعد الموت عقاب ولا عذاب ويكون قوله تعالى ان هذا لهو الفوز العظيم الى قوله العاملون يحتمل ان يكون من خطاب المومن لقرينه واليه ذهب قتادة ويحتمل ان يكون من خطاب الله تعالى لمحمد عليه السلام وامته ويقوى هذا قوله لمثل هذا فليعمل العاملون وهو حض على العمل والآخرة ليست بدار عمل * وقوله تعالى اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم المراد بالآية تقرير قريش والكفار قال (ع) وفى بعض البلاد الجدبة المجاورة للصحارى شجرة مرة مسمومة لها لبن ان مس جسم احد تورم ومات منه فى اغلب الامر تسمى شجرة الزقوم والتزقم فى كلام العرب البلع على شدة وجهد * وقوله تعالى انا جعلناها فتنة للظالمين قال قتادة ومجاهد والسدي يريد ابا جهل ونظراءه وقد تقدم بيان ذلك * وقوله تعالى كانه رءوس الشياطين اختلف فى معناه فقالت فرقة شبه طلعها بثمر شجرة معروفة يقال لها رءوس الشياطين وهي بناحية اليمن يقال لها الأَسْتَن وقالت فرقة شبه برءوس صنف من الحيات يقال لها الشياطين وهي ذوات اعراف وقالت فرقة شبه بما استقر فى النفوس من كراهة رءوس الشياطين وقبحها وان كانت لاترى

لان الناس اذا وصفوا شيأ بغاية القبح قالوا كانه شيطان ونحو هذا قول امرئ القيس

ايقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كانياب اغوال

فانما شبه بما استقر فى النفوس من هيئتها والشوب المزاج والخلط قاله ابن عباس وقتادة والحميم السخن جدا من الماء ونحوه فيريد به هاهنا شرابهم الذى هو طينة الخبال صديدهم وما ينماع منهم هذا قول جماعة من المفسرين * وقوله تعالى ثم ان مرجعهم لالى الجحيم كقوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن * وقوله سبحانه انهم الفوا آباءهم الآية تمثيل لقريش ويهرعون معناه يسرعون قاله قتادة وغيره وهذا تكسبهم للكفر وحرصهم عليه * وقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين يقتضى الاخبار بانه عذبهم ولذلك حسن الاستثناء فى قوله الاعباد الله المخلصين ونداء نوح تضمن اشياء كطلب النصرة والدعاء على قومه وغير ذلك قال ابو حيان وقوله فلنعم المجيبون جواب قسم كقوله * يمينا لنعم السيدان وجدتما * والمخصوص بالمدح محذوف اي فلنعم المجيبون نحن انتهى * وقوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين قال ابن عباس وقتادة اهل الارض كلهم من ذرية نوح وقالت فرقة ان الله تعالى ابقى ذرية نوح ومد نسله وليس الامر بان اهل الدنيا انحصروا الى نسله بل فى الامم من لا يرجع اليه والاول اشهر عن علماء الامة وقالوا نوح هو آدم الاصغر قال السهيلي ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فى قوله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين انهم سام وحام ويافث انتهى * وقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين معناه ثناء حسنا جميلا باقيا آخر الدهر قاله ابن عباس وغيره وسلام رفع بالابتداء مستانف سلم الله به عليه ليقتدي بذلك البشر (ت) قال ابو عمر فى التمهيد قال سعيد يعني ابن

عبد الرحمن الجمحي بلغني انه من قال حين يمسى سلام على نوح فى العالمين لم تلدغه عقرب ذكر هذا عند قول النبي صلى الله عليه وسلم للاسلمي الذى لدغته عقرب اما لو انك قلت حين امسيت اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك ان شاء الله قال ابو عمر وروى ابن وهب هذا الحديث عن مالك يعني حديث اعوذ بكلمات الله التامات باسناده مثل ما فى الموطإ الا انه قال فى ءاخره لم يضرك شيء انتهى * وقوله تعالى ثم اغرقنا الآخرين قال جماعة من العلماء ان الغرق عم جميع الناس واسندوا فى ذلك احاديث قالوا ولم يكن الناس حينئذ بهذه الكثرة لان عهد ءادم كان قريبا وكانت دعوة نوح ونبوته قد بلغت جميعهم لطول المدة واللبث فيهم فتمادوا على كفرهم ولم يقبلوا ما دعاهم اليه من عبادة الرحمن فلذلك اغرق الله جميعهم * وقوله تعالى وان من شيعته قال ابن عباس وغيره الضمير عائد على نوح والمعنى فى الدين والتوحيد وقال الطبري وغيره عن الفراء الضمير عائد على محمد والاشارة اليه * وقوله ائفكا استفهام بمعنى التقرير اي اكذبا ومحالا ءالهة دون الله تريدون * وقوله فما ظنكم توبيخ وتحذير وتوعد * وقوله تعالى فنظر نظرة فى النجوم روي ان قومه كان لهم عيد يخرجون اليه فدعوا ابراهيم عليه السلام الى الخروج معهم فنظر حينئذ واعتذر بالسقم واراد البقاء ليخالفهم الى الاصنام وروي ان علم النجوم كان عندهم منظورا فيه مستعملا فاوهمهم هو من تلك الجهة قالت فرقة وقوله انى سقيم من المعاريض الجائزة * وقوله تعالى فراغ الى ءالهتهم راغ معناه مال * وقوله الا تاكلون هو على جهة الاستهزاء بعبدة تلك الاصنام ثم مال عند ذلك الى ضرب تلك الاصنام بفاس حتى جعلها جذاذا واختلف فى معنى قوله باليمين فقال ابن عباس اراد يمنى يديه وقيل اراد بقوته لانه كان يجمع يديه معا بالفاس وقيل اراد باليمين القسم فى قوله وتالله لاكيدن اصنامكم

والضمير فى اقبلوا لكفار قومه ويزفون معناه يسرعون واختلف المتأولون فى قوله وما تعملون فمذهب جماعة من المفسرين ان ما مصدرية والمعنى ان الله خلقكم واعمالكم وهذه الآية عندهم قاعدة فى خلق الله تعالى افعال العباد وهو مذهب اهل السنة وقالت فرقة ما بمعنى الذى والبنيان قيل كان فى موضع ايقاد النار وقيل بل كان للمنجنيق الذى رمي عنه والله اعلم * وقوله انى ذاهب الى ربى الآية قالت فرقة كان قوله هذا بعد خروجه من النار وانه اشار بذهابه الى هجرته من ارض بابل حيث كانت مملكة نمرود فخرج الى الشام وقالت فرقة قال هذه المقالة قبل ان يطرح فى النار وانما اراد لقاء الله لانه ظن ان النار سيموت فيها وقال سيهدين اي الى الجنة نحا الى هذا المعنى قتادة قال (ع) وللعارفين بهذا الذهاب تمسك واحتجاج فى الصفاء وهو محمل حسن فى انى ذاهب وحده والتاويل الاول اظهر فى نمط الآية بما ياتى بعد لان الهداية معه تترتب والدعاء فى الولد كذلك ولا يصح مع ذهاب الموت وباقى الآية تقدم قصصها وان الراجح ان الذبيح هو اسماعيل وذكر الطبري ان ابن عباس قال الذبيح اسماعيل وتزعم اليهود انه اسحاق وكذبت اليهود وذكر ايضا ان عمر بن عبد العزيز سأل عن ذلك رجلا يهوديا كان اسلم وحسن اسلامه فقال الذبيح هو اسماعيل وان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان تكون هذه الآيات والفضل والله فى ابيكم والسعي فى هذه الآية العمل والعبادة والمعونة قاله ابن عباس وغيره وقال قتادة السعي على القدم يريد سعيا متمكنا وهذا فى المعنى نحو الاول * وقوله انى ارى فى المنام الآية يحتمل ان يكون رأى ذلك بعينه ورؤيا الانبياء وحي وعين له وقت الامتثال ويحتمل انه امر فى نومه بذبحه فعبر عن ذلك بقوله انى ارى اي ارى ما يوجب ان اذبحك قال ابن العربي فى احكامه

واعلم ان رؤيا الانبياء وحـي فما القي اليهم ونفث به الملك فى روعهم وضرب المثـل له عليهم فهو حـق ولذلك قالت عائشـة وما كنت اظن انه ينزل في قرءان يتلى ولكنى رجوت ان يرى رسـول الله صلى الله عليـه وسلم رؤيا يـبرئنى الله بها وقد بينا حقيقة الرؤيا وان البارى تعالي يضربها مثلا للناس فمنها اسماء وكـنى فمـنها رؤيا تخـرج بصفتها ومنها رؤيا تخـرج بتاويل وهـو كـنيتها ولما استسلم ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام لقضاء الله اعطي ابراهيم ذبيحا فداء وقيل له هذا فـداء ولدك فامتثل فيه ما رأيت فانه حقيقـة ما خطبناك فيه وهو كناية لاسم وجعله مصدقا للرؤيا بمبادرة الامتثال انتهى * وقوله تعالى فلما اسلما اي اسلما انفسهما واستسلما لله عـز وجل وقـرأ ابن عبـاس وجماعة سلما والمعنى فوضا اليه فى قضائه وقدره سبحانه فاسلم ابراهيم ابنـه واسلم الابن نفسه قال بعض البصريين جواب لما محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين اجزل اجرهما ونحو هذامما يقتضيه المعنى وتله معناه وضعه بقوة ومنه الحديث فى القدح فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده اي وضعه بقوة وللجبين معناه لتلك الجهة وعليها كما يقولون فى المثل * وخرصريعا لليدين وللفم * وكما تقول سقط لشقه الايسر والجبينان ما اكتنف الجبهة من هاهنا ومن هاهنا وان من قوله ان يا ابراهيم مفسرة لاموضع لها من الاعـراب وصدقت الرؤيا يحتمل ان يريد بقلبك اوبعملك والرؤيا اسم لما يرى من قبل الله تعالى والمنام والحلم اسم لما يرى من قبل الشيطان ومنه الحديث الصحيـح الرؤيا مـن الله والحلم من الشيطان والبلاء الاختبار والذبح العظيم فى قول الجمهور كبش ابيض اعين وجده وراءه مربوطا بسمرة واهل السنـة على ان هـذه القصـة نسخ فيها العزم على الفعل خلافا للمعتزلة قال احمد بن نصر الداودي وان نسخ الله ايـة قبل العمل بها فانما ينسخهـا بعد اعتقاد قبولها وهـو عمل انتهى

من تفسيره عند قوله تعالى ما ننسخ من آية قال (ع) ولا خلاف ان ابراهيم امر الشفرة على حلق ابنه فلم تقطع والجمهور ان امر الذبح كان بمنى وقال الشعبي رأيت قرني كبش ابراهيم معلقتين فى الكعبة وروى عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا فاطمة قومى لاضحيتك فاشهديها فانه يغفر لك عند اول قطرة من دمها كل ذنب عملتيه وقولي ان صلاتى ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين قال عمران قلت يارسول الله هذا لك ولاهل بيتك خاصة ام للمسلمين عامة قال لا بل للمسلمين عامة رواه الحاكم فى المستدرك انتهى من السلاح * وقوله تعالى وظالم لنفسه توعد لمن كفر من اليهود بمحمد عليه السلام والكتاب المستبين هو التوراة قال قتادة وابن مسعود الياس هو ادريس عليه السلام وقالت فرقة هو من ولد هارون وقرأ نافع وابن عامر على ءال ياسين وقرأ الباقون على الياسين بالف مكسورة ولام ساكنة فوجهت الاولى على انها بمعنى اهل وياسين اسم لالياس وقيل هو اسم لمحمد عليه السلام ووجهت الثانية على انها جمع الياسي وقرأ ابن مسعود والاعمش وان ادريس لمن المرسلين وسلام على ادريسين قال السهيلي قال ابن جني العرب تتلاعب بالاسماء الاعجمية تلاعبا فياسين والياس والياسين شيء واحد انتهى (ت) وحكى الثعلبي هنا حكاية عن عبد العزيز بن ابي رواد عن رجل لقي الياس فى ايام مروان بن الحكم واخبره بعدد الابدال وعن الخضر فى حكاية طويلة لاينبغى انكار مثلها فاولياء الله يكاشفون بعجائب فلا يحرم الانسان التصديق بها جعلنا الله من زمرة اوليائه انتهى * وقوله اتدعون بعلا معناه اتعبدون قال الحسن والضحاك وابن زيد بعل اسم صنم كان لهم ويقال له بعلبك وذكر ابن اسحاق عن فرقة ان بعلا اسم امرأة كانت اتتهم بضلالة وقرأ حمزة والكساءي وعاصم الله ربكم

ورب ءابائكم كل ذلك بالنصب بدلا مـن قوله احسن الخالقين وقرأ الباقون كل ذلك بالرفع على القطع والاستيناف والضمير فى كـذبوه عائـد على قـوم الياس ومحضرون معناه مجموعون لعذاب الله * وقـوله تـعالى وانكم لتمـرون عليهم مخاطبة لقريش ثم وبخهم بـقوله افلا تـعقلون * وقوله تـعالى وان يونس الآيـة هو يونس بن متى صلى الله عليه وسلم وهو من بنى اسرائيل * وقـوله تعالى اذ ابق الآية وذلك انه لما اخبر قومه بوقت مجيء العذاب وغاب عنهم ثم ان قـومـه لما رأوا مخايـل العـذاب انابوا الى الله فـقبل توبتهم فلما مضى وقت العذاب ولم يـصبهم قال يـونس لاارجع اليهم بوجه كـذاب وروي انـه كان فى سيرتهم ان يقتلوا الكذاب فابق الى الفلك اي اراد الهـروب ودخـل فى البحر وعبر عن هروبه بالاباق من حيث انه فر عن غير اذن مـولاه فـروي عن ابن مسعود انه لما حصل فى السفينة وابعدت فى البحر ركدت ولم تجر وغيرها من السفن يجرى يـمينا وشمالا فقال اهلها ان فينا لصاحب ذنب وبـه يحبسنا الله تـعالى فـقالوا لنقترع فاخذوا لكل واحد سهما واقترعوا فوقعت القـرعـة على يونـس ثلاث مرات فـطرح حنيـئذ نـفسه والتقمـه الحـوت وروي ان الله تـعالى اوحى الى الحوت انى لم اجعل يونـس لك رزقا وانما جعلت بطنك له حرزا وسجنا فهذا معنى فساهم والمدحض المغـلوب فى محاجـة او مساهمـة وعبارة ابن العربي فى الاحكام واوحى الله تـعالى الى الحوت انا لم نجعـل يونس لك رزقا وانما جعلنا بطنك له مسجدا الحديث انتهى ولفظة مسجـد احسـن من السجن فرحم الله عبدا لزم الادب لاسيما مع انبيائـه واصفيائـه والمـليم الذى اتى ما يـلام عليه وبذلك فسر مجاهد وابن زيـد * وقوله سحبانه فلـولا انه كان من المسبحين قيل المراد القائلين سبحان الله فى بـطـن الحوت قاله ابن جريج وقالت فرقة بـل التسبيح هنا الصلاة قال ابن عباس وغيره صلاتـه فى

وقت الرخاء نفعته فى وقت الشدة وقال هذا جماعة من العلماء وقال الضحاك بن قيس على منبره اذكروا الله عباد الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة ان يونس كان عبدا لله ذاكرا له فلما اصابته الشدة نفعه ذلك قال الله عز وجل فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وان فرعون كان طاغيا باغيا فلما ادركه الغرق قال ءامنت فلم ينفعه ذلك فاذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة وقال ابن جبير الاشارة بقوله من المسبحين الى قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين * وقوله سبحانه فنبذناه بالعراء الآية العراء الارض الفيحاء التى لاشجر فيها ولا معلم قال ابن عباس وغيره فى قوله وهو سقيم انه كالطفل المنفوس بضعة لحم وقال بعضهم كاللحم النيء الا انه لم ينقص من خلقه شيء فانعشه الله فى ظل اليقطينة بلبن أُرْوِية كانت تغاديه وتراوحه وقيل بل كان يتغذى من اليقطينة ويجد منها الوان الطعام وانواع شهواته قال ابن عباس وابو هريرة وعمرو بن ميمون اليقطين القرع خاصة وقيل كل ما لا يقوم على ساق كالبقول والقرع والبطيخ ونحوه مما يموت من عامه ومشهور اللغة ان اليقطين هو القرع فنبت لحم يونس عليه السلام وصح وحسن لونه لان ورق القرع انفع شيء لمن تسلخ جلده وهو يجمع خصالا حميدة برد الظل ولين الملمس وان الذباب لا يقربها حكى النقاش ان ماء ورق القرع اذا رش به مكان لم يقربه ذباب وروي انه كان يوما نائما فايبس الله تلك اليقطينة وقيل بعث عليها الارضة فقطعت ورقها فانتبه يونس لحر الشمس فعز عليه شأنها وجزع له فاوحى الله اليه يا يونس جزعت ليبس اليقطينة ولم تجزع لا هلاك مائة الف او يزيدون تابوا فتبت عليهم * وقوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال الجمهور ان هذه الرسالة هي رسالته الاولى ذكرها الله فى ءاخر القصص وقال قتادة وغيره هذه رسالة اخرى

بعد ان نبذ بالعراء وهي الى اهل نينوى من ناحية الموصل وقرأ الجمهور او يزيدون فقال ابن عباس او بمعنى بل وروي عنه انه قرأ بل يزيدون وقالت فرقة او هنا بمعنى الواو وقرأ جعفر بن محمد ويزيدون وقال المبرد وكثير من البصريين قوله او يزيدون المعنى على نظر البشر وحزرهم اي من رءاهم قال مائة الف او يزيدون وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم كانوا مائة وعشرين الفا (ت) وعبارة احمد بن نصر الداودي وعن ابي بن كعب قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الزيادتين الحسنى وزيادة وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال يزيدون عشرين الفا واحسبه قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله عز وجل انتهى وفى قوله فئامنوا فمتعناهم الى حين مثال لقريش ان آمنوا ومن هنا حسن انتقال القول والمحاورة اليهم بقوله فاستفتهم فانما يعود على ضميرهم على ما فى المعنى من ذكرهم والاستفتاء السؤال وهو هنا بمعنى التقريع والتوبيخ فى جعلهم البنات لله تعالى الله عن قولهم ثم اخبر الله تعالى عن فرقة منهم بلغ بها الافك والكذب الى ان قالت ولد الله الملائكة لانه نكح فى سروات الجن تعالى الله عن قولهم وهذه فرقة من بنى مدلج فيما روي وقرأ الجمهور اصطفى البنات بهمزة الاستفهام على جهة التقريع والتوبيخ * وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا الجنة هنا قيل هم الملائكة لانها مستجنة اي مستترة وقيل الجنة هم الشياطين والضمير فى جعلوا لفرقة من كفار قريش والعرب ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي ستحضر امر الله وثوابه وعقابه ثم نزه تعالى نفسه عما يصفه الكفرة ومن هذا استثنى عباده المخلصين لانهم يصفونه بصفاته العلى وقالت فرقة استثناهم من قوله لمحضرون وعبارة الثعلبي ولقد علمت الجنة اي الملائكة ان قائلى هذه المقالة من الكفرة لمحضرون فى النار وقيل للحساب والاول اولى لان الاحضارمتى

جاء فى هذه الصورة عني به العذاب الاعباد الله المخلصين فانهم ناجون مــن النار انتهى وفى البخاري لمحضرون اي سيحضرون للحساب انتهى * وقوله تعالى فانكم وما تعبدون بمعنى قل لهم يامحمد انكم واصنامكم ما انتم بمضلين احدا بسببها وعليها الا من قد سبق عليه القضاء فانه يصلى الجحيم فى الآخرة وليس لكم اضلال من هدى الله تعالى وقالت فرقــة عليه بمعنى بــه والفاتن المضل فى هذا الموضع وكذلك فسره ابن عباس وغيره وحذفت الياء من صال للاضافة ثم حكى سبحانه قول الملائكــة وما منا الاله مقام معلوم وهذا يـؤيـد ان الجنــة اراد بها الملائكــة وتقدير الكلام وما منا ملك وروت عائشــة عـن النبي صلى الله عليه وسلم ان السماء ما فيها موضع قــدم الاوفيــه ملك ساجـد او واقف يصلى وعن ابن مسعود وغيره نحوه والصافون معناه الواقفون صفوفا والمسبحون يحتمل ان يريد به الصلاة ويحتمل ان يريد قول سبحان الله قال الزهراوي قيل ان المسلمين انما اصطفوا فى الصلاة مذ نزلت هــذه الآية ولا يصصف احد من اهــل الملل غير المسلمين ثم ذكر تعالى مقالة بعض الكفــار قال قتــادة وغيره فانهم قبل نبوة نبينا محمد صلى الله عليــه وسلم قالوا لو كان لنا كتاب او جاءنا رسول لكنا عباد الله المخلصين فلما جاءهم محمد كفروا به فسوف يعلمون وهذا وعيد محض ثم انس تعالى نبيه واولياءه بان القضاء قد سبق والكلمة قد حقت بان رسله سبحانه هم المنصورون على من ناواهم وجند الله هم الغزاة * وقوله تعالى فتول عنهم امر لنبيه بالموادعــة ووعــد جميل وحتى حين قيل هو يوم بدر وقيل يوم القيامة * وقوله تعالى وابصرهم فسوف يبصرون وعــد للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم ثم وبخهم على استعجال العذاب فاذا نزل اي العذاب بساحتهم فساء صباح المنذرين والساحــة الفناء وسوء الصباح ايضا مستعمل فى ورود الغارات (ت) ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لما اشرف على خيبر

الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين انتهى وقرأ ابن مسعود فبيس صباح والعزة فى قوله رب العزة هي العزة المخلوقة الكائنة للانبياء والمومنين وكذلك قال الفقهاء من اجل انها مربوبة قال محمد بن سحنون وغيره من حلف بعزة الله فان كان اراد صفته الذاتية فهي يمين وان كان اراد عزته التى خلق بين عباده وهي التى فى قوله رب العزة فليست بيمين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فانما انا احدهم صلى الله عليه وعلى ءاله وعلى جميع النبيئين وسلم

تفسير سورة ص وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قرأ ابي بن كعب والحسن وابن ابي اسحاق صاد بكسر الدال والمعنى ماثل القرءان بعملك وقاربه بطاعتك وكذا فسره الحسن اي انظر اين عملك منه وقال الجمهور انه حرف معجم يدخله ما يدخل اوائل السور من الاقوال ويختص هذا بان قال بعض الناس معناه صدق محمد وقال الضحاك معناه صدق الله وقال محمد بن كعب القرظي هو مفتاح اسماء الله صمد صادق ونحوه * وقوله والقرءان ذى الذكر قسم قال ابن عباس وغيره معناه ذى الشرف الباقى المخلد وقال قتادة ذى التذكرة للناس والهداية لهم وقالت فرقة ذى الذكر للامم والقصص والغيوب (ت) ولا مانع من ان يراد الجميع قال (ع) واما جواب القسم فاختلف فيه فقالت فرقة الجواب فى قوله ص اذ هو بمعنى صدق الله او صدق محمد وقال الكوفيون والزجاج الجواب فى قوله ان

ذلك لحق تخاصم اهل النار وقال بعض البصريين ومنهم الاخفش الجواب فى قوله ان كل الا كـذب الرسل قال (ع) وهـذان القولان بعيدان وقال قتادة والطبري الجواب مقدر قبل بل وهذا هو الصحيحَ تقديره والقرءان ما الامـر كما يزعمون ونحو هـذا مـن التقدير فتـدبره وقال ابو حيان الجواب انك لمن المرسلين وهو ما اثبت جوابا للقرءان حين اقسم بـه انتهى وهو حسـن قال ابو حيان وقوله فى عزة هي قراءة الجمهور وعن الكساءي بالغين المعجمة والراءاي فى غفلة انتهى والعزة هنا المعازة والمغالبة والشقاق ونحوه اي هم فى شق والحق فى شق وكم للتكثير وهي خبر فيه مثال ووعيد وهي فى موضع نصب باهلكنا * وقوله فنـادوا معناه مستغيثين والمعنى انهم فعلوا ذلك بعـد المعاينـة فلم ينفعهم ذلك ولم يكن فى وقت نفع ولات بمعنى ليس واسمها مقـدر عنـد سيبـويـه تقديره ولات الحين حين مناص والمناص المفرناص ينوص اذا فروفات قال ابن عبـاس المعنى ليس بحين نزو ولا فـرار ضبط القوم والضمير فى عجبـوا لكفـار قريش * قوله تعالى وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على ءالهتكم الآيـة روي فى قصص هذه الآية ان اشراف قريش اجتمعوا عنـد مرض ابى طالب وقالوا ان مـن القبيح علينـا ان يموت ابو طالب ونوذى محمدا بعـده فتـقول العرب تركوه مدة عمه فلما مات ءاذوه ولكن لنذهب الى ابى طالب فينصفنـا منـه ويربط بيننـا وبينـه ربطا فنهضوا اليه فقالوا ياابا طالب ان محمدا يسب ءالهتنا ويسفـه ءاراءنا ونحن لا نقاره على ذلك ولكن افصل بيننا وبينـه فى حياتك بان يقيم فى منزله يعبد ربه الذى يزعم ويدع ءالهتنا وسبها ولا يعرض لاحد منا بشيء مـن هذا فبعث ابو طالب الى النبي صلى الله عليـه وسلم فقال يامحمد ان قومك قد دعوك الى النصفـة وهي ان تدعهم وتعبد ربك وحـدك فقال او غير ذلك ياعم قال وما هو قال يعطونني كلمـة تـدين لهم بها العرب

وتؤدى اليهم الجزيـة بها العجم قالوا وما هي فانا نبادر اليهـا قال لا اله الا الله فنفروا عند ذلك وقالوا ما يرضيك منا غير هذا قال والله لو اعطيتمونى الارض ذهبا ومالا وفى روايـة لو جعلتم الشمس فى يمينى والقمـر فى شمالى ما ارضانى منكم غيرها فقاموا عنـد ذلك وبعضهم يقول لبعض اجعل الآلهـة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ويرددون هذا المعنى وعقبـة بن ابى معيط يقول امشوا واصبروا على الهتكم فقوله تعالى وانطلق الملأ عبارة عن خروجهم عن ابى طالب وانطلاقهم من ذلك الجمع هذا قول جماعة مـن المفسرين * وقوله ان امشوا نقل الامام الفخران انْ بمعـنى اي انتهى وقولهم ان هذا لشيء يراد يريدون ظهور محمد وعلوه اي يراد منا الانقياد له وان نكـون له اتباعا ويريـدون بالملة الآخرة ملة عيسى قاله ابن عبـاس وغيره وذلك انهـا ملة شهـر فيها التثليث ثم توعدهم سبحانـه بقوله بل لما يذوقوا عـذاب اي لو ذاقوه لتحققـوا ان هذه الرسالة حق * وقوله تعالى ام عندهم خزائن رحمة ربك الآية عبارة الثعلبي ام عندهم خزائن رحمة ربك يعنى مفاتيح النبوءة حتى يعطوا من اختاروا نظيرها اهم يقسمون رحمة ربك ام لهم ملك السموات والارض ومابينهما يعنى ان ذلك لله تعالى يصطفى من يشاء فليرتقوا فى الاسباب فليصعدوا فـيما يوصلهم الى السموات فليأتوا منها بالوحي الى من يختارون وهذا امر توبيخ وتعجيز انتهى ونحوه كلام (ع) ثم وعد الله نبيه النصر فقال جنـد ماهنالك مهزوم اي مغلوب ممنوع من الصعود الى السماء من الاحزاب اي من جملة الاحزاب قال (ع) وهذا تاويل قوي وقالت فرقـة الاشارة بهنالك الى حماية الاصنام وعضدها اي هؤلاء القوم جند مهزوم فى هذه السبيل وقال مجاهد الاشارة بهنا لك الى يوم بدر وهي من الامور المغيبة اخبر بها عليه السلام وما فى قوله جند مازائدة موكدة وفيها تخصيص وباقى الآية بين وقال ابو حيان جند خبر مبتدإ محذوف اي هم جند ومازائدة اوصفة

اريد بها التعظيم على سبيل الهزء بهم اوالاستخفاف لان الصفة تستعمل على هذين المعنيين وهنا لك ظرف مكان يشار به الى البعيد فى موضع صفة لجند اي كائن هنا لك او متعلق بمهزوم انتهى * وقوله تعالى وما ينظر هؤلاء اي ينتظر الاصيحة واحدة قال قتادة توعدهم سبحانه بصيحة القيامة والنفخ فى الصور قال الثعلبي وقد روي هذا التفسير مرفوعا وقالت طائفة توعدهم الله بصيحة يهلكون بها فى الدنيا ما لها من فواق قرأ الجمهور بفتح الفاء وقرأ حمزة والكسائي فواق بضم الفاء قال ابن عباس هما بمعنى اي ما لها من انقطاع وعودة بل هي متصلة حتى تهلكهم ومنه فواق الحلب وهو المهلة التى بين الشخبين وقال ابن زيد وغيره المعنى مختلف فالضم كما تقدم من معنى فواق الناقة والفتح بمعنى الافاقة اي لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشي عليه والقط الحظ والنصيب والقط ايضا الصك والكتاب من السلطان بصلة ونحوه واختلف فى القط هنا ما ارادوا به فقال ابن جبير ارادوا به عجل لنا نصيبنا من الخير والنعيم فى دنيانا وقال ابو العالية ارادوا عجل لنا صحفنا بايماننا وذلك لما سمعوا فى القرءان ان الصحف تعطى يوم القيامة بالايمان والشمائل وقال ابن عباس وغيره ارادوا ضد هذا من العذاب ونحوه وهذا نظير قولهم فامطر علينا حجارة من السماء قال (ع) وعلى كل تاويل فكلامهم خرج على جهة الاستخفاف والهزء * واذكر عبدنا داود ذا الايد اي فتأس به ولا تلتفت الى هؤلاء والايد القوة فى الدين والشرع والصدع به والاواب الرجاع الى طاعة الله وقاله مجاهد وابن زيد وفسره السدي بالمسبح وتسبيح الجبال هنا حقيقة والاشراق ضياء الشمس وارتفاعها وفى هذين الوقتين كانت صلاة بنى اسراءيل قال الثعلبي وليس الاشراق طلوع الشمس وانما هو صفاؤها وضوءها انتهى قال ابن العربي فى احكامه قال ابن عباس ما كنت اعلم صلاة الضحى فى القرءان

حتى سمعت الله تعالى يقول يسبحن بالعشي والاشراق قال ابن العربي اما صلاة الضحى فهي فى هـذه الآيـة نافلة مستحبـة ولا ينبغى ان تصلى حتى تتبين الشمس طالعـة قـد اشرق نورها وفى صلاة الضحى احاديث اصولها ثلاثـة الاول حديث ابى ذر وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انـه قال يصبح على كل سلامى من ابن ءادم صدقة تسليمه على من لقي صدقـة وامره بالمعروف صدقة ونهيه عن المنكر صدقة واماطته الاذى عن الطريق صدقة وبضعه اهله صدقـة ويجزئى مـن ذلك كله ركعتـان مـن الضحى الثانى حديث سهل بن معاذ بن انس الجهني عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مـن قعـد فى مصلاه حين ينصرف مـن صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى لا يقول الاخيرا غفرت خطاياه وان كانت اكثر من زبد البحر الثالث حديث ام هانئى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح ثماني ركعات انتهى (ت) وروى ابو عيسى الترمذي وغيره عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الفجر فى جماعـة ثم قعـد يـذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كاجر حجـة وعمرة تامـة قال الترمذي حديث حسن انتهى قال الشيخ ابو الحسن ابن بطال فى شرحـه للبخاري وعـن زيـد بن اسلم قال سمعت عبد الله بن عمر يقول لابى ذر اوصنى ياعم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتنى فقال من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى اربعا كتب من العابدين ومن صلى ستا لم يلحقـه ذلك اليوم ذنب ومن صلى ثمانيا كتب مـن القانتين ومن صلى ثنتي عشرة ركعـة بنى الله له بيتـا فى الجنـة انتهى والطير عطف على الجبـال اي وسخرنا الطير ومحشورة معناه مجموعـة والضمير فى له قالت فرقـة هو عائـد على الله عز وجل فكل على هذا يراد بـه داود والجبال والطير وقالت فرقـة هو عائـد على داود فكل على

هذا يراد به الجبال والطير * وقوله تعالى وشددنا ملكه عبارة عامة لجميع ما وهبه الله تعالى من قوة وجند ونعمة وفصلُ الخطاب قال ابن عباس وغيره هو فصل القضاء بين الناس بالحق واصابته وفهمه وقال الشعبي اراد قول امابعد فانه اول من قالها قال (ع) والذى يعطيه اللفظ انه آتاه الله فصل الخطاب بمعنى انه اذا خاطب فى نازلة فصل المعنى واوضحه لا ياخذه فى ذلك حصَر ولا ضعف * وقوله تعالى وهل اتاك نبأ الخصم الآية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم واستفتحت بالاستفهام تعجيبا من القصة وتفخيما لها والخصم يوصف به الواحد والاثنان والجمع وتسوروا معناه علوا سوره وهو جمع سورة وهي القطعة من البناء وتحتمل هذه ية ان يكون المتسورَ اثنان فقط فعبر عنهما بلفظ الجمع ويحتمل ان يكون مع كل واحد من الخصمين جماعة والمحراب الموضع الارفع من القصر او المسجد وهو موضع التعبد وانما فزع منهم من حيث دخلوا من غير الباب ودون استيذان ولا خلاف بين اهل التاويل ان هذا الخصم انما كانوا ملائكة بعثهم الله ضرب مثل لداود فاختصموا اليه فى نازلة قد وقع هو فى نحوها فافتاهم بفتيا هي واقعة عليه فى نازلته ولما شعروفهم المراد خر راكعا واناب واستغفر واما نازلته التى وقع فيها ففيها للقصاص تطويل فلم نر سوق جميع ذلك لعدم صحته وروي فى ذلك عن ابن عباس ما معناه ان داود كان فى محرابه يتعبد اذ دخل عليه طائر حسن الهيئة فمد يده اليه لياخذه فزال مطمعا له من موضع الى موضع حتى اطلع على امرأة لها منظر وجمال فخطر فى نفسه ان لو كانت من نسائه وسأل عنها فاخبر انها امرأة اوريا وكان فى الجهاد فبلغه انه استشهد فخطب المرأة وتزوجها فكانت ام سليمان فيما روي عن قتادة فبعث الله الخصم ليفتي قالت فرقة من العلماء وانما وقعت المعاتبة على همه ولم يقع منه شيء سوى الهم وكان لداود فيما روي تسع وتسعون امرأة

وفى كتب بنى اسراءيل فى هذه القصة صور لا تليق وقد قال علي بن ابى طالب من حدث بما قال هؤلاء القُصاص فى امر داود جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله قدره * وقوله خصمان تقديره نحن خصمان وبغى معناه اعتدى واستطال ولا تشطط معناه ولا تتعد فى حكمك وسواء الصراط معناه وسطه * وقوله ان هذا اخى اعراب اخى عطف بيان وذلك ان ما جرى من هذه الاشياء صفة كالخلق والخلق وسائر الاوصاف فانه نعت محض والعامل فيه هو العامل فى الموصوف وما كان منها مما ليس يوصف به بتة فهو بدل والعامل فيه مكرر اي تقديرا يقال جاءنى اخوك زيد فالتقدير جاءنى اخوك جاءنى زيد وما كان منها مما لا يوصف به واحتيج الى ان يبين به ويجرى مجرى الصفة فهو عطف بيان والنعجة فى هذه الآية عبر بها عن المرأة والنعجة فى كلام العرب تقع على انثى بقر الوحش وعلى انثى الضأن وتعبر العرب بها عن المرأة * وقوله اكفلنيها اي ردها فى كفالتى وقال ابن كيسان المعنى اجعلها كفلى اي نصيبي وعزنى معناه غلبنى ومنه قول العرب من عز بز اي من غلب سلب ومعنى قوله فى الخطاب اي كان اوجه منى فاذا خاطبته كان كلامه اقوى من كلامى وقوته اعظم من قوتى ويروى انه لما قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك تبسما عند ذلك وذهبا ولم يرهما لحينه فشمر حينئذ للامر ويروى انهما ذهبا نحو السماء بمرأى منه والخلطاء الشركاء فى الاملاك والامور وهذا القول من داود وعظ وبسط لقاعدة حق ليحذر الخصم من الوقوع فى خلاف الحق * وقوله تعالى الا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم قال ابو حيان وقليل خبر مقدم وما زائدة تفيد معنى التعظيم انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اشد الاعمال ذكر الله على كل حال والانصاف من نفسك ومواساة الاخ فى المال انتهى *

وقوله تعالى وظن داود انما فتناه معناه شعر للامر وعلمه وفتناه اي ابتليناه وامتحناه وقال البخاري قال ابن عباس فتناه اي اختبرناه واسند البخاري عن مجاهد قال سألت ابن عباس عن سجدة ص اين تسجد فقال او ما تقرأ ومن ذريته داود وسليمان الى قوله اولائك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فكان داود ممن امر نبيكم ان يقتدي به فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى فتأمله وما فيه من الفقه وقرأ ابو عمرو فى رواية علي ابن نصر فتناه بتخفيف التاء والنون على اسناد الفعل للخصمين اي امتحناه عن امرنا قال ابو سعيد الخدري رأيتني فى النوم اكتب سورة ص فلما بلغت قوله وخر راكعا واناب سجد القلم ورأيتني فى منام آخر وشجرة تقرأ سورة ص فلما بلغت هذا سجدت وقالت اللهم اكتب لى بها اجرا وحط عنى بها وزرا وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود فقال النبي صلى الله عليه وسلم وسجدت انت ياابا سعيد قلت لا قال انت كنت احق بالسجدة من الشجرة ثم تلا النبي الله الآيات حتى بلغ واناب فسجد وقال كما قالت الشجرة واناب معناه رجع (ت) وحديث سجود الشجرة رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وابن حبان فى صحيحيهما وقال الحاكم هو من شرط الصحة انتهى من السلاح والزلفى القربة والمكانة الرفيعة والمئاب المرجع فى الآخرة من ءاب يءوب اذا رجع * وقوله تعالى ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض تقدير الكلام وقلنا له ياداود قال (ع) ولا يقال خليفة الله الا لرسوله واما الخلفاء فكل واحد خليفة للذى قبله وما يجيء فى الشعر من تسمية احدهم خليفة الله فذلك تجوز وغلو الاترى ان الصحابة رضي الله عنهم حرزوا هذا المعنى فقالوا لابى بكر خليفة رسول الله وبهذا كان يدعى مدة خلافته فلما ولي عمر قالوا ياخليفة خليفة رسول الله فطال الامر ورأوا انه فى المستقبل سيطول اكثر

فدعوه امير المومنين وقصر هــذا الاسم على الخلفاء * وقوله فيضلك قال ابو حيان منصوب فى جواب النهي (ص) ابو البقاء وقيل مجزوم عطفا على النهي وفتحت اللام لالتقاء الساكنين انتهى * وقوله سبحانــه ان الذين يضلون عن سبيل الله الى قوله وليتذكر اولوا الالباب اعتراض فصيح بين الكلامين من امر داود وسليمان وهو خطاب لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعظة لامته ونسوا فى هذه الآية معناه تركوا ثم وقف تعالى على الفرق عنده بين المومنين العاملين بالصالحات وبين المفسدين الكفرة وبين المتقين والفجار وفى هــذا التوقيف حض على الايمان والتقوى وترغيب فى عمل الصالحات قال ابن العربي نفى الله تعالى المساواة بين المومنين والكافرين وبين المتقين والفجار فلا مساواة بينهم فى الآخرة كما قاله المفسرون ولا فى الدنيا ايضا لان المومنين المتقين معصومون دما ومالا وعرضا والمفسدون فى الارض والفجار مباحو الدم والمال والعرض فلا وجــه لتخصيص المفسرين بذلك فى الآخرة دون الدنيــا انتهى مــن الاحكام وهذا كما قال وقوله تعالى فى الآية الاخرى سواء محياهم ومماتهم يشهــد له وباقى الآيــة بين * وقوله تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا ءاياته قال الغزالي فى الاحياء اعلم ان القرءان من اوله الى ءاخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيــه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفــه ان كان مومنا بما فيــه وترى الناس يهذونــه هــذا يخرجون الحروف مــن مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها لا يهمهم الالتفات الى معانيها والعمل بما فيها وهل فى العلم غرور يزيد على هذا انتهى من كتاب ذم الغرور واختلف المتأولون فى قصص هــذه الخيل المعروضة على سليمان عليــه السلام فقال الجمهور ان سليمان عليــه السلام عرضت عليه ءالاف مــن الخيل تركها ابوه فاجريت بين يديــه عشاء فتشاغل بجريها ونحبتها حتى فاته وقت صلاة العشي فأسف لذلك وقال ردوا علي الخيل

فطفق يمسح سوقها واعناقها بالسيف قال الثعلبي وغيره وجعل ينحرها تقربا الى الله تعالى حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا لهم كما ابيح لنا بهيمة الانعام قال (ع) فروي ان الله تعالى ابدله منها اسرع منها وهي الريح قال ابن العربي فى احكامه والخير هنا هي الخيل وكذلك قرأها ابن مسعود اني احببت حب الخيل انتهى والصافن الذى يرفع احدى يديه وقد يفعل ذلك برجله وهي علامة الفراهية وانشد الزجاج

الف الصفون فما يزال كأنه * مما يقوم على الثلاث كسيرا

قال بعض العلماء الخير هنا اراد به الخيل والعرب تسمى الخيل الخير وفى مصحف ابن مسعود حب الخيل باللام والضمير فى توارت للشمس وان كان لم يتقدم لها ذكر لان المعنى يقتضيها وايضا فذكر العشي يتضمنها وقال بعض المفسرين حتى توارت بالحجاب اي الخيل دخلت اصطبلاتها وقال ابن عباس والزهري مسحه بالسوق والاعناق لم يكن بالسيف بل بيده تكريما لها ورجحه الطبري وفى البخاري فطفق مسحا يمسح اعراف الخيل وعراقيبها انتهى وعن بعض العلماء ان هذه القصة لم يكن فيها فوت صلاة وقالوا عرض على سليمان الخيل وهو فى الصلاة فاشار اليهم اي انى فى صلاة فازالوها عنه حتى ادخلوها فى الاصطبلات فقال هو لما فرغ من صلاته اني احببت حب الخير اي الذى عند الله فى الآخرة بسبب ذكر ربى كانه يقول فشغلنى ذلك عن رؤية الخيل حتى ادخلت اصطبلاتها ردوها علي فطفق يمسح اعرافها وسوقها تكرمة لها اي لانها معدة للجهاد وهذا هو الراجح عند الفخر قال ولو كان معنى مسح السوق والاعناق قطعها لكان معنى قوله وامسحوا برءوسكم وارجلكم قطعها (ت) وهذا لا يلزم للقرينة فى الموضعين اه قال ابو حيان وحب الخير قال الفراء مفعول به واحببت مضمن معنى آثرت وقيل منصوب على المصدر التشبيهي اي حبا مثل حب

الخير انتهى * وقوله عن ذكر ربي عن على كل تاويل هنا للمجاوزة من شيء الى شيء وتدبره فانه مطرد * وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان الآية (ت) اعلم رحمك الله ان الناس قد اكثروا فى قصص هذه الآية بما لا يوقف على صحته وحكى الثعلبي فى بعض الروايات ان سليمان عليه السلام لما فتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاعاده الى يده فسقط وايقن بالفتنة وان ءاصف بن برخيا قال له يانبي الله انك مفتون ولذلك لا يتماسك الخاتم فى يدك اربعة عشر يوما ففر الى الله تعالى تائبا من ذنبك وانا اقوم مقامك فى عالمك ان شاء الله تعالى الى ان يتوب الله تعالى عليك ففر سليمان هاربا الى ربه منفردا لعبادته واخذ ءاصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت وقيل ان الجسد الذى قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا هو ءاصف كاتب سليمان وهو الذى عنده علم من الكتاب واقام ءاصف فى ملك سليمان وعياله يسير بسيرته الحسنة ويعمل بعمله اربعة عشر يوما الى ان رجع سليمان الى منزله تائبا الى الله تعالى ورد الله تعالى عليه ملكه فاقام ءاصف عن مجلسه وجلس سليمان على كرسيه واعاد الخاتم وقال سعيد بن المسيب ان سليمان بن داود عليهما السلام احتجب عن الناس ثلاثة ايام فاوحى الله اليه ان ياسليمان احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر فى امور عبادي ولم تنصف مظلوما من ظالم وذكر حديث الخاتم كما تقدم انتهى وهذا الذى نقلناه اشبه ما ذكر واقرب الى الصواب والله اعلم وقال عياض قوله تعالى ولقد فتنا سليمان معناه ابتليناه وابتلاؤه هو ما حكي فى الصحيح انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن ياتين بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فلم تحمل منهن الا امرأة جاءت بشق رجل الحديث قال اصحاب المعانى والشق هو الجسد الذى القي على كرسيه حين عرض عليه وهي كانت عقوبته ومحنته وقيل بل مات والقي على كرسيه ميتا واما عدم استثنائه فاحسن

الاجوبة عنه ما روي فى الحديث الصحيح انـه نسي ان يقول ان شاء الله ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه فى امته لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله انتهى (ت) قال ابن العربي والقينا على كرسيه جسدا يعني جسده لا اجساد الشياطين كما يقوله الضعفاء انتهى من كتاب تفسير الافعال له قال ابن العربي فى احكامه وما ذكره بعض المفسرين مـن ان الشيطان اخـذ خاتمـه وجلس مجلسه وحكم الخلق على لسانـه قول باطل قطعا لان الشياطين لا يتصورون بصور الانبياء ولا يمكنون من ذلك حتى يظن الناس انهم مع نبيهم فى حق وهم مع الشياطين فى باطل ولو شاء ربك لوهب من المعرفة والدين لمن قال هذا القول ما يزعه عن ذكره ويمنعه من ان يسطره فى ديوان من بعده انتهى * وقوله وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد الآية قال (ع) من المقطوع بـه ان سليمان عليـه السلام انما قصد بذلك قصدا برا لان للانسان ان يرغب من فضل الله فيما لا يناله احد لا سيما بحسب المكانة والنبوءة * وقوله تعالى فسخرنا له الريح الآية كان لسليمان كرسي فيه جنوده وتاتى عليه الريح الاعصار فتنقله من الارض حتى يحصل فى الهواء ثم تتولاه الرخاء وهي اللينة القوية لا تاتى فيها دُفَع مفرطة فتحمله غدوها شهر ورواحها شهر وحيث اصاب معنـاه حيث اراد قاله وهب وغيره قال (ع) ويشبـه ان اصاب معدى صاب يصوب اي حيث وجه جنوده وقال الزجاج معناه قصد (ت) وعليه اقتصر ابو حيان فانه قال اصاب اي قصد وانشد الثعلبي

اصـاب الكـلام فلم يستطـع * فاخطـا الجواب لدى المِفْصَـل

انتهى * وقوله كل بناء بدل مـن الشياطين ومقرنين معناه موثقين قد قرن بعضهم ببعض والاصفاد القيود والاغلال قال الحسـن والاشارة بقوله هـذا عطاؤنا الآية الى جميع ما اعطاه الله سبحانه مـن الملك وامره بان يمن على مـن

يشاء ويمسك عن من يشاء فكانه وقفه على قدر النعمة ثم اباح له التصرف فيه بمشيئتـه وهذا اصح الاقوال واجمعها لتفسير الآيـة وتقدمت قصة ايوب فى سورة الانبيـاء * وقوله انى مسني الشيطـان بنصب الآيـة النصب المشقة فيحتمل ان يشير الى مسه حين سلطه الله على اهلاك ماله وولده وجسمه حسبما روي فى ذلك وقيل اشار الى مسه اياه فى تعرضه لاهله وطلبه منها ان تشرك بالله فكان ايوب تشكى هذا الفصل وكان عليه اشد مـن مرضه وهنا فى الآيـة محذوف تقـديره فاستجاب له وقال اركض برجلك فـروي ان ايوب ركض الارض فنبعت له عين ماء صافيـة باردة فشرب منها فـذهب كل مرض فى اخل جسده ثم اغتسل فـذهب ما كان فى ظاهر بدنـه وروي ان الله تعالى وهب له اهله وماله فى الدنيا ورد من مات منهم وما هلك مـن ماشيته وحاله ثم بارك له فى جميع ذلك وروي ان هذا كله وعد به فى الآخرة والاول اكثر فى قول المفسـرين (ت) وعـن عبـد الله بن مسعود رضي الله عنـه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال عبد قط اذا اصابه هم او حزن اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتى بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته فى كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به فى علم الغيب عندك ان تجعل القرءان العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى الا اذهب الله غمه وابدله مكان حزنه فرحا قالوا يارسول الله ينبغى لنا ان نتعلم هذه الكلمات قال اجل ينبغى لمن سمعهـن ان يتعلمهـن قال صاحب السلاح رواه الحاكم فى المستدرك وابن حبان فى صحيحه (ت) ورويناه من طريق النووي عن ابن السني بسنده عن ابى موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه انا عبـدك ابن عبـدك ابن امتك فى قبضتك وفيـه فقال رجل مـن القوم ان المغبون لمن غبن هؤلاء

الكلمات فقال اجل فقولوهن وعلموهن من قالهن التماس ما فيهن اذهب الله تعالى حزنه واطال فرحه انتهى * وقوله وذكرى معناه موعظة وتذكرة يعتبر بها اولوا العقول ويتأسون بصبره فى الشدائد ولاييئسون من رحمة الله على حال وروي ان ايوب عليه السلام كانت زوجته مدة مرضه تختلف اليه فيتلقاها الشيطان فى صورة طبيب ومرة فى هيئة ناصح وعلى غير ذلك فيقول لها لو سجد هـذا المريض للصنم الفلاني لبرئ لو ذبح عَناقا للصنم الفلاني لبرئ ويعرض عليها وجوها من الكفر فكانت هي ربما عرضت شيأ من ذلك على ايوب فيقول لها لقيت عدو الله فى طريقك فلما اغضبته بهذا ونحوه حلف عليها لئن برئ من مرضه ليضربنها مائة سوط فلما برئ امره الله تعالى ان ياخذ ضغثا فيه مائة قضيب والضغث القبضة الكبيرة من القضبان ونحوها من الشجر الرطب قاله الضحاك واهل اللغة فيضرب به ضربة واحدة فتبر يمينه وهذا حكم قد ورد فى شرعنا عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله فى حد الزنا لرجل زمن فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذق نخلة فيه شماريخ مائة او نحوها فضرب ضربة ذكر الحديث ابو داود وقال بهذا بعض فقهاء الامة وليس يرى ذلك مالك بن انس واصحابه وكذلك جمهور العلماء على ترك القول به وان الحدود والبر فى الايمان لاتقع الا بتمام عدد الضربات وقرأ الجمهور اولى الايدى يعني اولى القوة فى طاعة الله قاله ابن عباس ومجاهد وقالت فرقة معناه اولى الايدى والنعم التى اسداها الله اليهم من النبوءة والمكانة والابصار عبارة عن البصائر اي يبصرون الحقائق وينظرون بنور الله تعالى وقرأ نافع وحده بخالصة ذكرى الدار على الاضافة وقرأ الباقون بخالصة على تنوين خالصة فذكرى على هذه القراءة بدل من خالصة فيحتمل ان يكون معنى الآية انا اخلصناهم بان خلص لهم التذكير بالدار الآخرة ودعاء الناس اليها وهذا قول قتادة وقيل المعنى انا اخلصناهم

بان خلص لهم ذكرهم للدار الآخرة وخوفهم لها والعمل بحسب ذلك وهـذا قول مجاهد وقال ابن زيد المعنى انا وهبناهم افضل ما فى الدار الآخرة واخلصناهم بـه واعطيناهم اياه ويحتمل ان يريـد بالدار دار الدنيا على معنى ذكـر الثنـاء والتعظيم مـن الناس * وقوله تعالى هـذا ذكر يحتمل معنيين احـد هما ان يشير الى مدح من ذكر وابقاء الشرف له فيتأيد بهذا قول مـن قال ان الدار يراد بها الدنيا والثانى ان يشير بهذا الى القرءان اي ذكر للعالم وجنات بدل من حسن مئاب ومفتحة نعت لجنات والابواب مفعول لم يسم فاعله وباقى الآية بين * وقوله سبحانه هذا وان للطاغين لشر مئاب الآية التقدير الامر هذا ويحتمل ان يكون التقدير هذا واقع او نحوه والطغيان هنا فى الكفر * وقوله تعالى هـذا فليذوقوه حميم وغساق قرأ الجمهور غساق بتخفيف السين وهو اسم بمعنى السائل قال قتادة الغساق ما يسيل من صديد اهل النار قال(ص) الغساق السائل وعن ابى عبيدة ايضا البارد المنتن بلغة الترك انتهى قال الفخر هـذا فليذوقوه حميم وغساق فيه وجهان الاول على التقديم والتاخير والتقدير هـذا حميم وغساق اي منه حميم وغساق انتهى (ت) والوجه الثانى ان الآية ليس فيها تقديم ولاتاخير وهو واضح وقرأ الجمهور وءاخر بالافراد اي ولهم عذاب آخر ومعنى من شكله اي من مثله وضربه وقرأ ابو عمرو وحده واخر على الجمع وازواج معناه انواع والمعنى لهم حميم وغساق واغذية اخر من ضرب ماذكـر * وقوله تعالى هذا فوج هو مما يقال لاهل النار اذا سيق عامة الكفار والاتباع اليها لان رؤساءهم يدخلون النار اولا والاظهر ان قائل ذلك لهم ملائكـة العذاب وهو الذى حكاه الثعلبي وغيره ويحتمـل ان يكون ذلك من قول بعضهم لبعض فيقول البعض الاخر لامرحبا بهم اي لاسعة مكان ولا خير يلقونه * وقوله بل انتم لامرحبابكم حكاية لقول الاتبـاع لرؤسائهم اي انتم قدمتموه

لنا باغوائكم واسلفتم لنامااوجب هذا قال العراقي

مقتحم اي داخـل بشـده * مجـاوز لمـا اقتحمْ بالشـده

انتهـى * وقوله تعـالى قالوا ربنـا من قدم لنـا هذا الآيـة هو حكايـة لقول الاتباع ايضا دعوا على رؤسائهم بان يكون عذابهم مضاعفا * وقوله تعالى وقالوا ما لنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار الآية الضمير فى قالوا لاشراف الكفار ورؤسائهم وهذا مطرد فى كل امة وروي ان قائلى هذه المقالة اهل القليب كابي جهل وامية بن خلف وعتبـة بن ربيعة ومن جـرى مجراهم وان الرجال الذين يشيرون اليهم هم كعمار بن ياسروبلال وصهيب ومن جرى مجراهم قاله مجاهد وغيره والمعنى كنا فى الدنيا نعدهم اشـرارا وقرأ حمـزة والكسائي وابو عمـرو اتخذناهم بصلة الالف على ان يـكون ذلك فى موضع الصفـة لرجال وقرأ الباقـون اتخذناهم بـهمـزة الاستفهام ومعناها تـقـرير انفسهم على هذا على جهة التوبيخ لها والاسف اي اتخذناهم سخريا ولم يكونوا كذلك وقـرأ نافع وحمزة والكسائي سخريا بضم السين من السخرة والاستخدام وقـرأ الباقـون سخريا بكسر السين ومعناها المشهور من السخر الذى هو بمعنى الهزء وقولهم ام زاغت معادلة لما فى قولهم ما لنالا نرى والتقدير فى هذه الآيـة امفقـودون هم ام هم معنا ولكن زاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم والزيغ الميل ثم اخبر تعالى نبيه بقوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار والاشارة بقوله تعالى قل هو نبأ عظيم الى التوحيـد والمعاد فهي الى القرءان وجميع ما تـضمن وعظمه ان التصـديق به نجاة والتكذيب به هلكة ووبخهم بقوله انتم عنه معرضون ثم امر عليه السلام ان يقول محتجا على صحـة رسالتـه ما كان لى من علم بالمـلا الاعلى لولا ان الله اخبرنى بذلك والملأ الاعلى اراد بـه الملائـكـة واختلف فى الشيء الذى هـو اختصامهم فيه فقالت فرقة اختصامهم فى شأن ءادم كقولهم اتجعل فيها مـن

يفسد فيها ويدل على ذلك ما ياتى من الآيات وقالت فرقة بل اختصامهم فى الكفارات وغفر الذنوب ونحوه فان العبد اذا فعل حسنة اختلفت الملائكة فى قدر ثوابه فى ذلك حتى يقضي الله بما شاء وروي فى هذا حديث فسره ابن فورك يتضمن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ربه عز وجل فى نومه اتدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا قال اختصموا فى الكفارات والدرجات فاما الكفارات فاسباغ الوضوء فى الغدوات الباردة ونقل الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة واما الدرجات فافشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام الحديث قال ابن العربي فى احكامه وقد رواه الترمذي صحيحا وفيه قال سل قال اللهم اني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفرلى وترحمنى واذا اردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون واسألك حبك وحب من يحبك وعملا يقرب الى حبك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حق فارسموها ثم تعلموها انتهى * وقوله ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين قال الفراء ان شئت جعلت انما فى موضع رفع كانه قال ما يوحى الي الا الانذار اوما يوحى الي الا انى نذير مبين انتهى وهكذا قال ابو حيان ان بمعنى ما وباقى الآية بين مما تقدم فى البقرة وغيرها * وقوله تعالى بيدي عبارة عن القدرة والقوة * وقوله استكبرت المعنى احدث لك الاستكبار الآن ام كنت قديما ممن لا يليق ان تكاف مثل هذا لعلو مكانك وهذا على جهة التوبيخ له * وقوله تعالى قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم الآية الرجيم اي المرجوم بالقول السيء واللعنة الابعاد * وقوله سبحانه فالحق والحق اقول قال مجاهد المعنى فالحق انا وقرأ الجمهور فالحق والحق بنصب الاثنين فاما الثانى فمنصوب باقول واما الاول

فيحتمل ان ينتصب على الاغراء ويحتمل ان ينتصب على القسم على اسقاط حرف القسم كانه قال فوالحق ثم حذف الحرف كما تقول الله لافعلن تريد والله ويقوى ذلك قوله لاملأن وقد قال سيبويه قلت للخليل ما معنى لافعلن اذا جاءت مبتدأة فقال هي بتقدير قسم منوي وقالت فرقة الحق الاول منصوب بفعل مضمر وقرأ ابن عباس فالحق والحق برفع الاثنين وقرأ عاصم وحمزة فالحق بالرفع والحق بالنصب وهي قراءة مجاهد وغيره ثم امر تعالى نبيه ان يخبرهم بانه ليس بسائل منهم عليه اجرا وانه ليس ممن يتكلف ما لم يجعل اليه ولا يحتلي بغير ما هو فيه قال الزبير بن العوام نادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للذين لا يدعون ولا يتكلفون الا انى بريء من التكلف وصالحو امتى * وقوله ان هو يريد القرءان وذكر بمعنى تذكرة ثم توعدهم بقوله ولتعلمن نبأه بعد حين وهذا على حذف تقديره لتعلمن صدق نبإه بعد حين قال ابن زيد اشار الى يوم القيامة وقال قتادة والحسن اشار الى الآجال التى لهم لان كل واحد منهم يعرف الحقائق بعد موته

تفسير سورة الزمر وهي مكية باجماع

غير ثلاث ءايات نزلت فى شأن وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب وهي قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآيات وقالت فرقة الى ءاخر السورة هو مدني وقيل فيها مدني سبع ءايات

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى تنزيل الكتاب الآية تنزيل رفع بالابتداء والخبر قوله من الله وقالت

فرقـة تنزيل خبر مبتدإ محذوف تقديره هذا تنزيل والاشارة الى القـرءان قاله المفسرون ويظهـر لى انـه اسم عام لجميع ما تنزل من عند الله فكانـه اخبر اخبارا مجردا ان الكتب الهادية الشارعـة انما تنزيـلها من الله تـعالى وجعـل هذا الاخبار تقدمة وتوطئة لقـوله انا انزلنا اليك الكتاب * وقـوله بالحـق معناه متضمنا الحق اي بالحق فيه وفى احكامه واخباره والدين هنا يعم المعتقدات واعمال الجوارح قال قتادة والدين الخالص لا اله الا الله * وقوله تـعالى والذين اتخذوا من دونـه اولياء الآيـة اي يقـولون ما نـعبدهم الا ليقـربونا الى الله زلفى وفى مصحف ابن مسعـود قالوا مانـعبدهم وهي قراءة ابن عباس وغيره وهذه المقالة شائعة فى العرب فى الجاهلية يـقولون فى معبوداتهم مـن الاصنام وغيرها ما نـعبدهم الا ليقربونا الى الله قال مجاهد وقد قال ذلك قوم من اليهود فى عزير وقوم من النصارى فى عيسى وزلـفى بمعنى قربـة وتوصلة كانـهم قالوا ليقربونا الى الله تـقريبا وكان هذه الطوائف كـلها ترى نفـوسها اقل من ان تتصل هي بالله فكانت ترى ان تـتصل بمخلوقاتـه وزلفى عند سيبويـة مصدر فى موضع الحال كانـه تنزل منزلة متزلفين والعامل فيه يـقربونا وقرأ الجحدري كـذاب كفار بالمبالغة فيهما وهذه المبالغة اشارة الى التوغل فى الكفر * وقوله تـعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا معناه اتخاذ التشريف والتبنى وعلى هذا يستقيم قـوله تـعالى لاصطـفى ممـا يخلق واما الاتـخـاذ المعهود فى الشاهد فمستحيل ان يتوهـم فى جهة الله تعالى ولا يستقيم عليه معنى قوله لاصطفى ممايخلق وقـوله تعالى وما يـنبغى للرحمـن ان يتخـذ ولدا لفظ يـعم اتخاذ النسل واتخـاذ الاصطفاء فاما الاول فمعقول واما الثانى فمعروف بخبر الشرع ومما يدل على ان معنى قوله ان يتخذ انما المقصـود بـه اتخاذ اصطفاء وتبنّ قوله ممـا يخلق اي مـن موجوداتـه ومحدثاته ثم نزه سبحانه نفسـه تنزيها مطلقا عن كل مـا لا يـليق بـه

سبحانه * وقوله تعالى يكور الليل على النهار الآية معناه يعيد من هذا على هذا ومنه كور العمامة التي يلتوى بعضها على بعض فكان الذى يطول من النهار او الليل يصير منه على الآخر جزء فيستره وكأن الآخر الذى يقصر يلج فى الذى يطول فيستتر فيه * وقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها قيل ثم هنا لترتيب الاخبار لا لترتيب الوجود وقيل قوله خلقكم من نفس واحدة هو اخذ الذرية من ظهر ءادم وذلك شيء كان قبل خلق حواء (ت) وهذا يحتاج الى سند قاطع * وقوله سبحانه فى ظلمات ثلاث قالت فرقة الاولى هي ظهر الاب ثم رحم الام ثم المشيمة فى البطن وقال مجاهد وغيره هي المشيمة والرحم والبطن وهذه الآيات كلها فيها عبر وتنبيه على توحيد الخالق الذى لا يستحق العبادة غيره وتوهين لامر الاصنام * وقوله سبحانه ان تكفروا فان الله غني عنكم الآية قال ابن عباس هذه الآية مخاطبة للكفار قال (ع) وتحتمل ان تكون مخاطبة لجميع الناس لان الله سبحانه غني عن جميع الناس وهم فقراء اليه واختلف المتأولون من اهل السنة فى تاويل قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فقالت فرقة الرضى بمعنى الارادة والكلام ظاهره العموم ومعناه الخصوص فيمن قضى الله له بالايمان وحتمه له فعباده على هذا ملائكته ومومنو الانس والجن وهذا يتركب على قول ابن عباس وقالت فرقة الكلام عموم صحيح والكفر يقع ممن يقع بارادة الله تعالى الا انه بعد وقوعه لا يرضاه دينا لهم ومعنى لا يرضاه لا يشكره لهم ولا يثيبهم به خيرا فالرضى على هذا هو صفة فعل بمعنى القبول ونحوه وتأمل الارادة فانما هي حقيقة فيما لم يقع بعد والرضى فانما هو حقيقة فيما قد وقع واعتبر هذا فى ءايات القرءان تجده وان كانت العرب قد تستعمل فى اشعارها على جهة التجوز هذا بدل هذا * وقوله تعالى وان تشكروا يرضه لكم عموم والشكر الحقيقي فى ضمنه الايمان قال النووي وروينا

فى سنن ابى داود عن ابى سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وجبت له الجنة انتهى * وقوله تعالى واذا مس الانسان ضر دعا ربه الآية الانسان هنا الكافر وهذه الآية بين تعالى بها على الكفار انهم على كل حال يلجئون اليه فى حال الضرورات وخوله معناه ملكه وحكمه فيها ابتداء من الله لا مجازاة ولا يقال فى الجزاء خول * وقوله تعالى نسي ما كان يدعوا اليه قالت فرقة ما مصدرية والمعنى نسي دعاءه اليه فى حال الضرورة ورجع الى كفره وقالت فرقة ما بمعنى الذى والمراد بها الله تعالى اي نسي الله وعبارة الثعلبي قوله نسي ما كان يدعوا اليه من قبل اي ترك عبادة الله تعالى والتضرع اليه من قبل فى حال الضر انتهى وباقى الآية بين * وقوله تعالى امن هو قانت بتخفيف الميم هي قراءة نافع وابن كثير وحمزة والهمزة للتقرير والاستفهام وكانه يقول اهذا القانت خير ام هذا المذكور الذى يتمتع بكفره قليلا وهو من اصحاب النار وقرأ الباقون امن بتشديد الميم والمعنى اهذا الكافر خير امن هو قانت والقانت المطيع وبهذا فسره ابن عباس رضي الله عنهما والقنوت فى الكلام يقع على القراءة وعلى طول القيام فى الصلاة وبهذا فسره ابن عمر رضي الله عنهما قال الفخر قيل ان المراد بقوله امن هو قانت آناء الليل عثمان بن عفان لانه كان يحيي الليل والصحيح انها عامة فى كل من اتصف بهذه الصفة وفى هذه الآية تنبيه على فضل قيام الليل انتهى وروي عن ابن عباس انه قال من احب ان يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله فى سواد الليل ساجدا وقائما (ت) قال الشيخ عبد الحق فى العاقبة وعن قبيصة بن سفيان قال رأيت سفيان الثوري فى المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال

نظرت الى ربى عيانا فقال لى * هنيئا رضاى عنك يا ابن سعيد

لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا * بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر تريده * وزرني فاني منك غير بعيد

وكان شعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام رجلين فاضلين وكانا من ثقات المحدثين وحفاظهم وكان شعبة اكبر فماتا قال ابو احمد اليزيدي فرأيتهما فى النوم وكنت الى شعبة اميل منى الى مسعر فقلت ياابا بسطام ما فعل الله بك فقال وفقك الله يابني احفظ ما اقول

حباني الهي فى الجنان بقبة * لها الف باب من لجين وجوهرا
وقال لي الجبار ياشعبة الذى * تبحر فى جمع العلوم واكثرا
تمتع بقربى انني عنك ذو رضى * وعن عبديَ القوام فى الليل مسعرا
كفى مسعرا عزا بان سيزورني * واكشف عن وجهي ويدنو لينظرا
وهذا فعالى بالذين تنسكوا * ولم يالفوا فى سالف الدهر منكرا

انتهى والآناء الساعات واحدها انى كمعى ويقال اني بكسر الهمزة وسكون النون وانا على وزن قفا * وقوله سبحانه يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قال الجوزي فى المنتخب يقول الله تعالى لا اجمع على عبدى خوفين ولا امنين من خافني فى الدنيا امنته فى الآخرة ومن امنني فى الدنيا خوفته فى الآخرة ياأخي امتطى القوم مطايا الدجى على مركب السهر * فما حلوا ولا حلوا رحالهم حتى السحر * درسوا القرءان فغرسوا بايدى الفكر ازكى الشجر * ومالوا الى النفوس باللوم فلا تسأل عما شجر * رجعوا بنيل القبول من ذلك السفر * ووقفوا على كنز النجاة وما عندك خبر * فاذا جاء النهار قدموا طعام الجوع وقالوا للنفس هذا الذى حضر * حدوا عزمات طاحت الارض بينها فصار سراهم فى ظهور العزائم * تراهم نجوم الليل ما يبتغونه على عاتق الشعرى وهام النعائم * مالت بالقوم ريح السحر ميل الشجر بالاغصان * وهز

الخوف افنـان القلوب فانتشرت الافنـان * فالقلب يخشع واللسان يضرع والعين تدمع والوقت بستان * خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نُعْم ونَعْمان * سرورهم اساورهم والخشـوع تيجـان * خضـوعهم حلاهم وماء دمعهم در ومرجان * باعوا الحرص بالقناعة فما ملك انوشروان * فاذا وردوا القيامـة تلقاهم بشر لولاكم ما طاب الجنان * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان * اين انت منهم يانائم كيقظان * كم بينك وبينهم اين الشجاع من الجبان * ما للمواعظ فيك نجح موضع القلب باللهو منك ملئان * يااخى قف على باب النجاح ولكن وقوف لهفان * واركب سفن الصلاح فهذا الموت طوفان * اخوانى انما الليل والنهـار مراحـل * ومركب العمر قـد قارب الساحـل * فانتبـه لنفسك وازدجر ياغافل * ياهذا انت مقيم فى منـاخ الراحلـين ويحك اغتنم ايام القـدرة قبل صيحـة الانتزاع فما اقرب ما ينتظر * وما اقل المكث فيما يزول ويتغير * انتهى * وقوله تعالى قل ياعباد الذين ءامنوا اتقوا ربكم يروى ان هذه الآيـة نزلت فى جعفر بن ابى طالب واصحابـه حين عزموا على الهجرة الى ارض الحبشة ووعد سبحانه بقوله للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة فقوله فى هذه الدنيـا متعلق باحسنوا والمعنى ان الذين يحسنون فى الدنيا لهم حسنـة فى الآخرة وهي الجنة والنعيم قاله مقاتل ويحتمل ان يريد ان الذين يحسنون لهم حسنة فى الدنيا وهي العافية والظهور وولاية الله تعالى قاله السدي والاول ارجح ان الحسنة هي فى الآخرة * وقوله سبحانه وارض الله واسعـة حض على الهجرة ثم وعد تعالى على الصبر على المكاره والخروج مـن الوطن ونصرة الدين وجميع الطاعات بتوفيـة الاجور بغير حساب وهذا يحتمل معنيين احدهمـا ان الصابر يوفى اجره ولا يحاسب على نعيـم ولا يتابع بذنوب ويكون فى جملة الذين يدخلون الجنة بغير حساب والثانى من المعنيين ان اجور

الصابرين توفى بغير حصر ولاعد بل جُزافا وهذه استعارة للكثرة التى لا تحصى
والى هذا التاويل ذهب جمهور المفسرين حتى قال قتادة ليس ثم والله مكيال
ولاميزان وفى الحديث انه لما نزلت والله يضاعف لمن يشاء قال النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم زد امتى فنزلت بعد ذلك من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له اضعافا كثيرة فقال اللهم زد امتى حتى نزلت انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب قال رضيت يارب * وقوله تعالى قل اني اخاف ان عصيت ربى عذاب
يوم عظيم من المعلوم انه عليه السلام معصوم من العصيان وانما الخطاب بالآية
لامته يعمهم حكمه ويخفهم وعيده * وقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه هذه
صيغة امر على جهة التهديد وهذا فى القرءان كثير والظلة ما غشى وعم
كالسحابة وسقف البيت ونحوه * وقوله سبحانه ذلك يخوف الله به عباده
يريد جميع العالم * وقوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت الآية قال ابن زيد ان
سبب نزولها زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وابو ذر الغفاري والاشارة
اليهم (ت) سلمان انما اسلم بالمدينة فيلزم على هذا التاويل ان تكون الآية مدنية
وقال ابن اسحاق الاشارة بها الى عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص
وسعيد بن زيد والزبير وذلك انه لما اسلم ابو بكر سمعوا ذلك فجاءوه فقالوا
ءاسلمت قال نعم وذكرهم بالله سبحانه فءامنوا باجمهم فنزلت فيهم هذه الآية
وهي على كل حال عامة فى الناس الى يوم القيامة يتناولهم حكمها والطاغوت
كل ما عبد من دون الله * وقوله سبحانه الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه كلام عام فى جميع الاقوال والمقصد الثناء على هؤلاء فى نفوذ بصائرهم
وقوام نظرهم حتى انهم اذا سمعوا قولا ميزوه واتبعوا احسنه قال ابو حيان الذين
يستمعون صفة لعباد وقيل الوقف على عباد والذين مبتدأ خبره اولائك وما
بعده انتهى * وقوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من فى

النار قالت فرقة معنى الآية افمن حقت عليه كلمة العذاب فانت تنقذه لكنه زاد الهمزة الثانية توكيدا واظهر الضمير تشهيرا لهؤلاء القوم واظهارا لخسة منازلهم * وقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف الآية معادلة وتحضيض على التقوى وعادلت غرف من فوقها غرف ما تقدم من الظلل فوقهم وتحتهم والاحاديث الصحيحة فى هذا الباب كثيرة ثم وقف تعالى نبيه عليه السلام وامته على معتبر من مخلوقاته فقال الم تر ان الله انزل من السماء ماء الآية قال الطبري الاشارة الى ماء المطر ونبع العيون منه وسلكه معناه اجراه وادخله فى الارض ويهيج معناه ييبس وهاج الزرع والنبات اذا يبس والحطام اليابس المتفتت ومعنى لذكرى اي للبعث من القبور واحياء الموتى على قياس هذا المثال المذكور * وقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام الآية روي ان هذه الآية نزلت فى علي وحمزة وابى لهب وابنه وهما اللذان كانا من القاسية قلوبهم وفى الكلام محذوف يدل عليه الظاهر تقديره افمن شرح الله صدره كالقاسى القلب المعرض عن امر الله وشرح الصدر استعارة لتحصيله للنظر الجيد والايمان بالله والنور هداية الله تعالى وهي اشبه شيء بالضوء قال ابن مسعود قلنا يارسول الله كيف انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يارسول الله وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت والقسوة شدة القلب وهي ماخوذة من قسوة الحجر شبه قلب الكافر به فى صلابته وقلة انفعاله للوعظ وروى الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسى قال الترمذي هذا حديث حسن غريب انتهى وقال مالك بن دينار ماضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلبه قال ابن هشام قوله تعالى فويل

للقاسية قلوبهم من ذكر الله من هنا مرادفة عن وقيل هي للتعليل اي من اجل ذكر الله لانه اذا ذكر الله قست قلوبهم عياذا بالله وقيل هي للابتداء انتهى من المغنى قال الفخر اعلم ان ذكر الله سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمينان فى النفوس الطاهرة الروحانية وقد يوجب القسوة والبعد عن الحق فى النفوس الخبيثة الشيطانية فاذا عرفت هذا فنقول ان رأس الادوية التى تفيد الصحة الروحانية ورتبتها هو ذكر الله فاذا اتفق لبعض النفوس ان صار ذكر الله سببا لازدياد مرضها كان مرض تلك النفوس مرضا لا يرجى زواله ولا يتوقع علاجه وكانت فى نهاية الشر والرداءة فلهذا المعنى قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولائك فى ضلال مبين وهذا كلام كامل محقق انتهى * وقوله تعالى الله نزل احسن الحديث يريد القرءان وروي عن ابن عباس ان سبب هذه الآية ان قوما من الصحابة قالوا يارسول الله حدثنا باحاديث حسان واخبرنا باخبار الدهر فنزلت الآية * وقوله متشابها معناه مستويا لا تناقض فيه ولا تدافع بل يشبه بعضه بعضا فى رصف اللفظ ووثاقة البراهين وشرف المعانى اذ هي اليقين فى العقائد فى الله وصفاته وافعاله وشرعه ومثاني معناه موضع تثنية للقصص والاقضية والمواعظ تثنى فيه ولا تمل مع ذلك ولا يعرضها ما يعرض الحديث المعاد وقال ابن عباس ثني فيه الامر مرارا ولا ينصرف مثاني لانه جمع لا نظير له فى الواحد * وقوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم عبارة عن قف شعر الانسان عند ما يداخله خوف ولين قلب عند سماع موعظة اوزجر قرءان ونحوه وهذه علامة وقوع المعنى المخشع فى قلب السامع وفى الحديث ان ابي بن كعب قرأ عند النبي صلى الله عليه وسلم فرقت القلوب فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتنموا الدعاء عند الرقة فانها رحمة وقال العباس ابن عبد المطلب قال النبي صلى الله عليه وسلم من اقشعر جلده من خشية الله تعالى

تحاتت عنه ذنوبه كما تتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقالت اسماء بنت ابي بكر كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم عند سماع القرءان قيل لها ان اقواما اليوم اذا سمعوا القرءان خر احدهم مغشيا عليه فقالت اعوذ بالله من الشيطان وعن ابن عمر نحوه وقال ابن سيرين بيننا وبين هؤلاء الذين يصرعون عند قراءة القرءان ان يجمل احدهم على حائط مادا رجليه ثم يقرأ عليه القرءان كله فان رمى بنفسه فهو صادق (ت) وهذا كله تغليظ على المراءين والمتصنعين ولا خلاف اعلمه بين ارباب القلوب وائمة التصوف ان المتصنع عندهم بهذه الامور ممقوت واما من غلبه الحال لضعفه وقوي الوارد عليه حتى اذهبه عن حسه فهو ان شاء الله من السادة الاخيار والاولياء الابرار وقد وقع ذلك لكثير من الاخيار يطول تعدادهم كابن وهب واحمد بن معتب المالكيين ذكرهما عياض فى مداركه وانهما ما تا من ذلك وكذلك مالك بن دينار مات من ذلك ذكره عبد الحق فى العاقبة وغيرهم ممن لا يحصى كثرة ومن كلام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله فى قواعده الصغرى قال وقد يصيح بعضهم لغلبة الحال عليه والجائها اياه الى الصياح وهو فى ذلك معذور ومن صاح لغير ذلك فمتصنع ليس من القوم فى شيء وكذلك من اظهر شيأ من الاحوال رياء او تسميعا فانه ملحق بالفجار دون الابرار انتهى * وقوله تعالى ذلك هدى الله يحتمل ان يشير الى القرءان ويحتمل ان يشير الى الخشية واقشعرار الجلود اي ذلك امارة هدى الله قال الغزالي فى الاحياء والمستحب من التالى للقرءان ان يتأثر قلبه بءاثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغير ذلك ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه انتهى قال الشيخ الولي عبد الله بن ابي جمرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم فى

قيامه يكسوه من كل ءاية يقرأها حال يناسب معنى تلك الآيـة وكذلك ينبغى ان تكون تلاوة القرءان وان لا يكون تاليه كمثل الحمار يحمل إسفارا انتهى * وقوله تعالى افمن يتق بوجهه سوء العـذاب الآيـة تقرير بمعنى التعجيب والمعنى افمن يتق بوجهه سوء العذاب كالمنعمين فى الجنة قال مجاهد يتق بوجهه اي يجر على وجهه فى النـار وقالت فرقـة ذلك لما روي ان الكافـر يلق فى النار مكـتوفا مربوطة يداه الى رجليه مع عنقه ويكب على وجهه فليس له شيء يتقى به الاوجهه وقالت فرقـة المعنى فى ذلك صفة كثرة ما ينالهم من العذاب يتقيه بكل جارحة منـه حتى بوجهه الذى هو اشرف جوارحه وهذا المعنى ابين بلاغـة ثم مثـل لقريش بالامم الذين من قبلهم وما نالهم مـن العـذاب فى الدنيا المتصل بعذاب الآخرة الذى هو اكبر ونفى الله سبحانه عن القرءان العوج لانـه لا اختـلاف فيـه ولا تناقض ولا مغمز بوجـه * وقوله سبحانـه ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون الآيـة هذا مثل ضربـه الله سبحانه فى التوحيد فمثل تعالى الكافر العابد للاوثان والشياطين بعبد لرجال عدة فى اخلاقهم شكاسة وعـدم مسامحة فهم لذلك يعذبون ذلك العبد بتضايقهم فى اوقاتهم ويضايقون العبد فى كثرة العمل فهو ابدا فى نصب منهم وعناء فكذلك عابد الاوثان الذى يعتقد ان ضره ونفعه عندها هو معذب الفكر بها وبحراسة حاله منها ومتى توهم انه ارضى صنما بالذبح له فى زعمه تفكر فيما يصنع مع الآخر فهو ابدا تعب فى ضلال وكذلك هو المصانع للناس الممتحن بخدمـة الملوك ومثل تعالى المومن بالله وحده بعبـد لرجل واحد يكلفه شغله فهو يعمله على تُؤَدة وقد ساس مولاه فالمولى يغفر زلته ويشكـره على اجادة عمله ومثـلا مفعول بضـرب ورجـلا نصب على البـدل ومتشاكسون معنـاه لاسمح فى اخلاقهم بل فيها لجاج وقرأ ابن كثير وابو عمرو سالما اي سالما من الشركـة ثم وقف تعالى الكفار بقوله هـل يستويان مثـلا

ونصب مثلا على التمييز وهذا التوقيف لا يجيب عنه احد الا بانهما لا يستويان فلذلك عاملتهم العبارة الوجيزة على انهم قد اجابوا فقال الحمد لله اى على ظهور الحجة عليكم من اقوالكم وباقى الآية بين والاختصام فى الآية قيل عام فى المومنين والكافرين قال (ع) ومعنى الآية عندى ان الله تعالى توعدهم بانهم سيتخاصمون يوم القيامة فى معنى ردهم فى وجه الشريعة وتكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي من حديث عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يارسول الله اتكرر علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا قال نعم قال ان الامر اذن لشديد انتهى * وقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله الآية الاشارة بهذا الكذب الى قولهم ان لله صاحبة وولدا وقولهم هذا حلال وهذا حرام افتراء على الله ونحو ذلك وكذبوا ايضا بالصدق وذلك تكذيبهم بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم توعدهم سبحانه توعدا فيه احتقارهم بقوله اليس فى جهنم مثوى للكافرين وقرأ ابن مسعود والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به والصدق هنا القرءان والشرع بجملته وقالت فرقة الذى يراد به الذين وحذفت النون قال (ع) وهذا غير جيد وتركيب جاء عليه يرد ذلك بل الذى هاهنا هي للجنس والآية معادلة لقوله فمن اظلم قال قتادة وغيره الذى جاء بالصدق هو محمد عليه السلام والذى صدق به هم المومنون وهذا اصوب الاقوال وذهب قوم الى ان الذى صدق به ابو بكر وقيل علي وتعميم اللفظ اصوب * وقوله سبحانه اولائك هم المتقون قال ابن عباس اتقوا الشرك * وقوله تعالى ليكفر يحتمل ان يتعلق بقوله المحسنين اي الذين احسنوا لكي يكفر وقاله ابن زيد ويحتمل ان يتعلق بفعل مضمر مقطوع مما قبله تقديره يسرهم الله لذلك ليكفر لان التكفير لا يكون الا بعد التيسير للخير * وقوله تعالى اليس الله

بكاف عبده تقوية لنفس النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة والكسائي عباده يريد الانبياء وانت يامحمد احدهم فيدخل فى ذلك المومنون المطيعون والمتوكلون على الله سبحانه * وقوله سبحانه ويخوفونك بالذين من دونه اي بالذين يعبدون وباقى الآية بين وقد تقدم تفسير نظيره * وقوله تعالى فمن اهتدى فلنسه اي فلنفسه عمل وسعى ومن ضل فعليها جنى ثم نبه تعالى على ءاية من آياته الكبرى تدل الناظر على الوحدانية وان ذلك لا شركة فيه لصنم وهي حالة التوفى وذلك ان ما توفاه الله تعالى على الكمال فهو الذى يموت وما توفاه توفيا غير مكمل فهو الذى يكون فى النوم قال ابن زيد النوم وفاة والموت وفاة وكثر الناس فى هذه الآية وفى الفرق بين النفس والروح وفرق قوم بين نفس التمييز ونفس التخيل الى غير ذلك من الاقوال التى هي غلبة ظن وحقيقة الامر فى هذا هي مما استاثر الله به وغيبه عن عباده فى قوله قل الروح من امر ربى ويكفيك ان فى هذه الآية يتوفى الانفس وفى الحديث الصحيح ان الله قبض ارواحنا حين شاء وردها علينا حين شاء وفى حديث بلال فى الوادى فقد نطقت الشريعة بقبض الروح والنفس وقد قال تعالى قل الروح من امر ربى والظاهر ان الخوض فى هذا كله عناء وان كان قد تعرض للقول فى هذا ونحوه ائمة ذكر الثعلبي عن ابن عباس انه قال فى ابن ءادم نفْس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي التى بها العقل والتمييز والروح هي التى بها النَفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله تعالى نفسه ولم يقبض روحه وجاء فى ءاداب النوم واذكار النائم احاديث صحيحة ينبغى للعبد ان لا يخلي نفسه منها وقد روى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أوى الرجل الى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك اختم بخير ويقول الشيطان اختم بشر فان ذكر الله تعالى ثم نام بات الملك يكلؤه فان استيقظ قال

الملك افتح بخير وقال الشيطان افتح بشر فان قال الحمد لله الذى رد الي نفسى ولم يمتها فى منامها الحمد لله الذى يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا الحمد لله الذى يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم فان وقع من سريره فمات دخل الجنة رواه النساءي واللفظ له والحاكم فى المستدرك وابن حبان فى صحيحه وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وزاد ءاخره الحمد لله الذى يحي الموتى وهو على كل شيء قدير انتهى من السلاح وفيه عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين ياوى الى فراشه لااله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر غفرت له ذنوبه اوخطاياه شك مسعر وان كانت مثل زبد البحر رواه ابن حبان فى صحيحه ورواه النساءي موقوفا انتهى وروى الترمذي عن ابى امامة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من أوى الى فراشه طاهرا يذكر الله حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسئل الله شيأ من خير الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه انتهى والاجل المسمى فى هذه الآية هو عمر كل انسان والضمائر فى قوله تعالى اولوكانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون للاصنام * وقوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يومنون بالآخرة الآية قال مجاهد وغيره نزلت فى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم عند الكعبة بمحضر من الكفار وقرأ افرأيتم اللات والعزى الآية والقى الشيطان يعنى فى اسماع الكفار تلك الغرانقة العلى على مامر فى سورة الحج فاستبشروا واشمأزت نفوسهم معناه تقبضت كبرا وانفة وكراهية ونفورا * وقوله تعالى قل اللهم فاطر السموات الآية امر لنبيه عليه السلام بالدعاء

اليه ورد الحكم الى عدله ومعنى هذا الامر تضمن الاجابة * وقوله تعالى وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قال الثعلبي قال السدي ظنوا اشياء انها حسنات فبدت سيئات قال (ع) قال سفيان الثوري ويل لاهل الرياء من هذه الآية وقال عكرمة بن عمار جزع محمد بن المنكدر عند الموت فقيل له ما هذا فقال اخاف هذه الآية وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون * وقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا الآية قال الزجاج التخويل العطاء عن غير مجازاة والنعمة هنا عامة فى المال وغيره وتقوى الاشارة الى المال بقوله انما اوتيته على علم قال قتادة يريد انما اوتيته على علم مني بوجه المكاسب والتجارات ويحتمل ان يريد على علم من الله في واستحقاقٍ حزته عند الله ففى هذا التاويل اغترار بالله وفى الاول اعجاب بالنفس ثم قال تعالى بل هي فتنة اي ليس الامر كما قال بل هذه الفعلة به فتنة له وابتلاء ثم اخبر تعالى عمن سلف من الكفرة انهم قد قالوا هذه المقالة كقارون وغيره فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من الاموال والذين ظلموا من هؤلاء المعاصرين لك يامحمد سيصيبهم سيئات ما كسبوا قال ابو حيان فما اغنى يحتمل ان تكون ما نافية او استفهامية فيها معنى النفي انتهى * وقوله تعالى قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله الآية هذه الآية عامة فى جميع الناس الى يوم القيامة فتوبة الكافر تمحو ذنبه وتوبة العاصى تمحو ذنبه على ما تقدم تفصيله واختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال عطاء بن يسار نزلت فى وحشي قاتل حمزة وقال ابن اسحاق وغيره نزلت فى قوم بمكة امنوا ولم يهاجروا وفتنتهم قريش فافتتنوا ثم ندموا وظنوا انهم لا توبة لهم فنزلت الآية فيهم منهم الوليد بن الوليد وهشام بن العاصى وهذا قول عمر بن الخطاب وانه كتبها بيده الى هشام بن العاصى الحديث وقالت فرقة نزلت فى قوم كفار من

اهل الجاهلية قالوا وما ينفعنا الاسلام ونحن قد زنينا وقتلنا النفس واتينا كل كبيرة فنزلت الآية فيهم وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عمر هذه ارجى ءاية فى القرءان وروى ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما احب ان لى الدنيا وما فيها بهذه الآية ياعبادي واسرفوا معناه افرطوا والقنط اعظم اليأس وقرأ نافع والجمهور تقنطوا بفتح النون قال ابو حاتم فيلزمهم ان يقرءوا من بعد ما قنطوا بكسرها ولم يقرأ به احد وقرأ ابو عمرو تقنطوا بالكسر * وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا عموم بمعنى الخصوص لان الشرك ليس بداخل فى الآية اجماعا وهي ايضا فى المعاصى مقيدة بالمشيئة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى وقرأ ابن مسعود ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء وانيبوا معناه ارجعوا * وقوله سبحانه واتبعوا احسن معناه ان القرءان العزيز تضمن عقائد نيرة واوامر ونواهي منجية وعدات على الطاعات والبر وتضمن ايضا حدودا على المعاصى ووعيدا على بعضها فالاحسن للمرء ان يسلك طريق الطاعة والانتهاء عن المعصية والعفو فى الامور ونحو ذلك من ان يسلك طريق الغفلة والمعصية فيحد او يقع تحت الوعيد فهذا المعنى هو المقصود باحسن وليس المعنى ان بعض القرءان احسن من بعض من حيث هو قرءان (ت) وروى ابو بكر بن الخطيب بسنده عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل ياحسرتَى قال الحسرة ان يرى اهل النار منازلهم من الجنة قال فهي الحسرة انتهى * وقوله فرطت فى جنب الله اي فى جهة طاعته وتضييع شريعته والايمان به وقال مجاهد فى جنب الله اي فى امر الله وقول الكافر وان كنت لمن الساخرين ندامة على استهزائه بامر الله تعالى وكرة مصدر من كر يكر وهذا الكون فى هذه الآية داخل فى التمني وباقى الآية انواره لائحة وحججه واضحة ثم خاطب تعالى نبيه بخبر ما

يراه يوم القيامة من حالة الكفار وفى ضمن هذا الخبر وعيد بين لمعاصريه عليه السلام فقال ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ترى من رؤية العين وظاهر الآية ان وجوههم تسود حقيقة * وقوله سبحانه وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم الآية ذكر تعالى حالة المتقين ونجاتهم ليعادل بذلك ما تقدم من شقاوة الكافرين وفى ذلك ترغيب فى حالة المتقين لان الاشياء تتبين باضدادها ومفازتهم مصدر من الفوز وفى الكلام حذف مضاف تقديره وينجى الله الذين اتقوا باسباب مفازتهم والمقاليد المفاتيح وقاله ابن عباس واحدها مقلاد كمفتاح وقال عثمان بن عفان سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن مقاليد السموات والارض فقال هي لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن يحي ويميت وهو على كل شيء قدير * وقوله تعالى ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك قالت فرقة المعنى ولقد اوحي الى كل نبيء لئن اشركت ليحبطن عملك (ت) قد تقدم غير ما مرة ان ما ورد من مثل هذا فهو محمول على ارادة الامة لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم وانما المراد من يمكن ان يقع ذلك منه وخوطب هو صلى الله عليه وسلم تعظيما للامر قال (ص) ليحبطن جواب القسم وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه انتهى * وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره معناه وما عظموا الله حق عظمته ولا وصفوه بصفاته ولا نفوا عنه ما لا يليق به قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى كفار قريش الذين كانت هذه الآيات كلها محاورة لهم وردا عليهم وقالت فرقة نزلت فى قوم من اليهود تكلموا فى صفات الله تعالى فالحدوا وجسموا واتوا بكل تخليط * وقوله تعالى والارض جميعا قبضته معناه فى قبضته واليمين هنا والقبضة عبارة عن القدرة والقوة وما اختلج فى الصدور من غير ذلك باطل وصعق فى هذه الآية معناه خر ميتا

والصور القرن ولا يتصور هنا غير هذا ومن يقول الصور جمع صورة فانما يتوجه قوله فى نفخة البعث وقد تقدم بيان نظير هذه الآيـة فى غير هذا الموضع * وقوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى هي نفخة البعث وفى الحديث ان بين النفختين اربعين لا يدرى ابو هريرة سنة او شهرا او يوما او ساعة (ت) ولفظ مسلم عن ابى هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا يا ابا هريرة اربعون سنة قال ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون يوما قال ابيت الحديث قال صاحب التذكرة فقيل معنى قوله ابيت اي امتنعت من بيان ذلك اذ ليس هو مما تدعو اليه حاجة وعلى هذا كان عنده علم ذلك وقيـل المعنى ابيت ان اسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وعلى هذا فلا علم عنده والاول اظهر وقد جاء ان ما بين النفختين اربعين عاما انتهى وقـد تقـدم ان الصحيح فى المستثنى فى الآيـة انهم الشهداء قال الشيخ ابو محمد بن بزيزة فى شرح الاحكام الصغرى لعبد الحق الذى تلقيناه من شيوخنا المحققين ان العوالم التى لا تفنى سبعة العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار والارواح انتهى واشرقت الارض بنور ربها معناه اضاءت وعظم نورها والارض فى هذه الآية الارض المبـدلة من الارض المعروفـة * وقوله بنور ربهـا اضافـة مخلوق الى خالق والكتاب كتاب حساب الخلائـق ووحده على اسم الجنس لان كل احد له كتاب على حدة وجيء بالنبيـئين اي ليشهدوا على اممهم والشهداء قيل هو جمع شاهد وقيل هو جمع شهيد فى سبيـل الله والاول ابين فى معنى التوعـد والضمير فى قوله بينهم عائد على العالم باجمعه اذ الآيـة تدل عليهم وزمرا معنـاه جماعات متفرقـة واحدتهـا زمرة * وقوله فتحت جواب اذا والكلام هنـا يقتضى ان فتحهـا انما يكون بعـد مجيئهم وفى وقوفهم قبل فتحها مذلة لهم وهكـذا هي حال السجون ومواضع الثقاف والعذاب بخلاف قوله فى اهل

الجنة وفتحت فالواو موذنة بانهم يجدونها مفتوحة كمنازل الافراح والسرور * وقوله تعالى وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ءايات ربكم الآية فى قوله منكم اعظم فى الحجة اي رسل من جنسكم لا يصعب عليكم مرامهم ولافهم اقوالهم * وقوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم لفظ يعم كل من يدخل الجنة من المومنين الذين اتقوا الشرك والواو فى قوله وفتحت موذنة بانها قد فتحت قبل وصولهم اليها وقالت فرقة هي زائدة وقال قوم اشار اليهم ابن الانباري وضعف قولهم هذه واو الثمانية وقد تقدم الكلام عليها وجواب اذا فتحت وعن المبرد جواب اذا محذوف تقديره بعد قوله خالدين سعدوا وسقطت هذه الواو فى مصحف ابن مسعود وسلام عليكم تحية وطبتم معناه اعمالا ومعتقدا ومسقرا وجزاء واورثنا الارض يريد ارض الجنة ونتبوأ معناه نتخذ امكنة ومساكن ثم وصف تعالى حالة الملائكة من العرش وحفوفهم به والحفوف الاحداق بالشيء وهذه اللفظة ماخوذة من الحفاف وهو الجانب قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا معمر عن ابى اسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي انه تلا هذه الآية وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها قال وجدوا عند باب الجنة شجرة يخرج من ساقها عينان فعمدوا الى احداهما كانما امروا بها فاغتسلوا بها فلم تشعث رءوسهم بعدها ابدا ولم تتغير جلودهم بعدها ابدا كانما دهنوا بالدهن ثم عمدوا الى الاخرى فشربوا منها فطهرت اجوافهم وغسلت كل قذر فيها وتتلقاهم على كل باب من ابواب الجنة ملائكة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم يجيء من الغيبة يقولون ابشر اعد الله لك كذا وكذا واعد الله لك كذا ثم يذهب الغلام منهم الى الزوجة من ازواجه فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا فتقول له انت رأيته فيستخفها الفرح حتى تقوم

على اسكفة بابها ثم ترجع فيجيء فينظر الى تاسيس بنيانه من جندل اللؤلؤ اخضر واصفر واحمر من كل لون ثم يجلس فينظر فاذا زرابي مبثوثة واكواب موضوعة ثم يرفع رأسه فلولا ان الله قدر ذلك لاذهب بصره انما هو مثل البرق ثم يقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله انتهى * وقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم قالت فرقة معناه ان تسبيحهم يتأتى بحمد الله وفضله وقالت فرقة تسبيحهم هو بترديد حمد الله وتكراره قال الثعلبي متلذذين لا متعبدين مكلفين * وقوله تعالى وقيل الحمد لله رب العالمين ختم للامر وقول جزم عند فصل القضاء اي ان هذا الملك الحاكم العادل ينبغى ان يحمد عند نفوذ حكمه واكمال قضائه بين عباده ومن هذه الآية جعلت الحمد لله رب العالمين خاتمة المجالس والمجتمعات فى العلم قال قتادة فتح الله اول الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذى خلق السموات والارض وختم القيامة بالحمد فى هذه الآية قال (ع) وجعل سبحانه الحمد لله رب العالمين فاتحة كتابه فبه يبدأ كل امر وبه يختم وحمد الله تعالى وتقديسه ينبغى ان يكون من المومن كما قيل

وءاخر شيء انت فى كل ضجعة * واول شيء انت عند هبوب

تفسير سورة غافر وهي مكية

روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحواميم ديباج القرءان ومعنى هذه العبارة انها خلت من الاحكام وقصرت على المواعظ والزجر وطرق

الآخرة محضا وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان يرتع فى رياض مونقة من الجنة فليقرإ الحواميم

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى حم تقدم القول فى الحروف المقطعة ويختص هذا الموضع بقول آخر قاله الضحاك والكسائي ان حم هجاء حم بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة كانه يقول حم الامر ووقع تنزيل الكتاب من الله وقال ابن عباس الروحم ون هي حروف الرحمن مقطعة فى سور وسأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم عن حم ما هو فقال بدْأ اسماء وفواتح سور وذى الطول معناه ذى التطول والمن بكل نعمة فلا خير الامنه سبحانه فترتب فى هذه الآية وعيد بين وعدين وهكذا رحمته سبحانه تغلب غضبه قال (ع) سمعت هذه النزعة من ابى رحمه الله وهو نحو من قول عمر رضي الله عنه لن يغلب عسر يسرين (ت) هو حديث والطول الانعام وعبارة البخاري الطول التفضل وحكى الثعلبي عن اهل الاشارة انه تعالى غافر الذنب فضلا وقابل التوب وعدا شديد العقاب عدلا لا اله الا هو اليه المصير فردا وقال ابن عباس الطول السعة والغنى وتقلب الذين كفروا فى البلاد عبارة عن تمتعهم بالمساكن والمزارع والاسفار وغير ذلك وهمت كل امة برسولهم لياخذوه اي ليهلكوه كما قال تعالى فاخذتهم والعرب تقول للقتيل اخيذ وللاسير كذلك قال قتادة لياخذوه معناه ليقتلوه وليدحضوا معناه ليزلقوا ويذهبوا والمدحضة المزلة والمزلقة * وقوله فكيف كان عقاب تعجيب وتعظيم وليس باستفهام عن كيفية وقوع الامر * وقوله سبحانه وكذلك حقت كلمات ربك على الذين كفروا الآية فى مصحف ابن مسعود وكذلك سبقت كلمة ربك والمعنى وكما اخذت اولائك المذكورين

فاهلكتهم فكذلك حقت كلماتى على جميع الكفار من تقدم منهم ومن تأخر انهم اصحاب النار * وقوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويومنون به الآية اخبر الله سبحانه بخبر يتضمن تشريف المومنين ويعظم الرجاء لهم وهو ان الملائكة الحاملين للعرش والذين حول العرش وهؤلاء افضل الملائكة يستغفرون للمومنين ويسئلون الله لهم الرحمة والجنة وهذا معنى قوله تعالى فى غير هذه الآية كان على ربك وعدا مسئولا اي سألته الملائكة قال (ع) وفسر فى هذه الآية المجمل الذى فى قوله تعالى ويستغفرون لمن فى الارض لان الملائكة لا تستغفر لكافر وقد يجوز ان يقال ان استغفارهم لهم بمعنى طلب هدايتهم وبلغنى ان رجلا قال لبعض الصالحين ادع لى واستغفر لى فقال له تب واتبع سبيل الله يستغفر لك من هو خير منى وتلا هذه الآية وقال مطرف بن الشخير وجدنا انصح العباد للعباد الملائكة واغش العباد للعباد الشياطين وتلا هذه الآية وروى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لى ان احدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة اذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة سنة قال الداودي وعن هارون بن رياب قال حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسن فاربعة يقولون سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك واربعة يقولون سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك انتهى وروى ابو داود عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لى ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام انتهى وقد تقدم * وقولهم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما معناه وسعت رحمتك وعلمك كل شيء * وقوله ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم روي عن سعيد بن جبير فى ذلك ان الرجل يدخل الجنة قبل قرابته فيقول اين ابي اين امي اين ابني اين زوجي فيلحقون به

لصلاحهم ولتنبيهه عليهم وطلبه اياهم وهذه دعوة الملائكة * وقولهم وقهم السيئات معناه اجعل لهم وقاية تقيهم السيئات واللفظ يحتمل ان يكون الدعاء فى ان يدفع الله عنهم انفس السيئات حتى لا ينالهم عذاب من اجلها ويحتمل ان يكون الدعاء فى دفع العذاب اللاحق من السيئات فيكون فى اللفظ على هذا حذف مضاف كانه قال وقهم جزاء السيئات قال الفخر وقوله تعالى ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته يعنى من تق السيئات فى الدنيا فقد رحمته فى يوم القيامة انتهى وهذا راجع الى التاويل الاول * وقوله تعالى ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم الآية روي ان هذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار فانهم اذا دخلوا فيها مقتوا انفسهم وتناديهم ملائكة العذاب على جهة التوبيخ لمقت الله اياكم فى الدنيا اذ كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم اليوم هذا هو معنى الآية وبه فسر مجاهد وقتادة وابن زيد واللام فى قوله لمقت يحتمل ان تكون لام ابتداء ويحتمل ان تكون لام قسم وهو اصوب واكبر خبر الابتداء واختلف فى معنى قولهم امتنا اثنتين الآية فقال ابن عباس وغيره ارادوا موتة كونهم فى الاصلاب ثم احياءهم فى الدنيا ثم اماتتهم الموت المعروف ثم احياءهم يوم القيامة وهي كالتى فى سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الآية وقال السدي ارادوا انه احياهم فى الدنيا ثم اماتهم ثم احياهم فى القبر وقت السؤال ثم اماتهم فيه ثم احياهم فى الحشر قال [illegible] وهذا فيه الاحياء ثلاث مرار والاول اثبت وهذه الآية متصلة المعنى بالتى قبلها وبعد قولهم فهل الى خروج من سبيل محذوف يدل عليه الظاهر تقديره لا اسعاف لطلبتكم اونحو هذا من الرد * وقوله تعالى ذلكم يحتمل ان يكون اشارة الى العذاب الذى هم فيه اوالى مقتهم انفسهم اوالى المنع والزجر والاهانة * وقوله تعالى ذلكم بانه اذ ادعي

الله وحده معناه بحالة توحيد ونفي لما سواه كفرتم وان يشرك به اللات والعزى وغيرها صدقتم فالحكم اليوم بعذابكم وتخليدكم فى النار لله لا لتلك التى كنتم تشركونها معه فى الالوهية * وقوله سبحانه فادعوا الله مخلصين له الدين الآية مخاطبة للمومنين اصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا معناه اعبدوا * وقوله تعالى رفيع الدرجات يحتمل ان يريد بالدرجات صفاته العلى وعبر بما يقرب من افهام السامعين ويحتمل ان يريد رفيع الدرجات التى يعطيها للمومنين ويتفضل بها على عباده المخلصين فى جنته والعرش هو الجسم المخلوق الاعظم الذى السموات السبع والكرسي والارضون فيه كالدنانير فى الفلاة من الارض * وقوله تعالى يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده قال الضحاك الروح هنا هو الوحي القرءان وغيره مما لم يتل وقال قتادة والسدي الروح النبوءة ومكانتها كما قال تعالى روحا من امرنا وسمي هذا روحا لانه تحي به الامم والازمان كما يحي الجسد بروحه ويحتمل ان يكون القاء الروح عاما لكل ما ينعم الله به على عباده المهتدين فى تفهيمه الايمان والمعقولات الشريفة والمنذر بيوم التلاق على هذا التاويل هو الله تعالى قال الزجاج الروح كل ما فيه حياة الناس وكل مهتد حي وكل ضال كالميت * وقوله من امره ان جعلته جنسا للامور فمن للتبعيض او لابتداء الغاية وان جعلت الامر من معنى الكلام فمن اما لابتداء الغاية واما بمعنى الباء ولا تكون للتبعيض بتة وقرأ الجمهور لتنذر بالتاء على مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ ابي بن كعب وجماعة لينذر بالياء ويوم التلاق معناه تلاقى جميع العالم بعضهم بعضا وذلك امر لم يتفق قط قبل ذلك اليوم * وقوله يوم هم بارزون معناه فى براز من الارض يسمعهم الداعى وينفذهم البصر * وقوله تعالى لمن الملك اليوم روي ان الله تعالى يقرر هذا التقرير ويسكت العالم هيبة وجزعا فيجيب

سبحانـه هو نفسه بقوله لله الواحد القهار ثم يعلم الله تعالى اهل الموقف بان اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وباقى الآية تكرر معناه فانظره فى مواضعه ثم امر الله تعالى نبيه عليه السلام بانـذار العالم وتحذيرهم من يوم القيامة واهواله والآزفة القريبة من ازف الشيء اذا قرب والآزفة فى الآيـة صفة لمحذوف قد علم واستقر فى النفوس هوله والتقدير يوم الساعة الآزفة او الطامة الآزفة ونحو هذا * وقوله سبحانه اذ القلوب لدى الحناجر معناه عند الحناجر اي قد صعدت من شدة الهول والجزع والكاظم الذي يرد غيظه وجزعه فى صدره فمعنى الآية انهم يطمعون فى رد ما يجدونه فى الحناجر والحال تغالبهم ويطاع فى موضع الصفة لشفيع لان التقدير ولا شفيع مطاع قال ابو حيان يطاع فى موضع صفة لشفيع فيحتمل ان يكون فى موضع خفض على اللفظ او فى موضع رفع على الموضع ثم يحتمل النفي ان يكون منسحبا على الوصف فقط فيكون ثم شفيع ولكنه لا يطاع ويحتمل ان ينسحب على الموصوف وصفته اي لا شفيع فيطاع انتهى وهذا الاحتمال الاخير هو الصواب قال (ع) وهـذه الآية كلها عنـدى اعتراض فى الكلام بليغ * وقوله يعلم خائنـة الاعين متصل بقوله سريع الحساب وقالت فرقـة يعلم متصل بقوله لا يخفى على الله منهم شيء وهـذا قول حسن يقويـه تناسب المعنيين ويضعفـه بعد الآيـة من الآيـة وكثرة الحائـل والخائنـة مصدر كالخيانـة ويحتمل ان تكون خائنـة اسم فاعل اي يعلم الاعين اذا خانت فى نظـرها قال ابو حيـان والظـاهر ان خائنـة الاعين من اضافـة الصفة الى الموصوف اي الاعين الخائنـة كقوله * وان سقيت كرام الناس فاسقينا * اي الناس الكرام وجوزوا ان يكون خائنة مصدرا كالعافية اي يعلم خيانة الاعين انتهى وهـذه الآيـة عبارة عن علم الله تعالى بجميع الخفيات فمن ذلك كسر الجفون والغمز بالعين او النظرة التى تفهم معنى

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى شأن رجل ارتد ثم جاء ليسلم هلا قام اليه رجل منكم حين تلكأت عنه فضرب عنقه فقالوا يارسول الله الا اومأت الينا فقال صلى الله عليه وسلم ما ينبغى لنبيء ان تكون له خائنة الاعين وفى بعض الكتب المنزلة من قول الله عز وجل انا مرصاد الهمم انا العالم بمجال الفكر وكسر الجفون وقال مجاهد خائنة الاعين مسارقة النظر الى ما لا يجوز ثم قوى تعالى هذا الاخبار بقوله وما تخفى الصدور مما لم يظهر على عين ولا غيرها واسند ابو بكر بن الخطيب عن مولي ام معبد الخزاعية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو اللهم طهر قلبى من النفاق وعملى من الرياء ولسانى من الكذب وعيني من الخيانة فانك تعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور انتهى قال القشيري فى التحبير ومن علم اطلاع الحق تعالى عليه يكون مراقبا لربه وعلامته ان يكون محاسبا لنفسه ومن لم تصح محاسبته لم تصح مراقبته وسئل بعضهم عما يستعين به العبد على حفظ البصر فقال يستعين عليه بعلمه ان نظر الله اليه سابق على نظره الى ما ينظر اليه انتهى * وقوله سبحانه والله يقضى بالحق اي يجازى الحسنة بعشر والسيئة بمثلها وينصف المظلوم من الظالم الى غير ذلك من اقضية الحق والعدل والاصنامُ لا تقضى بشيء ولا تنفذ امرا ويدعون معناه يعبدون * وقوله سبحانه اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وءاثارا فى الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق الضمير فى يسيروا لكفار قريش والآثار فى الارض هى المبانى والمـآثر والصيت الدنيوي وذنوبهم كانت تكذيب الانبياء والواقى الساتر المانع ماخوذ من الوقاية وباقى الآية بين وخص تعالى هامان وقارون بالذكر تنبيها على مكانهما من الكفر ولكونهما اشهر رجال فرعون وقيل ان قارون هذا ليس بقارون بنى اسراءيل وقيل هو ذلك ولكنه كان

منقطعا الى فرعون خادما له مستغنيا معه * وقوله ساحراي فى امر العصا وكذاب فى قوله انى رسول الله ثم اخبر تعالى عنهم انهم لما جاءهم موسى بالنبوءة والحق من عند الله قال هؤلاء الثلاثة واجمع رأيهم على ان يُقتل ابناء بنى اسرائيل اتباع موسى وشبانهم واهل القوة منهم وان يستحيى النساء للخدمة والاسترقاق وهذا رجوع منهم الى نحو القتل الاول الذى كان قبل ميلاد موسى ولكن هذا الاخير لم تتم لهم فيه عزمة ولا اعانهم الله تعالى على شيء منه قال قتادة هذا قتل غير الاول الذى كان حذر المولود وسموا من ذكرنا من بنى اسرائيل ابناء كما تقول لانجاد القبيلة او المدينة واهل الظهور فيها هؤلاء ابناء فلانة * وقوله تعالى وما كيد الكافرين الا فى ضلال عبارة وجيزة تعطى قوتها ان هؤلاء الثلاثة لم يقدرهم الله تعالى على قتل احد من بنى اسرائيل ولا نجحت لهم فيهم سعاية * وقوله تعالى وقال فرعون ذرونى اقتل موسى الآية الظاهر من امر فرعون انه لما بهرتهم ءايات موسى عليه السلام انهد ركنه واضطربت معتقدات اصحابه ولم يفقد منهم من يجاذبه الخلاف فى امره وذلك بين من غير ما موضع من قصتهما وفى هذه الآية على ذلك دليلان احدهما قوله ذرونى فليست هذه من الفاظ الجبابرة المتمكنين من انفاذ اوامرهم والدليل الثانى مقالة المومن وما صدع به وان مكاشفته لفرعون اكثر من مساترته وحكمه بنبوءة موسى اظهر من توريته فى امره واما فرعون فانما نحا الى المخرقة والتمويه والاضطراب ومن ذلك قوله ذرونى اقتل موسى وليدع ربه اي انى لا ابالى برب موسى ثم رجع الى قومه يريهم النصيحة والحماية لهم فقال اني اخاف ان يبدل دينكم والدين السلطان ومنه قول زهير

لئن حللت بجو فى بنى اسد * فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

وقرأ حمزة والكساءي وعاصم او ان يظهر وقرأ الباقون وان يظهر فعلى القراءة

الاولى خاف فرعون احد امرين وعلى الثانيـة خاف الامرين معا ولما سمع موسى مقالة فرعون دعا وقال انى عذت بربى وربكم الآية ثم حكى الله سبحانـه مقالة رجل مومن من آل فرعون شرفه بالذكر وخلد ثناءه فى الامم غابر الدهر قال (ع) سمعت ابى رحمه الله يقول سمعت ابا الفضل ابن الجوهري على المنبر يقول وقد سئل ان يتكلم فى شيء من فضائل الصحابة فاطرق قليلا ثم رفع رأسه وانشد

عن المرء لاتسئل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتـد

ماذا تريد من قوم قرنهم الله بنبيه وخصهم بمشاهدة وحيه. وقد اثنى الله تعالى على رجل مومن من آل فرعون كتم ايمانه واسره فجعله تعالى فى كتابه واثبت ذكره فى المصاحف لكلام قاله فى مجلس من مجالس الكفر واين هو من عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ جرد سيفـه بمكة وقال والله لا اعبد الله سرا بعد اليوم قال مقاتل كان هذا المومن ابن عم فرعون قال الفخر قيل انه كان ابن عم لفرعون وكان جاريا مجرى ولي العهد له ومجرى صاحب السر له وقيل كان قبطيا من قوم فرعون وقيل انه كان من بنى اسراءيل والقول الاول اقرب لان لفظ الآل يقع على القرابة والعشيرة انتهى قال الثعلبي قال ابن عباس واكثر العلماء كان اسمه حزقيل وقيل حزبقال وقيل غير هذا انتهى * وقوله يصبكم بعض الذى يعدكم قال ابو عبيدة وغيره بعض هنا بمعنى كل وقال الزجاج هو الزام الحجة بايسر ما فى الامر وليس فيـه نفى اصابـة الكل قال (ع) ويظهر لى ان المعنى يصبكم القسم الواحد مما يعدبـه لانـه عليـه السلام وعدهم ان آمنوا بالنعيم وان كفروا بالعذاب الاليم فان كان صادقا فالعذاب بعض ما وعد بـه وقول المومن ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض استنزال لهم ووعظ * وقوله فى الارض يريد ارض مصر وهذه الاقوال تقتضى زوال هيبة فرعون

ولذلك استكان هو وراجع بقوله ما اريكم الاما ارى واختلف الناس من المراد
بقوله تعالى وقال الذى ءامن فقال الجمهور هو المومن المذكور قص الله تعالى
اقاويله الى ءاخر الآيات وقالت فرقة بل كلام ذلك المومن قد تم وانما اراد
تعالى بالذى ءامن موسى عليه السلام محتجين بقوة كلامه وذكر عذاب
الآخرة وغير ذلك ولم يكن كلام الاول الا بملاينة لهم * وقوله مثل يوم الاحزاب
اي مثل يوم من ايامهم لان عذابهم لم يكن فى عصر واحد والمراد بالاحزاب
المتحزبون على الانبياء ومثل الثانى بدل من الاول والدأب العادة ويوم التنادى
معناه يوم ينادى قوم قوما ويناديهم الآخرون واختلف فى التنادى المشار اليه
فقال قتادة هو نداء اهل الجنة اهل النار فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل
هو النداء الذى يتضمنه قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم قال (ع)
ويحتمل ان يكون المراد التذكير بكل نداء فى القيامة فيه مشقة على الكفار
والعصاة وذلك كثير وقرأ ابن عباس والضحاك وابو صالح يوم التناد بشد
الدال وهذا معنى آخر ليس من النداء بل هو من ند البعير اذا هرب وبهذا
المعنى فسر ابن عباس والسدي هذه الآية وروت هذه الفرقة فى هذا المعنى
حديثا ان الله تعالى اذا طوى السموات نزلت ملائكة كل سماء فكانت صفا
بعد صف مستديرة بالارض التى عليها الناس للحساب فاذا رأى الخلق هول
القيامة واخرجت جهنم عنقا الى اصحابها فر الكفار وندوا مدبرين الى كل جهة
فتردهم الملائكة الى المحشر لاعاصم لهم والعاصم المنجى * وقوله ولقد
جاءكم يوسف الآية قالت فرقة منهم الطبري يوسف المذكور هنا هو
يوسف بن يعقوب عليهما السلام وروي عن وهب بن منبه ان فرعون
موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمن موسى وروى اشهب عن مالك انه
بلغه ان فرعون عمر اربعمائة سنة واربعين سنة وقالت فرقة بل هو فرعون

ءاخر * وقوله كبر مقتا اي كبر مقتا جدالهم عند الله فاختصر ذكر الجدال لدلالة تقدم ذكره عليه وقرأ ابو عمرو وحده على كل قلب بالتنوين وقرأ الباقون بغير تنوين وفى مصحف ابن مسعود على قلب كل متكبر جبار ثم ان فرعون لما اعيته الحيل فى مقاومة موسى نحا الى المخرقة ونادى هامان وزيره ان يبنى له صرحا فيروى انه طبخ الآجر لهذا الصرح ولم يطبخ قبله وبناه ارتفاع اربعمائة ذراع فبعث الله جبريل فمسحه بجناحه فكسره ثلاث كسر تفرقت اثنتان ووقعت ثالثة فى البحر والاسباب الطرق قاله السدي وقال قتادة اراد الابواب وقيل عنى لعله يجد مع قربه من السماء سببا يتعلق به وقرأ حمزة والكساءي وعاصم وصد عن السبيل بضم الصاد وفتح الدال عطفا على زين والباقون بفتح الصاد والتباب الخسران ومنه تبت يدا ابى لهب وبه فسرها مجاهد وقتادة ثم وعظهم الذى ءامن فدعا الى اتباع امر الله * وقوله اتبعون اهدكم يقوى ان المتكلم موسى وان كان الآخر يحتمل ان يقول ذلك اي اتبعونى فى اتباع موسى ثم زهدهم فى الدنيا وانها شيء يتمتع به قليلا ورغب فى الآخرة اذ هي دار الاستقرار قال الغزالي فى الاحياء من اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته فى التلاوة والذكر والتفكر فى حسن المئاب ومن اراد ان ترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب فى الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا وءاخر سيئا فامره فى خطر لكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر انتهى * وقوله تعالى وياقوم مالي ادعوكم الى النجاة الآية قد تقدم ذكر الخلاف هل هذه المقالات لموسى او لمومن ءال فرعون والدعاء الى النجاة هو الدعاء الى سببها وهو توحيد الله تعالى وطاعته وباقى الآية بين * وقوله ان ما تدعوننى المعنى وان الذى تدعوننى اليه من عبادة غير الله ليس له دعوة اي قدر وحق يجب ان يدعى احد اليه ثم توعدهم

بانهم سيذكرون قوله عند حلول العذاب بهم والضمير فى وقاه يحتمل ان يعود على موسى او على مومن ءال فرعون على ما تقدم من الخلاف وقال القائلون بانه مومن ءال فرعون ان ذلك المومن نجا مع موسى عليه السلام فى البحر وفر فى جملة من فر معه من المتبعين * وقوله تعالى فى ءال فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا الآية قوله النار رفع على البدل من قوله سوء وقيل رفع بالابتداء وخبره يعرضون قالت فرقة هذا الغدو والعشي هو فى الدنيا اي فى كل غدو وعشي من ايام الدنيا يعرض ءال فرعون على النار قال القرطبي فى التذكرة وهذا هو عذاب القبر فى البرزخ انتهى وكذا قال الامام الفخر وروي فى ذلك إن ارواحهم فى اجواف طير سود تروح بهم وتغدو الى النار وقاله الاوزاعي عافانا الله من عذابه وخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة انتهى * وقوله تعالى ويوم تقوم الساعة اي ويوم القيامة يقال ادخلوا ءال فرعون اشد العذاب وءال فرعون اتباعه واهل دينه والضمير فى قوله يتحاجون لجميع كفار الامم وهذا ابتداء قصص لا يختص بءال فرعون والعامل فى اذ فعل مضمر تقديره اذكر ثم قال جميع من فى النار لخزنتها ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فراجعتهم الخزنة على معنى التوبيخ والتقرير اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات فاقر الكفار عند ذلك وقالوا بلى اى قد كان ذلك فقال لهم الخزنة عند ذلك ادعوا انتم اذن وهذا على معنى الهزء بهم * وقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا فى ضلال قيل هو من قول الخزنة وقيل هو من قول الله تعالى اخبارا منه لمحمد عليه السلام ثم اخبر تعالى انه ينصر رسله والمومنين فى الدنيا والآخرة ونصر المومنين داخل

فى نصر الرسل وايضا فقد جعل الله للمومنين الفضلاء ودا ووهبهم نصرا اذا ظلموا وحضت الشريعة على نصرهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من رد عن اخيه فى عرضه كان حقا على الله ان يرد عنه نارجهنم وقوله عليه السلام من حمى مومنا من منافق يغتابه بعث الله ملكا يحميه يوم القيامة * وقوله تعالى ويوم يقوم الاشهاد يريد يوم القيامة قال الزجاج والاشهاد جمع شاهد وقال الطبري جمع شهيد كشريف واشراف ويوم لا ينفع بدل من الاول والمعذرة مصدر كالعذر ثم اخبر تعالى بقصة موسى وما ءاتاه من النبوءة تانيسا لمحمد وضرب اسوة وتذكيرا بما كانت العرب تعرفه من امر موسى فبين ذلك ان محمدا ليس ببدع من الرسل والهدى النبوءة والحكمة والتوراة تعم جميع ذلك * وقوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار قال الطبري الابكار من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وقيل من طلوع الشمس الى ارتفاع الضحى وقال الحسن بالعشي يريد صلاة العصر والابكار يريد صلاة الصبح * وقوله تعالى ان فى صدورهم الا كبر اي ليسوا على شيء بل فى صدورهم كبر وانفة عليك ثم نفى ان يكونوا يبلغون ءامالهم بحسب ذلك الكبر ثم امره تعالى بالاستعاذة بالله فى كل امره من كل مستعاذ منه * وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فيه توبيخ لهؤلاء الكفرة المتكبرين كانه قال مخلوقات الله اكبر واجل قدرا من خلق البشر فما لاحد منهم يتكبر على خالقه ويحتمل ان يكون الكلام فى معنى البعث وان الذى خلق السموات والارض قادر على خلق الناس تارة اخرى والخلق هنا مصدر مضاف الى المفعول والذين ءامنوا وعملوا الصالحات يعادلهم قوله ولا المسيء وهو اسم جنس يعم المسيئين * وقوله تعالى وقال ربكم ادعونى استجب لكم ءاية تفضل ونعمة ووعد لامة محمد صلى الله عليه وسلم بالاجابة عند الدعاء قال

النووي ورويناه فى كتاب الترمذي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة الا ءاتاه الله اياها او صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فقال رجل من القوم اذن نكثر قال الله اكثر قال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه الحاكم فى المستدرك من رواية ابى سعيد الخدري وزاد فيه او يدخر له من الاجر مثلها انتهى قال ابن عطاء الله لا يكن تأخر امد العطاء مع الالحاح فى الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن لك الاجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى تريد انتهى وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدى بى وانا معه اذا دعانى رواه الجماعة الا ابا داود واللفظ لمسلم انتهى من السلاح وقالت فرقة معنى ادعونى اعبدونى واستجب معناه بالنصر والثواب ويدل على هذا قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى الآية (ت) وهذا التاويل غير صحيح والاول هو الصواب ان شاء الله للحديث الصحيح فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء هو العبادة وقرأ وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين رواه ابو داود والترمذي والنساءي وابن ماجه والحاكم وابن حبان فى صحيحيهما وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد انتهى من السلاح والداخر الصاغر الذليل * وقوله تعالى الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الآيات هذا تنبيه على ءايات الله وعبره متى تأملها العاقل ادته الى توحيد الله سبحانه والاقرار بربوبيته وتوفكون معناه تصرفون عن طريق النظر والهدى كذلك يوفك اي على هذه الهيئة وبهذه الصفة صرف الله تعالى الكفار الجاحدين بئايات الله من الامم المتقدمة عن طريق الهدى * وقوله تعالى

هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا
اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل الآية تنبيه على الوحدانية
بالعبرة فى ابن ءادم وتدريج خلقه * وقوله سبحانه ومنكم من يتوفى من قبل
عبارة تردد فى الادراج المذكورة فمن الناس من يموت قبل ان يخرج طفلا
وءاخرون قبل الاشد وءاخرون قبل الشيخوخة ولتبلغوا اجلا مسمى اي ليبلغ
كل واحد اجلا مسمى لا يتعداه ولعلكم تعقلون الحقائق اذا نظرتم فى هذا
وتدبرتم حكمة الله تعالى * وقوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون فى ءايات الله
الآية فى الكفار المجادلين فى رسالة نبينا محمد عليه السلام ويسحبون معناه
يجرون والسحب الجر والحميم الذائب الشديد الحر من النار ويسجرون قال
مجاهد معناه توقد النار بهم والعرب تقول سجرت التنور اذا ملأته نارا وقال
السدي يسجرون يحرقون ثم اخبر تعالى انهم يقال لهم اين الاصنام التى كنتم
تعبدون فى الدنيا فيقولون ضلوا اي تلفوا لنا وغابوا ثم تضطرب اقوالهم ويفزعون
الى الكذب فيقولون بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ ثم يقال لهؤلاء الكفار
المعذبين ذلكم العذاب الذى انتم فيه بما كنتم تفرحون فى الدنيا بالمعاصى والكفر
وتمرحون قال مجاهد معناه الاشر والبطر * وقوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم
معناه يقال لهم قبل هذه المحاورة فى اول الامر ادخلوا لان هذه المخاطبة انما
هي بعد دخولهم ثم انس تعالى نبيه ووعده بقوله فاصبر ان وعد الله حق اي
فى نصرك واظهار امرك فان ذلك امر اما ان ترى بعضه فى حياتك فتقر عينك
به واما ان تموت قبل ذلك فالي امرنا وتعذيبنا يصيرون ويرجعون قال ابو حيان
ومافى اما زائدة لتاكيد معنى الشرط انتهى * وقوله تعالى ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك هذه
الآية رد على العرب الذين استبعدوا ان يبعث الله بشرا رسولا * وقوله تعالى

فاذا جاء امر الله قضي بالحق الآية يحتمل ان يريد بامر الله القيامة فتكون الآية توعدا لهم بالآخرة ويحتمل ان يريد بامر الله ارسال رسول وبعثة نبيء قضى ذلك وانفذه بالحق وخسر كل مبطل (ت) والاول ابين * وقوله تعالى الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها الآية هذه ءايات فيها عبر وتعديد نعم والانعام الازواج الثمانية ومنها الاولى للتبعيض وقال الطبري فى هذه الآية الانعام تعم الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وغير ذلك مما ينتفع به من البهائم فنها فى الموضعين على هذا للتبعيض * وقوله تعالى افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وءاثارا فى الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الآية هذا احتجاج على قريش بما اظهر سبحانه فى الامم السالفة من نقماته فى الكفار الذين كانوا اكثر منهم واشد قوة قال ابو حيان فما اغنى ما نافية اواستفهامية بمعنى النفي انتهى * وقوله سبحانه فلما جاءتهم رسلهم بالبينات الآية الضمير فى جاءتهم عائد على الامم المذكورة واختلف المفسرون فى الضمير فى فرحوا على من يعود فقال مجاهد وغيره هو عائد على الامم المذكورين اي فرحوا بما عندهم من العلم فى ظنهم ومعتقدهم من انهم لا يبعثون ولا يحاسبون قال ابن زيد واغتروا بعلمهم بالدنيا والمعاش وظنوا انه لا ءاخرة ففرحوا وهذا كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وقالت فرقة الضمير فى فرحوا عائد على الرسل وفى هذا التاويل حذف وتقديره فلما جاءتهم رسلهم بالبينات كذبوهم ففرح الرسل بما عندهم من العلم بالله والثقة به وبانه سينصرهم والضمير فى بهم عائد على الكفار بلا خلاف ثم حكى سبحانه حالة بعضهم ممن آمن بعد تلبس العذاب بهم فلم ينفعهم ذلك وفى ذكر هذا حض على المبادرة وسنة نصب على المصدر (ت) وقيل المعنى احذروا سنة الله كقوله ناقة الله قال الفخر وقوله هنالك اسم مكان

مستعار للزمــان اي وخسروا وقت رؤية البــاس انتهى وصلى الله على سيــدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

تفسير سورة حم السجدة وهي مكية

* بسم الله الــرحمن الرحيم *

روي ان عتبة بن ربيعة ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم ليحتج عليه ويبين له امر مخالفته لقومه فلما فرغ عتبة من كلامه قال النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقــة مثل صاعقة عاد وثمود فارعِد الشيخ وقف شعــره وامسك على فم النبي صلى الله عليــه وسلم وناشــده بالرحم ان يمسك وقال حين فارقه والله لقد سمعت شيأ ما هو بالشعر ولا هو بالكهانــة ولا هو بالسحر ولقد ظننت ان صاعقــة العذاب على رأسى والرحمن الرحيــم صفتارجــاء ورحمة لله عز وجل وفصلت معناه بينت ءاياته اي فسرت معانيــه ففصل بــين حلاله وحرامه ووعده ووعيده وقيل فصلت فى التنزيل اي نزل نجوما ولم ينزل مرة واحدة وقيل فصلت بالمواقف وانواع اواخر الآي ولم يكن يرجع الي قافية ونحوها كالسجع والشعر * وقوله تعالى لقوم يعلمون قالت فرقة يعلمون الاشياء ويعقلون الدلائل فكانّ القرءان فصلت آياته لهؤلاء اذهم اهل الانتفاع بها فخصوا بالذكر تشريفا وقالت فرقة يعلمون متعلق فى المعنى بقوله عربيا اي لقوم يعلمون الفاظه ويتحققون انها لم يخرج شيء منها عن كلام

العرب وكانّ الآيـة على هـذا التاويل رادة على من زعم ان فى كتاب الله ما ليس فى كلام العرب والتاويل الاول ابين واشرف معنى وبين انـه ليس فى القرءان الا ما هو من كلام العرب اما من اصل لغتها واما مما عربتـه من لغة غيرهـا ثم ذكر فى القرءان وهو معرب مستعمـل * وقوله تعالى فهم لا يسمعون نفي لسماعهم النافع الذى يعتد بـه ثم حكى عنهم مقالتهم التى باعـدوا فيها كل المباعدة وارادوا ان يأيسوه من قبولهم ما جاء بـه وهي قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه واكنة جمع كنان والوقر الثقل فى الاذن الذى يمنع السمع * وقوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكوة الآيـة قال الحسن المراد بالزكاة زكاة المال وقال ابن عباس والجمهور الزكاة فى هـذه الآيـة لا اله الا الله التوحيد كما قال موسى لفرعون هل لك الى ان تزكى ويرجح هـذا التاويل ان الآية مكية وزكاة المال انما نزلت بالمدينـة وانما هـذه زكاة القلب والبدن اي تطهيره من المعاصى وقاله مجاهـد والربيع وقال الضحاك ومقاتل معنى الزكاة هنا النفقـة فى الطاعـة وغير ممنون قال ابن عباس معناه غير منقوص وقالت فرقة معناه غير مقطوع يقال مننت الحبل اذا قطعته وقال مجاهـد معناه غير محسوب قال (ع) ويظهر فى الآية انه وصفه بعدم المن والاذى من حيث هو من جهة الله تعالى فهو شريف لا من فيـه واعطيات البشر هي التى يـدخلها المن والانداد الاشباه والامثال وهي اشارة الى كل ما عبد من دون الله * وقوله تعالى وبارك فيهـا اي جعلها منبتـة للطيبات والاطعمة وجعلهـا طهورا الى غير ذلك من وجوه البركة وفى قراءة ابن مسعود وقسم فيها اقواتها واختلف فى معنى قوله اقواتها فقال السدي هي اقوات البشر وارزاقهم واضافها الى الارض من حيث هي فيها وعنها وقال قتادة هي اقوات الارض من الجبال والانهار والاشجار والصخور والمعادن والاشياء التى بها قوام الارض ومصالحهـا وروى

ابن عباس فى هـذا حديثا مرفوعا فشبهها بالقوت الذى به قوام الحيوان وقال مجاهـد اراد اقواتها من المطـر والمياه وقال الضحاك وغيره اراد بقوله اقواتها خصائصها التى قسمها فى البلاد من الملبوس والمطعوم فجعل فى بلد وفى قطر ما ليس فى الآخر ليحتاج بعضهم الى بعض ويتقوت من هـذه فى هـذه وهـذا قريب من الاول * وقوله تعالى فى اربعة ايام يريـد باليومين الاولين وقـرأ الجمهور سواء بالنصب على الحال اي سواء هي وما انقضى فيها وقرأ ابو جعفر ابن القعقاع سـواء بالرفع اي هي سواء وقرأ الحسـن سـواء بالخفض على نعت الايام واختلف فى معنى للسائلين فقال قتادة معناه سواء لمن سأل واستفهم عن الامر وحقيقة وقوعـه واراد العبرة فيـه فانـه يجده كما قال تعالى وقال ابن زيـد وجماعـة معناه مستو مهيأ امر هذه المخلوقات ونفعها للمحتاجين اليها من البشر فعبر عنهم بالسائلين بمعنى الطالبين لانه من شأنهم ولابد طلب ما ينتفعون به فهم فى حكم من سأل هـذه الاشياء اذ هم اهل حاجـة اليها ولفظة سواء تجرى مجرى عدل وزور فى ان ترد على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث * وقوله سبحانه ثم استوى الى السماء معناه بقدرته واختراعه الى خلق السماء وايجادها * وقوله تعالى وهي دخان روي انها كانت جسما رخوا كالدخان او البخار وروي انه مما امره الله تعالى ان يصعد من الماء وهنا محذوف تقديره فاوجدها واتقنها واكمل امرها وحينئـذ قال لها وللارض ايتيا بمعنى ايتيا امرى وارادتى فيكما وقرأ ابن عباس آتيا بمعنى اعطيا من انفسكما من الطاعة ما اردته منكما والاشارة بهذا كله الى تسخيرهما ومـا قدره الله من اعمالهما * وقوله اوكرها فيه محذوف تقديره ايتيـا طوعا والا اتيتما كرها * وقوله سبحانه قالتـا اراد الفرقتين جعـل السموات سماء والارضين ارضا واختلف فى هذه المقالة من السموات والارض هل هو نطق حقيقة او هو مجاز لما ظهـر عليهـا من التذلل والخضوع والانقياد

الذى يتنزل منزلة النطق قال (ع) والقول الاول انه نطق حقيقة احسن لانه لاشيء يدفعه وان العبرة بـه اتم والقدرة فيه اظهـر * وقوله تعالى فقضاهن معناه فصنعهن واوجدهن ومنـه قول ابى ذؤيب

وعليهما مسـرودتان قضـاهما * داود او صنع السوابغ تبـع

* وقوله تعالى واوحى فى كل سماء امرها قال مجاهد وقتادة اوحى الى سكانها وعمرتها من الملائكة واليها هي فى نفسها ما شاء تعالى من الامور التى بها قوامها وصلاحها * وقوله ذلك اشارة الى جميع ما ذكر اي اوجده بقدرته واحكمه بعلمه * وقوله تعالى فان اعرضوا يعنى قريشا والعرب الذين دعوتهم الى عبادة الله تعالى عن هذه الآيات البينات فقل انذرتكم صاعقـة مثل صاعقـة عاد وثمود وقرأ النخعي وغيره صعقة فيهما وهـذه قراءة بينـة المعنى لان الصعقـة الهلاك الوَحِيّ وامـا الاولى فهي تشبيه بالصاعقة وهي الوقعـة الشديـدة من صوت الرعد فشبهت هنا وقعة العذاب بها لان عادا لم تعذب الا بريح وانما هذا تشبيه واستعارة وعبارة الثعلبي صاعقة اي واقعة وعقوبة مثل صاعقة عاد وثمود انتهى قال (ع) وخص عادا وثمودا بالذكر لوقوف قريش على بلادها فى اليمن وفى الحجـر فى طريـق الشام قال الثعلبي ومـن بين ايديهم ومن خلفهم يعنى قبلهم وبعدهم وقامت الحجة عليهم فى ان الرسالة والنذارة عمتهم خبرا ومباشرة وقال (ع) قوله ومن خلفهم اي جاءهم رسول بعد اكتمال اعمارهم وبعد تقدم وجودهم فى الزمـن فلذلك قال ومن خلفهم ولا يتوجـه ان يجعل ومن خلفهم عبارة عما اتى بعدهم لان ذلك لا يلحقهم منـه تقصير (ت) وما تقدم للثعلبي وغيره احسن لان مقصد الآية اتصال النذارة بهم وبين قبلهم وبين بعدهم اذ ما من امة الا وفيها نذير وكما قال تعالى رسلنا تترا وايضا فانه جمع فى اللفظ عادا وثمودا وبالضرورة ان الرسول الذى ارسل الى ثمود هو بعد عاد فليس لرد (ع) وجـه

فتأمله * وقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا الآية تقدم قصص هؤلاء وقرأ نافع وابو عمرو وابن كثير نحسات بسكون الحاء وهي جمع نحس وقرأ الباقون نحسات بكسر الحاء جمع نحس على وزن حذر والمعنى فى هذه اللفظة مشائيم من النحس المعروف قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس نحسات معناه متتابعات وقيل معناه شديدة اي شديدة البرد * وقوله تعالى فهديناهم معناه بينا لهم قاله ابن عباس وغيره وهذا كما هي الآن شريعة الاسلام مبينة لليهود والنصارى المختلطين بنا ولكنهم يعرضون ويشتغلون بالضد فذلك استحباب العمى على الهدى والعذاب الهون هو الذى معه هوان واذلال قال ابو حيان الهون مصدر بمعنى الهوان وصف به العذاب انتهى واعداء الله هم الكفار المخالفون لامر الله سبحانه ويوزعون معناه يكف اولهم حبسا على ءاخرهم قاله قتادة والسدي واهل اللغة وهذا وصف حال من احوال الكفرة فى بعض اوقات القيامة وذلك عند وصولهم الى جهنم فانه سبحانه يستقرهم عند ذلك على انفسهم ويسئلون سؤال توبيخ عن كفرهم فيجحدون ويحسبون ان لاشاهد عليهم ويطلبون شهيدا عليهم من انفسهم وفى الحديث الصحيح ان العبد يعني الكافر يقول يارب اليس وعدتني ان لاتظلمني قال فان ذلك لك قال فاني لا اقبل علي شاهدا الا من نفسي قال فيختم على فيه وتتكلم اركانه بما كان يعمل قال فيقول لهن بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت ادافع الحديث قال ابو حيان حتى اذا ما جاءوها ما بعد اذا زائدة للتوكيد انتهى * وقوله تعالى وما كنتم تستترون يحتمل ان يكون من كلام الجلود ويحتمل ان يكون من كلام الله عز وجل وجمهور الناس على ان المراد بالجلود الجلود المعروفة واما معنى الآية فيحتمل وجهين احدهما ان يريد وما كنتم تتصاونون وتحجزون انفسكم عن المعاصي والكفر خوف ان يشهد اولاجل ان يشهد عليكم سمعكم الآية وهذا هو منحى مجاهد والمعنى

الثاني ان يريد وما يمكنكم ولا يسعكم الاختفاء عن اعضائكم والاستتار عنها بكفركم ومعاصيكم وهذا هو منحى السدي وعن ابن مسعود قال انى لمستتر باستار الكعبة اذ دخل ثلاثة نفر قرشيان وثقفي او ثقفيان وقرشي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فتحدثوا بحديث فقال احدهم اترى الله يسمع ما قلنا فقال الآخر يسمع اذا رفعنا ولا يسمع اذا اخفينا وقال الاخر ان كان يسمع منه شيأ فانه يسمعه كله فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فنزلت هذه الآية وما كنتم تستترون وقرأ حتى بلغ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد فى ءاخر مختصر المدونة له واعلم ان الاجساد التى اطاعت او عصت هي التى تبعث يوم القيامة لتجازى والجلود التى كانت فى الدنيا والالسنة والايدى والارجل هي التى تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد انتهى قال القرطبي فى تذكرته واعلم ان عند اهل السنة ان تلك الاجساد الدنيوية تعاد باعيانها واعراضها بلااخلاف بينهم فى ذلك انتهى ومعنى ارداكم اهلككم والردى الهلاك وفى صحيح البخاري ومسلم عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاث لايموتن احدكم الاوهو يحسن الظن بالله عز وجل وذكره ابن ابى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله عز وجل وزاد فيه فان قوما قد ارداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم الله تبارك وتعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين انتهى ونقله ايضا صاحب التذكرة * وقوله تعالى فان يصبروا مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان يصبروا اولا يصبروا واقتصر لدلالة الظاهر على ما ترك * وقوله تعالى وان يستعتبوا معناه وان طلبوا العتبى وهي الرضا فما هم ممن يعطاها ويستوجبها قال ابو حيان قراءة الجمهور وان يستعتبوا مبنيا للفاعل ومن المعتبين مبنيا للمفعول اي وان يعتذروا فما هم من المعذورين انتهى ثم وصف تعالى

حالهم فى الدنيا وما اصابهم به حين اعرضوا لخم عليهم فقال وقيضنا لهم قرناء اي يسرنا لهم قرناء سوء من الشياطين وغواة الانس * وقوله فزينوا لهم ما بين ايديهم اي علموهم وقرروا لهم فى نفوسهم معتقدات سوء فى الامور التى تقدمتهم من امر الرسل والنبوءات ومدح عبادة الاصنام واتباع فعل الآباء الى غير ذلك مما يقال انه بين ايديهم وذلك كل ما تقدمهم فى الزمن واتصل اليهم اثره او خبره وكذلك اعطوهم معتقدات سوء فيما خلفهم وهو كل ما يأتى بعدهم من القيامة والبعث ونحو ذلك وحق عليهم القول اي سبق عليهم القضاء الحتم وامر الله بتعذيبهم فى جملة امم معذبين كفار من الجن والانس وقالت فرقة فى بمعنى مع اي مع امم قال (ع) والمعنى يتأدى بالحرفين ولا نحتاج ان نجعل حرفا بمعنى حرف اذ قد ابى ذلك رؤساء البصريين * وقوله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرءان الآية حكاية لما فعله بعض كفار قريش كابى جهل وغيره لما خافوا استمالة القلوب بالقرءان قالوا متى قرأ محمد فالغطوا بالصفير والصياح وانشاد الشعر حتى يخفى صوته فهذا الفعل منهم هو اللغو وقال ابو العالية ارادوا قعوا فيه وعيبوه وقولهم لعلكم تغلبون اي تطمسون امر محمد وتميتون ذكره وتصرفون عنه القلوب فهذه الغاية التى تمنوها ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون * وقوله تعالى فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا الآية قوله فلنذيقن الفاء دخلت على لام القسم وهي ءاية وعيد لقريش والعذاب الشديد هو عذاب الدنيا فى بدر وغيرها والجزاء باسوإ اعمالهم هو عذاب الآخرة (ت) حدث ابو عمر فى كتاب التمهيد قال حدثنا احمد بن قاسم قال حدثنا محمد بن معاوية قال حدثنا ابراهيم بن موسى بن جميل قال حدثنا عبد الله بن محمد بن ابى الدنيا قال حدثنا العَتَكي قال حدثنا خالد ابو يزيد الرقي عن يحي المدني عن سالم بن عبد الله عن ابيه قال خرجت مرة فمررت

بقبر من قبور الجاهلية فاذا رجل قد خرج من القبر يتأجج نارا فى عنقه سلسلة ومعى اداوة من ماء فلما رءانى قال ياعبد الله اسقنى قال فقلت عرفنى فدعانى باسمى او كلمة تقولها العرب ياعبد الله اذ خرج على اثره رجل من القبر فقال ياعبد الله لا تسقه فانه كافر ثم اخذ السلسلة فاجتذبه فادخله القبر قال ثم اضافنى الليل الى بيت عجوز الى جانبها قبر فسمعت من القبر صوتا يقول بول ومابول شن وما شن فقلت للعجوز ما هذا قالت كان زوجا لى وكان اذا بال لم يتق البول وكنت اقول له ويحك ان الجمل اذا بال تفاجّ وكان يابى فهو ينادى من يوم مات بول وما بول قلت فما الشن قالت جاء رجل عطشان فقال اسقنى فقال دونك الشن فاذا ليس فيه شيء فخر الرجل ميتا فهو ينادى منذ مات شن وما شن فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرته فنهى ان يسافر الرجل وحده قال ابو عمر هذا الحديث فى اسناده مجهولون ولم نورده للاحتجاج به ولكن للاعتبار وما لم يكن حكم فقد تسامح الناس فى روايته عن الضعفاء انتهى من ترجمة عبدالرحمن بن حرملة وكلامه على قول النبي صلى الله عليه وسلم الشيطان يهم بالواحد والاثنين فاذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم وقد ذكرنا الحكاية الاولى عن الوائلي فى سورة اقرأ باسم ربك بغير هذا السند وان الرجل الاول هو ابو جهل انتهى ثم ذكر تعالى مقالة كفار يوم القيامة اذا دخلوا النار فانهم يرون عظيم ما حل بهم وسوء منقلبهم فتجول افكارهم فيمن كان سبب غوايتهم ومبادي ضلالتهم فيعظم غيظهم وحنقهم عليه ويودون ان يحصل فى اشد عذاب فحينئذ يقولون ربنا ارنا اللذين اضلانا وظاهر اللفظ يقتضى ان الذى فى قولهم اللذين انما هو للجنس اي ارنا كل مغو من الجن والانس وهذا قول جماعة من المفسرين * وقيل طلبوا ولد ءادم الذى سن القتل والمعصية من البشر وابليس الابالسة من الجن وهذا قول لا يخفى ضعفه

والاول هو القوي وقولهم نجعلهما تحت اقدامنا يريدون فى اسفل طبقة فى النار وهي اشد عذابا * وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا قال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يارسول الله اخبرنى بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم (ت) هذا الحديث خرجه مسلم فى صحيحه قال صاحب المفهم جوابه صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم وكانه منتزع من قول الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية وتلخيصه اعتدلوا على طاعته قولا وفعلا وعقدا انتهى من شرح الاربعين حديثا لابن الفاكهاني قال (ع) واختلف الناس فى مقتضى قوله ثم استقاموا فذهب الحسن وجماعة الى ان معناه استقاموا بالطاعات واجتناب المعاصى وتلا عمر رضي الله عنه هذه الآية على المنبر ثم قال استقاموا والله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب قال (ع) فذهب رحمه الله الى حمل الناس على الاتم الافضل والا فيلزم على هذا التاويل من دليل الخطاب ان لا تتنزل الملائكة عند الموت عل غير مستقيم على الطاعة وذهب ابوبكر رضي الله عنه وجماعة معه الى ان المعنى ثم استقاموا على قولهم ربنا الله فلم يختل توحيدهم ولا اضطرب ايمانهم قال (ع) وفى الحديث الصحيح من كان ءاخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وهذا هو المعتقد ان شاء الله وذلك ان العصاة من امة محمد وغيرها فرقتان فاما من غفر الله له وترك تعذيبه فلا محالة انه ممن تتنزل عليهم الملائكة بالبشارة وهو انما استقام على توحيده فقط واما من قضى الله بتعذيبه مدة ثم يامر بادخاله الجنة فلا محالة انه يلقى جميع ذلك عند موته ويعلمه وليس يصح ان تكون حاله كحالة الكافر واليائس من رحمة الله واذا كان هذا فقد حصلت له بشارة بان لا يخاف الخلود ولا يحزن منه ويدخل فيمن يقال لهم ابشروا بالجنة التى كنتم توعدون ومع هذا كله فلا يختلف فى ان الموحد المستقيم على الطاعة

اتم حالا واكمل بشارة وهو مقصد امير المومين عمر رضي الله عنه وبالجملة فكلما كان المرء اشد استعدادا كان اسرع فوزا بفضل الله تعالى قال الثعلبي قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة اي عند الموت ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا قال وكيع والبشرى فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث وفى البخاري تتنزل عليهم الملائكة اي عند الموت انتهى قال ابن العربي فى احكامه تتنزل عليهم الملائكة قال المفسرون عند الموت وانا اقول كل يوم واوكد الايام يوم الموت وحين القبر ويوم الفزع الاكبر وفى ذلك ءاثار بيناها فى موضعها انتهى قال (ع) قوله تعالى ان لا تخافوا ولا تحزنوا امنة عامة فى كل هم مستانف وتسلية تامة عن كل فائت ماض وقال مجاهد المعنى لا تخافون ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم (ت) وذكر ابو نعيم عن ثابت البناني انه قرأ حم السجدة حتى بلغ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة فوقف وقال بلغنا ان العبد المومن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه فى الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن وابشر بالجنة التى كنت توعد قال فامن الله خوفه واقرعينه الحديث انتهى قال ابن المبارك فى رقائقه سمعت سفيان يقول فى قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة اي عند الموت ان لا تخافوا ما امامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم من ضيعاتكم وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون قال يبشر بثلاث بشارات عند الموت واذا خرج من القبر واذا فزع نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا قال كانوا معهم قال ابن المبارك واخبرنا رجل عن منصور عن مجاهد فى قوله تعالى نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا قال قرناؤهم يلقونهم يوم القيامة فيقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة اه * وقوله تعالى نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة المتكلم بنحن اولياؤكم هم الملائكة القائلون لا تخافوا ولا تحزنوا اي يقولون للمومنين عند الموت وعند مشاهدة الحق نحن

كنا اولياءكم فى الدنيـا ونحـن هم اولياؤكم فى الآخرة قال السدي المعنى نحن حفظتكم فى الدنيا واولياؤكم فى الآخرة والضمير فى قوله فيها عائـد على الآخرة وتـدعون معناه تطلبون قال الفخر ومعنى كونهم اوليـاء للمومنين اشارة الى ان للملائكة تاثيرات فى الارواح البشرية بالالهامات والمكاشفات اليقينية والمناجات الخفيـة كما ان للشاطين تاثيرات فى الارواح بالقاء الوساوس وبالجملة فكون الملائكة اولياء للارواح الطيبـة الطاهرة حاصل مـن جهات كثيرة معلومـة لارباب المكاشفات والمشـاهـدات فهم يقولون كما ان تلك الولايات حاصلة فى الدنيا فهي تكون باقيـة فى الآخرة فان تلك العلائق ذاتيـة لازمـة غير مائلة الى الزوال بل تصير بعـد الموت اقوى وابقى وذلك لان جوهر النفس مـن جنس الملائكة وهي كالشعلة بالنسبة الى الشمس والقطرة بالنسبـة الى البحر وانما التعلقات الجسـدانية والتدبيرات البدنيـة هي الحائلة بينهـا وبين الملائكة فاذا زالت تلك العلائق فقد زال الغطاء واتصل الاثر بالمؤثر والقطرة بالبحر والشعلة بالشمس انتهى (ت) وقـد نقل الثعلبي مـن كلام ارباب المعانى هنـا كلاما كثيرا حسنـا جدا موقظا لارباب الهمم فانظره ان شئت وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عـن النبي صلى الله عليه وسلم انـه قال اذا فنيت ايام الدنيا عن هـذا العبد المومن بعث الله الى نفسه من يتوفاها قال فقال صاحبـاه اللذان يحفظان عليه عمله ان هـذا قـد كان لنا اخا وصاحبا وقـد حان اليوم منه فراق فاذنوا لنا او قال دعونا نثن على اخينـا فيقال اثـنيا عليه فيقولان جزاك الله خيرا ورضي عنك وغفر لك وادخلك الجنـة فنعم الاخ كنت والصاحب ما كان ايسر مـؤونتك واحسن معونـتك على نفسك ما كانت خطاياك تمنعنا ان نصعد الى ربنا فنسبح بحمده ونقدس له ونسجد له ويقول الذى يتوفى نفسه اخرج ايها الروح الطيب الى خير يوم مر عليك فنعم ما قدمت لنفسك اخرج الى الروح

والريحان وجنات النعيم ورب عليك غير غضبان واذا فنيت ايام الدنيا عن العبد الكافر بعث الله الى نفسه من يتوفاها فيقول صاحباه اللذان كانا يحفظان عليه عمله ان هذا قد كان لنا صاحبا وقد حان منه فراق فاذنوا لنا ودعونا نثن على صاحبنا فيقال اثنيا عليه فيقولان لعنة الله وغضبه عليه ولا غفر له وادخله النار فبيس الصاحب ما كان اشد مؤنته وما كان يعين على نفسه ان كانت خطاياه وذنوبه لتمنعنا ان نصعد الى ربنا فنسبح له ونقدس له ونسجد له ويقول الذى يتوفى نفسه اخرج ايها الروح الخبيث الى شر يوم مر عليك فبيس ما قدمت لنفسك اخرج الى الحميم وتصلية الجحيم ورب عليك غضبان انتهى * وقوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الآية ابتداء توصية لنبيه عليه السلام وهو لفظ يعم كل من دعا قديما وحديثا الى الله عز وجل من الانبياء والمومنين والمعنى لاحد احسن قولا ممن هذه حاله والى العموم ذهب الحسن ومقاتل وجماعة وقيل ان الآية نزلت فى المؤذنين وهذا ضعيف لان الآية مكية والاذان شرع بالمدينة قال ابو حيان ولا السيئة لا زائدة للتوكيد انتهى * وقوله تعالى ادفع بالتى هي احسن ٠ ايـة جمعت مكارم الاخلاق وانواع الحلم والمعنى ادفع ما يعرض لك مع الناس فى مخالطتهم بالفعلة او بالسيرة التى هي احسن قال ابن عباس امره الله تعالى فى هذه الآية بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعل المومنون ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كانه ولي حميم البخاري ولي حميم اي قريب انتهى وفسر مجاهد وعطاء هذه الآية بالسلام عند اللقاء قال (ع) ولاشك ان السلام هو مبدأ الدفع بالتى هي احسن وهو جزء منه والضمير فى قوله يلقاها عائد على هذه الخلق التى يقتضيها قوله ادفع بالتى هي احسن وقالت فرقة المراد وما يلقى لا اله الا الله وهذا تفسير لا يقتضيه اللفظ * وقوله سبحانه الا الذين صبروا مدح بليغ

للصابرين وذلك بين للمتأمل لان الصبر على الطاعات وعن الشهوات جامع لخصال الخير كلها والحظ العظيم يحتمل ان يريد من العقل والفضل فتكون الآية مدحا للمتصف بذلك ويحتمل ان يريد ذوحظ عظيم من الجنة وثواب الآخرة فتكون الآية وعدا وبالجنة فسر قتادة الحظ هنا * وقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله اما شرط وجواب الشرط قوله فاستعذ والنزغ فعل الشيطان فى قلب او يد من القاء غضب او حقد او بطش فى اليد فمن الغضب هذه الآية ومن الحقد قوله نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ومن البطش قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يشر احدكم على اخيه بالسلاح لا ينزغ الشيطان فى يده فيلقيه فى حفرة من حفر النار ومن دعاء الشيخ الولي العارف بالله سبحانه محمد بن مسرة القرطبي اللهم لا تجعل صدرى للشيطان مَراغا ولا تصير قلبى له مجالا ولا تجعلنى ممن استفزه بصوته واجاب عليه بخيله ورجله وكن لى من حبائله منجيا ومن مصائده منقذا ومن غواياته مبعدا اللهم انه وسوس فى القلب والقى فى النفس ما لا يطيق اللسان ذكره ولا تستطيع النفس نشره مما نزهك عنه علو عزك وسمو مجدك فازل ياسيدى ما سطر وامح ما زور بوابل من سحائب عظمتك وطوفان من بحار نصرتك واسلل عليه سيف ابعادك وارشقه بسهام اقصائك واحرقه بنار انتقامك واجعل خلاصى منه زائدا فى حزنه وموكدا لاسفه ثم قال رحمه الله اعلم انه ربما كان العبد فى خلوته مشتغلا بتلاوته ويجد فى نفسه من الوسوسة ما يحول بينه وبين ربه حتى لا يجد لطعم الذكر حلاوة ويجد فى قلبه قساوة وربما اعتراه ذلك مع الاجتهاد فى قراءته وعلة ذلك ان الذكر ذكران ذكر خوف ورهبة وذكر امن وغفلة فاذا كان الذكر بالخوف والرهبة خنس الشيطان ولم يحتمل الحملة واذهب الوسوسة لان الذكر اذا كان باجتماع القلب وصدق النية لم يكن للشيطان قوة عند ذلك

وانقطعت علائق حيله وانما قوتـه ووسوستـه مع الغفلة واذا كان الذكر بالامن والغفلة لم تفارقه الوسوسة وان استدام العبد الذكر والقراءة لان على قلب الغافل غشاوة ولا يجد صاحبها لطعم الذكر حلاوة فتحفظ على دينك من هذا العدو وليس لك ان تزيله عـن مرتبته ولا ان تزيحه عـن وطنه وانما ابيح لك مجاهدته فاستعن بالله يعنك وثق بالله فانه لا يخذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين انتهى من تصنيفه رحمه الله وندب سبحانه فى الآيـة المتقدمة الى الاخذ بمكارم الاخلاق ووعـد على ذلك وعلم سبحانه ان خلقة البشر تغلب احيانا وتثور بهم سَورة الغضب ونزغ الشيطان فدلهم فى هذه الآية على ما يذهب ذلك وهي الاستعاذة به عز وجل ثم عدد سبحانه ءاياته ليعتبر فيها فقال ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال تعالى لا تسجدوا للشمس ولا للقمر وان كانت لكم فيهما منافع لان النفع منهما انما هو بتسخير الله اياهما فهو الذى ينبغى ان يسجد له والضمير فى خلقهن قيل هو عائد على الآيات المتقدم ذكرها وقيل عائـد على الشمس والقمر والاثنان جمع وايضا جمع ما لا يعقل يؤنث فلذلك قال خلقهن ومن حيث يقال شموس واقمار لاختلافهما بالايام ساغ ان يعود الضمير مجموعا وقيل هو عائد على الاربعة المذكورة (ت) ومن كتاب المستغيثين بالله لابى القاسم بن بشكوال حـدث بسنده الى انس بن مالك قال تقرأ حم السجدة وتسجد عند السجدة وتدعو فانه يستجاب لك قال الراوى وجربته فوجدته مستجابا انتهى ثم خاطب جل وعلا نبيه عليه السلام بما يتضمن وعيدهم وحقارة امرهم وانه سبحانه غني عن عبادتهم بقوله فان استكبروا الآية وقوله فالذين يعنى بهم الملائكة هم صافون يسبحون وعند هنا ليست بظرف مكان وانما هي بمعنى المنزلة والقربة كما تقول زيد عنـد الملك جليل ويروى ان تسبيح الملائكة قـد صارلهم كالنفس لبنى

ءادم ولا يسئمون معناه لا يملون ثم ذكر تعالى ءاية منصوبة ليعتبر بها فى امر البعث من القبور ويستدل بما شوهد من هذه على ما لم يشاهد فقال ومن آياته انك ترى الارض خاشعة الآية وخشوع الارض هو ما يظهر عليها من استكانة وشعث بالجدب فهي عابسة كما الخاشع عابس يكاد يبكى واهتزاز الارض هو تخلخل اجزائها وتشققها للنبات وربوها هو انتفاخها بالماء وعلو سطحها به وعبارة البخاري اهتزت بالنبات وربت ارتفعت اه ثم ذكر تعالى بالامر الذى ينبغي ان يقاس على هذه الآية والعبرة وذلك احياء الموتى فقال ان الذى احياها لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير والشيء فى اللغة الموجود * وقوله تعالى ان الذين يلحدون فى ءاياتنا لا يخفون علينا الآية ءاية وعيد والالحاد الميل وهو هنا ميل عن الحق ومنه لحد الميت لانه فى جانب يقال لحد الرجل والحد بمعنى واختلف فى الحادهم هذا ما هو فقال قتادة وغيره هو الحاد بالتكذيب وقال مجاهد وغيره هو بالمكاء والصفير واللغو الذى ذهبوا اليه وقال ابن عباس الحادهم وضعهم للكلام غير موضعه ولفظة الالحاد تعم هذا كله وباقى الآية بين * وقوله تعالى اعملوا ما شئتم وعيد فى صيغة الامر باجماع من اهل العلم * وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر الآية يريد بالذين كفروا قريشا والذكر القرءان باجماع واختلف فى الخبر عنهم اين هو فقالت فرقة هو فى قوله اولائك ينادون من مكان بعيد ورد بكثرة الحائل وان هنالك قوما قد ذكروا يحسن رد قوله اولائك ينادون عليهم وقالت فرقة الخبر مضمر تقديره ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم هلكوا اوضلوا وقيل الخبر فى قوله وانه لكتاب عزيز وهذا ضعيف لا يتجه وقال عمرو بن عبيد معناه فى التفسير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به وانه لكتاب عزيز قال (ع) والذى يحسن فى هذا هو اضمار الخبر ولكنه عند قوم فى غير هذا الموضع الذى قدره هؤلاء فيه وانما هو بعد حكيم حميد

وهو اشد اظهارا لمذمة الكفار به وذلك لان قوله وانــه لكتاب داخل فى صفة الذكر المكذب به فلم يتم ذكر المخبر عنه الا بعد استيفاء وصفه ووصف الله تعالى الكتاب بالعزة لانــه بصحة معانيه ممتنع الطعن فيه والازراء عليه وهو محفوظ من الله تعالى قال ابن عباس معناه كريم على الله تعالى * وقوله تعالى لاياتيه الباطل قال قتادة والسدي يريد الشيطان وظاهر اللفظ يعم الشيطان وان يجيء امر يبطل منــه شيأ * وقوله من بين يديــه معناه ليس فيما تقدم من الكتب ما يبطل شيأ منه * وقوله ولا من خلفه اي ليس ياتى بعده من نظر ناظر وفكرة عاقل ما يبطل شيأ منه والمراد باللفظة على الجملة لا ياتيه الباطل من جهة من الجهات * وقوله تنزيل خبر مبتـدإ اي هو تنزيل * وقوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك يحتمل معنيين احدهما ان يكون تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن مقالات قومه وما يلقاه من المكروه منهم والثانى ان يكون المعنى ما يقال لك من الوحي وتخاطب به من جهة الله تعالى الا ما قد قيل للرسل من قبلك * وقوله تعالى ولوجعلناه قرءانا اعجميا الآيـة الاعجمي هو الذى لا يفصح عربيـا كان او غير عربي والعجمي الذى ليس من العرب فصيحا كان او غير فصيح والمعنى ولوجعلنا هذا القرءان اعجميا لا يبين لقالوا واعترضوا لولا بينت آياته وهذه الآية نزلت بسبب تخليط كان من قريش فى اقوالهم من اجل حروف وقعت فى القرءان وهي مما عرب من كلام العجم كسجين واستبرق ونحوه وقرأ الجمهور ءاعجمي وعربي على الاستفهام وهمزة ممدودة قبل الالف وقرأ حمزة والكسائي وحفص أأعجمي بهمزتين وكانهم ينكرون ذلك ويقولون أأعجمي وعربي مختلط هذا لا يحسن ثم قال تعالى قل هو يعنى القرءان للذين ءامنوا هدى وشفاء واختلف الناس فى قوله وهو عليهم عمى فقالت فرقة يريد بهو القرءان وقالت فرقة يريد بهو الوقر وهذه كلها استعارات

والمعنى انهم كالاعمى وصاحب الوقر وهو الثقل فى الاذن المانـع مـن السمع وكذلك قوله تعالى اولائك ينادون من مكان بعيد يحتمل معنيين وكلاهما مقول للمفسرين احدهما انها استعارة لقلة فهمهم شبههم بالرجل ينادَى على بعد يَسمع منه الصوتَ ولا يفهم تفاصيلَه ولا معانيه وهذا تاويل مجاهد والآخر ان الكلام على الحقيقـة وان معناه انهم يوم القيامة ينادون بكفرهم وقبيح اعمالهم من بعد حتى يسمع ذلك اهل الموقف ليفضحوا على رءوس الخلائق ويكون اعظم لتوبيخهم وهذا تاويل الضحاك قال ابو حيان عمى بفتح الميم مصدر عمي انتهى ثم ضرب الله تعالى امر موسى مثلا للنبي عليه السلام ولقريش اي فعل اولائك كافعال هؤلاء حين جاءهم مثل ما جاء هؤلاء والكلمة السابقة هي حتم الله تعالى بتاخير عذابهم الى يوم القيامـة والضمير فى قوله لفى شك منـه يحتمل ان يعود على موسى او على كتابه * وقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه الآيـة نصيحة بليغة للعالم وتحذير وترجية * وقوله تعالى اليه يرد علم الساعة الآية المعنى ان علم الساعـة ووقت مجيئها يرده كل مومن متكلم فيه الى الله عـز وجل * وقوله تعالى ويوم يناديهم اين شركاءى الآية التقدير واذكر يوم يناديهم والضمير فى يناديهم الاظهر والاسبق فيه للفهم انه يريد الكفار عبدة الاوثان ويحتمل ان يريد كل من عبد من دون الله مـن انسان وغيره وفى هـذا ضعف واما الضمير فى قوله وضل عنهم فلا احتمال لعودتـه الا على الكفار وءاذناك قال ابن عباس وغيره معناه اعلمناك ما منا من يشهد ولا من شهد بان لك شريكا وضل عنهم اي نسوا ما كانوا يقولون فى الدنيا ويدعون من الآلهة والاصنام ويحتمل ان يريد وضل عنهم الاصنام اي تلفت فلم يجدوا منها نصرا وتلاشى لهم امرها * وقوله وظنوا يحتمل ان يكون متصلا بما قبله ويكون الوقف عليه ويكون قوله ما لهم من محيص استيناف نفي ان يكون لهم ملجـأ او موضع روغان تقول

حاص الرجل اذا راغ لطلب النجاة من شيء ومنه الحديث فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب ويكون الظن على هذا التاويل على بابه اي ظنوا ان هذه المقالة مامنا من شهيد منجاة لهم او امر يموهون بـه ويحتمل ان يكون الوقف فى قوله من قبل ويكون وظنوا متصلا بقوله ما لهم من محيص اي ظنوا ذلك ويكون الظن على هذا التاويل بمعنى اليقين وقد تقدم البحث فى اطلاق الظن على اليقين (ت) وهذا التاويل هو الظاهر والاول بعيد جدا * وقوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير هذه ءايات نزلت فى كفار قيل فى الوليد بن المغيرة وقيل فى عتبة بن ربيعة وجل الآيـة يعطى انها نزلت فى كفار وان كان اولها يتضمن خُلقا ربما شارك فيهـا بعض المومنين ودعاء الخير اضافتـه اضافـة المصدر الى المفعول وفى مصحف ابن مسعود من دعاء بالخير والخير فى هذه الآية المال والصحة وبذلك تايق الآية بالكفار * وقوله تعالى ليقولن هذا لى اي بعملى وبما سعيت ولا يرى ان النعم انما هي فضل من الله تعالى قال (ص) ليقولن قال ابو البقاء هو جواب الشرط والفاء محذوفة وقيل هو جواب قسم محذوف قال (ص) قلت هذا هو الحق والاول غلط لان القسم قد تقدم فى قوله ولئن فالجواب له ولان حذف الفاء فى الجواب لا يجوز انتهى وفى تغليط الصَفاقُسي لابى البقاء نظر * وقوله وما اظن الساعة قائمة قول بين فيه الجحد والكفر ثم يقول هذا الكافر ولئن رجعت الى ربي كما تقولون ان لى عنده للحسنى اي حالا ترضينى من مال وبنين وغير ذلك قال (ع) والامانى على الله تعالى وترك الجد فى الطاعة مذموم لكل احد فقد قال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله * وقوله تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض ونـا بجانبه الآية ذكر سبحانه الخلق الذميمة من الانسان جملة وهي فى الكافر بينة متمكنة واما المومن ففى الاغلب يشكر على النعمة

وكثيرا ما يصبر عند الشدة ونئا معناه بعد ولم يمل الى شكر ولاطاعة * وقوله فذو دعاء عريض اي وطويل ايضا وعبارة الثعلبي عريض اي كثير والعرب تستعمل الطول والعرض كليهما فى الكثرة من الكلام انتهى ثم امر تعالى نبيه ان يوقف قريشا على هذا الاحتجاج وموضع تغريرهم بانفسهم فقال قل ارأيتم ان كان من عند الله وخالفتموه الستم على هلكة فمن اضل ممن يبقى على مثل هذا الغرر مع الله وهذا هو الشقاق ثم وعد تعالى نبيه عليه السلام بانه سيرى الكفار ءاياته واختلف فى معنى قوله سبحانه فى الآفاق وفى انفسهم فقال المنهال والسدي وجماعة هو وعد بما يفتحه الله على رسوله من الاقطار حول مكة وفى غير ذلك من الارض كخيبر ونحوها وفى انفسهم اراد به فتح مكة قال (ع) وهذا تاويل حسن يتضمن الاعلام بغيب ظهر بعد ذلك وقال قتادة والضحاك سنريهم ءاياتنا فى الآفاق هو ما اصاب الامم المكذبة فى اقطار الارض قديما وفى انفسهم يوم بدر والتاويل الاول ارجح والله اعلم والضمير فى قوله تعالى انه الحق عائد على الشرع والقرءان فباظهار الله نبيه وفتح البلاد عليه يتبين لهم انه الحق * وقوله بربك قال ابو حيان الباء زائدة وهو فاعل يكف اي اولم يكفهم ربك انتهى وباقي الآية بين

تفسير سورة الشورى وهي مكية

وقال مقاتل فيها مدني قوله تعالى ذلك الذى يبشر الله عباده الى الصدور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى حم عسق قال الثعلبي قال ابن عباس ان حم عسق هذه الحروف باعيانها نزلت فى كل كتب الله المنزلة على كل نبيء انزل عليه كتاب ولذلك قال تعالى كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك وقرأ الجمهور يوحى باسناد الفعل الى الله تعالى وقرأ ابن كثير وحده يوحى بفتح الحاء على بناء الفعل للمفعول والتقدير يوحى اليك القرءان * وقوله تعالى والى الذين من قبلك يريد من الانبياء الذين نزل عليهم الكتاب وقرأ نافع والكسائي يتفطرن وقرأ ابو عمرو وعاصم ينفطرن والمعنى فيهما يتصدعن ويتشققن خضوعا وخشية من الله تعالى وتعظيما وطاعة * وقوله من فوقهن اي من اعلاهن وقال الاخفش علي بن سليمان الضمير فى من فوقهن للكفار اي من فوق الجماعات الكافرة والفرق الملحدة من اجل اقوالها يكاد السموات يتفطرن فهذه الآية على هذا كالتى فى كهيعص يكاد السموات يتفطرن منه الآية وقالت فرقة معناه من فوق الارضين اذ قد جرى ذكر الارض * وقوله تعالى ويستغفرون لمن فى الارض قالت فرقة هذا منسوخ بقوله تعالى ويستغفرون للذين ءامنوا قال (ع) وهذا قول ضعيف لان النسخ فى الاخبار لا يتصور وقال السدي ما معناه ان ظاهر الآية العموم ومعناها الخصوص فى المومنين فكانه قال ويستغفرون لمن فى الارض من المومنين وقالت فرقة بل هي على عمومها لكن استغفار الملائكة ليس بطلب غفران للكفرة مع بقائهم على كفرهم وانما استغفارهم لهم بمعنى طلب الهداية التى تؤدى الى الغفران لهم وتاويل السدي ارجح * وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل هذه ءاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد للكافرين

والمعنى ليس لك الا البلاغ فقط فلا تهتم بعدم ايمان قريش وغيرهم الله هو الحفيظ عليهم كفرهم المحصى لاعمالهم المجازى عليها وانت لست بوكيل عليهم وما فى هذه الالفاظ من موادعة فمنسوخ قال الامام الفخر فى شرحه لاسماء الله الحسنى عند كلامه على اسمه سبحانه الحفيظ قال بعضهم ما من عبد حفظ جوارحه الاحفظ الله عليه قلبه وما من عبد حفظ الله عليه قلبه الاجعله حجة على عباده انتهى ثم قال تعالى وكذلك اوحينا اليك قرءانا عربيا المعنى وكما قضينا امرك هكذا وامضيناه فى هذه السورة كذلك اوحينا اليك قرءانا عربيا مبينا لهم لايحتاجون الى ءاخر سواه اذ فهمه متأت لهم ولم نكلفك الا انذار من ذكر وام القرى هي مكة ويوم الجمع هو يوم القيامة اي تخوفهم اياه * وقوله فريق مرتفع على خبر الابتداء المضمر كانه قال هم فريق فى الجنة وفريق فى السعير ثم قوى تعالى تسلية نبيه بان عرفه ان الامر موقوف على مشيئة الله من ايمانهم اوكفرهم وانه لواراد كونهم امة واحدة على دين واحد لجمعهم عليه ولكنه سبحانه يدخل من سبقت له السعادة عنده فى رحمته وييسره فى الدنيا لعمل اهل السعادة وان الظالمين بالكفر الميسرين لعمل الشقاوة ما لهم من ولي ولا نصير قال عبد الحق رحمه الله فى العاقبة وقد علمت رحمك الله ان الناس يوم القيامة صنفان * صنف مقرب مصان * وءاخر مبعد مهان * صنف نصبت لهم الاسرة والحجال * والارائك والكِلال * وجمعت لهم الرغائب والآمال * وءاخرون اعدت لهم الاراقم والصلال * والمقامع والاغلال * وضروب الاهوال والانكال * وانت لاتعلم من ايهما انت * ولا فى اي الفريقين كنت *

نزلوا بمكة فى قبائل نوفل * ونزلت بالبيداء ابعد منزل
وتقلبوا فرحين تحت ظلالها * وطرحت بالصحراء غير مظلل

وسقوا من الصافى المعتق ريهم * وسقيت دمعة واله متململ
بكى سفيان الثوري رحمه الله ليلة الى الصباح فقيل له ابكاؤك هذا على الذنوب فاخذ تبنة من الارض وقال الذنوب اهون من هذا انما ابكى خوف الخاتمة وبكى غير سفيان وغير سفيان وانه للامر يبكى عليه * ويصرف الاهتمام كله اليه * وقد قيل لاتكف دمعك * حتى ترى فى المعاد ربعك * وقيل ياابن ءادم الاقلام عليك تجرى * وانت فى غفلة لاتدرى * ياابن ءادم دع التنافس فى هذه الدار * حتى ترى ما فعلت فى امرك الاقدار * سمع بعض الصالحين منشدا ينشد * ايا راهبى نجران ما فعلت هند * فبكى ليلة الى الصباح فسئل عن ذلك فقال قلت فى نفسى ما فعلت الاقدار في * وماذا جرت به علي * انتهى * وقوله تعالى ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي الآية قوله ام اتخذوا كلام مقطوع مما قبله وليست بمعادلة ولكن الكلام كانه اضرب عن حجة لهم او مقالة مقررة فقال بل اتخذوا هذا مشهور قول النحويين فى مثل هذا وذهب بعضهم الى ان ام هذه هى بمنزلة الف الاستفهام دون تقدير اضراب ثم اثبت الحكم بانه عز وجل هو الولي الذى تنفع ولايته * وقوله تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله الآية المعنى قل لهم يامحمد وما اختلفتم فيه ايها الناس من تكذيب وتصديق وايمان وكفر وغير ذلك فالحكم فيه والمجازاة عنه ليست الي ولابيدى وانما ذلك الى الله تعالى الذى صفاته ما ذكر من احياء الموتى والقدرة على كل شيء * وقوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا يريد زوج الانسان الانثى وبهذه النعمة اتفق الذرء وليست الازواج هاهنا الانواع * وقوله ومن الانعام ازواجا الظاهر ايضا فيه والمتسق انه يريد اناث الذكران ويحتمل ان يريد الانواع والاول اظهر * وقوله يذرؤكم اي يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن قاله مجاهد والناس فلفظة ذرأ تزيد على لفظة خلق

معنى آخر ليس فى خلق وهو توالى طبقات على مر الزمان * وقوله فيه الضمير عائد على الجعل الذى يتضمنه قوله جعل لكم وهذا كما تقول كلمت زيدا كلاما اكرمته فيه وقال القُتَبي الضمير للتزويج ولفظة فى مشتركة على معان وان كان اصلها الوعاء واليه يردها النظر فى كل وجه * وقوله تعالى ليس كمثله شيء الكاف موكدة للتشبيه فنفي التشبيه اوكد ما يكون وذلك انك تقول زيد كعمرو وزيد مثل عمرو فاذا اردت المبالغة التامة قلت زيد كمثل عمرو وجرت الآية فى هذا الموضع على عرف كلام العرب وعلى هذا المعنى شواهد كثيرة وذهب الطبري وغيره الى ان المعنى ليس كهو شيء وقالوا لفظة مثل فى الآية توكيد وواقعة موقع هو والمقاليد المفاتيح قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد هذا اصلها بالفارسية وهي هاهنا استعارة لوقوع كل امر تحت قدرته سبحانه وقال السدي المقاليد الخزائن وفى اللفظ على هذا حذف مضاف قال قتادة من ملك مقاليد خزائن فالخزائن فى ملكه * وقوله سبحانه شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية المعنى شرع لكم وبين من المعتقدات والتوحيد ما وصى به نوحا قبل * وقوله والذى عطف على ما وكذلك ما ذكر بعد من اقامة الدين مشروع اتفقت النبوءات فيه وذلك فى المعتقدات واما الاحكام بانفرادها فهي فى الشرائع مختلفة وهي المراد فى قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واقامة الدين هو توحيد الله ورفض سواه * وقوله تعالى ولا تتفرقوا نهي عن المهلك من تفرق الانحاء والمذاهب والخير كله فى الالفة واجتماع الكلمة ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام كبر على المشركين ما تدعوهم اليه من توحيد الله ورفض الاوثان قال قتادة كبر عليهم لا اله الا الله وابى الله الا نصرها ثم سلاه تعالى عنهم بقوله الله يجتبي اليه من يشاء الآية اي يختار ويصطفى قاله مجاهد وغيره وينيب معناه يرجع عن الكفر ويحرص على

الخير ويطلبه وما تفرقوا يعنى اوائـل اليهود والنصارى الا من بعـد ما جاءهـم العلم * وقوله بغيا بينهم اي بغى بعضهم على بعض واداهم ذلك الى اختلاف الرأي وافتراق الكلمة والكلمة السابقة قال المفسرون هي حتمه تعالى القضاء بان مجازاتهم انما تقع فى الآخرة ولولا ذلك لفصل بينهم فى الدنيا وغلب المحق على المبطل * وقوله تعالى وان الذين اورثوا الكتاب اشارة الى معاصرى نبينا محمد عليه السلام من اليهود والنصارى وقيل هو اشارة الى العرب والكتاب على هذا هو القرءان والضمير فى قوله لفى شك منه يحتمل ان يعود على الكتاب او على محمد او على الاجل المسمى اي فى شك من البعث على قول من رأى ان الاشارة الى العرب ووصف الشك بمريب مبالغـة فيه واللام فى قوله تعالى فلذلك فادع قالت فرقة هي بمنزلة الى كانه قال فالى ما وصى به الانبياء من التوحيد فادع وقالت فرقة بل هي بمعنى من اجل كانه قال من اجل ان الامر كذا وكذا ولكونه كذا فادع انت الى ربك وبلغ ما ارسلت به وقال الفخر يعنى فلاجل ذلك التفرق ولاجل ما حدث من الاختلافات الكثيرة فى الدين فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة انتهى وخوطب عليه السلام بالاستقامة وهو قـد كان مستقيما بمعنى دم على استقامتك وهكذا الشأن فى كل مامور بشيء هو متلبس بـه انما معناه الدوام وهذه الآيـة ونحوها كانت نصب عيني النبي عليـه السلام وكانت شديدة الموقع من نفسه اعنى قوله تعالى واستقم كما امرت لانها جملة تحتها جميع الطاعات وتكاليف النبوءة وفى هذا المعنى قال عليه السلام شيبتنى هود واخواتها فقيل له لم ذلك يانبي الله فقال لان فيها فاستقم كما امرت وهذا الخطاب له عليه السلام بحسب قوتـه فى امر الله عـز وجـل وقال هو لامته بحسب ضعفهم استقيموا ولن تحصوا * وقوله تعالى ولا تتبـع اهواءهم يعنى

قريشا (ت) وفرض الفخر هذه القضيـة فى اهل الكتاب وذكر ما وقع من اليهود ومحاجتهم فى دفع الحق وجحد الرسالة وعلى هذا فالضمير فى اهوائهم عائد عليهم والله اعلم اه ثم امره تعالى ان يقول ءامنت بما انزل الله من كتاب وهو امر يعم سائر امته * وقوله وامرت لاعدل بينكم قالت فرقة اللام فى لاعدل بمعنى ان اعدل بينكم وقالت فرقة المعنى وامرت بما امرت به من التبليغ والشرع لكي اعـدل بينكم * وقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم الى ءاخر الآيـة ما فيه من موادعة منسوخ بـآية السيف * وقوله لاحجة بيننا وبينكم اي لاجدال ولا مناظرة قد وضح الحق وانتم تعاندون وفى قوله الله يجمع بيننـا وعيدبين * وقوله تعالى والذين يحاجون فى الله الآية قال ابن عباس ومجاهد نزلت فى طائفة من بنى اسراءيل همت برد الناس عن الاسلام واضلالهم وقيل نزلت فى قريش لانها كانت ابدا تحاول هذا المعنى ويحاجون فى الله معناه فى دين الله او توحيـد الله اي يحاجون فيـه بالابطال والالحاد وما اشبهه والضمير فى له يحتمل ان يعود على الله تبارك وتعالى ويحتمل ان يعود على الدين والشرع ويحتمل ان يعود على النبي عليه السلام وداحضة معناه زاهقة والدحض الزهق وباقى الآية بين * وقوله سبحانه الله الذى انزل الكتاب بالحق معناه مضمنـا الحق اي بالحق فى احكامه واوامره ونواهيـه واخباره والميزان هنـا العدل قاله ابن عباس ومجاهد والناس وحكى الثعلبي عن مجاهد انـه قال هو هنا الميزان الذى بايـدى الناس قال (ع) ولاشك انه داخل فى العدل وجزء منه * وقوله تعالى وما يدريك لعل الساعة قريب وعيد للمشركين وجاء لفظ قريب مذكرا من حيث تانيث الساعـة غير حقيقي واذ هي بمعنى الوقت (ت) ينبغى للمومن العاقل ان يتدبر هـذه الآيـة ونظائرها ويقدر فى نفسه انه المقصود بها

لاه بـدنيـاه والايام تنعـاه * والقبر غايتـه واللحـد مأواه

يلهو فلوكان يدرى ما اعِدله * اذن لاحزنـه ما كان الهـاه
قال الغزالي فى الاحياء قال ابو زكرياء التيمي بينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد الحرام اذ اوتي بحجر منقوش فطلب من يقرأه فاوتي بوهب بن منبه فاذا فيه * ابن ءادم انك لورأيت قرب ما بقي من اجلك * لزهدت فى طول املك * ولرغبت فى الزيادة من عملك * ولقصرت من حرصك وحيلك * وانما يلقاك غدا ندمك * لوقدزلت بك قدمك * واسلمك اهلك وحشمك * ففارقك الولد والقريب * ورفضك الوالد والنسيب * فلا انت الى دنياك عائد * ولا فى حسناتك زائد * فاعمل ليوم القيامة * قبل الحسرة والندامة * فبكى سليمان بكاء شديدا انتهى وباقى الآيـة بين ثم رجى تبارك وتعالى عباده بقوله الله لطيف بعباده ولطيف هنا بمعنى رفيق مُتَحَـفٍّ والعباد هنا المومنون * وقوله تعالى من كان يريـد حرث الآخرة معناه ارادة مستعـد عامل لا ارادة متمن مسوف والحرث فى هذه الآية عبارة عن السعي والتكسب والاعداد * وقوله تعالى نزد له فى حرثه وعد متنجز قال الفخر وفى تفسير قوله نزد له فى حرثه قولان الاول نزد له فى توفيقه واعانتـه وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات عليه وقال مقاتـل نزد له فى حرثـه بتضعيف الثواب قال تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انتهى وقوله ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها معناه ما شئنا منها ولمن شئنا فرب ممتحن مضيق عليه حريص على حرث الدنيا مريد له لا يحس بغيره نعوذ بالله من ذلك وهذا الذى لا يعقل غير الدنيا هو الذى نفى ان يكون له نصيب فى الآخرة * وقوله تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله ام هذه منقطعة لا معادلة وهي بتقدير بل والف الاستفهام والشركاء فى هذه الآية يحتمل ان يكون المراد بهم الشياطين والمغوين من اسلافهم ويكون الضمير فى لهم للكفار المعاصرين لمحمد عليه السلام فالاشتراك هاهنا هو

فى الكفر والغواية وليس بشركة الاشراك بالله ويحتمل ان يكون المراد بالشركاء الاصنام والاوثان على معنى ام لهم اصنام جعلوها شركاء لله فى الوهيته ويكون الضمير فى شرعوا لهؤلاء المعاصرين من الكفار ولآبائهم والضمير فى لهم للاصنام الشركاء وشرعوا معناه اثبتوا ونهجوا ورسموا والدين هنا العوائد والاحكام والسيرة ويدخل فى ذلك ايضا المعتقدات السوء لانهم فى جميع ذلك وضعوا اوضاعا فاسدة وكلمة الفصل هي ما سبق من قضاء الله تعالى بانه يوخر عقابهم للدار الآخرة والقضاء بينهم هو عذابهم فى الدنيا ومجازاتهم * وقوله تعالى ترى الظالمين هي رؤية بصر ومشفقين حال وليس لهم فى هذا الاشفاق مدح لانهم انما اشفقوا حين نزل بهم وليسوا كالمومنين الذين هم فى الدنيا مشفقون من امر الساعة كما تقدم وهو واقع بهم ابو حيان ضمير هو عائد على العذاب او على ما كسبوا بحذف مضاف اي وبال ما كسبوا انتهى والروضات المواضع المونقة النضِرة * وقوله تعالى ذلك الذى يبشر الله عباده اشارة الى قوله تعالى فى الآية الاخرى وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا * وقوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى اختلف الناس فى معناه فقال ابن عباس وغيره هي ءاية مكية نزلت فى صدر الاسلام ومعناها استكفاف شر الكفار ودفع اذاهم اي ما اسألكم على القرءان الا ان تودونى لقرابة بينى وبينكم فتكفوا عنى اذاكم قال ابن عباس وابن اسحاق وقتادة ولم يكن فى قريش بطن الا وللنبي صلى الله عليه وسلم فيه نسب او صهر فالآية على هذا فيها استعطاف ما ودفع اذى وطلب سلامة منهم وذلك كله منسوخ بآية السيف ويحتمل هذا التاويل ان يكون معنى الكلام استدعاء نصرهم اي لا اسألكم غرامة ولا شيأ الا ان تودونى لقرابتى منكم وان تكونوا اولى بى من غيركم قال (ع) وقريش كلها عندى قربى وان كانت تتفاضل وقد روي عن النبي صلى الله عليه

وسلم انه قال من مات على حب ءال محمد مات شهيدا ومن مات على بغضهم لم يشم رائحة الجنة وقال ابن عباس ايضا ما يقتضى ان الآية مدنية وان الانصار جمعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مالا وساقته اليه فرده عليهم ونزلت الآية فى ذلك وقيل غير هذا وعلى كل قول فالاستثناء منقطع والا بمعنى لكن ويقترف معناه يكتسب ورجل قُرَفَة اذا كان محتالا كسوبا وغفور معناه ساتر عيوب عباده وشكور معناه مجاز على الدقيقة من الخير لا يضيع عنده لعامل عمل * وقوله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا ام هذه مقطوعة مضمنة اضرابا عن كلام متقدم وتقريرا على هذه المقالة منهم * وقوله تعالى فان يشإ الله يختم على قلبك معناه فى قول قتادة وفرقة من المفسرين ينسيك القرءان والمراد الرد على مقالة الكفار وبيان ابطالها كانه يقول وكيف يصح ان تكون مفتريا وانت من الله برأى ومسمع وهو قادر لو شاء ان يختم على قلبك فلا تعقل ولا تنطق ولا يستمر افتراؤك فمقصد اللفظ هذا المعنى وحذف ما يدل عليه الظاهر اختصارا واقتصارا وقال مجاهد المعنى فان يشإ الله يختم على قلبك بالصبر لاذى الكفار ويربط عليك بالجلد فهذا تاويل لا يتضمن الرد على مقالتهم قال ابو حيان وذكر القشيري ان الخطاب للكفار اي يختم على قلبك ايها القائل فيكون انتقالا من الغيبة للخطاب ويمح استيناف اخبار لا داخل فى الجواب وتسقط الواو من اللفظ لالتقاء الساكنين ومن المصحف حملا على اللفظ انتهى * وقوله تعالى ويمح فعل مستقبل خبر من الله تعالى انه يمحو الباطل ولا بد اما فى الدنيا واما فى الآخرة وهذا بحسب نازلة نازلة وكتب يمح فى المصحف بحاء مرسلة كما كتبوا ويدع الانسان الى غير ذلك مما ذهبوا فيه الى الحذف والاختصار * وقوله بكلماته معناه بما سبق فى قديم علمه وارادته من كون الاشياء فالكلمات المعانى القائمة القديمة التى لا تبديل لها ثم ذكر تعالى النعمة فى تفضله

بقبول التوبة من عباده وقبول التوبة فيما يستانف العبد من زمانه واعماله مقطوع بـه بهذه الآية واما ما سلف من اعماله فينقسم فاما التوبة من الكفر فماحية كل ما تقدمها من مظالم العباد الفائتة وغير ذلك واما التوبـة من المعاصى فلاهل السنة فيهـا قولان هل تذهب المعاصي السالفة للعبد بينه وبين خالقه فقالت فرقة هي مذهبة لها وقالت فرقة هي فى مشيئة الله تعالى واجمعوا انها لا تذهب مظالم العباد وحقيقة التوبة الاقلاع عن المعاصى والاقبال والرجوع الى الطاعات * ويلزمها الندم على ما فات * والعزم على ملازمة الخيرات * وقال سري السقطي التوبـة العزم على ترك الذنوب * والاقبال بالقلب على علام الغيوب * وقال يحيى بن معاذ التائب من كسر شبابه على رأسه وكسر الدنيا على رأس الشيطان ولزم الفطام * حتى اتاه الحمام * وقوله تعالى عن عباده بمعنى من عباده وكانه قال التوبة الصادرة عن عباده وقرأ الجمهور يفعلون باليـاء على الغيبة وقرأ حمزة والكسائي تفعلون بالتاء على المخاطبة وفى الآية توعد * وقوله تعالى ويستجيب قال الزجاج وغيره معنـاه يجيب والعرب تقول اجاب واستجاب بمعنى والذين على هـذا التاويل مفعول يستجيب وروي هـذا المعنى عن معاذ بن جبل ونحوه عـن ابن عباس وقالت فرقـة المعنى ويستدعى الذين امنوا الاجابة من ربهم بالاعمال الصالحات ودل قوله ويزيدهم من فضله على ان المعنى فيجيبهم والذين على هـذا القول فاعل يستجيب وقالت فـرقـة المعنى ويجيب المومنون ربهم فالذين فاعل بمعنى يجيبون دعوة شرعه ورسالته والزيادة من فضله هي تضعيف الحسنات وروي عـن النبي صلى الله عليـه وسلم انه قال هي قبول الشفاعات فى المذنبين والرضوان * وقوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير قال عمرو ابن حُرَيْـث وغيره انها نزلت لان قوما من اهل الصفـة طلبوا من رسول الله

صلى الله عليـه وسلم ان يغنيهم الله ويبسط لهم الاموال والارزاق فاعلمهم الله تعالى انه لو جاء الرزق على اختيار البشر واقتراحهم لكان سبب بغيهم وافسادهم ولكنه عز وجل اعلم بالمصلحة فى كل احد انـه بعباده خبير بصير بمصالحهم فهو ينزل لهم من الرزق القدر الذى بـه صلاحهم فرب انسان لا يصلح وتنكف عاديته الا بالفقر (ت) وقد ذكرنا فى هذا المختصر احاديث كثيرة مختارة فى فضل الفقراء الصابرين ما فيه كفاية لمن وفق وقد روى ابن المبارك فى رقائقه عن سعيد بن المسيب قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنى يارسول الله بجلساء الله يوم القيامة قال هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرا قال يا رسول الله فهم اول الناس يدخلون الجنـة قال لا قال فمن اول الناس يدخل الجنـة قال الفقراء يسبقون الناس الى الجنـة فتخرج اليهم منها ملائكـة فيقولون ارجعوا الى الحساب فيقولون على م نحاسب والله ما افيضت علينا الاموال فى الدنيـا فنقبض فيها ونبسط وما كنا امراء نعدل ونجور ولكنا جاءنا امر الله فعبدناه حتى اتانا اليقين انتهى * وقوله عـز وجـل وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا الآية تعديد نعم الله الدالة على وحدانيتـه وانـه المولى الذى يستحق ان يعبد دون ما سواه من الانداد وقرأ الجمهور قنطوا بفتح النون وقرأ الاعمش قنطوا بكسرها وهما لغتان وروي ان عمر رضي الله عنه قيل له اجدبت الارض وقنط الناس فقال مطروا اذن بمعنى ان الفرج عند الشدة * وقوله تعالى وينشر رحمته قيل اراد بالرحمة المطر وقيل اراد بالرحمة هنا الشمس فذلك تعديد نعمة غير الاولى وذلك ان المطر اذا الم بعد القنط حسن موقعه فاذا دام سئم فتجيء الشمس بعده عظيمة الموقع * وقوله تعالى وهـو الولي الحميد اي من هـذه افعاله هو الذى ينفع اذا والى وتحمد افعاله ونعمه قال القشيري اسمه تعالى الولي اي هو المتولى لاحوال عباده وقيـل هو من الوالى

وهو الناصر فاولياء الله انصار دينه واشياع طاعته والولي فى صفة العبد من يواظب على طاعة ربه ومن علامات من يكون الحق سبحانه وليه ان يصونه ويكفيه فى جميع الاحوال ويومنه فيغار على قلبه ان يتعلق بمخلوق فى دفع شر اوجاب نفع بل يكون سبحانه هو القائم على قلبه فى كل نفس فيحقق ءاماله عند اشاراته ويعجل مآربه عند خطراته ومن امارات ولايته لعبده ان يديم توفيقه حتى لو اراد سوءا او قصد محظورا عصمه عن ارتكابه اولو جنح الى تقصير فى طاعة ابى الا توفيقا وتاييدا وهذا من امارات السعادة وعكس هذا من امارات الشقاوة ومن امارات ولايته ايضا ان يرزقه مودة فى فلوب اوليائه انتهى من التحبير ثم ذكر تعالى الآية الكبرى الدالة على الصانع وذلك خلق السموات والارض * وقوله تعالى وما بث فيهما من دابة يتخرج على وجوه منها ان يريد احداهما وهو ما بث فى الارض دون السموات ومنها ان يكون تعالى قد خلق فى السموات وبث دواب لانعلمها نحن ومنها ان يريد الحيوانات التى توجد فى السحاب وقد تقع احيانا كالضفادع ونحوها فان السحاب داخل فى اسم السماء * وقوله تعالى وهو على جمعهم يريد يوم القيامة عند الحشر من القبور * وقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة قرأ جمهور القراء فبما بفاء وكذلك هي فى جل المصاحف وقرأ نافع وابن عامر بما دون فاء قال ابو علي الفارسي اصاب من قوله وما اصابكم يحتمل ان يكون فى موضع جزم وتكون ما شرطية وعلى هذا لايجوز حذف الفاء عند سيبويه وجوز حذفها ابو الحسن الاخفش وبعض البغداديين على انها مرادة فى المعنى ويحتمل ان يكون اصاب صلة لما وتكون ما بمعنى الذى وعلى هذا يتجه حذف الفاء وثبوتها لكن معنى الكلام مع ثبوتها التلازم اي لولا كسبكم ما اصابتكم مصيبة والمصيبة انما هي بكسب الايدى ومعنى الكلام مع حذفها يجوز ان يكون التلازم ويجوز ان يعرى منه قال (ع) واما

فى هذه الآية فالتلازم مطرد مع الثبوت والحذف واما معنى الآية فاختلف الناس فيه فقالت فرقة هو اخبار من الله تعالى بان الرزايا والمصائب فى الدنيا انما هي مجازات من الله تعالى على ذنوب المرء وخطاياه وان الله تعالى يعفو عن كثير فلا يعاقب عليه بمصيبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يصيب ابن ءادم خدش عود اوعثرة قدم ولا اختلاج عرق الابذنب وما يعفو عنه اكثر وقال مرة الهمداني رأيت على ظهر كف شريح قرحة فقلت ما هذا فقال هذا بما كسبت يدى ويعفو الله عن كثير وقيل لابى سليمان الداراني ما بال الفضلاء لا يلومون من اساء اليهم فقال لانهم يعلمون ان الله تعالى هو الذى ابتلاهم بذنوبهم وروى علي بن ابى طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء فى الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليكم العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله احلم من ان يعود فيه بعدعفوه وقال الحسن معنى الآية فى الحدود اي ما اصابكم من حد من حدود الله فبما كسبت ايديكم ويعفو الله عن كثير فيستره على العبد حتى لا يحد عليه ثم اخبر تعالى عن قصور ابن ءادم وضعفه وانه فى قبضة القدرة لا يعجز طلب ربه ولا يمكنه الفرار منه والجوارى جمع جارية وهي السفينة والاعلام الجبال وباقى الآية بين فيه الموعظة وتشريف الصبار الشكور * وقوله تعالى او يوبقهن بما كسبوا اوبقت الرجل اذا انشبته فى امر يهلك فيه وهو فى السفن تغريقها وبما كسبوا اي بذنوب ركابها وقرأ نافع وابن عامر ويعلم بالرفع على القطع والاستيناف وقرأ الباقون والجمهور ويعلم بالنصب على تقدير ان والمحيص المنجى وموضع الروغان ثم وعظ سبحانه عباده وحقر عندهم امر الدنيا وشأنها ورغبهم فيما عنده من النعيم والمنزلة الرفيعة لديه وعظم قدر ذلك فى قوله فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى للذين ءامنوا

وعلى ربهم يتوكلون وقرأ الجمهور كبائر على الجمع قال الحسن هي كل ما توعد فيه بالنار وقد تقدم ما ذكره الناس فى الكبائر فى سورة النساء وغيرها والفواحش قال السدي الزنا وقال مقاتل موجبات الحدود * وقوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون حض على كسر الغضب والتدرب فى اطفائه اذ هو جمرة من جهنم وباب من ابوابها وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اوصنى قال لا تغضب قال زدنى قال لا تغضب قال زدنى قال لا تغضب ومن جاهد هذا العارض من نفسه حتى غلبه فقد كفي هما عظيما فى دنياه وءاخرته (ت) وروى مالك فى الموطإ ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله علمنى كلمات اعيش بهن ولا تكثر علي فانسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغضب قال ابو عمر بن عبد البر اراد علمنى ما ينفعنى بكلمات قليلة لئلا انسى ان اكثرت علي ثم اسند ابو عمر من طرق عن الاحنف بن قيس عن عمه جارية بن قدامة انه قال يارسول الله قل لى قولا ينفعنى الله به واقلل لى لعلي اعقله قال لا تغضب فاعاد عليه مرارا كلها يرجع اليه رسول الله لا تغضب انتهى من التمهيد واسند ابو عمر فى التمهيد ايضا عن عبد الله بن ابى الهذيل قال لما رأى يحيى ان عيسى مفارقه قال له اوصنى قال لا تغضب قال لا استطيع قال لا تقتن مالا قال عسى انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كف لسانه عن اعراض المسلمين اقاله الله عثرته يوم القيامة ومن كف غضبه عنهم وقاه الله عذابه يوم القيامة قال ابن المبارك واخبرنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال ان الله تبارك وتعالى يقول من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منهم ومن ذكرنى حين يغضب ذكرته حين اغضب فلم امحقه فيمن امحق انتهى * وقوله تعالى والذين استجابوا مدح لكل

من آمن بالله وقبل شرعه ومدح الله تعالى القوم الذين امرهم شورى بينهم لان في ذلك اجتماع الكلمة والتحاب واتصال الايدى والتعاضد على الخير وفى الحديث ما تشاور قوم قط الا هدوا لاحسن ما بحضرتهم * وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون معناه فى سبيل الله وبرسم الشرع وقال ابن زيد قوله تعالى والذين استجابوا لربهم الآية نزلت فى الانصار والظاهر ان الله تعالى مدح كل من انصف بهذه الصفة كائنا من كان وهل حصل الانصار فى هذه الصفة الابعد سبق المهاجرين اليها رضي الله عن جميعهم بمنه * وقوله عز وجل والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون مدح سبحانه فى هذه الآية قوما بالانتصار ممن بغى عليهم ورجح ذلك قوم من العلماء وقالوا الانتصار بالواجب تغيير منكر قال الثعلبي قال ابراهيم النخعي فى هذه الآية كانوا يكرهون ان يستذلوا فاذا قدروا عفوا انتهى * وقوله سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها قيل سمي الجزاء باسم الابتداء وان لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة قال (ع) وان اخذنا السيئة هنا بمعنى المصيبة فى حق البشر اي يسوء هذا هذا ويسوءه الآخر فلسنا نحتاج الى ان نقول سمي العقوبة باسم الذنب بل الفعل الاول والآخر سيئة قال الفخر اعلم انه تعالى لما قال والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اردفه بما يدل على ان ذلك الانتصار يجب ان يكون مقيدا بالمثل فان النقصان حيف والزيادة ظلم والمساواة هو العدل فلهذا السبب قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها انتهى ويدل على ذلك قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ونحوه من الآي واللام فى قوله ولمن انتصر بعد ظلمه لام التقاء القسم * وقوله من سبيل يريد من سبيل حرج ولا سبيل حكم وهذا ابلاغ فى اباحة الانتصار والخلاف فيه هل هو بين المومن والمشرك او بين المومنين * وقوله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس الآية المعنى انما سبيل الحكم والاثم على الذين

يظلمون الناس روى الترمذي عن كعب بن عجرة قال قال لى النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله يا كعب من امراء يكونون فمن غشي ابوابهم فصدقهم فى كذبهم واعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولا يرد علي الحوض يا كعب الصلاة برهان والصبر جنة حصينة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار يا كعب انه لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار اولى به قال ابو عيسى هذا حديث حسن وخرجه ايضا فى كتاب الفتن وصححه انتهى * وقوله تعالى انما السبيل الى قوله اليم اعتراض بين الكلامين ثم عاد فى قوله ولمن صبر الى الكلام الاول كانه قال ولمن انتصر بعد ظلمه فاولائك ما عليهم من سبيل ولمن صبر وغفر الآية واللام فى قوله ولمن صبر يصح ان تكون لام قسم ويصح ان تكون لام الابتداء وعزم الامور محكمها ومتقنها والحميد العاقبة منها فمن رأى ان هذه الآية هي فيما بين المومنين والمشركين وان الصبر للمشركين كان افضل قال ان الآية نسخت بآية السيف ومن رأى ان الآية بين المومنين قال هي محكمة والصبر والغفران افضل اجماعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم فيقوم عنق من الناس كبير فيقال ما اجركم فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فى الدنيا * وقوله تعالى ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده تحقير لامر الكفرة اي فلا يبالى بهم احد من المومنين لانهم صائرون الى ما لا فلاح لهم معه ثم وصف تعالى لنبيه حالهم فى القيامة عند رؤيتهم العذاب وقولهم هل الى مرد من سبيل ومرادهم الرد الى الدنيا والرؤية هنا رؤية عين والضمير فى قوله عليها عائد على النار وان لم يتقدم لها ذكر من حيث دل عليها قوله رأوا العذاب * وقوله من الذل يتعلق بخاشعين * وقوله تعالى ينظرون من طرف خفي قال قتادة والسدي المعنى يسارقون النظر لما كانوا فيه

من الهم وسوء الحال لا يستطيمون النظر بجميع العين وانما ينظرون ببعضها قال الثعلبي قال يونس من بمعنى الباء اي ينظرون بطرف خفي اي ضعيف من اجل الذل والخوف ونحوُه عن الاخفش انتهى وفى البخاري من طرف خفي اي ذليل * وقوله تعالى وقال الذين ءامنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الآية وقول الذين ءامنوا هو فى يوم القيامة عند ما عاينوا حال الكفار وسوء منقلبهم * وقوله تعالى الا ان الظالمين فى عذاب مقيم يحتمل ان يكون من قول المومنين يومئـذ حكاه الله عنهم ويحتمل ان يكون استينافا من قول الله عز وجل واخباره لنبيـه محمد عليـه السلام * وقوله تعالى وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله الآية انحاء على الاصنام والاوثان التى اظهر الكفار ولايتها واعتقدت ذلك دينا ثم امر تعالى نبيـه ان يامرهم بالاستجابة لدعوة الله وشريعته من قبل اتيان يوم القيامـة الذى لا يرد احـد بعـده الى عمل قال (ع) فى الآيـة الاخرى فى سورة الم غلبت الروم ويحتمل ان يريـد لايرده راد حتى لا يقع وهـذا ظاهر بحسب اللفظ والنكير مصدر بمعنى الانكار قال الثعلبي مـا لكم من ملجإ اي معقل وما لـكم من نـكير اي من انكار على ما ينزل بكم من العذاب يغير ما بكم انتهى * وقوله تعالى فان اعرضوا الآيـة تسليـة للنبي صلى الله عليـه وسلم والانسان هنـا اسم جنس وجمع الضمير فى قوله تصبهم وهو عائد على لفظ الانسان من حيث هو اسم جنس * وقوله تعالى لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء الآية هذه ءاية اعتبار دال على القدرة والملك المحيط بالجميع وان مشيئته تعالى نافذة فى جميع خلقـه وفى كل امرهم وهذا لا مدخل لصنم فيـه فان الذى يخلق ما يشـاء هو الله تبارك وتعالى وهو الذى يقسم الخلق فيهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الاولاد الذكور او يزوجهم اي ينوعهم ذكرانا واناثا وقال محمد بن الحنفية يريـد بقوله تعالى او يزوجهم التَوأَم

اي يجعل فى بطن زوجا من الذرية ذكرا وانثى والعقيم الذى لا يولد له وهذا كله مدبر بالعلم والقدرة وبدأ فى هذه الآية بذكر الاناث تانيسا بهن ليتهمم بصونهن والاحسان اليهن وقال النبي عليه السلام من ابتلي من هذه البنات بشيء فاحسن اليهن كن له حجابا من النار وقال واثلة بن الاسقع من يمن المرأة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لان الله تعالى بدأ بذكر الاناث حكاه عنه الثعلبي قال وقال اسحاق بن بشر نزلت هذه الآية فى الانبياء ثم عمت فيهب لمن يشاء اناثا يعنى لوطا عليه السلام ويهب لمن يشاء الذكور يعنى ابرهيم عليه السلام او يزوجهم ذكرانا واناثا يعنى نبينا محمدا عليه السلام ويجعل من يشاء عقيما يعني يحيى بن زكرياء عليهما السلام * وقوله تعالى وماكان لبشر ان يكلمه الله الاوحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا الآية نزلت بسبب خوض كان للكفار فى معنى تكليم الله موسى ونحو ذلك ذهب قريش واليهود فى ذلك الى تجسيم ونحوه فنزلت الآية مبينة صورة تكليم الله عباده كيف هو فبين الله تعالى انه لا يكون لاحد من الانبياء ولا ينبغي له ولا يمكن فيه ان يكلمه الله الا بان يوحي اليه احد وجوه الوحي من الالهام قال مجاهد او النفث فى القلب او وحي فى منام قال النخعي وكان من الانبياء من يخط له فى الارض ونحو هذا اوبان يسمعه كلامه دون ان يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيزا كموسى عليه السلام وهذا معنى من وراء حجاب اي من خفاء عن المكلَّم لا يحده ولا يتسور بذهنه عليه وليس كالحجاب فى الشاهد اوبان يرسل اليه ملكا يشافهه بوحي الله عز وجل قال الفخر قوله فيوحي باذنه ما يشاء اي فيوحي ذلك الملك باذن الله ما يشاء الله انتهى وقرأ جمهور القراء والناس او يرسل بالنصب فيوحي بالنصب ايضا وقرأ نافع وابن عامر وابن عباس واهل المدينة او يرسل بالرفع فيوحي بسكون الياء وقوله او من وراء حجاب من متعلقة بفعل يدل ظاهر الكلام

عليه تقديره او يكلمه من وراء حجاب وفى هذه الآية دليل على ان الرسالة من انواع التكليم وان من حلف لا يكلم فلانا وهو لم ينو المشافهة ثم ارسل رسولا حنث * وقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا الآية المعنى وبهذه الطرق ومن هذا الجنس او حينا اليك اي بالرسول والروحُ فى هذه الآية القرءان وهدى الشريعة سماه روحا من حيث يحي به البشر والعالم كما يحيى الجسد بالروح فهذا على جهة التشبيه * وقوله تعالى من امرنا اي واحد من امورنا ويحتمل ان يكون الامر بمعنى الكلام ومن لابتداء الغاية * وقوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان توقيف على مقدار النعمة والضمير فى جعلناه عائد على الكتاب ونهدى بمعنى نرشد وقرأ جمهور الناس وانك لتهدى بفتح التاء وكسر الدال وقرأ حوشب لتهدى بضم التاء وفتح الدال وقرأ عاصم لتهدى بضم التاء وكسر الدال * وقوله صراط الله يعنى صراط شرع الله ثم استفتح سبحانه القول فى الاخبار بصيرورة الامور اليه سبحانه مبالغة وتحقيقا وتثبيتا فقال الا الى الله تصير الامور قال الشيخ العارف بالله ابو الحسن الشاذلي رحمه الله ان اردت ان تغلب الشر كله وتلحق الخير كله ولا يسبقك سابق وان عمل ما عمل فقل يامن له الخير كله اسألك الخير كله واعوذبك من الشر كله فانك انت الله الغني الغفور الرحيم اسألك بالهادى محمد صلى الله عليه وسلم الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير الامور مغفرة تشرح بها صدرى وتضع بها وزرى وترفع بها ذكرى وتيسر بها امرى وتنزه بها فكرى وتقدس بها سرى وتكشف بها ضرى وترفع بها قدرى انك على كل شيء قدير اه (ت) قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب هذا بين وقوله ولا الايمان فيه تاويلات قيل معناه ولا شرائع الايمان ومعالمه قال ابو العالية يعنى الدعوة الى الايمان وقال الحسين

ابن الفضل يعنى اهل الايمان من يومن ومن لا يومن وقال ابن خزيمة الايمان هنا الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم قال ابن ابى الجعد وغيره احترق مصحف فلم يبق منه الا الا الى الله تصير الامور وغرق مصحف فامتحى كله الا قوله الا الى الله تصير الامور نقله الثعلبي وغيره انتهى

قال العبد الفقير الى الله تعالى عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي لطف الله به فى الدارين قد يسر الله عز وجل فى تحرير هذا المختصر * وقد اودعته بحمد الله جزيلا من الدرر * قد استوعبت فيه بحمد الله مهمات ابن عطية وزدته فوائد جليلة من غيره وليس الخبر كالعيان توخيت فيه بحمد الله الصواب * وجعلته ذخيرة عند الله ليوم المآب * لا يستغنى عنه المنتهى * وفيه كفاية للمبتدى * يستغنى به عن المطولات اذ قد حصل منها لبابها * وكشف عن الحقائق حجابها *

﴿ التعريف برحلة المؤلف ﴾

رحلت فى طلب العلم فى اواخر القرن الثامن ودخلت بجاية فى اوائل القرن التاسع فلقيت بها الائمة المقتدى بهم اصحاب سيدى عبد الرحمن الوغليسي متوافرين فحضرت مجالسهم وكانت عمدة قراءتى بها على سيدى علي بن عثمان المانجلاتي رحمه الله بمسجد عين البربر ثم ارتحلت الى تونس فلقيت بها سيدى عيسى الغبريني والابي والبرزلي وغيرهم واخذت عنهم ثم ارتحلت الى المشرق فلقيت بمصر الشيخ ولي الدين العراقي فاخذت عنه علوما جمة معظمها علم الحديث وفتح الله لى فيه فتحا عظيما وكتب لى واجازنى جميع ما حضرته عليه واطلق فى غيره ثم لقيت بمكة بعض المحدثين ثم رجعت الى الديار المصرية والى تونس وشاركت من بها ولقيت

بها شيخنا ابا عبد الله محمد بن مرزوق قادما لارادة الحج فاخذت عنه كثيرا واجازنى التدريس فى انواع الفنون الاسلامية وحرضنى على اتمام تقييد وضعته على ابن الحاجب الفرعي (ت) ولما فرغت من تحرير هذا المختصر وافق قدوم شيخنا ابى عبد الله محمد بن مرزوق علينا فى سفرة سافرها من تلمسان متوجها الى تونس ليصلح بين سلطانها وبين صاحب تلمسان فاوقفته على هذا الكتاب فنظر فيه وامعن النظر فسر به سرورا كثيرا ودعا لنا بخير والله الموفق بفضله

تفسير سورة الزخرف وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

حم والكتاب المبين والكتاب خفض بواو القسم والضمير فى جعلناه عائد على الكتاب وانه عطف على جعلناه وهذا الاخبار الثانى واقع ايضا تحت القسم وام الكتاب اللوح المحفوظ وهذا فيه تشريف للقرءان وترفيع واختلف المتأولون كيف هو فى ام الكتاب فقال قتادة وغيره القرءان باجمعه فيه منسوخ ومنه كان جبريل ينزل وهنالك هو علي حكيم وقال جمهور الناس انما فى اللوح المحفوظ ذكره ودرجته ومكانته من العلو والحكمة * وقوله سبحانه افنضرب بمعنى افنترك تقول العرب اضربت عن كذا وضربت اذا اعرضت عنه وتركته والذكر هو الدعاء الى الله والتذكير بعذابه والتخويف من عقابه وقال ابو صالح الذكر هنا اراد به العذاب نفسه وقال الضحاك ومجاهد الذكر القرءان * وقوله

صفحا يحتمل ان يكون بمعنى العفو والغفر للذنوب فكانه يقول افنترك تذكيركم وتخويفكم عفوا عنكم وغفرا لاجرامكم من اجل ان كنتم قوما مسرفين اي هذا لا يصلح وهذا قول ابن عباس ومجاهد ويحتمل قوله صفحا ان يكون بمعنى مغفولا عنه اي نتركه يمر لا توخذون بقبوله ولا بتدبره فكان المعنى افنترككم سدى وهذا هو منحى قتادة وغيره وقرأ نافع وحمزة والكساءي ان كنتم بكسر الهمزة وهو جزاء دل ما تقدمه على جوابه وقرأ الباقون بفتحها بمعنى من اجل ان والاسراف فى الآية هو كفرهم * وكم ارسلنا من نبيء فى الاولين اي فى الامم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم * وما ياتيهم من نبيء الا كانوا به يستهزءون اي كما يستهزئ قومك بك وهذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتهديد بان يصيب قريشا ما اصاب من هو اشد بطشا منهم * ومضى مثل الاولين اي سلف امرهم وسنتهم وصاروا عبرة غابر الدهر انشد صاحب عنوان الدراية لشيخه ابى عبد الله التميمي

ياويح من غره دهر فسر بـه * لم يخلص الصفو الا شيب بالكدر
هو الحمام فلا تبعِدْ زيارتـه * ولا تقل ليتنى منـه على حـذر
انظر لمن باد تنظر ءايـة عجبـا * وعبرة لاولى الالبـاب والعبـر
اين الالى جَنَبوا خيـلا مسومـة * وشيدوا ارما خوفا من القـدر
لم تغنهم خيلهم يوما وان كثرت * ولم تفـد ارم للحـادث النكـر
بادوا فعادوا حديثـا ان ذا عجب * ما اوضح الرشد لولا سيئى النظر
تنافس الناس فى الدنيا وقد علموا * ان المقـام بهـا كاللمح بالبصـر

انتهى * وقوله سبحانه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الآية ابتداء احتجاج على قريش يوجب عليهم التناقض من حيث اقروا بالخالق وعبدوا غيره وجاءت العبارة عن الله بالعزيز العليم ليكون ذلك

توطئة لما عدد سبحانه من اوصافه التى ابتدأ الاخبار بها وقطعها من الكلام الذى حكى معناه عن قريش * وقوله تعالى الذى جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون الآية هذه اوصاف فعل وهي نعم من الله سبحانه على البشر تقوم بها الحجة على كل مشرك * وقوله الذى جعل لكم ليس هو من قول المسئولين بل هو ابتداء اخبار من الله تعالى * وقوله سبحانه والذى نزل من السماء ماء بقدر قيل معناه بقدر فى الكفاية للصلاح لا اكثار فيفسد ولا قلة فيقصر بل غيثا مغيثا وقيل بقدر اي بقضاء وحتم وقالت فرقة معناه بتقدير وتحرير اي قدر ماء معلوما ثم اختلف قائلو هذه المقالة فقال بعضهم ينزل فى كل عام ماء قدرا واحدا لا يفضل عام عاما لكن يكثر مرة هاهنا ومرة هاهنا وقال بعضهم بل ينزل تقديرا ما فى عام وينزل فى ءاخر تقديرا ما وينزل فى ءاخر تقديرا آخر بحسب ما سبق به قضاؤه لا اله الا هو (ت) وبعض هذه الاقوال لا تقال من جهة الرأي بل لا بد لها من سند وانشرنا معناه احيينا يقال نشر الميت وانشره الله والازواج هنا الانواع من كل شيء ومن فى قوله من الفلك والانعام للتبعيض والضمير فى ظهوره عائد على النوع المركوب الذى وقعت عليه ما وقد بينت ءاية اخرى ما يقال عند ركوب الفلك وهو بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وانما هذه خاصة فيما يركب من الحيوان وان قدرنا ان ذكر النعمة هو بالقلب والتذكر بدأ الراكب بسبحان الذى سخر لنا هذا وهو يرى نعمة الله فى ذلك وفى سواه ومقرنين اي مطيقين وقال ابو حيان مقرنين خبر كان ومعناه غالبين ضابطين انتهى وهو بمعنى الاول وانا الى ربنا لمنقلبون امر بالاقرار بالبعث (ت) وعن حمزة بن عمرو الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهر كل بعير شيطان فاذا ركبتموها فسموا الله رواه ابن حبان فى صحيحه انتهى من السلاح وينبغى لمن ملكه الله

شيأ من هـذا الحيوان ان يرفق به ويحسن اليه لينال بذلك رضا الله تعالى قال القشيري فى التحبير وينبغي للعبد ان يكون معظما لربه نفاعا لخلقه خيرا فى قومه مشفقا على عباده فان رأس المعرفة تعظيم امر الله سبحانه والشفقة على خلق الله انتهى وروى مالك فى الموطإ عن النبي صلى الله عليه وسلم انـه قال بينما رجل يمشى بطريق اذا اشتد عليه العطش فوجد بيرا فنزل فيهـا فشرب فخرج فاذا كلب يلهث يا كل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى فنزل البـير فملأ خفه ثم امسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له فقالوا يا رسول الله وان لنا فى البهائم اجرا فقال فى كل كبـد رطبـة اجر قال ابو عمر فى التمهيـد وكذا فى الاساءة الى الحيوان اثم وقد روى مالك عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلا هي اطعمتها ولا هي اطلقتها تاكل من خشاش الارض ثم اسنـد ابو عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطا من حيطان الانصار فاذا جمل قد اتى فجرجر وذرَفت عيناه فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سراته وذفراه فسكن فقال من صاحب الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هو لى يا رسول الله فقال اما تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله انه شكا الي انك تجيعه وتُدْئِبه ومعنى ذرفت عيناه اي قطرت دموعهما قطرا ضعيفا والسَراة الظهر والذِفْرَى ماوراء الاذنـين عن يمين النُقْرة وشمالها انتهى * وقوله سبحانه وجعلوا له من عباده جزءا اي جعلت كفار قريش والعرب لله جزءا اي نصيبا وحظا وهو قول العرب الملائكة بنات الله هذا قول كثير من المتأولين وقال قتادة المراد بالجزء الاصنام وغيرها فجزءا معناه ندا (ت) وباقى الآيـة يرجح تاويل الاكثر * وقوله ام اتخذوا اضراب وتقرير وتوبيخ اذ المحمود المحبوب من الاولاد قد خوله الله بنى ءادم فكيف يتخذ هو لنفسه

النصيب الادنى وباقى الآية بين مما ذكر فى سورة النحل وغيرها ثم زاد سبحانه فى توبيخهم وافساد رأيهم بقوله او من ينشأ فى الحلية التقدير او من ينشأ فى الحلية هو الذى خصصتم به الله عز وجل والحلية الحلي من الذهب والفضة والاحجار وينشأ معناه ينبت ويكبر والخصام المحاجة ومجاذبة المحاورة وقل ما تجد امرأة الا تفسد الكلام وتخلط المعاني وفى مصحف ابن مسعود وهو فى الكلام غير مبين والتقدير غير مبين غرضا اومنزعا ونحو هذا وقال ابن زيد المراد بمن ينشأ فى الحلية الاصنام والاوثان لانهم كانوا يجعلون الحلي على كثير منها ويتخذون كثيرا منها من الذهب والفضة وقرأ اكثر السبعة وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقرأ الحرميان وابن عامر عند الرحمن اناثا وهذه القراءة ادل على رفع المنزلة * وقوله تعالى أأشهدوا خلقهم معناه احضروا خلقهم وفى قوله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون وعيد مفصح واسند ابن المبارك عن سليمان ابن راشد انه بلغه ان امرأ لا يشهد شهادة فى الدنيا الا شهد بها يوم القيامة على رءوس الاشهاد ولا يمتدح عبدا فى الدنيا الا امتدحه يوم القيامة على رءوس الاشهاد قال القرطبي فى تذكرته وهذا صحيح يدل على صحته قوله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون وقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد انتهى * وقوله سبحانه وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم الآية اي ما عبدنا الاصنام (ت) وقال قتادة وغيره يعنى ما عبدنا الملائكة وجعل الكفار امهال الله لهم دليلا على رضاه عنهم وان ذلك كالامر به ثم نفى سبحانه علمهم بهذا وليس عندهم كتاب منزل يقتضى ذلك وانما هم يظنون ويحدسون ويخمنون وهذا هوالخرص والتخرص والامة هنا بمعنى الملة والديانة والآية على هذا تعيب عليهم التقليد وذكر الطبري عن قوم ان الامة الطريقة ثم ضرب الله المثل لنبيه محمد عليه السلام وجعل له الاسوة فيمن مضى من النذر والرسل وذلك ان

المترفين من قومهم وهم اهل التنعم والمال قد قابلوهم بمثل هذه المقالة وفى قوله عز وجل فانتقمنا منهم الآية وعيد لقريش وضرب مثل لهم بمن سلف من الامم المعذبة المكذبة لانبيائها * وقوله سبحانه واذ قال ابراهيم المعنى واذكر اذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون اي فافعل انت فعله وتجلد جلده وبراء صفة تجرى على الواحد والاثنين والجمع كعدل وزور وقرأ ابن مسعود بري٠ * وقوله الا الذى فطرنى قالت فرقة الاستثناء متصل وكانوا يعرفون الله ويعظمونه الا انهم كانوا يشركون معه اصنامهم فكان ابراهيم قال لهم انا لا اوافقكم الا على عبادة الله الذى فطرنى وقالت فرقة الاستثناء منقطع والمعنى لكن الذى فطرنى هو معبودى الهادى المنجى من العذاب وفى هذا استدعاء لهم وترغيب فى طاعة الله وتطميع فى رحمته والضمير فى قوله وجعلها كلمة الآية قالت فرقة هو عائد على كلمته بالتوحيد فى قوله انني براء وقال مجاهد وغيره المراد بالكلمة لا اله الا الله وعاد عليها الضمير وان كان لم يجر لها ذكر لان اللفظ يتضمنها والعقب الذرية وولد الولد ما امتد فرعهم * وقوله بل متعت هؤلاء يعنى قريشا حتى جاءهم الحق ورسول وذلك هو شرع الاسلام والرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم ومبين اي يبين لهم الاحكام والمعنى فى الآية بل امهلت هؤلاء ومتعتهم بالنعمة ولما جاءهم الحق يعنى القرءان قالوا هذا سحر وقالوا يعنى قريشا لولا نزل هذا القرءان على رجل من القريتين يعنى من احدى القريتين وهما مكة والطائف ورجل مكة هو الوليد بن المغيرة فى قول ابن عباس وغيره وقال مجاهد هو عتبة بن ربيعة وقيل غير هذا ورجل الطائف قال قتادة هو عروة بن مسعود وقيل غير هذا قال (ع) وانما قصدوا الى من عظم ذكره بالسن والا فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان اعظم من هؤلاء اذ كان المسمى عندهم الامين ثم وبخهم سبحانه بقوله اهم يقسمون رحمت ربك والرحمة اسم

عام يشمل النبوءة وغيرها وفى قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم تزهيد فى السمايات وعون على التوكل على الله عز وجل ولله در القائل

كم جاهل يملك دورا وقرى * وعالم يسكن بيتا بالكرا
لما سمعنا قوله سبحانه * نحن قسمنا بينهم زال المرا

وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد الله بعبد خيرا ارضاه بما قسم له وبارك له فيه واذا لم يرد به خيرا لم يرضه بما قسم له ولم يبارك له فيه انتهى وسخريا بمعنى التسخير ولا مدخل لمعنى الهزء فى هذه الآية * وقوله تعالى ورحمة ربك خير مما يجمعون قال قتادة والسدي يعنى الجنة قال (ع) ولا شك ان الجنة هي الغاية ورحمة الله فى الدنيا بالهداية والايمان خير من كل مال وفى هذا اللفظ تحقير للدنيا وتزهيد فيها ثم استمر القول فى تحقيرها بقوله سبحانه ولولا ان يكون الناس امة واحدة الآية وذلك ان معنى الآية ان الله سبحانه ابقى على عباده وانعم عليهم بمراعاة بقاء الخير والايمان وشاء حفظه على طائفة منهم بقية الدهر ولولا كراهية ان يكون الناس كفارا كلهم واهل حب فى الدنيا وتجرد لها لوسع الله على الكفار غاية التوسعة ومكنهم من الدنيا وذلك لحقارتها عنده سبحانه وانها لا قدر لها ولاوزن لفنائها وذهاب رسومها فقوله امة واحدة معناه فى الكفر قاله ابن عباس وغيره ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن علقمة عن عبد الله قال اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فاثر الحصير فى جنبه فلما استيقظ جعلت امسح عنه واقول يا رسول الله الاءاذنتنى قبل ان تنام على هذا الحصير فابسط لك عليه شيأ يقيك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى وللدنيا وما للدنيا ومالى ما انا والدنيا الا كراكب استظل

فى فيء اوظل شجرة ثم راح وتركها انتهى وقد خرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وسقفا جمع سقف والمعارج الادراج التى يطلع عليها قاله ابن عباس وغيره ويظهرون معناه يعلون ومنه حديث عائشة رضي الله عنها والشمس فى حجرتها لم تظهر بعد والسرر جمع سرير والزخرف قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي هو الذهب وقالت فرقة الزخرف التزاويق والنقش ونحوه وشاهده حتى اذا اخذت الارض زخرفها وقرأ الجمهور وان كل ذلك لما بتخفيف الميم من لما فان مخففة من الثقيلة واللام فى لما داخلة لتفصل بين النفي والايجاب وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه بتشديد الميم من لما فان نافية بمعنى ما ولما بمعنى الا اي وما كل ذلك الامتاع الحياة الدنيا وفى قوله سبحانه والآخرة عند ربك للمتقين وعد كريم وتحريض على لزوم التقوى اذ فى الآخرة هو التباين الحقيقي فى المنازل قال الفخر بين تعالى ان كل ذلك متاع الحياة الدنيا واما الآخرة فهي باقية دائمة وهي عند الله وفى حكمه للمتقين المعرضين عن حب الدنيا المقبلين على حب المولى انتهى * وقوله عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن الآية وعشا يعشو معناه قل الابصار منه ويقال ايضا عشِي الرجل يعشى اذا فسد بصره فلم ير اولم ير الا قليلا فالمعنى فى الآية ومن يقل بصره فى شرع الله ويغمض جفونه عن النظر فى ذكر الرحمن اي فيما ذكر به عباده اي فيما انزله من كتابه واوحاه الى نبيه * وقوله نقيض له شيطانا اي نيسر له ونعد وهذا هو العقاب على الكفر بالحتم وعدم الفلاح وهذا كما يقال ان الله تعالى يعاقب على المعصية بالتزيد فى المعاصي ويجازى على الحسنة بالتزيد من الحسنات وقد روي هذا المعنى مرفوعا قال (ص) ومن يعش الجمهور بضم الشين اي يتعام ويتجاهل فمن شرطية ويعش مجزوم بها ونقيض جواب من انتهى والضمير فى قوله وانهم عائد على الشياطين وفيما بعده عائد على الكفار وقرأ نافع وغيره حتى اذا جاءانا على

التثنية يريـد العاشي والقرين قاله قتادة وغيره وقرأ ابو عمرو وغيره جاءنا يريـد العاشي وحده وفاعل قال هو العاشي قال الفخر وروي ان الكافر اذا بعث يوم القيامة من قبره اخذ شيطان بيده فلم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار فذلك حيث يقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين انتهى * وقوله بعد المشرقين يحتمل معانيا احدها ان يريد بعد المشرق من المغرب فسماهما مشرقين كما يقال القمران والعمران والثاني ان يريد مشرق الشمس فى اطول يوم ومشرقها فى اقصر يوم والثالث ان يريد بعد المشرقين من المغربين فاكتفى بذكر المشرقين (ت) واستبعد الفخر التاويل الثانى قال لان المقصود من قوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين المبالغة فى حصول البعد وهذه المبالغة انما تحصل عند ذكر بعد لا يمكن وجود بعد ازيد منه والبعد بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف ليس كذلك فيبعد حمل اللفظ عليه قال والاكثرون على التاويل الاول انتهى * وقوله تعالى ولن ينفعكم اليوم الآية حكاية عن مقالة تقال لهم يوم القيامة وهي مقالة موحشة فيها زيادة تعذيب لهم ويأس من كل خير وفاعل ينفعكم الاشتراك ويجوز ان يكون فاعل ينفعكم التبرى الذى يدل عليه قوله يا ليت * وقوله سبحانه افأنت تسمع الصم الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وباقى الآية تكرر معناه غير ما مرة * وقوله تعالى فاستمسك بالذى اوحي اليك اي بما جاءك من عند الله من الوحي المتلو وغيره * وقوله وانه لذكر لك يحتمل ان يريد وانه لشرف فى الدنيا لك ولقومك يعنى قريشا قاله ابن عباس وغيره ويحتمل ان يريد وانه لتذكرة وموعظة فالقوم على هذا امته باجمعها وهذا قول الحسن بن ابي الحسن * وقوله وسوف تسئلون قال ابن عباس وغيره معناه عن اوامر القرءان ونواهيه وقال الحسن معناه عن شكر النعمة فيه واللفظ يحتمل هذا كله ويعمه * وقوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية قال ابن زيد والزهري

اما ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يسئل الرسل ليلة الاسراء عن هذا لانه كان اثبت يقينا من ذلك ولم يكن فى شك وقال ابن عباس وغيره اراد واسئل اتباع من ارسلنا وحملة شرائعهم وفى قراءة ابن مسعود وابي واسئل الذين ارسلنا اليهم (ت) قال عياض قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك الآية الخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد المشركون قاله القتبي ثم قال عياض والمراد بهذا الاعلام بان الله عز وجل لم ياذن فى عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم فى قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى انتهى * وقوله سبحانه ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الآية ضرب مثل واسوة للنبي صلى الله عليه وسلم بموسى عليه السلام ولكفار قريش بقوم فرعون * وقوله واخذناهم بالعذاب اي كالطوفان والجراد والقمل والضفادع وغير ذلك لعلهم يرجعون اي يتوبون ويرجعون عن كفرهم وقالوا لما عاينوا العذاب لموسى يا ايه الساحر اي العالم وانما قالوا هذا على جهة التعظيم والتوقير لان علم السحر عندهم كان علما عظيما وقيل انما قالوا ذلك على جهة الاستهزاء والاول ارجح وقولهم ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون اي ان نفعتنا دعوتك * وقوله اليس لى ملك مصر الآية مصر من بحر الاسكندرية الى أسوان بطول النيل والانهار التى اشار اليها هي الخلجان الكبار الخارجة من النيل * وقوله ام انا خير قال سيبويه ام هذه المعادلة والمعنى افانتم لا تبصرون ام تبصرون وقالت فرقة ام بمعنى بل وقرأ بعض الناس اما انا خير حكاه الفراء وفى مصحف ابي بن كعب ام انا خير ام هذا ومهين معناه ضعيف ولا يكاد يبين اشارة الى ما بقي فى لسان موسى من اثر الجمرة وكانت احدثت فى لسانه عقدة فلما دعا فى ان تحل ليفقه قوله اجيبت دعوته لكنه بقي اثر كان البيان يقع معه فعيره فرعون به * وقوله ولا يكاد يبين يقتضي

انه كان يبين * وقوله فلولا التي عليه يريد من السماء على معنى التكرمة وقرأ الجمهور اساورة وقرأ حفص عن عاصم أَسْوِرة وهو ما يجعل فى الذراع من الحلي وكانت عادة الرجال يومئذ لبس ذلك والتزين به (ت) وذكر بعض المفسرين عن مجاهد انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب علامة لسيادته فقال فرعون هلا القى رب موسى على موسى اساورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين متتابعين يقارن بعضهم بعضا يمشون معه شاهدين له انتهى وقال (ع) قوله مقترنين اي يحمونه ويشهدون له ويقيمون حجته (ت) وما تقدم لغيره احسن ولا يُشك ان فرعون شاهد من حماية الله لموسى امورا لم يبق معه شك فى ان الله قد منعه منه * وقوله سبحانه ءاسفونا معناه اغضبونا بلا خلاف * وقوله فجعلناهم سلفا السلف الفارط المتقدم اي جعلناهم متقدمين فى الهلاك ليتعظ بهم من بعدهم الى يوم القيامة وقال البخاري قال قتادة مثلا للآخرين عظة انتهى * وقوله سبحانه ولما ضرب ابن مريم مثلا الآية روي عن ابن عباس وغيره فى تفسيرها انه لما نزلت ان مثل عيسى عند الله كمثل ءادم الآية وكون عيسى من غير فحل قالت قريش ما يريد محمد من ذكر عيسى الا ان نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى فهذا كان صدودهم * وقوله تعالى وقالوا أآلهتنا خير ام هو هذا ابتداء معنى ثان وذلك انه لما نزل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية قال ابن الزبعرى ونظراؤه يا محمد أآلهتنا خير ام عيسى فنحن نرضى ان تكون ءالهتنا مع عيسى اذ هو خير منها واذ قد عبد فهو من الحصب اذن فقال الله تعالى ما ضربوه لك الاجدلا ومغالطة ونسوا ان عيسى لم يعبد برضى منه وقالت فرقة المراد بهو محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وفى مصحف ابي خير ام هذا فالاشارة الى نبينا محمد عليه السلام وقال ابن زيد وغيره المراد بهو عيسى وهذا هو

الراجح ثم اخبر تعالى عنهم انهم اهل خصام ولدد واخبر عن عيسى بقوله ان هو الاعبد انعمنا عليه اي بالنبوءة والمنزلة العالية (ت) وروينا فى جامع الترمذي عن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلا هذه الآية ما ضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى * وقوله وجعلناه مثلا اي عبرة وءاية لبنى اسراءيل والمعنى لا تستغربوا ان يخلق عيسى من غير فحل فان القدرة تقتضى ذلك واكثر منه * وقوله ولو نشاء لجعلنا منكم معناه لجعلنا بدلا منكم اي لو شاء الله لجعل بدلا من بنى ءادم ملائكة يسكنون الارض ويخلفون بنى ءادم فيها وقال ابن عباس ومجاهد يخلف بعضهم بعضا والضمير فى قوله وانه لعلم قال ابن عباس وغيره الاشارة به الى عيسى وقالت فرقة الى محمد وقال قتادة وغيره الى القرءان (ت) وكذا نقل ابو حيان هذه الاقوال الثلاثة ولو قيل انه ضمير الامر والشان استعظاما واستهوالا لامر الآخرة ما بَعُدَ بل هو المتبادر الى الذهن يدل عليه فلا تمترن بها والله اعلم وقرأ ابن عباس وجماعة لعلم بفتح العين واللام اي امارة وقرأ عكرمة للعلم بلامين الاولى مفتوحة وقرأ ابي لذكر للساعة فمن قال ان الاشارة الى عيسى حسن مع تاويله علم وعلم اي هو اشعار بالساعة وشرط من اشراطها يعنى خروجه فى آخر الزمان وكذلك من قال الاشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم اي هو ءاخر الانبياء وقد قال بعثت انا والساعة كهاتين يعنى السبابة والوسطى ومن قال الاشارة الى القرءان حسن قوله مع قراءة الجمهور اي يعلمكم بها وباهوالها * وقوله هذا صراط مستقيم اشارة الى الشرع * وقوله تعالى ولما جاء عيسى بالبينات يعنى احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك وباقى الآية تكرر معناه * وقوله هذا صراط مستقيم حكاية عن عيسى عليه السلام اذ اشار الى شرعه * وقوله سبحانه هل ينظرون يعنى

قريشا والمعنى ينتظرون وبغتة معناه فجأة ثم وصف سبحانه بعض حال القيامة فقال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو وذلك لهول مطلعها والخوف المطيف بالناس فيها يتعادى ويتباغض كل خليل كان فى الدنيا على غير تقى لانه يرى ان الضرر دخل عليه من قبل خليله واما المتقون فيرون ان النفع دخل من بعضهم على بعض هـذا معنى كلام علي رضي الله عنـه وخرج البزار عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله اي جلسائنا خير قال من ذكركم بالله رؤيته وزادكم فى علمكم منطقه وذكركم بالله عمله اه فمن مثل هؤلاء تصلح الاخوة الحقيقية والله المستعان ومن كلام الشيخ ابى مدين رضي الله عنه دليل تخليطك صحبتك للمخلطين * ودليل انقطاعك صحبتك للمنقطعين * وقال ابن عطاء الله فى التنوير قل ما تصفو لك الطاعات * او تسلم من المخالفات * مع الدخول فى الاسباب لاستلزامها لمعاشرة الاضداد * ومخالطة اهل الغفلة والبعاد * واكثر ما يعينك على الطاعات رؤية المطيعين * واكثر ما يدخلك فى الذنب رؤية المذنبين * كما قال عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل والنفس من شأنها التشبه والمحاكاة بصفات من قارنها فصحبة الغافلين معينة لها على وجود الغفلة انتهى وفى الحكم الفارقية من ناسب شيأ انجذب اليه * وظهر وصفه عليه * وفى سماع العتبية قال مالك لا تصحب فاجرا ليلا تتعلم من فجوره قال ابن رشد لا ينبغى ان يصحب الا من يقتدى به فى دينه وخيره لان قرين السوء يردى قال الحكيم

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردِي
عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

انتهى (ت) وحديث المرء على دين خليله اخرجه ابو داود وابو بكر بن الخطيب وغيرهما وفى الموطإ من حديث معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله

صلى الله عليـه وسلم يقـول قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتى للمتحـابين في والمتجالسين في والمتباذلين في والمتزاوين في قال ابو عمر اسناده صحيح عن ابى ادريس الخولاني عن معاذ وقد رواه جماعة عن معاذ ثم اسند ابو عمر من طريق ابى مسلم الخولاني عن معاذ قال سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول المتحابون فى الله على منابر من نور فى ظل العرش يوم لا ظل الا ظله قال ابو مسلم فخرجت فلقيت عبادة بن الصامت فذكرت له حديث معاذ فقال وانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن ربه قال حقت محبتى على المتحابين في وحقت محبتى على المتزاورين في وحقت محبتى على المتباذلين في والمتحابون فى الله على منابر من نور فى ظل العرش يوم لا ظل الا ظله انتهى من التمهيد * وقوله تعالى يا عبادى المعنى يقال لهم اي للمتقين وذكر الطبري عن المعتمر عن ابيه انه قال سمعت ان النـاس حين يبعثون ليس منهم احد الا فزع فينادى مناد ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين ءامنوا بـئاياتنـا وكانوا مسلمين قال فييأس منها جميع الكفار * وقوله الذين ءامنوا نعت للعباد وتحبرون معناه تنعمون وتسرون والحبرة السرور والاكواب ضرب من الاوانى كالاباريق الا انها لا آذان لها ولا مقابض * وقوله تعالى ان المجرمين يعنى الكفار والمبلس المبعد اليائس من الخير قاله قتادة وغيره وقولهم ليقض علينا ربك اي ليمتنا ربك فنستريح فالقضاء فى هذه الآية الموت كما فى قوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه وروي فى تفسير هـذه الآيـة عن ابن عباس ان مالكا يقيم بعد سؤالهم الف سنة ثم حينئذ يقول لهم انكم ما كثون * وقوله سبحانه لقد جئناكم يحتمل ان يكون من تمام قول مالك لهم ويحتمل ان يكون من قول الله تعالى لقريش فيكون فيـه تخويف فصيح بمعنى انظروا كيف يكون حالكم * وقوله تعالى ام ابرمـوا امرا اي احكموا

امرا فى المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون اي محكمون امرا فى نصره ومجازاتهم والمراد بالرسل هنا الحفظة من الملائكة يكتبون اعمال العباد وتعد للجزاء يوم القيامة واختلف فى قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين فقال مجاهد المعنى ان كان لله ولد فى قولكم فانا اول من عبد الله ووحده وكذبكم وقال ابن زيد وغيره ان نافية بمعنى ما فكانه قال قل ماكان للرحمن ولد وهنا هو الوقف على هذا التاويل ثم يبتدئ قوله فانا اول العابدين قال ابو حاتم قالت فرقة العابدون فى الآية من عبد الرجل اذا انف وانكر والمعنى ان كان للرحمن ولد فى قولكم فانا اول الآنفين المنكرين لذلك وقرأ ابو عبد الرحمن فانا اول العبدين قال ابو حاتم العبد بكسر الباء الشديد الغضب وقال ابو عبيدة معناه اول الجاحدين والعرب تقول عبدنى حق اي جحدنى وباقى الآية تنزيه لله سبحانه ووعيد للكافرين ويومهم الذى يوعدون هو يوم القيامة هذا قول الجمهور وقال عكرمة وغيره هو يوم بدر * وقوله جلت عظمته وهو الذى فى السماء اله الآية ءاية تعظيم واخبار بالوهيته سبحانه اي هو النافذ امره فى كل شيء وقرأ عمر بن الخطاب وابي وابن مسعود وغيرهم وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله وباقى الآية بين ثم اعلم سحانه ان من عبد من دون الله لايملك شفاعة يوم القيامة الا من شهد بالحق وهم الملائكة وعيسى وعزير فانهم يملكون الشفاعة بان يملكها الله اياهم اذ هم ممن شهد بالحق وهم يعلمونه فالاستثناء على هذا التاويل متصل وهو تاويل قتادة وقال مجاهد وغيره الاستثناء فى المشفوع فيهم فكانه قال لا يشفع هؤلاء الملائكة وعيسى وعزير الافيمن شهد بالحق اي بالتوحيد فـامن على علم وبصيرة فالاستثناء على هذا التاويل منفصل كانه قال لكن من شهد بالحق فيشفع فيهم هؤلاء والتاويل الاول اصوب وقرأ الجمهور وقيله بالنصب وهو مصدر كالقول والضمير فيه لنبينا محمد

صلى الله عليه وسلم واختلف فى الناصب له فقالت فرقة هو معطوف على قوله سرهم ونجواهم ولفظ البخاري وقيله يارب تفسيره ايحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم ولا نسمع قيله يا رب انتهى وقيل العامل فيه يكتبون ونزل قوله تعالى وقيله يا رب بمنزلة شكوى محمد عليه السلام واستغاثته من كفرهم وعتوهم وقرأ حمزة وعاصم وقيله بالخفض عطفا على الساعة * وقوله سبحانه فاصفح عنهم موادعة منسوخة وقل سلام تقديره امرى سلام اي مسالمة فسوف تعلمون

تفسير سورة الدخان وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

حم والكتاب المبين انا انزلناه فى ليلة مباركة الآية قوله والكتاب المبين قسم اقسم الله تعالى به وقوله انا انزلناه يحتمل ان يقع القسم عليه ويحتمل ان يكون وصفا للكتاب ويكون الذى وقع القسم عليه انا كنا منذرين واختلف فى تعيين الليلة المباركة فقال قتادة والحسن وابن زيد هي ليلة القدر ومعنى هذا النزول ان ابتداء نزوله كان فى ليلة القدر وهذا قول الجمهور وقال عكرمة الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان قال القرطبي والصحيح ان الليلة التى يفرق فيها كل امر حكيم ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة انتهى من التذكرة ونحوه لابن العربي * وقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم معناه يفصل من غيره ويتخلص فعن عكرمة ان الله تعالى يفصل ذلك للملائكة فى ليلة النصف من شعبان وفى بعض الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم

انـه قال تقطع الآجـال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له ولقد خرج اسمه فى الموتى وقال قتادة والحسن ومجاهـد يفصل فى ليلة القدر كل ما فى العام المقبل من الاقدار والارزاق والآجال وغير ذلك وامرا نصب على المصدر * وقوله انا كنا مرسلين يحتمل ان يريـد الرسل والاشياء ويحتمل ان يريد الرحمة التى ذكر بعد واختلف الناس فى الدخان الذى امر الله تعالى بارتقابـه فقالت فرقـة منها علي وابن عباس وابن عمر والحسن بن ابى الحسن وابو سعيـد الخدري هو دخان يجيء قبل يوم القيامة يصيب المومن منه مثل الزكام وينضج رءوس المنافقين والكافرين حتى تكون كانها مصلية حنيذة وقالت فرقة منها ابن مسعود هذا الدخان قدرأته قريش حين دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بسبع كسبع يوسف فكان الرجل يرى من الجوع دخانا بينـه وبين السماء وما ياتى من الآيات يؤيد هـذا التاويل وقولهم انا مومنون كان ذلك منهم من غير حقيقة ثم قال تعالى انى لهم الذكرى اي من اين لهم التـذكر والاتعاظ بعـد حلول العذاب وقـد جاءهم رسول مبين يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم فتولوا عنه اي اعرضوا وقالوا معلم مجنون * وقوله انكم عائـدون اي الى الكفر واختلف فى يوم البطشـة الكبرى فقالت فرقة هو يوم القيامة وقال ابن مسعود وغيره هو يوم بدر * وقوله ان ادوا ماخوذ من الاداء كانه يقول ان ادفعوا الي واعطونى ومكنونى من بنى اسراءيل واياهم اراد بقوله عباد الله وقال ابن عباس المعنى اتبعونى الى ما ادعوكم اليه من الحق فعباد الله على هـذا منادى مضاف والمؤدَى هي الطاعة والظاهر من شرع موسى عليه السلام انه بعث الى دعاء فرعون الي الايمان وان يرسل بنى اسراءيـل فلما ابى ان يومن ثبتت المكافحة فى ان يرسل بنى اسراءيـل وقوله بعد وان لم تومنوا لي فاعتزلون كالنص فى انه ءاخر الامر انما يطلب ارسال بنى اسراءيل فقط * وقوله وان لا تعلوا

على الله الآية المعنى كانت رسالته وقوله ان ادوا وان لا تعلوا على الله اي على شرع الله وعبر بالعلو عن الطغيان والعتو وان ترجمون معناه الرجم بالحجارة المؤدى الى القتل قاله قتادة وغيره وقيل اراد الرجم بالقول والاول اظهر لانـه الذى عـاذ منه ولم يعذ من الآخر (ت) وعن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من استعاذ بالله فاعيـذوه ومن سألكم بالله فاعطوه ومن استجار بالله فاجيروه ومن اتى اليكم بمعروف فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له حتى تعلموا ان قد كافأتموه رواه ابو داود والنساءي والحاكم وابن حبان فى صحيحيهما واللفظ للنساءي وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين يعنى البخاري ومسلما اه من السلاح * وقوله فاعتزلون متاركة صريحـة قال قتادة اراد خلوا سبيلى * وقوله فدعا ربه قبله محذوف تقديره فما اجابوه لما طلب منهم * وقوله فاسر قبله محذوف اي قال الله له فاسر بعبادى قال ابن العربي فى احكامه السُرى سير الليل والادلاج سير السحر والتاويب سير النهار ويقال سرى واسرى انتهى واختلف فى قوله تعالى واترك البحر رهوا متى قالها لموسى فقـالت فرقـة هو كلام متصل بما قبله وقال قتادة وغيره خوطب بـه بعد ما جاز البحر وذلك انـه هم ان يضرب البحر ليلتئم خشية ان يـدخل فرعون وجنوده وراءه ورهوا معناه ساكنا كما جزتـه قاله ابن عباس وهذا القول هو الذى تؤيده اللغة ومنه قول القطامي

يمشين رهوا فلا الاعجـاز خاذلة * ولا الصدور على الاعجاز تتكـل

ومنه * وامة خرجت رهوا الى عيد * اي خرجوا فى سـكون وتمهل فقيل لموسى عليـه السلام اترك البحـر ساكنـا على حاله من الانفراق ليقضي الله امرا كان مفعولا * وقوله تعالى كم تركوا كم للتكثير اي كم ترك هؤلاء المغترون من كثرة الجنات والعيون فروي ان الجنات كانت متصلة ضفتي النيل جميعا من رشيد الى أسوان واما العيون فيحتمل انه اراد الخلجان فشبهها بالعيون ويحتمل انها

كانت ونضبت ذكر الطُّرطوشي فى سراج الملوك له قال قال ابو عبد الله بن حمدون كنت مع المتوكل لما خرج الى دمشق فركب يوما الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصورها ثم خرج فنظر الى دير هناك قديم حسن البناء بين مزارع واشجار فدخله فبينما هو يطوف به اذ بصر برقعة قد الصقت فى صدره فامر بقلعها فاذا فيها مكتوب هذه الابيات

ايا منزلا بالدير اصبح خاليا * تلاعب فيه شمأل ودَبور
كانك لم يسكنك بيض اوانس * ولم تتبختر فى قبابك حور
وابناء املاك غواشم سادة * صغيرهمو عند الانام كبير
اذا لبسوا ادراعهم فعوابس * وان لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم اللقاء ضراغم * وانهمو يوم النوال بحور
ليالى هشام بالرُصافة قاطن * وفيك ابنه يادير وهو امير
اذ العيش غض والخلافة لذة * وانت طروب والزمان غرير
وروضك مرتاد ونورك مزهر * وعيش بنى مروان فيك نضير
بلى فسقاك الغيث صوب سحائب * عليك لها بعد الرواح بكور
تذكرت قومى فيكما فبكيتهم * بشجو ومثلى بالبكاء جدير
فعزيت نفسى وهي نفس اذا جرى * لها ذكر قومى انة وزفير
لعل زمانا جار يوما عليهمُ * لهم بالذى تهوى النفوس يدور
فيفرح محزون وينعم بائس * ويطلق من ضيق الوثاق اسير
رويدك ان الدهر يتبعه غد * وان صروف الدائرات تدور

فلما قرأها المتوكل ارتاع ثم دعا صاحب الدير فسأله عمن كتبها فقال لاعلم لى به وانصرف انتهى وفى هذا وشبهه عبرة لاولى البصائر المستيقظين اللهم لا تجعلنا ممن اغتر بزخارف هذه الدار

الا انما الدنيا كاحلام نائم * وما خير عيش لا يكون بدائم

وقرأ جمهور الناس ومقام بفتح الميم قال ابن عباس وغيره اراد المنابر وعلى قراءة ضم الميم قال قتادة اراد المواضع الحسان من المساكن وغيرها والقول بالمنابر بعيد جدا والنعمة بفتح النون غضارة العيش ولذاذة الحياة والنعمة بكسر النون اعم من هذا كله وقد تكون الامراض والمصائب نعما ولا يقال فيها نعمة بالفتح وقرأ الجمهور فاكهين ومعناه فرحين مسرورين كذلك واورثناها قوما آخرين اي بعد القبط وقال قتادة هم بنو اسرائيل وفيه ضعف وقد ذكر الثعلبي عن الحسن ان بنى اسرائيل رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون واختلف المتأولون فى معنى قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض فقال ابن عباس وغيره وذلك ان الرجل المومن اذا مات بكى عليه من الارض موضع عباداته اربعين صباحا وبكى عليه من السماء موضع صعود عمله قالوا ولم يكن فى قوم فرعون من هذه حاله فتبكى عليهم السماء والارض قال (ع) والمعنى الجيد فى الآية انها استعارة فصيحة تتضمن تحقير امرهم وانه لم يتغير لاجل هلاكهم شيء ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لا ينتطح فيها عنزان وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما مات مومن فى غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض ثم قرأ هذه الآية وقال انهما لا يبكيان على كافر قال الداودي وعن مجاهد ما مات مومن الا بكت عليه السماء والارض وقال افى هذا عجب وما للارض لا تبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا الاوزاعي قال حدثنى عطاء الخراساني قال ما من عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت انتهى وروى ابن المبارك ايضا عن ابى عبيد صاحب سليمان ان

العبد المومن اذا مات تنادت بقاع الارض عبد الله المومن مات فتبكى عليه السماء والارض فيقول الرحمن تبارك وتعالى ما يبكيكما على عبدى فيقولان يا ربنا لم يمش على ناحية منا قط الا وهو يذكرك اه ومنظرين اي مؤخرين والعذاب المهين هو ذبح الابناء والتسخير وغير ذلك * وقوله على علم اي على شيء قد سبق عندنا فيهم وثبت فى علمنا انه سينفذ ويحتمل ان يكون معناه على علم لهم وفضائل فيهم على العالمين اي عالمى زمانهم بدليل ان امة محمد خير امة اخرجت للناس وءاتيناهم من الآيات لفظ جامع لما اجرى الله من الآيات على يدي موسى ولما انعم به على بنى اسرائيل والبلاء فى هذا الموضع الاختبار والامتحان كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة الآية ومبين بمعنى بين ثم ذكر تعالى قريشا على جهة الانكار لقولهم وانكارهم للبعث فقال ان هؤلاء ليقولون ان هي اي ما هي الاموتتنا الاولى وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين وقول قريش فاتوا بءابائنا مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم طلبوا منه ان يحيي الله لهم بعض ءابائهم وسموا له قصيا وغيره كي يسئلوهم عما رأوا فى ءاخرتهم * وقوله سبحانه اهم خير ام قوم تبع الآية ءاية تقرير ووعيد وتبع ملك حميري وكان يقال لكل ملك منهم تبع الا ان المشار اليه فى هذه الآية رجل صالح روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق سهل بن سعد ان تبعا هذا اسلم وءامن بالله وقد ذكره ابن اسحاق فى السيرة قال السهيلي وبعد ما غزا تبع المدينة واراد خرابها اخبر بانها مهاجَر نبي اسمه احمد فانصرف عنها وقال فيه شعرا واودعه عند اهلها فكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر الى ان هاجر اليهم النبي عليه السلام فادوه اليه ويقال ان الكتاب والشعر كانا عند ابي ايوب الانصاري ومنه

شهدت على احمد انه * رسول من الله بارى النسم
فلو مُد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

وذكر الزجاج وابن ابى الدنيا انه حفر قبر بصنعاء فى الاسلام فوجد فيه امرأتان صحيحتان وعند رأسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر حُبَّى ولَمِيس ويروى وتماضِر ابنتي تبع ماتتا وهما تشهدان ان لا اله الا الله ولا تشركان به شيأ وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما انتهى ويوم الفصل هو يوم القيامة وهذا هو الاخبار بالبعث والمولى فى هذه الآية يعم جميع الموالى * وقوله سبحانه ان شجرت الزقوم طعام الاثيم روي عن ابن زيد ان الاثيم المشار اليه ابو جهل ثم هي بالمعنى تتناول كل اثيم وهو كل فاجر روي انها لما نزلت جمع ابو جهل عجوة وزبدا وقال لاصحابه تزقموا فهذا هو الزقوم وهو طعامى الذى حدث به محمد قال (ع) وانما قصد بذلك ضربا من المغالطة والتلبيس على الجهلة * وقوله سبحانه كالمهل قال ابن عباس وابن عمر المهل دُرْدِي الزيت وعَكَره وقال ابن مسعود وغيره المهل ما ذاب من ذهب او فضة والمعنى ان هذه الشجرة اذا طعمها الكافر فى جهنم صارت فى جوفه تفعل كما يفعل المهل المذاب من الاحراق والافساد والحميم الماء السخن الذى يتطاير من غليانه * وقوله خذوه الآية اي يقال يومئذ للملائكة خذوه يعنى الاثيم فاعتلوه والعتل السوق بعنف واهانة ودفع قوي متصل كما يساق ابدا مرتكب الجرائم والسواء الوسط وقيل المعظم وذلك متلازم * وقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم مخاطبة على معنى التقريع * وقوله سبحانه ان هذا ما كنتم به تمترون عبارة عن قول يقال للكفرة ثم ذكر تعالى حالة المتقين فقال ان المتقين فى مقام امين اي مامون والسندس رقيق الحرير والاستبرق خشنه * وقوله متقابلين وصف لمجالس اهل الجنة لان بعضهم لا يستدبر بعضا فى المجالس وقرأ الجمهور وزوجناهم بحور عين وقرأ ابن مسعود بعيس عين وهو جمع عيساء وهي البيضاء وكذلك هي من النوق وروى ابو قِرْصافة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخراج

القُامة من المسجد مهور الحور العين قال الثعلبي قال مجاهد يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن يرى مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه فى كعب احداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون انتهى * وقوله سبحانه يدعون فيها بكل فاكهة اي يدعون الخدمة والمتصرفين قال ابو حيان الا الموتة استثناء منقطع اي لكن الموتة الاولى ذاقوها انتهى والضمير فى يسرناه عائد على القرءان بلسانك اي بلغة العرب قال الواحدي لعلهم يتذكرون اي يتعظون انتهى وفى قوله تعالى فارتقب انهم مرتقبون وعد للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد للكافرين

تفسير سورة الجاثية وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والارض لايات للمومنين قال ابو حيان اجاز الفخر الرازي فى العزيز الحكيم ان يكونا صفتين لله وهو الراجح او للكتاب ورد بانه لا يجوز ان يكونا صفتين للكتاب من وجوه انتهى وذكر تبارك وتعالى هنا الآيات التى فى السموات والارض مجملة غير مفصلة فكانها احالة على غوامض تثيرها الفِكَر ويخبر بكثير منها الشرع فلذلك جعلها للمومنين ثم ذكر سبحانه خلق البشر والحيوان وكانه اغمض فجعله للموقنين الذين لهم نظر يؤديهم الى اليقين ثم ذكر اختلاف الليل والنهار والعبرة بالمطر والرياح فجعل ذلك لقوم يعقلون اذ كل عاقل يحصل هذه

ويفهم قدرها قال (ع) وان كان هذا النظر ليس بلازم ولا بد فان اللفظ يعطيه والرزق المنزل من السماء هو الماء وسماه الله سبحانه رزقا بمئاله لان جميع ما يرتزق فعن الماء هو * وقوله نتلوها عليك بالحق اي بالصدق والاعلام بحقائق الامور فى انفسها * وقال جلت عظمته فبأي حديث بعد الله وءاياته يومنون ءاية تقريع وتوبيخ وفيها قوة تهديد والافاك الكذاب الذى يقع منه الافك مرارا والاثيم بناء مبالغة اسم فاعل من اثم يأثم وروي ان سبب الآية ابو جهل وقيل النضر بن الحارث والصواب انها عامة فيهما وفى غيرهما وانها تعم كل من دخل تحت الاوصاف المذكورة الى يوم القيامة ويصر معناه يثبت على عقيدته من الكفر * وقوله فبشره بعذاب اليم اي مولم * وقوله تعالى واذا علم من آياتنا شيأ اي اخبر بشيء من آياتنا فعلم نفس الخبر لا المعنى الذى تضمنه الخبر ولو علم المعاني التى تضمنها اخبار الشرع وعرف حقائقها لكان مومنا (ت) وفي هذا نظر لانه ينحو الى القول بان الكفر لا يتصور عنادا محضا وقد تقدم اختياره رحمه الله لذلك فى غير هذا المحل فقف عليه وخشية الاطالة منعتنى من تكراره هنا * وقوله سبحانه هذا هدى اشارة الى القرءان * وقوله لهم عذاب بمنزلة قولك لهم حظ فمن هذه الجهة ومن جهة تغاير اللفظين حسن قوله عذاب من رجز اذ الرجز هو العذاب * وقوله لتجري الفلك فيه بامره اقام القدرة والاذن مناب ان يامر البحر والناس بذلك وقرأ مسلمة بن محارب جميعا مِنة بضم التاء وقرأ ايضا جميعا مَنُّه بفتح الميم وشد النون والهاء وقرأ ابن عباس مِنة بالنصب على المصدر * وقوله تعالى ان فى ذلك ءلايات لقوم يتفكرون قال الغزالي فى الاحياء الفكر والذكر اعلى مقامات الصالحين وقال رحمه الله اعلم ان الناظرين بانوار البصيرة علموا ان لا نجاة الا فى لقاء الله عز وجل وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا به وان المحبة والانس لا يتحصلان

الا بدوام ذكر المحبوب وان المعرفة لا تحصل الا بدوام الفكر ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البُلغة والضرورة ثم قال والقرءان جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر انتهى * وقوله تعالى قل للذين ءامنوا يغفروا الآية قال اكثر الناس هذه الآية منسوخة بءاية القتال وقالت فرقة بل هي محكمة قال (ع) الآية تتضمن الغفران عموما فينبغي ان يقال ان الامور العظام كالقتل والكفر مجاهرة ونحو ذلك قد نسخت غفرانه ءاية السيف والجزية وما احكمه الشرع لا محالة وان الامور الحقيرة كالجفاء فى القول ونحو ذلك تحتمل ان تبقى محكمة وان يكون العفو عنها اقرب الى التقوى * وقوله ايام الله قالت فرقة معناه ايام انعامه ونصره وتنعيمه فى الجنة وغير ذلك وقال مجاهد ايام الله ايام نقمه وعذابه وباقى الآية بين * وقوله سبحانه فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم الآية قد تقدم بيان نظيرها فى سورة يونس وغيرها * وقوله سبحانه ثم جعلناك على شريعة من الامر الآية الشريعة لغة مورد المياه وهي فى الدين من ذلك لان الناس يَرِدون الدين ابتغاء رحمة الله والتقرب منه والامر واحد الامور ويحتمل ان يكون واحد الاوامر والذين لا يعلمون هم الكفار وفى قوله تعالى وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين تحقير للكفرة من حيث خروجهم عن ولاية الله تعالى (ت) وقد قال صلى الله عليه وسلم يوم احد اجيبوهم فقولوا الله مولانا ولا مولى لكم وذلك ان قريشا قالوا للصحابة لنا العزى ولا عزى لكم * وقوله عز وجل هذا بصائر للناس يريد القرءان وهو جمع بصيرة وهو المعتقد الوثيق فى الشيء كانه من ابصار القلب قال ابو حيان وقرئ هذه اي هذه الآيات انتهى * وقوله سبحانه ام حسب الذين اجترحوا السيئات قيل ان الآية نزلت بسبب افتخار كان للكفار على المومنين قالوا لئن كانت ءاخرة كما تزعمون لنفضلن عليكم فيها كما فضلنا فى الدنيا

واجترحوا معناه اكتسبوا وهذه الآية متناولة بلفظها حال العصاة من حال اهل التقوى وهي موقف للعارفين يبكون عنده وروي عن الربيع بن خيثم انه كان يرددها ليلة حتى اصبح وكذلك عن الفضيل بن عياض وكان يقول لنفسه ليت شعرى من اي الفريقين انت وقال الثعلبي كانت هذه الآية تسمى مبكاة العابدين قال (ع) واما لفظها فيعطى انه اجتراح الكفر بدليل معادلته بالايمان ويحتمل ان تكون المعادلة بين الاجتراح وعمل الصالحات ويكون الايمان فى الفريقين ولهذا بكى الخائفون رضي الله عنهم (ت) وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده ان تميما الداري رضي الله عنه بات ليلة الى الصباح يركع ويسجد ويردد هذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية ويبكى رضي الله عنه انتهى * وقوله ساء ما يحكمون ما مصدرية والتقدير ساء الحكم حكمهم * وقوله سبحانه افرأيت من اتخذ الهه هواه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي لاتهتم بامر الكفرة من اجل اعراضهم عن الايمان وقوله الهه هواه اشارة الى الاصنام اذ كانوا يعبدون ما يهوون من الحجارة وقال قتادة المعنى لايهوى شيأ الاركبه لايخاف الله فهذا كما يقال الهوى اله معبود وهذه الآية وان كانت نزلت فى هوى الكفر فهي متناولة جميع هوى النفس الامارة قال النبي صلى الله عليه وسلم والعاجز مع اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال سهل التستري هواك داؤك * فان خالفته فدواؤك * وقال وهب اذا عرض لك امران وشككت فى خيرها فانظر ابعدهما من هواك فاته ومن الحكمة فى هذا قول القائل

اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال

قال الشيخ ابن ابى جمرة قوله صلى الله عليه وسلم فيقال من كان يعبد شيأ فليتبعه شيأ يعم جميع الاشياء مدركة كانت او غير مدركة فالمدرك كالشمس

والقمر وغير المدرك مثل الملائكة والهوى لقوله عز وجل افرأيت من اتخذ الهه هواه وما اشبه ذلك انتهى قال القشيري فى رسالته وحكي عن ابى عمران الواسطي قال انكسرت بنا السفينة فبقيت انا وامرأتى على لوح وقد ولدت فى تلك الحال صبية فصاحت بى وقالت يقتلنى العطش فقلت هو ذا يرى حالنا فرفعت رأسى فاذا رجل فى الهواء جالس فى يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت احمر فقال هاك اشربا قال فاخذت الكوز فشربنا منه فاذا هو اطيب من المسك وابرد من الثلج واحلى من العسل فقلت من انت رحمك الله فقال عبد لمولاك فقلت له بم وصلت الى هذا فقال تركت هواي لمرضاته فاجلسنى فى الهواء ثم غاب عنى ولم اره انتهى * وقوله تعالى على علم قال ابن عباس المعنى على علم من الله تعالى سابق وقالت فرقة اي على علم من هذا الضال بتركه للحق واعراضه عنه فتكون الآية على هذا التاويل من آيات العناد من نحو قوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم * وقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة استعارات كلها * وقوله من بعد الله فيه حذف مضاف تقديره من بعد اضلال الله اياه واختلف فى معنى قولهم نموت ونحيى فقالت فرقة المعنى يموت الآباء ويحيى الابناء وقالت فرقة المعنى نحيى ونموت فوقع فى اللفظ تقديم وتاخير وقولهم وما يهلكنا الا الدهر اي طول الزمان * وقوله سبحانه واذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات يعنى قريشا ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بءابائنا اي يا محمد احي لنا قصيا حتى نسأله الى غير ذلك من هذا النحو فنزلت الآية فى ذلك ومعنى ان كنتم صادقين اي فى قولكم انا نبعث بعد الموت ثم امر الله تعالى نبيه ان يخبرهم بالحال السابقة فى علم الله التى لا تبدل بانه يحيى الخلق ثم يميتهم الى ءاخر الآية وباقى الآية بين والمبطلون الداخلون فى الباطل * وقوله سبحانه وترى كل امة جاثية هذا وصف حال

القيامة وهولها والامة الجماعة العظيمة من الناس وقال مجاهد الامة الواحد من الناس قال (ع) وهذا قلق فى اللغة وان قيل فى ابراهيم امة وفى قس بن ساعدة فذلك تجوز على جهة التشريف والتشبيه وجاثية معناه على الركب قاله مجاهد وغيره وهي هيئة المذنب الخائف وقال سلمان فى القيامة ساعة قدر عشر سنين يخر الجميع فيها جثاة على الركب * وقوله كل امة تدعى الى كتابها قالت فرقة معناه الى كتابها المنزل عليها فتحاكم اليه هل وافقته او خالفته وقالت فرقة اراد الى كتابها الذى كتبته الحفظة على كل واحد من الامة * وقوله سبحانه هذا كتابنا يحتمل ان تكون الاشارة الى الكتب المنزلة اوالى اللوح المحفوظ اوالى كتب الحفظة وقال ابن قتيبة الى القرءان * وقوله سبحانه انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون قال الحسن هو كتب الحفظة على بنى ءادم وروى ابن عباس وغيره حديثا ان الله يامر بعرض اعمال العباد كل يوم خميس فينقل من الصحف التى كانت ترفع الحفظة كل ما هو معد ان يكون عليه ثواب او عقاب ويلغى الباقى فهذا هو النسخ من اصل * وقوله عز وجل فاما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته اي فى جنته واما الذين كفروا افلم تكن اي فيقال لهم افلم تكن آياتى تتلى عليكم وقرأ حمزة وحده والساعة بالنصب عطفا على قوله وعد الله وقرأ ابن مسعود وان الساعة لاريب فيها وباقى الآية بين * وقوله سبحانه وبدا لهم سيئات ما عملوا الآية حكاية حال يوم القيامة وحاق معناه نزل واحاط وهي مستعملة فى المكروه وفى قوله ماكانوا حذف مضاف تقديره جزاء ما كانوا به يستهزءون * وقوله عز وجل وقيل اليوم ننساكم معناه نترككم كما تركتم لقاء يومكم هذا وءايات الله هنا لفظ جامع ءلايات القرءان وللادلة التى نصبها الله تعالى للنظر ولا هم يستعتبون اي لا يطلب منهم مراجعة الى عمل صالح * وقوله سبحانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض الى ءاخر

السورة تحميد لله عز وجل وتحقيق لالوهيته وفى ذلك كسر لامر الاصنام وسائر ما تعبده الكفرة والكبرياء بناء مبالغة

تفسير سورة الاحقاف وهي مكية

الا ءايتين وهما قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به الآية وقوله سبحانه فاصبر كما صبر اولوا العزم الآية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه حم تنزيل الكتاب يعنى القرءان * وقوله سبحانه ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون هذه الآية موعظة وزجر المعنى فانتبهوا ايها الناس وانظروا ما يراد بكم ولم خلقتم والاجل المسمى هو يوم القيامة * وقوله قل ارأيتم ما تدعون معناه ما تعبدون ثم وقفهم على السموات هل لهم فيها شرك ثم استدعى منهم كتابا منزلا قبل القرءان يتضمن عبادة الاصنام قال ابن العربي فى احكامه هذه الآية من اشرف ءاية فى القرءان فانها استوفت الدلالة على الشرائع عقليها وسمعيها لقوله عز وجل قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات فهذا بيان لادلة العقل المتعلقة بالتوحيد وحدوث العالم وانفراد البارى تعالى بالقدرة والعلم والوجود والخلق ثم قال ايتونى بكتاب من قبل هذا على ما تقولون وهذا بيان لادلة السمع فان مدرك الحق انما يكون بدليل العقل او بدليل الشرع حسبما بيناه من مراتب الادلة فى كتب

الاصول ثم قال اواثارة من علم يعني او علم يوثر اي يروى وينقل وان لم يكن مكتوبا انتهى * وقوله اواثارة معناه او بقية قديمة من علم احد العلماء تقتضى عبادة الاصنام والاثارة البقية من الشيء وقال الحسن المعنى من علم تستخرجونه فتثيرونه وقال مجاهد المعنى هل من احد ياثر علما فى ذلك وقال القرطبي هو الاسناد ومنه قول الاعشى

ان الذى فيه تماريتما * بين للسامع والآثر

اي وللمسنِد عن غيره وقال ابن عباس الاثارة الخط فى التراب وذلك شيء كانت العرب تفعله والضمير فى قوله وهم عن دعائهم غافلون هو للاصنام فى قول جماعة ويحتمل ان يكون لعبدتها * وقوله سبحانه واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وصف ما يكون يوم القيامة بين الكفار واصنامهم من التبرى والمناكرة وقد بين ذلك فى غير هذه الآية * واذا تتلى عليهم ءاياتنا اي ءايات القرءان قال الذين كفروا للحق يعنى القرءان هذا سحر مبين اي يفرق بين المرء وبنيه * وقوله سبحانه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ المعنى ان افتريته فالله حسبى فى ذلك وهو كان يعاقبنى ولا يمهلنى ثم رجع القول الى الاستسلام الى الله والاستنصار به عليهم وانتظار ما يقتضيه علمه بما يفيضون فيه من الباطل ومرادّة الحق وذلك يقتضى معاقبتهم ففى اللفظ تهديد والضمير فى به عائد على الله عز وجل * وقوله سبحانه وهو الغفور الرحيم ترجية واستدعاء الى التوبة ثم امره عز وجل ان يحتج عليهم بانه لم يكن بدعا من الرسل والبدع والبديع من الاشياء ما لم ير مثله المعنى قد جاء قبلى غيرى قاله ابن عباس وغيره (ت) ولفظ البخاري وقال ابن عباس بدعا من الرسل اي لست باول الرسل واختلف الناس فى قوله وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فقال ابن عباس وجماعة كان هذا فى صدر الاسلام ثم بعد ذلك عرفه الله عز وجل بانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبان

المومنيـن لهم من الله فضـل كبير وهو الجنة وبان الكافرين فى نار جهنم والحدبث الصحيح الذى وقع فى جنازة عثمان بن مظعون يؤيـد هـذا وقالت فرقة معنى الآية وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم من الاوامر والنواهى وقيل غير هذا * وقوله ان اتبع الاما يوحى الي معناه الاستسلام والتبرى من علم المغيبات والوقوف مع النذارة من عذاب الله عز وجل * وقوله عز وجل قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسراءيل الآية جواب هـذا التوقيف محذوف تقديره اليس قد ظلمتم ودل على هـذا المقدر قوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الظالمين قال مجاهد وغيره هذه الآية مدنية والشاهد عبـد الله بن سلام وقـد قال عبد الله بن سلام في نزلت وقال مسروق بن الاجـدع والجمهور الشاهد موسى بن عمران عليه السلام والآية مكية ورجحه الطبري * وقوله على مثله يريد بالمثل التوراة والضمير عائد فى هذا التاويل على القرءان اي جاء شاهد من بنى اسراءيل بمثله انه من عند الله سبحانه * وقوله فـءامن على هذا التاويل يعنى به تصديق موسى وتبشيره بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه ومن قبله اي من قبل القرءان كتاب موسى يعنى التوراة وهذا كتاب يعنى القرءان مصـدق للتـوراة التى تضمنت خبره وفى مصحف ابن مسعـود مصـدق لما بين يديه والذين ظلمواهم الكفار وعبر عن المومنين بالمحسنين ليناسب لفظ الاحسان فى مقابلة الظلم ثم اخبر تعالى عن حسن حال المستقيمين وذهب كثير من الناس الى ان المعنى ثم استقـاموا بالطاعات والاعمال الصالحات وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنـه المعنى ثم استـقاموا بالدوام على الايمان قال (ع) وهذا اعم رجاء واوسع وان كان فى الجملة المومنـة مـن يعـذب وينـفـذ عليـه الوعيـد فهو ممن يخلد فى الجنة وينـتـفى عنـه الخوف والحزن الحال بالكـفرة * وقوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون قد جعل الله سبحانـه الاعمال امارات على ما

سيصير اليه العبد لا انها توجب على الله شيأ * وقوله سبحانه ووصينا الانسان يريد النوع اي هكذا مضت شرائعي وكتبي فهي وصية من الله فى عباده وبر الوالدين واجب وعقوقهما كبيرة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كل شئ بينه وبين الله حجاب الا شهادة ان لا اله الا الله ودعوة الوالدين قال (ع) ولن يدعوا فى الغالب الا اذا ظلمهما الولد فهذا يدخل فى عموم قوله عليه السلام اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب ثم عدد سبحانه على الابناء منن الامهات * وقوله تعالى حملته امه كرها قال مجاهد والحسن وقتادة حملته مشقة ووضعته مشقة قال ابو حيان وحمله على حذف مضاف اي مدة حمله انتهى * وقوله ثلاثون شهرا يقتضي ان مدة الحمل والرضاع هي هذه المدة وفى البقرة والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فيترتب من هذا ان اقل مدة الحمل ستة اشهر واقل ما يرضع الطفل عام وتسعة اشهر واكمال الحولين هو لمن اراد ان يتم الرضاعة وهذا فى امد الحمل هو مذهب مالك وجماعة من الصحابة واقوى الاقوال فى بلوغ الاشد ستة وثلاثون سنة قال (ع) وانما ذكر تعالى الاربعين لانها حد للانسان فى فلاحه ونجابته وفى الحديث ان الشيطان يجر يده على وجه من زاد على الاربعين ولم يتب فيقول بابى وجه لا يفلح (ت) وحدث ابو بكر بن الخطيب فى تاريخ بغداد بسنده المتصل عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ العبد اربعين سنة امنه الله من البلايا الثلاث الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة خفف الله عنه الحساب فاذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة لما يحب فاذا بلغ سبعين سنة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع فى اهل بيته وناداه مناد من السماء هذا اسير الله فى ارضه انتهى وهذا والله اعلم فى العبد المقبل على آخرته المشتغل بطاعة ربه * وقوله رب اوزعني معناه ادفع عني الموانع واجرني من

القواطع لاجل ان اشكر نعمتك ويحتمل ان يكون اوزعني بمعنى اجعل حظى ونصيبى وهذا من التوزيع (ت) وقال الثعلبي وغيره اوزعني معناه الهمنى وعبارة الفخر قال ابن عباس اوزعني معناه الهمنى قال صاحب الصحاح استوزعت الله فاوزعنى اي استلهمته فالهمنى انتهى قال ابن عباس نعمتك فى التوحيد وصالحا ترضاه الصلوات والاصلاح فى الذرية كونهم اهل طاعة وخير وهذه الآية معناها ان هكذا ينبغى للانسان ان يكون فهي وصية الله تعالى للانسان فى كل الشرائع وقول من قال انها فى ابى بكر وابويه ضعيف لان هذه الآية نزلت بمكة بلا خلاف وابو قحافة اسلم عام الفتح وفى قوله تعالى اولائك الذين يتقبل عنهم الآية دليل على ان الاشارة بقوله ووصينا الانسان انما اراد به الجنس * وقوله فى اصحاب الجنة يريد الذين سبقت لهم رحمة الله قال ابو حيان فى اصحاب الجنة قيل فى على بابها اي فى جملتهم كما تقول اكرمنى الامير فى ناس اي فى جملة من اكرم وقيل فى بمعنى مع انتهى * وقوله تعالى والذى قال لوالديه قال الثعلبي معناه اذ دعواه الى الايمان اف لكما الآية انتهى والذى يعنى به الجنس على حد العموم فى التى قبلها فى قوله ووصينا الانسان هذا قول الحسن وجماعة ويشبه ان لها سببا من رجل قال ذلك لابويه فلما فرغ من ذكر الموفق عقب بذكر هذا العاق وقد انكرت عائشة ان تكون الآية نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر وقالت ما نزل فى ءال ابى بكر من القرءان غير براءتى (ت) ولا يعترض عليها بقوله تعالى ثاني اثنين ولا بقوله ولا ياتل اولوا الفضل كما بينا ذلك فى غير هذه الآية قال (ع) والاصوب ان تكون الآية عامة فى اهل هذه الصفات والدليل القاطع على ذلك قوله تعالى اولائك الذين حق عليهم القول فى امم وكان عبد الرحمن بن ابى بكر رضي الله عنه من افاضل الصحابة ومن ابطال المسلمين وممن له فى الاسلام غناء يوم اليمامة وغيره واف بالتنوين قراءة

نافع وغيره والتنوين فى ذلك علامة تنكير كما تستطعم رجلا حديثا غير معين فتقول ايه منونة وان كان حديثا مشارا اليه قلت ايه بغير تنوين * وقوله اتعدانني ان اخرج المعنى ان اخرج من القبر الى الحشر وهذا منه استفهام بمعنى الهزء والاستبعاد وقد خلت القرون من قبلى معناه هلكت ومضت ولم يخرج منهم احدوهما يستغيثان الله يعنى الوالدين يقولان له ويلك ءامن * وقوله ما هذا الا اساطير الاولين اي ما هذا القول الذى يتضمن البعث من القبور الا شيء سطره الاولون فى كتبهم يعنى الشرائع وظاهر الفاظ هذه الآية انها نزلت فى مشار اليه قال وقيل له فنعى الله الينا اقواله تحذيرا من الوقوع فى مثلها * وقوله اولائك ظاهره انها اشارة الى جنس وحق عليهم القول اي قول الله انه يعذبهم قال ابو حيان فى امم اي فى جملة امم ففى على بابها وقيل فى بمعنى مع وقد تقدم ذلك انتهى * وقوله قد خلت من قبلهم من الجن والانس يقتضى ان الجن يموتون وهكذا فهم الآية قتادة وقد جاء حديث يقتضى ذلك * وقوله سبحانه ولكل درجات يعنى المحسنين والمسيئين قال ابن زيد ودرجات المحسنين تذهب علوا ودرجات المسيئين تذهب سفلا وباقى الآية بين فى ان كل امرئ يجتنى ثمرة عمله من خير او شر ولا يظلم فى مجازاته * وقوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على النار الآية المعنى واذكر يوم يعرض وهذا العرض هو بالمباشرة اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا والطيبات هنا الملاذ وهذه الآية وان كانت فى الكفار فهي رادعة لاولى النهى من المومنين عن الشهوات واستعمال الطيبات ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه اتظنون انا لا نعرف طيب الطعام ذلك لُباب البُر بصغار المِعْزَى ولكنى رأيت الله تعالى نعى على قوم انهم اذهبوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا ذكر هذا فى كلامه مع الربيع بن زياد وقال ايضا نحو هذا لخالد بن الوليد حين دخل الشام فقدم اليه

طعام طيب فقال عمر هـذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز الشعير فقال خالد لهم الجنة فبكى عمر وقال لئن كان حظنـا فى الحطـام وذهبوا بالجنة فقد بانوا بونا بعيدا وقال جابر بن عبد الله اشتريت لحما بدرهم فرءانى عمر فقال او كلما اشتهى احدكم شيأ اشتراه فاكله اما تخشى ان تكون من اهل هـذه الآية وتلا اذهبتم طيباتكم (ت) والآثار فى هذا المعنى كثيرة جدا فمنها ما رواه ابو داود فى سننه عن عبد الله بن بريدة ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحل الى فضالة بن عبيد وهو بمصر فقدم عليه فقال اما انى لم ءاتك زائرا ولكن سمعت انا وانت حديثـا من رسول الله صلى الله عليه وسلم رجوت ان يكون عندك منه علم قال ما هو قال كذا وكذا قال فمالى اراك شعثا وانت امير الارض قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الارفاه قال فمالى لا ارى عليك حذاء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا ان نحتفي احيانا وروى ابو داود عن ابى امامة قال ذكر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوما عنده الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تسمعون ان البذاذة من الايمان ان البذاذة من الايمان ان البذاذة من الايمان قال ابو داود يعنى التقحل وفسر ابو عمر بن عبد البر البذاذة برث الهيئة ذكر ذلك فى التمهيد وكذلك فسرها غيره انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه من طريق الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج فى اصحابه الى بقيع الغرقد فقال السلام عليكم يا اهل القبور لو تعلمون ما نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم ثم اقبل على اصحابه فقال هؤلاء خير منكم قالوا يا رسول الله اخواننا اسلمنا كما اسلموا وهاجرنا كما هاجروا وجاهدنا كما جاهدوا واتوا على ءاجالهم فمضوا فيهـا وبقينا فى ءاجالنا فما يجعلهم خيرا منا قال هؤلاء خرجوا من الدنيـا لم ياكلوا من اجورهم شيأ وخرجوا وانا الشهيد عليهم وانكم قد اكلتم من اجوركم ولا ادرى ما

تحدثون من بعدى قال فلما سمعها القوم عقلوها وانتفعوا بها وقالوا انا لمحاسبون بما اصبنا من الدنيا وانه لمنتقص به من اجورنا انتهى ومنها حديث ثوبان فى سنن ابى داود قال ثوبان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر كان ءاخر عهده بانسان من اهله فاطمة واول من يدخل عليها فاطمة فقدم من غزاة وقد علقت مِسحا او سترا على بابها وحلت الحسن والحسين قُلبين من فضة فلم يدخل فظنت انما منعه ان يدخل ما رأى فهتكت الستر وفكت القلبين عن الصبيين وقطعتهما عنهما فانطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكيان فاخذهما منهما وقال ياثوبان اذهب بهما الى ءال فلان ان هؤلاء اهلى اكره ان ياكلوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا ياثوبان اشتر لفاطمة قلادة من عَصْب وسوارين من عاج انتهى (ص) قرأ الجمهور اذهبتم على الخبر اي فيقال لهم اذهبتم طيباتكم وابن كثير بهمزة بعدها مَدة مطولة وابن عامر بهمزتين حققهما ابن ذكوان ولين الثانية هشام وابن كثير فى رواية والاستفهام هنا على معنى التوبيخ والتقرير فهو خبر فى المعنى ولهذا حسنت الفاء فى قوله فاليوم ولو كان استفهاما محضا لما دخلت الفاء انتهى وعذاب الهون هو الذى اقترن به هوان فالهون والهوان بمعنى ثم امر تعالى نبيه بذكر هود وقومه عاد على جهة المثال لقريش وقد تقدم قصص عاد مستوفى فى سورة الاعراف فلينظر هناك والصحيح من الاقوال ان بلاد عاد كانت باليمن ولهم كانت ارم ذات العماد والاحقاف جمع حقف وهو الجبل المستطيل المعوج من الرمل * وقوله سبحانه وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم خلت معناه مضت الى الارض الخلاء والنذر جمع نذير وقولهم لتافكنا معناه لتصرفنا وقولهم فاتنا بما تعدنا تصميم منهم على التكذيب وتعجيز له فى زعمهم * وقوله سبحانه قال انما العلم عند الله الآية المعنى قال لهم هود ان هذا الوعيد ليس من قبلى

وانما الامر فيه الى الله وعلم وقته عنده وانما علي ان ابلغ فقط والضمير فى رأوه يحتمل ان يعود على العذاب ويحتمل ان يعود على الشيء المرءي الطالع عليهم وهو الذى فسره قوله عارضا والعارض هو ما يعرض فى الجو من السحاب الممطر قال ابن العربي فى احكامه عند تفسيره قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم كل شيء عرض فقد منع ويقال لما عرض فى السماء من السحاب عارض لانه منع من رؤيتها ومن رؤية البدر والكواكب انتهى وروي فى معنى قوله مستقبل اوديتهم ان هؤلاء القوم كانوا قد قحطوا مدة فطلع هذا العارض من جهة كانوا يمطرون بها ابدا جاءهم من قبل واد لهم يسمونه المغيث قال ابن عباس ففرحوا به وقالوا هذا عارض ممطرنا وقد كذب هود فيا او عدبه فقال لهم هود عليه السلام ليس الامر كما رأيتم بل هو ما استعجلتم به فى قولكم فاتنا بما تعدنا ثم قال ريح فيها عذاب اليم وفى قراءة ابن مسعود ممطرنا قال هود بل هو ريح باظهار المقدر وتدمر معناه تهلك والدمار الهلاك * وقوله كل شيء ظاهره العموم ومعناه الخصوص فى كل ما امرت بتدميره وروي ان هذه الريح رمتهم اجمعين فى البحر ثم خاطب جل وعلا قريشا على جهة الموعظة بقوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه فما بمعنى الذى وان نافية وقعت مكان ما لمختلف اللفظ ومعنى الآية ولقد اعطيناهم من القوة والغنى والبسط فى الاموال والاجسام ما لم نعطكم ونالهم بسبب كفرهم هذا العذاب فانتم احرى بذلك اذا تماديتم فى كفركم وقالت فرقة ان شرطية والجواب محذوف تقديره فى الذى ان مكناكم فيه طغيتم وهذا تنطع فى التاويل وما نافية فى قوله فما اغنى عنهم ويقوى ذلك دخول من فى قوله من شيء وقالت فرقة بل هي استفهام على جهة التقرير ومن شيء على هذا تاكيد وهذا على غير مذهب سيبويه فى دخول من فى الجواب * وقوله عز وجل ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى الآية مخاطبة

لقريش على جهة التمثيل وصرفنا الآيات يعنى لهذه القرى * وقوله سبحانه فلولا نصرهم الآية يعنى فهلا نصرتهم اصنامهم بل ضلوا عنهم اي انتلفوا عنهم وقت الحاجة وذلك افكهم اشارة الى قولهم فى الاصنام انها ءالهة * وقوله وما كانوا يفترون يحتمل ان تكون ما مصدرية فلا تحتاج الى عائد ويحتمل ان تكون بمعنى الذى فهناك عائد محذوف تقديره يفترونه * وقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية ابتداء وصف قصة الجن ووفادتهم على النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت الرواة هنا هل هذا الجن هم الوفد او المتجسسون واختلفت الراويات ايضا عن ابن مسعود وغيره فى هذا الباب والتحرير فى هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه نفر من الجن دون ان يشعر بهم وهم المتجسسون المتفرقون من اجل رجم الشهب الذى حل بهم وهؤلاء هم المراد بقوله تعالى قل اوحي الي الآية ثم بعد ذلك وفد عليه وفدهم حسبما ورد فى ذلك من الآثار * وقوله نفرا يقتضى ان المصروفين كانوا رجالا لا انثى فيهم والنفر والرهط هم القوم الذين لا انثى فيهم * وقوله تعالى فلما حضروه قالوا انصتوا فيه تأدب مع العلم وتعليم كيف يتعلم فلما قضي اي فرغ من تلاوة القرءان واستماع الجن قال جابر بن عبد الله وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ عليهم سورة الرحمن فكان اذا قال فباي ءالاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من ءالائك نكذب ربنا لك الحمد ولما ولت هذه الجملة تفرقت على البلاد منذرة للجن وقولهم انا سمعنا كتابا يعنون القرءان (ت) وقولهم من بعد موسى يحتمل انهم لم يعلموا بعيسى قاله ابن عباس او انهم على دين اليهود قاله عطاء نقل هذا الثعلبي ويحتمل ما تقدم ذكره فى غير هذا وانهم ذكروا المتفق عليه انتهى * مصدقا لما بين يديه وهي التوراة والانجيل وداعي الله هو محمد صلى الله عليه وسلم وءامنوا به اي بالله يغفر لكم من ذنوبكم الآية (ت) وذكر الثعلبي خلافا فى

مومنى الجن هل يثابون على الطاعة ويدخلون الجنة او يجارون من النار فقط الله اعلم بذلك قال الفخر والصحيح انهم فى حكم بنى ءادم يستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وهو قول مالك وابن ابى ليلى قال الضحاك يدخلون الجنة وياكلون ويشربون انتهى وقد تقدم ما نقلناه عن البخاري فى سورة الانعام انهم يثابون * وقوله سبحانه ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز الآية يحتمل ان يكون من تمام كلام المنذرين ويحتمل ان يكون من كلام الله عز وجل والمعجز الذاهب فى الارض الذى يعجز طالبه فلا يقدر عليه * وقوله سبحانه او لم يروا الضمير لقريش وذلك انهم انكروا البعث وعود الاجساد وهم مع ذلك معترفون بان الله تعالى خلق السموات والارض فاقيمت عليهم الحجة من اقوالهم قال ابو حيان والباء فى قوله بقادر زائدة انتهى * وقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار المعنى واذكر يوم وهذا وعيد لكفار قريش وغيرهم وهذا عرض مباشرة * وقوله اليس هذا بالحق اي يقال لهم اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا فصدقوا بذلك حيث لا ينفعهم التصديق فروي عن الحسن انه قال انهم ليعذبون فى النار وهم راضون بذلك لانفسهم يعترفون انه العدل واختلف فى تعيين اولى العزم من الرسل ولامحالة ان لكل نبيء ورسول عزما وصبرا * وقوله ولا تستعجل لهم معناه ولا تستعجل لهم عذابا فانهم اليه صائرون ولا تستطل تعميرهم فى هذه النعمة فانهم يوم يرون العذاب كأنهم لم يلبثوا فى الدنيا الا ساعة لاحتقارهم ذلك لان المنقضي من الزمان يصير عدما (ت) واذا علمت ايها الاخ ان الدنيا اضغاث احلام كان من الحزم اشتغالك الآن بتحصيل الزاد للمعاد وحفظ الحواس ومراعاة الانفاس ومراقبة مولاك فاتخذه صاحبا وذر الناس جانبا قال ابو حامد الغزالي رحمه الله اعلم ان صاحبك الذى لاتفارقه فى حضرك وسفرك ونومك ويقظتك بل فى

حياتك وموتك هو ربك ومولاك وسيدك وخالقك ومهما ذكرته فهو جليسك اذ قال تعالى انا جليس من ذكرني ومهما انكسر قلبك حزنا على تقصيرك فى حق دينك فهو صاحبك وملازمك اذ قال انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى فلو عرفته ياأخى حق معرفته لاتخذته صاحبا وتركت الناس جانبا فان لم تقدر على ذلك فى جميع اوقاتك فاياك ان تخلي ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه بمولاك وتلذذ بمناجاته وعند ذلك فعليك بآداب الصحبة مع الله تعالى وآدابها اطراق الطرف وجمع الهم ودوام الصمت وسكون الجوارح ومبادرة الامر واجتناب النهي وقلة الاعتراض على القدر ودوام الذكر باللسان وملازمة الفكر وايثار الحق واليأس من الخلق والخضوع تحت الهيبة والانكسار تحت الحياء والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضمان والتوكل على فضل الله معرفة بحسن اختياره وهذا كله ينبغى ان يكون شعارك فى جميع ليلك ونهارك فانه ءاداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك والخلق كلهم يفارقونك فى بعض اوقاتك انتهى من بداية الهداية * وقوله بلاغ يحتمل معانيا احدها ان يكون خبر مبتدإ محذوف اي هذا انذار وتبليغ ويحتمل ان يريد كان لم يلبثوا الا ساعة كانت بلاغهم وهذا كما تقول متاع قليل وقيل غير هذا وقرأ ابو مجلز وغيره بلغ على الامر وقرأ الحسن بن ابى الحسن بلاغ بالخفض نعتا لنهار * وقوله سبحانه فهل يهلك الا القوم الفاسقون وقرئ شاذا فهل يهلك ببناء الفعل للفاعل وفى هذه الآية وعيد محض وانذار بين وذلك ان الله عز وجل جعل الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها وغفر الصغائر باجتناب الكبائر ووعد الغفران على التوبة فلن يهلك على الله الاهالك كما قال صلى الله عليه وسلم قال الثعلبي يقال ان قوله تعالى فهل يهلك الا القوم الفاسقون ارجى ءاية فى كتاب الله عز وجل للمومنين

تفسير سورة القتال وهي مدنية

﷽ * بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم الذين كفروا اشارة الى اهل مكة الذين اخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله والذين ءامنوا وعملوا الصالحات الآية اشارة الى الانصار الذين ءاووا ونصروا وفى الطائفتين نزلت الآيتان قاله ابن عباس ومجاهد ثم هي بعد تعم كل من دخل تحت الفاظها * وقوله اضل اعمالهم اي اتلفها ولم يجعل لها نفعا (ت) وقد ذكرنا فى سورة الصف ان اسم محمد صلى الله عليه وسلم لم يتسم به احد قبله الا قوم قليلون رجاء ان تكون النبوءة فى ابنائهم والله اعلم حيث يجعل رسالاته قال ابن القطان وعن خليفة والدابي سويد قال سألت محمد بن عدي بن ابى ربيعة كيف سماك ابوك محمدا قال سألت ابي عما سألتنى عنه فقال لى كنت رابع اربعة من بنى غنم انا فيهم وسفيان بن مجاشع بن جرير وامامة بن هند بن خِنْدِف ويزيد بن ربيعة فخرجنا فى سفرة نريد ابن جفنة ملك غسان فلما شارفنا الشام نزلنا على غدير فيه شجرات وقربه شخص نائم فتحدثنا فاستمع كلامنا فاشرف علينا فقال ان هذه لغة ما هي لغة هذه البلاد فقلنا نحن قوم من مضر فقال من اي المضريين قلنا من خندف قال انه يبعث فيكم خاتم النبيئين فسارعوا اليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا قلنا ما اسمه قال محمد فرجعنا فولد لكل واحد منا ابن سماه محمدا وذكره المدائني انتهى * وقوله تعالى فى المومنين واصلح بالهم قال قتادة معناه حالهم وقال ابن عباس شأنهم وتحرير التفسير فى اللفظة انها بمعنى الفكر والموضع

الذى فيه نظر الانسان وهو القلب فاذا صلح ذلك منه فقد صلح حاله فكانّ اللفظة مشيرة الى صلاح عقيدتهم وغيرُ ذلك من الحال تابع فقولك خطر فى بالى كذا وقولك اصلح الله بالك المراد بهما واحد ذكره المبرد والبال مصدر كالحال والشان ولا يستعمل منه فعل وكذلك عرفه لايثني ولا يجمع وقد جاء مجموعا شاذا فى قولهم بالات والباطل هنا الشيطان وكل ما يامر به قاله مجاهد والحق هنا الشرع ومحمد عليه السلام * وقوله كذلك يضرب الله الاشارة الى الاتباع المذكورين من الفريقين * وقوله سبحانه فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الآية قال اكثر العلماء ان هذه الآية وءاية السيف وهي قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم محكمتان فقوله هنا فضرب الرقاب بمثابة قوله هنالك فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصرح هنا بذكر المن والفداء ولم يصرح به هنالك فهذه مبينة لتلك وهذا هو القول القوي وقوله فضرب الرقاب مصدر بمعنى الفعل اي فاضربوا رقابهم وعين من انواع القتل اشهره والمراد اقتلوهم باي وجه امكن وفى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع كافر وقاتله فى النار ابدا وفى صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار انتهى والاثخان فى القوم ان يكثر فيهم القتلى والجرحى ومعنى فشدوا الوثاق اي بمن لم يقتل ولم يترتب فيه الا الاسر ومنا وفداء مصدران منصوبان بفعلين مضمرين * وقوله حتى تضع الحرب اوزارها معناه حتى تذهب الحرب وتزول اثقالها والاوزار الاثقال ومنه قول عمرو بن معديكرب

واعددت للحرب اوزارها * رماحا طوالا وخيلا ذكورا

واختلف المتأولون فى الغاية التى عندها تضع الحرب اوزارها فقال قتادة حتى يسلم الجميع وقال حذاق اهل النظر حتى تغلبوهم وتقتلوهم وقال مجاهد حتى

ينزل عيسى بن مريم قال (ع) وظاهر اللفظ انه استعارة يراد بها التزام الامر ابدا وذلك ان الحرب بين المومنين والكافرين لاتضع اوزارها فجاء هـذا كما تقول انا افعل كذا وكذا الى يوم القيامة وانما تريد انك تفعله دائما * ولو شاء الله لانتصر منهم اي بعذاب من عنده ولكن اراد سبحانه اختبار المومنين وان يبلو بعض الناس ببعض وقرأ الجمهور قاتلوا وقرأ عاصم بخلاف عنـه قتلوا بفتح القاف والتاء وقرأ ابو عمرو وحفص قتلوا بضم القاف وكسر التاء قال قتادة نزلت هـذه الآيـة فيمن قتل يوم احد من المومنين * وقوله سبحانـه سيهديهم اي الى طريق الجنة (ت) ذكر الشيخ ابو نعيم الحافظ ان ميسرة الخادم قال غزونا فى بعض الغزوات فاذا فتى الى جانبي واذا هو مقنع بالحديـد فحمل على الميمنة فثناها ثم على الميسرة حتى ثناها وحمل على القلب حتى ثناه ثم انشأ يقول

احسن بمولاك سعيدُ ظنـا * هـذا الذى كنت له تمنى
تنح ياحور الجنـان عنـا * مالك قاتلنـا ولا قُتـلنـا
لكن الى سيدكن اشتقنـا * قـد علم السـر ومـا اعلنـا

قال فحمـل فقاتل فقتل منهم عـددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فاذا هو رضي الله تعالى عنه قد حمل على الناس وانشأ يقول

قد كنت ارجو ورجاءى لم يخب * ان لايضيع اليوم كدى والطلب
يا من ملا تلك القصور بالُّلعَب * لولاك ما طابت ولاطاب الطرب

ثم حمل رضي الله عنه فقاتل فقتل منهم عـددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فحمل رضي الله عنه فى المرة الثالثة وانشأ يقول

يا لُعبـة الخلد قفى ثم اسمـعى * مالك قاتلنـا فكفى وارجـعى
ثم ارجعى الى الجنان واسرعى * لا تطمعى لا تطمعى لا تطمعى

فقاتل رضي الله عنه حتى قتل انتهى من ابن عباد شارح الحكم * وقوله تعالى عرفها لهم قال ابو سعيد الخدري وقتادة ومجاهد معناه بينها لهم اي جعلهم يعرفون منازلهم منها وفى نحو هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لأحدكم بمنزله فى الجنة اعرف منه بمنزله فى الدنيا قال القرطبي فى التذكرة وعلى هذا القول اكثر المفسرين قال وقيل ان هذا التعريف الى المنازل هو بالدليل وهو الملك الموكل بعمل العبد يمشى بين يديه انتهى وقالت فرقة معناه سماها لهم ورسمها كل منزل باسم صاحبه فهذا نحو من التعريف وقالت فرقة معناه شرفها لهم ورفعها وعلّاها وهذا من الاعراف التى هي الجبال ومنه اعراف الخيل وقال مؤرج وغيره معناه طيبها ما خوذ من العرف ومنه طعام معرف اي مطيب وعرفت القدر طيبتها بالملح والتابل قال ابو حيان واصلح بالهم البال الفكر ولا يثنى ولا يجمع انتهى * وقوله سبحانه ان تنصروا الله اي دين الله ينصركم بخلق القوة لكم وغير ذلك من المعاون ويثبت اقدامكم اي فى مواطن الحرب وقيل على الصراط فى القيامة * وقوله فتعسا لهم معناه عثارا وهلاكا لهم وهي لفظة تقال للعاثر اذا اريد به الشر قال ابن السكيت التعس ان يخر على وجهه * وقوله تعالى كرهوا ما انزل الله يريد القرءان فاحبط اعمالهم قال (ع) ولاخلاف ان الكافر له حفظة يكتبون سيئاته واختلف الناس فى حسناتهم فقالت فرقة هي ملغاة يثابون عليها بنعم الدنيا فقط وقالت فرقة هي محصاة من اجل ثواب الدنيا ومن اجل انه قد يسلم فينضاف ذلك الى حسناته فى الاسلام وهذا احد التاويلين فى قوله صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام اسلمت على ما سلف لك من خير * وقوله عز وجل افلم يسيروا فى الارض توقيف لقريش وتوبيخ والذين من قبلهم يريد ثمود وقوم شعيب وغيرهم والدمار الافساد وهدم البناء واذهاب العمران والضمير فى قوله امثالها يصح ان يعود على العاقبة ويصح ان

يعود على الفعلة التى يتضمنها قوله دمر الله عليهم * وقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين ءامنوا الآيـة المولى الناصر الموالى قال قتادة نزلت هذه الآيـة يوم احد ومنها انتزع النبي صلى الله عليه وسلم رده على ابى سفيان حين قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم * وقوله سبحانه والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام اي اكلا مجردا عن الفكر والنظر وهذا كما تقول الجاهل يعيش كما تعيش البهيمة والمعنى يعيش عديم الفهم والنظر فى العواقب * وقوله سبحانه وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك يعنى مكة التى اخرجتك معناه وقت الهجرة ويقال ان هذه الآية نزلت اثر خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وقيل غير هذا * وقوله سبحانه افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله الآية توقيف وتقرير وهي معادلة بين هذين الفريقين واللفظ عام لاهل هاتين الصفتين غابر الدهر وعلى بينة اي على يقين وطريق واضحة وعقيدة نيرة بينة * وقوله سبحانه مثل الجنة الآية قال النضر بن شُمَيل وغيره مثل معناه صفة كانـه قال صفة الجنة ما تسمعون فيها كذا وكذا * وقوله فيها انهار من ماء غير ءاسن معناه غير متغير قاله ابن عباس وقتادة وسواء انتن او لم ينتن * وقوله فى اللبن لم يتغير طعمه نفي لجميع وجوه الفساد فيه * وقوله لذة للشاربين جمعت طيب الطعم وزوال الآفات من الصداع وغيره وتصفيـة العسل مذهبة لمومه وضرره (ت) وروينا فى كتاب الترمذي عن حكيم بن معاويـة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد قال ابو عيسى هـذا حديث حسن صحيح انتهى * وقوله ولهم فيها من كل الثمرات اي من هـذه الانواع لكنها بعيدة الشبه تلك لا عيب فيها ولا تعب * وقوله ومغفرة من ربهم معناه وتنعيم اعطته المغفرة وسببته والا فالمغفرة انما هي قبل دخول الجنة * وقوله

سبحانه كمن هو خالد فى النار الآية قبله محذوف تقديره اسكان هذه او تقديره اهؤلاء المتقون كمن هو خالد فى النار * وقوله سبحانه ومنهم من يستمع يعنى بذلك المنافقين حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال ءانفا على جهة الاستخفاف ومنهم من يقوله جهالة ونسيانا وءانفا معناه مبتدئا كانه قال ما القول الذى ائتنفه الآن قبل انفصالنا عنه والمفسرون يقولون ءانفا معناه الساعة الماضية وهذا تفسير بالمعنى (ت) وقال الثعلبي ءانفا اي الآن واصله الابتداء قال ابو حيان ءانفا بالمد والقصر اسم فاعل والمستعمل من فعله ائتنفت ومعنى ءانفا مبتدئا فهو منصوب على الحال واعربه الزمخشري ظرفا اي الساعة قال ابوحيان ولااعلم احدا من النحاة عده من الظروف انتهى وقال العراقي ءانفا اي الساعة * وقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى اي زادهم الله هدى ويحتمل زادهم استهزاء المنافقين هدى قال الثعلبي وقيل زادهم ما قال النبي صلى الله عليه وسلم هدى قال (ع) الفاعل فى وءاتاهم يتصرف القول فيه بحسب التاويلات المذكورة واقواها ان الفاعل الله تعالى وءاتاهم معناه اعطاهم اي جعلهم متقين * وقوله تعالى فهل ينظرون يريد المنافقين والمعنى فهل ينتظرون وبغتة معناه فجأة * وقوله فقد جاء اشراطها اي فينبغى الاستعداد والخوف منها والذى جاء من اشراط الساعة محمد صلى الله عليه وسلم لانه ءاخر الانبياء وقال عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين والاحاديث كثيرة فى هذا الباب * وقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله الآية اضراب عن امر هؤلاء المنافقين وذكر الاهم من الامر والمعنى دم على علمك وهذا هو القانون فى كل من امر بشيء هو متلبس به وكل واحد من الامة داخل فى هذا الخطاب وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال عبد لا اله الا الله مخلصا الا فتحت له ابواب الجنة حتى تفضي الى العرش ما اجتنبت الكبائر رواه الترمذي والنساءي

وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن غريب انتهى من السلاح * وقوله تعالى واستغفر لذنبك اي لتستن امتك بسنتك (ت) هذا لفظ الثعلبي وهو حسن وقال عياض قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا هي مخاطبة لامته انتهى قال (ع) وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لم يكن عنده ما يتصدق به فليستغفر للمومنين والمومنات وبوب البخاري رحمه الله العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله * وقوله تعالى واستغفر لذنبك الآية وواجب على كل مومن ان يستغفر للمومنين والمومنات فانها صدقة وقال الطبري وغيره متقلبكم متصرفكم في يقظتكم ومثواكم منامكم وقال ابن عباس متقلبكم تصرفكم في حياتكم الدنيا ومثوا كم اقامتكم في قبوركم وفي ءاخرتكم * وقوله عز وجل ويقول الذين ءامنوا لولا نزلت سورة الآية هذا ابتداء وصف حال المومنين على جهة المدح لهم ووصف حال المنافقين على جهة الذم وذلك ان المومنين كان حرصهم على الدين يبعثهم على تمنى ظهور الاسلام وتمنى قتال العدو وكانوا يانسون بالوحي ويستوحشون اذا ابطأ وكان المنافقون على العكس من ذلك * وقوله محكمة معناه لا يقع فيها نسخ واما الاحكام الذى هو الاتقان فالقرءان كله سواء فيه والمرض الذى في قلوب المنافقين هو فساد معتقدهم ونظر الخائف الموله قريب من نظر المغشي عليه وخسسهم هذا الوصف والتشبيه * وقوله تعالى فاولى لهم طاعة اولى وزنها افعل من وليك الشيء يليك والمشهور من استعمال اولى انك تقول هذا اولى بك من هذا اي احق وقد تستعمل العرب اولى لك فقط على جهة الاختصار لما معها من القول على جهة الزجر والتوعد فتقول اولى لك يا فلان وهذه الآية من هذا الباب ومنه قوله تعالى اولى لك فاولى وقالت فرقة اولى رفع بالابتداء وطاعة خبره قال (ع) وهذا هو المشهور من استعمال اولى وقيل غير هذا قال ابو حيان قال صاحب الصحاح

اولى لـك تهـديـد ووعيد قال ابو حيان والاكثر على انه اسم مشتق من الولي وهو القرب وقال الجرجاني هو ماخوذ من الويل فقلب فوزنه افلع انتهى فاذا عزم الامر ناقضوا وعصوا قال البخاري قال مجاهد عزم الامر جد الامر انتهى * وقوله سبحانـه فهل عسيتم مخاطبـة لهؤلاء الذين فى قلوبهم مرض والمعنى فهل عسى ان تفعلوا ان توليتم غير ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم ومعنى ان توليتم اي ان اعرضتم عن الحق وقيل المعنى ان توليتم امور الناس من الولاية وعلى هذا قيل انها نزلت فى بنى هاشم وبنى امية ذكره الثعلبي (ت) وهو عنـدى بعيـد لقوله اولائك الذين لعنهم الله فتعين التاويل الاول والله اعلم وفى البخاري عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع يعنى قاطع رحم وفيه عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط له فى رزقه وان ينسأ له فى اثره فليصل رحمه اه وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وفى رواية لا يدخل الجنة قاطع وفى طريق من سره ان يبسط عليه رزقه وينسأ له فى اثره فليصل رحمه وخرجه البخاري من طريق ابى هريرة على ما تقدم وخرج البخاري عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى يارب قال فهو لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرءوا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم وفى رواية قال الله من وصلك وصلتـه ومن قطعك قطعتـه انتهى وروى ابو داود فى سننه عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل انا الرحمن وهي الرحم شققت

لها من اسمى من وصلها وصلته ومن قطعها بتته انتهى * وقوله تعالى اولائك الذين لعنهم الله اشارة الى المرضى القلوب المذكورين * وقوله فاصمهم واعمى ابصارهم استعارة لعدم فهمهم * وقوله عز من قائل افلا يتدبرون القرءان الآية توقيف وتوبيخ وتدبر القرءان زعيم بالتبيين والهدى لمتـأمله (ت) قال الهروي قوله تعالى افلا يتدبرون القرءان معناه افلا يتفكرون فيعتبرون يقال تدبرت الامر اذا نظرت فى ادباره وعواقبه انتهى * وقوله تعالى ام على قلوب اقفالها معناه بل على قلوب اقفالها وهو الرين الذى منعهم من الايمان وروي ان وفد اليمن وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم شاب فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال الفتى عليها اقفالها حتى يفتحها الله تعالى ويفرجها قال عمر فعظم فى عيني فما زالت فى نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي الخلافة فاستعان بذلك الفتى * وقوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم الآية قال قتادة نزلت فى قوم من اليهود وقال ابن عباس وغيره نزلت فى منافقين كانوا اسلموا ثم نافقت قلوبهم والآية تعم كل من دخل فى ضمن لفظها غابر الدهر وسول معناه رجاهم سؤلهم وامانيهم ونقل ابو الفتح عن بعضهم انه بمعنى دلاهم ماخوذ من السَوَل وهو الاسترخاء والتدلى وقال العراقي سول اي زين سوء الفعل * وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا الآية قيل انها نزلت فى بنى اسراءيل الذين تقدم ذكرهم الآن وروي ان قوما من قريظة والنضير كانوا يعِدُون المنافقين فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلاف عليه بنصر وموازرة فذلك قولهم سنطيعكم فى بعض الامر وقرأ الجمهور اسرارهم بفتح الهمزة وقرأ حمزة والكساءي وحفص اسرارهم بكسرها * وقوله سبحانه فكيف اذا توفتهم الملائكة يعنى ملك الموت واعوانه والضمير فى يضربون للملائكة وفى نحو هذا احاديث تقتضى صفة الحال وما اسخط الله هو الكفر والرضوان هنا الحق والشرع المؤدى الى الرضوان *

وقوله سبحانه ام حسب الذين فى قلوبهم مرض الآية توبيخ للمنافقين وفضح لسرائرهم والضغن الحقد وقال البخاري قال ابن عباس اضغانهم حسدهم انتهى * وقوله سبحانه ولو نشاء لاريناكهم الآية لم يعينهم سبحانه بالاسماء والتعريف التام ابقاء عليهم وعلى قراباتهم وان كانوا قد عرفوا بلحن القول وكانوا فى الاشتهار على مراتب كابن ابي وغيره والسيما العلامة وقال ابن عباس والضحاك ان الله تعالى قد عرفه بهم فى سورة براءة بقوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا وفى قوله قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا قال (ع) وهذا فى الحقيقة ليس بتعريف تام ثم اخبر تعالى انه سيعرفهم فى لحن القول اي فى مذهب القول ومنحاه ومقصده واحتج بهذه الآية من جعل الحد فى التعريض بالقذف (ص) قال ابو حيان ولتعرفنهم اللام جواب قسم محذوف انتهى * وقوله سبحانه والله يعلم اعمالكم مخاطبة للجميع من مومن وكافر * وقوله سبحانه ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين الآية كان الفضيل بن عياض اذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا * وقوله سبحانه ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول الآية قالت فرقة نزلت فى بنى اسرايل وقالت فرقة نزلت فى قوم من المنافقين وهذا نحو ما تقدم وقال ابن عباس نزلت فى المطعمين فى سفرة بدر وقالت فرقة بل هي عامة فى كل كافر * وقوله لن يضروا الله شيأ تحقير لهم * وقوله سبحانه ياايها الذين ءامنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم روي ان هذه الآية نزلت فى بنى اسد من العرب وذلك انهم اسلموا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن آثرناك على كل شيء وجئناك بانفسنا واهلينا كانهم يمنون بذلك فنزل فيهم يمنون عليك ان اسلموا الآية ونزلت فيهم هذه الآية وظاهر الآية العموم * وقوله سبحانه ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار الآية

روي انها نزلت بسبب ان عدي بن حاتم قال يارسول الله ان حاتما كانت له افعال بر فما حاله فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو فى النار فبكى عدي وولى فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ابى وابوك وابو ابراهيم خليل الرحمن فى النار ونزلت هذه الآية فى ذلك وظاهر الآية العموم فى كل ما تناولته الصفة * وقوله سبحانه فلا تهنوا معناه لا تضعفوا وتدعوا الى السلم اي الى المسالمة وقال قتادة معنى الآية لا تكونوا اولى الطائفتين ضرعت للاخرى قال (ع) وهذا حسن ملتئم مع قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها * وانتم الاعلون فى موضع الحال المعنى فلا تهنوا وانتم فى هذه الحال ويحتمل ان يكون اخبارا بمغيب ابرزه الوجود بعد ذلك والاعلون معناه الغالبون والظاهرون من العلو * وقوله والله معكم معناه بنصره ومعونته ويتر معناه ينقص ويذهب والمعنى لن يتركم ثواب اعمالكم * وقوله سبحانه انما الحيوة الدنيا لعب ولهو تحقير لامر الدنيا * وقوله وان تومنوا وتتقوا يوتكم اجوركم معناه هذا هو المطلوب منكم لا غيره لا تسئلون اموالكم ثم قال سبحانه منبها على خُلق ابن ءادم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا والاحفاء هو اشد السؤال وهو الذى يستخرج ما عند المسئول كرها (ت) وقال الثعلبي فيحفكم اي يجهدكم ويلحف عليكم * وقوله تبخلوا جزما على جواب الشرط ويخرج اضغانكم اي يخرج الله اضغانكم وقرأ يعقوب ونخرج بالنون والاضغان معتقدات السوء وهو الذى كان يخاف ان يعتري المسلمين ثم وقف الله تعالى عباده المومنين على جهة التوبيخ لبعضهم بقوله هانتم هؤلاء وكرر هاءالتنبيه تاكيدا * وقوله تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي بالثواب والله الغني اي عن صدقاتكم وانتم الفقراء الى ثوابها (ت) هذا لفظ الثعلبي قال (ع) يقال بخلت عليك بكذا وبخلت عنك بمعنى امسكت عنك وروى الترمذي عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من

الناس بعيد من النار والبخيل بعيـد من الله بعيـد من الجنـة بعيد من الناس قريب من النار والجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل قال ابو عيسى هذا حديث غريب انتـهى * وقوله سبحانـه وان تتـولوا يستبـدل قوما غيركم قالت فرقة هـذا الخطاب لجميع المسلمين والمشركين والعرب حينئـذ والقوم الغير هم فارس وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عـن هـذا وكان سلمان الى جنبه فوضع يده على فخذه وقال قومُ هـذا لو كان الدين فى الثريا لناله رجال من اهل فارس * وقوله سبحانه ثم لا يكونوا امثالكم معناه فى الخلاف والتولى والبخل بالاموال ونحو هذا وحكى الثعلبي قولا ان القوم الغير هم الملائكة (ت) وليس لاحد مع الحديث اذا صح نظر ولولا الحديث لاحتمل ان يكون الغير ما ياتى من الخلف بعد ذهاب السلف على ما ذكر فى غير هـذا الموضع

تفسير سورة الفتح وهي مدنية

هذه السورة نزلت على النبي صلى الله عليـه وسلم منصرفـه من الحديـبية وفى ذلك احاديث كثيرة عن انس وابن مسعود وغيرهما وفى تلك السفرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر لقد انزلت علي الليلة سورة هي احب الي من الدنيا وما فيها خرجه البخاري وغيره

* بسم الله الـرحمن الرحيم *

قوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قال قوم يريد فتح مكة وقال جمهور

الناس وهو الصحيح الذى تعضده قصة الحديبية ان قوله انا فتحنا لك انما معناه هو ما يسر الله عز وجل لنبيه فى تلك الخرجة من الفتح البين الذى استقبله ونزلت السورة مونسة للمومنين لانهم كانوا استوحشوا من رد قريش لهم ومن تلك المهادنة التى جعلها الله سببا للفتوحات واستقبل النبي صلى الله عليه وسلم فى تلك السفرة انه هادن عدوه ريثما يتقوى هو وظهرت على يديه ءاية الماء فى بير الحديبية حيث وضع فيه سهمه وثاب الماء حتى كفى الجيش واتفقت بيعة الرضوان وهي الفتح الاعظم قاله جابر بن عبد الله والبراء بن عازب وبلغ هديه محله قاله الشعبي واستقبل فتح خيبر وامتلأت ايدى المومنين وظهرت فى ذالك الوقت الروم على فارس فكانت من جملة الفتح فسربها صلى الله عليه وسلم هو والمومنون لظهور اهل الكتاب على المجوس وشرفه الله بان اخبره انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر اي وان لم يكن ذنب (ت) قال الثعلبي قوله ليغفر لك الله قال ابو حاتم هذه لام القسم لما حذفت النون من فعله كسرت ونصب فعلها تشبيها بلام كي انتهى قال عياض ومقصد الآية انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان انتهى قال ابو حيان ليغفر اللام للعلة وقال (ع) هي لام الصيرورة وقيل هي لام القسم ورد بان لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها واجيب بان الكسر قد علل بالحمل على لام كي واما الحركة فليست نصبا بل هي الفتحة الموجودة مع النون بقيت بعد حذفها دالة على المحذوف ورد بانه لم يحفظ من كلامهم والله ليقوم ولا بالله ليخرج زيد انتهى وفى صحيح البخاري عن انس ابن مالك انا فتحنا لك فتحا مبينا الحديبية انتهى * وقوله سبحانه ويتم نعمته عليك اي باظهارك وتغليبك على عدوك والرضوان فى الآخرة والسكينة فعيلة من السكون وهو تسكين قلوبهم لتلك الهدنة مع قريش حتى اطمأنت وعلموا ان وعد الله حق * وقوله سبحانه ليدخل المومنين والمومنات جنات

تجرى من تحتها الانهار الآية روي، فى معنى هذه الآية انه لما نزلت وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم تكلم فيها اهل الكفر وقالوا كيف نتبع من لا يعرف ما يفعل به وبالناس فبين الله فى هذه السورة ما يفعل به بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فلما سمعها المومنون قالوا هنيئا لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فما يفعل بنا فنزلت ليدخل المومنين والمومنات جنات الى قوله مصيرا فعرفه الله ما يفعل به وبالمومنين وبالكافرين وذكر النقاش ان رجلا من عك قال هذا الذى لرسول الله فما لنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي لى ولامتى كهاتين وجمع بين اصبعيه * وقوله ويكفر عنهم سيئاتهم هو من ترتيب الجمل فى السرد لا ترتيب وقوع معانيها لان تكفير السيئات قبل ادخالهم الجنة * وقوله الظانين بالله ظن السوء قيل معناه من قولهم لن ينقلب الرسول الآية وقيل هو كونهم يعتقدون الله بغير صفاته العلى * وقوله عليهم دائرة السوء اي دائرة السوء الذى ارادوه بكم فى ظنهم السوء ويقال للاقدار والحوادث التى هي فى طي الزمان دائرة لانها تدور بدوران الزمان * وقوله سبحانه انا ارسلناك شاهدا الآية من جعل الشاهد محصل الشهادة من يوم يحصلها فقوله شاهدا حال واقعة ومن جعل الشاهد مؤدي الشهادة فهي حال مستقبلة وهي التى يسميها النحاة المقدرة والمعنى شاهدا على الناس باعمالهم واقوالهم حين بلغت ومبشرا اهل الطاعة برحمة الله ونذيرا من عذاب الله اهل المعصية ومعنى تعزروه تعظموه وتكبروه قاله ابن عباس وقرأ ابن عباس وغيره تعززوه بزاءين من العزة قال الجمهور الضمير فى تعزروه وتوقروه للنبي صلى الله عليه وسلم وفى تسبحوه لله عز وجل والبكرة الغدو والاصيل العشي * وقوله سبحانه ان الذين يبايعونك يريد فى بيعة الرضوان وهي بيعة الشجرة حين اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الاهبة لقتال قريش لما بلغه قتل عثمان بن عفان رسوله اليهم

وذلك قبل ان ينصرف من الحديبية وكان فى الف واربعمائة وبايعهم صلى الله
عليه وسلم على الصبر المتناهى فى قتال العدو الى اقصى الجهد حتى قال سلمة
ابن الاكوع وغيره بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت وقال عبد الله
ابن عمر وجابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا نفر والمبايعة
فى هذه الآية مفاعلة من البيع لان الله تعالى اشترى منهم انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة ومعنى انما يبايعون الله ان صفقتهم انما يمضيها ويمنح الثمن الله تعالى (ت)
وهذا تفسير لايمس الآية ولابد وقال الثعلبي انما يبايعون الله اى اخذك البيعة
عليهم عقد الله عليهم انتهى وهذا تفسير حسن * وقوله تعالى يد الله قال جمهور
المتأولين اليد بمعنى النعمة اذ نعمة الله فى نفس هذه المبايعة لما يستقبل من
محاسنها فوق ايديهم التي مدوها لبيعتك وقيل المعنى قوة الله فوق قواهم فى
نصرك (ت) وقال الثعلبي يد الله فوق ايديهم اي بالوفاء والعهد وقيل بالثواب وقيل
يد الله فى المنة عليهم فوق ايديهم فى الطاعة عند المبايعة وهذا حسن قريب من
الاول * وقوله تعالى فمن نكث اي فمن نقض هذا العهد فانما يجنى على نفسه
ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه اجرا عظيما وهو الجنة * وقوله سبحانه
سيقول لك المخلفون من الاعراب قال مجاهد وغيره هم جهينة ومزينة ومن كان
حول المدينة من الاعراب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير
الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل
البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش واحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم
الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه هؤلاء المخلفون ورأوا انه يستقبل عدوا
عظيما من قريش وثقيف وكنانة والقبائل المجاورة لمكة وهم الاحابيش ولم
يكن تمكن ايمان هؤلاء المخلفين فقعدوا عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخلفوا
وقالوا لن يرجع محمد ولا اصحابه من هذه السفرة ففضحهم الله فى هذه الآية

واعلم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقولهم واعتذارهم قبل ان يصل اليهم فكان كما اخبر الله سبحانه فقالوا شغلتنا اموالنا واهلونا عنك فاستغفر لنا وهذا منهم خبث وابطال لانهم قالوا ذلك مصانعة من غير توبة ولا ندم فلذلك قال تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام قل لهم فمن يملك لكم من الله شيأ ان اراد بكم ضرا اي من يحمى منه اموالكم واهليكم ان اراد بكم فيها سوءا وفى مصحف ابن مسعود ان اراد بكم سوءا ثم رد عليهم بقوله بل كان الله بما تعملون خبيرا ثم فسر لهم العلة التى تخلفوا من اجلها بقوله بل ظننتم الآية وبورا معناه هلكى فاسدين والبوار الهلاك والبور فى لغة ازد عمان الفاسد ثم رجى سبحانه بقوله ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما ثم ان الله سبحانه امر نبيه على ما روي بغزو خيبر ووعده بفتحها واعلمه ان المخلفين اذا رأوا مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهود وهم عدو مستضعف طلبوا الكون معه رغبة فى عرض الدنيا والغنيمة فكان كذلك * وقوله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله معناه ان يغيروا وعده لاهل الحديبية بغنيمة خيبر وقال ابن زيد كلام الله هو قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا قال (ع) وهذا ضعيف لان هذه الآية نزلت فى غزوة تبوك فى آخر عمره صلى الله عليه وسلم وآية هذه السورة نزلت عام الحديبية وايضا فقد غزت جهينة ومزينة بعد هذه المدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى غزوة الفتح فتح مكة (ت) قال الثعلبي وعلى التاويل الاول عامة اهل التاويل وهو اصوب من تاويل ابن زيد * وقوله كذلكم قال الله من قبل يريد وعده قبل باختصاصهم بها وباقي الآية بين * وقوله سبحانه ستدعون الى قوم اولى بأس شديد قال قتادة وغيره هم هوازن ومن حارب النبي عليه السلام يوم حنين وقال الزهري وغيره هم اهل الردة وبنو حنيفة باليمامة وحكى

الثعلبي عن رافع بن خديج انه قال والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بنى حنيفة فعلمنا انهم هم المراد وقيل هم فارس والروم وقرأ الجمهور او يسلمون على القطع اي او هم يسلمون دون حرب قال ابن العربي والذين تعين قتالهم حتى يسلموا من غير قبول جزية هم العرب فى اصح الاقوال او المرتدون فاما فارس والروم فلا يقاتلون الى ان يسلموا بل ان بذلوا الجزية قبلت منهم وهذه الآية اخبار بمغيب فهي من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم انتهى من الاحكام * وقوله فان تطيعوا اي فيما تُدعون اليه وباقى الآية بين ثم ذكر تعالى اهل الاعذار ورفع الحرج عنهم وهو حكم ثابت لهم الى يوم القيامة ومع ارتفاع الحرج فجائز لهم الغزو واجرهم فيه مضاعف وقد غزا ابن ام مكتوم وكان يمسك الراية فى بعض حروب القادسية وقد خرج النساءي هذا المعنى وذكر ابن ام مكتوم رحمه الله * وقوله عز وجل لقد رضي الله عن المومنين الآية تشريف لهم رضي الله عنهم وقد تقدم القول فى المبايعة ومعناها وكان سبب هذه المبايعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يبعث الى مكة رجلا يبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يريد حربا وانما جاء معتمرا فبعث اليهم خداش بن امية الخزاعي وحمله صلى الله عليه وسلم على جمل له يقال له الثعلب فلما كلمهم عقروا الجمل وارادوا قتل خداش فمنعته الاحابيش وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاراد بعث عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله انى اخاف قريشا على نفسى وليس بمكة من بنى عدي احد يحميني ولكن ابعث عثمان فهو اعز بمكة منى فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فذهب فلقيه ابان بن سعيد بن العاصى فنزل عن دابته فحمله عليها واجاره حتى بلغ الرسالة فقالوا له ان شئت يا عثمان ان تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لاطوف حتى يطوف به النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان بنى

سعيد بن العاصى حبسوا عثمان على جهة المبرة فابطأ على النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الحديبية من مكة على نحو عشرة اميال فصرخ صارخ من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عثمان فجثا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون وقالوا لا نبرح ان كان هذا حتى نناجز القوم ثم دعا الناس الى البيعة فبايعوه صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عنها الا الجد بن قيس المنافق وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يده على يده وقال هذه يد لعثمان وهي خير ثم جاء عثمان سالما والشجرة سمرة كانت هنالك ذهبت بعد سنين * وقوله سبحانه فعلم ما فى قلوبهم قال الطبري ومنذر بن سعيد معناه من الايمان وصحته والحب فى الدين والحرص فيه وقرأ الناس وأثابهم قال هارون وقد قرئت وآتاهم بالتاء بنقطتين والفتح القريب خيبر والمغانم الكثيرة فتح خيبر * وقوله تعالى وعدكم الله الآية مخاطبة للمومنين ووعد بجميع المغانم التى اخذها المسلمون ويأخذونها الى يوم القيامة قاله مجاهد وغيره * وقوله فعجل لكم هذه يريد خيبر وقال زيد بن اسلم وابنه المغانم الكثيرة خيبر وهذه اشارة الى البيعة والتخلص من امر قريش وقاله ابن عباس * وقوله سبحانه وكف ايدي الناس عنكم قال قتادة يريد كف ايديهم عن اهل المدينة فى مغيب النبي عليه السلام والمومنين ولتكون ءاية اي علامة على نصر المومنين وحكى الثعلبي عن قتادة ان المعنى كف الله غطفان ومن معها حين جاءوا لنصر خيبر وقيل اراد كف قريشا * وقوله سبحانه واخرى لم تقدروا عليها قال ابن عباس الاشارة الى بلاد فارس والروم وقال قتادة والحسن الاشارة الى مكة وهذا قول يتسق معه المعنى ويتأيد * وقوله قد احاط الله بها معناه بالقدرة والقهر لاهلها اي قد سبق فى علمه ذلك وظهر فيها انهم لم يقدروا عليها (ت) قوله وظهر فيها الى ءاخره كلام غير محصل ولفظ الثعلبي واخرى لم تقدروا عليها اي وعدكم فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها قد احاط

بها لكم حتى يفتحها عليكم وقال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم قال مجاهد هو ما فتحوه حتى اليوم ثم ذكر بقية الاقوال انتهى * وقوله سبحانه ولو قاتلكم الذين كفروا يعني كفار قريش في تلك السنة لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا * وقوله سنة الله اي كسنة الله اشارة الى وقعة بدر وقيل اشارة الى عادة الله من نصر الانبياء ونصب سنة على المصدر * وقوله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم الآية روي في سببها ان قريشا جمعت جماعة من فتيانها وجعلوهم مع عكرمة بن ابي جهل وخرجوا يطلبون غرة في عسكر النبي صلى الله عليه وسلم واختلف الناس في عدد هؤلاء اختلافا متفاوتا فلذلك اختصرته فلما احس بهم المسلمون بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثرهم خالد بن الوليد وسماه يومئذ سيف الله في جملة من الناس ففروا امامهم حتى ادخلوهم بيوت مكة واسروا منهم جملة فسيقوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فمن عليهم واطلقهم قال الواحدي وكان ذلك سبب الصلح بينهم انتهى * وقوله سبحانه هم الذين كفروا يعني اهل مكة وصدوكم عن المسجد الحرام اي منعوكم من العمرة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى الحديبية في ذى القعدة سنة ست يريد العمرة وتعظيم البيت وخرج معه بمائة بدنة وقيل بسبعين فاجمعت قريش لحربه وغوروا المياه التى تقرب من مكة فجاء صلى الله عليه وسلم حتى نزل على بير الحديبية وحينئذ وضع سهمه في الماء فجرى غمرا حتى كفى الجيش ثم بعث صلى الله عليه وسلم اليهم عثمان كما تقدم وبعثوا هم رجالا آخرهم سهيل بن عمرو وبه انعقد الصلح على ان ينصرف صلى الله عليه وسلم ويعتمر من قابل فهذا صدهم اياه وهو مستوعب في السير والهدي معطوف على الضمير في صدوكم اي وصدوا الهدي ومعكوفا حال ومعناه محبوسا تقول عكفت الرجل عن حاجته اذا حبسته وحبس الهدي من قبل المشركين هو

بصدهم ومن قبل المسلمين لرؤيتهم ونظرهم فى امرهم لاجل ان يبلغ الهدي محله وهو مكة والبيت وهذا هو حبس المسلمين وذكر تعالى العلة فى ان صرف المسلمين ولم يمكنهم من دخول مكة فى تلك الوجهة وهي انه كان بمكة مومنون من رجال ونساء خفي ايمانهم فلو استباح المسلمون بيضتها اهلكوا اولائك المومنين قال قتادة فدفع الله عن المشركين باولائك المومنين والوطء هنا الاهلاك بالسيف وغيره ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر قال ابو حيان ولولا رجال جوابها محذوف لدلالة الكلام عليه اي ما كف ايديكم عنهم انتهى والمعرة السوء والمكروه اللاحق ما خوذ من العر والعرة وهو الجرب الصعب اللازم واختلف فى تعيين هذه المعرة فقال الطبري وحكاه الثعلبي هي الكفارة وقال منذر المعرة ان يعيبهم الكفار ويقولوا قتلوا اهل دينهم وقال بعض المفسرين هي الملام والقول فى ذلك وتألم النفس فى باقى الزمان وهذه اقوال حسان وجواب لولا محذوف تقديره لولا هؤلاء لدخلتم مكة لكن شرفنا هؤلاء المومنين بان رحمناهم ودفعنا بسببهم عن مكة ليدخل الله اي ليبين للناظر ان الله يدخل من يشاء فى رحمته اواي ليقع دخولهم فى رحمة الله ودفعه عنهم (ت) وقال الثعلبي قوله بغير علم يحتمل ان يريد بغير علم ممن تكلم بهذا والمعرة المشقة ليدخل الله فى رحمته اي فى دين الاسلام من يشاء من اهل مكة قبل ان تدخلوها انتهى * وقوله تعالى لو تزيلوا اي لو ذهبوا عن مكة تقول زلت زيدا عن موضعه ازالة اي اذهبته وليس هذا الفعل من زال يزول وقد قيل هو منه وقرأ ابو حيوة وقتادة تزايلوا بالف اي ذهب هؤلاء عن هؤلاء وقال النحاس وقد قيل ان قوله ولولا رجال مومنون الآية يريد من فى اصلاب الكافرين ممن سيومن فى غابر الدهر وحكاه الثعلبي والنقاش عن على بن ابى طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

مرفوعا والحمية التى جعلوها هي حمية اهل مكة فى الصد قال الزهري وهي حمية سهيل ومن شاهد منهم عقد الصلح وجعلها سبحانه حمية جاهلية لانها كانت منهم بغير حجة اذ لم يات صلى الله عليه وسلم محاربا لهم وانما جاء معتمرا معظما لبيت الله والسكينة هي الطمانينة الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثقة بوعد الله والطاعة وزوال الانفة التى لحقت عمر وغيره وكلمة التقوى قال الجمهور هي لا اله الا الله وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وفى مصحف ابن مسعود وكانوا اهلها واحق بها والمعنى كانوا اهلها على الاطلاق فى علم الله وسابق قضائه لهم وروى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نادى المنادي فتحت ابواب السماء واستجيب الدعاء فمن نزل به كرب او شدة فليتحين المنادي فاذا كبر كبر واذا تشهد تشهد واذا قال حي على الصلاة قال حي على الصلاة واذا قال حي على الفلاح قال حي على الفلاح ثم يقول رب هذه الدعوة الصادقة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة التقوى احينا عليها وامتنا عليها وابعثنا عليها واجعلنا من خيار اهلها احياء وامواتا ثم يسئل الله حاجته رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح فقد بين صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث معنى كلمة التقوى على نحو ما فسر به الجمهور والصحيح انه يعوض عن الحيعلة الحوقلة ففى صحيح مسلم ثم قال حي على الصلاة قال لا حول ولا قوة الا بالله ثم قال حي على الفلاح قال لا حول ولا قوة الا بالله الحديث انتهى * وقوله تعالى وكان الله بكل شيء عليما اشارة الى علمه بالمومنين الذين دفع عن كفار قريش بسببهم والى علمه بوجه المصلحة فى صلح الحديبية فيروى انه لما انعقد الصلح امن الناس فى تلك المدة الحرب والفتنة وامتزجوا وعلت دعوة الاسلام وانقاد الى الاسلام كل من له فهم وزاد عدد الاسلام فى تلك المدة اضعاف ما كان قبل ذلك قال (ع) ويقتضى ذلك ان

النبي صلى الله عليه وسلم كان فى عام الحديبية فى اربع عشرة مائة ثم سار الى مكة بعد ذلك بعامين فى عشرة ٠الاف فارس صلى الله عليه وسلم (ت) المعروف عشرة ٠الاف وقوله فارس ما اظنه يصح فتأمله فى كتب السيرة * وقوله سبحانه لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية روي فى تفسيرها ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه عند خروجه الى العمرة انه يطوف بالبيت هو واصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون وقال مجاهد رأى ذلك بالحديبية فاخبر الناس بهذه الرؤيا فوثق الجميع بان ذلك يكون فى وجهتهم تلك وقد كان سبق فى علم الله ان ذلك يكون لكن ليس فى تلك الوجهة فلما صدهم اهل مكة قال المنافقون واين الرؤيا ووقع فى نفوس بعض المسلمين شيء من ذلك فاجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بان قال وهل قلت لكم يكون ذلك فى عامنا هذا اوكما قال ونطق ابو بكر قبل ذلك بنحوه ثم انزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية واللام فى لتدخلن لام القسم * وقوله ان شاء الله اختلف فى هذا الاستثناء فقال بعض العلماء انما استثنى من حيث ان كل واحد من الناس متى رد هذا الوعد الى نفسه امكن ان يتم الوعد فيه وان لا يتم اذ قد يموت الانسان او يمرض لحينه فلذلك استثنى عز وجل فى الجملة اذ فيهم ولابد من يموت او يمرض (ت) وقد وقع ذلك حسبما ذكر فى السير وقال ٠اخرون هو اخذ من الله تعالى على عباده بادبه فى استعمال الاستثناء فى كل فعل (ت) قال ثعلب استثنى الله تعالى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لايعلمون وقيل غير هذا ولما نزلت هذه الآية علم المسلمون ان تلك الرؤيا ستخرج فيما يستانفونه من الزمان فكان كذلك فخرج صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل واعتمر * وقوله سبحانه فعلم ما لم تعلموا يريد ما قدره من ظهور الاسلام فى تلك المدة ودخول الناس فيه * وقوله من دون ذلك اي من قبل ذلك وفيما

يدنو اليكم واختلف فى الفتح القريب فقال كثير من العلماء هو بيعة الرضوان وصلح الحديبيـة وقال ابن زيـد هو فتح خيـبر * وقوله تعالى محمد رسول الله قال جمهور الناس هو ابتداء وخبر استوفى فيه تعظيم منزلة النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله والذين معه ابتداء وخبره اشداء ورحماء خبرثان وهذا هو الراجح لانـه خبر مضاد لقول الكفار لا تكتب محمد رسول الله والذين معه اشارة الى جميع الصحابة عنـد الجمهور وحكى الثعلبي عن ابن عباس ان الاشارة الى من شهد الحديبية (ت) ووصف تعالى الصحابة بانهم رحماء بينهم وقد جاءت احاديث صحيحة فى تراحم المومنين حدثنـا الشيخ ولي الدين العراقي بسنده عن عبد الله بن عمـرو بن العاصى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء واخرج الترمذي من طريق ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنزع الرحمة الا من قلب شقي وخرج عـن جرير بن عبـد الله قال قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم من لا يرحم الناس لا يرحمه الله قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وهذا الحديث خرجه مسلم عن جرير وخرج مسلم ايضا من طريق ابى هريرة من لا يرحم لا يرحم انتهى وبالجملة فاسباب الالفة والتراحم بين المومنين كثيرة ولو بان تلقى اخاك بوجه طلق وكذلك بذل السلام وطيب الكلام فالموفق لا يحتقر من المعروف شيأ وقد روى الترمذي الحكيم في كتاب ختم الاولياء له بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا التقى المسلمان كان احبهما الى الله سبحانـه احسنهما بشرا بصاحبـه او قال اكثرهما بشرا بصاحبه فاذا تصافحا انزل الله عليهما مائة رحمة تسعون منها للذى بدأ وعشرة للذى صوفح انتهى * وقوله تراهم ركعا سجدا اي ترى هاتين الحالتين كثيرا فيهم ويبتغون معناه يطلبون * وقوله سبحانه سيماهم فى وجوههم

قال مالك بن انس كانت جباههم متربة من كثرة السجود فى التراب وقاله عكرمة ونحوه لابى العالية وقال ابن عباس وخالد الحنفي وعطية هو وعد بجالهم يوم القيامة من الله تعالى يجعل لهم نورا من اثر السجود قال (ع) كما يجعل غرة من اثر الوضوء حسبما هو فى الحديث ويؤيد هذا التاويل اتصال القول بقوله فضلا من الله وقال ابن عباس السمت الحسن هو السيا وهو خشوع يبدو على الوجه قال (ع) وهذه حالة مكثرى الصلاة لانها تنهاهم عن الفحشاء والمنكر وقال الحسن ابن ابى الحسن وشِمْر ابن عطية السيما بياض وصفرة وتبهيج يعترى الوجوه من السهر وقال عطاء بن ابى رباح والربيع بن انس السيما حسن يعترى وجوه المصلين قال (ع) ومن هذا الحديثُ الذى فى الشهاب من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار قال (ع) وهذا حديث غلط فيه ثابت بن موسى الزاهد سمع شريك بن عبد الله يقول حدثنا الاعمش عن ابى سفيان عن جابر ثم نزع شريك لما رأى ثابتا الزاهد فقال يعنيه من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار فظن ثابت ان هذا الكلام حديث متركب على السند المذكور فحدث به عن شريك (ت) واعلم ان الله سبحانه جعل حسن الثناء علامة على حسن عقبى الدار والكون فى الجنة مع الابرار جاء بذلك صحيح الآثار عن النبي المختار ففى صحيح البخاري ومسلم عن انس قال مروا بجنازة فاثنوا عليها خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ثم مروا باخرى فاثنوا عليها شرا فقال وجبت فقال عمر ما وجبت فقال هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار انتم شهداء الله فى الارض انتهى ونقل صاحب الكوكب الدري من مسند البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوشك ان تعرفوا اهل الجنة من اهل النار فقالوا يا رسول الله بم قال بالثناء الحسن والثناء السيئ انتهي ونقله صاحب كتاب التشوف الى رجال التصوف

وهو الشيخ الصالح ابو يعقوب يوسف بن يحي التاذلي عن ابن ابى شيبة ولفظه
وخرج ابو بكر بن ابى شيبة انـه قال صلى الله عليه وسلم فى خطبتـه توشكوا ان
تعرفوا اهل الجنة من اهل النار او قال خياركم من شراركم قالوا بم يا رسول الله
قال بالثناء الحسن وبالثناء السيئ انتم شهداء الله بعضكم على بعض ومن كتاب
التشوف قال وخرج البزار عن انس قال قيل يا رسول الله من اهل الجنة قال من
لا يموت حتى تملأ مسامعه مما يحبه قيل فمن اهل النار قال من لا يموت حتى تملأ
مسامعه مما يكره قال وخرج البزار عـن ابى هريرة ان رجلا قال يا رسول الله
دلنى على عمل ادخل بـه الجنـة قال لا تغضب واتاه ءاخر فقال متى اعلم انى
محسن قال اذا قال جيرانك انك محسن فانك محسن واذا قالوا انك مسيئ فانك
مسيئ انتهى ونقل القرطبي فى تذكرته عن عبد الله بن السائب قال مرت
جنازة بابن مسعود فقال لرجل قم فانظر امن اهل الجنـة هوام من اهل النار
فقال الرجل ما يدرينى امن اهل الجنة هو ام من اهل النار قال انظر ما ثنـاء
الناس عليه فانتم شهـداء الله فى الارض انتهى وبالله التوفيق واياه نستعين *
وقوله سبحانه ذلك مثلهم فى التوراة الآية قال مجاهد وجماعة من المتأولين المعنى
ذلك الوصف هو مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل وتم القول وكزرع ابتداء تمثيل
وقال الطبري وحكاه عـن الضحاك المعنى ذلك الوصف هو مثلهم فى التوراة
وتم القول ثم ابتدأ ومثلهم فى الانجيل كزرع (ت) وقيل غير هذا وابينها الاول
وماعداه يفتقر الى سند يقطع الشك * وقوله تعالى كزرع على كل قول هو
مثل للنبي عليه السلام واصحابه فى ان النبي عليه السلام بعث وحده فكان
كالزرع حبة واحدة ثم كثر المسلمون فهم كالشطء وهو فراخ السنبلة التى تنبت
حول الاصل يقال اشطأت الشجرة اذا اخرجت غصونها واشطأ الزرع اذا اخرج
شطـأه وحكي النقاش عـن ابن عباس انـه قال الزرع النبي صلى الله عليه وسلم

فـئازره علي بن ابي طالب فاستغلظ بابي بكر فاستوى على سوقه بعمر بن الخطاب (ت) وهـذا لين الاسناد والمتن كما ترى والله اعلم بصحته * وقوله تعالى فـئازره له معنيان احدهما ساواه طولا والثاني ان ءازره ووازره بمعنى اعانه وقواه ماخوذ من الازر وفاعل ءازر يحتمل ان يكون الشطء ويحتمل ان يكون الزرع * وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار ابتداء كلام قبله محذوف تقديره جعلهم الله بهذه الصفة ليغيظ بهم الكفار قال الحسن من غيظ الكفار قول عمر بمكة لا يعبد الله سرا بعد اليوم * وقوله تعالى منهم هي لبيان الجنس وليست للتبعيض لانه وعد مرج للجميع

تفسير سورة الحجرات وهي مدنية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل يا ايها الذين ءامنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الآية قال ابن زيد معنى لا تقدموا لا تمشوا وقرأ ابن عباس والضحاك ويعقوب بفتح التاء والدال على معنى لا تتقدموا وعلى هذا يجيء تاويل ابن زيد والمعنى على ضم التاء بين يدي قول الله ورسوله وروي ان سبب هذه الآية ان وفد بني تميم لما قدم قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله لو امّرت القعقاع بن مَعبَد وقال عمر لا يا رسول الله بل امّر الاقرع ابن حابس فقال له ابو بكر ما اردت الا خلافي فقال عمر ما اردت خلافك وارتفعت اصواتهما فنزلت الآية وذهب بعض قائلي هذه المقالة الى ان قوله لا تقدموا اي ولاة

فهو من تقديم الامراء وعموم اللفظ احسن اي اجعلوه مبدأ فى الاقوال والافعال وعبارة البخاري وقال مجاهد لا تقدموا لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضي الله عز وجل على لسانه انتهى * وقوله سبحانه لا ترفعوا اصواتكم الآية هى ايضا فى هذا الفن المتقدم فروي ان سببها ما تقدم عن ابى بكر وعمر رضي الله عنهما والصحيح انها نزلت بسبب عادة الاعراب من الجفاء وعلو الصوت وكان ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه ممن فى صوته جهارة فلما نزلت هذه الآية اهتم وخاف على نفسه وجلس فى بيته لم يخرج وهو كئيب حزين حتى عرف النبي صلى الله عليه وسلم خبره فبعث اليه فانسه وقال له امش فى الارض بسطا فانك من اهل الجنة وقال له مرة اما ترضى ان تعيش حميدا وتموت شهيدا فعاش كذلك ثم قتل شهيدا باليمامة يوم مسيلمة (ت) وحديث ثابت بن قيس وتبشيره بالجنة خرجه البخاري وكذلك حديث ابى بكر وعمر وارتفاع اصواتهما خرجه البخاري ايضا انتهى * وقوله كجهر بعضكم لبعض اي كحال احدكم فى جفائه فلا تنادوه باسمه يا محمد يا احمد قاله ابن عباس وغيره فامرهم الله بتوقيره وان يدعوه بالنبوءة والرسالة والكلام اللين وكره العلماء رفع الصوت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وبحضرة العالم وفى المساجد وفى هذه كلها آثار قال ابن العربي فى احكامه وحرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا وكلامه المأثور بعد موته فى الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه فاذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ان لا يرفع صوته عليه ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك فى مجلسه عند تلفظه به وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الازمنة بقوله واذا قرئ القرءان فاستمعوا له وانصتوا وكلام النبي صلى الله عليه وسلم هو من الوحي وله من الحرمة مثل ما للقرءان انتهى * وقوله تعالى ان تحبط مفعول من اجله اي مخافة ان تحبط

ثم مدح سبحانه الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله وغض الصوت خفضه وكسره وكذلك البصر وروي ان ابا بكر وعمر كانا بعد ذلك لا يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتاج مع عمر بعد ذلك الى استعادة اللفظ لانه كان لا يسمعه من اخفائه اياه وامتحن معناه اختبر وطهر كما يمتحن الذهب بالنار فيسرها وهيأها للتقوى وقال عمر بن الخطاب امتحنها للتقوى اذهب عنها الشهوات قال (ع) من غلب شهوته وغضبه فذلك الذى امتحن الله قلبه للتقوى وبذلك تكون الاستقامة وقال البخاري امتحن اخلص انتهى * وقوله سبحانه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون نزلت فى وفد بنى تميم وقولهم يا محمد اخرج الينا يا محمد اخرج الينا وفى مصحف ابن مسعود اكثرهم بنو تميم لا يعقلون وباقى الآية بين * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا وقرئ فتثبتوا روي فى سبب الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن ابى معيط الى بنى المصطلق مصدقا فلما قرب منهم خرجوا اليه فنزع منهم وظن بهم شرا فرجع وقال للنبي صلى الله عليه وسلم قد منعونى الصدقة وطردونى وارتدوا فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وهم بغزوهم فورد وفدهم منكرين لذلك وروي انه لما قرب منهم بلغه عنهم انهم قالوا لا نعطيه الصدقة ولا نطيعه فقال ما ذكرناه فنزلت الآية وان تصيبوا معناه مخافة ان تصيبوا قال قتادة وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ما نزلت هذه الاية التثبت من الله والعجلة من الشيطان * وقوله سبحانه واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم توبيخ للكذبة والعنت المشقة * وقوله تعالى اولائك هم الراشدون رجوع من الخطاب الى الغيبة كانه قال ومن اتصف بما تقدم من المحاسن اولائك هم

الراشدون * وقوله سبحانه فضلا من الله ونعمة اي كان هـذا فضلا مـن الله ونعمة وكان قتادة رحمه الله يقول قد قال الله تعالى لاصحاب محمد عليه السلام واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم وانتم والله اسخف رأيا واطيش احلاما فليتهم رجل نفسه ولينتصح كتاب الله تعالى * وقوله تعالى وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما سبب الآية فى قول الجمهور هو ما وقع بين المسلمين المتحزبين فى قضية عبد الله بن ابي ابن سلول حين مربه النبي صلى الله عليه وسلم راكبا على حماره متوجها الى زيارة سعد بن عبادة فى مرضه حسبما هو معلوم فى الحديث الطويل ومدافعة الفئة الباغية متوجهة فى كل حال واما التهيئ لقتالهم فمع الولاة وقال النبي صلى الله عليه وسلم حكم الله فى الفئة الباغية ان لا يجهز على جريحها ولا يطلب هاربها ولا يقتل اسيرها ولا يقسم فيئها وتفيء معناه ترجع وقرأ الجمهور بين اخويكم وذلك رعاية لحال اقل عدد يقع فيه القتال والتشاجر وقرأ ابن عامر بين اخوتكم وقرأ عاصم الجحدري بين اخوانكم وهي قراءة حسنة لان الاكثر فى جمع الاخ فى الدين ونحوه من غير النسب اخوان والاكثر فى جمعه من النسب أخوة واخاء وقد تتداخل هذه الجموع وكلها فى كتاب الله * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا يسخر قوم من قوم الآية هذه الآية والتى بعدها نزلت فى خلق اهل الجاهلية وذلك انهم كانوا يجرون مع شهوات نفوسهم لم يقومهم امر من الله ولا نهي فكان الرجل يسخر ويلمز وينبز بالالقاب ويظن الظنون ويتكلم بها ويغتاب ويفتخر بنسبه الى غير ذلك من اخلاق النفوس البطالة فنزلت هذه الآية تاديبا لهذه الامة وروى البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى هاهنا

بحسب امرئ من الشر ان يحتقر اخاه المسلم انتهى ويسخر معناه يستهزئ وقد يكون ذلك المستهزَأ به خيرا من الساخر والقوم فى كلام العرب واقع على الذكران وهو من اسماء الجمع ومن هذا قول زهير

وما ادرى وسوف اخال ادرى * اقوم آل حصن ام نساء

وهذه الآية ايضا تقتضى اختصاص القوم بالذكران وقد يكون مع الذكران نساء فيقال لهم قوم على تغليب حال الذكور وتلمزوا معناه يطعن بعضكم على بعض بذكر النقائص ونحوه وقد يكون اللمز بالقول وبالاشارة ونحوه مما يفهمه اخر والهمز لا يكون الا باللسان وحكى الثعلبي ان اللمز ما كان فى المشهد والهمز ما كان فى المغيب وحكى الزهراوي عكس ذلك * وقوله تعالى انفسكم معناه بعضكم بعضا كما قال تعالى ان اقتلوا انفسكم كانّ المومنين كنفس واحدة اذهم اخوة كما قال صلى الله عليه وسلم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى سائره بالسهر والحمى وهم كما قال ايضا كالبنيان يشد بعضه بعضا والتنابز التلقب والنبز واللقب واحد واللقب يعنى المذكور فى الآية هو ما يعرف به الانسان من الاسماء التى يكره سماعها وليس من هذا قول المحدثين سليمان الاعمش وواصل الاحدب ونحوه مما تدعو الضرورة اليه وليس فيه قصد استخفاف واذى وقال ابن زيد معنى ولا تنابزوا بالالقاب اي لا يقل احد لاحد يا يهودي بعد اسلامه ولا يا فاسق بعد توبته ونحو هذا * وقوله سبحانه بيس الاسم الفسوق بعد الايمان يحتمل معنيين احدهما بيس اسم تكتسبونه بعصيانكم ونبزكم بالالقاب فتكونون فساقا بالمعصية بعد ايمانكم والثانى بيس قول الرجل لاخيه يا فاسق بعد ايمانه وعن حذيفة رضي الله عنه قال شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرب لسانى فقال اين انت من الاستغفار انى لاستغفر الله كل يوم مائة مرة رواه النساءي واللفظ له وابن

ماجه والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم وفى رواية للنساءي انى لاستغفر الله فى اليوم واتوب اليه مائة مرة والذرب بفتح الذال والراء هو الفحش انتهى من السلاح ومنه عن ابن عمر ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله وسلم فى المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لى وتب علي انك انت التواب الرحيم رواه ابو داود وهذا لفظه والترمذي والنساءي وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذي حسن صحيح غريب انتهى ثم امر تعالى المومنين باجتناب كثير من الظن وان لايعملوا ولايتكلموا بحسبه لما فى ذلك وفى التجسس من التقاطع والتدابر وحكم على بعضه انه اثم اذ بعضه ليس باثم والظن المنهي عنه هو ان تظن شرا برجل ظاهره الصلاح بل الواجب ان تزيل الظن وحكمه وتتأول الخير قال (ع) وما زال اولوا العزم يحترسون من سوء الظن ويجتنبون ذرائعه قال النووي واعلم ان سوء الظن حرام مثل القول فكما يحرم ان تحدث غيرك بمساوى انسان يحرم ان تحدث نفسك بذلك وتسيء الظن به وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فانه اكذب الحديث والاحاديث بمعنى ما ذكرناه كثيرة والمراد بذلك عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس اذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمعفو عنه باتفاق العلماء لانه لا اختيار له فى وقوعه ولا طريق له الى الانفكاك عنه انتهى قال ابو عمر فى التمهيد وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حرم الله من المومن دمه وماله وعرضه وان لايظن به الا الخير انتهى ونقل فى موضع آخر بسنده ان عمر بن عبد العزيز كان اذا ذكر عنده رجل بفضل او صلاح قال كيف هو اذا ذكر عنده اخوانه فان قالوا انه يتنقصهم وينال منهم قال عمر ليس هو كما تقولون وان قالوا انه يذكر منهم جميلا وخيرا ويحسن الثناء عليهم قال هو كما تقولون ان شاء الله انتهى من التمهيد وروى ابو داود فى سننه عن ابى

هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الظن من حسن العبادة انتهى * وقوله تعالى ولا تجسسوا اي لا تبحثوا عن مخبئات امور الناس وادفعوا بالتي هي احسن واجتزءوا بالظواهر الحسنة وقرأ الحسن وغيره ولا تحسسوا بالحاء المهملة قال بعض الناس التجسس بالجيم في الشر وبالحاء في الخير قال (ع) وهكذا ورد القرءان ولكن قد يتداخلان في الاستعمال (ت) وقد وردت احاديث صحيحة في هذا الباب لولا الاطالة لجلبناها ولا يغتب معناه لا يذكر احدكم من اخيه شيأ هو فيه ويكره سماعه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكرت ما في اخيك فقد اغتبته واذا ذكرت ما ليس فيه فقد بهته وفي حديث آخر الغيبة ان تذكر المومن بما يكره قيل وان كان حقا قال اذا قلت باطلا فذلك هو البهتان وحكى الزهراوي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الغيبة اشد من الزنا قيل وكيف قال لان الزاني يتوب فيتوب الله عليه والذي يغتاب لا يتاب عليه حتى يستحل قال (ع) وقد يموت من اغتيب او يابى وروى ابو داود في سننه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم انتهى والغيبة مشتقة من غاب يغيب وهي القول في الغائب واستعملت في المكروه ولم يبح في هذا المعنى الا ما تدعو الضرورة اليه من تجريح الشهود وفي التعريف بمن استنصح في الخطاب ونحوهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم اما معاوية فصعلوك لا مال له وما يقال في الفسقة ايضا وفي ولاة الجور ويقصد به التحذير منهم ومنه قوله عليه السلام أعن الفاجر ترعون اذكروا الفاجر بما فيه متى يعرفه الناس اذا لم يذكروه (ت) وهذا الحديث خرجه ايضا ابو بكر بن الخطيب بسنده عن بهز عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال اترعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس ولم يذكر فى سنــده مطعنــا انتهى ومنــه قوله عليه السلام بيس ابن العشيرة ثم مثل تعالى الغيبة باكل لحم ابن ادم الميت ووقف تعالى على جهــة التوبيخ بقوله ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه اي فكذلك فاكرهوا الغيبة قال ابو حيان فكرهتموه قيل خبر بمعنى الامر اي فاكرهوه وقيل على بابــه فقال الفراء فقد كرهتموه فلا تفعلوه انتهى وقــد روى البخاري عــن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرمى رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وفى روايــة مسلم من دعا رجلا بالكفر او قال عدو الله وليس كذلك الاحار عليه وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم اي رجل قال لاخيه كافر فقد باءبها احدهما انتهى وباقى الآيــة بين * وقوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآيــة المعنى يا ايها الناس انتم سواء من حيث انتم مخلوقون وانما جعلتم قبائل لان تتعارفوا او لان تعرفوا الحقائق واما الشرف والكرم فهو بتقوى الله تعالى وسلامة القلوب وقرأ ابن مسعود لتعارفوا بينكم وخيركم عند الله اتقاكم وقرأ ابن عباس لتعرفوا ان على وزن تفعلوا بكسر العين وبفتح الهمزة من ان وروي ان النبي صلى الله عليــه وسلم قال مــن سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله واما الشعوب فهو جمع شعب وهو اعظم ما يوجد من جماعات الناس مرتبطــا بنسب واحــد كمضر وربيعــة وحمير ويتلوه القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة والاسرة وهما قرابة الرجل الادنون ثم نبه سبحانه على الحذر بقوله ان الله عليم خبير اي بالمتقى الذى يستحق رتبة الكرم وخرج مسلم فى صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغى احد على احد وروى ابو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لينتهين اقوام يفتخرون بآبائهم انما

هم فحم من جهنم اوليكونن على الله اهون من الجعل الذى يدهده الخراء بأنفه ان الله اذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها انما هو مومن تقي او فاجر شقي كلكم بنو ءادم وءادم من تراب انتهى ونقله البغوي فى مصابيحه * وقوله تعالى قالت الاعراب ءامنا قال مجاهد نزلت فى بنى اسد وهي قبيلة كانت تجاور المدينة اظهروا الاسلام وفى الباطن انما يريدون المغانم وعرض الدنيا ثم امر الله تعالى نبيه ان يقول لهؤلاء المدعين للايمان لم تومنوا اي لم تصدقوا بقلوبكم ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا والاسلام يقال بمعنيين احدهما الذى يعم الايمان والاعمال وهو الذى فى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام والذى فى قوله عليه السلام بني الاسلام على خمس والمعنى الثانى للفظ الاسلام هو الاستسلام والاظهار الذى يستعصم به ويحقن الدم وهذا هو الذى فى الآية ثم صرح بان الايمان لم يدخل فى قلوبهم ثم فتح باب التوبة بقوله وان تطيعوا الله الآية وقرأ الجمهور لا يلتكم من لات يليت اذا نقص يقال لات حقه اذا نقصه منه وقرأ ابو عمرو لا يالتكم من ألت يالت وهي بمعنى لات * وقوله سبحانه انما المومنون انما هنا حاصرة * وقوله ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا ثم امر الله تعالى نبيه عليه السلام بتوبيخهم بقوله اتعلمون الله بدينكم اي بقولكم ءامنا وهو يعلم منكم خلاف ذلك لانه العليم بكل شيء * وقوله سبحانه يمنون عليك ان اسلموا نزلت فى بنى اسد ايضا وقرأ ابن مسعود يمنون عليك اسلامهم وقرأ ابن كثير وعاصم فى رواية والله بصير بما يعملون

تفسير سورة ق وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل ق والقرءان المجيد قال مجاهد والضحاك وابن زيد وعكرمة ق اسم الجبل المحيط بالدنيا وهو فيما يزعمون انه من زمرذة خضراء منها خضرة السماء وخضرة البحر وقيل فى تفسيره غير هذا والمجيد الكريم فى اوصافه الذى جمع كل معلاة وق مقسم به وبالقرءان قال الزجاج وجواب القسم محذوف تقديره ق والقرءان المجيد لتبعثن قال (ع) وهذا قول حسن واحسن منه ان يكون الجواب هو الذى يقع عنه الاضراب ببل كانه قال والقرءان المجيد ما ردوا امرك بحجة ونحو هذا مما لابد لك من تقديره بعد الذى قدره الزجاج وباقى الآية بين مما تقدم فى ص ويونس وغيرهما ثم اخبر تعالى ردا على قولهم بانه سبحانه يعلم ماتاكل الارض من ابن ءادم وما تبقى منه وان ذلك فى كتاب والحفيظ الجامع الذى لم يفته شيء وفى الحديث الصحيح ان الارض تاكل ابن ءادم الاعجب الذنب وهو عظم كالخردلة فمنه يركب ابن ءادم قال (ع) وحفظ ما تنقص الارض انما هو ليعود بعينه يوم القيامة وهذا هو الحق قال ابن عباس والجمهور المعنى ما تنقص من لحومهم وابشارهم وعظامهم وقال السدي ما تنقص الارض اي ما يحصل فى بطنها من موتاهم وهذا قول حسن مضمنه الوعيد والمريج معناه المختلط قاله ابن زيد اي بعضهم يقول ساحر وبعضهم يقول كاهن وبعضهم يقول شاعر الى غير ذلك من تخليطهم قال (ع) والمريج المضطرب ايضا وهو قريب من الاول ومنه مرجت عهودهم ومن الاول مرج

البحرين ثم دل تعالى على العبرة بقوله افلم ينظروا الى السماء الآية وزيناها اي بالنجوم والفروج الفطور والشقوق خلالها واثناءها قاله مجاهد وغيره (ت) وقال الثعلبي باثر كلام للكسائي يقول كيف بنيناها بلا عمد وزيناها بالنجوم وما فيها فتوق والارض مددناها اي بسطناها على وجه الماء انتهى والرواسى الجبال والزوج النوع والبهيج الحسن المنظر قاله ابن عباس وغيره والمنيب الراجع الى الحق عن فكرة ونظر قال قتادة هو المقبل الى الله تعالى وخص هذا الصنف بالذكر تشريفا لهم من حيث انتفاعهم بالتبصرة والذكرى وحب الحصيد البر والشعير ونحوه مما هو نبات محبب يحصد قال ابو حيان وحب الحصيد من اضافة الموصوف الى صفته على قول الكوفيين او على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه اي حب الزرع الحصيد على قول البصريين وباسقات حال مقدرة لانها حالة الانبات ليست طوالا انتهى وباسقات معناه طويلات ذاهبات فى السماء والطلع اول ظهور التمر فى الكفرى قال البخاري ونضيد معناه منضود بعضه على بعض انتهى ووصف البلدة بالميت على تقدير القطر والبلد ثم بين سبحانه موضع الشبه فقال كذلك الخروج يعنى من القبور وهذه الآيات كلها انما هي امثلة وادلة على البعث واصحاب الرس قوم كانت لهم بير عظيمة وهى الرس وكل ما لم يطو من بير او معدن او نحوه فهورس وجاءهم نبيء يسمى حنظلة ابن سفيان فيما روي فجعلوه فى الرس وردموا عليه فاهلكهم الله وقال الضحاك الرس بير قتل فيها صاحب يس وقيل انهم قوم عاد والله اعلم * وقوله كل قال سيبويه التقدير كلهم والوعيد الذى حق هو ما سبق به القضاء من تعذيبهم * وقوله سبحانه افعيينا توقيف للكفار وتوبيخ والخلق الاول انشاء الانسان من نطفة على التدريج المعلوم وقال الحسن الخلق الاول ادم واللبس الشك والريب واختلاط النظر والخلق الجديد البعث من القبور * وقوله سبحانه ولقد خلقنا

الانسان الآيــة الانسان اسم جنس وتوسوس معنــاه تتحدث فى فكــرتهــا والوسوسة انما تستعمل فى غير الخير * وقوله تعالى ونحن اقرب اليه مـن حبل الوريد عبارة عن قدرة الله على العبد وكون العبد فى قبضة القدرة والعلم قــد احيط به فالقرب هو بالقدرة والسلطان اذ لا ينحجب عن علم الله لا باطن ولا ظاهر والوريد عرق كبير فى العنق ويقال انهما وريدان عن يمين وشمال واما قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان فقال المفسرون العامل فى اذ اقرب ويحتمل عندى ان يكون العامل فيه فعلا مضمرا تقديره اذكر اذ يتلقى المتلقيان والمتلقيان الملكان الموكلان بكل انسان ملك اليمين الذى يكتب الحسنات وملك الشمال الذى يتكب السيئات قال الحسن الحفظة اربعة اثنان بالنهار واثنان بالليل قال (ع) ويؤيد ذلك الحديث الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث بكماله ويروى ان ملك اليمين امير على ملك الشمال وان العبد اذا اذنب يقول ملك اليمين للآخر تثبت لعله يتوب رواه ابراهيم التيمي وسفيان الثوري وقعيد معناه قاعد * وقوله سبحانه ما يلفظ من قول الآية قال الحسن بن ابى الحسن وقتادة يكتب الملكان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير هذا وهذا هو ظاهر هذه الآية قال ابو الجوزاء ومجاهد يكتبان عليه كل شيء حتى انينه فى مرضه وقال عكرمة يكتبان الخير والشر فقط قال (ع) والاول اصوب (ت) وروى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انــه قال كل شيء يتكلم به ابن آدم فانه مكتوب عليه اذا اخطأ خطيئة فاحب ان يتوب الى الله فليات فليمد يديه الى الله عز وجل ثم يقول اللهم اني اتوب اليك منهــا لا ارجع اليها ابدا فانه يغفر له ما لم يرجع فى عمله ذلك رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين يعنى البخاري ومسلما انتهى من السلاح قال النــووي رحمه الله تعالى ينبغى لكل مكلف ان يحفظ لسانه من جميع الكلام

الاكلاما تظهر فيه مصلحته ومتى استوى الكلام وتركه بالمصلحة فالسنة الامساك فانه قد ينجر الكلام المباح الى حرام او مكروه وهـذا هو الغالب والسلامة لا يعدلها شيء وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم انه قال من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وهو نص صريح فيما قلناه قال وروينا فى كتاب الترمذي وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال الترمذي حديث حسن وفيه عن عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذي حديث حسن وفيه عنه صلى الله عليه وسلم قال من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة قال الترمذي حديث حسن انتهى والرقيب المراقب والعتيد الحاضر * وقوله وجاءت عطف عندى على قوله اذ يتلقى فالتقدير واذ تجيء سكرة الموت (ت) قال شيخنا زين الدين العراقي فى ارجوزته * وسكرة الموت اختلاط العقل * البيت انتهى * وقوله بالحق معناه بلقاء الله وفقد الحياة الدنيا وفراق الحياة حق يعرفه الانسان ويحيد منه بامله ومعنى هـذا الحيد انـه يقول اعيش كذا وكذا فمتى فكر حاد بذهنه وامله الى مسافة بعيدة من الزمان وهـذا شأن الانسان حتى يفاجئه الاجل قال عبد الحق فى العاقبة ولما احتضر مالك بن انس ونزل به الموت قال لمن حضره ليعاينن الناس غدا من عفو الله وسعة رحمته ما لم يخطر على قلب بشر كشف له رضي الله عنه عن سعة رحمة الله وكثرة عفوه وعظيم تجاوزه ما اوجب ان قال هذا وقال ابو سليمان الداراني دخلنا على عابد نزوره وقد حضره الموت وهو يبكي فقلنا له ما يبكيك رحمك الله فانشأ يقول

وحق لمثلي البكا عند موته * ومالي لا ابكي وموتى قد اقترب

ولى عمل فى اللوح احصاه خالـق * فان لم يجد بالعفو صرت الى العطب انتهى ويوم الوعيد هو يوم القيامة والسائق الحاث على السير واختلف الناس فى السائق والشهيد فقال عثمان بن عفان وغيره هما ملكان موكلان بكل انسان احدهما يسوقه والآخر من حفظته يشهد عليه وقال ابو هريرة السائق ملك والشهيد العمل وقيل الشهيد الجوارح وقال بعض النظار سائق اسم جنس وشهيد كذلك فالساقة للناس ملائكة موكلون بذلك والشهداء الحفظة فى الدنيا وكل من يشهد * وقوله سبحانه كل نفس يعم الصالحين وغيرهم فانما معنى الآية شهيد بخيره وشره ويقوى فى شهيد اسم الجنس فتشهد الملائكة والبقاع والجوارح وفى الصحيح لا يسمع مدى صوت المؤذن انس ولا جن ولاشيء الاشهد له يوم القيامة * وقوله سبحانه لقد كنت قال ابن عباس وغيره اي يقال للكافر لقد كنت فى غفلة من هذا فلما كشف الغطاء عنك الآن احتد بصرك اي بصيرتك وهذا كما تقول فلان حديد الذهن ونحوه وقال مجاهد هو بصر العين اي احتد التفاته الى ميزانه وغير ذلك من اهوال القيامة والوجه عندى فى هذه الآية ما قاله الحسن وسالم بن عبد الله انها مخاطبة للانسان ذى النفس المذكورة من مومن وكافر وهكذا قال الفخر قال والاقوى ان يقال هو خطاب عام مع السامع كانه يقول ذلك ما كنت منه تحيد ايها السامع انتهى وينظر الى معنى كشف الغطاء قول النبي صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا * وقوله تعالى وقال قرينه هذا ما لدي عتيد قال جماعة من المفسرين يعنى قرينه من زبانية جهنم اي قال هذا العذاب الذى لدي لهذا الكافر حاضر وقال قتادة وابن زيد بل قرينه الموكل بسوقه قال (ع) ولفظ القرين اسم جنس فسائقه قرين وصاحبه من الزبانية قرين وكاتب سيئاته فى الدنيا قرين والكل تحتمله هذه الآية اي هذا الذى احصيته عليه عتيد لدي وهو

موجب عذابه والقرين الذى فى هذه الآية غير القرين الذى فى قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته اذ المقارنة تكون على انواع * وقوله سبحانه القيا فى جهنم كل كفار عنيد المعنى يقال القيا فى جهنم واختلف لمن يقال ذلك فقال جماعة هو قول لملكين من ملائكة العذاب وقال عبد الرحمن بن زيد هو قول للسائق والشهيد وقال جماعة من اهل العلم باللغة هذا جار على عادة كلام العرب الفصيح ان يخاطب الواحد بلفظ الاثنين وذلك ان العرب كان الغالب عندها ان يترافق فى الاسفار ونحوها ثلاثة فكل واحد منهم يخاطب اثنين فكثر ذلك فى اشعارها وكلامها حتى صار عرفا فى المخاطبة فاستعمل فى الواحد ومن هذا قولهم فى الاشعار خليلي وصاحبي وقفا نبك ونحوه وقال بعض المتأولين المراد القين فعوض من النون الف وقرأ الحسن بن ابى الحسن القيا بتنوين الياء وعنيد معناه عاند عن الحق اي منحرف عنه * وقوله تعالى مناع للخير لفظ عام للمال والكلام الحسن والمعاونة على الاشياء ومعتد معناه بلسانه ويده * وقوله سبحانه الذى جعل مع الله الآية يحتمل ان يكون الذى بدلا من كفار اوصفة له ويقوى عندى ان يكون الذى ابتداء ويتضمن القول حينئذ بنى ءادم والشياطين المغوين لهم فى الدنيا ولذلك تحرك القرين الشيطان المغوى فرام ان يبرئ نفسه ويخلصها بقوله ربنا ما اطغيته * وقوله ربنا ما اطغيته ليست بحجة لانه كذب ان نفى الاطغاء عن نفسه جملة وهو قد اطغاه بالوسوسة والتزيين واطغاه الله بالخلق والاختراع حسب سابق قضائه الذى هو عدل منه سبحانه لا رب غيره * وقوله سبحانه لا تختصموا لدي معناه قال الله لا تختصموا لدي بهذا النوع من المقاولة التى لا تفيد شيأ وقد قدمت اليكم بالوعيد وهو ما جاءت به الرسل والكتب وجمع الضمير لانه مخاطبة لجميع القرناء اذ هو امر شائع لا يقف على اثنين فقط * وقوله سبحانه ما يبدل القول لدي اي لا

ينقض ما ابرمه كلامى من تعذيب الكفرة ثم ازال سبحانه موضع الاعتراض بقوله وما انا بظلام للعبيد اي هـذا عدل فيهم لانى انـذرت وامهلت وانعمت وقرأ الجمهور يوم نقول بالنون وقرأ نافع وعاصم فى رواية ابى بكر بالياء وهي قراءة اهـل المدينـة قال (ع) والذى يترجح فى قول جهنم هل مـن مزيد انها حقيقة وانها قالت ذلك وهي غير ملأى وهو قول انس بن مالك ويبين ذلك الحديث الصحيح وهـو قوله صلى الله عليـه وسلم يقول الله لجهنم هـل امتلأت وتقول هل مـن مزيـد حتى يضع الجبار فيها قـدمه فتقول قط قط وينزوى بعضهـا الى بعض ولفظ البخاري عـن ابى هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنـة والنار فقالت النـار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنـة ما لى لا يدخلنى الا الضعفاء الناس وسقطهم فقال الله للجنـة انت رحمتى ارحم بك من اشاء من عبادى وقال للنار انما انت عذابى اعذب بك من اشاء من عبادى ولكل واحدة منهما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الجبار فيها قدمه فتـقول قط قط فهناك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه احدا واما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا انتهى قال (ع) ومعنى قدمه ما قدم لها من خلقه وجعلهم فى علمه ساكنيها ومنه ان لهم قدم صدق عند ربهم وملاك النظر فى هـذا الحديث ان الجارحة والتشبيـه ومـا جرى مجراه منتف كل ذلك عن الله سبحانه فلم يبق الا اخراج اللفظ على الوجوه السائغة فى كلام العرب وازلفت الجنة معناه قربت ولما احتمل ان يكون معناه بالوعد والاخبار رفع الاحتمال بقوله غير بعيد قال ابو حيان غير بعيد اي مكانا غير بعيد فهو منصوب على الظرف وقيل منصوب على الحال من الجنة انتهى ☼ وقوله سبحانه هذا ما توعدون يحتمل ان يكون معناه يقال لهم فى الآخرة عند ازلاف الجنة هـذا الذى كنتم توعدون به فى الدنيا ويحتمل ان يكون خطابا للامة اي

هذا ما توعدون ايها الناس لكل اواب حفيظ والاواب الرجاع الى الطاعة والى مراشد نفسه وقال ابن عباس وعطاء الاواب المسبح من قوله يا جبال اوبى معه وقال المحاسبي هو الراجع بقلبه الى ربه وقال عبيد بن عمير كنا نتحدث انه الذى اذا قام من مجلسه استغفر الله مما جرى فى ذلك المجلس وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل والحفيظ معناه لاوامر الله فيمتثلها ولنواهيه فيتركها وقال ابن عباس حفيظ لذنوبه حتى يرجع عنها والمنيب الراجع الى الخير المائل اليه قال الداودي وعن قتادة بقلب منيب قال مقبل على الله سبحانه انتهى * وقوله سبحانه ادخلوها اي يقال لهم ادخلوها * وقوله عز وجل لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد خبر بانهم يعطون امالهم اجمع ثم ابهم تعالى الزيادة التى عنده للمومنين المنعمين وكذلك هي مبهمة فى قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقد فسر ذلك الحديث الصحيح وهو قوله عليه السلام يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه قال (ع) وقد ذكر الطبري وغيره فى تعيين هذا المزيد احاديث مطولة واشياء ضعيفة لان الله تعالى يقول فلا تعلم نفس وهم يعينونها تكلفا وتعسفا * وقوله سبحانه فنقبوا فى البلاد اي ولجوا البلاد من انقابها طمعا فى النجاة من الهلاك هل من محيص اي لامحيص لهم وقرأ ابن عباس وغيره فنقِّبوا على الامر لهؤلاء الحاضرين (ت) وعبارة البخاري فنقبوا ضربوا وقال الداودي وعن ابى عبيدة فنقبوا فى البلاد طافوا وتباعدوا انتهى * وقوله تعالى ان فى ذلك يعنى اهلاك من مضى لذكرى اي تذكرة والقلب عبارة عن العقل اذ هو محله والمعنى لمن كان له قلب واع ينتفع به وقال الشبلي معناه قلب حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفة عين * وقوله تعالى او القى السمع وهو شهيد معناه صرف سمعه الى هذه الانباء الواعظة واثبته فى سماعها وهو

شهيـد قال بعض المتأولين معناه وهو مشاهد مقبل على الامر غير معرض ولا مفكر فى غير ما يسمع (ت) ولفظ البخاري او القى السمع اي لا يحدث نفسه بغيره شهيد اي شاهد بالقلب انتهى قال المحاسبي فى رعايته وقد احببت ان احضك على حسن الاستماع لتدرك به الفهم عن الله عز وجل فى كل ما دعاك اليه فانه تعالى اخبرنا فى كتابه ان من استمع كما يحب الله تعالى ويرضى كان له فيما يستمع اليه ذكرى يعنى اتعاظا واذا سمى الله عز وجل لاحد من خلقه شيأ فهو له كما سمى وهو واصل اليه كما اخبر قال عز وجل ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد قال مجاهد شاهد القلب لا يحدث نفسه بشيء ليس بغائب القلب فمن استمع الى كتاب الله عز وجل او الى حكمة او الى علم او الى عظة لا يحدث نفسه بشيء غير ما يستمع اليه قد اشهد قلبه ما استمع اليه يريد الله عز وجل به كان له فيه ذكرى لان الله تعالى قال ذلك فهو كما قال عز وجل انتهى كلام المحاسبي وهو در نفيس فحصله واعمل بـه ترشد وقد وجدناه كما قال وبالله التوفيق * وقوله سبحانـه ولقـد خلقنـا السموات والارض الآية خبر مضمنه الرد على اليهود الذين قالوا ان الله خلق الاشياء كلها ثم استراح يوم السبت فنزلت وما مسنا من لغوب واللغوب الاعياء والنصب * وقوله تعالى فاصبر على ما يقولون اي ما يقوله الكفرة من اهل الكتاب وغيرهم وعم بذلك جميع الاقوال الزائغة من قريش وغيرهم وسبح معناه صل باجماع من المتأولين (ت) وفى الاجماع نظر وقد قال الثعلبي وسبح بحمد ربك اي قل سبحان الله والحمد لله قاله عطاء الخراساني انتهى ولكن المخرج فى الصحيح انما هو امر الصلاة وقال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى ومن الليل فسبحـه فيـه اربعة اقوال احدها انه تسبيح الله فى الليل ويعضد هذا القول الحديث الصحيح من تعار من الليل فقال لا اله الا الله الحديث وقد ذكرناه فى سورة المزمل

والثانى صلاة الليل والثالث انها ركعتا الفجر والرابع انها صلاة العشاء الآخرة انتهى * وقوله بحمد ربك الباء للاقتران اي سبح سبحة يكون معها حمد وقبل طلوع الشمس هي الصبح وقبل الغروب هي العصر قاله ابن زيد والناس وقال ابن عباس الظهر والعصر ومن الليل هي صلاة العشائين وقال ابن زيد هي العشاء فقط وقال مجاهد هي صلاة الليل * وقوله وادبار السجود قال عمر بن الخطاب وجماعة هي الركعتان بعد المغرب واسنده الطبري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ع) كانه روعي ادبار صلاة النهار كما روعي ادبار النجوم فى صلاة الليل وقال ابن عباس ايضا وابن زيد ومجاهد هي النوافل اثر الصلوات وهذا جارٍ مع لفظ الآية وقرأ نافع وابن كثير وحمزة وادبار بكسر الهمزة وهو مصدر وقرأ الباقون بفتحها وهو جمع دبر كطنب واطناب اي وفى ادبار السجود اي فى اعقابه * وقوله سبحانه واستمع يوم يناد المنادى من مكان قريب واستمع بمنزلة وانتظر وانما الآية فى معنى الوعيد للكفار وهذا كما تقول لمن تعده بورود فتح استمع كذا وكذا اي كن منتظرا له مستمعا له فعلى هذا فنصب يوم انما هو على المفعول الصريح * وقوله سبحانه من مكان قريب قيل وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ملكا ينادى من السماء ايتها الاجسام الهامدة والعظام البالية والرمم الذاهبة هلمى الى الحشر والوقوف بين يدي الله عز وجل والصيحة هي صيحة المنادى والخروج هو من القبور ويومه هو يوم القيامة ويوم الخروج فى الدنيا هو يوم العيد * وقوله تعالى ذلك حشر علينا يسير معادل لقول الكفرة ذلك رجع بعيد * وقوله سبحانه نحن اعلم بما يقولون وعيد محض للكفرة * وقوله سبحانه وما انت عليهم بجبار قال الطبري وغيره معناه وما انت عليهم بمسلط تجبرهم على الايمان وقال قتادة هو نهي من الله تعالى عن التجبر والمعنى

وما انت عليهم بمتعظم من الجبروت وروى ابن عباس ان المومنين قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقران من يخاف وعيدى

تفسير سورة والذاريات وهي مكية
باجماع المفسرين

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل والذاريات ذروا الآية اقسم الله عز وجل بهذه المخلوقات تنبيها عليها وتشريفا لها ودلالة على الاعتبار فيها حتى يصير الناظر فيها الى توحيد الله عز وجل فقوله والذاريات هي الرياح باجماع وذروا نصب على المصدر والحاملات وقرا قال علي هي السحاب وقال ابن عباس وغيره هي السفن الموقورة بالناس وامتعتهم وقال جماعة من العلماء هي ايضا مع هذا جميع الحيوان الحامل وفى جميع ذلك معتبر والجاريات يسرا قال علي وغيره هي السفن فى البحر وقال ءاخرون هي السحاب وقال ءاخرون هي الكواكب قال (ع) واللفظ يقتضى جميع هذا ويسرا نعت لمصدر محذوف وصفات المصادر المحذوفة تعود احوالا ويسرا معناه بسهولة والمقسمات امرا الملائكة والامر هنا اسم جنس فكانه قال والجماعات التي تقسم امور الملكوت من الارزاق والآجال والخلق فى الارحام وامر الرياح والجبال وغير ذلك لان كل هذا انما هو بملائكة تخدمه وانث المقسمات من حيث اراد الجماعات وهذا القسم واقع على قوله انما توعدون لصادق الآية وتوعدون يحتمل ان يكون من الوعد ويحتمل ان يكون من الايعاد وهو اظهر والدين الجزاء

وقال مجاهد الحساب ثم اقسم تعالى بمخلوق آخر فقال والسماء ذات الحبك والحبك الطرائق التي هي على نظام فى الاجرام ويقال لما تراه من الطرائق فى الماء والرمال اذا اصابته الريح حبك ويقال لتكسر الشعر حبك وكذلك فى المنسوجات من الاكسية وغيرها طرائق فى موضع تداخل الخيوط هي حبك وذلك لجودة خلقة السماء ولذلك فسرها ابن عباس وغيره بذات الخلق الحسن وقال الحسن حبكها كواكبها * وقوله سبحانه انكم لفى قول مختلف يحتمل ان يكون خطابا لجميع الناس اي منكم مومن بمحمد ومنكم مكذب له وهو قول قتادة ويحتمل ان يكون خطابا للكفرة فقط لقول بعضهم شاعر وبعضهم كاهن وبعضهم ساحر الى غير ذلك وهذا قول ابن زيد ويوفك معناه يصرف اي يصرف من الكفار عن كتاب الله من صرف ممن غلبت عليه شقاوته وعرف الاستعمال فى افك انما هو فى الصرف من خير الى شر * وقوله تعالى قتل الخراصون دعاء عليهم كما تقول قاتلك الله وقال بعض المفسرين معناه لعن الخراصون وهذا تفسير لا يعطيه اللفظ (ت) والظاهر ما قاله هذا المفسر قال عياض فى الشفا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله انى يوفكون اي لعنهم الله انتهى وقد تقدم للشيخ عند قوله تعالى عليهم دائرة السوء قال كل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل فانما هو بمعنى ايجاب الشيء لان الله تعالى لا يدعو على مخلوقاته انتهى بلفظه وظاهره مخالف لما هنا وسيبينه فى سورة البروج والخراص المخمن القائل بظنه والاشارة الى مكذبي النبي صلى الله عليه وسلم والغمرة ما يغشى الانسان ويغطيه كغمرة الماء وساهون معناه عن وجوه النظر * وقوله تعالى يسئلون ايان يوم الدين اي يوم الجزاء وذلك منهم على جهة الاستهزاء * وقوله يوم هم على النار يفتنون قال الزجاج التقدير هو كائن يوم هم على النار يفتنون ويفتنون معناه يحرقون ويعذبون فى النار قاله ابن عباس والناس

وفتنت الذهب احرقته وذوقوا فتنتكم اي حرقكم وعذابكم قاله قتادة وغيره * ان المتقين فى جنات وعيون الآية روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا لما به الباس قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى وقوله سبحانه فى المتقين ءاخذين ما ءاتاهم ربهم اي محصلين ما اعطاهم ربهم سبحانه من جناته ورضوانه وانواع كراماته انهم كانوا قبل ذلك يريد فى الدنيا محسنين بالطاعات والعمل الصالح (ت) وروى الترمذي عن سعد بن ابى وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لوان ما يقل ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرف له ما بين خوافق السموات والارض ولوان رجلا من اهل الجنة اطلع فبدا اساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم انتهى ومعنى قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ان نومهم كان قليلا لاشتغالهم بالصلاة والعبادة والهجوع النوم وقد قال الحسن فى تفسير هذه الآية كابدوا قيام الليل لا ينامون منه الا قليلا واما اعراب الآية فقال الضحاك فى كتاب الطبري ما يقتضى ان المعنى كانوا قليلا فى عددهم وتم خبر كان ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون فما نافية وقليلا وقف حسن وقال جمهور النحويين ما مصدرية وقليلا خبر كان والمعنى كانوا قليلا من الليل هجوعهم وعلى هذا الاعراب يجيء قول الحسن وغيره وهو الظاهر عندى ان المراد كان هجوعهم من الليل قليلا قيل لبعض التابعين مدح الله قوما كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ونحن قليلا من الليل ما نقوم فقال رحم الله امرأ رقد اذا نعس واطاع ربه اذا استيقظ * وقوله تعالى وبالاسحارهم يستغفرون قال الحسن معناه يدعون فى طلب المغفرة ويروى ان ابواب الجنة تفتح سحر كل ليلة قال ابن زيد السحر السدس الآخر من الليل والباء فى قوله بالاسحار بمعنى فى قاله ابو البقاء انتهى ومن كلام الجوزي فى المنتخب يا

اخى علامة المحبة طلب الخلوة بالحبيب وبيداء الليل فلوات الخلوات لما ستروا قيام الليل فى ظلام الدجى غيرة ان يطلع الغير عليهم سترهم سبحانه بستر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين لما صفت خلوات الدجى ونادى اذان الوصال اقم فلانا وانم فلانا خرجت بالاسماء الجرائد * وفاز الاحباب بالفوائد * وانت غافل راقد * ءاه لو كنت معهم اسفا لك لو رأيتهم لأبصرت طلائع الصديقين فى اول القوم وشاهدت ساقة المستغفرين فى الركب وسمعت استغاثة المحبين فى وسط الليل لو رأيتهم يا غافل وقد دارت كئوس المناجات * بين مزاهر التلاوات * فاسكرت قلب الواجد ورقمت فى مصاحف الوجنات * تعرفهم بسيماهم يا طويل النوم فاتتك مدحة تتجافى وحرمت منحة والمستغفرين يا هذا ان الله تعالى ريحا تسمى الصبيحة مخزونة تحت العرش تهب عند الاسحار * فتحمل الدعاء والانين والاستغفار * الى حضرة العزيز الجبار * انتهى * وفى اموالهم حق الآية الصحيح انها محكمة وان هذا الحق هو على وجه الندب ومعلوم يراد به متعارف وكذلك قيام الليل الذى مدح به ليس من الفرائض واكثر ما تقع الفضيلة بفعل المندوبات والمحروم هو الذى تبعد عنه ممكنات الرزق بعد قربها منه فيناله حرمان وفاقة وهو مع ذلك لا يسئل فهذا هو الذى له حق فى اموال الاغنياء كما للسائل حق وما وقع من ذكر الخلاف فيه فيرجع الى هذا وبعد هذا محذوف تقديره فكونوا ايها الناس مثلهم وعلى طريقهم وفى الارض ءايات لمن اعتبر وايقن * وقوله سبحانه وفى انفسكم احالة على النظر فى شخص الانسان وما فيه من العبر وامر النفس وحياتها ونطقها واتصال هذا الجزء منها بالعقل قال ابن زيد انما القلب مضغة فى جوف ابن ءادم جعل الله فيه العقل افيدرى احد ما ذلك العقل وما صفته وكيف هو (ت) قال ابن العربي فى رحلته اعلم ان معرفة

العبد نفسه من اولى ما عليه وءاكده اذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه قال تعالى وفى انفسكم افلا تبصرون وغير ما ءاية فى ذلك ثم قال ولا ينكر عاقل وجود الروح من نفسه وان كان لم يدرك حقيقته كذلك لا يقدر ان ينكر وجود البارى سبحانه الذى دلت افعاله عليه وان لم يدرك حقيقته انتهى * وقوله سبحانه وفى السماء رزقكم قال مجاهد وغيره هو المطر وقال واصل الاحدب اراد القضاء والقدر اي الرزق عند الله ياتى به كيف شاء سبحانه لا رب غيره وتوعدون يحتمل ان يكون من الوعد ويحتمل ان يكون من الوعيد قال الضحاك المراد من الجنة والنار وقال مجاهد المراد الخير والشر وقال ابن سيرين المراد الساعة ثم اقسم سبحانه بنفسه على صحة هذا القول والخبر وشبهه فى اليقين به بالنطق من الانسان وهو عنده فى غاية الوضوح وما زائدة تعطى تاكيدا والنطق فى هذه الآية هو الكلام بالحروف والاصوات فى ترتيب المعانى وروي ان بعض الاعراب الفصحاء سمع هذه الآية فقال من احوج الكريم الى ان يحلف والحكاية بتمامها فى كتاب الثعلبي وسبل الخيرات وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله قوما اقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو فر احدكم من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت واحاديث الرزق كثيرة ومن كتاب القصد الى الله سبحانه للمحاسبي قال قلت لشيخنا من اين وقع الاضطراب فى القلوب وقد جاءها الضمان من الله عز وجل قال من وجهين احدهما قلة المعرفة بحسن الظن والقاء التهم عن الله عز وجل والوجه الثانى ان يعارضها خوف الفوت فتستجيب النفس للداعى ويضعف اليقين ويعدم الصبر فيظهر الجزع قلت شيء غير هذا قال نعم ان الله عز وجل وعد الارزاق وضمن وغيب الاوقات ليختبر اهل العقول ولو لا ذلك لكان كل المومنين راضين صابرين متوكلين لكن الله عز وجل اعلمهم انه

رازقهم وحلف لهم على ذلك وغيب عنهم اوقات العطاء فمن هاهنا عرف الخاص من العام وتفاوت العباد فى الصبر والرضا واليقين والتوكل والسكون فمنهم كما علمت ساكن ومنهم متحرك ومنهم راض ومنهم ساخط ومنهم جزع فعلى قدر ما تفاوتوا فى المعرفة تفاوتوا فى اليقين وعلى قدر ما تفاوتوا فى اليقين تفاوتوا فى السكون والرضا والصبر والتوكل اه * وقوله سبحانه هل اتاك حديث ضيف ابراهيم الآية قد تقدم قصصها وعليم اي عالم وهو اسحاق عليه السلام (ت) ولنذكر هنا شيأ من الآثار فى ءاداب الطعام قال النووي روى ابن السني بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى الطعام اذا قرب اليه اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار بسم الله انتهى وفى صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء واذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان ادركتم المبيت واذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال ادركتم المبيت والعشاء وفى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يستحل الطعام ان لا يذكر اسم الله عليه الحديث انتهى والصرة الصيحة كذا فسره ابن عباس وجماعة قال الطبري عن بعضهم قالت اوّهْ بصياح وتعجب وقال النحاس فى صرة فى جماعة نسوة * وقوله فصكت وجهها معناه ضربت وجهها استهوالا لما سمعت وقال سفيان وغيره ضربت بكفها جبهتها وهذا مستعمل فى الناس حتى الآن وقولهم كذلك قال ربك اي كقولنا الذى اخبرناك * وقوله تعالى حجارة من طين بيان يخرج عن معتاد حجارة البرَد التى هي من ماء ويروى انه طين طبخ فى نار جهنم حتى صار حجارة كالآجر ومسومة نعت لحجارة ثم اخبر تعالى انه اخرج بامره من كان فى قرية لوط من المومنين منجيا لهم واعاد الضمير على القرية وان لم يجر لها قبل ذلك ذكر لشهرة

امرها قال المفسرون لا فرق بين تقدم ذكر المومنين وتأخره وانما هما وصفان ذكرهم اولا باحدهما ثم ءاخرا بالثانى قيل فالآية دالة على ان الايمان هو الاسلام قال (ع) ويظهر لى ان فى المعنى زيادة تحسن التقديم للايمان وذلك انه ذكره مع الاخراج من القرية كانه يقول نفذ امرنا باخراج كل مومن ولا يشترط فيه ان يكون عاملا بالطاعات بل التصديق بالله فقط ثم لما ذكر حال الموجودين ذكرهم بالصفة التى كانوا عليها وهي الكاملة التصديق والاعمال والبيت من المسلمين هو بيت لوط عليه السلام وكان هو وابنتاه وفى كتاب الثعلبي وقيل لوط واهل بيته ثلاثة عشر وهلكت امرأته فيمن هلك وهذه القصة ذكرت على جهة ضرب المثل لقريش وتحذيرا ان يصيبهم مثل ما اصاب هؤلاء * وقوله وتركنا فيها اي فى القرية وهي سدوم ءاية قال ابو حيان وفى موسى اي وفى قصة موسى انتهى * وقوله سبحانه فى فرعون فتولى بركنه اي اعرض عن امر الله وركنه هو سلطانه وجنده وشدة امره وقول فرعون فى موسى ساحر او مجنون هو تقسيم ظن ان موسى لابد ان يكون احد هذين القسمين وقال ابو عبيدة او هنا بمعنى الواو وهذا ضعيف لا داعية اليه فى هذا الموضع * وقوله ما تذر من شيء اتت عليه اي ما تدع من شيء اتت عليه مما اذن لها فى اهلاكه الاجعلته كالرميم وهو الفانى المتقطع يبسا او قدما من الاشجار والورق والعظام وروي فى حديث ان تلك الريح كانت تهب على الناس فيهم العاديّ وغيره فتنتزع العادي من بين الناس وتذهب به * وقوله سبحانه وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا اي اذ قيل لهم فى اول بعث صالح وهذا قول الحسن ويحتمل اذ قيل لهم بعد عقر الناقة تمتعوا فى دركم ثلاثة ايام وهو قول الفراء * وقوله فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون اي يبصرون بعيونهم وهذا قول الطبري ويحتمل ان يريد وهم ينتظرون فى تلك الايام الثلاثة وهذا قول مجاهد * فما استطاعوا من

قيام اي من مصارعهم قاله بعض المفسرين وقال قتادة وغيره معناه من قيام بالامر النازل بهم ولا دفعه عنهم * وقوم نوح بالنصب وهو عطف اما على الضمير فى قوله فاخذتهم اذ هو بمنزلة اهلكتهم واما على الضمير فى قوله فنبذناهم * وقوله والسماء نصب باضمار فعل تقديره وبنينا السماء بنيناها والايد القوة قاله ابن عباس وغيره وانا لموسعون اي فى بناء السماء اي جعلناها واسعة قاله ابن زيد ابو البقاء فنعم الماهدون اي نحن فحذف المخصوص انتهى * وقوله سبحانه ومن كل شيء خلقنا زوجين قال مجاهد معناه ان هذه اشارة الى المتضادات والمتقابلات من الاشياء كالليل والنهار والشقاوة والسعادة والهدى والضلال والسماء والارض والسواد والبياض والصحة والمرض والايمان والكفر ونحو هذا ورجحه الطبري بانه ادل على القدرة التى توجد الضدين وقال ابن زيد وغيره هي اشارة الى الانثى والذكر من كل حيوان (ت) والاول احسن لشموله لما ذكره ابن زيد * وقوله سبحانه ففروا الى الله الآية امر بالدخول فى الايمان وطاعة الرحمن ونبه بلفظ الفرار على ان وراء الناس عقابا وعذابا يفر منه فجمعت لفظة فروا بين التحذير والاستدعاء (ت) واسند ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي فى دلائل النبوءة تصنيفه عن كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى المسجد فسمع كلاما من زاويته واذا هو بقائل يقول اللهم اعنى على ما ينجيني مما خوفتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك الا تضم اليها اختها فقال الرجل اللهم ارزقني شوق الصادقين الى ما شوقتهم اليه وفيه فذهبوا ينظرون فاذا هو الخضر عليه السلام انتهى مختصرا * وقوله تعالى كذلك اي سيرة الامم كذلك قال عياض فهذه الآية ونظائرها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عزاه الله عز وجل بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائها وانه ليس اول من

لقي ذلك انتهى من الشفا * وقوله سبحانـه اتواصوا به توقيف وتعجيب من توارد نفوس الكفرة فى تكذيب الانبياء على تفرق ازمانهم اي لم يتواصوا لكنهم فعلوا فعلا كانه فعل من تواصى والعلة فى ذلك ان جميعهم طاغ والطاغى المستعلى فى الارض المفسد * وقوله تعالى فتول عنهم اي عن الحرص المفرط عليهم وذهاب النفس حسرات ولست بملوم اذ قد بلغت وذكر فان الذكرى نافعة للمومنين ولمن قضي له ان يكون منهم * وقوله سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس وعلي المعنى ما خلقت الجن والانس الا لآمرهم بعبادتى وليقروا لى بالعبودية وقال زيد بن اسلم وسفيان هذا خاص والمراد ما خلقت الطائعين من الجن والانس الا لعبادتى ويؤيد هذا التاويل ان ابن عباس روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ وما خلقت الجن والانس من المومنين الا ليعبدون وقال ابن عباس ايضا معنى ليعبدون ليتذللوا لى ولقدرتى وان لم يكن ذلك على قوانين شرع وعلى هذا التاويل فجميعهم من مومن وكافر متذلل لله عز وجل الا تراهم عند القحوط والامراض وغير ذلك كيف يخضمون لله ويتذللون (ت) قال الفخر فان قيل ما العبادة التى خلق الله الجن والانس لها قلنا التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فان هذين النوعين لم يخل شرع منهما واما خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها بالوضع والهيئة والقلة والكثرة والزمان والمكان والشرائط والاركان انتهى ونقل الثعلبي وغيره عن مجاهد الا ليعبدون اي ليعرفوني قال صاحب الكلم الفارقية المعرفة بالله تملأ القلب مهابة ومخافة والعين عَبرة وعِبرة وحياء وخجلة والصدر خشوعا وحرمة والجوارح استكانة وذلة وطاعة وخدمة واللسان ذكرا وحمدا والسمع اصغاء وتفهما والخواطر فى مواقف المناجات خمودا والوساوس اضمحلالا انتهى * وقوله سبحانه ما اريد منهم من رزق اي ان يرزقوا انفسهم ولا غيرهم *

وقوله ان يطعمون اي ان يطعموا خلق قاله ابن عباس ويحتمل ان يريد ان ينفعوني والمتين الشديد (ت) وروينا فى كتاب الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول يا بن ءادم تفرغ لعبادتى املأصدرك غنى واسد فقرك والا تفعل ملأت يدك شغلا ولم اسد فقرك قال ابو عيسى هذا حديث حسن وروينا فيه عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم ياته من الدنيا الاما قدر له انتهى * وقوله سبحانه فان للذين ظلموا يريد اهل مكة والذَّنوب الحظ والنصيب واصله من الدلو وذلك ان الذنوب هو ملء الدلو من الماء وكذا قال ابو حيان ذنوبا اي نصيبا انتهى واصحابهم يراد بهم من تقدم من الامم المعذبة وباقى الآية وعيد بين

تفسير سورة والطور وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل والطور وكتاب مسطور الآية هذه مخلوقات اقسم الله عز وجل بها تنبيها على النظر والاعتبار بها المؤدى الى توحيد الله والمعرفة بواجب حقه سبحانه قال بعض اللغويين كل جبل طور فكانه سبحانه اقسم بالجبال وقال ءاخرون الطور كل جبل اجرد لا ينبت شجرا وقال نوف البكالي المراد هنا جبل طور سيناء وهو الذى اقسم الله به لفضله على الجبال والكتاب المسطور معناه باجماع المكتوب

اسطارا واختلف الناس فى هذا الكتاب المقسم بـه فقال بعض المفسرين هو الكتاب المنتسخ من اللوح المحفوظ للملائكة لتعرف منه جميع ما تفعله وتصرفه فى العالم وقيل هو القرءان اذ قد علم تعالى انـه يتخلد فى رق منشور وقيل هو الكتب المنزلة وقيل هو الكتاب الذى فيه اعمال الخلق وهو الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة والرق الورق المعدة للكتب وهي مرققة فلذلك سميت رقا وقد غلب الاستعمال على هذا الذى هو من جلود الحيوان والمنشور خلاف المطوي والبيت المعمور هو الذى ذكر فى حديث الاسراء قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ٠اخر ما عليهم وبهذا هي عمارته وهو فى السماء السابعة وقيل فى السادسة وقيل انه مقابل للكعبة لو وقع حجر منه لوقع على ظهر الكعبة وقال مجاهد وقتادة وابن زيد فى كل سماء بيت معمور وفى كل ارض كذلك وهي كلها على خط من الكعبة وقاله علي بن ابى طالب قال السهيلي والبيت المعمور اسمه عريبا قال وهب بن منبه من قال سبحان الله وبحمده كان له نور يملأ ما بين عريبا وحريبا وهي الارض السابعة انتهى والسقف المرفوع هو السماء واختلف الناس فى البحر المسجور فقال مجاهد وغيره الموقد نارا وروي ان البحر هو جهنم وقال قتادة المسجور المملوء وهذا معروف من اللغة ورجحه الطبري وقال ابن عباس هو الذى ذهب ماؤه فالمسجور الفارغ وروي ان البحار يذهب ماؤها يوم القيامة وهذا معروف فى اللغة فهو من الاضداد وقيل يوقد البحر نارا يوم القيامة فذلك سجره وقال ابن عباس ايضا المسجور المحبوس ومنه ساجور الكلب وهي القلادة من عود او حديد تمسكه وكذلك لولا ان البحر يمسك لفاض على الارض والجمهور على انه بحر الدنيا وقال منذر بن سعيد المقسم به جهنم وسماها بحرا لسعتها وتموجها كما قال صلى الله عليه وسلم فى الفرس وان وجدناه

لبحرا والقسم واقع على قوله ان عذاب ربك لواقع يريد عذاب الآخرة واقع للكافرين قاله قتادة قال الشيخ عبد الحق فى العاقبة ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع قارئا يقرأ والطور وكتاب مسطور قال هذا قسم حق فلما بلغ القارئ الى قوله عز وجل ان عذاب ربك لواقع ظن ان العذاب قد وقع به فغشي عليه انتهى وتمور معناه تذهب وتجيء بالرياح متقطعة متفتتة وسير الجبال هو فى اول الامر ثم تتفتت حتى تصير اخرا كالعهن المنفوش ويدعون قال ابن عباس وغيره معناه يدفعون فى اعناقهم بشدة واهانة وتعتعة ومنه يدع اليتيم وفى الكلام محذوف تقديره يقال لهم هذه النار التى كنتم بها تكذبون توبيخا وتقريعا لهم ثم وقفهم سبحانه بقوله افسحر هذا الآية ثم قيل لهم على جهة قطع رجائهم اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم اي عذابكم حتم فسواء جزعكم وصبركم لابد من جزاء اعمالكم * وقوله سبحانه ان المتقين فى جنات ونعيم الآية يحتمل ان يكون من خطاب اهل النار فيكون اخبارهم بذلك زيادة فى غمهم وسوء حالهم نعوذ بالله من سخطه ويحتمل وهو الاظهر ان يكون اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم ومعاصريه لما فرغ من ذكر عذاب الكفار عقب بذكر نعيم المتقين جعلنا الله منهم بفضله ليبين الفرق ويقع التحريض على الايمان والمتقون هنا متقوا الشرك لانهم لابد من مصيرهم الى الجنات وكلما زادت الدرجة فى التقوى قوي الحصول فى حكم الآية حتى ان المتقين على الاطلاق هم فى هذه الآية قطعا على الله تعالى بحكم خبره الصادق وقرأ جمهور الناس فاكهين ومعناه فرحين مسرورين وقال ابو عبيدة هو من باب لابن وتامر اي لهم فاكهة قال (ع) والمعنى الاول ابرع وقرأ خالد فيما روى ابو حاتم فكهين والفكه والفاكه المسرور المتنعم * وقوله تعالى بما آتاهم ربهم اي من انعامه ورضاه عنهم * وقوله تعالى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم هذا متمكن فى متقي المعاصي الذى لا يدخل

النار ووقاهم مشتق من الوقاية وهي الحائل بين الشيء وبين ما يضره * وقوله كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا واشربوا وهنيئا نصب على المصدر * وقوله بما كنتم تعملون معناه ان رتب الجنة ونعيمها بحسب الاعمال واما نفس دخولها فهو برحمة الله وفضله واعمال العباد الصالحات لا توجب على الله تعالى التنعيم ايجابا لكنه سبحانه قد جعلها امارة على من سبق فى علمه تنعيمه وعلق الثواب والعقاب بالتكسب الذى فى الاعمال والحور جمع حوراء وهي البيضاء القوية بياض العين وسواد سوادها والعين جمع عيناء وهي كبيرة العنيين مع جمالهما وفى قراءة ابن مسعود والنخعي وزوجناهم بعيس عين قال ابو الفتح العيساء البيضاء * وقوله سبحانه والذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اختلف فى معنى الآية فقال ابن عباس وابن جبير والجمهور اخبر الله تعالى ان المومنين الذين اتبعتهم ذريتهم فى الايمان يلحق الابناء فى الجنة بمراتب الآباء وان لم يكن الابناء فى التقوى والاعمال كالآباء كرامة للآباء وقد ورد فى هذا المعنى حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا الحديث تفسير اللآية وكذلك وردت احديث تقتضى ان الله تعالى يرحم الآباء رعيا للابناء الصالحين وقال ابن عباس ايضا والضحاك معنى الآية ان الله تعالى يلحق الابناء الصغار باحكام الآباء المومنين يعنى فى الموارثة والدفن فى مقابر المسلمين وفى احكام الآخرة فى الجنة وقال منذر بن سعيد هي فى الصغار لا فى الكبار قال (ع) وارجح الاقوال فى هذه الآية القول الاول لان الآيات كلها فى صفة احسان الله تعالى الى اهل الجنة فذكر من جملة احسانه سبحانه انه يرعى المحسن فى المسيء ولفظة الحقنا تقتضى ان للملحق بعض التقصير فى الاعمال (ت) واظهر من هذا ما اشار اليه الثعلبي فى بعض انقاله ان الله تعالى يجمع لعبده المومن ذريته فى الجنة كما كانوا فى الدنيا

انتهى ولم يتعرض لذكر الدرجات فى هذا التاويل وهو احسن لانه قد تقرر ان رفع الدرجات هي باعمال العاملين والآيات والاحاديث مصرحة بذلك ولما يلزم على التاويل الاول ان يكون كل من دخل الجنة مع ءادم عليه السلام فى درجة واحدة اذ هم كلهم ذريته وقد فتحت لك بابا للبحث فى هذا المعنى منعني من اتمامه ما قصدته من الاختصار وبالله التوفيق * وقوله وما التناهم اي نقصناهم ومعنى الآية ان الله سبحانه يلحق الابناء بالآباء ولا ينقص الآباء من اجورهم شيأ وهذا تاويل الجمهور ويحتمل ان يريد من عمل الابناء من شيء من حسن او قبيح وهذا تاويل ابن زيد ويؤيده قوله سبحانه كل امرئ بما كسب رهين والرهين المرتهن وفى هذه الالفاظ وعيد وامددت الشيء اذا سرّبت اليه شيأ آخر يكثره او يكثر لديه * وقوله مما يشتهون اشارة الى ما روي من ان المنعم اذا اشتهى لحما نزل ذلك الحيوان بين يديه على الهيئة التى اشتهاه فيها وليس يكون فى الجنة لحم يحتز ولا يتكلف فيه الذبح والسلخ والطبخ وبالجملة لا كلفة فى الجنة ويتنازعون معناه يتعاطون ومنه قول الاخطل

نازعته طيب الراح الشمول وقد * صاح الدجاج وحانت وقعة السارى

قال الفخر ويحتمل ان يقال التنازع التجاذب وحينئذ يكون تجاذبهم تجاذب ملاعبة لا تجاذب منازعة وفيه نوع لذة وهو بيان لما عليه حال الشرّاب فى الدنيا فانهم يتفاخرون بكثرة الشرب ولا يتفاخرون بكثرة الاكل انتهى والكأس الاناء فيه الشراب ولا يقال فى فارغ كأس قاله الزجاج واللغو السقط من القول والتاثيم يلحق خمر الدنيا فى نفس شربها وفى الافعال التى تكون من شاربيها وذلك كله منتف فى الآخرة (ت) قال الثعلبي وقال ابن عطاء اي لغو يكون فى مجلس محله جنة عدن والساقى فيه الملائكة وشربهم على ذكر الله وريحانهم تحية من عند الله والقوم

اضياف الله * ولا تاثيم اي فعل يؤثمهم وهو تفعيل من الاثم اي لا ياثمون فى شربها انتهى واللؤلؤ المكنون اجمل اللؤلؤ لان الصون والكن يحسنه قال ابن جبير اراد الذى فى الصدف لم تنله الايدى وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم اذا كان الغلمان كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدومون قال هم كالقمر ليلة البدر (ت) وهذا تقريب للافهام والا فجمال اهل الجنة اعظم من هذا يدل على ذلك احاديث صحيحة ففى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة وفى رواية من امتى على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري فى السماء اضاءة وفى رواية ثم هم بعد ذلك منازل الحديث وفى صحيح مسلم ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لسوقا ياتونها كل جمعة فتهب ريح الشَّمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم ويزدادون حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا انتهى وقد اشار الغزالي وغيره الى طرف من هذا المعنى لما تكلم على رؤية العارفين لله سبحانه فى الآخرة قال بعد كلام ولا يبعد ان تكون الطاف الكشف والنظر فى الآخرة متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا ابد الآباد وللشيخ ابى الحسن الشاذلي هنا كلام حسن قال لو كشف عن نور المومن لعبد من دون الله ولو كشف عن نور المومن العاصى لطبق السماء والارض فكيف بنور المومن المطيع نقل كلامه هذا ابن عطاء الله وابن عباد انظره ثم وصف تعالى عنهم انهم فى جملة تنعمهم يتساءلون اي عن احوالهم وما نال كل واحد منهم وانهم يتذكرون حال الدنيا وخشيتهم عذاب الآخرة والاشفاق اشد الخشية ورقة القلب والسموم الحار وندعوه يحتمل ان يريد الدعاء على بابه ويحتمل ان يريد نعبده وقرأ نافع والكسائي انه

بفتح الهمزة والباقون بكسرها والبر الذى يبر ويحسن * وقوله سبحانه فذكر امر لنبيه عليه السلام بادامة الدعاء الى الله عز وجل ثم قال مونسا له فما انت بانعام الله عليك ولطفه بك كاهنٌ ولامجنون * وقوله سبحانه ام يقولون اي بل يقولون شاعر الآية روي ان قريشا اجتمعت فى دار الندوة فكثرت آراؤهم فى النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال قائل منهم تربصوا به ريب المنون اي حوادث الدهر فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة والاعشى وغيرهم فافترقوا على هذه المقالة فنزلت الآية فى ذلك والتربص الانتظار والمنون من اسماء الموت وبه فسر ابن عباس وهو ايضا من اسماء الدهر وبه فسر مجاهد والريب هنا الحوادث والمصائب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم انما فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها الحديث * وقوله قل تربصوا وعيد فى صيغة امر * وقوله سبحانه ام تامرهم احلامهم بهذا الاحلام العقول وقوله بهذا يحتمل ان يشير الى هذه المقالة هو شاعر ويحتمل ان يشير الى ما هم عليه من الكفر وعبادة الاصنام وتقوله معناه قال عن الغير انه قاله فهي عبارة عن كذب مخصوص ثم عجزهم سبحانه بقوله فلياتوا بحديث مثله والضمير فى مثله عائد على القرءان * وقوله ان كانوا صادقين (ت) اي فى ان محمدا تقوله قاله الثعلبي * وقوله سبحانه ام خلقوا من غير شيء قال الثعلبي قال ابن عباس من غيراب ولا ام فهم كالجماد لا يعقلون ولا تقوم لله عليهم حجة اليسوا خلقوا من نطفة وعلقة وقال ابن كيسان ام خلقوا عبثا وتركوا سدى من غير شيء اي لغير شيء لا يومرون ولا ينهون ام هم الخالقون لانفسهم فلا ياتمرون لامر الله انتهى وعبر (ع) عن هذا بان قال وقال ءاخرون معناه ام خلقوا لغير علة ولا لغاية عقاب وثواب فهم لذلك لا يسمعون ولا يتشرعون (ت) وقد يحتمل ان يكون المعنى ام خلقوا من غير شيء خلقهم اي من غير موجد اوجدهم ويدل عليه مقابلته بقوله ام هم

الخالقون وهكذا قال الغزالي فى الاحياء قال وقوله عز وجل ام خلقوا من غير شيء اي من غير خالق انتهى بلفظه من كتاب «اداب التلاوة قال الغزالي ولا يتوهم ان الآية تدل انه لا يخلق شيء الا من شيء انتهى وقال الفخر قوله تعالى من غير شيء فيه وجوه المنقول منها ام خلقوا من غير خالق وقيل ام خلقوا لا لغير شيء عبثا وقيل ام خلقوا من غير اب وام انتهى واحسنها الاول كما قال الغزالي والله اعلم بما اراد سبحانه وفى الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبي ان يطير وفى رواية وذلك اول ما وقر الايمان فى قلبي انتهى واسند ابو بكر بن الخطيب فى تاريخه عن جبير بن مطعم قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء اهل بدر فسمعته يقرأ فى المغرب بالطور فكانما تصدع قلبي حين سمعت القرءان انتهى * وقوله سبحانه ام عندهم خزائن ربك بمنزلة قوله ام عندهم الاستغناء فى جميع الامور والمصيطر القاهر وبذلك فسر ابن عباس الآية والسلم السبب الذى يصعد به كان ما كان من خشب او بناء او حبال او غير ذلك والمعنى الهم سلم الى السماء يستمعون فيه اي عليه او منه وهذه حروف يسد بعضها مسد بعض والمعنى يستمعون الخبر بصحة ما يدعونه فلياتوا بالحجة المبينة فى ذلك * وقوله سبحانه ام عندهم الغيب الآية قال ابن عباس يعنى ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون به ثم قال ام يريدون كيدا بك وبالشرع ثم جزم الحبر بانهم هم المكيدون اي هم المغلوبون فسمى غلبتهم كيدا اذ كانت عقوبة الكيد ثم قال سبحانه ام لهم اله غير الله يعصمهم ويمنعهم من الهلاك قال الثعلبي قال الخليل ما فى سورة الطور كلها من ذكر ام كله استفهام لهم انتهى ثم نزه تعالى نفسه عما يشركون به * وقوله وان يروا كسفا اي قطعة يقولون لشدة معاندتهم

هذا سحاب مركوم بعضه على بعض وهذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء وقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يقول لو فعلنا هذا بهم لما ءامنوا ولقالوا سحاب مركوم * وقوله تعالى فذرهم وما جرى مجراه من الموادعة منسوخ بئاية السيف والجمهور ان يومهم الذى فيه يصعقون هو يوم القيامة وقيل هو موتهم واحدا واحدا ويحتمل ان يكون يوم بدر لانهم عذبوا فيه والصعق التعذيب فى الجملة وان كان الاستعمال قد كثر فيما يصيب الانسان من الصيحة المفرطة ونحوه ثم اخبر تعالى بان لهم دون هذا اليوم اي قبله عذابا واختلف فى تعيينه فقال ابن عباس وغيره هو بدر ونحوه وقال مجاهد هو الجوع الذى اصابهم وقال البراء بن عازب وابن عباس ايضا هو عذاب القبر وقال ابن زيد هي مصائب الدنيا اذ هي لهم عذاب (ت) ويحتمل ان يكون المراد الجميع قال الفخر ان قلنا ان العذاب هو بدر فالذين ظلموا هم اهل مكة وان قلنا العذاب هو عذاب القبر فالذين ظلموا عام فى كل ظالم انتهى ثم قال تعالى لنبيه واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي بمرأى ومنظر نرى ونسمع ما تقول وانك فى حفظنا وحيطتنا كما تقول فلان يرعاه الملك بعين وهذه الآية ينبغى ان يقررها كل مومن فى نفسه فانها تفسح مضايق الدنيا * وقوله سبحانه وسبح بحمد ربك قال ابو الاحوص هو التسبيح المعروف يقول فى كل قيام سبحان الله وبحمده وقال عطاء المعنى حين تقوم من كل مجلس (ت) وفى تفسير احمد بن نصر الداودي قال وعن ابن المسيب قال حق على كل مسلم ان يقول حين يقوم الى الصلاة سبحان الله وبحمده لقول الله سبحانه لنبيه وسبح بحمد ربك حين تقوم انتهى وقال ابن زيد هي صلاة النوافل وقال الضحاك هي الصلوات المفروضة ومن قال هي النوافل جعل ادبار النجوم ركعتي الفجر وعلى هذا القول جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وقد روي مرفوعا ومن جمله التسبيح المعروف

جعل قوله حين تقوم مثالا اي حين تقوم وحين تقعد وفى كل تصرفك وحكى منذر عن الضحاك ان المعنى حين تقوم فى الصلاة بعد تكبيرة الاحرام فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك الحديث

تفسير سورة والنجم وهي مكية باجماع

وهي اول سورة اعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهر بقراءتها فى الحرم والمشركون يستمعون وفيها سجد وسجد معه المومنون والمشركون والجن والانس غير ابى لهب فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفينى هذا (ت) والذى خرجه البخاري فى صحيحه عن ابن مسعود فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه الارجلا رأيته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو امية بن خلف انتهى وسبب نزولها ان المشركين قالوا ان محمدا يتقول القرءان ويختلق اقواله فنزلت السورة فى ذلك

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى الآية قال الحسن وغيره النجم المقسم به هنا اسم جنس اراد به النجوم ثم اختلفوا فى معنى هوى فقال جمهور المفسرين هوى للغروب وهذا هو السابق الى الفهم من كلام العرب وقال ابن عباس فى كتاب الثعلبي هوى فى الانقضاض فى اثر العفريت عند استراق السمع وقال مجاهد وسفيان النجم فى قسم الآية الثريا وسقوطها مع الفجر هو هويّها والعرب لا تقول النجم مطلقا

الا للثريا والقسم واقع على قوله ما ضل صاحبكم وما غوى (ص) اذا هوى ابو البقاء العامل فى الظرف فعل القسم المحذوف اي اقسم بالنجم وقت هويه وجواب القسم ما ضل انتهى قال الفخر اكثر المفسرين لم يفرقوا بين الغي والضلال وبينهما فرق فالغي فى مقابلة الرشد والضلال اعم منه انتهى وما ينطق عن الهوى يريد محمدا صلى الله عليه وسلم انه لا يتكلم عن هواه اي بهواه وشهوته وقال بعض العلماء وما ينطق القرءان المنزل عن هوى (ت) وهذا تاويل بعيد من لفظ الآية كما ترى * وقوله ان هو الاوحي يوحى يراد به القرءان باجماع (ت) وليس هذا الاجماع بصحيح ولفظ الثعلبي ان هو الاوحي اي ما نطقه فى الدين الا بوحي انتهى وهو احسن ان شاء الله قال الفخر الوحي اسم ومعناه الكتاب او مصدر وله معان منها الارسال والالهام والكتابة والكلام والاشارة فان قلنا هو ضمير القرءان فالوحي اسم معناه الكتاب ويحتمل ان يقال مصدر اي ما القرءان الا ارسال اي مرسل وان قلنا المراد من قوله ان هو الاوحي قول محمد وكلامه فالوحي حينئذ هو الالهام اي كلامه ملهم من الله او مرسل انتهى والضمير فى علمه لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والمعلم هو جبريل عليه السلام قاله ابن عباس وغيره اي علم محمدا القرءان وذو مرة معناه ذو قوة قاله قتادة وغيره ومنه قوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني ولا لذى مرة سوي واصل المرة من مرائر الحبل وهي فتله واحكام عمله * وقوله فاستوى قال الربيع والزجاج المعنى فاستوى جبريل فى الجو وهو اذ ذاك بالافق الاعلى اذ رءاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قد سد الافق له ستمائة جناح وحينئذ دنا من محمد عليه السلام حتى كان قاب قوسين وكذلك رءاه نزلة اخرى فى صفته العظيمة له ستمائة جناح عند السدرة * وقوله ثم دنا فتدلى قال الجمهور المعنى دنا جبريل الى محمد فى الارض عند حراء وهذا هو الصحيح ان جميع

ما فى هذه الآيات من الاوصاف هو مع جبريل ودنا اعم من تدلى فبين تعالى بقوله فتدلى هيئة الدنو كيف كانت وقاب معناه قدر قال قتادة وغيره معناه من طرف العود الى طرفه الآخر وقال الحسن ومجاهد من الوتر الى العود فى وسط القوس عند المقبض * وقوله اوادنى معناه على مقتضى نظر البشر اي لو رءاه احدكم لقال فى ذلك قوسان اوادنى من ذلك وقيل المراد بقوسين اي قدر الذراعين وعن ابن عباس ان القوس فى الآية ذراع يقاس به وذكر الثعلبي انها لغة بعض الحجازيين * وقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى قال ابن عباس المعنى فاوحى الله الى عبده محمد ما اوحى وفى قوله ما اوحى ابهام على جهة التفخيم والتعظيم قال عياض ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لاتحيط به العبارات ولاتستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز انتهى * وقوله سبحانه ما كذب الفؤاد ما رأى المعنى لم يكذب قلب محمد الشيء الذى رأى بل صدقه وتحققه نظرا قال اهل التاويل منهم ابن عباس وغيره رأى محمد الله بفؤاده وقال النبي صلى الله عليه وسلم جعل الله نور بصرى فى فؤادى فنظرت اليه بفؤادى وقال اخرون من المتأولين المعنى ما رأى بعينه لم يكذب ذلك قلبه بل صدقه وتحققه وقال ابن عباس فيما روي عنه ان محمدا رأى ربه بعيني رأسه وانكرت ذلك عائشة وقالت انا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآيات فقال لى هو جبريل فيها كلها قال (ع) وهذا قول الجمهور وحديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قاطع بكل تاويل فى اللفظ لان قول غيرها انما هو منتزع من الفاظ القرءان * وقوله سبحانه افتمارنه على ما يرى قرأ حمزة والكساءي

افتَمْرونه بفتح التاءدون الف اي افتجحدونه (ت) قال الثعلبي واختار هذه القراءة ابو عبيد قال انهم لايمارونه وانما جحدوه واختلف فى الضمير فى قوله ولقد رءاه حسبما تقدم فقالت عائشة والجمهور هو عائد على جبريل ونزلة معناه مرة اخرى فجمهور العلماء ان المرءي هو جبريل عليه السلام فى المرتين مرة فى الارض بحراء ومرة عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء رءاه على صورته التى خلق عليها وسدرة المنتهى هي شجرة نبق فى السماء السابعة وقيل لها سدرة المنتهى لانها اليها ينتهي علم كل عالم ولا يعلم ما وراءها صعدا الا الله عز وجل وقيل سميت بذلك لانهااليها ينتهي من مات على سنة النبي صلى الله عليه وسلم قال (ع) وهم المومنون حقا من كل جيل * وقوله سبحانه عندها جنة المأوى قال الجمهور اراد سبحانه ان يعظم مكان السدرة ويشرفه بان جنة المأوى عندها قال الحسن هي الجنة التى وعد بها المومنون * وقوله سبحانه اذ يغشىٰ السدرة ما يغشى اي غشيها من امر الله ما غشيها فما يستطيع احد ان يصفها وقد ذكر المفسرون فى وصفها اقوالا هي تكلف فى الآية لان الله تعالى ابهم ذلك وهم يريدون شرحه وقد قال صلى الله عليه وسلم فغشيها الوان لا ادري ما هي * وقوله تعالى ما زاغ البصر قال ابن عباس معناه ما جال هكذا ولا هكذا * وقوله وما طغى معناه ولا تجاوز المرءي وهذا تحقيق للامر ونفي لوجوه الريب عنه * وقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال جماعة معناه لقد رأى الكبرى من آيات ربه اي مما يمكن ان يراها البشر وقال ءاخرون المعنى لقد رأى بعضا من آيات ربه الكبرى وقال ابن عباس وابن مسعود رأى رفرفا اخضر من الجنة قد سد الافق (ت) وزاد الثعلبي وقيل المعراج وما رأى فى تلك الليلة فى مسراه فى عوده وبدءه دليله قوله تعالى لنريه من آياتنا الآية قال عياض وقوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحصرت الافهام عن تفصيل

ما اوحى وتاهت الاحلام فى تعيين تلك الآيات الكبرى وقد اشتملت هذه الآيات على اعلام الله بتزكية جملته عليه السلام وعصمتها من الآفات فى هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فقلبه بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه عليه السلام بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى اه ولما فرغ من ذكر عظمة الله وقدرته قال على جهة التوقيف افرأيتم اللات والعزى الآية اي ارأيتم هذه الاوثان وحقارتها وبعدها عن هذه القدرة والصفات العلية واللات صنم كانت العرب تعظمه والعزى صخرة بيضاء كانت العرب ايضا تعبدها واما مناة فكانت بالمشلل من قديد وكانت اعظم هذه الاوثان عندهم وكانت الاوس والخزرج تهل لها ووقف تعالى الكفار على هذه الاوثان وعلى قولهم فيها انها بنات الله فكانه قال ارأيتم هذه الاوثان وقولكم هي بنات الله الكم الذكر وله الانثى ثم قال تعالى على جهة الانكار تلك اذا قسمة ضيزى اي عوجاء قاله مجاهد وقيل جائرة قاله ابن عباس وقال سفيان معناه منقوصة وقال ابن زيد معناه مخالفة والعرب تقول ضزته حقه اضيزه بمعنى منعته وضيزى من هذا التصريف قال ابو حيان والثالثة الاخرى صفتان لمناة للتاكيد قيل واكدت بهذين الوصفين لعظمها عندهم وقال الزمخشري والاخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة القدار وتعقب بان اخرى مؤنث ءاخر ولم يوضعا للذم ولا للمدح (ت) وفى هذا التعقب تعسف والظاهر ان الوصفين معا سيقا مساق الذم لان هؤلاء الكفار لم يكتفوا بضلالهم فى اعتقادهم ما لا يجوز فى اللات والعزى الى ان اضافوا الى ذلك مناة الثالثة الاخرى الحقيرة وكل اصنامهم حقير انتهى ثم قال تعالى ان هي الا اسماء يعنى ان هذه الاوصاف من انها اناث وانها ءالهة تعبد ونحو هذا الاسماء اي تسميات اخترعتموها انتم وءاباؤكم ما انزل الله بها برهانا ولا حجة وما هو الا اتباع الظن وما تهوى الانفس وهوى

الانفس هـو ارادتها الملذة لها وانما تجد هوى النفس ابدا فى ترك الافضل لانها مجبولة بطبعها على حب الملذ وانما يردعها ويسوقها الى حسن العاقبة العقل والشرع * وقوله سبحانـه ولقد جاءهم من ربهم الهدى فيه توبيخ لهم اذ يفعلون هـذه القبائح والهدى حاضر وهو محمـد وشرعـه والانسان فى قـوله ام للانسان اسم جنس كانه يقول ليست الاشياء بالتمني والشهوات وانما الامر كله لله والاعمال جارية على قانون امره ونهيه فليس لكم ايها الكفرة مرادكم فى قولكم هذه ءالهتنا وهي تشفع لنا وتقربنا الى الله زلفى ونحو هـذا فلله الآخرة والاولى اي له كل امرهما ملكا ومقدورا وتحت سلطانه قال الشيـخ ابو عبد الرحمن السلمي فى كتاب عيوب النفس ومن عيوب النفس كثرة التمني والتمني هو الاعتراض على الله عز وجل فى قضائه وقدره ومداواتها ان يعلم انه لا يدرى ما يعقبه التمني ايجره الى خير اوالى شر فاذا تيقن ابهام عاقبة تمنيه اسقط عن نفسه ذلك ورجع الى الرضى والتسليم فيستريح انتهى * وقوله سبحانه وكم من ملك الآية رد على قريش فى قولهم الاوثان شفعاؤنا وكم للتكثير وهي فى موضع رفع بالابتداء والخبر لا تغنى والغنى جلب النفع ودفع الضر بحسب الامر الذى يكون فيه الغَناء * وقوله سبحانه ان الذين لا يومنون بالآخرة يعنى كفار العرب * وقوله وان الظن لا يغنى من الحق شيأ اي فى المعتقدات والمواضع التى يريد الانسان ان يحرر ما يعقل ويعتقـد فانها مواضع حقائق لا تنفع الظنون فيها واما فى الاحكام وظواهرها فيجتزى فيها بالمظنونات ثم سلى سبحانـه نبيه وامره بالاعراض عن هؤلاء الكفرة * وقوله عن ذكرنا قال الثعلبي يعنى القرءان * وقوله سبحانه ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الآية متصلة فى معنى التسليـة ومتضمنـة وعيدا للكافرين ووعدا للمومنين والحسنى الجنة ولاحسنى دونها وقد تقدم نقل الاقوال فى الكبائر فى سورة النساء وغيرها وتحرير القول فى الكبائر انها كل

معصية يوجد فيها حد فى الدنيا او توعد عليها بنار فى الآخرة او لعنة ونحو هذا * وقوله الا اللمم هو استثناء يصح ان يكون متصلا وان قدرته منقطعا ساغ ذلك وبكل قد قيل واختلف فى معنى اللمم فقال ابو هريرة وابن عباس والشعبي وغيرهم اللمم صغار الذنوب التى لا حد فيها ولا وعيد عليها لان الناس لا يتخلصون من مواقعة هذه الصغائر ولهم مع ذلك الحسنى اذا اجتنبوا الكبائر وتظاهر العلماء فى هـذا القول وكثر المائل اليه وحكي عن ابن المسيب ان اللمم ما خطر على القلب يعنى بذلك لمة الشيطان وقال ابن عباس معناه الا ما الموا به من المعاصى الفلتة والسقطة دون دوام ثم يتوبون منه وعن الحسن بن ابى الحسن انـه قال فى اللمة من الزنا والسرقة وشرب الخمر ثم لا يعود قال (ع) وهذا التاويل يقتضى الرفق بالناس فى ادخالهم فى الوعـد بالحسنى اذ الغالب فى المومنين مواقعة المعاصى وعلى هذا انشدوا وقد تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم

ان تغفر اللهم تغفر جمـا * وايى عـبـد لـك لا المـا

وقوله سبحانه اذ انشأكم من الارض يريد خلق ابيهم ءادم ويحتمل ان يراد بـه انشاء الغذاء واجنة جمع جنين * وقوله سبحانه فلا تزكوا انفسكم ظاهره النهي عن تزكية الانسان نفسه ويحتمل ان يكون نهيا عن ان يزكي بعض الناس بعضا واذا كان هذا فانما ينهى عن تزكية السمعة والمدح للدنيا او القطع بالتزكية واما تزكية الامام والقدوة احدا ليؤتم به اوليتهمم الناس بالخير فجائز وفى الباب احاديث صحيحة وباقى الآية بين (ت) قال صاحب الكلم الفارقية اعرف الناس بنفسه اشدهم ايقاعا للتهمة بها فى كل ما يبدو ويظهر له منها واجهلهم بمعرفتها وخفايا آفاتها وكوامن مكرها من زكاها واحسن ظنه بها لانها مقبلة على عاجل حظوظها معرضة عن الاستعـداد ءلاخرتهـا انتهى وقال ابن عطاء الله اصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس واصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك

عنها قال شارحه ابن عباد الرضى عن النفس اصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضى عنها اصل الصفات المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين وارباب القلوب وذلك لان الرضى عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها وعدم الرضى عنها على عكس هذا كما قيل

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا

انتهى * وقوله تعالى افرأيت الذى تولى الآية قال مجاهد وابن زيد وغيرهما نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومي وذلك انه سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه فقرب من الاسلام وطمع النبي صلى الله عليه وسلم فى اسلامه ثم انه عاتبه رجل من المشركين وقال له اتترك ملة ءابائك ارجع الى دينك واثبت عليه وانا اتحمل لك بكل شيء تخافه فى الآخرة لكن على ان تعطينى كذا وكذا من المال فوافقه الوليد على ذلك ورجع عماهم به من الاسلام واعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل ثم امسك عنه وشح فنزلت الآية فيه وقال السدي نزلت فى العاصى بن وائل قال (ع) فقوله واعطى قليلا واكدى على هذا هو فى المال وقال مقاتل فى كتاب الثعلبي المعنى اعطى الوليد قليلا من الخير بلسانه ثم اكدى اي انقطع ما اعطى وهذا بين من اللفظ والآخر يحتاج الى رواية وتولى معناه ادبر واعرض عن امر الله واكدى معناه انقطع عطاؤه وهو مشبه بالذى يحفر فى الارض فانه اذا انتهى فى حفر بير ونحوه الى كدية وهي ما صلب من الارض يئس من الماء وانقطع حفره وكذلك اجبل اذا انتهى فى الحفر الى جبل ثم قيل لمن انقطع عمله اكدى واجبل (ت) قال الثعلبي واصله من الكدية وهو حجر فى البير يويس من الماء قال الكساءي تقول العرب اكدى الحافر واجبل اذا بلغ فى الحفر الى الكدية والجبل انتهى * وقوله عز وجل اعنده علم الغيب فهو يرى معناه اعلم من الغيب ان من تحمل

ذنوب ءاخر انتفع بذلك المتحمل عنـه فهو لهذا الذى علمه يرى الحق وله فيه بصيرة ام هو جاهل لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى بما ارسل به من انـه لا تزر وازرة اي لا تحمل حاملة حمل اخرى وفى البخاري وابراهيم الذى وفى وفى ما فرض عليه انتهى * وقوله سبحانه وان ليس للانسان الا ما سعى وما بعده كل ذلك معطوف على قوله الا تزر وازرة وزر اخرى والجمهور ان قوله وان ليس للانسان الا ما سعى محكم لا نسخ فيه وهو لفظ عام مخصص * وقوله وان سعيه سوف يرى اي يراه الله ومن شاهد تلك الامور وفى عرض الاعمال على الجميع تشريف للمحسنين وتوبيخ للمسيئين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من سمع باخيه فيما يكره سمع الله به سامع خلقه يوم القيامة وفى قوله تعالى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وعيد للكافرين ووعد للمومنين * وقوله سبحانـه وان الى ربك المنتهى اي منتهى الخلق ومصيرهم اللهم اطلعنا على خيرك بفضلك ولا تفضحنا بين خلقك وجد علينا بسترك فى الدارين وحق لعبد يعلم انه الى ربه منتهاه * ان يرفض هواه * ويزهد فى دنياه * ويقبل بقلبه على مولاه * ويقتدي بنبي فضله الله على خلقـه وارتضاه * ويتأمل كيف كان زهده صلى الله عليه وسلم فى دنياه * واقباله على مولاه * قال عياض فى شفاه واما زهده صلى الله عليه وسلم فقد قدمنا من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفى وحسبك من تقلله منها واعراضه عنها وعن زهرتها وقد سيقت اليـه بحذافيرها وترادفت عليـه فتوحاتها انـه توفي صلى الله عليه وسلم ودرعـه مرهونة عند يهودي وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق ءال محمد قوتا وفى صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع ءال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا حتى مضى لسبيله وعنهـا رضي الله عنهـا قالت لم يمتلئ جوف نبي الله صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى

احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه ذلك صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكى له رحمة مما ارى بـه وامسح بيدى على بطنه مما به من الجوع واقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لى وللدنيا اخوانى من اولى العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مـآبهم واجزل ثوابهم فاجدنى استحيي ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى غـدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخوانى واخلاءى قالت فما اقام بعد الا اشهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه انتهى وباقى الآية دلالة على التوحيد واضحة والنشأة الاخرى هي اعادة الاجسام الى الحشر بعد البِلى واقنى معناه اكسب ما يقتنى تقول قنيت المال اي كسبته وقال ابن عباس اقنى قنّع قال (ع) والقناعـة خير قنيـة والغنى عـرض زائل فلله در ابن عباس والشعرى نجم فى السماء قال مجاهـد وابن زيـد هو مرزم الجوزاء وهما شعريان احداهما الغُميْصاء والاخرى العَبور لانها عبرت المجرة وكانت خزاعة ممن يعبد هذه الشعرى العبور ومعنى الآية وان الله سبحانه رب هذا المعبود الذى لكم وعادا الاولى اختلف فى معنى وصفها بالاولى فقال الجمهور سميت اولى بالاضافة الى الامم المتأخرة عنها وقال الطبري وغيره سميت اولى لان ثَم عادا آخرة وهي قبيلة كانت بمكة مع العماليق وهم بنو لقيم بن هزال والله اعلم وقرأ الجمهور وثمودا بالنصب عطفا على عاد وقوم نوح عطفا على ثمود * وقوله من قبل لانهم كانوا اول امة كذبت من اهل الارض والموتفكة قرية قوم لوط اهوى اي طرحها من هواء عال الى سفل * وقوله سبحانه فباي آلاء ربك تتمارى مخاطبة للانسان الكافر كانه قيل له هذا هو الله الذى له هذه الافعال وهو خالقك المنعم عليك بكل النعم ففي

ايها تشك وتتمارى معناه تتشكك وقال مالك الغفاري ان قوله الاترز الى قوله تتمارى هو فى صحف ابراهيم وموسى * وقوله سبحانه هذا نذير يحتمل ان يشير الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وغيره وهذا هو الاشبه ويحتمل ان يشير الى القرءان وهو تاويل قوم ونذير يحتمل ان يكون بناء اسم فاعل ويحتمل ان يكون مصدرا ونذر جمع نذير * وقوله تعالى ازفت الآزفة معناه قربت القريبة والآزفة عبارة عن القيامة باجماع من المفسرين وازف معناه قرب جدا قال كعب بن زهير

بان الشباب وءاها الشيب قد ازفا * ولا ارى لشباب ذاهب خلفا

وكاشفة يحتمل ان تكون صفة لمؤنث التقدير حال كاشفة ونحو هذا التقدير ويحتمل ان تكون بمعنى كاشف قال الطبري والزجاج هو من كشف السر اي ليس من دون الله من يكشف وقتها ويعلمه وقال منذر بن سعيد هو من كشف الضر ودفعه اي ليس من يكشف خطبها وهولها الا الله * وقوله سبحانه افمن هذا الحديث تعجبون الآية روى سعد بن ابى وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرءان انزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ذكره الثعلبي واخرج الترمذي والنساءي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخر ابدا قال النساءي ويروى فى جوف ابدا ولا يجتمع الشح والايمان فى قلب ابدا قال الترمذي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله انتهى من مصابيح البغوي قال ابو عمر بن عبد البر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب بنور الوجه انتهى من بهجة المجالس وروى الترمذي

عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياخذ عنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن او يعلم من يعمل بهن فقال ابو هريرة فقلت انا يا رسول الله فاخذ بيدى فعد خمسا وقال اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس واحسن الى جارك تكن مومنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك يميت القلب انتهى والسامد اللاعب اللاهى وبهذا فسر ابن عباس وغيره من المفسرين وسمد بلغة حمير غنى وهو كله معنى قريب بعضه من بعض ثم امر تعالى بالسجود له والعبادة تخويفا وتحذيرا وهاهنا سجدة فى قول كثير من العلماء ووردت بها احاديث صحاح ولم ير مالك بالسجود هنا وقال زيد بن ثابت انه قرأ بها عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسجد قال ابن العربي فى احكامه وكان مالك يسجدها فى خاصة نفسه انتهى

تفسير سورة اقتربت الساعة وهي مكية باجماع

الا ءاية واحدة قوله سيهزم الجمع الآية ففيها خلاف والجمهور انها ايضا مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه اقتربت الساعة وانشق القمر معناه قربت الساعة وهي القيامة وامرها مجهول التحديد وكل ما يروى فى عمر الدنيا من التحديد فضعيف *

وقوله وانشق القمر اخبار عما وقع وذلك ان قريشا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ءاية فاراهم الله انشقاق القمر فرءاه النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة من المسلمين والكفار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا * وقوله وان يروا جاء اللفظ مستقبلا لينتظم ما مضى وما ياتى فهو اخبار بان حالهم هكذا * وقوله مستمر قال الزجاج قيل معناه دائم متماد وقال قتادة وغيره معناه مار ذاهب عن قريب يزول ثم قال سبحانه على جهة جزم الخبر وكل امر مستقر كانه يقول وكل شيء الى غاية عنده سبحانه ومزدجر معناه موضع زجر * وقوله فما تغن النذر يحتمل ان تكون ما نافية ويحتمل ان تكون استفهامية ثم سلى سبحانه نبيه عليه السلام بقوله فتول عنهم اي لا تذهب نفسك عليهم حسرات وتم القول فى قوله عنهم ثم ابتدأ وعيدهم بقوله يوم والعامل فى يوم قوله يخرجون وقال الرماني المعنى فتول عنهم واذكر يوم وقال الحسن المعنى فتول عنهم الى يوم وقرأ الجمهور نكر بضم الكاف قال الخليل النكر نعت للامر الشديد والرجل الداهية وخص الابصار بالخشوع لانه فيها اظهر منه فى سائر الجوارح وكذلك سائر ما فى نفس الانسان من حياء او صلف او خوف ونحوه انما يظهر فى الابصار والاجداث جمع جدث وهو القبر وشبههم سبحانه بالجراد المنتشر وقد شبههم سبحانه فى ءاية اخرى بالفراش المبثوث وفيهم من كل هذا شبه وذهب بعض المفسرين الى انهم اولا كالفراش حين يموج بعضهم فى بعض ثم فى رتبة اخرى كالجراد اذا توجهوا نحو المحشر والداعى والمهطع المسرع فى مشيه نحو الشيء مع هز ورهق ومد بصر نحو المقصد اما لخوف او طمع ونحوه قال ابو حيان مهطعين اي مسرعين وقيل فاتحين ءاذانهم للصوت انتهى * ويقول الكافرون هذا يوم عسر لما يرون من مخايل هوله وعلامات مشقته * وقوله سبحانه كذبت قبلهم قوم نوح الآية وعيد لقريش وضرب مثل لهم * وقوله

وازدجر اخبار من الله عز وجل انهم زجروا نوحا عليه السلام بالسب والنَّجْه والتخويف قاله ابن زيد * وقوله فانتصر اي فانتصر لى منهم بان تهلكهم * وقوله ففتحنا ابواب السماء قال الجمهور هذا مجاز وتشبيه لان المطر كانه من ابواب وهذا مبدأ الانتصار من الكفار والمنهمر الشديد الوقوع الغزير وقرأ الجمهور فالتقى الماء يعنى ماء السماء وماء العيون * وقوله سبحانه على امر قد قدر اي قد قضي وقدر فى الازل وذات الواح ودسر هي السفينة والدسر المسامير واحدها دِسار وهذا هو قول الجمهور وقال مجاهد الدسر اضلاع السفينة قال العراقي والدسار ايضا ما تشد به السفينة انتهى * وقوله تعالى تجرى باعيننا معناه بحفظنا وتحت نظر منا قال البخاري قال قتادة ابقى الله عز وجل سفينة نوح حتى ادركها اوائل هذه الامة انتهى وقرأ جمهور الناس جزاء لمن كان كفر مبنيا للمفعول قال مكي قيل من يراد بها نوح والمومنون لانهم كُفِروا من حيث كفر بهم فجزاهم الله بالنجاة وقرئ شاذا كفر مبنيا للفاعل والضمير فى تركناها قال مكي هو عائد على هذه الفعلة والقصة وقال قتادة وغيره هو عائد على السفينة ومدكر اصله مذتكر ابدلوا من التاء دالا ثم ادغموا الدال فى الدال وهذه قراءة الناس قال ابو حاتم ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح * وقوله تعالى فكيف كان عذابى ونذرى توقيف لكفار قريش والنذر هنا جمع نذير وهو المصدر والمعنى كيف كان عاقبة انذارى لمن لم يحفل به كانتم ايها القوم ويسرنا القرءان اي سهلناه وقربناه والذكر الحفظ عن ظهر قلب قال (ع) يسر بما فيه من حسن النظم وشرف المعانى فله حلاوة فى القلوب وامتزاج بالعقول السليمة * وقوله فهل من مدكر استدعاء وحض على ذكره وحفظه لتكون زواجره وعلومه حاضرة فى النفس فلله در من قبل وهدي (ت) وقال الثعلبي فهل من مدكر اي من متعظ * وقوله فى يوم نحس مستمر الآية ورد

فى بعض الاحاديث فى تفسير هذه الآية يوم نحس مستمر يوم الاربعاء ومستمر معناه متتابع * وقوله تنزع الناس معناه تقلعهم من مواضعهم قلعا فتطرحهم وروي عن مجاهد ان الريح كانت تلقى الرجل على رأسه فيتفتت رأسه وعنقه وما يلى ذلك من بدنه قال (ع) فلذلك حسن التشبيه باعجاز النخل وذلك ان المنقلع هو الذى ينقلع من قعره وقال قوم انما شبههم باعجاز النخل لانهم كانوا يحتفرون حفرا ليمتنعوا فيها من الريح فكانه شبه تلك الحفر بعد النزع بحفر اعجاز النخل والنخل تذكر وتؤنث وفائدة تكرار قوله فكيف كان عذابى ونذرى التخويف وهز النفوس وهذا موجود فى تكرار الكلام كقوله صلى الله عليه وسلم الاهل الاهل بلغت الاهل بلغت ونحوه وقول ثمود لصالح ابشرا منا واحدا نتبعه هو حسد منهم واستبعاد منهم ان يكون نوع البشر يفضل هذا التفضيل ولم يعلموا ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء ويفيض نور الهدى على من رضيه وقولهم انا اذا لفى ضلال اي فى ذهاب وانتلاف عن الصواب وسعر معناه فى احتراق انفس واستعارها حنقا وقيل فى جنون يقال ناقة مسعورة اذا كانت خفيفة الرأس هائمة على وجهها والاشر البطر وقرأ الجمهور سيعلمون بالياء وقرأ حمزة وحفص ستعلمون بالتاء من فوق على معنى قل لهم يا صالح ثم امر الله صالحا بارتقاب الفرج والصبر (ت) وقال الثعلبي فارتقبهم اي انتظرهم ما يصنعون ونبئهم ان الماء قسمة بينهم وبين الناقة لها شرب ولهم شرب يوم معلوم ومحتضر معناه محضور مشهود متواسى فيه وقال مجاهد كل شرب اي من الماء يوما ومن لبن الناقة يوما محتضر لهم فكانه انبأهم بنعمة الله سبحانه عليهم فى ذلك وصاحبهم هو قدار بن سالف وتعاطى مطاوع عاطى فكان هذه الفعلة تدافعها الناس واعطاها بعضهم بعضا فتعاطاها هو وتناول العقر بيده قاله ابن عباس وقد تقدم قصص القوم والهشيم ما تفتت وتهشم من الاشياء والمحتظر معناه

الذى يصنع حظيرة قاله ابن زيد وغيره وهي ماخوذة من الحظر وهو المنع
والعرب واهل البوادى يصنعونها للمواشي وللسكنى ايضا من الاغصان والشجر
المورق والقصب ونحوه وهذا كله هشيم يتفتت اما فى اول الصنعة واما عند
بلى الحظيرة وتساقط اجزائها وقد تقدم قصص قوم لوط والحاصب ماخوذ
من الحصباء * وقوله فتماروا معناه تشككوا واهدى بعضهم الشك الى بعض
بتعاطيهم الشبه والضلال والنذر جمع نذير وهو المصدر ويحتمل ان يراد بالنذر
هنا وفى قوله كذبت قوم لوط بالنذر جمع نذير الذى هو اسم فاعل * وقوله
سبحانه فطمسنا اعينهم قال قتادة هي حقيقة جر جبريل شيأ من جناحه على
اعينهم فاستوت مع وجوهم قال ابو عبيدة مطموسة بجلدة كالوجه وقال ابن
عباس والضحاك هذه استعارة وانما حجب ادراكهم فدخلوا المنزل ولم يروا شيأ
فجعل ذلك كالطمس * وقوله بكرة قيل عند طلوع الفجر * وقوله فذوقوا
يحتمل ان يكون من قول الله تعالى لهم ويحتمل ان يكون من قول الملائكة
ونذرى جمع المصدر اي وعاقبة انذارى ومستقر اي دائم استقر فيهم حتى
يفضي بهم الى عذاب الآخرة وءال فرعون قومه واتباعه * وقوله كذبوا
بءاياتنا كلها يحتمل ان يريد ءال فرعون ويحتمل ان يكون قوله ولقد جاء آل
فرعون النذر كلاما تاما ثم يكون قوله كذبوا بءاياتنا كلها يعود على جميع من
ذكر من الامم * وقوله تعالى اكفاركم خير من اولائكم خطاب لقريش على
جهة التوبيخ * وقوله ام لكم براءة اي من العذاب فى الزبر اي فى كتب الله
المنزلة قاله ابن زيد وغيره ثم قال تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ام يقولون
نحن واثقون بجماعتنا منتصرون بقوتنا على جهة الاعجاب سيهزمون فلا ينفع
جمعهم وهذه عدة من الله تعالى لرسوله ان جمع قريش سيهزم فكان كما وعد
سبحانه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كنت اقول فى نفسى اي جمع يهزم

فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر والجمهور على ان الآية نزلت بمكة وقول من زعم انها نزلت يوم بدر ضعيف والصواب ان الوعد نجز يوم بدر قال ابو حيان ويولون الجمهور بياء الغيبة وعن ابى عمرو بتاء الخطاب والدبر هنا اسم جنس وحسن افراده كونه فاصلة وقد جاء مجموعا فى ءاية اخرى وهو الاصل انتهى ثم اضرب سبحانه تهمما بامر الساعة التى هي اشد عليهم من كل هزيمة وقتل فقال بل الساعة موعدهم وادهى افعل من الداهية وهي الرزية العظمى تنزل بالمرء وامر من المرارة (ت) وقال الثعلبي الداهية الامر الشديد الذى لا يهتدى للخلاص منه انتهى ثم اخبر تعالى عن المجرمين انهم فى الدنيا فى حيرة وانتلاف وفقد هدى وفى الآخرة فى احتراق وتسعر وقال ابن عباس المعنى فى خسران وجنون والسعر الجنون واكثر المفسرين على ان المجرمين هنا يراد بهم الكفار والسحب الجر * وقوله سبحانه انا كل شيء خلقناه بقدر قرأ جمهور الناس كل بالنصب وقالوا المعنى انا خلقنا كل شيء بقدر سابق وليست خلقنا فى موضع الصفة لشيء وهذا مذهب اهل السنة وهذا المعنى يقتضى ان كل شيء مخلوق الا ما قام عليه الدليل انه ليس بمخلوق كالقرءان والصفات (ت) قال الثعلبي قال ابن عباس خلق الله الخلق كلهم بقدر وخلق الخير والشر فخير الخير السعادة وشر الشر الشقاوة * وقوله سبحانه وما امرنا الا واحدة قال (ع) اي الا قولة واحدة وهي كن (ت) قوله الاقولة فيه قلق ما وكانه فهم ان معنى الآية راجع الى قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وعبارة الثعلبي اي وما امر الساعة الا واحدة اي الا رجفة واحدة قال ابو عبيد هي نعت للمعنى دون اللفظ مجازه وما امرنا الامرة واحدة كن فيكون كلمح بالبصر اي كخطف بالبصر فقيل له انه يعنى الساعة فقال الساعة وجميع ما يريد انتهى وكلام

ابي عبيد عندى حسن والاشياع الفرق المتشابهة فى مذهب اودين ونحوه الاول شيعة للآخر والآخر شيعة للاول وكل شيء فعلته الامم المهلكة فى الزبر اي مكتوب محفوظ عليهم الى يوم الحساب قاله ابن عباس وغيره ومستطر اي مسطر وقرأ الجمهور ونهر بفتح النون والهاء على انه اسم الجنس يريد به الانهار او على انه بمعنى وسعة فى الارزاق والمنازل قال ابو حيان وقرأ الاعمش ونهر بضم النون والهاء جمع نهر كرهن ورهن انتهى * وقوله تعالى فى مقعد صدق يحتمل ان يريد به الصدق الذى هو ضد الكذب اي المقعد الذى صدقوا فى الخبر به ويحتمل ان يكون من قولك عود صدق اي جيد ورجل صدق اي خير والمليك المقتدر الله تعالى (ت) وقال الثعلبي فى مقعد صدق اي فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم وهو الجنة عند مليك مقتدر وعند اشارة الى القربة والرتبة انتهى (ص) قال ابو البقاء فى مقعد صدق بدل من قوله فى جنات انتهى قال المحاسبي واذا اخذ اهل الجنة مجالسهم واطمأنوا فى مقعد الصدق الذى وعده الله لهم فهم فى القرب من مولاهم سبحانه على قدر منازلهم عنده انتهى من كتاب التوهم ثم قال المحاسبي باثر هذا الكلام فلو رأيتهم وقد سمعوا كلام ربهم وقد داخل قلوبهم السرور وقد بلغوا غاية الكرامة ومنتهى الرضى والغبطة فما ظنك بنظرهم الى العزيز العظيم الجليل الذى لا تقع عليه الاوهام * ولا تحيط به الافهام * ولا تحده الفطن ولا تكيفه الفكر الازلي القديم الذى حارت العقول عن ادراكه وكلت الالسن عن كنه صفاته انتهى

تفسير سورة الرحمن عز وجل وهي مكية
فى قول الجمهور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل الرحمن علم القرءان الرحمن بناء مبالغة من الرحمة وقوله علم القرءان تعديد نعمة اي هو من به وعلمه الناس وخص حفاظه وفهمته بالفضل قال النبي صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرءان وعلمه ومن الدليل على ان القرءان غير مخلوق ان الله تعالى ذكر القرءان فى كتابه فى اربعة وخمسين موضعا ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق ولا اشار اليه وذكر الانسان على الثلث من ذلك فى ثمانية عشر موضعا كلها نصت على خلقه وقد اقترن ذكرهما فى هذه السورة على هذا النحو والانسان هنا اسم جنس قاله الزهراوي وغيره قال الفخر الرحمن مبتدأ خبره الجملة الفعلية التى هي علم القرءان انتهى والبيان النطق والفهم والابانة عن ذلك بقول قاله الجمهور وبذلك فضل الانسان من سائر الحيوان وكل المعلومات داخلة فى البيان الذى علمه الانسان فمن ذلك البيان كون الشمس والقمر بحسبان وهذا ابتداء تعديد نعم قال قتادة بحسبان مصدر كالحساب وقال ابو عبيدة معمر بن المثنى والضحاك هو جمع حساب والمعنى ان هذين لهما فى طلوعهما وغروبهما وقطعهما البروج وغير ذلك حسابات شتى وهذا مذهب ابن عباس وغيره وقال قتادة الحسبان الفلك المستدير شبهه بحسبان الرحى وهو العود المستدير الذى باستدارته تستدير المطحنة * وقوله سبحانه والنجم والشجر يسجدان قال ابن عباس وغيره النجم النبات الذى لاساق له

قال (ع) وسمي نجما لانـه نجم اي ظهر وهو مناسب للشجر نسبة بينـة وقال مجاهد وغيره النجم اسم الجنس من نجوم السماء قال (ع) والنسبة التى لها من السماء هي التى للشجر من الارض لانهما فى ظاهرهما وسمي الشجر من اشتجار غصونه وهو تـداخلها قال مجاهـد وسجودهما عبارة عن التـذلل والخضوع * وقوله سبحانه ووضع الميزان يريـد بـه العدل قاله اكثر الناس * وقوله الا تطغوا فى الميزان وقوله واقيموا الوزن بالقسط وقوله ولا تخسروا الميزان يريد به الميزان المعروف وان لا هو بتقـدير ليـلا او مفعول من اجله وفى مصحف ابن مسعود لا تطغوا فى الميزان وقرأ بلال بن ابى بردة تخسروا بفتح التاء وكسر السين من خسر ويقال خسر واخسر بمعنى نقص وافسد كجبر واجبر * والانام قال الحسن بن ابى الحسن هم الثقـلان الانس والجن وقال ابن عباس وقتـادة وابن زيد والشعبي هم الحيوان كله * والنخل ذات الاكمام وذلك ان طلعها فى كم وفروعها ايضا فى اكمام من ليفها والكم من النبات كل ما التف على شيء وستره ومنه كمائم الزهر وبه شبه كم الثوب * والحب ذو العصف هو البر والشعير ومـا جرى مجراه قال ابن عباس العصف التبن واختلف فى الريحان فقال ابن عباس وغيره هو الرزق وقال الحسن هو ريحانكم هذا وقال ابن زيد وقتادة الريحان هو كل مشموم طيب قال (ع) وفى هذا النوع نعمة عظيمة ففيه الازهار والمنـدل والعقاقير وغير ذلك وقرأ الجمهور والريحان بالرفع عطفا على فاكهة وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض عطفا على العصف فالريحان على هذه القراءة الرزق ولا يدخل فيه المشموم الا بتكلف وريحان اصله روحان فهو من ذوات الواو والآلاء النعم والضمير فى قوله ربكما للجن والانس اللذين تضمنهما لفظ الانام وايضا ساغ تقديم ضميرهما عليهما لذكر الانسان والجان عقب ذلك وفيه اتساع وقال منذر بن سعيد خوطب من يعقل لان المخاطبة بالقرءان كله هي للانس

والجن وعن جابر قال قرأ علينا النبي صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالى اراكم سكوتا للجن كانوا احسن ردا منكم ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأي ءالاء ربكما تكذبان الا قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب * وقوله سبحانه خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار الآية اختلف فى اشتقاق الصلصال فقيل هو من صل اذا انتن فهي اشارة الى الحمأة وقال الجمهور هو من صل اذا صوت وذلك فى الطين لجودته فهي اشارة الى ما كان فى تربة ءادم من الطين الحر وذلك ان الله تعالى خلقه من طين مختلف فمرة ذكر فى خلقه هذا ومرة هذا وكل ما فى القرءان صفات ترددت على التراب الذى خلق منه والفخار الطين الطيب اذا مسه الماء فخر اي ربا وعظم والجان اسم جنس كالجنة قال الفخر وفى الجان وجه آخر انه ابو الجن كما ان الانسان هنا ابو الانس خلق من صلصال ومن بعده خلق من صلبه كذلك الجان هنا ابو الجن خلق من نار ومن بعده من ذريته انتهى والمارج اللهب المضطرب من النار قال ابن عباس وهو احسن النار المختلط من الوان شتى قال ابو حيان المارج المختلط من اصفر واخضر واحمر انتهى وكرر سبحانه قوله فبأي ءالاء ربكما تكذبان تاكيدا وتنبيها للنفوس وتحريكا لها وهذه طريقة من الفصاحة معروفة وهي من كتاب الله فى مواضع وفى حديث النبي صلى الله عليه وسلم وفى كلام العرب وذهب قوم الى ان هذا التكرار انما هو لما اختلفت النعم المذكورة كرر التوقيف مع كل واحدة منها قال (ع) وهذا حسن وقال الحسين بن الفضل التكرار لطرد الغفلة وللتاكيد وخص سبحانه ذكر المشرقين والمغربين بالتشريف فى اضافة الرب اليهما لعظمهما فى المخلوقات (ت) وتحتمل الآية ان يراد المشرقين والمغربين وما بينهما كما هو فى سورة الشعراء واختلف الناس فى البحرين قال (ع) والظاهر عندى ان قوله تعالى البحرين يريد بهما

نوعي الماء العذب والاجاج اي خلطهما فى الارض وارسلهما متداخلين فى وضعهما فى الارض قريب بعضهما من بعض ولا بغي قال (ع) وذكر الثعلبي فى مرج البحرين الغازا واقوالا باطنة يجب ان لا يلتفت الى شيء منها (ت) ولا شك فى اطراحها فمنها نقله عن الثوري مرج البحرين فاطمة وعلي اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين ثم تمادى فى نحو هذا مما كان الاولى به تركه ومرج الشيء اي اختلط والبرزخ الحاجز قال البخاري لا يبغيان لا يختلطان انتهى قال ابن مسعود والمرجان حجر احمر وهذا هو الصواب قال عطاء الخراساني وهو البُسَّذ * وقوله سبحانه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال جمهور من المتأولين انما يخرج ذلك من الاجاج فى المواضع التى تقع فيها الانهار والمياه العذبة فلذلك قال منهما (ت) وهذا بناء على ان الضمير فى منهما للعذب وللمالح واما على قول من قال ان البحرين بحر فارس والروم او بحر القلزم وبحر الشام فلا اشكال اذ كلها مالحة وقد نقل الاخفش عن قوم انه يخرج اللؤلؤ والمرجان من المالح ومن العذب وليس لمن رده حجة قاطعة ومن اثبت اولى ممن نفى قال ابو حيان والضمير فى منهما يعود على البحرين يعنى العذب والمالح والظاهر خروج اللؤلؤ والمرجان منهما وحكاه الاخفش عن قوم انتهى والجوارى جمع جارية وهي السفن وقرأ حمزة وابو بكر المنشئات بكسر الشين اي اللواتى انشأن جريهن اي ابتدأنه وقرأ الباقون بفتح الشين اي انشأها الله او الناس وقال مجاهد المنشئات ما رفع قلعه من السفن كالاعلام اي كالجبال (ت) ولفظ البخاري المنشئات ما رفع قلعه من السفن فاما ما لا يرفع قلعه فليس بمنشئات انتهى * وقوله سبحانه كل من عليها اي على الارض فان والاشارة بالفناء الى جميع الموجودات على الارض من حيوان وغيره والوجه عبارة عن الذات لان الجارحة منفية فى حقه سبحانه قال الداودي وعن ابن عباس ذو

الجلال قال ذو العظمة والكبرياء انتهى * وقوله سبحانه يسئله من فى السموات والارض اي من ملك وانس وجن وغيرهم لا غنى لاحد منهم عنه سبحانه كلهم يسئله حاجته اما بلسان مقاله واما بلسان حاله * وقوله سبحانه كل يوم هو فى شأن اي يظهر شأنا من قدرته التى قد سبقت فى الازل فى ميقاته من الزمان من احياء واماتة ورفعة وخفض وغير ذلك من الامور التى لا يعلم نهايتها الا هو سبحانه والشأن هو اسم جنس للامور قال الحسين بن الفضل معنى الآية سوق المقادير الى المواقيت وفى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقيل له ما هذا الشأن يا رسول الله قال يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وذكر النقاش ان سبب هذه الآية قول اليهود استراح الله يوم السبت فلا ينفذ فيه شيأ * وقوله تعالى سنفرغ لكم ايه الثقلان عبارة عن اتيان الوقت الذى قدر فيه وقضى ان ينظر فى امور عباده وذلك يوم القيامة وليس المعنى ان ثم شغلا يتفرغ منه اذ لا يشغله سبحانه شان عن شان وانما هي اشارة وعيد وتهديد قال البخاري وهو معروف فى كلام العرب يقال لافرغن لك وما به شغل انتهى والثقلان الانس والجن يقال لكل ما يعظم امره ثقل وقال جعفر بن محمد الصادق سمي الانس والجن ثقلين لانهما ثقلا بالذنوب قال (ع) وهذا بارع ينظر الى خلقهما من طين ونار واختلف الناس فى معنى قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا الآية فقال الطبري قال قوم المعنى يقال لهم يوم القيامة يا معشر الجن والانس ان استطعتم الآية قال الضحاك وذلك انه يفر الناس فى اقطار الارض والجن كذلك لما يرون من هول يوم القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة قد احاطت بالارض فيرجعون من حيث جاءوا فحينئذ يقال لهم يا معشر الجن والانس وقال بعض المفسرين هي مخاطبة فى الدنيا والمعنى ان استطعتم الفرار من الموت بان تنفذوا من

اقطار السموات والارض فانفذوا (ت) والصواب الاول * وقوله فانفذوا صيغة امر ومعناه التعجيز والشواظ لهب النار قاله ابن عباس وغيره قال ابو حيان الشواظ هو اللهب الخالص بغير دخان انتهى والنحاس هو المعروف قاله ابن عباس وغيره اي يذاب ويرسل عليهما ونحوه فى البخاري قال (ص) وقال الخليل النحاس هنا هو الدخان الذى لالهب له ونقله ايضا ابو البقاء وغيره انتهى * وقوله سبحانه فاذا انشقت السماء جواب اذا محذوف مقصود به الابهام كانه يقول فاذا انشقت السماء فما اعظم الهول قال قتادة السماء اليوم خضراء وهي يوم القيامة حمراء فمعنى قوله وردة اي محمرة كالوردة وهي النوار المعروف وهذا قول الزجاج وغيره * وقوله كالدهان قال مجاهد وغيره هو جمع دهن وذلك ان السماء يعتريها يوم القيامة ذوب وتميع من شدة الهول وقال ابن جريج من حر جهنم نقله الثعلبي وقيل غير هذا * وقوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قال قتادة وغيره هي مواطن فلا تعارض بين الآيات * وقوله سبحانه فيوخذ بالنواصى والاقدام قال ابن عباس يوخذ كل كافر بناصيته وقدميه ويطوى ويجمع كالحطب ويلقى كذلك فى النار وقيل المعنى ان بعض الكفرة يوخذون بالنواصى وبعضهم يسحبون ويجرون بالاقدام * وقوله تعالى هذه جهنم اي يقال لهم على جهة التوبيخ وفى مصحف ابن مسعود هذه جهنم التى كنتما بها تكذبان لاتموتان فيها ولاتحييان * وقوله سبحانه يطوفون بينها وبين حميم آن المعنى انهم يترددون بين نار جهنم وجمرها وبين حميم وهو ما غلي فى جهنم من مائع عذابها وءان الشيء حضر وءان اللحم او ما يطبخ او يغلى نضج وتناهى حره وكونه من الثانى ابين * وقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي موقفه بين يدي ربه قيل فى هذه الآية ان كل خائف له جنتان (ت) قال الثعلبي قال محمد بن على الترمذي جنة لخوفه من ربه وجنة

لتركه شهوته والافنان يحتمل ان تكون جمع فنن وهو الغصن وهذا قول
مجاهد فكانه مدحها بظلالها وتكاثف اغصانها ويحتمل ان تكون جمع فن وهو
قول ابن عباس فكانه مدحها بكثرة فواكهها ونعيمها وزوجان معناه نوعان (ت)
ونقل الثعلبي عن ابن عباس قال ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة
حتى الحنظل الا انه حلو انتهى ومتكئين حال وقرأ الجمهور على فرش بضم الراء
وروي في الحديث انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هذه البطائن من استبرق
فكيف الظواهر قال هي من نور يتلألأ والاستبرق ما خشن وحسن من الديباج
والسندس مارق منه وقد تقدم القول في لفظ الاستبرق والضمير في قوله فيهن
للفرش وقيل للجنات اذ الجنتان جنات في المعنى والجنى ما يجنى من الثمار
ووصفه بالدنو لانه يدنو الى مشتهيه فيتناوله كيف شاء من قيام او جلوس او
اضطجاع روي معناه في الحديث وقاصرات الطرف هن الحور قصرن الحاظهن
على ازواجهن لم يطمثهن اي لم يفتضهن لان الطمث دم الفرج * وقوله ولا جان
قال مجاهد الجن قد تجامع نساء البشر مع ازواجهن (١) اذا لم يذكر الزوج اسم
الله فنفى سبحانه في هذه الآية جميع المجامعات * وقوله تعالى كانهن الياقوت
والمرجان الآية الياقوت والمرجان هي من الاشياء التي قد برع حسنها واستشرت
النفوس جلالتها فوقع التشبيه بها فيما يشبه ويحسن بهذه المشبهات فالياقوت في
املاسه وشفوفه ولو ادخلت فيه سلكا لرأيته من ورائه وكذلك المرأة من نساء الجنة

---

(١) قال السيد في روح المعاني ان دعوى ان الجن تجامع نساء البشر
جماعا حقيقيا مع ازواجهن اذا لم يذكروا اسم الله تعالى غير مسلمة عند جميع
العلماء وقوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد غير نص في المراد كما لا يخفى
اه كتبه مصححه

يرى مخ ساقها من وراء العظم والمرجان فى املاسه وجمال منظره * وقوله سبحانه هل جزاء الاحسان الا الاحسان ءاية وعد وبسط لنفوس جميع المومنين لانها عامة قال ابن المنكدر وابن زيد وجماعة من اهل العلم هي للبر والفاجر والمعنى ان جزاء من احسن بالطاعة ان يحسن اليه بالتنعيم وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذه الآية هل جزاء التوحيد الا الجنة (ت) ولوصح هذا الحديث لوجب الوقوف عنده ولكن الشان فى صحته قال الفخر قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فيه وجوه كثيرة حتى قيل ان فى القرءان ثلاث ءايات فى كل واحدة منها مائة قول احداها قوله تعالى فاذكرونى اذكركم وثانيتها وان عدتم عدنا وثالثتها هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولنذكر الاشهر منها والاقرب اما الاشهرفوجوه احدها هل جزاء التوحيد الا الجنة اي هل جزاء من قال لا اله الا الله الا دخول الجنة ثانيها هل جزاء الاحسان فى الدنيا الا الاحسان فى الآخرة ثالثها هل جزاء من احسن اليكم بالنعم فى الدنيا الا ان تحسنوا له العبادة والتقوى واما الاقرب فهو التعميم اي لان لفظ الآية عام انتهى * وقوله سبحانه ومن دونهما جنتان قال بن زيد وغيره معناه ان هاتين دون تينك فى المنزلة والقرب فالاوليان للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين وعن ابن عباس ان المعنى انهما دونهما فى القرب الى المنعمين وانهما افضل من الاولين قال (ع) واكثر الناس على التاويل الاول (ت) واختار الترمذي الحكيم التاويل الثانى واطنب فى الاحتجاج له فى نوادر الاصول له وخرج البخاري هنا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة ءانيتهما وما فيها وجنتان من ذهب ءانيتهما وما فيهما الحديث وفيه ان فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها اهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المومن انتهى ومدهامتان معناه قدعلا

لونهما دهمة وسواد فى النظرة والخضرة قال البخاري مدهامتان سوداوان من الري انتهى والنضاخة الفوارة التى يهيج ماؤها وكرر النخل والرمان وهما من افضل الفاكهة تشريفا لهما وقالت ام سلمة قلت يا رسول الله اخبرنى عن قول الله تعالى خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقرئ شاذا خيرات بشد الياء المكسورة (ت) وفى صحيح البخاري من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم لروحة فى سبيل الله او غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم فى الجنة او موضع قيد سوطه خير من الدنيا وما فيها ولو ان امرأة من اهل الجنة اطلعت الى اهل الارض لاضاءت ما بينهما ولملأته ريحا ولنصيفها على رأسها يعني الخمار خير من الدنيا وما فيها * وقوله سبحانه مقصورات اي محجوبات مصونات فى الخيام وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هي در مجوف ورواه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الداودي وعن ابن عباس والخيمة لؤلؤة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها اربعة آلاف مصراع انتهى والرفرف ما تدلى من الاسرة من عالى الثياب والبسط وقاله ابن عباس وغيره وما يتدلى حول الخباء من الخرقة الهفافة يسمى رفرفا وكذلك يسميه الناس اليوم وقيل غير هذا وما ذكرناه اصوب والعبقري بسط حسان فيها صور وغير ذلك تصنع بعبقر وهو موضع يعمل فيه الوشي والديباج ونحوه قال ابن عباس العبقري الزرابي وقال ابن زيد هي الطنافس قال الخليل والاصمعي العرب اذا استحسنت شيأ واستجادته قالت عبقري قال (ع) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى عمر فلم ار عبقريا من الناس يفرى فريه * وقوله سبحانه تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام هذا الموضع مما اريد فيه بالاسم مسماه والدعاء بهاتين الكلمتين حسن مرجو الاجابة وقد قال صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام

تفسير سورة الواقعة وهي مكية باجماع ممن يعتد بقوله

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من دام على قراءة سورة الواقعة لم يفتقر اوقال لم تصبه فاقة ابدا قال (ع) لان فيها ذكر القيامة وحظوظ الناس فى الآخرة وفهم ذلك غنى لا فقر معه ومن فهمه شغل بالاستعداد

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه اذا وقعت الواقعة الآية الواقعة اسم من اسماء القيامة قاله ابن عباس وقال الضحاك الواقعة الصيحة وهي النفخة فى الصور وكاذبة يحتمل ان يكون مصدرا فالمعنى ليس لها تكذيب ولا رد ولا مثنوية وهذا قول مجاهد والحسن ويحتمل ان يكون صفة لمقدر كانه قال ليس لوقعتها حال كاذبة * وقوله سبحانه خافضة رافعة قال قتادة وغيره يعنى القيامة تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقيل ان بانفطار السموات والارض والجبال وانهدام هذه البنية ترتفع طائفة من الاجرام وتنخفض اخرى فكانها عبارة عن شدة هول القيامة (ت) والاول ابين وهو تفسير البخاري ومعنى رجت زلزلت وحركت بعنف قاله ابن عباس ومعنى بست فتت كما تبس البسيسة وهي السويق قاله ابن عباس وغيره وقال بعض اللغويين بست معناه سيرت والهباء ما يتطاير فى الهواء من الاجزاء الدقيقة ولا يكاد يرى الا فى الشمس اذا دخلت من كوة قاله ابن عباس وغيره والمنبث بالثاء المثلثة الشائع فى جميع الهواء

والخطاب فى قوله وكنتم لجميع العالم والازواج الانواع قال قتادة هذه منازل الناس يوم القيامة * وقوله سبحانه فاصحاب الميمنة ابتداء وما ابتداء ثان واصحاب الميمنة خبر ما والجملة خبر الابتداء الاول وفى الكلام معنى التعظيم كما تقول زيد ما زيد ونظير هذا فى القران كثير والميمنة اظهر ما فى اشتقاقها انها من ناحية اليمين وقيل من اليمْن وكذلك المشأمة اما ان تكون من اليد الشُؤمى واما ان تكون من الشؤم وقد فسرت الآية بهذين المعنيين * وقوله تعالى والسابقون ابتداء والسابقون الثانى قال سيبويه هو خبر الاول وهذا على معنى تفخيم الامر وتعظيمه وقال بعض النحاة السابقون الثانى نعت للاول ومعنى الصفة ان تقول والسابقون الى الايمان السابقون الى الجنة والرحمة اولائك ويتجه هذا المعنى على الابتداء والخبر * وقوله اولئك المقربون ابتداء وخبر وهو فى موضع الخبر على قول من قال السابقون الثانى صفة والمقربون معناه من الله سبحانه فى جنة عدن فالسابقون معناه الذين قد سبقت لهم السعادة وكانت اعمالهم فى الدنيا سبقا الى اعمال البر والى ترك المعاصى فهذا عموم فى جميع الناس وخصص المفسرون فى هذه اشياء تفتقر الى سند قاطع وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن السابقين فقال هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس بحكمهم لانفسهم والمقربون عبارة عن اعلى منازل البشر فى الآخرة قال جماعة من اهل العلم هذه الآية متضمنة ان العالم يوم القيامة على ثلاثة اصناف * وقوله سبحانه ثلة من الاولين وقليل من الآخرين الثلة الجماعة قال الحسن بن ابى الحسن وغيره المراد السابقون من الامم والسابقون من هذه الامة وروي ان الصحابة حزنوا لقلة سا بقى هذه الامة على هذا التاويل فنزلت الآية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فرضوا وروي عن عائشة انها تأولت ان الفرقتين فى امة كل نبيء هي فى الصدر ثلة وفى ءاخر الامة قليل وقال النبي

صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه الفرقتان فى امتى فسابق اول الامة ثلة وسابق سائرها الى يوم القيامة قليل قال السهيلي واما ءاخر من يدخل الجنة وهو ءاخر اهل النار خروجا منها فرجل اسمه جهينة فيقول اهل الجنة تعالوا نسئله فعند جهينة الخبر اليقين فيسئلونه هل بقي فى النار احد بعدك ممن يقول لا اله الا الله وهذا حديث ذكره الدارقطني من طريق مالك بن انس يرفعه باسناد الى النبي صلى الله عليه وسلم ذكره فى كتاب رواة مالك بن انس رحمه الله انتهى * وقوله تعالى على سرر موضونة اي منسوجة بتركيب بعض اجزائها على بعض كحلق الدرع ومنه وضين الناقة وهو حزامها قال ابن عباس موضونة مرمولة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت يطوف عليهم للخدمة ولدان وهم صغار الخدمة ووصفهم سبحانه بالخلد وان كان جميع ما فى الجنة كذلك اشارة الى انهم فى حال الولدان مخلدون لا تكبر لهم سن اي لا يحولون من حالة الى حالة وقاله ابن كيسان وقال الفراء مخلدون معناه مقرطون بالخلدات وهي ضرب من الاقراط والاول اصوب لان العرب تقول للذى كبر ولم يشب انه لمخلد والاكواب ما كان من اوانى الشرب لا اذن له ولا خرطوم قال قتادة ليست لها عرى والابريق ماله خرطوم والكاس الآنية المعدة للشرب بشريطة ان يكون فيها خمر ولا يقال ءلانية فيها ماء اولبن كاس * وقوله من معين قال ابن عباس معناه من خمر سائلة جارية معينة * وقوله لا يصدعون عنها ذهب اكثر المفسرين الى ان المعنى لا يلحق رءوسهم الصداع الذى يلحق من خمر الدنيا وقال قوم معناه لا يفرقون عنها بمعنى لا تقطع عنهم لذتهم بسبب من الاسباب كما يفرق اهل خمر الدنيا بانواع من التفريق ولا ينزفون معناه لا تذهب عقولهم سكرا قاله مجاهد وغيره والنزيف السكران وباقى الآية بين وخص المكنون باللؤلؤ لانه اصفى لونا وابعد عن الغير وسألت ام سلمة رسول

الله صلى الله عليه وسلم عن هذا التشبيه فقال صفاؤهن كصفاء الدر فى الاصداف الذى لا تمسه الايدى وجزاء بما كانوا يعملون اي ان هذه الرتب والنعيم هي لهم بحسب اعمالهم لانه روي ان المنازل والقسم فى الجنة هي مقتسمة على قدر الاعمال ونفس دخول الجنة هو برحمة الله وفضله لا بعمل عامل كما جاء فى الصحيح * وقوله تعالى الاقيلا سلاما سلاما قال ابو حيان الاقيلا سلاما سلاما الظاهر ان الاستثناء منقطع لانه لايندرج فى اللغو والتاثيم وقيل متصل وهو بعيد انتهى قال الزجاج وسلاما مصدر كانه يذكر انه يقول بعضهم لبعض سلاما سلاما (ت) قال الثعلبي والسدر شجر النبق ومخضود اي مقطوع الشوك قال (ع) ولاهل تحرير النظر هنا اشارة فى ان هذا الخضد بازاء اعمالهم التي سلموا منها اذ اهل اليمين توابون لهم سلام وليسوا بسابقين قال الفخر وقد بان لى بالدليل ان المراد باصحاب اليمين الناجون الذين اذنبوا واسرفوا وعفا الله تعالى عنهم بسبب ادنى حسنة لا الذين غلبت حسناتهم وكثرت انتهى والطلح من العضاه شجر عظيم كثير الشوك وصفه فى الجنة على صفة مباينة لحال الدنيا ومنضود معناه مركب ثمره بعضه على بعض من ارضه الى اعلاه وقرأ علي رضي الله عنه وغيره وطلع فقيل لعلي انما هو وطلح فقال ما للطلح والجنة قيل له انصلحها فى المصحف فقال ان المصحف اليوم لا يهاج ولا يغير (١) وقال علي ايضا وابن عباس الطلح الموز والظل الممدود معناه الذى

---

(١) وهي رواية غير صحيحة كما نبه على ذلك الطيبي وكيف يقر امير المومنين كرم الله تعالى وجهه تحريفا فى كتاب الله تعالى المتداول بين الناس او كيف يظن بان نقلة القرءان ورواته وكتابه من قبل تعمدوا ذلك او غفلوا عنه هذا والله تعالى قد تكفل بحفظه سبحانك هذا بهتان عظيم اه من روح المعانى نقله مصححه

لا تنسخه شمس وتفسير ذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر فى ظلها مائة سنة لا يقطعها واقرءوا ان شئتم وظل ممدود الى غير هذا من الاحاديث فى هذا المعنى (ت) وفى صحيحي البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة لا يقطعها ولقاب قوس احدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس او تغرب انتهى وماء مسكوب اي جار فى غير اخدود * لا مقطوعة ولا ممنوعة اي لا مقطوعة بالازمان كحال فاكهة الدنيا ولا ممنوعة بوجه من الوجوه التى تمتنع بها فاكهة الدنيا والفرش الاسرة وعن ابى سعيد الخدري ان فى ارتفاع السرير منها مسيرة خمس مائة سنة (ت) وهذا ان ثبت فلا بعد فيه اذ احوال الآخرة كلها خرق عادة وقال ابو عبيدة وغيره اراد بالفرش النساء ومرفوعة معناه فى الاقدار والمنازل وانشأناهن معناه خلقناهن شيأ بعد شيء وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى تفسير هذه الآية هن عجائز كن فى الدنيا عمشا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا وقال للعجوز ان الجنة لا يدخلها العجوز فحزنت فقال انك اذا دخلت الجنة انشئت خلقا آخر * وقوله سبحانه فجعلناهن ابكارا قيل معناه دائمة البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرا والعرب جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها باظهار محبته قاله ابن عباس وعبر عنهن ابن عباس ايضا بالعواشق وقال زيد العروب الحسنة الكلام (ت) قال البخاري والعروب يسميها اهل مكة العربة واهل المدينة الغنجة واهل العراق الشكلة انتهى * وقوله اترابا معناه فى الشكل والقد قال قتادة اترابا يعنى سنا واحدة ويروى ان اهل الجنة هم على قد ابن اربعة عشر عاما فى الشباب والنضرة وقيل على مثال ابناء ثلاث وثلاثين سنة مردا بيضا مكحلين زاد الثعلبي على خلق آدم طوله ستون ذراعا فى سبعة اذرع * وقوله سبحانه ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال الحسن بن ابى

الحسن وغيره الاولون سالف الامم منهم جماعة عظيمة اصحاب يمين والآخرون هذه الامة منهم جماعة عظيمة اهل يمين قال (ع) بل جميعهم الامن كان من السابقين وقال قوم من المتأولين هاتان الفرقتان فى امة محمد وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الثلّتان من امتى وروى ابن المبارك فى رقائقه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان امتى ثلثا اهل الجنة والناس يومئذ عشرون ومائة صف وان امتى من ذلك ثمانون صفا انتهى * وقوله سبحانه واصحاب الشمال الآية فى الكلام معنى الانحاء عليهم وتعظيم مصائبهم والسموم اشد ما يكون من الحر اليابس الذى لا بلل معه والحميم السخن جدا من الماء الذى فى جهنم واليحموم هو الدخان الاسود يظل اهل النار قاله ابن عباس والجمهور وقيل هو سرادق النار المحيط باهلها فانه يرتفع من كل ناحية حتى يظلهم وقيل هو جبل فى النار اسود * وقوله ولا كريم معناه ليس له صفة مدح قال الثعلبي وعن ابن المسيب ولا كريم اي ولا حسن نظيره من كل زوج كريم وقال قتادة لا بارد النزل ولا كريم المنظر وهو الظل الذى لا يغنى من اللهب انتهى والمترف المنعم فى سرف وتخوض ويصرون معناه يعتقدون اعتقادا لا ينزعون عنه والحنث الاثم وقال الثعلبي وكانوا يصرون يقيمون على الحنث العظيم اي الذنب انتهى ونحوه للبخاري وهو حسن نحو ما فى الرسالة قال قتادة وغيره والمراد بهذا الاثم العظيم الشرك وباقى الآية فى استبعادهم للبعث وقد تقدم بيانه * وقوله سبحانه ثم انكم ايها الضالون مخاطبة لكفار قريش ومن كان فى حالهم ومن فى قوله من زقوم لبيان الجنس والضمير فى منها عائد على الشجر والضمير فى عليه عائد على الماكول والهيم قال ابن عباس وغيره جمع اهيم وهو الجمل الذى اصابه الهيام بضم الهاء وهو داء معطش يشرب معه الجمل حتى يموت او يسقم سقما شديدا وقال قوم

هو جمع هائم وهو ايضا من هـذا المعنى لان الجمل اذا اصابه ذلك الداء هام على و . . ه وذهب وقال ابن عباس ايضا وسفيان الثوري الهيم الرمال التى لا تروى . ن الماء والنزل اول ما ياكل الضيف والدين الجزاء * وقوله سبحانـه افرأيتم ما تمنون الآية وليس يوجـد مفطور يخفى عليه ان المني الذى يخرج منـه ليس له فيه عمل ولا ارادة ولا قدرة وقرأ الجمهور قدرنا وقرأ ابن كثير وحده قدرنا بتخفيف الدال فيحتمل ان يكون المعنى فيهما قضينا واثبتنا ويحتمل ان يكون بمعنى سوينا قال الثعلبي عن الضحاك اي سوينا بين اهل السماء واهل الارض * وقوله وما نحن بمسبوقين اي على تبديلكم ان اردناه وان ننشئكم باوصاف لا يصلها علمكم ولا يحيط بها فكركم قال الحسن من كونهم قردة وخنازير لان الآية تنحو الى الوعيد والنشأة الاولى قال اكثر المفسرين اشارة الى خلق ءادم وقيل المراد نشأة الانسان فى طفولته وهذه الآية نص فى استعمال القياس والحض عليـه وعبارة الثعلبي ويقال النشأة الاولى نطفة ثم علقة ثم مضغة ولم يكونوا شيأ فلولا اي فهلا تذكرون انى قادر على اعادتكم كما قدرت على ابدائكم وفيه دليـل على صحة القياس لانه علمهم سبحانه الاستدلال بالنشأة الاولى على النشأة الاخرى انتهى * وقوله سبحانه ءانتم تزرعونـه اي زرعا يتم ام نحن وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقل زرعت ولكن قلت حرثت ثم تلا ابو هريرة هذه الآية والحطام اليابس المتفتت من النبات الصائر الى ذهاب وبه شبه حطام الدنيا وتفكهون قال ابن عباس وغيره معناه تعجبون اي ممازل بكم وقال ابن زيد معناه تتفجعون قال (ع) وهذا كله تفسير لا يخص اللفظة والذى يخص اللفظة هو تطرحون الفكاهة عن انفسكم وقولهم انا لمغرمون قبله محذوف تقديره يقولون وقرأ عاصم الجحدري أانا لمغرمون بهمزتين على الاستفهام والمعنى يحتمل ان يكون انا لمغرمون من الغرام وهو اشـد العذاب ويحتمل انا لمحملون

الغرم اي غرمنا فى النفقة وذهب زرعنا وقد تقدم تفسير المحروم وانــه الذى تبعد عنه ممكنات الرزق بعد قربها منه وقال الثعلبي المحروم ضد المرزوق انتهى والمزن هو السحاب والاجاج اشد المياه ملوحة وتورون معناه تقتدحون من الازند تقول اوريت النار من الزناد والزناد قد يكون من حجر وحديدة ومن شجر لا سيما فى بلاد العرب ولا سيما فى الشجر الرخو كالمرخ والعفار والكلخ وما اشبهه ولعادة العرب فى ازنادهم من شجر قال تعالى ءانتم انشأتم شجرتها اي التى تقدح منها ام نحن المنشئون نحن جعلناها يعنى نار الدنيا تذكرة للنار الكبرى نار جهنم قاله مجاهد وغيره والمتاع ما ينتفع بـه والمقوين فى هـذه الآية الكائنين فى الارض القواء وهي الفيافى ومن قال معناه للمسافرين فهو نحو مـا قلنـاه وهي عبارة ابن عباس رضي الله عنـه تقول اقوى الرجـل اذا دخـل فى الارض القواء * وقوله سبحانه فلا اقسم بمواقع النجوم الآية قال بعض النحاة لا زائدة والمعنى فاقسم وزيادتها فى بعض المواضع معروفـة وقرأ الحسن وغيره فلاقسم من غير الف وقال بعضهم لا نافية كانه قال فلا صحة لما يقوله الكفار ثم ابتـدأ اقسم بمواقع النجوم والنجوم هنا قال ابن عباس وغيره هي نجوم القرءان وذلك انه روي ان القرءان نزل فى ليلة القدر الى سماء الدنيـا وقيل الى البيت المعمور جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما مقطعة مـدة من عشرين سنـة قال (ع) ويؤيده عود الضمير على القرءان فى قوله انه لقرءان كريم وقال كثير من المفسرين بل النجوم هنا هي الكواكب المعروفة ثم اختلف هؤلاء فى مواقعهـا فقيل غروبها وطلوعهـا وقيل مواقعهـا عنـد انقضاضها اثر العفاريت * وقوله وانه لقسم تاكيـد * وقوله لو تعلمون اعتراض * وقوله انه لقرءان كريم هو الذى وقع القسم عليه * وقوله فى كتاب مكنون الآيـة المكنون المصون قال ابن عباس وغيره اراد الكتاب الذى فى السماء قال الثعلبي

ويقال هو اللوح المحفوظ * وقوله لا يمسه الا المطهرون يعنى الملائكة وليس فى الآية على هذا التاويل تعرض لحكم مس المصحف لسائر بنى ءادم وقال بعض المتأولين اراد بالكتاب مصاحف المسلمين ولم تكن يومئذ فهو اخبار بغيب مضمنه النهي فلا يمس المصحف من بني ءادم الا الطاهر من الكفر والحدث وفى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم لا يمس القرءان الا طاهر وبه اخذ مالك وقرأ سلمان الا المطهرون بكسر الهاء * وقوله تعالى افبهذا الحديث يعنى القرءان المتضمن البعث ومدهنون معناه يلاين بعضكم بعضا ويتبعه فى الكفر ماخوذ من الدهن للينه واملاسه وقال ابن عباس المداهنة هي المهاودة فيما لا يحل والمداراة هي المهاودة فيما يحل ونقل الثعلبي ان ادهن وداهن بمعنى واحد واصله من الدهن انتهى * وقوله سبحانه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اجمع المفسرون على ان الآية توبيخ للقائلين فى المطر الذى ينزله الله تعالى رزقا للعباد هذا بنوء كذا والمعنى وتجعلون شكر رزقكم وحكى الهيثم بن عدي ان من لغة ازد شنوءة ما رزق فلان بمعنى ما شكر وكان علي يقرأ وتجعلون شكركم انكم تكذبون وكذلك قرأ ابن عباس ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخبر الله سبحانه فقال ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد فهذا معنى قوله انكم تكذبون اي بهذا الخبر قال (ع) والمنهي عنه هو ان يعتقد ان للنجوم تاثيرا فى المطر * وقوله سبحانه فلولا اذا بلغت الحلقوم يعنى بلغت نفس الانسان والحلقوم مجرى الطعام وهذه الحال هي نزع المرء للموت * وقوله وانتم اشارة الى جميع البشر حينئذ اي وقت النزع تنظرون اليه وقال الثعلبي وانتم حينئذ تنظرون الى امرى وسلطاني يعنى تصريفه سبحانه فى الميت انتهى والاول عندى احسن وعزاه الثعلبي لابن عباس * ونحن

اقرب اليـه منـكم اي بالقدرة والعـلم ولا قدرة لكم على دفـع شيء عنـه وقيل المعنى وملائكتنا اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرونهم وعلى التاويل الاول من البصر بالقلب * فلولا ان كنتم غير مدينين اي مملوكين اذلاء والمدين المملوك هذا اصح ما يقال فى هذه اللفظة هنا ومن عبر عنها بمجازى او بمحاسب فذلـك هنا قلق والمملوك مقلب كيف شاء المالك ومن هذا الملك قول الاخطل

ربت وربا فى حجرها ابن مدينة * تـراه على مسحاتـه يتـركل

اراد ابن امة مملوكة وهو عبد يخدم الكرم وقد قيل فى معنى البيت انه اراد اكارا حضريا فنسبه الى المدينـة فمعنى الآيـة فهل لا ترجعـون النفس البالغة الحلقوم ان كنتم غير مملوكين مقهورين * وقوله ترجعونها سد مسد الاجوبة والبيانات التى تقتضيها التحضيضات * وقوله تعالى فاما ان كان من المقربين الآية ذكر سبحانه فى هذه الآية حال الازواج الثلاثة المذكورين فى اول السورة وحال كل امرئ منهم فاما المرء من السابقين المقربين فيلقى عند موته روحا وريحانا والروح الرحمة والسعة والفرح ومنه ولا تيأسوا من روح الله والريحان الطيب وهو دليل النعيم وقال مجاهد الريحان الرزق وقال الضحاك الريحان الاستراحة قال (ع) الريحان ما تنبسط اليه النفوس ونقل الثعلبي عن ابى العالية قال لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يوتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض روحه فيه ونحوه عن الحسن انتهى فان اردت يا اخى اللحوق بالمقربين * والكون فى زمرة السابقين * فاطرح عنك دنياك * واقبل على ذكر مولاك * واجعل الآن الموت نصب عينيك قال الغزالي وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب عينيك لا تغفل عنه ساعة فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السيرحاث بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة فلا يكن اهتمامك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس امهلت فيه انتهى من الاحياء قال ابن المبارك

فى رقائقه اخبرنا سفيان عن ليث عن مجاهد قال مـا من ميت يموت الاعرض عليه اهل مجلسه ان كان من اهل الذكر فمن اهل الذكر وان كان من اهل اللهو فمن اهـل اللهو انتهى * وقوله تعالى فسلام لـك مـن اصحاب اليمين عبارة تقتضى جملة مدح وصفة تخلص وحصول عال من المراتب والمعنى ليس فى امرهم الا السلام والنجاة من العذاب وهذا كما تقول فى مدح رجل اما فلان فناهيك به فهذا يقتضى جملة غير مفصلة من مدحه وقـد اضطربت عبارات المتأولين فى قوله تعالى فسلام لك فقال قوم المعنى فيقال له سلام لك انك من اصحاب اليمين وقال الطبري فسلام لك انت من اصحاب اليمين وقيل المعنى فسلام لك يا محمد اي لاترى فيهم الا السلامة من العذاب (ت) ومن حصلت له السلامة من العذاب فقد فاز دليله فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقـد فاز قال (ع) فهذه الكاف فى لك اما ان تكون للنبي عليه السـلام وهو الاظهر ثم لكل معتبر فيها من امته واما ان تكون لمن يخاطب من اصحاب اليمين وغير هـذا مما قيل تكاف ونقل الثعلبي عن الزجاج فسلام لك اي انك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقـد علمت ما اعـد الله لهم من الجزاء بقوله فى سدر مخضود الآيات * والمكذبون الضالون هم الكفار اصحاب الشمال والمشـئمة والنزل اول شيء يقدم للضيف والتصلية ان يباشر بهم النار والجحيم معظم النار وحيث تراكمها * ان هذا لهو حق اليقين المعنى ان هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقتـه * وقوله تعالى فسبح باسم ربـك العظيم عبارة تقتضى الامر بالاعراض عن اقوال الكفار وسائر امور الدنيـا المختصة بها وبالاقبال على امور الآخرة وعبادة الله تعالى والدعاء اليه (ت) وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة رواه الترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان فى صحيحيهما وقال الحاكم صحيح

على شرط مسلم وعند النساءي شجرة بدل نخلة وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتهليل والتحميد ينعطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل تذكر بصاحبها اما يحب احدكم ان يكون اولا يزال له من يذكر به ورواه ايضا ابن المبارك فى رقائقه عن كعب وفيه ايضا عن كعب انه قال ان للكلام الطيب حول العرش دويا كدوي النحل يذكرن بصاحبهن انتهى وعن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مربه وهويغرس غرسا فقال يا ابا هريرة ما الذى تغرس قلت غراسا قال الا ادلك على غراس خير من هذا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة فى الجنة روى هذين الحديثين ابن ماجه واللفظ له والحاكم فى المستدرك وقال فى الاول صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح وروى عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم فيحتمل ان يكون المعنى سبح الله بذكر اسمائه العلا والاسم هنا بمعنى الجنس اي باسماء ربك والعظيم صفة للرب سبحانه وقد يحتمل ان يكون الاسم هنا واحدا مقصودا ويكون العظيم صفة له فكانه امره ان يسبحه باسمه الاعظم وان كان لم ينص عليه ويؤيد هذا ويشير اليه اتصال سورة الحديد واولها فيها التسبيح وجملة من اسماء الله تعالى وقد قال ابن عباس اسم الله الاعظم موجود فى ست ءايات من اول سورة الحديد فتأمل هذا فانه من دقيق النظر ولله تعالى فى كتابه العزيز غوامض لا تكاد الاذهان تدركها

تفسير سورة الحديد وهي مدنية
ويشبه صدرها ان يكون مكيا

روي عن ابن عباس ان اسم الله الاعظم هو فى ست ءايات من اول سورة الحديد وروي ان الدعاء بعد قراءتها مستجاب

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل سبح لله ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم قال اكثر المفسرين التسبيح هنا هو التنزيه المعروف فى قولهم سبحان الله وهذا عندهم اخبار بصيغة الماضى مضمنه الدوام والاستمرار ثم اختلفوا هل هذا التسبيح حقيقة او مجاز على معنى ان اثر الصنعة فيها تنبه الراءي على التسبيح قال الزجاج وغيره والقول بالحقيقة احسن وهذا كله فى الجمادات واما ما يمكن التسبيح منه فقول واحد ان تسبيحهم حقيقة * وقوله تعالى هو الاول اي الذى ليس لوجوده بداية مفتتحة والآخر الدائم الذى ليس له نهاية منقضية قال ابو بكر الوراق هو الاول بالازلية والآخر بالابدية * والظاهر معناه بالادلة ونظر العقول فى صنعته * والباطن بلطفه وغوامض حكمته وباهر صفاته التى لا تصل الى معرفتها على ما هي عليه الاوهام وباقى الآية تقدم تفسير نظيره * وقوله تعالى وهو معكم اين ما كنتم معناه بقدرته وعلمه واحاطته وهذه ءاية اجمعت الامة على هذا التاويل فيها وباقى الآية بين * وقوله سبحانه ءامنوا بالله ورسوله الآية امر للمومنين بالثبوت على الايمان ويروى ان هذه الآية نزلت

فى غزوة العسرة قاله الضحاك وقال الاشارة بقوله فالذين ءامنوا منكم وانفقوا الى عثمان بن عفان يريد ومن فى معناه كعبد الرحمن بن عوف وغيره * وقوله مما جعلكم مستخلفين فيه تزهيد وتنبيه على ان الاموال انما تصير الى الانسان من غيره ويتركها لغيره وليس له من ذلك الا ما اكل فافنى او تصدق فامضى ويروى ان رجلا مر باعرابي له ابل فقال له يا اعرابي لمن هذه الابل قال هي لله عندى فهذا موفق مصيب ان صحب قوله عمله * وقوله سبحانه وما لكم لا تومنون بالله الآية توطئة لدعائهم رضي الله عنهم لانهم اهل هذه الرتب الرفيعة واذا تقرر ان الرسول يدعوهم وانهم ممن اخذ الله ميثاقهم فكيف يمتنعون من الايمان * وقوله ان كنتم مومنين اي ان دمتم على ايمانكم والظلمات الكفر والنور الايمان وباقى الآية وعد وتأنيس * وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض المعنى وما لكم ان لا تنفقوا فى سبيل الله وانتم تموتون وتتركون اموالكم فناب مناب هذا القول قوله ولله ميراث السموات والارض وفيه زيادة تذكير بالله وعبرة وعنه يلزم القول الذى قدرناه * وقوله تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح الآية الاشهر فى هذه الآية انها نزلت بعد الفتح واختلف فى الفتح المشار اليه فقال ابو سعيد الخدري والشعبي هو فتح الحديبية وقال قتادة ومجاهد وزيد بن اسلم هو فتح مكة الذى ازال الهجرة قال (ع) وهذا هو المشهور الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وحكم الآية باق غابر الدهر من انفق فى وقت حاجة السبيل اعظم اجرا ممن انفق مع استغناء السبيل والحسنى الجنة قاله مجاهد وقتادة والقرض السلف والتضعيف من الله تعالى هو فى الحسنات وقد مر ذكر ذلك والاجر الكريم الذى يقترن به رضى واقبال وهذا معنى الدعاء بيا كريم العفو اي ان مع عفوه رضي وتنعيما * وقوله

سبحانه يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم الآيـة العامل فى يوم قوله وله اجر كريم والرؤيـة هنا رؤيـة عين والجمهور ان النور هنا هو نور حقيقة وقد روي فى هـذا عن ابن عباس وغيره ءاثار مضمنهـا ان كل مومن ومظهر للايمان يعطى يوم القيامـة نورا فيطفأ نور كل منافـق ويبقى نور المومنين حتى ان منهم من نوره يضئ كما بين مكة وصنعاء رفعـه قتادة الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من نوره كالنخلة السحوق ومنهم مـن نوره يضئ ما قرب من قـدميه قاله ابن مسعود ومنهم من يهم بالانطفاء مرة ويبين مرة على قدر المنازل فى الطاعـة والمعصية قال الفخر قال قتادة مـا من عبد الا وينادى يوم القيامة يا فلان هذا نورك يا فلان لا نور لك نعوذ بالله من ذلك واعلم ان العلم الذى هو نور البصيرة اولى بكونه نورا من نور البصر واذا كان كذلك ظهر ان معرفة الله تعالى هي النور فى القيامة فمقادير الانوار يوم القيامة على حسب مقادير المعارف فى الدنيا انتهى ونحوه للغزالي وخص تعالى بين الايدى بالذكر لانه موضع حاجة الانسان الى النور واختلف فى قوله تعالى وبايمانهم فقال بعض المتأولين المعنى وعـن ايمانهم فكانـه خص ذكر جهة اليمين تشريفا وناب ذلك مناب ان يقول وفى جميع جهاتهم وقال جمهور المفسرين المعنى يسعى نورهم بين ايديهم يريـد الضوء المنبسط مـن اصل النور وبايمـانهم اصله والشيء الذى هو متقـد فيـه فتضمن هذا القول انهم يحملون الانوار وكونهم غير حاملين اكرم الاترى ان فضيلة عباد بن بشر واسيد بن حضير انمـا كانت بنور لا يحملانه هـذا فى الدنيـا فكيف بالآخرة (ت) وفيما قاله (ع) عندى نظر وايضا فاحوال الآخرة لا تقاس على احوال الدنيا * وقوله تعالى بشراكم اي يقال لهم بشراكم جنات اي دخول جنات (ت) وقد جاءت بحمد الله ءاثار بتبشير هذه الامـة المحمدية وخرج ابن ماجه قال اخبرنا جُبارة بن المغلّس قال حدثنا عبد الاعلى عن ابي بردة

عن ابيه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة اذن لامة محمد صلى الله عليه وسلم فى السجود فسجدوا طويلا ثم يقال ارفعوا رءوسكم فقد جعلنا عدتكم فداء كم من النار قال ابن ماجه وحدثنا جبارة بن المغلس حدثنا كثير بن سليمان عن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة امة مرحومة عذابها بايديها فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين فيقال هذا فداؤك من النار وفى صحيح مسلم دفع الله لكل مسلم يهوديا او نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار انتهى من التذكرة * وقوله تعالى يوم يقول المنافقون قيل يوم هو بدل من الاول وقيل العامل فيه اذكر قال (ع) ويظهر لى ان العامل فيه قوله تعالى ذلك هو الفوز العظيم ويجيء معنى الفوز افخم كانه يقول ان المومنين يفوزون بالرحمة يوم يعترى المنافقين كذا وكذا لان ظهور المرء يوم خمول عدوه ومضاده ابدع وافخم وقول المنافقين هذه المقالة المحكية هو عند انطفاء انوارهم كما ذكرنا قبل وقولهم انظرونا معناه انتظرونا وقرأ حمزة وحده انظرونا بقطع الالف وكسر الظاء ومعناه اخرونا ومنه فنظرة الى ميسرة ومعنى قولهم اخرونا اي اخروا مشيكم لنا حتى نلتحق فنقتبس من نوركم واقتبس الرجل اخذ من نور غيره قبسا قال الفخر القبس الشعلة من النار والسراج والمنافقون طمعوا فى شيء من انوار المومنين وهذا منهم جهل لان تلك الانوار نتائج الاعمال الصالحة فى الدنيا وهم لم يقدموها قال الحسن يعطى يوم القيامة كل احد نورا على قدر عمله ثم يوخذ من حجر جهنم ومما فيها من الكلاليب والحسك ويلقى على الطريق ثم تمضى زمرة من المومنين وجوههم كالقمر ليلة البدر ثم تمضى زمرة اخرى كاضوأ كوكب فى السماء ثم على ذلك ثم تغشاهم ظلمة تطفئ نور المنافقين فهنالك يقول المنافقون للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم انتهى *

وقوله تعالى قيل ارجعوا وراءكم يحتمل ان يكون من قول المومنين لهم ويحتمل ان يكون من قول الملائكة والقول لهم فالتمسوا نورا هو على معنى التوبيخ لهم اي انكم لا تجدونه ثم اعلم تعالى انه يضرب بينهم فى هذه الحال بسور حاجز فيبقى المنافقون فى ظلمة وعذاب * وقوله تعالى باطنه فيه الرحمة اي جهة المومنين وظاهره جهة المنافقين والظاهر هنا البادى ومنه قول الكتاب من ظاهر مدينة كذا وعبارة الثعلبي فضرب بينهم بسور وهو حاجز بين الجنة والنار قال ابو امامة الباهلي فيرجعون الى المكان الذى قسم فيه النور فلا يجدون شيأ فينصرفون اليهم وقد ضرب بينهم بسور قال قتادة حائط بين الجنة والنار له باب باطنه فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره من قبله العذاب يعنى النار انتهى قال (ص) قال ابو البقاء الباء فى بسور زائدة وقيل ليست بزائدة قال ابو حيان والضمير فى باطنه عائد على الباب وهو الاظهر لانه الاقرب وقيل على سور ابو البقاء والجملة صفة لباب او لسور انتهى * وقوله تعالى ينادونهم معناه ينادى المنافقون المومنين الم نكن معكم فى الدنيا فيرد المومنون عليهم بلى كنتم معنا ولكن عرضتم انفسكم للفتنة وهي حب العاجل والقتال عليه قال مجاهد فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم معناه هنا بايمانكم فابطأتم به حتى متم وقال قتادة معناه تربصتم بنا وبمحمد صلى الله عليه وسلم الدوائر وشككتم والارتياب التشكك والاماني التى غرتهم هي قولهم سيهلك محمد هذا العام ستهزمه قريش ستاخذه الاحزاب الى غير ذلك من امانيهم وطول الامل غرار لكل احد وامر الله الذى جاء هو الفتح وظهور الاسلام وقيل هو موتهم على النفاق الموجب للعذاب والغرور الشيطان باجماع المتأولين وينبغى لكل مومن ان يعتبر هذه الآية فى نفسه وتسويفه فى توبته واعلم ايها الاخ ان الدنيا غرارة للمقبلين عليها فان اردت الخلاص والفوز بالنجاة فازهد فيها واقبل على ما يعنيك من اصلاح دينك

والتزود لآخرتك وقد روى ابن المبارك فى رقائقه عن ابى الدرداء انه قال يعنى لاصحابه لئن حلفتم لى على رجل منكم انه ازهدكم لاحلفن لكم انه خيركم وروى ابن المبارك بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث الله تبارك وتعالى يوم القيامة عبدين من عباده كانا على سيرة واحدة احدهما مقتور عليه والآخر موسع عليه فيقبل المقتور عليه الى الجنة ولا ينثني عنها حتى ينتهي الى ابوابها فيقول حجبتها اليك اليك فيقول اذن لا ارجع قال وسيفه فى عنقه فيقول اعطيت هذا السيف فى الدنيا اجاهد به فلم ازل مجاهدا به حتى قبضت وانا على ذلك فيرمى بسيفه الى الخزنة وينطلق لا يثنونه ولا يحبسونه عن الجنة فيدخلها فيمكث فيها دهرا ثم يمر به اخوه الموسع عليه فيقول له يا فلان ما حبسك فيقول ما خلي سبيلى الا الآن ولقد حبست مالوان ثلاثمائة بعير اكلت خمطا لا يردن الا خمسا وردن على عرقى لصدرن منه ريا انتهى * وقوله تعالى فاليوم لا يوخذ منكم فدية الآية استمرار فى مخاطبة المنافقين قاله قتادة وغيره * وقوله تعالى هي مولاكم قال المفسرون معناه هي اولى بكم وهذا تفسير بالمعنى وانما هي استعارة لانها من حيث تضمهم وتباشرهم هي تواليهم وتكون لهم مكان المولى وهذا نحو قول الشاعر * تحية بينهم ضرب وجيع * وقوله تعالى الم يان ابتداء معنى مستانف ومعنى الم يان الم يحن يقال انى الشيء يانى اذا حان وفى الآية معنى الحض والتقريع قال ابن عباس عوتب المومنون بهذه الآية وهذه الآية كانت سبب توبة الفضيل وابن المبارك والخشوع الاخبات والتطامن وهي هيئة تظهر فى الجوارح متى كانت فى القلب ولذلك خص تعالى القلب بالذكر وروى شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما يرفع من الناس الخشوع * وقوله تعالى لذكر الله اي لاجل ذكر الله تعالى ووحيه او لاجل تذكير الله اياهم

واوامره فيهم والاشارة فى قوله اوتوا الكتاب الى بنى اسراءيل المعاصرين لموسى عليه السلام ولذلك قال من قبل وانما شبه اهل عصر نبيء باهل عصر نبي؛ * وقوله فطال عليهم الامد قيل معناه امد الحياة وقيل امد انتظار القيامة قال الفخر قال مقاتل ابن حيان الامد هنا الامل اي لما طالت ءامالهم لاجرم قست قلوبهم انتهى وباقى الآية بين * وقوله تعالى اعلموا ان الله يحي الارض بعد موتها الآية مخاطبة لهؤلاء المومنين الذين ندبوا الى الخشوع وهذا ضرب مثل واستدعاء الى الخير برفق وتقريب بليغ اي لا يبعد عندكم ايها التاركون للخشوع رجوعكم اليه وتلبسكم به فان الله يحي الارض بعد موتها فكذلك يفعل بالقلوب يردها الى الخشوع بعد بعدها عنه وترجع هي اليه اذا وقعت الانابة والتكسب من العبد بعد نفورها منه كما يحي الارض بعد ان كانت ميتة وباقى الآية بين والمصدقين يعنى به المتصدقين وباقى الآية بين (ت) وقد جاءت ءاثار صحيحة فى الحض على الصدقة قد ذكرنا منها جملة فى هذا المختصر واسند مالك فى الموطأ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا نساء المومنات لا تحقرن احداكن لجارتها ولو كراع شاة محرق وفى الموطأ عنه صلى الله عليه وسلم ردوا السائل ولو بظلف محرق قال ابن عبد البر فى التمهيد ففى هذا الحديث الحض على الصدقة بكل ما امكن من قليل الاشياء وكثيرها وفى قول الله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اوضح الدلائل فى هذا الباب وتصدقت عائشة رضي الله عنها بحبتين من عنب فنظر اليها بعض اهل بيتها فقالت لا تعجبن فكم فيها من مثقال ذرة ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة واذا كان الله عز وجل يربى الصدقات وياخذ الصدقة بيمينه فيربيها كما يربى احدنا فلوه او فصيله فما بال من عرف هذا يغفل عنه وما التوفيق الا بالله انتهى من التمهيد وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا حرملة بن عمران

انه سمع يزيد بن ابى حبيب يحدث ان ابا الخير حدثه انه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل امرئ فى ظل صدقته حتى يفصل بين الناس قال يزيد فكان ابو الخير لا يخطئه يوم الا تصدق فيه بشيء ولو كعكة او بصلة اوكذا انتهى والصديقون بناء مبالغة من الصدق او من التصديق على ما ذكر الزجاج * وقوله تعالى والشهداء عند ربهم اختلف فى تاويله فقال ابن مسعود وجماعة والشهداء معطوف على الصديقين والكلام متصل ثم اختلفت هذه الفرقة فى معنى هذا الاتصال فقال بعضها وصف الله المومنين بانهم صديقون وشهداء فكل مومن شهيد قاله مجاهد وروى البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مومنو امتى شهداء وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وانما خص صلى الله عليه وسلم ذكر الشهداء السبعة تشريفا لهم لانهم فى اعلى رتب الشهادة الاترى ان المقتول فى سبيل الله مخصوص ايضا من السبعة بتشريف ينفرد به وقال بعضها الشهداء هنا من معنى الشاهد لا من معنى الشهيد فكانه قال هم اهل الصدق والشهداء على الامم وقال ابن عباس ومسروق والضحاك الكلام تام فى قوله الصديقون وقوله والشهداء ابتداء مستانف ثم اختلفت هذه الفرقة فى معنى هذا الاستيناف فقال بعضها معنى الآية والشهداء بانهم صديقون حاضرون عند ربهم وعنى بالشهداء الانبياء عليهم السلام (ت) وهذا تاويل بعيد من لفظ الآية وقال بعضها قوله والشهداء ابتداء يريد به الشهداء فى سبيل الله واستانف الخبر عنهم بانهم عند ربهم لهم اجرهم ونورهم فكانه جعلهم صنفا مذكورا وحده (ت) وابين هذه الاقوال الاول وهذا الاخير وان صح حديث البراء لم يعدل عنه قال ابو حيان والظاهر ان الشهداء مبتدأ خبره ما بعده انتهى * وقوله تعالى ونورهم قال الجمهور هو حقيقة حسبما تقدم * وقوله سبحانه اعلموا انما الحيوة

الدنيا لعب ولهو هذه الآية وعظ وتبيين لامر الدنيا وضعة منزلتها والحياة الدنيا في هذه الآية عبارة عن الاشغال والتصرفات والفكر التى هي مختصة بالحياة الدنيا واما ما كان من ذلك فى طاعة الله وما كان فى الضرورات التى تقيم الاود وتعين على الطاعات فلا مدخل له فى هذه الآية وتأمل حال الملوك بعد فقرهم يبن لك ان جميع ترفههم لعب ولهو والزينة التحسين الذى هو خارج عن ذات الشيء والتفاخر بالاموال والانساب وغير ذلك على عادة الجاهلية ثم ضرب الله عز وجل مثل الدنيا فقال كمثل غيث الآية وصورة هذا المثال ان الانسان ينشأ فى حجر مملكة فما دون ذلك فيشب فى النعمة ويقوى ويكسب المال والولد ويغشاه الناس ثم ياخذ بعد ذلك فى انحطاط ويشيب ويضعف ويسقم وتصيبه النوائب فى ماله وذريته ويموت ويضمحل امره وتصير امواله لغيره وتتغير رسومه فامره مثل مطر اصاب ارضا فنبت عن ذلك الغيث نبات معجب انيق ثم هاج اي يبس واصفر ثم تحطم ثم تفرق بالرياح واضمحل * وقوله اعجب الكفار اي الزراع فهو من كفر الحب اي ستره وقيل يحتمل ان يعني الكفار بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ثم قال تعالى وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة الآية كانه قال والحقيقة هاهنا وذكر العذاب اولا تهمما به من حيث الحذر فى الانسان ينبغي ان يكون اولا فاذا تحرز من المخاوف مد حينئذ امله فذكر تعالى ما يحذر قبل ما يطمع فيه وهو المغفرة والرضوان وعبارة الثعلبي ثم يهيج اي يجف وفى الآخرة عذاب شديد لاعداء الله ومغفرة لاوليائه وقال الفراء وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة اي اما عذاب شديد واما مغفرة وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور هذا تزهيد فى العمل للدنيا وترغيب فى العمل للآخرة انتهى وهو حسن وعن طارق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته وبيست الدار لمن صدته عن آخرته

وقصرت به عن رضا ربه فاذا قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيا قبح الله اعصانا لربه رواه الحاكم فى المستدرك انتهى من السلاح ولا يشك عاقل ان حطام الدنيا مشغل عن التأهب للآخرة قال ابو عمر بن عبد البر فى كتاب فضل العلم وقد روي مرفوعا لكل امة فتنة وفتنة امتى المال قال ابو عمر ثم نقول ان الزهد فى الحلال وترك الدنيا مع القدرة عليها افضل من الرغبة فيها فى حلالها وهذا مالا خلاف فيه بين علماء المسلمين قديما وحديثا والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين فى فضل الصبر والزهد فيها وفضل القناعة والرضا بالكفاف والاقتصار على ما يكفى دون التكاثر الذى يلهى ويطغى اكثر من ان يحيط بها كتاب او يشمل عليها باب والذين زوى الله عنهم الدنيا من الصحابة اكثر من الذين فتحها عليهم اضعافا مضاعفة وقد روينا عن عبد الرحمن بن عوف انه لما حضرته الوفاة بكى بكاء شديدا وقال كان مصعب ابن عمير خيرا منى توفي ولم يترك ما يكفن فيه وبقيت بعده حتى اصبت من الدنيا واصابت منى ولا احسبنى الا ساحبس عن اصحابى بما فتح الله علي من ذلك وجعل يبكى حتى فاضت نفسه وفارق الدنيا رحمة الله عليه فان ظن ظان جاهل ان الاستكثار من الدنيا ليس به بأس او غلب عليه الجهل فظن ان ذلك افضل من طلب الكفاف منها وشبه عليه بقول الله تعالى ووجدك عائلا فاغنى فيما عدده سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم من نعمه عنده فان ذلك ليس كما ظن بل ذلك غنى القلب دلت على ذلك الآثار الكثيرة كقوله عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس انتهى * وقوله سبحانه سابقوا الى مغفرة من ربكم الآية لما ذكر تعالى المغفرة التى فى الآخرة ندب فى هذه الآية الى المسارعة اليها والمسابقة وهذه الآية حجة عند جميع العلماء فى الندب الى الطاعات وقد استدل بها بعضهم على ان اول اوقات الصلوات افضل لانه

يقتضي المسارعة والمسابقة وذكر سبحانه العرض من الجنة اذ المعهود انه اقل من الطول وقد ورد فى الحديث ان سقف الجنة العرش وورد فى الحديث ان السموات السبع فى الكرسي كالدرهم فى الفلاة وان الكرسي فى العرش كالدرهم فى الفلاة (ت) ايها الاخ امرك المولى سبحانه بالمسابقة والمسارعة رحمة منه وفضلا فلا تغفل عن امتثال امره واجابة دعوته

السباق السباق قولا وفعلا * حذر النفس حسرة المسبوق

ذكر صاحب معالم الايمان * وروضات الرضوان * فى مناقب صلحاء القيروان * قال ومنهم ابو خالد عبد الخالق المتعبد كان كثير الخوف والحزن وبالخوف مات رأى يوما خيلا يسابق بها فتقدمها فرسانِ ثم تقدم احدهما على الآخر ثم جد التالى حتى سبق الاول فتخال عبد الخالق الناس حتى وصل الى الفرس السابق فجعل يقبله ويقول بارك الله فيك صبرت فظفرت ثم سقط مغشيا عليه انتهى * وقوله سبحانه ما اصاب من مصيبة فى الارض الآية قال ابن زيد وغيره المعنى ما حدث من حادث خير وشر فهذا على معنى لفظ اصاب لا على عرف المصيبة فان عرفها فى الشر وقال ابن عباس ما معناه انه اراد عرف المصيبة فقوله فى الارض يعنى بالقحوط والزلازل وغير ذلك وفى انفسكم بالموت والامراض وغير ذلك * وقوله الا فى كتاب معناه الا والمصيبة فى كتاب ونبرأها معناه نخلقها يقال برأ الله الخلق اي خلقهم والضمير عائد على المصيبة وقيل على الارض وقيل على الانفس قاله ابن عباس وجماعة وذكر المهدوي جواز عود الضمير على جميع ما ذكر وهي كلها معان صحاح * ان ذلك على الله يسير يريد تحصيل الاشياء كلها فى كتاب وقال الثعلبي وقيل المعنى ان خلق ذلك وحفظ جميعه على الله يسير انتهى * وقوله لكيلا تاسوا معناه فعل الله هذا كله واعلمكم به ليكون سبب تسليتكم وقلة اكتراثكم بامور الدنيا فلا

تحزنوا على فائت ولا تفرحوا الفرح المبطر بما آتاكم منها قال ابن عباس ليس احد الا يحزن او يفرح ولكن من اصابته مصيبة فليجعلها صبرا ومن اصابه خير فليجعله شكرا وفى صحيح مسلم عن ابى سعيد وابى هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المسلم من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كُفِّر به من سيئاته وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة قال لما نزلت من يعمل سوءا يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا ففى كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها انتهى وقد تقدم كثير فى هذا المختصر من هذا المعنى فالله المسئول ان ينفع به كل من حصله او نظر فيه ＊ وقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور يدل على ان الفرح المنهي عنه انما هو ما ادى الى الاختيال والفخر واما الفرح بنعم الله المقترن بالشكر والتواضع فانه لا يستطيع احد دفعه عن نفسه ولا حرج فيه والله اعلم ＊ وقوله الذين يبخلون قال بعضهم هو خبر مبتدإ محذوف تقديره هم الذين يبخلون وقال بعضهم هو فى موضع نصب صفة لكل وان كان نكرة فهو يخصص نوعا ما فيسوغ لذلك وصفه بالمعرفة وهذا مذهب الاخفش والكتاب هنا اسم جنس لجميع الكتب المنزلة والميزان العدل فى تاويل الاكثرين ＊ وقوله تعالى وانزلنا الحديد عبر سبحانه عن خلقه الحديد بالانزال كما قال وانزل لكم من الانعام الآية قال جمهور من المفسرين الحديد هنا اراد به جنسه من المعادن وغيرها وقال حذاق من المفسرين اراد به السلاح ويترتب معنى الآية بان الله اخبر انه ارسل رسلا وانزل كتبا وعدلا مشروعا وسلاحا يحارب به

من عاند ولم يقبل هدى الله اذ لم يبق له عذر وفى الآية على هذا التاويل حض على القتال فى سبيل الله وترغيب فيه * وقوله وليعلم الله من ينصره يقوى هذا التاويل * وقوله بالغيب معناه بما سمع من الاوصاف الغائبة عنه فءامن بها وباقى الآية بين * وقوله سبحانه وقفينا معناه جئنا بهم بعد الاولين وهو ماخوذ من القفا اي جيء بالثانى فى قفا الاول فيجيء الاول بين يدي الثانى وقد تقدم بيانه * وقوله سبحانه وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية الجعل فى هذه الآية بمعنى الخلق * وقوله ابتدعوها صفة لرهبانية وخصها بانها ابتدعت لان الرأفة والرحمة فى القلب لا تكسب للانسان فيها واما الرهبانية فهي افعال بدن مع شيء فى القلب ففيها موضع للتكسب ونحو هذا عن قتادة والمراد بالرأفة والرحمة حب بعضهم فى بعض وتوادهم والمراد بالرهبانية رفض النساء واتخاذ الصوامع والديارات والتفرد للعبادات وهذا هو ابتداعهم ولم يفرض الله ذلك عليهم لكنهم فعلوا ذلك ابتغاء رضوان الله هذا تاويل جماعة وقرأ ابن مسعود ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها وقال مجاهد المعنى كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله فالاستثناء على هذا متصل واختلف فى الضمير الذى فى قوله فما رعوها من المراد به فقال ابن زيد وغيره هو عائد على الذين ابتدعوا الرهبانية وفى هذا التاويل لزوم الاتمام لكل من بدأ بتطوع ونفل وانه يلزمه ان يرعاه حق رعيه وقال الضحاك وغيره الضمير للاخلاف الذين جاءوا بعد المبتدعين لها وروينا فى كتاب الترمذي عن كثير بن عبد الله المزني عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث اعلم قال ما اعلم يا رسول الله قال اعلم يا بلال قال ما اعلم يا رسول الله قال انه من احيا سنة من سنتى قد اميتت بعدى فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيأ ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضى الله ورسوله بها كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص

ذلك من اوزار الناس شيأ قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله وءامنوا برسوله قالت فرقة الخطاب بهذه الآية لاهل الكتاب ويؤيده الحديث الصحيح ثلاثة يوتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب ءامن بنبيه وءامن بي الحديث وقال ءاخرون الخطاب للمومنين من هذه الامة ومعنى ءامنوا برسوله اي اثبتوا على ذلك ودوموا عليه يوتكم كفلين اي نصيبين بالاضافة الى ما كان الامم قبل يعطونه قال ابو موسى كفلين ضعفين بلسان الحبشة والنور هنا اما ان يكون وعدا بالنور الذى يسعى بين الايدى يوم القيامة واما ان يكون استعارة للهدى الذى يمشى به فى طاعة الله * وقوله تعالى ليلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله الآية روي انه لما نزل هذا الوعد المتقدم للمومنين حسدهم اهل الكتاب على ذلك وكانت اليهود تعظم دينها وانفسها وتزعم انهم احباء الله واهل رضوانه فنزلت هذه الآية معلمة ان الله فعل ذلك واعلم به ليعلم اهل الكتاب انهم ليسوا كما يزعمون ولا فى قوله ليلا زائدة وقرأ ابن عباس والجحدري ليعلم اهل الكتاب وروى ابراهيم التيمي عن ابن عباس كي يعلم وُروي عن حطان الرقاشي انه قرأ لان يعلم * وقوله تعالى الا يقدرون معناه انهم لا يملكون فضل الله ولا يدخل تحت قُدَرهم وباقى الآية بين

تفسير سورة المجادلة وهي مدنية
الا ان النقاش حكى ان قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الآية مكي

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الآية اختلف الناس فى اسم هذه المرأة على اقوال واختصار ما رواه ابن عباس والجمهور ان اوس ابن الصامت الانصاري اخا عبادة بن الصامت ظاهر من امرأته خولة بنت خويلد وكان الظهار فى الجاهلية يوجب عندهم فرقة مؤبدة فلما فعل ذلك اوس جاءت زوجته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان اوسا اكل شبابي ونثرت له بطنى فلما كبرت ومات اهلي ظاهر منى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الاحرمت عليه فقالت يا رسول الله لاتفعل فانى وحيدة ليس لى اهل سواه فراجعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل مقالته فراجعته فهذا هو جدالها وكانت فى خلال جدالها تقول اللهم اليك اشكو حالى وانفرادى وفقرى وروي انها كانت تقول اللهم ان لى منه صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فهذا هو اشتكاؤها الى الله فنزلت الآية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فى اوس وامره بالتكفير فكفر بالاطعام وامسك اهله قال ابن العربي فى احكامه والاشبه فى اسم هذه المرأة انها خوله بنت ثعلبة امرأة اوس بن الصامت وعلى هذا اعتمد الفخر قال الفخر هذه الواقعة تدل على ان من انقطع رجاؤه من الخلق ولم يبق له فى مهمه احد الا الخالق كفاه الله ذلك المهم انتهى والمحاورة مراجعة القول ومعاطاته

وفى مصحف ابن مسعود تحاورك فى زوجها والظهار قول الرجل لامرأته انت علي كظهر امى يريد فى التحريم كانها اشارة الى الركوب اذ عرفه فى ظهور الحيوان وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك فرد الله بهذه الآيـة على فعلهم واخبر بالحقيقة من ان الام هي الوالدة واما الزوجة فلا يكون حكمها حكم الام وجعل الله سبحانـه القول بالظهار منكرا وزورا فهو محرم لكنه اذا وقع لزم هكذا قال فيه اهل العلم لكن تحريمه تحريم المكروهات جدا وقد رجى الله تعالى بعده بانه عفو غفور مع الكفارة * وقوله سبحانـه ثم يعودون الآية (ت) اختلف فى معنى العود والعود فى الموطإ العزم على الوطء والامساك معا وفى المدونة العزم على الوطء خاصة * وقوله تعالى من قبل ان يتماسا قال الجمهور وهذا عام فى نوع المسيس الوطء والمباشرة فلايجوز لمظاهر ان يطأ ولا ان يقبل او يلمس بيده او يفعل شيأ من هذا النوع الا بعد الكفارة وهذا قول مالك رحمه الله * وقوله تعالى ذلكم توعظون بـه اشارة الى التحذير اي فعل ذلك عظة لكم لتنتهوا عن الظهار * وقوله سبحانـه فمن لم يستطع قال الفخر الاستطاعة فوق الوسع والوسع فوق الطاقة فالاستطاعة هي ان يتمكن الانسان من الفعل على سبيل السهولة انتهى وفروع الظهار مستوفاة فى كتب الفقه فلا نطيل بذكرها * وقوله سبحانـه ذلك لتومنوا بالله ورسوله الآيـة اشارة الى الرخصة والتسهيل فى النقل من التحرير الى الصوم والاطعام ثم شدد سبحانـه بقوله وتلك حدود الله اي فلتزموها ثم توعد الكافرين بقوله وللكافرين عذاب اليم * وقوله سبحانـه ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا الآية نزلت فى قوم من المنافقين واليهود كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمومنين الدوائر ويتمنون فيهم المكروه ويتناجون بذلك وكبت الرجل اذا بقي خزيان يبصر ما يكره ولا يقدر على دفعه وقال قوم منهم ابو عبيدة اصله كبدوا اي اصابهم داء فى اكبادهم فابدلت

الدال تاء وهذا غير قوي والذين من قبلهم منافقو الامم الماضية ولفظ البخاري كبتوا احزنوا * وقوله تعالى وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله العامل فى يوم قوله مهين ويحتمل ان يكون فعلا مضمرا تقديره اذكر * وقوله تعالى الا هو رابعهم اي بعلمه واحاطته وقدرته وعبارة الثعلبي الا هو رابعهم يعلم ويسمع نجواهم يدل على ذلك افتتاح الآية وخاتمتها انتهى * وقوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون الآية قال ابن عباس نزلت فى اليهود والمنافقين واذا جاءوك حيوك هوقولهم السام عليكم يريدون الموت ثم كشف الله تعالى خبث طويتهم والحجة التى اليها يستروحون وذلك انهم كانوا يقولون لو كان محمد نبيئا لعذبنا بهذه الاقوال التى تسيئه وجهلوا ان امرهم مؤخر الى عذاب جهنم * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا تناجيتم الآية وصية منه سبحانه للمومنين ان لا يتناجوا بمكروه وذلك عام فى جميع الناس الى يوم القيامة * وقوله انما النجوى اي بالاثم من الشيطان وقرأ نافع واهل المدينة ليحزن بضم الياء وكسر الزاي والفعل مسند الى الشيطان وقرأ ابو عمرو وغيره ليحزن بفتح الياء وضم الزاي ثم اخبر تعالى ان الشيطان او التناجي الذى هو منه ليس بضار احدا الا ان يكون ضر باذن الله اي بامره وقدره ثم امر بتوكل المومنين عليه تبارك وتعالى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس الآية وقرأ عاصم فى المجالس قال زيد بن اسلم وقتادة هذه الآية نزلت بسبب تضايق الناس فى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يتنافسون فى القرب منه وسماع كلامه والنظر اليه فياتى الرجل الذى له الحق والسن والقدم فى الاسلام فلا يجد مكانا فنزلت بسبب ذلك وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقم احد من مجلسه ثم يجلس فيه الرجل ولكن تفسحوا يفسح الله لكم قال جمهور العلماء سبب نزول الآية مجلس النبي صلى الله

عليه وسلم ثم الحكم مطرد فى سائر المجالس التى هي للطاعات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم احبكم الى الله الينكم مناكب فى الصلاة وركبا فى المجالس وهذا قول مالك رحمه الله وقال ما ارى الحكم الا يطرد فى مجالس العلم ونحوها غابر الدهر قال (ع) فالسنة المندوب اليها هي التفسح والقيام منهي منه فى حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث نهى ان يقوم الرجل فيجلس الآخر مكانه (ت) وقد روى ابو داود فى سننه عن سعيد بن ابى الحسن قال جاءنا ابو بكرة فى شهادة فقام له رجل من مجلسه فابى ان يجلس فيه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ونهى ان يمسح الرجل يده بثوب من لم يكسه وروى ابو داود عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقام له رجل من مجلسه فذهب ليجلس فيه فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى قال (ع) فاما القيام اجلالا فجائز بالحديث وهو قوله عليه السلام حين اقبل سعد بن معاذ قوموا الى سيدكم وواجب على المعظم ان لا يحب ذلك وياخذ الناس به لقوله عليه السلام من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار (ت) وفى الاحتجاج بقضية سعد نظر لانها احتفت بها قرائن سوغت ذلك انظر السير وقد اطنب صاحب المدخل فى الانحاء والرد على المجيزين للقيام والسلامة عندى ترك القيام * وقوله تعالى يفسح الله لكم معناه فى رحمته وجنته (ص) يفسح مجزوم فى جواب الامر انتهى واذا قيل انشزوا معناه ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك ومن رياض الصالحين للنووي وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل للرجل ان يفرق بين اثنين الا باذنهما رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن وفى رواية لابى داود لا يجلس بين رجلين الا باذنهما وعن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من جلس وسط الحلقة رواه ابو داود باسناد حسن وروى الترمذي عن ابى

مجلز ان ر.بلا قعد وسط الحلقة فقال حذيفة ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم اولعن الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم من جلس وسط الحلقة قال الترمذي حديث حسن صحيح انتهى * وقوله سبحانه يرفع الله الذين ءامنوا منكم الآية قال جماعة المعنى يرفع الله المومنين العلماء درجات فلذلك امر بالتفسح من اجلهم وقال ءاخرون المعنى يرفع الله المومنين والعلماء الصنفين جميعا درجات لكنا نعلم تفاضلهم فى الدرجات من مواضع اخر فلذلك جاء الامر بالتفسح عاما للعلماء وغيرهم وقال ابن مسعود وغيره يرفع الله الذين ءامنوا منكم وهنا تم الكلام ثم ابتدأ بتخصيص العلماء بالدرجات ونصبهم باضمار فعل فللمومنين رفع على هذا التاويل وللعلماء درجات وعلى هذا التاويل قال مطرف بن عبد الله بن الشخير فضل العلم احب الي من فضل العبادة وخير دينكم الورع وروى البخاري وغيره عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكان منها طائفة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله عز وجل الذى ارسلت به انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجوا كم صدقة ذلك خير لكم واطهر روي عن ابن عباس وقتادة فى سببها ان قوما من شباب المومنين واغفالهم كثرت مناجاتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فى غير حاجة وكان صلى الله عليه وسلم سمحا لا يرد احدا فنزلت هذه الآية مشددة عليهم وقال مقاتل نزلت فى الاغنياء لانهم غلبوا الفقراء على مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم ومجالسته قال جماعة من

الرواه نسخت هذه الآية قبل العمل بها لكن استقر حكمها بالعزم عليه وصح عن علي انه قال ما عمل بها احد غيرى وانا كنت سبب الرخصة والتخفيف عن المسلمين قال ثم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هـذه العبادة قد شقت على الناس فقال لى يا علي كم ترى ان يكون حد هذه الصدقة اتراه دينارا قلت لا قال فنصف دينار قلت لا قال فكم قلت حبة من شعير قال انك لزهيد فانزل الله الرخصة يريد للواجدين واما من لم يجد فالرخصة له ثابتة بقوله فان لم تجدوا قال الفخر قوله عليه السلام لعلي انك لزهيد معناه انك قليل المال فقدرت على حسب حالك انتهى * وقوله سبحانه ءاشفقتم الآية الاشفاق هنا الفزع من العجز عن الشيء المتصدق به او من ذهاب المال فى الصدقة * وقوله فاقيموا الصلوة الآية المعنى دوموا على هذه الاعمال التى هي قواعد شرعكم ومن قال ان هـذه الصدقة منسوخة بـآية الزكاة فقوله ضعيف * وقوله تعالى الم تر الى الذين تولوا نزلت فى قوم من المنافقين تولوا قوما من اليهود وهم المغضوب عليهم قال الطبري ما هم منكم يريـد بـه المنافقين ولا منهم اي ولا من اليهود وهذا التاويل يجرى مع قوله تعالى مـذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كالشاة العائرة بين الغنمين وتحتمل الآية تاويلا آخر وهو ان يكون قوله ما هم يريـد بـه اليهود ولا منهم يريد به المنافقين ويحلفون يعنى المنافقين وقرأ الحسن اتخذوا ايمانهم بكسر الهمزة والجنة ما يتستر به ثم اخبر تعالى عن المنافقين فى هذه الآية انه ستكون لهم ايمان يوم القيامة بين يدي الله تعالى يخيل اليهم بجهلهم انها تنفعهم وتقبل منهم وهـذا هو حسابهم انهم على شيء اي على شيء نافع لهم * وقوله تعالى استحوذ عليهم الشيطان معناه تملكهم من كل جهة وغلب على نفوسهم وحكي ان عمر قرأ استحاذ ثم قضى تعالى على محاده بالذل وباقي الآية بين * وقوله سبحانه لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الآخر يوادون

من حاد الله ورسوله الآية نفت هذه الآية ان يوجد من يومن بالله حق الايمان ويلتزم شعبه على الكمال يواد كافرا اومنافقا وكتب فى قلوبهم الايمان معناه اثبته وخلقه بالايجاد * وقوله اولائك اشارة الى المومنين الذين يقتضيهم معنى الآية لان المعنى لكنك تجدهم لا يوادون من حاد الله * وقوله تعالى بروح منه معناه بهدى منه ونور وتوفيق الاهي ينقدح لهم من القرءان وكلام النبي صلى الله عليه وسلم والحزب الفريق وباقى الآية بين

تفسير سورة الحشر وهي مدنية باتفاق

وهي سورة بنى النضير وذلك انهم كانوا عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وهم يرون انه لا ترد له راية فلما كان شأن احد وما اكرم الله بـه المسلمين ارتابوا وداخلوا قريشا وغدروا فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد حاصرهم حتى اجلاهم عن ارضهم فارتحلوا الى بلاد مختلفة خيبر والشام وغير ذلك ثم كان امر بنى قريظة مرجعه من الاحزاب

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم الآية تقدم الكلام فى تسبيح الجمادات والذين كفروا من اهل الكتاب هم بنو النضير * وقوله لاول الحشر قال الحسن بن ابى الحسن وغيره يريد حشر القيامة اي هذا اوله والقيام من القبور ءاخره وقال عكرمة وغيره المعنى لاول موضع

الحشر وهو الشام وذلك ان اكثرهم جاء الى الشام وقد روي ان حشر القيامة هو الى بلاد الشام * وقوله سبحانه ما ظننتم ان يخرجوا يريد لمنعتهم وكثرة عددهم * وقوله تعالى يخربون بيوتهم بايـديهم وايدى المومنين اي كلما هـدم المسلمون من تحصينهم فى القتال هدموا هم من البيوت ليجبروا الحصن (ت) والحاصل انهم يخربون بيوتهم حسا ومعنى امـا حسا فواضح وامـا معنى فبسوء رأيهم وعاقبة ما اضمروا من خيانتهم وغدرهم ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء من الوطن لعذبهم فى الدنيا بالسبي والقتل قال البخاري والجلاء الاخراج من ارض الى ارض انتهى * وقوله تعالى ما قطعتم من لينة الآيـة سببهـا قول اليهود ما هذا الافساد يا محمد وانت تنهى عن الفساد فرد الله عليهم بهذه الآية قال ابن عباس وجماعة من اللغويين اللينة من النخيل ما لم يكن عجوة وقيل غير هـذا (ص) اصل لينـة لونة فقلبوا الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وجمعه لين كتمرة وتمر قال الاخفش واللينـة كانهـا لون مـن النخل اي ضرب منـه انتهى * وقوله عز وجل وما افاء الله على رسوله منهم الآية اعلام بان ما اخذ لبنى النضير ومن فـدك هـو خاص بالنبي صلى الله عليـه وسلم وليس على حكم الغنيمة التي يوجف عليها ويقاتـل فيهـا بـل على حكم خمس الغنائم وذلك ان بنى النضير لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال فاخذ منها صلى الله عليه وسلم قوت عياله وقسم سائرها فى المهاجرين وادخل معهم ابا دجانة وسهل بن حنيف من الانصار لانهما شكيا فقرا والايجاف سرعة السير والوجيف دون التقريب يقال وجف الفرس واوجفه الراكب * وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الآية اهل القرى فى هـذه الآية هم اهل الصفراء والينبوع ووادى القرى وما هنالك من قرى العرب وذلك انها فتحت فى ذلك الوقت من غير ايجاف واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع ذلك للمهاجرين ولم يحبس منها

لنفسه شيأ ولم يعط الانصار شيأ لغناهم والقربى فى الآية قرابته صلى الله عليه وسلم منعوا الصدقة فعوضوا من الفيء * وقوله سبحانه كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم مخاطبة للانصار لانه لم يكن فى المهاجرين فى ذلك الوقت غني والمعنى كي لا يتداول ذلك المال الاغنياء بتصرفاتهم ويبقى المساكين بلا شيء وقد مضى القول فى الغنائم فى سورة الانفال وروي ان قوما من الانصار تكلموا فى هذه القرى المفتتحة وقالوا لنا منها سهمنا فنزل قوله تعالى وما ءاتاكم الرسول فخذوه الآية فرضوا بذلك ثم اطرد بعد معنى الآية فى اوامر النبي صلى الله عليه وسلم ونواهيه حتى قال قوم ان الخمر محرمة فى كتاب الله بهذه الآية وانتزع منها ابن مسعود لعنة الواشمة الحديث (ت) وبهذا المعنى يحصل التعميم للاشياء فى قوله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شيء * وقوله تعالى للفقراء المهاجرين بيان لقوله والمساكين وابن السبيل وكرر لام الجر لما كانت الجملة الاولى مجرورة باللام ليبين ان البدل انما هو منها ثم وصفهم تعالى بالصفة التى تقتضى فقرهم وتوجب الشفقة عليهم وهي اخراجهم من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا يريد به الآخرة والجنة اولائك هم الصادقون اي فى الاقوال والافعال والنيات والذين تبوءوا الدار هم الانصار رضي الله عن جميعهم والضمير فى من قبلهم للمهاجرين والدار هي المدينة والمعنى تبوءوا الدار مع الايمان وبهذا الاقتران يتضح معنى قوله من قبلهم فتأمله قال (ص) والايمان منصوب بفعل مقدرٍ اي واعتقدوا الايمان فهو من عطف الجمل كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * انتهى وقيل غير هذا واثنى الله تعالى فى هذه الآية على الانصار بانهم يحبون المهاجرين وبانهم يوثرون على انفسهم وبانهم قد وقوا شح انفسهم (ت) وروى الترمذي عن انس قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه المهاجرون فقالوا يا رسول الله ما رأينا قوما ابذل لكثير ولا احسن مواساة فى قليل من

قوم نزلنا بين اظهرهم لقد كفونا المئونة واشركونا فى المهنة حتى لقد خفنا ان يذهبوا بالاجر كله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ما دعوتم الله لهم واثنيتم عليهم قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى والحاجة الحسد فى هذا الموضع قاله الحسن ثم يعم بعد وجوها وقال الثعلبي حاجة اي حزازة وقيل حسدا مما اوتوا اي مما اعطي المهاجرون من اموال بنى النضير والقرى انتهى * وقوله تعالى ويوثرون على انفسهم صفة للانصار وجاء الحديث الصحيح من غير ما طريق انها نزلت بسبب رجل من الانصار وصنيعه مع ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نوم صبيانه وقدم للضيف طعامه واطفأت اهله السراج واوهما الضيف انهما ياكلان معه وباتا طاويين فلما غدا الانصاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لقد عجب الله من فعلكما البارحة ونزلت الآية فى ذلك قال صاحب سلاح المومن الرجل الانصاري الذى اضاف هو ابو طلحة انتهى قال الترمذي الحكيم فى كتاب ختم الاولياء له حدثنا ابى قال حدثنا عبد الله بن عاصم الجمانى حدثنا صالح المري عن ابى سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بدلاء امتى لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة انما دخلوها بسلامة الصدور وسخاوة الانفس وحسن الخلق والرحمة بجميع المسلمين انتهى والايثار على النفس اكرم خلق قال ابو يزيد البسطامي قدم علينا شاب من بلخ حاجا فقال لى ماحد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ فقلت له فما هو عندكم فقال اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا آثرنا وروي ان سبب هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح هذه القرى قال للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم امسكتم اموالكم وتركتم لهم هذه الغنيمة فقالوا بل نقسم لهم من اموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة

فنزلت الآية والخصاصة الفاقة والحاجة وشح النفس هو كثرة طمعها وضبطها على المال والرغبة فيه وامتداد الامل هذا جماع شح النفس وهو داعية كل خلق سوء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادى الزكاة المفروضة وقرى الضيف واعطى فى النائبة فقد برئ من الشح والى هذا الذى قلناه ذهب الجمهور والعارفون بالكلام وقيل فى الشح غير هذا قال (ع) وشح النفس فقر لايذهبه غنى المال بل يزيده وينصب به ويوق من وقي يقي وقال الفخر اعلم ان الفرق بين الشح والبخل هو ان البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التى تقتضى ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لاجرم قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولائك هم المفلحون اي الظافرون بما ارادوا قال ابن زيد من لم ياخذ شيأ نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيأ امره الله تعالى باعطائه فقد وقي شح نفسه انتهى * وقوله تعالى والذين جاءو من بعدهم الآية قال جمهور العلماء اراد من يجيء من التابعين وغيرهم الى يوم القيامة وقال الفراء اراد الفرقة الثالثة من الصحابة وهي من آمن فى ءاخر مدة النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله يقولون حال فيها الفائدة والمعنى والذين جاءوا قائلين كذا وروت ام الدرداء وابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول دعوة المسلم لاخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لاخيه قال الملك الموكل به ءامين ولك مثله رواه مسلم انتهى قال (ع) ولهذه الآية قال مالك وغيره انه من كان له فى احد من الصحابة رأي سوء او بغض فلا حظ له فى فيئ المسلمين وقال عبد الله بن يزيد قال الحسن ادركت ثلاثمائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم سبعون بدريا كلهم يحدثنى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه فالجماعة الا تسبوا الصحابة ولا تماروا فى دين الله ولا تكفروا احدا من اهل التوحيد بذنب قال

عبد الله فلقيت ابا امامة وابا الدرداء وواثلة وانسا فكلهم يحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث الحسن والغل الحقد والاعتقاد الردي * وقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الآية نزلت فى عبد الله بن ابي ابن سلول ورفاعة بن التابوت وقوم من منافقى الانصار كانوا بعثوا الى بنى النضير وقالوا لهم اثبتوا فى معاقلكم فانا معكم كيفما تقلبت حالكم وكانوا فى ذلك كاذبين وانما ارادوا بذلك ان تقوى نفوسهم عسى ان يثبتوا حتى لا يقدر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فيتم مرادهم وجاءت الافعال غير مجزومة فى قوله لا يخرجون ولا ينصرونهم لانها راجعة الى حكم القسم لا الى حكم الشرط والضمير فى صدورهم يعود على اليهود والمنافقين والضمير فى قوله لا يقاتلونكم جميعا لبنى النضير وجميع اليهود هذا قول جماعة المفسرين ومعنى الآية لا يبرزون لحربكم وانما يقاتلون متحصنين بالقرى والجدران للرعب والرهب الكائن فى قلوبهم * وقوله تعالى بأسهم بينهم شديد اي فى غائلتهم واحنهم تحسبهم جميعا اي مجتمعين وقلوبهم شتى اي متفرقة قال (ع) وهذه حال الجماعة المتخاذلة وهي المغلوبة ابدا فى كل ما تحاول واللفظة ماخوذة من الشتات وهو التفرق ونحوه * وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم قال ابن عباس هم بنو قينقاع لان النبي صلى الله عليه وسلم اجلاهم عن المدينة قبل بنى النضير والوبال الشدة والمكروه وعاقبة السوء والعذاب الاليم هو فى الآخرة * وقوله سبحانه كمثل الشيطان معناه ان هاتين الفرقتين من المنافقين وبنى النضير كمثل الشيطان مع الانسان فالمنافقون مثلهم الشيطان وبنو النضير مثلهم الانسان وذهب مجاهد وجمهور من المتأولين الى ان الشيطان والانسان فى هذه الآية اسما جنس فكما ان الشيطان يغوى الانسان ثم يفر عنه بعد ان يورطه كذلك اغوى المنافقون بنى النضير وحرضوهم على الثبوت ووعدوهم النصر فلما نشب بنو النضير وكشفوا عن

وجوههم تركهم المنافقون فى اسوأ حال وذهب قوم من رواة القصص الى ان هذا فى شيطان مخصوص مع عابد مخصوص اسمه برصيصا استودع امرأة جملة وقيل سيقت اليه ليشفها بدعائه من الجنون فسول له الشيطان الوقوع عليها فحملت منه فخشي الفضيحة فسول له قتلها ودفنها ففعل ثم شهره فلما استخرجت المرأة وحمل العابد شر حمل وصلب جاءه الشيطان فقال له اسجد لى سجدة وانا اخلصك فسجد له فقال له الشيطان هذا الذى اردت منك ان كفرت بربك انى بريء منك فضرب الله تعالى هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين وهذا يحتاج الى صحة سند والتاويل الاول هو وجه الكلام (ت) قال السهيلي وقد ذكر هذه القصة هكذا القاضى اسماعيل وغيره من طريق سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر بن عبيد بن رفاعة الزرقي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان راهبا كان فى بنى اسرائيل فذكر القصة بكمالها ويقال ان اسم هذا الراهب برصيصا ولم يذكر اسمه القاضى اسماعيل انتهى قال (ع) وقول الشيطان انى اخاف الله رياء من قوله وليست على ذلك عقيدته ولا يعرف الله حق معرفته ولا يحجزه خوفه عن سوء يوقع فيه ابن ءادم من اول الى ءاخر فكان عاقبتهما يعنى الشيطان والانسان على ما تقدم من حملهما على الجنس او الخصوص * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد الآية هذه ءاية وعظ وتذكير وتقريب للآخرة وتحذير ممن لا تخفى عليه خافية وقوله تعالى لغد يريد يوم القيامة والذين نسوا الله هم الكفار والمعنى تركوا الله وغفلوا عنه حتى كانوا كالناسين فعاقبهم بان جعلهم ينسون انفسهم وهذا هو الجزاء على الذنب بالذنب قال سفيان المعنى حظ انفسهم ويعطى لفظ الآية ان من عرف نفسه ولم ينسها عرف ربه تعالى وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اعرف نفسك تعرف ربك وروي عنه ايضا انه قال من لم يعرف نفسه لم

يعرف ربه * وقوله سبحانه لو انزلنا هـذا القرءان على جبل الآيـة موعظـة للانسان وذم لاخلاقـه واعراضه وغفلته عن تـدبر كلام خالقه واذا كان الجبل على عظمه وقوته لوا نزل عليه القرءان وفهم منه ما فهمه الانسان لخشع واستكان وتصدع خشية لله تعالى فالانسان على حقارته وضعفـه اولى بذلك وضرب الله سبحانه هذا المثل ليتفكر فيه العاقل ويخشع ويلين قلبه * وقوله سبحانه هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة الآية لما قال تعالى من خشية الله جاء بالاوصاف العلية التى توجب لمخلوقاته هذه الخشية وقرأ الجمهور القدوس بضم القاف من تقدس اذا تطهر وتنزه * وقوله السلام اي ذو السلام لان الايمان به وتوحيده وافعاله هي لمن آمن سلام كلها والمومن اسم فاعل من آمن بمعنى امن من الامن وقيل معناه المصدق عباده المومنين والمهيمن معناه الحفيظ والامين قاله ابن عباس والجبار هو الذى لا يدانيه شيء ولا تلحق رتبته قال الفخر وفى اسمـه تعالى الجبار وجوه احدها انه فعال من جبر اذا اغنى الفقير وجبر الكسير والثانى ان يكون الجبار من جبره اذا اكرهه قال الازهري وهي لغة تميم وكثير من الحجازيين يقولونها بغير الف فى الاكراه وكان الشافعي رحمه الله يقول جبره السلطان على كذا بغير الف وجعل الفراء الجبار بهـذا المعنى من اجبر بالالف وهي اللغة المعروفة فى الاكراه انتهى والمتكبر معناه الذى له التكبر حقا والبارئ بمعنى الخالق والمصور هو الذى يوجد الصور وباقى الآية بين وروى معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث ءايات من آخر سورة الحشر وكل الله بـه سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب انتهى

تفسير سورة الممتحنة وهي مدنية باجماع

* بسم الله الرحمـن الرحيم *

قوله عز وجل يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء الآية المراد بالعدو هاهنا كفار قريش وسبب نزول هذه الآية حاطب بن ابى بلتعة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى مكة عام الحديبية (ت) بل عامَ فتح مكة فكتب حاطب الى قوم من كفار مكة يخبرهم بقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك منه ارتدادا فنزل الوحي مخبرا بما صنع حاطب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا والزبير وثالثا قيل هو المقداد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينـة معها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها فانطلقوا حتى وجدوا المرأة فقالوا لها اخرجى الكتاب فقالت ما معى كتاب ففتشوا رحلها فما وجدوا شيأ فقال علي ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذب والله لتخرجن الكتاب اولتلقين الثياب فقالت اعرضوا عنى فخلته من قرون رأسها فجاءوا بـه النبي صلى الله عليـه وسلم فقال لحاطب من كتب هذا فقال انا يا رسول الله فقال ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله لا تعجل علي فوالله مـا كفرت منذ اسلمت ومـا فعلت ذلك ارتدادا عن دينى ولا رغبة عنه ولكن لم يكـن احد من المهاجرين الا وله بمكـة مـن يمنع عشيرته وكنت امرءا ملصقا فيهم واهلى بـين ظهرانيهم فخشيت عليهم فاردت ان اتخذ عندهم يدا فصدقـه النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا تقولوا لحاطب الاخيرا وروي ان حاطبا كتب ان رسول الله صلى الله عليـه وسلم يريـد غزوكم

فى مثل الليل والسيل واقسم بالله لو غزاكم وحده لنصر عليكم فكيف وهو فى جمع كثير (ص) وتلقون مفعوله محذوف اي تلقون اليهم اخبار الرسول واسراره وبالمودة الباء للسبب انتهى * وقوله تعالى ان تومنوا مفعول من اجله اي اخرجوكم من اجل ان آمنتم بربكم * وقوله تعالى ان كنتم شرط جوابه متقدم فى معنى ما قبله وجاز ذلك لما لم يظهر عمل الشرط والتقدير ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى فلا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء وجهادا منصوب على المصدر وكذلك ابتغاء ويجوز ان يكون ذلك مفعولا من اجله والمرضاة مصدر كالرضى وتسرون حال من تلقون ويجوز ان يكون فى موضع خبر ابتداء كانه قال انتم تسرون ويصح ان يكون فعلا ابتدئ به القول * وقوله تعالى اعلم يحتمل ان يكون افعل ويحتمل ان يكون فعلا لانك تقول علمت بكذا فتدخل الباء (ص) والظاهر انه افعل تفضيل ولذلك عدي بالباء انتهى وسواء يجوز ان يكون مفعولا بضل على تعدى ضل ويجوز ان يكون ظرفا على غير التعدى لانه يجيء بالوجهين والاول احسن فى المعنى والسواء الوسط والسبيل هنا شرع الله وطريق دينه * وقوله سبحانه ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء الآية اخبر تعالى ان مداراة هؤلاء الكفرة غير نافعة فى الدنيا وانها ضارة فى الآخرة ليبين فساد رأي مصانعهم فقال ان يثقفوكم اي ان يتمكنوا منكم وتحصلوا فى ثقافهم ظهرت عداوتهم وانبسطت اليكم ايديهم بضرركم وقتلكم وانبسطت السنتهم بسبكم واشد من هذا كله انما يقنعهم ان تكفروا وهذا هو ودهم ثم اخبر تعالى ان هذه الارحام التى رغبتم فى وصلها ليست بنافعة يوم القيامة فالعامل فى يوم قوله تنفعكم وقيل العامل فيه يفصل وهو مما بعده لا مما قبله وعبارة الثعلبي لن تنفعكم ارحامكم اي قرابتكم منهم ولا اولادكم الذين عندهم بمكة يوم القيامة اذا عصيتم الله من اجلهم يفصل بينكم فيدخل

المومنون الجنة والكافرون النار انتهى (ت) وهذه الآية تنظر الى قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الآيـة واعلم ان المال والسبب النافع يوم القيامة ما كان لله وقصد به العون على طاعة الله والا فهو على صاحبه وبال وطول حساب قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن الحارث يحدث عن ابي كثير عن عبد الله بن عمرو بن العاصى انه سمعه يقول ويجمعون يعنى ليوم القيامة فيقال اين فقراء هذه الامة ومساكينها فيبرزون فيقال ما عندكم فيقولون يا ربنا ابتلينا فصبرنا وانت اعلم احسبه قال ووليت الاموال والسلطان غيرنا فيقال صدقتم فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان وتبقى شدة الحساب على ذوى السلطان والاموال قال قلت فاين المومنون يومئذ قال توضع لهم كراسي من نور ويظلل عليهم الغمام ويكون ذلك اليوم اقصر عليهم من ساعة من نهار انتهى وفى قوله تعالى والله بما تعملون بصير وعيد وتحذير * وقوله تعالى قد كانت لكم اسوة اي قدوة فى ابراهيم الخليل والذين معه قيل من آمن بـه من الناس وقال الطبري وغيره الذين معه هم الانبياء المعاصرون له اوقريبا من عصره قال (ع) وهـذا ارجح لانـه لم يرو ان لابراهيم اتباعا مومنين فى وقت مكافحته نمرودا وفى البخاري انـه قال لسارة حين رحل بها الى الشام مهاجرا من بلد النمرود ما على الارض من يعبد الله غيرى وغيرك وهذه الاسوة مقيدة فى التبرى من المشركين واشراكهم وهو مطرد فى كل ملة وفى نبينا عليه السلام اسوة حسنة على الاطلاق فى العقائد وفى احكام الشرع كلها * وقوله كفرنا بكم اي كذبناكم فى عبادتكم الاصنام * وقوله الا قول ابراهيم لابيه يعنى تاسوا بابراهيم الا فى استغفاره لابيه فلا تتأسوا به فتستغفروا للمشركين لان استغفاره انما كان عن موعدة وعدها اياه وهذا تاويل قتادة ومجاهد وعطاء الخراساني وغيرهم * وقوله ربنا عليك توكلنا

الى قوله انك انت العزيز الحكيم هو حكاية عن قول ابراهيم والذين معه وهـذه الالفاظ بينة مما تقدم فى اي القران * وقوله ربنا لا تجعلنا فتنة قيل المعنى لا تغلبهم علينا فنكون لهم فتنة وسبب ضلالة نحا هذا المنحى قتادة وابو مجلز وقد تقدم مستوفى فى سورة يونس وقال ابن عباس المعنى لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن اديانــنا فكانه قال لا تجعلنا مفتونين فعبر عن ذلك بالمصدر وهـذا ارجح الاقوال لانهم انما دعوا لانفسهم وعلى منحى قتادة انما دعوا للكفار اما ان مقصدهم انما هو ان يندفع عنهم ظهور الكفار الذى بسببه فتن الكفار فجاء فى المعنى تحليق بليغ * وقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اي فى ابراهيم والذين معه وباقى الاية بين وروي ان هذه الآيات لما نزلت وعزم المومنون على امتثالها وصرم حبال الكفرة لحقهم تأسف وهم من اجل قراباتهم اذ لم يومنوا ولم يهتدوا حتى يكون بينهم التوادد والتواصل فنزلت عسى الله الآيـة مونسة فى ذلك ومرجية ان يقع فوقع ذلك باسلامهم فى الفتح وصار الجميع اخوانا وعسى من الله واجبة الوقوع (ت) قد تقدم تحقيق القول فى عسى فى سورة القصص فاغنى عن اعادته * وقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم الآية اختلف فى هؤلاء الذين لم ينه عنهم ان يبروا فقيل اراد المومنين التاركين للهجرة وقيل خزاعـة وقبائـل من العرب كانوا مظاهرين للنبي صلى الله عليه وسلم ومحبين لظهوره وقيل اراد النساء والصبيان من الكفرة وقيل اراد من كفار قريش من لم يقاتل ولا اخرج ولم يظهر سوءا وعلى انها فى الكفار فالآية منسوخة بالقتال والذين قاتلوا فى الدين واخرجوهم هم مردة قريش * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات الآية نزلت اثر صلح الحديبية وذلك ان ذلك الصلح تضمن ان من اتى مسلما من اهل مكة رد اليهم سواء كان رجلا او امرأة فنقض الله تعالى من ذلك امر النساء بهـذه الآية وحكم بان

المهاجرة المومنة لا ترد الى دار الكفر وامتحنوهن معناه جربوهن واستخبروا حقيقة ما عندهن * وقوله تعالى الله اعلم بايمانهن اشارة الى الاسترابة ببعضهن (ت) وقوله تعالى فان علمتموهن مومنات الآية العلم هنا بمعنى الظن وذكر الله تعالى العلة فى ان لا يرد النساء الى الكفار وهو امتناع الوطء وحرمته * وقوله تعالى وءاتوهم ما انفقوا الآية امر بان يوتى الكفار مهور نسائهم التى هاجرن مومنات ورفع سبحانه الجناح فى ان يتزوجن بصدقات هي اجورهن وامر المسلمين بفراق الكافرات وان لا يتمسكوا بعصمهن فقيل الآية فى عابدات الاوثان ومن لا يجوز نكاحها ابتداء وقيل هي عامة نسخ منها نساء اهل الكتاب والعصم جمع عصمة وهي اسباب الصحبة والبقاء فى الزوجية وامر تعالى ان يسئل ايضا المومنون ما انفقوا فروي عن ابن شهاب ان قريشا لما بلغهم هذا الحكم قالوا نحن لا نرضى بهذا الحكم ولا نلتزمه ولا ندفع لاحد صداقا فنزلت بسبب ذلك هذه الآية الاخرى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار الآية فامر الله تعالى المومنين ان يدفعوا الى من فرت زوجته ففاتت بنفسها الى الكفار صداقه الذى انفق واختلف من اي مال يدفع اليه الصداق فقال ابن شهاب يدفع اليه من الصدقات التى كانت تدفع الى الكفار بسبب من هاجر من ازواجهم وازال الله دفعها اليهم حين لم يرضوا حكمه قال (ع) وهذا قول صحيح يقتضيه قوله فعاقبتم وقال قتادة وغيره يدفع اليه من مغانم المغازى وقال هؤلاء التعقيب هو الغزو والمغنم وقال ابن شهاب ايضا يدفع اليه من اي وجوه الفيء امكن والمعاقبة فى هذه الآية ليست بمعنى مجازاة السوء بسوء قال الثعلبي وقرأ مجاهد فاعقبتم وقال المعنى صنعتم بهم كما صنعوا بكم انتهى قال (ع) اي وذلك بان يفوت اليكم شيء من ازواجهم وهكذا هو التعاقب على الجمل والدواب ان يركب هذا عقبة وهذا عقبة ويقال عاقب الرجل صاحبه فى كذا

اي جاء فعل كل واحد منهما بعقب فعل الآخر وهذه الآية كلها قد ارتفع حكمها * وقوله عز وجل يا ايها النبيء اذا جاءك المومنات يبايعنك الآية هذه بيعة النساء فى ثاني يوم الفتح على الصفا وهي كانت فى المعنى بيعة الرجال قبل فرض القتال (ت) وخرج البخاري بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر اليه من المومنات بهذه الآية يا ايها النبيء اذا جاءك المومنات يبايعنك الآية وكذا روى البخاري من طريق ابن عباس انه عليه السلام تلا عليهن الآية يوم الفطر عقب الصلاة ونحوه عن ام عطية فى البخاري وقرأ عليهن الآية ايضا فى ثاني يوم فتح مكة وكلام (ع) يوهم ان الآية نزلت فى بيعة النساء يوم الفتح وليس كذلك وانما يريد انه اعاد الآية على من لم يبايعه من اهل مكة لقرب عهدهم بالاسلام والله اعلم والاتيان بالبهتان قال اكثر المفسرين معناه ان تنسب الى زوجها ولدا ليس منه قال (ع) واللفظ اعم من هذا التخصيص * وقوله تعالى ولا يعصينك فى معروف يعم جميع اوامر الشريعة فرضها وندبها وفى الحديث ان جماعة نسوة قلن يا رسول الله نبايعك على كذا وكذا الآية فلما فرغن قال صلى الله عليه وسلم فيما استطعتن واطقتن فقلنا الله ورسوله ارحم بنا منا لانفسنا * وقوله تعالى فبايعهن اي امض لهن صفقة الايمان بان يعطين ذلك من انفسهن ويعطين عليه الجنة واختلف فى هيئة مبايعته صلى الله عليه وسلم النساء بعد الاجماع على انه لم تمس يده يد امرأة اجنبية قط والمروي عن عائشة وغيرها انه بايع باللسان قولا وقال انما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة * وقوما غضب الله عليهم هم اليهود فى قول ابن زيد وغيره ويأسهم من الآخرة هو يأسهم من نعيمها مع التصديق بها وقال ابن عباس قوما غضب الله عليهم فى هذه الآية كفار قريش * وقوله كما يئس الكفار من اصحاب القبور على هذا التاويل هو على ظاهره فى

اعتقاد الكفرة اذا مات لهم حميم قالوا هذا ءاخر العهد به لا يبعث ابدا

تفسير سورة الصف وهي مدنية في قول الجمهور وقيل مكية

والاول اصح لان معاني السورة تعضده ويشبه ان يكون فيها المكي والمدني

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم قد تقدم تفسيره واختلف فى السبب الذى نزلت فيه يا ايها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون فقال ابن عباس وغيره نزلت بسبب قوم قالوا لو علمنا احب العمل الى الله تعالى لسارعنا اليه ففرض الله الجهاد واعلمهم بفضله وانه يحب المقاتلين فى سبيله كالبنيان المرصوص فكرهه قوم منهم وفروا يوم الغزو فعاتبهم الله تعالى بهذه الآية وقال قتادة والضحاك نزلت بسبب جماعة من شباب المسلمين كانوا يتحدثون عن انفسم فى الغزو بما لم يفعلوا قال (ع) وحكم هذه الآية باق غابر الدهر وكل من يقول ما لا يفعل فهو ممقوت الكلام والقول الاول يترجح بما ياتى من امر الجهاد والقتال والمقت البغض من اجل ذنب اوريبة اودناءة يصنعها الممقوت وقول المرء ما لا يفعل موجب مقت الله تعالى ولذلك فر كثير من العلماء عن الوعظ والتذكير وءاثروا السكوت (ت) وهذا بحسب فقه الحال ان وجد الانسان من يكفيه هذه المئونة فى وقته فقد يسعه السكوت والافلا يسعه قال الباجي فى سنن الصالحين له قال الاصمعي بلغنى ان بعض

الحكماء كان يقول انى لاعظكم وانى لكثير الذنوب ولو ان احدا لا يعظ اخاه حتى يحكم امر نفسه لترك الامر بالخير واقتصر على الشر ولكن محادثة الاخوان حياة القلوب وجلاء النفوس وتذكير من النسيان وقال ابو حازم انى لاعظ الناس وما انا بموضع للوعظ ولكن اريد به نفسي وقال الحسن لمطرف عظ اصحابك فقال انى اخاف ان اقول ما لا افعل فقال رحمك الله واينا يفعل ما يقول ود الشيطان انه لو ظفر منكم بهذه فلم يامر احد منكم بمعروف ولم ينه عن منكر انتهى * وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله الآية قال معاذ بن جبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل من نفسه صادقا ثم مات او قتل فان له اجر شهيد مختصر رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه واللفظ لابى داود وقال الترمذي هذا حديث صحيح انتهى من السلاح ثم ذكر تعالى مقالة موسى وذلك ضرب مثل للمومنين ليحذروا ما وقع فيه هؤلاء من العصيان وقول الباطل * وقوله لم توذوننى اي بتعنيتكم وعصيانكم واقتراحاتكم واسند الزيغ اليهم لكونه فعل حطيطة وهذا بخلاف قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا فاسند التوبة اليه سبحانه لكونها فعل رفعة وزاغ معناه مال وصار عرفها فى الميل عن الحق وازاغ الله قلوبهم معناه طبع عليها وكثر ميلها عن الحق وهذه هي العقوبة على الذنب بالذنب * وقوله ومبشرا برسول ياتى من بعدي اسمه احمد قال عياض فى الشفا سمى الله تعالى نبيه فى كتابه محمدا واحمد فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل من كثرة الحمد وسمى امته فى كتب انبيائه بالحمادين ثم فى هذين الاسمين من عجائب خصائصه سبحانه وبدائع اياته انه سبحانه حمى ان يتسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذى اتى فى الكتب وبشرت به الانبياء فمنع سبحانه ان يتسمى به احد غيره حتى لا يدخل بذلك

لبس على ضعيف القلب وكذلك محمد ايضا لم يتسم بـه احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو وهم محمد بن احيحة الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان باليمن ويقولون بل محمد بن اليحمد من الازد ومحمد بن سوادة منهم لا سابع لهم ولم يدع احد من هؤلاء النبوءة او يظهر عليه سبب يشكك الناس انتهى وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسموا اولادكم محمدا ثم تلعنونهم رواه الحاكم فى المستدرك انتهى من السلاح * وقوله سبحانه فلما جاءهم بالبينات الآية يحتمل ان يريد عيسى ويحتمل ان يريد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه تقدم ذكره (ت) والاول اظهر * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم الآية ندب وحض على الجهاد بهذه التجارة التى بينها سبحانه وهي ان يبذل المرء نفسه وماله وياخذ ثمنا جنة الخلد وقرأ ابن عامر وحده تنجيكم بفتح النون وشد الجيم * وقوله تومنون معناه الامر اي ءامنوا قال الاخفش ولذلك جاء يغفر مجزوما وفى مصحف ابن مسعود ءامنوا بالله ورسوله وجاهدوا * وقوله ذلكم اشارة الى الجهاد والايمان وخير هنا يحتمل ان يكون للتفضيل فالمعنى من كل عمل ويحتمل ان يكون اخبارا ان هذا خير فى ذاته ومساكن عطف على جنات وطيب المساكن سعتها وجمالها وقيل طيبها المعرفة بدوام امرها * وقوله سبحانه واخرى تحبونها الآية قال الاخفش واخرى هي فى موضع خفض عطفا على تجارة وهذا قلق وقد رده الناس لان هذه الاخرى ليست مما دل عليه سبحانه انما هي مما اعطى ثمنا وجزاء على الايمان والجهاد بالنفس والمال وقال الفراء واخرى فى موضع رفع وقيل فى موضع نصب باضمار فعل تقديره ويدخلكم جنات ويمنحكم اخرى وهي النصر والفتح القريب وقصة

عيسى مع بني اسرائيل قد تقدمت * وقوله تعالى فايدنا الذين ءامنوا على عدوهم قيل ذلك قبل محمد عليه السلام وبعد فترة من رفع عيسى رد الله الكرة لمن آمن بـه فغلبوا الكافرين الذين قتلوا صاحبه الذى القي عليه الشبه وقيل المعنى فاصبحوا ظاهرين بالحجة

تفسير سورة الجمعة وهي مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض تقدم القول فى مثل الفاظ الآيـة والمراد بالاميين جميع العرب واختلف فى المعنين بقوله تعالى وءاخرين منهم فقال ابو هريرة وغيره اراد فارس وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآخرون فاخـذ بيـد سلمان وقال لو كان الدين فى الثريا لناله رجال من هؤلاء خرجه مسلم والبخاري وقال ابن زيـد ومجاهـد والضحاك وغيرهم اراد جميع طوائف النـاس فقوله منهم على هذين القولين انما يريد فى البشرية والايمان وقال مجاهـد ايضا وغيره اراد التابعين من ابنـاء العرب فقوله منهـم يريـد فى النسب والايمان * وقوله لما يلحقوا نفي لما قرب من الحال والمعنى انهم مزمعون ان يلحقوا فهي لم زيدت عليها ما تاكـيـدا * والذين حملوا التوراة هم بنو اسرائيل الاحبار المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم وحملوا معنـاه كلفوا القيام باوامرها ونواهيها فهذا كما حمل الانسان الامانة وذكر تعالى انهم لم يحملوها اي لم يطيعوا امرها ويقفوا عند حدودها حين كذبوا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم

والتوراة تنطق بنبوته فكان كل حبر لم ينتفع بما حمل كمثل حمار عليه اسفار وفى مصحف ابن مسعود كمثل حمار بغير تعريف والسفر الكتاب المجتمع الاوراق منضدة * وقوله بيس مثل القوم التقدير بيس المثل مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله (ص) ورد بان فيه حذف الفاعل ولا يجوز والظاهر ان مثل القوم فاعل بيس والذين كذبوا هو المخصوص بالذم على حذف مضاف اي مثل الذين كذبوا انتهى * وقوله سبحانه قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم الآية روي انها نزلت بسبب ان يهود المدينة لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا يهود خيبر فى امره وذكروا لهم نبوته وقالوا ان رأيتم اتباعه اطعناكم وان رأيتم خلافه خالفناه معكم فجاءهم جواب اهل خيبر يقولون نحن ابناء ابراهيم خليل الرحمن وابناء عزير بن الله ومنا الانبياء ومتى كانت النبوة فى العرب نحن احق بالنبوة من محمد ولا سبيل الى اتباعه فنزلت الآية بمعنى انكم اذا كنتم من الله بهذه المنزلة فقربه وفراق هذه الحياة الخسيسة احب اليكم فتمنوا الموت ان كنتم تعتقدون فى انفسكم هذه المنزلة ثم اخبر تعالى انهم لا يتمنونه ابدا لعلمهم بسوء حالهم وروى كثير من المفسرين ان الله جلت قدرته جعل هذه الآية معجزة لمحمد نبيه فيهم فهي ءاية باهرة واعلمه انه ان تمنى احد منهم الموت فى ايام معدودات مات وفارق الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمنوا الموت على جهة التعجيز واظهار الآية فما تمناه احد منهم خوفا من الموت وثقة بصدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا اذا نودي للصلوة الآية النداء هو الاذان وكان على الجدار فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى مصنف ابى داود كان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر اذان ثم زاد عثمان النداء على الزوراء ليسمع الناس (ت) وفى البخاري والترمذي وصححه عن السائب بن يزيد

قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر فلما تولى عثمان وكثر الناس زاد الاذان الثالث فاذن به على الزوراء فثبت الامر على ذلك قيل فقوله الثالث يقتضى انهم كانوا ثلاثة وفى طريق آخر الثانى بدل الثالث وهو يقتضى انهما اثنان انتهى وخرج مسلم عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اغتسل ثم اتى الجمعة فصلى ما قدر له ثم انصت للامام حتى يفرغ من خطبته ثم يصلى معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام انتهى وخرجه البخاري من طريق سلمان * وقوله من يوم الجمعة قال ابن هشام من مرادفة فى انتهى * وقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله الآية السعي فى الآية لا يراد به الاسراع فى المشي وانما هو بمعنى قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فالسعي هو بالنية والارادة والعمل من وضوء وغسل ومشي ولبس ثوب كل ذلك سعي وقد قال مالك وغيره انما توتى الصلاة بالسكينة (ت) وهو نص الحديث الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فلا تاتوها وانتم تسعون واتوها وعليكم السكينة (ت) والظاهر ان المراد بالسعي هنا المضي الى الجمعة كما فسره الثعلبي ويدل على ذلك اطلاق العلماء لفظ الوجوب عليه فيقولون السعي الى الجمعة واجب ويدل على ذلك قراءة عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وجماعة من التابعين فامضوا الى ذكر الله وقال ابن مسعود لو قرأت فاسعوا لاسرعت حتى يقع رداءى وقال العراقي فاسعوا معناه بادروا انتهى وقوله الى ذكر الله هو وعظ الخطبة قاله ابن المسيب ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر الحديث خرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم والخطبة عند

الجمهور شرط فى انعقاد الجمعة وعن ابى موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبعث الايام يوم القيامة على هيئتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة اهلها يحفون بها كالعروس تهدى الى كريمها تضيء لهم يمشون فى ضوئها الوانهم كالثلج بياضا وريحهم يسطع كالمسك يخوضون فى جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان ما يطرفون تعجبا يدخلون الجنة لا يخالطهم الا المؤذنون المحتسبون خرجه القاضى الشريف ابو الحسن علي بن عبد الله بن ابراهيم الهاشمي قال صاحب التذكرة واسناده صحيح انتهى * وقوله سبحانه ذلكم اشارة الى السعي وترك البيع * وقوله فانتشروا اجمع الناس على ان مقتضى هذا الامر الاباحة وكذلك قوله وابتغوا من فضل الله انه الاباحة فى طلب المعاش مثل قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا الا ما روي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك الفضل المبتغى هو عيادة مريض اوصلة صديق او اتباع جنازة قال (ع) وفى هذا ينبغى ان يكون المرء بقية يوم الجمعة ونحوه عن جعفر بن محمد وقال مكحول الفضل المبتغى العلم فينبغى ان يطلب اثر الجمعة * وقوله تعالى واذكروا الله كثيرا الآية قال معاذ بن جبل ما شيء انجى من عذاب الله من ذكر الله رواه الترمذي واللفظ له وابن ماجه والحاكم فى المستدرك وقل صحيح الاسناد انتهى من السلاح * وقوله سبحانه واذا رأوا تجارة اولهوا الآية نزلت بسبب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائما على المنبر يخطب يوم الجمعة فاقبلت عير من الشام تحمل ميرة وصاحب امرها دحية بن خليفة الكلبي قال مجاهد وكان من عرفهم ان تدخل عير المدينة بالطبل والمعازف والصياح سرورا بها فدخلت العير بمثل ذلك فانفض اهل المسجد الى رؤية ذلك وسماعه وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر ولم يبق معه غير اثنيى عشر رجلا قال جابر بن عبد الله انا احدهم قال

(ع) ولم تمر بي تسميتهم في ديوان فيما اذكر الآن الا اني سمعت ابي رحمه الله يقول هم العشرة المشهود لهم بالجنة واختلف في الحادي عشر فقيل عمار بن ياسر وقيل ابن مسعود (ت) وفي تقييد ابي الحسن الصغير والاثنا عشر الباقون هم الصحابة العشرة والحادي عشر بلال واختلف في الثاني عشر فقيل عمار بن ياسر وقيل ابن مسعود انتهى قال السهيلي وجاءت تسمية الاثني عشر في حديث مرسل رواه اسد بن عمرو والد موسى بن اسد وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا ابو بكر وعمر وعثمان حتى العشرة وقال وبلال وابن مسعود وفي رواية عمار بدل ابن مسعود وفي مراسيل ابي داود ذكر السبب الذي من اجله ترخصوا فقال ان الخطبة يوم الجمعة كانت بعد الصلاة فتأولوا رضي الله عنهم انهم قد قضوا ما عليهم فحولت الخطبة بعد ذلك قبل الصلاة فهذا الحديث وان كان مرسلا فالظن الجميل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحا والله اعلم انتهى وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة سومت على المنفضين من السماء وفي حديث آخر والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى احد لسال بكم الوادي نارا قال البخاري انفضوا معناه تفرقوا انتهى وقرأ ابن مسعود ومن التجارة للذين اتقوا والله خير الرازقين وانما اعاد الضمير في قوله اليها على التجارة وحدها لانها اهم وهي كانت سبب اللهو (ص) وقرئ اليهما بالتثنية

تفسير سورة اذا جاءك المنافقون

وهي مدنية باجماع

ونزلت فى غزوة بنى المصطلق بسبب ان ابن ابي ابن سلول كانت له فى تلك الغزوة اقوال منكرة وسياتى بيان ذلك ان شاء الله

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الآية فضح الله سرائر المنافقين بهذه الآية وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم نشهد انك لرسول الله وهم فى اخبارهم هذا كاذبون لان حقيقة الكذب ان يخبر الانسان بضد ما فى قلبه وهذه كانت حالهم وقرأ الناس ايمانهم جمع يمين وقرأ الحسن ايمانهم بكسر الهمزة والجنة ما يتستر به فى الاجرام والمعانى * وقوله ذلك اشارة الى فعل الله بهم فى فضحهم وتوبيخهم ويحتمل ان تكون الاشارة الى سوء ما عملوا فالمعنى ساء عملهم بان كفروا بعد ايمان * وقوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم هذا توبيخ لهم اذ كان منظرهم يروق جمالا وقولهم يخلب بيانا لكنهم كالخشب المسندة اذ لا افهام لهم نافعة وكان عبد الله بن ابي ابن سلول من ابهى المنافقين واطولهم ويدل على ذلك انه لم يوجد قميص يكسو العباس غير قميصه قال الثعلبي تعجبك اجسامهم لاستواء خلقها وطول قامتها وحسن صورتها قال ابن عباس وكان عبد الله بن ابي جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله

عليه وسلم قوله ووصفهم الله تعالى بتمام الصورة وحسن الابانة ثم شبههم بالخشب المسندة الى الحائط لا يسمعون ولا يعقلون اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام انتهى * وقوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هذا ايضا فضح لما كانوا يسرونه من الخوف وذلك انهم كانوا يتوقعون ان يامر النبي صلى الله عليه وسلم عن الله بقتلهم قال مقاتل فكانوا متى سمعوا نشد ان ضالة اوصياحا باي وجه او اخبروا بنزول وحي طارت عقولهم حتى يسكن ذلك ويكون فى غير شأنهم ثم اخبر تعالى بانهم هم العدو وحذر منهم * وقوله تعالى قاتلهم الله دعاء يتضمن الاقصاء والمنابذة لهم وانى يوفكون معناه كيف يصرفون * وقوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله الآية سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا بنى المصطلق فازدحم اجير لعمر بن الخطاب يقال له جهجاه مع سنان بن وبرة الجهني حليف للانصار على الماء فكسع جهجاه سنانا فتثاوروا ودعا جهجاه يا للمهاجرين ودعا سنان يا للانصار فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية فلما اخبر بالقصة قال دعوها فانها منتنة فقال عبد الله بن ابي اوقد فعلوها والله ما مثلنا ومثل جلابيب قريش الا كما قال الاول سمن كلبك ياكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم قال لمن معه من المنافقين انما يقيم هؤلاء المهاجرون مع محمد بسبب معونتكم لهم ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا فسمعها منه زيد بن ارقم فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي عند رجال من الانصار فبلغه ذلك فجاء وحلف ما قال ذلك وحلف معه قوم من المنافقين وكذبوا زيدا فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فبقي زيد فى منزله لا يتصرف حياء من الناس فنزلت هذه السورة عند ذلك فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى زيد وقال له لقد صدقك الله يا زيد فخزي عند ذلك عبد الله بن ابي ومقته الناس

ولامه المومنون من قومـه وقال له بعضهم امض الى رسول الله صلى الله عليـه وسلم واعترف بذنبك يستغفر لك فلوى رأسه انكارا لهذا الرأي وقال لهم اقد اشرتم علي بالايمان فآمنت واشرتم علي بان اعطي زكاة مالى ففعلت ولم يبق لكم الا ان تامرونى بالسجود لمحمد فهذا قصص هذه السورة موجزا وقرأ نافع والمفضل عن عاصم لووا بتخفيف الواو وقـرأ الباقون بتشديـدها * وقوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم الآية روي انـه لمـا نزلت ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين وفى حديث آخر لو علمت انى لو زدت على السبعين لغفر لهم لزدت وفى هذا الحديث دليل على رفض دليل الخطاب فلما فعل ابن ابي واصحابه ما فعلوا شدد الله عليهم فى هذه الآية واعلمَ انه لن يغفر لهم دون حد فى الاستغفار * وقوله تعالى هم الذين اشارة الى ابن ابي ومن قال بقوله ثم سفـه تعالى احلامهم فى ان ظنـوا ان انفاقهم هو سبب رزق المهاجرين ونسوا ان جريان الرزق بيـد الله تعالى اذا انسد باب انفتح غيره ثم اعلمَ تعالى ان العزة لله ولرسوله وللمومنين وفى ذلك وعيد وروي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان رجلا صالحا لما سمع الآيـة جاء الى ابيه فقال له انت والله يا ابت الذليل ورسول الله العزيز ووقف على باب السكة التى يسلكها ابوه وجرد السيف ومنعه الدخول وقال والله لا دخلت الى منزلك الا ان ياذن فى ذلك رسول الله وعبد الله بن ابي فى اذل حال وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث اليه ان خله يمضى الى منزله فقال اما الآن فنعم * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله الآية الالهاء الاشتغال بملذ وشهوة وذكر الله هنا عام فى الصلوات والتوحيد والدعاء وغير ذلك من مفروض ومندوب وكذلك قوله تعالى وانفقوا من ما رزقناكم عام فى المفروض والمندوب قاله جماعة من المفسرين قال

الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي فى كتاب عيوب النفس ومن عيوبها تضييع اوقاتها بالاشتغال بما لا يعنى من امور الدنيا والخوض فيها مع اهلها ومداواتها ان يعلم ان ومنه اعز الاشياء فيشغله باعز الاشياء وهو ذكر الله والمداومة على الطاعة ومطالبة الاخلاص من نفسه فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وقال الحسن بن منصور عليك بنفسك فان لم تشغلها شغلتك انتهى * وقوله لولا اخرتني الى اجل قريب طلب للكرة والامهال وسماه قريبا لانه ءات وايضا فانما يتمنى ذلك ليقضي فيه العمل الصالح فقط وليس بتسع الامل حينئذ لطلب العيش ونضرته * وقوله واكن من الصالحين ظاهره العموم وقال ابن عباس هو الحج وروى الترمذي عنه انه قال ما من رجل لا يؤدى الزكاة ولا يحج الا طلب الكرة عند موته قال الثعلبي قال ابن عباس الى اجل قريب يريد مثل آجالنا فى الدنيا انتهى وقرأ ابو عمرو واكون وفى قوله تعالى ولن يوخر الله نفسا اذا جاء اجلها حض على المبادرة ومسابقة الاجل بالعمل الصالح

تفسير سورة التغابن وهي مدنية
وقال ءاخرون مكية

الا قوله عز وجل يا ايها الذين ءامنوا ان من ازواجكم الى ءاخر السورة فانه مدني

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن اي فى اصل الخلقة وهذا

يجرى مع قول الملك يا رب اشقي ام سعيد الحديث وذلك فى بطن امه وقيل الآية تعديد نعم فقوله هو الذى خلقكم هذه نعمة الا يجاد ثم قال فمنكم كافر اي بهذه النعمة لجهله بالله ومنكم مومن بالله والايمان بـه شكر لنعمتـه فالاشارة على هذا التاويل فى الايمان والكفر هي الى اكتساب العبد وهـذا قول جماعة وقيل غير هذا * وقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق اي لم يخلقها عبثا ولا لغير معنى * وقوله تعالى فاحسن صوركم هو تعديد نعم والمراد الصورة الظاهرة وقيل المراد صورة الانسان المعنويـة مـن حيث هو انسان مـدرك عاقل والاول اجرى على لغـة العرب * وقوله تعالى الم ياتكم جزم اصله ياتيكم والخطاب فى هذه الآية لقريش ذكروا بما حل بعاد وثمود وغيرهم ممن سمعت قريش باخبارهم ووبال الامر مكروهه وما يسوء منه * وقوله تعالى ذلك بانه اشارة الى ذوق الوبال وباقى الآية بين * وقوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا يريد قريشا ثم هي بعد تعم كل كافر بالبعث ولا توجد زعم مستعملة فى فصيح الكلام الاعبارة عن الكذب او قول انفرد به قائله * وقوله سبحانه فـءامنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا هذه الآية دعاء من الله وتبليغ وتحذير من يوم القيامة والنور القرءان ومعانيه ويوم الجمع هو يوم القيامـة وهـو يوم التـغـابن يغبن فيـه المومنون الكافرين نحا هذا المنحى مجاهد وغيره * وقوله تعالى ما اصاب من مصيبة يحتمل ان يريد المصائب التي هي رزايا ويحتمل ان يريد جميع الحوادث من خير وشر والكل باذن الله والاذن هنـا عبارة عـن العلم والارادة وتمكين الوقوع * وقوله سبحانه ومن يومن بالله يهد قلبه قال فيه المفسرون المعنى ومن آمن وعرف ان كل شيء بقضاء الله وقـدره وعلمه هانت عليه مصيبتـه وسلم لامر الله تعالى * وقوله تعالى فان توليتم الى ءاخر الآية وعيد وتبرئة للنبي صلى الله عليه وسلم * وقوله يا ايها الذين ءامنوا ان مـن ازواجكم الى ءاخر السورة

قرءان مدني واختلف فى سببه فقال عطاء بن ابي رباح انه نزل فى عوف بن مالك الاشجعي وذلك انه اراد غزوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فاجتمع اهله واولاده وتشكوا اليه فراقه فرق لهم فثبطوه ولم يغز ثم انه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت الآية بسببه محذرة من الازواج والاولاد وفتنتهم ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله وان تعفوا وتصفحوا وقال بعض المفسرين سبب الآية ان قوما آمنوا وثبطهم ازواجهم واولادهم عن الهجرة فلم يهاجروا الا بعد مدة فوجدوا غيرهم قد تفقه فى الدين فندموا وهموا بمعاقبة ازواجهم واولادهم ثم اخبر تعالى ان الاموال والاولاد فتنة تشغل المرء عن مراشده وتحمله من الرغبة فى الدنيا على ما لا يحمده فى ءاخرته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة وخرج ابو داود حديثا فى مصنفه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة على المنبر حتى جاء الحسن والحسين عليهما قميصان احمران يجرانهما يعثران ويقومان فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر حتى اخذهما وصعد بهما ثم قرأ انما اموالكم واولادكم فتنة الآية وقال انى رأيت هذين فلم اصبر ثم اخذ فى خطبته قال (ع) وهذه ونحوها هي فتنة الفضلاء فاما فتنة الجهال الفسقة فمؤدية الى كل فعل مهلك وفى صحيحي البخاري ومسلم عن ابى ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول هم الاخسرون ورب الكعبة هم الاخسرون ورب الكعبة قلت ما شأني ايرى في شيأ فجلست وهو يقول فما استطعت ان اسكت وتغشاني ما شاء الله فقلت من هم بابي انت وامي يا رسول الله قال هم الاكثرون مالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا وفى رواية ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة الا من قال بالمال هكذا وهكذا واشار ابن شهاب بين يديه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم انتهى واللفظ للبخاري * وقوله سبحانه فاتقوا الله ما استطعتم تقدم الخلاف هل هذه الآية ناسخة لقوله تعالى

اتقوا الله حق تقاته او ليست بناسخة بل هي مبينة لها وان المعنى اتقوا الله حق تقاته فيما استطعتم وهذا هو الصحيح قال الثعلبي قال الربيع بن انس ما استطعتم اي جهدكم وقيل معناه اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تومرون به انتهى * وقوله سبحانه ومن يوق شح نفسه تقدم الكلام عليه واسند ابو بكر بن الخطيب من طريق ابى هريرة وابى سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السخاء شجرة فى الجنة واغصانها فى الدنيا فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار واغصانها فى الارض فمن كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه الغصن حتى يدخله النار انتهى وباقى الآية بين

تفسير سورة الطلاق وهي مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى يا ايها النبيء اذا طلقتم النساء اي اذا اردتم طلاقهن قاله الثعلبي وغيره فطلقوهن لعدتهن وطلاق النساء حل عصمتهن وصورة ذلك وتنويعه مما لا يختص بالتفسير ومعنى فطلقوهن لعدتهن اي لاستقبال عدتهن وعبارة الثعلبي اي لطهرهن الذى يحصينه من عدتهن وهو طهر لم يجامعها فيه انتهى قال (ع) ومعنى الآية ان لا يطلق احد امرأته الا فى طهر لم يمسها فيه هذا على مذهب مالك ومن قال بقوله القائلين بان الاقراء عندهم هي الاطهار فيطلق عندهم

المطلق فى طهر لم يمس فيه وتعتد بـه المرأة ثم تحيض حيضتين تعتد بالطهر الذى بينهما ثم تقيم فى الطهر الثالث معتدة بـه فاذا رأت اول الحيضة الثالثة حلت ومن قال بان الاقراء الحيض وهم العراقيون قال لعدتهن معناه ان يطلق طاهرا فتستقبل بثلاث حيض كوامل فاذا رأت الطهر بعد الثالثة حلت والاصل فى منع طلاق الحائض حديث ابن عمر ثم امر تعالى باحصاء العدة لما يلحق ذلك من احكام الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك وعبارة الثعلبي واحصوا العدة اي احفظوا عدد قروءها الثلاثة ونحوه تفسير ابن العربي قال قوله تعالى واحصوا العدة معناه احفظوا الوقت الذى وقع فيه الطلاق لما يترتب على ذلك من الاحكام انتهى من احكامه ثم اخبر تعالى بانهن احق بسكني بيوتهن التى طلقن فيها فنهى سبحانه عن اخراجهن وعن خروجهن وسنة ذلك الاتبيت عن بيتها ولا تغيب عنه نهارا الا فى ضرورة ومالا خطب له من جائز التصرف وذلك لحفظ النسب والتحرز بالنساء واختلف فى معنى قوله تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة فقال الحسن وغيره ذلك الزنا فيخرجن للحد وقال ابن عباس ذلك البذاء على الاحماء فتخرج ويسقط حقها من المسكن وتلزم الاقامة فى مسكن تتخذه حفظا للنسب وفى مصحف ابي الا ان يفحشن عليكم وعبارة الثعلبي عن ابن عباس الا ان تبذو على اهلها فيحل لهم اخراجها انتهى وهو معنى ما تقدم وقرأ الجمهور مبينة بكسر الياء تقول بان الشيء وبين بمعنى واحد الا ان التضعيف للمبالغة وقرأ عاصم مبينة بفتح الياء * وقوله سبحانه وتلك حدود الله اشارة الى جميع اوامره فى هذه الآية * وقوله تعالى لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قال قتادة وغيره يريد به الرجعة اي احصوا العدة وامتثلوا ما امرتم به تجدوا المخلص ان ندمتم فانكم لاتدرون لعل الرجعة تكون بعد * وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن يريد به ٠اخر القروء فامسكوهن بمعروف وهو حسن العشرة

او فارقوهن بمعروف وهو اداء جميع الحقوق والوفاء بالشروط حسب نازلة نازلة وعبارة الثعلبي فاذا بلغن اجلهن اي أشرفن على انقضاء عدتهن انتهى وهو حسن * وقوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم يريد على الرجعة وذلك شرط فى صحة الرجعة وتمنع المرأة الزوج من نفسها حتى يشهد وقال ابن عباس على الرجعة والطلاق معا قال النخعي العدل من لم تظهر منه ريبة والعدل حقيقة الذى لا يخاف الا الله * وقوله سبحانه واقيموا الشهادة لله امر للشهود * وقوله ذلكم يوعظ به اشارة الى اقامة الشهادة وذلك ان فصول الاحكام تدور على اقامة الشهادة * وقوله سبحانه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال بعض رواة الآثار نزلت هذه الآية فى عوف بن مالك الاشجعي اسر ولده وقدر عليه رزقه فشكا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فامره بالتقوى فلم يلبث ان تفلت ولده واخذ قطيع غنم للقوم الذين اسروه فسأل عفو النبي صلى الله عليه وسلم اتطيب له تلك الغنم فقال نعم قال ابو عمر ابن عبد البر قال النبي صلى الله عليه وسلم ابى الله عز وجل ان يجعل ارزاق عباده المومنين الا من حيث لا يحتسبون وقال عليه السلام لابن مسعود لا يكثر همك يا عبد الله ما يقدر يكن وما ترزق ياتيك وعنه صلى الله عليه وسلم استنزلوا الرزق بالصدقة انتهى من كتابه المسمى ببهجة المجالس وانس المجالس * وقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه هذه الآيات كلها عظة لجميع الناس ومعنى حسبه كافيه وقال ابن مسعود هذه اكثر الآيات حضا على التفويض لله * وقوله تعالى ان الله بالغ امره بيان وحض على التوكل اي لابد من نفوذ امر الله توكلت ايها المرء او لم تتوكل قاله مسروق فان توكلت على الله كفاك وتعجلت الراحة والبركة وان لم تتوكل وكلك الى عجزك وتسخطك وامره سبحانه فى الوجهين نافذ * وقوله سبحانه واللائى يئسن من

المحيض من نسائكم الآية اللائى جمع التى واليائسات من المحيض على مراتب محل بسطها كتب الفقه وروى اسماعيل بن خالد ان قوما منهم ابي بن كعب وخلاد بن النعمان لما سمعوا قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قالوا يا رسول الله فما عدة من لاقرء لها من صغر اوكبر فنزلت هذه الآية فقال قائل منهم فما عدة الحامل فنزلت واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وهو لفظ يعم الحوامل المطلقات والمعتدات من الوفاة والارتياب المذكور قيل هو بامر الحمل * وقوله سبحانه اسكنوهن من حيث سكنتم الآية امر باسكان المطلقات ولا خلاف فى ذلك فى التى لم تبت واما المبتوتة فمالك يرى لها السكنى لمكان حفظ النسب ولا يرى لها نفقة لان النفقة بازاء الاستمتاع وقال الثعلبي من حيث سكنتم اي فى مساكنكم التى طاقتموهن فيها انتهى والوجد السعة فى المال واما الحامل فلا خلاف فى وجوب سكناها ونفقتها بتت اولم تبت لانها مبينة فى الآية وانما اختلفوا فى نفقة الحامل المتوفى عنها زوجها هل ينفق عليها من التركة ام لا وكذلك النفقة على المرضع المطلقة واجبة وبسط ذلك فى كتب الفقه * وقوله سبحانه واتمروا بينكم بمعروف اي ليامر كل واحد صاحبه بخير وليقبل كل احد ما امر به من المعروف * وقوله سبحانه وان تعاسرتم اي تشططت المرأة فى الحد الذى يكون اجرة على الرضاع فللزوج ان يسترضع بما فيه رفقه الا ان لايقبل المولود غير امه فتجبر هي حينئذ على رضاعه باجرة مثلها ومثل الزوج فى حالها وغناها (ت) وهذا كله فى المطلقة البائن قال ابن عبد السلام من اصحابنا الضمير فى قوله تعالى فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن عائد على المطلقات وكذلك قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن واما ذات الزوج او الرجعية فيجب عليها ان ترضع من غير اجر الا ان تكون شريفة فلا يلزمها ذلك انتهى * وقوله سبحانه لينفق ذو سعة من سعته الآية

عـدل بين الازواج ليلا تضيع هي ولا يكلف هـو مـا لا يطيق ثم رجى تعالى باليسر تسهيلا على النفوس وتطييبا لها * وقوله سبحانه وكأين الثعلبي وكأين اي وكم من قرية عتت اي عصت * وقوله فحاسبناها قال (ع) قال بعض المتأولين الآية فى احوال الآخرة اي ثم هو الحساب والتعذيب والذوق وخسار العاقبة وقال ءاخرون ذلك فى الدنيا ومعنى حاسبناها حسابا شديدا اي لم تغتفر لهم زلة بل اخذت بالدقائق من الذنوب ثم ندب تعالى اولى الالباب الى التقوى تحذيرا * وقوله تعالى قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا اختلف فى تقديره وابين الاقوال فيه معنى ان يكون الذكر القرءان والرسول محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى وارسل رسولا لكن الايجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول ونحا هـذا المنحى السدي وسائر الآيـة بين * وقوله سبحانه الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن لا خلاف بين العلماء ان السموات سبع واما الارض فالجمهور على انها سبع ارضين وهو ظاهر هـذه الآية وانما المماثلة فى العدد ويبينه قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح من غصب شبرا من ارض طوقه الله من سبع ارضين الى غير هذا مما وردت به الروايات وروي عن قوم من العلماء انهم قالوا الارض واحدة وهي مماثلة لكل سماء بانفرادها فى ارتفاع جرمها وفى ان فيها عالما يعبد الله كما فى كل سماء عالم يعبد الله * وقوله سبحانه يتنزل الامر بينهن الامر هنا يعم الوحي وجميع مـا يامر بـه سبحانـه من تصريف الرياح والسحاب وغير ذلك من عجائب صنعه لا اله غيره وباقى السورة وعظ وحض على توحيد الله عز وجل * وقوله على كل شيء قدير عموم معناه الخصوص فى المقدورات * وقوله بكل شيء علما عموم على اطلاقه

تفسير سورة التحريم وهي مدنية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى يا ايها النبيء لم تحرم ما احل الله لك الآيـة وفى الحديث من طرق ما معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء الى بيت حفصة فوجدها قد مرت لزيارة ابيها فدعا صلى الله عليه وسلم جاريته مارية فقال معها فجاءت حفصة وقالت يا نبي الله افى بيتى وعلى فراشى فقال لها صلى الله عليه وسلم مترضيا لها ايرضيك ان احرمها قالت نعم فقال انى قـد حرمتها قال ابن عباس وقال مع ذلك والله لا اطأها ابدا ثم قال لها لا تخبرى بهـذا احـدا ثم ان حفصة قرعت الجدار الذى بينها وبين عائشة واخبرتها لتسرها بالامر ولم تر فى افشائـه اليها حرجا واستكتمتها فاوحى الله بذلك الى نبيه ونزلت الآيـة وفى حديث آخر عن عائشة ان هذا التحريم المذكور فى الآية انما هو بسبب العسل الذى شربه صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش فتما لأت عائشة وحفصة وسودة على ان تقول له من دنا منهـا انا نجد منك ريح مغافير اكلت مغافير يا رسول الله والمغافير صمغ العرفط وهو حلو كريه الرائحة ففعلن ذلك فقال رسول الله مـا اكلت مغافير ولكنى شربت عسلا فقلن له جرست نحله العرفط فقال صلى الله عليه وسلم لا اشربه ابدا وكان يكره ان توجد منه رائحة كريهة فدخل بعد ذلك على زينب فقالت الا اسقيك من ذلك العسل فقال لا حاجة لى به قالت عائشة تقول سودة حين بلغنا امتناعه والله لقد حرمناه فقلت لها اسكتى قال (ع) والقول الاول ان الآية نزلت بسبب مارية اصح واوضح وعليه تفقه الناس فى

الآية ومتى حرم الرجل مالا او جارية فليس تحريمه بشيء (ت) والحديث الثانى هو الصحيح خرجه البخاري ومسلم وغيرهما ودعا الله تعالى نبيه باسم النبوءة الذى هو دال على شرف منزلته وفضيلته التى خصه بها وقرره تعالى كالمعاتب له على تحريمه على نفسه ما احل الله له ثم غفر له تعالى ما عاتبه فيه ورحمه * وقوله تعالى قد فرض الله اي بين واثبت فقال قوم من اهل العلم هذه اشارة الى تكفير التحريم وقال ءاخرون هي اشارة الى تكفير اليمين المقترنة بالتحريم والتحلة مصدر وزنها تفعلة وادغم لاجتماع المثلين واحال فى هذه الآية على الآية التى فسر فيها الاطعام فى كفارة اليمين بالله تعالى والمولى الموالى الناصر * واذ اسر النبيء الى بعض ازواجه يعنى حفصة حديثا قال الجمهور الحديث هو قوله فى امر مارية وقال ءاخرون بل هو قوله انما شربت عسلا * وقوله تعالى عرف بعضه المعنى مع شد الراء اعلم به وانب عليه واعرض عن بعض اي تكرما وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط والمخاطبة بقوله ان تتوبا الى الله هي لحفصة وعائشة وفى حديث البخاري وغيره عن ابن عباس قال قلت لعمر من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حفصة وعائشة * وقوله صغت قلوبكما معناه مالت والصغي الميل ومنه اصغى اليه باذنه واصغى الاناء وفى قراءة ابن مسعود فقد زاغت قلوبكما والزيغ الميل وعرفه فى خلاف الحق وجمع القلوب من حيث الاثنان جمع (ص) قلوبكما القياس فيه قلبا كما مثنى والجمع اكثر استعمالا وحسنه اضافته الى مثنى وهو ضميرهما لانهم كرهوا اجتماع تشنيتين انتهى ومعنى الآية ان تبتما فقد كان منكما ما ينبغى ان يتاب منه وهذا الجواب الذى للشرط هو متقدم فى المعنى وانما ترتب جوابا فى اللفظ وان تظاهرا معناه تتعاونا واصل تظاهرا تتظاهرا ومولاه اي ناصره وجبريل وما بعده يحتمل ان يكون عطفا على اسم الله ويحتمل ان يكون جبريل رفعا بالابتداء

وما بعده عطف عليه وظهير هو الخبر وخرج البخاري بسنده عن انس قال قال عمر اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم فى الغيرة عليه فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت هذه الآية انتهى وقانتات معناه مطيعات والسائحات قيل معناه صائمات وقيل معناه مهاجرات وقيل معناه ذاهبات فى طاعة الله وشبه الصائم بالسائح من حيث ينهمل السائح ولا ينظر فى زاد ولا مطعم وكذلك الصائم يمسك عن ذلك فيستوى هو والسائح فى الامتناع وشظف العيش لفقد الطعام * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا قوا انفسكم واهليكم نارا الآية قوا معناه اجعلوا وقاية بينكم وبين النار وقوله واهليكم معناه بالوصية لهم والتقويم والحمل على طاعة الله وفى الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم (ت) وفى العتبية عن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذن لى ان اتحدث عن ملك من الملائكة ان مابين شحمة اذنه وعاتقه لمخفق الطير سبعين عاما انتهى وباقى الآية فى غاية الوضوح نجانا الله من عذابه بفضله والتوبة فرض على كل مسلم وهي الندم على فارط المعصية والعزم على ترك مثلها فى المستقبل هذا من المتمكن واما غير المتمكن كالمجبوب فى الزنا فالندم وحده يكفيه والتوبة عبادة كالصلاة وغيرها فاذا تاب العبد وحصلت توبته بشروطها وقبلت ثم عاود الذنب فتوبته الاولى لا تفسدها عودة بل هي كسائر ما تحصل من العبادات والنصوح بناء مبالغة من النصح اي توبة نصحت صاحبها وارشدته وعن عمر التوبة النصوح هي ان يتوب ثم لا يعود ولا يريد ان يعود وقال ابو بكر الوراق هي ان تضيق عليك الارض بما رحبت كتوبة الذين خلفوا وروي فى معنى قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبيء ان النبي صلى الله عليه وسلم تضرع مرة الى الله عز وجل فى امر امته فاوحى الله اليه ان شئت جعلت حسابهم اليك فقال يا رب انت ارحم بهم فقال الله تعالى اذن لا اخزيك

فيهم * وقوله تعالى والذين ءامنوا معه يحتمل ان يكون معطوفا على النبي، فيخرج المومنون من الخزي ويحتمل ان يكون مبتدأ ونورهم يسعى جملة هي خبره وقولهم اتمم لنا نورنا قال الحسن بن ابى الحسن هو عند ما يرون من انطفاء نور المنافقين حسبما تقدم تفسيره وقيل يقوله من اعطي من النور بقدر ما يرى موضع قدميه فقط وباقى الآية بين مما تقدم فى غير هذا الموضع * وقوله سبحانه ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح الآية هذان المثلان اللذان للكفار والمومنين معناهما ان من كفر لا يغنى عنه من الله شيء ولا ينفعه سبب وان من آمن لا يدفعه عن رضوان الله دافع ولو كان فى اسوأ منشأ واخس حال وقول من قال ان فى المثلين عبرة لازواج النبي صلى الله عليه وسلم بعيد قال ابن عباس وغيره خانتاهما اي فى الكفر وفى ان امرأة نوح كانت تقول للناس انه مجنون وان امرأة لوط كانت تنم الى قومها خبر اضيافه قال ابن عباس وما بغت زوجة نبيء قط وامرأة فرعون اسمها ءاسية وقولها وعمله تعنى كفره وما هو عليه من الضلالة * وقوله التى احصنت فرجها الجمهور انه فرج الدرع وقال قوم هو الفرج الجارحة واحصانه صونه * وقوله سبحانه فنفخنا فيه عبارة عن فعل جبريل (ت) وقد عكس رحمه الله نقل ما نسبه للجمهور فى سورة الانبياء فقال المعنى واذكر التى احصنت فرجها وهو الجارحة المعروفة هذا قول الجمهور انظر بقية الكلام هناك * وقوله سبحانه من روحنا اضافة مخلوق الى خالق ومملوك الى مالك كما تقول بيت الله وناقة الله كذلك الروح الجنس كله هو روح الله وقرأ الجمهور وصدقت بكلمات ربها بالجمع فيقوى ان يريد التوراة ويحتمل ان يريد امر عيسى وقرأ الجحدري بكلمة فيقوى ان يريد امر عيسى ويحتمل ان يريد التوراة فتكون الكلمة اسم جنس وقرأ نافع وغيره وكتابه وقرأ ابو عمرو وغيره وكتبه بضم التاء والجمع وذلك كله مراد به التوراة

والانجيل قال الثعلبي واختار ابو حاتم قراءة ابي عمرو بالجمع لعمومها واختار ابو عبيدة قراءة الافراد لان الكتاب يراد بـه الجنس انتهى وهو حسن وكانت من القانتين اي من القوم القانتين وهم المطيعون العابدون وقد تقدم بيانـه

تفسير سورة الملك وهي مكية باجماع

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأها عند اخـذ مضجعه رواه جماعـة مرفوعا وروي انها تنجي من عـذاب القبر وتجادل عن صاحبها حتى لا يعذب وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وددت ان سورة تبارك الذى بيده الملك فى قلب كل مومن (ت) وقـد خرج مالك فى الموطأ انها تجادل عن صاحبهـا وخرج ابو داود والترمذي والنساءي وابو الحسن بن صخـر وابو ذر الهروي وغيرهم احاديث فى فضل هذه السورة نحو ما تقدم ولولا ما قصدته من الاختصار لنقلتها هنا ولكن خشية الاطالة منعتني من جلب كثير من الآثار الصحيحة فى هـذا المختصر وانظر الغافقي فقـد استوفى نقل الآثار فى فضل هذه السورة

* بسم الله الرحمـن الرحيم *

قوله تعالى تبارك الذى بيده الملك تبارك من البركة وهي التزيد فى الخيرات الثعلبي تبارك الذى بيـده الملك اي تعالى وتعاظم وقال الحسن تقـدس الذى بيده الملك فى الدنيا والآخرة وقال ابن عباس بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء انتهى * وقوله سبحانـه الذى خلق الموت والحيوة الآيـة الموت

والحياة معنيان يتعاقبان جسم الحيوان يرتفع احدهما بحلول الآخر وما جاء فى الحديث الصحيح من قوله عليه السلام يوتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش املح فيذبح على الصراط الحديث فقال اهل العلم انما ذلك تمثال كبش يوقع الله العلم الضروري لاهل الدارين انه الموت الذى ذاقوه فى الدنيا ويكون ذلك التمثال حاملا للموت لا على انه يحل الموت فيه فتذهب عنه حياة ثم يقرن الله تعالى فى ذلك التمثال اعدام الموت * وقوله سبحانه ليبلوكم اي جعل لكم هاتين الحالتين ليبلوكم اي ليختبركم فى حال الحياة ويجازيكم بعد الممات وقال ابو قتادة ونحوه عن ابن عمر قلت يا رسول الله ما معنى قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا فقال يقول ايكم احسن عقلا واشدكم لله خوفا واحسنكم فى امره ونهيه نظرا وان كانوا اقلكم تطوعا وقال ابن عباس وسفيان الثوري والحسن ايكم احسن عملا ازهدكم فى الدنيا قال القرطبي وقال السدي احسنكم عملا اي اكثركم للموت ذكرا وله احسن استعدادا ومنه اشد خوفا وحذرا انتهى من التذكرة ولله در القائل

وفى ذكر هول الموت والقبر والبلى * عن الشغل باللذات للمرء زاجر
ابعد اقتراب الاربعين تربص * وشيب فذاك منذر لك ذاعر
فكم فى بطون الارض بعد ظهورها * محاسنهم فيها بوالٍ دواثر
وانت على الدنيا مكب منافس * لخطابها فيها حريص مكاثر
على خطر تمسى وتصبح لاهيا * اتدرى بما ذا لو عقلت تخاطر
وان امرأ يسعى لدنياه جاهدا * ويذهل عن اخراه لا شك خاسر
كانك مغتر بما انت صائر * لنفسك عمدا او عن الرشد جائر
فجدّ ولا تغفل فعيشك زائل * وانت الى دار المنية صائر
ولا تطلب الدنيا فان طِلاَبها * وان نلت منها ثروة لك ضائر

وكيف يلذ العيش من هو موقن * بموقف عدل يوم تبلى السرائر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت * لعزة ذى العرش الملوك الجبابر

انتهى وطباقا قال الزجاج هو مصدر وقيل جمع طبقة او جمع طبق والمعنى بعضها فوق بعض وقال ابان بن ثعلب سمعت اعرابيا يذم رجلا فقال شره طباق وخيره غير باق وما ذكره بعض المفسرين فى السموات من ان بعضها من ذهب وفضة وياقوت ونحو هذا ضعيف لم يثبت بذلك حديث * وقوله سبحانه ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت معناه من قلة تناسب ومن خروج عن اتقان قال بعض العلماء خلق الرحمن معني به السموات واياها اراد بقوله هل ترى من فطور وبقوله ينقلب اليك البصر الآية وقال ·اخرون بل يعنى به جميع ما خلق سبحانه من الاشيا فانها لاتفاوت فيها ولافطور جارية على غير اتقان قال منذر بن سعيد امر الله تعالى بالنظر الى السماء وخلقها ثم امر بتكرير النظر وكذلك جميع المخلوقات متى نظرها ناظر ليرى فيها خللا او نقصا فان بصره ينقلب خاسئا حسيرا ورجع البصر ترديده فى الشيء المبصر وكرتين معناه مرتين والخاسئ المبعد عن شيء اراده وحرص عليه ومنه قوله تعالى اخسئوا فيها وكذلك البصر يحرص على رؤية فطور اوتفاوت فلا يجد ذلك فينقلب خاسئا والحسير العيي الكال * وقوله تعالى بمصابيح يعنى النجوم قال الفخر ومعنى السماء الدنيا اي القريبة من الناس وليس فى هذه الآية ما يدل على ان الكواكب مركوزة فى السماء الدنيا وذلك لان السموات اذا كانت شفافة فالكواكب سواء كانت فى السماء الدنيا او كانت فى سموات اخرى فوقها فهي لابد ان تظهر فى السماء الدنيا وتلوح فيها فعلى كلا التقديرين فالسماء الدنيا مزينة بها انتهى * وقوله وجعلناها معناه وجعلنا منها ويوجب هذا التاويل فى الآية ان الكواكب الثابتة والبروج وكل ما يهتدى به فى البر والبحر ليست براجمة

وهذا نص فى حديث السير قال الثعلبي رجوما للشياطين يرجمون بها اذا استرقوا السمع فلا تخطئهم فمنهم من يقتل ومنهم من يخبل انتهى * وقوله تعالى وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم قال (ع) تضمنت الآية ان عذاب جهنم للكفار المخلدين وقد جاء فى الاثر انه يمر على جهنم زمان تخفق ابوابها قد اخلتها الشفاعة والذى يقال فى هذا ان جهنم اسم تختص به الطبقة العليا من النار ثم قد تسمى الطبقات كلها باسم بعضها فالتى فى الاثر هي الطبقة العليا لانها مقر العصاة من المومنين والتى فى هذه الآية هي جهنم باسرها اي جميع الطبقات والشهيق اقبح ما يكون من صوت الحمار فاشتمال النار وغليانها يصوت مثل ذلك * وقوله تكاد تميز اي يزايل بعضها بعضا لشدة الاضطراب ومن الغيظ معناه على الكفرة بالله والفوج الفريق من الناس وظاهر الآية انه لا يلقى فى جهنم احد الاسئل على جهة التوبيخ * وقوله سبحانه ان انتم الا فى ضلال كبير يحتمل ان يكون من قول الملائكة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفار للنذر قال الفخر وقوله تعالى عنهم لوكنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير قيل انما جمعوا بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل انتهى * وقوله سبحانه ان الذين يخشون ربهم بالغيب يحتمل معنيين احدهما بالغيب الذى اخبروا به من النشر والحشر والجنة والنار فآمنوا بذلك وخشوا ربهم فيه ونحا الى هذا قتادة والمعنى الثانى انهم يخشون ربهم اذا غابوا عن اعين الناس اي فى خلواتهم فى صلاتهم وعباداتهم * وقوله تعالى واسروا قولكم الآية خطاب لجميع الخلق وذلولا بمعنى مذلولة ومناكبها قال مجاهد هي الطرق والفجاج وقال البخاري مناكبها جوانبها قال الغزالي رحمه الله جعل الله سبحانه الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا فى مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودون منها محترزين من مصائدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس فى

هذا العالم سفر واول منازلهم المهد وءاخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رءوس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله عز وجل فى دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله عز وجل مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم فى دركات الجحيم فالغافل عن نفس واحد من انفاسه حتى ينقضي فى غير طاعة تقربه الى الله تعالى زلفى متعرض فى يوم التغابن لغبينة وحسرة مالها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر فعمروها بالطاعات بحسب تكرر الاوقات انتهى قال الشيخ ابو مدين رحمه الله عمرك نفس واحد فاحرص ان يكون لك لا عليك انتهى والله الموفق بفضله والنشور الحياة بعد الموت وتمور معناه تذهب وتجيء كما يذهب التراب الموار فى الريح والحاصب البرد وما جرى مجراه والنكير مصدر بمعنى الانكار والنذير كذلك ومنه قول حسان بن ثابت

فانذر مثلها نصحا قريشا * من الرحمن ان قبلت نذيرى

ثم احال سبحانه على العبرة فى امر الطير وما احكم من خلقتها وذلك بين عجز الاصنام والاوثان عنه وصافات جمع صافة وهي التى تبسط جناحها وتصفه وقبض الجناح ضمه الى الجنب وهاتان حالتان للطائر يستريح من احداهما الى الاخرى * وقوله سبحانه امن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه هذا ايضا توقيف على امر لا مدخل للاصنام فيه * وقوله سبحانه افمن يمشى مكبا على وجهه قال ابن عباس والضحاك ومجاهد نزلت مثلا للمومنين والكافرين على العموم وقال قتادة نزلت مخبرة عن حال القيامة وان الكفار يمشون على وجوههم والمومنين يمشون على استقامة كما جاء فى الحديث ويقال اكب الرجل اذا در

وجهه الى الارض وكبه غيره قال عليه السلام وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الاحصائد السنتهم فهذا الفعل على خلاف القاعدة المعلومة لان افعل هنا لا يتعدى وفعل يتعدى ونظيره قشعت الريح السحاب فانقشع وقال (ص) مكبا حال وهو من اكب غير متعد وكب متعد قال تعالى فكبت وجوههم فى النار والهمزة فيه للدخول فى الشيء او للصيرورة ومطاوع كب انكب تقول كببته فانكب قال بعض الناس ولا شيء من بناء افعل مطاوعا انتهى واهدى فى هذه الآية افعل تفضيل من الهدى * وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد يريدون امر القيامة والعذاب المتوعدبه ثم امر سبحانه نبيه عليه السلام ان يخبرهم بان علم القيامة والوعد الصدق مما تفرد الله سبحانه بعلمه * وقوله سبحانه فلما رأوه الضمير للعذاب الذى تضمنه الوعد وهذه حكاية حال تاتى والمعنى فاذا رأوه * وزلفة معناه قريبا قال الحسن عيانا * وسيئت وجوه الذين كفروا معناه ظهر فيها السوء * وتدعون معناه تتداعون امره بينكم وقال الحسن تدعون انه لا جنة ولا نار وروي فى تاويل قوله تعالى قل ارأيتم ان اهلكني الله ومن معي الآية انهم كانوا يدعون على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه بالهلاك فقال الله تعالى لنبيه قل لهم ارأيتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجيركم من العذاب الذى يوجبه كفركم ثم وقفهم سبحانه على مياههم التى يعيشون منها ان غارت اي ذهبت فى الارض من يجيئهم بماء كثير كاف (ص) والغور مصدر بمعنى الغائر انتهى والمعين فعيل من معن الماء اذا كثر وقال ابن عباس معين عذب

تفسير سورة القلم وهي مكية بلاخلاف

* بسم الله الرحمـن الرحيم *

قوله عز وجل ن والقلم وما يسطرون ن حرف مقطع فى قول الجمهور فيدخله من الاختلاف ما يدخل اوائل السور ويختص هـذا الموضع من الاقوال بان قال مجاهـد وابن عباس ن اسم الحوت الاعظم الذى عليه الارضون السبع فيما يروى وقال ابن عباس ايضا وغيره ن اسم الدواة فمن قال بانه اسم الحوت جعل القلم القلم الذى خلقه الله وامره بكتب الكائنات وجعل الضمير فى يسطرون للملائكة ومن قال بان ن اسم للدواة جعل القلم هـذا القلم المتعارف بايدى الناس نص على ذلك ابن عباس وجعل الضمير فى يسطرون للناس فجاء القسم على هـذا بمجموع امر الكتاب الذى هو قوام للعلوم والمعارف وامور الدنيـا والآخرة فان القلم اخو اللسان وعضـد الانسان ومطية الفطنة ونعمة من الله عامة وروى معاوية بن قرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ن لوح من نور وقال ابن عباس ايضا وغيره ن هو حرف من حروف الرحمن وقالوا انـه تقطع فى القران الروحم ون ويسطرون معناه يكتبون سطورا فان اراد الملائكة فهو كتب الاعمال وما يومرون به وان اراد بنى ادم فهي الكتب المنزلة والعلوم وما جرى مجراها قال ابن العربي فى احكامه روى الوليد بن مسلم عن مالك عن سمي مولى ابى بكر عن ابى صالح عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قوله ن والقلم ثم قال له اكتب قال وما اكتب قال ما كان وما هو كائن الى يوم

القيامة قال ثم ختم العمل فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة ثم خلق العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا اعجب الي منك وعزتي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعملهم بطاعته انتهى (ت) وهذا الحديث هو الذى يعول عليه فى تفسير الآية لصحته والله سبحانه اعلم * وقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون هو جواب القسم وما هنا عاملة لها اسم وخبر وكذلك هي متى دخلت الباء فى الخبر وقوله بنعمة ربك اعتراض كما تقول لانسان انت بحمد لله فاضل وسبب الآية هو ما كان من قريش فى رميهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون فنفى الله تعالى ذلك عنه واخبره بان له الاجر وانه على الخلق العظيم تشريفا له ومدحا واختلف فى معنى ممنون فقال اكثر المفسرين هو الواهن المنقطع يقال حبل منين اي ضعيف وقال ءاخرون معناه غير ممنون عليك اي لايكدره منّ به وفى الصحيح سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرءان وقال الجنيد سمي خلقه عظيما اذ لم تكن له همة سوى الله تعالى عاشر الخلق بخلقه وزايلهم بقلبه فكان ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق وفى وصية بعض الحكماء عليك بالخلق مع الخلق وبالصدق مع الحق وحسن الخلق خير كله وقال عليه السلام ان المومن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار وجاء فى حسن الخلق ءاثار كثيرة منعنا من جلبها خشية الاطالة وقد روى الترمذي عن ابى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج قال ابو عيسى هذا حديث صحيح غريب انتهى وروى الترمذي عن ابى الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء اثقل فى ميزان المومن يوم القيامة

من خلق حسن وان الله ليبغض الفاحش البذي قال ابو عيسى هـذا حـديث حسن صحيح انتهى قال ابو عمر فى التمهيد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم قال المفسرون كان خلقه ما قال الله سبحانـه خـذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين انتهى * وقوله تعالى فستبصر اي انت وامتك ويبصرون اي هم بايكم المفتون قال الاخفش والعامل فى الجملة المستفهم عنها الابصار واما الباء فقال ابو عبيدة معمر وقتادة هي زائدة والمعنى ايكم المفتون قال الثعلبي المفتون المجنون الذى فتنه الشيطان انتهى * وقوله تعالى فلا تطع المكذبين يعنى قريشا وذلك انهم قالوا فى بعض الاوقات للنبي صلى الله عليه وسلم لو عبدت آلهتنا وعظمتها لعبدنا الهك وعظمناه وودوا ان يـداهنهم النبي صلى الله عليه وسلم ويميل الى ما قالوا فيميلوا هم ايضا الى قوله ودينه والادهان الملاينة فيما لا يحل والمداراة الملاينة فيما يحل * وقوله فيدهنون معطوف وليس بجواب لانه لوكان لنصب والحلاف المردد لحلفه الذى قد كثر منه والمهين الضعيف الرأي والعقل قاله مجاهد وقال ابن عباس المهين الكذاب والهماز الذى يقع فى الناس بلسانه قال منذر بن سعيد وبعينه واشارتـه والنميم مصدر كالنميمة وهو نقل ما يسمع مما يسوء ويحرش النفوس قال ابو عمر بن عبد البر فى كتابه المسمى ببهجـة المجالس قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف عن اعراض المسلمين لسانه اقاله الله يوم القيامة عثرته وقال عليه السلام شراركم ايها الناس المشاءون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون لاهل البر العثرات انتهى وروى حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يـدخل الجنة قتات وهو النمام وذهب كثير من المفسرين الى ان هذه الاوصاف هي اجناس لم يرد بها رجل بعينه وقالت طائفـة بل نزلت فى معين واختلفوا فيه فقال بعضهم هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاخنس بن شريق ويؤيد ذلك انه كانت له زنمة فى

حلقه كزنمة الشاة وايضا فكان من ثقيف ملصقا فى قريش وقيل هو ابو جهل وقيل هو الاسود بن عبد يغوث قال (ع) وظاهر اللفظ عموم من اتصف بهذه الصفات والمخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقي الزمان لاسيما لولاة الامور * وقوله تعالى مناع للخير قال كثير من المفسرين الخير هنا المال فوصفه بالشح وقال ءاخرون بل هو على عمومه فى الاموال والاعمال الصالحات والمعتدى المتجاوز لحدود الاشياء والاثيم فعيل من الاثم والعتل القوي البنية الغليظ الاعضاء القاسى القلب البعيد الفهم الاكول الشروب الذى هو بالليل جيفة وبالنهار حمار وكل ما عبر به المفسرون عنه من خلال النقص فمن هذه التى ذكرت تصدر وقد ذكر النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر العتل بنحو هذا وهذه الصفات كثيرة التلازم والزنيم فى كلام العرب الملصق فى القوم وليس منهم ومنه قول حسان

وانت زنيم نيط فى ءال هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

فقال كثير من المفسرين هو الاخنس بن شريق وقال ابن عباس اراد بالزنيم ان له زنمة فى عنقه وكان الاخنس بهذه الصفة وقيل الزنيم المريب القبيح الافعال * وقوله سنسمه على الخرطوم معناه على الانف قال ابن عباس هو الضرب بالسيف فى وجهه وعلى انفه وقد حل ذلك به يوم بدر وقيل ذلك الوسم هو فى الآخرة وقال قتادة وغيره معناه سنفعل به فى الدنيا من الذم له والمقت والاشتهار بالشر ما يبقى فيه ولا يخفى به فيكون ذلك كالوسم على الانف * وقوله سبحانه انا بلوناهم يريد قريشا اي امتحناهم واصحاب الجنة فيما ذكر كانوا اخوة وكان لابيهم جنة وحرث يغتله فكان يمسك منه قوته ويتصدق على المساكين بباقيه وقيل بل كان يحمل المساكين معه فى وقت حصاده وجذه فيجديهم منه فمات الشيخ فقال ولده نحن جماعة وفعل ابينا كان خطأ فلنذهب الى جنتنا ولا يدخلنها علينا مسكين ولا نعطى منها شيأ قال

فبيتوا امرهم وعزمهم فبعث الله عليها طائفا من نار او غير ذلك فاحترقت فقيل
فاصبحت سوداء وقيل بيضاء كالزرع اليابس المحصود فلما اصبحوا الى جنتهم
لم يروها فحسبوا انهم قد اخطئوا الطريق ثم تبينوها فعلموا ان الله اصابهم فيها
فتابوا حينئذ وكانوا مومنين اهل كتاب فشبه الله قريشا بهم فى انه امتحنهم
بالمصائب فى دنياهم لعدم اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم ثم التوبة معرضة لمن
بقى منهم * وقوله تعالى ليصرمنها اي ليَجُذنها ومصبحين معناه داخلين فى
الصباح * وقوله تعالى ولا يستثنون اي لا ينثنون عن رأي منع المساكين
وقال مجاهد معناه ولا يقولون ان شاء الله والصريم قال جماعة اراد به الليل من
حيث اسودت جنتهم وقال ابن عباس الصريم الرماد الاسود بلغة خزيمة وقولهم
ان كنتم صارمين يحتمل ان يكون من صرام النخل ويحتمل ان يريد ان كنتم
اهل عزم واقدام على رأيكم من قولك سيف صارم ويتخافتون معناه يتكلمون
كلاما خفيا وكان هذا التخافت خوفا من ان يشعر بهم المساكين وكان لفظهم
الذى يتخافتون به ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وقوله على حرد يحتمل
ان يريد على منع من قولهم حاردت الابل اذا قلت البانها فمنعتها وحاردت
السنة اذا كانت شهباء لاغلة لها ويحتمل ان يريد بالحرد الغضب يقال حرد الرجل
حردا اذا غضب قال البخاري قال قتادة على حرد اي على جد فى انفسهم
انتهى * وقوله تعالى قادرين يحتمل ان يكون من القدرة اي قادرون فى
زعمهم ويحتمل ان يكون من التقدير الذى هو تضييق كانهم قد قدروا على
المساكين اي ضيقوا عليهم فلما رأوها اي محترقة قالوا انا لضالون طريق جنتنا
فلما تحققوها علموا انها قد اصيبت فقالوا بل نحن محرومون اي قد حرمنا غلتها
وبركتها فقال لهم اعدلهم قولا وعقلا وخلقا وهو الاوسط الم اقل لكم لولا
تسبحون قيل هي عبارة عن تعظيم الله والعمل بطاعته سبحانه فبادر القوم عند

ذلك وتابوا وسبحوا واعترفوا بظلمهم فى اعتقادهم منع الفقراء ولام بعضهم بعضا واعترفوا بانهم طغوا اي تعدوا ما يلزم من مواساة المساكين ثم انصرفوا الى رجاء الله سبحانه وانتظار الفضل من لدنه فى ان يبدلهم بسبب توبتهم وانابتهم خيرا من تلك الجنة قال الثعلبي قال ابن مسعود بلغني ان القوم لما اخلصوا وعلم الله صدقهم ابدلهم الله عز وجل بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل العنقود منها وعن ابى خالد اليماني انه رأى تلك الجنة ورأى كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم انتهى وقدرة الله اعظم فلا يستغرب هذا ان صح سنده * وقوله سبحانه كذلك العذاب اي كفعلنا باهل الجنة نفعل بمن تعدى حدودنا * ولعذاب الآخرة اكبر اي اعظم مما اصابهم ان لم يتوبوا فى الدنيا ثم اخبر تعالى بان للمتقين عند ربهم جنات النعيم فروي انه لما نزلت هذه الآية قالت قريش ان كان ثم جنات نعيم فلنا فيها اكبر الحظ فنزلت افنجعل المسلمين كالمجرمين الآية توبيخا لهم * ام لكم كتاب منزل من عند الله تدرسون فيه ان لكم ما تختارون من النعيم فان معمولة لتدرسون وكسرت الهمزة من ان لدخول اللام فى الخبر وهي فى معنى ان بفتح الالف وقرئ شاذا ان لكم بالفتح وقرأ الاعرج آن لكم فيه على الاستفهام ثم خاطب تعالى الكفار بقوله ام لكم ايمان علينا بالغة كانه يقول هل اقسمنا لكم قسما فهو عهد لكم بانا ننعمكم فى يوم القيامة وما بعده وقرأ الاعرج آن لكم لما تحكمون على الاستفهام ايضا * سلهم ايهم بذلك زعيم اي ضامن (ت) قال الهروي وقوله ايمان علينا بالغة اي موكدة انتهى * وقوله تعالى فلياتوا بشركائهم قيل هو استدعاء وتوقيف فى الدنيا اي ليحضروهم حتى يرى هل هم بحال من يضر وينفع ام لا وقيل هو استدعاء وتوقيف على ان ياتوابهم يوم القيامة يوم يكشف عن ساق وقرأ ابن عباس تكشف بضم التاء على معنى تكشف القيامة والشدة والحال

الحاضرة وقرأ ابن عباس ايضا تكشف بفتح التاء على ان القيامة هي الكاشفة وهذه القراءة مفسرة لقراءة الجماعة فما ورد فى الحديث والآية من كشف الساق فهو عبارة عن شدة الهول * وقوله جلت عظمته ويدعون الى السجود فلا يستطيعون وفى الحديث الصحيح فيخرون لله سجدا اجمعون ولا يبقى احد كان يسجد فى الدنيا رياء ولا سمعة ولا نفاقا الاصار ظهره طبقا واحدا كلما اراد ان يسجد خر على قفاه الحديث وفى الحديث فيسجد كل مومن وترجع اصلاب المنافقين والكفار كصياصي البقر عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا الحديث * وقوله تعالى وقد كانوا يدعون الى السجود يريد فى دار الدنيا وهم سالمون مما نال عظام ظهورهم من الاتصال والعتو * وقوله سبحانه فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث الآية وعيد وتهديد والحديث المشار اليه هو القرءان وباقى الآية بين مما ذكر فى غير هذا الموضع ثم امر الله تعالى نبيه بالصبر لحكمه وان يمضي لما امر به من التبليغ واحتمال الاذى والمشقة ونهى عن الضجر والعجلة التى وقع فيها يونس صلى الله عليه وسلم ثم اقتضب القصة وذكر ما وقع فى ءاخرها من ندائه من بطن الحوت وهو مكظوم اي وهو كاظم لحزنه وندمه وقال الثعلبي ونحوه فى البخاري وهو مكظوم اي مملوء غما وكربا انتهى وهو اقرب الى المعنى وقال النقاش المكظوم الذى اخذ بكظمه وهي مجارى القلب وقرأ ابن مسعود وغيره لولا ان تداركته نعمة والنعمة التى تداركته هي الصفح والاجتباء الذى سبق له عند الله عز وجل لنبذ بالعراء اي لطرح بالمراء وهو الفضاء الذى لا يوارى فيه جبل ولا شجر وقد نبذ يونس عليه السلام بالعراء ولكن غير مذموم وجاء فى الحديث عن اسماء بنت عميس قالت علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن عند الكرب او فى الكرب الله الله ربى لا اشرك به شيأ رواه ابو داود والنساءي وابن ماجه واخرجه الطبراني فى كتاب الدعاء

انتهى من السلاح ثم قال تعالى لنبيه وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم المعنى يكادون من الغيظ والعداوة يزلقونه فيذهبون قدمه من مكانها ويسقطونه قال عياض وقد روي عن ابن عباس انه قال كل ما فى القرءان كاد فهو ما لا يكون قال تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهبها واكاد اخفيها ولم يفعل انتهى ذكره اثر قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك وقرأ الجمهور ليزلقونك بضم الياء من ازلق ونافع بفتحها من زلقت الرجل وفى هذا المعنى قول الشاعر

يتقارضون اذا التقوا فى مجلس * نظرا يزل مواطئ الاقدام

وذهب قوم من المفسرين على ان المعنى ياخذونك بالعين وقال الحسن دواء من اصابته العين ان يقرأ هذه الآية والذكر فى الآية القرءان

تفسير سورة الحاقة وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل الحاقة ما الحاقة المراد بالحاقة القيامة وهي اسم فاعل من حق الشيء يحق لانها حقت لكل عامل عمله قال ابن عباس وغيره سميت القيامة حاقة لانها تبدى حقائق الاشياء والحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان والحاقة الثانية خبر ما والجملة خبر الاولى وهذا كما تقول زيد ما زيد على معنى التعظيم له وابهام التعظيم ايضا ليتخيل السامع اقصى جهده * وقوله وما ادراك ما الحاقة مبالغة فى هذا المعنى اي ان فيها ما لم تدره من اهوالها وتفاصيل صفاتها ثم ذكر تعالى تكذيب ثمود وعاد بهذا الامر الذى هو حق مشيرا الى ان من كذب بذلك ينزل به

ما نزل باولائك والقارعة من اسماء القيامة ايضا لانها تقرع القلوب بصدمتها * وقوله سبحانه فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية قال قتادة معناه بالصيحة التي خرجت عن حد كل صيحة وقيل المعنى بسبب الفيئة الطاغية وقيل بسبب الفعلة الطاغية وقال ابن زيد ما معناه الطاغية مصدر كالعاقبة فكانه قال بطغيانهم وقاله ابوعبيدة ويقوى هذا قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها واولى الاقوال واصوبها الاول وباقي الآية تقدم تفسير نظيره وما في ذلك من القصص والعاتية معناه الشديدة المخالفة فكانت الريح قد عتت على خزانها بخلافها وعلى قوم عاد بشدتها وروي عن علي وابن عباس انهما قالا لم ينزل من السماء قطرة ماء قط الا بمكيال على يد ملك ولا هبت ريح الا كذلك الا ما كان من طوفان نوح وريح عاد فان الله اذن لهما في الخروج دون اذن الخزان وحسوما قال ابن عباس وغيره معناه كاملة تباعا لم يتخللها غير ذلك وقال ابن زيد حسوما جمع حاسم ومعناه ان تلك الايام قطعتهم بالاهلاك ومنه حسم العلل ومنه الحسام والضمير في قوله فيها صرعى يحتمل عوده على الليالي والايام ويحتمل عوده على ديارهم وقيل على الريح (ص) ومن قبله النحويان وعاصم في رواية بكسر القاف وفتح الباء اي اجناده واهل طاعته وقرأ الباقون قبله ظرف زمان انتهى * وقوله بالخاطئة صفة لمحذوف اى بالفعلة الخاطئة والرابية النامية التي قد عظمت جدا ومنه ربا المال ومنه اهتزت وربت ثم عدد تعالى على الناس نعمه في قوله انا لما طغا الماء يعني في وقت الطوفان الذى كان على قوم نوح والجارية سفينة نوح قاله منذر بن سعيد والضمير في لنجعلها عائد على الجارية او على الفعلة * وقوله تعالى وتعيها اذن واعية عبارة عن الرجل الفهم المنور القلب الذى يسمع القرءان فيتلقاه بفهم وتدبر قال ابو عمران الجوني واعية عقلت عن الله تعالى وقال الثعلبي المعنى لتحفظها كل اذن فتكون عظة لمن ياتي بعد تقول وعيت العلم اذا حفظته

انتهى ثم ذكر تعالى بامر القيامة وقرأ الجمهور وحملت بتخفيف الميم بمعنى حملتها الريح او القدرة ودكتا معناه سوي جميعها وانشقاق السماء هو تفطرها وتميز بعضها من بعض وذلك هو الوهي الذى ينالها كما يقال فى الجدرات البالية المتشققة واهية والملك اسم الجنس يريد به الملائكة وقال جمهور من المفسرين الضمير فى ارجائها عائد على السماء اي الملائكة على نواحيها والرجا الجانب من البير او الحائط ونحوه وقال الضحاك وابن جبير وغيرهما الضمير فى ارجائها عائد على الارض وان كان لم يتقدم لها ذكر قريب لان القصة واللفظ يقتضى افهام ذلك وفسروا هذه الآية بما روي من ان الله تعالى يامر ملائكة سماء الدنيا فيقفون صفا على حافات الارض ثم يامر ملائكة السماء الثانية فيصفون خلفهم ثم كذلك ملائكة كل سماء فكلما ند احد من الجن اوالانس وجد الارض قد احيط بها قالوا فهذا تفسير هذه الآية وهو ايضا معنى قوله وجاء ربك والملك صفا صفا وهوتفسير يوم التنادّ يوم تولون مدبرين على قراءة من شدد الدال وهو تفسير قوله يا معشر الجن والانس الآية واختلف الناس فى الثمانية الحاملين للعرش فقال ابن عباس هي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم احد عدتهم وقال ابن زيد هم ثمانية املاك على هيئة الوعول وقال جماعة من المفسرين هم على هيئة الناس ارجلهم تحت الارض السابعة ورءوسهم وكواهلهم فوق السماء السابعة قال الغزالي فى الدرة الفاخرة هم ثمانية املاك قدم الملك منهم مسيرة عشرين الف سنة انتهى والضمير فى قوله فوقهم قيل هو للملائكة الحملة وقيل للعالم كله * وقوله تعالى يومئذ تعرضون خطاب لجميع العالم وفى الحديث الصحيح يعرض الناس ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعندها تتطاير الصحف فى الايدى فاخذ بيمينه واخذ بشماله قال الغزالي يجب على مسلم البدار الى محاسبة نفسه كما قال عمر رضي الله عنه

حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب من كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط فيه من تقصير فى فرائض الله عز وجل ويرد المظالم حبة حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب ان شاء الله تعالى انتهى من ءاخر الاحياء ونقل القرطبي فى تذكرته هذه الالفاظ بعينها * وقوله هاؤم اقرءوا كتابيه معناه تعالوا وقوله اقرءوا كتابيه هو استبشار وسرور (ص) هاؤم ها بمعنى خذ قال الكسائي والعرب تقول هاء يا رجل وللاثنين رجلين اوامرأتين هاؤما وللرجال هاؤم وللمرأة هاء بهمزة مكسورة من غير ياء وللنساء هاؤن وزعم القتبي ان الهمزة بدل من الكاف وهو ضعيف الا ان يعني انها تحل محلها فى لغة من قال هاك وهاك وهاكما وهاكم وهاكن فذلك ممكن لا انه بدل صناعي لان الكاف لا تبدل من الهمزة ولا الهمزة منها انتهى * وقوله انى ظننت انى ملاق حسابيه عبارة عن ايمانه بالبعث وغيره وظننت هنا واقعة موقع تيقنت وهي فى متيقن لم يقع بعد ولا خرج الى الحس وهذا هو باب الظن الذى يوقع موقع اليقين وراضية بمعنى مرضية والقطوف جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمار ويقطف ودنوها هوانها تاتى طوع التمنى فياكلها القائم والقاعد والمضطجع بفيه من شجرتها وبما اسلفتم معناه بما قدمتم من الاعمال الصالحة والايام الخالية هي ايام الدنيا لانها فى الآخرة قد خلت وذهبت وقال وكيع وغيره المراد بما اسلفتم من الصوم وعموم الآية فى كل الاعمال اولى واحسن (ت) ويدل على ذلك الآية الاخرى كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا مالك بن مغول انه بلغه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا فانه اهون او ايسر لحسابكم وزنوا انفسكم قبل

ان توزنوا وتجهزوا للعرض الاكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية قال ابن المبارك اخبرنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال ان المومن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله وانما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا انفسهم فى الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم اخذوا هذا الامر عن غير محاسبة انتهى والذين يوتون كتبهم بشمائلهم هم المخلدون فى النار اهل الكفر فيتمنون ان لو كانوا معدومين * وقوله يا ليتها كانت القاضية اشارة الى مونة الدنيا اي ليتها لم يكن بعدها رجوع (ص) ما اغنى ما نافية او استفهامية انتهى والسلطان فى الآية الحجة وقيل انه ينطق بذلك ملوك الدنيا والظاهر ان سلطان كل احد حاله فى الدنيا من عدد وعدد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يومن الرجل الرجل فى سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه * وقوله سبحانه خذوه فغلوه الآية المعنى يقول الله تعالى او الملك بامره للزبانية خذوه واجعلوا فى عنقه غلا قال ابن جريج نزلت فى ابي جهل * وقوله تعالى فاسلكوه معناه ادخلوه وروي ان هذه السلسلة تدخل فى فم الكافر وتخرج من دبره فهي فى الحقيقة التى تسلك فيه لكن الكلام جرى مجرى ادخلت القلنسوة فى رأسى وروي ان هذه السلسلة تلوى حول الكافر حتى تعمه وتضغطه فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك * وقوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين خصت هذه الخلة بالذكر لانها من اضر الخلال بالبشر اذا كثرت فى قوم هلك مساكينهم (ت) ونقل الفخر عن بعض الناس انه قال فى قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم فى حرمان المساكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينا له والثانى ذكر الحض دون الفعل ليعلم انه اذا كان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بمن ترك الفعل قال الفخر ودلت الآية على ان الكفار يعاقبون على ترك الصلاة والزكاة وهو المراد من قولنا انهم مخاطبون بفروع

الشريعة وعن ابى الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف الثانى انتهى * وقوله فليس له اليوم هاهنا حميم اي صديق لطيف المودة قاله الجمهور وقيل الحميم الماء السخن فكانه تعالى اخبر ان الكافر ليس له ماء ولا شيء مائع ولا طعام الا من غسلين وهو ما يجرى من الجراح اذا غسلت وقال ابن عباس الغسلين هو صديد اهل النار وقال قوم الغسلين شيء يجرى من ضريع النار (ص) الامن غسلين ابو البقاء النون فى غسلين زائدة لانه غسالة اهل النار انتهى والخاطئ الذى يفعل ضد الصواب * وقوله تعالى فلا اقسم قيل لا زائدة وقيل لا رد لما تقدم من اقوال الكفار والبدأة اقسم * وقوله بما تبصرون ومالا تبصرون قال قتادة اراد الله تعالى ان يعم بهذا القسم جميع مخلوقاته والرسول الكريم قيل هو جبريل وقيل هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى وما هو بقول شاعر نفى سبحانه ان يكون القرءان من قول شاعر كما زعمت قريش وقليلا نصب بفعل مضمر يدل عليه تومنون وما يحتمل ان تكون نافية فينتفى ايمانهم البتة ويحتمل ان تكون مصدرية فيتصف ايمانهم بالقلة ويكون ايمانا لغويا لانهم قد صدقوا باشياء يسيرة لاتغنى عنهم شيأ ثم اخبر سبحانه ان محمدا عليه السلام لو تقول عليه لعاقبه بما ذكر (ص) الاقاويل جمع اقوال واقوال جمع قول فهو جمع الجمع انتهى * وقوله سبحانه لاخذنا منه باليمين قال ابن عباس المعنى لاخذنا منه بالقوة اي لنلنا منه عقابه بقوة منا وقيل معناه لاخذنا بيده اليمنى على جهة الهوان كما يقال لمن يسجن او يقام لعقوبة خذوا بيده اوبيمينه والوتين نياط القلب قاله ابن عباس وهو عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر فمعنى الآية لا ذهبنا حياته معجلا والحاجز المانع والضمير فى قوله وانه لتذكرة عائد على القرءان وقيل على النبي صلى الله عليه وسلم (ص) وانه لحسرة ضمير انه

يعود على التكذيب المفهوم من مكذبين انتهى وقال الفخر الضمير فى قوله وانه لحسرة فيه وجهان احدهما انه يعود على القرءان اي هو على الكافرين حسرة اما يوم القيامة اذا رأوا ثواب المصدقين به او فى الدنيا اذا رأوا دولة المومنين والثانى قال مقاتل وان تكذيبهم بالقرءان لحسرة عليهم يدل عليه قوله ان منكم مكذبين انتهى ثم امر تعالى نبيه بالتسبيح باسمه العظيم ولما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم

تفسير سورة سال سائل وهي مكية
بلا خلاف

* بسم الله الرحمـن الرحيم *

قوله عـز وجـل سال سائل بعذاب قرأ جمهور السبعة سأل بهمزة محققة قالوا والمعنى دعا داع والاشارة الى مـن قال من قريش اللهم ان كان هـذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية وقولهم عجل لنا قطنا ونحو ذلك وقال بعضهم المعنى بحث باحث واستفهم مستفهم قالوا والاشارة الى قول قريش متى هذا الوعد وما جرى مجراه قاله الحسن وقتادة والباء على هـذا التاويل فى قوله بعذاب بمعنى عـن وقرأ نافع وابن عامر سال سائل ساكنة الالف واختلف القراء بها فقال بعضهم هي سأل المهموزة الا ان الهمزة سهلت وقال بعضهم هي لغـة من يقول سلت اسال ويتساولان وهي لغـة مشهورة وقال بعضهم فى الآيـة هي مـن سال يسيـل اذا جرى وليست مـن معنى السؤال قال زيد بن

ثابت وغيره فى جهنم واد يسمى سائلا والاخبار هنــا عنه وقرأ ابن عباس سال سيل بسكون الياء وسؤال الكفار عن العذاب حسب قراءة الجماعــة انما كان على انــه كذب فوصفه الله تعالى بانهِ واقع وعيدا لهم * وقوله للكافرين قال بعض النحاة اللام بمعنى على وروي انــه كذلك فى مصحف ابي على الكافرين والمعارج فى اللغة الدرج فى الاجرام وهي هنــا مستعارة فى الرتب والفضائــل والصفات الحميــدة قاله ابن عباس وقتادة وقال الحسن هي المراقى فى السماء قال عياض فى مشارق الانوار قوله صلى الله عليه وسلم فعرج بى الى السماء اي ارتقي بى والمعراج الدرج وقيل سلم تعرج فيه الارواح وقيل هو احسن شيء لا تتمالك النفس اذا رأته ان تخرج واليه يشخص بصر الميت من حسنه وقيل هو الذى تصعــد فيه الاعمال وقيل قوله ذى المعارج معارج الملائكة وقيل ذى الفواضل انتهى * وقوله تعالى تعرج الملائكة معناه تصعد والروح عنــد الجمهور هو جبريل عليه السلام وقال مجاهد الروح ملائكة حفظة للملائكة الحافظين لبنى ءادم لا تراهــم الملائكة كما لا نرى نحن الملائكة وقال بعض المفسرين هو اسم جنس لارواح الحيوان * وقوله سبحانه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال ابن عباس وغيره هو يوم القيامة ثم اختلفوا فقال بعضهم قدره فى الطول قدر خمسين الف سنة وقال بعضهم بل قدره فى الشدة والاول هو الظاهر وهو ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله الا جعل له صفائح من نار يوم القيامة تكوى بها جبهته وظهره وجنباه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال ابو سعيــد الخدري قيل يا رسول الله مــا اطول يوما مقداره خمسون الف سنــة فقال والذى نفسى بيده انه ليخف على المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة قال ابن المبارك اخبرنا معمر عن قتادة عن زرارة بن اوفى عن ابى هريرة قال يقصر يومئذ على المومن حتى

يكون كوقت الصلاة انتهى قال (ع) وقد ورد فى يوم القيامة انه كالف سنة وهذا يشبه ان يكون فى طوائف دون طوائف (ت) قال عبد الحق فى العاقبة له اعلم رحمك الله ان يوم القيامة ليس طوله كما عهدت من طول الايام * بل هو ءالاف من الاعوام * يتصرف فيه هذا الانام * على الوجوه والاقدام * حتى ينفذ فيهم ما كتب لهم وعليهم من الاحكام * وليس يكون خلاصه دفعة واحدة ولا فراغهم فى مرة واحدة بل يتخلصون ويفرغون شيأ بعد شيء لكن طول ذلك اليوم خمسون الف سنة فيفرغون بفراغ اليوم ويفرغ اليوم بفراغهم فمن الناس من يطول مقامه وحبسه الى ءاخر اليوم ومنهم من يكون انفصاله فى ذلك اليوم فى مقدار يوم من ايام الدنيا او فى ساعة من ساعاته او فى اقل من ذلك ويكون رايحا فى ظل كسبه وعرش ربه ومنهم من يومر به الى الجنة بغير حساب ولا عذاب كما ان منهم من يومر به الى النار فى اول الامر من غير وقوف ولا انتظار او بعد يسير من ذلك انتهى * وقوله سبحانه فاصبر صبرا جميلا امر للنبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على اذى قومه والصبر الجميل الذى لا يلحقه عيب ولا تشك ولا قلة رضى ولا غير ذلك والامر بالصبر الجميل محكم فى كل حالة اعنى لا نسخ فيه وقيل ان الآية نزلت قبل الامر بالقتال فهي منسوخة (ت) ولو قيل هذا خطاب لجنس الانسان فى شأن هول ذلك اليوم ما بعد * وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا يعنى يوم القيامة والمهل عكر الزيت قاله ابن عباس وغيره فهي لسوادها وانكدار انوارها تشبه ذلك والمهل ايضا ما اذيب من فضة ونحوها قاله ابن مسعود وغيره والعهن الصوف وقيل هو الصوف المصبوغ اي لون كان والحميم فى هذا الموضع القريب والولي والمعنى ولا يسئله نصرة ولا منفعة ولا يجدها عنده وقال قتادة المعنى ولا يسئله عن حاله لانها ظاهرة قد بصر كل احد حالة الجميع وشغل بنفسه قال الفخر قوله

تعالى يبصرونهم تقول بصرنى زيد كذا وبصرنى بكذا فاذا بنيت الفعل للمفعول
وحذفت الجار قلت بصرت زيدا وهكذا معنى يبصرونهم وكانه لما قال ولا
يسئل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقال يبصرونهم ولكن لا شتغالهم بانفسهم
لا يتمكنون من تساؤلهم انتهى وقرأ ابن كثير بخلاف عنه ولا يسئل على بناء
الفعل للمفعول فالمعنى ولا يسئل احضاره لان كل مجرم له سيما يعرف بها كما ان
كل مومن له سيما خير والصاحبة هنا الزوجة والفصيلة هنا قرابة الرجل *
وقوله تعالى كلا انها لظى رد لما ودوه اي ليس الامر كذلك ولظى طبقة من
طبقات جهنم والشوى جلد الانسان وقيل جلد الراس * تدعوا من ادبر
وتولى يريد الكفار قال ابن عباس وغيره تدعوهم باسمائهم واسماء ابائهم وجمع
اي جمع المال واوعى جعله فى الاوعية اي جمعوه من غير حل ومنعوه من حقوق
الله وكان عبد الله بن عكيم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله تعالى يقول وجمع
فاوعى * وقوله تعالى ان الانسان عموم لاسم الجنس لكن الاشارة هنا الى
الكفار والهلع فزع واضطراب يعترى الانسان عند المخاوف وعند المطامع *
وقوله تعالى اذا مسه الآية مفسر للهلع * وقوله تعالى الا المصلين اي الا
المومنين الذين امر الآخرة عليهم اوكد من امر الدنيا والمعنى ان هذا المعنى فيهم
يقل لانهم يجاهدونه بالتقوى * وقوله الذين هم على صلاتهم دائمون اي
مواظبون وقد قال عليه السلام احب العمل الى الله ما دام عليه صاحبه (ت)
وقد تقدم فى سورة قد افلح ما جاء فى الخشوع قال الغزالي فينبغى لك ان
تفهم ما تقرأه فى صلاتك ولا تغفل فى قراءتك عن امره سبحانه ونهيه ووعده
ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل واحد حق فالرجاء
حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق
الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق ذكر اخبار الانبياء قال الغزالي

وتكون هـذه المعانى بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لاتنحصر فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم يراعى الهيئة فى القراءة فيرتل ولايسرد فان ذلك ايسر للتأمل ويفرق بين نغماته فى ءايات الرحمة وءايات العذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم انتهى من الاحياء وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابى حبيب ان ابا الخير حدثه قال سألنا عقبة بن عامر الجهني عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دائمون اهم الذين يصلون ابدا قال لا ولكنه الذى اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه انتهى * وقوله سبحانه والذين فى اموالهم حق معلوم قال ابن عباس وغيره هذه الآية فى الحقوق التى فى المال سوى الزكاة وهي ما ندبت اليه الشريعة من المواساة وهذا هو الاصح فى هذه الآية لان السورة مكية وفرض الزكاة وبيانها انما كان بالمدينة وباقى الآية تقدم تفسير نظيره * وقوله سبحانه والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون جمع الامانة من حيث انها متنوعة فى الاموال والاسرار وفيما بين العبد وربه فيما امره به ونهاه عنه والعهد كل ما تقلده الانسان من قول او فعل او مودة اذا كانت هذه الاشياء على منهاج الشريعة فهو عهد ينبغى رعيه وحفظه * وقوله سبحانه والذين هم بشهاداتهم قائمون معناه فى قول جماعة من المفسرين انهم يحفظون ما يشهدون فيه ويتقنونه ويقومون بمعانيه حتى لا يكون لهم فيه تقصير وهذا هو وصف من يمتثل قول النبي صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد وقال ءاخرون معناه الذين اذا كانت عندهم شهادة ورأوا حقا يدرس او حرمة لله تنتهك قاموا لله بشهادتهم * وقوله تعالى فمال الذين كفروا قبلك مهطعين الآية نزلت بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى عند الكعبة احيانا ويقرأ القرءان فكان كثير من الكفار يقومون من

مجالسهم مسرعين اليه يستمعون قراءته ويقول بعضهم لبعض شاعر وكاهن ومفتر وغير ذلك وقبلك معناه فيما يليك والمهطع الذى يمشى مسرعا الى شيء قد اقبل ببصره عليه وعزين جمع عزة والعزة الجمع اليسير كانهم كانوا ثلاثة ثلاثة واربعة اربعة وفى حديث ابى هريرة قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم حلق متفرقون فقال مالى اراكم عزين * وقوله تعالى ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم نزلت لان بعض الكفار قال ان كانت ثم آخرة وجنة فنحن اهلها لان الله تعالى لم ينعم علينا فى الدنيا بالمال والبنين وغير ذالك الا لرضاه عنا * وقوله تعالى كلا رد لقولهم وطمعهم اي ليس الامر كذلك ثم اخبر تعالى عن خلقهم من نطفة قذرة واحال فى العبارة على علم الناس اي فمن خلق من ذلك فليس بنفس خلقه يعطى الجنة بل بالايمان والاعمال الصالحة وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا مالك بن مغول قال سمعت ابا ربيعة يحدث عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم جعلنا الله فداءك قال فاقصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء قالوا يا رسول الله كلنا نستحي من الله قال ليس كذلك الحياء ولكن الحياء من الله ان لا تنسوا المقابر والبلى ولا تنسوا الجوف وما وعى ولا تنسوا الرأس وما حوى ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا هنالك استحيى العبد من الله هنالك اصاب ولاية الله انتهى وقد روينا اكثر هذا الحديث من طريق ابى عيسى الترمذي وباقى الآية تقدم تفسير نظيره والاجداث القبور والنصب ما نصب للانسان فهو يقصده مسرعا اليه من علم او بناء وقال ابو العالية الى نصب يوفضون معناه الى غايات يستبقون ويوفضون معناه يسرعون وخاشعة اي ذليلة منكسرة

تفسير سورة نوح عليه السلام

وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم هذا العذب الذى توعدوا به الاظهر انه عذاب الدنيا ويحتمل ان يكون عذاب الآخرة * وقوله من ذنوبكم قال قوم من زائدة وهذا نحو كوفي واما الخليل وسيبويه فلا يجوز عندهم زيادة من فى الموجب وقال قوم هي للتبميض قال (ع) وهذا القول عندى ابين الاقوال هنا وذلك انه لو قال يغفر لكم ذنوبكم لعم هذا اللفظ ما تقدم من الذنوب وما تأخر عن ايمانهم والاسلام انما يجب ما قبله * وقوله سبحانه ويوخركم الى اجل مسمى كانّ نوحا عليه السلام قال لهم ءامنوا يبن لنا انكم ممن قضي له بالايمان والتاخير وان بقيتم على كفركم فسيبين انكم ممن قضي عليه بالكفر والمعاجلة ثم تبين هذا المعنى ولاح بقوله تعالى ان اجل الله اذا جاء لا يوخر وجواب لو مقدر يقتضيه المعنى كانه قال فما كان احزمكم او اسرعكم الى التوبة لو كنتم تعلمون * وقوله تعالى قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الآية هذه المقالة قالها نوح عليه السلام بعد طول عمره وياسه من قومه * واستغشوا ثيابهم معناه جعلوها اغشية على رءوسهم * وقوله يرسل السماء الآية روي ان قوم نوح كانوا قد اصابتهم قحوط وازمة فلذلك بدأهم فى وعده بامر المطر ومدرارا من الدر وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق

مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقـه مـن حيث لا يحتسب رواه ابو داود واللفظ له والنساءي وابن ماجه ولفظ النساءي من اكثر من الاستغفار انتهى من السلاح * وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا قال ابو عبيـدة وغيره ترجون معناه تخافون قالوا والوقار بمعنى العظمة فكانّ الكلام على هـذا التاويل وعيد وتخويف وقال بعض العلماء ترجون على بابها وكانه قال ما لكم لا تجعلون رجاء كم لله ووقارا يكون على هذا التاويل منهم كانه يقول تؤدة منكم وتمكنا فى النظر * وقوله وقد خلقكم اطوارا قال ابن عباس وغيره هي اشارة الى التدريج الذى للانسان فى بطن امه وقال جماعة هي اشارة الى العبرة فى اختلاف خَلق الوان الناس وخُلقهم ومللهم والاطوار الاحوال المختلفة * وقوله سبحانـه وجعل القمر فيهن نورا الآية قال عبد الله بن عمرو بن العاصى وابن عباس ان الشمس والقمر اقفاؤهما الى الارض واقبال نورهما وارتفاعه فى السماء وهذا الذى يقتضيه لفظ السراج * وانبتكم من الارض استعارة مـن حيث خلق ءادم عليه السلام من الارض * ونباتا مصدر جاء على غير الصدر التقدير فنبتم نباتا والاعادة فيها بالدفن والاخراج هو بالبعث وظاهر الآية ان الارض بسيطة غير كرية واعتقاد احد الامرين غير قادح فى الشرع بنفسه اللهم الا ان يترتب على القول بالكرية نظر فاسد واما اعتقاد كونها بسيطة فهو ظاهر كتاب الله تعالى وهو الذى لا يلحق عنه فساد البتة واستدل ابن مجاهد على صحة ذلك بماء البحر المحيط بالمعمور فقال لو كانت الارض كرية لما استقر الماء عليها والسبل الطرق والفجاج الواسعة وقول نوح واتبعوا من لم يزده ماله الآية المعنى اتبعوا اشرافهم وغواتهم وخسارا ءمعناه خسرانا وكبارا بناء مبالغة نحو حسان وقرئ شاذا كبارا بكسر الكاف قال ابن الانبارى جمع كبير * وودا ومـا عطف عليه اسماء اصنام وروى البخاري وغيره عن ابن عباس انها كانت اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا

اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اولائك وتُنُسِّخ العلمُ عبدت قال ابن عباس ثم صارت هذه الاوثان التى فى قوم نوح فى العرب بعد انتهى * وقوله وقد اضلوا كثيرا هو اخبار نوح عن الاشراف ثم دعا الله عليهم ان لا يزيدهم الاضلالا وقال الحسن اراد بقوله وقد اضلوا الاصنام المذكورة * وقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا ابتداء اخبار من الله تعالى لمحمد عليه السلام وما فى قوله مما زائدة فكانه قال من خطيئاتهم وهي لابتداء الغاية (ص) مما خطيئاتهم من للسبب (ع) لابتداء الغاية وما زائدة للتوكيد انتهى فادخلوا نارا يعنى جهنم وقول نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قال قتادة وغيره لم يدع نوح بهذه الدعوة الا من بعد ان اوحي اليه انه لن يومن من قومك الا من قد آمن وديارا اصله ديوار من الدوران اي من يجيء ويذهب * وقوله رب اغفر لى ولوالدي قال ابن عباس لم يكفر لنوح اب ما بينه وبين ءادم عليه السلام وقرأ ابي بن كعب ولابوي وبيته المسجد فيما قاله ابن عباس وجمهور المفسرين وقال ابن عباس ايضا بيته شريعته ودينه استعار لها بيتا كما يقال قبة الاسلام وفسطاط الدين وقيل اراد سفينته * وقوله وللمومنين والمومنات تعميم بالدعاء لمومنى كل امة وقال بعض العلماء ان الذى استجاب لنوح عليه السلام فاغرق بدعوته اهل الارض الكفار لجدير ان يستجيب له فيرحم بدعوته المومنين والتبار الهلاك

تفسير سورة الجن وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن هؤلاء النفر من الجن هم الذين صادفوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ببطن نخلة في صلاة الصبح وقد تقدم قصصهم في سورة الاحقاف وقول الجن انا سمعنا الآيات هو خطاب منهم لقومهم * وقرءانا عجبا معناه ذا عجب لان العجب مصدر يقع من سامع القرءان لبراعته وفصاحته ومضمناته * وقوله وانه تعالى جد ربنا قال الجمهور معناه عظمة ربنا وروي عن انس انه قال كان الرجل اذا قرأ البقرة وءال عمران جد في اعيننا اي عظم وعن الحسن جد ربنا غناه وقال مجاهد ذكره وقال بعضهم جلاله ومن فتح الالف من قوله وانه تعالى اختلفوا في تاويل ذلك فقال بعضهم هو عطف على انه استمع فيجيء على هذا قوله تعالى وانه تعالى مما امر ان يقول النبي انه اوحي اليه وليس هو من كلام الجن وفي هذا قلق وقال بعضهم بل هو عطف على الضمير في به كانه يقول فئامنا به وبانه تعالى وهذا القول ابين في المعنى لكن فيه من جهة النحو العطف على الضمير المخفوض دون اعادة الخافض وذلك لا يحسن (ت) بل هو حسن اذ قد اتى في النظم والنثر الصحيح مثبتا وقرأ عكرمة تعالى جد ربنا بفتح الجيم وضم الدال وتنوينه ورفع الرب كانه يقول تعالى عظيم هو ربنا فربنا بدل والجد العظيم في اللغة وقرأ ابو الدرداء تعالى ذكر ربنا وروي عنه تعالى جلال ربنا * وقوله تعالى وانه كان يقول سفيهنا لا خلاف ان هذا من قول الجن والسفيه المذكور قال جمهور

من المفسرين هو ابليس لعنه الله وقال ءاخرون هو اسم جنس لكل سفيه منهم ولا محالة ان ابليس صدر فى السفاهة وهذا القول احسن والشطط التعدى وتجاوز الحد بقول او فعل (ص) شططا ابو البقاء نعت لمصدر محذوف اي قولا شططا انتهى ثم قال اولائك النفر وانا ظننا قبل ايماننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فى جهة الالوهية وما يتعلق بذلك * وقوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن الآية من القراء من كسر الهمزة من انه ومنهم من فتحها والكسر اوجه والمعنى فى الآية ما كانت العرب تفعله فى اسفارها من ان الرجل اذا اراد المبيت بواد صاح باعلى صوته يا عزيز هذا الوادى انى اعوذ بك من السفهاء الذين فى طاعتك ويعتقد بذلك ان الجني يحميه ويمنعه قال قتادة فكانت الجن تحتقر بنى ءادم وتزدريهم لما ترى من جهلهم فكانوا يزيدونهم مخافة ويتعرضون للتخيل لهم ويغوونهم فى ارادتهم فهذا هو الرهق الذى زادته الجن بنى ءادم وقال مجاهد وغيره بنو ءادم هم الذين زادوا الجن رهقا وهي الجراءة والطغيان وقد فسر قوم الرهق بالاثم * وقوله وانهم ظنوا يريد به بنى ءادم * وقوله كما ظننتم مخاطبة لقومهم من الجن وقولهم ان لن يبعث الله احدا يحتمل معنيين احدهما بعث الحشر من القبور والآخر بعث ءادمي رسولا وذكر المهدوي تاويلا ثالثا ان المعنى وان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الانس فهي مخاطبة من الله تعالى قال الثعلبي وقيل ان قوله وانه كان رجال من الانس الآية ابتداء اخبار من الله تعالى ليس هو من كلام الجن انتهى فهو وفاق لما ذكره المهدوي وقولهم وانا لمسنا السماء قال جمهور المتأولين معناه التمسنا والشهب كواكب الرجم والحرس يحتمل ان يريد الرمي بالشهب وكرر المعنى بلفظ مختلف ويحتمل ان يريد الملائكة ومقاعد جمع مقعد وقد تقدم بيان ذلك فى سورة الحجر وقولهم فمن يستمع الآن الآية قطع على ان كل من استمع الآن احرقه شهاب

فليس هنا بعد سمع انما الاحراق عند الاستماع وهذا يقتضى ان الرجم كان فى الجاهلية ولكنه لم يكن بمستاصل فلما جاء الاسلام اشتد الامر حتى لم يكن فيه ولا يسير سماحة ورصدا نعت لشهاب ووصفه بالمصدر وقولهم وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض الآية معناه لا ندرى ايومن الناس بهذا النبي فيرشدوا ام يكفرون بـه فينزل بهم الشر وعبارة الثعلبي وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض حين حرست السماء ومنعنا السمع ام اراد بهم ربهم رشدا انتهى * وقولهم وانا منا الصالحون الى ءاخر قولهم ومنا القاسطون هو من قول الجن وقولهم ومنا دون ذلك اي غير صالحين (ص) دون ذلك قيل بمعنى غير ذلك وقيل دون ذلك فى الصلاح فدون فى موضع الصفة لمحذوف اي ومنا قوم دون ذلك انتهى والطرائق السير المختلفة والقدد كذلك هي الاشياء المختلفة كانه قد قد بعضها من بعض وفصل قال ابن عباس وغيره طرائق قددا اهواء مختلفة وقولهم وانا ظننا اي تيقنا فالظن هنا بمعنى العلم ان لن نعجز الله فى الارض الآية وهذا اخبار منهم عن حالهم بعد ايمانهم بما سمعوا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والهدى يريدون بـه القرءان والبخس النقص والرهق تحميل ما لا يطاق وما يثقل قال ابن عباس البخس نقص الحسنات والرهق الزيادة فى السيئات * وقوله تعالى فمن اسلم فاولائك تحروا رشدا الوجه فيه ان يكون مخاطبة من الله تعالى لنبيه محمد عليه السلام ويؤيده ما بعده من الآيات وتحروا معناه طلبوا باجتهادهم * وقوله سبحانه وان لو استقاموا على الطريقة الآية قال ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن جبير الضمير فى قوله استقاموا عائد على القاسطين والمعنى لو استقاموا على طريقة الاسلام والحق لا نعمنا عليهم وهذا المعنى نحو قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب ءامنوا واتقوا الآية الى قوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم والقاسط الظالم والماء الغدق هو الماء الكثير

ولنفتنهم معناه لنختبرهم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يكون الماء فثم المال وحيث المال فثم الفتنة ونزع بهذه الآية وقال الحسن وجماعة من التابعين كانت الصحابة رضي الله عنهم سامعين مطيعين فلما فتحت كنوز كسرى وقيصر على الناس ثارت الفتن ونسلكه ندخله وصعدا معناه شاقا وقال ابن عباس وابو سعيد الخدري صعدا جبل فى النار وان المساجد لله قيل اراد البيوت التى للعبادة والصلاة فى كل ملة وقال الحسن اراد بها كل موضع يسجد فيه اذ الارض كلها جعلت مسجدا لهذه الامة وروي ان هذه الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة حينئذ فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم المواضع كلها لله فاعبده حيث كنت قال (ع) والمساجد المخصوصة بينة التمكن فى كونها لله تعالى فيصلح ان تفرد للعبادة وكل ما هو خالص لله تعالى وان لا يتحدث بها فى امور الدنيا ولا يجعل فيها لغير الله نصيب * وقوله تعالى وانه لما قام عبد الله يحتمل ان يكون خطابا من الله تعالى ويحتمل ان يكون اخبارا عن الجن وعبد الله هو محمد صلى الله عليه وسلم والضمير فى كادوا يحتمل ان يكون لكفار قريش وغيرهم فى اجتماعهم على رد امره صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير للجن والمعنى انهم كادوا يتقصفون عليه لاستماع القرءان وقال ابن جبير معنى الآية انها قول الجن لقومهم يحكون لهم والعبد محمد عليه السلام والضمير فى كادوا لاصحابه الذين يطيعون له ويقتدون به فى الصلاة فهم عليه لبد واللبد الجماعات شبهت بالشيء المتلبد وقال البخاري قال ابن عباس لبدا اعوانا انتهى ويدعوه معناه يعبده وقيل عبد الله فى الآية المراد به نوح وقرأ جمهور السبعة قال انما ادعوا ربى وقرأ حمزة وعاصم وابو عمرو بخلاف عنه قل ثم امر الله تعالى محمدا عليه السلام بالتبرى من القدرة وانه لا يملك لاحد ضرا ولا نفعا والملتحد الملجأ الذى يمال اليه ومنه الالحاد وهو الميل * وقوله الا بلاغا قال قتادة التقدير لا املك

الا بلاغا اليكم فاما الايمان او الكفر فلا املكه وقال الحسن ما معناه انه استثناء منقطع والمعنى لن يجيرنى من الله احد الا بلاغا فانى ان بلغت رحمنى بذلك اي بسبب ذلك * وقوله تعالى ومن يعص الله يريـد بالكفر بدليل تابيد الخلود * وقوله تعالى قل ان ادرى اقريب ما توعدون يعني عذابهم الذى وعدوا به والامد المدة والغاية * وقوله تعالى الا من ارتضى من رسول معناه فانه يظهره على ما شاء مما هو قليل من كثير ثم يبث تعالى حول ذلك الملك الرسول حفظة رصدا لابليس وحزبه من الجن والانس * وقوله تعالى ليعلم ان قد ابلغوا الآية قال ابن جبير ليعلم محمد ان الملائكة الحفظة الرصد النازلين بين يدي جبريل وخلفه قد ابلغوا رسالات ربهم وقال مجاهد معناه ليعلم من كذب او اشرك ان الرسل قد بلغت وقيل المعنى ليعلم الله تعالى رسله مبلغة خارجـة الى الوجود لان علمه بكل شيء قد تقدم والضمير فى احاط واحصى لله سبحانه لا غير

تفسير سورة المزمل وهي مكية
فى قول الجمهور

الا قوله ان ربك يعلم الى اخر السورة فمدني وقال جماعة هي مكية كلها

* بسم الله الرحمـن الرحـيم *

قوله عز وجل يا ايها المزمل نـداء للنبي صلى الله عليه وسلم قال السهيلي المزمل اسم مشتق من حالته التى كان عليها عليه السلام حين الخطاب وكذلك المدثر وفى خطابه بهـذا الاسم فائـدتان احداهما الملاطفـة فان العرب اذا قصدت

ملاطفة المخاطب وترك معاتبته سموه باسم مشتق من حالته كقوله عليه السلام لعلي حين غاضب فاطمة قم ابا تراب اشعارا له انه غير عاتب عليه وملاطفة له والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه الي قيام الليل وذكر الله فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل بذلك العمل واتصف بتلك الصفة انتهى والتزمل الالتفاف فى الثياب قال جمهور المفسرين وهو فى البخاري وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه الملك فى غار حراء وحاوره بما حاوره به رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خديجة فقال زملونى زملونى فنزلت يا ايها المدثر وعلى هذا نزلت يا ايها المزمل * وقوله تعالى قم الليل الا قليلا قال جمهور العلماء هو امر ندب وقيل كان فرضا وقت نزول الآية وقال بعضهم كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وبقي كذلك حتى توفي وقيل غير هذا * وقوله تعالى نصفه يحتمل ان يكون بدلا من قوله قليلا (ص) الا قليلا استثناء من الليل ونصفه قيل بدل من الليل وعلى هذا يكون استثناء الا قليلا منه اي قم نصف الليل الا قليلا منه والضمير فى قوله او انقص منه او زد عليه عائد على النصف وقيل نصفه بدل من قوله الا قليلا قال ابو البقاء وهو اشبه بظاهر الآية انتهى قال (ع) وكيف ما تقلب المعنى فانه امر بقيام نصف الليل او اكثر شيأ او اقل شيأ فالاكثر عند العلماء لا يزيد على الثلثين والاقل لا ينحط عن الثلث ويقوى هذا حديث ابن عباس فى مبيته فى بيت ميمونة قال فلما انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ع) ويلزم على هذا البدل الذى ذكرناه ان يكون نصف الليل قد وقع عليه الوصف بقليل وقد يحتمل عندى قوله الا قليلا ان يكون استثناء من القيام فنجعل الليل اسم جنس ثم قال الا قليلا اي الا الليالي التى تخل بقيامها لعذر وهذا النظر يحسن مع القول بالندب جدا

قال (ص) وهـذا النظر خلاف ظاهر الآيـة انتهى والضمير فى منه وعليه عائـدان على النصف * وقوله سبحانـه ورتل معناه فى اللغة تمهل وفرق بين الحروف لتبين والمقصد ان يجد الفكر فسحة للنظر وفهم المعانى وبذلك يرق القلب ويفيض عليه النور والرحمة قال ابن كيسان المراد تفهمه تاليا له وروي فى صحيح الحديث ان قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بينة مترسلة لو شاء احـد ان يعـد الحروف لعدها قال الغزالي فى الاحياء واعلم ان الترتيـل والتؤدة اقرب الى التوقير والاحترام واشـد تاثيرا فى القلب من الهـدرمـة والاستعجال والمقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه وللناس عادات مختلفة فى الختم واولى مـا يرجع اليه فى التقـديرات قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام من قرأ القرءان فى اقل من ثلاث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليها تمنع الترتيل المطلوب وقد كره جماعة الختم فى يوم وليلة والتفصيل فى مقدار القراءة انه ان كان التالى من العبّاد السالكين طريق العمل فلا ينبغى له ان ينقص من ختمتين فى الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشغولين بنشر العلم فلا باس ان يقتصر فى الاسبوع على ختمة وان كان نافـذ الفكر فى معانى القرءان فقـد يكتفى فى الشهر بمرة لحاجته الى كثرة الترديد والتأمل انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه قال حدثنـا اسماعيل عن ابى المتوكل الناجى ان النبي صلى الله عليه وسلم قام ذات ليلة بـءايـة من القرءان يكررهـا على نفسه انتهى * وقوله تعـالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا يعنى القرءان واختلف لم سماه ثقيلا فقال جماعة من المفسرين لمـا كان يحل برسول الله صلى الله عليه وسلم من ثقل الجسم حتى انـه كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته بركت به وحتى كادت فخذه ان ترض فخذ زيد ابن ثابت رضي الله عنه وقيل لثقله على الكفار والمنافقين باعجازه ووعـده

ووعيده ونحو ذلك وقال حذاق العلماء معناه ثقيل المعانى من الامر بالطاعات والتكاليف الشرعية من الجهاد ومزاولة الاعمال الصالحات دائما قال الحسن ان الهذ خفيف ولكن العمل ثقيل (ت) والصواب عندى ان يقال اما ثقله باعتبار النبي صلى الله عليه وسلم فهو ما كان يجده عليه السلام من الثقل المحسوس واما ثقله باعتبار سائر الامة فهو ما ذكر من ثقل المعانى وقد زجر مالك سائلا سأله عن مسئلة وقال يا ابا عبد الله انها مسئلة خفيفة فغضب مالك وقال ليس فى العلم خفيف اما سمعت قول الله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا فالعلم كله ثقيل انتهى من المدارك لعياض * وقوله سبحانه ان ناشئة الليل قال ابن جبير وغيره هي لفظة حبشية نشأ الرجل اذا قام من الليل فناشئة على هذا جمع ناشئ اي قائم واشد وطأ معناه ثبوتا واستقلالا بالقيام وقرأ ابوعمرو وابن عامر وجماعة كابن عباس وابن الزبير وغيرهم وطاء بكسر الواو ممدودا على وزن فعال على معنى المواطأة والموافقة وهو ان يواطئ قلبه لسانه والمواطأة هي الموافقة فهذه مواطأة صحيحة لخلو البال من اشغال النهار وبهذا المعنى فسر اللفظ مجاهد وغيره قال الثعلبي واختار هذه القراءة ابو عبيد وقال جماعة ناشئة الليل ساعاته كلها لانها تنشأ شيأ بعد شيء وقيل فى تفسير ناشئة الليل غير هذا وقرأ انس بن مالك واصوب قيلا فقيل له انما هو اقوم فقال اقوم واصوب واحد * وقوله تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا اي تصرفا وترددا فى امورك ومنه السباحة فى الماء وتبتل معناه انقطع اليه انقطاعا هذا لفظ ابن عطاء على ما نقله الثعلبي انتهى واما (ع) فقال معناه انقطع من كل شيء الا منه وافزع اليه قال زيد بن اسلم التبتل رفض الدنيا ومنه بتل الحبل وتبتيلا مصدر على غير الصدر قال ابو حيان وحسنه كونه فاصلة انتهى قال ابن العربي فى احكامه فالتبتل المامور به فى الآية الانقطاع الى الله تعالى باخلاص العبادة وهو اختيار

البخاري والتبتل المنهي عنه فى الحديث هو سلوك مسلك النصارى فى ترك النكاح والترهب فى الصوامع انتهى والوكيل القائم بالامر الذى توكل اليه الاشياء * وقوله واهجرهم هجرا جميلا منسوخ بـاية السيف * وقوله سبحانه وذرنى والمكذبين اولى النعمة الآية وعيد بين والمعنى لاتشغل بهم فكرك وكِلهم الي والنعمة غضارة العيش وكثرة المال والمشار اليهم كفار قريش اصحاب القليب ببدر ولدينا بمنزلة عندنا والانكال جمع نكل وهو القيد من الحديد ويروى انها قيود سود من النار والطعام ذو الغصة شجرة الزقوم قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس شوك من نار يعترض فى حلوقهم وكل مطعوم هنالك فهو ذو غصة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق والرجفان الاهتزاز والاضطراب من فزع وهول والمهيل اللين الرخو الذى يذهب بالريح وقال البخاري كثيبا مهيلا رملا سائلا انتهى * وقوله تعالى انا ارسلنا اليكم الآية خطاب للعالم لكن المواجهون قريش وشاهدا عليكم نحو قوله وجئنابك على هؤلاء شهيدا والوبيل الشديد الردى * وقوله تعالى فكيف تتقون معناه كيف تجعلون وقاية لانفسكم ويوما مفعول بتتقون وقيل هو مفعول بكفرتم ويكون كفرتم بمعنى جحدتم فتتقون على هذا من التقوى اي تتقون عذاب الله ويجوز ان يكون يوما ظرفا والمعنى تتقون عقاب الله يوما وعبارة الثعلبي فكيف تتقون ان كفرتم اي كيف تتحصنون من عذاب يوم يشيب فيه الطفل لهوله ان كفرتم ثم ذكر نحو ما تقدم انتهى وحكى (ص) عن بعض الناس جواز ان يكون يوما ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى فى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا (ت) وهذا هو مراد (ع) قال ابو حيان وشيبا مفعول ثان ليجعل وهو جمع اشيب انتهى * وقوله تعالى السماء منفطر به اي ذات انفطار والانفطار التصدع والانشقاق والضمير فى به قال منذر وغيره عائد على اليوم

وكـذا قال (ص) ان ضمير بِهِ يعود على اليوم والباء سببية او ظرفية انتهى وفي صحيح مسلم من رواية عبد الله بن عمرو وذكر صلى الله عليه وسلم بعث النار من كل الف تسعمائـة وتسعة وتسعون الى النار وواحـد الى الجنـة قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق الحديث انتهى وقيل عائد على الله اي منفطر بامره وقدرته والضمير في قوله وعده الظاهر انـه يعود على الله تعالى * وقوله تعالى ان هذه تذكرة الآية الاشارة بهـذه تحتمل الى ما ذكر من الانكال والجحيم والاخذ الوبيل وتحتمل ان تكون الى السورة بجملتها وتحتمل ان تكون الى ءايات القرءان بجملتها * وقوله سبحانـه فمن شاء اتخـذ الى ربـه سبيلا ليس معناه اباحة الامر وضده بل الكلام يتضمن الوعد والوعيد والسبيل هنا سبيل الخير والطاعة * وقوله سبحانه ان ربك يعلم انك تقوم الآيـة المعنى ان الله تعالى يعلم انك تقوم انت وغيرك من امتك قياما مختلفا مرة يكثر ومرة يقل ومرة ادنى من الثلثين ومرة ادنى من النصف ومرة ادنى من الثلث وذلك لعدم تحصيل البشر لمقادير الزمان مع عذر النوم وتقدير الزمان حقيقة انما هو لله تعالى واما البشر فلا يحصى ذلك فتاب الله عليهم اي رجع بهم من الثقل الى الخفة وامرهم بقراءة ما تيسر ونحو هـذا تعطى عبارة الفراء ومنـذر فانهما قالا تحصوه تحفظوه وهـذا التاويل هـو على قراءة الخفض عطفا على الثلثين وهي قراءة ابي عمرو ونافع وابن عامر واما من قرأ ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وهي قراءة باقي السبعة فالمعنى عندهم ان الله تعالى قـد علم انهم يقدرون الزمان على نحو ما امر بـه تعالى في قوله نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه فلم يبق الا قوله ان لن تحصوه فمعنـاه لن يطيقوا قيامه لكثرته وشدته فخفف الله عنهم فضلا منه لا لعلة جهلهم بالتقدير واحصاء الاوقات ونحو هـذا تعطى عبارة الحسن وابن جبير فانهما قالا تحصوه تطيقوه

وعبارة الثعلبي ومن قرأ بالنصب فالمعنى وتقوم نصفه وثلثه قال الفراء وهو الاشبه بالصواب لانه قال اقل من الثلثين ثم ذكر تفسير القلة لا تفسير اقل من القلة انتهى ولو عبر الفراء بالارجح لكان احسن ادبا وعن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لى اودعا استجيب له فان توضأ ثم صلى قبلت صلاته رواه الجماعة الا مسلما وتعار بتشديد الراء معناه استيقظ انتهى من السلاح * وقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القرءان قال الثعلبي اي ما خف وسهل بغير مقدار من القراءة والمدة وقيل المعنى فصلوا ما تيسر فعبر بالقراءة عنها (ت) وهذا هو الاصح عند ابن العربي انتهى قال (ع) قوله فاقرءوا ما تيسر من القرءان هو امر ندب فى قول الجمهور وقال جماعة هو فرض لابد منه ولو خمسين ءاية وقال الحسن وابن سيرين قيام الليل فرض ولو قدر حلب شاة الا ان الحسن قال من قرأ مائة ءاية لم يحاجه القرءان واستحسن هذا جماعة من العلماء قال بعضهم والركعتان بعد العشاء مع الوتر داخلتان فى امتثال هذا الامر ومن زاد زاده الله ثوابا (ت) ينبغى للعاقل المبادرة الى تحصيل الخيرات قبل هجوم صولة الممات قال الباجي فى سنن الصالحين له قالت بنت الربيع بن خثيم لابيها يا ابت ما لى ارى الناس ينامون وانت لا تنام قال ان اباك يخاف البيات قال الباجي رحمه الله تعالى ولى فى هذا المعنى

قد افلح القانت فى جنح الدجى * يتلو الكتاب العربي النيرا
فقائما وراكعا وساجدا * مبتهلا مستعبرا مستغفرا
له حنين وشهيق وبكا * يبل من ادمعه ترب الثرى

انا لسفــر نبتغي نيـل الهــدى * فني السرى بغيتنــا لا فى الكرا
من ينصب الليـل ينـل راحتــه * عنـد الصباح يحمد القوم السرى

انتهى والضرب فى الارض هو السفر للتجارة ابتغاء فضل الله سبحانـه فذكر الله سبحانـه اعـذار بنى ءادم التى هي حائلة بينهم وبين قيام الليـل ثم كرر سبحانه الامر بقراءة ماتيسر منه تاكيدا والصلاة والزكاة هنا هما المفروضتان فمن قال ان القيام من الليل غير واجب قال معني الآية خذوا من هذا النفل بما تيسر وحافظوا علي فرائضكم ومن قال ان شيأ من القيام واجب قال قد قرنه الله بالفرائض لانه فرض واقراض الله تعالى هو اسلاف العمل الصالح عنده وقرأ جمهور الناس هو خيرا على ان يكون هو فصلا قال بعض العلماء الاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هـذه الآية ومن قوله تعالى كانوا قليلا من الليل مـا يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون قال (ع) وعهدت ابى رحمه الله يستغفر الله اثر كل مكتوبة ثلاثا بعقب السلام ويأثر فى ذلك حديثا فكان هذا الاستغفار من التقصير وتقلب الفكر اثناء الصلاة وكان السلف الصالح يصلون الى طلوع الفجر ثم يجلسون للاستغفار (ت) وما ذكره (ع) رحمه الله عن ابيه رواه مسلم وابو داود والترمذي والنساءي وابن ماجه عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والاكرام قال الوليد فقلت للاوزاعي كيف الاستغفار قال تقول استغفر الله استغفر الله استغفر الله وفى روايـة لمسلم من حديث عائشة ياذا الجلال والاكرام انتهى من سلاح المومن

تفسير سورة المدثر وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل يا ايها المدثر قم فانذر الآية اختلف فى اول ما نزل من القرءان فقال الجمهور هو اقرأ باسم ربك وهذا هو الاصح وقال جابر وجماعة هو يا ايها المدثر (ص) والتدثر لبس الدثار وهو الثوب الذى فوق الشعار والشعار الثوب الذى يلي الجسد ومنه قوله عليه السلام الانصار شعار والناس دثار انتهى * وقوله تعالى قم فانذر بعثة عامة الى جميع الخلق * وربك فكبر اي فعظم * وثيابك فطهر قال ابن زيد وجماعة هو امر بتطهير الثياب حقيقة وذهب الشافعي وغيره من هذه الآية الى وجوب غسل النجاسات من الثياب وقال الجمهور هذه الالفاظ استعارة فى تنقية الافعال والنفس والعرض وهذا كما تقول فلان طاهر الثوب ويقال للفاجر دنس الثوب قال ابن العربي فى احكامه والذى يقول انها الثياب المجازية اكثر وكثيرا ما تستعمله العرب قال ابو كبشة

ثياب بني عوف طهارى نقية * واوجههم عند المشاهد غُرّان

يعنى بطهارة ثيابهم سلامتهم من الدناءات وقال غيلان بن سلمة التقفي

فانى بحمد الله لا ثوب فاجر * لبست ولا من غدرة اتقنع

وليس يمتنع ان تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز على ما بيناه فى اصول الفقه واذا حملناها على الثياب المعلومة فهي تتناول معنيين احدهما تقصير الاذيال فانها اذا ارسلت تدنست وتقصير الذيل انقى لثوبه واتقى لربه والمعنى الثاني غسلها من النجاسة فهو ظاهر منها صحيح فيها انتهى قال الشيخ ابو

الحسن الشاذلي رضي الله عنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كل نفس فقلت وما ثيابي يا رسول الله فقال ان الله كساك حلة المعرفة ثم حلة المحبة ثم حلة التوحيد ثم حلة الايمان ثم حلة الاسلام فمن عرف الله صغر لديه كل شيء ومن احب الله هان عليه كل شيء ومن وحد الله لم يشرك به شيأ ومن آمن بالله امن من كل شيء ومن اسلم لله قل ما يعصيه وان عصاه اعتذر اليه واذا اعتذر اليه قبل عذره قال ففهمت حينئذ معنى قوله عز وجل وثيابك فطهر انتهى من التنوير لابن عطاء الله * والرجز يعنى الاصنام والاوثان وقال ابن عباس الرجز السخط يعنى اهجر ما يؤدى اليه ويوجبه واختلف فى معنى قوله تعالى ولاتمنن تستكثر فقال ابن عباس وجماعة معناه لا تعط عطاء لتعطَى اكثر منه فكانه من قولهم منّ اذا اعطى قال الضحاك وهذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ومباح لامته لكن لا اجر لهم فيه وقال الحسن بن ابى الحسن معناه ولاتمنن على الله بجدك تستكثر اعمالك ويقع لك بها اعجاب قال (ع) وهذا من المن الذى هو تعديد اليد وذكرها وقال مجاهد معناه ولا تضعف تستكثر ما حملناك من اعباء الرسالة وتستكثر من الخير وهذا من قولهم حبل منين اي ضعيف * ولربك فاصبر اي لوجه ربك وطلب رضاه فاصبر على اذى الكفار وعلى العبادة وعن الشهوات وعلى تكاليف النبوة قال ابن زيد وعلى حرب الاحمر والاسود ولقد حمل امرا عظيما صلى الله عليه وسلم والناقور الذى ينفخ فيه وهو الصور قاله ابن عباس وعكرمة وهو فاعول من النقر قال ابو حباب القصاب أمّنا زُرارة بن اوفى فلما بلغ فاذا نقر فى الناقور خرميتا قال الفخر قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير اي على الكافرين لانهم يناقشون غير يسير اي بل كثير شديد فاما المومنون فانه عليهم يسير لانهم لا يناقشون قال ابن عباس ولما قال تعالى على الكافرين غير

يسير دل على انه يسير على المومنين وهذا هو دليل الخطاب ويحتمل ان يكون انما وصفه تعالى بالعسر لانه فى نفسه كذلك للجميع من المومنين والكافرين الا انه يكون هول الكفار فيه اكثر واشد وعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله يوم عسير انتهى * وقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا الآية لا خلاف بين المفسرين ان هذه الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومي فروي انه كان يلقب الوحيد اي لانه لا نظير له فى ماله وشرفه فى بيته فذكر الوحيد فى جملة النعم التى اعطي وان لم يثبت هذا فقوله تعالى خلقت وحيدا معناه منفردا قليلا ذليلا والمال الممدود قال مجاهد وابن جبير هو الف دينار وقال سفيان بلغنى انه اربعة ١٠الاف وقاله قتادة وقيل عشرة ١٠الاف دينار قال (ع) وهذا مد فى العدد وقال عمر بن الخطاب المال الممدود الريع المستغل مشاهرة * وبنين شهودا اي حضورا قيل عشرة وقيل ثلاثة عشر قال الثعلبي اسلم منهم ثلاثة خالد بن الوليد وهشام وعمارة قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية فى نقصان من ماله وولده حتى هلك انتهى * ومهدت له تمهيدا قال سفيان المعنى بسطت له العيش بسطا * وقوله تعالى كلا ردع وزجر له على امنيته وارهقه معناه اكلفه بمشقة وعسر وصَعود عقبة فى نار جهنم روى ذلك ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم كلما وضع عليها شيء من الانسان ذاب ثم يعود والصَعود فى اللغة العقبة الشاقة * وقوله تعالى مخبرا عن الوليد انه فكر وقدر الآية روى جمهور من المفسرين ان الوليد سمع من القرءان ما اعجبه ومدحه ثم سمع كذلك مرارا حتى كاد ان يقارب الاسلام وقال والله لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الانس ولا هو من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ الوليد والله لتصبأن قريش فقال ابو جهل انا اكفيكموه فجاءه

ابو جهل وجماعـة حتى غضب الوليد وقال تزعمـون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن قط قالوا لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قط قالوا لا وكانوا يسمونه قبل النبوة الامين لصدقه فقالت قريش ما عندك فيه فتفكر فى نفسه فقال ما ارى فيه شيأ مما ذكرتموه فقالوا هو ساحر فقال اما هـذا فيشبه والفاظ الرواة هنا متقاربـة المعانى من رواية الزهري وغيره * وقوله تعالى فقتل كيف قدر قال الثعلبي وغيره قتل معناه لعن انتهى * وبسر اي قطب مـا بين عينيه واربـد وجهه ثم ادبر عن الهدى بعد ان اقبل اليه وقال ان هـذا الاسحر يؤثر اي يروى اي يرويه محمد عن غيره * وسقر هي الدرك السادس من النار لا تبقى على من التي فيها ولا تذر غاية من العذاب الا وصّلته اليه * وقوله تعالى لواحة للبشر قال ابن عباس وجمهور الناس معناه مغيرة للبشرات ومحرقة للجلود مسودة لها فالبشر جمع بشرة وقال الحسن وابن كيسان لواحـة بناء مبالغـة من لاح يلوح اذا ظهر فالمعنى انها تظهـر للناس وهم البشـر من مسيرة خمسمائـة عام وذلك لعظمها وهولها وزفيرها * وقوله تعالى عليها تسعة عشر لا خلاف بين العلماء انهم خزنة جهنم المحيطون بامرها الذين اليهم جماع امر زبانيتها وروي ان قريشا لما سمعت هذا كثر لغطهم فيه وقالوا ولو كان هـذا حقا فان هـذا العدد قليل وقال ابو جهل هؤلاء تسعة عشر وانتم الدهم اي الشجعان افيعجز عشرة منا عن رجل منهم الى غير هـذا من اقوالهم السخيفة * وقوله تعالى ومـا جعلنـا اصحاب النار الا ملائكـة تبيين لفساد اقوال قريش اي انا جعلناهم خلقا لا قبل لاحد من الناس بهم وجعلنا عدتهم هذا القدر فتنـة للكفار ليقع منهم من التعاطى والطمع فى المغالبة ما وقع وليستيقن اهل الكتاب التوراة والانجيل ان هذا القرءان من

عند الله اذهم يجدون هذه العدة فى كتبهم المنزلة قال هذا المعنى ابن عباس وغيره وبورود الحقائق من عند الله عز وجل يزداد كل ذى ايمان ايمانا ويزول الريب عن المصدقين من اهل الكتاب ومن المومنين * وقوله سبحانه وليقول الذين فى قلوبهم مرض الآية نوع من الفتنة لهذا الصنف المنافق او الكافر اي حاروا ولم يهتدوا لمقصد الحق فجعل بعضهم يستفهم بعضا عن مراد الله بهذا المثل استبعادا ان يكون هذا من عند الله قال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما المرض فى هذه الآية الاضطراب وضعف الايمان ثم قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو اعلاما بان الامر فوق ما يتوهم وان الخبر انما هو عن بعض القدرة لا عن كلها (ت) صوابه ان يقول عن بعض المقدورات لا عن كلها وهذا هو مراده الا تراه قال فى قوله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه قال يعنى بشيء من معلوماته لان علمه تعالى لا يتجزأ فافهم راشدا والسموات كلها عامرة بانواع من الملائكة كلهم فى عبادة متصلة وخشوع دائم لا فترة فى شيء من ذلك ولا دقيقة واحدة قال مجاهد والضمير فى قوله وما هي للنار المذكورة اي يذكر بها البشر فيخافونها فيطيعون الله وقال بعضهم قوله وما هي يرادبها الحال والمخاطبة والنذارة واقسم تعالى بالقمر وما بعده تنبيها على النظر فى ذلك والفكر المؤدى الى تعظيمه تعالى وتحصيل معرفته تعالى مالك الكل وقوام الوجود ونور السموات والارض لا اله الا هو العزيز القهار وادبر الليل معناه ولى واسفر الصبح اضاء وانتشر ضوءه قال ابن زيد وغيره الضمير فى قوله انها لاحدى الكبر لجهنم ويحتمل ان يكون الضمير للنذارة وامر الآخرة فهو للحال والقصة (ص) والكبر جمع كبرى وفى (ع) جمع كبيرة ولعله وهم من الناسخ انتهى * وقوله سبحانه نذيرا للبشر قال الحسن لا نذير ادهى من النار وقال ابن زيد نذيرا للبشر هو محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه

لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر قال الحسن هو وعيد نحو قوله فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر ثم قوى سبحانه هذا المعنى بقوله كل نفس بما كسبت رهينة اذ لزم بهذا القول ان المقصر مرتهن بسوء عمله وقال الضحاك المعنى كل نفس حقت عليها كلمة العذاب ولا يرتهن تعالى احدا من اهل الجنة ان شاء الله * وقوله تعالى الا اصحاب اليمين استثناء ظاهره الانفصال تقديره لكن اصحاب اليمين فى جنات (ص) فى جنات اي هم فى جنات فيكون خبر مبتدإ محذوف (م) واعربه ابو البقاء حالا من الضمير فى يتساءلون انتهى قال ابن عباس اصحاب اليمين هنا الملائكة وقال الضحاك هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقال الحسن وابن كيسان هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين (ت) واسند ابو عمر بن عبد البر عن علي بن ابى طالب فى قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين قال اصحاب اليمين اطفال المسلمين انتهى من التمهيد * وقولهم ما سلككم اي ما ادخلكم فيحتمل ان يكون من قول اصحاب اليمين الآدميين او من قول الملائكة * وقوله تعالى قالوا يعنى الكفار لم نك من المصلين الآية وفى نفي الصلاة يدخل الايمان بالله والمعرفة به والخشوع له ولم نك نطعم المسكين يشمل الصدقة فرضا كانت او نفلا والخوض مع الخائضين عرفه فى الباطل والتكذيب بيوم الدين كفر صراح حتى اتانا اليقين يعنى الموت قاله المفسرون قال (ع) وعندى ان اليقين صحة ما كانوا يكذبون به من الرجوع الى الله والدار الآخرة وقد تقدم ذكر احاديث الشفاعة قال الفخر واحتج اصحابنا بهذه الآية على ان الكفار يعذبون بترك فروع الشريعة والاستقصاء فيه قد ذكرناه فى المحصول انتهى * وقوله تعالى فى صفة الكفار المعرضين كانهم حمر مستنفرة اثبات لجهلهم لان الحمر من جاهل الحيوان جدا وفى حرف ابن مسعود حمر نافرة قال ابن عباس وابو هريرة وجمهور من اللغويين

القسورة الاسد وقيل غير هذا بل يريد كل امرئ منهم اي من هؤلاء ان يوتى صحفا منشرة اي يريد كل انسان منهم ان ينزل عليه كتاب من الله ومنشرة اي منشورة غير مطوية * وقوله كلا رد على ارادتهم اي ليس الامر كذلك ثم قال بل لا يخافون الآخرة المعنى هذه هي العلة والسبب في اعراضهم فكان جهلهم بالآخرة سبب امتناعهم من الهدى حتى هلكوا ثم اعاد تعالى الرد والزجر بقوله كلا واخبر ان هـذا القول والبيان وهـذه المحاورة بجملتها تذكرة فمن شاء ووفقه الله لذلك ذكر معاده فعمل له ثم اخبر سبحانه ان ذكر الانسان معاده وجريه الى فلاحه انما هو كله بمشيئة الله تعالى وليس يكون شيء الا بها وقرأ ابو عمرو وعاصم وابن كثير يذكرون بالياء من تحت * وقوله سبحانـه هو اهل التقوى واهل المغفرة خبر جزم معناه ان الله عز وجل اهل بصفاته العلى ونعمه التي لا تحصى لان يتقى ويطاع امره ويحذر عصيانه وانه بفضله وكرمه اهل ان يغفر لعباده اذا اتقوه روى ابن ماجه عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية هو اهل التقوى واهل المغفرة فقال قال الله تعالى انا اهل ان اتقى فلا يجعل معي اله آخر فمن اتقاني فلم يجعل معي الها آخر فانا اهل ان اغفر له واخرجه ابو عيسى الترمذي بمعناه وقال حديث حسن انتهى

تفسير سورة القيامة وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمـن الرحيم *

قوله عز وجل لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة هذه قراءة الجمهور

وقرأ ابن كثير لاقسم بيوم القيامة ولاقسم فقيل على قراءة الجمهور لا زائـدة وقال الفراء لانفي لكلام الكفار وزجر لهم ورد عليهم وجمهور المتأولين على ان الله تعالى اقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة اقسم سبحانه بيوم القيامة تنبيها منه على عظمه وهوله قال الحسن النفس اللوامة هي اللوامة لصاحبها فى ترك الطاعة ونحو ذلك فهي على هذا ممدوحة ولذلك اقسم الله بها وقال ابن عباس وقتادة اللوامة هي الفاجرة اللوامة لصاحبها على ما فاته من سعي الدنيا واعراضها وعلى هذا التاويل يحسن نفي القسم بها والنفس فى الآية اسم جنس قال (ع) وكل نفس متوسطة ليست بالمطمئنة ولا بالامارة بالسوء فانها لوامة فى الطرفين مرة تلوم على ترك الطاعـة ومرة تلوم على فوت مـا تشتهى فاذا اطمأنت خلصت وصفت قال الثعلبي وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن دل عليه قوله ايحسب الانسان الن نجمع عظامه اي للاحياء والبعث والانسان هنا الكافر المكذب بالبعث انتهى والبنان الاصابع ونسوي بنانه معناه نتقنها سويـة قاله القتبي وهذا كله عنـد البعث وقال ابن عباس وجمهور المفسرين المعنى بل نحن قادرون ان نسوي بنانه اي نجعل اصابع يديه ورجليه شيأ واحدا كخف البعير او كحافر الحمار لايمكنه ان يعمل بها شيأ ففي هـذا توعد ما والقول الاول اجرى مع رصف الكلام * بل يريد الانسان ليفجر امامه معناه ان الانسان انما يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها ابدا راكبا رأسه ومطيعا امله ومسوفا توبته قال البخاري ليفجر امامـه يقول سوف اتوب سوف اعمل انتهى قال الفخر قـوله ليفجر امامه فيه قولان الاول ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنـه فعن ابن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على شـر احواله واسوإ اعماله القـول الثانى يفجـر امامـه اي يكذب بما امامه من البعث والحساب لان من كذب حقا كان مفاجرا والدليل

على هذا القول قوله تعالى يسئل ايان يوم القيامة اي متى يكون ذلك تكذيبا له انتهى وسؤال الكفار ايان هو على معنى التكذيب والهزء وايان بمعنى متى وقرأ نافع وعاصم بخلاف برق البصر بفتح الراء بمعنى لمع وصار له بريق وحار عند الموت وقرأ ابو عمرو وغيره بكسرها بمعنى شخص والمعنى متقارب قال مجاهد هـذا عند الموت وقال الحسن هـذا فى يوم القيامة قال ابو عبيدة وجماعة من اللغويين الخسوف والكسوف بمعنى واحد وقال ابن ابي اويس الكسوف ذهاب بعض الضوء والخسوف ذهاب جميعه وروى عروة وسفيان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتقولوا كسفت الشمس ولكن قولوا خسفت وقرأ ابن مسعود وجمع بين الشمس والقمر واختلف فى معنى الجمع بينهما فقال عطاء يجمعان فيقذفان فى النار وقيل فى البحر فيصيرا نار الله العظمى وقيل يجمع الضوءان فيذهب بهما قال الثعلبي وقال علي وابن عباس يجعلان فى نور الحجب انتهى * يقول الانسان يومئذ اين المفر اي اين الفرار كلا لا وزر اي لا ملجأ والمستقر موضع الاستقرار * وقوله تعالى ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر اي يعلم بكل ما فعل ويجده محصلا وقال ابن عباس وابن مسعود بما قدم فى حياته وما اخر من سُنة بعد مماته * وقوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة قال ابن عباس وغيره اي للانسان على نفسه من نفسه بصيرة رقباء يشهدون عليه وهم جوارحه وحفظته ويحتمل ان يكون المعنى بل الانسان على نفسه شاهد ودليله قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قال الثعلبي قال ابان بن ثعلب البصيرة والبينة والشاهد بمعنى انتهى ونحوه للهروي قال (ع) والمعنى على هذا التاويل الثانى ان فى الانسان وفى عقله وفطرته حجة وشاهدا مبصرا على نفسه * ولو القى معاذيره اي ولو اعتذر عن قبيح افعاله فهو يعلمها قال الجمهور والمعاذير هنا جمع معذرة وقال الضحاك والسدي هي الستور بلغة اليمن يقولون

للستر المعذار * وقوله تعالى لا تحرك به لسانك الآية قال كثير من المفسرين وهو في صحيح البخاري عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه مخافة ان يذهب عنه ما يوحى اليه فنزلت الآية بسبب ذلك واعلمه تعالى انه يجمعه له في صدره * وقوله وقرءانه يحتمل ان يريد وقراءته اي تقرأه انت يا محمد * وقوله فاذا قرأناه اي قرأه الملك الرسول عنا فاتبع قرآنه قال البخاري قال ابن عباس فاتبع اي اعمل به وقال البخاري ايضا قوله انا علينا جمعه وقرءانه اي تاليف بعضه الى بعض فاذا قرأناه فاتبع قرءانه اي ما جمع فيه فاعمل بما امرك وانته عما نهاك انتهى * وقوله تعالى ثم ان علينا بيانه قال قتادة وجماعة معناه ان نبينه لك وقال البخاري ان نبينه على لسانك * وقوله تعالى كلا بل تحبون العاجلة اي الدنيا وشهواتها قال الغزالي في الاحياء اعلم ان رأس الخطايا المهلكة هو حب الدنيا ورأس اسباب النجاة هو التجافي بالقلب عن دار الغرور وقال رحمه الله اعلم انه لاوصول الى سعادة لقاء الله سبحانه في الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوات بشيء كما تنقمع بنار الخوف المحرقة للشهوات انتهى وقرأ ابن كثير وغيره يحبون ويذرون بالياء على ذكر الغائب ولما ذكر سبحانه الآخرة اخبر بشيء من حال اهلها فقال وجوه يومئذ ناضره اي ناعمة والنضرة النعمة وجمال البشرة قال الحسن وحق لها ان تنضّر وهي تنظر الى خالقها * وقوله تعالى الى ربها ناظرة حمل جميع اهل السنة هذه الآية على انها متضمنة رؤية المومنين لله عز وجل بلا تكييف ولا تحديد كما

هو معلوم موجود لايشبه الموجودات كذلك هو سبحانه مرءي لايشبه المرءيات في شيء فانه ليس كمثله شيء لا اله الا هو وقد تقدم استيعاب الكلام على هذه المسئلة وما فى ذلك من صحيح الاحاديث والباسرة العابسة المغمومة النفوس والبسور اشد العبوس وانما ذكر تعالى الوجوه لانه فيها يظهر ما فى النفس من سرور اوغم والمراد اصحاب الوجوه والفاقرة المصيبة التى تكسر فقار الظهر وقال ابو عبيدة هي من فقرت البعير اذا وسمت انفه بالنار * وقوله تعالى كلا اذا بلغت زجر وتذكير ايضا بموطن من مواطن الهول وهي حالة الموت الذى لا محيد عنه وبلغت يريد النفس والتراقى جمع ترقوة وهي عظام اعلى الصدر ولكل احد ترقوتان لكن جمع من حيث ان النفس المرادة اسم جنس والتراقى هي موارية للحلاقيم فالامر كله كناية عن حال الحشرجة ونزع الموت يسره الله علينا بمنه وجعله لنا راحة من كل شر واختلف فى معنى قوله تعالى وقيل من راق فقال ابن عباس وجماعة معناه من يرقى ويطب ويشفى ونحو هذا مما يتمناه اهل المريض وقال ابن عباس ايضا وسليمان التيمي ومقاتل هذا القول للملائكة والمعنى من يرقى بروحه اي يصعد بها الى السماء املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب * وظن انه الفراق اي ايقن وهذا يقين فيما لم يقع بعد ولذلك استعملت فيه لفظة الظن * وقوله تعالى والتفت الساق بالساق قال ابن المسيب والحسن هي حقيقة والمراد ساقا الميت عند تكفينه اي لفهما الكفن وقيل هو التفافهما من شدة المرض وقيل غير هذا * وقوله تعالى فلا صدق ولا صلى الآية قال جمهور المتأولين هذه الآية كلها انما نزلت فى ابي جهل قال (ع) ثم كادت هذه الآية ان تصرح به فى قوله يتمطى فانها كانت مشيته وقوله فلا صدق ولا صلى تقديره فلم يصدق ولم يصل فلا فى الآية نفي لاعاطفة (ص) قوله فلا صدق فيه دليل على ان لا تدخل على الماضى فتنفيه كقول الراجز

ان تغفر اللهم تغفر جما * واي عبـد لـك لا الما

انتهى وصدق معناه برسالة الله ودينه وذهب قوم الى انه من الصدقة والاول اصوب ويتمطى معناه يمشي المَطيطاء وهي مشية بتبختر وهي ماخوذة من المَطا وهو الظهر لانه يتثنى فيها زاد (ص) وقيل اصله يتمطط اي يتمدد فى مشيه ومد منكبيه انتهى * وقوله اولى لك وعيد * فاولى وعيد ثان وكرر ذلك تاكيدا ومعنى اولى لك الازدجار والانتهار والعرب تستعمل هذه الكلمة زجرا ومنه فاولى لهم طاعة ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لبب ابا جهل يوما فى البطحاء وقال له ان الله يقول لك اولى لك فاولى فنزل القرءان على نحوها وفى شعر الخنساء

هممت بنفسي كل الهموم * فاولى لنفسي اولى لها

وقوله تعالى ايحسب توبيخ وسدى معناه مهملا لا يومر ولا ينهى ثم قرر تعالى احوال ابن ءادم فى بدايته التى اذا تأملت لم ينكر معها جواز البعث من القبور عاقل والعلقة القطعة من الدم * فخلق فسوى اي فخلق الله منه بشرا مركبا من اشياء مختلفة فسواه شخصا مستقلا والزوجين النوعين ثم وقف تعالى توقيف توبيخ بقوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال بلى وروي انه كان يقول سبحانك اللهم وبحمدك بلى انظر سنن ابى داود

تفسير سورة الانسان قيل مكية
وقيل مدنية

وقال الحسن وعكرمة منها ءاية مكية وهي قوله تعالى ولا تطع منهم ءاثما او كفورا والباقي مدني

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى هل اتى على الانسان الآية هل فى كلام العرب قد تجيء بمعنى قد حكاه سيبويه لكنها لا تخلو من تقرير وبابها المشهور الاستفهام المحض والتقرير احيانا قال ابن عباس هل بمعنى قد والانسان يراد به ءادم وقال اكثر المتأولين هل تقرير والانسان اسم جنس اي اذا تأمل كل انسان نفسه علم بانه قد مرحين من الدهر عظيم لم يكن فيه شيأ مذكورا وهذا هو القوي ان الانسان اسم جنس وان الآية جعلت عبرة لكل احد من الناس ليعلم ان الخالق له قادر على اعادته (ص) لم يكن شيأ مذكورا فى موضع حال من الانسان او فى موضع صفة لحين والعائد عليه محذوف اي لم يكن فيه انتهى * وقوله تعالى انا خلقنا الانسان الآية الانسان هنا اسم جنس بلا خلاف وامشاج معناه اخلاط قيل هو امشاج ماء الرجل بماء المرأة ونقل الفخر ان الامشاج لفظ مفرد وليس بجمع بدليل انه وقع صفة للمفرد وهو قوله نطفة انتهى نبتليه اي نختبره بالايجاد والكون فى الدنيا وهو حال من الضمير فى خلقنا كانه قال مختبرين له بذلك * وقوله تعالى فجعلناه سميعا بصيرا عطف جملة نعم على جملة نعم وقيل المعنى فلنبتليه جعلناه سميعا بصيرا وهديناه يحتمل ان يكون بمعنى ارشدناه ويحتمل ان يكون بمعنى

اريناه وليس الهدى فى هـذه الآية بمعنى خلق الهدى والايمان وعبارة الثعلبي هديناه السبيل بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر كقوله وهديناه النجدين انتهى * وقوله تعالى اما شاكرا واما كفورا حالان وقسمتهما اما والابرار جمع بار قال الحسن هم الذين لا يوذون الذر ولا يرضون الشر قال قتادة نعم قوم يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك قال الفراء يقال ان فى الجنة عينا تسمى كافورا * وقوله تعالى عينا قيل هو بدل من قوله كافورا وقيل هو مفعول بقوله يشربون اي ماء هذه العين من كأس عطرة كالكافور وقيل نصب عينا على المدح او باضمار اعنى * قوله تعالى يشرب بها بمنزلة يشربها فالباء زائدة قال الثعلبي قال الواسطي لما اختلفت احوالهم فى الدنيا اختلفت اشربتهم فى الآخرة انتهى قال (ص) وقيل الباء فى بها للالصاق والاختلاط اي يشرب بها عباد الله الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل انتهى * وقوله تعالى يفجرونها معناه يفتقونها ويقودونها حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم فهي تجرى عند كل احد منهم ورد بهذا الاثر وقيل عين فى دار النبي صلى الله عليه وسلم تفجر الى دور الانبياء والمومنين قال (ع) وهـذا قول حسن ثم وصف تعالى حال الابرار فقال يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا اي ممتدا متصلا شائعا * وقوله تعالى على حبه يحتمل ان يعود الضمير على الطعام وهو قول ابن عباس ويحتمل ان يعود على الله تعالى قاله ابو سليمان الداراني * وقوله واسيرا قال الحسن ما كان اسراهم الا مشركين لان فى كل ذى كبد رطبة اجرا (ت) وفى العتبية سئل مالك عن الاسير فى هـذه الآية امسلم هوام مشرك فقال بل مشرك وكان ببدر اسارى فانزلت فيهم هـذه الآية قال ابن رشد والاظهر حمل الآية على كل اسير مسلما كان او كافرا انتهى يعني وان كان سبب نزولها ما ذكر فهي عامة فى كل اسير الى يوم القيامة وقال ابو سعيد الخدري قال النبي

صلى الله عليه وسلم مسكينا قال فقيرا ويتيما قال لااب له واسيرا قال المملوك والمسجون واسند القشيري فى رسالته عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصُّبَّر هم جلساء الله يوم القيامة انتهى وروى الترمذي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني فى زمرة المساكين يوم القيامة فقالت عائشة لم يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا يا عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمرة يا عائشة احبي المساكين وقربيهم فان الله يقربك يوم القيامة قال ابو عيسى هذا حديث غريب انتهى * وقوله انما نطعمكم الآية قال مجاهد وابن جبير ما تكلموا به ولكنه علمه الله من قلوبهم فاثنى عليهم ليرغب فى ذلك راغب ووصف اليوم بعبوس تجوز والقمطرير هو فى معنى العبوس والاربداد تقول اقمطر الرجل اذا جمع ما بين عينيه غضبا وقال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل ما بين عينيه كالقطران وعبر ابن عباس عن القمطرير بالطويل وعبر عنه غيره بالشديد وذلك كله قريب فى المعني والنضرة جمال البشرة وذلك لا يكون الا مع فرح النفس وقرة العين * وقوله بما صبروا عام فى الصبر عن الشهوات وعلى الطاعات والشدائد وفى هذا يدخل كل ما خصص المفسرون من صوم وفقر ونحوه * وقوله سبحانه لا يرون فيها شمسا الآية عبارة عن اعتدال هوائها وذهاب ضرري الحر والقر والزمهرير اشد البرد والقطوف جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب ونحوه والقوارير الزجاج * وقوله تعالى من فضة يقتضى انها من زجاج ومن فضة وذلك متمكن لكونه من زجاج فى شفوفه ومن فضة فى جوهره وكذلك فضة الجنة شفافة قال القرطبي فى تذكرته وذلك ان لكل قوم من تراب ارضهم قواريرا وان تراب الجنة فضة

فهي قوارير من فضة قاله ابن عباس انتهى * وقوله تعالى قدروها تقديرا اي
على قدر ريهم قاله مجاهد او على قدر الاكف قاله الربيع وضمير قدروها يعود
اما على الملائكة او على الطائفين او على المنعمين * وقوله سبحانه عينا فيها
تسمى سلسبيلا عينا بدل من كأس او من عين على القول الثاني وسلسبيلا قيل
هو اسم بمعنى السلس المنقاد الجرية وقال مجاهد حديدة الجرية وقال ءاخرون
سلسبيلا صفة لقوله عينا وتسمى بمعنى توصف وتشهر وكونه مصروفا مما يؤكد
كونه صفة للعين لا اسما * وقوله تعالى حسبتهم لؤلؤا منثورا قال الامام الفخر
وفى كيفية التشبيه وجوه احدها انهم شبهوا فى حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم
فى مجالسهم ومنازلهم فى انواع الخدمة باللؤلؤ المنثور ولو كانوا صفا لشبهوا باللؤلؤ
المنظوم الاترى انه تعالى قال ويطوف عليهم ولدان فاذا كانوا يطوفون كانوا
متناثرين الثانى ان هذا من التشبيه العجيب لان اللؤلؤ اذا كان متفرقا يكون
احسن فى المنظر لوقوع شماع بعضه على بعض الثالث انهم شبهوا باللؤلؤ الرطب
اذا نثر من صدفه لانه احسن واجمل انتهى * وقوله تعالى واذا رأيت ثَم قال
الفراء التقدير واذا رأيت ما ثم رأيت نعيما فحذفت ما وكررت الرؤية مبالغة وملكا
كبيرا وهو ان ادناهم منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه
وخرجه الترمذي وفى الترمذي ايضا من رواية ابى سعيد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة الذى له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون زوجة
وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء انتهى وقال
سفيان الملك الكبير هو استيذان الملائكة وتسليمهم عليهم وتعظيمهم لهم قال
الثعلبي قال محمد بن علي الترمذي يعنى ملك التكوين اذا ارادوا شيأ كان انتهى
(ت) وجميع ما ذكر داخل فى الملك الكبير وقرأ نافع وحمزة عاليهم وقرأ الباقون
عاليهم بالنصب والمعنى فوقهم قال الثعلبي وتفسير ابن عباس قال اما رأيت الرجل

عليه ثياب يعلوها افضل منها انتهى وقرأ حمزة والكسائي خضر واستبرق بالخفض فيهما وباقى الآيـة بين * وقوله سبحانـه انا نحن نزلنا عليك القرءان الآية تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم وتقوية لنفسه على اذى قريش والآثم هنا هو الكفور واللفظ ايضا يقتضى نهي الامام عن طاعة آثم من العصاة اوكفور بالله ثم امره تعالى بذكر ربه دأبا بكرة واصيلا ومن الليل بالسجود والتسبيح الذى هو الصلاة ويحتمل ان يريد قول سبحان الله قال ابن زيد وغيره كان هذا فرضا ثم نسخ وقال آخرون هو محكم على وجه الندب وقال ابن العربي فى احكامه اما قوله تعالى وسبحه ليلا طويلا فانـه عبارة عن قيام الليل وقـد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله كما تقدم وقـد يحتمل ان يكون هـذا خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد الجميع ثم نسخ عنا وبقي عليـه صلى الله عليـه وسلم والاول اظهر انتهى * وقوله ان هؤلاء يعنى كفار قريش يحبون العاجلة يعنى الدنيا واعلم ان حب الدنيا رأس كل خطيئة وفى الحديث عن النبي صلى الله عليـه وسلم ازهد فى الدنيـا يحبك الله وازهد فـيا عند الناس يحبك النـاس رواه ابن ماجه وغيره باسانيد حسنة قال ابن الفاكهاني قال القاضى ابو الوليد ابن رشد واما الباعث على الزهد فخمسة اشياء احدها انها فانية شاغلة للقلوب عن التفكر فى امر الله تعالى والثانى انها تنقص عند الله درجات من ركن اليها والثالث ان تركها قربة من الله تعالى وعلومرتبة عنده فى درجات الآخرة والرابع طول الحبس والوقوف فى القيامة للحساب والسؤال عن شكر النعيم والخامس رضوان الله تعالى والامن من سخطه وهو اكبرها قال الله عز وجل ورضوان من الله اكبر قال ابن الفاكهاني ولو لم يكن فى الزهد فى الدنيا الا هذه الخصلة التى هي رضوان الله تعالى لكان ذلك كافيا فنعوذ بالله من ايثار الدنيا على ذلك وقد قيل من سمي باسم الزهد فقد سمي بالف اسم ممدوح هذا مع

ما للزاهدين من راحة القلب والبدن فى الدنيا والآخرة فالزهاد هم الملوك فى الحقيقة وهم العقلاء لايثارهم الباقي على الفانى وقد قال الشافعية لو اوصي لاعقل الناس صرف الى الزهاد انتهى من شرح الاربعين حديثا ولفظ ابى الحسن الماوردي وقد قيل العاقل من عقل عن الله امره ونهيه حتى قال اصحاب الشافعي فيمن اوصى بثلث ماله لاعقل الناس انه يكون مصروفا للزهاد لانهم انقادوا للعقل ولم يغتروا بالامل انتهى والأسر الخلقة واتساق الاعضاء والمفاصل وعبارة البخاري اسرهم شدة الخلق وكل شيء شددته من قتب او غبيط فهو ما سور والغبيط شيء يركبه النساء شبه المحفة انتهى قال (ع) ومن اللفظة الاسار وهو القيد الذى يشد به الاسير ثم توعدهم سبحانه بالتبديل وفى الوعيد بالتبديل احتجاج على منكرى البعث اي من هذه قدرته فى الايجاد والتبديل فكيف تتعذر عليه الاعادة وقال الثعلبي بدلنا امثالهم تبديلا قال ابن عباس يقول اهلكناهم وجئنا باطوع لله منهم انتهى * وقوله تعالى ان هذه تذكرة القول فيها كالتى فى سورة المزمل * وقوله سبحانه فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا كلام واضح لا يفتقر الى تفسير جعلنا الله ممن اهتدى بانواره وعمت عليه بركته فى افعاله واقواله قال الباجي قال بعض اهل داود الطاءي قلت له يوما انك قد عرفت فاوصنى قال فدمعت عيناه ثم قال يا اخى انما الليل والنهار مراحل يرحلها الناس مرحلة مرحلة حتى تنتهي بهم الى اخر سفرهم فان استطعت ان تقدم من اول مرحلة زادا لما بين يديك فافعل فان انقطاع السفر قريب والامر اعجل من ذلك فتزود لسفرك واقض ما انت قاض من امرك فكان بالامر قد بغتك ثم قام وتركنى انتهى من سنن الصالحين * وقوله تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله نفي لقدرتهم على الاختراع وايجاد المعانى فى نفوسهم ولا يرد هذا وجود مالهم من الاكتساب وقرأ عبد الله وما تشاءون الا ما شاء الله * وقوله تعالى عليما

حكيما معناه يعلم مـا ينبغى ان ييسر عبده اليه وفى ذلك حكمة لا يعلمها الاهو سبحانـه

تفسير سورة والمرسلات وهي مكية في قول الجمهور

وقيل فيها من المدني قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون قال ابن مسعود نزلت هـذه السورة ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم بحراء الحديث

* بسم الله الرحمـن الرحيم *

قوله تعالى والمرسلات عرفا يعنى الرياح يتبع بعضها بعضا قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة وقيل المرسلات الملائكة وقيل جماعات الانبياء وعرفا معناه افضالا مـن الله تعالى ويحتمل ان يريد بقوله عرفا اي متتابعة ويحتمل ان يريد بالامر المعروف ويحتمل ان يكون عرفا بمعنى والمرسلات الرياح التى يعرفها الناس ويعهدونها ثم عقب بذكر الصنف الضار منها وهي العاصفات الشديدة القاصفة للشجر وغيره واختلف فى قوله والناشرات فقال ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة هي الرياح تنشر رحمة الله ومطره وقيل الملائكة وقيل غير هذا والفارقات قال ابن عباس وغيره هي الملائكة تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل هي ءايات القرءان واما الملقيات ذكرا فهي فى قول الجمهور الملائكة وقال ءاخرون هي الرسل والذكر الكتب المنزلة والشرائع ومضمناتها والمعنى ان الذكر يلقى باعذار وانذار * وقوله تعالى انما توعدون لواقع

هو الجواب الذى وقع عليه القسم والاشارة الى البعث واحوال القيامة والطمس محو الاثر فطمس النجوم ذهاب ضوءها وفرج السماء هو بانفطارها وانشقاقها * واذا الرسل اقتت اي جمعت لميقات يوم معلوم وقرأ ابو عمرو وحده وقتت والواو هي الاصل لانها من الوقت والهمزة بدل قال الفراء كل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة جاز ان تبدل منها همزة انتهى * وقوله تعالى لايى يوم اجلت تعجيب وتوقيف على عظم ذلك اليوم وهوله ثم فسر ذلك بقوله ليوم الفصل يعنى بين الخلق فى منازعتهم وحسابهم ومنازلهم من جنة او نار ومن هذه الآية انتزع القضاة الآجال فى الحكومات ليقع فصل القضاء عند تمامها ثم عظم تعالى يوم الفصل بقوله وما ادراك ما يوم الفصل على نحو قوله وما ادراك ما الحاقة وغير ذلك ثم اثبت الويل للمكذبين والويل هو الحرب والحزن على نوائب تحدث بالمرء ويروى انه واد فى جهنم * وقوله عز وجل الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين الآية قرأ الجمهور نتبعهم بضم العين على استيناف الخبر وروي عن ابى عمرو نتبعهم بجزم العين عطفا على نهلك وهي قراءة الاعرج فمن قرأ الاولى جعل الاولين الامم التى تقدمت قريشا باجمعها ثم اخبر انه يتبع الآخرين من قريش وغيرهم سنن اولائك اذا كفروا وسلكوا سبيلهم ومن قرأ الثانية جعل الاولين قوم نوح وابراهيم ومن كان معهم والآخرين قوم فرعون وكل من تأخر وقرب من مدة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال كذلك نفعل بالمجرمين اي فى المستقبل فيدخل هنا قريش وغيرها واما تكرار قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين فى هذه السورة فقيل ذلك لمعنى التاكيد فقط وقيل بل فى كل ءاية منها ما يقتضى التصديق فجاء الوعيد على التكذيب بذلك الذى فى الآية والماء المهين معناه الضعيف والقرار المكين الرحم وبطن المرأة والقدر المعلوم هو وقت الولادة ومعناه معلوم عند الله وقرأ نافع والكساءي فقدرنا

بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وهما بمعنى من القدرة والقدر ومن التقدير والتوقيت (ت) وفي كلام (ع) تلفيف وقال غيره فقدرنا بالتشديد من التقدير وبالتخفيف من القدرة وهو حسن * وقوله القادرون يرجح قراءة الجماعة الا ان ابن مسعود روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسر القادرون بالمقدرين والكفات الستر والوعاء الجامع للشيء باجماع تقول كفت الرجل شعره اذا جمعه بخرقة والارض تكفت الاحياء على ظهرها وتكفت الاموات في بطنها وخرج الشعبي الى جنازة فنظر الى الجبانة فقال هذه كفات الموتى ثم نظر الى البيوت فقال وهذه كفات الاحياء قال (ع) ولما كان القبر كفاتا كالبيت قطع من سرق منه والرواسي الجبال والشوامخ المرتفعة والفرات الصافي العذب والضمير في قوله انطلقوا هو للمكذبين الذين لهم الويل ثم بين المنطلق اليه قال عطاء الظل الذى له ثلاث شعب هو دخان جهنم وقال ابن عباس هذه المخاطبة تقال يومئذ لعبدة الصليب اذا اتبع كل احد ما كان يعبد فيكون المومنون في ظل الله ولا ظل الا ظله ويقال لعبدة الصليب انطلقوا الى ظل معبودكم وهو الصليب له ثلاث شعب ثم نفى تعالى عنه محاسن الظل والضمير في انها لجهنم ترمي بشرر كالقصر اي مثل القصور من البنيان قاله ابن عباس وجماعة من المفسرين وقال ابن عباس ايضا القصر خشب كنا في الجاهلية ندخره للشتاء وقرأ ابن عباس كالقصر بفتح الصاد جمع قصرة وهي اعناق النخل والابل وقال ابن عباس جذور النخل واختلف في الجمالات فقال جمهور من المفسرين هي جمع جمال كرجال ورجالات وقال ءاخرون اراد بالصفر السود وقال جمهور الناس بل الصفر الفاقعة لانها اشبه بلون الشرر وقال ابن عباس الجمالات حبال السفن وهي الحبال العظام اذا جمعت مستديرة بعضها الى بعض وقرأ ابن عباس جمالة بضم الجيم من الجملة لامن الجمل ثم خاطب تعالى نبيه عليه السلام بقوله هذا

يوم لا ينطقون الآية وهذا فى موطن خاص اذ يوم القيامة هو مواطن * وقوله تعالى هذا يوم الفصل جمعناكم مخاطبة للكفار يومئذ ثم وقفهم بقوله فان كان لكم كيد فكيدون اي ان كان لكم حيلة او مكيدة تنجيكم فافعلوها ثم ذكر سبحانه حالة المتقين وما اعدلهم والظلال فى الجنة عبارة عن تكاثف الاشجار وجودة المبانى والا فلا شمس توذى هناك حتى يكون ظل يجير من حرها * وقوله تعالى كلوا وتمتعوا استيناف خطاب لقريش على معنى قل لهم يا محمد وهذه صيغة امر معناها التهديد والوعيد ومن جعل هذه الآية مدنية قال هي فى المنافقين * وقوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون قال قتادة والجمهور هذه حال كفار قريش فى الدنيا يدعوهم النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجيبون وذكر الركوع عبارة عن جميع الصلاة وقيل هي حكاية حال المنافقين فى الآخرة يوم يدعون الى السجود فلا يستطيعون على ما تقدم قاله ابن عباس وغيره * وقوله تعالى فباي حديث بعده يومنون يؤيد ان الآية كلها فى قريش والمراد بالحديث هنا القرءان وروي عن يعقوب انه قرأ تومنون بالتاء من فوق على المواجهة ورويت عن ابن عامر

تفسير سورة عم يتساءلون وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل عم يتساءلون اصل عم عن ما ادغمت النون فى الميم لاشتراكهما فى الغنة فبقي عما فى الخبر وفى الاستفهام ثم حذفوا الالف فى الاستفهام فرقا بينه وبين الخبر

ثم من العرب من يخفف الميم فيقول عم وهـذا الاستفهام بعم استفهام توقيف وتعجيب والنبأ العظيم قال ابن عباس وقتادة هو الشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد هو القرءان خاصة وقال قتادة ايضا هو البعث من القبور والضمير فى يتساءلون لكفار قريش ومن نحا نحوهم واكثر النحاة ان قوله عن النبأ العظيم متعلق بيتساءلون وقال الزجاج الكلام تام فى قوله عم يتساءلون ثم كان مقتضى القول ان يجيب مجيب فيقول يتساءلون عن النبأ العظيم وله امثلة فى القرءان اقتضاها ايجاز القرءان وبلاغته واختلافهم هو شك بعض وتكذيب بعض وقولهم سحر وكهانة الى غير ذلك من باطلهم * وقوله تعالى كلا سيعلمون رد على الكفار فى تكذيبهم ووعيد لهم فى المستقبل وكرر عليهم الزجر والوعيد تاكيدا والمعنى سيعلمون عاقبة تكذيبهم ثم وقفهم تعالى ودلهم على ءاياته وغرائب مخلوقاته وقدرته التى توجب للناظر فيها الاقرار بالبعث والايمان بالله تعالى (ت) وفى ضمن ذلك تعديد نعمه سبحانه التى يجب شكرها والمهاد الفراش الممهد وشبه الجبال بالاوتاد لانها تمنع الارض ان تميد بهم * وخلقناكم ازواجا اي انواعا والسبات السكون وسبت الرجل معناه استراح وروينا فى سنن ابى داود عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يبيت على ذكر الله طاهرا فيتعارّ من الليل فيسأل الله تعالى خيرا من امور الدنيا والآخرة الا اعطاه الله اياه وروى ابو داود عن بعض ءال ام سلمة قال كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم نحوا مما يوضع الانسان فى قبره وكان المسجد عند رأسه انتهى ولباسا مصدر وكانّ الليل كذلك من حيث يغشى الاشخاص فهي تلبسه وتتدرعه والنهار معاشا على حذف مضاف او على النسب والسبع الشداد السموات والسراج الشمس والوهاج الحار المضطرم الاتقاد المتعالى اللهب قال ابن عباس وغيره المعصرات السحائب القاطرة وهو

ماخوذ من العصر لان السحاب ينعصر فيخرج منه الماء وهذا قول الجمهور والثجاج السريع الاندفاع كما يندفع الدم من عروق الذبيحة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له ما افضل الحج فقال العج والثج اراد التضرع الى الله تعالى بالدعاء الجهير وذبح الهدي والفافا اي ملتفة الاغصان والاوراق ويوم الفصل هو يوم القيامة والافواج الجماعات يتلو بعضها بعضا وفتحت السماء بتشديد التاء قراءة نافع وابي عمرو وابن كثير وابن عامر والباقون دون تشديد * وقوله تعالى فكانت ابوابا قيل معناه تتشقق حتى يكون فيها فتوح كالابواب فى الجدرات وقيل انها تتقطع السماء قطعا صغارا حتى تكون كالواح الابواب والقول الاول احسن وقد قال بعض اهل العلم تنفتح فى السماء ابواب للملائكة من حيث ينزلون ويصعدون * وقوله تعالى فكانت سرابا عبارة عن تلاشيها بعد كونها هباء منبثا ومرصادا موضع الرصد وقيل مرصادا بمعنى راصد والاحقاب جمع حقب وهي المدة الطويلة من الدهر غير محدودة وقال ابن عباس وابن عمر الحقب ثمانون سنة وقال ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ثلاثون الف سنة وقد اكثر الناس فى هذا واللازم ان الله تعالى اخبر عن الكفار انهم يلبثون احقابا كلما مر حقب جاء غيره الى غير نهاية نجانا الله من سخطه قال الحسن ليس للاحقاب عدة الا الخلود فى النار * وقوله سبحانه لا يذوقون فيها بردا الآية قال الجمهور البرد فى الآية مس الهواء البارد اي لا يمسهم منه ما يستلذ وقال ابو عبيدة وغيره البرد فى الآية النوم والعرب تسميه بذلك لانه يبرد سورة العطش وقال ابن عباس البرد الشراب البارد المستلذ وقال قتادة وجماعة الغساق هو ما يسيل من اجسام اهل النار من صديد ونحوه * وقوله تعالى وفاقا معناه لاعمالهم وكفرهم ولا يرجون قال ابو عبيدة وغيره معناه لا يخافون وقال غيره الرجاء هنا على بابه وكذابا مصدر لغة فصيحة

يمانية وعن ابن عمر قال ما نزلت فى اهل النار ءاية اشد من قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الاعذابا ورواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم والحدائق هي البساتين عليها حلق وحظائر وجدرات البخاري وكواعب اي نواهد انتهى والدهاق المترعة فيما قال الجمهور وقيل الصافية وقال مجاهد متتابعة وعبارة البخاري وقال ابن عباس دهاقا ممتلئة انتهى وكذابا مصدر وهو الكذب * وقوله عطاء حسابا اي كافيا قاله الجمهور من قولهم احسبني هذا الامر اي كفاني ومنه حسبي الله وقال مجاهد حسابا معناه بتقسيط فالحساب على هذا بموازنة اعمال القوم اذ منهم المكثر من الاعمال والمقل ولكل بحسب عمله * وقوله تعالى لايملكون الضمير للكفار اي لايملكون من افضاله واجماله سبحانه ان يخاطبوه بمعذرة ولا غيرها وهذا ايضا فى موطن خاص * وقوله تعالى يوم يقوم الروح اختلف فى الروح المذكور هنا فقال الشعبي والضحاك هو جبريل عليه السلام وقال ابن مسعود هو ملك عظيم اكبر الملائكة خلقة يسمى الروح وقال ابن زيد هو القرءان وقال مجاهد الروح خلق على صورة بنى ءادم ياكلون ويشربون وقال ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم الروح خلق غير الملائكة هم حفظة للملائكة كما الملائكة حفظة لنا وقيل الروح اسم جنس لارواح بنى ءادم والمعنى يوم تقوم الارواح فى اجسادها اثر البعث ويكون الجميع من الانس والملائكة صفا ولا يتكلم احد منهم هيبة وفزعا الا من اذن له الرحمن من ملك اونبي وكان اهلا ان يقول صوابا فى ذلك الموطن وقال البخاري صوابا حقا فى الدنيا وعمل به انتهى وفى قوله فمن شاء اتخذ الى ربه مءابا وعد ووعيد وتحريض والعذاب القريب هو عذاب الآخرة اذ كل آت قريب وقال ابو هريرة وعبد الله بن عمر ان الله تعالى يحضر البهائم يوم القيامة فيقتص لبعضها من بعض ثم يقول لها بعد ذلك كوني ترابا فيعود جميعها ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا (ت)

واعلم رحمك الله انى لم اقف على حـديث صحيح فى عودها ترابا وقـد نقل الشيخ ابو العباس القسطلاني عـن الشيخ ابى الحكم بن ابى الرجال انكار هـذا القول وقال ما نفث روح الحياة فى شيء ففني بعد وجوده وقد نقل الفخر هنا عن قوم بقاءها وان هذه الحيوانات اذا انتهت مدة اعراضها جعل الله كل ما كان منها حسن الصورة ثوابا لاهل الجنة وما كان قبيح الصورة عقابا لاهل النار انتهى والمعول عليه فى هـذا النقل فان صح فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب اعتقاده وصير اليه والافلا مدخل للعقل هنا والله اعلم

تفسير سورة والنازعات وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمـن الرحيم *

قوله عز وجل والنازعات غرقا قال ابن عباس وابن مسعود النازعات الملائكة تنزع نفوس بنى ءادم وغرقا على هذا القول اما ان يكون مصدرا بمعنى الاغراق والمبالغة فى الفعل واما ان يكون كما قال علي وابن عباس تغرق نفوس الكفرة فى نار جهنم وقيل غير هـذا واختلف فى الناشطات فقال ابن عباس ومجاهـد هي الملائكة تنشط النفوس عند الموت اي تحلها كحل العقال وتنشط بامر الله الى حيث شاء وقال ابن عباس ايضا الناشطات النفوس المومنـة تنشط عنـد الموت للخروج (ت) زاد الثعلبي عنه وذلك انـه ليس مومن يحضره الموت الا عرضت عليه الجنة قبل ان يموت فيرى فيها اشباها من اهله وازواجه من الحور العين فهم يدعونه اليها فنفسه اليهم نشيطة ان تخرج فتاتيهم انتهى وقيل غير هذا واختلف فى السابحات هنا فقيل هي النجوم وقيل هي الملائكة لانها

تتصرف فى الآفاق بامر الله وقيل هي الخيل وقيل هي السفن وقيل هي الحيتان ودواب البحر والله اعلم واختلف فى السابقات فقيل هي الملائكة وقيل الرياح وقيل الخيل وقيل النجوم وقيل المنايا تسبق الآمال واما المدبرات فهي الملائكة قولا واحدا فيما علمت تدبر الامور التى سخرها الله لها وصرفها فيها كالرياح والسحاب وغير ذلك والراجفة النفخة الاولى والرادفة النفخة الاخيرة وقال ابن زيد الراجفة الموت والرادفة الساعة وفى جامع الترمذي عن ابي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه الحديث قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى وقد اتى به (ع) هنا وقال اذا ذهب ربع الليل والصواب ما تقدم ثم اخبر تعالى عن قلوب تجف فى ذلك اليوم اي ترتعد خوفا وفرقا من العذاب واختلف فى جواب القسم اين هو فقال الزجاج والفراء هو محذوف دل عليه الظاهر تقديره لتبعثن ونحوه وقال ءاخرون هو موجود فى جملة قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة كانه قال لتجفن قلوب قوم يوم كذا * وقوله تعالى يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة حكاية حالهم فى الدنيا والمعنى هم الذين يقولون والحافرة قال مجاهد والخليل هي الارض حافرة بمعنى محفورة والمراد القبور والمعنى ائنا لمردودون احياء فى قبورنا وقيل غير هذا ونخرة معناه بالية وقرأ حمزة ناخرة بالف والناخرة المصوتة بالريح المجوفة وحكي عن ابى عبيدة وغيره ان الناخرة والنخرة بمعنى واحد وقولهم تلك اذا كرة خاسرة اي اذ هي الى النار لتكذيبهم بالبعث وقال الحسن خاسرة معناه عندهم كاذبة اي ليست بكائنة ثم اخبر تعالى عن حال القيامة فقال انما هي زجرة واحدة اي نفخة فى الصور فاذا هم بالساهرة وهي ارض المحشر * وقوله هل لك الى ان تزكى استدعاء

حسن والتزكى التطهر من النقائص والتلبس بالفضائل ثم فسر له موسى التزكي الذى دعاه اليه بقوله واهديك الى ربك فتخشى والعلم تابع للهدى والخشية تابعة للعلم انما يخشى الله من عباده العلماء والآية الكبرى العصا واليد قاله مجاهد وغيره وادبر كناية عن اعراضه وقيل حقيقة قام موليا عن مجالسة موسى فحشر اي جمع اهل مملكته وقول فرعون انا ربكم الاعلى نهاية فى السخافة والمخرقة قال ابن زيد نكال الآخرة اي الدار الآخرة والاولى يعنى الدنيا اخذه الله بعذاب جهنم وبالغرق وقيل غير هذا ثم وقفهم سبحانه مخاطبة منه تعالى للعالم والمقصد الكفار فقال ءانتم اشد خلقا الآية والسمك الارتفاع الثعلبي والمعنى أأنتم ايها المنكرون للبعث اشد خلقا ام السماء اشد خلقا ثم بين كيف خلقها اي فالذى قدر على خلقها قادر على احيائكم بعد الموت نظيره او ليس الذى خلق السموات والارض الآية انتهى واغطش معناه اظلم * وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها متوجه على ان الله خلق الارض ولم يدحها ثم استوى الى السماء وهي دخان فخلقها وبناها ثم دحا الارض بعد ذلك ودحوها بسطها وباقى الآية بين والطامة الكبري هي يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره * فاما من طغى اي تجاوز الحد وءاثر الحياة الدنيا على الآخرة لتكذيبه بالآخرة ومقام ربه هو يوم القيامة وانما المراد مقامه بين يديه والهوى هو شهوات النفس وما جرى مجراها المذمومة * وقوله تعالى يسئلونك عن الساعة يعنى قريشا قال البخاري عن غيره ايان مرساها متى منتهاها ومرسى السفينة حيث تنتهى انتهى ثم قال تعالى لنبيه على جهة التوقيف فيم انت من ذكراها اى من ذكر تحديدها ووقتها اي لست من ذلك فى شيء انما انت منذر وباقى الآية بين قال الفخر قوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها تفسير هذه الآية هو كما ذكر فى قوله كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار

والمعنى ان ما انكروه سيرونه حتى كانهم كانوا ابـدا فيه وكانهم لم يلبثوا فى الدنيا الا ساعة من نهار يريد لم يلبثوا الا عشية او ضحى يومها انتهى

تفسير سورة عبس وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمــن الرحيم *

قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بعض صناديد قريش ويقرأ عليه القرءان ويقول له هل ترى بما اقول بأسا فكان ذلك الرجل يقول لا والدُّمى يعنى الاصنام اذ جاء ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله استدننى وعلمنى مما علمك الله فكان فى ذلك كله قطع لحديث النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل فلما شغب عليه ابن ام مكتوم عبس صلى الله عليه وسلم واعرض عنه فنزلت الآية قال سفيان الثوري فكان بعد ذلك اذا رأى ابن ام مكتوم قال مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى عز وجل وبسط له رداءه واستخلفه على المدينة مرتين (ت) والكافر المشار اليه فى الآيـة هو الوليد بن المغيرة قاله ابن اسحاق انتهى ثم اكد تعالى عتب نبيه بقوله اما من استغنى اي بمـاله فانت له تصدى اي تتعرض * وقـوله وهـو يخشـى اي يخشـى الله فانت عنه تلهى اي تشتغل تقول لهيت عن الشيء الهى اذا اشتغلت عنه وليس من اللهو وهذه الآية السبب فيها هذا ثم هي بعد تتـناول من شاركهم فى هذه الاوصاف فحملة الشرع والعلم مخاطبون بتقريب الضعيف من اهل الخير وتقديمه على الشريف العارى من الخير مثل ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فى

هـذه السورة قال عياض وليس فى قوله تعالى عبس وتولى الآية مـا يقتضى اثبات ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم او انـه خالف امر ربـه سبحانه وانما فى الآية الاعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر والاشارة الى الاعراض عنه انتهى قال السهيلي وانظر كيف نزلت الآية بلفظ الاخبار عن الغائب فقال عبس وتولى ولم يقل عبست وتوليت وهـذا يشبه حال العاتب المعرض ثم اقبل عليه بمواجهة الخطاب فقال وما يدريك لعله يزكى الآية علما منه سبحانه انه لم يقصد بالاعراض عن ابن ام مكتوم الا الرغبة فى الخير ودخول ذلك المشرك فى الاسلام اذ كان مثله يسلم باسلامه بشر كثير فكلم نبيه حين ابتدأ الكلام بما يشبه كلام المعرض عنه العاتب له ثم واجهه بالخطاب تانيسا له عليه السلام انتهى ثم قال تعالى كلا يا محمد ليس الامر كما فعلت ان هـذه السورة او القراءة او المعاتبة تذكرة وعبارة الثعلبي ان هـذه السورة وقيل هـذه الموعظة وقال مقاتل ءايات القرءان تذكرة اي موعظة وتبصرة للخلق فمن شاء ذكره اي اتعظ بـءاي القرءان وبما وعظتك وادبتك فى هذه السورة انتهى (ص) ذكره ذكّر الضمير لان التذكرة هي الذكر انتهى * وقوله تعالى فى صحف متعلق بقوله انها تذكرة وهذا يؤيد ان التذكرة يرادبها جميع القرءان والصحف هنا قيل انه اللوح المحفوظ وقيل صحف الانبياء المنزلة قال ابن عباس السفرة هم الملائكة لانهم كتبة يقال سفرت اي كتبت ومنه السفر وقال ابن عباس ايضا الملائكة سفرة لانهم يسفرون بين الله وبين انبيائه وفى البخاري سفرة الملائكة واحدهم سافر سفرت اصلحت بينهم وجعلت الملائكة اذا نزلت بوحي الله عز وجل وتاديته كالسفير الذى يصلح بين القوم انتهى قال (ع) ومن اللفظة قول الشاعر

وما ادع السفارة بين قومى * وما اسعى بغش ان مشيت

والصحف على هذا صحف عند الملائكة او اللوح * وقوله تعالى قتل الانسان

ما اكفره دعاء على اسم الجنس وهو عموم يراد به الانسان الكافر ومعنى قتل اي هو اهل ان يدعى عليه بهذا وقال مجاهد قتل معناه لعن وهذا تحكم (ت) ليس بتحكم وقد تقدم نحوه عن غير واحد * وقوله تعالى ما اكفره يحتمل معنى التعجب ويحتمل الاستفهام توبيخا وقيل الآية نزلت فى عتبة بن ابى لهب وذلك انه غاضب اباه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم ثم ان اباه استصلحه واعطاه مالا وجهزه الى الشام فبعث عتبة الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انى كافر برب النجم اذا هوى فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ابعث عليه كلبك حتى ياكله ثم ان عتبة خرج فى سفرة فجاء الاسد فاكله من بين الرفقة * وقوله تعالى من اي شيء خلقه استفهام على معنى التقرير على تفاهة الشيء الذى خلق الانسان منه فقدره اي جعله بقدر وحد معلوم ثم السبيل يسره قال ابن عباس وغيره هي سبيل الخروج من بطن امه وقال الحسن ما معناه ان السبيل هي سبيل النظر المؤدى الى الايمان * وقوله فاقبره معناه امر ان يجعل له قبر وفى ذلك تكريم له ليلا يطرح كسائر الحيوان * وقوله تعالى ثم اذا شاء يريد اذا بلغ الوقت الذى قد شاءه وهو يوم القيامة وانشره معناه احياه * وقوله تعالى كلا لما يقض اي لم يقض ما امره ثم امر الله تعالى الانسان بالعبرة والنظر الى طعامه والدليل فيه وكيف يسره له بهذه الوسائط والحب جمع حبة بفتح الحاء وهو كل ما يتخذه الناس ويربونه والحبة بكسر الحاء كل ما ينبت من البزور لايحفل به ولا هو بمتخذ والقضب قيل هي الفصفصة وهذا عندى ضعيف لان الفصفصة للبهائم وهي داخلة فى الاب والذى اقول به ان القضب هنا هو كل ما يقضب لياكله ابن ءادم غضا من النبات كالبقول والهليون ونحوه فانه من المطعوم جزء عظيم ولا ذكر له فى الآية الا فى هذه اللفظة والحديقة الشجر الذى قد احدق بجدار ونحوه والغلب الغلاظ الناعمة والاب

المرعى والكلا قاله ابن عباس وغيره وقد توقف فى تفسيره ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ومتاعا نصب على المصدر والمعنى تتمتعون بـه انتم وانعامكم فابن ءادم فى السبعة المذكورة والانعام فى الاب والصاخة اسم من اسماء يوم القيامة (ص) قال الخليل الصاخة صيحة تصخ الآذان صخا اي تصمها لشدة وقعتها انتهى * وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الآية قال جمهور الناس انما ذلك لشدة الهول كل يقول نفسى نفسى وقيل فرارهم خوفا من المطالبات لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه عن اللقاء مع غيره ثم ذكر تعالى اختلاف الوجوه من المومنين الواثقين برحمة الله حين بدت لهم تباشيرها ومن الكفار حين علاها قترها ومسفرة معناه نيرة باد ضوءها وسرورها والغبرة التى على الكفرة هي من العبوس كما يرى على وجه المهموم والميت والمريض شبه الغبار (ص) والقتر سواد كالدخان ابو عبيدة هو الغبار انتهى ثم فسر سبحانه اصحاب هـذه الوجوه المغبرة بانهم الكفرة الفجـرة

تفسير سورة التكوير وهي مكية باجماع

* بسـم الله الرحمـن الرحـيم *

قوله سبحانه اذا الشمس كورت الآية هـذه كلها اوصاف يوم القيامة وتكوير الشمس هو ان تدار كما يـدار كور العمامة ويذهب بها الى حيث شاء الله تعالى وعبر المفسرون عن ذلك بعبارات فمنهم من قال ذهب نورها قاله قتادة ومنهم من قال رمي بها قاله الربيع بن خثيم وغير ذلك مما هو اسماء توابع لتكويرها

وانكدار النجوم هو انقضاضها وهبوطها من مواضعها وقال ابن عباس انكدرت تغيرت من قولهم ماء كدر والعشار جمع عُشَراء وهي الناقة التى قد مر لحملها عشرة اشهر وهي انفس ما عند العرب وانما تعطل عند اشد الاهوال * واذا البحار سجرت قال ابي بن كعب وابن عباس وغيرهما معناه اضرمت نارا كما يسجر التنور ويحتمل ان يكون المعنى ملكت وقيدت فتكون اللفظة ماخوذة من ساجور الكلب وقرأ ابن كثير وابو عمرو سجرت بتخفيف الجيم والباقون بتشديدها وتزويج النفوس هو تنويعها لان الازواج هى الانواع والمعنى جعل الكافر مع الكافر والمومن مع المومن وكل شكل مع شكله رواه النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم وقاله عمر بن الخطاب وابن عباس وقال هذا نظير قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وفى الآية على هذا حض على خليل الخير فقد قال عليه السلام المرء مع من احب وقال فلينظر احد كم من يخالل وعبارة الثعلبي قال النعمان بن بشير قال النبي صلى الله عليه وسلم واذا النفوس زوجت قال الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله انتهى وقال مقاتل بن سليمان معناه زوجت نفوس المومنين بزوجاتهن من الحور وغيرهن * وقوله تعالى واذا المو،ودة سئلت المو،ودة اسم معناه المثقل عليها بالتراب وغيره حتى تموت وكان هذا صنيع بعض العرب ببناتهم يدفنونهن احياء وقرأ الجمهور سئلت وهذا على جهة التوبيخ للعرب الفاعلين ذلك واستدل ابن عباس بهذه الآية على ان اولاد المشركين فى الجنة لان الله قد انتصر لهم ممن ظلمهم * واذا الصحف نشرت قيل هي صحف الاعمال وقيل هي الصحف التى تتطاير بالايمان والشمائل والكشط التقشير وذلك كما يكشط جلد الشاة حين تسلخ وكشط السماء هو طيها كطي السجل وسعرت معناه اضرمت نارها وازلفت الجنة معناه قربت ليدخلها المومنون الثعلبي قربت لاهلها حتى يرونها نظيره وازلفت الجنة للمتقين

غير بعيد علمت نفس عند ذلك ما احضرت من خير او شر وهو جواب لقوله اذا الشمس وما بعدها انتهى * وقوله تعالى فلا اقسم بالخنس لا اما زائدة واما ان تكون ردا لقول قريش فى تكذيبهم نبوة نبينا محمد عليه السلام ثم اقسم تعالى بالخنس الجوار الكنس وهي فى قول الجمهور الدراري السبعة الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشترى وقال علي المراد الخمسة دون الشمس والقمر وذلك ان هذه الكواكب تخنس فى جريها اي تتقهقر فيما ترى العين وهي جوار فى السماء وهي تكنس فى ابراجها اي تستتر الثعلبي وقال ابن زيد تخنس اي تتأخر عن مطالعها كل سنة وتكنس بالنهار اي تستتر فلا ترى انتهى وعسعس الليل فى اللغة اذا كان غير مستحكم الاظلام قال الخليل عسعس الليل اذا اقبل وادبر وقال الحسن وقع القسم باقباله وقال ابن عباس وغيره بل وقع بادباره وقال المبرد اقسم باقباله وادباره معا وعبارة الثعلبي قال الحسن عسعس الليل اقبل بظلامه وقال ءاخرون ادبر بظلامه ثم قال والمعنيان يرجعان الى معنى واحد وهو ابتداء الظلام فى اوله وادباره فى ءاخره انتهى وتنفس الصبح اتسع ضوءه والضمير فى انه للقرءان والرسول الكريم فى قول الجمهور هو جبريل عليه السلام وقال ءاخرون هو النبي صلى الله عليه وسلم فى الآية كلها والقول الاول اصح وكريم صفة تقتضي رفع المذام ومكين معناه له مكانة ورفعة وقال عياض فى الشفا فى قوله تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى قال (ع) واجمع المفسرون على ان قوله تعالى وما صاحبكم يراد به النبي صلى الله عليه وسلم والضمير فى رءاه لجبريل عليه السلام وهذه الرؤية التى كانت بعد امر غار حراء وقيل هي الرؤية التى رءاه عند سدرة المنتهى * وقوله تعالى وما هو على الغيب بضنين بالضاد بمعنى ببخيل تبليغ ما قيل له كما يفعل الكاهن حين يعطى حلوانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو

والكسائي بظنين بالظاء اي بمتهم ثم نفى سبحانه عن القرءان ان يكون كلام شيطان على ما قالت قريش ورجيم اي مرجوم * وقوله تعالى فاين تذهبون توقيف وتقرير والمعنى اين المذهب لاحد عن هذه الحقائق والبيان الذى فيه شفاء ان هو الاذكر اي تذكرة (ت) روى الترمذي عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه رأي عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى

تفسير سورة الانفطار وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى اذا السماء انفطرت اي انشقت واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت واذا البحار فجرت قيل فجر بعضها الى بعض ويحتمل ان يكون تفجرت من اعاليها ويحتمل ان يكون تفجير تفريغ من قيعانها فيذهب الله ماءها حيث شاء وبكل قيل وبعثرة القبور نبشها عن الموتى * وقوله سبحانه علمت نفس هو جواب اذا ونفس هنا اسم جنس وقال كثير من المفسرين فى معنى قوله ما قدمت واخرت انها عبارة عن جميع الاعمال من طاعة او معصية * يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فقال غره جهله فسبحان الله ما ارحمه بعباده قال الثعلبي قال اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه تعالى وصفاته كانه لقنه جوابه حتى يقول غرني كرمك انتهى

وقرأ الجمهور فعدلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نظر الى الهلال قال ءامنت بالذى خلقك فسواك فعدلك وقرأ حمزة والكسائي وعاصم بتخفيف الدال والمعنى عدل اعضاءك بعضها ببعض اي وازن بينها * وقوله تعالى فى اي صورة ما شاء ركبك ذهب الجمهور الى ان فى متعلقة بركبك اي فى صورة حسنة او قبيحة او سليمة او مشوهة ونحو هذا وما فى قوله ما شاء ركبك زائدة فيها معنى التاكيد قال ابو حيان كلا ردع وزجر انتهى والدين هنا يحتمل ان يريد الشرع ويحتمل ان يريد الجزاء والحساب وباقى الآية واضح لمتأمله * وقوله تعالى بصلونها يوم الدين اي يوم الجزاء * وقوله تعالى وما هم عنها بغائبين قال جماعة معناه ما هم عنها بغائبين فى البرزخ وذلك انهم يرون مقاعدهم من النار غدوة وعشية فهم لم يزالوا مشاهدين لها نسأل الله العافية فى الدارين بجوده وكرمه ثم عظم تعالى قدر هول ذلك اليوم بقوله وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين الآية

تفسير سورة المطففين وهي مكية
فى قول جماعة

وقال ابن عباس وغيره هي مدنية وعنه نزل بعضها بمكة ونزل امر التطفيف بالمدينة

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى ويل للمطففين الآية المطفف الذى ينقص الناس حقوقهم والتطفيف النقصان اصله من الشيء الطفيف وهو النزر والمطفف انما ياخذ بالميزان او

بالمكيال شيأ خفيفا واكتالوا على الناس معناه قبضوا منهم وكالوهم معناه قبّضوهم ويخسرون معناه ينقصون * وقوله سبحانه الا يظن بمعنى يعلم ويتحقق وقال (ص) الا يظن ذكر ابو البقاء ان لا هنا هي النافية دخلت عليها همزة الاستفهام وليست ألا التى للتنبيه والاستفتاح لان ما بعد الا التنبيهية مثبت وهو هنا منفى انتهى وقيام الناس لرب العالمين يومئذ يختلف الناس فيه بحسب منازلهم وروي انه يخفف عن المومن حتى يكون على قدر الصلاة المكتوبة وفى هذا القيام هو الجام العرق للناس كما صرح به النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح والناس ايضا فيه مختلفون بالتخفيف والتشديد قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا سليمان التيمي عن ابى عثمان النهدي عن سلمان قال تدنى الشمس من الناس يوم القيامة حتى تكون من رءوسهم قاب قوس او قاب قوسين فتعطى حر عشر سنين وليس على احد يومئذ طحربة ولا ترى فيه عورة مومن ولا مومنة ولا يضر حرها يومئذ مومنا ولا مومنة واما الآخرون او قال الكفار فتطبخهم فانما تقول اجوافهم غق غق قال نعيم الطحربة الخرقة انتهى ونحو هذا للمحاسبي قال فى كتاب التوهم فاذا وافى الموقف اهل السموات السبع والارضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين ثم ادنيت من الخلائق قاب قوس او قاب قوسين فلا ظل فى ذلك اليوم الا ظل عرش رب العالمين فكم بين مستظل بظل العرش وبين واقف لحر الشمس قد اصهرته واشتد فيها كربه وقلقه فتوهم نفسك فى ذلك الموقف فانك لامحالة واحد منهم انتهى اللهم عاملنا برحمتك وفضلك فى الدارين فانه لا حول لنا ولا قوة الا بك * وقوله تعالى كلا ان كتاب الفجار يعنى الكفار وكتابهم يراد به الذى فيه تحصيل امرهم وافعالهم ويحتمل عندى ان يكون المعنى وعدادهم وكتاب كونهم هو فى سجين اي هنالك كتبوا فى الازل واختلف فى سجين ما هو والجمهور ان سجينا بناء

مبالغة من السجن قال مجاهد وذلك فى صخرة تحت الارض السابعة * وقوله تعالى وما ادراك ما سجين تعظيم لامر هـذا السجين وتعجيب منه ويحتمل ان يكون تقرير استفهام اي هـذا مما لم تكن تعلمه قبل الوحي وكتاب مرقوم على القول الاول مرتفع على خبران وعلى القول الثانى مرتفع على انـه خبر مبتدإ محذوف تقديره هو كتاب مرقوم ويكون هـذا الكلام مفسرا لسجين ما هو ومرقوم معناه مكتوب لهم بشر وباقى الآية بين ثم اوجب ان ما كسبوا من الكفر والعتو قد رانَ على قلوبهم اي غطى عليها فهم مع ذلك لا يبصرون رشدا يقال رانت الخمر على قلب شاربها وران الغشي على قلب المريض وكذلك الموت قال الحسن وقتادة الرين الذنب على الذنب حتى يموت القلب وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل اذا اذنب نكتت نكتة سوداء فى قلبه ثم كذلك حتى يتغطى فذلك الران الذى قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال الفخر قال ابو معاذ النحوي الرين سواد القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهواشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وهـو ان يقفل على القلب انتهى والضمير فى قوله تعالى انهم عن ربهم للكفار اي هم محجوبون لا يرون ربهم قال الشافعي لما حجب الله قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى قال المحاسبي رحمه الله فى كتاب توبيخ النفس وينبغى للعبد المومن اذا رأى القسوة من قلبه ان يعلم انها من الرين فى قلبه فيخاف ان يكون الله تعالى لما حجب قلبه عنه بالرين والقسوة ان يحجبه غـدا عن النظر اليه قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون احداهما تتلو الاخرى ليس بينهما معنى ثالث فان اعترض للمريد خاطر من الشيطان ليقتطعه عن الخوف من الله تعالى حتى تحل بـه هاتان العقوبتان فقال انما نزلتا فى الكافرين فليقل فان الله لم يؤمن منهما كثيرا من

المومنين وقد حذر سبحانه المومنين ان يعاقبهم بما يعاقب به الكافرين فقال تعالى واتقوا النار التى اعدت للكافرين الى غير ذلك من الآيات انتهى ولما ذكر الله تعالى امر كتاب الفجار عقب ذلك بذكر كتاب ضدهم ليبين الفرق بين الصنفين واختلف فى الموضع المعروف بعليين ما هو فقال ابن عباس السماء السابعة تحت العرش وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الضحاك هو سدرة المنتهى وقال ابن عباس ايضا عليون الجنة * وقوله تعالى يشهده المقربون يعنى الملائكة قاله ابن عباس وغيره وينظرون معناه الى ما عندهم من النعيم والنضرةُ النعمة والرونق والرحيق الخمر الصافية ومختوم يحتمل انه يختم على كؤوسه التى يشرب بها تهمما وتنظفا والظاهر انه مختوم شربه بالرائحة المسكية حسبما فسره قوله ختامه مسك قال ابن عباس وغيره خاتمة شربه مسك وقرأ الكسائي خاتَمه مسك ثم حرض تعالى على الجنة بقوله وفى ذلك فليتنافس المتنافسون * وقوله تعالى ومزاجه من تسنيم المزاج الخلط قال ابن عباس وغيره تسنيم اشرف شراب فى الجنة وهو اسم مذكر لماء عين فى الجنة وهي عين يشرب بها المقربون صرفا ويمزج رحيق الابرار بها وهذا المعنى فى صحيح البخاري وقال مجاهد ما معناه ان تسنيما مصدر من سَنّمت اذا علوت ومنه السنام فكانه عين قد عليت على اهل الجنة فهي تنحدر وقاله مقاتل وجمهور المتأولين ان منزلة الابرار دون منزلة المقربين وان الابرار هم اصحاب اليمين وان المقربين هم السابقون * وقوله يشرب بها بمعنى يشربها * وقوله سبحانه ان الذين اجرموا كانوا يعنى فى الدنيا يضحكون من المومنين روي ان هذه الآية نزلت فى صناديد قريش وضعفة المومنين والضمير فى مروا للمومنين ويحتمل ان يكون للكفار واما ضمير يتغامزون فهو للكفار لا يحتمل غير ذلك وفاكهين اي اصحاب فكاهة ونشاط وسرور باستخفافهم بالمومنين واما الضمير فى رأوا وفى قالوا فقال

الطبري وغيره هو للكفار وقال بعضهم بل المعنى بالعكس وانما المعنى واذا رأى المومنون الكفار قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسل المومنون حافظين على الكفار وهذا كله منسوخ على هذا التاويل (ت) والاول اظهر * وقوله تعالى على الارائك ينظرون اي الى اعدائهم فى النار قال كعب لاهل الجنة كوى ينظرون منها وقال غيره بينهم جسم عظيم شفاف يرون معه حالهم (ت) قال الهروي قوله تعالى على الارائك ينظرون قال احمد بن يحيى الاريكة السرير فى الحجلة ولا يسمى منفردا اريكة وسمعت الازهري يقول كل ما اتكئى عليه فهو اريكة انتهى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون اي جزاء ما كانوا يفعلون وهل ثوب تقرير وتوقيف للنبي صلى الله عليه وسلم وامته

تفسير سورة الانشقاق وهي مكية بلا خلاف

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى اذا السماء انشقت الآية هذه اوصاف يوم القيامة واذنت معناه استمعت وسمعت امر ربها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء اذنه لنبي يتغنى بالقرءان وحقت قال ابن عباس معناه وحق لها ان تسمع وتطيع ويحتمل ان يريد وحق لها ان تنشق لشدة الهول وخوف الله تعالى ومد الارض هي ازالة جبالها حتى لا يبقى فيها عوج ولا امت وفى الحديث تمد مد الاديم والقت ما فيها يعني من الموتى قاله الجمهور وخرج الختلي ابو القاسم اسحاق بن ابراهيم فى كتاب الديباج له بسنده عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله

عليه وسلم فى قوله عز وجل اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت قال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض فاجلس جالسا فى
قبرى فيفتح لى باب الى السماء بحيال رأسى حتى انظر الى العرش ثم يفتح لى
باب من تحتى حتى انظر الى الارض السابعة حتى انظر الى الثرى ثم يفتح لى
باب عن يمينى حتى انظر الى الجنة ومنازل اصحابى وان الارض تحركت تحتى
فقلت ما لك ايتها الارض قالت ان ربى امرنى ان القي ما فى جوفى وان اتخلى
فاكون كما كنت اذ لا شيء في فذلك قول الله عز وجل والقت ما فيها وتخلت
واذنت لربها وحقت اي سمعت واطاعت وحق لها ان تسمع وتطيع الحديث
انتهى من التذكرة وتخلت معناه خلت عما كان فيها لم تتمسك منهم بشيء *
يا ايها الانسان انك كادح الآية الكادح العامل بشدة واجتهاد والمعنى انك
عامل خيرا او شرا وانت لا محالة ملاقيه اي فكن على حذر من هذه الحال
واعمل صالحا تجده واما الضمير فى ملاقيه فقال الجمهور هو عائد على الرب
تعالى وقال بعضهم هو عائد على الكدح (ت) وهو ظاهر الآية والمعنى ملاق
جزاءه والحساب اليسير هو العرض ومن نوقش الحساب هلك كذا فى الحديث
الصحيح وعن عائشة هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه ونحوه فى الصحيح عن
ابن عمر انتهى وفى الحديث عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول فى بعض صلاته اللهم حاسبنى حسابا يسيرا فلما انصرف قلت يا رسول
الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر فى كتابه ويتجاوز عنه انه من نوقش الحساب
يا عائشة يومئذ هلك وكل ما يصيب المومن يكفر الله عنه حتى الشوكة تشوكه
قال صاحب السلاح رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم
انتهى وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حاسب نفسه فى
الدنيا هون الله عليه حسابه يوم القيامة قال عز الدين بن عبد السلام فى اختصاره

لرعاية المحاسبي اجمع العلماء على وجوب محاسبة النفس فيما سلف من الاعمال وفيما يستقبل منها فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله انتهى * وينقلب الى اهله اي الذين اعدهم الله له فى الجنة واما الكافر فروي ان يده تدخل من صدره حتى تخرج من وراء ظهره فياخذ كتابه بها * ويدعوا ثبورا معناه يصيح منتحبا واثبوراه واحزناه ونحو هذا والثبور اسم جامع للمكاره كالويل * وقوله تعالى انه كان فى اهله يريد فى الدنيا مسرورا اي تملكه ذلك لايدرى الا السرور باهله دون معرفة ربه * وقوله تعالى انه ظن ان لن يحور معناه ان لن يرجع الى الله مبعوثا محشورا قال ابن عباس لم اعلم ما معنى يحور حتى سمعت امرأة اعرابية تقول لبنية لها حورى اي ارجعى (ص) بلى ايجاب بعد النفي اي بلى ليحورن اي ليرجعن انتهى * وقوله تعالى فلا اقسم بالشفق لا زائدة وقيل لا رد على اقوال الكفار والشفق الحمرة التى تعقب غيبوبة الشمس مع البياض التابع لها فى الاغلب ووسق معناه جمع وضم ومنه الوَسْق اي الأَصْوُع المجموعة والليل يَسِق الحيوان جملة اي يجمعها ويضمها وكذلك جميع المخلوقات التى فى الارض والهواء من البحار والجبال والرياح وغير ذلك واتساق القمر كماله وتمامه بدرا والمعنى امتلا من النور وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر لتركبن بضم الباء والمعنى لتركبن الشدائد الموت والبعث والحساب حالا بعد حال وعن تجيء بمعنى بعد كما يقال ورث المجد كابرا عن كابر وقيل غير هذا وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير لتركبن بفتح الباء على معنى انت يا محمد فقيل المعنى حالا بعد حال من معالجة الكفار وقال ابن عباس سماء بعد سماء فى الاسراء وقيل هي عدة بالنصر اي لتركبن امر العرب قبيلا بعد قبيل كما كان وفى البخاري عن ابن عباس لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هكذا قال نبيكم صلى الله عليه وسلم انتهى ثم قال تعالى فمالهم لا يومنون

اي ما حجتهم مع هذه البراهين الساطعة ويوعون معناه يجمعون من الاعمال والتكذيب كانهم يجعلونها فى اوعية تقول وعيت العلم واوعيت المتاع وممنون معناه مقطوع

تفسير سورة والسماء ذات البروج
وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

الجمهور ان البروج هي المنازل التى عرفتها العرب وقد تقدم الكلام عليها واليوم الموعود هو يوم القيامة باتفاق كما جاء فى الحديث وانما اختلف الناس فى الشاهد والمشهود اختلافا كثيرا فقال ابن عباس الشاهد الله والمشهود يوم القيامة وقال الترمذي الشاهد الملائكة الحفظة والمشهود اي عليه الناس وقال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة (ت) ولو صح لوجب الوقوف عنده * وقوله تعالى قتل اصحاب الاخدود معناه فعل الله بهم ذلك لانهم اهل له فهو على جهة الدعاء بحسب البشر لا ان الله يدعو على احد وقيل عن ابن عباس معناه لعن وهذا تفسير بالمعنى وقال الثعلبي قال ابن عباس كل شيء فى القرآن قتل فهو لعن انتهى وقيل هو اخبار بان النار قتلتهم قاله الربيع بن انس (ص) وجواب القسم محذوف اي والسماء ذات البروج لتبعثن وقال المبرد الجواب ان بطش ربك لشديد وقيل الجواب قتل واللام محذوفة اي لقتل واذا كان قتل هو الجواب فهو خبر انتهى وصاحب الاخدود مذكور فى

السير وغيرها وحديثه فى مسلم مطول وهو مالك دعا المومنين بالله الى الرجوع عن دينهم الى دينه وخدّ لهم فى الارض اخاديد طويلة واضرم لهم نارا وجعل يطرح فيها من لم يرجع عن دينه حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال لها الطفل يا امّه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت النار * وقوله النار بدل من الاخدود وهو بدل اشتمال قال (ع) وقال الربيع بن انس وابو اسحاق وابو العالية بعث الله على اولائك المومنين ريحا فقبضت ارواحهم او نحو هذا وخرجت النار فاحرقت الكافرين الذين كانوا على حافتي الاخدود وعلى هذا يجيء قتل خبراً لادعاء * وقوله تعالى ان الذين فتنوا المومنين والمومنات الآية فتنوهم اي احرقوهم (ت) قال الهروي قوله تعالى فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق اي لهم عذاب لكفرهم وعذاب باحراقهم المومنين انتهى قال (ع) ومن قال ان هذه الآيات الاواخر فى قريش جعل الفتنة الامتحان والتعذيب ويقوى هذا التاويل بعض التقوية قوله تعالى ثم لم يتوبوا لان هذا اللفظ فى قريش اشبه منه فى اولائك والبطش الاخذ بقوة * وقوله انه هو يبدئ ويعيد قال الضحاك وابن زيد معناه يبدئ الخلق بالانشاء ويعيدهم بالحشر وقال ابن عباس ما معناه ان ذلك عام فى جميع الاشياء فهي عبارة على انه يفعل كل شيء اي يبدئ كل مايبدأ ويعيد كل ما يعاد وهذان قسمان يستوفيان جميع الاشياء والجنود الجموع وفرعون وثمود فى موضع خفض على البدل من الجنود ثم ترك القول بحاله واضرب عنه الى الاخبار بان هؤلاء الكفار بمحمد وشرعه لاحجة لهم ولا برهان بل هو تكذيب مجرد سببه الحسد ثم توعدهم سبحانه بقوله والله من ورائهم محيط اي عذاب الله ونقمته من ورائهم اي ياتى بعد كفرهم وعصيانهم وقرأ الجمهور فى لوح محفوظ بالخفض صفة للوح وقرأ نافع محفوظ بالرفع اي محفوظ فى القلوب لايدركه الخطأ والتبديل

تفسير سورة والسماء والطارق وهي مكية

بلا خلاف

* بسم الله الرحمن الرحيم *

اقسم الله تعالى بالسماء المعروفة فى قول الجمهور وقيل السماء هنا هو المطر والطارق الذى ياتى ليلا ثم فسر تعالى هذا الطارق بانه النجم الثاقب واختلف فى النجم الثاقب فقال الحسن بن ابى الحسن ما معناه انه اسم جنس لانها كلها ثاقبة اي ظاهرة الضوء يقال ثَقُبَ النجم اذا اضاء وقال ابن زيد اراد نجما مخصوصا وهو زحل وقال ابن عباس اراد الجدي وقال ابن زيد ايضا هو الثريا وجواب القسم فى قوله ان كل نفس الآية وان هي المخففة من الثقيلة واللام فى لما لام التاكيد الداخلة على الخبر هذا مذهب حذاق البصريين وقال الكوفيون ان بمعنى ما النافية واللام بمعنى الا فالتقدير ما كل نفس الا عليها حافظ ومعنى الآية فيما قال قتادة وغيره ان على كل نفس مكلفة حافظا يحصى اعمالها ويعدها للجزاء عليها وقال ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم فى تفسير هذه الآية ان لكل نفس حفظة من الله يذبون عنها كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل المرء الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين * وقوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق توقيف لمنكرى البعث على اصل الخلقة الدال على ان البعث جائز ممكن ثم بادر اللفظ الى الجواب اقتضابا واسراعا الى اقامة الحجة فقال خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب قال الحسن وغيره معناه من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائبه وقال جماعة من بين صلب

الرجل وترائب المرأة والتَّريبَة من الانسان ما بين الترقوة الى الثدي قال ابو عبيدة معلق الحلي الى الصدر وقيل غير هذا * وقوله تعالى انه على رجعه لقادر قال ابن عباس وقتادة المعنى ان الله على رد الانسان حيا بعد موته لقادر وهذا اظهر الاقوال هنا وابينها ودافق قال كثير من المفسرين هو بمعنى مدفوق والعامل فى يوم الرجعُ من قوله على رجعه * وتبلى السرائر معناه تختبر وتكشف بواطنها وروى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان السرائر التى يبتليها الله من العباد التوحيد والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة قال (ع) وهذه معظم الامر وقال قتادة الوجه فى الآية العموم فى جميع السرائر ونقل ابن العربي فى احكامه عن ابن مسعود ان هذه المذكورات من الصلاة والزكاة والوضوء والوديعة كلها امانة قال واشد ذلك الوديعة تمثل له اي لمن خانها على هيئتها يوم اخذها فترمى فى قعر جهنم فيقال له اخرجها فيتبعها فيجعلها فى عنقه فاذا اراد ان يخرج بها زلت منه فيتبعها فهو كذلك دهر الداهرين انتهى (ت) قال ابو عبيد الهروي قوله تعالى يوم تبلى السرائر الواحدة سريرة وهي الاعمال التى اسرها العباد انتهى والرجع المطر وماؤه وقال ابن عباس الرجع السحاب فيه المطر قال الحسن لانه يرجع بالرزق كل عام وقال غيره لانه يرجع الى الارض والصدع النبات لان الارض تتصدع عنه والضمير فى انه للقرءان وفصل معناه جزم فصل الحقائق من الاباطيل والهزل اللعب الباطل ثم اخبر تعالى عن قريش انهم يكيدون فى افعالهم واقوالهم بالنبي عليه السلام واكيد كيدا وهذا على مامر من تسمية العقوبة باسم الذنب ورويدا معناه قليلا قاله قتادة وهذه حال هذه اللفظة اذا تقدمها شيء تصفه كقولك سيرا رويدا او تقدمها فعل يعمل فيها كهذه واما اذا ابتدأت بها فقلت رويدا يا فلان فهي بمعنى الامر بالتماهل (ص) رويدا ابو البقاء نعت لمصدر محذوف اي امهالا رويدا ورويدا تصغير رود وانشد ابو عبيدة

يمشي ولا تكلم البطحاء مشيته * كانه ثمل يمشي على رود
اي على مهل ورفق انتهى

تفسير سورة سبح اسم ربك وهي مكية في قول الجمهور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

سبح فى هذه الآية بمعنى نزه وقدس وقل جل سبحانه عن النقائص والغير جميعا وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال سبحان ربي الاعلى وكان ابن مسعود وابن عمر وابن الزبير يفعلون ذلك ولما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح دعاء الا استفتحه بسبحان ربي الاعلى الوهاب رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من سلاح المومن * وسوى معناه عدل واتقن * وقوله فهدى عام لوجوه الهدايات فى الانسان والحيوان وقال الفراء معناه هدى واضل والعموم فى الآية اصوب والمرعى النبات والغثاء ما يبس وجف وتحطم من النبات وهو الذى يحمله السيل والاحوى قيل هو الاخضر الذى عليه سواد من شدة الخضرة والغضارة فتقدير الآية الذى اخرج المرعى احوى اي اسود من خضرته وغضارته فجعله غثاء عند يبسه فاحوى حال وقال ابن عباس المعنى فجعله غثاء احوى اي اسود لان الغثاء اذا قدم واصابته الامطار اسود وتعفن فصار

احوى فهذا صفة * وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى قال الحسن وقتادة ومالك ابن انس هذه الآية فى معنى قوله تعالى لا تحرك به لسانك الآية وعده الله ان يقرئه واخبره انه لاينسى نسيانا لا يكون بعده ذكر وقيل بل المعنى انه امره تعالى بان لا ينسى على معنى التثبيت والتاكيد وقال الجنيد معنى لا تنسى لا تترك العمل بما تضمن من امر ونهي * وقوله تعالى الا ما شاء الله قال الحسن وغيره معناه مما قضى الله بنسخه ورفع تلاوته وحكمه وقال ابن عباس الا ما شاء الله ان ينسيكه ليسن به على نحو قوله عليه السلام انى لانسى او انسى لاسن قال (ع) ونسيان النبي صلى الله عليه وسلم ممتنع فيما امر بتبليغه اذ هو معصوم فاذا بلغه ووعي عنه فالنسيان جائز على ان يتذكر بعد ذلك او على ان يسن او على النسخ * وقوله تعالى ونيسرك لليسرى معناه نذهب بك نحو الامور المستحسنة فى دنياك وءاخرتك من النصر والظفر ورفعة الرسالة وعلو المنزلة يوم القيامة والرفعة فى الجنة ثم امره تعالى بالتذكير قال بعض الحذاق قوله تعالى ان نفعت الذكرى اعتراض بين الكلامين على جهة التوبيخ لقريش ثم اخبر تعالى انه سيذكر من يخشى الله والدار الآخرة وهم العلماء والمومنون كل بقدر ما وفق له ويتجنب الذكرى ونفعها من سبقت له الشقاوة * وتزكى معناه طهر نفسه ونماها بالخير ومن الاربعين حديثا المسندة لابى بكر محمد بن الحسين الآجري الامام المحدث قال فى ءاخرها وحديث تمام الاربعين حديثا وهو حديث كبير جامع لكل خير حدثنا ابو بكر جعفر بن محمد الفريابي املاء فى شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين قال حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحيى الغساني قال حدثنى ابى عن جدى عن ابى ادريس الخولاني عن ابى ذر قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فجلست اليه فقال يا اباذر للمسجد تحية وتحيته ركعتان قم فاركعهما قال فلما ركعتهما جلست اليه فقلت يا رسول الله انك

امرتني بالصلاة فما الصلاة قال خير موضوع فاستكثر اواستقلل الحديث وفيه قلت يا رسول الله كم كتابا انزل الله عز وجل قال مائة كتاب واربعة كتب انزل الله على شئت خمسين صحيفـة وعلى خانوخ ثلاثين صحيفـة وعلى ابراهيم عشر صحائف وانزل على موسى قبل التوراة عشـر صحائف وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال قلت يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم قالت كانت امثالا كلها ايها الملك المسلط المبتلى المغرور انى لم ابعثك لتجمع الدنيـا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا اردها ولو من كافر وكان فيها امثال وعلى العاقل ان تكون له ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر فى صنع الله عز وجل اليه وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب وعلى العاقل ان لا يكون ظاعنا الا لثلاث تزود لمعاد اومئونـة لمعاش اولذة فى غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانـه مقبلا على شانـه حافظا للسانـه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامـه الا فيما يعنيه قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقـدر ثم هو ينصب وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها ثم اطمأن اليها وعجبت لمن ايقن بالحساب غدا ثم لا يعمل قال قلت يا رسول الله فهل فى ايـدينا شيء مما كان فى ايـدى ابراهيم وموسى مما انزل الله عز وجل عليك قال نعم اقرأ يا اباذر قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل توثرون الحيوة الدنيا الى ءاخر هذه السورة يعنى ان ذكر هـذه الآيات لفى صحف ابراهيم وموسى قال قلت يا رسول الله فاوصنى قال أوصيك بتقوى الله عز وجل فانـه رأس امرك قال قلت يا رسول الله زدنى قال عليك بتلاوة القرءان وذكر الله عز وجل فانـه ذكر لك فى السماء ونور لك فى الارض قال قلت يا رسول الله زدنى قال واياك وكثرة الضحك فانـه يميت

القلب ويذهب بنور الوجه قال قلت يا رسول الله زدني قال عليك بالجهاد فانه رهبانية امتي قال قلت يا رسول زدني قال عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان وعون لك على امر دينك انتهى * وقوله تعالى وذكر اسم ربه اي وحده وصلى له الصلوات المفروضة وغيرها وقال ابو سعيد الخدري وغيره هذه الآية نزلت فى صبيحة يوم الفطر فتزكى ادى زكاة الفطر وذكر اسم ربه فى طريق المصلى وصلى صلاة العيد ثم اخبر تعالى الناس انهم يوثرون الحياة الدنيا وسبب الايثار حب العاجل والجهل ببقاء الآخرة وفضلها وروينا فى كتاب الترمذي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قال فقلنا يا رسول الله انا نستحي والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى ولتذكر الموت والبلى ومن اراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحي من الله حق الحياء انتهى قال الغزالي وايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال تعالى بل توثرون الحيوة الدنيا ثم بين سبحانه ان الشر قديم فى الطباع وان ذلك مذكور فى الكتب السالفة فقال ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى انتهى من الاحياء * وقوله تعالى ان هذا قال ابن زيد الاشارة بهذا الى هذين الخبرين افلاح من تزكى وايثار الناس للدنيا مع فضل الآخرة عليها وهذا هو الارجح لقرب المشار اليه وعن ابي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد فاذا سلم قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات يمد صوته فى الثالثة ويرفع رواه ابو داود والنساءي وهذا لفظه ورواه الدارقطني فى سننه ولفظه فاذا سلم قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات يمدبها صوته فى الاخيرة ويقول رب الملائكة والروح انتهى من السلاح قال

النووي وروينا فى سنن ابى داود والترمذي والنساءي عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول فى ءاخر وتره اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك قال الترمذي حديث حسن انتهى

تفسير سورة هل اتاك حديث الغاشية

وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمـن الرحيم *

قال بعض المفسرين هل بمعنى قد وقال الحذاق هي على بابها توقيف فائـدتـه تحريك نفس السامع الى تلقي الخبر والغاشية القيامة لانها تغشى العالم كله بهولها والوجوه الخاشعة هي وجوه الكفار وخشوعها ذلها وتغيرها بالعذاب * وقوله سبحانـه عاملة ناصبة قال الحسن وغيره لم تعمل لله فى الدنيا فاعملها وانصبها فى النار والنصب التعب وقال ابن عباس وغيره المعنى عاملة فى الدنيا ناصبة فيها على غير هدى فلا ثمرة لعملها الا النصب وخاتمته النار قالوا والآية فى القسيسين وكل مجتهد فى كفر وقرأ ابو بكر عن عاصم وابو عمرو تصلى بضم التاء والباقون بفتحها والآنية التي قـد انتهى حرها كما قال تعالى وبين حميم آن وقال ابن زيـد ءانية حاضرة والضريع قال الحسن وجماعة هو الزقوم وقال ابن عباس وغيره الضريع شبرق النار وقال النبي صلى الله عليه وسلم الضريع شوك فى النار (ت) وهـذا ان صح فلا يعدل عنه وقيل غير هذا ولما ذكر تعالى وجوه اهل النار عقب ذلك

بذكر وجوه اهل الجنة ليبين الفرق وقوله تعالى لسعيها يريد لعملها فى الدنيا وطاعتها والمعنى لثواب سعيها والتنعيم عليه ووصف سبحانه الجنة بالعلو وذلك يصح من جهة المسافة والمكان ومن جهة المكانة والمنزلة ايضا * لاتسمع فيها لاغية قيل المعنى كلمة لاغية وقيل جماعة لاغية اوفئة لاغية واللغو سقط القول قال الفخر قوله تعالى فيها سرر مرفوعة اي عالية فى الهواء وذلك لاجل ان يرى المومن اذا جلس عليها جميع ما اعطاه الله تعالى فى الجنة من النعيم والملك قال خارجة بن مصعب بلغنا ان بعضها فوق بعض فترتفع ما شاء الله فاذا جاءولي الله ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت الى حيث شاء الله سبحانه انتهى * واكواب موضوعة اي باشربتها معدة والنمرقة الوسادة والزرابي واحدها زربية وهي كالطنافس لها خمل قاله الفراء وهي ملونات ومبثوثة معناه كثيرة متفرقة ثم وقفهم سبحانه على مواضع العبرة فى مخلوقاته والابل فى هذه الآية هي الجمال المعروفة هذا قول الجمهور وفى الجمل ءايات وعبر لمن تأمل وكان شريح القاضى يقول لاصحابه اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت وقال المبرد الابل هنا السحاب لان العرب قد تسميها بذلك اذ تاتى ارسالا كالابل ونصبت معناه اثبتت قائمة فى الهواء وظاهر الآية ان الارض سطح لاكرة وهو الذى عليه اهل العلم وقد تقدم الكلام على هذا المعنى ثم نفى ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم مصيطرا على الناس اي قاهرا جابرا لهم مع تكبر متسلطا عليهم وقوله تعالى الامن تولى وكفر قال بعض المتأولين الاستثناء متصل والمعنى الامن تولى فانك مصيطر عليه فالآية على هذا لا نسخ فيها وقال ءاخرون الاستثناء منفصل والمعنى لست عليهم بمصيطر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله وهي ءاية موادعة منسوخة

بالسيف (١) وهذا هو القول الصحيح لان السورة مكية والقتال انما نزل بالمدينة (ص) وقرأ زيد بن اسلم الا من تولى حرف تنبيه واستفتاح انتهى وقال ابن العربي فى احكامه روى الترمذي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله ثم قرأ فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر مفسرا معنى الآية وكاشفا خفاء الخفاء عنها المعنى اذا قال الناس لا اله الا الله فلست بمسلط على سرائرهم وانما عليك الظاهر وكل سرائرهم الى الله تعالى وهذا الحديث صحيح المعنى والله اعلم انتهى وايابهم مصدر من آب يئوب اذا رجع

تفسير سورة والفجر وهي مكية

عند الجمهور وقيل مدنية والاول اصح واشهر

* بسم الله الرحمن الرحيم *

الفجر هنا عند الجمهور هو المشهور المعروف الطالع كل يوم وقال ابن عباس

(١) قال الاستاذ الامام فى تفسير هذه الآية مانصه قال بعض المولعين بالنسخ والتغيير ان هذه الآية نسخت بآيات الجهاد كأن الجهاد شرع فى الاسلام لقهر النفوس على الاعتقاد وخفي على القائل ان القهر لا يحدث ايمانا وان الاكراه لا اثر له فى الدين وان الجهاد ينقطع وجوبه متى خضع المحارب لاداء الجزية مع بقائه على دينه ان كان يهوديا او نصرانيا او مجوسيا فى رأي الاكثر ومن البديهي انه لا حاجة الى القول بالنسخ فان النبي عليه السلام ليس بمسيطر على قلوب الناس سواء كان محاربا لهم او مسالما انتهى كتبه مصححه

وغيره الفجر الذى اقسم الله به صلاة الصبح وقيل غير هذا واختلف فى الليالى العشر فقيل العشر الاول من رمضان وقيل العشر الاواخر منه وقيل عشر ذى الحجة وقيل غير هـذا والله اعلم بما اراد فان صح عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء فى هـذا صير اليه واختلف فى الشفع والوتر ما هما على اقوال كثيرة وروى عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انـه قال هي الصلوات منها الشفع ومنها الوتر وسرى الليل هـو ذهابـه وانقراضه هـذا قول الجمهور وقيل المعنى اذا يسرى فيه * هل فى ذلك قسم لذى حجر اي هل فى هـذه الاقسام مقنع لذى عقل ثم وقف تعالى على مصارع الامم الخالية وعاد قبيلة بلا خلاف واختلف فى ارم فقال مجاهـد هي القبيلة بعينها وقال ابن اسحاق ارم هو ابو عاد كلها وقال الجمهور ارم مدينة لهم عظيمة كانت على وجه الدهر باليمن واختلف فى قوله تعالى ذات العماد فمن قال ارم مدينة قال العماد اعمدة الحجارة التى بنيت بها وقيل القصور العالية والابراج يقال لها عماد ومن قال ارم قبيلة قال العماد اما اعمدة بنيانهم واما اعمدة بيوتهم التى يرحلون بها قاله جماعة والضمير فى مثلها يعود اما على المدينة واما على القبيلة * وجابوا الصخر معناه خرقوه ونحتوه وكانوا فى واديهم قد نحتوا بيوتهم فى حجارة وفرعون هو فرعون موسى واختلف فى اوتاده فقيل ابنيته العالية وقيل جنوده الذين بهم يثبت ملكه وقيل المراد اوتاد اخبية عساكره وذكرت لكثرتها قاله ابن عباس وقال مجاهد كان يوتد الناس باوتاد حديد يقتلهم بذلك يضربها فى ابدانهم حتى تنفذ الى الارض وقيل غير هذا والصب مستعمل فى السوط وانما خص السوط بان يستعار للعذاب لانه يقتضى من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره وقال بعض اللغويين السوط هنا مصدر من ساط يسوط اذا خلط فكانه قال خلط عذاب (ص) قال ابن الانباري ان ربك لبالمرصاد هو جواب القسم وقيل محذوف وقيل الجواب هل فى ذلك

وهل بمعنى ان وليس بشيء انتهى والمرصاد والمرصد موضع الرصد قاله بعض اللغويين اي انه تعالى عند لسان كل قائل ومرصد لكل فاعل واذا علم العبد ان مولاه له بالمرصاد ودامت مراقبته فى الفؤاد حضره الخوف والحذر لامحالة واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه قال ابو حامد فى الاحياء وبحسب معرفة العبد بعيوب نفسه ومعرفته بجلال ربه وتعاليه واستغنائه وانه لا يسئل عما يفعل تكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذا قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة اورثت الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن فتنقمع الشهوات وتحترق بالخوف ويحصل فى القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويصير العبد مستوعب الهم بخوفه والنظر فى خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومواخذة النفس فى الخطرات والخطوات والكلمات ثم قال واعلم انه لا تنقمع الشهوات بشيء كما تنقمع بنار الخوف انتهى * وقوله سبحانه فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه الآية ذكر تعالى فى هذه الآية ما كانت قريش تقوله وتستدل به على اكرام الله واهانته لعبده وجاء هذا التوبيخ فى الآية لجنس الانسان اذ قد يقع بعض المومنين فى شيء من هذا المنزع وابتلاه معناه اختبره ونعمه اي جعله ذا نعمة * وقدر بتخفيف الدال بمعنى ضيق ثم قال تعالى كلا ردا على قولهم ومعتقدهم اي ليس اكرام الله تعالى واهانته كذلك وانما ذلك ابتلاء فحق من ابتلي بالغنى ان يشكر ويطيع ومن ابتلي بالفقر ان يشكر ويصبر واما اكرام الله فهو بالتقوى واهانته فبالمعصية وطعام فى هذه الآية بمعنى اطعام ثم عدد عليهم جدهم فى اكل التراث لانهم كانوا لا يورثون النساء ولا صغار الاولاد وانما كان ياخذ المال من يقاتل ويحمى الحوزة واللم الجمع واللف

قال الحسن هو ان ياخذ فى الميراث حظه وحظ غيره والجم الكثير الشديد ومنه قول الشاعر

ان تغفر اللهم تغفر جما * واي عبد لك لا الما

ومنه الجم من الناس ودك الارض تسويتها * وقوله تعالى وجاء ربك معناه جاء امره وقضاؤه وقال منذر بن سعيد معناه ظهوره للخلق هنالك ليس مجيء نقلة وكذلك مجيء الصاخة ومجيء الطامة والملك اسم جنس يريد به جميع الملائكة وصفا اي صفوفا حول الارض يوم القيامة على ما تقدم فى غير هذا الموضع وجيء يومئذ بجهنم روي فى قوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم انها تساق الى المحشر بسبعين الف زمام يمسك كل زمام سبعون الف ملك فيخرج منها عنق فينتقي الجبابرة من الكفار فى حديث طويل باختلاف الفاظ * وقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان معناه يتذكر عصيانه وما فاته من العمل الصالح وقال الثعلبي يومئذ يتذكر الانسان اي يتعظ ويتوب وانى له الذكرى انتهى * وقوله يا ليتني قدمت لحياتى قال الجمهور معناه لحياتى الباقية يريد فى الآخرة * فيومئذ لا يعذب عذابه احد اي لا يعذب كعذاب الله احد فى الدنيا ولا يوثق كوثاقه احد ويحتمل المعنى ان الله تعالى لا يكل عذاب الكافر يومئذ الى احد وقرأ الكسائي بفتح الذال والثاء اي لا يعذب كعذاب الكافر احد من الناس ثم عقب تعالى بذكر نفوس المومنين وحالهم فقال يا ايتها النفس المطمئنة الآية والمطمئنة معناه الموقنة غاية اليقين الاترى قول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي فهي درجة زائدة على الايمان واختلف فى هذا النداء متى يقع فقال جماعة عند خروج روح المومن وروي فى ذلك حديث وفى عبادى اي فى عداد عبادى الصالحين وقال قوم النداء عند قيام الاجساد من القبور فقوله ارجعي الى ربك معناه بالبعث وادخلي فى عبادي اي فى الاجساد وقيل النداء

هو الآن للمومنين وقال ٠اخرون هذا النداء انما هو فى الموقف عند ما ينطلق باهل النار الى النار (ت) ولا مانع ان يكون النداء فى جميع هذه المواطن ولما تكلم ابن عطاء الله فى مراعاة احوال النفس قال رب صاحب ورد عطله عن ورده او الحضور فيه مع ربه هم التدبير فى المعيشة وغيرها من مصالح النفس وانواعُ وساوس الشيطان فى التدبير لاتنحصر ومتى اعطاك الله سبحانه الفهم عنه عرفك كيف تصنع فاني عبد توفر عقله واتسع نوره نزلت عليه السكينة من ربه فسكنت نفسه عن الاضطراب ووثقت بولي الاسباب فكانت مطمئنة اي خامدة ساكنة مستسلمة لاحكام الله ثابتة لاقداره وممدودة بتاييده وانواره فاطمأنت لمولاها لعلمها بانه يراها او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد فاستحقت ان يقال لها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية وفى الآية خصائص عظيمة لها منها ترفيع شأنها بتكنيتها ومدحها بالطمانينة ثناء منه سبحانه عليها بالاستسلام اليه والتوكل عليه والمطمئن المنخفض من الارض فلما انخفضت بتواضعها وانكسارها اثنى عليها مولاها ومنها قوله راضية اي عن الله فى الدنيا باحكامه ومرضية فى الآخرة بجوده وانعامه وفى ذلك اشارة للعبد انه لا يحصل له ان يكون مرضيا عند الله فى الآخرة حتى يكون راضيا عن الله فى الدنيا انتهى من التنوير

تفسير سورة البلد وهي مكية

في قول الجمهور وقيل مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد الكلام فى لا تقدم فى لا اقسم والبلد هو

مكة * وقوله تعالى وانت حل قال ابن عباس وجماعة معناه وانت حلال بهذا البلد يحل لك فيه قتل من شئت وكان هذا يوم فتح مكة وعلى هذا يتركب قول من قال السورة مدنية نزلت عام الفتح وقال ءاخرون المعنى وانت حال ساكن بهذا البلد * وقوله تعالى ووالد وما ولد قال مجاهد هو ءادم وجميع ولده وقال ابن عباس ما معناه ان الوالد والولد هنا على العموم فهي اسماء جنس يدخل فيها جميع الحيوان والقسم واقع على قوله لقد خلقنا الانسان فى كبد قال الجمهور الانسان اسم جنس والكبد المشقة والمكابدة اي يكابد امر الدنيا والآخرة وروي ان سبب نزول هذه الآية رجل من قريش يقال له ابو الاشد وقيل نزلت فى عمرو بن عبدود وقال مقاتل نزلت فى الحارث بن عامر بن نوفل اذنب فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره بالكفارة فقال لقد اهلكت مالا فى الكفارة والنفقات مذ تبعت محمدا وكان كل واحد منهم قد ادعى انه انفق مالا كثيرا على افساد امر النبي صلى الله عليه وسلم او فى الكفارات على ما تقدم * وقوله اهلكت مالا لبدا اي انفقت مالا كثيرا ومن قال ان المراد اسم الجنس غير معين جعل قوله ايحسب ان لم يره احد بمعنى ايظن الانسان ان ليس عليه حفظة يرون اعماله ويحصونها الى يوم الجزاء قال السهيلي وهذه الآية وان نزلت فى ابي الاشد فان الالف واللام فى الانسان للجنس فيشترك معه فى الخطاب كل من ظن ظنه وفعل مثل فعله وعلى هذا اكثر القرءان ينزل فى السبب الخاص بلفظ عام يتناول المعنى العام انتهى وخرج مسلم عن ابي برزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن جسده فيما ابلاه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وخرجه ايضا الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح انتهى وقرأ الجمهور لبدا اي كثيرا متلبدا بعضه فوق بعض ثم عدد تعالى على

الانسان نعمه فى جوارحه والنجدين قال ابن عباس والناس هما طريقا الخير والشر اي عرضنا عليه طريقهما وليست الهداية هنا بمعنى الارشاد وقال الضحاك النجدان ثديا الام وهذا مثال والنجد الطريق المرتفع * وقوله تعالى فلا اقتحم العقبة الآية قوله فلا هو عند الجمهور تحضيض بمعنى الا اقتحم والعقبة فى هذه الآية على عرف كلام العرب استعارة لهذا العمل الشاق على النفس من حيث هو بذل مال تشبيه بعقبة الجبل واقتحم معناه دخلها وجاوزها بسرعة وضغط وشدة ثم عظم تعالى امر العقبة فى النفوس بقوله وما ادراك ما العقبة ثم فسر اقتحام العقبة بقوله فك رقبة الآية وهذا على قراءة من قرأ فك رقبة بالرفع على المصدر واما من قرأ فك رقبة او اطعم على الفعل ونصب الرقبة وهي قراءة ابى عمرو فليس يحتاج ان يقدر وما ادراك ما اقتحام بل يكون التعظيم للعقبة نفسها ويجيء فك بدلا من اقتحم ومبينا له وفك الرقبة هو عتقها من ربقة الاسر اوالرق وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من اعتق نسمة مومنة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار والمسغبة المجاعة والساغب الجائع وذا مقربة معناه ذا قرابة لتجتمع الصدقة والصلة وذا متربة معناه مدقعا قد لصق بالتراب وهذا ينحو الى ان المسكين اشد فاقة من الفقير قال سفيان هم المطروحون على ظهر الطريق قعودا على التراب لا بيوت لهم وقال ابن عباس هو الذى يخرج من بيته ثم يقلب وجهه الى بيته مستيقنا انه ليس فيه الا التراب * وقوله تعالى ثم كان معطوف على قوله اقتحم والمعنى ثم كان وقت اقتحامه العقبة من الذين ءامنوا * وقوله تعالى وتواصوا بالصبر معناه على طاعة الله وبلائه وقضائه وعن الشهوات والمعاصى والمرحمة قال ابن عباس كل ما يؤدى الى رحمة الله تعالى وقال ءاخرون هو التراحم والتعاطف بين الناس وفى ذلك قوام الناس ولو لم يتراحموا جملة لهلكوا والميمنة فيما روي عن يمين العرش

وهو موضع الجنة ومكان المرحومين من الناس والمشأمة الجانب الاشأم وهو الايسر وفيه جهنم وهو طريق المعذبين وموصدة معناه مطبقة مغلقة

تفسير سورة والشمس وضحاها وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

اقسم الله تعالى بالشمس اما على التنبيه منها على الاعتبار المؤدى الى معرفة الله تعالى واما على تقدير ورب الشمس والضحى بالضم والقصر ارتفاع ضوء الشمس واشراقه قاله مجاهد وقال مقاتل ضحاها حرها كقوله فى طه ولا تضحى والضحاء بفتح الضاد والمد ما فوق ذلك الى الزوال والقمر يتلو الشمس من اول الشهر الى نصفه فى الغروب تغرب هي ثم يغرب هو ويتلوها فى النصف الآخر بنحو آخر وهو ان تغرب هي فيطلع هو وقال الحسن تلاها معناه تبعها دأبا فى كل وقت لانه يستضيء منها فهو يتلوها لذلك وقال الزجاج وغيره تلاها فى المنزلة من الضياء والقدر لانه ليس فى الكواكب شيء يتلو الشمس فى هذا المعنى غير القمر * وقوله والنهار ظاهر هذه السورة والتى بعدها ان النهار من طلوع الشمس وكذلك قال الزجاج فى كتاب الانواء وغيره واليوم من طلوع الفجر ولا يختلف ان نهايتها مغيب الشمس والضمير فى جلاها يحتمل ان يعود على الشمس ويحتمل ان يعود على الارض او على الظلمة وان كان لم يجر لذلك ذكر فالمعنى يقتضيه قاله الزجاج وجلى معناه كشف وضوى والفاعل بجلى على هذه التاويلات النهار ويحتمل ان يكون الفاعل الله تعالى كانه قال والنهار اذ جلى الله

الشمس فاقسم بالنهار فى اكمل حالاته ويغشى معناه يغطى والضمير للشمس على تجوز فى المعنى او للارض * وقوله تعالى وما بناها وكل ما بعده من نظائره فى السورة يحتمل ان تكون ما فيه بمعنى الذى قاله ابو عبيدة اي ومن بناها وهو قول الحسن ومجاهد فيجيء القسم بالله تعالى ويحتمل ان تكون ما فى جميع ذلك مصدرية قاله قتادة والمبرد والزجاج كانه قال والسماء وبنائها وطحا بمعنى دحا (ت) قال الهروي قوله تعالى والارض وما طحاها اي بسطها فاوسعها ويقال طحا به الامر اي اتسع به فى المذهب انتهى والنفس التى اقسم بها سبحانه اسم جنس وتسويتها اكمال عقلها ونظرها الثعلبي فسواها اي عدل خلقها انتهى * وقوله سبحانه فالهمها فجورها وتقواها اي عرفها طرق ذلك وجعل لها قوة يصح معها اكتساب الفجور او اكتساب التقوى وجواب القسم فى قوله قد افلح والتقدير لقد افلح زاد (ص) وحذفت اللام للطول انتهى والفاعل بزكى يحتمل ان يكون الله تعالى قاله ابن عباس وغيره ويحتمل ان يكون الانسان قاله الحسن وغيره وزكاها اي طهرها ونماها بالخيرات ودساها معناه اخفاها وحقرها وصغر قدرها بالمعاصى والبخل بما يجب واصل دسى دسس ومنه قول الشاعر

ودسست عمرا فى التراب فاصبحت * حلائله منه ارامل ضيعا

(ت) قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي ومن عيوب النفس الشفقة عليها والقيام بتعهدها وتحصيل مآربها ومداواتها الاعراض عنها وقلة الاشتغال بها كذلك سمعت جدى يقول من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه انتهى من تاليفه فى عيوب النفس وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال اللهم آت نفسى تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها قال صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية النفس الزكية زينتها نزاهتها

وعافيتها عفتها وطهارتها ودعها وغناها ثقتها بمولاها وعلمها بانـه لا ينساها انتهى
ولما ذكر تعالى خيبة من دسى نفسه ذكر فرقة فعلت ذلك ليعتبر بهم وينتهى
عن مثل فعلهم والطغوى مصدر وقال ابن عباس الطغوى هنا العذاب كذبوا به
حتى نزل بهم ويؤيده قوله تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية وقال جمهور من
المتأولين الباء سببية والمعنى كذبت ثمود نبيها بسبب طغيانها واشقاها هو قدار
ابن سالف وقد تقدم قصصهم (ت) وناقة الله وسقياها قيل نصب بفعل مضمر
تقديره احفظوا او ذروا وقال (ص) ناقة الله الجمهور بنصب ناقة على التحذير
اي احذروا ناقة الله وهو مما يجب اضمار عامله انتهى ودمدم معناه انزل العذاب
مقلقلا لهم مكررا ذلك وهي الدمدمة الثعلبي قال مؤرج الدمدمة اهلاك
باستيصال انتهى وكذلك قال ابو حيان وقال الهروي قال الازهري فدمدم
عليهم ربهم اي اطبق عليهم العذاب وقيل فدمدم عليهم اي غضب عليهم
انتهى * وقوله تعالى فسواها اي فسوى القبيلة فى الهلاك لم ينج منهم احد
وقرأ نافع وابن عامر فلا يخاف عقباها والمعنى فلا درك على الله تعالى في فعله
بهم وهذا قول ابن عباس والحسن ويحتمل ان يكون الفاعل بيخاف صالحا
عليه السلام اي لا يخاف عقبى هذه الفعلة بهم اذ كان قد انذرهم وقرأ الباقون
ولا يخاف بالواو فتحتمل الوجهين وتحتمل هذه القراءة وجها ثالثا ان يكون
الفاعل بيخاف المنبعث قاله الزجاج والضحاك والسدي وغيرهم وتكون الواو
واو الحال كانه قال انبعث لعقرها وهو لا يخاف عقبى فعله

تفسير سورة والليل وهي مكية
فى قول الجمهور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

اقسم تعالى بالليل اذا غشي الارض وجميع ما فيها وبالنهار اذا تجلى اي ظهر وضوى الآفاق وقال (ص) يغشى مفعوله محذوف فيحتمل ان يكون النهار كقوله يغشى الليل النهار او الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها وقيل الارض وما فيها انتهى * وقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى يحتمل ان تكون ما بمعنى الذى ويحتمل ان تكون مصدرية والذكر والانثى هنا عام وقال الحسن المراد ادم وحواء والسعي العمل فاخبر تعالى مقسما ان اعمال العباد شتى اي مفترقة جدا بعضها فى رضى الله وبعضها فى سخطه ثم قسم تعالى الساعين فقال فاما من اعطى واتقى الآية ويروى ان هذه الآية نزلت فى ابى بكر الصديق رضي الله عنه * وقوله تعالى وصدق بالحسنى قيل هي لا اله الا الله وقيل هي الخلف الذى وعد الله به وقيل هي الجنة وقال كثير من المتأولين الحسنى الاجر والثواب مجملا والعسرى الحال السيئة فى الدنيا والآخرة ومن جعل بخل فى المال خاصة جعل استغنى فى المال ايضا لتعظم المذمة ومن جعل بخل عاما فى جميع ما ينبغى ان يبذل من قول او فعل قال استغنى عن الله ورحمته بزعمه وظاهر قوله وما يغنى عنه ماله ان الاعطاء والبخل المذكورين انما هما فى المال * وقوله تعالى اذا تردى قال قتادة وغيره معناه تردى فى جهنم وقال مجاهد تردى معناه هلك من الردى وخرج البخاري وغيره عن علي رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى بقيع الغرقد فى جنازة فقال ما منكم من احد اوما من

نفس منفوسة الا وقد كتب مكانها من الجنة والنار والا قد كتبت شقية او سعيدة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من اهل السعادة فسيصير الى اهل السعادة ومن كان منا من اهل الشقاء فسيصير الى عمل اهل الشقاء قال اما اهل السعادة فييسرون لعمل اهل السعادة واما اهل الشقاوة فييسرون لعمل اهل الشقاوة ثم قرأ فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الى قوله للعسرى وفى رواية لما قيل له افلا نتكل على كتابنا قال لا بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له الحديث وخرجه الترمذي ايضا انتهى قال ابن العربي فى احكامه وسأل شابان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا العمل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فى شيء مستانف فقال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قالا ففيم العمل اذن قال اعملوا فكل ميسر لعمله الذى خلق له قالا فالآن نجد ونعمل انتهى وقال قوم معنى تردى اي باكفانه من الرداء ومنه قول الشاعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله ✻ رداءان تلوى فيهما وحنوط

ثم اخبر تعالى ان عليه هدى الناس جميعا اي تعريفهم بالسبل كلها وليست هذه الهداية بالارشاد الى الايمان ولو كان ذلك لم يوجد كافر قال البخاري تلظى توهج وقال الثعلبي تتوقد وتتوهج انتهى ✻ وقوله سبحانه لا يصلاها الا الاشقى المعنى لا يصلاها صلي خلود ومن هنا ضلت المرجئة لانها اخذت نفى الصلي مطلقا ولم يختلف اهل التاويل ان المراد بالاتقى الى اخر السورة ابو بكر الصديق ثم هي تتناول كل من دخل فى هذه الصفات وباقى الآية بين ثم وعده تعالى بالرضى فى الآخرة وهذه عدة لابى بكر رضي الله عنه

تفسير سورة والضحى وهي مكية بلا خلاف

* بسم الله الرحمن الرحيم *

تقدم تفسير الضحى بانه سطوع الضوء وعظمه وقال قتادة الضحى هنا النهار كله وسجى معناه سكن واستقر ليلا تاما وقيل معناه اقبل وقيل معناه ادبر والاول اصح وعليه شواهد وقال البخاري قال مجاهد اذا سجى استوى وقال غيره اظلم وسكن انتهى وقرأ الجمهور ما ودعك بشد الدال من التوديع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وقال البخاري ما ودعك ربك بالتشديد والتخفيف ما تركك انتهى * وقلى ابغض نزلت بسبب ابطاء الوحي مدة وللآخرة يعنى الدار الآخرة خير لك من الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى قيل هي ارجى ءاية فى القرءان لانه صلى الله عليه وسلم لا يرضى وواحد من امته فى النار وروي انه عليه السلام قال لما نزلت اذن لا ارضى واحد من امتى فى النار قال عياض وهذه ءاية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة فى الدارين انتهى (ت) وفى صحيح مسلم من رواية عبد الله بن عمرو بن العاصى ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل فى ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتى امتى وبكى فقال الله جل ثناؤه يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك فى امتك ولا نسوءك انتهى مختصرا ثم وقف تعالى نبيه على المراتب التى درجه عنها بانعامه فقال الم يجدك يتيما فـاوى * وقوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اختلف الناس فى تاويله والضلال يختلف فمنه البعيد

ومنه القريب فالبعيد ضلال الكفار وهذا قد عصم الله منه نبيه فلم يعبد صلى الله عليه وسلم صنما قط ولا تابع الكفار على شيء مما هم عليه من الباطل وانما ضلاله صلى الله عليه وسلم هو كونه واقفا لايميز المهيع بل يدبر وينظر وقال الترمذي وعبد العزيز بن يحيى ضالا معناه خامل الذكر لايعرفك الناس فهداهم اليك ربك والصواب انه ضلال من توقف لا يدرى كما قال عز وجل ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وقال الثعلبي قال بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة مفردة فى فلاة سموها ضالة فيهتدى بها الى الطريق اي فوجدتك وحيدا ليس معك نبي غيرك فهديت بك الخلق الي انتهى قال عياض قال الجنيد المعنى ووجدك متحيرا فى بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الآية قال عياض ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها ضالا عن الايمان وكذلك فى قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي المخطئين وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال تعالى انك لفى ضلالك القديم اي محبتك القديمة انتهى والعائل الفقير فاغنى اي بالقناعة والصبر ثم وصاه تعالى بثلاث وصايا بازاء هذه النعم الثلاث والسائل هنا قال ابو الدرداء هو السائل عن العلم وقيل هو سائل المال وقال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملنا زادنا الى الآخرة * وقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث قال مجاهد وغيره معناه بث القرءان وبلغ ما ارسلت به قال عياض وهذا الامر يعم الامة انتهى وقال ءاخرون بل هو عموم فى جميع النعم وفى سنن ابي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطوا الاجير حقه قبل ان يجف عرقه واعطوا السائل وان جاء على فرس قال البغوي فى المصابيح هذا حديث مرسل انتهى

تفسير سورة الم نشرح وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

عدد الله تعالى على نبيه نعمه عليه فى ان شرح صدره للنبوءة وهيأه لها وذهب الجمهور الى ان شرح الصدر المذكور انما هو تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلق ما يوحى اليه وقال ابن عباس وجماعة هذه اشارة الى شرحه بشق جبريل عنه فى وقت صغره وفى وقت الاسراء اذ التشريح شق اللحم والوزر الذى وضعه الله عنه هو عند بعض المتأولين الثقل الذى كان يجده صلى الله عليه وسلم فى نفسه من اجل ما كانت قريش فيه من عبادة الاصنام فرفع الله عنه ذلك الثقل بنبوته وارساله وقال ابو عبيدة وغيره المعنى خففنا عنك اثقال النبوءة واعناك على الناس وقيل الوزر هنا الذنوب نظير قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وقد تقدم بيانه الثعلبي وقيل معناه عصمناك من احتمال الوزر انتهى وانقض معناه جعله نقضا اي هزيلا من الثقل قال عياض ومعنى انقض اي كاد ينقضه انتهى ورفعنا لك ذكرك اي نوهنا باسمك قال (ع) ورفع الذكر نعمة على الرسول وكذلك هو جميل حسن للقائمين بامور الناس وخمول الاسم والذكر حسن للمنفردين للعبادة والمعنى فى هذا التعديد انا قد فعلنا جميع هذا بك فلا تكترث باذى قريش فان الذى فعل بك هذه النعم سيظفرك بهم قال عياض وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتانى جبريل فقال ان ربى وربك يقول اتدرى كيف رفعت ذكرك قلت الله تعالى اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معى انتهى ثم قوى سبحانه رجاءه بقوله فان مع العسر يسرا وكرر تعالى ذلك مبالغة وذهب كثير من العلماء الى ان مع كل عسر يسرين بهذه الآية من حيث

ان العسر معرف للعهد واليسر منكر فالاول غير الثانى وقد جاء فى هذا التاويل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يغلب عسر يسرين ثم امر تعالى نبيه اذا فرغ من شغل من اشغال النبوة والعبادة ان ينصب فى ءاخر والنصب التعب والمعنى ان يدأب على ما امر به ولا يفتر وقال ابن عباس اذا فرغت من فرضك فانصب فى التنفل عبادة لربك ونحوه عن ابن مسعود وعن مجاهد فاذا فرغت من العبادة فانصب فى الدعاء * وقوله تعالى والى ربك فارغب امر بالتوكل على الله عز وجل وصرف وجوه الرغبات اليه لا الى سواه

تفسير سورة والتين وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال ابن عباس وغيره التين والزيتون المقسم بهما هما المعروفان وقال السهيلي اقسم تعالى بطور تينا وطور زيتا وهما جبلان عند بيت المقدس وكذلك طور سيناء ويقال ان سيناء هي الحجارة والطور عند اكثر الناس هو الجبل وقال الماوردي ليس كل جبل يقال له طور الا ان تكون فيه الاشجار والثمار والا فهو جبل فقط انتهى وطور سينين جبل بالشام والبلد الامين مكة والقسم واقع على قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم اي فى احسن تقويم ينبغى له وقال بعض العلماء بالعموم اي الانسان احسن المخلوقات تقويما ولم ير قوم الحنث على من حلف بالطلاق ان زوجته احسن من الشمس محتجين بهذه الآية وحسن التقويم يشمل جميع محاسن الانسان الظاهرة والباطنة من حسن صورته

وانتصاب قامتـه وكمال عقله وحسن تمييزه والانسان هنا اسم جنس وتقـدير الكلام فى تقويم احسن تقويم لان احسن صفة لابدان تجرى على موصوف * ثم رددناه اسفل سافلين قال قتادة وغيره معناه بالهرم وذهول العقل وهـذه عبرة منصوبة وعبارة الثعلبي فى احسن تقويم قيل اعتداله واستواء شبابه وهو احسن ما يكون ثم رددناه اسفل سافلين بالهرم كما قال الى ارذل العمر والسافلون الهرمى والزمنى والذين حبسهم عذرهم عن الجهاد فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرهم واخبرهم ان لهم اجرهم الذى عملوا قبل ان تـذهب عقولهم انتهى وفى البخاري عنه صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد او سافر كتب الله له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا وهكذا قال فى الذين حبسهم العذر انتهى قال (ص) الا الذين قيل منقطع بناء على ان معنى اسفل سافلين بالهرم وذهول العقل وقيل متصل بناء على ان معناه فى النار على كفره انتهى قال (ع) وفى حديث عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ المومن خمسين سنة خفف الله حسابه فاذا بلغ ستين رزقه الانابة اليه فاذا بلغ سبعين احبه اهل السماء فاذا بلغ ثمانين كتبت حسناته وتجاوز الله عن سيئاته فاذا بلغ تسعين غفرت ذنوبه وشفع فى اهل بيته وكان اسير الله فى ارضه فاذا بلغ مائة ولم يعمل شيأ كتب له مثل ما كان يعمل فى صحته ولم تكتب عليه سيئة وفى حديث ان المومن اذا رد الى ارذل العمر كتب له خير ما كان يعمل فى قوته وذلك اجر غير ممنون ثم قال سبحانه الزاما للحجة وتوبيخا للكافر فما يكذبك ايها الانسان اي فما يحملك ان تكذب بعد هذه الحجة بالدين وقال قتادة المعنى فمن يكذبك يا محمد فيما تخبر به من الجزاء والحساب وهو الدين بعد هذه العبر ويحتمل ان يريد بالدين جميع دينه وشرعه وروي عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ اليس الله باحكم الحاكمين قال بلى وانا على ذلك من

الشاهدين قال ابن العربي فى احكامه روى الترمذي وغيره عن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قرأ احدكم اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن رواية عبد الله اذا قرأ احدكم او سمع اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى انتهى (ت) وهـذان الحديثان وان كان قد ضعفهما ابن العربي فهما مما ينبغي ذكرهما فى فضائل الاعمال والله الموفق بفضله

تفسير سورة القلم وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمـن الرحيم *

قوله تعالى اقرأ باسم ربك هو اول ما نزل من كتاب الله تعالى نزل صدر هذه الآية الى قوله ما لم يعلم فى غار حراء حسب ما ثبت فى صحيح البخاري وغيره ومعنى قوله اقرأ باسم ربك اي اقرأ هـذا القرءان باسم ربك اي مبتـدئا باسم ربك ويحتمل ان يكون المقروء الذى امر بقراءتـه هو باسم ربك الذى خلق كانـه قيل له اقرأ هذا اللفظ والعلق جمع علقة وهي القطعة اليسيرة من الدم والانسان هنا اسم جنس ثم قال تعالى اقرأ وربك الاكرم على جهة التانيس كانه يقول امض لما امرت به وربك ليس كهذه الارباب بل هو الاكرم الذى لا يلحقه نقص ثم عدد تعالى نعمة الكتابة بالقلم على الناس وهي من اعظم النعم * وعلم الانسان ما لم يعلم قيل هو ءادم وقيل هو اسم جنس وهو الاظهر * وقوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى الى ءاخر السورة نزلت فى ابى جهل وذلك انـه طغى لغناه وكثرة من يغشى ناديه فناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاه

عن الصلاة فى المسجد وقال لئن رأيت محمدا يسجد عند الكعبة لاطأن عنقه فيروى ان النبي صلى الله عليه وسلم رد عليه القول وانتهره وعبارة الداودي فتهدده النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل اتهددنى اما والله انى لاكثر اهل الوادى ناديا فنزلت الآية انتهى وكلا رد على ابى جهل ويتجه ان تكون بمعنى حقا والضمير فى رءاه للانسان المذكور كانه قال ان رأى نفسه غنيا وهي رؤية قبيلة ولذلك جاز ان يعمل فعل الفاعل فى نفسه كما تقول وجدتنى وظننتنى ثم حقر تعالى غنى هـذا الانسان وحاله بقوله ان الى ربك الرجعى اي بالحشر والبعث يوم القيامة وفى هذا الخبر وعيد للطاغين من الناس ثم صرح بذكر الناهى لمحمد عليه السلام ولا خلاف ان الناهي ابو جهل وان العبد المصلي هو محمد عليه السلام * وقوله تعالى الم يعلم بان الله يرى اكمال للتوبيخ والوعيد بحسب التوقيفات الثلاث يصلح مع كل واحد منها (ت) وفى قوله تعالى الم يعلم بان الله يرى ما يثير الهمم الراكدة * ويسيل العيون الجامدة * ويبعث على الحياء والمراقبة قال الغزالي اعلم ان الله مطلع على ضميرك ومشرف على ظاهرك وباطنك فتأدب ايها المسكين ظاهرا وباطنا بين يديه سبحانه واجتهد ان لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك ولا تدع عنك التفكر فى قرب الاجل * وحلول الموت القاطع للامل * وخروج الامر من الاختيار * وحصول الحسرة والندامة بطول الاغترار * انتهى ثم توعده تعالى ان لم ينته ليوخذن بناصيته فيجر الى جهنم ذليلا تقول العرب سفعت بيدى ناصية الفرس والرجل اذا جذبتها مذللة وقال بعض العلماء بالتفسير معناه لتحرقن من قولهم سفعته النار واكتفى بذكر الناصية لدلالتها على الوجه والرأس والناصية مقدم شعر الرأس ثم ابدل النكرة من المعرفة فى قوله ناصية كاذبة ووصفها بالكذب والخطإ من حيث هي صفات لصاحبها * فليدع ناديه اي اهل مجلسه والنادى

والندي المجلس ومنه دار الندوة وقال البخاري قال مجاهد ناديه عشيرته * وقوله سندع الزبانية اي ملائكة العذاب ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام كلا لا تطعه اي لا تلتفت الى نهيه وكلامه واسجد لربك واقترب اليه بسجودك وفى الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد فاكثروا من الدعاء فى السجود فقمن ان يستجاب لكم وروى ابن وهب عن جماعة من اهل العلم ان قوله واسجد خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وان قوله واقترب خطاب لابى جهل اي ان كنت تجترئ حتى ترى كيف تهلك (ت) والتاويل الاول اظهر يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وعن ربيعة بن كعب الاسلمي قال كنت ابيت مع النبي صلى الله عليه وسلم فآتيه بوضوئه وحاجته فقال لى سل فقلت اسألك مرافقتك فى الجنة قال او غير ذلك قلت هو ذاك قال فاعنى على نفسك بكثرة السجود رواه الجماعة الا البخاري ولفظ الترمذي كنت ابيت عند باب النبي صلى الله عليه وسلم فاعطيه وضوءه فاسمعه الهوي من الليل يقول سمع الله لمن حمده واسمعه الهوي من الليل يقول الحمد لله رب العالمين قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وليس لربيعة فى الكتب الستة سوى هذا الحديث انتهى من السلاح وروي ان ابا جهل جاء والنبي صلى الله عليه وسلم يصلى فهم بان يصل اليه ويمنعه من الصلاة ثم كع وولى ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فقيل له ما هذا فقال لقد عرض بيني وبينه خندق من نار وهول واجنحة فيروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لودنا مني لاخذته الملائكة عيانا (ت) ولما لم ينته عدو الله اخذه الله يوم بدر وامكن منه وذكر الوائلي الحافظ فى كتاب الابانة له من حديث مالك ابن مغول عن نافع عن ابن عمر قال بينا انا اسير بجنبات بدر اذ خرج رجل من الارض فى عنقه سلسلة يمسك طرفها اسود فقال يا عبد الله اسقني فقال ابن

عمر لا ادرى اعرف اسمى او كما يقول الرجل يا عبد الله فقال لى الاسود لا تسقه فانه كافر ثم اجتذبه فدخل الارض قال ابن عمر فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال او قد رأيته ذلك عدو الله ابو جهل بن هشام وهو عذابه الى يوم القيامة انتهى من التذكرة للقرطبي وقد ذكرت هذه الحكاية عن ابى عمر بن عبد البر باتم من هذا عند قوله تعالى فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا الآية

تفسير سورة انا انزلناه فى ليلة القدر

قال ابن عباس هي مدنية وقال قتادة هي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى انا انزلناه الضمير فى انزلناه للقرءان قال الشعبي وغيره المعنى انا ابتدأنا انزال هذا القرءان اليك فى ليلة القدر وقد روي ان نزول الملك فى حراء كان فى العشر الاواخر من رمضان فيستقيم هذا التاويل وقال ابن عباس وغيره انزله الله تعالى ليلة القدر الى سماء الدنيا جملة ثم نجمه على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة وليلة القدر خصها الله تعالى بفضل عظيم وجعلها افضل من الف شهر لا ليلة قدر فيها قاله مجاهد وغيره وخصت هذه الامة بهذه الفضيلة لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم اعمار امته وتقاصرها وخشي ان لا يبلغوا من الاعمال مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله عز وجل ليلة القدر خير من الف شهر قال ابن العربي فى احكامه وقد روي مالك هذا الحديث فى الموطأ

ثبت ذلك من رواية ابن القاسم وغيره انتهى ثم فخمها سبحانه بقوله وما ادراك ما ليلة القدر قال ابن عيينة فى صحيح البخاري ما كان فى القرءان وما ادراك فقد اعلمه وما قال وما يدريك فانه لم يعلمه وذكر ابن عباس وغيره انها سميت ليلة القدر لان الله تعالى يقدر فيها الآجال والارزاق وحوادث العام كلها ويدفع ذلك الى الملائكة لتمتثله قال (ع) وليلة القدر مستديرة فى اوتار العشر الاواخر من رمضان هذا هو الصحيح المعول عليه وهي فى الاوتار بحسب الكمال والنقصان فى الشهر فينبغي لمرتقبها ان يرتقبها من ليلة عشرين فى كل ليلة الى اخر الشهر وصح عن ابي بن كعب وغيره انها ليلة سبع وعشرين ثم اخبر تعالى ان ليلة القدر خير من الف شهر وهي ثمانون سنة وثلاثة اعوام وثلث عام وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه والروح هو جبريل عليه السلام وقيل هو صنف حفظة للملائكة قال الفخر وذكروا فى الروح اقوالا احدها انه ملك عظيم لو التقم السموات والارض كان ذلك له لقمة واحدة وقيل الروح طائفة من الملائكة لايراهم الملائكة الا ليلة القدر كالزهاد الذين لا نراهم الا يوم العيد وقيل خلق من خلق الله يأكلون ويشربون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس ولعلهم خدم اهل الجنة وقيل الروح اشرف الملائكة وقال ابن ابي نجيح الروح هم الحفظة الكرام الكاتبون والاصح ان الروح هاهنا هو جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه انتهى * وقوله تعالى باذن ربهم من كل امر الثعلبي اي بكل امر قدره الله وقضاه فى تلك السنة الى قابل قاله ابن عباس ثم تبتدئ فتقول سلام هي ويحتمل ان يريد من كل فتنة سلامة انتهى قال (ع) وعلى التاويل الاول يجيء سلام خبر ابتداء مستانفا اي سلام هي هذه الليلة الى اول يومها ثم ذكر ما تقدم وقال الشعبي ومنصور سلام بمعنى التحية اي تسلم الملائكة على المومنين

تفسير سورة لم يكن وهي مكية
فى قول الجمهور وقيل مدنية والاول اشهر

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى لم يكن الذين كفروا وفى حرف ابن مسعود لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين * وقوله تعالى منفكين معناه منفصلين متفرقين تقول انفك الشيء عن الشيء اذا انفصل عنه واما انفك التى هي من اخوات كان فلا مدخل لها هنا قال مجاهد وغيره لم يكونوا منفكين عن الكفر والضلال حتى جاءتهم البينة واوقع المستقبل موقع الماضى فى تاتيهم والبينات محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه قال الثعلبي والمشركين يعنى من العرب وهم عبدة الاوثان انتهى وقال الفراء وغيره لم يكونوا منفكين عن معرفة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والتوكف لامره حتى جاءتهم البينة فتفرقوا عند ذلك ويتجه فى معنى الآية قول ثالث بارع المعنى وذلك ان يكون المراد لم يكن هؤلاء القوم منفكين من امر الله ونظره لهم حتى يبعث اليهم رسولا تقوم عليهم به الحجة وتتم على من آمن به النعمة فكانه قال ما كانوا ليتركوا سدى والصحف المطهرة القرءان فى صحفه قاله قتادة والضحاك وقال الحسن الصحف المطهرة فى السماء فيها كتب اي احكام كتب وقيمة معناه قائمة معتدلة آخذة للناس بالعدل ثم ذم تعالى اهل الكتاب فى انهم لم يتفرقوا فى امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما رأوا الآيات الواضحة وكانوا من قبل متفقين على نبوته وصفته وحنفاء جمع حنيف وهو المستقيم وذكر الزكاة مع ذكر بني اسرائيل يقوى قول من قال

السورة مدنية لان الزكاة انما فرضت بالمدينة ولان النبي صلى الله عليه وسلم انما دفع الى مناقضة اهل الكتاب بالمدينة وقرأ الجمهور وذلك دين القيمة على معنى الجماعة والفرقة القيمة وقال (ص) قراءة الجمهور وذلك دين القيمة على تقدير الامة القيمة اي المستقيمة او الكتب القيمة وقرأ عبد الله وذلك الدين القيمة بتعريف الدين ورفع القيمة صفة والهاء فيه للمبالغة او على تاويل ان الدين بمعنى الملة انتهى والبريئة جميع الخلق لان الله تعالى برأهم اي اوجدهم بعد العدم * وقوله تعالى رضي الله عنهم قيل ذلك فى الدنيا فرضاه عنهم هو ما اظهره عليهم من امارات رحمته ورضاهم عنه هو رضاهم بجميع ما قسم لهم من جميع الارزاق والاقدار قال بعض الصالحين رضى العباد عن الله رضاهم بما يرد من احكامه ورضاه عنهم ان يوفقهم للرضى عنه وقال سري السقطي اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تطلب منه ان يرضى عنك وقيل ذلك فى الآخرة وخص تعالى بالذكر اهل الخشية لانها رأس كل بركة وهي الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر

تفسير سورة اذا زلزلت وهي مكية

قاله ابن عباس وغيره وقال قتادة ومقاتل هي مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالي اذا زلزلت الارض قد تقدم معنى الزلزلة والاثقال الموتى قاله ابن عباس وقيل اخرجت موتاها وكنوزها وقول الانسان مالها هو على معني

التعجب من هول ما يرى قال الجمهور الانسان هنا الكافر وقيل عام فى المومن والكافر واخبار الارض قال ابن مسعود وغيره هي شهادتها بما عمل عليها من عمل صالح وفاسد ويؤيد هـذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم فانه لايسمع مدى صوت المؤذن انس ولاجن ولاشيء الاشهد له يوم القيامة (ت) وخرج الترمذي فى جامعه عن ابى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هـذه الآية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل علي يوم كذا كذا فهذه اخبارها قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وكذا رواه ابو بكر بن الخطيب وفيه عمل علي فى يوم كذا وكذا وفى يوم كذا وكذا * وقوله تعالى بان ربك اوحى لها الباء باء السبب وقال ابن عباس وغيره المعنى اوحى اليها قال (ص) المشهور ان اوحى يتعدى بالى وعدي هنا باللام مراعاة للفواصل وقال ابو البقاء لها بمعنى اليها انتهى * وقوله سبحانه يومئذ يصدر الناس اشتاتا بمعنى ينصرفون من موضع ورودهم مختلفى الاحوال قال الجمهور ورودهم بالموت وصدورهم هو القيام الى البعث والكل سائر الى العرض ليرى عمله ويقف عليه وقيل الورود هو ورود المحشر والصدر اشتاتا هو صدر قوم الى الجنة وقوم الى النار ليروا جزاء اعمالهم * وقوله جلت عظمته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى هذه الآية الجامعة الفاذة ويروى انه لما نزلت هذه السورة بكى ابو بكر وقال يا رسول الله او اسأل عن مثاقيل الذر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ما رأيته فى الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر لك الله مثاقيل ذر الخير الى الآخرة قال الداودي بينما عمر بن الخطاب بطريق مكة ليلا اذا ركب مقبلين من جهة فقال لبعض من معه سلهم من اين اقبلوا فقال له احدهم من الفج العميق نريد البلد العتيق

فاخبر عمر بذلك فقال اوقعوا فى هذا قل لهم فما اعظم ءاية فى كتاب الله واحكم ءاية فى كتاب الله واعدل ءاية فى كتاب الله وارجى ءاية فى كتاب الله واخوف ءاية فى كتاب الله فقال له قائلهم اعظم ءاية فى كتاب الله ءاية الكرسي واحكم ءاية فى كتاب الله ان الله يامر بالعدل والاحسان واعدل ءاية فى كتاب الله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وارجى ءاية فى كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما واخوف ءاية فى كتاب الله من يعمل سوءا يجز به فاخبر عمر بذلك فقال لهم عمر افيكم ابن ام عبد فقالوا نعم وهو الذى كلمك قال عمر كُنَيْف(١) ملئ علما آثرنا به اهل القادسية على انفسنا قال الداودي ومعنى اعظم ءاية يريد فى الثواب انتهى

تفسير سورة والعاديات وهي مكية
فى قول جماعة وقيل مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال ابن عباس وغيره المراد بالعاديات الخيل لانها تعدو بالفرسان وتضبح باصواتها وعن ابن مسعود وعلي ان العاديات هنا الابل لانها تضبح فى عدوها قال علي رضي الله عنه والقسم بالابل العاديات من عرفة ومن المزدلفة اذا دفع

(١) كُنَيْف لقب ابن مسعود لقبه به عمر رضي الله عنهما تشبيها بوعاء الراعي والتصغير للتعظيم والمدح اه مصححه

الحاج وبابل غزوة بـدر والضبح تصويت جهير عنـد العدو قال الداودي وهـو الصوت الذى يسمع من اجوافها وقت الركض انـتهى * وقوله تعالى فالموريات قـدحا قال علي وابن مسعود هي الابل وذلك بانها فى عـدوها ترجم الحصباء بالحصباء فتـتطاير منهـا النار فـذلك القدح وقال ابن عباس هى الخيـل وذلك بجوافرها فى الحجارة وقال ابن عباس ايضا وجماعة الكلام عام يدخل فى القسم كل مـن يظهر بقدحه نارا (ص) قدحا ابو البقاء مصدر موكد لان الموري هو القادح انتهى فالمغيرات صبحا قال علي وابن مسعود هي الابل من مزدلفة الى منى وفى بـدر وقال ابن عباس وجماعة كثيرة هي الخيل واللفظة مـن الغارة فى سبيل الله وغير ذلك مـن سير الامم وعرف الغارات انهـا مع الصباح والنقع الغبار الساطع المثار والضمير فى به ظاهره انه للصبح المذكور ويحتمل ان يكون للمكان والموضع الذى يقتضيه المعنى ومشهور اثارة النقع هو للخيل وقال علي هو هنا للابل * فوسطن به جمعا قال علي وابن مسعود هي الابل وجمعا هي المزدلفة وقال ابن عباس وجماعة هي الخيل والمراد جمع مـن الناس هم المغزوون والقسم واقع على قوله ان الانسان لربه لكنود وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون ما الكنود قالوا لا يا رسول الله قال هوالكفور الذى ياكل وحـده ويمنع رفده ويضرب عبده وقد يكون فى المومنين الكفور بالنعمة فتـقدير الآية ان الانسان لنعمة ربـه لكنود وارض كنود لا تنبت شيأ والكنود العاصى بلغـة كندة ويقال للبخيـل كنود وفى البخاري عـن مجاهـد الكنود الكفور انتهى * وقوله تعالى وانـه على ذلك لشهيـد يحتمل الضمير ان يعـود على الله تعالى وقاله قتادة ويحتمل ان يعود على الانسان انـه شاهد على نفسه بـذلك وهذا قول مجاهد وغيره * وانه لحب الخير اي وان الانسان لحب الخير والمعنى من اجل حب الخير لشديد اي بخيل بالمال ضابط له والخير هنـا المال ويحتمل

ان يراد هنا الخير الدنيوي من مال وصحة وجاه عند الملوك ونحوه لان الكفار والجهال لا يعرفون غير ذلك واما الحب فى خير الآخرة فممدوح مرجو له الفوز وقال الفراء معنى الآية ان الانسان لشديد الحب للخير ولما تقدم الخير قبل شديد حذف من آخره لانه قد جرى ذكره ولرءوس الآي انتهى * وقوله تعالى افلا يعلم توقيف اي افلا يعلم مئاله ومصيره فيستعدله * وحصل ما فى الصدور اي ميز وابرز ما فيها ليقع الجزاء عليه ويفسر هذا قوله صلى الله عليه وسلم يبعثون على نياتهم وفى قوله تعالى ان ربهم بهم يومئذ لخبير وعيد (ص) والعامل فى يومئذ لخبير على تضمينه معنى لَمُجازٍ لانه تعالى خبير دائما انتهى

﴿ تفسير سورة القارعة وهي مكية بلا خلاف ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال الجمهور القارعة القيامة نفسها والفراش الطير الذى يتساقط فى النار ولا يزال يتقحم على المصباح وقال الفراء هو صغير الجراد الذى ينتشر فى الارض والهواء وفى البخاري كالفراش المبثوث كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا كذلك الناس يومئذ يجول بعضهم فى بعض انتهى والمبثوث هنا معناه المتفرق جمعه وجملته موجودة متصلة والعهن هو الصوف والنفش خلخلة الاجزاء وتفريقها عن تراصيها * وقوله تعالى فامه هاوية قال كثير من المفسرين المراد بالام نفس الهاوية وهذا كما يقال للارض ام الناس لانها تؤويهم وقال ابو صالح وغيره

المراد ام رأسه لانهم يهوون على رءوسهم وروى المبرد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل لا ام لك فقال يا رسول الله تدعونى الى الهدى وتقول لا ام لك فقال عليه السلام انما اردت لا نار لك قال الله تعالى فامه هاوية

تفسير سورة التكاثر وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى الهاكم التكاثر اي شغلكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والاولاد والعدد وهذا هِجِّيرى ابناء الدنيا العرب وغيرهم لا يتخلص منه الا العلماء المتقون قال الفخر فالالف واللام فى التكاثر ليس للاستغراق بل للمعهود السابق فى الذهن وهو التكاثر فى الدنيا ولذاتها وعلائقها فانه هو الذى يمنع عن طاعة الله وعبوديته ولما كان ذلك مقررا فى العقول ومتفقا عليه فى الاديان لاجرم حسن دخول حرف التعريف عليه فالآية دالة على ان التكاثر والتفاخر بما ذكر مذموم انتهى* وقوله تعالى حتى زرتم المقابر اي حتى متم فدفنتم فى المقابر وهذا خبر فيه تقريع وتوبيخ وتحسر وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم يقول ابن ءادم مالى مالى وهل لك يابن ءادم من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت قال (ص) قرأ الجمهور الهاكم على الخبر وابن عباس بالمد والكساءي فى رواية بهمزتين ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقرير انتهى قال الفخر اعلم ان اهم الامور واولاها بالرعاية ترقيق القلب وازالة حب الدنيا منه

ومشاهدة القبور تورث ذلك كما ورد به الخبر انتهى * وقوله تعالى كلا سوف تعلمون زجر ووعيد ثم كرر تاكيدا وياخذ كل انسان من هذا الزجر والوعيد المكرر على قدر حظه من التوغل فيما يكره هذا تاويل الجمهور وقال علي كلا سوف تعلمون فى القبر ثم كلا سوف تعلمون فى البعث قال الفخر وفى الآية تهديد عظيم للعلماء فانها دالة على انه لو حصل اليقين لتركوا التكاثر والتفاخر فهذا يقتضى ان من لا يترك التكاثر والتفاخر ان لا يكون اليقين حاصلا له فالويل للعالم الذى لا يكون عاقلا ثم الويل له انتهى * وقوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين جواب لو محذوف تقديره لازدجرتم وبادرتم انقاذ انفسكم من الهلكة واليقين اعلى مراتب العلم ثم اخبر تعالى الناس انهم يرون الجحيم وقال ابن عباس هذا خطاب للمشركين والمعنى على هذا التاويل انها رؤية دخول وصلي وهو عين اليقين لهم وقال ءاخرون الخطاب للناس كلهم فهي كقوله تعالى وان منكم الا واردها فالمعنى ان الجميع يراها ويجوز الناجى ويتكردس فيها الكافر (ص) لترون ابن عامر والكسائي بضم التاء والباقون بفتحها انتهى * وقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين تاكيد فى الخبر وعين اليقين حقيقته وغايته ثم اخبر تعالى ان الناس مسئولون يومئذ عن نعيمهم فى الدنيا كيف نالوه ولم ءاثروه وتتوجه فى هذا اسئلة كثيرة بحسب شخص شخص وهي منقادة لمن اعطي فهما فى كتاب الله عز وجل وقد قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه والذى نفسى بيده لتسئلن عن نعيم هذا اليوم الحديث فى الصحيح اذ ذبح لهم ابو الهيثم ابن التَيِّهان شاة واطعمهم خبزا ورطبا واستعذب لهم ماء وعن ابى هريرة فى حديثه فى مسير النبي صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر الى بيت ابى الهيثم واكلهم الرطب واللحم وشربهم الماء وقوله صلى الله عليه وسلم هذا هو النعيم الذى تسئلون عنه يوم القيامة وان ذلك كبر على اصحابه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال اذا اصبتم مثل هـذا وضربتم بايـديكم فقولوا بسم الله وعلى بركة الله واذا شبعتم فقولوا الحمد لله الذى اشبعنا وأروانا وانعم علينا وافضل فان هذا كفاف بذاك هذا مختصر رواه الحاكم فى المستدرك انتهى من سلاح المومن قال الداودي وعن الحسن وقتادة ثلاث لا يسئل الله عنهن ابن ءادم ومـا عـداهن فيه الحساب والسؤال الا ما شاء الله كسوة يوارى بها سوءته وكسرة يشد بها صلبه وبيت يكنه من الحر والبرد انتهى

تفسير سورة والعصر وهي مكية

* بسم الله الرحمـن الرحيم *

قال ابن عباس العصر الدهر وقال مقاتل العصر هي صلاة العصر وهي الوسطى اقسم الله بها وقال ابي بن كعب سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن والعصر فقال اقسم ربكم بءاخر النهار والانسان هنا اسم جنس والخسر النقصان وسوء الحال ومن كان من المومنين فى مدة عمره فى التواصى بالحق والصبر والعمل بحسب الوَصاة فلا خسر معه وقد جمع الخير كله

تفسير سورة الهمزة وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

تقدم تفسير ويل والهمزة الذى يهمز الناس بلسانه اي يعيبهم ويغتابهم واللمزة قريب فى المعنى من هذا وقد تقدم بيانه فى قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وفى قوله والذين يلمزون المطوعين وغيره قيل نزلت هذه الآية فى الاخنس بن شريق وقيل فى جميل بن عامر ثم هي تتناول كل من اتصف بهذه الصفات * وعدده معناه احصاه وحافظ على عدده ان لا ينتقص وقال الداودي وعدده اي استعده انتهى لينبذن ليطرحن (ص) نار الله خبر مبتدإ محذوف اي هي نار الله انتهى * والتى تطلع على الافئدة اي التى يبلغ احراقها والمها القلوب * وموصدة اي مطبقة مغلقة * فى عمد جمع عمود وقرأ ابن مسعود موصدة بعمد ممددة وقال ابن زيد المعنى فى عمد حديد مغلولين بها والكل من نار عافانا الله من ذلك

تفسير سورة الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل

وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

هذه السورة تنبيه على العبرة فى اخذ الله تعالى لابرهة امير الحبشة حين قصد الكعبة ليهدمها وكان صاحب فيل يركبه وقصته شهيرة فى السير فيها تطويل واختصارها ان ابرهة بنى فى اليمن بيتا واراد ان يرد اليه حج العرب فذهب اعرابي واحدث فى ذلك البيت فغضب ابرهة واحتفل فى جموعه وركب الفيل وقصد مكة فلما قرب منها فرت قريش الى الجبال والشعاب من معرة الجيش ثم تهيأ ابرهة لدخول مكة وهيأ الفيل فاخذ نفيل بن حبيب باذن الفيل وكان اسمه محمودا فقال له ابرك محمود فانك فى حرم الله وارجع من حيث جئت راشدا فبرك الفيل بذى الغميس فبعثوه فابى فضربوا رأسه بالمعول وراموه بمحاجنهم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول فبعث الله عليهم طيرا جماعات جماعات سودا من البحر عند كل طائر ثلاثة احجار فى منقاره ورجليه كل حجر فوق العدسة ودون الحمصة ترميهم بها فماتوا فى طريقهم متفرقين وتقطع ابرهة انملة انملة حتى مات وحمى الله بيته والابابيل الجماعات تجيء شيأ بعد شيء قال ابو عبيدة لا واحد له من لفظه قال الفخر وفى تضليل معناه فى تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونظيره قوله تعالى وما كيد الكافرين الا فى ضلال انتهى. والعصف ورق الحنطة وتبنه والمعنى صاروا طحينا

ذاهبا كورق حنطة اكلته الدواب وراثته فجمع لهم المهانة والحسة والتلف قال الفخر وقيل المعنى كعصف صالح للاكل والمعنى جعلهم كتبن تاكله الدواب وهو قول عكرمة والضحاك انتهى ومن كتاب وسائل الحاجات وآداب المناجات للامام ابى حامد الغزالي رحمه الله تعالى قال وقد بلغنا عن غير واحد من الصالحين وارباب القلوب انه من قرأ فى ركعتي الفجر فى الاولى الفاتحة والم نشرح وفى الثانية الفاتحة والم تر قصرت يد كل عدو عنه ولم يجعل لهم اليه سبيل قال الامام ابو حامد وهذا صحيح لاشك فيه انتهى

تفسير سورة لايلاف قريش وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قريش ولد النضر بن كنانة والتقرش التكسب والمعنى ان الله تعالى جعل قريشا يالفون رحلتين فى العام واحدة فى الشتاء واخرى فى الصيف قال ابن عباس كانوا يرحلون فى الصيف الى الطائف حيث الماء والظل ويرحلون فى الشتاء الى مكة قال الخليل معنى الآية لان فعل الله بقريش هذا ومكنهم من الفهم هذه النعمة فليعبدوا رب هذا البيت * وقوله تعالى من جوع معناه ان اهل مكة قاطنون بواد غير ذى زرع عرضة للجوع والجدب لولا فضل الله عليهم

تفسير سورة ارأيت الذى وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه ارأيت الذى يكذب بالدين الآية توقيف وتنبيه لتتذكر نفس السامع كل من تعرفه بهذه الصفة والدين الجزاء * ودع اليتيم دفعه بعنف اما عن اطعامه والاحسان اليه واما عن حقه وماله وهو اشد ويروى ان هذه الآية نزلت فى بعض المضطربين فى الاسلام بمكة لم يحققوا فيه وفتنوا فافتتنوا وربما كان يصلى بعضهم احيانا مع المسلمين مدافعة وحيرة فقال تعالى فيهم فويل للمصلين الآية ونقل الثعلبي عن ابن عباس وغيره ان الآية نزلت فى العاص بن وائل انتهى وقال السهيلي قال اهل التفسير نزل اول السورة بمكة فى ابى جهل وهو الذى يكذب بالدين ونزل ءاخرها بالمدينة فى عبد الله بن ابي ابن سلول واصحابه وهم الذين يراءون ويمنعون الماعون انتهى قال سعد بن ابى وقاص سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون فقال هم الذين يؤخرونها عن وقتها يريد والله اعلم تاخير ترك واهمال والى هذا نحا مجاهد وقال عطاء بن يسار الحمد لله الذى قال عن صلاتهم ولم يقل فى صلاتهم * وقوله تعالى الذين هم يراءون بيان ان صلاة هؤلاء ليست لله تعالى بايمان وانما هي رياء للبشر فلا قبول لها * وقوله تعالى ويمنعون الماعون وصف لهم بقلة النفع لعباد الله وتلك شر خصلة وقال على وابن عمر الماعون الزكاة وقال ابن

مسعود وابن عباس وجماعة هو ما يتعاطاه الناس كالفاس والدلو والآنية والمقص ونحوه وسئل النبي صلى الله عليه وسلم ما الشيء الذى لا يحل منعه فقال الماء والنار والملح وروته عائشة رضي الله عنها وفى بعض الطرق زيادة الابرة والخمير قال البخاري الماعون المعروف كله وقال بعض العرب الماعون الماء وقال عكرمة اعلاه الزكاة المفروضة وادناه عارية المتاع انتهى

تفسير سورة انا اعطيناك الكوثر وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال جماعة من الصحابة والتابعين الكوثر نهر فى الجنة حافتاه قباب من لؤلؤ مجوف وطينه مسك وحصباؤه ياقوت ونحو هذا من صفاته وان اختلفت الفاظ رواته وقال ابن عباس الكوثر الخير الكثير قال ابن جبير النهر الذى فى الجنة هو من الخير الذى اعطاه الله اياه (ت) وخرج مسلم عن انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقال نزلت علي آنفا سورة فقرأ انا اعطيناك الكوثر الى آخرها ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة الحديث انتهى وخرج ابن ماجه من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول من يرد علي الحوض فقراء المهاجرين الدنس ثيابا الشعث رؤسا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد قال الراوى فبكى عمر بن عبد العزيز حتى اخضل لحيته حين بلغه الحديث وقال

لاجرم انى لا اغسل ثوبي الذى يلي جسدى حتى يتسخ ولا ادهن رأسى حتى يشعث وخرجه ابو عيسى الترمذي عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه ونقل صاحب التذكرة عن انس بن مالك قال اول من يرد الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم الذابلون الناحلون السائحون الذين اذا اجنهم الليل استقبلوه بالحزن انتهى من التذكرة وروى ابو داود فى سننه عن ابى حمزة عن زيد بن ارقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما انتم جزء من مائة الف جزء ممن يرد علي الحوض قال قلت كم كنتم يومئذ قال سبعمائة اوثمانمائة انتهى * وقوله تعالى فصل لربك وانحر امر بالصلاة على العموم والنحر نحر الهدي والنسك والضحايا على قول الجمهور * وقوله تعالى ان شانئك هو الابتر رد على مقالة بعض سفهاء قريش كابى جهل وغيره قال عكرمة وغيره مات ولد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل بتر محمد فنزلت السورة وقال تعالى ان شانئك هو الابتر اي المقطوع المبتور من رحمة الله والشانئ المبغض قال الداودي كل شانئ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ابتر ليس له يوم القيامة شفيع ولا حميم يطاع انتهى

تفسير سورة قل يا ايها الكافرون

وهي مكية اجماعا

* بسم الله الرحمن الرحيم *

روي فى سبب نزول هذه السورة عن ابن عباس وغيره ان جماعة من صناديد

قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم دع ما انت فيه ونحن نمولك ونملكك علينا وان لم تفعل هذا فلتعبد ءالهتنا ونعبد الهك حتى نشترك فحيث كان الخير نلناه جميعا وروي ان هذه الجماعة المذكورة هم الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل وامية بن خلف وابي بن خلف وابو جهل وابناء الحجاج ونظراؤهم ممن لم يكتب له الاسلام وحتم بشقاوته فاخبرهم صلى الله عليه وسلم عن امر الله عز وجل انه لايعبد ما يعبدون وانهم غير عابدى ما يعبد ولما كان قوله لا اعبد محتملا ان يراد به الآن ويبقى المستانف منتظرا ما يكون فيه من عبادته جاء البيان بقوله ولا انا عابد ما عبدتم اي ابدا ثم جاء قوله ولا انتم عابدون ما اعبد الثانى حتما عليهم انهم لا يومنون به ابدا كالذى كشف الغيب ثم زاد الامر بيانا وتبريا منهم قوله لكم دينكم ولي دين وقال بعض العلماء فى هذه الالفاظ مهادنة ما وهي منسوخة(١)

---

(١) قال العلامة الآلوسي فى تفسيرهذه الآية والاولى ان تفسر بمالا تكون عليه منسوخة لان النسخ خلاف الظاهر فلا يصار اليه الا عند الضرورة انتهى وقال الحافظ ابن القيم فى البدائع ما حاصله قد غلط فى السورة خلائق وظنوا انها منسوخة لاعتقادهم ان هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم وظن ءاخرون انها مخصوصة بمن يقرون على دينهم وهم اهل الكتاب وكلا القولين غلط محض فلا نسخ فى السورة ولا تخصيص بل هي محكمة عمومها نص محفوظ وهي من السور التى يستحيل دخول النسخ فيها والآية اقتضت البراءة المحضة وان ما انتم عليه من الدين لا اوافقكم عليه فانه دين باطل فهو مختص بكم لانشرككم فيه ولا تشركوننا فى ديننا الحق فاين الاقرار حتى يدعى النسخ او التخصيص افترى اذا جوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة لايصح ان يقال لهم لكم دينكم ولي دين انتهى مصححه

تفسير سورة النصر وهي مدنية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

روت عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة واسلمت العرب جعل يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك يتأول القرءان فى هذه السورة وقال لها مرة ما اراه الاحضور اجلى وتأوله عمر والعباس بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فصدقهما ونزع هذا المنزع ابن عباس وغيره والفتح هو فتح مكة كذا فسره صلى الله عليه وسلم فى صحيح مسلم والافواج الجماعة اثر الجماعة (ص) بحمد ربك اي متلبسا فالباء للحال انتهى * وقوله تعالى انه كان توابا بعقب واستغفره ترجية عظيمة للمستغفرين قال ابن عمر نزلت هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم بمنى فى اوسط ايام التشريق فى حجة الوداع وعاش بعدها ثمانين يوما او نحوها

تفسير سورة تبت يدا ابى لهب
وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

فى صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا

فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال ارأيتم ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت تبت يدا ابي لهب الى ءاخرها وتبت معناه خسرت والتباب الخسران والدمار واسند ذلك الى اليدين من حيث ان اليد موضع الكسب والربح وضم ما يملك ثم اوجب عليه انه قد تب اي حتم ذلك عليه وفى قراءة ابن مسعود وقد تب وابو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم ولكن سبقت له الشقاوة قال السهيلي كناه الله بابي لهب لما خلقه سبحانه للهب واليه مصيره الاتراه تعالى قال سيصلى نارا ذات لهب فكانت كنيته بابي لهب تقدمت لما يصير اليه من اللهب انتهى * وقوله سبحانه ما اغنى عنه ماله يحتمل ان تكون ما نافية على معنى الخبر ويحتمل ان تكون ما استفهامية على وجه التقرير اي اين الغَناء الذى لماله وكسبه وما كسب يراد به عرض الدنيا من عقار ونحوه وقيل كسبه بنوه * وقوله سبحانه سيصلى نارا ذات لهب حتم عليه بالنار واعلام بانه يتوفى على كفره نعوذ بالله من سوء القضاء ودرك الشقاء * وقوله تعالى وامرأته حمالة الحطب هي ام جميل اخت ابي سفيان بن حرب وكانت موذية للنبي صلى الله عليه وسلم وللمومنين بلسانها وغاية قدرتها وكانت تطرح الشوك فى طريق النبي صلى الله عليه وسلم وطريق اصحابه ليعقرهم فلذلك سميت حمالة الحطب قاله ابن عباس وقيل هو استعارة لذنوبها قال عياض وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق النبي صلى الله عليه وسلم فكانما يطأها كثيبا اهيل انتهى (ص) وقرئ شاذا ومُرَيْئَته بالتصغير والجيد هو العنق اه * وقوله تعالى فى جيدها حبل من مسد قال ابن عباس وجماعة الاشارة الى الحبل حقيقة الذي

ربطت به الشوك والمسد الليف وقيل ليف المقل وفى صحيح البخاري يقال من مسد ليف المقل وهي السلسلة التى فى النار انتهى وروي فى الحديث ان هذه السورة لما نزلت وقرئت بلغت ام جميل فجاءت ابا بكر وهو جالس مع النبي صلى الله عليه وسلم فى المسجد وبيدها فهر حجر فاخذ الله ببصرها وقالت يا ابا بكر بلغنى ان صاحبك هجانى ولو وجدته لضربته بهذا الفهر وانى لشاعرة وقد قلت فيه

مذمما قلينا * ودينه ابينا

فسكت ابو بكر ومضت هي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد حجبتنى عنها ملائكة فما رأتنى وكفانى الله شرها

تفسير سورة الاخلاص قيل مكية
وقال ابن عباس مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

روي ان اليهود دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له يا محمد صف لنا ربك وانسبه فانه وصف نفسه فى التوراة ونسبها فارتعد النبي صلى الله عليه وسلم من قولهم حتى خر مغشيا عليه ونزل جبريل بهذه السورة * واحد معناه واحد فرد من جميع جهات الوحدانية ليس كمثله شيء وهو ابتداء والله ابتداء ثان واحد خبره والجملة خبر الاول وقيل هو ابتداء والله خبره واحد بدل منه وقرأ عمر بن الخطاب وغيره قل هو الله الواحد الصمد والصمد فى كلام العرب

السيد الذى يصمد اليه فى الامور ويستقل بها وانشدوا

لقد بكر الناعى بخير بنى اسد * بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وبهذا تتفسر هذه الآية لان الله تعالى جلت قدرته هو موجد الموجودات واليه تصمد وبه قوامها سبحانه وتعالى * وقوله تعالى لم يلد ولم يولد رد على اشارة الكفار فى النسب الذى سألوه وقال ابن عباس تفكروا فى كل شيء ولا تتفكروا فى ذات الله قال (ع) لان الافهام تقف دون ذلك حسيرة * وقوله سبحانه ولم يكن له كفؤا احد معناه ليس له ضد ولا ند ولا شبيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والكفؤ النظير وكفؤا خبر كان واسمها احد قال (ص) وحسن تاخير اسمها لوقوعه فاصلة وله متعلق بكفؤا اي لم يكن احد كفؤا له وقدم اهتماما به لاشتماله على ضمير البارى سبحانه انتهى وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان قل هو الله احد تعدل ثلث القرءان قال (ع) لما فيها من التوحيد وروى ابو محمد الدارمي فى مسنده قال حدثنا عبد الله بن مزيد حدثنا حيوة قال اخبرنا ابو عقيل انه سمع سعيد بن المسيب يقول ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احدى عشرة مرة بني له قصر فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بني له قصران فى الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثة قصور فى الجنة فقال عمر بن الخطاب اذن تكثر قصورنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اوسع من ذلك اي فضل الله اوسع من ذلك قال الدارمي ابو عقيل هو زهرة بن معبد وزعموا انه من الابدال انتهى من التذكرة

تفسير سورة المعوذة الاولى

قال ابن عباس مدنية وقال قتادة مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وءاحاد امته قال ابن عباس وغيره الفلق الصبح وقال ابن عباس ايضا وجماعة من الصحابة الفلق جب فى جهنم ورواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى من شر ما خلق يعم كل موجود له شر واختلف فى الغاسق فقال ابن عباس وغيره الغاسق الليل ووقب اظلم ودخل على الناس وفى الحديث الصحيح عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى القمر وقال يا عائشة تعوذى بالله من شر هذا الغاسق اذا وقب قال السهيلي وهذا اصح ما قيل لهذا الحديث الصحيح انتهى ولفظ صاحب سلاح المومن عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذى بالله من شر هذا فان هذا الغاسق اذا وقب رواه الترمذي والنساءي والحاكم فى المستدرك واللفظ للترمذي وقال حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد ووقب القمر وقوبا دخل فى الظل الذى يكسفه قاله ابن سيدة انتهى من السلاح * والنفاثات فى العقد السواحر ويقال ان الاشارة اولا الى بنات لبيد ابن الاعصم اليهودي كن ساحرات وهن اللواتى سحرن مع ابيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم والنفث شبه النفخ دون تفل ريق وهذا النفث هو على عقد تعقد فى خيوط ونحوها على اسم المسحور فيوذى بذلك قال (ع) وهذا الشأن

فى زماننا موجود شائع فى صحراء المغرب وحدثنى ثقة انه رأى عند بعضهم
خيطا احمر قد عقدت فيه عقد على فصلان فمنعت بذلك رضاع امهاتها فكان اذا
حل عقدة جرى ذلك الفصيل الى امه فى الحين فرضع اعاذنا الله من شر السحر
والسحرة * وقوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد قال قتادة من شر عينه
ونفسه يريد بالنفس السعي الخبيث وقال الحسين بن الفضل ذكر الله تعالى
الشرور فى هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليعلم انه اخس الطبائع

تفسير سورة المعوذة الثانية

قال ابن عباس وغيره هى مدنية وقال قتادة مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس
الخناس الوسواس اسم من اسماء الشيطان وقوله الخناس معناه الراجع على عقبه
المستتر احيانا فاذا ذكر العبد الله تعالى وتعوذ تذكر فابصر كما قال تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف الآية قال النووي قال بعض العلماء يستحب قول لا اله
الا الله لمن ابتلي بالوسوسة فى الوضوء والصلاة وشبههما فان الشيطان اذا سمع
الذكر خنس اي تأخر وبعد ولا اله الا الله رأس الذكر ولذلك اختار السادة
الجلة من صفوة هذه الامة اهل تربية السالكين وتاديب المريدين قول لا اله الا
الله لاهل الخلوة وامروهم بالمداومة عليها وقالوا انفع علاج فى دفع الوسوسة
الاقبال على ذكر الله تعالى والاكثار منه وقال السيد الجليل احمد بن ابى

الحواري شكوت الى ابي سليمان الداراني الوسواس فقال اذا اردت ان ينقطع عنك فاي وقت احسست به فافرح فانك اذا فرحت به انقطع عنك لانه ليس شيء ابغض الى الشيطان من سرور المومن وان اغتممت به زادك (ت) وهذا مما يؤيد ما قاله بعض الائمة ان الوسواس انما يبتلى به من كمل ايمانه فان اللص لايقصد بيتا خربا انتهى (ت) ورأيت فى مختصر الطبري نحو هـذا * وقوله تعالى من الجنة يعنى الشياطين ويظهر ان يكون قوله والناس يراد به من يوسوس بخدعة من الشر ويدعو الى الباطل فهو فى ذلك كالشيطان قال احمد بن نصر الداودي وعن ابن جريج من الجـنة والناس قال انهما وسواسان فوسواس من الجنة ووسواس من نفس الانسان انتهى وفى الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ قل هـو الله احـد وقل اعـوذ برب الفلق وقل اعـوذ برب الناس ثم مسح بهما مـا استطاع من جسده يبدأ بهما من رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

يقول العبد الفقير الى الله تعالى عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي لطف الله به فى الدارين قد يسر الله عز وجل فى اتمام تلخيص هذا المختصر * وقد اودعته بحول الله جزيـلا من الدرر * قد استوعبت فيه بحمد الله مهمات ابن عطية واسقطت كثيرا من التكرار ومـا كان من الشواذ فى غاية الوهي وزدت من غيره جواهر ونفائس لايستغنى عنها مميزة معزوة لمحالها منقولة بالفاظها وتوخيت فى جميع ذلك الصدق والصواب * والى الله ارغب فى جزيـل الثواب * وقـد نبهت بعض تنبيه وعرفت بايام رحلتى فى طلب العلم بعض تعريف عند ختمى لتفسير سورة الشورى فلينظر هنالك والله المسـؤول ان يجعل هذا السعي منا خالصا لوجهه وعملا صالحا يقربنا الى مرضاته ومن وجد فى هذا

الكتاب تصحيفا او خللا فارغب اليه ان يصلحه من الامهات المنقول منها متثبتا فى ذلك لا برأيه وبديهة عقله

فكم من عائب قولا صحيحا * وءافته من الفهم السقيم

وكان الفراغ من تاليفه فى الخامس عشر من ربيع الاول من عام ثلاثة وثلاثين وثمانمائة وانا ارغب الى كل اخ نظر فيه ان يخلص لى وله بدعوة صالحة وهذا الكتاب لا ينبغي ان يخلو عنه متدين ومحب لكلام ربه فانه يطلع فيه على فهم القرءان اجمع فى اقرب مدة وليس الخبر كالعيان هذا مع ما خص به من تحقيق كلام الائمة المحققين رضي الله عنهم نقلته عنهم بالفاظهم متحريا للصواب * ومن الله ارتجى حسن المءاب * وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين * وعلى ءاله وصحبه اجمعين * وءاخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين *

خاتمة الطبع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

تبارك من بيده الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا * والحمد لله الذى نزّل الفرقان على نبيه ليكون لكافة الناس بشيرا ونذيرا * والصلاة والسلام على من ارسله ربه داعيا اليه باذنه وسراجا منيرا * وانزل عليه ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا * سيدنا محمد ممدن العالم * وخلاصة المصطفين من بنى ءادم * وعلى ءاله واصحابه الاماجد الاعيان * الذين بلغوا الينا القرءان العظيم الشان * وحفظوا مبانيه * وفهموا معانيه * وعملوا بمقتضى احكامه * فنالوا رضا الله وغاية اكرامه * ﴿ اما بعد ﴾ فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه العلي الكبير * (محمد بن مصطفى ابن الخوجه) المدرس والامام الخطيب بجامع سفير * قد اكملت تصحيح هذا

الكتاب * الذى هو ذخيرة العلماء وكنز الطلاب * بعد انقابلته بنسخ متعدده * وعارضته على بعض الامهات المتمده * مستعينا بصديقنا وصهرنا الفاضل المكرم * السيد قدور بن محمد الامام الاول بالمسجد الاعظم * وايم الله انه لتفسير جليل * قد فصل مقاصد الذكر الحكيم احسن تفصيل * وحوى عباب المنقول * واشتمل على لباب المعقول * واتى من درر الفرائد * بما يبهر العقول * ومن غرر الفوائد * بما تذعن له الفحول * ولاغرو فمؤلفه العلامة النحرير * والولي الصالح الشهير * فخر مدينة الجزائر * سليل الاماثل الاكابر * سيدى عبد الرحمن الثعالبي قدس الله روحه * واعاد علينا سره وفتوحه * ولما كان هذا التاليف كنزا مخفيا * وقد قصرت عنه يد من اضحى بنفائس الجواهر حفيا * نهض الخيران السيد احمد بن مراد وشقيقه السيد قدور لطبعه * رغبة منهما حفظهما الله تعالى فى تعميم نفعه * وذلك فى مطبعتهما البهيه * الموصوفة بالثعالبيه * وقدتم طبعه فى اخير ذى الحجة الحرام * ختام سنة ١٣٢٧ من هجرة سيد الرسل الكرام * صلى الله عليه وسلم * وشرف ومجد وعظم *

ولما لاح بدر تمامه * وفاح مسك ختامه * واطلع عليه حضرة صاحب الفضيله * والاخلاق الحميدة والاعمال الجليله * العلامة الاشهر * والاستاذ الاكبر * الشيخ السيد ابن زكرى محمد سعيد بن احمد مفتى السادة المالكيه * والمدرس فى القسم العالى من المدرسة الثعالبيه * كتب حرس الله كماله * وبلغه فى الدارين اماله * مانصه

حمدا لمن خلق الانسان من علق * وبه الاستعاذة من شر ماخلق * وصلاة وسلاما على من تحنث ليالي عديدة بغار حراء * سيدنا محمد بن عبد الله

روح الوجود وسر الكون بلامراء * وعلى ءاله واصحابه * وعترته وانصاره واحزابه * وبعد فان الله جلت نعمته * وعمت الخلائق رحمته * قد حبا رسوله بفضيلة التنزيل * وشرف الوسيطة وزيره جبريل * فاتاه من مرسل بكتاب مجيد * لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * كتاب كريم * من لدن سميع عليم * بيد انه لا وصم فيه ولا عيب * واليه الرمز بقوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب * فيه نور وهدى للمتقين * وطمس لاطلال ضلال المنافقين * قامع الجبارين بساطع برهانه * وناكس رءوس المتكبرين ببالغ سلطانه * فاستنارت امة بمشكاة نوره فاهتدت * وبقيت اخرى فى ظلمات جهلها يكاد البرق يخطف ابصارها فاعتدت * كتاب يهدى حقا للتى هي اقوم * ويبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فى دار النعم * كتاب مأمون سبيله * ومستعذب لدى اهل الذوق السليم سلسبيله * كتاب صفا للظمآن مورده * وصح لدى كل راو سنده * عن ثقات السلف الصالح * الى هداة الخلق من الخلف الناجح * لله در اقوام مخلصين فى خدمة كتابه * يرجون رحمة ربهم ويخافون سوء عذابه * امالوا عنان العزم صوب ابراز مخدرات اسراره * واستضاءوا فى دياجى المشكلات بمصابيح انواره * فكلما غشيهم موج كالظلل من بحر اعجازه * سلكوا سبيل النجاة برعي حقيقته ومجازه * فهم لنا ادلة على الهدى * وانجم مشرقة للاهتدا * ومن بين اولئك الاعلام * الهداة للانام * الرعاة للذين هم كالانعام * رحالة زمانه لرواية الحديث * كما اشتهر بذلك فى القديم والحديث * امام المتقين * واستاذ المحققين * منهل المعارف واللطائف * سيدى عبد الرحمن الثعالبي ملجأ كل خائف * احسن الله الى روحه الطاهرة فى غرف الجنان * كما احسن هو الى هذه الامة بالجواهر الحسان *

ربى حسن بـه ظـنى حـتى اقـول لحسـان مـدحـه ليتك حسـان * ياواقفا لدى الباب * ادخل بسلام الى جنات هذا الكتاب * تراهاذات بهجة ماكان لك ان تجني ثمرتها الا باكتساب * هذا الكتاب * وما ادراك ما الكتاب * كتاب يهون على النفس المصاب * ويخلصها من الشك والارتياب * وكيف لا وهو تفسير جليل * عار عن شبهات الضلال والتضليل * الا ترى اليه فى كل حال * يصرح بمثل هذا المقال * رب انى اعوذ بك من همزات الشياطين * ومن نزغات فلسفة الزاعمين انهم لسماء الحكمة اساطين * فسلك فيه مسلك الصواب * فجاء ولله الحمد تبصرة وذكرى لاولى الالباب * رمى صاحبه بسهم فاصاب * واتى بالحق المبين وفصل الخطاب * الا تسمع بتفسير مرونق بحسان الجواهر * مطبوع بحرف شرقى على ورق جيد بالمطبعة الثعالبية فى الجزائر * مطبعة الشقيقين ابني مراد * بلغهما الله فى الدارين حسن المراد * ولا تنس شكر المصحح * فعمله الجميل لفضله مرجح * لانه تقدم طبعا على الطبع قطعا * فكمال الطبع موقوف على ﴿ الكمال ﴾ وضعا * الا ترى الى الصلاة بدون الامام * تنقص درجاتها او تبطل على مذهب كل امام * نسأل الله تعالى للفاضل الامين والاستاذ ابن مصطفى * ان يجزيهما على حسن صنعهما الجزاء الاوفى * بجاه عين الرحمة سيدنا ومولانا محمد وءاله * واصحابه الاخيار وكل ناسج على منواله

الفقير الى ربه ابن زكرى محمد سعيد بن احمد الزواوي مفتى السادة المالكية بعاصمة الجزائر وفقه الله ءامين

وتلاه جناب العالم العامل والمفضال الكامل الشيخ السيد عبد الحليم بن علي ابن سمايه المدرس بالجامع الجديد واحد اساتذة المدرسة الثعالبية فقال ادام الله النفع به

الحمد لله الذى منح احبابه من كنز مواهبه بالجواهر الحسان * والبسهم من مطارف المعارف ما يخرس وصفه شقاشق اللسان * وعقد لهم على بساط المكارم منبرا * وتضوعت انفاسهم الزكية بين الورى مسكا وعنبرا * فهم ماهم * تعرفهم بسيماهم * عرف التحقيق * من ادراج كلامهم عبيق * وقول فصل * يفل غرار النصل * وجادة مستقيمة لا تلوى * والنجم ثاقبة لا تهوى * تنبع ينابيع الحكمة من صدورهم صافية من كل كدر * متسلسلة بصفاء التصحيح فى المنقول عن الصادق الامين من الحبر * اعرضوا عن القيل والقال * ونبذوا ظهريا كل ما ادى الى المراء والجدال * قد علموا وان لم يعلموا هم فمن يعلم * ان خير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم * الذى بلغ الرساله * وبيّن طرق الحق من الضلاله * وترك الجدال والمراء مع العالمين * ووقف فى إقامة الحجة على الخلق على ما نطق به الكتاب المبين * ومن استضاء بالانوار النبوية فله اسوة حسنة فى اتباعه * تغنيه عما يخترعه من وساوس ابتداعه * الا وان ذلك هو العقل الذى لا يثبت عليه الا من احكم بحبل من حكمة النبوءة متين * ولا يقف عنده الا من منحه الله بخلق من اخلاق الانبياء والمرسلين * ولذلك كان تفسير هذا الطود الشامخ * واساس العلم الراسخ * السيد الذى اخذ فى مجال الحق باليمين اعلامه * والف فى الفنون المتعددة وضرب فى مغازيها سهامه * وتفجرت بالعلم النافع من بين اصابعه ينابيع الاقلام * وانحى بتنقيحه السنة النبوية على ما ابتدع فيها بباتر حسام * حتى شهدت بغزارة علمه فطاحل

العلماء * وحمد فضله اهل الارض ولا شك انه محمود فى السماء * واعترفوا بانه قطب زمانه الذى دارت عليه امور دين المتقين * واتخذه القاصى والدانى واسطة الارشاد فى السلوك الى رب العالمين * والمولى الذى لمن تشخص عظيم قدره * واضطلاعه بالخلافة النبوية فى نهي الله وامره * ان كان ممن له حياء ذاب حياء * او كان ممن له شعور طارت نفسه شعاعا وانبث هباء * سيدى عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي رضي الله عنه ونفعنا ببركاته * وجعلنا ممن سلك مسالك كمل الرجال فى سكناته وحركاته * تفسيرا حوى من نوابغ البيان او ضحها * ومن نقل الاقوال امتنها وارجحها * طوى كشحه عما ضعف نقله * وافرغ نصحه فيما جزل نفعه وجل فصله * انتخل التفاسير انتخالا * وروق منها ما صفا مشربه زلالا حلالا * وضرب بما يشم رائحة البدعة عرض الجدار * وشخص للقارئ اخلاق الصحابة والسلف الاخيار * اذهم القدوة فى هذه المسالك على التحقيق * وهم الذين من لم يسر على آثارهم فقد ضل سواء الطريق * وهل الامة المحمدية التى نسئل الله تعالى ان يجعلنا منها الا هؤلاء المتقون * الذين اثنى عليهم الرب الكريم بقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون * وهل يطمع ان يعد فى عدادهم * الا من سدد قوله وفعله بسدادهم * وهل حصل ما حصل هذا السيد الجليل من المكانة عندالله على ما هو حسن المعتقد * ورفع الكعب بين العباد كما هو معروف لا ينكره احد * الا باتباع الحق بين الخلق * واطراح الهوى وسلوك سبل الجد والصدق * وهي وراثة نبوية مقسومة على ذوى الارحام فى الدين * ممن الزم نفسه قصر طرفه على العمل باقوال وافعال سيد المرسلين * والعلماء العاملون ورثة الانبياء * وهم الاتقياء والاصفياء والاولياء *

فنسئل الله ان يجزي هذا السيد الجليل * عن الامة المحمدية الجزاء الجزيل * وان يجعلنا ممن سمع ووعى * ولعهد الله حفظ ورعى * وان يجعل سعي اخينا السيد محمد بن مصطفى ابن الخوجة فى تصحيح هذا الكتاب * ومقابلته له بسبع نسخ مع مراجعة بعض الاصول حتى تهذب من تحريف الكتاب * سعيا مشكورا * وذنب الجميع ذنبا مغفورا * انه اهل التقوى واهل المغفرة * وهو الرحيم الرحمن فى الدنيا والآخرة * ولا حول ولاقوة الا بالله العلي العظيم * الهادى بمحض فضله الى الصراط المستقيم *

ثم قرظه بهذه القصيدة اللطيفه * ذو الشيم المرضية الشريفه * ولدنا البار الزكي * والشاب النجيب الذكي * السيد قدور بن محيى الدين * اكثر الله من انداده ، امين * وهى :

اعز مغتنم نصفو مشاربه * يحظى به لهج بالعلم مسرور
حقائق فى الجواهر الحسان لها * فى الصدر شرح وفى عين الحجا نور
والخلق من ناهج سبلا مغبتها * حميدة سعيه فى الخير مشكور
مأموله المجد لالهو يثبطه * عن المعالى ولا يثنيه تقصير
وذاهل خابط فى التيه معتسف * وعقله بخسيس الشيء مبهور
فما يحصل من نيل لمأربه * الا كما نقر الماء العصافير
فاين ذا من امام بدر همته * بين النجوم له هدي وتنوير
طلاع انجدة كشاف معضلة * خضم معرفة بالعلم مسجور
فخر الجزائر من له العلى انتسبت * وطارصيت له فى الناس مذكور
نجل ابن مخلوف الثعالبي عابد الـ * ـرحمن من بهجت به الطوامير

فدونـك الدر فى تفسيره نضَدا * والبحـر يقذفـه والدر منشـور
بدت لدى فصل اي الله ايتـه * شمس الضحى بزغت ما دونها سور
تكاد تنطق فى الاوراق احرفـه * اذ رصف الوضع فيها منه تدبير
لولا الطروس لها بالرقم ماسكة * لكان منها مع الارواح تطيير
رقت اساليبـه جمت عجائبـه * لذت اطايبه ما فيه منكـور
وما تظن بقطب يوحه سطعت * وقلبـه مخلص بالحـق مفطـور
ان العصور تنـافست مناقبـه * فمجـده يبقـاء الدهـر مـأثور
وخلدت ذكر بانٍ فى الورى شرفا * ولو مشيده فى الرمس مقبـور
ان غاب تفسيره عن طرفنا زمنا * وكاد تـذهبـه عنـا الاعاصـير
فقـد تصدى له بالنشر مجتهـد * سامى المقام طويل الباع نحـرير
ذ وخبرة احكمت تصحيحه فغدا * له من المسخ والتحريف تحـرير
وقابل الفرع بالاصول فارتجمت * وصح ما سامه من قبل تكسير
هو الكمال ابن مصطفى محمدنا * مسدد الرأي ماضى العزم شمير
حـبر معارفـه بحـر مـآ ثره * غُر وبالفضل فى الآفاق مشهور
دامت مساعيه فى الدنيا ممدّحة * واجره عند رب العرش موفـور

فهرست الجزء الرابع من كتاب الجواهر الحسان
فى تفسير القرءان